



مجموع فتاوى الشيخ أبي قتادة الفلسطيني

القسم الأول / الفتاوى المرئية - فتاوى الفيسبوك المصورة

لفضيلة الشيخ الوالد:

أبي قتادة الفلسطيني حفظه الله

(عمر بن محمود أبو عمر)

بسم الله الرّحمن الرّحیم

مجموع فتاوى الشيخ أبي قتادة الفلسطيني

القسم الأول: الفتاوى المرئية

لفضيلة الشيخ الوالد:

أبي قتادة الفلسطيني

(عمر بن محمود أبو عمر)

- حفظه الله ورعاه -

جمادى الآخر ١٤٤٤ هـ - يناير ٢٠٢٣م

فهرس المحتويات

مقدمة فريق العمل

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان؛ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد..

فالحمد لله مرةً أخرى على نعمه وآلائه العظيمة؛ أن أتمَّ علينا نعمتَه بإنجاز هذا الكتاب جليل القدر، عميم النفع، عظيم الفائدة؛ الذي هو أول لبنةٍ في «مجموع فتاوى الشيخ أبي قتادة الفلسطيني» سلمه الله.

وفتاوى الشيخ أبي قتادة كثيرةٌ وفيرة والحمد لله، وهي على أقسام ثلاثة: مرئية، وصوتية، ومكتوبة.

ولأنَّ المرئية أكثر انتشارًا وظهورًا بين الناس؛ فقد آثرنا أن يكون باكورة عملنا في تفريغها وإخراجها للقراء الكرام بأبهى حلةٍ، وقد كان الشيخ الفاضل قد تفرغَ مدةً من الزمن يجيب على عدد من الأسئلة المرئية التي كانت تأتي عبر صفحة الفيس بوك والتلجرام وغيرها من وسائل التواصل، حيثُ وقعت هذه المجالس في **(٣٨)** مجلسًا، أجاب فيها الشيخ عن **(٤٥٣)** سؤالًا مختلفًا في كافة الفنون، وقد وقعت هذه الأسئلة التي أجاب عنها الشيخ فيما ما مجموعه يُقارب مئة ساعة مرئية، وقد استغرق العمل في تفريغ هذه المادة المرئية التي بلغت أكثر من **(١٧٠٠)** صفحة قرابة خمسة أشهر متواصلة من العمل اليومي؛ نسأل الله القَبول والنفع.

وقد انتهجنا في هذا المجموعة المفرغة؛ السياسة المعتادة في تفريغِ كلمات الشيخ، وذلك فق ما يلي:

١- سماع التسجيلات الصوتية وتفريغها تفريغًا يدويا بالكامل، مع سؤال الشيخ أو بعض خاصة طلابه؛ عن الألفاظ المشكلة لاعتماد الكلمة الصحيحة.

٢- إعادة صياغة كلام الشيخ بعد سماعه مرةً أخرى، وذلك لاختلافِ المحاضرة الصوتية عن الكتابية؛ حيثُ سمحنا لأنفسنا -بعد استئذان فضيلة الشيخ- بالتصرفَ قليلًا؛ تقديما أو تأخيرًا، حذفًا أو إضافة لكلمات، أو إصلاحا لخطأ لا يشك السامع أنه سبق لسان لأن طبيعة الشيخ -حفظه الله- أنه يجيبُ عن الأسئلة بغير ورقةٍ يُلقي منها، بل من بنات فكره.

٣- حرصنا في كل ذلك على ألا نُجري أي تغيير يخل بالمعنى، أو يزيد على كلام الشيخ زيادة لم يقلها،

فضلا عن أن ينقص ذلك؛ فتصرفنا بالنص إنما هو لتتميم المعنى أو جعله صالحًا للهيئة الكتابية؛ أي أننا نعمد إلى ذلك باعتبارِ النصِّ المكتوب يحتاج لإعادة صياغة وحسب، وكل ذلك حسب وسعنا وجهدنا فقط، والقلمُ يندُّ تارة، ويسهو تارةً، وعلى الله قصد السبيل، ومنه التوفيق.

٤- وقد صنفنا المادة العلمية بحسب تاريخ تسجيلها من الشيخ، حيثُ أضفنا تحت كل شريط تاريخ تسجيله، فضلًا عن رقم الجلسة المسجلة، وفي صفحات الشيخ يجد المتابع هذه الفتاوى مرئية حيثُ يمكنه العودة لأي فتوى رغب بها بيُسر وسهولة.

وبعد؛ فإنَّ عملنا المتواضع هذا يُعتبر -بفضل الله- أولُ عملٍ جامعٍ لفتاوى الشيخ أبي قتادة المفرغة، حيثُ سيتلوه عملان باشرنا العمل عليهما في تفريغ كتابات الشيخ الصوتية، ثم جمع فتاواه المكتوبة، ثم بعد ذلك نُردف هذا كله بعملٍ علمي جامع لفتاوى الشيخ تُصنف فيه الفتاوى موضوعيا وتُنزل كل فتوى في موضعها اللائق بها.

اللهم اجعل هذا العمل خالصًا في سبيلك، واقبله منا؛ إنك أنت السميع العليم

وكتب/ **أبو عبد الرحمن**

جمادى الآخر ١٤٤ هـ – يناير ٢٠٢٣م

١- كلمة حول صفحة الشيخ حفظه الله على «الفيس بوك»

ضمن الجلسة الأولى، بتاريخ: (١٢/١٠/١٤٣٨هـ الموافق لـ: ٦/٧/٢٠١٧ م)

إن الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفر، ونصلي ونسلم على خير خلقه محمدًا وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى صحبه الغر الميامين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ وهدى وتقى إلى يوم الدين، أما بعد:

أيها الإخوة الأحبة؛ طال الابتعاد عن الإخوة وأسئلتهم وخاصةً ما يرد على «الفيس بوك» بعد انقطاع التويتر والعلاقة معه، وبعد مرور وقت طويل على اللقاءات المباشرة في دروس التفسير، ومتابعة دروس برنامج «ألف كتاب قبل الممات»؛ فرأيت من أجل استدراك ما فات، ومحاولة ترميم ما حدث، وملاحقة الكثير مما حدث: أن أجيب على الأسئلة التي تردني على «الفيس بوك» عن طريق الصوت، وذلك لأن كثيرًا من الأسئلة التي ترد؛ هي أسئلة طويلة ومتشعبة، ولو أراد المرء أن يلاحقها لاحتاج كل سؤال إلى كتاب ليحقق الجواب التام.

وهذا في الحقيقة متعذر وصعب على المجيب، والسبب هو ضيق الوقت وقلة الإمكانيات وانفراد الشخص بنفسه؛ فلا يوجد من يراجع، ولا من يجمع المادة، ولا من يطبع إلا بصعوبة شديدة، وهذا في الحقيقة يؤخر الكثير من الخير عليَّ وعلى الإخوة السائلين.

فمن أجل تسهيل الأمر عليهم وعليّ، ومتابعة الأمر أولًا بأول؛ لنتجاوز ما فات من الكثير من الأسئلة التي حدثت، رأيت أن أجيب بهذه الطريقة التي نراها الآن: وهو أن أنظر في الأسئلة فأجيب عليها صوتًا وصورةً كذلك -إن أمكن إن شاء الله تعالى-.

فأرجو المعذرة من العزلة الطويلة التي حدثت والتي جعلت الكثير يتساءلون عن هذا التأخر، وبعضهم في الحقيقة رأيت عتابًا شديدًا له، ورأيت منه كلامًا شديدًا في عدم الإجابة على الأسئلة، والسبب هو ما ترون وما تعلمون من الحال؛ فاللهم يسر وسدد وهون علينا وأعنا على بلوغ المراد من الأجوبة على الأسئلة.

ورأيت أن أقدم السؤال أولًا ثم أجيب عنه، ثم ينزل مُقَطَّعًا؛ أي كل سؤالٍ وجواب على حدة، وإذا أراد الإخوة بعد ذلك أن يجمعوها في مكان واحد تسهيلًا لظروفٍ معينة، فهذا لهم، وفي الحقيقة أنا ضعيف الشأن في الأمور الفنية المتعلقة بهذا الباب.

فأرجو المعذرة وأرجو أن يسد هذا شيئًا من النقص الذي حدث سابقًا. فأهلًا وسهلًا بكم على الصفحة في «الفيس بوك» وأشكر الذين شجعوني أن أحييها وأن أثيرها وأن أنميها في هذا الوقت بالذات إن شاء الله تعالى، أرجو أن تكون الأسئلة نافعة والأجوبة فيها نفع إن شاء الله تعالى.

وشكرًا جزيلًا لكم وحياكم الله وبارك بكم.

٢- من هو ابن عربي الطائي المكي؟

ضمن الجلسة الأولى، بتاريخ: (**١٤٣٨/١٠/١٢هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/٧/٦ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل عن ابن عربي الطائي المكي، صاحب كتاب «فصوص الحِكَم» وكتاب «الفتوحات المكية»، وصاحب التفسير المشهور؛ ويسأل عنه.

جواب الشيخ: أنا أستغرب أن يصبح للناس اعتناءً بهذا الشخص وبهذا العِلم!! ولكني فهمت أن هذا الاعتناء بالسؤال عنه مرده ودافعه هو أن هناك بعض من يعظمه عن طريق التمثيلية أو عن طريق المسلسل، عن طريق التمثيل، ويقدمونه على صورة فيها الكثير من التبجيل والتعظيم والتكريم له، وأن له الفاعلية في تاريخ الأمة، وحضارتها، ومقاومتها لأعدائها.

فالجواب عن هذا الرجل وهو ابن عربي والكل يعرف، وأظن أنه ليس من الخفاء أنه حرى التفريق عند الناس بين ابن عربي الطائي المكي صاحب «الفتوحات» المكية و«فصوص الحِكَم»، وبين الإمام المالكي ابن العربي صاحب الكتب المالكية الشهيرة في أحكام القرآن، وفي الناسخ والمنسوخ، وفي شرح الترمذي؛ فهو إمامٌ مالكيٌّ مشهور معروف، وهو متقدم في الوجود والوفاة على ابن عربي هذا.

والعلماء كثيرًا ما يميزون بينهما بالتعريف والتنكير، والحق أن هذا للتفريق فقط وليس من قبيل التحقيق، فيقولون: ابن العربي المالكي، وابن عربي الصوفي.

وابن عربي الطائي الصوفي مذهبه في الفقه ظاهري، وهذا شيءٌ غريب أن يكون باطنيًا في التصورات والعقائد، وأن يكون ظاهريًا في الفقه لا يقول بالقياس ولا بالمعاني ولا بالمقاصد!

فالتفريق بينهما يتم مرات عن طريق التعريف والتنكير فنقول: ابن العربي المالكي، وابن عربي الطائي الصوفي، وبعضهم يورد هذا من التحقير له، ولكن هذا يتم فقط للتعريف، وأما التفريق بينهما في العقائد وفي الهداية والضلال، فهذا بابٌ آخر لا يتعلق بالتنكير ولا بالتعريف، يعني لا أعتقد أن موضوع تنكير ابن عربي الطائي الصوفي يضره لأن هذا من الألفاظ، وإلا فإن الكثير من الذين يكتبون عن ابن عربي الطائي الصوفي يذكرونه

على جهة التعريف إنكارًا لمن ينكره.

والتقدم بينهما كبير، فقد توفي ابن العربي المالكي الفقيه المفسِّر العملاق في «٥٤٣ هـ»، وأما ابن عربي فتوفي سنة «٦٣٨ هـ» -والعرب يقرأون من اليمين للشمال، فيقولون: ثمان وثلاثون بعد الستمائة، أو ثمان وثلاثون وستمائة- ولذلك هو متأخر، وهو -ابن عربي الصوفي- ينتهي سنده الصوفي لأبي الحسن الشاذلي ومن قبله بتلميذه أبي العباس المرسي..

وهو رجلٌ أندلسي، رحل من الأندلس وطاف في البلاد، ومكث في مصر مدة، ثم ذهب إلى مكة وألف فيها «الفتوحات المكية» التي زعم أنه قد كتبها وعرضها فوق الكعبة؛ فإذا تغيرت فسيرميها، وإذا لم تتغير فهي الحق، فلهذا سميت «الفتوحات المكية»، ثم ذهب بعد ذلك إلى دمشق واستقر فيها حتى توفي، وهناك قبره.. ويسمى عند الصوفية بالشيخ الأكبر تعظيمًا له وإجلالًا وإكبارًا لمقامه..

هذا الرجل ابن عربي الطائي، الطائي: هذا نسبه، والمكي: أي استقر في مكة، ونسبةً للفتوحات المكية، وإن كان الدمشقي وفاةً، وهذا الرجل شغل الناس كثيرًا، لأن هناك من يعتقد بولايته، من القدامى والمعاصرين، يعني: ليس فقط من المعاصرين، وهناك حتى بعض الفقهاء والمفسرين يعتقدون ولايته، فمثلاً: الألوسي في تفسيره يعظم شأن ابن عربي الطائي، ولكن الأكثرين على تضليله وتكفيره.

وبعض الناس يظن أن عدوه الوحيد في التاريخ الإسلامي والمسيرة العلمية الإسلامية هو ابن تيمية؛ وهذا غير صحيح، ففي الحقيقة هناك من عاصره وكفره؛ فالعز بن عبد السلام ذُكر عنه – وكذلك عن شيخه، وكذلك عن بعض تلاميذه – أنه يعده دجالًا كذابًا، وكذلك ابن حجر ينقل عن شيخه البلقيني: أنه شيخ سوء، كذاب وكافر.. يكفرونه.

والبقاعي له كتاب «تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي»، وإن كان المحقق للكتاب جعل له عنوانًا يهون القبول له، فسماه: «مصرع التصوف»، وإنما هو في الحقيقة «تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي» وذكر فيه الكثير من العلماء الثقات، الفقهاء الذين لا يحابون في دين الله وليس لهم عداء تاريخي للصوفية -كابن حجر- على ظن بعض الصوفية.

هذا الرجل الآن هو بين يدي الله، وبالنسبة للحديث عن شخصه فأريد أن أقول للإخوة كلمة: دائمًا لا تتحدث عن الشخص إلا إذا كان شخصه له أهمية في الباب؛ أي: لا يهمنا الآن ابن عربي كشخص من هو؟ أين مستقره؟ هل ابن عربي في الجنة أم في النار؟ هذا لا يهمنا نحن، يهمنا من هذا الشخص عندما يكون لحضور شخصه أهمية؛ فنحن عندما ننظر في رجال الحديث.. يهمنا أن نعرف الحكم فيهم وماذا قال أهل الجرح والتعديل فيهم؟ فأشخاصهم وأسماؤهم لها أهمية في البحث، لكن هناك من الأشخاص من ذهبوا وهم كأشخاص لم يعد لهم أهمية، وإنما الأهمية للكتب.

فما يهمنا في ابن عربي الآن هو الأمور التالية:

أن كتبه كافرة، ولا يوجد مسلم على ظهر الأرض يقرأ كتب ابن عربي ويعرضها على الفقه الإسلامي الصحيح والفقه السلفي الحقيقي، إلا ويقول: هذه كلمات الكفر والزندقة والردة عن دين الله عز وجل..

كيف يدافع الناس عنه؟؟ إما بأن يقال: إنكم لا تفهمون الكلام، وإذا قيل لنا هذا فإذن المطلوب ممن فهمه أن يفسره على وجهٍ من الشريعة والموافقة لها، وإلى الآن لم يحدث هذا، أنا لا أعرف أحدًا فعل ذلك، هناك بعض المعاصرين كشخص يسمى: محمد عراب، أو: محمد عرابي، فقط يروج له دون أن يفسر الكلمات التي عِلمها العلماء منه أنها كفرٌ وردة، فأراد أن يفسرها على جهةٍ من القبول الشرعي؛ فلذلك أولوا لنا كلامه، ولا يستطيعون.

النقطة الثانية، والتي وجدت الأكثرين يتعاملون بها للدفاع عن ابن عربي: أن كتبه قد دس عليها، وهذه في الحقيقة يقولها الشعراني في «الطبقات الكبرى» وكذلك في «الميزان»، يقول: بأن كتب الأكابر -كما يسميهم- قد دس عليهم فيها من كلمات الكفر! والغريب: أن هذا الكلام يقال عند الحِجاج، ولكنه عند التمحيص لا نجد هذا الموقف!! بمعنى أنكم لو قلتم: أن هذه الكلمات مدسوسة عليه وأنها كفر وردة وأنها لا تلتقي مع الشريعة بشيءٍ من الأشياء، وهي مخالفة ومناقضة لأصل الدين وهو التوحيد؛ فعليكم أن تزيلوها، أقل الشيء عندما تضبط تعلقون عليها، أقل الشيء لا تقرأوها في مدارسكم ولا في معاهدكم ولا في جلساتكم، وإنما أنتم تأخذون هذه الأشعار الكفرية له -وهو شاعر رمزي رائق، ابن عربي له أشعار رمزية رائقة في الشعر، بغض النظر عن معناها- وتتغنون بها في أماكن ذكركم في الرقص والذكر أو الحضرة كما تسمونها.

فنجد أنكم تقولون حين تجتمعون بالآخرين المخالفين: أنها مدسوسة على الشيخ، وعندما تسرون تجلسون وتقرؤونها على جهة التذوق والتغني بها..

وبالتالي: الذين يدافعون عنه لا يستطيعون ذلك، فلا يوجد موقف علمي لفقيه يتعامل مع الشريعة دون باطنية أو زندقة خفية، لا يستطيع أن يدافع عن ابن عربي..

فما يهمنا هنا: نحن لا نتكلم عن شخصه، فقد أفضى إلى ما قدم، ويمكن للمرء أن يكفره؛ لأن كتبه شاهدة على هذا الكفر، ولكن ما يهمنا هذه الكتب، وأشهر كتبه هي التي ذكرتها، وله كتب أخرى، حتى أني وجدت -اليوم وصلتني- بعضهم يستغل اسمه باعتباره من أهل التصوف والمعارف والكشف أنه يتحدث عن واقعنا -اليوم وصلت لي قصيدة كذبوا فيها عليه وأخرجوها أيام صدام على أن الدجال قد اقترب، واليوم يقولون كذلك: «أن الدجال قد اقترب بنيران تشتعل في الخليج»، هكذا، وهي قصائد مكذوبة عليه.

ومن أهم كتبه المنسوبة له، وأخذت عنه مشافهة، ورواها التلاميذ عنه، وهو كتابه الأول: كتاب «الفتوحات المكية»، وهو كتابٌ ضال، كفري، مليء بوحدة الوجود، مليء بنواقض الشريعة، والكتاب الأكفر والأشد كفرًا هو كتاب «فصوص الحِكم».

وكتاب «الفتوحات المكية» قلنا: أنه أكسبه المهابة عن طريق دعوى أنه لما كتبه وضعه فوق الكعبة، وجعل الرياح والمطر والحرارة تمر عليه، وتحدى أنه إذا كان فيه ضلال فسيمسخ الله عز وجل هذا الكتاب، ولم يحدث شيء، فلذلك أخذ هذه الهيبة وهذا القبول، وفي «فصوص الحِكم» زعم أن الكتاب وقع إليه من الله.. هكذا!! جاء الله عز وجل إليه وقال له: هذا الكتاب بلِّغه للناس!! وهناك تفسيره المنسوب له.

ولا شك أن كتاب «الفصوص» و«الفتوحات» هو كفرٌ محض، لا يجوز لمسلم أن يتوقف في تكفير هذا الكتاب، ومتفق على تكفير هذا الكتاب، ولا يجوز لمسلم أن يقرأه إلا على جهة المعرفة لما يقول؛ إذا كان آمنًا لئلا يقع في الزلل الذي هو فيه.

وهو -أي ابن عربي الطائي- يقول: بوحدة الوجود، ومعنى وحدة الوجود معروف: أنه لا فرق بين الخالق والمخلوق، فهما شيءٌ واحد؛ وهذا الذي يقولونه بوحدة الوجود، هو الذي يقوله الماركسيون: الحياة مادة، أي:

الله والمادة شيءٌ واحد، هكذا يقولون!!

وكذلك يعطلون الشريعة، ويعطلون العقاب، كيف يعطلون العقاب؟ بمعنى: أن الذين يدخلون جهنم لا فرق في الاستلذاذ بينهم وبين أهل الجنة؛ فلذلك: فرعون هو إمام الموحدين، بل أدرك التوحيد أكثر مما أدركه موسى عليه السلام!! وهكذا!

يعني لا يشك أحد في أنه إذا قرأ هذا الكتاب وعرضه على عجائز المسلمين وعلى أطفالهم، أن يقولوا: هذا ليس من الإسلام في شيء، هذا متفق عليه.

المشكلة أن الرجل في تاريخه ليس له شأن، كان حقيرًا، حكم عليه بالكفر في حياته، ولم يكن له شأن في التحولات الحضارية الكبرى، مثل مجابهة الصليبيين مثلًا، والمعروف أنه عاش في فترة آل زنكي، وعاش فترة صلاح الدين ولا يُعرف عنه أنه شارك بكلمة ضد أعداء الله، وأنه كما يزعم البعض أن المدرسة الصوفية ربت جيلاً، والصوفية هي التي صنعت جيلًا حقق حطين ونصرها!! وهذا كله تخيلات لا وجود لها في التاريخ ولا حقيقة لها.

والآن بعضهم يحاول أن يجد الشرعية لنفسه بأنه بناء ابن عربي، وابن عربي محترم عند طوائف الصوفية، وكل هذا مخالف للحقيقة، فابن عربي ليس في التاريخ الذي يقولونه، وأما في تاريخه الحقيقي فهو رجل ساقط الأثر في حركة الأمة، وفي إحيائها، وفي جهادها، فهذا الذي أراه والذي أقوله عن ابن عربي، نسأل الله العفو والعافية.

وللذكر: الغرب تبنى الخطاب الصوفي في وقت من الأوقات؛ للوقوف أمام الخطاب الفقهي الإسلامي السني، ولذلك نشط المستشرقون في طباعة الكتب الصوفية، كل كتب الصوفية التي بدأ الاهتمام بها بدأ الاهتمام بها غربيًا، وعلى غرارهم مشى ابناؤهم.

المشكلة: هذا كله ذهب الآن، والوضع الصوفي تبنته الحكومات وتبناه المستشرقون وتبنته الدول؛ ولكن هو لم يقدم السلاح الكافي ولا المادة الكافية في المقاومة، الصوفية تلاشت، وإن كانت موجودة الآن ويحارب أتباعها وأفرادها، وكما ترون الصوفية يحاربون المجاهدين ويحاربون تحولات الأمة ويحاربون الفقه السني الصحيح ويحاربون تقدم الشباب لتولي مهمات الأمة ومهمات القرآن ومهمات السنة، ولكن موقفهم ضعيف وليس بالقوي.

فالمشكلة أنهم يتبنون اليوم من هو على غرارهم في التأويل وإن كان لا يحمل الراية الصوفية، وهذا إن شاء

الله له بحث واسع، إن شاء الله سيكون إحدى الكتب القادمة قريبًا، ربما الكتاب الثاني أو الثالث، وهو كتاب محمد شحرور: «الكتاب والقرآن»، فسأتحدث عن هذه الظاهرة، لأنها هي الظاهرة المتبناة الآن التي تتوافق مع الإلحاد، ظاهرة الإلحاد الموجودة، موديل أو موضة الإلحاد التي تنتشر بين الناس.

ولكن المد الصوفي لم يحقق لهم مرادهم في إيقاف حركة الأمة ونهضتها وتقدمها نحو النبوءات النبوية الشريفة بنصرة الله عز وجل لها وبتأييده لعودتها إلى قيادة العالم.

شكرًا لكم، وبارك الله فيكم، والحمد لله رب العالمين.

٣- النبوءة الحق والنبوءة المدعاة

ضمن الجلسة الأولى، بتاريخ: (**١٤٣٨/١٠/١٢هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/٧/٦ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

وردني سؤال إخواني -والسؤال واسعٌ جدًا لكن الأخ السائل يقيده بالأمثلة- يقول فيه صاحبه: **هناك أمر يشغلني منذ مدة ليست بالهينة، وهو: الاستدلال بالأمور القدرية على المسائل الشرعية؛ فمثلاً: بلغني أن البغدادي وأسلافه كانوا قد أعدوا منبرًا للمهدي، والآن في الشام كانوا يتسابقون على دابق، ويستدعون دولاً للدخول في حلف أعدائهم؛ يلتمسون بذلك إتمام عدد الرايات المحاربة لتتحقق النبوءة، وقبلهم كانت جماعة شكري مصطفى -التي سميت بجماعة التكفير، وهي اسمها جماعة المسلمين، كما كانوا يسمون أنفسهم- تترك الأخذ بالأسباب العصرية ويعتمدون على الإعداد البدني؛ لاستشرافهم لزمان زوال الأسلحة النارية والعودة للخيل والرماح... والأمثلة كثيرة، وما في جعبتكم أكثر بكثير مما أعلم، فما هو ميزان التعامل مع الأمور القدرية بسنن كونية ونبوءات؟ فتح الله عليكم شيخنا.**

جواب الشيخ: في الحقيقة هذا السؤال واسع، ولكني سأقتصر على ما هو لازم في هذا الباب، تسهيلاً للنشر.

فأقول: هذه الطريقة التي شرحها السائل -وأمثلة غيرها- تدل على التخلف وتدل على الفساد العقلي، وكذلك تدل على ضعف وإن لم يكن ذهاب الأصول الشرعية في التعامل مع النصوص الشرعية.

الفرق بين النبوءة الحق وبين المدعاة: أن المدعاة يصنعها المرء لتحقق له مراده، وأما النبوءة الشرعية فهي تنزل على المرء بلا استئذانٍ منه ولا ترتيبٍ منه.

وأنا أضرب لكم مثالا أو أمثلة بحسب ما يحضر:

مثلاً: كان عند أهل الكتاب نبوءة تفيد أن هناك نبيٌ قادم قد اقترب زمانه -وهذا في أحاديث صحيحة- فكانوا يتوقعون ويستشرفون نزول شيء ما يغير الحالة التي عليها الناس من وجود نبيٍ يحقق النصر وينشر الخير،

واسمه محمد، ووجد في التاريخ من سمى ابنه محمدًا –قيل: ثلاثة، وقيل: أربعة– من أجل أن تتحقق فيهم النبوءة، انظر إلى هذا، سموهم لكي تتحقق النبوءة، هذا حشر، أما النبي صلى الله عليه وسلم فإنه لم يسم لهذه النبوءة، ولم تكن على بال جده عندما سماه، وإنما سماه محمدًا ليحمده أهل السماء ويحمده أهل الأرض، فهذا شيءٌ آخر؛ والنبي صلى الله عليه وسلم لما نُبأ لم يكن مُحضّرًا نفسه بل فوجئ، كما في القصة الصحيحة في صحيح البخاري باب بدء الوحي وكيف حدث معه الوحي، فلم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يترقب ويدخل نفسه.

وهذا ينبهك إلى معنى مهم وهو: أن النبوءة تكون بحسب السياق السنني الجاري لها، ولا تكون بصناعة خارجية، ولا بمحاولة حشر الحدث ليتوافق مع النبوءة.

الذي يحدث أن الناس يستغلون النبوءة من أجل تمرير أشياء، قد تكون في بعضها صحيحة –أي: الأشياء، وليس إنزال النبوءة على هذا الشخص–، مثلاً: كالمهدي السوداني عندما سمى نفسه المهدي، فكانت سبيلاً للحوق السودانيين له في المعارك الشهيرة التي خاضها ضد الإنكليز، وحتى دخل الخرطوم وقتل الحاكم العسكري فيها وأباد الحامية الإنكليزية كلها، فاسم المهدي حقق له الانتشار.

كما أن الدعوة إلى الرضا من آل محمد بالنسبة للدولة العباسية يريدون تحديد أنهم من أولاد العباس ومن رضا من آل محمد، فظن الناس أنها دعوة إلى آل البيت من أولاد الحسين والحسن، ولكنها كانت دعوة للعباسيين، فحققوا مقاصدهم، لكن هذه ليست من الهداية في شيء، هذا مخالف للشرع وهذا كذب، والكذب قد ينفع لفترة، ولكن لا ينفع لكل فترة؛ والعبارة شهيرة ومعروفة لديكم: «الكذب لا ينفع في كل الفترات لكل الناس»، قد ينفع لبعض الناس في بعض الفترات، ولكنه لا ينفع لكل الناس، أي: لا يحقق مراده في كل الناس في كل وقت وزمان، وهكذا، فهذا نوع من الكذب وهو إنزال النبوءات على أشخاص، أو حشر الأشخاص في نبوءات تتحقق بهم

ونحن نعلم –كما قال أهل العلم– أن موضوع المهدوية هو من أكثر المواضيع استغلالاً في التاريخ الإسلامي، للأسف، المهدي بن تومرت، المهدي السوداني، المهدويون القدماء، والآن الروافض الكثير منهم يفسد ويفجر من أجل أن يستعجل خروج مهدي السرداب المدعى.

وأنا كتبت مرة بحثًا –أرجو أن تعودوا إليه–: أن هناك ثلاث شخصيات هي شخصيةٌ واحدة، وهي: مهدي

الشيعة وملك اليهود المنتظر ودجال المسلمين الذي خبر عنه الحديث، هي شخصية واحدة، كتبت في ذلك بحثًا وأحضرت فيه أدلة، وأخذه بعضهم وزاد عليه بما لا ينفع، ولكن أساس القضية قد تأصل.

فما الخطأ في هذا الباب؟

الخطأ في هذا الباب هو: التكلف، إنزال الأحاديث في غير موطنها، التهيئة لأحاديث لم يأت زمانها، نعم يحق للمرء أن يستشرف وأن يتأمل، ولكن لا ينبغي أن يدخل النصوص إدخالاً كليًا فيما يريد مع عدم وجود الشواهد.

يعني: تعرفون مهدي الحرم محمد بن عبد الله القحطاني في قضية جهيمان، كيف أن السذاجة، والنظر للنبوءة التي تنبي بالقهر الإلهي بنصرة هذا الرجل على أعدائه كانت سببًا لتجاوز السنن -كما ذكر في السؤال- كان هناك تجاوز للسنن، لا يريدون أن يهتموا كجماعة شكري مصطفى أنه سيعود الناس إلى القتال بالسيف والرمح، وتجاوزوا السنن.

والنبوءة لا تتجاوز السنن، النبوءة تحدث بطريقة سننية واضحة لدى الناس ليس فيها أمرٌ غيبيٌ قاهر بأن يلغي السنن، وإنما تنزل وفق السنن؛ وما خلق الأرض وقدر فيها أقوتها في أربعة أيام، ليس لأن خلق الأرض وتقدير الأقوات أشد وأعلى كلفة من خلق السماوات، السماء أكبر وأعظم، ولكن لأن تقدير الأقوات جرى على مجرى السنن، وقد شرحت هذا في دروس التفسير.

فالحقيقة: أن أهل الحق يتعاملون مع السنن، هناك سلاح فعال فيتعاملون معه، ولا يقولون: أنا ولي فلا تؤثر بجسمي الأسلحة، وليس هناك منفعة للأسلحة، وأنا المهدي، والمهدي سينتصر سواء معه سلاح أو ليس معه سلاح.

النبي صلى الله عليه وسلم عندما هاجر كانت هجرته سننية، عندما انتصر كان انتصارًا سننيًا، أي: موافق لما قدره الله عز وجل.

تجاوز السنن هو: سنن قدرية تتجاوز سنن شرعية؛ يعني: هذه خلقها الله وأجراها على البشر جميعًا ولن تجد لها تبديلاً ولا تحويلاً، وهذه سنن شرعية أمر الناس أن يدخلوا فيها، ﴿كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ﴾ [الحشر: ٣]، ﴿كُتِبَ

عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣]، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾ [البقرة: ١٧٨]، وهكذا؛ فالله عز وجل كتب علينا هذا على جهة التوجه والإرادة، وهذا على جهة الإقرار وخضوع الناس الكون القدري لهذا الخلق.

فالقصد: بأن الفارق الرئيسي في هذا الموضوع مع ما في ذلك من كذب وافتراء واستغلال غير شرعي، إلا أن الفارق الرئيسي: أن النبوءات تأتي عن طريق السنن، وتكلمنا عن النبوءة الباطلة هي التي توضع في غير سياقها، وتصنع في غير سننها القدرية؛ وأما النبوءة الحق فهي تجري مجرى السنن، وتجري من غير حصرٍ لها.

ونحن نلاحظ مثلاً: أن اليهود عندهم نبوءات في التوراة، وهذه النبوءات لا تتحقق، ويتحقق منها بعضها، ولكن تتحقق من خلال الصناعة والعمالة والكذب وشراء الذمم، فمثلاً: من نبوءاتهم: كيف يقاتل اليهود خصومهم؟ يقاتلونهم بأن يضربوا أقفيتهم وأدبارهم، ففي حرب «١٩٦٧» لما هربت الجيوش العربية قالوا: هذا يدل على أن التوراة صحيحة، وكيف حدث أن هربوا؟ من خلال العمالة، ومن خلال شراء الذمم، ومن خلال الجاسوسية.

إنما تتحقق النبوءات الحقة من خلال جريانها السنني من دون تدخل فاجر أو باطل أو غير شرعي.

مثال ذلك: أن من يريد من الروافض استعجال خروج المهدي، يريد أن يفسد ليخرج، فهذا تعامل غير شرعي، لأنه إن صح أن هناك مهدي على وفقهم ولا صح وهو باطل، فلو صح، فلا يجوز أن يُحضر عن طريق المعصية.

فإذن: هذا مهم جدًا للتفريق بين النبوءة الباطلة وبين النبوءة الحقة، وبين الإنزال الصواب للنبوءة وبين الإنزال الخاطئ للنبوءة، وهناك قضيتان:

القضية الأولى: أن تصح النبوءة، وألا تكون مفتراة ولا مكذوبة.

القضية الثانية: أن تُنزل الأحداث عليها بطريقةٍ صحيحة؛ والأفضل الابتعاد عن هذا، الأفضل الابتعاد، جملةً، وإنما يتم الإخبار مثلاً: بأنه بنصر الله للمؤمنين، وقد وعد الله المؤمنين بالنصر، ولكن أن يقال: هذا الحديث، أن هذا هو الوقت لتحقيق هذه النبوءة، وأننا نحن رجال هذه النبوءة، فهذا من الافتراء والكذب، وهذا من التدخل المنهي الذي شرحته.

بقيت نقطة: إذن ماهي فائدة النبوءة؟ فائدة النبوءة: أنها تحيي الأمل، والمقصود بها هذا، المقصود بها رفع المعنويات، المقصود بها الثقة بوعد الله بأن هذا سيكون، عندما وعد الله المؤمنين بالنصر، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ (٥١)﴾ [غافر: ٥١]، فيخبر بأنه سيكون كذا وكذا؛ وليتحضر المؤمنون لأمثالها.

مثال ذلك: عندما يتحدث النبي صلى الله عليه وسلم عن عيسى عليه السلام وعن يأجوج ومأجوج: بأنه لا طاقة لكم بهم: (**لا يَدانِ لأحَدٍ بقتالِهِم، وأحرِزْ عبادي إلى الطُّورِ**)، فتفيد بأمثالها؛ وهو أن يتمسك المرء بدينه حتى في وقت الضعف الشديد، بأنه يلتجأ إلى الله عز وجل ويهرب من الفتن ويلتجأ إلى الله كأمثاله؛ فإذا جاءت هي كانت الصورة الحقيقية، وإن لم تأت هذه، جاء أمثالها فطبق المرء الشرع الموافق لها.

فلذلك النبوءات مهمة جدًا في بناء الشخصية المسلمة، وهي النبوءات التي أخبر بها الله عز وجل في كتابه والتي أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، هي التي جعلت العلماء منذ عشرات السنين أن يتنبؤوا بنصرة الله لدينه، المستقبل لهذا الدين.

فلذلك ما يستحق هذا هو الذي نتحدث عنه بإذن الله عز وجل، والابتعاد عن التفسير الضال للأحداث بما يوافق النبوءات من أجل نصرة مذهبه، فتحدث السائل عن قضية دابق، فهم يريدون أن يثبتوا أنهم على الحق عن طريق الواقع القدري، وهذا باطل، وإنما يثبت الحق بالدليل الشرعي والنص الشرعي، وليس بوجودك في مكان.

مثلاً من الأمور التي وقعت خطأ في تاريخ أمتنا: أن ينتصر الناس لمذهب مالك كونه في المدينة، ورد عليهم ابن حزم ردودًا قوية في هذا الباب، كذلك أن ينفر عن مذهب أهل العراق مثلاً؛ كون جهة العراق، (**منها يخرج قرن الشيطان**)، وكذلك أن ينفر من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بأنها نجدية –على ما في ذلك من خلاف وخطأ– ويوجد خلاف ولكن الصواب: أن نجد هي المكان المرتفع كما قال بعضهم، فيقصد بها العراق، ويوجد أحاديث أخرى تدل على هذا.

فهذا يقع من الخصومات غير المناسبة في هذا الباب، والصواب في هذا: أن الحق يثبت بدليله الشرعي،

وبنصرة الله له، وبدوام النصرة له وبهزيمة أعدائه، والله تعالى أعلم.

جزاكم الله خيرًا وبارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٤- أهمية دراسة الفقه من خلال مذهب

ضمن الجلسة الأولى، بتاريخ: (١٢/١٠/١٤٣٨هـ **الموافق لـ: ٦/٧/٢٠١٧ م)**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

هناك سؤال طويل وهو متعلق بطرق تعلم الأشخاص، يقول: حبذا لو تُوجُهنا إلى أحد الأمرين الأحوج لتعلم الفقه: التمذهب أم عدم التمذهب؟

جواب الشيخ: الأصل هو أن نعود للكتاب والسنة، ولكن أن نبطل السلم للوصول للكتاب والسنة، هذا من الانحراف؛ بمعنى: نحن لا نملك الأدوات للوصول إلى الكتاب والسنة، لا نعرف الناسخ والمنسوخ، لا نعرف كثيرًا من معاني الأحاديث ولا أسباب ورودها، لا نعرف المتقدم والمتأخر، لا نعرف طرق الاستدلال، لا نعرف الخاص والعام، لا نعرف النص من الظاهر من المؤول؛ فعندنا عجز.

فلذلك: البلوغ للكتاب والسنة ليس سهلاً كما يدعي بعضهم، البعض يدعي ذلك.

وإذا وجد هناك أحاديث نصًا، ويعرفه عوام الناس في الدلالة على المراد؛ فإن هناك كثير من المسائل مبناها على الاجتهاد، أي الاستنباط من النص؛ لأن الحكم الشرعي ليس واحدا في مستواه من الاستنباط، وإنما هناك من الأمور الظاهرة والبينة، فلو سُألت عن التوحيد تعرف تقول: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ولكن هنا من الفقه ما لا يعرف إلا عن طريق الاستنباط، والعلماء الكبار يتفاوتون في هذا: منهم من يحفر للوصول للمراد مترًا، ويقف علمه وإدراكه إلى هذا المستوى، ولكن هناك من الدرر مالا يبلغها هذا العالم، فيحتاج إلى أن يحفر مترين، فيوجد من يحفر مترين، وهكذا.

الله عز وجل جعل كتابه مكنونًا، أي مغلقًا بالحق، ولابد لهذا المكنون الذي تكنه الحاميات له والصدف له، لابد أن تزال عنه؛ ومن هنا تكون مراتب العلماء، فكثير من مسائل الفقه التي يكون فيها الخلاف مبناها على هذا الأمر، وهو القدرة على النبط تحت السطح وليس فوق السطح.

ولذلك من السهل أن يقول المرء: نرجع للكتاب والسنة، هذه عبارة سهلة ولها رونق، ولها قبول، وربما يستخدمها الكثير من الذين لا يعرفون الفقه فتمشي عليهم..

فلذلك سهل أن أقول: لا تتمذهب، فأين أذهب؟ أذهب إلى البخاري، هناك أيضًا يوجد بعض المشاكل التي تكلمنا عنها، أذهب إلى صحيح مسلم، إلى سنن أبي داود؟ كيف أعرف الصحيح من الضعيف؟ كيف أعرف مستويات النص مع المستدل عليه؟ فلذلك لا بد أن نذهب إلى الكتب، والكتب التي تعينك هي كتب المذاهب.

ولذلك أنصح طالب العلم في الابتداء: أن يتربى على متن من متون المذاهب العلمية المعتمدة؛ كمذاهب الأئمة الأربعة، وإن كان في هذا الوقت الانتشار للمذهب الحنبلي لأسباب تعرفونها، لا علاقة لها بالعلم ولا بالدليل، فدعوى بعض الناس بأن المذهب الحنبلي هو أقرب المذاهب للسنة!! فهذا كلام من لا يعرف الفقه ولم يستوعبه، وهذا كلام غير صحيح، ولو قال قائل: المذهب الشافعي هو أقرب المذاهب للسنة، لكان قوله مستنكرًا عند البعض، وربما في وقتٍ آخر يكون هو المقبول لسبب انتشار المذهب وسطوته، وسائر الأسباب معروفة؛ سياسية، ومالية، ووجود المؤسسات، يعني سهل جدًا الآن أن تجد من يشرح المذهب الحنبلي ولا يعاب عليه؛ ومن شرح مذهبًا آخر كمتن الشافعي ربما يقال: هذا مذهب الرجل، وهذا له أسباب – للأسف – لا علاقة لها بالعلم.

القصد: أنا أنصح طالب العلم أن يذهب ابتداء إلى كتاب وإلى متن لأحد الأئمة من المذاهب السنية المعتبرة –مذهب من مذاهب الأئمة المالكية أو الحنفية أو الشافعية أو الحنابلة– ويقرأه على يد شيخ، فإذا تفقه في هذا المذهب، وتكون القراءة على شيخٍ منصف وليس على شيخٍ متعصب، أي ينبهه على بعض المسائل، يمرنه لأن يكون على درجة ما قاله ابن رشد: «بداية المجتهد ونهاية المقتصد» أي يمكن للمرء أن يدخل ابتداءً في هذه المرتبة، إلا إذا كان عاميًا لا يستوعب فهذا من الصعب، لكن يمكن للمرء أن تدخل به في هذه البداية، كأن يكون الشيخ منصفًا؛ فينبه على بعض شذوذات المذهب، أو على بعض مخالفات المذهب في المتون لما خالف النص صراحةً، وهذا يوجد في المذاهب، فيعلمه هذا، ويبحث عن شيخٍ فقيه في المذهب بهذا المستوى.

فمثلاً: نحن نعلم أن ابن قدامة المقدسي في المغني خالف مسائل في مذهب أحمد، مُفتى بها في المذهب، بل أني وجدت الإمام النووي خالف المذهب في «المجموع» أكثر مما خالف ابن قدامة المذهب في «المغني»، فهذا عالمٌ منصف شافعي، إذا نسب إلى مذهب قيل: شافعي، وهذا قيل: حنبلي، فتجد هذا الإنصاف، والكمال بن

الهمام كذلك تجده ينصف في هذا الباب في مذهب الأحناف، وكذلك تجد شيئًا عند الإمام الطحاوي رحمه الله.. يقف في مسائل ويتحدث عن الإسفار والتغليس، فتجد العلماء الذين هم من أهل الاجتهاد والنظر في المذاهب، لا يدعون إلى هذا التسليم لكل ما في كتب المذاهب ومتونه.

فأنا الذي أدعو إليه هو: أن يبدأ طالب العلم بالتمذهب على متن وأن يقرأ هذا المتن على يد شيخٍ منصف، وثم بعد ذلك المرتبة الثانية: التي هي مرتبة البحث وهي مرتبة بداية المجتهد كما سماها ابن رشد «بداية المجتهد ونهاية المقتصد»، أن يعرف من أين أخذ المذهب هذا القول، وأن يتمرن على هذا، وكتاب «بداية المجتهد» رائع في هذا، مع شرح ابن دقيق العيد في كتابه «الإلمام بأحاديث الأحكام»، وكذلك ابن دقيق العيد إمام في هذا، يعلم طالب العلم كيف يمزج الأصول بالفقه، لأنه في الحقيقة هناك فراق بين كتب الأصول وبين الفقه، وهذا له أسباب للأسف.

منها مثلاً: ما قاله الإمام الغزالي في «المستصفى»، بأنه يجب أن تجرد كتب الأصول عن المسائل الفقهية؛ وزعم -لما ذكرت هذا في شرحي للموافقات- زعم بعضهم أن الإمام الغزالي قال هذا، بسبب أنه لا يريد أن يستخدم الأصول لنصرة الفقه!! هذا لا يقوله الغزالي وهذا كذب على الغزالي، ولو رجع إلى المستصفى وهو في بداية الكتاب؛ لوجد أن هذا ليس مقصد الغزالي، الغزالي يريد أن يجعل الأصول تجريدية عقلية، بخلاف نقده لمن قبله وهو أبو زيد الدبوسي عندما مزج، كان هو يتعقب أبو زيد الدبوسي الحنفي في كتابه «المستصفى» كان يتعقبه مِرارًا.

القصد: من زعم أن الغزالي أراد تجريد الأصول عن الفقه، حتى لا يستخدم الأصول لنصرة المذهب! فهذا لم يقله الغزالي، ارجعوا إلى النص، وهذا من الافتراء على الغزالي، وأحدهم لأنه جاء من أجل الرد عليّ، هكذا هي النية سواء أصبت أم أخطأت، فقالها من عنده ولم يكلف نفسه أن يعود إلى «المستصفى» ليقرأ: نقلي صحيح، أم نقلي مفترى، أم نقلي خطأ؟

القصد من هذا: فهذه مرحلة وسطية، ثم يأتي إلى الكتب العلمية التي تجمع المذاهب وتبين الدليل، ويتمرن معها حتى يصبح له قول مستقل؛ إذا نما علمه وصار مجتهدًا باحثًا قادرًا على النظر في الأدلة، فينظر في «المغني»، وينظر في «المحلى»، وينظر في «المجموع»؛ فحينئذٍ تتكون لديه الملَكَة، بحيث يصبح له اختيارات،

ولكن ابتداءً لا بد من الطالب المبتدئ ألا يقفز إلى هذه الكتب، لأنه سينتهي مقلدًا، وحتى لو قال: هذه أدلتها كذا، وهذه أدلتها كذا، في النهاية هو يأخذ من قول ابن قدامة لو أنه ذهب إلى «المغني» مباشرةً.

فهذه هي الطريقة إن شاء الله، مع أن شرح هذا الباب وهو باب التعلم طويل ويحتاج إسهاب، ولكن نكتفي بهذا فيما يخص التمذهب والمذهبية.

ولا شك أن المذهبية طارئة على أمتنا، طارئة، ولكنها صارت قدرًا لازمًا لطالب العلم أن يدخل منها إلى فقه الكتاب والسنة وفقه الدليل، والله تعالى أعلم.

بارك الله فيكم وجزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

٥- المجاهرة بالمعصية

ضمن الجلسة الأولى، بتاريخ: (١٢/١٠/١٤٣٨هـ الموافق لـ: ٦/٧/٢٠١٧م)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: إن كان أحدهم على معصية لا يجاهر بها، ويريد تركها ويجد في ذلك صعوبة من ضعف الإيمان والله المستعان، هل إن سأله أحد عنها يصدقه في الجواب أو لا؟؟

ومعنى سؤاله: لو سأله أحد: أتفعل هذه المعصية أم لا؟ هل يكذب؟

جواب الشيخ: لا، بل عليه أن ينهاه عن هذا السؤال، وإذا كان الرجل صاحب دين فلا يسأل هذا السؤال، والناس قد نُهوا عن التقعر في الأسئلة، وعن كشف عورات الناس، والواجب إذا وجده على معصية أن يستره، فكيف وقد ستره الله عز وجل أن يبحث هو في سره؟!

هذا السائل عاص، ولا يجوز موافقته على هذه المعصية بإجابته، والطريق الصحيح هو: أن يرده.

والله عز وجل ذكر في مواطن من القرآن؛ كقوله تعالى: ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٤٢)﴾ [المائدة: ٤٢]، فالله عز وجل خير الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يجيب أو لا يجيب، لأن جوابهم لا ينفعهم، وإنما سألوا على جهة التزيد، أو على جهة الإنكار؛ حتى يعلموا كما قال الله عز وجل: ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا﴾ [الجاثية: ٩]، وهذه آية ثانية كذلك تدل على المعنى.

وكذلك قوله تعالى: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٩٧]، فهناك أناس من الخير أن لا يعلموا الحق، فإذا كان الحق لا يعلم به أناس، فكيف هذه التي أمر الله بسترها أن يعلم بها أمثال هؤلاء؟!

ولا بد لهذا السائل أن يسأل من أجل أن ينشر، أو يسأل من أجل المعصية فوقها، أن ترتقي من معصية التعقب وكشف العورات إلى مسألة نشرها وإشاعة الفاحشة بين المؤمنين، وهذا كله من المعاصي التي نهى الله عز

وجل عنها، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (١٩)﴾ [النور: ١٩].

فالواجب ألا تجيبه، بل الواجب أن تردعه وأن تنهاه وأن تلزمه غرزه بأن لا يسأل مثل هذه الأسئلة.

وهناك شيء آخر، وهو إذا كانت هذه المعصية متعلقة بحق هذا السائل، فمثلاً: لو سألك: أنت اغتبتني؟؟ وأنت اغتبت هذا الشخص، فليس من شروط التوبة أن تخبره، كما يشترط بعضهم ويقول: إن هذا من حقوق العباد التي تؤدى إلى العباد، لا، هذا غير صحيح، فقد نص كثير من أهل العلم فقهًا، كالغزالي وهو فقيه شافعي في هذا الباب: بأنه ليس من الخير أن تخبره، لأن في ذلك إيغار للصدور، وفي ذلك نشر للباطل وقطيعة بين الناس.

فالمطلوب هو: أن تتصدق عنه، وأن تستغفر له، وأن تدعو له، وأن تستغفر الله عز وجل، فإن كانت مادية فتؤدى إليه، وإن كانت المعصية معنوية فكما ذكرنا في الغيبة ونقل الشر، فالطريقة هي التوبة والاستغفار له وعدم إخباره، ولو سألك فأنت يجوز لك أن ترده بالمعاريض، وهذا بابٌ من أبواب المعاريض التي يقطع بها الشر وينفى من بين الناس، والله تعالى أعلم.

بارك الله فيكم وجزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

٦- وقت الفجر الحقيقي والتقيد بذلك

ضمن الجلسة الأولى، بتاريخ: (**١٢/١٠/١٤٣٨هـ الموافق لـ: ٦/٧/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: هنا في تركيا يُرفع أذان الفجر والدنيا ليل -عتمة-، فهل يجب أن نتقيد بأوقاتهم؟

جواب الشيخ: العبرة ليست بالعتمة ولا بالظلمة، العبرة بالفجر، فالصحابة رضي الله عنهم كانوا يصلون ويخرجون غلسًا لا يعرف بعضهم بعضًا من الظلمة، وذلك لتقدمة صلاة الفجر، وهذا هو الصواب -والله أعلم- في أصح القولين في: هل من السنة الإسفار بالفجر أم التغليس به؟

التغليس يعني: أن تصليها قبل أن تسفر الدنيا، وقبل أن تعرف الناس من خلال أثر ضوء الشمس الذي يتقدمها؛ فتُسفر ضوءًا ومن هنا سمي إسفارًا، والغلس يعني: وقت الظلمة، فالصواب والسنة: أن تصلى بغلس.

وأما حديث: (**أسفروا بالفجر**) فهذا محمول عند كثير من أهل العلم على أن يطيل الإمام صلاة الفجر حتى يخرجوا منها بإسفار.

وأما الصواب: فالصحابة رضي الله عنهم كانوا يصلونها بغلس، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يصليها بثمانين آية كما هو معروف، وكان عمر رضي الله عنه يصلي بسورة «يوسف» وسورة «يونس» كل سورة في ركعة فدل على أنها طويلة، كذلك قرأ بهم مرةً أبو بكر رضي الله عنه في صلاة الفجر سورة «البقرة»، حتى قال عمر رضي الله عنه: «كادت الشمس أن تخرج!!»، فقال أبو بكر رضي الله عنه: «لو أشرقت أو خرجت لما وجدتنا لاعبين»، فهذا يدل على أنهم كانوا يصلون بغلس.

فالجواب: العبرة ليست بالظلمة وغيرها، العبرة بالفجر، فإذا ثبت أنهم يؤذنون قبل الفجر -وهذا يحتاج إلى تحقيق- فلا يجوز لك أن تصليها معهم؛ لأن هذا إقامة للصلاة في غير وقتها، والله عز وجل قال: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا (١٠٣)﴾ [النساء: ١٠٣].

فلا يجوز أن تغير، وأوقات الصلاة لازمة، ومن شروطها دخول الوقت، فإذا تخلف الشرط بطلت الصلاة،

ولا تكون صالحة، ولا تسقط عن ذمة الشخص.

وهناك بعض البلاد يتم أذان الفجر -إما بوقت قليل أو قصير- يؤذنون الأذان الثاني للفجر قبل أن يخرج الفجر؛ فإذا ثبت هذا فلا يجوز لك أن تصليها معهم، تصلي في وقتها ولو فاتتك الجماعة، لأنها جماعة باطلة، ولكن ينبغي التحقق من هذا وعدم المبالغة، وعندنا -هنا في الأردن- كان الناس يقولون أشياء كثيرة في هذا الباب -في قضية الأذان قبل الفجر- وكان بعضهم ينفي ويجعل وقتًا طويلًا بين الأذان الثاني المنبئ عن امتناع الصائم عن الأكل والشرب، والذي به تدخل صلاة الفجر على الناس، فكان يقولون: مدتها تبلغ عشرين دقيقة، لكن بالتحقق ثبت أن هذا غير صحيح، أقصى ما يمكن هو أربع دقائق هكذا ثبت بالاستقراء والمتابعة والنظر.

ولكن -في الحقيقة- ظهور الفجر في الأماكن المضيئة قد يتأخر، والناس قد لا يكتشفونه لأنه في هذا الزمان يوجد أنوار شديدة في المدن؛ فقد يتأخر بيان إبانة الفجر الصادق.

ونقول: الفجر الصادق خلافًا للفجر الكاذب، فالفجر الكاذب يخرج كحسك السعدان، يعني: طوليًا؛ وأما الفجر الصادق فيخرج عرضيًا يفلق السماء، وهذا قد تتأخر رؤيته عند البعض، بسبب ضوء الكشافات والأضواء، ولذلك إذا أردتم التحقق فاخرجوا إلى منطقة تكون فيها ظلمة، وتحققوا من رؤية الفجر من أهل المعرفة، من رجال يكونون من أصحاب المعرفة.

وقد يتحقق هذا عن طريق الطقس والمناخ، -فلا بأس من أجل التحقق- لا بأس من قراءة علم الطقس والمناخ والأحوال الجوية، وهذا الآن شيء دقيق فالآن يتعاملون بالأجهزة، والقراءة الخاصة في هذا الباب بدقة شديدة؛ فلا بأس بالاستعانة بها من أجل التحقق من أوقات صلاة الفجر، والله تعالى أعلم.

بارك الله فيكم وجزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

٧- أخطاء ابن حزم رحمه الله في بعض مسائل الحج

ضمن الجلسة الأولى، بتاريخ: (**١٢/١٠/١٤٣٨هـ الموافق لـ: ٦/٧/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

سائل يقول: أذكر أنك قد ذكرت لنا في التسعينيات لما ذكرت ابن حزم عليه رحمة الله، قلت: أنه كان له أخطاء في باب الحج، وهذا سببه أنه لم يحج، هلا ذكرت لنا -تكرمًا لا أمرًا- بعض الأمثلة على ذلك.

جواب الشيخ: نعم، تستطيع أن تراجع ذلك في كتاب «زاد المعاد» لابن القيم.

أنا أحب للناس أن لا يأخذوا الأمور سهلة دائمًا، فلو كان هذا الكتاب قليل الوجود ونادر لذكرت ذلك لك، ولكن هذا الكتاب منتشر وموجود في أغلب البيوت والمكاتب والمساجد، فارجع إليه، وإذا تعذر ذلك إن شاء الله أقرأ الكتاب وأقرأ لك ما ذكره ابن القيم عن أخطاء الإمام العظيم ابن حزم في أخطائه الحج.

وللذكر: فإن ابن حزم له كتاب كبير في الحج -غير الموجود في «المحلى»- هو مرجع في جمع الروايات، فابن حزم إمام بحر في الرواية، ولكنه أخطأ في الفقه في هذا الباب، مع أنه إمامٌ عظيم في الفقه، لكنه في هذا الباب وقع في أخطاء استنكرها العلماء ورأوها مستهجنة أن تخرج من مثل هذا الإمام العظيم، ولكن السبب أنه لم يكن صاحب تصور لمكة والمدينة وأماكن النسك.

فارجع في ذلك إلى كتاب «زاد المعاد» فقد ذكر شيئًا طيبًا فيه ابن القيم رحمه الله.. ورحم الله ابن حزم.

وأنبه على فائدة، وهي قول الأخ: «في التسعينيات»، هذه كلمة غير صحيحة.

منتشر على ألسنة الناس: «التسعينيات.. السبعينيات»، هذا -لغةً- لا تصح، تقول: في العشرية السابعة من القرن الماضي، في العشرية التاسعة من القرن الماضي، وإذا أردت التوسع فارجع إلى ما نبه عليه إمام العربية الشيخ تقي الدين الهلالي المغربي.

وإن شاء الله الكتاب الأول أو الثاني الذي سأبدأ به في العودة إلى مشروع «ألف كتاب قبل الممات» سيكون كتاب هذا الرجل.. العلامة في اللغة والشرع، تقي الدين الهلالي وكتاب «الدعوة إلى الله في أقطار

مختلفة».

بارك الله فيكم وجزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

٨- حكم التسويق الشبكي والبرمجة اللغوية العصبية «الجزء الأول»[(١)]

ضمن الجلسة الأولى، بتاريخ: (**١٢/١٠/١٤٣٨هـ الموافق لـ: ٦/٧/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: أريد أن أسأل عن حكم التسويق الشبكي، مثل شركة «كيونت، وفينيكس، وماركتينغ» وغيرها، التي تعتمد على إيجاد المسوقين عبر إغراءه بالعمولات على أن يشتري أحد منتجات الشركة بداية، ثم يُفتح له حساب خاص بالعمولات مما يجلبه لشراء المنتوجات -منها غير شرعي- كالقلادات والتدريب على البرمجة العصبية من خلال بيع المتجزئات من موقعهم.

جواب الشيخ: بالنسبة للتسويق الشبكي؛ فيُحكم على البيع من عدة جهات: من جهة العقد، من جهة العاقدين ومن جهة المعقود عليه، هذه هي أركان البيع، أركان البيع: وجود عاقدين، ومعقود عليه، والصيغة كما يسميها كثيرٌ من أهل العلم.

وهذا التسويق الشبكي من جهة شروطه صحيح، ليس فيه إشكال ولا أعلم أن فيها ما يضر؛ بمعنى: ما هو التسويق الشبكي؟؟ أن تشتري الشيء من الشركة، فتشتريه بالثمن، فحينئذٍ تقدم الشركة لك عرضًا في داخل العقد وهو أنك كلما جلبت واحدًا جُعل لك رقمًا ليُسهل لك دخول ربح أو بضاعة ما؛ والشخص الآخر كذلك نفس الشيء، ولكن يصبح هو في حسابك، ومن يحضرهم من آخرين يصبحوا في حسابك، وأنت تزيد أرباحك من خلال كثرة من تحضرهم ومن يحضرهم من أحضرته، وهكذا، وفي الحقيقة هذا العقد بهذه الصيغة لا شيء عليه، لا أرى فيه شيئًا.

لكن السائل يدخل شيئًا آخر، وهذا يحتاج إلى تحقق، ونقول: هناك بعض المعقود عليه من البضاعة التي اشتريتها، أو التي تُسَوق في داخل هذه الشركة لا تكون شرعية، فإذا وجد هذا، كلمة «قلادة» هذه لا تحمل دلالة على التحريم، فالقلادة ماذا؟؟ فيجوز للمرأة أن تلبس قلادة، ولكن قد تكون قلادة غير شرعية كأن يكون فيها صورة، كأن تكون هي صورة، كأن يكون فيها ما يحرم كالصليب مثلًا، أو الدلالة على أمرٍ شركي أو ما

---

(١) الإجابة عن هذا السؤال تتألف من جزئين.

شابه ذلك، فحينئذٍ تحرم، وأما «القلادة» فهي لا تحمل حكمًا شرعيًا بحرمتها.

فالقصد: أنه هذا العقد -وهو التسويق الشبكي- هذا لا شيء فيه، إلا إذا دخل فيه ما يحرم من جهة أخرى، كشروط باطلة لا أعلمها ولم أُسأل عنها إلى الآن ولا أعرفها في هذا البيع، قد تصبح مستقبلًا، أو بعض الشركات تدخل شروطًا أخرى تؤدي إلى الحرمة، أو إلى بطلان هذا العقد، أو قد تكون هناك حرمة تلحق بسبب المعقود عليه.

فمثلًا من الشروط التي نتصور دخولها على هذا العقد: أن يدخل شرط ربوي، بمعنى أن يكون لك مال فيضعونه لك في البنك إجبارًا لمدة سنة لتأخذ الأرباح، حينئذٍ هذا شرطٌ باطل، يؤدي إلى بطلان العقد، ولا يصححه زوال هذا الشرط أو عدم الانتفاع به أو عدم قبوله، لأنه ملزم لك، فإذا وجد هذا بطل العقد، لكن نتكلم هنا عن التسويق الشبكي المجرد.

النقطة الثانية: لا بد من النظر إلى المبيع، ما هو؟ كل مبيع يحتاج إلى سؤال شرعي، فقد يدل على شراعة البضائع، فمنها ما هو محرم ومنها ما هو حلال، فحينئذٍ لا بد من النظر إلى كل مبيعٍ على حدة، وبهذا نعرف الحكم الشرعي.

بارك الله فيكم وجزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

حكم البرمجة اللغوية العصبية «الجزء الثاني»

في السؤال عن حكم التسويق الشبكي هناك كلمة لم نعلق عليها وهي مهمة جدًا وهي قوله: والتدريب على البرمجة العصبية.

جواب الشيخ: في الحقيقة ثبت أن هذه الخرافات التي يدّعون أنها من العلوم النفسية وهي باطلة وأكاذيب، وكتب فيها من كتب من العلماء، وأفضل كتاب في هذا هو كتاب «العصر الجديد» لامرأة من الجزيرة وهي رسالة دكتوراة لها.

القصد: أنها أثبتت أن هذه المدعاة والمسماة بأنها علوم نفسية مستقاة من تجارب ودراسات، إنما هي مجرد مظاهر لعقائد شركية ومذاهب باطلة، فاسدة، شيطانية، وبالتالي: ما يسمى بهذه القلادات التي لها ارتباط بالبرمجة العصبية وما يتعلق بها، فهذه كله حرام، لا يجوز الاستماع لها، لا يجوز الإنصات لها ولا يجوز التعامل بها، وهي أكاذيب.

وأنا أنصح الإخوة السامعين بمراجعة هذا الكتاب -وهو مطبوع ومنشور، وأظن أنه على النت إن شاء الله، وهو كتاب «العصر الجديد»، ففيه شرح موسع وهو كتاب جيد، وفيه تتبع لرجال هذا المذهب الباطل الشركي، ولمراكزه وارتباطاته الخارجية، وهو كتابٌ نافع، «العصر الجديد».

بارك الله فيكم، وجزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

٩- حكم قول: «أمانة برقبتك»

ضمن الجلسة الأولى، بتاريخ: (**١٢/١٠/١٤٣٨هـ الموافق لـ: ٦/٧/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

هناك سؤال لأخ، ما حكم قول: «أمانة في رقبتك، لا إله إلا الله، محمد رسول الله، ترسلها إلى سبعة أشخاص، وتصبر خمسة دقائق وتشوف؟؟»، أفدنا؟ بارك الله فيك شيخنا الفاضل حفك الله.

جواب الشيخ: في الحقيقة هذه كلها من أفعال العوام، ولا أتصور أنه ثمة هناك زندقة أو خيانة لله ولرسوله وراءها، إنما هي من أفعال العوام يحبون نشر التوحيد ونشر «لا إله إلا الله»، وأمانة في رقبتك أن تنشر هذه الكلمة الطيبة، وإن كانت «أمانة في رقبتك» لا قيمة لها، ليست هي من الأيمان الشرعية المعروفة، والناس يطلقونها من العوام يقولون: «أمانة في رقبتي» وهي لا تفيد إلا الالتزام الذي ليس هو من التوثيق في شيء، ولكن نقول: كأن هذه الكلمة معلقة أمانة في رقبتي أسأل عنها أمام الله، أي كأنه يريد أن يقول: أنا أتذكر لقائي أمام الله فأنا أقولها وأنا متذكر، فلن أقولها مبطلًا ولا كاذبًا ولا مفتريًا، وهي ليست من التوثيق في شيء في شريعتنا، وإنما يقولها العوام.

ولكن نشر هذه الكلمات بأن يعلقها أمانة في رقبتك، هذا من الكلام الباطل الذي لا يعلق به شيء، ولا يقام له كبير اهتمام، فليس لها قيمة.

الأمر الآخر: إلا إذا رتبوا عليها أمورًا ما، كأن يقولوا: افعلها خمس مرات؛ فيأتيك رزق، افعلها عشر مرات؛ يُشفى لك ابنك، فهذا كله من الأكاذيب التي لا ينبغي للمسلم أن يصدقها، ومن يفعلها إما أن يكونوا أهل ضلال وانحراف كما في كتب الخرافات كشمس المعارف الكبرى وغيره، وإما أن يفعلها جهلة، يعني يظن أنها نافعة وهي ليست بشيء، والله تعالى أعلم.

بارك الله فيكم وجزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

١٠- الرد على المسعري وأتباعه

ضمن الجلسة الثانية، بتاريخ: (**١٩/١٠/١٤٣٨هـ الموافق لـ: ١٣/٧/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل السائل: هل يشترط للحكم بكفر من دعا غير الله أن يعتقد فيه الربوبية؟ وهذا ما يدعو إليه ويروج له حاتم العوني والمسعري، كون أن العبادة لا تسمى عبادة حتى يعتقد في المعبود الربوبية.

جواب الشيخ: في الحقيقة حاتم العوني أخرج رسالة صغيرة، يعني: فقط ذكر ما عنده من غير أدلة ولا مناقشة المخالفين، مع عِظم ما عند المخالفين من أدلة، وهي الصواب، أي أن المخالفين له هم المصيبون، وليسوا هو.

وأما المسعري فقد ناقشت كتابه «التوحيد» في مشروع «ألف كتاب قبل الممات»، وللأسف أخذه أتباعه على معان -كما أخذه هو- لأن القائد وكذا المسؤول والعالم والمرجع والمفكر ورب البيت تسري أخلاقه في أتباعه، هذا أنا ذكرته واستشهدت بحديث جبريل عليه السلام مع النبي صلى الله عليه عندما قال له: (**لو أخذت الخمر لغوت أمتك**)، وكما في حديث قتل الوزغ قال: (**لأنها كانت تنفخ على النار على إبراهيم**)، سرت في الأتباع والابناء إذا مشوا على نفس الطريقة ونفس المنهج ونفس العقلية، وللأسف: لم ينتبهوا، وتكلموا كلامًا باطلاً، وزعموا أشياء أنا لم أحلم بها في منامي، مثل القول: بأن مناقشة الكتاب -آسف أن أستطرد في هذا الباب فلعلها تكون إن شاء الله عبرة لي ولإخواني- أنني ناقشت الكتاب وقت محاكمة له!! وأشهد الله العظيم رب العرش العظيم لم أعلم إلا بعد أن ذكروا هم، يعني: أنا ناقشته في جلستين، ولم أعلم أن هناك محكمة تعقد للدكتور المسعري إلا بعد أن ذكروا هم بعد الخروج وردهم علي.

وللأسف: وجدته هو نفسه يردد هذا، مع أني علمت أن هذا شيء من الشعبوية، للأسف هو خروج طالب العلم من نقاش العلم إلى النقاش الشعبوي، يعني: السب والشتم وإنزال الخصم منازل السباب غير منازل العلم..

ثم رأيته يزعم بأني أردد ما يقوله العلمانيون الملاحدة: بأن الإله صناعة إنسانية!! رغم أني رددت على هذه

النقطة، ولكن لا بأس أن أستطرد فيها الآن.

الإله كما هو عند العلماء –وأنا أنبه هنا على خطأ وقعت فيه– لم أجد عالماً قط لا من القدماء ولا من المحدثين ولا من الوسط ولا عالم، قال: بأن «الإله» أصل مادتها هو نسبة الصفات الذاتية إليه، وأن الرب هو المعبود، لكن المسعري قلب الصورة؛ لأنه يريد أن يرد على ابن تيمية وابن القيم، وزعلان من ابن عبد الوهاب، ولا يريد هذه المدرسة كلها، يغضب عليها، لمسائل سياسية، فهو قلب الصورة وزعم أن ابن تيمية أتى بشيءٍ جديد!! بأن مادة «الإله» عنده هي –ما نقوله نحن مادة «الربوبية»– وهي إثبات الصفات له بأنه الخالق والبارئ والمصور والمحيي والمميت؛ فجعل الألوهية في هذا الباب، وجعل الرب –كلمة الرب– وهو المألوه وهو المعبود!! وهذا يناقض اللغة! مادة «إله» أصلاً –كلمة إله– ليست كذلك، هو فعل العابد لمعبوده، والرب هو فعل المعبود لعابده، أي عمل الخالق لمخلوقِه، هذه هي المادة مادة اللغة، يفهمها كل أحد.

ولكني قلت: أنني لم أجد، وكنت في ذلك الوقت جازمًا أني لا أعرف عالماً؛ لأن اللغة ستحكم أي عالم، ولكن أحد طلبة العلم أرسل لي رسالة لبعض أحفاد المدرسة الأثرية في الهند يقول فيها هذا القول، وهذا ربما سقط قلم منه أو خطأ منه؛ لأن هذا لا يقوله أحد، وهذا عالم معاصر أظنه من أحفاد أحمد عرفان الشهيد أو من أحفاد ولي الله الدهلوي، الآن لا أذكر الاسم بالتمام، وهو كتيب صغير يستطيع طلبة العلم الرجوع إليه إذا أرادوا أن يحققوا المسألة وينقحوا ما فيها، مع أن هذه المسألة في اللغة لا تستقيم.

فهو زعم بأني أيدت الملاحدة في أن الإله –بمعنى الرب– صناعة بشرية!! كما يقولوا: أن الدين أفيون الشعوب، كما يقول الملاحدة: أن الإله غير موجود، ولكن الإنسان صنع إلهه، أي صنع ربه، والخالق غير موجود، وهذا كذب، أنا لم أقل هذا، نعم، أنا قلت: الإنسان يصنع إلهه، وليس يصنع ربه، ولكن الأمر مختلط في ذهن الدكتور؛ كيف يرد! وكيف يفهم! وكيف يفهم كلمة المخالف على وجهها الذي يريده هو –القائل– وليس أنت كما فهمتها أنت، وتنزل عباراتي أنا على كلامك أنت وعلى مفاهيم العبارات عندك!!

«الإله» هو فعل العابد لمعبوده، وبالتالي الإنسان يصنع معبوده، الذي جعل البقرة إلهًا هو الذي صنع هذا، هو الذي جعل الإله الذي يتعبد له ويتأله له، الحجر والوثن والذباب والشمس والقمر والأصنام وكذا، فهو صنعه، نعم بلا شك هو صنع بهذا المعنى، ولكن الخالق سواء نفاه المخلوق أو لم ينفه فهو حقيقة، وهو الحقيقة

التي لا حقيقة فوقها، وهذه الحقيقة هي التي بها تثبت بقية الحقائق، أي هو لا يثبت وجوده بوجود غيره، ولكن وجوده يثبت وجود غيره؛ لأنه الحق جل في علاه، فقط هذه أمر عليها بسرعة.

والنقطة التي يدورون حولها حيث يزعمون أنه يوجد التعظيم لدرجة العبادة؛ لأنه ليس أي تعظيم، وأنا أحب لطالب العلم أن يقرأ كتاب «مفهوم العبادة» للشيخ عبد الرحمن المعلمي، فهو كتاب توسع فيه وأتى بأشياء عظيمة جدًا، حاول جاهدًا، وقد بلغ مبلغًا طيبًا، ويمكن أن يزاد عليه، يعني: أنا وجدت فيه أمور تحتاج إلى تنبيه عليها، مع أن الكتاب عظيم، وهو أراد أن يثبت ما يقوله أهل السنة بغير الطريق التي يعتمدها المتأخرون، وهي المدرسة النجدية مدرسة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وهي اعتماد صحيح فيما يفعلونه، ولكن هو أراد أن يذهب للقرآن ولا يلتفت إلى ما يقولونه، لأنه في الحقيقة عاش في الهند، وأراد أن يثبتها من خلال دراسةٍ جديدة، يصل إلى الحقائق التي يقولها شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم، ويقولها قبله ابن جرير الطبري، ويقولها قبله الصحابة والتابعون، وهي في كتاب ربنا بينة جلية واضحة، فهذا كتاب جيد وطيب، وقال -مرات- كلامًا عجيبًا، وربما آتي إليه في يوم من الأيام إن شاء الله؛ لأنه كتاب يستحق الجلوس والمباحثة في فقراته وما خرج فيه من مقررات.

أقول: هل يوجد أحد يعظم أحدًا تعظيمًا لدرجة الاستغاثة في الغيب والحضر، ويخشاه في الحضور والغيب، ويرجو رحمته ويخشى عذابه، ثم يقول بعد ذلك: أنا لا أعتقد فيه الربوبية، لا أعتقد فيه الفعل الذي أعتقده في الإله من القدرة المطلقة والسمع المطلق وغير ذلك؟!! هل يستطيع أحد؟!! لا يمكن، لا يمكن لأحد أن يقول: أنا أدعو صاحب القبر هذا -الذي صار في التراب، وصارت عظامه نخرة- أو رجل يعيش هنا في مصر، ثم يستغيث به رجل في اليمن أو رجل في خراسان، ثم بعد ذلك يتصور في هذه الحالة ألا يعتقد فيه ما يعتقد في الرب من صفاتٍ تليق بالرب وهي مطلقة، أي أنه يسمع يستغاث به واحد في المشرق وواحد في المغرب في نفس الوقت مع تباعدهما، فيستجيب لكل منادٍ، وأن يجيب كل مستغيث، هل يوجد هذا؟!! لا يوجد.

ولذلك أريد أنبه أولاً: لا يتصور التعبد من غير اعتقاد، لا يتصور، ولكن فرقٌ بين التفسير وبين الاشتراط، هذه نقطة مهمة، نمثل لهذه المسألة:

عندما يقول الله عز وجل عن الكافر الذي كفر من غير: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل:

١٠٦] ماذا قال؟ انظر الآية التي بعدها بعد أن ذكر عذر الإكراه، قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٦)﴾ [النحل: ١٠٦]، ثم قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾ [النحل: ١٠٧]، فهنا القرآن يفسر ولا يشترط، فرق، القرآن يفسر حقيقة هذا الفعل في أن يكفر المرء كفرًا من غير إكراه ويطمئن قلبه إلى الكفر –حتى كلمة «الاطمئنان» سأشرحها، لأنها مثالٌ آخر في قضية الفرق بين التفسير وبين الاشتراط–.

فعندما يقول ربنا عز وجل: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (١٠٧)﴾ [النحل: ١٠٧]، هل يوجد عالم اشترط هذا الشرط من أجل تكفير الكافر بعد إسلامه؟! يقول: علينا أن نتحقق هل استحب الحياة الدنيا على الآخرة؟ فمن فعلها من غير محبة الدنيا على الآخرة، وإنما فعلها لشبهةٍ عرضت له، وهو صادق في شبهته، ولم يستطع لها ردًا، فكفر بالله وكفر برسول الله ونقض أصل الإسلام ونقض أصل النبوة؛ فأنا لا أكفره حتى يثبت لدي أنه استحب الحياة الدنيا على الآخرة؟! هل يوجد مسلم يستطيع أن يقول هذه الفرية؟! هل يوجد أحد له مِسكةٌ من عقل، أو قراءة لكتابٍ علمي ولو يسير، أن يقول بهذا الشرط؟!!

هذا افتراء، القرآن يفسر دافع هذا الكفر، قد يوجد غيره، قد يكون الرجل لا يريد الحياة الدنيا، ولكن كما قلنا: شبهة عرضت له في أن محمدًا ليس رسول الله، وأن القرآن شبهة له، جاء جاهل فجاءه جاهل آخر –كما يفعل النصارى– وقال: في القرآن –مثلاً– يوجد أخطاء نحوية مثل: ﴿وَالصَّابِئُونَ﴾ [المائدة: ٦٩]، فزعم أن القرآن فيه أخطاء نحوية والقرآن لا يعرف المرفوع من المنصوب، وبالتالي؛ هذا القرآن باطل!! فيقول أحد: هذا لا نكفر!! لأنه لم يكن دافعه استحباب الحياة الدنيا على الآخرة!! هذا جاهل، القرآن يفسر فيما وقع من الأغلب في الناس، ولكن الحكم يبقى معلقًا بماذا؟ معلق بدليله، معلق بأمارته، معلق بالفعل كما هو بيّن عند الناس.

ولذلك: أنتم تجدون المسعري مع تخبطه –وهذا ذكرته، ولكن أكرره هنا للضرورة؛ رغم أن الناس لا يحبون سماع المناقشات الطويلة– المسعري لم يشترط هذا الشرط في الحاكمين بغير الشريعة، وهذا اشتراطٌ يقوله أهل الإرجاء، يقوله المنافحون عن الحكام، سواء كان بجهل أو بهوى أو بتقليد، يقولون: لا نرى أن هؤلاء الحكام يعتقدون في المشرعين الربوبية!! بمجرد أنهم ألهوهم ووضعوهم مكان المشرع فقد ألهوهم، أي عبدوهم، سواء وجِدَ

هذا المعنى من الاعتقاد أو لم يوجد.

والبرلمانات الآن: الناس يعتقدون أنهم أوسخ خلق الله، ولكنهم يشرعون ويأخذون تشريعاتهم ويلتزمون بها، هل ترى القاضي الذي يحكم بما يقوله مجلس التشريع الكفري، هل تراه هو يقتنع أن هذا مجلس التشريع أنهم حكماء، وأن فيهم نفحة إلهية علينا أن نطيعها؟! لا، والمسعري لا يقول: بأن تخلف هذا الشرط في عدم وجود اعتقاد الربوبية في المشرع، لا يمنع إلحاق حكم الكفر عليهم؛ فلماذا يشترط في هذا؟!

نحن نقول -وأرجو أن تكون هذه بيّنة في هذا الباب- نقول التالي: إننا لا نتصور عابدًا من غير اعتقاد، ولكن شرط الاعتقاد هذا تفسيري وليس شرطًا، هذا شرط من عندكم، الشارع يقول: رجل يأتي إلى قبر، يأتي حاملاً زاده وطعامه، وحاملاً غنمه وإبله، يأتي إلى قبر من القبور ويذبح عليها ويقول: يا عبد القادر، أو: يا سيدي البدوي، أو: يا سيدي الأسمر -كما في ليبيا- وكذا، ومن القصص المخزية في هذا الباب؛ فيأتي ويقول: نعم، لا بد أن نسأله: هل تعتقد فيه أنه إله؟ كما يقول المسعري، هو في الحقيقة اعتبره إلهًا، ولكن -كما نقول نحن- لا بد من أن نقول: هل تعتقد فيه الربوبية؟؟ هل تعتقد أنه هو الذي يخلق؟؟ يقول: لا، لا يخلق.

نأتي إلى نقطة أخرى الآن، كما نرد فيه على الروافض، ونرد فيه على هؤلاء عباد القبور وغيرهم من الذين يشركون شركًا مخرجًا من الملة بلا مثنوية، فماذا يردون؟ يردون: لا، نحن نعتقد أن هؤلاء قومٌ صالحون والله أعطاهم ميزات، تعرفون؛ هذا هو أساس الكفر، هذا هو كفر قريش، كيف؟؟ لا يوجد إلا القليل - وهذا قرره شيخ الإسلام، هم يظنون أن شيخ الإسلام لا يعرف مذاهب القوم!! وهو رجل عايش المذاهب وقرأها -.

ولكن للأسف -هنا نأتي إلى نقطة قبل أن نستطرد- أن المتأخرين أطلقوا عبارات مثل قول: نحن نكفر بلا اعتقاد، فنحن نقول: لا يوجد تكفير بلا اعتقاد، لا يوجد، ولكن كلمة الاعتقاد هذه تحتاج إلى ضبط، فلا يوجد أحد يذهب إلى القبر فيدفع له دون أن يكون معتقدًا فيه، لا يوجد، ولكن فرق بين أن تقول.. الآن يأتون إلى تفسير الاعتقاد: لماذا فعلت ذلك؟ يقول: الله وضع فيه هذه الميزة أنه يسمع ويجيب وو... إلخ؛ يقول: إذن أنت تفتري على الله أنه جعل معه إلهًا آخر من أبنائه.

وهذا هو اعتقاد بعض النصارى، فبعض النصارى يقولون: بأن الابن هو أقل من الأب، والذي أعطى سلطة الربوبية بأن يحيي ويميت وينجي ويخرج من النار وكذا هو الأب فأعطاها للابن، وبعض النصارى لا يقولون

هذا، يقول مثلاً: الأب والابن وروح القدس كلها على مقدارٍ واحد من الربوبية والقدرة، ولكن كثيرًا من النصارى لا يعتقدون هذا، ويقولون: الابن أقل، كثير منهم يعتقدون أن الابن أقل، فمن الذي أعطى هذا الأقل؟؟! يقولون: الأب أعطاه، يعني الفِرية الكبرى أن هذه الربوبية التي تميز بها هذا المعبود الذي صرفت إليه العبادة، أُعطيها من قبل الله، فيعتقدون أنه بمجرد أن الله أعطاه هذه القدرة فقد سلموا من الشرك، إذن جعلوا الأمر لواحد، وهذا هو الشرك كله.

وهذه للأسف لا أذكر أحدًا في الحقيقة نبه عليها، وهو أنهم يقفون عند آية الزمر ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]، وهي نصٌ قاطع ولا شك، وينبغي أن يُعاد إليه وأن يحسم المسألة، ولكن هذه النقطة على هذا الوجه ينبغي التنبيه عليها؛ أن هؤلاء الذين يقولون –من الروافض، ومن العباد المشركين–: بأن الله أعطى عليًا هذه القدرة، فلذلك خلص هو أعطاه وخرجنا من الشرك، علي عبد، ولكن الله أعطاه قدرة الربوبية؛ أنه نستغيث به فيغيثنا، وأن نسأله فيسمعنا، وأننا نخشاه فيحصل تجنب الضرر؛ هم هنا أشركوا وجعلوا مع الله إلهًا آخر، وافتروا على الله الكذب، قال تعالى: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ (٤٥)﴾ [الزخرف: ٤٥].

أي أنتم تقولون: الذي أعطي الربوبية والألوهية أن نعبد غير الله، هو الله أذن لنا أن ندعو فلان! الله أذن لنا أن نستغيث بفلان! الله أذن لنا أن نخشى فلان خشية العبادة! الله أذن لنا أن نحب فلان محبة العبادة! فماذا أبقيتم لله؟!!

ولذلك ما الفرق بينكم وبين الوجوديين الذين يزعمون الإيمان أن الله خلق الكون وبعد ذلك تركه وقال: خلاص، أنا أعطيتكم كل شيء فامشوا على طريقتكم؟ وهنا الله أعطى علي بن أبي طالب، وأعطى البدوي وأعطى فلان وأعطى فلان، أعطاهم صلاحياته وقدراته وجعلهم يتحكمون في الكون، نستغيث بهم ونعبدهم وو... إلخ.

وهنا ترتب الافتراء على الله الكذب؛ لأن قريش لم تكن تقول: هؤلاء استقلوا، هؤلاء الأصنام استقلت، ولكن تقول: أن الله أعطاهم هذا الفضل، أعطاهم هذا الأمر، نفس القضية، وهذا نجده في عباد القبور وغيرهم.

فإذن شرط الاعتقاد هذا هو شرطٌ تفسيري مثل قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦]، ماذا قال العلماء؟ قالوا: ﴿مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾، ليس شرطًا، ولكنه وصف، وهذه كلمة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه «الصارم المسلول».

وما دام ذكر هذا الكتاب «الصارم المسلول»، فالدكتور المسعري سُئل عن كتاب «الصارم المسلول»، فقال: قرأته لما كنت صغيرًا وأعجبت به، ولكن الآن تغيرت أفكاري وأحتاج أن أقرأه قراءة جديدة لأحكم عليه؛ لأنه خرج من سيطرة المدرسة -كما يزعم- المدرسة السلفية والوهابية، يعني انظروا إلى هذا الدافع!! أنه هو دافع المناكفة، وليس دافع العلم.

فإذن لما قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦]، هل يتصور لرجل أن يكفر من غير إكراه إلا وهو مطمئن؟!! لكن لا نقول: نريد أن نبحث، هل اطمأننت؟؟ هل أنت مرتاح؟؟ هل ارتحت لهذا الكفر؟؟ هل لا تجد في نفسك اضطرابًا ونحوه، مع أنك سببت.. ومع أنك كفرت.. ومع أنك قلت...؟ هل يجب علينا أن نشق على قلبه؟! هذا شيء عجيب!

ويكفي إن شاء الله شرح هذه المسألة إلى هنا، وهي تنبيهات سريعة، مع أن المطلوب هو أكثر من هذا بلا شك.

بارك الله فيكم وجزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

١١- تحكيم الشريعة في دار الحرب

ضمن الجلسة الثانية، بتاريخ: (**١٩/١٠/١٤٣٨هـ الموافق لـ: ١٣/٧/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل الأخ يقول: يثير البعض مسألة عدم تطبيق الشريعة في المناطق المحررة في الشام -إدلب مثلًا-، فما الراجح في مسألة التدرج في تحكيم الشريعة في دار الحرب؟ وهل تطبيق الحدود منوط بالتمكين؟ وما هو مفهوم التمكين؟

جواب الشيخ: أريد أن أقدم مقدمة، وهنا سؤال كذلك بعده عن كتاب الشيخ البليدي رحمة الله وتقبله في الشهداء والصالحين في موضوع التدرج.

لا يوجد عندنا شيء اسمه «التدرج»، وحتى الذين يطرحون التدرج بمفهوم فقهي أصولي صحيح، لكن كلمة «التدرج» ليست طيبة، وليست جيدة، والأصل فيها أن تنبذ هذه الكلمة، لأن التدرج ما معناه؟ معناه: هو أن نبدأ بالناس شيئًا فشيئًا كما يقال: التدرج في طلب العلم، ولا شك أنه كما فسر ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ [آل عمران: ٧٩].. فسر ﴿رَبَّانِيِّينَ﴾ بأنهم يعلمون الناس صغار العلم قبل كباره، كما في صحيح البخاري.

ولكن التدرج بهذا المفهوم وهو أن نبدأ بالناس بتطبيق بعض الحدود ليقبلوها، ثم نزيد عليهم، ثم نزيد عليهم، ثم نزيد عليهم، لاعتبارات دراسات يقام بها، هل الناس يحتملون أو لا يحتملون؟ أو ما شابه ذلك، فهذا المفهوم باطل لا يجوز، وينبغي نبذه وعدم القول به، وإن قال به البعض بمفهومه الصحيح.

ما هو مفهومه الصحيح؟ المفهوم الصحيح: أن الحكم الشرعي يطبق، لكن الناس يفهمون الحكم الشرعي على وجهٍ واحد، وهذا غير صحيح، الحكم الشرعي لا بد أن يكون - كما أذكر دائمًا في موضوع التكفير، نقول: لا بد من تحقق الشروط وانتفاء الموانع - الحكم الشرعي يوجد هناك شروط له، أي حكم شرعي يوجد له شروط لتطبيقه ويوجد له موانع.

هل نقول للناس: نرقيكم في الصلاة؟! لا، ولكن نقول: لم يحضر وقت الصلاة، فلم يحضر شرطها، فلا تصلي، هناك مانع.

المرأة لا تصلي، لو أن امرأةً استفتت عالماً وقالت له: هل أصلي؟ فيقول لها: لا تصلي، لماذا؟ لوجود المانع مثل الحيض أو النفاس، فنحن قلنا: لا تصلي، فكان حكم الله ألا تصلي، كما أنا نقول لامرأة أخرى تقول: أنا عليّ صلاة؟ كأن تسأل في موضوع القَصة البيضاء -على الخلاف بين أم سلمة رضي الله تعالى عنها وبين أمنا عائشة رضي الله تعالى عنها في موضوع القَصة البيضاء، وهل الصُفرة والكُدرة القليلة بعد الانتهاء من الحيض، فهل هي جزء من الحيض، أو ليست جزء من الحيض؟؟ فتقول أمنا عائشة رضي الله عنها: حتى ترى القَصة البيضاء والحُمرة ملحقة بما قبلها، وأمنا أم سلمة رضي الله عنها تقول: أن الكُدرة والحُمرة ليست بشيء وعليها أن تصلي- فتأتي امرأة فتسأل العالم فيقول لها: أنت تصلي، ولنفس المسألة تذهب إلى عالم آخر، يقول لها: لا تصلي؛ لاختلاف اعتبار هذا المانع، هل هذا المانع معتبر -وهو الكُدرة والصُفرة- أم غير مانع؟؟ فنحن هنا نقول: المفتي طبق حكم الشارع، بعد أن تطهر تمامًا المرأة الإجماع على أن عليها أن تصلي؛ خرجت من المانع ولم يعد هذا المانع موجودًا، فلذلك عليها أن تعود إلى الحكم السابق، هذا المثال نطبقه ليس في هذا الباب فقط، بل في كل باب من أبواب الشريعة.

الآن قد يأتي رجل للقاضي لنفس الفعل، فالقاضي يقول: هذا يجب أن يقام عليه الحد، كمن يعقد على زوجة أبيه، أو يعقد على أمه، أو يعقد على أخته، يعقد على محَرم -يقينًا أنه محرم-، فيقول له: هذا يُقتل؛ وقد يقتله على الردة، وقد يقتله حدًا، ولكن قد يأتي إليه جاهل لا يدري في مسائل خلافية فيفعلها، فالقاضي يقول: هذا جاهل، علموه وانقضوا العقد وانتهى الموضوع؛ لأنه جاهل، اعتبرنا الجهل هنا، وقد يأتي عالم ويقول: لا أعتبر هذا؛ فالرجل لا يُحتمل في حاله الجهل في هذه البلاد، وهذا الحكم منتشر بين الناس.

القصد: أن هذا لا يقال عنه «تدرج»، يقال: الجهل مانع، والذي يذهبه العلم، فيُقال: حتى يتعلموا، لا نتدرج حتى يتعلموا.

وهذه العبارة «التدرج» تُستخدم على وجهٍ من الباطل عند الآخرين، وأنتم تعرفونه، ولا أريد أن أتكلم عنه، تكلمنا عنه عندما تكلمنا عن القانون العربي الموحد، وتكلمنا عنه كثيرًا، يقول: بأن الناس لا يحتملون، فلذلك

نحن نتعامل معهم بكذا وكذا، الناس ما زالوا ضلالًا، وهم يقولون: الجهل ما زال في عموم الأمة، في مسائل متفق عليها، مثلما فعل المجرمون في تونس لما زادوا الضرائب على الخمر، فالبعض ممن انتسب إلى الإسلام أقر بزيادة الضرائب بغير وجه، وهم يعلمون أن إقرار الضرائب معناه قبول الحكم.

في علم الأصول مسألة مهمة ذكرتها في بعض المواطن، وهو أنه إذا أقر الشارع الحكم للشيء دل على اعتباره، ودل على أنه يعترف به، إذا جعل له أحكامًا.

ومن ذلك مثلًا قوله تعالى: ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ﴾ [الطلاق: ٤]، المرأة التي لم تحض، كم عدتها؟ فقال تعالى: ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ﴾، إذن ما معنى هذا؟ استدل به العلماء على أن الشارع أجاز زواج من لم تحض، ما دام أنه وضع حكمًا لها -يعني حكم العدة- والعدة للمرأة التي طلقها زوجها، إذن هي متزوجة وهي لم تحض؛ فدل هذا عند أهل العلم على أنه يجوز للرجل أن يتزوج المرأة -البنت- قبل حيضتها، وهذا الذي فعله النبي صلى الله عليه وسلم تزوج عائشة رضي الله عنها ولكن لم يبني بها، هذه مسألة أخرى، نحن نتكلم هنا عن العقد لا نتكلم عن الدخول، وإلا ففي الدخول تكلم أهل العلم، ذكر ذلك النووي رحمه الله، ونقل عن الشافعي، وعن أبي حنيفة، وعن مالك؛ بأنه لا يجوز للرجل أن يبني بالمرأة مالم تكن قادرة على البناء، يكفي هذه الكلمة الآن؛ فقط حتى لا يستغلها الجهلة والضُلال والمفسدون في الأرض.

فالقصد: بأنه لما وضع الشارع حكمًا لعدة المرأة التي لم تحض، فدل على أنه يجوز زواجها، وهذا يؤخذ منه، وهم يعرفون هذا، يعرفون بأن إقرار الضريبة الزائدة على الخمر؛ يعني إقرار بحِل بيعها! وهذا بلا شك أنه كفرٌ مخرجٌ من الملة، وهم قد وقعوا في الكفر ولا شك في هذا الباب.

فالقصد: بأنه علينا أن ننتهي من كلمة «التدرج في تطبيق الشريعة»، والصواب هو أن القاضي الفقيه -الفقيه في العلم، والفقيه في النفس، والفقيه في الحال أحوال الناس- أنه يُعمِل الموانع ويُعمِل الشروط، وقد يأتي إليه رجلان في حالةٍ، في فعلٍ واحد تختلف أحكامهما، فيقضي لهذا بشيء، ويقضي لهذا بشيء؛ لأن هذا عنده مانعٌ معتبر، وهذا ليس عنده هذا المانع؛ فيقضي لهذا بشيء ولهذا بشيء، هذا هو الطريق.

ومن ذلك اعتبار الشارع حالة الحرب، يعني: أنا تكلمت مرةً -وأرجو أن تُراجع، وهي من مسائل الإمام أحمد، أظن من رواية أبي داود، وإن شاء الله قريبًا سأخرج هذا النص- أنه هناك دار أعراب، كنت لما أُسأَل في أفغانستان والناس في حالة هرج ومرج، ولا توجد هناك سلطة محكمة للبلاد وللأماكن، فكل قرية لها حكمها، كنت أقول بالجملة: هذه ديار أعراب؛ وديار الأعراب يمكن أن نطبق بعض الأحكام وألا نطبق بعض الأحكام، يمكن لنا هذا يقع؛ والعبرة بالقدرة.

وهذا الموضوع أنه يجب علينا من ذلك اعتبار دار الحرب، يعني: عندما قال الفقهاء -وهذا من الحكمة سواءً صح الحديث أو لم يصح-: أن الحاكم لا يطبق أحكام الإسلام في الحدود على المحارب مخافة أن يلتحق بالكفر، طيب هذه من مصالح الإسلام المعتبرة، إذا كان الشارع منع أن يسافر المسلم إلى ديار الكفر بالقرآن مخافة أن يُهان هذا في زمان، واليوم ما في مشكلة، الناس اليوم يسافرون وربما يحترمونه أكثر من بعض البلاد التي أهلها مسلمون، فهذا كله معتبر.

وأنا لا أعرف الأحوال التي تكلم عنها في إدلب أو غيرها، لست على هذه الصلة الشديدة بما يجري، لكني أعلم أن الناس يخافون الله ويتقونه، ويُعمِلون الشريعة بقدر استطاعتهم، وهذا هو المطلوب، قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

وقوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، هذه الآية أنزلها العلماء على العقائد، لأنها لا خيار فيها، ولأنها مسألة اعتقادية داخلية -نتكلم عن الاعتقاد وليس عن القول- فلا يقع فيها الخُلف والمانع، قال تعالى: ﴿حَقَّ تُقَاتِهِ﴾، فينبغي أن تأتيها على وجهها؛ ولكن في الفعل: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، هذا جزء مما فسره أهل العلم في هذا الباب.. فالعبرة بالقدرة.

وهناك مسائل للأسف بعض أهل العلم ربطها بأحوال، لأنها عندهم رأوها على وجهٍ من وجوه الفقه، فظن الناس أن هذا الوصف مطّرد...

الآن سأضرب مثال: مثال ذلك عدم الجمعة في السجون، أو عدم الجمعة في دار الكفر؛ فالناس ظنوا أن هذا الوصف هو شرعيٌ أصلي؛ لعلة دار الكفر لا يُصلى الجمعة، ورأيت بعض من يتبع الشذوذات والأقوال

الغريبة يقولون بهذا! وهذا غير صحيح، أولًا: لا يوجد نص، هذا الشرط غير موجود، ولكن العلماء في عصرهم رأوا أن في دار الكفر مشقة ومانع، فذكروا هذا الأمر لعلةٍ أخرى وليس لهذا الوصف، ولكن وجدوا أن هذا الوصف في ذلك الوقت يلتصق مع العلة، فالناس نسوا العلة للأسف وعلقوا بهذا الوصف، وبقي الوصف عند الكثير مطّردًا وساريًا مع عدم النظر للعلة وجودًا وعدمًا!! وهذه ليست طريقة الفقهاء ولا العلماء ولا أهل الفقه، هذه طريقة غريبة ينبغي نبذها وللأسف يفعلها الصغار ويفعلها غير المتمكنين في أبواب العلم.

ولذلك العبرة بالقدرة، فإذا وُجِدَت القدرة طبق الناس، ما في قدرة ما في... الإنسان في بيته –ليس في دولة، في بيته– لا يقدر على ابنه ولا يقدر على ابنته، فلا يُحَمل إلا ما يقدر عليه، والله تعالى أعلم.

بارك الله فيكم وجزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

١٢- حكم ترك الأرض التي طبقت فيها الشريعة

ضمن الجلسة الثانية، بتاريخ: (**١٩/١٠/١٤٣٨هـ الموافق لـ: ١٣/٧/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: ما حكم من ترك الأرض التي تحكم فيها الشريعة؟ وفي حال زوال أحكام الشريعة ما حكم من خرج أثناء المعركة إلى أرض لا تحكم فيها الشريعة؟ فرغم القصف والمعارك الآن في الموصل فجماعة الدولة تقتل كل من يخرج من أراضيها، مع العلم هي لا تستطيع توفير أي شيء لهم، وحتى العلاج لمن أصيبوا في المعركة، فأرجو الجواب عن هذا الأمر الذي قتل فيه الكثير وسلبت أموالهم، قالوا: هم مرتدون، أي الذين يخرجون من أرضهم، مع العلم أنهم في أرض لا يستطيعون إقامة الحد عليهم.

جواب الشيخ: لا أريد أن أتكلم عما تكلمت عليه سابقًا في حكم هذه الجماعة؛ فمعروف قولي فيهم، وهم الآن في حالة يرثى لها؛ ومن الخطأ بقاء الحديث عنهم، وقد تقدم، نسأل الله عز وجل أن يرد شر الروافض الأنجاس والزنادقة، وأن يمنع طيشهم وحقارتهم وسفالتهم في إصابة أهل السنة، اللهم آمين.

بغض النظر عمن يقاتلهم، فأنا أقول: أسأل الله عز وجل أن ينصر أهل السنة على هؤلاء الروافض الأنجاس، اللهم آمين.

بالنسبة للسؤال: لا يوجد أحد من أهل العلم جعل الإقامة في ديار الكفر كفرًا؛ إلا إذا أدى هذا الفعل إلى الكفر، انتبهوا، الفعل بذاته ليس مكفرًا.

وكنا في سياق سورة «النساء» في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾ [النساء: ٩٤] وقوله: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ [النساء: ١٠١]، أصل هذا الحكم هو تبع لقضية أخرى وهي قضية الهجرة، التي افتتحها الله تعالى في قوله: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾ [النساء: ٨٨]، ابتدأت هذه الآيات بهذا السياق، ونبهت في بعض المواطن إلى أهمية هذا السياق القرآني، فيه أحكام عظيمة في هذا الباب، ومن ذلك أن الشارع - واربطوا هذه بما تقدم عندما ذكرت ﴿وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ﴾ [الطلاق: ٤]- إذا قرر أحكامًا لشيء، جعل له أحكامًا فرع له أحكامًا؛ فإنه قد أقره، إلا إن

يأتي نص بحرمته، فهذا موضوعٌ آخر.

ومن ذلك ما نحن فيه -هذه المسألة جميلة- أن الله عز وجل قرر أحكامًا لمن يُقتل خطأ من المؤمنين إذا كان أهله وأولياؤه كفرة، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً﴾ [النساء: ٩٢]، السياق على ماذا يدل؟ العلماء ذكروا له وجهين من التفسير، ولكن السياق يقوي أحدهما، وهو مُقَر ومعترف به حتى من قِبل الذين فسروه على وجهٍ آخر، انظر إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢]، لأنهم أعداء لا يُعطَوا الدية، ولا يورث المسلم من الكافر ولا الكافر من المسلم، والدية لا تعطى لإعانة الكفرة علينا وخاصةً المحاربين كما في الآية فرقت بين المحاربين والمعاهدين.

ولكن السؤال هنا: كيف يُقتل هذا المؤمن؟ قد يُقتل لأنه مهاجر، يعني قتله مسلم وهو مهاجر، وأولياؤه ما زالوا في ديار الكفر كفارا، هذا يمكن أن ينطبق عليه، ﴿فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢]، يمكن أن يُقتل هذا المؤمن في ديار المسلمين، هذا وجه ويُعمل به في الحكم؛ ولكن السياق حديث عمَّن لم يهاجر، ذكرت السورة: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾ [النساء: ٨٨]، ثم قال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ [النساء: ٩٠]، أعطى للمنافقين -هذا وسماهم منافقين- في النهاية: المنافق من المتفق عليه أن أحكامه العليا أنه يحكم عليه بالإسلام، طيب.. هؤلاء لم يهاجروا!! فأعطاهم الشارع حكمًا، ثم أعطى قسمًا آخر من المنافقين حكمًا آخر لعوامل أخرى ﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا﴾ [النساء: ٩١]، الفتنة هنا: القتال، ﴿كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا﴾، حصل قتال انقلبوا إلى الكفار، وعند عدم القتال (**كالشاة تيعر بين هؤلاء مرة وبين هؤلاء مرة**)، كما في الحديث الصحيح عن المنافقين.

إذن السياق يدل على ماذا؟ السياق يدل على وجود قومٍ من المسلمين لم يهاجروا، فيُقتلوا في الحرب، فإذن هذا هو.

وهذه الآية هي أصل قوله صلى الله عليه وسلم: (**أنا بريء ممن أقام بين أظهر المشركين**) أنا بريء ماذا؟ الآية تفسرها، والحديث يفسر الآية من قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾

[النساء: ٩٢]، قتل خطأ فتحرير رقبة، هذا حق الله، كفارة، وأما حق العبيد فـ (**أنا بريء**)، فسرها بقوله صلى الله عليه وسلم: (**أنا بريء**)، لا نعطيهم الدية، لا يطالب أولياؤه بالدية وإن كان مسلمًا، لا نعطيهم الدية.

إذن الوجه الأول: ﴿فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ إما أن يقتل بين أظهر المسلمين فيقتله مؤمنٌ خطأ، وإما أن يقتل بين أظهر الكفر، يرمى ويضرب فيقتل، كما حدث في القصة في سبب ورود قوله صلى الله عليه وسلم: (**أنا بريء ممن أقام بين أظهر المشركين**)، لما هو أعطاهم الدية، ثم توقف عن إعطاء الدية.

فإذن لا يوجد أحد من أهل العلم قال: أن الإقامة بين أظهر المشركين هذا الفعل هو كفر، ثم يأتي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٠]، من أجل ذلك هذا المقطع من هذه السورة ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ﴾ [النساء: ٨٨]، هذا مقطع متصل، وبعض الناس يسأل ما هو وجه وروده على هذا السياق؟ هذا الذي أقوله هو بعض وجه وروده.

إذن ما هو الكفر؟ إذا ترتب على عدم الهجرة الكفر، يعني لو أن رجلاً يستطيع أن يهاجر، ولكنه أقام مع علمه بأنه سيفتن عن دينه، فهذا كافر، ليس لأن الهجرة عمل إيماني نقضها ينقض أصل الإيمان، لا، لكن لأن هذا الشيء يؤدي إلى الكفر، هذا هو وجهه.

رجل يعلم أنه إن أقام في بلاد المشركين أولاده سيكفرون، مع قدرته على الهجرة، كما أفتى علماء المالكية فيمن بقي في بلاد الأندلس، كما ذكر ذلك الونشريسي في «المعيار المعرب»، فالمالكية كفروهم، لعلمهم بماذا؟ ليس لقضية الهجرة كما يزعم بعضهم، ولكن لعلمهم بأن بقاء هؤلاء في ديار الكفر سيؤدي إلى الكفر، سيجبرون في محاكم التفتيش وغيرها، وهذا الذي حدث، إذن هذا وجه.

لا أريد أن أتحدث عن ممارسات تفعلها بعض الجماعات كما ذكر السائل، في أنهم يكفرون ويقتلون وكذا.. إلخ، فهذا باب لا أحب الحديث فيه -الآن في هذا الوقت-، لما فيه من الألم فلا أريد أن يستغل على غير وجهه..

ولكن يكفي قولنا: أن الهجرة واجبة، وهي عمل من أعمال الإيمان العظيمة، الهجرة لديار الإسلام وترك

بلاد الكفر، إذا وجدت دار الإسلام، وأن هذا الفعل بذاته ليس كفرًا، وإنما قد يصل به إلى الكفر لما يترتب عليه من أمورٍ هي بذاتها كفر.

جزاكم الله خيرًا وبارك الله بكم والحمد لله رب العالمين.

١٣- رأي الشيخ بكتاب «الشريعة الإسلامية وفقه التطبيق»

ضمن الجلسة الثانية، بتاريخ: (**١٩/١٠/١٤٣٨هـ الموافق لـ: ١٣/٧/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: كتاب «الشريعة الإسلامية وفِقه التطبيق» تطرق فيه الشيخ رشيد البليدي في مسألة التدرج وإرجاء الحدود، فهل يمكن أن يعتمده المجاهدون كعمدة في هذا الباب ليدرس في الدورات والمعاهد؟

جواب الشيخ: في مشروع «ألف كتاب قبل الممات» تكلمت عن هذا الكتاب، ورأيت فضائله وذكرت أعظم الفضائل فيه، وهو: رد شبهات الطاعنين على المجاهدين -أنهم لا يراعون الأحوال، ولا يرون الفقه إلا بحدي الحلال والحرام، ولا يرون الفقه إلا بحدي الإيمان والكفر-، وشرحت فضيلة هذا الكتاب، وعملت له مقدمة للأسف لم تنشر إلى الآن.

وقام بعض طلبة العلم بالتعليق عليه تعليقات يسيرة، وذكرته بخير، ونظرت في تعليقاته فوجدتها جيدة.

الكتاب لا شك أنه كتابٌ جيد وسهل ومقسم لفقرات، يمكن لطالب العلم -إن جاد- أن يشرحه للناس بما يناسبهم، مع وجود الضوابط، يعني الكتب العلمية ينبغي لطالب العلم أن يشرحها، فإذا لم يوجد تقرأ ويستفاد بمقدارها، وإذا وجدت مشكلات رفعت إلى أصحابها.

والله تعالى أعلم، وبارك الله فيكم.

١٤- حكم الجمع والقصر في أرض الجهاد

ضمن الجلسة الثانية، بتاريخ: (١٩/١٠/١٤٣٨هـ الموافق لـ: ١٣/٧/٢٠١٧ م)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: يكثر الجدل والخلاف في مقرات ومضافات المجاهدين حول مسألة الجمع والقصر في أرض الجهاد، فتجد النسبة الأكبر من المجاهدين يجمعون ويقصرون؛ بحجة أننا في أرض جهاد، أو أنهم في بلدةٍ بعيدة عن بلدتهم الأم، فما التحقيق في هذه المسألة؟

جواب الشيخ: أريد في الابتداء أن أنبه إلى أن الكثير من الأقوال العلمية التي اشتهرت في العصور المتأخرة، ونسبت إلى أنها من المسائل التي حسم فيها الأمر وتحقق فيها القول الصائب، مع أنها مخالفة لقول الأئمة الأربعة خاصةً ولجماهير أهل العلم عامةً، فأريد أن أنبه على هذه المسألة العلمية، أنا أريد أن أقول لإخواني، ولطلبة العلم خاصة -بعد هذه التجربة الحياتية في هذا الباب-: وهو أن خلاف الأئمة الأربعة -يعني: ما استقر عليه أصحاب المذاهب- ينبغي أن يراعى مراعاةً شديدة، وليس بهذه الطريقة التي نراها، في بعضها وفي بعض الأقوال فيها شيء من الخفة؛ فيميلون إليها ويناقضون أقوال ثقات منقحة للأئمة الأربعة.

فهذه المسألة أنا فيها عنها، وأنا أجد حرجًا شديدًا -بعد دراسة، وليس هذا من قبيل إثارة الغبار والدخان الذي تصنعه المؤسسات أو المذاهب المنتشرة- فأنا أتكلم من خلال خبرة وأقول: قلما وجدت قولاً صائبًا خارج أصحاب المذاهب المعتبرة الأئمة الأربعة؛ فهذه القضية ينبغي أن تراعى، وقد يوجد، لا أقول: أن هذا ممنوع قطعًا، ولكن أقول: قد يوجد.. ولكنه ليس بهذا الاتساع، أو هذه الخفة التي يمارسها بعضهم في مخالفة الأئمة الأربعة.

المذاهب هذه أصحابها عملوا عليها عملاً شديدًا، ومن رأى أدلة الأئمة في هذا الباب علم فقههم، وعلم اتساع مداركهم، وعلم قوة استنباطهم، بخلاف ما يجري عليه المتأخرون، وخاصةً المعاصرين منهم.

فمن هذه المسائل التي شاع أمرها، لأن الإمام ابن القيم رحمه الله أشاعها في كتابه «زاد المعاد»، وأخذها المتأخرون وسلموا لهذا الإمام بهذا القول، وهو: أن نية الإقامة في المكان ما دام أن المرء داخلٌ تحت مسمى

«المسافر» أنه يجوز له أن يقصر ما شاء أن يقصر، ولهم احتجاجات في هذا، وأنا تكلمت عدة مرات في هذا الباب.

وأقول: إن ما قاله ابن القيم رحمه الله، وما جرى عليه بعض من يعظم هذا الإمام وهو إمامٌ عظيم ولا شك، ولكنهم لم يذهبوا إلى مذاهب الأئمة ودرسوها الدراسة الواسعة، وما اعترضه ابن القيم رحمه الله في كتابه على المخالفين له –وهم الأئمة الأربعة وجمهور أهل العلم– ما اعترضه غير وجيه..

ويعجبني ما رواه الأثرم عن إمامه الإمام أحمد بن حنبل في مسألة اعتبار الأربعة أيام أو اعتبار العشرين صلاة، قال: «قلما من يفقه هذا الدليل، ومأخذ بابن عباس رضي الله تعالى عنهما».

والصواب في الحقيقة أن تحقيق هذه المسألة في نسبتها لابن عمر أو لابن عباس، هذه عليها كلام شديد، يعني: يحتاج إلى كتابة وإلى توسع، فالذين ينقلون عن ابن عباس أن له قولاً واحدًا عندما كان يذهب إلى السوق، سوق عكاظ، ويجمع هناك ما دام قائمًا فوق هذا، فكذلك له أقوال أخرى ينبغي الانتباه لها، وكذلك ما ينسب لابن عمر ويرجحونه في هذا الباب أنه أقام في كابل ستة أشهر وهو محصور في الثلج، كذلك له أقوال أخرى؛ فتحقيق المذاهب يحتاج إلى تأن، وليس إلى قولٍ فطير، فلا بد من التحقيق، ولا بد من البحث المتسع.

القصد: بأن الباحث سيجد أن ما قاله أصحاب المذاهب الأربعة في هذا الباب هو الأقوى؛ ومع خلافهم، هناك قضايا متفق عليها بينهم، وهناك أمور مختلف فيها، وهذا الاختلاف يدخل فيه بعض حالات هذا السؤال الذي تقدم به الأخ.

أولاً: لا يجوز أن يقيم الرجل في مكان وهو عالم –وهو شرط هذا– وهو أن يعلم أنه سيقيم السنة والسنتين والثلاث والأربع، فيقيم فيها ثم يقول: أنا مسافر.

وقد وجدت أناسًا أصلا يقيمون في البلاد، ولكن يقولون: لا يجوز في هذه البلاد أن يقال: نحن مقيمون، كأن يكون هو هاجر واستقر مع أهله وحياته في بلد من بلاد الكفر؛ فيقول: لا يجوز لمسلم أن يقيم بين ظهراني أهل الكفر، فأنا لا يجوز لي أن أكون مقيمًا، ويبقى طول عمره وله الابناء والزوجة، وحياته، بل ليس له حياة أخرى أصلاً في خارج هذه البلدة، ومع ذلك يقول: أنا مسافر!! يعني في الحقيقة هذا شيء يحتاج إلى تحقيق،

وكذلك أعتقد أن فيه خفة في النظر.

المتفق عليه: أنه لو نوى الإقامة في مكان –هذا الذي تكلم عليه الأئمة الأربعة، وهذا القول الذي أختاره، وعليه الأدلة– أن المرء لو أقام في مكان، مختلف عشرين صلاة، مع احتساب الصلاة التي دخلها والصلاة التي خرج بها، هنا يوجد خلاف بين أهل العلم في هذا الباب، ولكنهم بالجملة يدورون حول هذه الدائرة– أن المرء لو نوى الإقامة في مكان وهو يعلم أنه سيقيم في هذا المكان فوق عشرين صلاة، قاربها أو خالفها، متقدمًا أو متأخرًا بصلاة أو صلاتين، مع ما ذكرت من الاختلاف؛ فإنه يعد مقيمًا.

ما هو مأخذ هذا القول؟ المأخذ لهذا القول: بأن الضرب في الأرض هو المسير، مجرد المسير، أي: أن يسير المرء، فمجرد السير في الأرض هو السفر، والجلوس هو الإقامة، فلو أن المرء كان ماشيًا فهذا هو الضارب في الأرض، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾ [النساء: ٩٤]، ثم قال سبحانه وتعالى بعدها: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ [النساء: ١٠١] فالضرب في الأرض هو المشي.

إذن المرء لا يكون مسافرًا إلا وهو يضرب في الأرض، فإذا جلس سمي مقيمًا، لو جلس لساعتين أو ثلاثة أو أربعة، الأصل هكذا أنه مُقيم وقتها.

فإذن المرء حين يخرج من بلدته لما يسمى مسافرًا، ما دام ماشيًا فهو مسافر؛ ولذلك أنتم ترون ابن القيم رحمه الله في هذه المسألة يرى أنه لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه إذا أقام مسافرًا –كما هو شأنه في منى– ويسمى المسافر المقيم، وهذه حالة فقهية قال بها ابن القيم رحمه الله، وقال بها من قبله شيخه ابن تيمية عليه رحمة الله، قالوا: بأن المرء يستحب له إذا كان مسافرًا مقيمًا أن لا يجمع، أجازوا له القصر أو أوجبوه على قولين، وأنهم استحبوا له أن لا يجمع، لأنهم فرقوا بين المسافر الذي يضرب في الأرض وبين المسافر المقيم، إذن هذه الحالة موجودة وليست غريبة عن الفقهاء.

القصد بأن معنى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا﴾ [النساء: ١٠١]، أي ما دام أنك ماشٍ فيجوز لك أن تقصر، فإذا نزلت ولو لساعات فأنت قد أقمت، هذا هو الأصل.

هذا الأصل؛ رأينا أن النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وسعه، فكان أقصى ما توسع به هو ما فعله، فلا يقال بعد ذلك -انتبهوا هنا المأخذ الذي يحتج به ابن القيم ومن جرى مجراه، ولم يقل المعاصرون شيئًا آخر غير ما قاله ابن القيم من قبل- فابن القيم قال: ما أدرانا أنه لو أقام ستة أيام أنه لا يقصر؟؟ نقول: لا، هذا غير صحيح، لإنه بمجرد الإقامة هو خرج عن مسمى المسافر فينبغي أن يُتم، فكونه أقام أربعة أيام فقط دل هذا على أنها هي المدة البالغة لهذا الباب، هذا هو مأخذ الفقهاء الأئمة الأربعة وهو مأخذٌ صحيح.

ابن القيم رحمه الله، لو تخيل المرء المسألة لوجد أنه قلب الصورة، فهنا السفر هو الضرب في الأرض، والإقامة تخرجه من مسمى الضرب، هو جعل مجرد الخروج من البيت ومن المحلة ومن البنيان هو السفر، هكذا، هنا فرق.

والآية تعلق الحالة بالضرب، فينبغي أن تعلق على هذه العلة، ليس بمجرد الخروج من البلدة، خارج البلدة، نائمًا، جالسًا، مقيمًا سنة وسنتين، فيبقى عليه اسم السفر لمجرد أنه خرج من حدود بلدته ووقع عليه اسم السفر عرفًا، هم هكذا قالوا، وأرجو أن تفهم.

الذي قاله ابن القيم: أن مجرد خروج المرء من محلته يسمى مسافرًا، فحينئذٍ الذين قيدوه، قيدوه بحالة: وهي حالة النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع! المسألة ليست هكذا، المسألة: أن المرء لا يسمى مسافرًا ضاربًا في الأرض إلا وهو يمشي، فإذا جلس وأقام في مكان ولو خارج بلدته ومحلته؛ لا يبقى تحت اسم المسافر، هذا هو الفارق الدقيق في المسألة.

وترى أن الموافق للغة والموافق للحال كما ترون لمن فكر فيها جيدًا؛ يجد أن القول هو قول الأئمة الأربعة؛ ولذلك قال الإمام أحمد رحمه الله هذه الكلمة: بأن هذه المسألة لا يفقهها الكثير.

إذن الذي أقوله بالنسبة للحالة التي بين أيدينا: إذا أقام رجلٌ في مكان لا يدري أيسافر اليوم أو غدًا أو أقل من أربعة أيام -يعني يقول: أنا قد أمكث ثلاثة أيام قد أمكث يومين، ولكن لا يقول: أنا سأمكث أربعة أيام- فإذا مكث هذه المدة فقد دخل في مسمى المقيم.

والآن نأتي الآن إلى مسألة هنا يأتي الخلاف، كم يمكث المرء مسافرًا وهو يقول: أسافر اليوم أو غدًا، أو يقول: لن أبقى أنا أربعة أيام؟ كم يبقى؟

هنا يقع الخلاف؛ وأنا أميل إلى قول أبي حنيفة عليه رحمة الله في هذه المسألة، وهو أنه ما دام الرجل يقول: أسافر اليوم أو غدًا، ولا يعرف متى يسافر، ويعلم أنه لن يبق أربعة أيام فما فوق -عشرين صلاة فما فوق- فهذا الرجل يبقى مسافرًا وله حكم المسافر، والمستحب له، وأنا أميل لما قاله ابن القيم رحمه الله من التفريق بين المسافر المقيم والمسافر الضارب، المسافر الضارب في الأرض المتحرك، فإذا جلس، فالنبي صلى الله عليه وسلم ثبت عنه في منى أنه كان يقصر ولكنه لا يجمع، وهذا هو الأقوى.

فلذلك أنت إذا بقيت في بلد أو مكان، فإذا قلت: أنا سأبقى سنة أو سنتين، أو هذا المكان أعرف أنني سأبقى فيه ولا أخرج منه، أقل شيء لن أخرج منه في أقل من أربعة أيام، بل سأبقى أربعة أيام فما فوق؛ فأنت صرت مقيمًا، لكن إذا كنت لا تدري: أتقيم في هذه البلدة اليوم، واليوم يأخذونك واليوم يحركونك إلى مكان كذا وكذا، وقد تتحرك بعد يومين؛ فأنت مسافر، هذا هو الذي أميل إليه في هذه المسألة، وأرجو أن يكون الكلام شافيًا في هذا الباب، والله تعالى أعلم.

مع التنبيه، بقيت مسألة مهمة: أن هذه المسألة إذا خالف الناس فيها؛ فلا ينبغي أن يثرب أحدٌ على أحد، عليكم أن تتعلموا أن الفقه ليس بهذه الحدية التي يطرحها بعضهم.

يعني: أنا يعجبني أنور شاه الكشميري في شرحه على البخاري، وهو شرح كما تعلمون لم يكتبه بيده، وإنما نقله تلاميذه بعد وفاته، جمعوه من الأوراق؛ فكان يقول كلمة عجيبة يرددها، يقول: أنا أجزم في مسائل النحو، وأجزم في مسائل المنطق، وأجزم في مسائل كذا وكذا، وأصول الفقه وو... إلخ، لكنني أجبن ما أكون في الجزم في مسائل الفقه، ومن تأمل مداخل الفقهاء، وتأمل كيف يستنبطون، وماهي مداركهم، يعني يسلم لأنور شاه الكشميري هذا المقال.

فالمطلوب: هذه مسألة من مسائل الاجتهاد، ومسألة من مسائل الخلاف، ويحتمل فيها الخلاف في هذا الباب، وبالتالي: المقلد لا يناظر، يعني لا يقل أحد: أنا مجتهد فيها!! أنت في النهاية أخذت قول الشيخ، وبتطبيق علم نفس الدليل، وأرجو أن يبحث هذا العلم، هذا العلم من فروعه، وهو علم نفس الدليل لم يبحث، لإنه علمٌ يبحث في القضية الإسلامية على الخصوص، وإن كان يوجد في الآخرين كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وإن أظهر الذين يزعمون العقل وأصحاب المناهج العقلية أنهم من أكثر الناس احترامًا للعقل،

ويعيبون على الأثريين التزامهم بالأثر، فيقول: لكنني وجدتهم من أكثر الناس تقليدًا لبعضهم بعضًا، وهذا حقيقة.

فلا يقل أحد: يعني أنا هذا درسته ووجدته هكذا!! يعني أنا لا أقول: أن هذا لا يوجد.. لا، ولكن الذي أعرفه أن الأكثرين ليسوا كذلك، الأكثرين لإنهم لا يقوون على مخالفة ابن القيم ومخالفة بعض المشايخ المعاصرين ولهم أثرهم، فحينئذٍ يلتصق القول بالقائل، وحين يلتصق القول بالقائل ينصبغوا باحترامه أو عدم احترامه، هذا ما يقع، يعني لا تجرؤوا على مخالفة الأئمة الأربعة، وتخافون من مخالفة ابن القيم رحمه الله، مع أن ابن القيم ولا شك إمام تحقيق، وإمام علم، وإمام نظر، وله أقوال سديدة في الفقه وفي الاختيارات الفقهية وفي غيرها، وهو الأصل فيه، جزاه الله خيرًا، ورحمه الله.

فلا يثرب أحد على أحد، ولا يناظر المقلد إلا إذا خالف في المسائل المشهورة بين أهل العلم، ولو وجد من يقول بها شاذًا؛ فيثرب عليه، حدًا نقول: يثرب عليه، كأن يقول بأقوال شاذة وإن قال بها بعض أهل العلم، ولا يناظر، وثالثًا: يحتمل الناس بعضهم بعضًا في هذه المسألة، والله تعالى أعلم.

بارك الله فيكم وجزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

١٥- حكم الإجهاض

ضمن الجلسة الثانية، بتاريخ: (**١٩/١٠/١٤٣٨هـ الموافق لـ: ١٣/٧/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخٌ يسأل: ما حكم إجهاض الجنين المشوه في خلقته وأعضائه الوظيفية، علمًا أنه تعدى الشهر الرابع؟

جواب الشيخ: أيها الأخوة الأحبة، لا يجوز الإجهاض ولو بعد يومٍ واحد، لا يجوز، وقضية الأربعة شهور أصلاً مختلف فيها، ارجعوا إلى شرح الحديث حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الذي هو في القدر، تجد أنه مختلف في الروح متى تنفخ، هل هي في اليوم الأول، أم في الشهر الرابع حين يكتب له؟ فهذا خلاف تفسير الحديث.

إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم سمى العزل بالموءودة الصغرى، والعزل هو ألا يحدث أصلًا التلقيح، فكيف إذا حصل التلقيح؟!!

فلذلك أنا أقول: اتقوا الله في هذا الباب، وليتق العلماءُ اللهَ عز وجل في هذا الباب لنشرهم مثل هذا الأمر، لا يجوز أن يُجهض الجنين ولو حصل التلقيح البارحة فلا يجوز أن يجهض اليوم، لا يجوز، هذه خِلقة يجب احترامها ويجب تقديرها، ولها أحكامها في الشرع.

وأما دعوى بجواز الإجهاض بسبب تشوه الخلقة، فهذا لا يجوز كذلك، هذه نفسٌ محترمة، وإلا وقعنا فيما وقع فيه المشركون من اليونان عندما كانوا يرمون الأطفال الضعفاء من وراء الجبل تخلصًا منهم، فالمشوه الذي يقولون عنه، يخرج المشوه ويعيش حياته، ورأينا هؤلاء الذين يكون فيهم تشوه يعيشون، ويكون لهم الأولاد، وينفعون في الحياة منافع كثيرة، ويكفي من منافعهم قال صلى الله عليه وسلم: (**هلْ تُنْصَرُونَ وتُرْزَقُونَ إلَّا بضُعَفَائِكُمْ؟!**)، فلا يجوز، لا يجوز، لا لهذه العلة ولا لغيرها.

فالتشوه يخرج المرء مشوهًا في عينه، مشوهًا في عقله، مشوهًا في يديه، هذه آية من آيات الله، يخرج ويموت حيث يموت، حيث يقدر الله عز وجل له الموت من غير تدخلٍ منا وتعدٍ، هذا تعدٍ على حياة بشرية معتبرة على وجهٍ من الوجوه، مقدرة يجب احترامها، وفيها فضائل عظيمة وخيرات عظيمة تعتبر ويجب الانتباه لها، ولله

حكمة في تنوع الخلق التام والناقص وو... الخ. وقد يكون في الناقص منفعة في بعض الجوانب ما لا يقوم به التام، والله تعالى أعلم.

بارك الله فيكم وجزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

١٦- حكم التوقيع على عقد فيه معصية

ضمن الجلسة الثالثة، بتاريخ: (٢٦/١٠/١٤٣٨هـ **الموافق لـ: ٢٠/٧/٢٠١٧ م**)

نحمده تعالى ونستعين به ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلله فلا هادي له، وأشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صوات ربي وسلامه عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى صحبه الغر الميامين وعلى من تبعهم بإحسانٍ وهدى وتقى إلى يوم الدين، جعلنا الله عز وجل وإياكم منهم آمين، آمين.

الأخ يسأل: عند تثبيت بعض البرامج على الحاسوب والهاتف الذكي تظهر بيانات، ولا يتم التثبيت إلا بعد الضغط على زر «موافق»؛ هذه البيانات توجب التحاكم إلى المحاكم الوضعية عند الإخلال بها، فما حكم وضع الموافق، مع التفصيل في مناط الحكم؟ بارك الله فيكم.

جواب الشيخ: ألاحظ هذا في كثير من الأسئلة والمباحث والمباحثات هناك خلط ما بين التحاكم، وما بين المعصية التي فيها توقيع على عقدٍ فيه معصية، والأخ هنا يسأل نفس القضية، نفس الخلط الذي يقع.

رجلٌ ذهب إلى بنك؛ فكتب عقدًا بينهم والعقد ربوي، فوقع عليه، فهل يقال: أنه أحل الحرام، أم أنه مارس عملاً هو من أعمال المعصية والفسق؟

هناك خلط كبير في هذه المسألة عند الناس، وستتكرر هذه الأسئلة كثيرًا فيما سنرى بعض الاعتراضات والعجائب من بعض السائلين.

المعصية تفترق افتراقًا كبيرًا عن الاستحلال، ولذلك موضوع الاستحلال العملي أنا نفيته مرةً، ولي توجيه، نفيته، لا نرى ما يسمى بالاستحلال العملي، وهم ذهبوا إلى حادثة قتل النبي صلى الله عليه وسلم لمن عقد عقدًا على زوجة أبيه، وقالوا: هذا استحلالٌ عملي، وأنا بيّنت هذا كثيرًا في السابق، أرجو الرجوع إليه، فمن الخطأ تكرار ما تم البحث فيه.

الاستحلال العملي تقريبًا لا وجود له، هناك من العلماء من يذكره، وهناك من العلماء من ينفيه؛ ولذلك لإنه منطقة رمادية صعب الإبانة عنها، ومناطٌ تختلط فيه الصور، والأحكام في موضوع الإيمان والكفر هو

موضوعٌ عظيم يترتب عليه إسلام المرء أو كفره وخروجه من الملة، فلذلك الكلام فيه بهذه الطريقة التي يتكلم بها البعض، هذا غير سديد وغير علمي.

فالقصد: أنا لا أعتقد بوجود استحلال عملي؛ يعني مثلاً: رجل إذا عَمِل عملاً فهو مستحل أو أعطى صورة من صور الاستحلال، فأنا لا أعتقد بما يقوله كثير من أهل العلم أنه بسبب أنه عقد فقد استحل، عقد على زوجة أبيه فاستحل، بخلاف ما لو زنا بزوجة أبيه، وهذا المنطقة -أنا أقول- للعلماء فيها خلاف، وإذا كان ثمت هناك خلاف فيجب أن يرفع، لأنه ليس بهذا تقام أحكام الكفر والإيمان.

الآن نعود إلى السؤال، رجل ذهب إلى البنك فعقد عقدًا ربويًا، فلا يقال: استحل بمجرد العقد.

وصورة أخرى وهناك أسئلة تدور حولها كذلك: هناك فرق بين من تابع المستحل في استحلاله، وبين من تابع المستحل عملاً، وهذا ذكره شيخ الإسلام رحمه الله في كتابه «الإيمان الكبير»، والناس إلى الآن بالرغم من الشرح الطويل لها؛ ما زال يعود السؤال متكررًا: ما الفرق بينهما؟؟

نحن نرى في النظم الوضعية والشركية أنهم وضعوا جواز بيع الخمر، فهم استحلوا، هناك جواز، أي يجوز عندهم العقد على الخمر، ويجوز عندهم فتح المحلات لبيع الخمر، وهم يعطون التصاريح وغيرها وفي تشريعهم أحلوها، أي ليس هناك جرم على شرب الخمر، وعندهم القاعدة «لا جريمة إلا بنص»، فما دام أن النص بعدم تحريمها غير موجود في القانون فهي حلال عندهم، هذا هو مقتضى ما يقولون.

طيب، رجلٌ هنا تابعهم في استحلالهم هذا، هذا كافر، سواء شربها أولم يشربها؛ لكن لو ذهب واشترى من دكان، هذا الدكان فُتح بهذا الاستحلال، لكنه اشتراها هذا لم يتابعهم على استحلالهم، ولكنه هو هنا تابع لما فعلوه، فلا يقال: هذا كافر، الفرق بينهم واضح، هذه صورة موجودة على أرض الواقع، ولذلك يخطئ فيها الكثير، فيقولون: بأن الناس اليوم يتابعون المستحلين فهم كفار!! وبذلك يكفرون عموم الأمة!! ويكفرون كل من تابع الحكومة في أمرٍ ن المعاصي فعلوه لا متابعتًا للاستحلال ولكن فِعلاً له، فِعلاً لما استحلته الدولة أو النظام، هناك فرق بين هذا وهذا.

فإذن فرق، رجل ذهب إلى البنك فعمِل الربا متابعةً لاستحلالهم، فهذا كفر، حتى لو لم يفعل فقد كفر

للاستحلال، لكن لو ذهب رجل فتابعهم في العمل وليس في الاستحلال، أي تابع استحلالهم عملاً، وليس استحلالاً لما استحلوه؛ فهذا لا يكفر.

ومن هنا فالعقد الذي يعقده المرء هذا ليس استحلالاً، لا ينبغي أن يطرأ على عقل طالب العلم هذا المعنى؛ ولو أنه فَقِه المسألة على وجهها لرأى الفرق الكبير، العقد ليس استحلالاً.

فلو أن رجلاً اتفق مع امرأة على البغاء -وهو: الزنا بمال- أن يزني بها على خمسين دينارًا أو ما شابه ذلك؛ فلا يُقال إنه استحل لمجرد وجود العقد بينهما، هذا لا يطرأ على عقل طالب العلم ولا يرى هذا الوجه أبدًا، إلا إذا كان مغاليًا جاهلاً، يميل إلى الغلو وما شابه ذلك من الجهل.

الآن نرجع إلى السؤال الذي بين أيدينا، رجل أراد أن يشتري شيئًا، في الغرب عادةً إذا اشتريته نقدًا ينتهي الأمر، ولكن كل العقود في الغرب إذا اشتريته دينًا؛ يوجد نص في العقد على أنك إذا سددت المال في المرحلة الفلانية فلا يأخذون منك الربا، ولكن لو أن الوقت طال عن هذه المدة فحينئذٍ يبدأ العقد الربوي عمله؛ فأنت توقع عليه، هذا بذاته معصية من غير النظر إلى الجوانب الأخرى، ولكنه ليس كفرًا، ولا يقال فيه: هذا تحاكم، وإن كان بعد ذلك لو أنك اختصمت معه فهو يذهب بك إلى المحكمة، وهذا شيء مطّرد، ولكن لا ينبغي النظر إليه، هو معصية، أنت عقدت عقدًا ربويًا، فهذا معصية ولا يقال: هذا تحاكم إلى الطاغوت، الذي هو الكفر.

وحتى التحاكم إلى الطاغوت يحتاج إلى ضبط أصوله عند طلبة العلم، لأني أرى في هذا كذلك تشابك في المعاني للأسف يصل إلى درجة الخلط.

فالآن لو أن رجلاً اشترى خمرًا على سعرٍ معين، فلما ذهب وجد أنه قد غشه في الخمر مثلاً، أو أنه لم يقم بالعقد كما هو عليه، فحمله إلى المحكمة، فذهب به إلى المحكمة، كل العقود اليوم يؤدى بها -عقود المعاصي التي تكون ربا وغيرها وشراء الخمر والزنا وغيرها- كل هذه العقود نهايتها بالنسبة لهذه النظم تنتهي إلى المحكمة، فلو قال رجل: قَبِل التحاكم إليهم، فلا يقال هذا، ولا يخطر على بال طالب العلم.

فلذلك هذا الذي وقع «موافق»، هو قد عصى، الآن نأتي هل هذه المعصية لازمة أم أنها يمكن أن ترفع

بوجود اضطرار مثلاً؟؟ أنه لا يمكن أن يقتني هذا الشيء وهو مضطر إليه، وأنه من حاجاته اللازمة له، هذا موضوعٌ آخر؛ ولكن بمجرد كتابته «موافق» لا يعني أنه تحاكم إلى الطاغوت، ولذلك السائل استخدم كلمة «موافق» أي أنه موافق أن يتحاكم إليهم، لا، غير صحيح، هذه العقود لا يوجد فيها أنه إذا وافقت أنك ستتحاكم إلى الطاغوت، فيها عقدًا بأنك موافق على أنك لو أخللت فحينئذٍ يزيد عليك المال، «وزد وأربي» قاعدة ربا النسيئة المجمع على حرمتها، هذا الذي نبينه، ولا بد لمن بحث مثل هذه المسائل أن يكون صاحب تصور صحيح لما هي عليه.

الآن قد يقول قائل: بين لنا؟ في كل العقود المحرمة التي يعقدها العصاة، إذا لم يكن هناك ثمت موانع للحوق الإثم، لأن المرء قد يضطر إلى شيء، ومثال ذلك: النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع الكلب، فيضطر المرء للكلب فيشتريه، والعلماء قرروا أن البائع هو الذي يأثم أما المشتري فمضطر، وهكذا، مثل السرقة، الرجل يجوز له أن يسرق مضطرًا ليأكل ويشرب.

فالقصد: بأننا لا نتحدث هنا عن موانع لحوق الإثم، وذكرها شيخ الإسلام في كتابه «منهاج السنة» فارجعوا إليها موانع لحوق الإثم عند اقتراف المعصية؛ لا نتحدث عن هذه المسألة، بل نتحدث عن: بين لنا أن هذه العقود المحرمة فيها معنى أنك قبلت أن تتحاكم إلى محاكم تحكم بغير ما أنزل الله فتلتزم بها بين لنا، هل هذا الوجه موجود؟

الجواب: لا، أنت اتفقت معه على عقد معصية، ولكن ليس في العقد ذاته أنك تجيز له ولا لنفسك أن تذهب إلى المحاكم الطاغوتية فتحتكم إليها في إجراء هذا العقد، ليس فيه، أما إذا ذهبت وأخذك مضطرًا فهذا أمر آخر، جاءتك الشرطة وأخذتك، ذهبت إليها دافعًا للضرر، فهذا موضوع آخر، ولكن أنت في العقد، نحن نتكلم عن العقد نفسه، وما يترتب عليه من المآلات هذا ليس من طريق أهل العلم في الحكم على العقود في موضوع الإيمان والكفر، موضوع الحلال والحرام موضوعٌ آخر، ولكن لا نكفر بالمآلات، أرجو أن يكون هذا بينًا واضحًا، والله تعالى أعلم.

بارك الله فيكم وجزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

١٧- حكم الأب الذي لم يحكم بالعدل بين ابنيه

ضمن الجلسة الثالثة، بتاريخ: (٢٦/١٠/١٤٣٨هـ الموافق لـ: ٢٠/٧/٢٠١٧ م)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يقول السائل: ما حكم الأب الذي حَكَم بين ابنيه بغير العدل؟ فإن قلتم: بأنه لا يكفر، فما هو القيد الذي أخرج هذه الصورة من عموم قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ﴾ [النساء: ٦٥]؟

جواب الشيخ: يا إخوتي، أنا مضطر أن أشرح هذا، وقد شرحته كثيرًا..

يقول ابن حزم رحمه الله: «من فعل فقد حكم»، هذه قاعدة من الإمام، قاعدة عظيمة؛ تبيّن سبب انحراف الخوارج وسبب انحراف المرجئة.

أما الخوارج: فلأنهم جعلوا كل عملٍ يدخل في كلمة «حكمٍ» دخولًا كليًا؛ فهذا القاعدة ينبغي أن يسبقها تصورٌ آخر، وهو أن المعاني إما أن تكون كلية وإما أن تكون جزئية، فالمعاني الكلية يلحقها الحكم الكلي، والمعاني الجزئية يلحقها الحكم الجزئي، هذه قاعدة.

ولما جاء العلماء إلى حديث ذات أنواط، ذكر العلماء السابقون -ولا أعرف مخالفًا- أنه لما قال النبي صلى الله عليه وسلم: **(إنما أردتم ما أراد أهل الكتاب أن يفعلوه)**، ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾ [الأعراف: ١٣٨]، قالوا: هذا دخولٌ جزئي، لأنهم لم يطلبوا أن يعبدوها، وإنما طلبوا أن يكون لهم ذات أنواط يعلقون أسلحتهم عليها للحصول على البركة، فلم يدخلوا في الفعل، لذلك أخطأ من قال من أهل العلم: على أنهم طلبوا كفرًا وشركًا أكبر، فالفعل يدخل في الحكم، لكنه لا يدخل دخولاً كليًا، لما كان الحكم بغير ما أنزل الله كفرًا أكبر، كان الداخل فيه -أي الفعل-: إما أن يدخل في هذا الحكم دخولًا كليًا فيلحقه الحكم الكلي وهو الكفر، وإما أن يدخل فيه دخولًا جزئيًا فيلحقه حكمًا جزئيًا وهو الكفر الأصغر.

ومن هنا أتى الكفر الأصغر، ما هو الكفر الأصغر؟ أي أنه يدخل في الكفر، ولكن دخولاً جزئيًا؛ فلا يحكم عليه بالحكم النهائي الغائي، ولكن يحكم عليه بالحكم الجزئي.

الآن نرجع إلى كلام ابن حزم: من فعل فقد حكم؛ بمعنى: لو أن رجلًا شرب الخمر فقد حكم، لكن هذا الفعل يدخل في الحكم دخولًا جزئيًا، فيلحقه الحكم الجزئي وهو المعصية، سبيل ووسيلة ووسيط إلى الحكم الأكبر، ولذلك قال العلماء: المعاصي طريق الكفر، قال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [الروم: ١٠]، وقال تعالى: ﴿وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ [البقرة: ٨١]، الخطيئة تراكمت حتى أحاطت به ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨١)﴾ [البقرة: ٨١].

إذن لما قال ابن حزم: من فعل فقد حكم، فينبغي أن ننظر، هل دخل في الحكم دخولاً كليًا أم دخولاً جزئيًا؟ ما الذي يعرفنا بذلك؟

يعرفنا بذلك النص، (**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**)؛ علِمنا أن هذا الحلف لا يُخرج من الملة؛ لأنهم كانوا يفعلون ذلك ولم ينهاهم النبي صلى الله عليه وسلم، فلما نُبه على أن هذا التعظيم قد يوصل إلى درجة الربوبية؛ فنهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم... قال: إنكم تشركون يا محمد، فكانوا يحلفون ويقولون: لا والله ومحمد، ما شئت وشاء محمد؛ فلما كان هذا المعنى موهما أو سبيلاً إلى الشرك نُهيا عنه، فالنص يبيّن لنا.

كذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (**الطيرة شرك**)، قال ابن مسعود: «وما منا»، فهذا نص يدل على أن الطيرة ليست مخرجة من الملة، لكنها تدخل في الشرك دخولاً جزئيًا فيلحقها الحكم الجزئي.

شارب الخمر حكم، بالنص أنه ليس كافرًا، ولو كان كافرًا لما كان له إلا حكم المرتد وهو القتل، فلما علمنا أنه يجلد؛ فعلمنا أنه لم يكفر.

الآن الرجل عندما يظلم في بيته فقد حكم، ولكن هل يدخل ظلمه في الحكم بغير ما أنزل الله دخولاً كليًا، لنقول: من ظلم فقد كفر، والكافرون هم الظالمون والفاسقون؟؟

نقول: لا؛ الظلم ليس مخرجًا من الملة، المعصية ليست مخرجة من الملة، المعصية وسيط إلى الكفر، لكن ليس حكمها هو حكم الكفر، هذا ما ينبغي أن يُعرف.

فالرجل في بيته يقول: قد حكم، كيف يعني حكم؟ أعطنا؟

الحالة المشهورة بين الناس «حكم بينهم»، بمعنى أعطى ابنه شيئًا وظلم الآخر فلم يعطه، النبي صلى الله عليه وسلم سماه زورًا، قال لما جاءه النعمان بن بشير: (**إني لا أشهد على زور**)، ولم يقل له: هذا كفرٌ مخرجٌ من الملة..

ولذلك نحن نقول: من أين أتيتم بشرط الاستحلال؟! لم نشترط شروط الاستحلال، نقول: هذا ظلم، والظلم ليس كفرًا، فإذا قلتم: هل يدخل في كلمة الحكم؟ نقول: يدخل في كلمة الحكم، ولكن يدخل دخولاً جزئيًا لا كليًا.

فالرجاء الانتباه والتفريق بينهما، ولا أدري.. أيريد السائل الإلزام لإسقاط قواعد أهل السنة؟! أم أنه يريد التعلم؟

بارك الله فيكم وجزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

١٨- قريبًا وليس بعيدًا سيلتقي جهاد أهل اليمن مع جهاد أهل الشام

ضمن الجلسة الرابعة، بتاريخ: (**١٤٣٨/١١/١٢هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/٨/٤ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أحد الإخوة يسأل ويعترض: أن الاهتمام مُنصب على الحالة السورية مع وجود أحوالٍ للمسلمين أخرى تستحق الاهتمام والرعاية، كالوضع في اليمن والوضع في ليبيا، وغيرها من البلاد.

جواب الشيخ: في الحقيقة أعتقد أن هذا ظلم في أن الاهتمام ليس متوجهًا لما يجري في ليبيا، ولما يجري في اليمن، ولما يجري في أفغانستان أو العراق؛ ولكن يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم**).

ولا شك أن الحالة السورية هي ميزان الحرارة لأحوال المسلمين في العالم، يعني دائما في الحقيقة كانت بلاد الشام -وعلى الخصوص: الأرض المباركة وما حولها، والأقصى وما حوله من الأرض المباركة- كانت هي المعيار الذي يعرف الناس به وضعهم وحالهم.

تجد أن الوضع الإسلامي يهترئ، فينصب المرض والأعراض التي يعيشها المسلمون في بقية بلاد العالم، تنصب مرضًا وحالةً واضحةً في بلاد الشام، لأن النبي صلى الله عليه وسلم رأى أن عامودًا يخرج من تحت رأسه فستقر في الشام فأوّل الأمر ملكه، فمملكة النبي صلى الله عليه وسلم هذه الأرض المباركة.

وما يحدث في الشام هو معيار لما يحدث في بلاد المسلمين كلها، وربما بعض الناس يرى شيئًا من عدم الإنصاف -لا نقول الظلم- في الحديث عن بقية المسلمين.

في الحقيقة إذا كان هذا متوجهًا إلى العبد الفقير، فليس الأمر كذلك، يعني بفضل الله عز وجل نراقب ما يحدث لأهل الإسلام في كل مكان، والحديث عن الآمال القادمة هي متعلقة بجميع بلاد المسلمين..

ودعوني أقول للإخوة المسلمين جميعًا: قريبًا وليس بعيدًا -أنا لا أتحدث هنا عن آمال، يعني منذ سنين، سيد قطب قال: المستقبل لهذا الدين، وهذا قبل سنين طويلة- لا، أنا أتحدث عن واقع أقرأه تمامًا، يتعلق ببلاد

المسلمين أولاً ويتعلق ببلاد الكفر ثانيًا، ويتعلق بأحوال أمتنا وبأحوال غيرنا، يتعلق بأحوال فلسطين من وجود يهود وغيرهم، يتعلق ببلاد المسلمين وما يجري فيه من تحولات عظمى، فأقول كلمة لا أريد أن أطيل في الجواب عن هذا الموضوع، ولكن أبشر المسلمين بكلمة أقولها: قريبًا وقريبًا جدًا سيلتقي جهاد أهل اليمن مع جهاد أهل الشام، وسيلتقي جهاد أهل ليبيا مع جهاد أهل الشام، وأنتم املأوا الفراغات؛ ستنشأ هناك كثير من الفراغات حول هذه الكلمة، فاملأوها أنتم، أنتم من ستملأونها.

ماذا يعني التقاء جهاد أهل اليمن مع جهاد أهل الشام؟؟ الجواب عندكم، وماذا يعني التقاء -قريبًا- جهاد أهل ليبيا مع جهاد أهل الشام؟؟ الجواب عندكم.

والمحطة القادمة فلسطين، والملتقى قريبًا بإذن الله لمن كانت لحيته سوداء، وليس فيها الشيب -كلحيتي- كثيرًا، سيرى هذا وسيكون قريبًا، وربما وأنا أطمع كثيرًا مع شيبي أن أرى هذا، يعني عندي أمل كبير أن يكون قريبًا.

وضع الشام هو وضع ليبيا، وضع ليبيا هو وضع اليمن، وضع اليمن هو وضع أفغانستان، نحن نرقب قدر الله.

أنا عندي كلمة أقولها للمسلمين: أنت أيها المسلم الداعي إلى الله، المجاهد، العالم، الذي يخلص لله، وإذا نمت على فراشك، نمت وأنت جازم بأنك لن تخن إلى الله، مقصر، مقصر، يجب أن تنام مع شعورك أنك مقصر ﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ (٦)﴾ [المدثر: ٦]، هذه قاعدة من قواعد البناء الأولى القرآنية لنبينا صلى الله عليه وسلم، ﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾، فلا يجوز لأحد أن يشعر أنه قد أدى ما عليه؟! كلنا على هذا الحال، ﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾.

ولكن لا يجوز لأحد أن يبيت خائنًا لأمته، فرق أن يخون الأمة بأن يقول كلمة الباطل، وأن يتمالأ مع أعداء الله، وأن يقف ضد مشروع الأمة القادم بالعزة والنصرة والتمكين، فهذا خائن، إذا آوى إلى فراشه فسيبصق على نفسه، ويحق له ذلك، وهؤلاء أقذر خلق الله، لا قيمة لهم، والله عز وجل سيفضحهم في الدنيا والآخرة.

وأنتم ترون مفرزة القدر، أنتم ترون الآن أيها الإخوة المسلمون مفرزة القدر لمشايخ كان لهم شأن وكلمة، ثم جاءت الابتلاءات فلم يتحملوا أن يسكتوا، ويجوز في ديننا أن يسكت المرء ولكن يجوز أن يتكلم بالباطل، أن يسكت المرء ربما لأنه يخاف ويرى أنه مكره فيسكت ويلزم بيته، ولكن أن يتكلم بالباطل فلا يجوز؛ وخاصةً إذا كان رجلاً مُتبعًا وله سمع وله أتباع وله من يسمع، سواء أتباع أو من يسمع له.

والذي حدث أن مفرزة القدر تجري على الخلق جميعًا، على اللحى، وعلى المشايخ وأصحاب المنابر والكلمات والأسماء الكبيرة، فأنتم ترون المفرزة قادمة وقوية، وستبقى هذه المفرزة تضيق، الآن واسعة، يعني يسقط منها فقط الكبار، وغدًا ستضيق وتضيق حتى لا يخرج منها إلا القلة القليلة، حتى إذا جاء النصر نسب لأهله الحقيقيين وليس للكذبة، وليس لمن قال كلمة زمن السعة، فالأقدار تجري في البلاد، والحكام والكفر يزيد من قبلهم، لماذا؟ لماذا الكفر يزيد؟ ولماذا الكشف يقع؟

أولاً: حتى يقع العذر؛ فالله يعذر، الله عز وجل ويقيم الحجة عليهم **(ولا أحد أحب إليه العذر من الله)** حتى يعذر الرب إذا دمرهم.

الأمر الثاني: حتى لا يصل إلى المنتهى إلا من أراد له الخير، هذه جوانب، وحتى يقع النصر الإلهي حين لا يفعل الناس شيئًا ولا يبقى إلا أمر الله.

أردت أن أقول: هذا الذي نعيشه؛ فقط افعل لتنجُ أنت، المطلوب هو أن تكونوا في عدوة أهل الحق، أن تكون مؤمنًا بالحق قائلاً له، أو ساكتًا لا تقول الباطل، وإذا كنت كذلك فأنت على خير، والمسألة هو أن تنجو.

ولكن أن تنظر إلى نفسك أنك أنت بيدك نصر هذا الدين، لا، وكذلك أن تقول جماعة: نحن الجماعة التي ستنصر الدين!! أظن أنكم لستم في هذا المقام ولا جدوى، ولا أرى جماعة على أرض الواقع هي بفعلها وواقعها، هي التي إذا نصر الدين قالت: نحن نصرناه؛ يعني الجماعات كلها -يعني الآن- لا تستطيع أن تحرك ساكنًا، ويكفي أن تحافظ على نفسها، أما أن تتقدم الخطوات الكبرى من أجل التمكين في الأرض والوصول إلى لحظة الصراع الكبير مع الكفر، لا الجماعات ولا الأفراد.

ولذلك ما يجب أن تفعله أنت أن تسعى لأن تنجو عند الله، وأما نصرة الدين ورفعة الشريعة وإهانة الكفار

وإذلالهم، فهذا فعل الله عز وجل، ويكرمك الله أن يدخلك في هذا السلك في أن تقول كلمة الحق، وأن تقف موقف الحق، وأما واقع الفعل فهذا ليس من أحد، الفعل، النصر، أن يتحقق النصر، هذا من عند الله عز وجل وليس من عند أحد، ويكرمك الله أن تدخل فيه.

الذي تحياه الأمة في هذه اللحظة هو لحظة المخاض، الأمة عاشت طويلاً لحظات من التجميع والتفكير، والله عز وجل رفع أقوامًا فقالوا كلمة الحق، علماء قالوا فشنقوا، وعلماء سجنوا، وعلماء طوردوا وهربوا، وهكذا، وجماعات قدمت الأرواح وقدمت الأنفس، ودعاة إلى الله صمدوا وحصل الخير العظيم، رويت الأرض بالمهج الطيبة الطاهرة وبالدماء الزكية الشريفة، فجاء وقت النبت، الآن الأمة تنبت، الأمة ترتفع والكفار ينزلون.

بعض الناس يتعجب! لأنه لا يفقه، يتعجب ويقول: كيف يقول هذا الرجل أن الأمة تنبت؟!! لأن الناس لا يعرفون اجتماع النصر مع البلاء، لا يعرفون.

والقادم والذي نحياه هو أنه لن يقع نصرٌ إلا ببلاء، وأنا ذكرت أكثر من مرة، ولكن أذكره كلامًا مني: هذا الحديث الذي يتحدث عن معركةٍ قادمة (**يهرب ثلث أهل الإسلام -الجيش- ويستشهد ثلثهم خيرة الشهداء، ويفتح على ثلث، فلا يفرح يومئذ بغنيمة**)، فهذا الحديث لا يبيّن معركةً واحدة، يبيّن سمة معارك أهل الإسلام في يومنا هذا ضد أعدائنا، سيموت من الأمة كثير، وسينافق الكثير، وسيفتح على القليل -هم الثلث، قلنا هذا كثير فهذا كثير- ولن يفرح يومئذ بغنيمة لكثرة ما سنصاب.

نحن الآن لا نتقدم -انتبهوا- الأمة تتقدم رغم أنوفنا، الأمة تتقدم وأعداؤنا لا يستطيعون القضاء علينا، انتهى.

أنتم تعرفون الآن -يعني المرء لا يستطيع أن يتكلم الكثير- ولكن هم الآن أيقنوا أن الانتهاء من المشروع الجهادي ومشروع الأمة لن يقع، خلاص، أن الانتهاء منهم لن يقع، أما الآن يتعاملون مع واقع، وهم نعم أذكياء في التعامل مع الأزمات، لكن انتظارًا لأقدار ما، ونحن نملك جنرال زمن، نحن الآن تعلمنا الحقيقة وأمتنا تعلمت، والزمن لم يعد عندها عامل ضعف، نعم نجلس الآن لا مشكلة، هم الآن جنرال زمن -عامل الزمن- ضدهم، لأن عوامل التعرية والهلكة في مجتمعاتهم اقتصاديًا وسياسيًا تتعمق؛ ولكن الزمن معنا، نحن نعيش في بلادنا، وأمتنا

خلاص، ونعم القتل والدمار هذا للأسف لا يبكيه إلا النساء.

إخواني، آسف أن أقول هذا؛ ولكن اقرأوا كتاب «صبغة الله الصمد»، وانظروا إلى غزوة أحد، ما أحببت أن أبينه في سورة «آل عمران» عن غزوة أحد أن المعالجة العظمى لقضية الموت، غزوة أحد في سورة «آل عمران» وقعت أكثر ما تكون معالجة لقضية الموت، قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨] الموت، القتل، القرآن يقول: لو لم تقوموا بهذا لجاءكم القتل، لم يقل: جلستم فجاءكم الموت، لا، قال تعالى: ﴿لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾، هم قتلوا في المعركة شهداء.

ومما قلته، وهو من أغرب ما يكون أن القتل وقع بخطأ، ومع ذلك الله يتخذ منكم شهداء!! وقع بخطأ، الشهادة وقعت بخطأ من الصحابة رضي الله عنهم، ومع ذلك لم يحرموا من وصف الشهادة!! واتخذ منهم شهداء لأنهم ماتوا في القتال، فلو لم يقع القتل بهذه الطريقة لوقع القتل في بيوتهم.

يعني هذا الذي ترونه، هذا لا يبكيه إلا الجهلة، سيموت منا، والناس ستتألم وو... إلخ، هذه القضية بالنسبة إلينا يجب أن تكون آخر ما نفكر فيه، وعلى القائد والإمام والزعيم والأمير، ألا يبحث هذه في حواراته مع الداخل، إنما هل تقدمنا أم لا؟ والذي أراه أننا نتقدم، ومرات تقدمنا ليس بفعلنا ولكن بحماقات غيرنا، يعني أنت عندما تقف أمام حائط، وترى الحائط يتشقق، علامة أنك تقدمت، بمجرد ثباتك أمام الحائط أنت انتصرت.

الذي يحدث: أن أنظمة العداء لنا تتصدع وتتشقق، ومرات يقول: نحن لا نتحرك!! انظر إلى غيرك، انظر إلى عدوك فهو يتشقق، انظر إلى عدوك فهو يتصدع، هذا انتصار، الله عز وجل قال عن نوح بأنه نصره، أهلك عدوه، فالذي يحدث الآن أن عدونا يهلك، يتصدع، وأعظم التصدع ما نراه من أن هناك ثمة أعداء لنا، لو بذلنا عشرات السنين في الدعوة إلى بيان ما هم عليه من الكفر؛ ربما لا نصل إلى ما وصلنا إليه الآن، من حماقتهم، من فعلهم الذي فعلوه، والله عز وجل كشفهم من فعلهم، مع أن هناك دعاة وبعض العلماء كشفوا سابقًا وحصل لهم الفضل في الكشف، لكن هذا الانتشار في كشف أعداءنا هذا انتصار لنا، نحن ننتصر.

ولذلك أيها الإخوة الأحبة: الملتقى هو الشام، الملتقى قريبًا هو الشام، الملتقى هو فلسطين، وهذا بالنسبة

إلينا ديانة ودنيا، وبالنسبة للآخرين ديانة ودنيا كذلك، وهذه المعركة الكبرى القادمة، ولكنه قريبًا، أكرر –وأرجو أن أكون قد وفقت لتسلسل المواضيع– أنه قريبًا سيلتقي جهاد أهل اليمن مع جهاد أهل الشام، وجهاد أهل ليبيا مع جهاد الشام، وأكرر: أنا لا أقول هذا من قبيل الأمل!! والله هذا من قبيل القراءة الواقعية لواقعنا ولما جرى في الأمة..

رجل نشأ البارحة فلم ير إلا جهادًا الشام، وهو يعرف كيف الجماعات تجاهد؟ وكيف الجماعات تعمل وو... إلخ.

هذا الذي ترونه هو التصدع الذي في الكفر، اقرأوا كيف كانوا وكيف صرنا، هذه اللحظات التي يعيشها الكفر قلقة، هم يعرفون أنها لحظات اهتزاز ليس فيها استقرار، أما نحن، فنحن في أمتنا، نحن نعيش في داخل الأمة، وأي فرجة من هزيمة عدونا وتصدعه؛ تجد الحمد لله البركات هلت والشباب أتوا وو... إلخ، والله يفتح لنا من العطاء بمقدار ما نعالجه، لأننا لو فتح لنا أكثر ربما لسقط من أيدينا وفلتت الحبال من أيدينا، فالله عز وجل يفتح لنا بمقدارنا.

هذا جزء من الحديث الذي أسأل الله عز وجل أن يبلغنا وإياكم مراده جل في علاه، ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٤١)﴾ [الحج: ٤١].

النصر قادم، فقط اصبروا، اصبروا قليلاً فقط، إياك ثم إياك أن تظن أن وقوفك هزيمة، أنت الآن واقف على الحق؛ هذا نصر، جماعتك الآن تقف فبمجرد أن مشروعها لم يفنَ؛ فهذا نصر، ملفك عند الكفار وما زال مفتوحًا؛ هذا نصر، الأرض التي تأخذها فيكون هناك أناس يدخلون في دين الله أفواجًا؛ هذا نصر، التحولات الكبرى في أذهان الأمة، من عدوها؟ بمن نبدأ؟ هذا نصر، تصدع الكفار وخلافهم، أمريكا المتصدعة وخصومها، والرئيس الأحمق؛ هذا نصر، أوروبا ليس عندها جواب في التعامل معك؛ هذا نصر، الأمراض التي تخرج من داخلنا خلال حركة الجهاد دون أن تقضي علينا هذه الأمراض، حدثت هزات في هذه المرحلة الجهادية في الخمس سنوات الأخيرة، حصلت هزات لحركة الأمة –دعني من التنظيمات الآن لا نتحدث عن جماعات– حصلت هزات لجهاد الأمة كان ينبغي أن يقضى عليها وأن تزول من الأرض وأن تنتهي، حصلت هذه الهزات

بخروج خراجات مرضية في جسدنا، لم تؤدي إلى موتنا ولا إلى نهايتنا؛ هذا نصر، أن تكون ضعيفًا إلى هذه الدرجة من الضعف ولا تستطيع كل أمم الكفر بما يملكون من أسلحة في القضاء عليك؛ هذا نصر.

ولا نتحدث فقط عن نصر العقيدة، نتحدث هنا عن نصر مادي، نصر العقيدة هذا لو أنك مت فأنت منتصر بثباتك على الإيمان، ولكن نتحدث عن نصر مادي، أنت لو تمعنت: الآن أمتنا تبني، تسير في اتجاه واحد، تضييق الأعداء على العمل السياسي ليُجبر أن يكون هناك عمل جهادي؛ هذا نصر، هم يضيقون ويضيقون الآن على الذي يعمل سياسيًا، لن يجدوا -في القريب العاجل- لن يجدوا إلا أن يكونوا في طريق الجهاد؛ هذا نصر وهذا توفيق إلهي.

ولكن احذر من الاستبداد، لأن الأمة ستأتي فاحذر الاستبداد، أنت فتنتك -أنت كشخص- النصر قادم، ولكن إياك أن تكون منعزلاً، إياك أن تكون أنت في الهامش بعيدًا تراقب فقط، هؤلاء النظارة -هؤلاء الذين يقفون ويتفرجون- هؤلاء لا قيمة لهم في التاريخ، حتى القرآن لا يذكر شأنهم، كما في قصة أصحاب السبت، لا يذكرون في التاريخ، لا يذكرون في القرآن، أين هم؟!

ولذلك الذي يراني أتكلم عن الشام؛ باعتبارها الملتقى قريبًا، الملتقى قريبًا إن شاء الله، بإذن الله، والأيام بيننا، وإذا أنا مت قبل أن أراه، فإذا جاء سيقولون: هذا الشيخ كان يقول حقًا، وإذا أدركت ذلك فسأقول لكم: لقد قلت لكم، سأقولها، وأنا لا أحب هذه الكلمة «أنا قلت لكم» لا أحبها، كثيرًا من يردد: أنا قلت لكم! أنا قلت لكم! ولكن يومها سأقول لكم: لقد قلت لكم، يحق لي يومها أن أقول، لكن لا تكونوا فرحين بالنصر!! لن يفرح يومئذٍ بغنيمة.

بارك الله فيكم وجزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

١٩- حديث خلافة على منهاج النبوة

ضمن الجلسة الرابعة، بتاريخ: (١٤٣٨/١١/١٢هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/٨/٤ م)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

نجيب عن بعض الأسئلة التي وجهت إلى الموقع، موقع «الفيس بوك».

السؤال الأول: يسأل أحد الإخوة: السلام عليكم، شيخنا، ما تفسيركم لحديث الخلافة على منهاج النبوة؟ هل تقولون: بأن المقصود بها عمر بن عبد العزيز؟ وأن النبوءة تحققت، أم هي قادمة إن شاء الله؟

الأخ يسأل عن حديث حذيفة رضي الله عنه، الذي هو عند أحمد وغيره وأغلب أهل العلم على تصحيحه، في قوله صلى الله عليه وسلم: (**تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوَّةٍ، ثُمَّ سَكَتَ**).

جواب الشيخ: لعل السائل يسأل بما في الحديث: «قال حَبيبٌ: فلمَّا قام عُمَرُ بنُ عبدِ العَزيزِ، وكان يَزيدُ بنُ النُّعمانِ بنِ بَشيرٍ في صَحابتِه -من أصحاب عمر-، فكَتَبتُ إليه بهذا الحديثِ أُذَكِّرُه إيَّاه، فقُلتُ له: إنِّي أرجو أنْ يكونَ أميرُ المؤمنينَ، يَعني عُمَرَ -هذا هي الخلافة في آخر الأمر-، بعدَ الْمُلكِ العاضِّ والجَبريَّةِ، فأُدخِلَ كِتابي على عُمَرَ بنِ عبدِ العَزيزِ، فسُرَّ به وأعجَبَه»

والحقيقة أنَّ هذا خطأ في التفسير، وهو أن يكون عمر بن عبد العزيز رحمه الله هو المقصود بالخلافة الراشدة، والسبب: أن الفترة الزمنية بين عمر بن عبد العزيز وبين الخلافة الراشدة لم يكن فيها إلا مُلكًا عاضًا، ولم يكن فيها مُلكًا جبريًا، الملك الجبري حدث بعد ذلك، فلذلك الحديث يذكر أمرين بين الخلافة الراشدة الثانية، وبين الخلافة الراشدة الأولى، وهو الملك العاض أولًا، ثم الملك الجبري ثانيًا؛ ولم يكن بين الخلافة الأولى وبين عمر بن عبد العزيز هذا الأمر؛ فدل على أنه ليس هو المقصود به، وإنما المقصود به خلافة راشدة قادمة بعد الملك

العاض أولًا، ثم الملك الجبري ثانيًا، هذا الأمر الأول..

الأمر الثاني: أن الفترة الزمنية التي مكثها عمر بن عبد العزيز هي فترة قصيرة جدًا، يعني لا تصل إلى ثلاث سنوات؛ ولذلك البشرى لا تكون لمثل هذه المدة الزمنية القصيرة، وإنما تكون لمدة قادمة، هذا الشيء الثاني.

الأمر المهم في هذا الموضوع وهو أن بعض الناس يظنون أن الخلافة الراشدة القادمة مربوطة بالمهدي محمد بن عبد الله، والأحاديث عن المهدي أحاديث صحيحة وإن اجتنبها صاحبا الصحيحين، صحيح أنها لم تبلغ درجة التواتر كما زعم بعضهم ولكنها أحاديث صحيحة.

وليست هي كما قال ابن خلدون في مقدمته: بأن المهدي هو عيسى تصويبًا منه لحديث: «لا مهدي إلا عيسى».. وهذا حديث لا يصح، وإن صح فالمقصود به المهدي هدايةً تامة على درجة النبوة، وإن كان الحديث لا يصح.

فالمقصود من هذا: بأن الخلافة الراشدة ليست مربوطة بالمهدي، وأنا أعتقد بأن المهدي يأتي والخلافة قد قامت، وهو يأتي إليها وقد استقر أمرها، فإنه يأتي -أي المهدي- عند اختلاف الأمة على أميرين، ودل على أن هناك إمرة إسلامية قبل أن يكون هناك المهدي، هذا الذي أنا أجيب به.

وذلك بأن الخلافة الراشدة قادمة، وفيها بشارات كثيرة، والأمور بإذن الله عز وجل تمشي في هذا الاتجاه، في عودة المسلمين وعودة أمرهم إلى ما كان عليه.

ويمكن ربط هذا الأمر بما ذكره الله عز وجل من علوين لليهود -وهذا شرحه يطول، وأرجو من الإخوة أن يرجعوا إلى تفسير سورة «الإسراء» في هذا الباب، عسى أن تزيدهم شيئًا من دراسة لوقتهم هذا ولما سيأتي- ولذلك أنا أعتقد أن هذا العلو هو العلو الأول، وأن العلو الثاني هو علو اليهود زمن الدجال، وهذا العلو له سماته وتدل عليه الآيات، والله تعالى أعلم.

بارك الله فيكم وجزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

٢٠- تفصيل قضية العذر بالجهل

ضمن الجلسة الرابعة، بتاريخ: (١٤٣٨/١١/١٢هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/٨/٤ م)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل الإخوة: هل مسألة العذر بالجهل في أصول الدين من المسائل الخلافية؟ لو تفيدونا في هذه المسألة بشيءٍ من التفصيل بارك الله بكم.

جواب الشيخ: نحن في الحقيقة في هذه المسألة أيها الإخوة الأحبة أمام أناسٍ لا يتقون الله، وأمام أناسٍ يتعالمون، وأمام أناسٍ غلب على ظنهم ووهمهم أنهم يمكن لهم أن يكتشفوا في التوحيد ما لم يكتشفه الأوائل، ولذلك يخوضون في هذا الباب وهذا الأمر خوضًا غير سديد.

لنبدأ بمقدمات معروفة كان العلماء يذكرونها في كل مسألةٍ تحدث، ويخرج المبتدع بهذه المسألة كمسألة فاصلة بين الموحد وبين المشرك.

فمثلًا: لما ظهرت مسألة خلق القرآن، زعم المعتزلة: بأنها مسألةٌ من أصول الدين، ويجب أن يمتحن عليها الناس، وجعلوا مناط الحكم في زمانهم بين المسلم والمشرك هو القول بخلق القرآن، وامتحنوا الناس على هذا، والفتنة مشهورة.

فماذا كان رد علمائنا عليهم؟ هذه المسألة ذكرها الله عز وجل في كتابه، ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنته، تذاكرها الصحابة رضي الله عنهم، فإن ذكروها فنحن أولى بالاتباع والمذاكرة فيها، وإن لم يذكروها فنحن أولى بالسكوت.

والآن نحن نسأل: هذه كتب التوحيد التي ألفها العلماء من جهة الرواية والدراية، أي كتب التوحيد التي ألفت في السنة، التي سميت في وقت من الأوقات بـ «السنة» ردًا على أهل البدع، كـ «السنة» لعبد الله ابن الإمام أحمد، وكتاب «التوحيد» لمحمد بن خزيمة، وكتاب اللالكائي، وكتاب «الشريعة» للآجري، وغيرها من كتب أهل السنة، كتب الرواية، والكتب التي تلتها بعد ذلك مع ما دخل فيها مما دخل، ثم ما كتبه ابن تيمية

رحمه الله.

في الحقيقة لم نرى هذه المسألة كأصلٍ مبحوثٍ فيه في كلام أهل العلم، والذين يجمعون كلام أهل العلم في موضوع العذر بالجهل، يجمعونه من فتات كلامهم هنا وهنا، ولكنه ليس هو بالأمر البارز الذي تُعنوَن حوله الكتب، وتنشأ عليه الخلافات بين الناس، أو أنها من أَخية التوحيد والدين الذي يُفصل فيها بين المسلم والمشرك، بل نرى عند ابن تيمية أنه يتكلم كلامًا في هذه المسألة إذا جاء إليها، كما في رده على البكري كما في كتاب «الاستغاثة الصغرى» الموجود، وكما في كلامه على الرافضة، وهكذا نجد هذا الكلام مبثوثًا في كلامه رحمه الله، نجد أنها مسألة تمر مرًا سريعًا، فإنه يعلق المسألة على إقامة الحجة في تكفير أقوامٍ ممن انتسبوا للإسلام وأتوا بأصل التوحيد، نراه يمر عليها بمثل هذا المرور الذي هو موجود ويلاحظه كل طالب علم في هذه المسألة، لكن لم يوجد كتابٌ واحد ولا عالمٌ أفرد هذه المسألة بالنظر باعتبارها مسألة مهمة كما يريد بعضهم اليوم، ولما رأى المتأخرون هذه الطريقة من كلام أهل العلم فيها، فكما يفعل أهل البدع جردوا السلف من أن نرجع إليهم في مباحثها؛ ولذلك قال قائلهم: كلام السلف في هذه المسألة غير بيّنٍ ولا واضح؛ فلنضع كلامهم بعيدًا عنا ونبدأ بالمسألة من أصولها، هكذا أرادوا، وفي إرادتهم لهذا معروف وهو أنها مسألة لم تبحث بحثًا قاطعًا.

وفي كلامي هذا ترى أن هذه المسألة لم تبحث بحثًا قاطعًا كالمسائل الأخرى التي يخوض فيها الناس، وأنتم تعلمون أن هذه المسألة ليست جديدة في دين الناس حتى تنشأ، البدع الموجودة في عصور الأقدمين، موجودة، سواءً البدع التعبدية، أو البدع العقائدية العلمية، فهي موجودة بين الناس، كالالتجاء للقبور، والاستغاثة بها، والقول على الله بالباطل من المعتزلة والجهمية والقدرية، موجود.

ونجد كلامًا مبثوثًا في نقاش هذه المسألة، حتى لما يناقش ابن تيمية رحمه الله هذه المسألة مرورًا عليها، فإنه يأتي إلى نصوص، كقول الشافعي في حفص الفرد: بأنه كفر وارتد، ثم يفصل ابن تيمية: بأنه لم يرتد، وإنما حكم أن فعله ردة، ولو كان مرتدًا لسعى به إلى الخلفاء من أجل أن يقيموا عليه حد الردة، فتراه يمر على قصص وتراه يمر على أحداث فيها احتمالات، مما يدل على أنها موجودة، وأنها ليست من الأصل الذي بها يفارق المسلم الكافر إذا اختلف فيها، موجودة؟ نعم موجودة، بل لو نظرنا إلى ما يتم به إقامة الحجة من المسائل المبحوثة بين أهل السنة والمعتزلة، فالمعتزلة يقيمون الحجج بالقرآن، وأهل السنة يقيمونها بالوحي، ومسألة التحسين والتقبيح

موجودة في كلام المعتزلة، وموجودة عند أهل السنة، ولها علاقة في قضية العذر بالجهل، فلماذا لم تبحث هذا البحث الذي يريده البعض، ويريد أن يصل به إلى أنه الفارق بين المسلم والكافر؟؟

ولم أرَ هذا المبحث قد ظهر إلا في مشايخ الدعوة النجدية، ولم تكن في الطور الأول، أي لم تكن في كلام ابن عبد الوهاب ظاهرة وبينة، كان يتكلم عنها هكذا وهكذا، ثم لما بدأ الخلاف بدؤوا يؤلفون فيها، وبعض أئمة الدعوة النجدية شط فيها شططًا كبيرًا، وأنتم تعرفون أن هناك ثمة كتب تقترب إلى أن الحجة الرسالية في هذا الموضوع تقوم بالعقل، وأن الرجل مشرك حتى لو لم تقام عليه الحجة الرسالية بالوحي.

وبما أن الأخ قد طلب التوسع، دعوني أخبركم شيء:

الدعوة النجدية دعوةٌ طيبة مباركة، وهذا مما لا شك فيه، لكنها من جهة العلم لا يوجد فيها الشيء الجديد، من جهة علمية، هل هناك شيء جديد؟ رأينا كل كلامهم قد استند على فهومٍ لمن قبلهم، وخاصة شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهم الله، خاصةً في هذه المسائل الرئيسية، ولذلك في مسائل التوحيد والإيمان ومسائل الأحكام ومسائل الأسماء هم في هذا الباب عالةٌ على كلام ابن تيمية، أي لم نرَ عندهم إنتاجًا خاصًا بهم، وعندما يحتجون؛ فإنهم يحتجون بكلام شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم، ولذلك الإنتاج العلمي في كلام أئمة الدعوة النجدية في هذا الباب هو محاولة لتفسير، صح أو لم يصح، أصابوا أم أخطأوا هذا موضوعٌ آخر، لكن يجب أن نفهم أن الإنتاج العلمي لأئمة الدعوة النجدية رحمهم الله في هذا الباب هو محاولة لتفسير كلام ابن تيمية رحمه الله، وهذا نراه في كتبهم.

يعني: لو يبحث الباحث بكتابةٍ وقراءة -والكلام غير الكتابة، فالكتابة أكثر لأنها تذكر النص وتأتي به وتستشهد به، والكلام لا يصلح فيه إلا إذا كان على غير هذه الجهة التي نحن فيها-؛ فنرى أن هذه المسألة تبحث، أنهم زعموا أن ابن تيمية يقول كذا، ولكن ليس هذا قوله بل هذا قوله، هكذا يدخلون من هذا الباب من خلال الاستناد لما قاله شيخ الإسلام رحمه الله، ويلتقطون كلمات، مثلا: أنه سمى من فعل ذلك فهو مشرك، ثم يأتي الآخر ويقول: ولكن لا يشرك إلا أن تقام الحجة، ويأتي إلى نصٍ آخر له ويقول: وهؤلاء أمرهم إلى الله... وهكذا، نجد هذه النصوص عند الحديث عمَّن يأتي بمثل هذا الشرك، نرى كلام شيخ الإسلام ابن تيمية يكون قد مشى على وفق ما في ذهنه في هذا المبحث الذي هو فيه.

فلذلك هناك من زعم أن ابن تيمية لم يكفر أحدًا من الأعيان!! فردوا عليه وقالوا: لا، كفر ابن تيمية بعض الأعيان، وذكروا أشخاص كتكفير ابن عربي؛ وبعضهم يستند بأن ابن تيمية كفر عباد القبور، ويجد نصوصًا أخرى أنه يرى الإعذار في هذا الباب.

فإذا كانت المسألة هنا -ولا أريد الآن أن أقرر ما الأمر عندي، وأنتم تعرفون قولي في هذه المسألة، وإن شاء الله أذكره وأعيده في هذه العُجالة- ولكن هذا على ماذا يدل؟ نقول لهم كما قال الأئمة، كما قال عبد العزيز الكناني في كتابه «الحَيدة»: هذه المسألة عرفها الصحابة؟! أتكلموا فيها؟!

هذه المسألة لو تكلم بها الأوائل كلامًا قاطعًا لا يحتمل التأويل لعلمنا أنها من التوحيد، أو رأينا إجماعًا حولها، حتى إذا اختلفوا صار في الأمر سعةً، إذا كان أهل السنة قد اختلفوا فيها فيكون في الأمر سعة، فإذنٍ لم يبحثوا فيها أصلًا! أو بحثوا فيها على الجهة التي ذكرناها، علمنا أنها ليست أصلًا يفارق فيها المسلم الكافر إن خالف فيها.

إذا كانت المسألة هكذا، فلماذا يأتي بعض المعاصرين من أجل أن يكفر من خالفه في هذه المسألة؟!

ولو رجعنا إلى كلام الأوائل لوجدنا أن الأكثر على خلاف ما يقولون، ومن أئمة التحقيق في هذه المسألة، يعني الشيخ عبد الرحمن المعلمي في كتابه عن العبادة والإله يعذر بالنص، ابن تيمية يعذر، محمود شكري الألوسي يعذر، وابن تيمية يرى لهم أعذارًا، فيأتي هؤلاء ليقولوا: لا يعذرون!! طيب، لكم ذلك لا مشكلة، المسألة علمية، لكن أن يكفروا المخالف فيها هذا هو الضلال.

وكل مسألةٍ تميز بها شخص على معنى الإبداع والابتداع فيها، دون أن يكون له سلف؛ فدل هذا على أن مسيرته فيها باطلة، جيد أن تبحث هذه المسألة، لا بأس، مسألةٌ علمية، ولكن أن تبحث، فيكون منتصف الطريق قد أدى إلى نهايته، ومنتصف الطريق أنه بحث فيها وتبنى فيها قولًا، ثم انتهى إلى أن المخالف له يكفر في هذه المسألة؛ فدل على أن منتصف الطريق الذي سلكه لهذه النتيجة ضلال وغلط.

والغريب أن الذي يرفع شعار هذه المسألة -في تعقبي أنا- وجدت أنه ليس من أهل هذا الفن -أي هذه المسائل في مسائل التوحيد والإيمان ومسائل الأسماء والأحكام- أنه ليس من أهل هذا الشأن، ولا أريد الآن أن

أذكر أسماء، ولكن قد يكون له مشاركة في الفقه أو في الأصول، والناس يذكرون عن بعضهم المشاركة الجيدة لهؤلاء، لكن هذه المسألة أتى بما لم يأت به الأوائل، وهذا دل على الضلال، وهو قد أتى على هذه المسائل العلمية في مسائل التوحيد والإيمان ومسائل الأسماء والأحكام في هذه الباب، على وجهٍ من الباطل والسرعة، وقفز هذه القفزات السريعة حيث كان مرجئًا مغرقًا في الإرجاء في مسألة الإنزال، وإسلام الكفرة والمشركين، فرأيناه قافزًا إلى تكفير المسلمين وعلماء المسلمين، وكفر كل من خالفه.

ونحن رأينا من المعاصرين من له بحث في المسألة وله شأن فيها، ومع ذلك يستهول القول فيها، ويستعظم من نظر فيها، ويقول لك: هذه المسألة كبيرة، وأنا لا أعتقد أنها كذلك، لو كانت كبيرة لبحثها الأوائل، ولكن لأن بعض أئمة الدعوة النجدية مالوا إلى الشدة فيها؛ فلم يستطع هؤلاء أن يخرجوا من هذا الإطار، وإلا لو نظرنا لما قيل –أنا لماذا ذكرت أن الدعوة النجدية في إنتاجها العلمي هو تفسير لما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم؟ لأنه يدل على أن هذه المسألة ينبغي أن تعزل حين يتكلمون، تعزل، ولا يؤخذ بكلام أئمة الدعوة النجدية لأنهم مفسرون، وبعضهم يشط في التفسير بناءً على أن ابن تيمية يكفر القائلين، وبعضهم يقول لا يكفر، وبعضهم يحاول الجمع بين النصوص ويحاول التهويل في المسألة على وفق ما رأى من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وهكذا.

ولذلك هؤلاء المشايخ المعاصرون الذين يهولون هذه المسألة ويرونها عظيمة وكذا، مبعثها هو أنهم نظروا إلى كلام أئمة الدعوة النجدية؛ فرأوا الخلاف فيها؛ فخافوا من الخوض فيها، ولو عزلنا هذه التفسيرات في هذه الفترة لأئمة الدعوة النجدية رحمهم الله، ورجعنا إلى ما قبل ذلك، أو من لم يأت بمثل هذه المسألة، لما وجدنا هذا التهويل، لوجدنا أنها مسألة من مسائل العلم يمكن أن يقول فيها قائل، بل لاتفقنا على صيغة ما، أما أن نعزل كلام أهل العلم، أو أن نأتي إلى من فسر، فيقع الخلاف فينا؛ لأن التفسير اختلف الناس حوله، فنتبنى التفسير دون أن نرجع إلى الأصل، هذا موقفٌ ليس علميًا.

والذي نرى في هذه المسألة الموجودة على الواقع: أن الناس يضخمونه ويعظمونه، وتبدأ الجماعات بالتفرق والاقتتال والقتل لشيء لم يقتتل عليه الأوائل العلماء، وأنا ذكرت وأؤكد أن المسألة موجودة في أذهان أهل العلم لأنها تتعلق بإقامة حكم الردة، وهكذا.

والمسألة الأخرى التي أراها: بأن سبب الاختلاف في هذه المسألة من أئمة الدعوة النجدية هو قضية القتال، ارتدت مسألة القتال على مسألة التكفير، هم توسعوا في قضية القتال، يعني لو كان أئمة الدعوة النجدية على وفق مسيرةٍ واحدة؛ فابن عبد الوهاب أرسل رسالة –موجودة في الدرر السنية– للوالي العثماني: بأنهم تحت إمرة العثمانيين، وابن عبد الوهاب يعرف من هم العثمانيون، فقد تجول في العراق وتجول في الحرمين، ويعرف من هم، مع ذلك في بداية الأمر كان يرى الولاية لهم، ويرى أنه لم يخرج عنهم، وإنما هو تحت تابعيتهم، بعد ذلك صار هناك البعد السياسي والتوسع، فلذلك أحيلت هذه المسألة في النظر إلى الآخرين، وبدأ بعضهم يتوسع وبعضهم يضيق وهكذا، فالبعد السياسي هو الذي أظهر هذه المسألة بالنسبة للدعوة النجدية، هذا ما أقوله فيها من جهة النظر إليها من الجهة التاريخية.

وأنا أنصح كل طالب علم –بعد هذا السياق– أنه إذا كان يبحث عن الغرائب، فهناك غرائب كثيرة يمكن أن تأتي بها، وهذه من الغرائب التي بها حصل الافتراء والاقتتال، فيمكن كل يوم يخرج لنا شيخ ويتبنى مسألة وتجد له أتباعًا، ونحن في عصر –للأسف– الشيخ ليس فقط الذي ترونه في التلفاز، عندنا مشايخ يغالون، ويكون لهم الأتباع، ويقاتلون الناس عليها، ويزعمون أنهم على التوحيد، ويكفرون الأمة... إلى غير ذلك، وكل ضلالٍ سيفرز ضلالًا آخر.

قد يقول قائل: أليس تكفير الملحدين ضرورة من ضروريات الدين، كما ألف أنور شاه الكشميري كتابًا بهذا العنوان: أن تكفير الملحدين ضرورة من ضروريات الدين، فنقول: نعم، تكفير الملحدين الذين كفروا بالله، وسبوا الله، وخرجوا من الدين، لكن نحن نتكلم عمن يعظم الدين، ويعظم الشريعة، ويريد أن يقيم الشريعة، ويريد أن يرضي الله؛ فيقع منه بعض الزلل بسبب جهله لا معاندته، لا نتحدث عن المعاند، إنما نتحدث عن الذي يجهل.

إذا كان أنور شاه الكشميري الذي ألف هذا الكتاب في الرد على الذين زعموا أن الرسول صلى الله عليه وسلم ليس هو خاتم الأنبياء والمرسلين؛ فهؤلاء يكفرون هذا الذي ألف هذا الكتاب، فهو يقول: أن تكفير الملحدين ضرورة من ضرورات الدين، وهم يقولون: أنه كافر لأنه كذا وكذا... على قواعدهم يكفرون أمثاله، وربما لم يذكروا اسمه لعدم معرفتهم به، لكن يكفرون أمثاله، ونحن رأينا من كفر الماتريدية جهلًا وضلالًا في هذا الحكم، وأنور شاه الكشميري هو من الماتريدية.. وهكذا.

فنحن أمام بدع كثيرة، يعصمك منها القاعدة: «إياك أن تقل شيئًا لم يقل به السلف» وخاصةً في هذا الباب العظيم الذي لا يجوز فيه الجهل، يعني التكفير هو شق التوحيد أن تسلم المسلم وأن تكفر الكافر، هذا مبناه على الولاء والبراء، وهو أصل الدين، فهل ترى أن السلف قد جهلوه، حتى جاء فلان وعلان فأظهره وأبانه، وكشف عن مخبؤه، ولم يعرفه الأوائل؟! سبحانك هذا بهتانٌ عظيم.

فلذلك أيها الإخوة الأحبة هذا هو تفصيل هذه المسألة، وعلى طلبة العلم أن يتقوا الله عز وجل.

وإذا كان بعض المعاصرين لهول ما سمعوا من كلام أئمة الدعوة النجدية؛ تراهم يتخوفون يقولون: المسألة عظيمة والمسألة اختلف فيها الناس وو... إلخ.

فهل إذا كانت هي أصل من أصول التوحيد الذي به يكفر المرء ويسلم المرء ويدخل في الدين بمعرفة نقطةٍ فيها ومسألةٍ فيها؛ فهل يجوز للناس أن يقولوا: اختلف الناس فيها، وهي مسألةٌ عظيمة من الخلاف؟؟! فهذا ما نقرره.

وأما ما هو القول الصواب في المسألة؟

عندي: أنه إذا أتى الرجل بأصل الدين –أصل الدين هو كلمة التوحيد «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، ألا يعبد إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فلا يرى شريعةً إلا ما أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه لا يعبد إلا الله، وجهل المرء ببعض معاني العبادة، يقع هذا، ولا أريد أدلل الآن، ليس هذا وقت الجواب من أجل بيان أن بعض الناس يجهل بعض الأمور، فقد يخاطب بكلمة العبادة فلا يفهم أن في دينه هذا المعنى من العبادة، وهو يريد أن يطيع الله، فهو يجهل أن هذا من العبادة لله، يقع هذا.

فإذا أتى المرء بأصل الدين وهي كلمة «لا إله إلا الله» أنا لا أعبد إلا الله، وأني لا أتبع ولا آخذ شريعة إلا ما أتى به الرسول صلى الله عليه وسلم؛ فإذا أتى بهذا الأصل فهو مسلم، وما سوى ذلك يمكن أن يدخل فيه الجهل واقعًا وقدرًا، يمكن أن يدخل فيه الجهل، وأما الجهل كم يكون عامًا أو كبيرًا؟؟ فهذا أمرٌ نسبي بحسب أحوال الناس، حتى يأتي زمان لا يدرون ما الصلاة وما الزكاة، فنسأل الله العفو والعافية.

جزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

٢١- هل النظام التركي يتجه نحو الأسلمة؟

ضمن الجلسة الرابعة، بتاريخ: (**١٤٣٨/١١/١٢هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/٨/٤ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل أخ: هل يصح أن نقول: إن النظام التركي يتجه تدريجيًا نحو الأسلمة، أي تشريعات إسلامية، وولاء للمسلمين، وتمايز عن النظام الدولي؟؟

جواب الشيخ: السؤال فيه ثلاث نقاط، وأنا أميز، لأن كل نقطة لها جوابٌ خاصٌ بها.

يقول السؤال: هل يصح القول بأن النظام التركي يتجه تدريجيًا نحو الأسلمة؟؟ هذا سؤال.. أسلمة التشريعات.

السؤال الثاني: هل يتجه تدريجيًا نحو الولاء للمسلمين؟

السؤال الثالث: هل يتجه تدريجيًا للتمايز عن النظام الدولي؟

أما السؤال الأول: هل النظام التركي اليوم الذي يحكم تركيا من خلال حزب أردوغان، هل يتجه إلى التشريع الإسلامي؟؟ الجواب: لا، أبدًا، وليس هذا دعواهم -انتبهوا- لم يدعِ أردوغان ولا حزبه بأنهم يتجهون إلى تطبيق الإسلام تدريجيًا، حتى بالمفهوم التدريجي الذي تطرحه الأحزاب الإسلامية السياسية، ولم يتبنَّ الحزب نفسه الإسلام شريعةً أصلًا، ويجهل الكثير أن أكثر من ثلث الحزب هم علمانيون، ولو أعلن أنه يتجه إلى الأسلمة لتركوه، لأنهم يؤمنون بعلمانية الدولة ولا يؤمنون بإسلامية الدولة، وأنا أتحدى أن يأتي أحدهم بكلمة أو بفعل أن تركيا في موضوع التشريع -تشريع القوانين- أنها تتجه إلى تغييرها إلى إسلامية، وأردوغان أكثر من مرة لا يزعم هذا، يقول: نحن دولة علمانية، بمعنى أنها وسطٌ بين كل الأديان، وتترك الناس على ما هم فيه، ولا يوجد فيها أي محاولة لتغيير التشريعات العلمانية الحاكمة في تركيا إلى إسلامية.

وهذا أمر يجب أن نفرغ منه، ولا يوجد أحد من حزب أردوغان يزعم أننا نريد أن نجعل الدولة مسلمة، لم يصرح أحد بهذا التصريح.

يأتي رجل آخر من الخارج لأنه يحب ما فعلته تركيا من قضايا تخص المسلمين، في أنها أولًا: أوقفت سيطرة الأحزاب العلمانية الصلبة الشمولية، كحزب الشعب التركي اليساري، والأحزاب القومية التركية التي كانت تعادي الإسلام، ومشت على خطى أتاتورك في عداء الإسلام وعداء المظاهر الإسلامية، حتى الأذان بالعربية، وحتى اللباس الإسلامي، وحتى لباس المرأة، فكانت تمنع المرأة أن تدخل الجامعة، وأن تذهب إلى المستشفى، وأن تمارس عملها بلباس إسلامي، فكانت هذه الأحزاب القذرة القومية واليسارية واليمينة الأتاتوركية في تركيا مصيبةً على المسلمين؛ فجاء هذا الحزب وفتح المجال للمسلمين بأن يعيدوا أنفسهم في ممارسة أعمالهم الدينية الإسلامية، بعيدًا عن تدخل الدولة في هذا الشأن، وهذا أمر بلا شك أنه قفزة رائعة من الوضع السابق المعادي للدين في علمانيةٍ قذرة صلبة تعادي الدين، وأشبه ما تكون بالنظم الشمولية اليسارية، كما في الصين إلى الآن، وكما في روسيا زمن الاتحاد السوفيتي، وكما في دول شرق أوروبا، وكما في بعض الدول العربية كاليمن الجنوبي مثلًا.

فهذه الأنظمة كانت تعادي الدين، تعادي من يصلي، وبعضها ما زال، تعادي المظاهر الدينية، فأن يأتي هذا الحزب ليترك للناس حرية التعبد، كانت هذه قفزة رائعة، الناس شعروا بالفرق الكبير بين ما كانوا عليه وإلى ما صاروا عليه؛ فمدحوا أردوغان، ونحن نمدح أردوغان ونمدح حزبه في هذا الباب، لأنه هناك فرق بين أن يأتي أحد يعاديك في مسجدك، وبين أحد يقول لك: صل في مسجدك، صُم، البس ما تريد من الألبسة، دع النساء المسلمات يلبسن اللباس الشرعي، هذه قفزة كبيرة.

فالناس فرحوا بها، ولا شك أن الناس يفرحون بها، والمؤمن يفرح بها ويشكر لفاعلها فعله وعمله؛ لأنها قفزة كبيرة، ولا نقول كما يقول بعض الجهلة: بأن هذه السعة الدينية التي فتحها هذا الحزب ومن قبله ممن مهد له – أربكان رحمه الله مهد لهذه المرحلة، وكان أردوغان أصلًا من جماعة نجم الدين أربكان، ولكن اختلفوا، وما زال حزب أربكان يتهم أردوغان بالاتهامات المشهورة المعروفة في الصحافة– فنقول: نحن نمدحه لهذا، لكن الحديث عن الدولة والنظام، هل هو نظام مسلم؟ هل تبنى الإسلام؟ هذه النقطة في التشريعات.

وإني أكرر، ولا نقول كما يقول البعض: بأن هذا إذن أوروبي ليستوعب المسلمين، نحن لا نقول هذا، يعني البعض يقول: إن تجربة تركيا هي تجربة تآمرية من أجل استيعاب المسلمين والتآمر عليهم، وهذه التفسيرات –في الحقيقة– لا تنشأ في عقل رجلٍ سوي سليم.

الرجل هذا عقله، وهذا اختياره، وهذا طريقه، وهو يعادي من يعادي ويوالي من يوالي، الآن انتهينا من موضوع التشريعات.

النقطة الثانية: وهي الولاء للمسلمين، فالذي نراه: أن أردوغان كشخصية -وحزبه كذلك، ومن معه، ومن اختاره من رؤساء الوزراء ووزراء الخارجية وو.. إلخ- بلا شك أنهم يُظهروا تعاطفًا مع قضايا المسلمين أكثر من المسلمين حين يتعاطفون مع أنفسهم في قضاياهم، يعني الناس يرون التعاطف الشديد، نحن لم نر منه جيوشًا لتحرير فلسطين، هو لم يزعم هذا، لكن نحن نرى أنه حين تكون مصيبة على المسلمين في فلسطين يتعاطف معهم، يضغط بمقدوره السياسي وبما هو فيه من ارتباطات دولية -كونه من حزب الناتو- وكونه على علاقة جيدة أصلاً مع الكيان اليهودي الغاصب، أصلًا بينهم اتفاقات سياسية وعسكرية وأمنية عالية جدًا، لكنه خير من بعض حكام «بلاد العرب أوطاني»، ففي هذا يُظهر الناس المحبة له.

وكذلك لما يحدث فتن في بعض بلاد المسلمين يتقدم بالنجدة بما يستطيع، مثلًا: يرسل المساعدات، يستوعب المهاجرين، ونحن رأينا حين ضُرب المسلمون في مصر، كثيرٌ من المسلمين هربوا إلى تركيا فاستقبلتهم، وهذا موقفٌ مشرف، ونرى استقبال تركيا للمهاجرين السوريين، موقف مشرف.

فهذا جانب يحمد له ولا شك، وأنا عندي -وقد أخطئ- أن هذا ناشئ عن العاطفة الدينية -كما يفهمها هو- نحو قضايا المسلمين، ونحن نرى هذا التعاطف، ولا نظن أنه يمثل، فلما هو يتكلم عن بيريز، وسب على دولة إسرائيل وكشف عنها بأنها دولة قاتلة وقاتلة للأطفال؛ هذا لا يصدر من تمثيل، ولا أعتقد أنه يصدر من تمثيل.

لذلك أنا أعتقد بأن تعاطفه مع قضايا المسلمين أفضل بكثير من غيره، والناس لهم قلوب ويشعرون بهذا ويحسون به.

ولكن النقطة الأولى في التشريعات صفر لا يوجد أي تشريع أراده حزب أردوغان في تركيا أن يكون إسلاميًا، هذا لم يُبحث، لا في قضايا الاقتصاد، ولا في قضايا السياسة، ولا العلاقات الخارجية، ولا غير ذلك.

أما في قضايا التعاطف مع المسلمين فهو يتعاطف، أما أن يحارب عن المسلمين فهذا ليس من مشروعه بما

هو عليه.

وهناك نقطة يجب أن أذكرها، أنا قلت: توجد العاطفة الدينية، توجد عند بعض الحكام وإن لم يكونوا مسلمين في حكمهم، مثلاً: يذكرون عن عبد السلام عارف العاطفة الدينية، وذكرت هذا في نقاشي لكتاب تقي الدين الهلالي: أن عبد السلام عارف هو من الإخوة السلفيين، يسميه، وبعض الكبار الذين عندهم بعض الشطط في الأحكام يسلمونه ويرونه مسلمًا، فهو عنده عاطفة دينية، وانتصر لسيد قطب ومنع إعدامه، فتوجد هذه العاطفة.

لكن كذلك توجد علة أخرى غير العاطفة الدينية عند أردوغان، وهي قضية النظرة العثمانية، هو يريد أن يحيي العثمانية، والعثمانية غير التركية، فأنتم لو ترجعون لثقافة العثمانيين في محاولتهم لإرضاء المسلمين الذين كانوا تحت راية الدولة العثمانية، تجدون أنهم كانوا يسمون أنفسهم بالعثمانيين، ويميزون بين العثماني والتركي، ويرون أن التركية هي قومية قذرة، كما أن القومية العربية قذرة، فكانوا يتكلمون عن العثمانية باعتبارها هوية إسلامية يشترك فيها التركي مع العربي، هذا فرق. فالمسلمين الذين كانوا تحت سلطان الدولة العثمانية كانوا يعتبرون العثمانية هوية إسلامية لا علاقة لها بالترك، فالترك قومية، ورفع شأنها كان من أسباب حرب بعض الذين غرر بهم ضد الدولة العثمانية، مثلًا: كان محمد رشيد رضا ضد التتريك، وسبب ذلك ممارسة الأتراك لقنصليتهم وقوميتهم ضد العرب، فكانوا يحاربون التركية باعتبارها قومية شعوبية ضد العرب، ولكن الهوية العثمانية كانت هوية إسلامية.

فأنا أعتقد بأن أردوغان فيه نظرة لإحياء العثمانية، وأنه ينظر لنفسه كسلطان بصيغةً ما؛ ولا أظن أن أردوغان من الجهل أن يحيي العثمانية بصيغتها القديمة، هو يعلم أن هذا الأمر غير مقدور، ولا أظن أنه يفكر هذا التفكير؛ لكنه يريد أن يحيي العثمانية باعتبارها صفة إسلامية جامعة للمسلمين، وأقرب إلى الخضوع تحت الراية التركية –يعني إلى الدولة التركية– ولكن بصيغة ليست سياسية تامة على طريقة الخلافة، ولكن فيها شيء من التعاطف، فيها شيء من السيطرة السياسية، فيها شيء من القيادة للعالم الإسلامي، وأظن أن بعض التمثيليات التي يتكلم عنها الناس، أن مبعثها هذا الأمر، وهو إعادة إحياء العثمانية بسيطرة تركية.

ونحن نحب أن تعود العثمانية بسيطرة إسلامية، سواء كان من الأتراك أو غيرهم، على أساس أن العثمانية

هوية إسلامية، باعتبارها خلافة، وليس باعتبار العرق التركي.

ولكن لا أظنه أنه يفكر الآن هذا التفكير، لأنه يرى بأن الأتراك هم أولى الناس بإعادة اللحمة المقاربة لتجمع إسلامي ما تحت الراية التركية، هذه لعلها علة من علل حركة أردوغان في العالم الإسلامي؛ وهذا الشيء باعتقادي ليس مذمومًا، بل نحن نحب أن يتم التنافس بين الحكام إسلاميًا؛ لإحياء الخلافة، كما كان التنافس سابقًا بين الملوك لما سقطت الدولة العثمانية، فكان هناك محاولات، كل ملك يريد أن يعلن هو الملك الإسلامي الذي ينضوي تحت رايته المسلمون جميعًا، كان هذا في دول معروفة ومشهورة، وملوك مشهورين، ولكن هذا بعيد في المنظور السياسي المعاصر اليوم.

فأردوغان يحب هذا، وأنا أعتقد أنه يدندن حوله مرات، ويمشي ضمن هذا الوفاق الكبير، لكن بلا شك أن تركيا دولة إسلامية –ليس الحكام، وإنما المجتمع المسلم– وأنها دولة كبيرة جدًا، وأن تأثيرها مهم، وأن عدد سكانها وثقلها مهم في المرحلة القادمة إسلاميًا.

بقيت النقطة الثالثة التي ذكرها السائل وهي: التمايز عن النظام الدولي.

في الحقيقة: هذا الذي ذكرناه عن أردوغان، وعن نظافة حزبه بالنسبة للمجتمع التركي، وعن هذه المعاني التي ذكرناها في نفسيته لإحياء العثمانية تحت سيطرة تركية معاصرة بصيغةً ما، ليست بصيغة الخلافة، أتكرر؛ حتى لا يفهم كلامي على غير وجه.

أن أردوغان في محاولته هذه أغضب العنصريين في أوروبا، وأغضب بعض الوسخين من الأمة العربية من حكام العرب، ففي تبنيه لقضايا فلسطين؛ فضح الكثير من الحكام، وفي تبنيه لبعض مآسي المسلمين فضح بعض الحكام، وفي محاولته للسيطرة أو لبث روح الإسلام والتعاطف؛ أغضب الغرب، وفي محاولته لبناء تركيا الحديثة؛ أغضب أصحاب الأموال والأحزاب والدول.

فلذلك صار ما صار من غضب الكل عليه، ولذلك نشأت محاولة للانقلاب عليه، التي شارك فيها منافقون –فوق الطاولة هم حلفاء، وتحت الطاولة هم خصوم وأعداء– وتحالف فيها عرب يرونه خطرًا عليهم من عدة جهات؛ كونه تبنى قضايا المسلمين، وكشفه خيانتهم، وكشفه عوراتهم.. فأرادوا التخلص منه، وكذلك هناك

خصوم في الداخل، من العلمانيين، وبعض المتدينين الجدد المرتبطين بنظم دولية معينة بسياقات سياسية ومالية؛ فتمت هذه المحاولة الانقلابية عليه.

أردوغان قبل المحاولة الانقلابية، غير أردوغان بعد المحاولة الانقلابية..

كان يتصرف بغير حذر، بعد المحاولة الانقلابية صار يتصرف بحذر؛ لذلك حصل بعض الانكفاء الذي يلاحظه كل أحد، فلم يعد يتبنى القضايا التبني السابق، ولم يعد يهتم بالخارج كما يهتم بالداخل، فصار اهتمامه بالبقاء على إنجازاته في الداخل، حتى على حساب قضايا المسلمين في الخارج، والتي كان يتبناها بقوة ووضوح.

والقضية السورية بلا شك أثرت عليه، وأثرت على بلده، ولذلك صارت تصرفات أردوغان فيها مسحة الانسحاب -لا أريد أن أتكلم أكثر من هذا- مسحة الانسحاب عن الحضور العالمي، مع أنه إذا وجدت له فرجة، أو نص -كما يقول العرب- أي يدفع برجله لدخول المكان، ولكن ليس بالحالة الأولى.

هذه الخصومات جعلت منه رجلاً ضيق الاختيارات، حقيقة تركيا كنظرة سياسية، أن اختيارات أردوغان ضيقة، اكتشف أنه يمكن أن يعرى من الداخل، يمكن أن يقتل من الداخل، وأن مشروعه -مع امتداده في الخارج- يمكن أن يقضى عليه من الداخل، وكذلك أمريكا الحليفة ثبت تعاونها في قضية الانقلاب وأن لها دور، وبعض الدول العربية لها دور، فلذلك صار حذرًا جدًا، وهذا الحذر وهذا الواقع يقلل الاختيارات.

في الوضع السوري؛ لم يكن أردوغان يتكلم بمثل هذه القوة الهزيلة، كان قويًا في كلامه عن الوضع السوري، الآن تجده انكفائي، وتجد محاولات لأشياء واقعية أكثر منها آمال كانت مطروحة في ذهنه.

ولذلك انكفأ؛ لضيق الاختيارات، هو يحاول أن يتمايز -نحن نتكلم عن قضية التمايز عن النظام الدولي، كل هذا شرح لتمايزه عن النظام ليكون مفهومًا، إن استطعت أن أبيّن البيان الشافي فيه- لذلك هو حليف لأمريكا من جهة حلف الناتو، ولكنه هو لا يأمنها لأنه اكتشف أن الإدارة الأمريكية لها دور، والأوروبيون لم يفتحوا له المجال -الفتح الكامل- في قضية الدخول إلى أمم أوروبا، وعلم كذلك تواطؤهم، وعلم كذلك -من خلال الدوائر- أنهم لا يحبون تجربته، وأن تجربته مستنكرة، وقضية العلاقة مع اليهود مرةً في تقدم ومرةً في تأخر، بحسب الحال، لذلك تجده مثلًا يذهب إلى روسيا.

والناس يتساءلون: كيف يذهب أردوغان إلى روسيا التي تقتل الشعب السوري ويتحالف معها، وهو يؤمن بأن الشعب السوري يجب أن يأخذ اختياره في الحكم القادم وإسقاط بشار، وروسيا تؤيد بشار؟! هذا لضيق الاختيارات التي لديه، هرب من أمريكا التي تخطط لإسقاطه وصنع الانقلاب، وذهب إلى روسيا من هذا الباب، واشترى أسلحة، الصفقة الأخيرة من روسيا، والتي أخرجت ترامب عن طوره حين تحدث بغضب عن تلك الصفقة الروسية–التركية.

ولذلك أردوغان لا يتحرك الآن سياسيًا من خلال وسعه، ولكن من خلال الضغوط، فهو يضغط عليه هنا فيهرب هناك، ولذلك تجده على حالٍ من التخوف خاصةً بعد المحاولة الانقلابية.

والوضع مع إيران وضع غريب جدًا، مرةً يتقدم بالمصالحة معهم، ومرةً يبتعد عنهم، وهكذا، لأن التنافس بين إيران وتركيا باعتبار تاريخي وباعتبار عصري، فهو صراع قديم بين الأتراك وبين الإيرانيين منذ زمن العثمانيين والدولة الصفوية، والخلاف على الحدود، يعني تركيا تعتبر أن سورية هي لها سياسيًا لأنها منطقة خلفية لها، والإيرانيون الآن يعتبرون سورية مرشحة أن تسقط بأيديهم، وتصريحات سياسيهم تدل على الطموح الذي تريده الإمبراطورية الإيرانية الفارسي.

والإيرانيون –بلا شك– ليس بُعدهم عقديًا فقط في كونهم روافض، ولكن هناك بعد قومي في كونهم فرس –وإن رفض هذا بعض المشايخ، لكن في الحقيقة لا، هذا موجود– أي لو اختلفت في إيران القومية الفارسية مع المذهب الشيعي، فإنهم يقدمون القومية الفارسية على المذهب.

والقصد من هذا: بأن أردوغان لا يستطيع أن يتمايز عن النظام الدولي، فوضعه خطير، وهو يعرف أن حركته الآن ليس في مثل الاتساع الذي كان عليه قبل الانقلاب، سواء فيما يتعلق بالوضع السوري، أو الوضع مع إيران، أو روسيا وأوروبا وأمريكا، خياراته ضيقة، وهو غير مرضي عنه من الجميع، لا روسيا ترضى عنه وهو يعلم ذلك، ولا الإيرانيين، ولا أمريكا وهو يعلم ذلك؛ فوضع تركيا وضع خطير، وغير محسود عليه.

ختام الأمر في الموضوع التركي:

الناس لا يريدون أن يفهموا بأن الأحكام الشرعية يجب أن تضبط بعلل؛ يعني تجد بعض الناس يتحدثون

عن أردوغان كأنه هو الخليفة، وأنه إمام المسلمين القائم بدينهم، لكنه ليس كذلك، هو عنده مشروعه الذي شرحناه، وهو هكذا.

وأنا أرى أنه يؤمن بالعلمانية اللينة -كما يسميها فلاسفة النظم السياسية، لأنهم يقسمونها كما شرحت سابقًا: إلى العلمانية الشمولية الصلبة، وإلى العلمانية اللينة السهلة- فهو يؤمن بالعلمانية اللينة.

فلو سألني سائل: هل أنت متعاطف مع أردوغان؟ أنا كما قلت في إحدى كلماتي -ونقلها الإخوة-: كنا نظن أن إزالة جماعة إسلامية سيجعل دعوتنا تتقدم، فلما أزيلت، الزنادقة هم من أخذوا المساحة التي تركتها هذه الجماعة، فنحن في وضع لا نستطيع الآن أن نملأ الفراغ بالخيارات.

فلو قال قائل: ليذهب أردوغان إلى الجحيم، نقول له: يذهب إلى الجحيم فيأتي العلمانيون، الخيارات ليست جماعة إسلامية مهدية على الخلافة الراشدة، في هذه اللحظات التي نحن فيها، ستخلف أردوغان، ولا شك أن أردوغان فيما هو عليه، خير ألف مرة من كثير من الحكام الذين يزعمون الإسلام ويدندنون حوله؛ ولكن أنا أتكلم عن الذين يجعلونه إمامًا للمسلمين، هذا لا يسعفهم، والذين يكرهونه ويجعلونه عميلًا وأنه يريد تقديم تجربة إسلامية تستوعب الناس من أجل أن تقطع آمالهم وأن تكسر أرجلهم في مسيرهم نحو دولة الإسلام، باعتبارها الدولة النموذج، فهؤلاء تفسيرهم غير صحيح، فنحن -للأسف- بين حدين.

نحن نحب لكل العالم الذي يضطهد فيه الإسلام ويمنع فيه الإسلام، أن ينصروا الإسلام، فالآن انظروا إلى الصين، وانظروا إلى بورما، وانظروا إلى الصين ماذا يفعلون بالمسلمين؛ فلو جاءت دولة تسمح لهم بالصلاة والصوم والزكاة، وأن يلبسوا اللباس الإسلامي، وألا تداهم البيوت من أجل منع القرآن، لو جاءت لفرحنا بهذا الأمر، لكن هل يؤدي هذا بنا إلى أن نجعلها دولة إسلامية، هناك فرق بين هذا وهذا، هذا ما عندي وبالله التوفيق.

جزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين

٢٢- هل الشيخ ما زال على ما في كتابه «الجهاد والاجتهاد» من الأفكار؟

ضمن الجلسة الخامسة، بتاريخ: (**١٨/١١/١٤٣٨هـ الموافق لـ: ١٠/٨/٢٠١٧ م**)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل أخ: هل الشيخ ما زال على ما في كتابه «الجهاد والاجتهاد» من أفكار؟

جواب الشيخ: سأجعل هذا السؤال منفذًا للإجابة عن قضايا كثيرة كلها تدور حول هذا السؤال ومعانيه.

أولًا: من العدل والإنصاف أن يقول المرء: إنه لا يمكن أن يكون أمسه كيومه، والمرء إذا كان غده كيومه كان مغبونًا، ليس فقط من جهة العمل -ونسأل الله أن يغفر لنا- ولكن كذلك من جهة الترقّي في إطارات الحياة، هذه نقطة، فليس هناك من عيب في أن يكون المرء على قول ثم يعود عنه إذا ثبت له خطؤه، ولكن ضمن ظروف معينة، وهذا قلته أنا في الرد على مراجعات بعض الجماعات: بأن الظروف التي تتكلَّمون عنها عن المراجعات لا تحمل دلالةً إيجابية في أن تراجعكم كان حقيقةً وليس استجابةً نفسية لظروفٍ ضاغطةٍ عليكم.

نحن نريد حين يتراجع المرء عن مسألة علمية كان يقول فيها فيما يخص أحوال المسلمين والتعامل مع واقعهم، أن يكون تراجعه بريئًا من التهمة، وليس خاضعًا لظروف الضغط التي تقع عليه، فهذا شرط لتراجع، وإلا فأن يدخل المرء السجن ويطول سجنه، فييأس فيكتب كلامًا، فهذا محمول لا يُعاب عليه، ولكنه محمولٌ في الحقيقة على أنه محاولة للخروج مما هو فيه من امتحانٍ وابتلاء، وهذا لا يُعاب على المرء ذلك، ويُحمل فعله على الإكراه، ويُحسن فيه الظن، ويصبح دور المخالف لهم في أن يرد على العلم فقط، لا أن يشنّع، يعني يترك المسألة الشخصية لحكم الله فيهم أنهم معذورون أو غير معذورين إلى غير ذلك، لكن إن وقع شيءٌ من الخطأ في كلامه يُرد عليه علميًا؛ حتى لا ينتشر الغلط، فالرد على المخالف أصلٌ من أصول هذا الدين كما هو معروف.

وكتب الردود العلمية قديمًا أشهر من الردود المعاصرة، يعني «الرد على سير الأوزاعي» لأبي يوسف، ورد الإمام الشافعي على ردّ أبي يوسف، ردّ ابن جرير الطبري على الشافعي ومالك، هذا جانبٌ علميٌ غزير يُنتج علمًا عظيمًا، ولكنه يحتاج إلى العلم والإنصاف، وإدراك الثوابت والمتغيرات، وإدراك مراتب العلوم؛ فلا يقيم المعارك الكبرى -ليله ونهاره- بينه وبين الناس على قضايا يُحتمل فيها الخلاف، وإذا ردَّ على مسألة من قضايا

الدين العظمى له أن يُشنّع وأن يغلظ في الكلام، ولكنه إذا ردَّ على مسألة محتملة فلا يستخدم أسلوب الردّ على الكفار والمشركين والزنادقة والمنافقين، فهذه كلها قواعد معروفة لدى طلبة العلم، وإن كان الواحد يُخطئ في بعض جوانبها مرات.

الآن: ما هو حالي بالنسبة لما كتبته سابقًا؟ هذا الكتاب «بين منهجين» مجموعة مقالات كُتبت على فترةٍ واحدة، ولكنها متباعدة، يعني يمكن كُتب في سنتين أو في ثلاث سنوات، ثم تطوع أحدهم -جزاه الله خيرًا- بأن أخذها ورتَّبها... حتى زعم زاعمٌ أنها له الآن! بمعنى أن هذه المقالات حين جُمعت في «الجهاد والاجتهاد» لم تعد خاصة لأبي قتادة، مع أني أنا الذي كتبتها، وهو قام بترتيبها، فأحبّ البعض أن تُنسب إليه!! وأنا لا أنازع الناس في الكتب، يعني لو جاءني أحد وقال: هذا كتابي، سأخلع له الثوب وأقول له: خذه ومبروك عليك، لكن عليك أن تتحمل نتائجه!

الذي ينبغي أن يُفهم أيها الإخوة الأحبة، أننا في تلك الفترة كنا نعاني من قضية مهمة، وهي قضية تثبيت المنهج وتمييزه عن غيره من المناهج، والمناهج إما هي علوم ومعارف، وإما هي أشخاص؛ فلذلك كانت فترة تثبيت هذا المنهج يقوم بها الناس ويقوم بها أصحاب هذه الدعوة على قدم وساق، وفي التثبيت والصراع يقع من الألفاظ ما لا يقع ما لو جلس الناس إخوانًا يتباحثون بصورة أفضل.

كان الحال يومها حالة تراشق، أصحاب المناهج الأخرى يعتبرون أن هذا التيار هو تيارٌ جاهل، تيارٌ صبياني، كله أبوات، غير معروف العلماء، وكان هذا التيار يحاول أن يثبت نفسه علميًا من خلال المراجع العلمية الثقيلة والكبيرة والأصلية.

وكان الحوار حول الشخصيات أشبه بالطحن والمجزرة بين الأشخاص، بمعنى أنهم حين كانوا يقولون: أنتم أبوات، كنا نردّ عليهم أنتم المشهورون تعالوا لنحاسبكم، ويبدأ هذا الصراع الذي ينزل من مرتبة الأفكار والمناهج إلى مرتبة الحديث عن الشخوص.

إذن هو كان حديثًا عن المناهج العلمية، وكان حديثًا عن الأشخاص، وثالثًا: كان الحديث سابقًا يدور حول الاستشراف، يحاول كل قومٍ استشراف المستقبل بحسب رؤيته المنهجية.

مثلًا: الإسلاميون السياسيون أصحاب العمل السياسي كانوا يرون أن التغيير يقع من خلال عملهم، فيصوّرون التغيير القادم بحسب منهجهم، بأنهم يبنون القواعد، ثم بعد ذلك يدخلون النظم، فيعملون من داخلها ويغيّرون.. وهكذا؛ فبعد ذلك يتحوّل المجتمع إلى مجتمعٍ إسلامي من جهة الأحكام -بلا شك أن مجتمعاتنا هي مسلمة-، فهذا استشرافهم، وكنا نحن نتكلَّم عن المستقبل واستشرافنا للمستقبل بحسب رؤيتنا الجهادية، ماذا يحدث؟ ومن هنا تكلَّمت يومها ما تكلَّمت من قضية إدارة التوحش.

فإذن هذه هي مراتب الخلاف كما ترون:

أولًا: تثبيت المنهج من خلال عرضه كما هو في نفسه، وكما هو مقابل غيره من خلال ضرب المناهج الأخرى.

ثانيًا: الكلام عن الشخوص باعتبارها جزءًا من التحدي بيننا وبين الآخرين، فهذه مرتبةٌ ثانية.

المرتبة الثالثة وهي: استشراف المستقبل.

والآن نحن كما ترون، دعكم من الملاحظات الجزئية، فنحن نتحدث من جهةٍ عامة، يعني إذا كانوا يقولون: «من خسر المعركة لا يخسر حربًا»، يعني هناك تفريق بين الحدث اليومي والفرعي، وبين الرؤية الكلية للموضوع، الذي نراه الآن كالتالي، لنرى ماذا نسقط، وماذا نبقي من هذه الأركان الثلاثة التي حصل في وقت من الأوقات طحن ومواجهة عليها؟ يعني عندما يؤلَّف كتاب «التاريخ الأسود» عن جماعة الإخوان المسلمين، وهكذا كتب كثيرة... وهم يؤلّفون كذلك ويسموننا الخوارج وكذا.. من غير ذكر الأسماء.. لا نريد أن نحيي هذه الأمور؛ لئلا تُصاب النفوس بحزازات فتنشط إلى معركة أخرى، وأنا ضد هذا، وكتبت ما أريده وما أستطلعه من المستقبل في كتابي «المقاربة في نازلة العصر»، كتبت هذا.. ماذا أرى... وما زلت على هذه الرؤية، وإن انتَكَستْ حينًا لكني متمسكٌ بها وسأبين هذا الوجه.

ما الذي حدث الآن؟ الذي حدث أن التيار الجهادي، وإن كنت في ذلك الوقت أدعو لهذه العبارة باعتباره مسلكًا موجودًا يخالف الآخرين، وكنت أتكلَّم مرات ببعض الكلمات التي أنكرها اليوم مثل «السلفية الجهادية»؛ من أجل تمييز المنهج فقط، يعني: من أنت؟ انظروا... حتى الجماعات التي رفضت في وقت من الأوقات أن

تتسمَّى بأسماء سماها الناس وصارت غالبة، يعني عندما تكلَّمنا عن الوهابية، وعندما تكلَّمنا عن جماعة تُسمى السرورية، هم يرفضون هذا الاسم، هم رفضوا أن يتسموا فسماهم الناس! يعني قضية الاسم والعلامة والشارة أمرٌ لازمٌ، إن لم تفعله أنت فعله غيرك، فكان الناس يقولون: السلفية الجهادية.

مع أن هذا اللفظ عليه في الابتداء ملاحظات، وعليه الآن ملاحظات أشد، لكن هذه حقيقة لا بد للناس أن يتخذوا اسمًا، فإما أن تتخذ أنت، وإما أن تُطلق عليك، ومرات أنت تتخذ اسمًا تحبه فالناس يأبون إلا اسما ينبذوك به.

فالمقصود: أن هذه الفترة كانت بهذه الاتجاهات الثلاثة، ونكرر مع الاعتذار، إذ صار الكلام مملًا في تكراره:

أولًا: تثبيت المنهج من خلال عمليته وموضوعيته، ومن خلال إشارته.

ثانيًا: الكلام عن الشخوص لأنهم هم الذين طرحوا هذه المعركة، يعني: كانوا يقولون: من شيوخكم؟ من أنتم؟ أبوات جهلاء، كذا، فنضطر أن نقول: أنتم مشهورون.. تفضلوا هذا حالكم، هذا فكركم، هذا كذا وهذا كذا.

الثالثة: وهي الاستشراف.

الآن: ما هو الحال الذي نحن فيه؟ الحال الذي نحن فيه أن الفوارق بين الجماعات تكاد تزول، وأنا أكره هذه الكلمة، لكن الواقع يثبت أن صراعنا مع الخصوم لا ينفع إلا بالجهاد، وهذا ليس استعلاءً لجماعةٍ على جماعة، وليس تصويبًا لمنهجٍ قاله الناس ضدّ منهجٍ قاله آخرون، أنا لا أريد الآن أن أدخل في هذه المعارك.

ومنذ أن خرجت من السجن وأنا أقول: بأن مآل الجماعات الإسلامية التي تتقي الله وتريد الدار الآخرة، وتؤمن بالإسلام الصحيح، الإسلام السني، الإسلام الذي عليه الأئمة الأربعة والإسلام الذي عليه الصحابة رضي الله عنهم؛ هذه الجماعات رغم أنفها ستلتقي، والجميع لن يُقال عنهم فقط أصوليون، بل سيُقال عنهم إرهابيون، والدلائل التي نراها في عصرنا تثبت هذا المعنى، ليس تصويبًا لكن الواقع يقول بهذا، يعني الكل غدًا سيدخل في حظيرةٍ واحدة هي حظيرة الإرهابيين، هكذا سيتعامل معنا خصومنا، لا أتحدث عن سبب ذلك،

أتحدث عن الواقع كما هو، فخصومنا لا يقبلون إلا الاستئصال: إما نحن، أو هم.

إذا رفعنا شعار الإسلام الصحيح، وإذا تبنينا الإسلام الصحيح، وليس المحرف، وليس الإسلام الذي به يتم خضوع المسلمين لغيرهم، وإنما الإسلام الذي فيه العزة، وفيه الدولة، وفيه تنفيذ النبوءات النبوية الشريفة القادمة برفعة المسلمين وغلبتهم في العالم ودخول الإسلام في كل بيت وغزو روما، هذا الإسلام العظيم، إذا رفعناه وآمنا به وعلموه من نفوسنا، فإنه سيُنشئ حالةً واحدة وهي حالة المواجهة.

الذي أراه في هذا الواقع اليوم: أن الكل تحت البلاء، وأن الجماعات التي ما زالت تحاول أن تثبت نفسها غير إرهابية للعالم عن طريق سبّنا -كما كانت تفعل قديمًا- أو عن طريق تحريف الإسلام والدعوة إليه بطريقة باطلة، أو إسقاط معالم إسلامية عظيمة فيها العداء كالولاء والبراء وبناء الدولة المسلمة الجهادية، يسقطون هذه الأحكام من أجل أن يسمحوا لأنفسهم فسحة من الدعوة، لا أريد أن أتكلم عن سوء نية، بل أتكلم عن حسن نية منهم وفيهم، فالواقع يثبت أن كل المسلمين، وكل الجماعات الجهادية -بغض النظر عن أطيافها- تساق قدرًا رغم أنوفها، إما باجتهاد منها سابق كما هو حال التيار الجهادي، وإما بقدرٍ يسوقها رغم أنوفها كجماعات العمل السياسي إلى طريقٍ واحد، وهو طريق الجهاد والمواجهة.

فما الذي علينا الآن أن نصارع حوله الآن؟ المستقبل والاستشراف معالمه ظاهرة، أنا أفهم أنه ما زال الناس يحاربون على هذه النقطة، فالبعض يقولون: لن يكون وانظر إلى كذا... أنا أفهم وأقرأ الواقع كله، ولكن الواقع يدلّ على شيءٍ واحد في اتجاهٍ كلي، دعك من الفروع، الفروع هذه لا يتطلّع إليها الكبار، يعالجونها بقدرها لكن نظرتهم إلى الاتجاه الكلي، إذا تعلمت أصول العلم فعلى الكليات أن تحكمك في فتواك، وفي نظرتك، وفي تعاملك مع الآخرين.

كان الصراع.. من الذي عنده الدين؟ من الذي عنده الدليل؟ الآن الكل يتبع هذا السبيل من غير أن يتراجع علميًا، ونحن في قضية التراجع العلمي كأننا نجبرهم على التوبة، وهذا بينهم وبين الله والمهم هو أنهم معك الآن.

إذن ما الذي سقط وما الذي بقي؟ الذي بقي على أرض الواقع أن الكل مُبتلى من أهل الإسلام، وأن الحالة تؤدّي إلى سبيلٍ واحد رغم أنوف الكبار الذين يحاولون إعادة عقارب الساعة إلى الوراء في عملٍ سياسي

أو ما شابه ذلك، الغرب لم يعد يقبل، والطواغيت لم يعودوا يقبلون، وإذا قبلوا فبصورة مهينةٍ مذلةٍ لا يقبلها من عنده مسكة عقل أو حياء.

إذن واقعنا الذي أنا أراه لأننا علينا أن نتعامل مع الواقع تعاملًا جديدًا، عندما يقولون: ما الذي تغير فيك يا أبا قتادة؟ أنا انتهيت.. انتهيت من معركة إثبات المنهج، انتهيت من قضية إثبات الشخوص، صار الشاب يخرج في بلدةٍ ما فيصبح إمامًا للجهاد ويصبح معروفًا أكثر من أكبر شيخٍ في الدنيا، لماذا أدخل معه في صراع بيني وبينك في الشخوص؟ علينا أن نعترف بأنكم جزء منا، وأننا مع مخالفتكم وفي وقتٍ من الأوقات كان بيننا وبينكم صراع ولكن صراع في داخل الحالة الإسلامية، الآن صراعنا ليس معكم بل صراعنا مع الآخرين، أنا وإياك مع الآخر لإثبات الحالة الإسلامية وليس لإثبات حالة المنهج، لم يعد الصراع على الأشخاص، فالصراع على الأشخاص كان يعلي الصوت كثيرًا، ويؤدي إلى الحروب ويؤدي إلى الخصومات.

الآن لو ارتفعت راية الجهاد والتحق بها الناس ما الذي تريد أن تقول له؟ تحضره أمام البيت لئلا يدخل إلى الجهاد حتى يأخذ منك صكًّا بأنه كان مخطئًا؟! وأنه لا يدخل إلى الجهاد إلا من طريقك أنت أيها المجاهد -أي الجماعة المجاهدة السابقة-؟! البعض للأسف يريد هذا، وهذا ظلمٌ وجهلٌ وهذا يؤدّي إلى الاستبداد.

البعض يريد أن يقول: إن هذا البيت الجهادي في البلاد التي فُتح فيها الجهاد هذا بيتٌ لي خاص لأني سبقتكم في اكتشافه، فعليكم ألا تدخلوا إلا من خلالي، وعليكم أن تخلعوا ما كنتم تقولونه قبل الدخول، هذا ليس لك!! ومن هنا البعض يقول: أنت تحوّل صراعك مع الآخرين إلى صراعك مع إخوانك؟ الجواب: نعم؛ لأنكم ظلمة إذا فعلتم ذلك!

وفي هذا الوقت ربما يكون صوتي أشد على هؤلاء الذين يمنعون الأمة من الالتحاق في هذا الطريق تحت دعاوى باطلة، ومن أجل انتصاراتٍ حزبية، أو انتصاراتٍ لشيوخ، أو لأشخاص... شيخي كان خيرًا من شيخك اعترف به! لا، هو يدخل هو وشيخه ويُسمح له بالدخول.

وقد يقول قائل: لكن إذا دخلوا أفسدوا الجهاد! لا تخف، لن يقبلهم أحد، وهم سياسيون في الخارج لم يقبلوهم فعندما يدخلوا الجهاد سيقبلونهم؟! لن يفسد الجهاد إلا بمثلك أنت حين تريد أن تبقي البيت خاصًّا بك!

بعضهم يقول: عجيب كان صراعه مع الذين هم خارج البيت والآن صراعه مع الذين هم داخل البيت، هذا هو الواقع! ما الذي تغيّر فيك؟

في هذه النقاط الثلاثة لم يتغيّر فيَّ شيء قط، المنهج هو المنهج، نظرتي إلى الواقع هي نظرتي إلى الواقع، وحديثي عن الرجال حديثي عن الرجال، وثالثًا الاستشراف أنا أعيشه ولا أريد أن أتكلَّم أكثر من هذا.

ما الذي تغيَّر فيَّ؟ تغيَّر فيَّ أن البعض يريد أن يحوّل البندقية لحماية الذات أكثر من أن ينصر الإسلام! هذا الذي أنا ألاحظه، ولذلك أنا أؤمن بأنني يجب أن أدرأ البدع، وأنا تعلَّمت وكتبت هذا كثيرًا في «صبغة الله الصمد» فليُراجع، وكتبته في تفسير بعض السور-: أن معركة الإسلام لا ينبغي أن تُرفع فيها المناهج، وأن معركة الإسلام هي معركةٌ يُلاحظ فيها الاسم فقط «معركة الإسلام».

ونحن معركتنا اليوم إسلامٌ ضدّ الكفر، وسنةٌ ضدّ الزنادقة، هذا هو شعاري، وإذا كنتم تريدون المحاسبة فشأنكم، وستخسرون في واقع الأمر وعلميًا.

فيأتي أحدهم يقول تغيَّر أبو قتادة!! ما الذي تغيَّر فيَّ؟!! أرأيتموني باسطًا للطاغوت؟! أرأيتموني داخلًا فيهم؟! لا أريد الحديث عن الشخص.

كنت أريد أن أحدثكم عن قصة فات الحديث عنها، كنت قد خرجت من السجن وجلست مع جماعة من تنظيم الإخوان المسلمين، فأحدهم كان تلميذًا قديمًا لي ولكنه صار متعصبًا لجماعته الجديدة، وبدأ يتحدث عن السلفية ويسبّها، ومدح تجربة أردوغان بأنها تجربة صوفية رائعة والسلفيون لم يأت منهم إلا الشر، وأنا -شهد الله، ومن شهد الجلسة يشهد على هذا- ألين له، ولا أريد أن أدخل في معارك أمامه... لا أريد أن أدخل في معارك تقول أنت الصواب أو أنت الخطأ، الآن المعركة الإسلام هو الحق ولا يهمني هذه الفروع في الداخل، أنا لا أتجادل مع حنبلي، ولا أتجادل مع إخواني، لا أتجادل مع هؤلاء، أنا الآن لا يوجد في قلبي إلا العداء التام لأعداء الدين؛ للمرتدين، والكفرة المشركين الأصليين، والزنادقة من الروافض وغيرهم وأتباعهم وأمثالهم وإخوانهم، أنا لا أريد في قلبي أن يكون هناك ثمة غضب على مسلمٍ واحد.

فجعلت ألينه فلما أكثر قلت له اسمع: أنت إذا كنت تريد أن تفتح التاريخ القديم فأنتم تخرجون كفرة، إن لم

نعذركم بأعذاركم! أنتم دخلتم مع نحناح زعيمكم ضد جبهة الإنقاذ مع النظام، ولم يكن الخلاف إلا سياسي ومع ذلك تحالفتم مع أعداء الله، زعيمكم المرتد سياف دخل مع التحالف الأمريكي ضد طالبان هذا تاريخكم، زعيمكم دخل مع بريمر... هل نعدّ؟! فكفوا عن هذا ولا تفتحوا التاريخ، التاريخ بالنسبة لكم يفضحكم.

أما أن الصوفية أقامت دولًا فقلت له هذا كما يقولون عندنا: فشر! أما السلفين لم يقيموا دولة فهذا كذب، هل تعرف أنت دولة أحمد عرفان الشهيد؟ هل تعرف دولة الدهلوي؟ لا تعرف شيئًا عن هذه الدول السلفية التي أقامها العلماء الثقات.

القصد: الآن أنا ما يهمني هو أن يجتمع أهل الإسلام وألا نفرّق لأن الله سيستبدلنا.. انتبهوا، انا لم أعد – أقسم بالله رب العرش العظيم– لم أعد خائفًا على الإسلام ولا بمقدار قِيْد أُنْمُلَة –البعض يقول قَيْد أُنْمُلَة وهذا من الغلط–، فالإسلام منتصر، ولكن الخوف من أن يكون الذين نصروا الإسلام في وقت أن يهربوا ويتركوا المعركة فيستبدلهم الله! هذا خوفي فقط، لا أحب لهم هذا المقام، والله عز وجل يمتحن هؤلاء ويمتحن الصالحين ويمتحن العلماء، أنتم ترون في كل يوم امتحان لطائفة ولجماعة ولأفراد ولشيوخ، فهل يظن أهل الجهاد الذين رفعوا الجهاد وقاتلوا وقدَّموا الشهداء وآمنوا به في وقت من الأوقات هل تظن أنهم لن يُمتحنوا في إخلاصهم؟ فهذا الذي أقوله.

لم أتغيَّر ولم تتغيَّر لي كلمة كتبتها، ووالله أعود فأقرأ الكلام فأجده مرآةً لنفسي، سواء الذي في «الجهاد والاجتهاد» أو في غيره، والله ما أعدت قراءة كلمة كتبتها قديمًا إلا وأجدها اليوم هي مرآة لنفسي في هذه اللحظة، لكن المعارك تختلف، ورفع الصوت يختلف، عندما أخاف على أمة من الأمم ورجال من الرجالات وطوائف من الطوائف في باب من الأبواب أرفع الصوت، ولذلك يمكن أن يأتي أحد في السابق فيقول: كان صوتك ضدّ الجماعات الأخرى أكثر من صوتك ضدّ المرتدين.

في الدروس في بريطانيا خطبت لمدة عشر سنوات وارجعوا إلى الخطب لا يوجد باب من أبواب العلم إلا وطرقته، شرحت الطحاوية، شرحت كتاب القواعد لابن رجب، شرحت كتاب الاحتجاج بالسنة للإمام الشافعي، شرحت بعض أصول الفقه، وشرحت كتب الحديث وكتب الفقه: كتاب «الدلائل المضية في الفقه»، وشرحت «الباعث الحثيث»، ويأتي أحدهم جاهل يمرّ ويقول: هؤلاء لا يتحدَّثون إلا عن تكفير الحكام!! فماذا نصنع؟!

واليوم أنا عندما أفتح كتاب «الموافقات» لأدرس به الناس يقولون: غيَّر انظر إلى ماذا ذهب، ترك الحديث عن التوحيد، سبحان الله!! كأني لم أكن أدرس كتاب «القواعد» لابن رجب في وسط لندن، وكان بعض طلبة العلم يقولون: هذا الرجل مجنون يدرس لأناسٍ في داخل لندن قواعد ابن رجب؟! وهذه الكلمة قالها أحدهم لي مباشرة من طلبة العلم، فقلت له: أنت لا تعرف من تربوا في هذا المكان.

فكل كلمةٍ هي مرآتي الآن، لكن عندما أخوض معركة أخوض معركة الإسلام ومعركة السنة التي تلزم، وأنا خرجت من قضية الصراع حول البدع الفردية التي يمارسها الناس مع أنها مهمة إلى البدع التي تتعلَّق بالجماعات والأمم والطوائف، هذا أهم.

هذا باختصار شديد للجواب على هذا السؤال: هل ما زلت على ما كتبت؟ نعم، حاكموني على كل كلمة، ولكن لا تقل لي كما يفعل البعض يأتيني بكلمات قلتها فيريدني أن أحارب بها هذا اليوم، لا أنا ربما أرى أن اليوم نحتاج إلى الكلمة الأخرى من كلامي لتكون حربنا في هذا اليوم.

خذ من كلامي وآمن به إن شئت أو لم تشأ فأنت حر، لكن لا تجبرني أن أحارب في هذا الوقت وكل كلمة أستخدمها الآن، وأنا تكلَّمت عن الإخوان المسلمين الكثير، وتكلَّمت عن حماس الكثير، هل تريدني الآن أن أرفع حربًا ضدّ حماس وهي تعاني ما تعاني وتُحارب من قبل المشرق والمغرب ومن الدنيا كلها؟ هل من الدين هذا؟! عندما تراني أدافع عنها باعتبارها جماعة مسلمة مجاهدة مستقبلها أنها لنا، إذا تراني أنا في كلامي ألا أدافع عن المسلم الفاسق الذي يمشي في الشارع أنه غدًا هو لي، وحين يحدث الحدث وحين تنزل النازلة وحين يجد الجد تجده معي أنا كما نراه في فلسطين، نرى الشباب والنساء يملؤون ساحات المسجد الأقصى، ورأيناهم في العراق، رأينا من يخرج من الخمارة ويصبح مجاهدًا، ورأيناهم في الشام.. فإذا أنت تراني أدافع عن هؤلاء ويجب علينا أن نتعامل معهم برحمة لا بإقصاء، ولا بسب، ولا بتعيير، هؤلاء ربما يكون شيخ وإمام المسجد غدًا عدوًّا لك ومتحالفًا مع الأمريكان إذا غزوا بلدك كما يفعل الكثير من المشايخ وكما صار بعض السلفيين في العراق وكما هناك سلفيون في ليبيا وفي مصر بلحى، والذي يدافع عن الإسلام هو الذي خرج من الخمارة وآمن بالتوحيد ببراءةٍ صحيحة وبسلامة صدرٍ صادق، تريدني الآن أدخل في معارك مع هذه الجماعات المبتلاة الممتحنة؟!

أنا تكلَّمت عن الشيخ القرضاوي لأنني كنت أراه على هذا الباب من الغلط، والآن تريدني عندما يصبح الرجل إرهابيًا وعندما يصبح واقفًا أمام الزنادقة والكفرة والملاعين تريدنا أن نشاركهم في هذه المعركة؟!! لا والله لا أكونه! سُبّ عليَّ كما تشاء، أنت طفل صغير، ولست أنا بعد هذا العمر متابعًا لطفلٍ صغير يأتي يريد أن يقودني إلى معاركه الجانبية من أجل حزازات نفسه ومن أجل شيءٍ نفسيٍ خاصٍ به لا يعرف سواه! هو طول عمره لا يعرف إلا المعارك الجانبية الضعيفة!

أنا مع كل مسلمٍ في هذه الأرض، ولذلك -وهذا لست أكتمه- أنا كنت أدعو لمرسي في السجون أن ينصره الله على أعدائه، ومَن كان أعداؤه في مصر؟!

ولما ذهب مرسي لم يأت المجاهدون ليحكموا مصر، لما ذهب مرسي جاء الكفرة الملاعين فحكموا مصر، هذا كله من الحكمة، فالقول الحق لا يعني أن تعامل به كل واقعٍ مع اختلاف الظرف.

يكفي إلى هنا وجزاكم الله خيرًا وبارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٢٣- كتاب «الوهابية والدولة العثمانية»

ضمن الجلسة الخامسة، بتاريخ: (**١٤٣٨/١١/١٨هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/٨/١٠ م**)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله:

أخٌ يسأل عن كتابي الذي ذكرته في رسالة أو في جزء «جؤنة المطيبين» الوهابية والدولة العثمانية.

جواب الشيخ: للأسف، كان هذا الكتاب هو إحدى المشاريع العلمية التي بدأت بها وجمعت فيها جمعًا طيبًا، ولكن تقلبت الأحوال والظروف، السجن، وقبله الملاحقة والاختفاء، ثم السجن، ثم بعد ذلك التسفير والعودة إلى الأردن؛ فتغيرت الأحوال، والمكتبة لما نقلت فقد منها بعض الكتب المهمة، أخذتها الشرطة الإنكليزية وما زالت عندهم.

وبعض الأوراق أخذت -حتى أنهم دخلوا عليّ وأنا في السجن، لأول مرة تدخل الشرطة إلى السجن كما قال لي الحراس، فتجعل الخلية أو لنقل الزنزانة، يعني الزنزانة تكون مكان الجريمة- فأخذوا مني أوراقًا كثيرة؛ منها ما كتبته عن القواعد الأصولية في كتاب «الأم»، ومنها ما يتعلق بكتاب «المحلى» لابن حزم، جمعت خلال سجني في آخر مرة ما أخطأ فيه ابن حزم قياسًا، بمعنى أنه استخدم القياس في بعض مسائله.

ومن هذه الأوراق التي فقدت الكثير منها هذا الكتاب «الوهابية والدولة العثمانية»؛ لكن دعوني أتحدث باختصار عنه لأهميته.

بلا شك أيها الأخوة الأحبة، أننا في موضوع دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب -طبعًا أنا كلمة الوهابية أستخدمها لأنها مصطلح سياسي، وليس كما يستخدمها العصاة وأعداء هذه الدعوة- لو أردنا أن نبيّن فنقول: إن السلفية لها تجليات في العالم الإسلامي تاريخًا ومعاصرةً، لها تجليات في البلاد وفي الأحوال.

وهذا حاولت أن أقاربه في مشروع «ألف كتاب قبل الممات»، وأكثر ما تكلمت عنه مقاربةً -لأن الموضوع أطول من هذا بكثير، في نفسي وفي الواقع-، أكثر ما تكلمت عن هذا الموضوع وهو تجليات الدعوة السلفية بحسب الأزمنة وحسب الأمكنة، عندما تكلمت عن كتاب الشيخ العلامة تقي الدين الهلالي «الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة».

وأنا هنا أسجل بأن الكثير من الأخوة أرسل لي معلومات جديرة بالانتباه في موضوع الشيخ تقي الدين، وبعض من ذكرته كالشيخ العلوي شيخه الذي سماه شيخ الإسلام، أرسل لي كثيرًا من الأحبة معلومات كنت أتمنى أن تكون معي وبين يدي قبل أن أتكلم عن الكتاب، لأن الموضوع متشابك، وقد ثبت أني لم أطلع على كل جوانبه؛ لكن إن شاء الله الأمر يسير يعني لم يفتني الشيء الكثير، ولكنها مهمة، ولا شك في صور هؤلاء المشايخ السلفيين في فترة من الفترات الزمنية وفي أمكنة مختلفة من العالم الإسلامي؛ ولا شك أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب هي دعوة سلفية نشأت في نجد ولها ظروفها.

ومما استغربت منه وتعجبت منه أن بعض مشايخ السلفية المعاصرين –الذين هم من خريجي الدعوة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، قراءةً لكتبهم ولهذه المدرسة– أنهم ما زالوا على تكفير الدولة العثمانية دون اعتبارات سياسية كثيرة!!

فكان هذا الباب هو الذي دفعني لأن أجمع هذا الكتاب لأبين خطأ هؤلاء المشايخ المعاصرين وخطأ من كفرهم من الدولة الثانية خاصةً.

باختصار، الخطوط العريضة لهذا البحث والمسار الذي سرت عليه: أن هناك تطورًا حدث بين الدولة –ولم نقصد أن نسميها دولة في نجد، ولكن بشيءٍ من التجاوز– نقول: بأن الدولة التي أنشأها محمد بن عبد الوهاب بتحالفه مع محمد بن سعود الكبير، في علاقتها مع الدولة العثمانية –لنصطلح على هذا من غير تعيير، وليس متابعة للضالين في تسميتها الدولة الوهابية– مرت بتطورات.

هناك رسالة موجودة في «الدرر السنية»: أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب أرسل رسالة إلى والي الدولة العثمانية في مكة يبيّن فيها أنه تابعٌ للدولة سياسيًا، خاضعٌ لها، غير خارجٌ عنها؛ هذه الرسالة ليست من رجلٍ يجهل حال الدولة العثمانية، محمد بن عبد الوهاب لما رجع إلى الدرعية، ورجع إلى مكانه في شرق الجزيرة، كان قد تجول في العالم الإسلامي، ودخل إلى العراق، وذهب إلى مكة والمدينة؛ فهو يعرف الحالة الاجتماعية والدينية لهذه الدولة، فإرساله هذه الرسالة التي يعلن فيها بيعته وانتماءه للدولة العثمانية –ولم تتغير الدولة العثمانية في تلك الفترة إلى ما سيأتي من أحوال– يدل على أنه كان واعيًا لما يقول.

بعد وفاة محمد بن سعود الكبير تولى ابنه عبد العزيز –الذي هو تلميذ محمد بن عبد الوهاب– هنا نشأت

فترة، بعض أهل العلم أرسل رسالة –وأنا بحاجة للتوثق منها– يقول: بأن محمد بن عبد الوهاب في آخر عمره نزع يده من الطاعة.

يعني: نزع يده من الطاعة على أي وجه؟!! من المخطئ؟؟ هو يريد أن يقول: نزع يده من طاعة بني عثمان، من الدولة العثمانية تكفيرًا لها؛ ما الذي عدا مما بدا؟! ما هو الشي الجديد الذي طرأ لديه؟!

من هنا لما قام –عندي وفي قراءتي– لما قام عبد العزيز بن محمد بن سعود وهو الأمير الثاني –بعد التحالف بين محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود– لما قام بغزو مكة، كان غزوه سياسيًا لا علاقة له بالدعوة.

وهنا نفتح قوس مهم جدًا «بأن الذين جعلوا الدولة الوهابية هي الدعوة إلى التوحيد، فهنا وقع الضلال وهنا وقع الغلو»، وهذا نجده في التنظيمات التي تحمل هذا التوجه، في أن مخالفة الدولة هو مخالفة التوحيد، وهذا خطأ، وهذا نجده –للأسف– يتكرر، أنه إذا خالفت تنظيمًا أو خالفت دولة تدعو إلى التوحيد، فخالفت الجانب السياسي ورفضت الدخول في طاعتها، فأنت قد خالفت التوحيد فقد أشركت، هذا المنهج أساسه هذا الانحراف عند بعض المشايخ، وما زال إلى الآن.

فأنت عندما تنتقد بعض الدول اليوم في بعض الجوانب، يقول: أنت انتقدت التوحيد، إلى يومنا هذا –مع وجود الافتراق الواضح الصريح بين الدولة وبين الإسلام، بل إن الدولة أصلاً خرجت من الإسلام– ومع ذلك ما زال البعض يضع الإيمان بالدولة من أركان التوحيد، إذا خالفتها خالفت التوحيد.

فلما قام عبد العزيز بن محمد بن سعود –وهذا الذي أريد أن أقوله– بغزو الشريف والي مكة، وهم الأشراف في ذلك الوقت كانوا هم خدام وولاة للدولة العثمانية، إنما غزوه –وإن بدا للتوحيد كما يقول– كان غزوًا سياسيًا للتوسع وبسط السيطرة، هنا الصراع نشأ.

الآن دعونا من الدولة الأولى.. فقد قضي عليها، لكن نأتي الآن إلى مسألةٍ مهمة:

نرى في مشايخ الدعوة –الدعوة الوهابية– في الدولة الثانية تكفيرًا للجيش العثماني؛ لماذا؟ لأنهم يرون أن ما فعله إبراهيم باشا، وهو ابن محمد علي الخديوي، يرون في عقولهم ما رأوه من أحوال هؤلاء الجند أنهم جندٌ كفرة، أي جنود إبراهيم باشا بن محمد علي الخديوي.

ولذلك كفروا الدولة العثمانية، وهذا موقفٍ سياسي، لا ديني؛ بغض النظر عن هذه الممارسات في هذا الجيش.. إلا أن هؤلاء مخطئون، لأن محمد علي أصلاً لم يكن تابعًا للدولة العثمانية لما قام بغزوهم، صحيح هو أخذ الفرمان الاسمي منهم من أجل أن يعطي لنفسه الشرعية، لكن كل من درس –والوثائق تثبت ذلك– شخصية محمد علي رآه تابعًا للفرنسيين، وتبعيته للفرنسيين الغزاة كانت تصل إلى درجة أن يكون عدوًا للدولة العثمانية.

يخطئ هؤلاء وينسون بأن محمد علي غزا الدولة العثمانية، وأسقط سلطانها في بلاد الشام، حتى وصل إلى حلب، ولولا تدخل القوات الانكليزية والبحرية بأن قاتلته وأرجعته، لا نصرةً للدولة العثمانية، ولكن عداوةً لفرنسا التي تحالف معها محمد علي.

يعني قامت بريطانيا بضرب محمد علي لما غزا الدولة العثمانية وقضى على سلطانها في مصر، وفي جزيرة سيناء، وفي بلاد الشام، وفي شمال الجزيرة العربية، حتى وصل إلى حلب مقاتلاً للدولة العثمانية.

إذن لم يكن تابعًا للدولة العثمانية، وما قام به من ضرب الدرعية أولاً، لما ذهب ابنه طوسون وصالحهم، أرسل محمد علي ابنه طوسون، فقاتل الوهابيين ولم ينتصر عليهم، وأثخنوا في جنوده –الجنود المصريين– إثخانًا كبيرًا، فتصالح معهم؛ وهذا الصلح يدل على أن المواقف كانت سياسية وليست دينية، فلو كانت دينية لما كان هناك صلح، لكان قتالاً على التوحيد؛ تقاتلونهم أو يسلمون، على أساس أنهم مرتدون.

فإذن محمد علي لم يكن في حقيقة الأمر تابعًا للدولة العثمانية، حتى يحسب عليها في قتاله للدولة الوهابية، هذه النقطة مهمة جدًا، وأنا أثبتها بالوثائق وبالنصوص البيّنة في العلاقة وبحكم المعاصرين لهذا الأمر.

هذه النقطة الأولى، وتحتاج لتوسع أكثر من هذا، ولكن أنا أضع النقاط على الحروف سريعًا ليأتي غيري إن شاء الله يبحث فيها، وربما يخرج معه الشيء الكثير وأكثر من هذا.

النقطة الثانية في تكفير الوهابيين للدولة العثمانية: نجد في كلام حمد بن عتيق والدولة الثانية نجد تكفيرًا للدولة العثمانية، لما يرون من مفاسد في البصرة في جنوب العراق، على أساس أن البصرة خاضعة للدولة العثمانية؛ وهذا خطأ، البصرة كانت من الأماكن القلقة جدًا في سلطان الدولة العثمانية عليها، بل في وقتٍ

مبكر دخلها الإنكليز وصارت لهم سيطرة أكبر من العثمانيين عليها، وصار الصراع كبيرًا حولها، وما كان يجري إنما كان بسبب ضعف الدولة العثمانية فيها؛ فتحميل ما يجري في البصرة وفي جنوب العراق، كما كانوا يقولون: هذه دولة كفر.

وأنا مبعثي في ذلك كان الكلام عن الشيخ حمد بن عتيق، بأنه ليس من أهل العلم المحققين، هو كان واعظًا؛ ولذلك بعض أئمة الدعوة في نجد نصحه ووعظه بأنه يطلق عبارات عامة –كما يطلق بعضهم اليوم– تؤدي إلى الغلو، ونصحه بعض ابناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله جميعًا.

فهذه العبارات... بأنه ينتشر الخمر.. هذا ليس علة لتكفير الدولة، انتشار الخمر في البلد أو انتشار الخنا أو كذا.. هذا معصية ولا شك، ولكن ليس من علل التكفير.

القصد: بأن هذا الكتاب هذا وضعه وهذا مساره، وهو أولاً: الرد على من رأى أن الدولة العثمانية دولة مشركة وكافرة نصرةً للصراع السياسي بينها وبين الوهابيين.

وثانيًا: بيان أن هؤلاء الخصوم –أي خصوم الدولة– لم يكونوا خصومًا للدعوة.

فمن العجيب أننا نرى فيمن كتب في تاريخ الدعوة الوهابية أنهم يرون كل من قاتلتهم الدولة ليدخلوا في سلطانها، كانوا كفارا مشركين!! وهذا خطأ كبير جدًا، ربما الناس لهم سلطانهم ولا يريدون الدخول في سلطان الدولة، ليس لأنها دعتهم إلى التوحيد فرفضوا، ولكنهم يرفضون الدخول في سلطانها السياسي، سموهم بغاة؛ سمِّ الدولة الوهابية بغاة على الدولة العثمانية، ولكنه صراعٌ سياسي وليس ديني.

هذا ما أردت بيانه، وجزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

٢٤- سعيد فوده والدعوة السلفية في الأردن

ضمن الجلسة الخامسة، بتاريخ: (**١٨/١١/١٤٣٨هـ الموافق لـ: ١٠/٨/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يقول: هل للشيخ معرفة بسعيد فودة وكتاباته؟

جواب الشيخ: في الحقيقة أنا لم أكن قد سمعت به قبل أن أخرج من السجن، يعني داخل السجن كما قلت اليوم لأحد إخواني: أنا بحاجة إلى سنة ضوئية من أجل إدراك ما فاتني من الكتب التي خرجت خلال فترة السجن، ثلاثة عشر عامًا، هناك الكثير من الكتب التي خرجت، وسعيد فودة من هؤلاء، يعني لما خرجت فوجئت بأن الناس يتحدثون عنه في الأردن.

لكن قبل أن أتحدث عن سعيد فودة، أنا لست من الذين يهتمون بالشيخ النجم الذي يظهر فيضخم إعلاميًا ويسوق شعبيًا، ثم بعد ذلك يخبو، إما من جهة غيبته، لأن الله عز وجل لا يجعل فيه بركة، فيخبو ويذهب، ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾ [الرعد: ١٧]، هذا نراه كل يوم، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧]، نرى أن كثيرًا من المشايخ ستار، «star»، الشيوخ الذين يعظمون كما يعظم النجم والممثل والمغني، فتصبح لهم الشهرة، وتفتح لهم المجالس، ويقدموا في التلفزيونات، هؤلاء أمرهم كالعلكة، والعلكة تأخذها فتكون حلوةً في أول الأمر، ثم تنتهي إلى مجرد جلدة ليس لها طعم، فيلفظها المرء، وإذا علكها فإنما يتخذها علكة من أجل أن يقوي أضراسه أو حنكه.. وبعض المشايخ هكذا.. فأنا لا أهتم بهم كثيرًا.. فيأتي بعض الإخوة يدفعني دفعًا للرد على الشيخ عندما يخرج.. انظر إليه.. يعني مثلاً: عدنان إبراهيم.. انظروا، وسترون بعد مدة وكأنه غيض في بئر ولم يبق له أثر، لأن هؤلاء يأتون بالباطل، والباطل لم يأتوا به جديدًا، وإنما هو قديم أعادوا إحياءه، فكل ما يقولونه مكرور.

فما أتى به سعيد فودة فهو مكرور، هو صراع هذه المدرسة الكلامية مع المدرسة السلفية، ولكنهم يستخدمون أدوات جديدة -ليست جديدة كليًا، ولكنها جديدة على وجهٍ ما- فيرفعون سقف التحدي ضد الخصوم.

يمكن أن يقول الخصوم: هؤلاء مبتدعة، هم لا يرضون.. يريدون الشهرة، والشهرة لا بد من رفع الصوت وبيان درجة الخلاف على وجهٍ جديد وأقوى؛ فيبدؤون بالتكفير.

فأنا لما خرجت، دعاني البعض أن أهتم به من أجل المناظرة، وربما بعض الإخوة سعى إلى أن يكون هناك مناظرة، ولكني وجدت من الخير ألا أفعل، ولا شك أن هناك من العلماء الكبار الذي يردون عليه وعلى أمثاله؛ وأنا أتابع في النت ما يرد على هؤلاء من قبل بعض المختصين، فأجده نافعًا ومهمًا جدًا، وهم يتفرغون لهم، ولا أجد في نفسي الآن أن أعود إلى هذه المعارك؛ فهذه المعارك عشتها قديمًا وفي بداية الطلب، وألفت كتابي «الرد الأثري المفيد على البيجوري في شرح جوهرة التوحيد»، وسبب هذا الرد: أنه كان يدرس كتاب «شرح جوهرة التوحيد» للبيجوري، بشرحه على منظومة إبراهيم اللقاني، في العقيدة الأشعرية؛ فرددت عليه ردًا سهلًا ميسورًا يصلح للعوام -على الرغم من أنه طبع بعد ذلك بإزالة بعض ما فيه، لأن طابعه -بغير إذني- طبعه ونشره بإزالة بعض الصفحات التي أراها صادمة للعوام، كالحكم على والد النبي صلى الله عليه وسلم أين هو؟، وكذلك الحديث عن بعض الكلام كموضوع الكسب، والكتاب انتشر انتشارًا مقبولًا في ذلك الوقت؛ فكان لي اهتمام بهذا، لأن عامة طلبة العلم في بداية الأمر يبحثون عن المعارك الموجودة أو المبحوثة تاريخيًا، ولا يكون عندهم النظر الكبير إلى واقعهم للخوض في المعارك التي يحتاجها الواقع.

يعني دائمًا أقول كلمة مع الاعتذار: أننا لما قرأنا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، فوجدنا حديثًا عن المعتزلة، هل للمعتزلة واقعٌ في أمتنا؟ وإذا كان هذا موجودًا، يعني المعتزلة لهم وجود، فهل وجودهم يستحق أن ننشأ معارك كبرى معهم؟ نحن لم نكن نفهم هذا.. نحن صغار.. طلبة.. مبتدئون، فماذا كنا نفعل؟ كنا نبحث عن المعتزلة في الواقع من أجل أن نناظرهم كما ناظرهم شيخ الإسلام، نريد أن ندخل في شخصية شيخ الإسلام ابن تيمية في حربه مع المعتزلة.. فأين هم المعتزلة؟! فنبحث عنهم، وحتى إذا لم نجدهم بحثنا عن ملامحهم في بعض الطوائف، كما صرنا نقول عن حزب التحرير بأنه حزب معتزلي! ولا يوجد بين حزب التحرير والمعتزلة أي علاقة، وإن وافقهم في بعض الفروع، ولكن لا يجعله هذا معتزليًا.

وكذلك لما كنا نبحث -أنا أتحدث عن الأردن، عن بيئتي- سمعنا كلامًا عن الصوفية، صرنا نبحث عن الصوفية.. أين هي؟ وللأسف، وجدناها في داخل زاويا مخفية، ولكن كنا نحن الذين نذهب إليهم ونناقشهم، نحن

نريد أن ندخل في شخصية ابن تيمية رحمه الله، نريد أن نحارب حربه، وهكذا عملت السلفية -دون أن تشعر- في إحياء هؤلاء؛ فبدأوا يحضرون أنفسهم للحرب.

ورحم الله الشيخ أحمد السالك، كان بصيرًا أكثر من غيره في هذا الباب -وأنا كنت كثيرًا ما أجلس معه رحمه الله، وهو ليس من المشهورين في خارج الأردن، ولكن أهل الأردن من طلبة العلم يعرفونه ويعرفون مرتبته، وخاصةً في الأصول والفقه- مرةً جلست معه وقلت له: نحن السلفية، فقال: نحن لسنا سلفية، نحن مسلمون، ونهاني أن أستخدمها، كان هذا في البداية وأنا استغربت وقتها! لكن جزاه الله خيرًا، بذر في هذه البذرة، وبالفعل منذ أن قالها، وهي تنمو في نفسي بالابتعاد عن هذه التصنيفات التي تفرق الأمة.

أقول: بلا شك أن الدعوة السلفية في الأردن -ولا بد من التعامل مع الشعارات مع كراهتي لها- هي التي قوت هذه الطوائف البدعية؛ وسبب ذلك أني كنت أظن لما بدأت هنا، والأردن كما تعلمون واقعة بين بلاد الشام والحجاز، وهي بلدٌ جديد، والمدن فيها ليست من الحواضر الكبرى كدمشق وبغداد وصنعاء ومكة والمدينة، فيها مدنٌ جيدة أخرجت بعض أهل العلم كعجلون مثلاً، ينتسب إليها بعض العلماء، ولكن ليست من الحواضر الكبرى؛ فلذلك كان أهل الأردن يتلقون الصوفية من الشام؛ يأتي مشايخ صوفية من الشام، ويأتي مشايخ سلفية من الجزيرة، وكذلك من مصر، فالشيخ أحمد السالك والشيخ محمد شقرة رحمهما الله تخرجا من مصر.. من الأزهر؛ فكان الأردن مكان صراع.

وبلا شك أن الصوفية ليست دعوة، ولكن السلفية كانت دعوة منتشرة وبث الكتب.. والخريجين.. وبدأت الجامعات في الحجاز تُخَرِج؛ فكان ينتظر أن تكون الأردن ليس فيها إلا الدعوة إلى السنة، ولكن لما عدت -بعد أن رحلت- فوجدت الأردن رأسًا على عقب، وجدت أن المعركة لم تحسم، ووجدت في خلال تجوالي مع المتدينين غير المنتمين إلى هذه الطوائف، يعني لا يقول: أنا لا صوفي، ولا سلفي، هو مسلم.. يحفظ كتاب الله ويتعبد بالسنة، ولكنه لا يدخل في هذه التصنيفات، فوجدت بغضًا شديدًا للسلفية، وإذا حُدث المرء عن السلفية مقتها وتقزز من ذكرها، لا لحكمه على منهجها، ولكن لنظرته ورؤيته لما يفعله رجالها؛ ومن راقب الأحداث وجد هذا تمامًا، وجد سقوطًا أخلاقيًا في رموز هذه الدعوة، وما زال السقوط يتوالى إلى يومنا.

أنا غبت خمس وعشرين سنة عن الأردن، فلما رجعت وجدت المقت الشديد لهؤلاء الذين حملوا الدعوة -

يعني: الصف الثاني أو الثالث- من المشايخ الكبار؛ فوجدت الناس يمقتونهم لأخلاقهم وسلوكهم، ولما انتشر عنهم من مساوئ ومفاسد سلوكية تتعلق بالمال، وتتعلق بالولاءات، وتتعلق بالارتباطات، وتتعلق بغير ذلك، وما زالت هذه الحفرة التي يرتكسون فيها تزيد عمقًا، وآخرها ما ترون في الحديث عن موقف المسلم مما يجري في فلسطين، رأيتم ما قاله بعضهم عن عدم جواز محاربة الفلسطيني المسلم لليهودي؛ لأنهم يمدونهم بالكهرباء والماء، سفاهة!!

وهذا... لا تسألني عن السبب.. السبب هو: أن الله عز وجل أضلهم لما علم في قلوبهم من جهل وضلال وفساد، فالله عز وجل يخرج على ألسنتهم كلامًا يوقع البغض البشري كما وقع البغض الإلهي، وآخرهم من سمى الجهاد سفاهة، ومقاتلة المسلم في فلسطين لليهودي بضرب السكاكين، قال: هذا من السخافة... هو سخيف.

فالقصد: أنك لو جئت إلى العامي المسلم المتدين -وأنا في الحقيقة هنا أسجل نقطة- لوجدت أن حالة التدين -من التعبد، ومن حفظ كتاب الله، ومن تدبر السنة والحفظ عليها- في العوام من أمتنا أكثر من الجماعات كلها.

للأسف الحزبي والمؤدلج -الأدلجة غير العقيدة، هذه تحتاج إلى بيان آخر- نجده أقل تعبدًا.. أما الإنسان العادي في تعبده تجده صوامًا قوامًا، فتتمنى أن تجد هذا في حزبي أو مؤدلج؛ يعني إذا ذهبت إلى السلفي؛ عجبتَ! بالكاد يصلي في المسجد، وأغلبهم -مشايخهم- لا يصلون في المساجد، وبالكاد يحافظ على الأذكار الصباحية.. بالكاد يحافظ على جزء من القرآن في اليوم، بل لا تجد هذا فيهم.

وكذلك في الحزبيين -للأسف- تتحدث عن أفراد الإخوان المسلمين في الجامعات، بعض الإخوان يتحدث عنهم بطريقة غريبة جدًا من انهيارهم الأخلاقي.. للأسف.

ولذلك أنا أرى: أن المستقبل لهذه الأمة بعيدًا عن التنظيمات.. نعم، التنظيمات أدت شيئًا عظيمًا، لكنها استفرغت وسعها؛ ولم يعد إلا أن تهب الأمة، هؤلاء الذين نراهم، هؤلاء غير مؤدلجين، وهذا لا يعني أن نرحل الجميع لنأتي بغيرهم، لا، بفضل الله فيها الكثير، لكن نتحدث عن الحالة الدينية.

للأسف.. السلوك الأخلاقي -بما تكلمنا عنه- عند ما يسمى بالسلفيين أوجد حالة انتشاء وقوة لغيرهم

من أعدائهم، وخاصةً الصوفية والمتكلمين من الأشاعرة والمنتسبين للأشاعرة.

ثانيًا: وجدنا هذه الدعوات قد مُدت بالأموال، ورصدت وحددت الجامعات لهم، يعني تجد جامعة تقول: يمنع أن ينتسب إليها رجلٌ سلفي، لا بد أن يكون صوفيًا مثلًا أو عدوًا للسلفية على وجهٍ من الوجوه، إلى غير ذلك.

فالجامعات تقوم عليها مؤسسات كبرى محمية من دول ومن تنظيمات، وتبذل فيها الأموال، ويستقدم لها الطلاب من كل البلاد.. نتحدث عن الحالة الأردنية، ولا شك أن هذا موجود في دول أخرى، يعني الآن هناك شكوى كبرى لما يسمى بالمداخلة في ليبيا، والسبب: أن القذافي –قبل أن «ينقلع» ويذهب إلى جهنم وبئس المصير– قبل أن تقوم الثورة فتح الباب لهذا الصنف، المداخلة كانوا يعملون في العلن، والمساجد مفتوحة لهم، ويستقدم المشايخ فتعطى الدروس في داخل الاستادات الكبرى، واليوم في الجزائر الحالة الوحيدة المفتوحة في الدعوة هي هذه الحالة.

كنا نقول قديمًا: بأن الصوفية هي اختيار المستشرقين في تدمير معالم النهضة الإسلامية، الآن وجدوا في السلفية بغلٌ أفضل، الصوفية ربما لا يقبلها الشباب، ولا يقبلون عليها لأنها حالة مخزية.. الرقص وغيره لا يقبلونه، لكن السلفية فيها وجهٌ مشرق بالنسبة للشباب، ولذلك هي –السلفية بوجهها الذي نراه في مصر وليبيا وفي غيرهما– الآن البغل الذي يمتطى من أجل القضاء على نهضة الأمة.

الذي حدث أنه قد نشطت هذه الدعوة وصار لها رجال، وكان من هؤلاء الذين ظهروا قديمًا هو حسن السقاف، لكنه خبا لأسباب منها: ارتباطه بالشيعة وإيران، وأنتم تعرفون بأن الروافض الآن بضاعتهم والحمد لله قد ردت إليهم، ولم يعد أحد إلا القلة من السفلة والمنحطين من يتكلم عن الروافض والزنادقة في إيران وفي حزب الله، يتكلم عنهم بمدح.. ذهب هؤلاء.. والسقاف ذهب معهم لأنه مال ميلهم؛ وسقط لأسباب أخرى.

وظهر من هؤلاء سعيد فودة، ورأينا نشاطه الأكبر عندما قام المؤتمر في الشيشان وتبنته بعض الدول، والأزهر قد حضر زعيمهم فيه؛ فنشطوا من أجل تجريد ما يسمى بأهل الحديث أو السلفية؛ تجريدهم من مسمى أهل السنة، وإخراجهم إلى طوائف بدعية وغير ذلك.

الآن لا أرى لهذا الرجل ظهورًا كما كانوا يتحدثون قديمًا، يعني أنا من سنتين جئت فوجدت حديثًا عنه، الآن عندما اسأل لا أجد أحدًا يذكره.. فهذا الحديث عن سعيد فودة من جهة اجتماعية ومن جهة تاريخية.

الآن.. هل قرأت له؟ نعم، قرأت له بعض ما قاله في النت وليس كثيرًا، وأحضر لي بعض الإخوة جزاه الله خيرًا كتابه «الكاشف الصغير»، فقرأته، ودعاني للرد عليه، فما إن انتهيت من قراءته حتى وجدت أنه من العبث أن أعود إليه؛ فقد انتهيت من هؤلاء الصنف من الناس قديمًا، وهناك بعض طلبة العلم الذين تخصصوا في الرد عليه، فلماذا أدخل في هذه المعمعة؟! ومن هنا فأعرضت عن الرد عليه، لكن إذا حدث أن فرضت معركة أو فرض أمر من الأمور، فربما أعود إليه مضطرًا.

الذي قرأته في كتابه.. باعتبار أن «الكاشف الصغير» هو عمدته فيما يقول.. هو بيانًا للكاشف الكبير.. والكاشف الصغير يعنى بعقيدة ابن تيمية، لأنهم يرون أن إسقاط ابن تيمية يؤدي إلى إسقاط المنهج، وهذا الرجل –أي ابن تيمية– هنيئًا له أن جعله الله بمثل هذه الرفعة: أن تجرب فيه أسلحة القوم، ففي كل فترة تجرب فتعود خسارًا وبوارًا على أصحابها، ويؤدي إلى ظهور علمه وانتشاره رغم أنوفهم؛ على الرغم من محاولتهم الشديدة لإبادته، حتى أنهم يستخدمون الأنظمة، يعني هنا في الأردن مُنعت كتب ابن تيمية في وقت من الأوقات، مُنع استيرادها وبيعها في البلاد، ولا أدري هذا القانون ما زال ساريًا أم لا، هناك دول عربية تمنع كتب ابن كثير «تفسير ابن كثير» لأن فيها فتوى ابن تيمية في التتار!! دول عربية يمنعون تفسير ابن كثير، فالحرب عليه ليس فقط فكريًا، ولكنها كذلك أمنيًا وقانونيًا.

ما الذي رأيته في سعيد فودة خاصةً في كتابه «الكاشف الصغير»؟؟ الذي رأيته أنه يستوعب ما يكتب، هذه ميزة؛ ولكن استيعابه لما يكتب جعله أكثر ضلالًا من غيره.

هناك أناس يسبون على الحق لأنهم لم يفهموه، أنا أتكلم هنا عن مسائل خفية، وبلا شك أن المسائل بين ابن تيمية وبين خصومه من المتكلمين –وأنا لا أحب أن أقول: أشاعرة في الحقيقة لأن الأشاعرة ليسوا مرتبةً واحدة، وأكثرهم –كما قال ابن تيمية: أكثرهم إغراقًا في الكلام هو آخرهم الرازي، وسعيد فودة على مذهب الرازي، وليس على مذهب الغزالي أو الجويني أو الباقلاني، يعني أكثرهم هداية هو نفسه الأشعري، ثم تلميذه، ثم تلميذ تلميذه الباقلاني؛ فكلما ابتعد التلميذ زمانيًا ازداد ابتعاده عن السنة.

الأشعري قريب جدًا من أهل السنة، ولو شئت أن تسميه سنيًا فلن تُخطئ، لأنه رفع شعار الانتماء للإمام أحمد رحمه الله كما في كتابه «الإبانة»، وسأتكلم عنه هذا الأسبوع، لأني اخترت الكتب الأربعة في مشروع «ألف كتاب قبل الممات» للحديث عنها وعن مزاياها وخصائصها وما فيها، وهي «مقالات الإسلاميين» لأبي الحسن الأشعري، و«الفصل في الملل والنحل» -سأبين عنوان هذا الكتاب وما يقول فيه المحققون- لابن حزم، والكتاب الثالث هو: «الملل والنحل» للشهرستاني، والكتاب الرابع هو «الفرق بين الفِرق» للبغدادي.

فسعيد فودة لا يرضى مذهب الباقلاني، ولا يرضى مذهب الجويني، ولا يرضى مذهب الغزالي؛ ولكنه يذهب مذهب الرازي وهو أبعدهم كما في كتابه «أساس التقديس».

فرأيته يفهم ما يكتب، وفهمه يعني أنه على درجةٍ عاليةٍ من الضلال، والرجل يحتاج إلى ردٍ علمي هادئ، وإن كان هو أقل صخبًا من صديقه السابق حسن السقاف، حسن السقاف صاحب صخب أكثر من فودة، ولكن فودة أكثر هدوءً علميًا ومعرفةً بمذهب ما يتكلم عنه من حسن السقاف.

الردود عليه، لا أريد أن أختار ردًا على رد، لكني أذكر لكم نموذجًا مهمًا، لا أريد أن أفوت بعض الخير في بعض المسائل العلمية.

وجدت -ولم أجدها من المعاصرين إلا عند سعيد فودة- أن سعيد فودة يحسم الجدل في مسائل الاعتقاد -في الإلهيات- من ابتداء كتابه، حيث يجعل التصور العامي الذي عليه عموم المسلمين منحرفًا، من أجل أن يحمل هذا المنحرف العامي -دعك من السلفي.. أنا لا أتحدث عن السلفي.. أتحدث عن العامي- يريد سعيد فودة أن يحمل -وهذا من الرازي وما يقرره الرازي- يريد سعيد فودة أن يحمل هذا العامي المسلم الذي يصلي في المسجد، وليس السلفي فقط، يريد أن يحمله على عقيدةٍ خاصة من العقل، بدلًا ما يشعر به هذا المسلم المتعبد العامي ويحسه ويتعامل به مع الله، هو يقول: هذه العبادة باطلة وجاهلة وغير صحيحة، ونريد أن نحمله على جهةٍ عقليةٍ خاصة هي عقلية العلماء، والمقصود بهم المتكلمين.

انظروا، يعني أنت الآن اذهب إلى أي مسجد من مساجد المسلمين في بلدك، وقف على باب المسجد، وكلما خرج أحد من المصلين -هؤلاء الذين هم من أهل السنة، ومن المسلمين، وبعضهم عُباد أكثر من هؤلاء المتكلمين الذين يحسنون الكلام و«الرغي» في تصورهم لربهم بطريقةٍ كلامية- لو سألته عن الله، فإنه سيحدثك

حديث القلب كما فهمه من القرآن، بطريقةٍ بسيطة هي الحق، أنا أتكلم عن أصل تعبد هذا المرء لربه في تصوره، لو قلت له: كيف الله؟ لقال: أعوذ بالله، أنا لا أعرف –هذا العامي الذي لم يأخذ دروسًا لا عند سلفي ولا عند متكلم– كيف هو الله؟ الله عز وجل أعظم من هذا.. الله عز وجل في قلوبنا.. الله عز وجل.. وهكذا يتكلم.

كان السلف إذا حاججوا المبتدعة المتكلمين في هذا الباب احتجوا بهذا الأمر، لما حاججه وقال له: فماذا تفعل لهذا الذي يرفع يديه إلى السماء ويقول: يا رب يا رب، فسكت المناظر؛ فكانت حجة السلف في صحة عقيدة السلف أنها موافقة لعقيدة العوام لربهم.

وسعيد فودة يدرك هذا، ويقول: لا.. يقول: نريد أن نصنع تصورًا كلاميًا عن الرب، نهاية صناعة هؤلاء المتكلمين –ومنهم سعيد فودة– هو النفي المطلق، لأنهم ينهون تصور هذا العبد لربه.

أرجو أن تكون قد فُهمت، وهي إن فُهمت عرف ما بعدها، فكل ما يقال بعدها مربوطٌ بهذا.

حجة المسلم السني على صحة عقيدته: أن كل المسلمين العوام على هذه العقيدة، وهم يتعبدون ربًا صحيحًا، ولما نقلت عن الإمام الذهبي، ونقلها الكثيرون عن الإمام أبي الحسن الأشعري رحمه الله: أنه لا يكفر أحدًا من أهل القبلة، لأنهم كلهم يشيرٌ إلى معبودٍ واحد؛ فهذا العامي المتعبد في المسجد الذي يقوم الليل ويقرأ القرآن، ويصلي مع المسلمين، ويرفع يديه إلى السماء ويقول: يا الله، وله اعتقادٌ بربه.. هذا يشير إلى المعبود الحق؛ وسعيد فودة –ومن معه على طريقة الرازي– يريد أن ينقله إلى عقيدة المتكلمين التي في نهايتها النفي وعدم وجود الإله، لأنه لو تابعناهم فيما يقولون لانتهى قولهم إلى أنه إله عقلي فقط لا وجود له في داخل وجدان وقلب المتعبد.

أرجو أن تكون قد فُهمت، وإلا فالحديث عنه يطول، لكن يكفي أن نعلم أنه لم يأت بجديد، وإن كانوا في بعض المرات يأتون بجديد في قضية المعاصرين، لأن تكفير العلماء شيء صعب، إلا أنهم يصرحون بتكفير ابن تيمية؛ ولذلك أنا تعجبت من مقدمة جمال حسان –أظن اسمه هكذا– وهو يقدم «الكاشف الصغير» لسعيدة فودة ويقول فيه: إن سعيد فودة لا يكفر ابن تيمية، وهذا عجيب!! فالكتاب في أوله وفي صفحاته الأولى يخرج ابن تيمية من الإسلام ويحكم عليه بالكفر، كيف مرت هذه المقدمة على هذا؟! والظاهر أن جمال لم يقرأ الكتاب، أو أن سعيد فودة قرأ المقدمة أو لم يقرأها، فإن كان لم يقرأها فهذا هو المعني، وإن كان قد قرأها فربما

أراد الاسم لعلمه أن هذه الكتب لا تقرأ.

للذكر: بعض الناس يكتبون الكتب من أجل الشعار فقط، لعلمهم أن الناس لا يقرأون هذه الكتب المعقدة أو الكتب الكلامية التي قاعدتها «سأتكلم كلامًا لا أفهمه أنا ولا يفهمه الناس حتى يقال علماء»، فيعتمدون هذا الباب، وإذا قرأها بعض المتخصصين فهي تبقى في حوارٍ على مستوى الفنجان –مستوى فنجان القهوة– لا تزيد عن ذلك، هذا ما أريد أن أقوله..

وجزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

٢٥- بمَ ميَّز الله العبد المسلم؟

ضمن الجلسة الخامسة، بتاريخ: **(١٨/١١/١٤٣٨هـ الموافق لـ: ١٠/٨/٢٠١٧ م)**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخٌ يسأل -مع الاعتذار أنه سأل هذا السؤال قبل عامين كما يقول، ووعدته بعد رمضان، فمضى رمضان ثم رمضان- يقول: إذا سئل أحدهم بم ميز الله العبد المسلم عن سائر الكائنات كافة؟ وكان الجواب: إن الله عز وجل ميزه عن الكفار بالعقل والاستخلاف في الأرض والأمانة.

أما العقل: فلقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٠)﴾ [الملك: ١٠]، بمفهوم المخالفة إذا كان الكافر غير عاقل، فالمسلم عاقل، فالعاقل من يميز بين الحق والباطل.

وأما الاستخلاف: فدليله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٠)﴾ [البقرة: ٣٠]، فاختاره الله سبحانه وتعالى ليكون خليفة دون سائر المخلوقات، حتى الملائكة منهم.

وأما الأمانة: فلما جاء في سورة الأحزاب: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (٧٢)﴾ [الأحزاب: ٧٢]، وفي الآية دليل على أن السماوات والأرض والجبال تعقل وتميز بين النافع والضار لها.

ربما يشترك العبد المسلم مع غيره في إحدى الميزات المنفردة، أما اجتماع الثلاث معًا هو علامة العبد المسلم وحده، فلو تدبرها الإنسان لعلم عظم قدره بما اصطفاه الله، ولما تجرئ على عصيانه، بل لكان محياه ومماته كله لله.

السؤال: ما مدى صحة هذا الطرح؟ هل هناك مميزات أخرى غابت، وهل لنا أن ننشر هذا بين الإخوة كما هو؟

جواب الشيخ: هذا السؤال طويل، ولو قال قائل: نحتاج للجواب عليه إلى مصنف كامل، لصدق.

السبب في هذا أن هذه الألفاظ التي ذكرها الأخ السائل ألفاظٌ مشتركة، ولنذكر أمثلةً على هذا:

هل الكافر غير عاقل، وهل المسلم هو العاقل دون بقية البشر؟

الجواب على هذا: كلمة العقل هنا مشتركة، العقل الذي به يتم إدراك المسموع وإدراك المبصر، والتفكر فيما يعرض عليه من علوم.. فهذا العقل موجودٌ في الإنسان، إلا من سلبه الله عز وجل منه وهو المجنون، المعتوه، وهذا هو أساس التكليف وبقاء التكليف عليه ناشئٌ من وجود هذا العقل.

وأما العقل الذي يتم به المدح في الآية كما ذكرت ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٠)﴾ [الملك: ١٠]، فهذا عقل خاص غير العقل الأول، فمن هنا قلت: هذا لفظٌ مشترك، يطلق على أمرين قد يجتمعان في شيء، ولكن لا بد من وجود الاختلاف بينهما في جوانب متعددة.

فالعقل الذي به يتميز الإنسان وهو مناط التكليف، هذا قاسمٌ مشترك في البشر جميعًا، إلا من رفع الله عز وجل عنه التكليف بكونه مجنونًا، وأما أن يبقى التكليف عليه في الخطاب خطاب الوحي بوجوب التوحيد ومتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم، والفهم عن الله عز وجل فيما يطلب الله عز وجل منه؛ فهذا لا يختص به المسلم دون الكافر.

وقبل كل شيء.. أنا أكرر كثيرًا بأن كلمة «العقل» باعتباره مدحًا لم يرد في الكتاب والسنة، لأن العقل آلة.. أي آلة إدراك وليست معرفة، وهذا هو الفرق بين أهل الإسلام وبين أهل اليونان ومن تبعهم؛ فالفلاسفة اليونانيون يقولون: بأن العقل يملك المعرفة بنفسه، وهو مصدر العلوم، وأما أهل الإسلام فلا يقولون هذا.

والدليل أن القرآن لم يذكر كلمة «العقل» قط، وإنما ذكر الفعل منها ﴿يَعْقِلُونَ﴾، بمعنى أنهم إذا خوطبوا فهموا، وإذا مُدحوا في هذا فحين يفهمون هذا الخطاب، لذلك قال: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ﴾ قدم ربنا هنا السماع، ذلك أن العقل لا ينتج المعرفة، السماع هو الذي يتلقى به المرء المعرفة.

المعرفة تأتي من خارج الإنسان.. قال صلى الله عليه وسلم: **(فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)**، فالمعرفة تأتي من الخارج؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] ثم قال: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١] المعرفة أتته من الخارج.

أما الفلاسفة اليونانيون فيقولون: العقل ينتج المعارف، ومن هنا نشأ ما يسمى «الفلاسفة المثاليين»، لأنهم يقولون: أن المعرفة من داخل الإنسان.

وأما أهل الإسلام فيقولون: «المعرفة تأتي بخطاب الوحي، وتأتي بالتمييز، وتأتي بالسماع».. ثم بعد ذلك، هذه المعرفة التي أتته عن طريق الحواس تدخل العقل فيركبها ويُنشئ منها بعد ذلك معارف مركبة؛ وإنما أساس المعرفة هي التي تأتي إليه من الخارج.

ومن هنا، أهل العلم يقولون: أولًا: ينشأ الإنسان على المادة لأنه بصير يدرك الأشياء، ثم بعد ذلك هذه الأشياء ترتقي إلى المعاني فتصل إلى عالم الحكمة وهكذا، مثلاً: يأتي المرء بالكتاب، فيدخل إلى عقله، فينفعل به ويصدقه، ثم بعد ذلك تنشأ لديه معارف من خلال ما أتت إليه من هذه المعارف الخارجية، فتنشأ الحكمة.

إذن العقل الذي هو مناط التكليف هذا يشترك فيه البشر كلهم، ولولا وجود هذا العقل الذي به يتم إدراك الخطاب الموجه إليه لما حصل التكليف أصلاً، لأن الإنسان من غير إدراك يسقط عنه التكليف، كيف يخاطب المرء ثم يكلف وهو لا يعرف الخطاب ولم يدرك مراده؟!

أما العقل الممدوح، ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ﴾ [الملك: ١٠]، فالمقصود به هنا «العقل ذو النُهى»، فالعقل سمي «ذا النُهى»، والنُهى هو العقل.

لماذا هنا العقل ممدوح؟ لأنه خرج من حيز الإدراك إلى حيز الإرادة، فالعقل أولاً: هو الذي يخاطب به الإنسان من أجل الإدراك، لكن هناك عقلٌ آخر يرتبط باسم العقل لغةً، وهو بأن يكون هذا العقل مانعًا للمرء عن الخطأ، وهذا يكون مقابله الجهل.

والجهل إلى الآن في لغة العوام، مثلاً: إذا أراد أحد أن يذم أحدًا لا يمتثل للصواب الذي يخاطب به، ولا ينتهي عن الخطأ الذي ينهى عنه، يقال: رجل جاهل، أو فتى جاهل.. هذا جاهل، ولا يقصدون به عدم المعرفة، فهو يعرف، ولكن يقصدون به عدم التقيد بهذه المعرفة إن كانت أمرًا أو نهيًا، ولذلك، العقل من الربط، ويسمى العقال، فالأصل العقل هو بمعنى الربط، ولذلك تسمى المرأة عاقلة أو عقيلة فلان؛ لأنها محبوسةٌ عليه، فتمدح هذه المرأة فيقال: عقيلة فلان، أي محبوسةٌ عليه وليست لكل أحد.

وتسمى الدية: العاقلة، لماذا؟ لأنهم كانوا قديمًا إذا جاؤوا بإبل الدية ربطوها بباب بيت القتيل، فسميت عاقلة لأنها عقلت، أي ربطت، وعقل الشيء أي ربطه، فالعقل في مرتبته الثانية -وهي المطلوبة بالنسبة للبشر- هو أن يمتثل المرء ما وجه إليه من خطاب، أولاً: يوجه إليه الخطاب فيعقله، ثم بعد أن يعقله أي يفهم مراد الْمُخاطب؛ يتوجه إلى الامتثال.

وهذا العقل يربط المرء من السفاهة، وقد أكثر القرآن من وصف خصومه بالسفهاء، قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ١٣٠]، هؤلاء خوطبوا فأدركوا المراد، ثم خالفوه فكانوا سفهاء.

فإذن اللفظ العقلي لفظٌ مشترك كما نرى، يطلق على أساس التكليف وهو الذي يتم به إدراك الخطاب، ثم بعد ذلك يأتي إلى الوصف اللغوي للعقل، وهو أن يربط المرء عن اقتراف ما نهي عنه، وإتيان ما أمر به، فهذا هو العقل.

ولذلك قال تعالى: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ﴾ أولًا: السماع، ثم ﴿أَوْ نَعْقِلُ﴾ هنا العقل المدحي الذي به يتم وصف من امتثل الأمر فانتهى عن مخالفته، وكذلك من ابتعد عن النهي فأتى أمر الله عز وجل بالانتهاء والازدجار، فهذا هو الجواب عن موضوع العقل.

أما الموضوع الثاني وهو الاستخلاف: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، لا أدري ماذا يريد منها، إنما يقول: اختار آدم ليكون خليفة دون سائر المخلوقات حتى الملائكة منهم

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، اختلف أهل العلم فيها:

والجمهور على أنه يخلف بعضهم بعضًا، وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما، أي يموت الآباء فيرث الابناء، وهكذا، فهذا قول.

وقولٌ آخر: أنه خليفة لأممٌ قد سبقت في عمران هذه الأرض وهم الجن.

وقال بعضهم -وهو قولٌ مشتهر بين العوام، ويردده بعض أهل العلم- قال: إن الإنسان خليفة الله في

الأرض، وهذا القول قال به بعض أهل العلم، ونهى عنه كثير من أهل العلم.

والمقصود هنا من الآية ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، يعني هذا خطابٌ رباني للملائكة بهذا الأمر، أن البشر سيخلف بعضهم بعضًا، والملائكة لم تعترض، ولكنها تساءلت عن حِكمة هذا الأمر لأنها لم تدرك حكمة هذا الأمر، وقد شرحت هذا مطولاً في تفسير سورة «البقرة»، فليرجع إليه.

لكن هل هذا دليل على أن السماوات والأرض والجبال تعقل وتميز؟ الجواب: نعم، قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤]، فهي قائمة بأمر العبودية على وجه التسخير، وعلى وجه الأمر القدري الكوني، بمعنى أنها ليست مخيرة بين المعصية وبين الطاعة، ولا بين الغفلة وبين التذكر، هي قائمة على أمر الله عز وجل، تمتثل أمر الله عز وجل، كما قال ربنا جل في علاه: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤]، فالحجارة تهبط من خشية الله، وقال تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]، هذا احتمالٌ موجود ﴿لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا﴾، فالحجارة تخشع والجبال تخشع وتتصدع من أمر الله وثقل الأمر الموجه إليها.

ولذلك، لا أدري ما هو السؤال، ولكن بلا شك أن السماوات والأرض والجبال تعقل عقلًا خاصًا بها، وهنا رجعنا إلى كلمة «العقل» يعني ماذا تعقل؟ يعني إذا خوطبت بأمر الله استجابت، فهذا هو الجانب الذي فيها، ولكن هل هذا العقل هو الذي في الإنسان؟ بلا شك أنه هو ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

إذن نحن علمنا أن لهم قدرٌ خاصٌ بهم لا نعرفه، نحن عقولنا ومعارفنا وعلومنا محدودة، وهذه الحجارة التي حولنا، وهذه الجبال التي حولنا، وهذه السماوات التي فوقنا، وهذه الأنهار التي تجري، نحن لا نعرف كيفية تمييزها، لا نراها إلا على حالةٍ واحدة من خلق الله لها، فالمياه نرى فيها الميوعة، والجبال نرى فيها الثبات، والسماوات نرى فيها الثبات، والأنهار نرى فيها الجريان، أما كيفية عبوديتها لله عز وجل، فنحن نتيقن بخطاب الله لنا من قبل الصادق المصدوق محمد صلى الله عليه وسلم أنها تعبد الله عز وجل، وأنها تسبح الله عز وجل، وأنها تخشى الله عز وجل، هذا هو المطلوب منا أن نفهمه، أما كيفية عقلها لهذا الأمر؟ وكيفية إدراكها للخطاب؟ فهذا لا نعرفه، فنحن لا نعرف الدواب التي عندنا في كيفية إدراكها؟ نحن نعلم أنها تحس، وأنها تحب وتبغض، وفي ذلك

أدلة كثيرة:

فالحجارة سبحت بيد النبي صلى الله عليه وسلم، الجمل شَكى للنبي سوء صنيع صاحبه به، لكن كيف يقع هذا؟ نحن لا ندري، فلو قال قائل: كيف شَكى هذا الجمل للنبي صلى الله عليه وسلم؟ نحن لا ندري، قال صلى الله عليه وسلم: (**أحد جبل يحبنا ونحبه**)، كيفية وقوع ذلك لا ندري، الكيفية لا نعرفها، نوقن بوجود هذا القدر ولا نزيد عليه.

في آخر الكلام يقول الأخ: فلو تدبرها الإنسان لعلم عظم قدره بما اصطفاه به.

بلا شك أن الله عز وجل كرم آدم عليه السلام، وأسجد له الملائكة، وسخر لآدم ما في السماوات وما في الأرض، لعِظم قدر هذا المخلوق الصغير الذي هو مجرد ذرة صغيرة في هذا الكون الكبير، ولكن الله عز وجل خلق كل شيءٍ مسخرًا لهذا الإنسان، فبلا شك أن الإنسان هو المكرم من قبل الله عز وجل، وهو أكرم خلق الله.

واختلفوا من أعظم كرامة عند الله عز وجل؟ الملائكة أم البشر؟ اختلفوا في هذا، فكثيرٌ من أهل العلم اشتهر عنهم بأن الإنسان أعظم من الملائكة، وذهب بعض أهل العلم -ومنهم ابن حزم- على أن الملائكة أفضل، لما جاء في سورة الإسراء، قال تعالى: ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (٧٠)﴾ [الإسراء: ٧٠]، بعض أهل العلم قال: فضلهم على جميع خلقه حتى الملائكة، ابن حزم قال: ﴿عَلَى كَثِيرٍ﴾ فبقي القليل، من هم؟ قال: الملائكة، وبعض أهل العلم فصل، فقال: أما من جهة الخلقة أصل الخلق فالملائكة خير، وأما من جهة ما يحصل للعبد الصالح من الطاعات مع وجود التكليف ومنازعة الإرادة التي هي إرادة الشر ونوازع الشر من وجود إبليس الناهي له عن الطاعة فيكون الإنسان أفضل.

فأصل الخلقة يقولون هذا خلق من نور، وهذا خلق من تراب فأصل الخلقة الملائكة أفضل، وأما بعد بلوغ مراتب التعبد والامتثال يكون الإنسان أفضل من الملائكة، وهذا بعض تفصيل أهل العلم في ذلك، ولكن ولا شك أن الإنسان خيرٌ من السماوات ومن الأرض مع الاختلاف في الملائكة.

أرجو أن أكون قد بينت هذا بيانًا شافيًا، والحمد لله رب العالمين.

٢٦- حكم من أنكر الرجم

ضمن الجلسة الخامسة، بتاريخ: (**١٨/١١/١٤٣٨هـ الموافق لـ: ١٠/٨/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

هناك مجموعة من الأسئلة من الإخوة، السؤال الأول سؤال حول الرجم: هناك من ينكر حد الرجم، ويدعون أن أحاديث الرجم ليست متواترة، فما صحة دعواهم؟ وما حكم هؤلاء يا شيخ؟

جواب الشيخ: أولًا: حكم الرجم ثابتٌ في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والإجماع منعقد عليه، ولم يخالف فيه أحد من أهل الإسلام، إلا ما ورد أن بعض طوائف الخوارج ينكرونه لجهلهم بالسنة، وأما أهل الإسلام قاطبة يقولون: بأن الرجم حكمٌ ثابتٌ في سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وفعله الصحابة رضي الله عنهم، بل فعله النبي صلى الله عليه وسلم.

الكلام عن هذا الموضوع يتعدد إلى شعب:

أولًا: نسبة هذا القول عن نفي الرجم إلى بعض طوائف الخوارج لم يثبت، والمعروف أن الخوارج لم يكتبوا كتبًا قط، الخوارج الأوائل لا نعرف عقائدهم، ولا مذاهبهم، ولا فقههم، إلا من خلال كلام أهل العلم عنهم، والكثير من هذا الكلام عنهم لم يثبت، وإنما قاله بعض الناس.

فمثلًا: نفي بعض طوائف الخوارج لحكم الرجم لا يوجد من نقله نقلًا صحيحًا، وإنما يذكر عن بعض طوائفهم وليس عن كل الخوارج، وربما يصل بعض الخوارج إلى هذه الدرجة من الجهل، فمن المعروف أن الخوارج قد اعتزلوا ديار الإسلام وحواضر العلم، وبالتالي: يمكن أن ينشأ بعض الخوارج في باديةٍ بعيدة، وفي مصرٍ بعيد عن حواضر العلم وعن مصادره، فيقول مثل هذا القول، يمكن ذلك، ونحن نرى أنه ثمة هناك فرق تنشأ بعيدة عن العلم، فتقول أقوالًا شاذة غريبة لا تتصور في أهل العلم، هذا واحد.

الشيء الثاني: موضوع أن أحاديث الرجم ليست متواترة، يعني هذا من أشد أقوال أهل البدع، كنا نصارع المبتدعة في قضية الاحتجاج بأحاديث الآحاد في العقائد، كون المتكلمين قالوا: إن أحاديث الآحاد ظنية، فإذا خالفت ما هو قطعي من العقل أولناها، فاستبعدوا أحاديث الآحاد في موضوع العقائد في هذا الباب، ظنًا أن

أحاديث الآحاد تفيد الظن في الثبوت، والعقل قطعي في ثبوته، فالعقل أقوى تقديمًا، كما يقولون، أو إذا زعموا أنه ثمة بعض أحاديث الآحاد تخالف الكتاب الكريم؛ فالحديث آحاد وهو ظني، والقرآن متواتر... هكذا يزعمون، وهكذا يصادمون بين النصوص.

ولكن لم نسمع قط: أن أهل الفقه من أهل العلم اختلفوا في ثبوت وفي قبول أحاديث الآحاد في الأحكام؛ والإمام المطلبي الشافعي رد على هؤلاء في الرسالة وفي جماع العلم، بأن حديث الآحاد تثبت به الأحكام الشرعية، وهذا إجماع أهل الفقه.. أهل الفقه لم يختلفوا في هذا، ربما بعض المعتزلة خالف في هذا ربما، ولكن أهل الفقه من أهل السنة مجمعون على أن أحاديث الآحاد حجةٌ في الاجتهاد في مسائل الأحكام.

فدعوى أن أحاديث الرجم ليست متواترة فلا نأخذ بها، فهذه بدعة عظيمة وحالقة؛ تؤدي إلى إلغاء الشريعة بالكلية، لأنه من المعروف أن عامة الأحاديث النبوية آحاد، فإذا أسقطنا بها هذا الحكم، أسقطنا بها بقية الأحكام.

وإذا كان الإمام أحمد رحمه الله، وهو إمام أهل السنة يقول: ضعيف الحديث أحب إليَّ من الرأي؛ والمقصود بضعيف الحديث أي الحسن، كما يقول بعض أهل العلم –هناك تفصيل عندنا في هذه المسألة فيها تفصيل شديد– ولكن هذا توسعةً لباب النص مقابل الرأي، خِلافًا لمن وسع دائرة الرأي مقابل النص كما فعل بعض الأحناف، وكما فعل بعض المالكية مما ينسب إليهم.

ولذلك، هذا من الاغترار بأقوال الخصوم والمستشرقين، نحن أمام معركة نفسية وليست علمية، بمعنى أنه لما يضعف المسلم أمام هجمات الخصوم في تدمير الإسلام يبدأ بالدفاع، وبعض أدوات الدفاع تكون بالإسقاط، يعني بدلًا من أن يدافع عنها بأنها الحق، يؤدي إلى إسقاطها؛ ليستريح، كمن يريد أن يجيز الغناء متابعةً للكفر.. كمن يريد أن يجيز كشف عورة المرأة من أجل هجوم الكفار.. وهكذا.

ونحن لا نقول: أن من نفى حد الرجم أنه يشابه هؤلاء، ولكن هؤلاء يفتحون الباب للخصوم، وكما قال أئمتنا: إن فتح باب التأويل يؤدي إلى عدم إغلاقه، وإلى توسعته إلى ما لا نهاية... حتى يوسع باب تأويل النص ليس فقط النص الخبري، ولكن الأمر الشرعي أيضًا.. فلا يوجد ضابط.. وهذا الذي فعله الزنادقة والباطنية.

وكذلك هنا لما نفتح الباب لرد أحاديث الآحاد في حكم الرجم، فعلى طالب العلم وعلى المنتسب للسنة والعلم أن يفهم أنه فتح الباب للزنادقة لرد كل الشريعة.

الآن مسألة هم يعرفونها: الأصول تقتضي أنه إذا أجمعت الأمة على نص صار قطعيًا، حتى لو ثبت الحكم أو النص على جهة الآحاد، ولكن الإجماع عليه رفع درجته وصار الإجماع قطعيًا؛ يعني مخالفة الإجماع في هذا الباب كفرٌ وردة، وهو إنكار للمعلوم من الدين بالضرورة..

ولذلك، الآن الذي يقول: بإنكار حد الرجم، هو أنكر إجماعًا فهو كافر، ولا يجوز التلاعب بها، وليس هذا فحسب.. بل إذا كان منتسبًا للعلم يكفر بنفسه فقط، ولكنه يفتح كذلك باب الكفر متسعًا لكثيرٍ من الناس.

الرجم ثابتٌ من قوله صلى الله عليه وسلم، وثابتٌ من فعله صلى الله عليه وسلم، ولا يجوز التلاعب به، ويجب رفع النكير والغلظة والشدة على من ينكره، لأنه يؤدي إلى فتح باب الزندقة في هذا الدين وإنكار الشريعة بالكلية.. فلذلك أقول: من أنكر حد الرجم اليوم فهو كافرٌ مرتد.

والله تعالى أعلم، وجزاكم الله خيرًا.

٢٧- حكم التسمية بأبي القاسم

ضمن الجلسة الخامسة، بتاريخ: (١٨/١١/١٤٣٨هـ الموافق لـ: ١٠/٨/٢٠١٧ م)

أخٌ يسأل: شيخي الفاضل، جزاك الله خيرًا... هل اسم «أبو القاسم» حرامٌ أم حلال؟

جواب الشيخ: ورد النهي عن اسم «أبي القاسم»؛ فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم في السوق فنادى رجلٌ: يا أبا القاسم، فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم، فعلم أن المنادى غيره وهو أحدهم.

وأحد أهل المدينة من الأنصار سمى ابنه القاسم، فقال له الأنصار: لا، ولا كرامة؛ يعني لا نسميك بأبي القاسم؛ اقتصارًا على أن هذا الاسم هو لرسول الله صلى الله عليه وسلم..

والنبي صلى الله عليه وسلم من أسمائه القاسم: **(إنما أنا قاسم والله يعطي)**، والنبي صلى الله عليه وسلم قال: **(سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي)**.

اختلف أهل العلم إلى مذاهب.. وجودها في الأقوال التالية:

أولًا: قال بعض أهل العلم: إن «أبا القاسم» اسمٌ محرم في زمان النبي صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته، سواء كان اسمه محمد أو غير محمد. هذا قول.

قولٌ آخر: قالوا: بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم يجوز أن يسمى الرجل بأبي القاسم، على ألَّا يكون اسمه محمد؛ لكيلا يجمع الصفتين فيقع شيء من الإشكال والاشتباه.

وقال بعضهم: يجوز أن يسمى الرجل بأبي القاسم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ولو كان اسمه محمد، هذه مجمل أقوال أهل العلم.

فإذن فالمتفق عليه: أنه لا يجوز له أن يتسمى باسمه في زمانه، لقوله صلى الله عليه وسلم: **(سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي)**.

هل هذا شاملٌ لبعد وفاته، فينتفي الاشتباه؟ يعني السبب كما هو بيّن أن النبي صلى الله عليه وسلم اسمه

«أبو القاسم»، فينادي رجل بأبي القاسم، فيقع الاشتباه حين النداء، أو يقع الاشتباه عند الحديث، أو يقع التعظيم الذي نهت عنه الشريعة، فهل هذه العلة بعد النبي صلى الله عليه وسلم، أم أنها علةٌ قد فقدت والممنوع هو أن يتسمى باسمه مع كنيته؟

الذي أميل إليه: أن هذا خاصٌ بزمن النبي صلى الله عليه وسلم، أي يجوز لأي أحد أن يتسمى بأبي القاسم..

والنبي صلى الله عليه وسلم قال: (**إنما أنا قاسمٌ والله يعطي**)، بمعنى: أنه يقسم بين الناس ما يأتيه من حقوق فيعطيها للناس، كالغنائم والفيء وما شابه ذلك.

فهذه العلة مرتفعة، ولذلك عندي يجوز للرجل أن يتسمى بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بأبي القاسم سواء كان اسمه محمد أو غير محمد، ولا أرى في ذلك شبهة أو اشتباه، وأن العلة قد ارتفعت بوفاته صلى الله عليه وسلم.

والحمد لله رب العالمين.

٢٨- تفصيل حول شركة المضاربة

ضمن الجلسة الخامسة، بتاريخ: (**١٤٣٨/١١/١٨هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/٨/١٠ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: ما القول في شراكة في دكان بين اثنين، يكون رأس المال بالتساوي، كل واحد يدفع نصف المال، وأحدهما يعمل عشرين يومًا والآخر يعمل عشرة أيام، كيف يقسم الربح؟؟

جواب الشيخ: هذه الشركة اسمها المضاربة، وهي: أن يشترك كل واحدٍ بالمال ويشترك كل واحدٍ بالبدن، والشارع هنا لا يتدخل في النسبة، بل يتركها بحسب الناس وتسامحهم وحقوقهم، وبحسب أعرافهم، بمعنى كم يأخذ الذي يعمل عشرين يومًا؟ قد يأخذ مثل الذي يعمل عشرة أيام، ربما يكون الذي يعمل عشرة أيام عنده خبرة أكثر من الذي يعمل عشرين يومًا، فيأخذ النصف كما يأخذ النصف، فهذا أمرٌ متروكٌ لهم، الشارع لا يتدخل في النسبة.

ولكن قد يتدخل في قضية مهمة -منعًا للربا ومنعًا للتحايل- وهي: أن الشارع يمنع أن يأخذ أحد الشريكين درهمًا واحدًا على التحديد، إنما هي النسبة، بمعنى لو قال رجلٌ لآخر: أنا اشتغل عشرين يومًا وأنت تشتغل عشرة أيام، والعشرة أيام فرقها أن تعطيني مائة دينار محددة، وهو شريك؛ فالجواب: هذا لا يجوز، هذا باطلٌ بالإجماع، إجماع أهل العلم، وذلك من إجماع كل أهل العلم الذين كتبوا في الفقه؛ وذكرها ابن تيمية في كتابه «الحِسبة».

وبعض الجهلة رد على هذا: بأن هذا مخالف للعقل.. وهم لا يعرفون.. ذكرت هذا مرةً، فقال بعضهم: ما الفارق بين أن يشتغل أجير بقرش محدد، بدرهم محدد، وبين أن يشتغل الشريك بأجرٍ محدد، هذا جهل شديد.

يجوز أن يرفع نسبته، يعني من يعمل عشرين يومًا ممكن أن يأخذ ٥٪ زيادة، يجوز، ويجوز ألّا يرفع له من باب الإحسان أو من باب أنه صاحب بيعٍ جيد أو إتقان جيد لهذا العمل، فيجوز ذلك.

القصد: أن هذه الشراكة هي على ما يتفقون فيما بينهم، يعني ممكن لرجل أن يبدأ ٥٠٪ و٥٠٪ ويعمل الاثنان، ثم يقول أحدهما: أنا أريد ٦٠٪ وأنت ٤٠٪.. يجوز هذا، لا حرج، ولكن لا يجوز أن يقول: أنت لك

٥٠٪ وأنا لي ٥٠٪ بعد أن أخرج أجرتي أنا، هذا لا يجوز، سواء اشتغل معه أم لم يشتغل معه، سواء أن كليهما يعمل ببدنه أم لا.

إذن تحديد درهمٍ واحدٍ لأحد الشريكين غير جائز في شركة المضاربة أو القراض.

يسميها بعض أهل العلم: القراض؛ قال بعضهم: المضاربة تسمية أهل الحجاز، والقراض تسمية أهل العراق؛ وقال بعضهم: العكس؛ وقال بعضهم: لا فرق، وهو الصواب، كلاهما يستخدم القِراض والمضاربة.

وهذا عقدٌ مجمعٌ عليه لا يختلف فيه أحد، وزعم بعضهم أن الشافعي قال: «كل مسائل الإجماع لها نصٌ إلا القِراض»، وردوا عليهم: أن القِراض أو المضاربة فعلها النبي صلى الله عليه وسلم في الجاهلية والإسلام، فهي من الشركات المشهورة المعروفة.

والقِراض المقصود به أن يدفع أحد الشريكين المال، والثاني إما أن يشترك بالجهد أو يشترك بالجهد والمال، والأول إما أن يشترك بالجهد أو بالمال فقط.

فالقصد: أن هذا العقد متروكٌ لما يتفق عليه الناس، ولا يتدخل فيه الشارع ومتروكٌ لما بينهم من الإحسان أولاً أو من الأعراف، إلا ما ذكرنا من الشرط المتقدم.

يقول السائل: ثم بعد ذلك، إن حدث وأتى أحدهم بالبضاعة من عنده بصل أو عنب من بستانه كيف تقسم مداخلها بين الرجلين؟

الجواب: الرجل صاحب المال يُعطى هذا المال الذي دخل به، يعتبر جزءًا من ربحه، فيعطى النسبة المطلوبة الزائدة، كما لو وضع رجلٌ ٦٠٪ في المال، ورجلٌ وضع ٤٠٪ في المال، ليس بالتساوي؛ فهذا صاحب الـ ٦٠٪ يصبح له ربحٌ زائد.. وهكذا، فالذي دخل بهذا الطعام أو هذه البضاعة من بستانه يوضع له نسبة زائدة بمقدار ما أدخل من المال زيادةً له.

والله تعالى أعلم، وبارك الله فيكم.

٢٩- تفصيل الحكم في إحدى المعاملات المالية

ضمن الجلسة الخامسة، بتاريخ: (١٨/١١/١٤٣٨هـ الموافق لـ: ١٠/٨/٢٠١٧ م)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل أخ: السلام عليكم ورحمة الله -وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته- شيخنا الكريم، عندنا في ليبيا معاملة مصرفية تقتضي بتصريف ٤٠٠ دولار لكل مواطن، ويُقتص منه مبلغ مالي بالعملة المحلية يعادل سعر المصرف على أن يتم القبض من مصرف في تونس أو أي مصرف بالعملة المحلية في البلد الذي سيتم استلام المبلغ منه، يعني هم يلزمونك بعملة البلد ولا تأخذها دولارًا، رغم أن عملتك أنت بالأصل دولاً، هذا السؤال له قسم آخر..

جواب الشيخ: نجيب باحتمالين على هذا السؤال؛ يعني هل أنت تدفع ٤٠٠ دولار وتقبضه بالعملة المحلية، أو تدفع أنت عملة محلية لتقبض بالدولار، فتذهب إلى بلدٍ آخر لتقبض بالعملة المحلية وأنت تريد الدولار؟

في الحقيقة.. هنا.. قال: «عندنا في ليبيا معاملة مصرفية تقتضي بتصريف...» يعني تقصد: أن الدولة -خلينا بهذا الاحتمال أولًا- أن الدولة تصرف لكل واحد ٤٠٠ دولار لكل مواطن، وقال: «ويُقتص منه مبلغ مالي بالعملة المحلية -لماذا يقتص منه؟ - يعادل سعر المصرف»، بمعنى أنه مطلوب أن يعطوك ٤٠٠ دولار، ولكن يحاسبونك سعر الدولار بالعملة المحلية التي تخالف سعر السوق أو ما يسمى «السوق السوداء»، وهي في الأصل بيضاء، لأن الحكومة هي التي تسرق، يعني عدم تعويم الدينار أو ربط الدينار بمبلغ محدد من قبل الدولة يصنع الكثير من الفساد، والتعويم فيه مفاسد ولكن الآن ليس الحديث عنه، فأنت تقول: أن الدولة تصرف ٤٠٠ دولار وتعطيك إياها بالعملة المحلية بسعرٍ ما.. ما المشكلة هنا؟! هذا من الدولة.. هي تعطيك وهي تجبرك على وجهه، وهو من باب الإحسان من الدولة، إن حملناه على هذا المعنى.

ولكن أنت تقول: «على أن يتم القبض من مصرف في تونس أو أي مصرف بالعملة المحلية للبلد»، هذا يسمى عند أهل العلم «السفتجة».

السفتجة وكانت قديمًا موجودة، وأول من استخدمها الزبير رضي الله عنه، وهي أن تعطي الرجل دينارًا في هذا البلد على أن تستلمه في البلد الآخر -بسبب الأمان، أو بسبب المشاكل- أن تستلم درهمًا... أن تُسلم دينارًا وتستلم درهمًا.. أو أن تسلم -مثلًا- دينارًا روميًا وتستلم دينارًا إسلاميًا في بلدٍ آخر، ويتم هناك الفرق، ومعروف في ديننا أن بيع (**الذَّهَبُ بِالذَّهَبِ رِبًا إِلَّا هَاءَ وهَاءَ**).

بيع الذهب له شرطان: الشرط الأول: اتحاد المجلس، أو اتحاد الإيجاب والقبول والقبض في مجلسٍ واحد.. وقبل كل شيء اتحاد الوزن، يعني الذهب والفضة كان قديمًا باستخدام الوزن.. والدينار وزن والدرهم وزن.. فلا بد من تساوي الوزن بين المبيع وبين الثمن.. وثانيًا: لا بد من القبض في مجلس العقد..

طيب، أنت الآن تدفع درهمًا وتأخذ دينارًا!! ولكن هنا ضرورة.. واليوم هذه مستخدمة.. أنت تدفع دينارًا في الأردن وتستلم جنيها في مصر، فهذا جائز؛ ولكن بشرط أن يُعرف الثمن عند التقابض، يعني عند الاستلام تقول له هذا دينار؛ فأنا أستلم منك منه مثلًا خمسة جنيه في مصر، أن يتم بهذا الشرط، وللأسف هذه الشروط الآن غير موجودة، والناس والمصارف وأماكن تحويل المال لا يستخدمون هذا البتة.

فلو حاولنا أن نجريه على وجهٍ صحيح وهو إذا كان الرجلان.. الذي يريد أن يودع والذي يريد أن يستلم.. رجلان مختلفان، شخصان مختلفان، فأنت عندما تستلم هو يستلم بالسعر المقدر، يعني يضع الرجل مالا عند الجهة المرسلة ويقول: وضعت ٥٠٠ دولار أو ٥٠٠ دينار، وأنت تستلم ٥٠٠٠ جنيه مثلًا، وهكذا، فهذه أفضل صيغة.

ولكن الذي يقع أنك إذا وضعت بالعملة الأجنبية في البنك، فإنهم يحولونها إلى العملة المحلية فيستفيدون منك، ثم يحولونها إلى الجهة الأخرى فيستفيدون منك مرةً أخرى في التجارة.. وهكذا، وهذا يقع فيه ظلمٌ شديد ومظلمةٌ عظيمة.

القصد أن هذه المسألة.. في الصرف.. الدولة تعطيك.. فهذا يقع فيه كثير من التجاوز لأنه مبنيٌ على الإحسان.. يعني الدولة هي تعطيك، فإذا كان على هذا المعنى فهو مرجعه إلى الإحسان وليس إلى المحاقة كما هو في البيوع.

بقيت مسألةٌ أخرى: المبلغ لا يوضع في حسابك مباشرة، وإنما ينتظر فترة ربما قد تصل إلى أسابيع لكي تُعطى وصلًا أن مبلغ كذا وكذا في حسابك، ولكن لا تستطيع السحب.

في الحقيقة: هذا من الظلم، وهذا من تلعب الطواغيت وتلعب صغار الطواغيت من البنوك؛ لأن وجود المبلغ في يد الرجل أو في حساب الرجل في البنك يأخذون عليه الأرباح، وهذه إحدى طرق سرقة الطواغيت لأموال الأمة.

مثلًا: لنفترض أن دولة أهدت دولة مليونا وقالت: هذا للشعب -كما يقع الآن.. دول تتبرع لدول أخرى- فماذا يفعل الطاغوت؟؟ يأخذ المليون ويضعه في حسابه لمدة معينة يستثمره في بنك فيأخذ الأرباح، ثم بعد الاستثمار يعيده ويقول: أنا أعطيتكم المبلغ كما أخذته، وهو يكون سارقًا، رابحًا للمال بطريقة ربوية أو غير ربوية، في بنوكٍ أخرى...

وكذلك في قضية الودائع، يعني بعض الدول من أجل أن تحافظ على عملة دولةٍ أخرى، يودعون فيها أموالًا لتقوى هذه العملة ولتحافظ على قيمتها الشرائية، فيودعون مثلًا مليار دولار في البنك المركزي لهذه الدولة؛ فيأتي الطاغوت يأخذها ويضعها في حسابه لمدة معينة، ولا يسرقها، بعدين السرقة، ولكن في الأول يأخذها ويضعها في حسابه لمدة.. ويأخذ الأرباح، أو يضعها في حسابه حتى تستثمر، تأخذ من حسابه.. فهذه إحدى طرق السرقة واللصوصية..

القصد: هذا من طرق اللصوصية، الأخ يسأل كأن له خيارًا آخر!! يعني يمكن أن يفعل أولا يفعل!! أصلاً هو -في الحقيقة- مجبر.. ماذا يفعل؟!! عليه أن يستغفر الله، ولا شيء عليه هو مسكين.

يقول: فهل هذه المعاملة جائزة؟ -تكلمنا- وهل الإلزام بأن تأخذ الصرف بعملة البلد التي تصرف المبلغ؟ أنت تقول: هم يلزمونك، يعني: الحديث هنا ليس عن جائز، الأصل هو أنه إذا تحول مبلغ بأن تأخذ بنفس المبلغ، ولكن الدول لا تعطيك، لا تعطي الدولار.. لماذا؟ لأنه لو أعطت الدولار الناس أخذوا الدولار وأسقطوا تعاملهم بالعملة المحلية الساقطة ولم يتعاملوا بها، أو إذا أخذوا الدولار باعوه ليس في السوق الرسمي التي رَبطت العملة بقيمة معينة بالدولار، وإنما يبيعونها فيما يسمى «بالسوق السوداء» وهي بيضاء في الحقيقة مرات؛ لأنها هي السعر الحقيقي المعادل للعملة المحلية.

فالقصد: نتكلم هنا عن الإلزام يا مسكين، وليس عن اختيارك.

والحمد لله رب العالمين وجزاكم الله خيرًا.

٣٠- طه عبد الرحمن فيلسوف الإسلام المعاصر؛ ما له وما عليه

ضمن الجلسة السادسة، بتاريخ: (**١٤٣٨/١١/٢٥هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/٨/١٧ م**)

إن الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونصلي ونسلم على رسولنا وسيدنا محمد:

السؤال الأول: يسأل أحد الإخوة يقول: ما هو تقويمك لمدرسةٍ تنتشر اليوم ولها أنصار، وهي مشروع طه عبد الرحمن الفيلسوف المتصوف، وهو من الزاوية البودشيشية، الذين يرون إحياء التصوف في مقابل الحداثة الغربية؟ لو خصصتم سيدي كلمة أكون لكم ممتنًا تمام الامتنان.

جواب الشيخ: من الغرائب التي نجدها في حياتنا، والتي تدل على أن العقل الإنساني ليس واحدًا بل هو متعدد، بمعنى أنه يمكن للمرء أن يتعقلن في جانب، وأن يمحو عقله في جانبٍ آخر..

وضلال الناس أغلبه وأكثره فيما يتعلق بميراث الأنبياء، يعني الأغلب في الناس أنهم في جانب العقليات والكونيات وفي جانب الأقدار والسنن، أنهم يلتزمون بالحياة وقوانينها وسننها -فلنسميهم بالعقلانيين في هذا الجانب- ولكنهم إذا جاءوا إلى جانب الشريعة تجدهم يتحللون من هذه العقلانية؛ وهذا موجودٌ في البشر جميعًا، وموجودٌ في أهل الإسلام، في طائفة من طوائف أهل الإسلام.

ونحن نعجب أن يكون عابد البقر أستاذ فيزياء!! أو أن يكون عالماً في الفلك!! وأنا كتبت في هذا عند كلامي عن الفرق بين العقل الشعري والعقل الجهادي، في أن العقل الواحد في المرء يتعدد.

فضلال الناس -كما قلت لكم- أغلبه فيما جاءت به الشريعة، ومبعث هذا الضلال هو دخول الهوى فيه، يعني المرء في الكونيات يحاول التسديد؛ لأن في ذلك منفعته، كالتاجر ينزل إلى السوق فإنه لا ينزل بلا عقل، ولا ينزل بلا سنن، ولا ينزل بلا قواعد؛ حرصًا منه على إصابة المنفعة والربح، وكذلك الذي يريد أن يسلك طريقًا ليسافر فإنه يبحث عن أسدِ الطرق وأجودها وأسلمها، من أجل أن يصل إلى مراده؛ فلا يدخله الهوى، لكن موضوع الدين يدخل فيه الهوى والظن، ومن هنا نجد أن أغلب ضلال الناس في هذا الباب الذي نحن فيه، يعني كما قال الإمام الشافعي رحمة الله تعالى عليه: «ما رأيت رجلاً تصوف في أول نهاره ما أتت عليه صلاة العصر إلا وهو مجنون»، فالصوفية هي الجنون في الحقيقة.

ونحن نرى كذلك الروافض فيهم الجنون، أنتم ربما الآن لاتساع وسائل التواصل والنشر، تدخلون فتجدون لأئمة الشيعة الروافض كلامًا لا تقبله الدابة، ولكنهم يقبلونه ويعتقدون به ويقاتلون عليه، ويبكون ويتفاعلون معه كأنه حقائق؛ فإذا روجعوا فيه من جهة العقل فقط، ضجوا وسلموا بأن النص هكذا جاء!! وهذا من الضلالات، بمعنى أن يظن أحد أن شيئًا من الشريعة على خلاف العقل، ما يقتضيه العقل من روابط وقواعد وأسس.

وعلماء السنة يقولون: بأنه لا يوجد في الشريعة ما يخالف العقل، لكن يوجد فيها ما لا يدركه العقل.. هذا فرق.. أن يأتي شيء على خلاف العقل، هذا لا تأتي به الشريعة، لكن أن يأتي شيءٌ فيها لا يدركه العقل بنفسه ويسلم للنص، كما هو شأن الآخرة وما فيها، **(يجلسون على منابر من نور)**، في العقل لا يوجد في الدنيا ما يقيس عليه هذا الخبر، لا يوجد، كيف يجلس على منبر من نور؟ الناس يعرفون النور أنه شيءٌ اللطيف، مادة لطيفة لا تمس، لكن النور يوم القيامة يصبح مجلسًا يجلس عليه أولياء الله والمتحابون فيه، فإذن تأتي الشريعة بما لا يستطيع المرء أن يدرك سننيته.

فنحن نلاحظ في المتصوفة في تاريخنا –وهم أشبه الناس بالروافض– أنهم يلغون العقل، وبالتالي؛ نرى الفقيه الصوفي إذا تكلم في الفقه أبدع، وإذا تكلم في باب التصوف والسلوك والعبادات في مسائل التصوف؛ نراه يشط؛ ورحم الله ابن العربي المعافري عندما قال عن شيخه الغزالي: أنه دخل في جوف الفلاسفة ولم يستطع الخروج!! وأنكر عليه لما رآه في بداية الأمر فقيها عالماً، ورآه أصوليًا جهبذًا، ولما رآه قد تصوف وخلع عنه زي الناس واعتزل، فرآه شيئًا غريبًا عجيبًا لا يمت إلى ما يعرفه من قواعد الأصول أو قواعد الفقه بشيء! وهذا للأسف شيء نلحظه.

الشيء الآخر: نرى تمازجًا عجيبًا بين الفلسفة والتصوف، حين يكون التصوف إشراقيًا، يعني نرى ابن سينا هذا الملحد، الذي كان على مذهب الإسماعيلية، وكان أبوه قرمطيًا، وهو من الملحدين يعني ليس من أتباع الشريعة في شيء، نراه متصوفًا ويتكلم عن المدرسة الإشراقية!! وبين الفلسفة والإشراق تعارضٌ شديد، فالإشراق هو الوصول إلى المعرفة عن طريق الجذبة والذوق والكشف، هذه هي المدرسة الإشراقية، مدرسة العرفان، من ذاق عرف، ومن عرف غرف، وهو يحس بالأشياء التي يؤمن بها ويحس بالغيب؛ والفلسفة هي الوصول إلى المعرفة عن

طريق التفكر الذاتي، بعيدًا عن الوحي وبعيدًا عن المؤثرات الأخرى غير العقل، ومع ذلك نرى أن الفلاسفة في تاريخنا يمتون إلى المدرسة الإشراقية بصلةٍ كبيرة، فكيف يجتمع هذا مع هذا؟!! هذا شيء عجيب!

ومن غرائب الأمور أن الفلسفة الإشراقية التي تنتهي إلى أنه لا وجود في الوجود إلا واحد وهو الله، أي لا فرق بين الخالق والمخلوق، تنتهي إلى الإلحاد بأنه لا يوجد غيب، وهذا ما يقوله الماديون، وهذا شرحته في مجلسٍ سابق، فلا تستغرب هذه الثنائية أو الثلاثية في عقل واحدٍ من البشر.

هذه مقدمة في الكلام عن الأستاذ الدكتور طه عبد الرحمن، وسأختار أحد كتبه من أجل مناقشتها في مشروع «الألف كتاب قبل الممات»، وأخرته لأنه خلال سجني، وهو من المكثرين أخرج كمية كبيرة من الكتب أخبرني بها بعض الإخوة من المتابعين، جزاه الله خيرًا، فلابد أن أطلع عليها.

مع أن الكتب السابقة فيما يتعلق بفقه الفلسفة، وفي الرد على عابد الجابري، وفي التكوثر العقلي، وفي ضرورة المنطق، هذه الكتب التي تقدمت وأسست لطرح هذا الدكتور، نحن نراه فيلسوفًا مع أن كتبه مليئةٌ بالحشو، يعني الدكتور للأسف عندما يكتب كأنه يتكلم، ولذلك يكثر في كتبه الحشو الكثير جدًا، يعني ربما تختزل ثلاثين أو عشرين صفحة في صفحةٍ واحدة! فالذي يريد أن يقرأ كتبه فليكن صبورًا.

وأنا بلا شك من خلال قراءتي لكتبه، وأنا من المعجبين بكتبه، وهو يطرح طرحًا معرفيًا جميلاً في كتبه الفلسفية، وله في الحقيقة مزاجٌ رائع في انتقائه لمعارف وأفكار كتب الأقدمين، فهو يلتقط المعارف الجميلة جدًا من كتب الأقدمين ويضعها في سياقه الذي يريده، وهو في الأغلب يصيب في هذا السياق.

فلذلك أنا أقول: إذا قدمنا طه عبد الرحمن فيلسوفًا، نراه إسلاميًا بحتًا، وإن أخذ عليه أشياء، يؤخذ عليه كما يؤخذ علينا ويؤخذ على كل أحد، في كتبه الفلسفية هذا هو تقييمي له باختصار.

نأتي إلى موضوع السلوك..

بلا شك أن طه عبد الرحمن «رقيص»، بمعنى أنه يمارس الرقص الصوفي، وهو صوفي، وكما ذكر الأخ السائل أنه يقوم على إحدى الطرق ومبايع لهذه الطريقة..

هذه الثنائية التي أتحدث عنها، يعني كيف يكون رجل بمثل هذه العقلانية في طرحه الفلسفي وفي صلابة الفلسفة؟! وأنا أسميه بحق فيلسوف الإسلام المعاصر فيما يطرحه في كتبه المعرفية، ولكن سلوكه هذا هو حكمنا عليه، نسأل الله عز وجل أن يهديه وأن يصلح أمره.

وربما هنا إذا أردت أن أقارب المسألة، هؤلاء حين يصلون إلى الذروة في مسائل العقل والفكر يحسون بالقسوة والجفاف، فإنهم بدل أن يذهبوا إلى السنة التي تملأ الوجدان، وتملأ العقل، وتملأ الروح، وترطب حياة المرء، يذهبون إلى التجارب التي تجعلهم يحسون بالنشوة.

يعني الرقص الصوفي؛ لو أنك قارنت بين رجلٌ يمسك القرآن.. يقرأ القرآن.. والقرآن نور وحياة ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢)﴾ [الأنفال: ٢]، فهذه المرتبة من التعبد في قراءة القرآن تحتاج إلى معاناة، وتحتاج إلى جهد عقلي شديد وصبر على القراءة، يعني للوصول إلى هذه المرتبة من الحقيقة القرآنية، لابد بأن يسلك المرء طريقًا طويلاً؛ أي يحتاج لقيام الليل، وأن يطيل القيام، يحتاج إلى المعاناة في الجلوس مع القرآن، ليحس بهذا الذوق الذي أحسه السلف والصالحون والأولياء، وحين يحسون بهذا الذوق لا يطربون الطرب الشهواني، الذي يطرب به من انتشى بسبب خمر السماع وخمر الرقص، فهؤلاء يختلط عليهم هذا.

فالمرء إذا تحدث عن تجربته في هذا الباب، فيجد أن المعرفة والذوق الذي يحسه المرء مع القرآن بعد الإطالة، وبعد التمرس به، وبعد الزمن الطويل، يحس بذوقٍ قرآني خاص، لا يصنعه رقص البدن ولا اهتزاز البدن، هو يقشعر جلده ولكن لا يقوم يرقص، كمن أصابته لحظة سماع خبر جميل فقام من فرحه وجعل يهتز، هذا لم يفعله الصحابة رضي الله عنهم، وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية: أن أول من أصابهم هذا الأمر هو قضية أن يهتز إذا ذكر، ويتمايل تمايل الطرب وليس تمايل القراءة، يعني هذا الذي يقرأ فيتمايل، ولكن تمايل الطرب أنه لم يكن في الصحابة رضي الله عنهم قط، وإنما حدث عند متأخري التابعين.

فماذا يحدث؟ أمثال هذا الدكتور والذين عندهم من العقلانية في جوانب العلم، فإنهم يأتون إلى الرقص الصوفي، والرقص الصوفي لا يوجد فيه قراءة القرآن، الرقص الصوفي يوجد فيه الأناشيد!! وكما قال الشاعر:

مـــتى علـــم النـــاس في ديننـــا بأن الغنـــــاء ســـــنة تتبـــــع

وأن يأكـــل المـــرء أكـــل الحمـــار ويـــرقص في الجمـــع حـــتى يقـــع

وقـــالوا ســـكرنا بحـــب الإلـــه وهـــل أســـكر القـــوم إلا القصـــع

فهؤلاء حين يأتون إلى الرقص، وأنا حضرت في شبابي باحثًا عما يفعلون، لا تقليدًا لهم ولا مشاركًا إياهم – حضرت الكثير من الحضرات– فهم يقومون وتبدأ الأناشيد بالأصوات الجذابة الجميلة، وفي هذه الأناشيد من الأذواق التي تقترب كثيرًا إلى ملامسة الحالة الجنسية من الشوق لليلى، ومن السهد، وهم يرمزون ليلى ويقولون: أن المقصود به الله؛ لكن في الحقيقة الذهن يسمع كلمة ليلى، وأنه متشوف إليها، وقد غابت عنه وو... إلخ، فيهتز البدن ويرقص.. كما هو شأن المرء في تفاعله مع أدوات الموسيقى والطرب والمعازف والغناء، فيظنون – جهلاً منهم– بأن هذه الحالة الشعورية التي تلامس قلوبهم عند هذه الأفعال، أنها هي الحالة الإيمانية التي تحدث عنها القرآن!! وهنا يقع هؤلاء في الخطأ الكبير، لعدم تمرسهم ومعرفتهم بأذواق السلف، وعدم معرفتهم بالذوق الإيماني الصحيح المصاحب للطاعة السنية التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولذلك هم يقولون: نحن نحس، أنتم تتحدثون عن معارف عقلية!! هكذا يزعمون؛ أن أهل السنة وأهل الحديث يتحدثون عن معارف عقلية فقط، وليس عن أَوْجَاد وذائقات حقيقية وعملية، هذا غير صحيح.

فهم يظنون أنهم قد أصابوا المعرفة الإيمانية وأصابوا الذوق الإيماني، من خلال هذا السلوك الصوفي الذي تحدثنا عنه، وهذا خطأ كبير، العاقل إذا انتبه إليه؛ فقد أبصر الطريق، وهذا مزلقٌ كبير.

أنا أتحدث عن معرفة في هذا الباب، بأن هؤلاء يظنون أن هذا الذوق، وهذا الرقص، وهذا الوجد، وهذا الفرح القلبي.. لما يمارسونه من أعمال، من رقص وسماع وطرب وأغاني، وهي بلا شك، يعني أنا أعترف بأن الأناشيد الصوفية أناشيد رمزية عجيبة تفرح القلب على معنى الوجد الشهواني، فحين يتحدثون عن الصدود وعن الرغبة في ملاقاة ليلى التي طال انتظارها، فهم يأتون بالأناشيد، ولو قرأتم تائية ابن الفارض، أو قرأتم أوجاد الشيخ البرعي وهو ذاهب إلى الحج، لوجدتم أشواقًا عجيبة تجعل الأبدان ترقص لها، فإذا صاحبها صوتٌ جميل من أصواتهم التي يملكونها، فإذا صاحب هذه الأصوات استخدام الآلات كالدف وبعضهم يزيد على الدف أشياء كالمزمار؛ فحينئذٍ يصاب بالوجد ويفرح ويحس بالراحة العجيبة التي يحسها من استمع للقينات والمغنيات

والمعازف من أهل الدنيا، سواء بسواء، لا فرق، لكن هذا يلبسها اللباس الديني وذاك يجردها فقط.

وبعضهم يفعلها، فأنا رأيت شيخًا جاهلاً تحدث عن أغنية للمغنية أم كلثوم، وهي تغنيها على معنى الشهوة وعلى معنى الحب الدنيوي وحب المعاصي، ولكن هذا الشيخ يجعل أن مؤلفها وضعها في شوقه للنبي صلى الله عليه وسلم!! هذه هي طريقتهم، وهذا هو اختلاط الأمرين..

المعرفة الإيمانية والذائقة الإيمانية إنما تكتسب بالطاعات، ولها ميزات على المرء أن يدركها وأن يعرف معانيها، وهي خاصة لا علاقة لها بهذا الرقص، هي لا تبعث على الرقص ولا تبعث على الانتشاء، هذه معارف إيمانية ثقيلة، تصنع الثقل والهيبة، وتصنع ما تراه حين ترى رجلاً مصليًا وفي صلاته يهزه الذكر فيبكي، ولا ينفعل هذه الانفعالات التي نراها في المجانين، ويرقصون ويتفاعلون ويضربون وينجذبون، وهذه تفاعلات شيطانية، وبعضها مبنيٌّ على المرض وعلى التحشيش الداخلي، كما ذكرت مرة عندما تكلمت عن كتاب شيخنا وأستاذنا الدكتور محمود عبد الرؤوف القاسم «الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرةٍ في التاريخ»؛ فهذا تحشيش داخلي.

القصد من هذا: أن هذا الدكتور، لعدم خبرته بالسنة وعدم خبرته بطريقة السلف في التعبد وعدم إبصاره، يأتي إلى ما ذكرنا.

الأمر الآخر: هؤلاء يظنون أن أهل الحديث لا وجد عندهم، ولا طرب شرعي عندهم، ولا ذائقة إيمانية عندهم، ولذلك يسمونهم بالجافين.. هؤلاء عندهم جفاف!! فأين التربية والسلوك؟؟ لابد من التصوف!

وبعضهم يقع في خطأ، كما وقع الشيخ أبو الحسن الندوي رحمه الله فقال: المشكلة في اسم «التصوف» لو سميناه «تزكية» لاعتدل الأمر ولتوقف الكثير من الخلاف، وهذا غير صحيح، فالمسألة لا تتعلق بالشعار ولا بالمصطلح، المسألة تتعلق بالموضوع نفسه، فهذا الحديث الذي يمارسه الصوفية فيما يسمى بالتزكية والتربية يختلط فيه الكثير من الغلط، ولإدراك هذا الغلط لابد من سلوك الطريق الخطأ.

فلذلك إن أعظم ما يحقق المعارف الإيمانية والذائقة الإيمانية هو القرآن، هو إدامة الذكر، هو هذا الذي تحسه وأنت فرح لما تعود وقد أطعمت فقيرًا أو مسكينًا، كيف تحس بهذه المعاني وتفرح؟ الله يقذف في قلبك هذه المعاني، عندما ينتهي صومك (**للصائم فرحتان..**) هذه الفرحة التي تحسها عند فطرك، هذه هي اللحظة الإيمانية

التي تحسها وتشعر بها، عندما تسمع قارئًا للقرآن حسن الصوت، فتحس بهذه المعاني، هذه هي الذائقة الإيمانية، وقد تدوم وقد تقوى، ولكنها تبقى على هذه الحالة التي ذكرناها ووصفناها.

ماذا نصنع؟؟ هذا هو قدر البشرية جمعاء في هذا الباب وهو تعدد العقول، وللأسف -كما شرحنا- ما نحبه الذي من الإنصاف أن نقول: بأن كتب الدكتور التي اطلعت عليها هي كتبٌ نافعة تحقق المراد منها، مع ما فيها من الكثير من الحشو؛ ولكن سلوك الرجل.. هذا هو الذي قلناه ولا أزيد.

بارك الله فيكم وجزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

٣١- حكم التشبه بالكفار في اللباس والتفصيل في ذلك

ضمن الجلسة السادسة، بتاريخ: (**٢٥/١١/١٤٣٨هـ الموافق لـ: ١٧/٨/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يقول السائل: ينسب بعضهم لشيخ الإسلام، أي ابن تيمية رحمه الله، كلامًا وهو أنه إذا كانت هناك عادة خاصة بالكفار ثم دخلت على المسلمين، وبمرور الوقت أصبحت من عادتهم، حينئذٍ لا محظور في ذلك وتعتبر من عاداتهم!! ما الدليل على ذلك؟ مع أن هذا التفصيل غير مذكور في الحديث المشهور: (من تشبه بقوم فهو منهم)، ثم وإن قبلنا بهذا التفصيل، أما يكون هذا فتحًا لدخول الكثير من عاداتهم؟ بل كلما دخلت عادةً ما إلى المسلمين فسوف نبررها ونعمل بها؟! وعندئذٍ هل يسعنا أن نقول: بأننا نتميز عن الكفار؟! ونحن نعلم جيدًا قول النبي عليه الصلاة والسلام ومراده في الحديث: (لتتبعن سنن من كان قبلكم)، معذرة على الإطالة.

جواب الشيخ: أخي الحبيب:

أولاً: هناك أمور لا تتغير بالتقادم، وهذا ما يدخل في الأمور العبادية التي لها تعلق بالعبادة، بمعنى لا يجوز أبدا أن نقتدي لا في الابتداء، ولا في الأثناء، ولا في الانتهاء بأي عملٍ من أعمال العبادة التي يمارسها الكفار، لا من جهة العمل ولا من جهة الأشياء؛ بمعنى لا يجوز الاقتداء بهم في ملابسهم التي يتدينون بها، كما هو لبس الرهبان والأحبار، فهذه لا يجوز الاقتداء بها بحال، لأنها أمورٌ دينية ولها تصورات عقدية ولا شك، وكذلك بعض المشيات -لو افترضنا أن لهم مشيات دينية ما يتخذونها- كما يفعل البوذيون حين يقدمون على مدينتهم المقدسة، فإنهم ينامون على بطونهم!! وقد يتحركون وهم نيام على بطونهم!! تقديسًا لهذا المكان وهذه المدينة وتقديسًا لأسوار هذه المدينة.

وكذلك لا يجوز اتخاذ الشارات الخاصة بهم من الألبسة، كلبس الزنار الخاص ببعض العباد، أو أغطية الرأس وعمائم خاصة بهم.. فهذه أمورٌ دينية لا تجوز، ولو فعلها المسلمون وصارت جزءًا منهم فلا يجوز الاقتداء بهم، لأنها في الابتداء هي أمورٌ دينية، وفي الأثناء هي أمورٌ دينية، وفي الانتهاء هي أمورٌ دينية، فيدخل فيها (**من تشبه**

بقوم..)، أي من جهة التدين؛ فهي خاصة بهم فيدخل فيهم وفي حكمهم بمقدار ما أخذ منهم، لا يعني أن من تشبه بشيء صار لاحقًا به بالكلية، فلا يقول هذا عالمٌ مسلم، وإنما المقصود: أن المرء يدخل فيهم وفي حكمهم بمقدار ما تشبه بهم في مثل هذه المسائل التي لها تعلق بالدين، هذا واحد.. وهذا القدر من الأمر متفق عليه بين أهل العلم.

نأتي إلى المسائل الدنيوية: هناك أمور يفعلها الكفار لا على جهة التدين وإنما على جهة العادة، ولكل أمةٍ ميزات في ألبستهم.. وفي أكلهم وشربهم.. وفي حياتهم.. وفي بيعهم وشراءهم.. وفي احتفالاتهم، فهذه شارات خاصة بالبلاد ولا تعلق لها بالدين.

ولا شك أن الإسلام مدح العرب وجعلهم خير أمة، وأنزل عليهم القرآن وجعل لغتهم هي اللغة التي حملت كلام الله عز وجل، فالقرآن نزل بلسان عربي مبين، وأنزله الله حكمًا عربيًا كما في سورة الرعد: قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ [الرعد: ٣٧]، فلا شك أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا ينهون الناس عن تشبههم بالفرس والروم، حتى من جهة الألبسة، ومن جهة السلوك، ومن جهة الأمور العاديات؛ ذلك لأن مزاج العرب هو خير الأمزجة، ومزاج من نزل عليهم القرآن هو خير الأمزجة، ولولا أن الله عز وجل رأى في هؤلاء القوم الوعاء الذي يصلح للدين ما نزل عليهم وترك غيرهم.

أيها الإخوة الأحبة هناك دين وهناك وعاء للدين، الوعاء هو المزاج.. والوعاء هو العادات.. والوعاء هو القيم التي توجد في المجتمع؛ ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: **(إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)**.

العربي فيه الخصال التالية، وهي التي جعلت هذه الأمة سببًا لنزول القرآن عليها، وسببًا لجعلها خير الأمم وجعل الأمم تابعة لها في سلوكها وأعمالها.. أولا: أن فيهم الشجاعة، العرب فيهم الشجاعة، وفيهم الكرم.. الشجاعة والكرم.. وفيهم وضوح البيان بمعنى الصدق.. العربي هذه خصاله، ومن قرأ الشعر الجاهلي وخصال العرب قديمًا وجد هذه الصفات خاصة بهم.

وبعض العلماء اختلفوا في الأسباب التي أوجبت نزول الشريعة عليهم دون غيرهم، وأنا أعتقد بأن هذه الصفات هي التي اختص الله عز وجل بها العرب فجعلهم وعاءً للإسلام، الإسلام وهو الحق لو نزل على جبان

سيفسد، وإذا نزل على بخيل سيفسد، وإذا نزل على كاذبٍ سيفسد، ولذلك الوعاء كان نقيًا بهذه الخصال، فليس فيهم الخداع الذي في الروم، وليس فيهم الكبر الذي يؤدي إلى غمط الحق كما هو في غيرهم من الأمم الأخرى.

فإذن -نعود- لمزاج العرب المعتدل، الذين هم أهل الجزيرة من أهل الحجاز وأهل اليمن، هؤلاء اختارهم الله عز وجل ليكونوا حملة الدين؛ فمزاجهم خير الأمزجة في الألبسة وفي الأطعمة..

واختلف أهل العلم -كما هو معلوم في كتب أهل العلم- في قضية تعيين معنى الخبائث، وأنا لي ميل لكلام الشافعي رحمه الله: بأن كلمة «الخبائث» خوطب بها العرب، فهم يعرفون الخبائث من نفوسهم، فما كان خبيثًا عند العرب فهو خبيثٌ في الشريعة إذا لم يرد به النص، إذا ورد به النص انتهى، وهذا خلاف ما قرره بعض أهل العلم الآخرين كمالك وأحمد وأبي حنيفة، وقد شرح هذا ابن تيمية في كتابه «إيضاح الدلالة في عموم الرسالة» وأنا على خلاف معه في هذه المسألة، فهو نصر قول الآخرين على الإمام الشافعي، أنا أميل إلى قول الشافعي في هذه المسألة: أن الله لما قال: ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، فالخبائث التي خوطبوا بها يعرفونها، هم يعرفون أن الفأر من الخبائث، يعرفون أن الذباب من الخبائث، يعرفون أن الصراصير من الخبائث، يعرفون أن العذرة من الخبائث وهكذا، فهم يستنزهون عنها؛ فخوطبوا بها، وهناك أمور يفعلونها -ولا شك- الله عز وجل جعلها من الخبائث فأمرهم بتركها ونهاهم عنها، مثلاً: كشرب الدم المسفوح، كانت العرب تفعله، فنهاهم الله عز وجل عنه؛ فالعبرة بالنص، ولكن حين خلو النص يكون المزاج العربي هو المزاج الصحيح.

الآن دخل الإسلام الأمم، دخل في الفرس، دخل في الروم، دخل في البربر، دخل في السودان، هذه هي الأقاليم التي يتحدث عنها علماءنا الأقدمون من الجغرافيين، فهل نطالبهم بأن يغيروا أمزجتهم في مثل هذه الأمور العادية والسلوكية التي لا علاقة لها بالدين، أن نغير سلوكهم إلى سلوك أهل الإسلام؟؟ الجواب: لا، لا نطالبهم بهذا، إلا ما خالف الشرع، كأن تلبس نساءهم لباسًا غير شرعي فتؤمر المرأة، كما كانت العربية لا تستر جيبها، أي: لا تستر نحرها؛ فأمرها الله عز وجل أن تسدل الخمر على الجيوب، بعد أن تغطي رأسها تغطي جيبها ولا تكشفه، فكذلك يوجد مثلاً في بعض البلاد هذا الأمر في ألبسة النساء؛ فتؤمر النساء بأن يلبسن اللباس الشرعي، ولكن هل تطالب هذه الأمم أن تلبس المزاج العربي؟ الجواب: لا، فالعرب تلبس السروال والأغلب أنها

تلبس الإزار، فلو وجدت أمة لا تلبس هذا الإزار أو لا تلبس السروال ولها ألبسة خاصة فلا تطالب بذلك، ما دام أن فيه القواعد الشرعية وتنطبق عليه الأحكام الشرعية.

إذن الأمم في هذا الباب ما ليس دينيًا تقر عليه، إلا ما خالف الشرع فيبين وتنهى عنه.

الآن تبقى مسألة: هل هذا يصبح لباسًا إسلاميًا؟؟ المعروف الآن أنه بسبب تقادم الزمن صارت ألبسة البلدان بما تغير فيها مما يوافق الإسلام، وقد كان يخالفه وما بقي على أصله صار لباسًا إسلاميًا، الآن صار المزاج العربي داخلاً في الأمزجة الأخرى، وصارت الأمزجة الأخرى داخلةً في المزاج الإسلامي، يعني عندما نأتي إلى أهل الهند هم لهم لباس، فنرى التشابه بين لباس المسلمين ولباس غير المسلمين، وهو لباس السروال ولباس القميص القصير، وربما يكون طويلاً قليلاً، هذا اللباس يلبسه الكفار ويلبسه المسلمون، وفيه بعض التمايز يعرفه أهل البلدة.. هذا اللباس لا ندري كيف كان أهل الهند يلبسون، ربما إذا رجعنا إلى كتاب الزينة للبيهقي ربما نجد كلامًا -أنا لا أذكر الآن شيئًا من ألبسة الهند قبل الإسلام- ماذا كانوا يلبسون؟ ثم كيف حولوا ألبستهم إلى ألبسة إسلامية؟ الآن هذا اللباس الذي يلبسه أهل القارة الهندية والأفغان، هذا صار لباسًا إسلاميًا مع أن أصله غير عربي، ولا ندري ما الذي كان قبل الإسلام؟ هل كان هذا اللباس يخالف شروط الإسلام فأصلحوه حتى صار يوافق لباس أهل الإسلام في الرجال وفي النساء، فبالتالي صار لباسًا إسلاميًا وهو ليس من لباس العربي.

وكذلك لباس أهل الإسلام في القوقاز، هو لباسٌ إسلامي للرجال والنساء، وهو لباسٌ خاص بهم وبأمزجتهم وبلدانهم قبل الإسلام، فأصلحت بعض أموره التي تخالف الإسلام، فصار موافقًا للإسلام مع بقاء المزاج لتلك البلدان، وهكذا في السودان، وهكذا في البربر وغيرهم.. لهم ألبسة مختلفة لكنها ألبسة إسلامية.

الآن هذا المعنى موجود، السؤال مثلاً: لنأتي إلى ألبسة اليوم.. هذا اللباس الذي يلبسه الكفار ودخل علينا بعد الاستعمار، الذي يسمى بالبدلة، -يسميه أهل المغرب الإسلامي كوسيمة لا أدري- الذي هو البدلة والبنطلون ويلبس الكرافة في الأمام.. هذا بلا شك ليس من ألبسة بلاد المسلمين التي أسلمت، وإنما هو لباسٌ غربي دخل علينا وحمل دلالات باطلة، كدلالات الثقافة.. دلالات الرقي، يعني توماس فريدمان الصحفي الأمريكي المشهور اليهودي، حبيب بعض حكام العرب في وقتٍ من الأوقات، ذهبت الآن كثير من شهرة هذا الكاتب، هذا قال كلمةً وتعجبت!! هذا رجل علماني هو يهودي الأصل ولكنه علماني، ومع ذلك يقول: إن

من دلالات سيطرتنا على العالم؛ أن الناس إذا احتفلوا في بلدانهم لبسوا اللباس الخاص بهم، ولكنهم حين يجتمعون -هذا العالم حين يجتمعون فيما بينهم- فلا يكون القاسم المشترك إلا اللباس الأوروبي، لباس الحضارة الأوربية، القاسم المشترك هو لباس الحضارة الأوربية، انظر!! يعني يجعل معيار السيطرة الغربية على العالم هو اللباس، ومع ذلك تجد بعض الناس يستهزأ بما يسمى «الهدي النبوي الظاهر»، الذي تكلم عنه العلماء كثيرًا، وشيخ الإسلام رحمه الله له كتاب وهو «اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم» بمعنى أن من أركان الصراط المستقيم أن يخالف المرء أصحاب الجحيم، والمقصود بهم: الكفار.

وكان عمر رضي الله عنه ينهى الناس لباس العجم، وينهى عن رطانتهم.. وينهى عن مشيهم.. وينهى عن ركوب خيولهم على طريقتهم؛ وذلك لبقاء تميز العربي كونه أعدل الأمزجة.

الآن هذا الجانب تغير، حتى أن الألبسة العربية القديمة، فالآن لباس أهل اليمن هو الإزار، وأهل الجزيرة لا يعرفونه إلا القليل منهم، والقميص لم يكن بمثل هذه الصورة التي عليها الآن بما يسمى «الدشداشة» أو الثوب.. فتغيرت هذه الأمور، ولكن نتحدث عن قضية غزو الثقافة الغربية وتعظيمها من خلال المظاهر العملية -التي سميناها بالهدي الظاهر- من الألبسة والأشكال، بل تعدى الأمر إلى أمور مخالفة للواجب! مثل: قضية حلق اللحية، أو عمل السكسوكة -التي يسمونها «goatee» يعني يسمونها العنز.. الغرب يسمونها «goatee» بمعنى العنز- وبعض أهل العلم يقول: بأن أول من أتى بها أي السكسوكة هم مخنثة يهود المغاربة، عند بعضهم تعد من شيم العرب!! ويقولون: إن أصلها مأخوذٌ من مخنثة يهود المغرب.

القصد: بأن هذه الألبسة الموافقة للغرب، هذه ألبسةٌ ينبغي هجرها.

ومما يذكر أن هناك بعض الأماكن في الغرب -في أمريكا أم الديمقراطية، وفي بريطانيا- هناك أماكن لا يجوز أن يدخلها المرء إلى على هيئةٍ معينة من ألبستهم، يعني هناك مكان في البرلمان البريطاني -مجلس العموم- لا يجوز أن يدخلها المرء إلا بلباس خاص، البس ما شئت من الأسفل ولكن ينبغي أن تلبس ما يسمى بالكرافة، آسف أنا أتكلم بلهجة بلدي.. في بعض البلاد هي ربطة العنق، نسميها هنا «الكرافة» بلهجة العامية ولا شك أنها ليست عربية لنعرف ما هو أصلها العربي، فنسميها بربطة العنق هذا هو اسمها المعرب، فلا يجوز أن يدخل هذا المكان إلا بها، انظر هم يشترطون!! ومرة جاء بعض المشاهير جدًا فنهوهم ومنعوهم من الدخول لهذه الغرفة لأنهم

يخالفون هذا الشرط!! ولو فعلها بعض المسلمين، لو قلنا: في الصلاة لا يجوز لك أن تلبس هذا البنطال القصير الذي يحجم العورة، لقام هؤلاء العلمانيون السفلة المنحطون، الذين يكرهون شيئًا اسمه الإسلام وما يأتي به من قيم، ويكرهون العفاف ويكرهون الطهر ويكرهون كل ما يأتي به الحق!! لقامت الدنيا ولم تقعد.. يقولون: انظر! هؤلاء يريدون أن يجبروا العالم على نوع من ألبستهم!! ويبدؤون بالسب والشتم، ومع هم ذلك يفعلون هذا في الغرب، فإذا تكلم العلمانيون عنها -الزنادقة من هؤلاء الأتباع الدواب الذين يعظمونهم- قالوا: هذه قوانين.. وهذه يجب احترامها وتقديرها، وهكذا يبدؤون بالأكاذيب!!!

فهذه أمور بلا شك أن تقليد المرء فيها، وخاصةً التعظيم.. يعني عندما يكون المرء في حفل إسلامي وفي زواج إسلامي يلبس اللباس الإسلامي، واللباس الإسلامي هو اجتماع تقاليد بلده مع ما يوافق الشرع.. هكذا سميناه إسلاميًا.. انتبه.. حتى إذا قال أحدهم: الإسلام لم يأتِ بهذا الزي!! نقول: اللباس الإسلامي هو اللباس الذي جمع بين خصلتين: الخصلة الأولى: أن يكون اللباس القومي لتلك البلاد التي أسلمت والقوم الذين أسلموا، مع موافقته لشروط الشريعة.. هذا لباس اليوم يسمى إسلاميًا، وهذا خلاف اللباس العربي، اللباس العربي فيما يخالف الشرعي وصار إسلاميًا بشروط الشرع، كما ذكرنا عن قضية جيوب المرأة، نحن نتحدث عن الرجل والمرأة.

فالآن تجد بعض المسلمين يعظم هذه الألبسة، وأنا الذي أحبه للمسلمين أن يبتعدوا عن هذه الألبسة التي فيها تعظيمٌ للغرب نكايةً بهم، وأن يصر أهل الإسلام في أماكن الاحتفالات وفي أماكن إظهار ما عنده من أجمل الألبسة، ألا يلبسوا إلا اللباس الإسلامي.

والغريب في الأمر -وهذا تفسير لقضية أن المزاج العربي أعدل الأمزجة.. حتى إذا جاء الإسلام صاروا أرقى-: انظروا إلى اللباس الإسلامي في كل بلاد المسلمين من جاكرتا إلى طنجة؛ تجد أن هذا اللباس فضفاض مريح للجسم، مع أن عامة هذه البلاد هي بلاد زراعية وبلاد رعوية، والمرء فيها يحتاج إلى ما يحتاجه من السرعة، ومع ذلك هو يصر أن يلبس كما يلبسون الثوب.. يلبسون -كما في بعض البلاد كبلاد الشام- يلبسون «القمباز» الذي للأسف ذهب هذا اللباس مع جماله، القمباز لباس جميل جدًا الذي كان يلبسه أهل بلاد الشام، وهو قطعة قماش تزين وتوضع وتكون مفتوحة من الأمام ويردف بعضها على بعض، ويوضع فوقه الشال -ليس الحزام.. الحزام جاء بعد ذلك- يوضع الشال الجميل حوله، وتحته يلبس السروال على مقاسات معينة

بحسب البلاد.. هذا لباس أهل الشام؛ وانظر إلى لباس أهل ليبيا الجميل الرائع، انظر إلى لباس المغاربة الجميل الرائع، جميل، وهو متسع وفضفاض ويجلس المرء..

وتجد الموظف اليوم الذي يجلس في مكان ولا يمشي.. ولا يحتاج إلى الركض كما يحتاج الراعي.. ولا يحتاج إلى العمل والنبش والمشقة كما يحتاج المزارع.. وإنما يجلس وراء المكتب، ومع ذلك تجده رابطًا نفسه من الرقبة – وضحك الشيخ– يعني أنا لم ألبسها قط، ولما أرى أحدًا يلبسها يجلس بجانبي أنا أصاب بالضيق ضيق التنفس!! لماذا أنت شددت على نفسك؟! فلو الإسلام أمرك بهذا لن تستجيب!! لو قال: اربط هذه على عنقك.. مع الخلاف في أصلها، لأن الكثير يقولون: إن أصلها هو الصليب!! في الحروب الصليبية كانت من خشب، ثم قدت من قماش راحة لهم وتخفيفًا عنهم.. فانظر يجلس ساعات –ثمان ساعات الموظف– وهو لابس هذا الرباط – لا نريد أن نسبه حتى لا تغضبوا علينا– يعني يلبس هذا الرسن.. تعرفون الرسن؟؟ الذي تقاد به الدابة وبعضهم يضيق من هنا –وأشار الشيخ إلى رقبته– وبعضهم يكبره فتكون رقبته مرتفعة هكذا –ورفع الشيخ رأسه– ولا يستطيع المسكين أن يثني رقبته، لأن رابطة الرسن عريضة..

ويلبس البنطال الضيق الذي يكاد ينفجر!! ثم إذا جاءت الصلاة، تتعجب في الدوائر حين تراهم يصلون حين يركع وحين يسجد.. المسكين –وضحك الشيخ– من الطرائف ما يملأ الصحائف مما يقع لمثل هؤلاء من عجائب بسبب ضيق الألبسة..

انظر، من أرقى؟ من أرقى؟ من الذي يوافق المزاج الصحيح؟ هذه الألبسة الضيقة التي أفسدت الناس؟!! وتعال للمرأة انظر إليها.. هذا اللباس الذي أبغضه ولا أتحمله هذا لباس المرأة، الكعب العالي.. كيف تمشي به؟! تتعجب! كيف تمشي به المرأة؟! وإذا سألت تظن أنهم يمشون به من غير ضرر، لا، هم يجدون.. بعد ذلك يضعون الشروط أو يضعون الزيادات حتى يخففوا على المرأة، ولا تستطيع أن تمشي به ٥٠ مترًا في هذه الشوارع في شوارعنا خاصة المليئة بالحفر، فكيف تلبس المرأة هذا؟! كيف تلبسه؟! وحتى هذه الألبسة الضيقة التي يلبسها الشباب وتلبسها النساء.. أنا أتكلم عن الأمزجة، لتروا أن العرب وأن الأمة المسلمة هي أعدل الناس في الأمزجة.. لباسهم مريح.

السؤال الذي تقدم، أجبنا عنه بأننا نحب لكل أمةٍ أن تلتزم بألبستها إذا دخلت الإسلام مع تصحيحها

لتوافق الشرع، يعني هذا الضيق لا يجوز الصلاة به.. هل الصلاة باطلة؟ لا نبطلها، ولكن أقل ما يقال: الكراهة، وإذا أخذنا بمذهب الأحناف فهي كراهة تحريمية -إذا قلنا بمذهب الأحناف بوجود كراهة تنزيهية وتحريمية- في الحقيقة هذا أقرب إلى التحريم منه.. وهو اللباس الضيق الذي يصلون به.. قد يقول قائل: عموم المسلمين يصلون به، وسعه، أنا أتكلم عن الضيق، البس لباس لا بأس أن يكون بنطالاً، ولكنه أقرب إلى السروال لا بأس به، لا يمنعه أحد، أما هذه الألبسة الضيقة التي يلبسهم الناس في صلاتهم فهذه في الحقيقة تخالف الشرع.

فإذن ابتداءً نحن نمنع، وإذا وجدت أمة على هذه الألبسة، نجعلها موافقةً للشرع مع احترام عاداتهم وتقديراتهم، وأما ما دخلنا على جهة التدين، فهذا لا يجوز أن يفعله مسلم، وأما تقليد الغرب في ألبستهم على التعظيم، فهذا مما ينهى عنه، نهى عنه علماءنا، وهو منهي ومحرم، ولكن نقول فيما نقل عن شيخ الإسلام في أنه إذا دخل فصار عادة للمسلمين لم يعد تفريق بين المسلمين؛ فإنه يغفر في الأثناء ما لا يغفر في الابتداء.. هذه قاعدة.. يعني الأخ السائل يقول: كيف نحن بعد أن يستقر نجيزه وفي الابتداء نمنعه؟!! هذه قاعدة من قواعد الشرع «يغفى في الأثناء ما لا يغفى في الابتداء»، بمعنى أنه شيءٌ جاء ولم يعد الناس يفرقون من خلاله بين مسلمٍ وكافر، وصار لباسًا عامًا لكل الناس بلا فرق بين مسلمٍ وكافر، فحينئذٍ يعفى عنه لانتشاره، وأما في الابتداء فينهى عنه، لأن فيه -بلا شك- تقليد، وعلى قاعدة ابن خلدون رحمه الله: «أن المغلوب مولعٌ بتقليد الغالب».. فينهى عنه، قال تعالى: ﴿وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩)﴾ [آل عمران: ١٣٩] و(**الإسلام يعلو ولا يُعلى عليه**).

هذا وبالله التوفيق، والحمد لله رب العالمين.

٣٢- تفصيل في حكم الجاسوس المسلم

ضمن الجلسة السادسة، بتاريخ: (**٢٥/١١/١٤٣٨هـ الموافق لـ: ١٧/٨/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

هناك سؤال طويل، ونقل سائله كلام الإمام الشافعي رحمه الله في «الأم» عن الجاسوس المسلم، واختار الإمام الشافعي رحمه الله أن الجاسوس المسلم لا يكفر.

جواب الشيخ: هذه المسألة أرجو أن يتسع لها صدر البعض، لما استقر عندهم من كلمات لا تنبغي أن تكون على هذا النوع من الاستقرار، وهذه القوة من التمسك.

الكلام عن الولاء والبراء المنتشر للأسف بين بعض طلبة العلم: أن الولاء مرتبةٌ واحدة لا تتعدد، وليس فيها ما يكفر به المرء وما لا يكفر..

والذي ينبغي أن يعلم: بأن المسائل العقدية لا تفهم على جهةٍ صحيحة، حتى تفهم تنزيلاتها وماذا قال فيها الفقهاء، هل الولاء مرتبة واحدة؟ أم يصح أن تكون هناك مرتبة كبرى يخرج بها المرء إذا وإلى أعداء الله من الإسلام، ومرتبة صغرى يبقى المرء مسلمًا مع تسميته فاسقًا أو عاصيًا؟ كيف نعرف هذا؟ كيف يعرف أن هذا من الكفر الأكبر أو من الكفر الأصغر؟

ننظر إلى فروع هذا القسم: هل تتعدد أحكامها عند الفقهاء، أم له حكمٌ واحد؟

مثال ذلك: من سب الله جل في علاه؛ فلو ذهبت إلى كتب الفقه لا تجدها إلا مرتبةً واحدة، أنه كافر، وله حكمٌ واحد وهو حكم الردة والقتل، فإذن علمنا أن السب ليس مراتب، من تكلم كلامًا، عند الناس وهو سب، فسب الله جل في علاه، فإنه يكفر ويخرج من الملة، وحكمه الردة والقتل..

طيب.. الآن نأتي إلى مسألة الولاء..

الولاء مسألةٌ قلبية عملية، يعني هناك ولاء قلبي، وهناك ولاء عملي؛ ولا ينشأ -هذه شرحتها ولا أريد أن أطيل فيها- لا ينشأ الفعل الظاهر إلا بإرادةٍ قلبية، إلا بعملٍ قلبي، ولكن ليس العمل القلبي الذي يقصده

المرجئة، بل العمل القلبي: الإرادة؛ يعني تولي الكفار لا ينشأ من الحب فقط.

ينشأ مرات من الحب، وحينئذٍ يكون اعتقاده باطلاً، ويكون اعتقاده بالإسلام مدخولاً، بل قد يكون كارهًا للإسلام في باطنه؛ لأنه لا يحب أحدًا نصرة الكفار على المسلمين إلا وكان مدخولاً في إيمانه من جهة حبه لله ولرسوله وللإسلام.

ولكن قد يوالي المرء أعداء الله، لا حبًا بهم بل يمكن أن يكون طلبًا للدنيا؛ فحينئذٍ يكون منشأه ليس الحب بل الإرادة.. إرادة تحصيل الدنيا.. إرادة دفع الضرر كما حصل مع حاطب رضي الله عنه.

فإذن الأعمال الظاهرة لا تنشأ من أمور اعتقادية فقط كما يقول المرجئة، ولكنها لا تنشأ إلا من أمورٍ قلبية ومنها الإرادة، تنازع الإرادات، هذا هو موقف الإنسان، المرء لا ينشأ إلا بالإرادة.. ولا تنشأ الإرادة إلا بتنازع الإرادات.

مثلاً: أنت تجلس هنا مستريحًا، فنفسك فيها إرادة أن تقوم بشأنك، تصلح شأنك، تشتغل، تدفع الضرر عنك، والإرادة الثانية تدعوك للكسل، فينشأ صراع بين هاتين الإرادتين، لا تعلق لهما دوما بالحب.

قد تكون تحب المال الذي تجنيه، ومع ذلك أنت كذلك تحب الكسل؛ فتنشأ إرادة حب المال مع إرادة حب الكسل فتتصارعان، فقد تقوى إرادة الكسل وقد تقوى إرادة حب المال وتحصيل المال ودفع الضرر عنك؛ فالحياة هي صراع إرادات في داخل الإنسان نفسه، ومع الإنسان في خارجه.

هذا هو تفسير أن العمل الظاهر لا ينشأ إلا بأمرٍ قلبي، على هذا المعنى، وليس فقط على ما يقوله المرجئة أنه لا ينشأ العمل الظاهر إلا بإرادةٍ قلبيةٍ على معنى الحب والبغض، كقول القائل: لا يمكن أن يسب أحدٌ ربه إلا وهو يبغضه، لا، لا، قد يسبه وهو يحبه، لكنه غفل عن عقيدته فسب الله عز وجل فقد كفر، ولا علاقة لهذا بالحب، لا نقول: أنه كفر لأنه لا يحب الله ويبغض الله، لا، نقول: كفر لأنه سب، ونشأت عنده إرادة السب التي هي اتباع للهوى، ولا علاقة للحب والبغض هنا.

هذا مما ينبغي أن يعلم –وهذا باختصار– ويعلمه طلبة العلم ويجهله المرجئة، وهذا موقفنا من الآخرين.

الآن نعود إلى القاعدة الأولى التي ينبغي أن نتعلمها، تعظيم غير الله، هذه كلمةٌ يدخل فيها الحد الأكبر: أنه يعظم غير الله تعظيمًا يصل به إلى الكفر.. هناك حدٌ، وهناك حدود أخرى بعيدة عن حد التكفير، كمن يحلف بغير الله، لا يحلف المرء بغير الله إلا وهو يعظمه تعظيمًا شديدًا، فالشارع نهى عن ذلك، ولكن هل من حلف بغير الله –في الفقه.. لابد أن يأخذوا بالفقه– هل من حلف بغير الله له مرتبة واحدة في كتب الفقه: أنه كافر؟؟ الجواب: لا، فإذن علمنا من كتب الفقه أن التعظيم مراتب: منه ما هو مخرج من الملة، ومنه ما هو غير مخرج من الملة.

الآن نأتي إلى قضية الولاء، الولاء أمرٌ قلبي، وأمرٌ عملي، قد ينشأ بأمرٍ اعتقادي، وقد ينشأ بطلب الدنيا ولا علاقة له بالاعتقاد.

الآن.. الذين يقولون: بأن الولاء مرتبة واحدة، هكذا يقولون!! فما هو قولهم في حديث حاطب؟ وقعوا في اضطرابٍ شديد، حتى زعم بعض الجهلة ممن كتب بأنه سيأتي بأقوالٍ وسيجتهد بأقوالٍ لم يقل بها السلف، هذا.. كفى به جهلاً، من ظن أنه في مثل هذه المسائل سيأتي بأقوال لم يقل بها السلف.. هذا جاهل.. هذه الأمور فرغت منها الأمة، وتحدثوا فيها حديثًا طويلاً وانتهى الأمر، لا يجوز أن نحدث أقوالاً جديدة وأن نفسر تفسيرات باطلة تؤدي إلى تثبيت مذاهب جديدة عند الناس.

مسألة حاطب: لما قال عمر رضي الله عنه: «نافق حاطب»، عمر رضي الله تعالى عنه حكم على فعله، وهذا فعلٌ من أفعال المنافقين ولا شك، أن يسر المسلم للكافر نصيحةً فيها ما يؤذي المسلمين أو يوهي قوتهم أو يضعف أمرهم أو يكشف سرهم، فهذا أمرٌ من أمور المنافقين ومن سماتهم؛ فعمر رضي الله عنه لما قالها، قالها على هذا المعنى: «دعني أضرب عنقه فإنه قد نافق»، ولو كان عمر رضي الله عنه قد حكم عليه بالردة على معنى واحد لقال: كفر وارتد، ويمكن أن يحمل على هذا، اللفظ يحتمل هذا ولا نرده، لكن النبي صلى الله عليه وسلم سأله، فقال: «يا رسول الله، والله ما فعلت هذا لا بغضًا بديني ولا حبًا لهم» وإنما لأمرٍ دنيوي ذكره وهو أنه «ليس لي عندي قريش يد، فأردت أن أصنع يدًا من أجل مالٍ لي عندهم»، فالنبي صلى الله عليه وسلم صدقه وتركه وعفا عنه.

الآن يأتون ويقولون: إنما عفا النبي صلى الله عليه وسلم عن حاطب لأنه من أهل بدر وقال صلى الله عليه

وسلم: (**لَعَلَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ اطَّلَعَ علَى أهْلِ بَدْرٍ فَقالَ: اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ فقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**) افعلوا ما شئتم من الشرك؟! افعلوا ما شئتم من حدود؟! ألم يقم الصحابة رضي الله عنهم حد شارب الخمر على بدري؟! شرب الخمر فحده عمر رضي الله تعالى عنه، ولم يقل: إنه من أهل بدر، إنما هذا أسقط عنه ما لم يكن مكفرًا من الذنوب، سواء كبيرة أو صغيرة، أما الحدود فلا يشفع فيها، لا من أهل بدر ولا من غير أهل بدر.

فدل هذا على أن فعل الجاسوسية على الصورة التي وقعت من حاطب من الولاء، لأن الله عز وجل سماها ولاء وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١)﴾ [الممتحنة: ١]، سماها مودة، ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾، بعضهم حاول أن يجعل هناك ثمة فرق في هذا الموطن بين المودة والولاء، وانظر القرآن جعل المودة من الولاء، قدم اسم الفعل أنه ولاء، وجعل الفعل مبنيا على المودة، لأن المودة هي جزءٌ من الولاء.

والقصد من هذا: أن الولاء للكافرين مراتب، كتب الفقه هي التي تعينه، هل الجاسوسية على الصورة التي فعلها؟ لأن هناك صور من الجاسوسية اليوم ليست على هذه الصورة، وبعضهم يدخلها في الجاسوسية، الجاسوس المسلم!! وهذا خطأ.

يعني الذي يشتغلون جواسيس عند الكفار هؤلاء كفار؛ لأنهم جنود وليس لأن فعلهم يدخل في فعل حاطب، ففعل حاطب وتجسسه: أنه أرسل رسالة على هذا المعنى الذي علم -في بعض ما ذكر في كتب التاريخ- «ولقد علمت أن الله ناصر» يعني لما سأل: لماذا فعل هذا؟ قال: «علمت أن الله ناصره، وأن رسالتي لن تغني عنهم شيئًا»، بخلاف من أرسل لهم رسالة وهو يريد نصرة الكفار على المسلمين، حاطب لم يفعلها على هذا معنى أنه يريد أن ينصر الكفار على المسلمين، أي أن يجعل لهم الغلبة، لا، قال: «وقد علمت أن الله ناصره عليهم» وقال فيها في بعض ما ذكر في كتب التاريخ: «لقد جاءكم رسول الله بجيش لا قبل لكم به»؛ هذا توهين لهم، صحيح أنه أخبرهم وخالف أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يكون سريًا، ليغزوهم من غير أن ينتبهوا ومن غير أن يستعدوا، ولكن كذلك فيها توهين لهم، «جاءكم بجيش لا قبل لكم به» هذا توهين، فلذلك الجاسوس

على هذا المعنى لا يمكن أن يكون مبناه إلا على الهوى، وهي مرتبةٌ من مراتب الولاء غير المكفر.

ولذلك: الولاء ليس مرتبة واحدة، ويبّين هذا الفقه، وهناك ولاءٌ مكفر، لا عبرة بالأمر القلبي، متى ينظر للأمر القلبي؟ عندما يكون الفعل نازلاً عن حد الكفر الأكبر؛ فينظر إلى القلبي، ينظر إلى الاعتقاد، كمن شرب الخمر، شرب الخمر كبيرة، فكيف يكفر المرء؟ ننظر إلى قلبه: استحلها أم لم يستحلها؟ ويكفر بالاستحلال لا بالشرب، فينظر للأمر القلبي حين تنزل مرتبته عن مرتبة الكفر، أما إذا كان الأمر مكفرًا فالشارع حكم عليه بالكفر ظاهرًا وباطنًا، ظاهرًا وباطنًا لمجرد إتيان ذلك، كما ذكرنا في الساب.

فإذن هنا النبي صلى الله عليه وسلم سأله عن مقصده: (**لماذا فعلت هذا يا حاطب؟**)، سأله فأجاب.. فدل على أن هذا من مرتبة الولاء غير المكفر، فسُئل عن القلب، ولو كان تبيّن له من أحواله، ومن ظروفه، أو من أجوبته الصريحة، أو من شهد عليه أنه فعل هذا من أجل أن ينتصر الكفار، لكان ولاء مكفرًا.

وأنا يعجبني في هذا الباب من جعل مرتبة الجاسوسية بحسب حال الرجل، هناك من جعل للجاسوسية حكم القتل حدًا، وهناك من جعل للجاسوسية لها حد القتل على الردة، وهناك من جعل لها تعزيرًا بحسب مرتبته، وأنا مع هذا القول، فقد يكون الجاسوس مسلمًا وفعلها كما فعلها حاطب رضي الله تعالى عنه، فيعزر بحسب ما اقترف من الإثم والغلط، وقد يقتل تعزيرًا إذا كان قد أدى إلى مصيبة عظيمة ولو لم يردها، وهناك من يقتل –وهو جاسوس مسلم– على الحد إذا كان فعله قد أوقعه في حد، كما هو شأن السحر في قول الشافعي رحمه الله، على مذهب الإمام الشافعي: أن ليس كل سحر يقتل به صاحبه.. (**اقتلوا كل ساحر**) أرسل النبي صلى الله عليه وسلم، وأرسل الفاروق: «اقتلوا كل ساحر وساحرة»، والحديث المختلف في وقفه: (**حد الساحر ضربةٌ بالسيف**)؛ فقال الشافعي: انظروا إلى مقدار ما اقترف وإلى ضرر سحره، فإذا أدى إلى القتل يقتل، فهذا يقتل حدًا.. وهناك من يقتل ردة، إذا ثبت أن جاسوسيته مبناها على الردة، وأدت إلى أن يكون جاسوسًا على معنى أنه جزء من الجيش، فهذا يقتل على الردة، كما قال الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ [النساء: ٩٧] كفروا وهم باستطاعتهم الخروج، فأدى هذا الاستضعاف المزور إلى أن يكونوا كفارًا ويقاتلون مع الكفار، فهؤلاء كفار.

فهذا أمر الجاسوس المسلم فيما يتسع له المقال والحال.

وجزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

٣٣- إحداث قول لم يقل به أحد من السلف

ضمن الجلسة السادسة، بتاريخ: (**٢٥/١١/١٤٣٨هـ الموافق لـ: ١٧/٨/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل أخ: كثيرًا ما نجد في الردود في كتب الفقه اعتراضًا وهو: هل له سلفٌ في ذلك؟ ما الدليل الشرعي الصحيح عليه؟ وما ضابط هذا الاعتراض؟ أي كيف نعلم متى نقبل به ومتى نرده؟ وهل هذا الاعتراض مقبولٌ مطلقًا بغير قيد أم ليس كذلك؟ وهل إذا اجتهد عالمٌ في مسألةٍ فقهية وأتى فيها بقولٍ أداه إليه دليل صحيح ولم يسبقه إليه أحد يعتبر شاذًا وبدعة، أم أنه يدخل من ضمن اجتهادات العلماء المعتبرة؟ بارك الله فيك.

جواب الشيخ: الأمة لا تجتمع على ضلالة، لقوله صلى الله عليه وسلم: (**لا تزال طائفة من أمتي قائمةٌ على الحق**)، فإذن غياب الحق في فترة من فترات التاريخ الإسلامي لا تتصور، وإلا لأجمعت الأمة على ضلالة، وهذا ممتنع، الأمة لا تجتمع على ضلالة، لا بد من وجود طائفة حق تقوم بهذا الحق، تقول به وتعمل به، لا يمكن أن يخلو الزمن كما يقول علماء الأصول: «لا يجوز خلو الزمن من مجتهد» أي قائمٌ لله عز وجل بحجة..

وبالتالي؛ عندما يأتي أحدهم ويقول قولاً -في مسائل الفقه والاجتهاد- ولم يكن له سلفٌ فيه، لم يسبقه لا صحابي، ولا تابعي، ولا أحد من الأئمة الكبار المفتين كالأئمة الأربعة، وغيرهم كعبد الله بن المبارك وسفيان الثوري وربيعة بن عبد الرحمن الملقب بربيعة الرأي، وابن أبي ذئب وإسحاق وغيرهم ممن أتى بعد أحمد من علماء الحديث وعلماء الفقه؛ فلم يقل به أحدٌ منهم، فكيف غاب عن هذه الطائفة القائمة على الحق حتى يدركه هؤلاء المعاصرون -في هذا الزمن أو في الزمن الآتي-؟!

ولذلك هذه الكلمة حق، حين يقال لأحدهم وقد أتى بأمرٍ اجتهادي جديد في مسائل الفقه التي ليست من نوازل العصر الحادثة، وإنما هي مسألةٌ موجودة أي يعمل بها الناس، فحينئذٍ يقال له: من سلفك في هذا؟

ولذلك كان الإمام أحمد رحمه الله يقول: إياك أن تقول في مسألةٍ ليس لك سلفٌ فيها.. كان يحذر تلاميذه العلماء والمجتهدين من تلاميذه من أن يقولوا قولاً لم يسبقهم العلماء فيه.

فهذه المسألة ينبغي أن ننتهي منها، ولأنه مما قيل في كتب أهل العلم: «إذا اختلف العلماء على قولين فلا يجوز إحداث قولٍ ثالث» لأنها على هذا المعنى، إذا الحق يدور بين القولين لأنه لو كان هناك حق مخفي لأبطلنا هذا الحديث (**لا تزال طائفة من أمتي..**)، ولا أريد أن آتي بحديث عبد الله بن مسعود (**لا تجتمع أمتي على ضلالة**) للاختلاف في رفعه ووقفه، والصواب وقفه على عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه.

القصد أيها الإخوة الأحبة: أنه لا يجوز إحداث أقوالٍ لم يسبق أن قالها أهل العلم، هذا فيما هو حادثٌ في كل زمن، يعني عندما يأتي أحدهم ويقول: إن قطع يد السارق، هذا ليس من دين الله!! الأمة مجمعة على أن السارق تقطع يده، وهذا في القرآن ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا﴾ [المائدة: ٣٨]، وهو يأتي ويقول: أنا أجتهد!!

يأتي ويبطل حكم الردة!! والردة مجمعٌ عليها، وابن حزم ذكر إجماع الردة، وتعلمون شدته في موضوع الإجماع وما معنى الإجماع عند ابن حزم، وهكذا.

فهذه لا يجوز أن يقول بها أحدٌ على خلافٍ ما قيل من السلف.. لابد أن يكون قد سبقه مجتهدون فيها لهذا القول..

نتحدث هنا عما لا يوجد في حوادث الأمور، أما الحوادث الجديدة التي يحدثها الناس والتي تسمى «النوازل»، فهذه لابد من إعادتها إلى ما تقدم، أي إلى أمرٍ قد سبق، لأنه لا يوجد في البشرية أحداثٌ ليس لها أصولٌ فيما عمله السابقون.

يعني عندما يتحدث أحدهم عن البنوك فيقول: البنوك أمرٌ حادث، فنقول له: نعم البنك أمر حادث، ولكن ما يجري فيه من معاملات لا توجد معاملة إلا وتعود إلى أصلٍ قد قالت به الشريعة فيها إما بالنصوص وإما بالاجتهاد، البنك هذا الذي نراه حادث، لكن مسائله ليست حادثة، وإذا وجدت من الحوادث فإنها تعود إلى أصلٍ قد قيل..

يعني: ما يسمى اليوم «الإيجار المنتهي بالتمليك» هذا إحدى العقود التي تتعامل بها ما يسمى «البنوك الإسلامية»، وهذا توضع له من الشروط ما لا يمكن تحقيقها منه، ولذلك هذا من التلاعب، فهل الإجار

المنتهي بالتمليك، يعني بمعنى يأتي إلى بيت مثلاً، فيقول له: أؤجرك إياه، ويعتبر أن كل قسط أجرٍ له يعتبره قسط من الدين، ففوق الطاولة هو إيجار، وتحت الطاولة هو بيع، وفرقٌ بين الإجارة والبيع، هذه لها قواعدها وهذه لها قواعدها، هذا مع أنه حادث مركب، وفيه من الإبداع السيء للأسف، لكن له أصول في الشريعة تحكم عليه، أصول موجودة.

وهذه الحجة هي التي يحتج بها أهل الظاهر على أنه لا توجد نوازل لم يُعرف لها أصولٌ في السابق، داخلةٌ تحت النص، وهذا القول أولى من قول من قال -كما اشتهر عند المتأخرين-: «بأن نصوص الشريعة محدودة، ونوازل الحوادث والأحوال غير متناهية»، هذا غير صحيح، إلا على معنى أنها داخلةٌ في اللفظ، أما في المعنى فلا يوجد حادثة في الوجود إلا ولها دخولٌ في معنى نص، إما من جهة النص وإما من جهة الاجتهاد.

والله تعبدنا -كما قال إمامنا الشافعي رحمه الله في «الرسالة»، وكما قال ابن الطبري كما في مقدمة تفسيره- «إن الله تعبدنا بإعمال النص والاجتهاد فيه»، هناك من الأمور ما تحتاج إلى اجتهاد، وتكون تحت النص قد خفيت وتحتاج إلى استنباط، ومن هنا يظهر الفرق بين العالم والعامي.

القصد من هذا أيها الأخ الحبيب: بأن النصوص حاوية لكل زمان ولكل مكان، وبالنصوص، ومن خلال الدخول في النصوص.

إذن القول: بأنه إذا جاء الرجل بقولٍ لا سلف له فيه فإنه يرد عليه، وهذا من أكبر الأدلة على بطلانه، في مسائل الفقه والاجتهاد، لكن كأن السائل يدور حول أن هناك من المفاهيم التي لا تخالف أصل الشريعة وتتوافق معها، ولكنها تُخفى حتى يأتي أحد الناس فيستنبطها؛ كرامةً من الله له في أن يظهر هذه المعاني.

القرآن لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق من كثرة الرد، وكلما ذهب إليه عالمٌ ليستقي منه خيرًا ونورًا وروحًا، فإنه سيجد هذا في داخل النص، وربما يفتح الله عز وجل عليه من المعارف مالم يفتحها على آخرين، ويعجبني قول عبد الرؤوف المناوي: إن الله عز وجل قد يفتح على العامي من المعاني ما لا يفتحها على العالم، وهو يقرأ القرآن يأتي له من المعاني ما لا يعرفها العالم؛ وهذا من فضل الله عز وجل، فلا يقال: من سبقك في هذا الاستنباط من المعاني؟ إذا كانت متفقة مع أصول الشريعة، متفقة مع أحكام الشريعة، كما قال الجنيد: «إنه ليعتريني اللمحة في القلب والنازلة في القلب -وكذا يعني- فلا أقبل بها إلا بشاهدين: الكتاب والسنة».

فمثلاً: عندما يأتي عالمٌ يستنبط من كتاب الله عز وجل من المعاني التي فيها الإجابة، ويجيب بها على الآخرين من كتاب الله، لم يكن هذا السؤال في زمن الأوائل، فلم ينشأ الجواب من الكتاب حوله، فيأتي السؤال فيجيب المرء عليه، يعني عندما انتشر الفقه اليوناني في موضوع العقل الكلي، العلماء ردوا عليهم بقوله تعالى: ﴿أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [النحل: ٧٨]، هذا الاستنباط في الرد على هذه العقيدة هذا استنباطٌ مبتدعٌ على المعنى الحسن، على قاعدة الفاروق رضي الله عنه: «نعمت البدعة هي».

وكذلك لما يأتون اليوم ويقولون: نهاية التاريخ -عقيدة نهاية التاريخ- وبأن التاريخ خلاص انتهى بعدم تحول الحضارات من مكان لمكان، وعدم سقوط الحضارة الأمريكية لأن فيها من عوامل الدوام والبقاء والاستمرارية ما لا يوجد في الحضارات التي ذهبت؛ فنرد عليهم بقوله تعالى: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ (٤٣)﴾ [القمر: ٤٣]، هذا استدلال يوافق هذا الاعتقاد الجديد ويرد عليه، وهذا من الاستنباط الحق والهداية الربانية، ولا يقال: من سبقك في هذا؟! النازلة جديدة فاحتاجت إلى دليلٍ يوافقها، وهذا يوافق الكتاب والسنة بل يؤيدهما، بل هو من صلب هذا الدين ومن أساسه وأسه، فهذه لا يقال فيها: هل سبقك أحدٌ في هذا؟

عندما يتحدث الناس عن مفهوم الأمة، هذه لفظة جديدة «الأمة»، فالناس يستنبطون من الكتاب والسنة من دلائل وقواعد وأركان الأمة، فيستدلون بالكتاب والسنة، فيرد عليهم بهذا.

يعني مثلاً: لا يقال اليوم كما يقول الجاهلون: ما في كتاب سيد قطب ليس من التفسير لأنه أتى بطريقٍ للتفسير لم يقل بها الأوائل! طرق التفسير ليست توقيفية، وهو يتعامل مع النص بما يوافق الكتاب والسنة، ويوافق فهم السلف، ويوافق واقعه ويتعامل معه، يجيب على أسئلة الواقع؛ فلا يقال لسيد: من سلفك في هذه الطريقة في التفسير.

العلماء قسموا التفسير: تفسير بالرأي، تفسير بالأثر، ووضعوا شروطًا للتفسير بالأثر، ووضعوا شروطًا للتفسير بالرأي، وهناك من جمع بينهما، وهكذا، وهناك من فسر القرآن تفسيرًا فقهيًا كالجامع لأحكام القرآن وكتب أحكام القرآن، هناك من فسر القرآن تفسيرًا إعرابيًا فأعرب القرآن، هناك من نظر إلى تناسب الآيات والسور.. فتفننوا..

وهذا الكتاب هو مصدر كل علوم الأمة، القرآن هو مصدر العلوم كلها، حتى أن السنة من القرآن، كما يقول ابن القيم رحمه الله، وكما يقول بعض أهل العلم، وإن كان حولها خلاف ذكرها عبد الغني في كتاب «السنة ومكانتها في التشريع» أو هكذا.. له كتاب يناقش هذه المسألة ويرد فيها على الشاطبي.

المهم، ففي هذه لا يقال: من سلفك؟ لأنه موافق للكتاب والسنة، السؤال المعاصر موجود، فيرد عليه ردًا جديدًا يوافق هذه الجدة من السؤال.

والقصد من هذا: بأنه لا يجوز للناس أن يحدثوا أقوالاً في الفقه لم يقل بها السلف، وأما التنزلات القرآنية الإلهية والعطاءات الإلهية والفتوحات الإلهية في فهم الكتاب والسنة، فهذا أمرٌ لا ينتهي، ولا ينبغي أن يقال: من سبقك في هذه الفائدة؟ لا يقال هذا، والله تعالى أعلم.

جزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

٣٤- رأي الشيخ بكتب الشيخ عبد المجيد الشاذلي رحمه الله

ضمن الجلسة السادسة، بتاريخ: (**٢٥/١١/١٤٣٨هـ الموافق لـ: ١٧/٨/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل أخ يقول: شيخنا الحبيب، ما تقييمك لكتابات ودعوة الأستاذ عبد المجيد الشاذلي؟

جواب الشيخ: مات الأستاذ عبد المجيد الشاذلي رحمه الله من قريب، وأشهر كتبه: «حد الإسلام وحقيقة الإيمان»، وهذا الكتاب عليه ملاحظات كثيرة، ولكن أنا أجيب هنا باختصار ولا أريد أن أطيل، لأنني جعلت هذا الكتاب إحدى الكتب المختارة في مناقشة مشروع «ألف كتاب قبل الممات» إن شاء الله، فنؤجل الكلام فيه والحديث عنه.

باختصار... كتابه هذا فيه اضطراب شديد وفيه تفصيل يصل إلى حد الاضطراب، ومع ما فيه من قواعد صحيحة ولا شك، ولكن فيه أيضًا مسائل تحتاج إلى بيان، وإن شاء الله تعالى نفصلها في مشروع «ألف كتاب قبل الممات».

والحديث عن الرجل وما قاله، واختياراته، وأحكامه على النوازل، إن شاء الله نتحدث عنها هناك.

بارك الله فيكم، والحمد لله رب العالمين.

٣٥- رأي الشيخ في جهاد الترباني

ضمن الجلسة السادسة، بتاريخ: (**٢٥/١١/١٤٣٨هـ الموافق لـ: ١٧/٨/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل أخ يقول: ما رأيكم بكتاب «العظماء المائة» لجهاد الترباني؟

جواب الشيخ: ما زالت كلمة ابن حجر رحمة الله عليه: «من تكلم في غير فنه أتى بمثل هذه العجائب»، تصلح لمثل هذا السؤال؛ يعني أنت تجد الرجل يتكلم في باب من أبواب العلم فيفلح ويقدم الخير، وهذا يذكرنا بقضية: العقول المتعددة في الرجل الواحد.

مثلاً: أنت حين تقرأ للغزالي كتابه «المستصفى» تطرب له، وحين تقرأ له كتاب «الوسيط في المذهب» تطرب وتطرب، ولكن حين تقرأ كتاب «العلم في الإحياء» تعجب! فهذا شأن الناس للأسف.. لو أنَّ الناس يتكلمون فيما يتقنون؛ فيقفون عند ما يتقنون لصلح أمر الناس، ولكن الناس يتجاوزون، ويدخلون الهوى.. ويدخلون الحزب.. ويدخلون العشيرة.. ويدخلون البلدة في أهوائهم، ليس وهذا ليس عند المسلمين فقط، ولكن في غير المسلمين تجد هذا الأمر شائعًا للأسف جدًا.

لما أظهر كتابه الناس فرحوا له، وأظن أنه قال الكتاب بداية عن طريق الإلقاء، وبطرق جديدة فيها إبداع، وفيها شد للمقابل بطرق معينة، فهذا شيءٌ جيد.

ولكن أنت -أيها المحقق- لا تغرك الحواشي، يعني الصغير هو من يقرع له بالشنان من أجل أن يطير، وفي طيرانه إلى الأمام يجد الصائد، كما يفعل الذين يضربون بالطبول ويضربون بالدفوف من أجل أن تطير الحمامات إلى قاتلها.

فالكثير منا يستخدم الأدوات المؤثرة من أجل أن يوصل الفكرة، وهذا شيءٌ جيد إذا استخدم في الحق.

فالرجل في الحقيقة استخدم أدوات جيدة عندما بث هذه الأشرطة، وتكلم كلامًا جيدًا، وقد أعمت هذه الطريقة عن كثير من المباحث التي تحتاج إلى تدقيق، ولكنها سرقت الناس، وصنعت شيئًا جيدًا في نفوسهم.

ولكن هذا الرجل فجأة وإذا هو يتحدث عما لا يعرف، ويهرف بما لا يعرف، وكما هو شأن كثير من الوعاظ الذين يتكلمون في الوعظ، فالناس ينشدون لهم بما سميته بـ «الشيخ النجم» الذي يظهر فجأة فيحبه الناس، ويرون طريقته جميلة.. وأنتم رأيتم الكثيرين من هؤلاء، وجهاد للأسف من هؤلاء... لما بدأ يتكلم الناس أحبوه وو... إلخ.

والناس في هذا الزمان يحبون السمع، لا يحبون القراءة، القراءة صارت شاقة على الناس ومتعبة، والناس في المدارس -خاصةً في العالم الإسلامي- كرهوا الناس بالقراءة، فصارت القراءة مرفوضة.

فالناس الآن يتلقون علومهم عن طريق الرؤية، النظر.. الأشرطة.. الإصدارات وغيرها.. وهذه هي عماد معارفهم.

فالقصد: إني لا أريد الآن وليس من العدل أن أسقطه بالكلية، ولكن نقول له: اتق الله.

مثلاً: عندما تحدث عن جاسوسية أيمن الظواهري، وأنه جاسوس روسي، يعني لا يستطيع المرء إلا أن يقول: إن هذا الكلام ساقط، ولا ينبغي أن يرفع -كما يقول آبائنا عندما يحتقرون شيء- لا يرفع من مكانه، يعني كالزبالة لا يرفعها المرء إلا إذا أراد أن يحملها ليلقيها في مكانها الذي تستحقه.

هذا الذي أجيب به، ولا أريد أن أقول أكثر من هذا.

أما المناقشة له ولكل ما كتبه، فيكفي أنه لم يقرأ المسألة قراءةً علمية ولا تاريخية، وهرف بما لم يعرف، ونقل النقولات كلها في غير سياقها، وعن أناسٍ ليسوا هم من رواة التاريخ الذين يستحقون أن تأخذ منهم الأمور.

فقط هذا الذي أريد أن أقوله... وغفر الله له.

ولا يمنع هذا أن ننتفع من الجوانب التي أصاب فيها، كما هو شأن الناس يصيبون ويخطئون، ولكن هذا الرجل ما زال في مرتبة الوعظ التي تصلح لعموم الناس، أما العلماء والمحققون فهذا شأنهم شأنٌ آخر، يعني ربما لا يحتاجون إلى مثل ما يقوله.

والحمد لله رب العالمين.

٣٦- رأي الشيخ بكتاب «الجلي في التفسير»

ضمن الجلسة السادسة، السؤال السادس والثلاثون، بتاريخ: (**١٤٣٨/١١/٢٥هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/٨/١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يقول: ليس سؤالًا ولكنه طلب، أتمنى أن يتناول الشيخ كتاب «الجلي في التفسير» لأبي يعرب المرزوقي ضمن سلسلة «ألف كتاب قبل الممات».

جواب الشيخ: في الحقيقة هذا ليس من التفسير في شيء، وهو زعم أنه أول كتابٍ في التفسير على طريقة الفلاسفة، وهذا غير صحيح؛ هناك الكثير ممن كتب تفسير القرآن على طريقة الفلاسفة، وهذا ذكرته في ترجمة الشهرستاني؛ فله تفسيرٌ معروف ومشهور أنه على طريقة الفلاسفة، وضعه لبعض الحكام الإسماعيلية الذين هم على هذا الدين.

لا أدري أيستحق هذا الكتاب كتاب «الجلي في التفسير» لأبي يعرب المرزوقي، أم لا؟؟

هذا الكتاب سيء، وليس من التفسير في شيء، وليس من العلم في شيء، وليس هو من الهداية التي يحبها الله عز وجل من عبيده في قراءتهم للقرآن، وفيه من الهِنات الشديدة، وكلمة «هِنات» ربما تكون مؤدبة، فيه من الضلالات، في الحقيقة فيستحق أن تسمى ضلالات.

يعني انظر إليه مثلاً عندما يتحدث عن حوار ربنا جل في علاه مع الملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ [البقرة: ٣٠]، جعلها من الاعتراض، جعل الملائكة مع الشياطين، قال: وانظروا إلى أن الشيطان والملائكة قد اعترضوا.. الملائكة تعترض على الله؟!!

وهذا في الحقيقة من قلة هيبة ربنا عز وجل في قلوب هؤلاء القوم.

ولا مانع للمرء أن يكون فيلسوفًا، ولكن على طريقةٍ مهتدية، لكن أن يلبس القرآن معارفه الذاتية، وأن يصبغ على القرآن اجتهاداته النفسية الخاصة بقراءاته البعيدة عن الكتاب والسنة، فهذا هو الضلال المبين.

القصد: أن كتاب «الجلي في التفسير» كتابٌ سيء ولا ينصح به، وحتى في ألفاظه وحتى من جهة الصياغة

واللغة، أي عندما تقرأه لا تحس أنك تقرأ لرجلٍ يستحق أن يفسر القرآن، علاوة على ما فيه من جهالات في الاستنباطات التي أتى بها.

وهذا لا يعني أننا نرمي أبا يعرب المرزوقي كليًا، له كذلك جهدٌ مشكور في الرد على العلمانيين والرد على الزنادقة والرد على الانقلابيين، له جهدٌ مشكور في هذا يمدح له، وأما خوضه في مثل هذه الأمور فضعيف بل خطأ، وينبه بأن كتاب الله عز وجل أجّل من أن يتخذ لهذه الوسائل.

والرجل لا خبرة له بالإسلام، حتى في دقائقه، لا يغرنكم ما يسمى بالمفكر الإسلامي.. لا يغرنكم.. يعني في الحقيقة المفكر الإسلامي هو فوق المجتهد في واقع الأمر، بعد أن يبلغ المرء مبلغًا عظيمًا في الاجتهاد يصبح حينئذٍ مفكرًا إسلاميًا يستطيع أن يغوص في الكتاب والسنة، ويستخرج اللآلئ، ويجيب على الأسئلة المعقدة التي يطرحها الفلاسفة وغير الفلاسفة، يطرحها الاقتصاديون.. يطرحها.. إلخ، يصبح عنده حكمة الكتاب والسنة، وهذا الذي بلغه كبار الأئمة، التي بلغها الشافعي رحمه الله، الشافعي هو إمام الأئمة في هذا الباب بعد عصر الصحابة رضي الله عنهم والتابعين، هذه المرتبة التي بلغها ابن تيمية رحمه الله، بلغها ابن القيم... عندما تقرأ لهم تقرأ فكرًا إسلاميًا، ولكن متى وصلوا إلى هذه الحالة من المعرفة، أن يسمى مفكرًا؟

بلغوها بعد أن بلغوا رتبة الاجتهاد فتعدوه، وهؤلاء يريدون أن يتكلموا فكرًا إسلاميًا، والواحد منهم لم يبلغ أن يكون على درجة «نهاية المقتصد وبداية المجتهد» هو ما زال في دائرة التقليد، ومع ذلك تكلم في قضايا خطيرة جدًا.

يصلح هؤلاء في الرد على العلمانيين والرد على الزنادقة، لكن أن يتكلم في دقائق الإسلام بمثل هذه الجرأة.. هذه خطيرةٌ في دين الله، فنحن نخاف على دين هؤلاء الناس، المسألة ليست مسألة صراع لإسقاط، وليست من أجل تهارج أحزاب، هذه مسألة تتعلق بدين الله عز وجل، نحن نخاف على هؤلاء الناس، ألا يريدون الدار الآخرة؟! ألا يريدون إرضاء الله عز وجل؟! فلينظروا إلى نفس الرب ماذا تقول من جهة ما تقول هي، وليس ما تقولون أنتم وتلبسونها بألبسة الدين، تقولها أهوائكم وتجعلونها قولًا لله عز وجل، وتقولون على الله ما لا تعلمون.

إن لم يبق إلا هذا الكتاب بين أيدينا، حينها نتكلم عنه إن شاء الله، ولكن أعتقد بأنه لا يستحق، والكتاب كتابٌ سيء من عدة جهات، من موضوعه وأسلوبه، ومن جرأته في ألفاظه في الحديث عن الله عز وجل

والحديث عن الملائكة، والحديث بأرقام حسابية، يعلق الأزمان بأرقام حسابية، كأنه على طريقة اليهود طريقة الجُمل.. حروف الجُمل؛ وهذا ليس من دين الله في شيء، غفر الله له.

ومع ذلك أقول لهذا الرجل: جهادٌ محمود في الرد على أعداء الله عز وجل، والحمد لله رب العالمين.

٣٧- شرط القرشية في الإمامة العامة

ضمن الجلسة السادسة، بتاريخ: (**١٤٣٨/١١/٢٥هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/٨/١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل أحد الإخوة: شيخنا، نريد منكم تفصيلًا في مسألة شرط القرشية للإمامة العامة.

جواب الشيخ: الأحاديث المتواترة قليلة كما يعرف طلاب العلم، على شرط التواتر المذكور في كتب مصطلح الحديث، ومن الأحاديث المتواترة: (**الأئمة من قريش**)، وفي حديث: (**ولو لم يبق في الناس إلا اثنان**)، بمعنى أن هذا الشرط لا يسقط بالقلة، وهذا قول الأئمة الأربعة بلا خلاف.

وللأسف، مع أن ابن خلدون من الفقهاء -ولا شك هو مؤرخ، ولكنه فقيه- بل كان قاضيًا، إلا أنه لا يرى هذا الحديث، أخذًا بحديث: (**ولو تأمر عليكم عبدٌ حبشي**)، فأجاز تولي العبد الحبشي، ولقول عمر الفاروق رضي الله عنه: «لو كان سالم مولى أبي حذيفة حيًا لوليته».

ولكن هذا كله محمول على غير الإمامة العامة، هذه محمول على إمارة الجيوش، وعلى الإمارات الفرعية التي هي دون الإمامة العامة، وإلا فإن الأئمة الأربعة وأئمة الإسلام متفقون على أن الأئمة من قريش؛ وخالف في ذلك الخوارج، وخلافهم لا يعد خلافًا عند أهل العلم، لجهلهم، ولضلال قواعدهم التي يستندون عليها، ولجهلهم بما ورد من نصوصٍ نبوية لعيشهم في الأطراف وفي البوادي وعند الأعراب بعيدًا عن حواضر الإسلام وأماكن تلقي العلم.

فهذا شرطٌ لا يجوز لأحد أن يخالفه، وإن خالفه أهل الإسلام أثموا، ولكن السؤال: هل إذا عقدت الإمامة لغير قرشي تنعقد؟ يعني لو افترضنا أن المسلمين قد خالفوا هذا الحديث، وولوا رجلًا غير قرشي عليهم، هل تبطل إمامته؟ بمعنى هل القرشية شرط صحة أو شرط وجوب؟

الصواب: أنه شرط وجوب وليس شرط صحة، بمعنى أنه لو ولي غير قرشيٍ في الإمامة العظمى لوجب طاعته مع المعصية، مع معصية مخالفتهم لهذا الحديث (**الأئمة من قريش**).

ومما يذكر: أن بعضهم أراد أن ينافق الدولة العثمانية وهي قد أعلنت الخلافة وتسمى ملوكها بالخلفاء، وهذا خطأ منهم، تسموا بالخلافة وبقي هذا الاسم «الخلافة العثمانية»، أو كما يسميها البعض الخلافة الرومية، فجاؤوا وطبعوا صحيح البخاري من غير هذا الحديث (**الأئمة من قريش**)، فقام العلماء عليهم، وجمعت هذه النسخ وحرقت، وكان موقفًا عظيمًا لأهل العلم، واستجابة عظيمة من السلاطين بعدم قبول مثل هذه الألاعيب الغير شرعية والباطلة.

فهذا هو الجواب، فهذا الحديث (**الأئمة من قريش**)، وهو أمرٌ جاء على صيغة الخبر، وهو من أعلى درجات الأمر.

ولكن هناك فرقٌ بين الركنية وبين الوجوب، الركنية والشرطية لا تثبت إلا بالنفي، كأن يقول: لا أئمة إلا من قريش، كقوله صلى الله عليه وسلم: (**لا صلاة إلا بوضوء**)، هذه تثبت الركنية؛ وأما الأمر فلا يفيد إلا الوجوب، فهذا شرط وجوب، وإذا تخلف شرط الوجوب صح الفعل مع الإثم، وأما إذا تخلف شرط الركنية بطل العمل ويفسد العمل، وصار لا قيمة له.

فلذلك: (**الأئمة من قريش**)، هذا يفيد الوجوب، بل وأعلى درجات الوجوب، لأنه إذا جاء الأمر على صيغة الخبر دل على أعلى درجات الأمر، فهو أمرٌ يفيد الوجوب، فإذا خالفه الأئمة أثموا مع صحة انعقاد الإمامة ووجوب طاعته؛ لكن لو وجدت القرشية عند اختلاف الأئمة فوجب المصير إليها.

فلو لم يوجد القرشي الملائم من المجتهدين وغيرهم، فالصواب: هو أن شروط الإمامة الأخرى من الاجتهاد وغيره مما ذكره أهل العلم، هي أولى من شرط القرشية لأنها هي التي تقيم مقاصد الإمامة.

وفقط ابن خلدون لما رد على هذا الحديث -كما ذكرنا- ولم يأخذ به، قال: لأن المقصود العصبة، وكان يوم ذاك العصبة في قريش، وعلل الحديث بأن الناس لا يخضعون إلا لهذا الحي من قريش، كما قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه عندما تنازع الأنصار مع المهاجرين، فقال: «إن العرب لا تخضع إلا لهذا الحي من قريش»؛ لأنهم يرون قريش بسبب نسبتها لإبراهيم الخليل عليه السلام، وتعظيم العرب للبيت وسدنته وأئمته؛ فقال: إذن القضية قضية عصبة، من يخضع الناس له يحقق العصبة، والحقيقة أن هذا التأويل بعيد، فالقرشية

وصف يجب المصير إليه بنفسه.

والله تعالى أعلم، والحمد لله رب العالمين.

٣٨- حكم بيع الأرض لليهود

ضمن الجلسة السادسة، بتاريخ: (**٢٥/١١/١٤٣٨هـ الموافق لـ: ١٧/٨/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل، وقد أرسل صورتين لورقتين عن منشور لجيش الكفر وجيش الإجرام اليهودي، يتعلق بوضع يدهم على أراضٍ لها محيطها ولها حدودها، وقد وضعت أيدي هذا الجيش المجرم قسرًا على هذه الأراضي، وفي هاتين الورقتين أنه يحق التغلب من أجل أخذ الثمن فقط؛ فيسأل الأخ: هل يجوز أن يأخذوا تعويضات؟ مع العلم أن الأرض على كل الأحوال سيأخذونها.

جواب الشيخ: لا، لا يجوز؛ لأن أخذ التعويضات يعني سقوط الحق وقبولهم بها، فلذلك لا يجوز أخذ المال؛ لأنه إقرارٌ منهم بالبيع، وهذا بيعٌ باطل فيه كل معاني البطلان، أن فيه معنى الإكراه، وهو -بيع المكره- بيعٌ باطل، فيه معنى الإضرار وإعطاء هذه الأرض لهؤلاء الكفرة المجرمين فيما هو إعانة لهم على باطلهم وعلى كفرهم، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]، وليس هناك عدوان أشد من هذا العدوان الذي يمارسه هؤلاء.

طيب.. قد يقول قائل: نحن نأخذ المال منهم فقط! أخذ المال إقرار، أي أنت أقررت بهذا البيع ولو كان على هذا المعنى، فلذلك أنت لا تقبله، ولا تأخذه، وليبق الحق قائمًا لك في هذه الأرض، وفي يومٍ من الأيام ستعود إليك.

هذا هو الجواب: لا يجوز بيع هذه الأرض، لا على جهة الإكراه ولا على أي جهةٍ من الجهات، تبقى هذه الأرض لصاحبها، ولا يجوز تملكها من قبلهم بأي وجهٍ من الوجوه.

والله تعالى أعلم، والحمد لله رب العالمين.

٣٩- هل صلاة الفلاة تعدل صلاة الجماعة خمسين مرة؟!

ضمن الجلسة السادسة، بتاريخ: (**١٤٣٨/١١/٢٥هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/٨/١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل أخ يقول: حفظكم الله شيخنا الفاضل، هل صحيح أن صلاة الفلاة تعدل صلاة الجماعة بخمسين مرة؟

جواب الشيخ: لم أسمع بهذا اللفظ «تعدل صلاة الجماعة»، لم يرد هذا الحديث.

الحديث عن أبي سعيد الخدري الذي عند أبي داود، ورواه الحاكم، وقال الزيلعي في نصب الراية: أن إسناده جيد، والحاكم صححه، وسكت عنه الذهبي، على ما في سكوت الذهبي؛ إذ إن سكوت الذهبي ليس إقرارًا كما ينتشر في بعض الكتب: أنه إذا سكت الذهبي فقد أقر الحاكم، لا، خاصةً أن «مختصر مستدرك الحاكم» للإمام الذهبي كتبه في بداية عمره وهو شاب، أي إما اتخذه للتمرين، وأهل العلم يعرفون هذا، ولكن لا بأس أن ننشره بين طلبة العلم: أن كتاب الذهبي وهو «مختصر المستدرك للحاكم» كتبه للتمرين، أراد أن يتمرن على هذا العلم، فهو في بداية أمره، ولذلك سكوت الذهبي عن حديث في الحقيقة ليس إقرارًا، «وسكت عنه الذهبي» لا يعني أنه أقر الحاكم، المهم أن الحاكم صححه، وهو من حديث أبي سعيد الخدري.

ونصف الحديث يروى في الصحيحين، ولكن هذه التتمة لم ترد في الصحيحين، وتجنبها الإمامان البخاري ومسلم؛ لأنها ليست على شرطهما، وفي الحديث: (**أن صلاة الجماعة تعدل صلاة الفرد بخمسٍ وعشرين صلاة**) وهذا القدر هو المتفق عليه، المتفق على صحته.

وأما الحديث الآخر وهو حديث: «وصلاة المرء في الفلاة تعدل خمسين صلاة»، وليس صلاة جماعة كما يسأل السائل، وهذا لم أجد في الحقيقة من تكلم عليه بتضعيف، وفيه مقال يسير في أحد رجاله، مقال يسير لا يضر، والإمام ابن حجر كذلك سكت عنه وأوله، فيمكن كذلك وكما يقول البعض: بأن سكوت ابن حجر على الحديث يعني تمرير له وقبول له، وربما هو تحسينٌ له، وهناك الشيخ ناصر كما هو معروف هذا الحديث عنده صحيح، فما وجهه؟

الأول متفق عليه وهو: (**صلاة المرء في جماعة تعدل خمس وعشرين صلاة**)، أي لو صلاها منفردًا، طيب.. صلاة المرء في فلاة تعدل خمسين صلاة، ولكن ليس صلاة جماعة.

هذا الحديث أولًا: يجب حمله على الاتفاق وليس القصد، بمعنى أنه يحمل على المسافر الذي هو في فلاة، هو لا يجوز للمرء أن يترك حاضرة البلد وصلاة الجماعة فيذهب إلى الفلاة ليصلي، لأنه لن يصيب هذا الأجر، ولكن يتسمح في الاتفاق مالا يتسمح في القصد، فالمسافر والذي من شأنه الخروج لدابته ولحيواناته، يعني ربما يخرج إلى الفلاة من أجل دوابه.. من أجل زرعه.. أو يكون مسافرًا فيكون في الخارج؛ فهذا الحديث -إن صح، وهو كما ذكرنا من حكم العلماء فيه- يحمل على هذا المعنى.

وهل هو صلاة في فلاة منفردًا، أم في جماعة؟

بلا شك أن هذا بحسبه، لأن صلاة الجماعة عند حضور الجماعة في السفر وفي الفلاة واجبة كما هي صلاة الجماعة في الحضر، بمعنى لا يجوز للناس في السفر أن يصلوا منفردين، بل عليهم الجماعة، الجماعة واجبةٌ عليهم.

وفي أحاديث أخرى تدل على هذا.. (**يعجب ربنا للرجل يكون في قي**) -يعني: في فلاة، الفلاة المقصود بها: خارج الحضر.. التي تكون بلا بيوت.. بعيدة عن البيوت؛ وجمعها: فلى كحصاةٍ وحصى، وكذلك يقال: فلوات كحصيات؛ فالقي هو الفلاة- (**يعجب ربنا للرجل يكون في قي فيأذن ويقيم ويصلي**)، يعجب ربنا أي يفرح ربنا.

وكذلك في الحديث: (**أن الرجل لو صلى في فلاة صلى معه ملكان، وإذا أذن وأقام صلى معه من جنود الله ما شاء الله**) يعني من الجن والملائكة، فهذا يدل على فضل الصلاة في الفلاة.. ولماذا هذا الفضل؟

بعض العلماء نظر إلى حكمة الحال، بمعنى أن المرء حين يكون مسافرًا أو خارجًا في الفلاة يكون تعبًا، ويكون في مشقة شديدة، فالله يفرح له أن يصلي في هذا المكان وفي هذه الفلاة، يفرح له بأنه مع تعبه، مسافرًا، جادًا في السفر، والسفر كما في الحديث الذي في الصحيحين: (**السفر قطعة من العذاب**)؛ فيعجب ربنا للرجل يكون تعباً ومع ذلك يقيم الصلاة، يعجب ربنا له أنه على هذه الحالة ويقيم الصلاة، فلذلك جاء هذا

الفضل له.

ولكن أكرر: هذا ليس دافعًا لأحد أن يخرج من البلدة -كما يفعل البعض- من أجل أن يصيب الحديث.. هذا ليس من العلم وليس من الفقه في هذا الحديث، وأرجو أن أكون قد وفقت لهذا الأمر.

وكذلك مما نبه عليه العلماء، ورأيت الشيخ الألباني -قديمًا- في السلسلة عند حديثه عن هذا الحديث يقول: من الأفضل للمرء حين يكون مسافرًا أن لا يبحث عن مسجد؛ لأن البعض يكون مسافرًا، فينزل، ثم يبحث في مساجد الطرقات كونه الأفضل لأن ينزل هناك ويجد في البحث عن المسجد ليصلي فيه، فلو صلى في الفلاة أفضل، في الحقيقة هذا القول منه رحمه الله مقبول مع وجود الاعتبار أن المساجد فيها ما يريح الناس من بعض الأمور، مثلاً: أن يكون المرء مسافرًا مع أهله، يحتاج إلى الوضوء، يحتاج إلى قضاء الحاجة، فيكون في المساجد ما لا يكون في البرية.

ولا أظن أن مسجد الطريق يخرج عن معنى الفلاة، بمعنى أنه والمرء مسافر فحين ينزل على مساجد الطرقات هذه، فلو صلى فيها فلا يخرج عن معنى صلاة الفلاة في هذا الحديث، لأنه ما زال في الفلاة، وليس هذا المسجد من المساجد التي ينادى إليها كما في الحواضر، والتي ينطبق عليها الحديث الأول: (**صلاة المرء في جماعة خير من صلاته في بيته بخمسٍ وعشرين صلاة**).

هذا.. والحمد لله رب العالمين.

٤٠- هل يصح تغيير النية في الصلاة؟

ضمن الجلسة السادسة، بتاريخ: (**٢٥/١١/١٤٣٨هـ الموافق لـ: ١٧/٨/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل أخ ويقول: يحدث أن يقف المرء لصلاة الفرض منفردًا، وبعد أن يدخل في الصلاة يأتي بعض الأصحاب فيقيمون صلاة الجماعة، فهل يصح أن يغير نيته للنفل ثم يصلي جماعةً معهم؟ والشباب يريدون شيئًا من التفصيل في القضية، فهل يصح تغيير النية من الفرض إلى النفل في الصلاة وغيرها؟ ومتى يصح ذلك؟ وما شروط صحته؟

جواب الشيخ: في الحقيقة سأجيب عن مسألتين؛ لأن هناك سؤال آخر له تعلق بهذا السؤال، وهو إذا ما دخل المرء المسجد فصلى مسبوقًا، فلم انتهت صلاة الإمام قام يصلي، فيأتي الناس من خارج المسجد ويصلون وراءه إمامًا، فهذه مسألة سأبينها؛ والمسألة المسؤول عنها سأبينها إن شاء الله عز وجل.

دعنا في السؤال الذي أنا ذكرته؛ لأن فيه الإجابة وهو تغير النية على السؤال الذي تقدم ذكره في السؤال المقروء.

إذا قام رجل يصلي، سواء كان مسبوقًا أو غير مسبوق، أو كان منفردًا، دخل المسجد فصلى فجاء الناس يأتمون به، فهل هذا يجوز؟

هذه المسألة له ارتباط بمسألتين في الفقه: المسألة الأولى: التي لها كذلك ارتباط بالسؤال الذي قرأناه وهو تغيير النية.. هل يجوز تغيير النية من المأموم إلى الإمام؟ وهل يجوز تغيير النية من الفرض إلى النفل، أو من النفل إلى الفرض؟

والسؤال الثاني: هل يجوز تعدد الجماعة في المسجد الواحد؟ بمعنى الجماعة الثانية، وليس أن يصلي الفريضة في جماعتين في وقتٍ واحد؟

ننتهي من المسألة الأولى وهي تغيير النية:

أما تغيير النية من منفرد إلى إمام وراءه من يصلي معه، فهذا نعم، هذا ورد، وابن حجر حمه الله –وهو من الشافعية– قال: بأن هذا، أي الصلاة منفردًا، أو الصلاة إمامًا، ليست من شروط النية حين انعقاد الصلاة؛ بل ذكر شيئًا آخر ينبه به في النافلة، أما الفريضة، لأن الفريضة محدودةٌ في العدد لا يجوز التغيير فيها..

فهل يجوز للمرء أن يقيم، أن يكبر، أن يدخل في الصلاة دون تعيين عدد الركعات التي يريد أن يصليها؟ بمعنى هو يريد أن يصلي، يصلي ثلاثًا.. أربعًا.. ستًا.. هل يجوز له أن يصلي ركعتين أو أربعا؟ هو شاك في ذلك.. هو يقول: أصلي ركعتين، وربما من أصلي أربعًا، فهل يجوز؟

الجواب: نعم، الجواب يجوز الدخول في الصلاة دون تعيين نية المرء هو منفردٌ أو إمام، وكذلك يجوز أن يدخل الصلاة دون تعيين النية في عدد الركعات التي يريد أن يصليها وفي ذلك أدلة، هذا واحد.. وهذا أوسع من السؤال الذي تقدم.

أما الآن فالسؤال: هل يجوز أن يغير المرء نيته؟ الجواب: نعم، وذلك لحديث ابن عباس رضي الله عنهما عندما نام عند خالته ميمونة بنت الحارث زوج النبي صلى الله عليه وسلم أم المؤمنين.. فقال: «نام رسول الله حتى نفخ، ثم قام فأخذ شنًا معلقًا، ثم توضأ وضوءًا خفيفًا –والحديث في الصحيحين– فلما قام رسول الله يصلي، قال: فصنعت مثل ما صنع، ثم وقفت بجانبه الأيسر، فأخذ بأذني وأداربي إلى جانبه الأيمن» والمقصود به: أن ابن عباس صلى بصلاة النبي صلى الله عليه وسلم، والنبي صلى الله عليه وسلم قد دخل الصلاة بغير وجود ابن عباس.

وكذلك لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في الليل في رمضان، فالناس لما رأوه يصلي صلوا بصلاته؛ أي لم ينشأ صلاته عندما ابتدأها وهو إمام وإنما منفردًا؛ فدل هذا على جواز أن يغير نيته من منفرد إلى إمام، هذا إذا قلنا: بأنه يلزمه أن يصلي معينًا صلاته وهو منفرد أو إمام.

وغلا فبعض أهل العلم، كما ذكرنا عن ابن حجر، وهو من الشافعية، حيث يقول: بأن تعيين النية في هذا الباب ليس ضروريًا، وليس شرطًا من شروط صحة النية وصحة الصلاة؛ فيجوز للمرء أن يصلي بدون تعيين أنه إمام أو مأموم، فيصلي ما شاء والناس يصلون معه من غير تعيين النية.

فإذا قلنا بضرورة تعيين النية، فحينئذٍ النص الذي ذكرناه يفيد بأنه يجوز أن يغير المرء نيته من منفرد إلى إمام، هذا إذا قلنا: أنه لابد من تعيين النية، إذن هذه مسألة، يكون الرجل منفردًا فيصلي إمامًا.

كذلك في تغيير النية من إمامٍ إلى مأموم، هذا فعله الصديق الأكبر أبو بكر رضي الله عنه، لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي توفي فيه صلى الله عليه وسلم.. بأبي هو وأمي، فكان إمام المسلمين هو الصديق، فلما سبح الناس، وكان أبو بكر لا يلتفت في صلاته، حتى يعني أكثروا، فرأى أن النبي صلى الله عليه وسلم قد خرج إليهم، فأبو بكر رضي الله عنه تأخر وتقدم النبي صلى الله عليه وسلم، فكان أبو بكر يصلي بصلاة النبي صلى الله عليه وسلم والناس يصلون بصلاة أبي بكر رضي الله عنه، فأبو بكر كان إمامًا ثم تحول إلى مأموم في صلاته مع الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم؛ فدل هذا على ما تقدم مما قلناه.

المسألة الثانية فيما يتعلق بالحالة الأولى وهو: الدخول في المسجد وصلاة الناس به، وهو تعدد الجماعة في المسجد الواحد، وهذا فيه لعلمائنا ثلاثة أقوال:

القول الأول: الإباحة مطلقًا، وهو قول الشافعي رحمه الله، يعني يجوز أن تتعدد الجماعة في المسجد الواحد، يعني إذا انتهت الجماعة في المسجد فتأتي جماعةٌ أخرى، وهذا كان منفردًا فانتهت صلاة الجماعة، فجاؤوا وصنعوا جماعة أخرى، فهل تجوز هذه؟

الشافعي له تفصيل..

وهناك من منعها مطلقًا، وهم الأحناف، الأحناف لم يجيزوا أبدًا تعدد الجماعات، وأدلتهم قوية، ومنها:

أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يفعلها قط؛ وأن ابن مسعود رضي الله عنه -وأنتم تعرفون: أن فقه العراق أغلبه يقوم على فقه ابن مسعود رضي الله تعالى عنه- أنه جاءه أصحابه وقد انتهت الصلاة، فرجع وصلى بهم في بيت أحدهم، ويستدل العلماء لهذا باستدلالات كثيرة.. ومنها: (**لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بالصَّلاةِ فَتُقام، ثُمَّ أُخالِفَ إلى مَنازِلِ قَوْمٍ لا يَشْهَدُونَ الصَّلاةَ، فَأُحَرِّقَ عليهم**)، فقالوا: إن صلاة الجماعة واجبة، فلو كانت الثانية جائزة لاعتذروا بأنهم يريدون الصلاة الثانية، وهكذا.. الأدلة الواردة في إجابة المؤذن كلها تصلح لهذا القول، وهو منع صلاة جماعةٍ ثانية في المسجد.

القول الثاني: وهو الإباحة مطلقًا، يبيحونها، ويستدلون بفعل النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر رضي الله عنه لما دخل فقال: **(من المتصدق على هذا)**، فأجاز النبي صلى الله عليه وسلم أن يقوم رجل فيصلي مع أبي بكر رضي الله تعالى عنه.

القول الثالث: وهو الذي يتلاءم مع الجمع بين الدليلين، وهو التفريق بين مسجد الحي ومسجد الطريق والسوق، لما فيه من الحاجة، يقولون: بأن مساجد الأحياء ومساجد المدن هذه لا يجوز أن يعدد بها، لما تقدم من الأدلة، أما لماذا يجوز أن تتعدد؟ لحاجة الناس، في السوق الناس يذهبون ويأتون، وكذلك في مساجد الطرقات في السفر، المسافر يأتي فيصلي؛ فهذا قول الشافعي، وهو أعدل الأقوال، أعدال الأقوال الذي يجمع بين الأدلة المختلفة هو هذا القول.

يفرق بين مساجد الأحياء، التي يكون لها الإمام المقيم والمؤذن المقيم، والناس يأتون إليها على حالةٍ واحدة، فهذه لا يجوز تعدد الجماعة فيها ويمنع من عددها، وأما مساجد الأسواق ومساجد الطرقات، فيجوز تعدد الجماعة فيها.

والمسألة يسيرة، ليست يعني بإبطالها، فلا يقل أحد أن الصلاة باطلة، الحديث عن المنع.. يمنع..

أرجو أن أكون قد أصبت في قضية البطلان.. أنا لا أعلم أن الأحناف يقولون ببطلان الصلاة مع منعها المطلق؛ وحتى الشافعي لا يمنعها بمعنى أن يبطل الصلاة، ولكنه يمنعها ويرى أن الأولى عدم الجواز.

إذا انتهينا من الصورة، فإذا أجزنا.. إذا قلنا: أنه يجوز تغيير النية.. كان منفردًا فصار إمامًا.. وكذلك تعدد الجماعات في المسجد الواحد.. فدل هذا على الجواز، يعني الناس يفعلونها في بعض مساجد الطرقات، يكون الرجل مسبوقًا، فيكون منفردًا، فيأتي الناس يصلون بصلاته، فإذا تحقق هذا الذي تكلمناه جازت هذه الصلاة على هذا المعنى.

السؤال الثاني وهو: أن الرجل يكون منفردًا، فتدخل جماعة أخرى، فهو من أجل أن يدرك الجماعة يحول صلاته من فريضة إلى نافلة.

الجمهور مسلكهم هنا اجتهادي وهو: أن صلاة الفريضة أعلى من صلاة النافلة وحاوية لها، فيجوز للمرء

أن يغير -ما دام في الأمر متسع- يجوز للمرء أن يغير نيته من الفريضة وهي الأعلى إلى النافلة، بخلاف النافلة إلى الفريضة لأن الفريضة أعلى؛ فيمضي جزءٌ من صلاته على النافلة ففاته فرض، ولذلك صلاته لا تصح أن تحول من النافلة إلى فريضة، أما أن يتحول من الفريضة إلى النافلة فيصح؛ لأن الفريضة أعلى وهذا مسلكٌ اجتهادي، وهو معتبر، ولذلك هم يقولون بجواز تحول نية المرء من الفريضة إلى النافلة بخلاف الآخر.

الآن بقيت مسألة وهي تعدد الجماعة فيما قلنا، إذن جاز تغيير النية، وبقيت مسألةٌ ثانية وهي: الجماعة في المسجد الآخر، فإذا أخذنا بقول الشافعي، وكان المسجد مسجد سوق أو مسجد طرق.. طرق المسافرين، فحينئذٍ جاز هذا التحول، والله تعالى أعلم.

جزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

٤١- حكم تخليل الخمر

ضمن الجلسة السادسة، بتاريخ: (**١٤٣٨/١١/٢٥هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/٨/١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل يقول: عندي سؤال وهو: ما هو حكم استعمال الخل المباع في الأسواق في الطعام؟ -يكمل السائل- فكما لا يخفى عليكم ما في صحيح مسلم عن أنس: سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخمر تتخذ خلا؟ فقال: (لا)، وقد جاء في المهذب -للشيرازي، من كتب الشافعية-: وإذا خلل بخلٍ وملحٍ لم تطهر؛ وقال ابن قدامة: وإن خللت لم تطهر، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: والصحيح إذا قصد تخليلها لا تطهر بحال، فهل يعني هذا حرمة أكل الطعام المصنوع بالخل، بحيث لا أشتريه ولو قدم لي لا آكله؟ فما قولكم بارك الله بكم؟

جواب الشيخ: لا أدري، فلو الأخ حدد أنه يتكلم عن الخل المتخذ من الخمر، الكلام الذي تقدم الحديث حوله وهو الخل المتخذ من الخمر، ولو ذهبت إلى الأسواق تجد خل التفاح، تجد خل كذا.. تجد خل كذا.. وكذلك تجد خل الخمر، تجد في الأسواق مكتوب: خل الخمر، يعني: المتخذ من الخمر.. كيف هذا؟! يؤتى بالخمر فيضاف إليها شيء من الملح أو الخبز -هذا قديمًا.. لا أدري اليوم.. طرق الصناعة المعاصرة تطورت تطورًا هائلًا كبيرًا- فتتحول هذه الخمر إلى خل.

الخل المتخذ من غير الخمر لا خلاف فيه، والنبي صلى الله عليه وسلم أكل الخل وقال: (**نِعم الإدام الخل**).

وللذكر: فإن ابن القيم له لمحة جميلة في هذا الباب، قال: لا يعني أن الخل هو خير الأطعمة، ولكن الخل هو خير ما وجد في زمن ذكر الحديث؛ (**فنعم الإدام**)، لأنه لا يوجد غيره، وإلا فـ (**فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**)، الثريد خير من الخل، وهو -أي الثريد- اجتمع فيه الخبز واللحم؛ فنحن لا نذمه إذا حضر ولم يحضر غيره، فنكتفي به ولا نذمه، «ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يذم طعاما قط»، كما هو معلوم.

فلا خلاف بأن الخل المتخذ من غير الخمر أنه حلال، وأكله رسول الله صلى الله عليه وسلم، والناس

يأكلونه.. وأهل الإسلام يأكلونه في كل زمان وفي كل وقت، ولكن الخلاف وقع فيما لو كان هناك خمر فخللت، تحولت.. صارت.. فعندنا حالتين:

الحالة الأولى: إما أن تتخلل بنفسها دون تعدٍ منا، الحالة الثانية: وإما أن تتخلل بفعلنا..

العلماء اختلفوا -سأبين وأفصل في هذه المسألة-:

أولاً: هل يجوز تخليل الخمر بفعلنا؟

الجمهور على الحرمة، لا يجوز -طيب، إذا خللت؟ هذا موضوع آخر، إذا تعدى المرء فخللها وخالف، فيه خلاف بين هؤلاء- وقال الأحناف: بجواز تخليل الخمر، قالوا: أنه لو جاء رجلٌ إلى الخمر فخللها جاز له ذلك.

وبالتالي؛ من قال بالجواز قال: بأن اتخاذ الخل من الخمر جائز، لأنه أجاز الفعل، فما صار من هذا الفعل من أفعال صار جائزًا.

وأما الجمهور فعلى قولين: الذين حرموا للحديث الذي ذكره الأخ السائل بأنه لا تخلل الخمر، فلو خللها معتدٍ وخالف الحديث، فما هو الحكم؟ الذي عليه الجمهور: بأنه إذا اعتدى فإنه لا يجوز أن يأكلها، لأنه لا يجوز أن يُجازى على فعله الذي عصى الله فيه، بمعنى لو جاء وخلل الخمر؛ ففعله حرام، وقد فعل؟ اختلف هؤلاء الذين قالوا بحرمة الفعل، والجمهور على أن هذا الخمر الذي خلل لا يجوز؛ لأنه لا يجوز أن يكافئ -وقال بعضهم- وهو منسوبٌ للشافعية وبعض الحنابلة: أنه يجوز، صحيح أنهم عصوا الله بمخالفتهم هذا الحديث بأنهم خللوا الخمر، ولكن صار خلاً، فالآن نتعامل معه بأنه خل، فقالوا: يجوز ذلك، مع أنه فعله حرام ولكنه جاز.

والقول الذي عليه الأكثر وهو مجزوم به عند المالكية، المالكية يحرمونه، ويحرمون استخدامه إذا تعدى المرء.. مجزومٌ به عندهم، والأغلب من الشافعية، والأغلب من الحنابلة: عدم جواز تعاطي أخذه، عقوبةً لفاعله، وبعضهم قال: يجوز.

والصواب ما تقدم، وهو: أنه لا يجوز أن يُجازى به -جزاءً نافعًا له- على فعله الذي عصى الله فيه، بل من العقوبة أن يرمى، هذا ما عليه الأكثر، هذا إذا تعدى.

طيب.. إذا تحول بنفسه؟ إذا تحول الخمر بنفسه –دون تعد– إلى خل، هنا اختلفوا:

الذي عليه الجمهور غير الأحناف، الأحناف أخرجناهم لأنهم قالوا: جاز تخليله، وبالتالي: جاز أخذه وأكله واستخدامه في الأكل والشرب، وليس بنجس، انتهينا من الأحناف، الآن الآخرون، المالكية المشهور عنهم بأنه حتى لو تخلل الخمر بنفسه لم يجز استخدامه؛ والأكثرون على أنه لو تخلل بنفسه دون تعدٍ من أحدهم فإنه يصبح خلاً جائزًا، وذلك لقانون الصيرورة وهو: تحول الأعيان النجسة إلى طاهرة.

الأغلب من أهل العلم على أن الأشياء تتغير، فكما أننا حكمنا بتغير الأشياء من طاهرة إلى نجسة، كذلك نحكم بأنه تتحول الأعيان النجسة إلى طاهرة، هذا مبدأ الصيرورة.. صارت.. تحولت.. أو يسمونها الاستحالة، أي تحولت. ومثالها يقولون: بأن العذرة لو جفت حتى صارت ترابًا، لم تعد عذرة؛ صارت طاهرة.

وعلى هذا يبنى تكرير المياه، المياه التي تسمى عندنا «المياه العادمة»، أي: التي تأتي من المرء.. من البول أو غيره، فإذا أخذت هذه المياه فكررت حتى استخرجت منها الأملاح وو... إلخ، فهل تطهر؟

الجمهور على طهارتها، لماذا؟ لأن هذا التطهير بالاستحالة؛ وإنما يتوقف في شربها، لأن الشارع له اعتبار في قضية الخبث الذي تكرهه النفس، له اعتبار في هذا الباب.

ثانيًا: لأنهم قالوا: بأن المياه لو كررت حتى صارت صالحة للشرب يمكن أن تصبح أغلى بأضعاف أضعاف المياه، يعني لتكريرها حتى تصبح نافعة لشرب الحيوان لها، من أجل استخدامها للتنظيف، من أجل استخدامها لسقي الزرع، فهذا أمر قريب، ولكن من أجل أن تستخدم وتصبح أرقى وأنفع للإنسان من غير ضرر، قالوا: تحتاج إلى تكريرٍ شديد يكلف أغلى من أثمانها بكثير، وبالتالي: نعم.. القول بجواز.. أنه يجوز أن يتحول البول إلى مياه طاهرة.. يتوضأ بها.. يغتسل بها.. يتنظف بها.. تسقى الدواب منها.. إلى غير ذلك، ولكن لا يجوز أن تشرب.. هذا هو القول الصواب في هذه المسألة.. لا يجوز أن تتخذ للشرب.

القصد من هذا: بأن الخمر إذا تحولت إلى خل بنفسها، فالصواب: جواز استخدامها خلافًا للمالكية؛ وإذا خللت تعديًا، فالصواب: عدم استخدامها ورميها خلافًا للأحناف في هذه المسألة.

والله تعالى أعلم، جزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

٤٢- كسر الهيمنة الاقتصادية

ضمن الجلسة السادسة، بتاريخ: (**٢٥/١١/١٤٣٨هـ الموافق لـ: ١٧/٨/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل أخ: ما حكم التداول في أسواق الأسهم والعملات والسلع؟ ألا يجب على المسلمين أن يغزوا هذا المجال من أجل كسر الهيمنة الاقتصادية؟

جواب الشيخ: للذكر فقط، هذا السؤال ينقسم إلى قسمين.. سأجيب عن الأول باختصار، وأجيب عن الثاني باختصار أيضًا، لأن هذا سؤال يحتاج إلى دراسة موسعة فيما يجوز وما لا يجوز من عقود البورصات والأسواق المالية والسلع، يعني الكلام عن البيوع، عن عقد المعاوضات المتعلق بالبيوع، وما فيها من تنوع.

ولكن قضية كسر الهيمنة الاقتصادية، الاقتصاد تبعٌ للسلاح وللسياسة وليس العكس، إن من يحاول أن يكسر اقتصاد البلاد من غير أن يكون عنده قوةٌ عسكرية وقوةٌ مادية وقوةٌ سياسية، هذا يحلم.

وتدل المحاولات التي قامت من أجل إقامة ما يسمى «الاقتصاد الإسلامي» من أجل كسر هيمنة الاقتصاد الربوية المحرم، أنها فشلت وضاعت، ولا نريد أن نتحدث عن تجربة مصر والريان ومن معه، ولكن كل هذه تدل على أن الطاغوت يسمح لك أن تمد رجلك ويدك حيث لا خطر عليه، فإذا اقترب الخطر هو يملك القوانين، وهو يملك الحبل الذي يشدك، ويدمر عليك معبدك، ويدمر عليك هيكلك، ويدمر عليك مؤسستك.

فلا تفكروا في هذا، هذه طريقة غير سديدة يضحكون بها عليكم، وهذا لا يعني أن المسلم لا يشتغل ولا يعمل، لا، هذه مسألةٌ أخرى، أما أن يقول: بأننا نستطيع أن نغلب العالم من خلال الاقتصاد، هذا لا قيمة له.

هناك بلاد تملك المليارات، لكنها ضعيفة سياسيًا أي ضعيفة عسكريًا ولا قوة لها، ومالها عارٌ ووبالٌ ومصيبة عليها، المال مصيبة عليها، وهناك دول تملك القوة وتملك المال، فالمال جزءٌ من قوتها.

هذا ونحن نتكلم عن البلاد، فكيف إذا جئنا إلى الأفراد؟! لو ملكت المليارات في بلد، فيستطيع هذا البلد بقانون وبغير قانون أن يدمرك من الأصول، فلا تفكروا بهذه الطريقة، هذه طريقةٌ ساذجة، أنتم تعرفون أن

البعض أنشأ بنوكًا إسلامية، وبعد ذلك وفي لحظة وضعت تحت التجميد الدولي فعادت يبابًا ولم تصنع شيئًا، ولا أريد أن أذكر أسماء، من يعرف تاريخ هذه القضايا وهذا الموضوع يعرفها تمامًا بتفاصيلها أكثر مني ومن غيري.

فالقصد: أنه لا يوجد ما يسمى «الهيمنة الاقتصادية» هكذا في الهواء، لا يوجد.

طيب.. يقول هؤلاء: اليهود؟ اليهود ليس بالاقتصاد حكموا العالم، ليس بالاقتصاد، وإنما بالتحالف مع الأقوياء، وبالتغلغل في نظام الدول، وبالسيطرة السياسية، وبالجاسوسية في الوصول إلى المناصب العليا، والاقتصاد كان دافعًا لهم وعاملًا لهم، أو معاونًا لهم وليس أصليًا، هذا واحد، يعني لا أريد أن أطيل أكثر من هذا.. فهذا أمر يجب الانتباه إليه.

فلا تلتفتوا.. هؤلاء يلعبون ضمن دائرة الخصم.. الخصم يضعهم كما يضع الفأر في داخل متاهات الاختبار، وهم يضحكون عليهم، يمر هنا ويمر هنا ويتعلق هنا ويكتشف هنا، وهم يراقبونه ويضحكون، ويقولون: هذا فأرٌ ذكي، وهذا فأرٌ غبي، وهذا فأرٌ يتذاكى، وهذا فأرٌ يتغابى.. وهكذا، وكل الأمور بيدهم مادام أنهم يملكون القوة، وبالتالي؛ يملكون السياسة.

الآن نتكلم باختصار: بالنسبة لهذه الأمور الحديث عنها يحتاج حديث عن كل مسألة تجوز أولا تجوز.

يعني مثلاً: الحديث عن الأسهم، الأسهم فيها ما هو أسهم من شركات حلال، وأسهم من شركات حرام، وفيها أسهم من شركات مختلطة، وما يسمى بالادخار الإجباري، أسهم مثلاً لشركات التأمين، هذا لا يجوز، لأن شركات التأمين حرام، موضوعها حرام.. مادتها المبيع.. والعقد حرام.. ربوي، وكذلك المتاجرة فيما هو محرم كالخمر وغيرها، هذا لا يجوز، وهناك شركات حلال يعني أسهمها، فيجوز العمل فيها، هناك قوانين لشركات الأسهم بما يسمى الادخار الإجباري والادخار الاختياري، هذه تحتاج إلى تفصيل، موجودة في داخل الدول ينظر إليها، والقوانين تتغير في كل يوم؛ فلا نستطيع الإجابة عن كل واحدة فيها، إنما إذا أراد الأخ سؤالاً لحالةٍ معينة، فإن شاء الله نجيبه، وهناك كتب وهناك علماء مختصون في هذا الأمر، نسأل الله عز وجل أن يرحمنا وإياكم.

جزاكم الله خيرًا، والحمد لله رب العالمين.

٤٣- حكم المشاركة في الانتخابات الكردية

ضمن الجلسة السابعة، بتاريخ: (**٢/١٢/١٤٣٨هـ الموافق لـ: ٢٤/٨/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل يقول: شيخنا الحبيب، من المعلوم هناك استفتاء في شهر «٩/٢٠١٧م» في إقليم كردستان العراق، والغرض هو استقلال وإنشاء دولة كردية، وبالتأكيد ستكون الدولة القادمة للأكراد هناك لا تكون إسلامية، فهل يجوز المشاركة في هذا الاستفتاء «بنعم» وحال الدولة القادمة لا يكون إسلاميًا؟ وهل يجوز المشاركة «بلا» لأن المشاركة «بلا» هو لصالح الحكومة المركزية؟ وأرى البقاء مع الحكومة المركزية في بغداد وحالهم معروف عند الجميع، وهناك من يقول بالذهاب للاستفتاء وإسقاط الورقة وشطبها وعدم اختيار «نعم» أو «لا»، ذلك لكيلا يستفيد الآخرون بالتزوير على حساب من تركوا الاستفتاء.

جواب الشيخ: في الحقيقة هذا سؤال متشابك، وفيه الكثير من الحديث والكثير من الآلام، ولا أكاد أذكر أن فيه شيء من المفرح.

تعرفون للأسف أنه بعد أن انتشر الفكر القومي وتحديد معاني الهوية وأركانها، خلت الهوية -هوية الأمم- من الدين، عندنا فقط، اليهود خالفوا في هذا، فاليهود أقاموا دولتهم على أساس ديني، بل إن بريطانيا وفرنسا الخلاف القديم بينهما هو خلاف على أساس البروتوستانت والكاثوليك، كما هو معروف.

ولكن لما انتشر الفكر القومي وخاصةً في المناطق المحتلة والواقعة تحت الاستحمار، أنشأوا دولاً بعيدة عن الهوية الدينية، فنشأت القوميات، ومن ذلك ما يسمى كذبًا وزورًا بالقومية العربية، وهذا كان مدخلاً لليهود والنصارى، وخاصةً للنصارى في بلادنا لأن يكون لهم الشأن والريادة؛ لأنه لو كانت الأمة تصاغ على أساس ديني لكان هؤلاء أقلية، فالنصارى صار لهم وجود، ودخلت الطوائف البدعية، الأقليات من الدروز والنصيرية والروافض وغيرهم، دخلوا وصار لهم شأن باعتبار أنهم جزء من الهوية ولا فوراق على أساس الدين.

لما تكونت الدولة القومية العربية، ودخلها هؤلاء الأقليات والفاسدون وسيطروا عليها، غُبنت بعض الأقليات الأخرى، وهذه الأقليات منها ما هو مسلم ولكنه غير عربي، ومنها ما هو غير مسلم ولكنه عربي،

وهؤلاء كما قلنا: كالبق!! امتطوا ثور أو حمار القومية وسيطروا، وللأسف بجنود من السنة وبمغفلين من السنة، لأن السني ليس طائفيًا فهو قد صدق.

تصوروا الآن كل الطوائف -بعد سقوط الدولة القومية وفسادها ودمارها- كل الطوائف عادت إلى دينها، الدرزي عاد إلى دينه، لأن جامعه مع جماعته هو كونه درزيًا، فهو درزي عاد إلى دينه، والنصيرية عاد إلى نصيريته، والرافضي عاد إلى رافضيته، والنصراني عاد إلى حزبه، ولم يبق في الساحة إلا الجهلة إلا الأغبياء من أهل السنة!! وما زال هؤلاء يرفضون أن يكونوا، يعني عامة الزنادقة اليوم من العلمانيين الذين يرفضون الدين، هم من؟ هم من ابناء أهل السنة، بل ربما بعض آباءهم مشايخ وعلماء! فهم الذين بقوا في الساحة، وما زالوا مصدقين بأن هناك شيئا اسمه «القومية» وأن هناك شيئا اسمه «العلمانية»، ماذا نفعل؟!

نعود إلى ما نحن فيه، فلما أنشئت الدولة القومية، كان هناك من الناس الخبثاء ولا شك، الذين ارتبطوا مع الغربيين أصلاً، يعني مثلاً: هناك من ارتبط مع فرنسا، وهناك من ارتبط مع بريطانيا؛ والتاريخ يشهد أن هذه الأقليات الصغيرة كانت خائنة لأمتها، ولا يوجد طائفة -أقولها بصراحة، وبقراءة واضحة للتاريخ وصريحة- لا يوجد في هذه الأمة طائفة من الطوائف اللواتي هن على الهامش ويعيشون بعيدًا عن أهل السنة؛ لا يوجد طائفة من هذه الطوائف نظيفة.. كلهم عملاء.. كلهم اشتركوا مع أعداء الأمة في تدميرها من أجل الوصول إلى مآربهم؛ لأنه لو تركوا هكذا لم يكن لهم شأن إلا بمقدار كميتهم في المجتمعات المسلمة، لكنهم مع هؤلاء الغربيين يكون لهم شأن أكبر؛ ولذلك كانوا عملاء، وكانوا خونة لأمتهم.

وإياكم أن تصدقوا أن الوطن الواحد يجمع الناس، وأن الوطنية لا عبرة بالدين فيها، لا يوجد طائفي واحد في أمة الإسلام من يعمل لوطنه، لا على الوطن بالمفهوم القومي، ولا على الوطن بأي مفهوم آخر، كلهم من أقذر خلق الله.. كلهم عملاء خونة يبحثون عن أنفسهم.. كل الطوائف التي ذكرت، وغيرها ممن نسيناها كانت ضد هذه الأمة.

وإلى الآن وإلى هذه اللحظة عندما يدخل المحتل ويدخل الغازي إلى أمتنا، تكون هذه الطوائف هي الذراع الأمنية القاضية والقاصمة للمحيط السني، كلهم في كل البلاد من مشرق الأرض إلى مغربها.

فليس الكلام عن هؤلاء، الكلام عن القوميات غير العربية الذين هم مسلمون، فهؤلاء ليسوا بأحسن حالٍ

من القوميين العرب، وكل الأمراض التي وقعت في رفع شعار القومية العربية من الفساد، تلبسها هؤلاء القوميون من غير العرب.

القوميون العرب بلا شك شاركوا مشاركة كبيرة جدًا في الإساءة إلى العرب، وأنا تجولت في البلاد الإسلامية فوجدت قاسمًا مشتركًا هو كره العرب!! يعني تذهب إلى الصين تجد كره العرب، تذهب إلى إندونيسيا تجد كره العرب، تدخل بلاد الأفغان تجد كره العرب، تذهب إلى البربر تجد كره العرب، تذهب للكرد تجد كره العرب؛ فمن الذي صنع هذا؟ صنعته أمور متعددة، وأول هذه الأمور -ولنكن صريحين- هم القوميون العرب.

أنت أقمت الدولة على أساس قومي، فلماذا تدخل غير قوميتك إليها؟! دعه يعيش وأعطه حقه -أنا أتكلم حسب منهجهم، وأما الإسلام فليس مع هذه الأقوال في شيء، وهو بعيدٌ عن هذا.. وهذه مسألة سنتحدث عنها- فأنت لما أقمت دولتك على أساس قومي، قلت: نحن دولة عربية، فلماذا تدخل غير العربي فيها؟! وإذا أراد غير العربي أن يخرج منها ويقيم لنفسه دولة بحسب قوميته، فلماذا تمنعه؟! لماذا تمنعه؟! اتركه، أعطه حق تقرير المصير، هذا الأصل؛ ولكن لأن القوميين العرب من أنجس خلق الله ومن أقذر خلق الله، وكل من رفع راية القومية العربية هو من أقذر من مر في هذا العصر، مثله مثل من رفع القوميات الأخرى من أجل إماتة الدين، لأننا نجد مثلاً: القومية التركية، فالذين يرفعون القومية التركية هم أنجاس مثل القوميين العرب تمامًا، وكل المفاسد التي في القوميين العرب -التي أقولها- هي عند القوميين الآخرين من المسلمين -القوميات الأخرى المسلمة- سواء كانوا تركًا، سواء كانوا كردًا، سواء كانوا بربرًا، كل قادتهم -القادة الذين يدعون القومية- فيهم من الفساد مثل ما عند القوميين العرب من الفساد.

فهؤلاء القوميون العرب صنعوا وقووا الخصومة بين العرب وبين غيرهم من غير العرب من المسلمين، ولو وجدت الجامعة الإسلامية فإن صلاح الدين يمكن أن يكون الإمام غير العربي وأن يكون القائد غير العربي، لأنها الجامعة الإسلامية، وتكون العبرة ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، كل هذه القوميات إنما هي من أجل التعارف ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: ١٣]، فقط للتعارف.. ليس من أجل الولاء، وليس من أجل النصرة، وليس من أجل القتال حولها، ولا، ولا... إلخ، فقط من أجل التعارف، لكن هؤلاء القوميون العرب عمقوا الخلاف وجذروه بينهم وبين القوميات الأخرى الصغيرة أو الكبيرة، بحسب التوزيع

الموجود.

الأمر الثاني: أن هذه القوميات، كما أن زعماء القومية العربية من النجاسة والعمالة والوساخة في الأمة العربية، كذلك قادة هذه القوميات الأخرى كذلك، هم عملاء -من غير ذكر أسماء.. لم أذكر من العرب أسماء في هذا الباب، حتى لا أضطر أن أذكر أسماء من القوميات الأخرى.. سواء كان من الترك، سواء كان من الكرد- أنا أتكلم عن القوميات القريبة، والذين يعيشون داخل القوميات العربية، سواء كان من البربر.. هذه تقريبًا هي القوميات التي تعيش داخل سلطان القومية العربية الشركي.

فزعماؤهم فاسدون وعلمانيون ولا يريدون الدين، وإذا مشوا في الدين فإنهم يستخدمون الدين مطية -مثل القوميين العرب- يستخدمونه مطية وليس أساسًا لتجميع الأمة الواحدة، وبالتالي؛ هؤلاء عمقوا -العرب صنعوا- وجاء هؤلاء وعمقوا الخلاف بينهم وبين العرب، فنشأ الخلاف والفساد.

وكل مفسدة في مثل القضية الفلسطينية، القادة الفلسطينيين فاسدون، عربيدون، ولا يهتمون إلا بمصالحهم الشخصية، فكلما أراد المرء أن يفتح ملفات الفساد والدمار والإجرام، قالوا: «العبرة فقط أن نتحد ضد اليهود.. بعد ما نزيل اليهود بعد ذلك نخلو لأنفسنا»، فعمقوا الفساد تحت باب الصراع مع اليهود، وهكذا صنع القوميون غير العرب مع شعوبهم، كلما أرادت الشعوب أن تصلح نفسها، جاء القوميون -من الأكراد والترك والبربر وغيرهم- جاءوا وقالوا: لنقم أولاً دولتنا القومية، ثم بعد ذلك نفرغ لصلاحنا!! وتعمق الفساد في هؤلاء كما تعمق داخل القوميين العرب، هذا هو واقع الحال.

فالآن بعد أن بدأ مفهوم القومية بالتلاشي، وصار لا بد من صياغة عالمٍ جديد بعيدًا عن اتفاقية «سايكس بيكو»، ولكن لابد من تدمير وتفتيت المفتت أصلاً، وتوزيع الناس أكثر مما هم فيه، فضعفت الدولة المركزية القومية العربية بسبب الفساد والدمار والعمالة والقذارة وو... إلخ، فبدأت الآن وقويت الدعوة إلى إقامة الدول القومية الأخرى غير العربية.

هذا أنا لا أتحدث عنه باعتباره جريمة؛ لأنه جريمة كما هي جريمة في إقامة الدولة العربية، يعني قد يأتي واحد فيقول: أنت لماذا تحرمنا؟ لماذا تمنعنا؟ أنت تقيم دولة قومية عربية وتمنعنا أن نقيم دولة قومية بربرية أو دولة قومية كردية؟ أقول: لا، الأصل هذا باطل وشركي وكفري، وتوزيع الأمة على أساس قومي ليس من الإسلام في شيء،

أنا أريدك أيها القومي الآخر أن تترك هذه القومية، إلا باعتبارها حالة تعارف، وإلا بمعنى من معاني التعارف ﴿لِتَعَارَفُوا﴾، وأن نجتمع نحن وأنت تحت الشعار الحقيقي الإسلامي، بعيدًا عن زعمائك الفاسدين، هذه مرحلة بعيدة، ولذلك ينبغي الآن أن ننصر الجهات الإسلامية والدعوات الإسلامية، وأن ننشغل بتعميق الإسلام أمام محو الهوية الإسلامية.

للأسف: يوجد شعوب الآن بدأت تنشط وتقوى عندها الدعوة إلى القومية، يعني يا جماعة.. يا أكراد.. يا بربر، أنتم ستمشون في دمار أنفسكم على خطى القوميين العرب، سينشئون لكم دولة، سينشئ هؤلاء لكم دولة، هؤلاء الفاسدون من زعماء قومياتكم، سينشئون لكم دولة فاسدة كما أنشئت الدولة القومية العربية الفاسدة، سيفتحون لكم السجون وتعذبون، ستفتح لكم الملفات كما فتحت في الدولة القومية، وستصبح دولكم عميلة لأعداء أمتكم المسلمة كما صارت الدولة القومية العربية، يعني أنتم تصوروا لو أقيمت دولة فلسطينية، وقد أقيمت سلطة فلسطينية فما رأى أهل فلسطين منها سوى الدمار والفساد، وصاروا يتمنون عودة اليهود!!

أنتم ستعيشون المرحلة التي عاشتها الأمة، ولكن أنتم في مرحلة متقدمة في مطالبكم ولكنها متأخرة في السياق التاريخي لما عاشه الناس.

ومن هنا: فهذه الدعوة إلى إنشاء دولة قومية ضمن هذا السياق، لا أستطيع أن أقول: أنها باطلة ولا أستطيع أن أقول: أنها صحيحة، لأني أعلم لو قلت: أنها باطلة، فعلى أي أساس؟ على أساس أنها خروج من دولة قومية؟! فهل الخروج من دولة قومية لأنهم قومية أخرى هذا باطل؟ هذا جهل.

أنا أدعوك أيها الكردي لأن تبقى مع الدولة المركزية في بغداد، والدولة المركزية في بغداد دولةٌ لا تمت لا إلى العرب ولا للإسلام بصلة، يعني هم الآن الذين يحكمهم هم الإيرانيون الفرس، والمناطق العراقية المحكومة لهذه الدولة محكومة لإيران، قاسم سليماني يحكم في كل شيء وبيده كل شيء!

فلو قلت لك: لا تنتخب، معناه أنك تريد أن تقول لي: أم ابقَ مع هذه الدولة الخبيثة؟! وإذا قلت لك: انتخب، فأنت تذهب في حضن القوميين الفاسدين، الذين هم الآن أرقى فسادًا بسبب صلاتهم الغربية وتعاونهم، أرقى من فسادًا من فساد الآخرين.

فلذلك أنا الذي أدعو إليه: ألا تنتخب، ليس لك بنعم أو لا، إلا على ما ذكرت، إلا إذا خفت أن يستخدم اسمك في الباطل، فتذهب وتشطب من أجل ألا يستخدم، فلك هذا الوجه.

أين نعمل؟؟ نعمل أنا وأنت، نعمل أنا وكل مسلم من أجل إقامة الإسلام، الحقيقة الجامعة لهذه الأمة، نحن لم نكن شيئًا، لا العرب كانوا شيئًا، ولا الكرد كانوا شيئًا، ولا البربر كانوا شيئًا، هذه لم يكن لها قيمة حتى جاء الإسلام ورفع شأنها، نحن أمة الإسلام، وهذه أنت كردي وأنت كذا.. أنا لا أدري يمكن أن أصولي كردية، ربما بعض أجدادي يقول: بأن أصولنا كردية.

المهم الآن هو أن نعمل من أجل الإسلام ليسود.. تقول: بعيد؟؟ لا، ليس بعيدًا.

الدولة القومية الآن سقطت، وأنتم تريدون إحياءها في بلادكم مع سقوطها الأخلاقي الداخلي، سقوطها بالفساد الاقتصادي الداخلي، سقوطها بالعمالة السياسية لرجالها في الداخل وارتباطها بالخارج!! الآن في كردستان اليهود يسرحون ويمرحون! ولا يؤيدكم إلا من هذه صفته.

فلا نعمل لهذا ولا لهذا، لسنا أمام خيارين لا ثالث لهما، الحق يبقى موجودًا مهما طغى الباطل وتعددت سبله وأغلق المنافذ، سيبقى لأهل الحق منفذًا، بل منافذ يدخلون فيها.

الذي أدعو إليه هو: أن نعيد اللحمة الإسلامية، وأن نترك البغضاء التي أقامها القوميون العرب وأقامها وعمقها ونشرها وكذبها المرتبطون بالغرب من زعماء القوميات الأخرى، وأن نترك هذه النتنة التي سماها النبي صلى الله عليه وسلم جاهلية: (**أبدعوى الجاهلية**) يعني دعوة جاهلية، سواء كانت عربية أو كذا أو كذا، وعلينا أن ندعو بدعوة الإسلام ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾ [الحجرات: ١٠]، لما ناداه باسم أمه: ابن السوداء (**إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ**)، فنحن عندنا الإسلام.

فالسؤال على ما هو عليه: أننا لا نشتغل بهذا، هذا ليس شغلنا، هم يشتغلون به، الطريق طويل ولكنه طريق الحق، وهذا طريق قصير ولكنه مؤد إلى جهنم.

وهذه المقدمات ضرورية، وإنما أردت أن أبيّن كيف نفكر، وألا يستهزأ بنا، وألا ترفع الشعارات التي تدغدغ مشاعرنا وعواطفنا من أجل إدخالنا في جهنم، جهنم الدنيا وجهنم الآخرة.

وبالتالي؛ لا نشترك في مثل هذه الاستفتاءات، وإذا وجد لإبطالها -كما يذكر الأخ- لإبطال الورقة فهذا جيد، وشغلنا هو في إحياء الأمة المسلمة، وهناك علماء في كل مكان بفضل الله عز وجل، علماء من الأكراد، ويكفي أنه أبو ميمون الصحابي العظيم صحابي من الكرد، يذكر أهل التاريخ، وهذا في «الإصابة»، وموجود كذلك في «أسد الغابة» لابن الأثير، وابن الأثير كذلك كردي، وابن خلكان كردي، وصلاح الدين معروف، فهناك صحابي جليل أبو ميمون رضي الله عنه وهو كردي، وما زال العلم فيها والعلماء والثقات ممن تجتمع معه من أجل إقامة دين الله في قطرك وفي قطري وفي، وفي... إلخ، حتى يتم لقاء الإسلام بين هذه الأقطار بعيدًا عن القوميات.

كذلك في البربر الحمد لله فيها من العلماء العظام، وفيها من المتدينين الذين ينبذون هذه القومية على أساس أنها هوية، ويبقونها على أساس أنها تعارف، يعرف الناس بعضهم بعضًا.

ونحن في هذه الأمة عندما تقوم لا وجود لهذا الأقليات الطائفية، وتنبذ هذه القوميات، وتكون أمة هي أمة مسلمة شعارها الإسلام، ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الحج: ٧٨]، أنا وأنت سمانا المسلمين، و(**سلمان منا أهل البيت**)، هذه من قواعد الإسلام العظمى.

أسأل الله عز وجل أن أكون قد أبلغت؛ لأن هذا موضوعٌ شائك فيه كثير من الحذر، ونحن حين نتكلم حتى عن القوميات الأخرى، حتى لو تكلمنا الآن عن قضية الجهوية، يعني ليس حال القومي غير العربي بأسوأ من حال الجهوية في داخل البلد الواحد، يعني في البلد الواحدة تجد الجهوية لا أقول القومية في البلد الواحد، الجهوية.. يكره الشمالي الجنوبي، وهذا البلد هذا، والعشيرة هذه العشيرة، والمهاجر يكره الأنصاري، وتتعمق هذه المعاني الجاهلية في البلد الواحد وتبقى، من أجل أن تبقى هذه الأمة على طريقة الدواب ليمتطيها أعداؤنا، عندما تتفرق الأمة يسهل غلبتها، وفي فلسطين نجد أن بعض الطوائف والعشائر الجهلة يدخلون في الجيش اليهودي، وهم أسوأ من اليهود في تعاملهم مع أهل فلسطين!

فبالتالي؛ نحن لنا خيار الإسلام وليس مثل هذه الخيارات الجاهلية، والطريق طويل ولكنه صحيح، وكما عمل الشيطان وجنده على توزيعنا نحن نعيد اللحمة، أول شيء نعيد لحمة الأمة والتعاطف، بعد ذلك إن شاء الله قريبًا تسقط هذه السياسات ويسقط هؤلاء القوميون، ونعيد الدعوة إلى الإسلام دعوة صحيحة سليمة.

بارك الله فيكم، والحمد لله رب العالمين.

٤٤- حكم الانتساب إلى حزب التحرير

ضمن الجلسة السابعة، بتاريخ: (**٢/١٢/١٤٣٨هـ الموافق لـ: ٢٤/٨/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل أخ يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته -وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته- ما رأي شيخنا في حزب التحرير والانتساب إليه؟

جواب الشيخ: حزب التحرير.. يعني صار يدرك كل أحد بأنه حزب معّوق، نتحدث فقط عن جانبين سريعين، لأن الكلام فيه طويل، وقد أكثر الناس فيه، ولكن لا بأس وقد حدث السؤال.

الجانب الأول: تصور الحزب للشريعة وللدين، ولفهم الدين، ولتعليم الدين، بلا شك أن فهم الحزب في هذا الباب ليس كما ينبغي، وليس مهديًا الهداية التي عليها العلماء.

الذي يقرأ كلمات والرسائل التي كان يرسلها الشيخ تقي الدين النبهاني رحمه الله إلى أتباعه، في موضوع كيفية صياغة المسلم العابد.. المسلم العامل.. المسلم المجاهد.. المسلم السياسي.. أن طريقة صياغة الشخصية المسلمة عند الشيخ تقي فيها انحرافٌ شديد.

لو قرأنا سيرة السلف في طريقة صياغة المسلم، الطريقة النبوية -من خلال الأحاديث الشريفة- في تعليمه للصحابة رضي الله عنهم، طريقة فهم الصحابة رضي الله عنهم للدين وكيفية سلوكهم وأعمالهم وفهمهم، وقارنّا هذا كله، ولو قارنا كيف كان كبار العلماء والمجاهدين في تاريخنا، لو قارنا بين عمر بن عبد العزيز، قارنا عبد الله بن مبارك، قارنا العلماء كمالك وسفيان وإسحاق وأحمد والشافعي وما عليهم من سلوك، وقارنا بين مراد الحزب في صياغة الشخصية، صبغة الشخصية الحزبية المنتسبة لحزب التحرير، لوجدنا هناك بونًا كبيرًا في الحقيقة شاسعًا.

الشيخ تقي الدين يريد أن يصيغ المسلم المثقف، السياسي المثقف، وليست الثقافة حتى في مدلولها العام، إنما يريد أن يصيغ المسلم بصياغة قاصرة تتعلق بقضية السياسة، الثقافة السياسية، وأما الجوانب الأخرى -الجوانب التربوية والجوانب العلمية- فهو لا يقيم لها شأنًا، حتى أنه لا يقيم شأنًا لقضية الفتوى، ويقول في بعض

رسائله: بأنه وقف أمام محاولات سيئة من أجل جر أفراد الحزب إلى أن يكونوا مفتين، هو يرفض أن يكونوا مفتيين، هو يريد فقط منه أن يكون رجلًا مفكرًا، سياسيًا، بالصياغات التي يريدها الشيخ تقي، لذلك ما زالوا يعيشون على تحليلات الشيخ تقي الدين النبهاني في الجوانب السياسية، ربما يوجد الآن بعض التغير في داخل الحزب، لكنك تستطيع أن تعلم الحزبي بمجرد الجلوس معه؛ لأنه لا يستطيع أن يخرج من هذا الجانب.

فلذلك الجوانب الدينية، جوانب صياغة الشخصية الإسلامية كما هو يسميها في كتابه المؤلف من ثلاث مجلدات، هو لا يصيغها الصياغة السنية الصحيحة السليمة التامة، فيها انحرافات، وانظر إلى الحزبي لا تجد عنده الصياغة السنية.

الجانب الآخر: هو أنه صنع مذهبًا جديدًا، الشيخ تقي الدين النبهاني كتب كتبًا تتعلق بمسائل أصولية واختيارات فقهية، وجعلها شروطًا لدخول المرء إلى الحزب، وسماها بمسائل متبناة، أي أنه لا يجوز للحزبي أن يتبنى غيرها؛ يعني مثلاً: موضوع المساقاة والمزارعة -أنا لا أتكلم عنها صواب وخطأ- أعرف أنه تبنى رأي الأحناف وأهل العراق فيها، ولكن أن يجعل هذا شرطًا للانتساب للحزب فهذا هو المذهب الجديد، هذا هو التقليد في شر أنواعه، وتعجبني كلمة للشيخ عبد الرحمن المعلمي يقول: بأننا لو نظرنا إلى حقيقة المقلدين المتأخرين، لما استطعنا إبعادهم وإخراجهم من أنهم ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١].

يعني أنت تريد من هذا الحزبي أن ترقي مراتبه السياسية والثقافية والحوارية والتفكيرية؛ ولكنه إذا جاء إلى مسألةٍ من مسائل الفقه لا يجوز أن يخالفك! افرض أن هذا الحزبي درس المسألة، فوجد بأن كلام الشيخ تقي الدين لا يمت إلى الحقيقة بصلة، وهذا هو الصواب، أن الشيخ تقي الدين في موضوع المزارعة والمساقاة على مذهب الأحناف، وهو مذهب غلط، الأدلة على خلافه، ثبتت الأدلة على خلافه، وينبغي ألا يفتى إلا بالقول بجوازه، فماذا يفعل؟! إذن أنت تريد أن تشد عقله إلى حذاءك، وتشد عقله إلى قولك، وبالتالي؛ هذا هو التقليد المقيت، والتقليد السيء الذي فيه إبطال العقل وإماتة نوره واتخاذ العلماء أحبارًا ورهبانًا من دون الله، دون النظر إلى الأدلة.

فلذلك حزب التحرير في جانب صياغة الإنسان المسلم سلوكيًا، بعيد عن الهدي النبوي؛ ولذلك هم يحتقرون الهدي النبوي ولا يهتمون ولا يقيمون له شأنًا، إلا من جاءهم من تيارات أخرى، أو كان يشارك الحزب

أفكاره والتيارات الأخرى معانيه العلمية، يعني يمكن أن يدمج بينهما، ورأيت أشخاصًا من هذا النوع؛ يأخذ أفكار الحزب ويأخذ المناهج العلمية من المدارس الأخرى، يجمع، فهذا يكون أقل ضررًا، لكن إذا كان حزبيًا على المعنى التام، لا يصدر منه إلا الشذوذ، فيكون في سلوكه على معنى فيه انحرافٌ شديد، ويكون في المسائل العلمية على معنى فيه انحرافٍ شديد، ويقاتل عليه.

الجانب الثاني -وهو المهم- هو: جانب عمل الحزب؛ وهو مهم جدًا...

صياغة الشخصية الفردية في داخل الحزب -وفي داخل التنظيمات- مهمة جدًا، والأصل هو أن الحزب لا يحجر -لا هذا التنظيم.. حزب التحرير، ولا الإخوان، ولا غيرهم- لا يجوز أن يحجر على طالب العلم ألا يأخذ العلم إلا منهم، لسنا إمامية، لنا إمام وهو الذي يتنزل عليه الحق دون غيره من العلماء، لا يوجد، ولذلك عندما كنت أسأل: من مراجعنا؟ مراجعنا كل علماء المسلمين في التاريخ، وكل علماء المسلمين المعاصرين، حيث وجد الحق أخذته، وكل علماء المسلمين هم أئمتنا، نخرج من هذا النطاق الضيق، السيء، المقيت من التقليد، أن يكون: من مرجعك؟ لسنا إمامية.. لسنا رافضة.. أن يكون لكل رجلٍ له مرجع، ويأخذ منه الخمس، ولا يأخذ الفتوى إلا منه.

الجانب الخطير الآخر في الحزب هو: الجانب العملي، يعني في كيفية التغيير.

حزب التحرير معّوق، قراءته للطريقة النبوية في تغيير العالم، وفي الوصول إلى التمكين، وفي نشر الإسلام، كيف فهمها؟ في الحقيقة فهمٌ ساذج، لا يمت لا إلى النص ولا إلى العقل، أخذ نصوصًا وركبها، شيأها، جمعها على طريقةٍ من الشذوذ، ثم جعلها مُلزمة، هو لم يراعي بين أن يأتي النبي صلى الله عليه وسلم... حتى لو صححنا ما يقوله من الطريقة، ولا تصح من وجهٍ من الوجوه، لأنه جاء إلى أفعال، انتبهوا كيف ركبت عنده، يعني لم يأت إلى نص النبي صلى الله عليه وسلم: لا تقيموا الإسلام إلا عن طريق النصرة، مثلًا، لكنه جاء إلى فعل النبي صلى الله عليه وسلم المتكرر من طلب النصرة فجعله ملزمًا؛ والمعروف أن أفعال النبي صلى الله عليه وسلم إذا خلت عن القرائن فلا تدل إلا على الاستحباب، هذا حتى من جهة أصولية، لكنه في هذا الباب يأخذ مذهب من؟ من أن الفعل يفيد الوجوب.

فانظر كيف يركب؟!!... كيف يُشيء؟!! وبالتالي للأسف صار من جهودهم هو الوقوف -الحزب- أمام

الجماعات الأخرى من باب تخطئتها الخطأ الشديد، وبقوا على ما هم عليه مع كل التغيرات التي حدثت في العالم الإسلامي، العالم الإسلامي يمتلئ بالجهاد، ويمتلئ بالتغيرات الكبرى، ومع ذلك هم «مقيمون ما أقام جوشب» كما قال الشاعر، على ما هم عليه، ولذلك تحنطوا للأسف.

الآن الحديث ليس فقط عن الجانب العلمي، ولكن عن جانب التأثير في الواقع، هم أبعد الناس تأثيرًا على الواقع، مع أن أساس فكرة الحزب هو التفاعل مع المجتمع من أجل تغيير قناعاته الفكرية! لأنهم يرون التغيير من القناعات الفكرية، ويستهزئون بغيرها -التغيرات التربوية والأخلاقية وغيرها.. إلخ- كما هو معروف عندهم.

مع أنهم أقاموا أساس دعوتهم على قضية التفاعل مع المجتمع من أجل تغيير القناعات الفكرية، إلا أنهم أبعد الناس عن التفاعل مع المجتمع، الآن أنا أتحدث عن الواقع، لا أجد لهم أي تأثير في العالم الذي أعيش فيه، يوجد هناك مناطق نائية يكون لهم فيها وجود، مثل بعض الجمهوريات الإسلامية في جنوب روسيا؛ ولكنها بسبب قلة العاملين الآخرين، لكن في أماكن انتشار العلم والتأثير الإسلامي هنا وهناك، في الحقيقة هم أبعد الناس عن التأثير، والسبب هو تجمدهم.. تصلبهم.. تكلسهم لفكرتهم، بحيث لا يستوعبون غيرها، وليسوا على استعداد بأن يفتحوا الهواء، مثل جماعة التبليغ فيما يفعلون في هذا الباب؛ يعني لا يريدون أن يسمعوا من غيرهم، فقط نحن وضعنا رؤوسنا في هذا الجانب لا نغير ولا نبدل؛ ولذلك تكلسوا، ومن يتكلس واقفًا نهايته الموت.

وهكذا الحزب يتلاشى ويذهب، وتقل آثاره في العالم الإسلامي، ويبتعد عن أن يكون مؤثرًا في هذا التغيير العالمي الموجود في الوجود، أقصى ما يمكن أن يفعلوه هو أن ينزلوا منشورًا، يعني يمكن أن تجده في أيدي بعض الناس وربما حتى هذا الجانب ضَعُف كثيرًا.

هذا رأيي في حزب التحرير: أنه حزبٌ مُكلس، مُعّوق، ليس فيه آلات التغيير الكافية، وليس فيه صياغة الإنسان المهتدي القادر على تغيير واقعه، لا من جهة نفسه ولا من جهة الآخرين.

بقيت كلمة لابد أن نذكرها: أين العدل في حزب التحرير؟ أين هو؟

بلا شك أن إنتاج الشيخ تقي الدين فيه الكثير مما يستفاد منه، نقرأه كما نقرأ لأي عالمٍ ينتج إنتاجًا، ولا نقرأه كالمجتهد المطلق الذي لم تُنجب الأمة الإسلامية منذ سنين مثله، هو رجل عندما نقرأ له؛ نجد له بعض

الإشراقات الطيبة والجيدة التي يستفيد منها الناس ونستفيد منها -كما نفتح الأبواب لكل الناس- وله إخفاقات كبيرة، بسبب عقليته الأزهرية، وبسبب عقليته الْمُقلدة، التي دلت على أنه قال كلامًا كثيرًا لم يستوف فيه البحث لا من جهة الفقه ولا من جهة النظر.

الحزب مرت عليه أيام كانت له فعالية في الدعوة إلى الخلافة وأحيائها، وهذا شيءٌ جيد، كانت لهم جهود جيدة في بيان أخطاء بعض الأحزاب في عدم بصرها بالجانب السياسي، وثبت قولهم -وهو قول صحيح-: أن هذه الأحزاب تستخدم مطايا من قبل الدول، ومن قبل الجهات الأخرى، نعم يقعوا في هذه المزالق، كانوا ينبهون على هذه الأخطاء.

أنتجوا بعض الإنتاج الذي لو خرج عن سياقه لكن جيدًا، مثل قضية: إيجاد الدستور والدعوة إليه، على ما فيه، ولكن عندما يطرح بالطريقة التي يفعلونها يصبح عليه الكثير من الملاحظات، لكن هذا من الإنتاج الجيد الذي يُحسب لهم، على العموم هي الجماعة الوحيدة التي نشطت لمثل هذا الأمر، سواء أصابوا أم أخطأوا.

ولا شك أنهم هم من الصف الإسلامي الذي يقف أمام أعداء الأمة وأعداء هوية الأمة وأعداء الإسلام، فتجد لهم نشاطات في الردود، وإن كانت كلها لابد أن تُصبغ بعبارات الشيخ تقي؛ يعني مثلاً: أحدهم ألف كتاب في الرد على شحرور، فلم يستطع في البداية إلا أن يأتي بكلام الشيخ تقي دون غيره، كأنه لا يستطيع أن يفكر إلا من خلاله.

ولكن هذه تحسب له أنهم ممن حافظوا في طور -مع الجماعات الإسلامية الأخرى- في طور إحياء الهوية الإسلامية والانتماء الاسلامي، وضرورة إحياء الخلافة والأمة الواحدة فهذه من الجوانب الإيجابية التي عملوا فيها مع غيرهم في هذا الواقع وهذا الزمن.

والكثير منهم قدم التضحيات، وهُجّروا، وتَعِبوا، تحت باب وقوفهم أمام الدول الطاغوتية، مع أن توصيفهم للواقع للأسف فيه الكثير من السياسة وقليل من الفقه، وهذا ما يؤخذ عليهم.

أسأل الله أن يغفر لنا ولهم، ويجمعنا وإياهم على طاعته، والحمد لله رب العالمين.

٤٥- تفصيل في مصطلح الروحانية

ضمن الجلسة السابعة، بتاريخ: (٢/١٢/١٤٣٨هـ **الموافق لـ: ٢٤/٨/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: مصطلح «روحية» هل يجوز إطلاقه على أمراض السحر والمس والحسد، ومن هم الروحانيون؟

جواب الشيخ: في الحقيقة مما هو من يقينيات هذا الدين أن الإنسان مكون من جسدٍ وروح، وأن الروح هي التي سأل الناس عنها.. ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾، اليهود، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥].

والأغلب أن الروح هي: ذلك الكائن المخلوق الذي إذا حل في الجسد تكّون الإنسان؛ لأن الإنسان مجموع من الروح والجسد، الإنسان بهذه الملكات يعني عنده روح، عنده نفس، عنده عقل، عنده شهوة، عنده ملكات من الغضب.. من الرضا.. من الفرح.. من الكراهية؛ فهذه جوانب.. ملكات..

بالنسبة للشريعة الإسلامية، الشريعة الإسلامية تعاملت أن هذه الأمور فيها فطرةٌ حسنة، ذكر النبي صلى الله عليه وسلم: (**كل مولودٍ يولد على الفطرة**)، فالإنسان في أصله سليم، ليس فيه أخطاء، فهذه هي الفطرة، والفطرة هي الإسلام؛ ولذلك قال: (**فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**)، ولم يقل: يأسلمانه، لأن الفطرة هي الإسلام، الإسلام في كونه هو الحق، الذي هو موافق لما خلق الله عز وجل هذا الإنسان في أساسه.

طبعًا هذه الفطرة ليست عالمة، الفطرة هي أساس الخلقة، وأساس الخلقة هي: السداد والسلامة من الخطأ والاعوجاج والانحراف؛ فجاء الإسلام من أجل أن يعلم هذه الفطرة، ومن أجل أن ينبت فيها الحق، ومن أجل أن يدفع إرادة الإنسان للخير، الخطاب القرآني متوجه إلى الإنسان، متوجه إلى إرادته ليتعلم.. متوجه إلى إرادته ليعدل، لأن أساس الانحراف، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (٧٢)﴾ [الأحزاب: ٧٢].

أساس الانحراف: الفساد في العمل، وهو نقيض العدل، والفساد في العلم، ونقيضه الجهل، الجهل بمعنى

القول بغير الحق، وليس الجهل في خلوه عن الحق فقط.

ولذلك لا نجد في كلمات القرآن، ولا في كلمات السنة، ولا في الكلمات الصحابة رضي الله عنهم قضية النشاط الروحي، لا يوجد، ولا توجد هذه الكلمة على معنى المدح، وإنما يوجد المدح لسلوك الإنسان، مدح لقلب الإنسان، مدح لأخلاقه، يقال: هذا إنسانٌ سريع الدمع، فهذا مدح، هذا إنسانٌ يمدح بأنه مُكب على طلب العلم، هذا إنسان قوام.. هذا إنسان صوام، الجانب الإسلامي، أين ترتد هذه الأفعال؟ ترتد عليه، ترتد على إرادته، ترتد على نفسه، نفسه تترقى وإرادته تقوى في جانب الخير.

جاءت المذاهب الأخرى على العالم الإسلامي، فبعضهم أخذ الجانب الفلسفي، وبعضهم أخذ الجانب السلوكي؛ فبدأت تنتشر كلمات: الإصلاحات الروحية.. الجوانب الروحية، وبدأت تغزو هذا الجانب الإسلامي، فبدأ الناس يأخذونها، ويقولون لك: هذا الإنسان مكون من بدن وروح -حتى وقع فيها بعض السلف- فيقوى البدن بالأكل والشرب والتمرين وو... إلخ، والدواء إذا مرض؛ والروح تقوى، وكأن الصلاة تقوي الروح!! الصلاة لا تقوي الروح، الصلاة تقوي الإرادة، الصلاة تقوي العلم، الصلاة تقوي النفس الإسلامية.

النفس ماهي؟ هي اشتراك البدن مع الروح، الروح مخلوقة في داخل الإنسان، التي إذا اجتمعت مع الجسد تكون هذا الإنسان، ولما تكون هذا الإنسان تكونت نفسه؛ أنه يحب، أنه يريد، يشتهي، يجوع، يشرب، يعطش، وكذلك الإرادات، إرادة العمل لجني المال، إرادة التفرد؛ أن يكون له زوجة دون بقية الناس، هذه زوجة له، أن يكون له أولاد يعتني بهم ويحبهم، فهذه النفس مما تكونت؟ من اجتماع الجسد والروح، فلو خلت الروح لوحدها لم تنجب هذا الإنجاب ولم تؤد إلى هذه المعاني، ولو خلا الجسد لوحده لمات وهلك، ولذلك عندما تذهب هذه الروح إلى عالم آخر، لا يحصل معها ما يحصل لمكونات هذا الإنسان، فإنه يصبح في جانب آخر بعيد كل البعد عن هذا الجانب الإنساني الذي نعيشه على هذه الأرض.

المقصود من هذا: دخل علينا مصطلح الروحية، فصار الكلام على أن الصلاة عبادة روحية!! من أين أتيتم بهذا؟! حتى أن الغرب وبعض المسلمين يسمون الخمر بالمشروبات الروحية «spirit» يعني روح، وربما هم يأخذونها لأنها خلاصة الأشياء، يعني يمكن لي ترجمتها على المادة، فجماعتنا المتلقون عن الغرب مبادئه وأديانه وفرقه وتفسيراته أخذوها على المعنى الديني!

يعني مثلاً: روح الخل، والمقصود أنه يستخلص خلاصتها، المقصود بروحها: خلاصتها؛ فيقول ذلك عن الخمر لأنها خلاصة الأطعمة التي تستخرج منها –العنب، التفاح– فيسمونها روح لا على جهة أنها تقوي الروح عندهم، أنا لم أر من الغرب قائلاً يقول: بأن الخمر تقوي الروح، وإنما هم يسمونها مشروبات روحية، يعني أخذت من هذا المعنى الذي ذكرناه.

ولكن جماعتنا لما سمعت كلمة «روح» قالو إيه؟ إذن هذه الروح يجب أن نقويها!! فمما ذكر أنها تقوى بالخمر وغيره! وتقوى عند أهل البدع بالضلالات..

فنشأت ما تسمى بالمذاهب الروحية، أي التي تعتني بالجانب النفسي الداخلي في الإنسان، على أي طريقة؟ على غير طريقة الشريعة؛ لأن الشريعة الإسلامية تخالف المشركين في النظر إلى المادة فقط، وتخالف الفلاسفة في النظر إلى عالم المثال فقط، والإسلام يجمع بين الأمرين.

بعض المشركين والزنادقة ممن ينتسبون للإسلام كذبًا يزعمون أن المقصود من الأعمال ليس فقط البدن!! ولذلك نترك البدن.. نترك القيام للوضوء ولا نتوضأ.. الوضوء هو ماذا؟ الوضوء كما قال شاعرهم:

توضأ بماء الفجر إن كنت ذا سر   وإلا فتوضأ بالحديد والصخر

ما هو ماء الفجر؟!! يعني خلاص أنت توضئ روحك فقط، لا تذهب للماء لأن الماء مادة، فإذا كنت أنت من أصحاب الأسرار وأصحاب العلوم الباطنية الخفية، فتوضأ بماء الفجر فقط، اجلس وتأمل فيحصل لك الطهر الداخلي، إن كنت ذا سر، وإلا فتوضأ بالحديد والصخر! روح تيمم كما يريد الآخرون.

ولذلك الزنادقة القرامطة كانوا يسمون المسلمين «مشركين» لماذا؟؟ لأنهم يطوفون حول البيت، وهذا البيت حجر، فيقولون: يعبدون الحجارة! فقتلوهم، فالفلاسفة هذا دينهم، والزنادقة هذا دينهم، فنشأ ما يسمى بالعبادة الروحية، والإسلام فيه هذا الجانب، فبدأوا يهتمون به ويلغون الجانب التعبدي السني، فالتغت قضية الصلاة، والتغت قضية الوضوء، والتغت قضية الحج، وبدأوا يبحثون عن معان تتوافق بها أهواء المشركين مع أسماء إسلامية دون حقائقها، فبدأوا يقولون: بقضية الخِلوة.

والخِلوة موجودة في ديننا، موجودة في مثل قضية الاعتكاف، مثل قضية قيام الليل، السهر، فيبدؤون بأخذها

من المذاهب الأخرى ويطلقون عليها أسماء إسلامية، من أجل تمريرها، فبدأوا يأخذون! الصوفية ما مبدأها؟؟ الصوفية ليست من الإسلام في شيء، فبدأوا يأخذونها من البوذية، يأخذون من النصرانية، ويأخذون من المذاهب الأخرى؛ ويحصل عند هؤلاء رقي في هذا الجانب النفسي، يحصل لهم رقي، ليس هو الرقي السني في التعبد السني، فيفرحون به.

مثلاً: يصبح عندهم سيطرة على أجسادهم وسيطرة على أبدانهم، يعني أنت تجد عندهم بعد المجاهدة البدعية التي يمارسونها، يصبح لهم سيطرة على بعض أبدانهم، على المعدة مثلاً، على الدماغ والسيطرة عليه في قضية النوم وعدم النوم، بالمران، لأن هذا الجسم يتمرن، كما ترون الناس يمرنون أبدانهم فيصبحون أكثر من الوحوش!! الجسد يصبح أكبر وأعظم من الحصان، ومن البقرة ومن الثور!! يمرنه.

ولكن هل هذا يوافق الفطرة؟ ما قيمته؟ هذا مثال يصلح تمامًا لما نحن فيه، عندما يذهب الإنسان إلى النادي فيأخذ الحبوب ويأخذ الإبر وتتضخم عضلاته وتكبر ويصبح..، نعم هو أصبح مميزًا وفيه شيء غير عادي، ويحمل أثقالاً لا يحملها الإنسان العادي لو تدرب بطريقة سليمة أو مارس حياته الطبيعية، فهو يصبح له عضلات كبيرة ويحمل أثقالاً ربما تعجز عنها الحمير!! هذا واقع، قوى عضلاته فحصل فيها هذا المعنى، ولكن ما قيمتها؟؟ هو لا يستطيع أن يقول: أنا أتعبد بهذا، لا يستطيع، لكنه في الجانب الخفي مما يعادله، في جانب النفس في تمرينها على الصبر والخلوة على الذكر الذي هو ترداد كلمات معينة.. على الدفن تحت الأرض.. والمشي على النار، فتحصل له هذه المجاهدات فتقوى نفسه في جوانب كما قويت عضلات المرء فيصبح يحمل أثقالاً لا يحملها الإنسان العادي..

فالناس يقولون: انظر، إن العبادات الروحية حصلت بها منافع خاصة لم تحصل لبقية الناس، ولا يحصل فيها المتعبد السني.

ربما لهم تأثير، والإنسان فيه طاقة، هذه معروفة، تذهب الآن بعض الأمراض القلبية والعقلية سببها زيادة الطاقة، فيعطونك دواء من أجل أن تنزل الطاقة، بعض الناس هذه الطاقة الموجودة في بدنهم، موجودة نحن لا ننكرها، هذا لما يقيسون ضغط العين، ضغط العين طاقة، لما يذهب فيجد المرء مصابًا بالصرع، المصاب بالصرع عندما يضعونه تحت الأجهزة التي تقيس الطاقة، يجدون أن الطاقة لديه مرتفعة عنده.

فبعض الناس يقوي هذه الطاقة كما يقوي الآخر المتدرب عضلاته؛ فتحصل له بعض التصرفات الخاصة به، والخاصة بمثل هذه الطاقة التي قويت، فيسموها بالروحية، وبعد ذلك تصبح هذه محبوبة والناس يتحدثون عنها.

ومن أجل تمريرها على أمة الإسلام، يسموها بالأسماء الإسلامية، وإلا هي موجودة في كل الأديان كالصوفية، الصوفية موجودة في كل الأديان، بل إن أصلها ليس من الإسلام في شيء، فيأتي إلينا هؤلاء ويسموها بالطاقة المتجددة –ضحك الشيخ، وقال: الطاقة المتجددة من الشمس– هكذا يسموها!! الطاقة القلبية، ويسمون علم الطاقة الداخلي، وبعضهم يسموها بالروحية، مذاهب روحية في قضية إبراز جوانب خاصة في النفس نحتاجها.

ولذلك: أنا أنصح بقراءة كتاب «خمسون خرافة في علم النفس»، خرافات.. فتبدأ في حقيقة وواقع هذه الطاقات والقدرات الداخلية من خلال التمرين تحدث آثارًا مادية، وآثارًا على الشخص، ربما تؤثر في بعض أمراضه، ربما تؤثر في بعض تفكيره، وينتشر هذا الدين في الناس على أنه يحقق لكم السعادة، ثم تأتي نهاية هذه الخاتمة بأن يلقي بعضهم، يخرج بعض المسلمين يقرأها فيعجب بها، ويرى لها آثارًا مادية كما يرى صاحب العضلات الآثار المادية على عضلاته –ولكن هذه على نفسه– فيبدأ يصبغ عليها الصبغة الإسلامية الدينية، ويبدأ بالاشتقاق من كلمات صوفية، من كتب صوفية وكتب علماء قدماء في السلوك، فيصبغ عليها الصبغة الإسلامية وتمرر علينا على أنها الحق وأنها الدين!! وهي ليست من الدين في شيء، بل هي مضادة لأمر الله من كل باب ومن أوسع أبوابه.

ما الأعظم أن تمارس هذه الممارسات الكاذبة؟ أم أن تقوم تتوضأ فتصلي ركعتين؟ يعني انظر إلى التأثر، فمما استرعى انتباهي في بداية الطلب: أن الغزالي –مع جلالة أمره– كان في بعض كتبه ينهى عن قراءة القرآن للمبتدئ السالك! تعرفون لماذا؟ وما السبب؟ يعلل: بأن السالك يحتاج إلى الجمع، جمعية نفسه ألا يركز إلا على شيءٍ واحد، ولذلك الصوفية في الخلوات –وأنا دخلت مرة خلوة أنظر ما فيها– الخلوة في غرفة صغيرة يجلس ويضعون أمامه –قال لي ذلك رجل دخل فيها أربعين يومًا مرة– كان يضعون نقطة من الضوء في غرفة مظلمة، يرى فيها نقطة صغيرة فيركز نظره إليها، وبعد ذلك من أجل أن يجعلوها دينًا؛ فكتبوا كلمة «الله» بالأنبوب الضوئي، فيركزون عليها، وهذا شيء واحد لا يوجد فرق، فليس المقصود أن ينظر إلى كلمة «الله» ولكن

المقصود أن ينظر إلى نقطة واحدة ويركز.

فمقصود الخلوة للمبتدأ هو أن يركز نحو شيءٍ واحد، ليحصل له القوى الخاصة بداخله، وقراءة القرآن لا تحصل هذا المعنى، فيقول الغزالي: إذا قرأ القرآن يمر على الصلاة، ثم يمر على الزكاة، ثم يمر على الجهاد، ثم يمر على التوحيد، ثم... إلخ؛ ولذلك يتشتت ذهنه!! انظر إلى هذا الأمر الغريب!! وهذا يأتون به -كلام الغزالي- ومثل هذه الكلمة يصبغونها على دينهم المعاصر، ويتسوق الناس، والناس مساكين، انظروا إلى هذه الأساور التي توضع من أجل الطاقة!! انظروا إلى هذه الخرق التي توضع في الرقبة من أجل الطاقة! يبيعونها ويقول لك: هذه من أجل أن تحصل الطاقة وكذا!! وتباع لهم الكتب، وتمارس بها الممارسات. إذا جلست، إذا خرجت، إذا تكلمت، إذا فعلت، افعل كذا وافعل كذا؛ وهي ديانة، هذه ديانة مخالفة لدين الله عز وجل.

ونحن عندنا المرء يصوم، والصوم مجاهدة، ليس على المعنى الذي يقولونه، عندنا قيام الليل ليس على المعنى الذي يقولونه، عندنا التصدق على الفقير، ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الصمت إلى الليل -أن يصمت المرء ولا يتكلم إلى الليل- هم يصمتون، عندهم الصمت وعندهم الذي يسمونه التأمل.

فهذه المذاهب التي تسمى بالروحية وأنها تقوية للروح، هذه كذب، هي تقوية لقدرات داخلية في الإنسان على خارج المألوف، ويصبح الإنسان شاذًا! هؤلاء من أفسد الناس في حياتهم العملية وفي حياتهم البيتية، ولا يستطيعون أن يعيشوا مع المجتمع، كهذا الرجل الضخم، هو ضخم، عضلاته كبيرة، ولكن ماذا تنفعه في الحياة؟! متى يستخدم هذه العضلات الكبيرة التي هي أضخم من البغل؟! متى يستخدمها في الحياة العملية؟! متى يستخدمها؟!! لا وجود لها، وهكذا هي هذه التي تسمى بالطاقة.

للتنبيه: بعض أهل العلم قال: الإنسان من روحٍ وجسد، الجسد يربى بكذا والروح تربى بكذا، هذه ثنائية غير موجودة، وفي الحقيقة ليست في الكتاب والسنة في شيء، هذه ثنائية غير موجودة، القرآن يتوجه إلى إرادة الإنسان، إلى قلب الإنسان، إلى علم الإنسان وهكذا، فالتوجه ليكون عابدًا لله عز وجل، ونموذج النبي صلى الله عليه وسلم قبل كل شيء، ثم هدي الصحابة رضي الله عنهم، كيف كانوا يعملون، وكيف يعيشون، هو النموذج الصحيح.

النبي صلى الله عليه وسلم كان ينام ويقوم، وكان يصوم ويفطر، وكان إذا مشى بين الناس تحدث معهم،

ويبتسم فيما يبتسمون منه ويتحدث فيما يتحدثون فيه، ويؤدب ويسلم ويفرح.. وهكذا.

فهذه المسماة بالروحية المعاصرة هي دينٌ خارجٌ من الإسلام، وهي خليطٌ -هذه الروحية- هي خليطٌ لمذاهب منتشرة، مأخوذ من النصرانية المحرفة، مأخوذ من الصوفية، مأخوذ من البوذية، مأخوذ من الكونفوشيوسية، مأخوذ من هذه الأديان، وعليها بعض ممارسات الرهبان الخاصة، الرهبان يمارسون ممارسات خاصة، فيعملونها ويتلقاها هؤلاء فيبطلون دين الله عز وجل، نسأل الله العفو والعافية.

هذا الذي عندي، وبالله التوفيق.

٤٦- رأي الشيخ في بعض المفسرين المعاصرين

ضمن الجلسة السابعة، بتاريخ: (**١٤٣٨/١٢/٢هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/٨/٢٤ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

هناك أسئلة جاءت من مصادر ثلاثة، كلها تدور حول بعض المفسرين المعاصرين، يعني نشاط التفسير عند المعاصرين علامة بارزة، وهو شيءٌ جيد، ومن هؤلاء من انتشر تفسيرهم، والأسئلة متوجهة إلى تفسير الشيخ الشعراوي، وتفسير الشيخ النابلسي، وتفسير عليّ الكيالي، فما هو القول فيها؟

جواب الشيخ: أتكلم أولاً عن تفسير الشيخ محمد متولي الشعراوي:

الشيخ محمد متولي الشعراوي أصلاً تخصصه هو التفسير، ولذلك هو صاحب هذا الفن، وتفسيره ولا شك من أجود تفاسير المعاصرين اليوم، لاحتوائه على الكثير من المطلوب في هذا العصر، يعني تفسير الشيخ الشعراوي تجده يحوي الجوانب اللغوية ويبدع فيها، يحوي الجوانب التربوية ويبدع فيها، يرد على المخالفين من العلمانيين ومن الزنادقة ومن الطاعنين في القرآن ومن الطاعنين في الأحكام الشرعية، ويوفي الكلام في ذلك، يتحدث عن الجوانب البيانية والبلاغية في التفسير ويعطيها حقها؛ لأنه مطلع على ما قاله العلماء السابقون في هذا الباب، وكذلك إذا أتى إلى الأمور الفقهية لا يتحدث عنها كثيرًا ويمر عليها مرورًا سريعًا، وهذه سمة من سمات تفسير الشيخ الشعراوي، فهو لا يعتني كثيرًا بالمسائل الفقهية.

أما أكثر من يتحدث عنه، ناعيًا عليه، ومشددًا عليه، وناقمًا عليه، أنه على غير عقيدة السلف، في الحقيقة لا يوجد في تفسير الشيخ الشعراوي، سواء المكتوب أو الملقى بالتصوير واللقاء المباشر، لا يوجد فيه كبير كلامٍ ضده، إي تجد الشيخ الشعراوي في هذا الباب كثيرًا ما يقترب من عقيدة السلف، هو من الْمُثبتة ومن الصفاتية.

مع أن الشيخ الألباني -في شريطٍ له منتشر- ينعى عليه بأنه على مذهب الأشاعرة في تفسير ﴿اسْتَوَى﴾، بـ «استولى»، إلا أن المتابع لتفسيره الملقى؛ يجد أنه فسر ﴿اسْتَوَى﴾ بما فسره السلف، وكذلك يثبت لله عز وجل ما أثبته لنفسه، وإن كان هناك يقع منه بعض الهِنات في الكلمات، وهذا شيءٌ يعذر فيه، ولا يشكل شيئًا خطيرًا بحيث يأتي أحدهم وينعى عليه هذا النعي، ويجعله مخالفًا لعقيدة السلف وو... إلخ، لا.

في الحقيقة كلامه في القدر وفي الإلهيات، كلامه في القدر من أسد ما يكون، وكلامه في الإلهيات مقاربٌ كثيرًا، يقع منه بعض الهِنات في الألفاظ، وهذا يمكن أن يجري على لسانه لأن مبحثها ليست مراده في التفسير.

هو -كما عنون طابعوا الكتاب- أن له خواطر، هذه خواطر على طريقة سيد قطب رحمه الله عندما سماه: «في ظلال القرآن»، أراد أن يعيش في ظلاله.. في أثره، وهو كذلك خواطر، مع أنه في الحقيقة الشيخ الشعراوي يفسر وكتابه تفسير، وكذلك «في ظلال القرآن» هو كتاب تفسير.

فالقصد: بأننا لا ننفر أبدًا من تفسير الشيخ الشعراوي، بل نرى بأن له آثارًا طيبة، يعني هذا الرجل له مقدرة عجيبة على الوصول إلى العوام في تسهيل المسائل العلمية، أغلب العوام يجلسون أمامه ويتمتعون ويستمتعون بكلامه، وهو كلامٌ حق، لا يستمتعون بالباطل، ويستفيدون منه في رقيهم العلمي، وفي رقيهم التربوي، وفي رقيهم السلوكي في العبادة، يستفيدون منه.

وأجلى ما عنده أنه يسهل المسائل العلمية والمسائل البلاغية التي هي مكانها الدرس لطلاب العلم، لكنه يلقيها على العوام فتجد أثرها في العوام، يتمتعون بها، قد يدركون الكثير منها وقد يدركون بعضها، ولكن يملك هذه المقدرة على تسهيل العلوم إلى السامعين، ومن عانى التدريس يعلم أن هذه ليست بالمسألة الهينة.

أعود وأقول: بأن التنفير منه من بعضهم ليس من العدل بمكان، يمكن على طريقة الكلام عن كتب السلف فيما إذا وقعوا في أخطاء، يعني لو جئنا إلى «الجامع لأحكام القرآن» للإمام القرطبي، نعلم أنه على طريقة الأشاعرة، هل ننفر من كتاب القرطبي؟ الجواب: لا، أغلب كتب التفسير فيها هذه الهِنات اليسيرة، فلا ينفر منها بل يُعلم الناس أن يقبلوا عليها ويتعلموها.

واليوم الناس لا يقرأون، وكثير من الناس -من العوام- لا يقرأون، لا يستطيعون القراءة، وهناك أناس يستطيعون القراءة ولا يحبون القراءة، بل يحبون السماع، وثقافتهم قائمة على السماع، أو على مشاهدة الصور والدروس من خلال الفيديو والتلفاز، فما الذي يملأ هذه الجهات؟ أمثال هؤلاء، ولذلك تفسير الشيخ الشعراوي هو تفسيرٌ جيد وينصح به، ويُرغب فيه العوام، ويجلب الناس.

كذلك الشيخ الشعراوي.. الناس لا يعرفون كثيرًا من فضائله، على الرغم أن ابناءه حاولوا بعد موته أن

يسترزقوا من وراءه بالطرق المعروفة، ولكن الحديث عنه شخصيًا هو، مع ما عليه من كلام في علاقته بالدولة لما استلم زارة الأوقاف، وبعض الألفاظ التي خرجت منه، هذه لا نبحث فيها الآن، وإنما حديثنا عن تفسيره، وعن أثره في حياة الناس، وعن تقريب تفسير القرآن ومعانيه إلى أذهان الناس، العامة والعلماء.

في الحقيقة يسمع له العالم فيطرب، ويسمع له العامي كذلك فيطرب، فمحاولة البعض أن ينفر عنه ليس بنافع، كان العلمانيون يكتبون عنه أشد الكلام في صحفهم، يسبونه، حتى كانوا يستهزئون بالطاقية على رأسه ويستهزئون بالثوب الذي يلبسه ويستهزئون بالقلم الذي يضعه في جيبه، كل ذلك تنفيرًا منه، وحقدًا عليه لأثره في توبة الناس وإنابة الناس إلى ربهم.

فالقصد: بأن تفسير الشيخ الشعراوي -وأنا أتكلم عنه عن معرفة- تفسيرٌ جيد، وهو يناسب الكثير مما قيل في هذا العصر.

نتكلم الآن عن تفسير الشيخ راتب النابلسي: مثل ما قلت عن تفسير الشيخ الشعراوي أقوله عن تفسير الشيخ راتب النابلسي سواءً بسواء، فيه هنات، فيه أمور تأخذ عليه؛ لأنه هذا مستواه، ولأن هذا هو الذي تعلمه، ولأنه يظن أن هذا هو الحق في مسائل الأسماء والصفات، وله بعض الشطحات التربوية، المأخوذة ربما من كتب الصوفية، وهي قليلة جدًا لا تكاد تذكر إلا قليلاً من أجل التنبيه عليها؛ وأما تفسيره الذي يلقيه فنافع، وفيه منفعة، والناس يستفيدون منه.

وأمتنا أمةٌ عظيمة، متعددة الجوانب، لا يمكن أن يملأ هذه الجوانب اتجاهٌ واحد ولا شيخٌ واحد ولا عالمٌ واحد، بعضهم من جهالاته يظن أنه يمكن أن يسوق الناس كلهم وكل المتعبدين والمتدينين إلى شيخه وإلى طريقه! فإذا رأى من الناس إقبالاً على شيخ أو على عالم يغار، فيبدأ بالطعن فيه وإسقاطه من أجل أن يسوقه إلى شيخه، وهذا من الجهل بمكان، وهذا من الضلال بمكان؛ لأنه لا يستطيع، بل شيوخه فيهم من الهِنات التي يقال فيها كما يقال في هؤلاء.

ولذلك أيها الإخوة الأحبة علينا أن نعلم أن كل من يقرب الناس إلى الله عز وجل، وكل من يقرب العلم الشرعي إلى الناس، وكل من يقرب حب كتاب الله إلى قلوب الناس، فيجب علينا أن نمدحه، وننظر إلى الاتجاه الكلي، إذا كان الرجل منحرفًا انحرافًا كبيرًا ننبه عليه وننفر منه، لكن لو كان اتجاهه العام هو تقريب الناس إلى

الله عز وجل، زرع حب الله في قلوب الناس، فإذا وقعت منه هِنات فحينئذٍ **(إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث)**، نمشي ونعفو، ونحن في زمان يكفي أن يأتي المرء بعشر الدين من أجل أن ينجو.

أنا أعلم أن كثيرًا ممن يكتب إنما يكتب من باب الحسد، أنه يجد الناس يحبون هذا الشيخ فيبدأ بالطعن فيه، كما كنت أقول دائما في الشيخ الكشك، يعني كأن بعض الناس اسودت قلوبهم وامتلأت حسدًا من حب الناس للشيخ كشك، فبدأوا يطعنون فيه، هناك فرق بين التنبيه وبين الإشارة، وبين الإسقاط.

فالشيخ كشك هو إمام الخطبة السياسية، هو الذي علم المسلمين الخطبة السياسية، بعضهم يظن أن هذا من سيئاته، لا، هي من حسناته رغم أنوفهم، وإن احمرت أنوف وإن قهرت قلوب، وله سلطانه على المنبر، وله سلطانه مع الكلمة والتنبيه، وإقبال الناس على الله عز وجل وإقبال الناس على الدين، وفيه هِنات كما فينا، بل نحن فينا أكثر مما هو فيهم، رحم الله الجميع، رحم الله الشيخ كشك والشعراوي، وحفظ الله الشيخ راتب النابلسي.

والذي أحب أن أنبه عليه هنا: أن الخطأ في بعض هؤلاء المشايخ أنهم يتجاوزون أمورهم، يعني ما الذي وقع فيه الشيخ الشعراوي وننبه ألا يقع فيه غيره مثل الشيخ النابلسي وغيره؟ ننبه ألا يقع هؤلاء في أنهم يتخذون مطايا لغيرهم، يعني مسكين الشيخ الشعراوي، جاؤوا به إلى وزارة الأوقاف، ومعلوم بأن هذه الوزارة في مصر فيها كثير من السرقات واللصوصية.

وأنتم تعلمون بأن أمتنا هي أمة «الوقف»، وجانب الوقف التربوي وجانب الوقف الاقتصادي وجانب الوقف الاجتماعي، جانبٌ عظيم، يعني أمم كانت تعيش على الوقف، وهناك بلاد أغلبها وق، دمشق أغلبها وقف، القاهرة أغلبها وقف، القدس أغلبها وقف، بل أرض فلسطين أغلبها وقف، وأرض الشام أغلبها وقف، ليست فقط دمشق، وقفها الصالحون والملوك والسلاطين، وقفوها لله، من أجل أن ينتفع بها الفقراء والعلماء وطلبة العلم وأصحاب الحاجات، بل هناك من الأراضي ما وقفوها على الدواب، لمنفعة الدواب بعد أن تكبر ويرميها الناس، بدلا من أن تقتل -كما يفعل الأمريكان ويفعل الغرب- كانوا يأخذونها لتعيش في هذه الأراضي.

فهذا الوقف العظيم سرقه اللصوص، سرقوه، سجل بأسمائهم، والبعثيون في سورية سرقوا، وفي كل البلاد سجلت.. بعض البلدان الوقفية وهي للأمة سجلت بأسماء الحكام وأسماء ابناءهم، وكذلك تسرق عن طريق عدم العناية بها، يأخذون المال منها ويتركونها، أو أنهم يؤجرونها لأوليائهم بأبخس الأسعار، تجد الأرض المملوكة لأحدهم ربما تؤجر بمائة ألف جنيه في السنة، والأرض التي بجانبها ومع أنها أكبر منها وأفضل منها تؤجر بمائة جنيه في السنة لأنها وقف.

فالقصد: كان هناك لصوصية كبيرة في موضوع الأوقاف المصرية، فجاؤوا بالشيخ الشعراوي وهو مسكين، وكثير من المشايخ لا خبرة لهم بألاعيب السياسيين ولا بمكرهم، ولا بمكر العلمانيين، فأتوا به وحدث ما حدث، وشوهوا سمعته؛ وبعد ذلك كأن الشيخ أخذوه كما هو ثم تركوه رمة، بحسبهم.

وهذا كله مما ينبغي على الشيوخ أن ينتبهوا له، وأنا أنبه الكثير من الشيوخ الذين يبدؤون في تعليم الناس الدين ونشر الحق، ثم بعد ذلك يؤخذ من جهات فتؤخذ منه كلمات يستنكرها الناس ويستنكرها طلبة العلم ويستنكرها الصالحون والمجاهدون.

ولذلك علينا أن ننتبه نحن كذلك لا نقع في أنه إذا سقط العالم في سقطة، أن نسقطه ونعينه في سقوطه، هذا ليس من الحكمة، ولهذا نحن ندعو لقراءة هذه الكتب والانتفاع بها، والناس بحسبهم، يعني بلا شك أن الشيخ الشعراوي أرقى، إذا أردنا أن نقارن، أن تفسير الشيخ الشعراوي أرقى بكثير من تفسير راتب النابلسي، ولكن تفسير النابلسي كذلك نافعٌ للعوام، وجزاه الله خيرًا، ونسأل الله أن يبارك فيه.

نأتي إلى الكتاب الثالث، وهو تفسير علي منصور الكيالي:

في الحقيقة هذا ليس من التفسير في شيء، يعني هذا رجل اختصاصه الفيزياء، يعني المقصود به علم المادة، وجاء للكتاب، ولا شك أن هؤلاء يأتون إلى القرآن بالنوايا الحسنة، كثير منهم يأتي بالنوايا الحسنة، وبعد أن يستوعب المادة بعض الاستيعاب، لأنه ليس خبيرًا في الفيزياء للدرجة التي يكون الكثير من الخبراء في هذه المادة، وحينئذٍ يأتي إلى القرآن فيقع منهم الأخطاء الشنيعة، إن لم يضبط علمهم بالكتاب والسنة وبالدلالة اللغوية على ما يعرف من قواعد التفسير، فتقع منهم الأخطاء.

فالقصد: أن هذا الرجل ليس في مرتبة من تكلمنا عنهم، يأتي ببعض التفسير الذي يسمى «التفسير العلمي والفيزيائي للقرآن» وتكثر عنده الأخطاء والمبالغات، ثم بعد ذلك هؤلاء يرون أن الناس يسمعون لهم، أو يرون جماعة تسمع لهم، فيبدؤون بالخروج عما هم فيه.

يعني هو رجل يتقن الفيزياء، وربما نأخذ منه بعض ما يقوله، وليس شرطًا أن يكون ما يقوله في الفيزياء حقًا، أن يكون هو الموافق له في الكتاب، ليس هذا منه في شيء، ربما أراد الرجل أن يقول الكلام الحق مفسرًا به كلامًا لا علاقة لما قاله من الحق بالكلام الذي فسره، هذه قضية مهمة، فربما تكون المسألة الفيزيائية عنده صحيحة ولكن لا يناسبها هذه الآية من القرآن، وإنما يكون من التكلف تفسير الآية بهذا المعنى الفيزيائي.

وهذا الباب وهو باب التفسير العلمي المعاصر المنتشر، في الحقيقة يحتاج إلى وقفات، بلا شك أن -باختصار، وربما نتكلم عنه في لقاء آخر موسع- بلا شك أن القرآن فيه من الدلالات العظيمة على أنه من عند الله، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (٨٢)﴾ [النساء: ٨٢]، والله عز وجل لما يتحدث عن الآيات الكونية يتحدث عما يعلمه الناس وعما لا يعلمون، عندما يتحدث ربنا عن الأجنة لا يوجد أحد من العرب عندما نزل القرآن يعرف كيف يتكون الجنين في رحم أمه، لا يعرفون، والقرآن فصل لنا وذكر لنا أطوار هذا التطور مرحلةً، مرحلة وبتفصيل، من الذي كان يعلم؟!

عندما تحدث القرآن عن النجوم والكواكب، هم يعرفون النجوم والكواكب بالبعد، وليس لهم خبرة، القرآن تحدث عنها حديثًا مفصلاً تامًا، فهذا من العلم الذي يمكن أن -بل هو كذلك- يقوي ثقة المرء بهذا الدين، وكلما زادت الأدلة قوي المدلول.

ولا شك أن هؤلاء جاؤوا إلى الناس بما يستوعبون وبما يحبون، يعني الناس اليوم لو حدثتهم عن الجمال البلاغي، ضعف، يوجد هناك ضعف في اللغة العربية، عندما تتحدث عن البلاغة وعن البديع وعن البيان، تجد الناس لا يفهمونها، وإذا فهموها، فهموها بمشقة.. لماذا؟ لعدم الخبرة فيها.

ولكن الناس عندهم اطلاع على الآيات الكونية، ويسمعونها، ويدرسونها في المدارس ويطلعون عليها، فعندما يجدون أن القرآن قد تكلم عليها تزداد ثقتهم وفرحهم بهذا، وهذا شيءٌ حق، لكن الذي حدث أن الناس

بدؤوا يتوسعون ويبالغون؛ إما بأن يأتوا بنظريات لم تثبت فيلزقونها بالقرآن، كما فعل صاحب تفسير طنطاوي جوهري بالغ حتى جعل أن استحضار الأرواح هو علم!! مع أن استحضار الأرواح هو أكذوبة وأسطورة باطلة، بل هو يخالف القرآن والسنة، فيجعله من القرآن!!

بل أراد أحدهم أن يجعل نظرية «داروين» الباطلة المكذوبة في القرآن!! كما فعل عبد الصبور شاهين، وأخطأ في هذا.. أخطأ في هذا خطاءً شنيعًا.

وهناك من يبالغ كثيرًا في هذا ويتوسع، حتى أن بعض الأخيار من الناس كالشيخ زغلول النجار، نلاحظ أنه يقع مرات في هِنات في مثل هذا الأمر، مع أنه من المكثرين بعد الشيخ.. وأول من اشتهر بهذا العلم هو الشيخ عبد المجيد الزنداني، لكن بعد ذلك اشتغل فيه من اشتغل، أما أول من اعتنى به اعتناء كبيرًا هو الشيخ عبد المجيد الزنداني، ثم جاء الشيخ زغلول النجار، والحق أن الشيخ الزنداني كان أكثر إتقانًا وأكثر ضبطًا، وإن كان الشيخ زغلول كذلك لكن ليس بمقدار ما كان عليه الشيخ الزنداني.

فالقصد: أن هذا للأسف توسع الناس فيه، فصاروا يتكلفون ويأتون بأمور غير صحيحة، وزاد الأمر بأن صار بعضهم يأتي إلى الأحكام الشرعية ويفسرها تفسيرًا فيزيائيًا، يعني لماذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نشرب جالسين غير واقفين؟ ويبالغون ويأتون بأمور لو عرضتها على أصحاب الشأن -أقصد أصحاب الشأن الطبي- لا يقبلونها، فلذلك مثل هذه الأمور يجب التوقي منها.

هو أصل هذا العلم صحيح، مع المحذور في تسميتها، والتنبيه إلى أن تسميتها ليس «إعجاز»، هذا تفسير علمي وليس من إعجاز القرآن، إعجاز القرآن معروف، وأنا على طريقة من نفى أن يسمى هذا إعجازًا، وإنما هو من علوم القرآن، وكذلك علوم أخرى علوم التربية وعلوم النفس وكذا.

قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]، وهذه الآية خاتمة سورة «فصلت» التي تتحدث عن القرآن الكريم، سورة «فصلت» كلها حديث عن القرآن وأحوال الناس معه.

نرجع إلى تفسير الكيالي، في الحقيقة لا أحبذ الاستماع إلى هذا الرجل، وله أخطاء شنيعة، وبدأ يتجاوز في

الحديث الفيزيائي عن أمور الغيب، فنفى مثلاً عذاب القبر، -وهنا إن شاء الله سؤال عن عذاب القبر ربما أتوسع فيه قليلاً- ولكن ليس هو بمرتبة من تكلمنا عنهم، فهذا رجل مكثرٌ من الأغلاط، ويبالغ في بعض الأمور، ويفسر القرآن برأيه فيخطئ كثيرًا، بخلاف من تكلمنا عنهما من الشيخ الشعراوي والشيخ النابلسي.

اسأل الله عز وجل أن أكون قد أجبت مع الإيجاز الشديد، والحمد لله رب العالمين.

٤٧- الرد على منكري عذاب القبر

ضمن الجلسة السابعة، بتاريخ: (**٢/١٢/١٤٣٨هـ الموافق لـ: ٢٤/٨/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: عندي سؤال أرجو الإجابة عنه، هل عذاب القبر موجود عندنا نحن أهل السنة والجماعة، ولكن هناك من يُنكره كالمدعو عليّ الكيالي ويقول: لا يوجد عذاب القبر وأن الآية مخصصة لآل فرعون؟ أرجو الإيضاح بالقرآن والحديث.

جواب الشيخ:

أولًا: لا يُعرف أحد من أهل الإسلام أنكر عذاب القبر، إلا من وصفهم الإمام القرطبي في كتابه «التذكرة» بالفلاسفة ومن جرى مجراهم، يعني بالفلاسفة: الفلاسفة الملحدين، ومن جرى مجراهم من أهل الإسلام، من تأثر بهم ودخل في أجوافهم وصار يرطن برطنهم.

ونعجب لإنكار الأوائل؛ لأن الأوائل إما أن يأخذوا بالكتاب والسنة وإما أن يأخذوا بعقولهم، اليوم صار البعض يتمحل بأنه ينكر عذاب القبر لأن العقيدة لا تأخذ عنده إلا من المتواتر، فلذلك يعني يريد أن يجدد العقيدة بأن ينفي عنها ما اعتقده السلف.

المعتزلة يقولون بعذاب القبر، وهذا ذكرته مرارًا، القاضي عبد الجبار احتج بقوله تعالى: ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (٤٦)**﴾ [غافر: ٤٦]، فإذن هم يعرضون.

لماذا ينكرون عذاب القبر اليوم؟!

القدماء ينكرونه لأنهم فلاسفة يتحدثون عن الأبدان وتحولها ووجودها في داخل الأرض وكيف.. إلخ، لأنهم يقيسون الغائب على الحاضر، ويقيسون الغيب على عالم الشهادة، وهذا هو أساس الضلال كما يقول علمائنا.

أساس الضلال: قياس الغائب على الشاهد، الغائب له قوانينه وسننه، والشاهد له قوانينه وسننه، فلا يجوز

أن تقارن سنة على سنة.. لا يجوز.. لا يجوز.. الله سبحانه خالق كل شيء، هو خلق السنن، فلا يجوز أن تجريها عليه، الله عز وجل خلق عالم الغيب على سنن معينة، يعني أنا أقول –مثلًا– ودائمًا أحتج بهذا: النبي صلى الله عليه وسلم لما أسري به رأى موسى وهو قائم في قبره يصلي، وصلى به في بيت المقدس، ورآه في السماء الثالثة، فكيف هذا؟! هذا عالم الغيب، عالم البرزخ، لا نعرف الكيفية فيه.

قال تعالى: ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ [البقرة: ٢٥]، في الجنة ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ يعني تسمى عنب وليس مثل عنب الدنيا في شيء إلا في الاسم، يؤتى بالرمان.. وليس في رمان الجنة من رمان الدنيا إلا الاسم فقط؛ وبالتالي؛ عالم الغيب عالمٌ آخر.

موسى عليه السلام قال الله له: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، لأنه لا يقوى عليه، ثم أمره أن ينظر إلى الجبل فإن استقر الجبل مكانه بعد تجلي الله عز وجل فسوف تراني، والله عز وجل تجلى للجبل فخر الجبل، هُد الجبل دكا، لم يعد له وجود.

وفي الحديث قال صلى الله عليه وسلم: (**إن الله نور وحجابه النور، لو كشف الحجاب لأحرقت سُبُحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**)، طيب.. كيف يرى الناس ربهم يوم القيامة؟! كيف يرى المؤمنون ربهم يوم القيامة ويتمتعون بهذه الرؤية؟! هناك حياة جديدة وشيءٌ جديد، تختلف الأمور هناك، تتحول الأبدان إلى حالة أخرى، الله أعلم بها.

فالأوائل ينكرونه لأنهم فلاسفة، ولأن الأمور عندهم مركبة بطريقة منطق أرسطو، المعاصرون ينكرونها للأسف لأنهم تأثروا بالمذاهب المادية، يدفنون الرجل ثم يعودون إليه فلا يجدون إلا العظام، فبالتالي؛ أين العذاب؟! فينكرونها، ولا يستطيعون أن يقولوا: تأثرنا بالماديين، فيأتون إلى قواعد بدعية فيعملونها في النصوص، ومن ذلك إنكار أحاديث الآحاد في العقائد.

ومن ذلك مثلاً ما قاله أتباع حزب التحرير: من أنه لا عذاب في القبر!! طيب.. فماذا نصنع بالأحاديث التي يدعونا النبي صلى الله عليه وسلم أن نستعيذ من أربع عَقِب التحيات والتشهد والصلاة الإبراهيمية؟! حتى أن طاووس –كما في صحيح مسلم– كان يأمر المرء إذا لم يستعذ من هذه الأربعة أن يعيد الصلاة.. (**اللهم**

نعوذ بك من عذاب القبر، ومن عذاب النار، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال)، الاستعاذة بالله من عذاب القبر، فقالوا: هذه يعمل بها عملًا، ولكن لا يعتقد بها اعتقادًا!! يفعل المرء ما لا يعتقد!! يقولها من جهة الحكم ولا يعتقدها من جهة القلب! منتهى الفصام!!

فأحاديث عذاب القبر أحاديث ثابتة عند أهل العلم ويحتج بها وهي في الصحيحين، ومعروف أن أحاديث الصحيحين، كما قرر العلماء، وشرح هذا أبو عمرو بن الصلاح، وعلق عليه ابن كثير كما في «الباحث الحثيث في اختصار علوم الحديث»، على أن أحاديث الصحيحين تفيد العلم.

ومن ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم حدثنا عن عذاب القبر: أنه إذا دفن الميت جاءه الملك فسأله: ماذا تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ وإنه ليسمع قرع نعالهم، بعد أن يدفن فيفيق فيسمع قرع نعال الذاهبين، ثم يأتيه الملك فيسأله، فتنة القبر، ونحن نقول: «اللهم نعوذ بك من عذاب القبر».

والصحابة رضي الله عنهم يثبتونه، المشهور عن عثمان رضي الله قصته المشهورة عنه: أنه كان إذا مر على القبور بكى، والنبي صلى الله عليه وسلم كم مرة مر على قبر، **(فإنهما يعذبان وما يعذبان في كبير)**، ومر على قبور المشركين فذكر بما يعذب صاحب القبر به، والحديث الذي فيه دفن المنافق الذي زعم أنه كان يُعَلِم النبي صلى الله عليه وسلم القرآن، فلفظته الأرض، كما في الصحيح، وذِكر النبي صلى الله عليه وسلم الرجل الذي يتجلجل في الأرض، يتجلجل لكبره، مشى متكبرًا، وهو قارون، هذه كلها أحاديث صحيحة وتفيد العلم.

وأما الآية فقد تقدمت، قال تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (٤٦)﴾ [غافر: ٤٦]، حتى المعتزلة احتجوا بها على عذاب القبر، وهي صريحة في هذا الباب.

يأتون إلى آيات محتملة في المعاني، ﴿مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ [يس: ٥٢]، فقالوا: ﴿مَرْقَدِنَا﴾، وينسون أن الناس مراتب في القبر، هناك من يعذب إلى يوم القيامة كآل فرعون.. كقارون، وهناك من إذا حوسب قيل له: نم نومة العروس، حتى تقوم الساعة فيُبعثون، فالناس منازل، هؤلاء يقولون: ﴿مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ هذه بيّنة في هذا الباب.

فالقصد: أن عذاب القبر هو من اعتقاد المسلمين؛ ولذلك ذُكر في كتب العقائد، ذكرها الطحاوي وغيره: ونؤمن بعذاب القبر خيره وشره، ونؤمن بأن القبر إما روضة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النيران، نعم هذا حديث لا يصح بهذا اللفظ، ولكن معناه صحيح، يُنَعَّم أهل الإيمان في قبورهم ويُعَذَّب أهل الكفر في قبورهم.

هذا هو اعتقاد المسلمين، ولا يخالف في ذلك إلا كما قال القرطبي: إما فيلسوف على طرائقهم من إنكار الغيب والمعاد، وإما من تأثر بهم، نسأل الله العفو والعافية.

وكلهم يقفون عند حديث: (**اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، ومن عذاب النار...**)، هل تريد أن تقوله من أجل أن يعيذك الله منه؟ هل تريد أن يعيذك الله؟ فافعله، إلا إذا أطعتهم وقلت: افعله ولكن لا تعتقد به، فانظر كيف تستطيع أن تجمع بين أن تقول شيئًا في الصلاة مُتقربًا إلى الله عز وجل وأنت لا تَعتقد صحته، إن استطعت أن تقع في مثل هذا الفُصام فحينئذٍ أنت هو.

جزاكم الله خيرًا وبارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٤٨- الإجابة عن حديث ترك الصلاة وفقهه

ضمن الجلسة السابعة، بتاريخ: (**١٤٣٨/١٢/٢هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/٨/٢٤ م**)

إن الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونصلي ونسلم على خير خلقه محمد، وعلى آله وصحبه.

أخ يسأل يقول: قال الإمام أحمد في المسند: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن قتادة، عن نصر بن عاصم، عن رجلٍ منهم: أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم على ألا يصلي إلا صلاتين، فقبل ذلك منه.

يقول الأخ السائل: ورواه ابن أبي شيبة في مسنده، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني، وغيرهما، ما صحة هذا الحديث، وما فقهه؟؟

جواب الشيخ: هذا الحديث صحيح ولا يعرف له علة، وإن كان يمكن للبعض أن ينتبه إلى بعض ما يبحث فيه في إسناده.

فهذا الحديث -مثلًا- من رواية قتادة عن نصر بن عاصم، وقتادة معروف عنه التدليس، وهنا عنعن، لكن هذا الحديث رواه شعبة عن قتادة، وشعبة أصلح لنا، واختار لنا، وانتخب لكل المسلمين من بعده أحاديث قتادة، لأنه لا يروي عن قتادة إلا ما صرح قتادة فيه بالتحديث؛ ولذلك كان إذا حدث قتادة، كان يقول شعبة: كنت اتتبع لفظه: أقال: حدثنا، أم عنعن، ولذلك قال: «كفيتكم تدليس قتادة»، لذلك أمِنَ الناظر هذه العلة في هذا الحديث.

وكذلك فيه: عن رجلٍ منهم؛ وهذا رجلٌ مبهم كما يطلق عليه في مصطلح الحديث، مبهم، لكنه هنا صحابي، ولا يضرنا جهالة الصحابي، فإنه قال: «عن رجل منهم: أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم»؛ فلذلك جهالة الصحابي هنا لا تضر الحديث في شيء على ما عليه جمهور أهل الحديث، وإن كان بعض الفقهاء ممن ليس لهم خبرة في الحديث قد جعلوا هذا مطعنًا في الأحاديث، كما نسب إلى بعض الفقهاء وهذا منسوب كذلك -القول الردي- إلى ابن حزم رحمه الله.

فسند هذا الحديث صحيح ولا مطعن فيه.. كما هو بيّن، لكن ما هو فقه هذا الحديث؟؟

هذا الحديث يذكره العلماء في باب العقد مع الشرط الفاسد، وهذه المسألة اختلف فيها أهل العلم، بل اختلفوا أصلاً في العقد مع الشرط، وتعرفون لمن كان يعلم من طلبة العلم أن حديث: «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيعٍ وشرط»، أخذ به الأحناف، فنهوا عن بيعٍ وشرط، مع أن هذا الحديث منكر وغير صحيح، والصواب يصح البيع مع الشرط، ويشهد لهذا عقد النبي صلى الله عليه وسلم مع جابر في شرائه لبعير جابر، الذي كان معه في غزوة تبوك، وكان ضعيفًا؛ فاشتراه واشترط جابر أن يسلم المبيع في المدينة، يعني أن ينتفع به حتى يصل المدينة، فالنبي صلى الله عليه وسلم قبل ذلك، ووقع البيع، فالشرط الجائز في العقد الجائز لا حرج فيه، خلافًا للأحناف.

لكن الخلاف في الشرط الفاسد: لو أن المرء عقد عقدًا صحيحًا واشترط شرطًا فاسدًا فماذا عليه؟ الصواب في هذه المسألة الذي عليه جمهور أهل العلم -وإن كان المسألة فيها خلاف كما تقدم، يعني إذا كان الأحناف مثلًا يبطلون البيع والعقد مع الشرط حتى لو لم يكن فاسدًا، فمن باب الأولى أن يبطل الأحناف العقد إن كان مع الشرط الفاسد-: أن العقد صحيح وأن الشرط فاسد، بمعنى إذا عقد المرء عقدًا صحيحًا في دين الله، لا أن يكون عقدًا محرمًا كالربا، أو العقد على الفرج بالزنا وغير ذلك، فإذا كان عقدًا صحيحًا كالبيوع المباحة والإيجارات المباحة وغيرها؛ واشترط أحدهما: البائع أو المشتري شرطًا فاسدًا، فالصواب: صحة المبيع وإبطال الشرط.

وهذا يأخذ من حديث بُرَيْرَة لما أعتق أولياء بريرة، بريرة بالمكاتبة، كاتبوها... فجاءت تستعين بمكاتبتها بأمنا عائشة رضي الله عنها، فقبلت عائشة رضي الله عنها على أن تدفع المكاتبة المال المكاتب عليه إلى أوليائها، فذهبت بريرة إلى أوليائها وقبلوا، لكنهم اشترطوا أن يكون الولاء لهم، والولاء هو إحدى الروابط في شريعتنا، وتعلقها عند العلماء بالإعتاق، وبعضهم يربط الولاء بالإسلام، بمعنى لو أن رجلًا كافرًا أسلم على يد رجل مسلم، فالولاء له، والولاء عصبة تقوي الناس وتقوي العشائر والقبائل.. عصبة.. يأتلف معها، ويقاتل تحت رايتها، واتفقوا على أن الولاء يكون في العتاق، واختلفوا في الولاء للإسلام، اختلفوا فيها.

القصد -نرجع إلى حديث بريرة-: فلما جاءت إلى عائشة رضي الله عنها، جعلت عائشة رضي الله عنها

تجادل في هذا الأمر، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم عليهما، فسمع الأمر فسأل عنه، فذكرت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها هذا الشرط الذي اشترطه أولياء بريرة: أنهم اشترطوا أنه إذا أعتقتها عائشة.. إذا دفعت المكاتبة.. المال المكاتب عليه، أن يكون الولاء لهم؛ فالنبي صلى الله عليه وسلم غضب، وخرج وخطب، وقال كلمته صلى الله عليه وسلم: **(ما بال أناس يشترطون في كتاب الله ما ليس فيه، كل شرطٍ ليس في كتاب الله فهو رد)**، وعَلَّم بريرة أن تعقد العقد على أن لا تفي بالشرط؛ فصحح النبي صلى الله عليه وسلم العقد؛ لأنه صحيح بالمكاتبة، وأبطل الشرط حتى لو نصوا عليه واتفقوا عليه، بل النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث علم بريرة أن تقبل بالشرط من أجل أن تنفذ العقد، ولكن لا قيمة له، فحتى لو أقر العاقد بالشرط الباطل عليه فإنه لا يلتزمه، ولا يستطيع أحد أن يلزمه به لأنه شرطٌ باطل.

المقصود بالشرط الباطل: وهو المخالف لكتاب الله.. والذي يخالف الشرع، فبعض العقود –دعنا نوسع الباب– يختلف فيها: هل هي منشأها الشرع أم منشأها الناس؟ يعني هل هي من حق الله عز وجل كما في هذا **(الولاء لمن أعتق)**، أم أن الشرط بين الناس يجوز أن يفعلوه على ما هم عليه؟؟

ومثال ذلك: ما إن تزوجت المرأة رجلًا على شرط ألا يتزوج عليها، فهذا شرط اختلفوا فيه، هل هو شرط مخالفٌ لكتاب الله، أم أنه واقعٌ مع الشروط وتحت الشروط الجائزة التي قال عنها النبي صلى الله عليه وسلم: **(إن أولى ما أوفيتم به من الشروط ما استحللتم به الفروج)**؟؟ أولى وأوفى وأعظم الشروط التي يجب الوفاء بها، تلك التي في عقود النكاح ما استحللتم من الفروج وبها الفروج، فأحمد يجوز هذا، وهو الأقرب إلى الصواب، أن هذا عقدٌ من الحقوق يتنازل الرجل عنه؛ وأما الشافعي كما في «الأم» اعتبر هذا الحديث داخلاً في قوله: **(كل شرطٍ ليس في كتاب الله فهو باطل أو فهو رد)**، فهذا خلاف بين العلماء، والأقرب هو قول أحمد رحمه الله، مع أن الشافعي له وجه، ولكن الأقرب هو قول أحمد، لأن هذا من الأمور الخاصة بالمرء، يتنازل عنها.

الآن نرجع لهذا الحديث الذي بين أيدينا، النبي صلى الله عليه وسلم جاءه رجل، لم يُذكر الصحابي، وإن كانت بعض الروايات تشير إلى اسم هذا الصحابي، وأظنه إن لم تخني الذاكرة: أبا واقد الليثي، أنه جاء للنبي صلى الله عليه وسلم واشترط أن يسلم على ألا يصلي كل الصلوات، بل يصلي فقط صلاتين، فقبل منه، هذا شرطٌ باطل ومخالف لكتاب الله، فهل يصح هذا العقد؟ الإمام أحمد –على قاعدته– صحح هذا العقد وجوزه،

ولكن على قاعدة: «ثم يلتزم بالإسلام»، على القاعدة التي تقدمت في قضية الشروط الباطلة وعدم الالتزام بها بعد إجراء ما وقعت عليه العقود.

وبالتالي: هذا الحديث صحيح، ومبحثه تحت الإسلام مع الشرط الباطل، يجوز إسلام المرء مع الشرط الباطل ثم يلتزم، وهناك في حديثٍ آخر: أن أهل ثقيف أسلموا على أن لا يجاهدوا ولا يزكوا، والحديث كذلك ليس بعيدًا عن درجة الصحة، فالنبي صلى الله عليه وسلم قال: (**يزكون ويجاهدون**)، أي بعد ذلك سيزكون ويجاهدون.

فهذا الحديث فقهه: أنه يجوز للمرء -الإمام- أن يعقد مع غيره عقدًا على أن يسلم، على أنه له شروطًا خاصة، وهذه الشروط تكون باطلة، فيجوز هذا العقد؛ ثم بعد إسلامه يلتزم، وبعضهم قال: المقصود به أنه يعلمه شيئًا فشيئًا، لأن حديث معاذ الذي قاله صلى الله عليه وسلم له لما أرسله إلى اليمن، قال: (**اؤمرهم أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا، فإن أجابوك لذلك، فأخبرهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات.. إلخ**)، فدرج عليهم الأحكام الشرعية؛ فهم بعد إسلامهم، وبعد أن لقنوا كلمة الشهادة يعلموا أن هذا واجب وو... إلخ.

ومما لا شك فيه: أن السامع يعلم بأن المراد به الكافر حين يسلم، وليس المسلم؛ يعني لا يجوز لأحد أن يقول الآن: أريد أن أعيد العقد الذي بيني وبينكم، فلا يريد أن يصلي إلا صلاتين، هذا باطل، بل يُقتل على هذا الأمر إن أصر عليه بعد استتابته، يعني هذا الكلام للكافر الذي يريد أن يدخل الإسلام، وليس للمسلم، فليس الحديث يدور حول هؤلاء.

هذا ما تعلق بهذا الحديث، وتجدون شروحًا له، هذا الحديث تكلم عنه ابن رجب عليه رحمة الله في «جامع العلوم والحكم»، كذلك تكلم عنه في «فتح الباري»... ابن رجب تكلم عنه في «فتح الباري» تحت باب البيعة على الصلاة، وتحت حديث جرير بن عبد الله البَجَلي أنه قال: «بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصلاة والزكاة وكذا.. إلخ»، فمذكورٌ فيه البيعة على الصلاة، كما هي البيعة على الإسلام وكما هي البيعة على أعمال شرعية في أحاديث أخرى، كما هي البيعة على الموت والبيعة على «أن لا تفروا» فتجدون هذا الكلام، وتجدونه كذلك في «فتح الباري».

والقصد: أن الإمام أحمد أخذ بهذا الحديث، وهو كلامٌ صحيح، والحديث يدل عليه، والحديث ليس فيه مقالٌ يُطعن فيه لرده، وبعض العلماء أشار إلى أن هناك من ضعفه، أنا بحثت في هذا الحديث؛ لأن هذه من المسائل التي تكثر في زماننا، وخاصةً لمن يعيش في الغرب، فلم أجد أحدًا من السلف طعن فيه، لم أجد أحدًا من العلماء السابقين تكلم فيه، يمكن أن يقال: تجنبه صاحبا الصحيح، ولكن هذا ليس بمطعن لمن علم أصول علم الحديث.

هذا وبالله التوفيق، والحمد لله رب العالمين.

٤٩- هل يقع إجماع بعد الخلاف وانقراض عصر المتخالفين؟

ضمن الجلسة السابعة، بتاريخ: (١٤٣٨/١٢/٢هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/٨/٢٤ م)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل يقول: هل يتصور عقلًا ويجوز عادةً أن يقع إجماع بعد الخلاف وانقراض عصر المتخالفين؟ وإذا أمكن، فهل الإجماع يرفع الخلاف السابق؟ بمعنى إذا اختلف الصحابة -مثلًا- على قولين، ثم أجمع التابعون على أحدهما، هل يسقط الخلاف السابق؟

جواب الشيخ: نعم؛ يجوز عقلاً وعادةً، ويقع هذا.

إن كثيرًا من الأمور التي اختلف فيها الصحابة رضي الله عنهم لعدم ورود النص عندهم، قد حدث أن صار الإجماع بعدهم، أو بعد هذا الخلاف.

أذكر لكم مثلًا: ابن مسعود رضي الله عنه كان ينفي أن تكون المعوذتان من القرآن؛ لأسباب ذكرناها في غير هذا الموضع، ثم صار إجماع.

فلو أن أحدًا خالف في هذا لكفرناه، لو أن رجلا جاء وقال: إن ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١)﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١)﴾، ليستا من القرآن، لكفر وخرج من الملة؛ لأنه مخالفٌ للإجماع، لكن لماذا لا تكفرون ابن مسعود؟ لأنه في وقته كان معذورًا، وبعد حدوث الإجماع لا يوجد عذر، وهذا ينبغي الاهتمام به، يعني يقال لأهل السنة: أنتم تقولون أو مذكور في كتبكم أنكم تكفرون من كفر الصحابة رضي الله عنهم، والصحابة كفر بعضهم بعضا -مع أن هذه الكلمة باطلة- أو أنكم تبدعون وتفسقون وتجرمون من سب الصحابة، والصحابة سب بعضهم بعضا! فنقول: سبوا بعضهم لأمور بينهم، فأنت ما دخلك؟!! هذا السب لأمرٍ بينهم كما يحدث في الخصومات بين الناس، فأنت ما دخلك؟!!

عندما تغاضب عائشة رضي الله عنها النبي صلى الله عليه وسلم كزوجة، أنت كيف تغاضب النبي صلى الله عليه وسلم؟!! لماذا تغاضبه؟!! ما الدنيا التي بينك وبينه؟!! إذا أنت تغاضبه لدين.

طيب، النبي صلى الله عليه وسلم يهجر نسائه، يآلي على نسائه فيتركهن غاضبًا عليهن.. لماذا؟ لأنهن زوجاته، وأنت ما دخلك الآن؟!! ما صيغة المخالفة بينك وبينه؟!

نعود للسؤال.. القصد: أن الإجماع يمكن أن ينعقد بعد عصر التخالف، يمكن أن يحدث خلاف، ثم بعد ذلك ينعقد الإجماع بعد الخلاف، تتمة السؤال واضحة.

طيب.. إذا حدث الإجماع هل يجوز أن نعود للخلاف؟

الجواب: لا؛ لإنه إذا حدث إجماع دل على أن هذا الوقت الذي حدث فيه الإجماع، أن ما أجمعوا عليه هو الحق، ولا يمكن خلو الأرض من الحق، ولا يمكن خلو أهل الإسلام من قول الحق فيهم، فإذا اجتمعوا على أمر كانت هذه اللحظة قد خلت، فلو قلنا: أن غيره حق، لقلنا بأن الأرض خلت من الحق، وهذا لا يجوز.. لا يتصور.. (**لا تزال طائفةٌ من أمتي**).. ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

فإذن الإجماع يمكن أن ينعقد بعد الخلاف.. هذا يقع، ويمكن أن نمثل بأمثلة لمن ينكر الإجماع بعد عصر الصحابة.. الإجماع وقع بعد النبي صلى الله عليه وسلم، كما أجمعوا على جمع المصحف، أجمع الصحابة رضي الله عنهم على جمع المصحف، وقد اختلفوا، ففي بداية الأمر هناك من خالف في جمعه في عصر أبي بكر رضي الله عنه، وحتى بعد أن كتبه عثمان رضي الله عنه على رسمٍ واحد، اختلف الصحابة رضي الله عنهم ثم اتفقوا، فهذه كلها أمثلة تدل على هذا.

أما أن بعضهم يقول: لا يتصور الإجماع بعد عصر الصحابة رضي الله عنهم، فهذا غير صحيح، هناك ما ذكر من إجماعات في غير عصر الصحابة رضي الله عنهم.

مثال ذلك -نكثر من الأمثلة حتى تتضح أكثر-: الخلاف حول الصرف؛ يعني ابن عباس رضي الله عنهما يقول: «إنما الربا في النسيئة»، فقط ربا النسيئة هو عنده ربا، وأما ربا الفضل فليس عنده بربا، ثم اتفق الناس، هل ابن عباس رجع عن قوله أو لم يرجع؟ لا يهمنا، المهم هذا مثال لما هو بين أيدينا.

كذلك موضوع المتعة، يذكر عن بعض الصحابة أنهم قالوا به ومنهم ابن عباس رضي الله عنهما، ثم بعد ذلك أجمعت الأمة على أن هذا العقد عقد النكاح باطل، وأنه كما قال الفاروق رضي الله عنه: «لئن فعلته

لأرجمنك بحجارها»، ولا يقام ويفرق بينهم ويعاقب.

فلذلك يمكن -هذا هو الجواب- أن يختلف الناس ثم يتفقوا، وأن يختلف الصحابة رضي الله عنهم ثم يتفقوا؛ فيكون هذا الإجماع، ولا يجوز بعد ذلك الخلاف حوله.. كما تقدم الكلام فيه، وبالله التوفيق والحمد لله رب العالمين.

٥٠- إطلاق الفتاوى بتكفير ابن عثيمين لأنه يَعذر بالجهل!

ضمن الجلسة السابعة، بتاريخ: (**١٤٣٨/١٢/٢هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/٨/٢٤ م**)

يسأل أخ: **يطلق البعض من الناس فتاوى بتكفير ابن عثيمين رحمه الله، ويذكرون بعض الأمور بأن ابن عثيمين يُعذر بالجهل وغيره، قلنا: أغلب أهل العلم كفره، وقالوا: إنه مرتد عن الإسلام، ما موقف الشيخ أبي قتادة؟**

جواب الشيخ: إن لم يرتدع هؤلاء بقوله صلى الله عليه وسلم: (**من قال لأخيه يا كافر، فإن لم يكن أهلاً لها، فإنها تعود إليه**) و(**من كفر أخاه فقد كفر**).

فإن لم يرتدع هؤلاء بتكفير المخالف الذي يُشهد له بالعلم، ويُشهد له بالصلاح، ويُشهد له بالدعوة إلى الإسلام، ويُشهد له بتعظيم الله، ويُشهد له بإقامة الصلاة، ثم يأتي إلى مسألة من المسائل التي أحدثها هؤلاء الجهلة، ليحكموا على الناس من خلال معيار هذه المسألة، فهؤلاء لا يقام لقولهم قدر.

وأنا أعجب لانتشار الغلط!! يعني اهتمام طلبة العلم بمثل هذه الأمور، ورفع شأن هذه الأمور لهذه الدرجة، فهذا شيءٌ قبيح! ينبغي أن يكون عندنا الورع شديد في موضوع التكفير والتفسيق والتبديع، ليس بمجرد الخلاف في مسألة من المسائل أن نكفر الآخرين! هذه طريقة أهل البدع.

الشيخ ابن عثيمين عالمٌ من علماء الإسلام بلا شك، ونفع الله به، وانتشرت كتبه بارك الله فيها، وهذه منزلة ينبغي الاهتمام بها والنظر إلى فعل الرب عز وجل مع هؤلاء -معروف أنه إذا غضب الله على أمر نَكَسه ونَكَّسه، وأبعده، وكره العباد فيه، وصارت كتبه كأنها رميت أو غيضت في بئر، لا قيمة لها- فانظروا إليه.. في كل يوم وفي كل فتوى الناس يحتاجون إلى قول هذا الرجل، وفي كل مسألة يرون أن ترجيحاته لها الاعتبار والاهتمام الشديد.

لماذا يكفرونه؟! ما الذي اقترفه الرجل ليقال عنه هذه الكلمة؟! بل لو قيل ما هو أقل منها بكثير، لو قيل له: أنت مبتدع، ما الذي اقترفه هذا الرجل ليقال له هذا الكلام؟!

يمكن أن ينبه على أخطائه -مثلما تكلمنا عن الشيخ الشعراوي- لأنه مثلاً في باب معرفته لألاعيب

الطواغيت لم يكن على البصيرة التامة، ولكن يؤخذ له لا عليه بأنه لم يدخل معهم كما دخل غيره، ولم يصفق لهم كما صفق غيره، يمكن وقعت منه بعض الهِنات، والله يغفر لنا.. كلنا.. سبحان الله، ولكن لم يكن له شغل في الحياة إلا العلم، تعلُّمًا وتعليمًا ونشرًا، وكذلك دفاعه عن المسلمين ودفاعه عن الإسلام.

الجهلة هؤلاء.. هناك جماعة تسمى بـ «الحازمية» نسبةً إلى رجلٍ جاهل أظهر نفسه، يعني حكى على نفسه بالجهل في موضوع الإيمان ومسائل الأسماء والأحكام –وتكلمنا عنها كثيرًا في مواضيع تكفير من عذر الناس بالجهل في مسائل العلم ومسائل التوحيد– فهؤلاء للأسف هم على ضلالٍ شديد في تكفير الناس، وصاروا هم يكفرون بعضهم بعضًا؛ وهذا هو شأن أهل البدع: يكفر بعضهم بعضًا، ويلعن بعضهم بعضًا، ويخاصم بعضهم بعضًا على قضايا: «هكذا فهمتها وهكذا فهمتها... إلخ».

القصد: بأننا لسنا على هذا الطريق بفضل الله عز وجل، ولم نكن يومًا من الأيام على هذا الطريق في تكفير العلماء وفي تكفير المخالفين، نُخَطِئ.. نرد.. وقد تقسو العبارة أحيانًا لوضعٍ معين ولظرفٍ معين، ولكن يبقى الاحترام والتقدير ومعرفة الحسنة والسيئة في الرجل، وإذا رددنا كل عالمٍ خالفنا في مسألة فلا يبقى لنا أحد، حتى أنه لا نبق نحن لأنفسنا.

وأنا فقط ذكرته لأن الرجل سأل، وإلا فأنا لا أحب الإجابة على هذه الأسئلة، وأرى أنها تدل على أن الناس ينشغلون بأمور يُضحك علينا فيها؛ يعني: كيف لطالب العلم أن يسأل هذا السؤال؟!! كيف لطالب العلم أن يسمع وأن يصغي لهؤلاء الجهلة؟!! هؤلاء يجب أن ينبذوا.. يجب أن تمات كلماتهم.. أن نميتها وأن نقصيها.. وأن ينبذوا.

وهم منبوذون في الحقيقة، ولكنهم يزعمون: إنهم منبوذون لأنهم على التوحيد... هكذا تنتكس الفطر وتصاب بمثل هذا الانحراف وهذا الطمس.

نحن نحب المشايخ جزاهم الله خيرًا، ونتعلم منهم، وإذا نبهنا على أخطاء بعض المشايخ؛ نبهنا عليها لأنه هذا هو الدين، وكما يقول ابن القيم رحمه الله –الكلمة التي سارت، وصارت اليوم على لسان كل طالب علم.. بارك الله فيها–: «شيخ الإسلام حبيبنا، والحق أحب إلينا منه»، هذه موازيننا التي تعلمناها من هؤلاء الكبار الجهابذة الأخيار.

فدعوى: أن هؤلاء فورًا يُقفز بهم إلى التكفير، هذه طريقة الجهلة، من لا يتقي الله، ومن لا يراعي، ومن لا يعرف للكلمة قيمتها؛ فيقع منه هذا السعار الكلبي، الذي يكون شأنه أن يعض كل أحد، وألا يبحث إلا عن الأخطاء، إن كان ثمت أخطاء.

لا أريد أن أتكلم عن هذا الرجل كثيرًا، وأما هؤلاء فقد تكلمت عنهم في موضوع العذر بالجهل في مواطن متعددة.

والحمد لله رب العالمين.

٥١- حكم اشتراط الصدقة لجانب معين

ضمن الجلسة السابعة، بتاريخ: (١٤٣٨/١٢/٢هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/٨/٢٤ م)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل أخ سؤالًا: شيخنا تأتي إليّ أموال من الجزيرة، من أخ يجمع من عامة المسلمين أموالاً ثم يرسلها إلى جهة فيها الخير، فأخونا يشترط هذه الأموال أن تكون حصرًا على جانبٍ معين من الخير، وهو العمل الجهادي، فيقول السائل باختصار من غير تحديد: بأنه هناك مرات يكون القتال متوقفًا، والناس يكونون فقراء، وأعمال دعوية تحتاج إلى الشيء الكثير؛ فهل يجوز أن تصرف إلى غير شرطه؟

جواب الشيخ: هذه المسألة بحثها شيخ الإسلام ابن القيم في مبحث جيد ورائع في كتابه «إعلام الموقعين»، وهو النظر لقاعدة الفقهاء «أن المشروط شرطًا كالموضوع شرعًا، أو كالمشروع شرعًا»، بمعنى: أن المرء حين يشترط الشرط، فشرط الشارط –هذا شرط اشترطه الشارط– كوضع الشارع يصبح مُلزمًا.

وابن القيم رحمه الله بحث في هذه المسألة بحثًا جيدًا –باختصار أنا أجيب على هذا السؤال وعلى غيره– وهذا من نظره إلى المقاصد.. من نظر ابن القيم رحمه الله إلى المقاصد، فقال: ما المقصود من أن يضع المرء هذا المال في هذا الجانب؟ المقصود: هو أن يرضي الله عز وجل، لأنه يظن أن هذا الجانب أعظم أجرًا من الجوانب الأخرى؛ فلو علمنا من الواقع، لأن الأحوال تتغير، فقد يكون المال رصد ليتيم فتغير اليتيم، أو رصد لفقراء على معنى معين فصار فقراء أكثر؛ فالأحوال تتغير فيمن هو الأولى بالصدقة والعطاء وبالمال الموقوف؛ فقال: هذه شروط ينبغي النظر فيها باعتبار واقعها، والنظر فيها باعتبار ما يحقق الأجر الأعظم لمن اشترط، يعني هو لما يأتي يوم القيامة، وكان قد أراد أن يكسب مائة حسنة، فجاءته ألف حسنة، هل يردها؟!! فيقول: هذا عملٌ جيد.

فأنا لا أجيب على هذه الحالة فقط، بل أجيب على كل حالة لعالمٍ مدققٍ يتق الله: أنه إذا جاءه مال، وقد اشترط المتصدق أو واضع هذا المال أن يصرف في جنب من الجوانب، فوجد جانبٌ أكثر منه –إلا أن يكون محددًا بالأسماء، بمعنى: احمل هذا المال أعطه لـ «س» من الناس، هذا لا يجوز، هذه أمانة–، نحن نتحدث عن جانب فيه السعة في قضية الأسماء، أي وضع المال من أجل الفقراء، وضع المال من أجل الفقهاء، وضع المال

من أجل المسنين، وضع المال من أجل الأيتام، ثم حدث أن كان هناك باب أعظم منه أجرًا، فيجوز صرفه لهذا الأجر.

أنا لا أقدر للأخ، ولا أستطيع أن أقدر، فأنا أقول لطالب العلم وللذي يتق الله: لا بد من هذين الشرطين: أولًا: أن يكون تقيًا لا يدخل الهوى في نفسه في توزيعه، وهذا يحتاج إلى مراقبة لله؛ وثانيًا: أن يكون عالماً يعرف مراتب الأعمال ما هو الأولى؟ لابد من التقوى، ولابد من العلم، أي يعرف مراتب الأشياء، فإذا كان هكذا جاز له أن يتصرف بالمال بحسب ما يحقق الأجر أكثر من غيره.. من الواضع.

وهو-ابن القيم- احتج كذلك بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾، قد تأتي الوصية يصلحها المرء حين حضوره، أو حين يكتب.

بعض أهل العلم قال: إذا أوصى الميت، وكان أمره أن يكتب وصية باطلة، فيغير في الوصية فيكتب ما هو الحق، إذا كان صاحب تقوى وعلم -كما اشترطنا- فيغير، قال تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٨٢]، فإذا جاز هذا جاز هذا، والله تعالى أعلم.

بارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٥٢- كتاب العسكري عن شخصيات وهمية للصحابة

ضمن الجلسة السابعة، بتاريخ: (**٢/١٢/١٤٣٨هـ الموافق لـ: ٢٤/٨/٢٠١٧ م**)

أخ يسأل عن كتاب العسكري!!

جواب الشيخ: هناك كتاب للعسكري في مجلدين في قضية خمسين صحابيًا مختلقًا.. خمسين أو سبعين.. صرت أنسى.

هذا الموضوع إن شاء الله سأتكلم عنه بتفصيل في الرد عليه، وسينشر إن شاء الله على الفيس بوك كتابة.

وهذا العسكري الرافضي الخبيث؛ هو أول من شكك في وجود «ابن السوداء» ابن سبأ، ورد عليه العلماء، يعني لم يحدث قط أن شكك العلماء والناس بابن سبأ حتى خرج هذا وشكك به، فوجد أن لكلامه قبولًا، فذهب وشكك في خمسين صحابيًا، خمسين شخصية من الصحابة أو أكثر شكك فيها، الآن لا أذكر في الحقيقة، أظن خمسين صحابيًا.

وجاء بعده من شكك بأن صاحب الغار هو أبو بكر رضي الله عنه، وقال: هو أبو بكر آخر، وليس أبا بكر بن أبي قحافة..

وبدأ التشكيك بالتاريخ؛ لأن التاريخ هو سنة الله في الكون، وهو الذي يبطل دعاوى الناس، فلذلك دخل فيه كل الفاسدين من أجل إبطال التاريخ وتزويرها.

وقد تحدثنا مرة: أن الفكر القومي كله يقوم على تزوير التاريخ، وعلى قراءة التاريخ قراءة باطلة، والروافض اهتموا قديمًا بتزوير التاريخ والكذب فيه.

وكذلك لما دخل الشعوبيون زوروا التاريخ وتكلموا عن الأنساب وغيرها بطريقة باطلة، إلى غير ذلك.

فالتاريخ منفذ للأسف من منافذ أهل الباطل، وهو كذلك عند أهل الحق منفذ من منافذ الحق.

إن شاء الله عز وجل نتكلم عن هذا الكتاب بما يليق في المرات القادمة، وإن لم أستطع الكتابة فسأرتب

جلسة كاملة لهذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

بارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٥٣- هل هناك تطابق بين أحداث الواقع وأحداث آخر الزمان؟

ضمن الجلسة الثامنة، السؤال الثالث والخمسون، بتاريخ: (**١٦/١٢/١٤٣٨هـ الموافق لـ: ٧/٩/٢٠١٧ م**) (١)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: إن لم يكن لسؤالي شغل لك عما هو خير للناس منه، فأرجو بيان مدى تطابق الأحداث في واقعنا مع الأحاديث التي أتت على ذكر أحداث آخر الزمان.

جواب الشيخ: يعني هذا سؤال مهم في الحقيقة، وهو جزء من تطلع الإنسان لعالم الغيب، الإنسان ضعيف جدًا أمام الغيب، وله محاولات تاريخية في معرفة الغيب، وهناك بلا شك نصوص ربانية في معرفة الغيب، في ذكر الغيب، ماذا يحدث بعد الموت؟ الناس لهم تطلع لمعرفة ما بعد الموت، ولهم تطلع لمعرفة ما بعد هذا الحدث: ننتصر أم ننهزم؟ متى يموت فلان؟ ومتى...؟ فالناس يتطلعون، منها ما هو شرعي ومنها ما هو غير شرعي، ولا شك أن الطِيرة.. الأنواء.. بعض الطيرة مثل في البوم الناس يتطيرون، الطيرة في قضية الزلازل.. البراكين.. الخسوف.. الكسوف.. يستطلعون الغيب، الإنسان يحاول جاهدًا أن يخرج من ضعفه، هذا شوقٌ بشري، مع أن الله عز وجل من ورائهم محيط، وأن ضعف الإنسان أمرٌ قدري يجب أن يعترف به.

وعجز الإنسان هو تمام تعبده، منشأ التعبد هو فقرك، وكلما كان الإنسان شاعرًا بفقره كلما كان عابدًا لربه، مبعث العبادة هو فقرك وغنى الرب، كما يقول ابن القيم رحمه الله -وهذه أكررها كثيرًا لأهميتها-: بأن الإنسان فقير بذاته، وأن الله غني بذاته، فأنت فقيرٌ بذاتك، ومن فقرك جهلك بالغيب وجهلك بما سيحدث معك، متى ستموت؟ متى سترحل؟ متى ستأكل؟ متى ستمشي؟ وهكذا، فالإنسان فقير يشعر بأن الغيب أمرٌ يشعره بضعفه ويشعره بعجزه، فلذلك هو يلتجئ إلى الله عز وجل، فإما أن تحل بالطريقة الشرعية، ومن ذلك الاستخارة، الاستخارة هي حالة من الحالات الإيمانية العظيمة التي بها يستطلع المرء الغيب، التي يحاول أن يستطلع ما هو الخير له فيما يأتي، الناس يعجزون، يرون الأمور بحسب الأوراق وبحسب الحسابات على جهة، ثم تنقلب عليهم، فكيف يعرف أن هذا خيرٌ له وأن هذا شرٌ له؟ كيف يعرف؟ فالاستخارة تحل المشكلة، ومن

---

(١) الجواب عن هذا السؤال يتألف من مقطعين فيديو، من هنا يبدأ المقطع الأول.

ذلك النظر إلى الواقع هل أخبر بها الأنبياء؟

ومن هنا يأتي المتنبئون الكذبة ويأتي الكهنة ليخبروك بما سيكون، كما في كل عام يأتي بعض المتنبئين فيتكلمون عما يحدث في هذا العام، والناس يدفعون لهم الأموال! وبعض الرؤساء كذلك!! المعروف أن ريغان وزوجته نانسي كانا يدفعان المال الكثير للمتنبئين وللكهنة ويستطلعون غيبهم من خلال هؤلاء!

ويأتي الأمر الديني، يعني المؤمن يعرف ما سيقع من خلال استطلاعه، ومن خلال خبر من السماء، من خلال خبر الذي يعلم الغيب كله، ويخبر به النبي صلى الله عليه وسلم، ولا شك أن القرآن أخبر بالمغيبات، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣)﴾ [الروم: ٢-٣]، هذا من الاستطلاع، وقال تعالى: ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ [النمل: ٨٢]، هذا عند اقتراب الساعة وعند فساد الزمان في آخره.

الآن نحن في أي عصرٍ نعيش؟ ما هو المستطلع في عالمنا؟ هذه الأسئلة أحسها تنشأ في وقت الضعف، وتنشأ في حال التحير، ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ١٤٤]، حالة الحيرة، في أي الاتجاهات؟؟ مرات هي حالة إيمانية، المرء يقف يريد أن يستطلع وأن يعرف من أجل أن يقف الموقف الصحيح، وخاصةً عند اضطراب الزمان وكثرة الفتن واختلاط الأحوال، فالمرء يحاول من خلال النصوص أن يقف الموقف الصحيح؛ ومثال ذلك: نجد أن بعضهم يحاول أن يرمي عصره بالفساد فيؤدي به إلى العزلة، في آخر الزمان (**خير مال المرء غنم يتقفر بها شُعَف الجبال ومواطن القطر والماء**)، فيحاول أن يطبق الحديث على واقعه، فينشأ عنده حب العزلة والبعد عن الناس وترك الناس وما هم فيه.

عند حدوث الفتن واختلاطها يحاول المرء أن يستطلع: ماذا يفعل؟ أين يمشي؟ مع هذه الجهة أو مع هذه الجهة أو العزلة؟ هذا كله حالات بشرية لا يخلو منها أحد، لا يوجد أحد لا يسأل هذه الأسئلة، فإما أن يمشي بالطريقة السننية الصحيحة، وإما أن يمشي بالطرق الخرافية، وإما أن يأتي إلى الأحاديث فينزلها على غير منزلتها؛ ونحن رأينا أن قضية «المهدوية» مثلاً هي من شر ما أفسدت في تاريخ أمتنا، الاستطلاع لقضية المهدي، مع أن المهدي أحاديثه صحيحة كما تعلمون، لكنهم يوقعونها على غير مرادها، ويوقعون اسم المهدي على غير حقيقته!! أوقعوه على أناس كثر في التاريخ الإسلامي! واستخدموا هذا الاسم من أجل مرادهم ومن أجل

رجالهم.

بعيدًا عن هذا كله، وهو أمرٌ مهم أن نفهمه وأن نعرف واقعنا، أقول: إن حالة الاستشراف التي يحسها البعض في نفسه، هي حالة تعم كل البشرية، أنا وأنت وكل واحد، وهذه حالة الاستشراف ليست على ما يقول البعض، يعني بعض الناس يطلق ويقول: بأن البعض حين يذهب إلى النصوص ليعرف موقفه من الحالة التي هو فيها، خطأ!! بعض الناس يقول: لا يجوز، هكذا بإطلاق!! لا يجوز التعامل مع الواقع من خلال أحاديث النبوءة، الأحاديث المعلمة لنا بالوقائع القادمة لنا من الزمن!! نقول: هذا الكلام بهذا الإطلاق خطأ.

فالنبي صلى الله عليه وسلم نصح بعض الصحابة رضي الله عنهم أنه إذا رأى الفتن أن يعتزل وأن يكسر سيفه، فهذا حديث يعلم المرء ماذا يحدث في الفتن، لكن عليه أن يعرف متى تكون الفتن، لا يجوز أن يأتي الرجل إلى وقائع ليس فيها معنى هذه الفتنة وهي اختلاط الأحوال وعدم بيان الحق من الباطل، ويُعمِل هذا الحديث، أن يكون القتال بين مسلمين وكفار، ويقول: هذه أوقات فتن!! أن تكون بين قائم بالحق على المعنى الكلي وقائم بالباطل على المعنى الكلي، فيقول: هذه أوقات فتناً فأنا أريد أن أعتزل، هذا باطل.

لكن حين تكون بين مسلِمَين، حتى لو كان هذا المسلم معه حق وهذا المسلم على الخطأ في هذه المسألة، على الباطل في هذه المسألة، ويمكن الإصلاح بغير القتال فينشأ القتال، فأنت تعلم أن هذا على الحق وهذا على الباطل، لكن لماذا هذه الوسيلة؟! فأنا أعتزل، لا اعتزالاً لموقفي من الحق والباطل، ولكن اعتزالاً لطرق معالجة هذه المسألة؛ ولذلك عامة الصحابة الكبار لم يقاتلوا مع علي رضي الله عنه مع أن الحق معه؛ لهذا المعنى، لأن الحل يمكن أن يكون بلا قتال، ولم يستوف المتخاصمان لم يستوفيا طرق الحل، فاللجوء إلى القتال خطأ، الحق والباطل بين عندهم أن الحق مع علي رضي الله عنه، لا يوجد صحابي قال: أن الحق مع معاوية، إلا من مشى معه، وهؤلاء لم يقولوا: أن الحق مع معاوية في الخلاف، وإنما الحق مع معاوية في مطالبته بالدم، لكن عند الخصومة الحق مع علي رضي الله عنه، **(أولى الطائفتين بالحق)** أولى الطائفتين، لكن حل المشكلة ليس بالقتال، فنحن نعتزل القتال لا نعتزل الموقف الشرعي من الحكم على كليهما.

وكما ترون هذه المسألة متشعبة، فإذن يجوز للمرء أن يحتج بالأحاديث أحاديث النبوءة في وقت من الأوقات، النبي صلى الله عليه وسلم أمر باعتزال الفتنة.. أمر لأن الفتنة قادمة.. اعتزلها على هذا المعنى.. النبي

صلى الله عليه وسلم أخبر بنزول الدجال، هذا لأن فتنة الدجال فتنة عظيمة لم تشهد البشرية مثلها، فلذلك علمنا النبي صلى الله عليه وسلم الموقف.. لا يقول أحد: أنا لا أحتج بأحاديث الدجال عند نزوله!! هناك دجالٌ كبير سيأتي على ما وصف النبي صلى الله عليه وسلم من حقيقة بلا شك، وهناك دجاجلة صغار يسبقونه؛ فيكون الموقف مع الدجاجلة الصغار جزئيًا بمقدار ما تحقق فيه من الدجل وما تحقق فيه من الشعوذة وما تحقق فيه من الفساد.. اعتزاله مثلًا، عدم السير في ركابه.. مهما كان الدجال صغيرًا، ويكون على معنى الدجال الكبير في بعض أجزائه، فحينئذٍ أنت تتعامل معه بهذا الجزئي الذي هو فيه.. الاعتزال.. وعدم المشي مع عسكره وجنده.. لا تدخل في طائفته.. لا تنصر هذا الباطل.. عليك أن تفر منه إن شعرت بأن الفتنة ستلحق بك.. ولكن إذا علمت أنك ستكون الشهيد الذي يقول للباطل: أنت على باطل، كما (**يأتي الرجل للدجال فيقول له**: **أنت على الباطل، فيقتله ثم يحييه، ثم يكون آخر قتيل**)، فإن كنت كذلك لم لا تقف هذا الموقف وتكون مع سيد الشهداء حمزة؟ خير قتيل يومئذ؟

لماذا لا تكون عندما تغزو طائفةٌ من أهل الإيمان روما فيفتح لهم، ثم يرجع عشرة منهم يعرف النبي صلى الله عليه وسلم أسماءهم وأسماء آبائهم وألوان خيولهم وهم خير خيالة وفرسان أهل الأرض، لماذا لا تكون أنت منهم؟ عندما يُحدث النبي صلى الله عليه وسلم عن الفتنة الواقعة بين الروم وبين المسلمين: (**فيُفتح لثلث منهم ويستشهد ثلث منهم**) لماذا لا تكون انت من هؤلاء؟؟

وهذا المعنى الكلي في هذه المواقع، هو كذلك فيه معاني جزئية لوقائع مثلها -لمثل هذه الموقعة- فأنت تشارك في هذا المعنى، فلماذا لا تشارك؟؟

لكن الخطأ أين؟ الخطأ هو أن ترى أن هذه الواقعة هي ما أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا نبه عليه العلماء، يعني مثلًا: المهدي، هناك من جعل عمر بن عبد العزيز أنه هو المهدي! والعلماء نبهوا على خطأ هذا في زمانه، أو أن يرى بعض الناس أن فلانًا هو الدجال إذا خرج، ولا يكون كذلك، فينبه العلماء أن هذا الحديث لا ينطبق على هذه الواقعة، وأن هذه الواقعة ليست مكتملة لشروط النص، فيها هذا المعنى، ولكن ليست مكتملة لشروط النص ليدخل الفعل دخولًا كليًا في الخبر النبوي، وإنما يدخل دخولًا جزئيًا.

أين نحن -مع كل هذه المقدمة الطويلة- أين نحن في واقعنا من الحديث النبوي؟ أين نحن من الإخبار عن

أمور الساعة؟ مما لا شك فيه أن شرائط الساعة الصغرى إن لم يكن كلها قد ظهر فإن الكثير منها قد ظهر، يعني: هذا الفساد في الأرض، وهذا الملك الجبري والعضوض الذي مر على الأمة، هذا الانقلاب.. حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (**بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء**)، هذه الغربة التي نعيشها اليوم، والتي يعيشها أهل الإسلام العاملون لدين الله عز وجل، لا تقل لي: أن الناس لا يعيشون غربة الصيام والصلاة والحج!! وأنتم تعلمون أن الحق اليوم مطارد وهذه غربة.. وغربة الدين (**بدأ الإسلام غريبًا**).

ويقول الزهري: أن أول الصدام الذي حدث بينه وبين قريش أنه سب آلهتهم، وكذلك سب آباءهم وشركهم، فكانوا يسكتون عليه حتى عادى ما هم عليه، اليوم أنت ترى ماذا سيكون حال المرء إن وقف هذا الموقف من بيان الحق والتوحيد، فبلا شك أن العالم يسير بكل وضوح إلى عالم الفسطاطَيْن، النفاق يكاد ينتهي، الناس يظهرون على حقائقهم، المؤمن بإيمانه ووضوحه وصراحته، وبموقفه وشهرته أنه مع هذا الدين الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، الذي يعادي به الكفار، ويريد أن يحيي الأمة الإحياء السُنَني والإحياء العظيم، وهناك من يمشي مع الكفار ويسير في ركابهم.

فهناك جماعات مثلاً كان الناس يجهلون الحكم عليها، وسبب الجهل هو اضطرابها، مرةً هنا ومرةً هناك.. كالشاة تيعر هاهنا وتيعر هاهنا، ولكن اليوم نرى أن هذه الجماعات قد حسمت أمرها في أن تكون من هذه الجهة أو من هذه الجهة، فالعالم يتجه إلى الفسطاطَيْن بكل معنى الكلمة.

مثال ذلك: أين نحن؟؟ القضية العظمى هي القضية النهائية، هي الحالة الأخيرة من قضية الصراع بين الحق والباطل في مراحله النهائية، وهي قضية قتال اليهود مثلًا، أنا أعتقد بأننا نعيش هذه المرحلة، بأن المعركة القادمة الفاصلة بيننا وبين اليهود هي أقرب ما تكون، وهي على الأبواب، قد يقول قائل: فأين هذه المقدمات التي تحيط بهذا الكيان اليهودي؟! الناس يسألون: أنت ترى المسلمين لا قوة لهم، وكلما بزغ نور وبزغت لائحة وبارقة أمل للأمة، كما حدث في الثورات العربية، قُضِي عليها وقوتلت؛ وصار عند الناس أمل كبير جدًا بالسيطرة، وعودة الإسلام، وتحقيق الأماني الإيمانية، وزوال إسرائيل، فانتكست هذه الثورات، رأينا كيف انتكست في مصر، ورأينا كيف أن الجهاد –كما يرون– أنه لم يحقق مراده ومقاصده كما يأملون في سوريا الشام، وهكذا.

أنا أعتقد إلى كلمة كتبتها البارحة: يجب أن نقرأ العالم كله، يجب أن نقرأ صورة العالم كله لا أن نقرأ واقعنا،

ثم ثانيًا وهذه مهمة جدًا: العالم الآن هو عالمٌ مضطرب، عالم لا يملك القدرة على مسْك خطوط اللعبة -إن سميناها كذلك- وخطوط الحركة في العالم، لا يوجد أحد، قارنوا بين العالم اليوم وبين عالم الغرب لما غزانا، لما غزانا بعد سقوط الدولة العثمانية في بداية القرن الميلادي الفائت، كيف كان وضعنا؟ وكيف كان الغرب عنده القدرة أن يحرك أوراق اللعبة بهدوء واطمئنان؟ فعندما قامت الثورة ضد الأتراك، وكان هناك جنود قد أملهم الانجليز -أملوا قيادتهم- بأنهم سيعيدون مُلك العرب وو... إلخ.

فالإنجليز كانت أوراق اللعبة في المشرق والمغرب بين أيديهم، الفرنسيون كذلك يلعبون بهدوء واطمئنان، بعد الحرب العالمية الثانية عندما اجتمعوا في «يالطا» القادة الخمسة هؤلاء: السوفييت والأمريكان والفرنسيون والبريطانيون، فاجتمعوا وقرروا إدارة العالم، وكان العالم بين أيديهم لعبة صغيرة يستطيعون تحريكها، لم يكن هناك من يستطيع أن يقول لهم: لا، لا يستطيع أحد أن يمنعهم، إلا الصراعات الداخلية الدقيقة التي كانت تجري بينهم مع التقسيمات العامة بينهم.

فكان الغرب يديرون العالم إدارةً متقنة وإدارةً كاملة.. لماذا؟؟ لعدم وجود المعارض، ولأنهم يملكون القوة، يعني اليهود كان أمر إقامة دولتهم كما يقولون بالعامي «في الجيبة» يعني لا أحد يستطيع أن ينازعهم، العرب لا وجود لهم، وإذا وُجدوا فهم أدوات فاعلة لإقامة المشروع لا لتوقيفه!! كل العرب كل الملوك في ذلك الوقت ثبت أنهم كانوا مع المشروع اليهودي ولم يكونوا ضده.

انظروا إلى هذه الدولة المسخ دولة يهود كان العالم كله.. لا أحد، لا أحد.. إلا مساكين الناس الفقراء في فلسطين، والمشاعر الإيمانية في الوطن الإسلامي كله، ولكنها لا تشكل ثقلًا قويًا، لوجود القوة الكافية عند الغرب، ولوجود أتباعهم من الشُرّط الأذناب الذين يقمعون الشعوب، ويسيرونها ضمن خطة لإقامة المشروع لا لإيقافه ولا لتعويقه، ولذلك اليهود كان يتحركون ضمن خطة دولية، ويتحركون كتكتيك لتطبيق الخطة.

إذن اليوم لا نرى هذا، مشهد العالم اليوم.. هذا ما نريد أن نتكلم عنه، ويحتاج إلى بسط، ويحتاج إلى توسع وإلى فهم، وهو قراءة مشهد العالم.. قراءة صورة العالم.. ما نحتاجه أن نقرأ العالم كله اليوم لنعرف موقعنا، إن لم نقرأ العالم قراءة صحيحة وواقعنا من خلال رؤية العالم، حينئذٍ نستعجل كما استعجل بعضنا في إقامة الدولة والإعلان عن دولة وعن خلافة وغير ذلك، وهي مشاريع إن لم تتحقق فيها النجاح، لأن كلمة الخلافة هي

المرحلة النهائية التي نسعى إليها، إقامة الدولة هي آخر مرحلة، الدولة هي تتويج حركة الأمة في نهايتها، فإذا وضعناها في الأول وفي الوسط فبادت، قُتلت لدينا الآمال، ونحن نعلم أن تكرار الهزيمة معناه اليأس.. يؤدي إلى اليأس ويؤدي إلى القنوط!

فإذا لم نعرف من نحن في داخل سياق العالم وتاريخه المعاصر فشلنا فشلًا ذريعًا؛ لأننا نريد أن نحيي أمة.. نحن لسنا جماعة.. هذه أمة ونحن جزء منها، ونريد أن نعود بها وتعود بنا هذه الأمة، هم الأدوات.. ونحن نظن أننا نملك الرؤية الشرعية لقيادة العالم، فإذا لم نضع أنفسنا الموضع الصحيح من السياق التاريخي فشلنا، إما أن نصغر قيمتنا، وإما أن نعظمها فوق طاقتها، وكلاهما مفسد ومدمر لما نحن فيه.

فما هو مشهد العالم اليوم؟ هذه قضية مهمة، يجب أن نقرأ واقعنا الإقليمي، ولو أن الظروف غير الظروف التي أعيش فيها، لكان في ذلك توسع أكثر -أكون معكم صريحًا- لأن الحديث اليوم عن الواقع الإقليمي مهمٌ جدًا، وهذه تكلمنا فيها.. أنا أتكلم بصراحة.. ولكن أنتم تستطيعون قراءة الواقع الإقليمي الذي نعيش فيه، الواقع الإقليمي اليوم واقعٌ منذرٌ بالفساد والدمار والمهلكة الذاتية من داخله.. الدول الكبيرة المؤثرة في الواقع الإقليمي منذرة بالهلاك والدمار والزوال.. في الشام وفي مصر وفي الجزيرة وفي كل مكان، واقعٌ فاسد سيدمر ذاته بذاته.. الدول -ثبت الآن- الدول لا تسقط إلا من داخلها.. نحن عوامل ثانوية من أجل دخول الجنة!! نقف موقفنا وعوامل ثانوية للوراثة!! ولكننا لا نملك.. هذه الجماعات لا تملك القدرة.. يجب أن نعرف هذه النقطة -هذه ليست ذمًا- يجب أن نعرف أن هذه الجماعات المجاهدة لا تملك بذاتها القدرة التامة على إسقاط الدول والامبراطوريات والحضارات؛

فالقرآن ينبئنا أننا عوامل وارثة، وأن وجودنا مهمٌ جدًا وضروري، هذا ليس تحقيرًا لنا، ولكن لمعرفة أننا أضعف من أن نجابه هذه القوى، وبالتالي؛ وجودنا هو رحمةٌ ربانية، ومن أجل الوراثة.. ونحن سنرث.. أنا لا أتكلم عن أشخاص ولا جماعات.. أتكلم عن الأمة المسلمة.. من سيكون؟ الله أعلم.. ينشأ من الداخل.. يأتي من الخارج.. ولا أريد أن أتكلم عن رؤيتي الخاصة في هذا، ولكن في النهاية نحن نتفق أن هذه الأمة سترث.

ما هو الواقع الإقليمي اليوم؟

الواقع الإقليمي: أن الدول فيها كل عوامل الفناء الداخلية، الدولة التي تزول وتسقط، وهي دول الآن محيطة حولنا.. محيطة حول النهايات لسقوط الدور الأخير قبل التوجه إلى فلسطين، كلها عوامل تؤدي إلى نتيجةٍ واحدة وإلى حكمٍ واحد، أن هذه الدول ستزول وسيرثها فقط المسلمون، لن يرثها غيرنا، وما تم من حالات سواء في مصر من سيطرة، هذه حالات لا تؤثر في السياق العام، ولعدم الفهم والوعي، الله عز وجل يدبر الأمر تدبيرًا فوق تدبيرنا نحن وفوق تدبير الجماعات والتنظيمات.

إذن الواقع الإقليمي، اقرأه بعناية.. اقرأ بعناية أنه واقعٌ مفتت، وواقعٌ منذر بالزوال وأن سقوطه سيكون مدويًا [1].. هذه الدول القُطرية والحكومات الوظيفية هذه انتهت وستسقط، هل نحن من أسباب سقوطها؟؟ نسأل الله عز وجل، لكن هي ستسقط من ذاتها، في داخلها الفساد والدمار، الذي أنذر القرآن بأن وجود هذه العوامل يؤدي إلى الدمار والهلاك..

من الذي سيرث؟

الآن نأتي للغرب.. هل الغرب قادر الآن أن يُجيش وأن يحشد من أجل السيطرة؟؟ الآن نحن نرى أنهم في هذه اللحظات -لا أتكلم مستقبلًا، لأن هناك ما هو قادم قد لا يكون سببه الحشد العسكري ولا السيطرة السياسية، ولكن من أجل الأكل والشرب! كما جاء الصليبيون إلى بلادنا- المشهد العالمي هو مشهد الاهتراء لهذه الدول.. الضربات التي وُجهت إليهم داخليًا، والفساد الذي يقع في داخلهم، وتوسعهم هذا التوسع الشديد الذي سيؤدي إلى انهيارهم؛ لن يرثوا.. لن يكون لهم القدرة على الوراثة.

نجدت دولة إسرائيل من قِبل العالم ليست كالسابق، العالم كله كان إذا تعرضت دولة يهود لحالة ما، ينجدها العالم كله! نحن رأينا عندما قامت حرب «٧٣» على ما فيها، في حرب «٧٣» أمريكا مدت جسرًا لإنقاذ إسرائيل! جسر كامل من كل شيء من الأسلحة والعتاد وو... إلخ، من الذي يملك من الغرب هذه القدرة على أن يحقق هذا اليوم في هذا الإطار العام عندما تقوم أمة مقاتلة، وأمة متحولة كلها إلى جنود وإلى مجاهدين؟ من؟!

(١) من هنا يبدأ مقطع الفيديو الثاني.

فإذن المشهد الإقليمي اليوم ينذر بأن السقوط قادم.. المشهد العالمي ينذر بأن القدرة على اتخاذ القرار ليس كالسابق، كينيدي قال لما خرج «غاغارين» وطاف حول الكون وطار في الفضاء، كينيدي قال لهم: أريد أن تنزلوا على القمر؛ الآن «ناسا» مُعوقة! لا يقدرون على دعمها لفخر أمريكا، فقط لفخرها، لا يستطيعون، ليس عندهم القدرة.. الحالة الاقتصادية منذرة بالسقوط والدمار الداخلي والفساد، لا يوجد عندهم القدرة على الإحياء، الجيوش تمشي على بطونها، تحتاج إلى مال، تحتاج إلى غذاء، تحتاج إلى طعام، تحتاج إلى كذا، أما نحن تعودنا على الجوع! ما الذي سنبكيه عند سقوط الدول؟! من الذي سيبكي الجوع؟ الناس في حالة جوع منذ سنين، يعني الترف هذا موجود على الأطراف، والأمة قادرة على أن تعود إلى حالة شظف العيش وإلى حالة ترك الترف.. هي جاهزة..

هذه الأمة.. إياكم! أنا أقول لكم كلمة -هذه على هوامش الأمور، لكنها تنبئك بالدراسة الصحيحة- أولًا: لا يوجد أمة في هذا الواقع أوعى من أمة الإسلام في القضايا السياسية ومعرفة ماذا تريد، الذين يتاجرون على جهل الأمة بالوعي هم جهلة لا يعرفون العالم! اذهب إلى الغرب تجد الجهل والغباء وكل شيء، عندهم إدارة واعية، الموجود هناك في الغرب إدارة واعية، وبقية الشعوب «غوييم» كما يقول اليهود!! جهلة من كل شيء.. لا يعرفون العالم.

أما أمتنا الآن تذهب إلى الشارع يعرفون من هم يهود، يعرفون من الذي سيحاربونه، يعرفون أعداءهم، لا تغركم هذه المفاسد الموجودة في المجتمع، هذه المفاسد من أسرع ما تزول، الأمة حين تغرق في الشهوات، خروجها من الشهوات هذا سريعٌ جدًا، بشهور تنقلب الأمة إلى مجاهدة وإلى أصحاب لحى وإلى عُباد، ورأينا البلاد من الجزائر، رأينا في الشام، رأينا في العراق، كيف أن الكفر أعمل ٢٠، ٣٠ سنة ٤٠ سنة عمله، ثم تنقلب الأمة في لحظات إلى حالة إيمانية، فالشهوات لا تضر، حالة الوعي عند الأمة من أعلى وأرقى درجات الوعي، لا تغركم هذه المظاهر! الشباب سهل جدًا أن يعودوا لدينهم، الوعي في الأمة أعلى درجات الوعي في العالم، اذهب إلى أي دولة وقارن أي دولة في أمتنا تجد الوعي عاليًا جدًا، بل الوعي عند الأمة في الحقيقة صار ضخما جدًا أضخم من المطلوب!! صاروا يعرفون الدقائق حتى الفلاسفة القدماء لا يخوضون فيها، والناس يخوضون فيها في أمتنا.

النقطة الثالثة: أنه لا يوجد أمة من الأمم اليوم تقدر على الحشد والتجييش كما هذه الأمة، والله لو فُتِح الباب الجهاد، انظروا إلى أبواب الجهاد وانظروا إلى كمية الشباب المتدفق إليها! فكيف لو فُتِح باب الجهاد إلى فلسطين؟! حينئذٍ المسألة ستكون غريبة، من الذي سيُقضى عليه؟! وسقوط الحالة الأمنية المنذرة عما قريب، سقوط الحالة الأمنية وانتشار حالة الفرح وحالة الخروج من سيطرة هذه القبضات إلى حالة الحرية التي تُصنَع بها النبوءات.

فما هو الذي نراه اليوم؟

الذي نراه: أن المسلم هو الوارث الوحيد، أن السقوط هو مرحلة زمنية فقط، وفي النهاية هذه الدول ستسقط، وأنها في نهاياتها، لم يبق شيء ما يحميها، لم يبق إلا جدار الوهم! بقي بين أمتنا وبين سقوط هذه الأنظمة التي تمنع حدوث الكرامة الكبرى بقيام دولة الإسلام وزوال دولة إسرائيل هو جدار الوهم فقط، بقي الوهم.. ما بقي شيء.. الوهم.

الوعي الحاصل.. القدرة على الحشد حاصلة.. اليوم بأيام وشهور تُصنَع الجيوش وتتغيّر الأحوال.

أرجو ألا أكون قد أطلت عليكم، ولكن هذه كلمات عامة لفهم واقعنا، يجب أن نقرأ الحالة الإقليمية قراءة صحيحة، ولا تقرأها فقط وتقول: أين الجماعات؟ الجماعات ستزول، من رحمة الله أنها ستزول، مرحلة الجماعات انتهت، مرحلة الجماعات انتهت وقد أدّت جهدها العظيم وبذلت، وفي الحقيقة أن مواقفها مشهودةٌ بالخير للجماعات، لكن في المرحلة القادمة ستزول هذه الجماعات وستقفز الحالة العامة التي تخوض بها الأمة خوضًا كليًا جماعيًا لتحقيق النبوءات العظمى..

أين نحن؟

نحن على أبواب تحقيق قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إلى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ [الإسراء: ٤]، هذه هي المرة الأولى، والمرة الثانية: عند الدجال، الدجال يهودي وسيحكم العالم، وستكون مرحلة قصيرة كما تعلمون، وأما الأولى ﴿وَقَضَيْنَا إلى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا

كَبِيرًا (٤) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا﴾ [الإسراء: ٤-٥]، هذه هو وقد تمّ الأمر الأول، ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا﴾ [الإسراء: ٥]، هم الاستعمار، وانتهت هذه المرحلة؛ والمرحلة الآن هي مرحلة الدخول عليهم وإقامة شرع الله وإزالة دولة يهود.

النقطة الأخيرة في هذا الباب وهي:

أن الناس لا يرون الصعود الإيماني، ويرون الفساد! وكلاهما حقيقة، يعني النبي صلى الله عليه وسلم ينبئنا بأن (**الساعة تقوم والروم أكثر الناس**).. هذه حقيقة، النبي صلى الله عليه وسلم ينبئنا أن (**الساعة تقوم وليس على الأرض رجل يقول: الله**)، هذه حقيقة، (**بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا**)، هذه كلها حقائق موجودة.. فالفساد ينتشر، ولكن الإيمان ينتشر أيضًا..

فانظروا إلى كمية العُبَّاد في رمضان!! حالة غريبة جدًا، انظروا إلى كمية العُبّاد في الحج، انظروا إلى صيام العشر من ذي الحجة أو التسع من ذي الحجة، -نقول العشر على صفة التغليب- انظروا إلى حالة العبادة.. هذه لا نعرفها!! اسألوا هؤلاء الشُيَّاب، لا تسألوا الشباب الذين لم يعيشوا إلا هذه المرحلة، ولا يعرفون ماذا كانت الأمة!! حالة العبادة التي تعيشها الأمة شيءٌ عجيب لم تشهده في السنوات التي مضت، لا في العشرين سنة ولا في الثلاثين سنة التي مضت، حالة عبادة ووعي في الأمة شيءٌ عجيب! انظروا إلى موقف الناس، نعم يوجد فساد شديد ولكن يقابله وعيٌ عظيم.. تعبُّدٌ عظيم في الأمة.. رغبة الشباب للجهاد..

وآخر منظر يجب أن يبقى حاضرًا في وعْيِنا من أجل فهم حركة الأمة، ما حدث في الأقصى، ولذلك أنا كتبت أنني لا أرى اليوم شابًا فاسدًا! أرى كل شاب أراه اليوم هو مشروع شهادة على أبواب الأقصى، شيء عجيب هذا الوعي الإيماني في الأقصى، في الوقوف أمام قرار يهودي، أسقط الأنظمة!! الأنظمة ساقطة.. لم يستطيعوا إلا بصورة هزيلة مضحكة أضحكت البشر عليهم أن يتدخلوا وأن يستثمروا النجاح، لكن من الذي وقف؟ هؤلاء الشباب.. هؤلاء النسوة.. هؤلاء العظماء..؛ فهذه حالة تنذرنا على مقدار ما ستحدثه الأمة من عَظَمة إذا سقطت هذه الأنظمة، هذا هو الحال الذي أتكلم عنه، إذا سقطت هذه الحالة الأمنية، وهذه ستسقط من الداخل وسيستثمرها أهل الجهاد.

أهل الإيمان يعيشون على حماقات خصومهم!! موسى عليه السلام انتصر على فرعون بحماقة فرعون!! عندما خرج، تخلّص منه، موسى وقوم موسى مشكلة لك.. خرجوا.. اتركهم، لكن حماقة وغرور فرعون أدّى به إلى هلكته وانتصار موسى عليه السلام، لحق به يريد أن يُبيِّن عظمته وقوته وقدرته، كما فعلت قريش في بدر.. لم حصلت بدر؟؟ بدر حصلت بحماقة قريش!! أصرّ رأس الجهل وعدو الله أبو جهل أن يذهب إلى بدر ويشرب الخمر وتُغنِّيه القِيَان وتتسامع العرب بشأنه، حماقة الخصوم هي التي تنصرنا!! يجب أن نقرأ في التاريخ هذا جيدًا.

فالله عز وجل يحقق النصر من حماقة الخصوم.. الخصوم الآن –انظروا إليهم– كلما ازدادوا ضعفًا كلما ازدادوا صراخًا وغرورًا وإقبالًا على تحدي الأمة وعلى تحدي قدر الله عز وجل!! والأصل هو العكس، كلما ازددت ضعفًا كلما ازددت حكمة وتأنِّيًا في اتخاذ القرارات لأنك ضعيف!! هؤلاء الآن انظر إليهم، إلى تبجحهم، انظر إلى الأنظمة الطاغوتية في عصرنا، أنظمة مهترئة.. الناس ينفضون عنها.. وكل يوم يزدادون انكشافًا وظهورًا لأمتهم بأنهم كفرة مجرمون.. وهم يزدادون عُتُوًّا!!

يعني الربيع الذي يُسمى بالربيع العربي، وهو كذلك.. لا تلتفتوا إلى من يحاول تقليل قيمة ثورات الأمة ونهوضها من أجل إسقاط أعدائها من الحكام، كان ينبغي عقلًا أن يرتدع الطغاة فيتراجعون، لأنهم يعلمون أنه إذا خرجت الشعوب أسقطتهم ولن تنفعهم لا كثرة جهات الأمن المسيطرة عليهم من قِبَلهم ولا الجنود سينفعونهم، سيسقطون.. سيسقطون بالرعب، ومع ذلك ازدادوا غرورًا!! وازدادوا كفرًا!! وازدادوا عُتوًّا وظلمًا وإجراما!!

فرعون جاهل، لا تظنوه حكيمًا!! قريش جاهلة، لا تظنوها حكيمة، عندما تأتي خصومتها مع الحق!! فرعون جاهل عندما يكون خصمه الحق!! خصومنا حمقى، وكم، وكم أخطأوا، ولكن بسبب القيود الأمنية، وبسبب تفتت الأمة وعدم معرفتها بأنها هي الموجّهة إليها الأمر، هذه مسألة مهمة، حادثة الأقصى على ماذا تدل؟ تدل على أن الأمة لم تعد تثق بحكامها من أجل أن يقوموا بواجباتهم تجاه أمتهم، هم تولوا القيادة، لا يوجد أحد ينتظر حاكمًا ليحل المشكلة، لا عبد الناصر، ولا صدام، ولا كل حكام العرب الذين كانوا يجعجعون: سنأتي نحرركم!! الأمة علمت أن هؤلاء هم جزءٌ من المشكلة، وليسوا هم حل المشكلة!

هذا الوعي العظيم حصل في الأمة اليوم، ولذلك هذا الأمر يجب أن نفهمه فهمًا صحيحًا، دعكم من اليأس، اليأس ينشأ من قراءتنا المبتثرة لذاتنا، قوتنا في حماقة خصومنا، قوتنا في أن الوعي قد انتشر في الأمة، قوتنا في أننا ثبتنا ولم يستطع أعداؤنا سحقنا سحقًا كليًا كما كانوا يفعلون في السابق، الثبات على المشروع الذي نعيشه هذا قمة الوعي وقمة النصر، لا يستطيعون سحقنا الآن، لا يستطيعون الآن، لم يستطع الأمريكان سحق طالبان!! لا يستطيعون سحق الأمة لا في مصر ولا في ليبيا ولا في اليمن، هؤلاء موجودون، فلذلك التاريخ معنا والمستقبل معنا.. المستقبل القريب.

أين نحن؟؟

نحن على أعتاب النبوءات العظمى، فسطاط الإيمان يتكون تكونًا تامًا، الجماعات الفاسدة الساقطة تتهاوى وتنقلب إلى الردة والزندقة، الذين كانوا يتخوفون من الدم ويتخوفون من انحياز الأمة والوقوف، خلاص حسموا أمرهم لما رأوا من بغي أعدائهم وعدم رحمتهم بهذه الأمة، انتهت هذه الأمور.

أرجو أن أكون قد قدرت أن أوصل ما في قلبي، وإن كانت التفاصيل في كل جملة تحتاج إلى كتاب، يعني قراءة الواقع، لا أستطيع أن أتكلم، لو أحضرت لكم هذه الدولة الفلانية من الدول الإقليمية، ما هو حالها؟ اقرأوا.. وهذه الدولة.. وهذه الدولة.. هذه تحتاج إلى مجلد، قراءة الواقع الغربي يحتاج إلى مجلد، قراءة الواقع الإقليمي الجهادي يحتاج إلى مجلد، فأنا فقط ما قلته مع أنه طويل ولكنه لم يضع إلا النقاط فقط!!

جزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

٥٤- وقوع الإجماع بعد الخلاف حجة من يقول بعدم الخروج على الحاكم الظالم

ضمن الجلسة الثامنة، بتاريخ: (**١٦/١٢/١٤٣٨هـ الموافق لـ: ٧/٩/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

في اللقاء السابق في الأجوبة والأسئلة، كان الحديث عن تصور الإجماع بعد الخلاف، وهل وقع إجماعٌ بعد الخلاف؟ وقلنا: نعم وقع، ومثلنا بأمثلة كثيرة؛ وأحد الأخوة جزاه الله خيرًا نبه على أمرٍ مهم وقال: بأن هذا الأمر -وهو وقوع الإجماع بعد الخلاف- هو حُجة من يرى عدم جواز الخروج على الحاكم، تحتج به جماعات بأن أهل السنة قد أجمعوا بعد ذلك؛ يقصد: هناك خلاف ذكره ابن حزم في الفصل... ذكر علماء وصحابة، وذكر تابعين وغيرهم، على أنهم خرجوا -كما في فتنة عبد الرحمن بن الأشعث- خرجوا على الحاكم الظالم، قال: ثم استقر الإجماع بعد ذلك على عدم جواز الخروج على الحاكم الظالم؛ فقال: هل هذا يعني من نفس الوجه الذي تكلمت عنه فيما أنه إذا وقع الإجماع بعد الخلاف استقر الإجماع ولا يجوز خلافه؟

جواب الشيخ: للرد على هذه الشبهة:

أولاً: الإجماع مبناه على النص، لا بد أن نحرر المسألة:

العلماء قرروا بأنه لا وجود لإجماعٍ بلا نص، لا وجود، وذكر هذا الشافعي رحمه الله، وذكر هذا ابن حزم رحمه الله: بأنه لا يتصور الإجماع بلا نص، بعد ذلك هل تصبح الحجة بالإجماع أم بالنص؟ هذه مسألةٌ أخرى، وفيها خلاف، فمثلاً: الغزالي في «المستصفى» يرى: بأن الاحتجاج بالإجماع أولًا ثم بالنص، وهذا كلامٌ سديد، ويرى ابن تيمية رحمه الله أن النص يبقى هو الحجة ثم يأتي الإجماع، وهذا كلامٌ سديد، يعني أنا لا أرى هذا الفارق الكبير بين قول الغزالي وبين قول ابن تيمية، فإن المسألة مبنية فقط على منهج الطرح وليس على العاقبة والنتيجة والنهاية، لكن ولا شك أن الإجماع يجب احترامه.

وهنا مسألة مهمة جدًا: انتشر القول بنفي الإجماع الأصولي على الكلمة التي نسبت إلى الإمام أحمد رحمه الله: «من ادعى الإجماع فقد كذب»، وهذه كلمة تحتاج إلى تحرير وإلى بسط، ربما نقف منها موقفًا سريعًا،

وسبب هذه الكلمة ينبئنا عن معناها... وهذه الكلمة «أن سبب الكلمة ينبئنا عن معناها»، هذا شيءٌ مهم.. لا نريد أن ندخل في النص، هل سبب النزول يُقيد المعنى ويخصصه، هذه مسألة من مسائل الأصول، وهذه ليست هي المسألة التي بين يدي طلبة العلم: أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ليس هذا.

الشافعي رحمه الله يرى: أن سبب النزول يخصص اللفظ ولكن لا يقصره على الحالة، إنما يقصره على مثيلاتها من العلة الموجبة لهذا النزول لهذا اللفظ أو لهذا الحديث أو لهذه الآية؛ وهذه مسألة طويلة لا أريد أن أخوض فيها، ربما في كتب الأصول يجدها طالب العلم مبيَّنة ومشروحة، ولا شك أن كلام الشافعي رحمه الله في هذا الباب متين وجيد، وإن خالفه كثير من أهل العلم في هذا الباب.

نرجع إلى ما بين أيدينا من هذا الأمر وهو: أنه لا يُتصور إجماعٌ بلا نص، وذكر ابن حزم بأن الشافعي قال: «لم أرى إجماعًا بلا نص إلا لمسألة المضاربة والقِراض»، وهذه الكلمة في الحقيقة فيها نظر في نسبتها إلى الشافعي، والشافعي أجّل من أن يقول هذا الكلام، وربما لم يرى النص بالمعنى الصريح؛ وإن كانت المضاربة والقراض -كما هو معلوم- هي صيغة معاملة في الجاهلية والإسلام، هي أغلب الصيغة، يعني النبي صلى الله عليه وسلم شارك أمنا خديجة بالمضاربة والمشاركة، والعرب يعرفون هذا، ولكن ربما الشافعي له في أن التصريح به بلفظ أو بقول من النبي صلى الله عليه وسلم، ربما بهذا، ولكن ولا شك أن القِراض واردٌ في الكتاب والسنة، بل هو إحدى العقود، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]، وهذا عقدٌ من العقود لم يأت نصٌ بتحريمه فيبقى على حله، خلافًا لابن حزم الذي يقول: أن الأصل في الشروط والعقود الحرمة، وهذا خلاف كلام جماهير أهل العلم.

فإذن ما الذي يحدث؟ يحدث أن يختلف الناس في شيء في زمن الصحابة مثلًا.. من أسباب هذا الاختلاف: عدم بلوغ النص، فيبلغ النص، ذكرنا مثل ذلك مع ابن مسعود رضي الله عنه في قضية إنكاره -على هذا القول، مع تأجيل الكلام فيه- أن ابن مسعود أنكر المعوذتين!!... ثبت النص.. فحينئذٍ انتهى الخلاف؛ ابن عباس رضي الله عنهما كان يرى جواز الصرف.. ربا الفضل!! فجاء النص مبينًا حرمته؛ فانتهى الأمر، وانتهى الخلاف، النص هو الذي رفع الخلاف فحصل الإجماع، إذن النص هو الذي أنشأ الإجماع، وقضى على الخلاف.

المسألة الثانية التي ينبغي النظر فيها في هذا الباب هي: أن العلماء يمنعون في هذه المسألة التي بين أيدينا، إنما يمنعون من أجل المصلحة والتقدير وليس بالنص، يعني لما رأوا أن الناس يسيرون باتجاه فخالفوهم، ومن ذلك -أنا أمثل من أجل التمثيل، لا من أجل أن أبيّن أن القول صواب أو خطأ- يعني المذكور -كما في صحيح مسلم- من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن الطلاق بالثلاث في لفظٍ واحد، كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم بكذا وكذا، وكذا.. في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله عنه وصدر من عهد عمر رضي الله عنه أنهم كانوا يجرونه طلقة واحدة؛ فقال عمر رضي الله عنه: تولى أكثر الناس في هذا.. نوليهم ما تولوا.. فمنعه؛ فالذين رأوا أن منع عمر مبني على المصلحة -كما هو قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وتلميذه ابن القيم- رأوا: أن عمر رضي الله عنه منع الطلاق من أجل المصلحة، فإذا تخلفت المصلحة عاد الحكم إلى ما كان عليه؛ بل يقولان -هذان الشيخان رحمهما الله-: أن المصلحة اليوم تقتضي عدم إعمال هذا، لانتشار ما يسمى «التيس المستعار» في زمانهما، لأنه لما أكثرنا تطليق الناس التفوا على الطلاق بالحيلة المشهورة التي هي «التيس المستعار»، فإذن هذا رفع.. لو قلنا: حدث الإجماع بقول عمر، فحدث من أجل المصلحة، لو تخلفت المصلحة لعاد الحكم إلى ما كان عليه.. لو قلنا بهذه الصيغة.

المسألة الثالثة في هذا الباب، وهي: تحرير الكلمات، تحرير المعاني، هل حدث الإجماع حقًا؟؟ هل أهل السنة مالوا إلى هذا القول وصاروا يفتون به، يفتون به ولا يرونه إجماعًا إذا خالف فيه المرء ناقض معلومًا من الدين بالضرورة؟ هل عدم معرفة الخلاف أو انتشار الأمر يؤدي إلى القول بأنه إجماعٌ يقيني؟

إذا حررنا هذه المسائل الثلاث، نجد أنها غير منطبقة على ما نحن عليه في قضية الخروج على الحاكم الظالم، والحاكم الفاسق، والحاكم الفاجر، والحاكم المعطل لشرع الله.

في واقعنا المسألة ليست كذلك، مع كل هذا الذي قلناه، المسألة التي بين أيدينا ليست كذلك، إنما الحديث عن الحاكم الكافر، الحاكم المعطل لشرع الله، الحاكم الذي عطل مقصد وجوده: من إقامة شرع الله، وإقامة العدل، ودرء الفساد، وإقامة الجهاد، وو... إلخ، فللأسف حمل المسألة المعاصرة من إجماعٍ متيقن وهو: أن العلماء أجمعوا على وجوب الخروج على الحاكم الكافر وتغييره لإقامة شرع الله، حملوا هذه المسألة إلى الخلاف حول حاكم مختلف فيه، أو أنه حاكمٌ مسلمٌ ومستقر وهذا الحكم له، ولكنه ظلم وفجر وأخذ المال وسلب

العدل إلى غير ذلك.

الواقع أننا أمام حكام كفار من وجوهٍ مجمع عليها، يعني الحديث الآن عن تغيير الشريعة وتبديلها، وتقنين التشريعات المخالفة لشرع الله بحيث تأتي بمعنى التشريع، ما معنى التشريع؟ تسمية الحلال حرامًا والحرام حلالًا، وتسمية الشيء حلالًا وتسمية الشيء حرامًا، هذا هو التشريع، أن تقول: هذا شيءٌ حلال، هذا تشريع، وأن تقول: هذا شيءٌ حرام، هذا تشريع، فتسمية الشيء حلالًا ونزع حكم الحرمة عنه، هذا تشريع، وتسمية الشيء حرامًا ونزع الحل عنه، هذا تشريع.

فإما أن تقوله من جهة: ما دليلك؟ الله يقول كذا، وإما أن تقول هذا من جهة نفسك؛ فالتشريع كفر على خلاف شريعة الله عز وجل، وإيماني إذا نسبته إلى الله عز وجل على معنى الاجتهاد العلمي، يعني غير مخالف لما هو يقيني.

إذن الدعوى أن الإجماع انعقد عند أهل السنة على عدم جواز الخروج على الحاكم الظالم، أولًا: هذا الإجماع مبني على المصلحة وليس على النص على ما تقدم، وإنما كما قال ابن حجر: إنما حدث هذا -ليس الإجماع وإنما الإفتاء، والإفتاء غير مسألة الإجماع- أنهم صاروا بعد فتنة ابن الأشعث يفتون بعدم الخروج؛ لما رأوا من كثرة القتلى، وأصابتهم ردة نفسية لما كثر من قتلى أهل العلم وفجور الحجاج في القتل والفساد وتشرد العلماء، حتى كتب عبد الغني المصري رحمه الله كتابًا سماه «المتوارون من الحجاج»، لكثرة من هرب منه ولكثرة ما قتل، فلذلك صاروا يفتون بعدم الخروج للمفسدة.

هذا كله لما تقدم بأنه لا يدخل فيما نحن فيه مسألة الإجماع، فليس إجماعًا، لأنه ليس إجماعًا مبنيًا على النص، النص باقٍ في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويدخل في هذا المعنى، وتغيير المنكر يدخل في هذا المعنى؛ ولذلك بقي العلماء يفعلون هذا، يعني الإمام أحمد يمدح أحمد بن نصر رحمة الله عليه، لما كثر في بغداد الطرار وكثر الفاسدون، فخرج وجمع أهله وقبيلته وأهل العلم، وجعل يصلح، وعده بعض أهل العلم خروجًا عن سيطرة الحاكم، مع أنه لم يفعل هذا.

فالخروج على الحاكم إذا أمكن بما يتعلق الفساد بمجموع الأمة، وتعلق الفساد بالأمة، فالخروج عليه جائز، وحينئذٍ ينظر العلماء فيما هو أسلم: الخروج أم الترك؟ ولكن إذا خرج الحاكم عن شرع الله وكفر، فحينئذٍ: يوجد

الإجماع بوجوب الخروج عليه.

هذا وبالله التوفيق وجزاكم الله خيرًا.

٥٥- الفرق بين إرجاء الفقهاء وغلاة المرجئة

ضمن الجلسة الثامنة، بتاريخ: (**١٤٣٨/١٢/١٦هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/٩/٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

هناك سؤالان ربما نستطيع أن نجملهما في سؤالٍ واحد، يسأل الأخ: حول الفرق بين إرجاء الفقهاء وغلاة المرجئة؟ وأما السؤال الآخر: في أن أركان الإيمان قولٌ وعمل، لو سقط أحد هذه الأركان هل يكفر المرء؟ أظن هكذا.. فهما سؤالان، لكن يجمعهما معنى واحد.

جواب الشيخ: هذا الأمر شُرح كثيرًا، والآن صار من المشتهر بين الناس لكثرة البيان والشرح، ولله الحمد.

ما هو الإيمان؟؟ هو: قولٌ وعمل.. وهنا أنبه -وقد نبهت عليه كثيرًا- بأن بعضهم يقول: الإيمان قولٌ باللسان، وعملٌ بالأركان، واعتقادٌ بالجنان، هذه كلمة غير صحيحة.. هذه كلمة متأخرة وغير صحيحة، ولا تستوفي معنى الإيمان كما قال السلف، السلف قالوا: قولٌ وعمل، وبعد ذلك جاءت الشروح فزادوا عليها؛ مع أن معنى «القول» هو: قول اللسان وقول القلب، و«العمل» هو عمل الأركان وعمل القلب.

فالقلب له القول والعمل، القول المقصود به العلم، الذي يسمى بالاعتقاد، ويسميه العلماء بالعلم، وعمل القلب هو إراداته للطاعة، من الحب والبغض، الولاء والبراء، الخشية.. الخوف.. الإخبات؛ فهذه أعمال القلوب وذكر القلوب..

والعلم هو الأخبار، الأخبار الإلهية وكيف يتلقاها القلب فيعلمها معتقدًا بها مقرًا بها، ولكن حين نقول: «اعتقاد الجنان»؛ فقد أخرجنا عمل القلب.

عندما نقول: الإيمان قولٌ باللسان وهذا صحيح، وعملٌ بالأركان وهذا صحيح، ولكن: «اعتقاد الجنان» أخرجنا عمل الجنان، ليس عمل القلب فقط هو الاعتقاد، ولكن هناك أعمال تعبدية، وهي أصل الأعمال، وأحب الأعمال إلى الله، هي الأعمال التعبدية القلبية؛ والأعمال الظاهرة ليس لها قيمة إلا بمقدار ما في القلب من منبتٍ لها وأصلٍ لها.

الإرجاء، إرجاء الفقهاء، يعني الأمر يسير جدًا في إرجاء الفقهاء، يلتقون مع أهل السنة في النهايات وإن اختلفوا في التفسير.

المشكلة: أن علم الكلام أفرز معالم باطلة في الأمة، فإذا قلنا: الإيمان قولٌ وعمل، فهم عندهم –عند المناطقة– بأن تخلف جزء من المعرف يبطله؛ لأنه ركن منه.

طيب.. إزالة العمل؟ فقالوا: بأنه إذا أزيل بعض العمل يؤدي ذلك إلى الكفر، وهذا اعتقاد الخوارج، لأنه من الإيمان عند أهل السنة: الواجبات والمستحبات، هذه أعمال إيمانية وهي من الإيمان، الصلاة ركن، فتركها يؤدي إلى نقض الإيمان كله، لكن بر الوالدين، هو من الإيمان، فإزالته إزالة واجب من واجبات الإيمان ولكن لا يؤدي إلى إزالة أصل الإيمان، والمناطقة يقولون: بأنه إذا أدخلنا بر الوالدين في الإيمان، فتخلُف بر الوالدين عن الإيمان يؤدي إلى زوال المعّرف، وهذا شروط المناطقة والمتكلمين في التعاريف.

فمن تأثر بمثل هذه الدعاوى أدى به ذلك إلى القول بالإرجاء، وهو إزالة هذه عن الإيمان وإبقاء الأركان، الركن هو الإيمان، فلذلك وقعوا في أخطاء كثيرة..

الإرجاء مراتب كثيرة جدًا، يعني لو ترجعوا إلى «مقالات الإسلاميين» لأبي الحسن الأشعري، فرق الإرجاء عنده كثيرة، هناك من يرجئ القول، هناك من يرجئ العمل، ولا أحد يرجئ الاعتقاد، لأن الإيمان هو التصديق عندهم، ولكن اختلفوا في الظاهر والباطن، لو أن رجلاً أعلن بظاهره ما ليس في باطنه، أو قال في باطنه ما لم يذكر وخالف في ظاهره أو لم يقله في ظاهره؛ فحينئذٍ ها هنا الإرجاء، فالإرجاء هو تخلف إحدى هذه الأركان.. تخلف.

إرجاء الفقهاء يسيرٌ جدًا، إرجاء الفقهاء أنهم قالوا: بأن هناك أعمالا لا تكون كفرًا بذاتها، لأنهم قصروا الإيمان على التصديق، فجعلوا الأعمال دلالة على التصديق، جعلوا الأعمال التي حكم الشارع بكفر صاحبها، لا أنها كفرٌ بذاتها ولكنها دلالة على عدم التصديق؛ فحكموا بأنها كفر على هذا المعنى، لا لأنها كفر بذاتها ولكنها دلالة على عدم التصديق؛ لأن الإيمان عندهم هو التصديق.

مثال ذلك: السجود للصنم، السجود للصنم عندهم ليس كفرًا بذاته، ولكنه دلالة على الكفر، هذا هو

إرجاء الفقهاء، هم يقولون: كفر، يحكمون عليه بأنه كافر، من سجد للصنم فإنه يكفر، نعم تأتيهم مزالق، من سجد للصنم وهو لا يعتقد، تأتيهم هذه المزالق، وهم يخرجون منها بطرق فقهية معروفة، لكنه لو سجد رجل -عندهم- وهو غير معتقد بربوبية هذا الصنم أو بألوهيته، فهل يكفر أولا يكفر؟؟ هذه مسألة أخرى عندهم، بعضهم لا يتصور هذا أبدًا، يقول: لا.. هو يكفر؛ لأنه لا يتصور السجود بلا اعتقاد، لا يتصور، فإن فعلها هازلاً فيقول: لأن هزله دل على عدم التوقير، والتوقير أمرٌ قلبي، جزءٌ من التصديق.

القصد من هذا: ما هو إرجاء الفقهاء؟؟ إرجاء الفقهاء: أن هناك أعمالاً سماها الشارع كفرًا، وهي لا تكون كفرًا بذاتها، ولكنها كفر؛ لأنها دالة على الكفر الباطني.

ومن ذلك: من أهان القرآن، رجل أهان القرآن، فهذا يكفر عندهم، فهل إهانة القرآن كفر بذاتها أم دلالة على الكفر؟ فقالوا: بل إنها دلالةٌ على الكفر، لأنها دالة على عدم اعتقاد بأن القرآن هو من عند الله، انظر، هذا الكلام يسير.

ونحن رأينا عجبا: أن المتهمين بإرجاء الفقهاء -كالأحناف- نجد عندهم التوسع في قضية التكفير، ونجد عندهم التكفير باللزوم؛ يعني كأنهم هربوا من قضية الإرجاء بأننا نحن نكفر حتى أكثر مما تقولون، بلا شك أن هذا المعنى يكون كامنًا في النفس ولا يصرح به؛ ولذلك هم يكفرون بمكفرات لا يرضاها غيرهم من غير المرجئة، ومن ذلك احتقار العالم، احتقار العالم عندنا ليس كفرًا، لكنهم يعتقدونه كفر، لأنه عندهم دال على ما ذكرناه.. أنه دال على عدم احترام العلم، وعدم احترام العلم كفر لأن العلم من الله، فدل على عدم اعتقاد صوابه، وهكذا.. هذه اللوازم عندهم، وسبب ذلك قاعدتهم في أن الفعل ليس كفرًا بذاته ولكنه دال على الكفر، فيمكن أن يلحق به أعمال ليست كفرية ولكنها دالةٌ على الاعتقاد والكفر، هذا هو إرجاء الفقهاء باختصار.

هل الخلاف لفظي كما يقول بعض أهل العلم؟ الخلاف ليس لفظيًا، لأن مبناه على تصورهم للإيمان -تصور مرجئة الفقهاء للإيمان- أنه التصديق، فيلحقون كل عملٍ مكفر لعدم التصديق.

أما أهل العلم فيقولون: بأن هناك قول يكفر به المرء، وهناك عمل يكفر به المرء، وهناك اعتقاد يكفر به المرء، وهناك عمل هو ركن من أركان الإيمان، وهناك عمل هو واجب من واجبات الإيمان، وهناك عمل هو مستحب من مستحبات الإيمان، فمن نقض ركنًا من أركان الإيمان العملية يكفر، كترك الصلاة مثلاً، وهناك

اعتقادٌ على هذه المراتب، وهناك قول كذلك على هذه المراتب.

وهناك أقوال هي ركن كالشهادة، فمن لم يشهد -وهو قادر- فهو كافر؛ وهناك أقوال من الواجبات مثل القيام في الصلاة -واجبات من واجبات الصلاة- أو الصلاة على النبي -عند من يرى الوجوب- عند سماع الأذان عند من يرى وجوب الترداد وراء المؤذن، كما يراه الشافعي؛ وهناك مستحبات من الذكر، كمن عطس فحمد الله.. هذا مستحب له.. كرد السلام ابتداءً.. هذا مستحب عند جمهور أهل العلم.

القصد من هذا: أن أهل السنة يرون الأقوال القلبية، والأعمال القلبية، والأقوال اللسانية، والاعتقادات القلبية، هذه منها ما هو ركن، ومنها ما هو واجبٌ ومن منها ما هو مستحب.

يبقى السؤال الثاني: هل ترك قول أو عمل.. ركن قلبي أو عمل قلبي.. أو عمل جارحة.. أو اعتقاد القلب.. أو قول أو عمل بما شرحنا، هل يكفر؟؟

الجواب: نعم، من ترك ركنًا من أركان الإيمان، سواء كان قوليًا أو عمليًا، فإنه يكفر، فكيف لو ترك العمل بالكلية؟!! أو ترك القول بالكلية؟!! لو أن رجلاً لم يشهد شهادة التوحيد فهذا لا يكون مسلمًا، شهادة واحدة، فكيف لو ترك أركان الإيمان القولية والقلبية؟!! كيف لو تركها؟!! فإنه يكفر.

فبالتالي؛ «الإيمان قولٌ وعمل» فمن ترك القول فقد كفر، ومن ترك العمل فقد كفر، لماذا؟؟ الجواب يسيرٌ جدًا: لأن هناك من الأقوال ما هو ركن، وهناك من الأقوال ما هو واجب، وهناك من الأقوال ما هو مستحب، فحين نقول: ترك القول، يعني ترك الأركان، ترك ركنًا من أركان الإيمان، وترك الركن ولا شك أنه مكفر، والله تعالى أعلم.

جزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

٥٦- صفة التعجب لله عز وجل

ضمن الجلسة الثامنة، بتاريخ: (**١٦/١٢/١٤٣٨هـ الموافق لـ: ٧/٩/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل أخ عمَّا ذكرتُه في دروس شرح أسماء الله الحسنى، عندما تكلمت عن صفة التعجب لربنا عز وجل، أن الله يعجب، فيقول أخ حفظه الله في مسألة التعجب والفرح: كيف يفرح الله عز وجل وقد جف القلم، وقد علم من هذا العاجز الذي هو الإنسان أنه سيفعل ما يفرحه جل في علاه؟!

جواب الشيخ: التعجب صفة مبناها في أصلها على عدم التوقع، ينشأ منها الفرح، وينشأ منها الإعراض، ولكن أصلها ومبناها على أن هذا غير متوقعٍ منه، وعدم التوقع مبناه: إما على الجهل وإما مبناه على أن هذا الفعل لا يأتي من مثله.

إذن هذا الذي نقوله: بأن صفة التعجب تنشأ من عدم التوقع، شيء تتوقع منه أمرًا فيقع عكسه، لماذا يقع عدم التوقع هذا؟ سببه: إما أنك تجهل هذا الشيء ولا تعرفه، وهذا ممتنع في حق الله عز وجل؛ لأن الصفات التي ينسبها ربنا عز وجل لنفسه وينسبها رسولنا صلى الله عليه وسلم له هي حُسنى من كل وجه، وحيث أنها حُسنى من كل وجه فلا يجوز طروء الضعف والشر عليه، ولذلك هي حُسنى والشر ليس إليه، ولا يأتي منه جل في علاه إلا الخير، وأنه سبحانه القدوس، والقدوس يعني البراءة من النقص، تقدست أسماءه.. تقدست ذاته.. تقدست أفعاله، فلا يقع منه جل في علاه النقص وما يعيب.. سبحانه، فله صفة الجمال، وله صفة الكمال.

إذن أن يقع التعجب لجهلك بالمرء؛ أن يأتي منه هذا الأمر فأتى بخلافه، فبسبب جهلك لهذا الموضوع ولهذا الفاعل، فهذا لا يُتصور في حق الله عز وجل، هذا يُتصور في حق المخلوقين، أنت تتوقع أن هذا الطريق ليس فيه ماء لأنه صحراء قاحلة مثلاً، فتتعجب أن فيه ماء، أو يأتيك شخص ضعيف البنية، فأنت تتوقع منه الهُزال وعدم القدرة على حمل الأثقال، فيأتيك بشيءٍ غير مُتوقع، فهذا لا يُتصور في حق ربنا عز وجل، لكن أن يأتي الشيء على من غير مثيله، فأنت ترى أن هذه السنة مطردة على شيء، فيقع على خلافها، فأنت تعجب، لا عجب الجهل بها، ولكن عجب عدم التوقع منه لأنه على خلاف مثيله، فهذا هو التعجب في حق الله عز

وجل.

(**إن الله عز وجل ليعجب للشاب ليس له صبوة**)، أمثال هذا الشاب تكون لهم صبوات وليس صبوة واحدة، فالله عز وجل يعلم أن الناس يقع منهم هذا الفعل، وهذا الشاب لإرادة الطاعة ومحبة الخير وذكر الدار الآخرة، لا يقع منه هذا الفعل؛ فربنا يعجب؛ ليس لأنه توقع منه غير هذا، ولكن لأنه جرى منه هذا الفعل على غير ما جرى من أصحابه وأترابه وأمثاله، فهذا هو التعجب الذي هو في حق ربنا عز وجل، دائمًا علينا أن ننظر إلى المسألة باعتبار قواعدها العلمية.

التعجب الوارد في السنة من قبل ربنا عز وجل، هو تعجب مبناه على الاستحسان، أي أن الله عز وجل يستحسن هذا، فهو تعجب استحسان لا تعجب دهشة، فالدهشة هي التي تتم فجأة من غير المتوقع، والله عز وجل علمه سابق لما سيكون، فلا يقع منه الدهشة، ولكن يقع منه الاستحسان على ما تقدم ذكره، أي أن هذا الفعل جرى منه على غير ما جرى عليه نظراؤه، هو يعلم أنه سيقع منه هذا، ولكنه يعلم كذلك بأن هذا الذي جرى منه جرى على غير ما عليه نظراؤه، فهذا هو المعنى.

لمزيد فائدة في هذا الباب نقول: إنَّ الكلمات في أغلبها -كما يقول علماء اللغة- محمولةٌ على الظاهر، والظاهر هو مرتبة ثانية من مراتب الدلالة -قوة اللفظ في دلالته على المعنى- بعد النص، هناك مراتب أعلى من النص، المحكم والمفسر عند الأصوليين، وخاصةً الأحناف، وغيرهم؛ ولكن النص هو: ما لا يتصور في اللفظ إلا معنى واحد، الظاهر لا، الظاهر فيه معنى أكبر وأقوى، ولكن فيه كذلك معانٍ أخرى، معانٍ أخرى في داخل هذا اللفظ، هذا مشروحٌ بكثرة في كلام أهل العلم، ولكن هنا أُبسطه، وقد ذكرته مرارًا، ولكن لا بأس أن أعود إليه مرةً بعد مرة.

لو تصورنا أن الكلمة كرة، فيها لونٌ واحد لا لون سواه، فحينئذٍ يكون هذا اللون هو النص، كالأعداد مثلاً: أربعة، لا يتصور إلا حقيقة واحدة؛ ولكن الكثير من الكلمات العربية تحمل على مرتبة الظاهر، يعني لو تصورنا أن الكلمة كرة ففيها لونٌ غالب وفيها ألوان متعددة داخلية، فهذه يمكن فيها استخدام هذا اللفظ بهذه المعاني الداخلية الفرعية في داخل هذه الكلمة، يمكن.

ومثال ذلك وهو أشهر مثال في كتب الفقه: الجار في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (**الجارُ أَحقُ**

بشُفْعَتِهِ) أو **(الجارُ أَحَقُّ بسَقَبِهِ)**.

«الجار» عند الناس مفهوم معنى لفظها، الجار من هو؟ النبي صلى الله عليه وسلم أوصى بالجار، والمذكور كلمة «الجار» وهو من كان في جوار المرء ما كان قريبًا منه في السكنة، فلو كان مشاركًا له، هل يمكن إطلاق لفظ «الجار» على معنى الشريك؟ هو مجاور له.. الجواب: نعم؛ وقد شرح ذلك الإمام الشافعي رحمه الله عند شرحه لهذا الحديث، وأتى ببيت الشعر المشهور للأعشى: «أيا جارتا بيني فإنك طالقة»، يا جارتا أي زوجته، فسمى الزوجة جارة له.

هل هذا المعنى أصلي في داخل الكلمة؟ الجواب: نعم.. لكنه ليس الأغلب، ولكن استخدم لأحد المعاني؛ لأن الشريك هو أولى الناس بدخوله في معنى الجار، والزوجة كذلك هي أولى الناس بدخولها في معنى الجار لأنها مجاورة له تعيش معه في نفس البيت، وإن كان الأغلب عند إطلاق كلمة «الجار» على غير ذلك.

إذن استخدمنا هنا اللفظ بأحد معانيه وهو الشريك أو الزوجة؛ فلذلك **(الجارُ أَحَقُّ بسَقَبِهِ)** محمولٌ على هذا المعنى، لأنه **(إذا حُدَّتِ الحُدُودُ وعُرِفَتِ الطُّرُقُ فلا شُفْعَة)**، إذن الشفعة لمن؟ تكون للمشارك لك في مسيلك –مسيل المال–، ونفس المدخل للبيت، فهو على معنى الشريك، يعني الآن في العمارة الواحدة، لأن المدخل واحد والمياه واحدة، فهذا يدخل في الشفعة، لكن الجار الملاصق لك في بيتك ومدخله غير مدخل بيتك، فحينئذٍ لا شفعة، هذا لمن يقول بذلك، وهو القول الأصوب والأقوى.

القصد من هذا: مثلنا بأن كلمة «الجار» كلمة معروفة في معناها، ولكن دخل فيها معان تحتمل هذا المعنى كالزوجة والشريك، هذا شيءٌ مهم في أن نفهمه في كلام العرب وأن نفسره، وأن نفسر به كلام النبي صلى الله عليه وسلم.

والعلماء يقولون: إن أغلب لغات العرب تحمل على الظاهر، ولذلك فيها معنى ما يسمى أصوليًا –وليس على معنى أهل العقائد– «التأويل».. التأويل عند علماء الأصول يعني الاجتهاد؛ بمعنى حمل اللفظ من معناه الأغلبي إلى معناه الجزئي لوجود قرينة، إما قرينة تكون مصاحبة، وإما أن تكون مفارقة..

فالآن نحن نأتي إلى كلمة «التعجب»... القرآن ذكرها بمعنى الاستحسان، القرآن ذكر التعجب على معنى

الاندهاش، وعلى معنى الاندهاش، الرضا، ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾ [ق: ٢]، يعني القرآن هنا يبيّن جهالتهم في هذا التعجب، لأنهم ظنوا أن هذا الذي جاءهم ﴿مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ أنه شيء جرى على خلاف العادة، مع أن هذا غير صحيح؛ لأن النبوة سارية في البشرية، فليس عجيبًا أن يأتي النبي، ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾، فذكر هذا على سبيل الذم لهم..

وقد يأتي التعجب على معنى الاستعظام، ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١)﴾ [الجن: ١]، ويمكن أن يحمل على معنى «عجب» أي جرى على غير ما جرت عليه الكلمات والكلام الذي يسمعونه، وهذا صحيح؛ لأن القرآن عجيب على هذا المعنى، أي لم يأت مثله من قبل، حتى الكتب السماوية التي أنزلها الله عز وجل على الأنبياء السابقين لم يكن فيها قوة هذا القرآن؛ ولذلك لما أن جاء هذا القرآن عجبوا منه أنه جاء على غير ما يعرفون من الكلام، فهذا تعجبٌ صحيح.

ويأتي الإعجاب من الاستحسان، قال تعالى: ﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾ [الحديد: ٢٠]، أي: استحسنوه..، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ [التوبة: ٢٥]، أي: استحسنوها.. فهذا تعجب استحسان.. واضح.

وهناك تعجب اندهاش.. وهذا الاندهاش إما يكون مبناه على الرفض.. وهذا تعجبٌ مذموم، أو تعجبٌ لشيء لا يستحق التعجب كوجود النبوة؛ أو تعجبٌ حقيقي يستحق التعجب، كما تعجبوا من هذا القرآن أنه جاءهم على غير ما يعرفونه، هذا كله تحتمله كلمة «التعجب»؛ إذن ينبغي حملها على أحسن معانيها عندما نتكلم.

فالله عز وجل يتعجب من قومٍ يدخلون الجنة بالسلاسل كما في الصحيح؛ فالله تعجب أن هؤلاء القوم لا يريدون الدين، فيسحبون للجنة بالسلاسل، وهم الأسرى -فسرها العلماء بالأسرى- الذي يساقون أسرى من قبل المسلمين، يعني هم كانوا كفارا فيأسرهم المسلمون ويسوقونهم بالسلاسل، فحين يأسرون يدخلون الإسلام، فهؤلاء دخلوا الجنة بالسلاسل، كان السبيل مما يُكره ومما يُذم والنتيجة مما يُمدح، والشيء معروف أنه إذا جاء إلى ما يكره انتهى به إلى ما هو أكره وما هو أشد كراهية، لكن هنا كان الشيء عجيب؛ أنهم جاءوا إلى ما يكرهون فتحصلوا على ما يحبون؛ فعَجِبَ الله عز وجل من قومٍ يدخلون الجنة بالسلاسل، وكما في الحديث عند أحمد

وغيره (**أن الله عجب من شاب ليس له صبوة**)، الشاب معهود من مثله أن له صبوات؛ لأنه شاب، ضعيف الإرادة وقوي الشهوة، ضعيف الإرادة التي تحبسه عن الشهوات لقوة شهوته، وقوي الشهوة، فهذا تحصل له صبوات، ولكن هذا الشاب ليس له صبوة، لأن هذا الفعل منه أتى على غير وفق جنسه والله يعلمه فالله عجب منه.. فاستحسنه.. على معنى الاستحسان وليس الدهشة، ليس معنى أنه لا يعلمه، لا، هو يعلمه.. ولكنه أتى على غير وفق ما عهد من أمثاله، فعلى هذا تجري هذه الكلمات وتجري هذه الصفات الربانية.

أرجو أن أكون قد بينت هذا، بقيت مسألة في الأسماء والصفات، حتى لا نطيل الأشرطة أجيب عنها في الشريط الثاني إن شاء الله، جزاكم الله خيرًا.

٥٧- إثبات صفات الله عز وجل

ضمن الجلسة الثامنة، بتاريخ: (**١٤٣٨/١٢/١٦هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/٩/٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

إثبات الصفات لله عز وجل رأينا أن الفعل يحتمل ذمًا ويحتمل حُسنًا.. الفعل يحتمل ذمًا ويحتمل حُسنًا فيما ورد في صفات الله عز وجل في الكتاب والسنة، ولذلك وجب حمل الصفة التي وردت على أحسن معانيها؛ لأنها اللائقة بالله عز وجل، هكذا أجمع أهل الإسلام جميعًا، لا يجوز حمل صفة وردت في الكتاب والسنة على معنى فيه النقص.. لا يجوز.. فماذا نصنع؟؟

جواب الشيخ: بعض أهل العلم لم يستوعب هذه المعاني اللغوية، فذهب إلى نفيها، أو إلى تأويلها، يعني نفاها ثم أولها، التأويل مبناه على النفي أولًا.

مثال ذلك: صفة الرحمة، عندما تصوروا أن الرحمة هي رقةٌ في القلب.. رقة، فمنعوها في حق الله عز وجل، منعوها فعطلوها، ثم أتوا إلى أن هذا النص يجب إثبات معنى من معانيه فأولوه.

فالتأويل إذن المرحلة الأولى منه هو نفي الصفة، نفيها؛ لأنهم يتصورون أن إثباتها على هذا المعنى فيه ذم، وهم يريدون تنزيه الله عز وجل، المبعث لهم التنزيه، كل الفرق المنتسبة للإسلام كل ما يقولونه في موضوع أسماء الله وصفاته مبناه على التنزيه، لكن يخطئون، ومن ذلك هذا الذي بين أيدينا.

مثلاً نأتي إلى صفة الرحمة.. قالوا: هي الرقة التي تكون في القلب، وهذا ممتنع في حق الله عز وجل، إذن ننفي هذا المعنى، ثم نذهب إلى إرادة الإحسان، نقول: مبنى الرحمة هي الإرادة، إرادة ماذا؟ إرادة العقوبة كالغضب؟ قالوا: الغضب صفة ذاتية لا تتصور في حق الله عز وجل؛ لأن مبناها على الانبعاث النفسي لمعاني مذمومة في البشر، فلذلك ينبغي إثباتها لله عز وجل على معنى يليق به، إذن ننفي صفة الغضب ونذهب إلى معنى آخر يحتمله اللفظ عندهم، ولذا الغضب معناه إرادة العقوبة، إرادة العقوبة وليس الغضب بمعناه المتصور، فهم نفوا صفة الغضب ثم أولوها.

هناك من يفعل هذا، وهم الأشاعرة في الأغلب، الذين يُسَمَّوْن بالمتكلمين والصفاتية، وهناك من ينفي هذه

الصفات، ويأتي إلى الأحاديث ويقول: أحاديث آحاد، ويتمحل في نفيها تمحلًا شديدًا فيرتاح، يريح نفسه، ويقول: هذه أحاديث آحاد، فلا يجوز أن يأخذ بها في العقيدة، وبالتالي؛ ينفونها وينتهي الأمر.

أهل السنة على غير هذا، أهل السنة يثبتون الصفة كما وردت في الكتاب والسنة -نتكلم عن الصفات- ويحملونها على معنى الجمال فيها، وعلى معنى الحُسن فيها، فيما يتصور في حق الله عز وجل، مع إثبات اللفظ على ما هو عليه وإثبات المعنى في داخله، ويكون المعنى جزئيًا، هذه النقطة يكون المعنى جزئيًا وليس كليًا، بخلاف الأسماء.

الأسماء لله عز وجل، لا يتصور في الاسم أي سوء ولا أي مذمة، ولذلك يطلق الاسم فتكون كل معانيه حسنة، الرحمة.. لا تتصور الرحمة أبدًا مذمومة.. لا تتصور.. حتى مع العاصي لا تتصور؛ فالرحمة صفة مدحٍ من كل وجه، ولذلك الاسم حين يطلق على الله عز وجل، اسمٌ من أسماء الله عز وجل، يكون جميلًا حسنًا من كل وجه.

صفات الله عز وجل، وخاصةً صفات الفعل، مبناها على الإرادة، والإرادة متوجهة إلى من يستحقها، فإذا توجهت إلى غير ذلك ذُمت، ومن ذلك المكر.

فالله عز وجل أثبت لنفسه فعل وصِفة المكر في الكتاب والسنة، لكن ماهي صفة المكر؟ صفة المكر ممدوحةٌ من جانب ومذمومةٌ من جانب، فإذا كانت هذه الصفة قد أعملت فيمن يستحقها مُدح الرجل، وإذا أعملت فيمن لا يستحقها وتوجهت إلى من لا يستحقها ذُمت، يعني رجلٌ أمنته فأعطيته مالًا، فمكر بك وخدعك، فحينئذٍ يكون مكره خداعًا، فأتى هذا الماكر بضد ما توقع وأراد منه شريكه أو صاحبه، فحينئذٍ يكون مذمومًا هذا الوجه.

لكن إذا جاءك الخصم الخبيث وأراد أن يمكر بك في أنه تعامل بظاهره على غير باطنه، فمن مكره أوقعته في شر أعماله.. من مكره، ويظن أنه يمكر فوقع بمكره في شر أعماله، مكرًا منك وذكاءً منك، فحينئذٍ يكون مكرك عدلًا محمودًا، ويكون مكرك قاهرًا عليه، أنت قاهر عليه، هو يمكر بالظن أنه هو يقهرك، وأنه غالبٌ عليك يفعل بك ما يريد، ويسيرك إلى إرادته حسب مراده، فأنت حينئذٍ تكون قاهرًا عليه، إذن هو مبناه على القهر العلوي، أن تمكر من خلال مكره، وثانيًا: مبناه على العلم المحيط، ومبناه على العدل.

انظر.. المكر الإلهي مبني على القهر الإلهي الغالب الذي لا يقهره قاهر، فهو الظاهر ليس فوقه شيء، وقهره محيطٌ بكل خلقه، ومبناه على العلم.. أنت تعلم أنه يمكر، ومع شدة مكره، ﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ (٤٦)﴾ [إبراهيم: ٤٦]، مع شدة مكره أنت تمكر به فدل على إحاطة العلم، وأنه مبنيٌ على العدل.

فكان مكر الله عز وجل بهؤلاء من أتم ما يُمدح به فاعله، وهو ربنا سبحانه وتعالى، ولكن أنت لا يجوز أن تقول: الله الماكر.. لماذا؟ لأن هذا الفعل لا يُمدح من كل وجه، بخلاف الرحمة، بخلاف الرأفة التي تُمدح من كل وجه.

ومن هنا قال علمائنا: بأن الأسماء تشتق منها الصفات، بل لا تكون حسنة إلا كونها صفاتًا، لكن لا يجوز أن يشتق من الأفعال الإلهية -التي جرت على معنى ما تقدم- أسماء.. لا يجوز، لأنه حينئذٍ يكون فيه معنى الذم.

الآن الضحك.. الله عز وجل يضحك.. فضحك ربنا عز وجل مبناه على فرحه، ومبناه على رضاه، مبنى الضحك على فرح ربنا عز وجل، مبناه على الرضا والقبول، ولكن صفة الضحك حين تكون في كل حال تكون مذمومة، والناس يذمون البشر إذا وقع منهم الضحك على كل حال، فهي ليست ممدوحة من كل وجه، ولكنها ممدوحة حين تقع في وقتها وتقع على من يستحقها، ولذلك لا يجوز أن يسمى ربنا عز وجل بهذا الاسم، وإن كانت هذه الصفة ممدوحةٌ في حق الله عز وجل لأنها حسنة حيث توضع في موضعها.

ومن هنا قال أهل العلم: لا يشتق من أفعال الله عز وجل التي ذكرها في القرآن، لا يشتق منها أسماء، لأن الاسم -كما قلنا- هو حسنٌ من كل وجه، والفعل حسنٌ في وجه إذا كان الفعل على هذا.. وليس مشتقًا من الأسماء ولكنه ورد على صفة الفعل، فيكون حسنًا من جهة إثباته لله عز وجل، وفي غيره قد يكون حسنًا وقد يكون سيئًا، على ما تقدم من الكلام.

ولذلك: قالوا هذا المعنى، ومن هنا جاءت قاعدة أهل العلم «الإخبار عن الله أوسع من باب الإثبات»، إخبار القرآن والسنة عن الله.. ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ [الأنفال: ٣٠]... **(يضحك ربنا)**.. **(عجب ربنا)**.. هذا أوسع، والناس يقولون ونحن نقول: «رضي الله عنه»، «رضي الله عنك» رضي، اسمه الراضي، فهذا يُخبِر به عن الله، لأنه وقع على مستحق فيكون حسنًا، ولا يقع على غيره، ولا يقع على من لا يستحقه فيكون مذمومًا..

ثانيًا: أن الإخبار عن الله عز وجل بابٌ واسع، والناس يتوسعون في هذا.. العوام يقولون كلمات فيها توسع في باب الإخبار، ولا يريدون إثبات الأسماء لله عز وجل، ولذلك يُتَسمح في هذا، ولا يوقف عند النصوص فقط فيما أخبر به ربنا عن نفسه، بل العوام يفعلون هذا كثيرًا، ويثبتون لله عز وجل أفعال هي حقيقة من أفعاله على المعنى الحسن، ولا يذمون في هذا الباب.

ومن هنا: فإن الاشتقاق من الأسماء لتدل على الصفات، هذا هو مقتضى وواجب معنى الحُسن في الاسم، وأما أن يُبنى من الفعل اسمًا لله عز وجل ليكون اسمًا من أسماء الله عز وجل، فهذا لا يجوز؛ ومن هنا فأسماء الله توقيفية، وأما صفات الله سبحانه وتعالى فيجوز الإخبار عنها ما وسع ذلك الحسن في هذا المقام.

والله تعالى أعلم، وجزاكم الله خيرًا.

٥٨- الرد على قول الأشاعرة: استولى، بدل «استوى»

ضمن الجلسة الثامنة، بتاريخ: (**١٤٣٨/١٢/١٦هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/٩/٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل أخ يقول: ما المخرج من شبهة أشعري يجادل لغويًا بأن أعمدة علماء اللغة يثبتون أن لفظ «استوى» يأتي في اللغة بمعنى استولى، كاليزيدي والطبري والجوهري والزمخشري وغيرهم... حتى يعد عشرين لغويًا؟ فهل هذا صحيح؟

جواب الشيخ: في الحقيقة قبل هؤلاء كلهم، فإن ابن الأعرابي قد نفى أن يكون في اللغة «استوى» بمعنى استولى.. نفى ذلك تمامًا.

ثانيًا: هذا المعنى «استولى» لو صح لغةً، ولا يصح، فلو صح لغةً لا يليق بحق الله عز وجل، لا يليق بحق ربنا عز وجل، لماذا؟ لأن الاستيلاء فيه المنازعة وفيه ما يسبقه، فحين تقول: إن الله استولى على العرش!! فمعنى ذلك كان هناك منازعة، يعني عندما يحتجون بالبيت الشهير:

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ولا دم مهراق

«استوى» أي كان ينازع فاستولى عليه، ولم يكن في ملكه فصار في ملكه مُلك العراق.

فهل هذا المعنى متصور في حق الله عز وجل؟!! أن هناك شيئًا كان خارج ملك الله عز وجل فصار في ملكه؟!!

ثم ما هي -هذا مهم جدًا- ثانيًا: ماهي قيمة العرش وتعظيمه في قوله تعالى: استولى على العرش"؟!! ما هي قيمته؟!!

الله عز وجل أراد أن يعظم شأنه، وأن يعظم العرش، بأنه سبحانه وتعالى استوى العرش، فهذا تعظيمٌ لشأن العرش، وتعظيمٌ لشأن ربنا سبحانه وتعالى.

فكلمة «استولى» ماذا تفيد من هذا المعنى؟!! ماذا تفيد؟!!

«استولى على العرش» ماهي الإرادة في داخل العرش ليمتنع، فيستولي عليه؟!! ما هو المدح؟!!

وما هو المدح في العرش حين يستولي ربنا عليه؟!! ما هو المدح في ذلك؟!!

فلا يوجد مدح للعرش، لأن الله مستولٍ على كل شيء.. استولى على كل شيء.. الاستيلاء يعني أنها دخلت في ملكه، فكل شيءٍ في ملكه، والعرش في ملكه، فأين تعظيم العرش في هذا الباب؟!! وأين تعظيم ربنا في هذا العرش لمن ينازعه؟!! ما هو الشيء العظيم الذي ينازع فيه العرش ربنا عز وجل؟!!

لو العرش نازع الله عز وجل، فهذا ذمٌ للعرش؛ ولو كان خارج ملك الله، لكان في ذلك ذمٌ للرب.

فليس في قوله: استولى على العرش، لا تعظيمٌ للرب ولا تعظيمٌ للعرش، والمقصود بها تعظيم ربنا عز وجل وتقديسه، والمقصود بها تعظيم شأن العرش بأن الله عز وجل جعل العرش شيئًا عظيمًا.

فلذلك: «استولى» لا تفيد هذا المعنى؛ مع أن ابن الأعرابي –وهو متقدم على من ذكرت– نفى أن يكون «استوى» بمعنى «استولى».. نفى.. قال: لا تعرف في لغة العرب، فإذا عرفت، فلا يجوز هذا المعنى في حق الله عز وجل.. يكون مذمومًا، فيجب أن نبحث عن معنى آخر.

يعني انظر إلى المؤولة الذين أرادوا تعظيم الله –استوى بمعنى علا، كقولنا: الله في السماء أي على السماء.. قد استوى على السماء.. بمعنى العلو.. أي العلو المطلق الذي ليس فيه المكان الوجودي المخلوق– فأرادوا أن يخرجوا «استوى» بهذا المعنى، ظانين أن في ذلك عدم تنزيهٍ لربنا، فوقعوا فيما هو أسوأ منه حين جعلوا «استوى» بمعنى «استولى».. فوقعوا فيما هو شر منه.

فقولهم: «استولى على العرش»، فيه ذمٌ أكثر من ذمهم لما ظنوه من قوله تعالى: ﴿اسْتَوَى﴾، بمعنى أنه علاه بمعنى أنه في جهة؛ بل وقعوا في أسوأ من ذلك وهو: أنهم عندما نفوا الجهة مطلقًا.. العلو المطلق عندما نفوه؛ نفوا الوجود، وهذا ما يقع في قلوبهم من النفي المطلق.

فهذا هو الجواب، الجواب: أن ﴿اسْتَوَى﴾ بمعنى استولى ذمٌ لربنا وذمٌ للعرش، وأن هذا المعنى لو وجد في اللغة فلا ينبغي صرفه إلى الله عز وجل، وينبغي صرف ﴿اسْتَوَى﴾ على ما عرف من لغة العرب وهو بمعنى

«علا».

والله تعالى أعلم، وبارك الله فيكم.

٥٩- السجود للقبر

ضمن الجلسة الثامنة، بتاريخ: (**١٤٣٨/١٢/١٦هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/٩/٧ م**)

أردت أن أسأل الشيخ عن كلمتين في كتابين من كتب أهل العلم:

الأول: قال النووي رحمه الله: «وليس من هذا ما يفعله كثير من الجهلة من السجود بين يدي المشايخ بل ذلك حرامٌ قطعًا بكل حالٍ سواء كان إلى القبلة أو غيرها، وسواء قصد السجود لله تعالى أو غَفَلَ، وفي بعض صوره ما يقتضي الكفر أو يقاربه، عافانا الله الكريم، وقد سبقت هذه المسألة مبسوطة في آخر باب ما ينقض الوضوء والله أعلم» (١).

الكلمة الثانية: قال الامام الذهبي رحمه الله: «حكى لنا جندار، أنه كان بجبل البقاع فسمع رجلًا سب أبا بكر فسل سيفه، وضرب عنقه، ولو كان سمعه يسبه، أو يسب أباه لما استباح دمه، ألا ترى الصحابة في فرط حبهم للنبي صلى الله عليه وسلم، قالوا: ألا نسجد لك؟ فقال: (**لا**)، فلو أذن لهم لسجدوا له سجود إجلالٍ وتوقير، لا سجود المسلم لقبر النبي صلى الله عليه وسلم على سبيل التعظيم والتبجيل لا يكفر به أصلًا، بل يكون عاصيًا فليعرف أن هذا منهيٌ عنه، وكذلك الصلاة إلى القبر».

جواب الشيخ: الكلام عن السجود إلى القبر، نحن نعلم أن هناك أفعالاً ما تدل دلالةً صريحة على أنها من أمور التعبد، التوقير والتعظيم الذي فيه معنى التعبد، وهذا إن وقع على أي جهةٍ كان من الأفعال والأقوال؛ فإنه يكفر به إذا صرفه لغير الله سبحانه وتعالى، ولكن هناك أعمال ما تحتمل معنى التعظيم الذي فيه وجه جواز، وهذه الأعمال كذلك يمكن أن يرتقي بها الفاعل في التعظيم إلى درجة التعبد، ومن ذلك: الحَلْف.

المعروف أن الحالف حين يحلف بشيء، أنه يعظمه تعظيمًا يوقع في قلب السامع أنه صادقٌ في كلامه، أو جازمٌ، أو متحملٌ لعهدة كلامه، فالصحابة كانوا يحلفون بغير الله تعالى تعظيمًا لما يحلفون به، فنهاهم الشارع عن ذلك؛ لأن في هذا شبهة تعظيمٍ توصل إلى الإجلال المنهي عنه؛ فلهذا (**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**).

(١) المجموع شرح المهذب (٣ / ٣٩٠).

وهذا محمولٌ عند أهل العلم على الكفر الأصغر؛ لأن فيه هذا التعظيم الذي يرقى به إلى تعظيم العبادة؛ فلذلك الحلف يحمل هذا المعنى ويحمل هذا المعنى، فيه التعظيم وفيه الإجلال، فيمكن أن يبقى في دائرة التعظيم المقبول، ويمكن أن يُحمل إلى الدرجة الأخرى، فنهى عنه الشارع.

ومثال ذلك: قول المرأة وهي تغني: «وفينا نبيٌ يعلم ما في غدٍ»، فقال: **(دعي هذه)**، فلما رأى شبهة التعظيم نهى، لأنه لا يعلم ما في غد، وإن كان ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (٢٤)﴾ [التكوير: ٢٤]، قد أعلمه الله عز وجل بعض الغيب لأنه رسوله صلى الله عليه وسلم، ولكن على المعنى المطلق أنه يعلم كل ما في الغيب، فهذا معنى لا يليق بالنبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنه معنى لا يكون إلا بحق الرب جل في علاه الذي يعلم كل شيء، وأما النبي صلى الله عليه وسلم فلا يعلم إلا ما علمه الله عز وجل، كما قال صلى الله عليه وسلم في حادثة غياب دابته -عندما عاب عليه بعضهم، بعض المنافقين- وقال: يخبرنا عن السماء ولا يعلم أين دابته- فقال: **(إني لا أعلم إلا ما علمني الله)**.

ولما حلف الرجل بالنبي صلى الله عليه وسلم، قال صلى الله عليه وسلم: **(أجعلتني لله ندًا)**، فنهى عن هذا التعظيم الذي يوصل إلى درجة التبجيل والتعظيم الموصل إلى حالة التعبد، وهذا منهيٌ عنه.

ولما قال رجل: أنت سيدنا وابن سيدنا، قال: **(دع ما تقول)**، ومن معاني النبي صلى الله عليه وسلم أنه سيد ولد آدم وسيد هذه الأمة وهو سيد البشرية، ولكن لما كان في كلامه ما يوحي إلى أن يُعَظَّم إلى أن يرتقي به إلى المنهي عنه، نهاه عن ذلك.

وكذلك السجود، فمن المعلوم أن الله تعالى أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم سجود التعظيم والتبجيل والإقرار بفضله عليهم، فهذا معنى موجود، ولكن لما انتهى هذا المعنى، وكان الناس قديمًا يسجدون، كما قال الله عز وجل عن يوسف: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (٤)﴾ [يوسف: ٤] فسجدوا له، فقال: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ﴾ [يوسف: ١٠٠]، على الصحيح أن إخوانه وأن والديه سجدوا له، وهذا سجود تعظيم، وكان في الأمم السابقة، كانت الأمم السابقة قد أذن الله عز وجل لهم بهذا المعنى.

ولكنه في شريعتنا قد نهي عن ذلك، فقال: **(لو كنت آمرًا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن**

تسجد لزوجها)، فدل هذا على أنه لا يجوز لأحد أن يسجد لأحد على هذا المعنى.. معنى التعظيم؛ أما أن يسجد له على معنى العبادة فهذا في الأمم السابقة وفي أمتنا لا يجوز، لا يجوز أن يعبد غير الله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، فهذا دليل على أنه لم يأذن الله عز وجل لبشرٍ أن يعبد بشرًا، لا في الأمم السابقة ولا في الأمم اللاحقة ولا في هذا الدين.

فإذن لما قال النووي رحمه الله: أن المرء إذا سجد، فقد يسجد على معنى التعظيم، فهذا منهيٌ عنه وحرام، على معنى الإجلال والتعظيم والاحترام، وأما السجود على غير هذا المعنى، وهو ما كان أزيد من ذلك، على معنى العبادة وأن يسجد له سجود العبادة كما يسجد لربنا، فهذا كفر وخروج عن الملة.

فهذه كلمة الإمام النووي رحمه الله، وهو نفس كلام الذهبي، وهو: أن السجود للرجل على معنى التعظيم منهيٌ عنه، فإذا سجد على معنى العبادة كفر وخرج من الملة.

تبقى مسألة خارج هذا الإطار يذكرها الذهبي ويقرها -هذا متفق عليه.. هذا القدر الذي تحدثنا عنه من التفريق بين سجود الاحترام والتوقير والتعظيم، كتعظيم الابن لأبيه، وتعظيم المحكوم للحاكم، وتعظيم الجندي للأمير، فهذا متفق عليه أنه لا يجوز أن يصل إلى معنى العبادة، فهذا القدر متفق عليه أنه محرم؛ لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فإذا وصل إلى درجة العبادة؛ فهذا كفرٌ وهو مخرجٌ من الملة - بقية مسألة خارج هذا الإطار وهي أننا نرى الإمام الذهبي رحمه الله في «سير» يُجيز السجود في أماكن التعظيم غير المنصوص عليها، يعني أن يبغي المرء الصلاة في مكانٍ مُعَظَّم، كرغبة البعض في السجود والعبادة لله عز وجل عند القبور، الدعاء والعبادة هناك، الصلاة في الأماكن المباركة -كما يقولون- لدعاء رب العالمين.. فيقول -أي الذهبي-: هذا أدعى للقبول.. وكقولهم: «قبرٌ معروف كالترياق المجرب»، فنجد أن الإمام الذهبي في سيره يقر ذلك.. نرى أنه يقر هذا في كثير من تراجم الرجال في السير؛ هذا مع إقرار الإمام الذهبي ولكن هذا من أخطائه.

الصواب: أن هذه الأماكن لا يجوز تخصيصها بالعبادة -ولو كانت لله- لعدم وجود الدليل على ذلك؛ يعني الذهاب لهذه الأماكن من أجل العبادة؛ لأنها أرجى للقبول، هذا المعنى لم يأت به الشارع؛ وهذا هل هو داخل في شد الرحال أم لا؟ على الخلاف المشهور المعروف بين أهل العلم؛ ولكن المقصود أن هذه الأماكن ليست بأقرب إلى الله عز وجل من أماكن أخرى، وليست أرجى قبولًا من غيرها.

ونجد أن الإمام الذهبي رحمه الله يميل إلى هذا القول، وهو: أن هذه الأماكن أرجى، هذا لا يدخل في الشرك؛ لأن بعض الناس يرى أن كل مسألة تتعلق بالقبر أنها تدخل في الشرك؛ حتى أننا نتكلم عن قضية التوسل -يعني قضية «اللهم اسألك بجاه النبي صلى الله عليه وسلم» - يدخلونها في الشرك!! وهذه مسألة فقهية، حلال وحرام، بدعة وسنة، ولكن لا تدخل في الكفر والشرك؛ فتجد أن البعض إذا قيل: اللهم إني أسألك بنبيك صلى الله عليه وسلم أن تغفر لي، يقول: هذا شرك!! هذا جهل، لم يقل به عالمٌ قط، والخلاف في مذهب أحمد.. هذه المسألة فيها خلاف في مذهب أحمد.

يوجد من ذكرها في كتب الحنابلة: أن مذهب أحمد على الخلاف في ذلك -في السؤال بجاه النبي صلى الله عليه وسلم - والصواب منعها، لعدم وجود الدليل في ذلك، لأنها أمور التعبد هي أمورٌ نصية توقيفية لا يجوز الاجتهاد فيها ولا التوسع فيها، لأنها داخلة في قوله صلى الله عليه وسلم: **(من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)**.

فكلام الإمام النووي وكلام الذهبي هو كلامٌ واحد فيما نرى، والله تعالى أعلم.

جزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

٦٠- حكم البيع الآجل

ضمن الجلسة الثامنة، بتاريخ: (**١٤٣٨/١٢/١٦هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/٩/٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل أخ يقول: يا شيخنا، بالنظر لما تمر به البلاد من أزمة مالية حادة جدًا، ونقص في توفر السيولة، اشتُهر عندنا أخيرًا البيع والشراء بالصك المصدق، حيث هناك فرق زيادة في الأسعار في حالة الدفع النقدي «الكاش»، عن الدفع بالصك المصدق، فما حكم هذه الزيادة؟ وهل هذا البيع يأخذ حكم البيع بالآجل؟

جواب الشيخ: نعم؛ هذه الصورة كما طرحت، هذا بيع التقسيط أو بيع الدين، البيع الآجل، وهذا -كما تعلم ويعلم طلبة العلم- فيه قولان للعلماء:

القول الأول هو: المنع مطلقًا، وهذا منسوب لسماك بن حرب ولبعض السلف.

القول الثاني: وهو قول الأئمة الأربعة؛ ورجح شيخ الإسلام ابن القيم: بأنه بيعٌ صحيح في شرحه على مختصر أبي داود للمنذري، فإنه أجازه.

وكلهم جروا على قاعدة مالك «إن انفض المجلس على أحد السعرين» بمعنى: يأتي إليك فيقول: هذا المبيع ثمنه نقدًا هكذا وثمنه دينًا هكذا، نسيئة هكذا، ويسمى بالتقسيط اليوم، ربما يكون لا يُدفع جملةً واحدة، ولكن يدفع مستقبلًا على دفعات متعددة؛ فقال مالك: شرط جواز ذلك على أن ينفض المجلس على أحد السعرين، بمعنى أنه إذا استقر على المبيع آجلًا فإنه يستقر على هذا المعنى ولا يجوز تغييره، بحيث لو زاد بعد ذلك في الأجل لا يجوز أن يزيد في الثمن والمال؛ لأن هذا يدخل في ربا النسيئة المجمع عليه.. على قاعدة «زدني وأربي»؛ أما النقص: لو أنه جاءه بعد العقد مثلًا وقال له: أنا أستطيع أن أدفع لك الآن قبل حلول الأجل، فهل تنقص لي من الثمن؟ فهذه قاعدة «ضع وتعجل» وهذا فيه خلاف بين أهل العلم، وابن القيم له شرح موسعٌ فيها فارجعوا إليه.

وهو يجيز ذلك؛ وهذا الذي عليه الفتوى، الذي يفتي به جواز ذلك، أنه ليس فيه معنى الربا، قال: «ضع وتعجل»، أي ضع في الثمن وتعجل في الزمن؛ أما تلك -ربا النسيئة- فهو «زد وأربي» زد في الزمن وأربي في الثمن، هذه الصورة.

قلنا: القول الأول هو الحرمة، لحديث سِماك بن حرب وهو: (**نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن بيعتين في بيعة**) وحملوه على هذا.. سِماك بن حرب فسر (**بيعتين في بيعة**) على هذا المعنى، وهو أن يبيعه الشيء بثمنين ثمن عاجل وثمن آجل.

الجمهور الأئمة الأربعة وغيرهم، والْمُفتى به، وهو الصواب إن شاء الله تعالى على أن هذا بيعٌ صحيح، بشرط انفضاض المجلس على أحد السعرين، وهذه الصورة المسؤول عنها داخلةٌ في هذا المعنى.

والله تعالى أعلم، والحمد لله رب العالمين.

٦١- مسألة في طلاق الغاضب

ضمن الجلسة الثامنة، بتاريخ: (١٦/١٢/١٤٣٨هـ الموافق لـ: ٧/٩/٢٠١٧ م)

يقول السائل: والدي سريع الغضب، وكلما غضب من أمر جرى على لسانه لفظ الطلاق، فما حكم طلاقه؟ عِلمًا أنه كثير الطلاق، وأكثر طلاقه قوله: «إذا فعلت كذا ففلانة طالقة مني».. أرجو التفصيل.

جواب الشيخ: هناك فرق بين «عليّ الطلاق» كيمين، وبين قوله: «إن فعلتُ كذا أو فعلتِ كذا فعليّ الطلاق» هذا فرقٌ بينهما.

أما قوله «عليّ الطلاق» من غير تفصيل -عليّ الطلاق لأفعلن، أو عليّ الطلاق لتفعلن، أو عليّ الطلاق لتفعل، أو أن تفعل، أو سأفعل- فهذا يمين، على الصواب أنه يمين؛ وهذا عليه كثير من أهل العلم، والله تعالى أعلم.

أما القول الثاني: وهو تعليق الطلاق.. الطلاق المعلق.. أن يقول: إن فعلتُ كذا فأنت طالق، أو: إن فعلتِ كذا... هذا الطلاق المعلق بشرط؛ فهذا فيه ثلاثة أقوال عند أهل العلم.. لا نريد أن ندخل في الأدلة فهي مبسوطة في مواطنها.

القول الأول وهو قول الأئمة الأربعة: بأنه إذا وقع الشرط وقع الطلاق، فقوله: «إن فعلتُ كذا فامرأتي طالق» أو «إن فعلتَ كذا فامرأتي طالق»، فإذا وقع الشرط وقع الطلاق.. وهذا ما عليه الأئمة الأربعة، بل ذكر بعض أهل العلم الإجماع عليه، كما ذكر ذلك صاحب «التمهيد والاستذكار ابن عبد البر»، وذكر هذا كذلك ابن رشد في المقدمات.

القول الثاني وهو قول ابن حزم: لا يقع شيء.. يعتبره يمينًا من الأيمان ولا يُوقع فيه شيء.

القول الثالث: هناك من فرق، أنه إذا أراد به إيقاع الطلاق وقع، لو نوى أنه بالفعل أنه إذا فعل كذا سيُطَلِّق وأنها تَطْلُق، فيقع؛ وأما إذا قصد به التعظيم والتوثيق فيكون يمينًا، وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وتلميذه ابن القيم، وشرح ذلك وتوسع فيه ابن القيم -كما تعلمون- في «إعلام الموقعين عن رب العالمين».

والحقيقة: الأدلة قوية، يعني مسائل الاجتهاد هذه لا يوجد نص مرفوع للنبي صلى الله عليه وسلم يُبَيِّن لنا ذلك.

والبخاري كأنه مال إلى القول الأول عندما ذكر بصيغة الجزم قول نافع أن ابن عمر سُأل عن رجل قال: إن فعلت ذلك فأنت طالق البتة، فقال: «إذا وقع منها فقد طلقت البتة، وإن لم يقع فلا شيء عليه»، والآخرون حملوا هذا -أقصد الشيخان ابن تيمية وابن القيم- وغيره من الأحاديث على النية.

واحتج ابن حزم بروايةٍ صحيحة: أن امرأة سرت بين نساء النبي صلى الله عليه وسلم، ووصلت إلى ابن عمر وإلى ابن عباس رضي الله عنهم، وسألتهما عن امرأة قالت كذا وكذا، فقالا لها: «لا شيء عليك».

فجمع ابن تيمية وابن القيم بين النصين بأن هذا محمول على نية الفاعل، وهذا أعدل الأقوال.

في الحقيقة الصواب في موضوع الطلاق هو تصحيح أنكحة الناس وعدم الاستعجال في الطلاق، وقد أحسن جمال الدين القاسمي رحمه الله في رسالته المشهورة -وأنصح طلبة العلم بقراءتها- «الاستئناس في تصحيح أنكحة الناس».

الاستعجال في فصم عرى الزوجية من المفتين، هذا غير سديد؛ فينبغي التوسع في هذا، لئلا نقع في المحظور، كما يقع فيه كثير من الناس: بأن يسارعوا في الطلاق فيُؤدي بهم إلى الحيل.

تصحيح أنكحة الناس أولى في هذا الباب، وحمل كلام الناس على ما يريدون من معان قلبية، هذا أمرٌ طيب، ولذلك ننظر إلى نية الرجل، إذا أراد بها التوثيق فهذا على معنى اليمين، وإذا أراد الطلاق فيقع الطلاق.. وهذا أعدل الأقوال.. والأدلة في ذلك مبسوطة عند أهل العلم في هذا الباب.

والله تعالى أعلم، وجزاكم الله خيرًا.

٦٢- حكم المرأة التي انقطعت عنها أخبار زوجها وتريد الطلاق

ضمن الجلسة الثامنة، بتاريخ: (**١٦/١٢/١٤٣٨هـ الموافق لـ: ٧/٩/٢٠١٧ م**)

يسأل أخ: الكثير من الإخوة يهاجرون للجهاد، أو يهربون فرارًا من ملاحقات أمنية، فتنقطع أخبارهم، ويتركون زوجاتٍ وأطفالاً، إن أرادت الزوجة الطلاق ولم تتمكن من الوصول للقضاء الشرعي للحكم بالوفاة الحكمية للزوج إن كان مفقودًا، أو لخلعها منه إن كان غائبًا، ماذا تفعل؟ علمًا أن هذه النازلة منتشرة في بعض البلدان، شكرًا لكم شيخنا.

جواب الشيخ: في الحقيقة.. نعم، هذا مما عمت به البلوى، وانتشر أمره، واستطار شره؛ كما هو معلوم، وإننا الآن أمام قيود في الطلاق والزواج وهي التسجيل، هذه ليست من الشروط الشرعية، تسجيل الطلاق والزواج في الدوائر الحكومية هذه إنما تمت للتوثيق.. لأمور كثيرة.. هم زعموا أنها من أجل التوثيق لكثرة مفاسد الناس فيها واتساع أمرهم.. فمن أجل التوثيق؛ مع أنها في الحقيقة هذه الوثائق الكثيرة التي يحدثها الناس اليوم -الحكومات تحدثها- إنما سببها هو الرصد وإخضاع الناس لقوانينهم وشروطهم.

أنا الآن لا أتكلم عن المصلحة، فهذا بابٌ يعرفه كل أحد، يعني الناس عليهم أن يقدروا: أيفعلون ذلك أم لا يفعلونه؟ يعني المرأة إذا توفي -قتل أو توفي- زوجها عنها غريبًا، أو غاب غيابًا يمنع عودته، أو انقطع انقطاعًا لا يعرفون حاله؛ فالمرأة هل يجوز لها أن تزوج نفسها من غير ثبوت أمرٍ توثيقي؟ وهل لا بد من القاضي؟

هذه المسألة موجودة قديمًا، ومن أقرب الكتب التي تستطيع أن تراجعها كتاب «الإنصاف» للمرداوي، فقد ذكر هذه المسألة في مسائل الحنابلة.. هل القاضي ضروري -المقصود التوثيق- وواجب قضائه بقضية إثبات الوفاة، أو إثبات الغيبة الشرعية، وإثبات الضرر؛ أم أن القاضي ليس شرطًا لهذا؟ وذكر مسائل.. وذكر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وفتاواه بأن القاضي ليس شرطًا لإثبات هذه الحالات، وأنه يجوز للناس أن يثبتوا عن طريق غير القاضي.

يعني في بلاد قد يكون القاضي فاسدًا أو غائبًا.. إما أن يكون فاسدًا.. مقيدًا بقوانين فاسدة وهو يعمل بها، وإما أن يكون غائبًا القاضي غير موجود؛ فماذا يفعل الناس؟ هل تعطل مصالحهم؟ فالصواب في هذا: أن

القاضي ليس شرطًا.

فهذا يفعله الناس من جهة أنفسهم وليس من جهة الشارع؛ يعني الناس يفعلون هذا من أجل أن يوثقوا الأمر لئلا تنتشر الإشاعة والإيذاء، المرأة إذا زوجت نفسها بعد أن يحكم حاكمٌ غير القاضي بأنها بانت من زوجها المتوفى -يعني وعليها الإحداد، أو عليها العدة إذا فرق بينهما التفريق الشرعي لسببٍ شرعيٍ موجب- فلو تزوجت بعد ذلك وأنجبت بغير أوراق، فهذه تحدث مشاكل بين الناس، وفي الساحات الجهادية أورثت مصائب ومشاكل في البلاد.

ولذلك على الناس أن يقدروا أحوالهم بالحكمة، لئلا يقع الشر الكثير وبعد ذلك يندمون، ولكن أقول: بأن إثبات الفرقة يجوز أن تقع بغير القاضي في الأصل، وأما إعمالها فهذا يحتاج إلى نظرٍ إلى أحوال الناس وتغيراتهم.

والله تعالى أعلم، وجزاكم الله خيرًا.

٦٣- خرافة رصد الجن للكنوز

ضمن الجلسة الثامنة، بتاريخ: (**١٤٣٨/١٢/١٦هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/٩/٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

هناك سؤال غريب أنتهي منه بسرعة، يقول: يوجد شيء اسمه رصد المواقع الأثرية من قبل الجان أو ما شابه ذلك، فهل يجوز الاستعانة بهم للعثور على الكنوز الأثرية؟ بارك الله بكم.

جواب الشيخ: الموضوع الذي يسميه الناس «رصد» هذه أكذوبة لا وجود لها، موضوع الرصد هذا لا وجود له.

عندما تعلم أن مكانًا ما فيه الذهب، لا تأت بشيخ يقرأ ويطرد الجن، ولا تأت براقٍ من أجل أن يطرد الجن، ولا تأت بمشعوذ من أجل أن يُصادق ويَتصادق مع الجني فيعينه على كشف الذهب، بسيطة جدًا، أكبر جني ضع له قنبلة يهرب!! يعني هذا المكان ضع قنبلة فتتفجر الأبواب وانتهى الموضوع.. الجني يعني له قدرة معينة.. لا يستطيع أن يوقف القنبلة، ولن يستطيع أن يمنعك من الوصول لهذا المكان.

القصد: أن هذا الرصد أكذوبة.. لا وجود له.. لا في الشريعة ما يثبت أن الجن يمنعك من الوصول لمكان، ولا في الواقع.

كل ما يذكر من الرصد في قضية إخفاء الجن للذهب أو الكنوز، أو لمنع الوصول إليها كما يزعمون أن هناك ذهب سليمان الذي تحميه الجن وتمنع.. كل هذا لا وجود له وغير صحيح، وأنت تستطيع الآن بقذيفة «RPG» أن تفتح أي جدار، أو بقنبلة تستطيع أن تفتح أي باب مغلق، فلا تلتفوا إلى هذه الأمور ولا تنشغلوا بها.. بارك الله فيكم.. ولا تلتفوا إلى اعتقادات العوام في هذا الباب، فهي مليئةٌ بالخزعبلات والشعوذة التي لا أصل لها.

والله تعالى أعلم.

٦٤- رسالة إلى الأمة والسجناء

ضمن الجلسة التاسعة، بتاريخ: (**١٤٣٨/١٢/٢٣هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/٩/١٤ م**) (١)

أخ يسأل: كلمة توجيهية حول الاعتقالات التي طالت بعض الدعاة والمشايخ في الجزيرة العربية.

جواب الشيخ: مع أني تكلمت في هذا وكتبت فيه، إلا أني هنا لابد من أعيد وأؤكد ما قلته:

أيها الإخوة الأحبة: هناك سنن لله عز وجل، إن لم نفقه هذه السنن القدرية، أخطأنا كثيرًا في التعامل في حياتنا، ووقعنا في كثير من الأخطاء.. يعني الأمور التي ينبغي أن تفهم في حياتنا مرتبطة في كثير من وجوهها بعدم فهمنا للسنن الكونية -بلا شك أن السنن الشرعية هي الأصل، ولكن التعامل مع السنن الكونية مهم جدًا- ومن ذلك ما قرره القرآن ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩]، فهذه قاعدة قرآنية: أنه لا بد من التمحيص؛ وكذلك من السنن القرآنية أن **(قوم يساقون إلى الجنة بالسلاسل)** هذا حديثٌ صحيح.

ومن السنن القدرية الكونية: قضية إقامة الحجة بأن يظهر أمر.. يعني الله عز وجل إذا أراد أن يدمر قومًا لكفرهم، فإنه لا يدمرهم في الابتداء، ولكن يزيد فيهم الكفر شيئًا فشيئًا.. يزداد الكفر.. يستر عليهم الله فيزدادون كفرًا!! لماذا يزدادون كفرًا؟؟ لعدم فهمهم لصبر الله، يظنون أن صبر الله عز وجل يعني أنهم غير معذبين!! فيزداد كفرهم ويزداد غرورهم؛ فحين يزداد الكفر والغرور حتى يصل إلى مداه، فيأخذ الله عز وجل هذه القرى و يأخذ هؤلاء المجرمين.

الذي أعتقده وأكرره.. وللأسف ما زال الناس يراجعونني في كل يوم.. في كل يوم: من أين يأتيك الاستبشار؟!! ومن أين يأتيك الأمل؟!! هل ترى ما لا نرى؟! نرى الواقع المسدود.. نرى انهيار الجماعات الإسلامية.. نرى تغول المجرمين والطغاة والكفرة.. نرى ضياع البوصلة.. فأين الاستبشار؟!! أين هو؟ المشكلة هذه هي: إذا وصل الناس إلى تلك الحالة من اليأس جاء النصر، ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ [يوسف: ١١٠]، عندما تنتهي أسلحة الناس فيما بينهم تتدخل أسلحة السماء.

(١) الإجابة عن هذا السؤال من مقطعي فيديو.

فهذا من الاستبشار، من الاستبشار الذي أراه، كما كان علماؤنا يستبشرون إذا حاصروا حصنًا فسب أهل الحصن رسول الله صلى الله عليه وسلم، استبشروا بالفتح، أي بمعنى أنهم بلغوا الذروة في الكفر، فحينئذٍ يتم قصمهم، حين يعتلي الكفر فيظن أنه ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (٢٤)﴾ [النازعات: ٢٤]، حينئذٍ تأتي القارعة الكونية الإلهية، من أجل أن تبيّن أن الله عز وجل هو الحق المبين، وليس أحدًا من الناس.

هذه يجب أن تراقب، في كل أسبوع أتكلم في هذا الباب.. الذي أعتقده: بأن الناس كانوا يختلفون في تنظيمات.. في دول.. في حكومات، كانوا يختلفون.. وكان هذا الاختلاف يسبب صراعًا في داخل الصف الإسلامي، وكان الناس يتكلمون عن خفايا ويتكلمون عن مسائل خلافية، يعني تجدون الدولة يختلط فيها الحق بالباطل، فبعض الناس يغلب عليهم النظر إلى صورة الحق في هذا الشخص أو في هذه الجماعة أو في هذه الدولة، وبعض الناس يغلب عليهم النظر إلى صفة الباطل في هذه الجماعة؛ هذا الأمر، الله عز وجل من سنته أن ينتهي الأمر فيه؛ حتى تقام الحجة الإلهية بالعذاب.. بعذابٍ من عنده أو بأيدينا.. العذاب آتٍ.

هناك من الأنظمة من صرحت ووصلت في تصريحها إلى عدائها للإسلام!! وقد يقول قائل: حتى هذه الأنظمة التي صرحت بعدائها للإسلام، يوجد من يخالف!! هؤلاء لا قيمة لهم، شراذم.. لا تردعهم الشريعة ولا النص.. فلا قيمة لخلافهم.. هؤلاء يسلمون الكفرة يخافون.. وجد في داخل المسلمين من يخاف وينهى عن تكفير اليهود والنصارى!! وبهذا هو يكفر.. من لم يكفر اليهود والنصارى كفر إجماعًا ولا مخالف في هذا.. من لم يكفر اليهود والنصارى، ومن لم يكفر البوذيين، كشيخ الأزهر أحمد الطيب، هو كافرٌ مرتد.. حين يسمي بوذا رجل السلام والصمت ويمدحه، هذا المدح؛ هو كفر بهذا.. حسن دينًا غير دين أهل الإسلام ودين المسلمين ودين الإسلام.. هذا يكفر.. من حسن غير دين المسلمين كفر.

هذه المرحلة القادمة ينبغي أن يكون فيها البيان بيّنًا واضحًا، وأن تقام الحجة.

البلاد التي قامت فيها الثورات وسقطت الأنظمة، كان الناس قد وصلوا إلى يقين بأن هذه الدول لم تعد صالحة، لا لإصلاحٍ دنيوي ولا لإصلاحٍ ديني، فالناس كلهم قاموا، هذا لا يعني أن الدول الأخرى خارجة، ولكن الناس يختلفون فيها لما حصل من قضية الاختلاف حولها ومن قضية خفاء كثيرٍ من الأمور في داخلها.

الله عز وجل يقيم من الوقائع ما يتحقق به البيان، والناس يرتدعون بالوقائع أكثر مما يرتدعون بالبيان!! كم بذل من أوراق وكلمات وخطب في بيان الرافضة وإجرام الرافضة؟! ومع ذلك بقي الناس يحبون حزب الله لأنه قاتل اليهود، ويحبون إيران لأنها تدعم حماس وتدعم حزب الله الذي يقاتل اليهود، الجهاد في سورية لو لم تكن له إلا هذه الفضيلة في كشف الكفار وكشف أعداء الملة.. وهذا يحبه الله عز وجل.. بل إن الأنبياء يموتون ويقاتلون من أجل البيان وإقامة الحجة، ومن أجل حسم موضوع الإعذار.. هناك أنبياء قتلوا.. قتلهم قتلة الأنبياء.. قتلوهم.. لماذا؟؟ من أجل إقامة الحجة الإلهية ليقع العذاب.

فهناك دول الناس يختلفون فيها.. الله عز وجل يحب أن يقطع الحجة.. هذا من أعظم ما ينبغي أن يُفهم.. لماذا أرسل الله الرسل، وبقوا سنين طويلة؟ لإقامة الحجة.. للإعذار.. الله عز وجل يحب الإعذار.. لا يحب أن يأتيه أحد..

هذه أكررها ألف مرة – إن لم تفهم في نفوسنا، لا نفهم سيرة التاريخ، ولا حركة الأنبياء، ولا كيفية العقاب والصبر: متى ينبغي أن يكون الصبر؟ ومتى ينبغي أن يكون العذاب الإلهي التام؟ –: لا يكفي أن يكوم الشيء بينًا في نفسك، يجب أن يكون ظاهرا في الكون لا يهرب منه إلا صاحب هوى بينًا في هواه.

فهناك أنظمة انتهى أمرها –كان كفرها بينًا وواضحًا– ولم يبك عليهم أحد.. حين ذهبوا لم يبك عليهم أحد.. لا يستطيع أحد أن يبكي على القذافي.. قد يقول بعضهم: هناك من يبكي عليه!! هؤلاء يبكون عليه لأنهم جهلة، ولأنهم رأوا فسادًا ما فلم يفهموا حركة التاريخ، وبعضهم صاحب هوى.. من الذي يطمع أن يعود القذافي اليوم؟! من؟! هذا مجرم.. ومن يبكي على ابن علي؟! من يبكي على هؤلاء المجرمين؟! من يبكي على مبارك؟! المجرمون الكفرة.

لم يبق أحد يبكي على هؤلاء إلا من كان كافرًا مثلهم، أو كان عاميًا جاهلاً لا يزيد أن ينظر إلى مكان قدميه.. لا يدري حركة التاريخ ولا يدري النظر إلى الأمة بأجمعها، يعني هناك أناس ليس مستعدًا أن تعود فلسطين وأن يخسر تجارةً بمائة دينار!! هل هذا يؤخذ منه أحكام؟! هل هذا لقوله قيمة؟! لا تنظر إلى هؤلاء.

هناك دول من الإجرام بمكان، ولكنها مستورة وفيها خفاء، وحولها اختلاف لاختلاط أفعالها الموهمة؛ فالله عز وجل يريد أن يقضي على هذه الأعذار، ويريد أن تقوم الأمور على وجهٍ تامٍ في قضية إقامة الحجة.

الذي أعتقده.. وأنا واحدٌ من الناس، وكل من يعرفني، كل من يعرفني يعلم أنني لست خياليًا ولست من أهل الاستبشار، في كل حياتي كنت وما زلت سننيًا: أراقب حركة الكون وأراقب حركة الجماعات الإسلامية، أراقب الإسلام كله من خلال أهله جميعًا، وليس من خلال جماعة من الجماعات، أنا معروف من أنا وإلى ماذا أميل، وما هو فهمي للواقع ولكيفية تغييره.. وهذا أمرٌ لم أغير فيه حرفًا.. ولم أكن تنبؤيًا قط في فهمي بأن هذا التنبؤ على جهةٍ من الخيال.. لا، أنا مؤمن بانتصار الإسلام.. اليوم غدًا، ولكنني رأيت شيئًا عجيبًا في موضوع الثورات العربية.. بلا شك أنها صنعت لدي فهمًا جديدًا.. لم يلغ شيئًا مما عندي ولكن فهمت من خلالها شيئًا من حركة التاريخ القادمة.. مسيرة التاريخ القادمة.

بعض الناس يعني يسب هذه الثورات ويرى أنها فاسدة، وبعض الجهلة -مهما كانت أسماؤهم كبيرة- يظنون أنها صناعة بشرية من الغرب من أجل كذا!! كل هؤلاء جهلة، بعضهم عملاء وبعضهم قذرين طبعًا.. وبعضهم ممن يقول: بأن الثورات التي قامت ضد الطغاة، برغم أنه ليس لها وجهة إلا وجهة إنسانية.. يعني الناس خرجوا من جهة إنسانية في بدايتها، ونعم، بدوافع إنسانية موجودة.. ولكن بقيم كامنة في داخل النفوس، التي تصنعها الثقافة ويصنعها الدين..

يعني مثلاً: الإنسان العادي لو كان دينه يمنعه من الإيذاء البتة حتى لمن يؤذيه ويطبق «لو ضربك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر» يطبق هذا حرفيًا، فإنه لا يقوم ويقول: اصبروا.. لو كان صوفيًا مثلاً يرى أنه لا يجوز أن يتحرك رافضًا لشيء، لأن هذا الرفض ضد التوكل، فعليه أن يصبر، كما هو شأن الكثير من الصوفية الخرافيين، فإنه لا يتحرك؛ ولكن من كان مثلاً: إنسانًا سليمًا سويًا فإنه يتحرك لرد الظلم، وفي تحركه تضبطه قواعد ثقافته، عقيدته، وقد تكون العقيدة في مجملها سليمة، وهذا هو شأن أمتنا، يعني عندما قامت الأمة، قامت من أجل مقاصد بشرية، لكن ما يكمن في نفوس الأمة هو ثقافة الإسلام، وهي عقيدة الإسلام بأن هذا ظلم ويجب أن نخرج ضد الظلم.

هذا مما لا ينتبه له البعض وللأسف يستهزأ به، ويقول: أين الإسلام في هذا؟؟ هؤلاء لو لم يكونوا مسلمين لما خرجوا، وقد يقول قائل: طيب.. لماذا الأمم تخرج هنا ولا تخرج هنا؟ لأنه وجدت ثقافة إسلامية بدعية ضالة تدعو إلى الصبر لدرجة البهيمية، صبر البهائم.. وجد!! وإلى الآن، يعني ألا يوجد مشايخ إلى الآن يدعون إلى

الصبر البهيمي ضد الطغاة؟! ألا يوجد ثقافة صوفية عند بعض الجماعات -صوفية تنشأ على مثل التبليغ في هذا الباب- ويقولون لك: إذا اعترضت حتى على الأسعار!! فأنت تعترض على قدر الله عز وجل.. عليك أن تذهب إلى البيت وتصلي ركعتين وتترك الأسعار **(الله هو المسعر)** على هذا المعنى في الحديث الصحيح، ويفسرونه على هذا المعنى؟!! يوجد!!

والأمة بلا شك في هذا الباب قد دخلت فيها البدع العظيمة، ليس بدع حمل السبحة، البدع في نظرتها إلى الكون.. في فهمها لعملية التغيير.. في نظرتها كيف تتحرك مع السنن الكونية، في نظرتها في كيف تتعامل مع نفسها ضد خصومها.. هذه هي البدع.. البدع الكامنة في النفوس في قضية «اصبر، اصبر، اصبر» لدرجة البهيمية!! ولا تعترض.. بالرغم من أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: **(من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده..)** جعل المرتبة الإيمانية العليا هي تغيير اليد.

اليوم بعض المشايخ يمنعون التغيير بالقلب!! منعوا باللسان ومنعوا باليد ومنعوا بالقلب.. الآن يسجن بعضهم -هذا السؤال- يسجن بعض المشايخ لأن قلوبهم -هكذا- لصمتهم دلت على أنهم ليسوا مع الطغاة، فقط!! وبعض المشايخ يؤيدون، لأن هؤلاء لم يظهروا تحسينًا للباطل ولا انسياقًا معه انسياقًا كليًا.. في قلوبهم غبش.. هذه ثقافة، وهي ثقافةٌ ضالة منشأها الإرجاء.. منشأها مشايخ الإرجاء القدماء.. منشأها الصوفية الخرافية.. منشأها الديانات الباطلة التي دخلت علينا كالغنوصية.. ويفسرون قوله تعالى: ﴿حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٣]، على هذا المعنى! وهو معنى باطل غير صحيح.

أعود إلى ما نحن فيه، الذي أعتقده: بأن الله عز وجل يريد أن يقيم الحجة في الهلكة، هذه نقطة مهمة، هذه أول ما ينبغي أن ينظر إليها طالب العلم.. لماذا؟؟ حتى ينتهي الأمر، من يبقى؟؟ يبقى من كتب الله عز وجل عليه الجهل والضلال والفساد ولا يخرج من هذا، وأما مجموع الأمة: فانظر إلى أنواع المشايخ الذين اعتقلوا.. انظر، تجد الإرهابي الشديد -وتبسم الشيخ- الذي يكفر هؤلاء القوم، وتجد من يسكت عنهم -هو على هذا الدين، ولكن يسكت ولا يجابه- وتجد من يريد الإصلاح، وتجد من ينشغل بغيره -لا يهمه هؤلاء.. ليس معهم ولا ضدهم.. وينشغل بأمرٍ آخر- وتجد الإصلاحي الذي يحب للمسلمين الخير في خارج بلده - وضحك الشيخ-.

يعني الشيخ سلمان العودة المنتشر الآن أنه فرح لتقارب دولتين وإزالة الشحناء بين دولتين، فكأنك تحب الخير للآخرين!! يعني هذا هو التوصيف في حالتهم مع أن الموضوع أكبر كما تعلمون، ولكن انظر كيف يتعلقون.. من أجل ماذا؟؟ من أجل إقامة الحجة الإلهية، من أجل أن يعلم الناس أنه لا فرق -في هذه الأنظمة- لا فرق بين نظامٍ يصرح ونظامٍ يتلبس بلبوس الإسلام، فكلهم على الواقع سواء، هذه النقطة الأولى.

الله عز وجل يحب العذر، ويحب القضاء على الشبهة التي تنشأ في نفوس بعض الناس الأتقياء الصالحين الذين يحبون الحق.

موضوع الانتصار للمجرم السيسي والوقوف ضد جماعة مسلمة -حتى لو كانت مبتدعة- والوقوف مع الكافر، كانت بينة لكثير من قطاعات المسلمين.. ارتفع الغطاء.. والآن هذه الصورة التي نراها في قضية سجن المشايخ على اختلاف أنواعها، بلا شك أن تسمية المشايخ الذين هم عندهم أنهم معتدلون، كالشيخ القرضاوي وفلان ووضعهم على قائمة الإرهاب، هذه كانت كاشفة، الآن الكشف أشد من ذلك بكثير، ومد الشيخ صوته بها، وأشار بيده إلى كثرتها، ولا أدري من بقي في الحظيرة على معنى التأييد.. إلا من أضله الله.. لا أدري.

فأولاً عندي.. التعليق الأول: أنا لست حزينًا.. كل عمري ما حزنت على سجن الرجال، أنا أحزن على سجن أخواتنا النساء والأطفال.. أما السجن للرجال، لهذا خلقنا، يعني لما يأتيني فلان سجن!! سجن.. شيء عادي.. فلان استشهد!! هنيئًا له.. يعني نسأل الله أن يلحقنا به، إن كنا على حق، فينبغي أن ندعو الله كل ليلة أن يرزقنا الشهادة.. فلان استشهد، فلان.. هذا لا يرفع شيئًا من غضبي ولا من اهتمامي.. فلان سجن.. لهذا خلق، ومتى كان السجن.. حتى العوام عندنا يقولون: «السجن للرجال».. العوام.. فالسجن لا أهتم له، ولا أحزن على من سجن.

وأنا شهدت وقائع.. أحكي لكم قصة -لا بأس بشيء من الطرافة-: تعرفون أنني سجنت في بريطانيا، والسجن في بريطانيا ليس كالسجن هنا.. سجنت في الأردن لمدة سنة وشهرين تقريبًا، ولكن سجنت لمدة ١٢ سنة في بريطانيا.

لا شك أن السجن عذاب، ﴿إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٥)﴾ [يوسف: ٢٥]، فجعل السجن مقدمًا

على العذاب الأليم.. السجن بلا شك قيد وهو مؤلم، ولكن ليس للدرجة التي يظنها بعضهم: أن السجين لا يحس بنعيم ولا فرح!! لا لا لا، السجين له لحظات من التعامل مع الله عز وجل من أجمل ما تكون، الله عز وجل يفتح عليه إذا اشتغل بالصبر والطاعة واليقين على أن الفرج قادم.. يعني تأتيه لحظات فرح، ولا شك أنه يصيبه من اللأواء والتعب ما يحقق له معنى الصبر في قلبه ويحقق الأجر، لولا الألم ما كان الصبر ولولا الصبر ما كان الأجر، فلا بد من ألم.. هذا مما لا شك فيه.

ولكن يضرب مثال على الناس حين يفرحون من آلامهم، يقال: الهندي حين يأكل الفلفل –الهندي يأكل الفلفل كثيرًا– فعندما يأتيه الفلفل ويأكله فينزل الدمع.. وينزل المخاط وهو يتألم، ولكن يفرح.. يأكل يفرح، فهكذا مرات الفرح يأتي من داخل الألم.

كنت في السل –هذه الخلية التي تسمى السجن الانفرادي– وهناك في بريطانيا لا يوجد إلا السجن الانفرادي، لا يوجد سجون مهاجع، ولذلك لما دخلت السجن في الأردن خرجت من السجن، يعني كان سجن الأردن هذا ليس سجنًا –وضحك الشيخ– بعض الإخوة: هذا سجن!! بمجرد أنك تعيش مع الناس.. تصلي معهم.. وتنام وأنت تتكلم مع فلان وكذا، فهذا السجن لا يعادل شيئًا من السجن في داخل بريطانيا.

كنا في السنوات الأولى قبل أن ينقلونا إلى مكانٍ خاص.. مجموعة من الإخوة وضعونا في مكان خاص.. عزلونا عن الناس، وإلا في بداية الأمر فقط نخرج ساعة في كل يوم –ساعة، وأقل من ساعة– يسمونها التشميس، أو «exercise» في لغتهم.. فالقصد: كنا يومًا وقد خرج أهلنا وأحبتنا في بريطانيا بمظاهرة أمام سجن «Belmarsh» هذا في السنوات الثلاث الأولى، فهم يصرخون ومكان سجننا قريب من الباب، فنحن نسمع مرات الصراخ يصل إلينا، إذا كان هناك هدوء نسمع الصراخ.. هذا في يوم سبت.. وبجانبي أخ مسجون تونسي –لعله إذا سمع الآن القصة يذكرها– فأنا كنت مشغولاً بالقراءة، وهو يحب سباق «الفورميلا ون» وكذا، وأنا أتعجب ممن يتمتع بالنظر إلى هذه الرياضة الغربية جدًا.. سيارات تمشي.. لماذا؟! لا أفهم منها شيئًا، فالمهم: أنا أسمع الصراخ –الكلام كان بعد العصر في يوم سبت– تهدأ قليلاً فيأتي الصراخ.. أعرف أنهم –كان الأهل قد أخبروا– سيخرجون مظاهرة أمام السجن.. فطرقت على الحائط على الأخ بجانبي: فلان –ومن ماسورة التدفئة– فلان، قال: نعم، قلت: ماذا تصنع؟ قال: انظر إلى الفورميلا ون –وضحك الشيخ– وفرحان!!

قلت: يا رجل! الناس في الخارج يظنون أنك في العذاب –وضحك الشيخ– وهو ينظر إلى الرياضة.. أنا كنت بفضل الله أقرأ الحمد لله، –فقط للخبر وليس للتزكية– كنت أقرأ.. قلت: مسكين يا فلان! هم في الخارج يقولون: أخرجوا إخواننا من العذاب والألم، وأنت تنظر إلى الفورميلا ون!!!

القصد: بأني لا أهتم، يعني: تجربتي.. وما قرأت عن الناس –بلا شك أن السجن عذاب وألم– ليس هذا تخفيفًا، ولكن من أجل أن نقرأ الأمور قراءة صحيحة.

سجن فلان، سجن فلان، فليسجن مائة فلان وألف فلان.. يعني في السجن الحمد لله يقرأون القرآن وو.. والإمام أحمد له كلمة عظيمة، يقول: كنت أدعو الله عز وجل أن أثبت القرآن وأمكن القرآن، فما ثبته إلا في القيد!! ولذلك هو يقول: إذا دعوتم بشيء ادعوه مع العافية.. ثبت القرآن مع العافية وليس في السجن!!

والحقيقة: أن أيام السجن أيام طاعة عجيبة، يعني المرء في دعائه.. في صلاته.. في استغاثته.. في إخلاصه لله.. في بعده عن المعاصي، فهذه جوانب يستغلها المرء.

ولابد للقيد أن ينكسر، أمهاتنا في فلسطين لهن كلمة عظيمة، يقلن: «يا ابني باب السجن ما بيتسكر» يعني من يسجن سيخرج، طال أم قصر سيخرج، سيخرجون؛ وأحد إخواننا نسأل الله أن يفك أسره.. خالد الفواز، كان يقول للإخوة: سنخرج.. سنخرج رغم أنوفهم من هذا السجن، رغم أنه حكم مدى الحياة في أمريكا بعد أن سلم من بريطانيا، وهو نجدي.. خالد الفواز، كان يقول: سنخرج.. سنخرج رغم أنوفهم إما أمواتًا أو أحياء.. المهم سنخرج من سجونهم؛ فالقصد: لا تذكروا كثيرًا السجن، يعني: بعض الناس يتألم.. أقول لك: انشغل بغير هذا.. انظر إلى نظر الله، وراقب عين الله عز وجل في حركة الوجود.. هذا أولاً.

الأمر الثاني الذي عندي في فهمي لهذه الاعتقالات، غير أنها إقامة حجة وكشف وبيان وتوضيح حتى لا تبقى حجة لأحدٍ بعد هذه الأحداث، أنني أعتقد أن الذين سجنوا أن الله عز وجل يريد بهم الخير.. وهذا كتبته البارحة.

ماذا أقول؟؟ أقول: بأن كثيرًا من المشايخ –لأسباب ليس النقاش حولها.. هذا ليس فتحًا للمواقف الصح

والمواقف الغلط– أنا أعتقد بأن الله يريد بهم الخير في هذا السجن[١].

هب أن الله عز وجل أراد التغيير، وقد وقع التغيير وهؤلاء المشايخ متماهون مع الأنظمة، فماذا سيكون موقفهم بعد ذلك؟ إذا وقع التغيير، والتغيير –هذه نقطة– آتٍ.. هذه قضية يقينية: أن التغيير آتٍ، وأن الإسلام –ليس المستقبل على ما قاله سيد، لا، غدًا.. غدًا سيتم التغيير، وهو قريب سيشهده من هو حيٌّ فينا، بل والله سيشهد الكثير من الأحياء منا، بل أغلب الأحياء في هذا العصر من المسلمين، سيشهدون فتح بيت المقدس..

لنتجاوز هذه النقطة، وربما نتحدث عنها في وقتٍ آخر؛ نعود إلى النقطة الأخرى: هب أن التغيير وقع في هذه الأنظمة والمشايخ على هذه الحال التي كانوا يعيشون فيها، فما هو دفاعهم؟ كيف سيكون حالهم؟ بلا شك الحياء والتعذر، والناس سيفتحون عليهم أبواب النقد وو... إلخ.

الله أراد بهم الخير، أنا استبشرت كثيرًا بهذا الاعتقال، استبشرت كثيرًا بأنه قد قرب عذاب الله عز وجل على من يعذب ممن يستحق، وأن الله عز وجل أراد بهؤلاء العلماء الذين سجنوا الخير.

ووالله ليس في قلبي إلا الحب لهم، مع أن بعضهم يقول: ولكنك انتقدت فلان!! نعم، أنا في الحق أنتقد لمعياري فيه، ولكن حين يقع البلاء على أحد من المسلمين، فوالله لا يبقى في قلبي الغيظ إلا على أعداء الله.. ووالله منذ أن سجنت تعلمت أن أحب كل المسلمين، ولكن في العلم لا محاباة، حين أتكلم في العلم فلا محاباة.. لو فتح الآن باب الحديث عن الأشعرية، ستجد كلامي من أشد الكلام في بيان انحرافاتهم، ولكن حين تقع معركة الإسلام ضد الكفر، فوالله إن الأشعري هو حبيبي، أصلي وراءه وأدعو له، ووالله –كررتها.. سمعتموها– إني كنت أدعو لمرسي في سجودي، ووالله إني إلى اليوم أدعو للسجناء من المسلمين في مصر في سجودي.. إلى اليوم.. ووالله في يوم عرفة مما انشغل به لساني: الدعاء لأهل الإسلام جميعًا، بغض النظر عن تنظيمهم.. في مصر وفي سورية وفي العراق وفي الجزائر وفي كل مكان.. ووالله لا أذكر أنني تركت بلدًا أعرف فيه مسجونًا وهنا إلا دعوت له.. ووالله ما خصصت مسلمًا بالدعاء، بل عممت لكل المسلمين ولكل الجماعات، عندما تكون المعركة بين الإسلام والكفر أنا لا أفرق، لكن عندما يكون العلم فحينئذٍ تقسو بمقدار خطأ المرء في العلم، هذا موضوعٌ آخر.

---

(١) من هنا يبدأ مقطع الفيديو الثاني.

فالذي رأيته – النقطة الثانية في هذا الموضوع –: أن الله عز وجل أراد بهؤلاء العلماء خيرًا.. سجنوا، هذا سجن قليل هناك من هو مسجون قبلهم من المشايخ والدعاة الخيرين.. ولكن سجن هؤلاء المشايخ خير.. افرحوا له.. افرحوا.

حين يكون الألم يتولد منه الخير نفرح –وضحك الشيخ– لذلك يكون الأب فرحًا على ألم زوجته عند المخاض، وتكون الأم فرحة على ألم ابنتها، هي تتعب لأن ابنتها تتألم، ولكنها تفرح.. والغريب جدًا: أن الأم حين تلد –لعل الآباء يعرفون هذا– تقول الزوجة: لن أعود إلى الولادة قط!! فقط بعد يومين ثلاثة من الولادة تقول لها: هل تريدين أولادًا جددا؟ تقول: نعم أريد –وضحك الشيخ– والبارحة تألمت!!

هذا هو شأن الدعاة.. يعني ألا يكفيك السجن؟؟ نعم، عندما يخرج المرء يقول: الحمد لله، يعني الآن أرتب وضعي قليلاً.. بعد يومين فإذا هو –وضحك الشيخ– يتخفف من الألم ويعود إلى مشاجراته ومطاحناته ودعوته وو...، هذا هو الإنسان..، ولذلك مع هذا الألم الذي يعيشه أهلهم.. يعني أعرف ألم الآباء.. أنا الرجال لا أهتم لهم.. أنا أتألم للنساء، أتألم للعائلات، أتألم للأطفال.. هؤلاء يشغلون كل صاحب قلب، ولكن هؤلاء في السجن ينشغلون بالقرآن، ينشغلون بالذكر.. ينشغلون بالعبادة.. وستجدونهم خيرًا مما كانوا عليه قبل السجن.

إذن الله أراد بهم الخير لأن التغيير قادم، فأراد الله عز وجل أن يفصلهم.. يميز.. لستم كهؤلاء، أنتم أحبكم، أنتم مكان محبتي، سجنتكم حتى أبرأكم.. فهل يستحقونه؟؟ سنرى في الأيام القادمة.. ونسأل الله أن يصبر هؤلاء المشايخ وأن يرفع شأنهم وأن يكونوا أئمة.

أنبه على نقطة هنا –لعلي أطلت، ولكن لا بأس– أنبه إلى نقطة مهمة في هذا الباب: إن بعضهم يحسد – يعني: لسبب سبقه– يحسد أن يلحق في الطريق من كان خصمًا له!! يا رجل، عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان من أشد أعداء المسلمين، فأسلم فسبق الأولين، سبق الأولين.. أنت عندما يكون أمرك أنك، عندما أقول: هؤلاء المشايخ سيعودون أئمة من المعتقل، تقول: هؤلاء أئمة!! هؤلاء الذين عادونا!! لتكن دعوتك لله يا رجل، أنت تخاصمك لشيء لك خاص؟! هؤلاء كان لهم اجتهاد –وهم من أهل العلم– وقد يصاحبه بعض الهوى، ولكن الله غفور رحيم.. ولكن الله عز وجل لو عاقبنا على ما في نفوسنا من الهوى لهلكنا، كلنا ذاك الرجل، ولذلك أتمنى من الله عز وجل وأحب لهم.. أنا أحبهم.. أحب هؤلاء المشايخ وكل من سجنوا.. هؤلاء أحبهم،

والأخوات اللواتي سجنن -وقد سجن أخوات- وأنا أدعو لهن وأتمنى من الله أن يرفع شأنهن في الدنيا والآخرة، وأن يفك أسر الجميع.

فأقول للذين يعتبون أو يفتحون أبوابًا: هذه ليست من شيم الكرام أصلاً.. من يلتجأ إليك ولو كان قاتل أبيك عليك أن تحميه، لو كان قاتل أبيك.. هذه صفة الكرماء والأجّواد والعظماء.. فكيف إذا التصق هذا كله بالإيمان؟! لما جاء خالد بن الوليد وقد أسلم، وجاء عمرو بن العاص وقد أسلم، فرحوا بهم الصحابة.. فلما جاءوا ركض أحدهم وأراد أن يبشر النبي صلى الله عليه وسلم، فطلب أبو بكر أن يختص بهذه البشارة: أن جاء هؤلاء الذين قتلوا المسلمين.. في أحد من الذي قتل المسلمين؟؟ خالد بن الوليد، قتل المسلمين يا رجل!! هؤلاء المشايخ وقع منهم أخطاء.. على اجتهاد.. احملها -لأنهم علماء- احملها على الاجتهاد.. احملها على أنهم أرادوا الخير أو تخفيف الشر.. أرادوا زيادة الخير.. أرادوا الموازنة.. هذه هو شأن المرء في نظره للحياة.

بعض الناس يقول: انظر هذا ماذا كان يفعل؟ أرى بعضهم يكتب هذه الكتابة.. هذا انحراف، هذا ليس من الأعمال الإيمانية، هذا ليس من أعمال الأتقياء ولا من أعمال الأجواد ولا من أعمال العظماء..

نحن نحب هؤلاء.. نحبهم.. هؤلاء مشايخ.. شيخ الإسلام عظيم، وهو يقول: لما أراد محمد بن ناصر قلاوون أن يقتل من أفتى بقتلي، قال: لو قتلتهم من يفتي.. من يعلم؟

أقول: كم واحد يسمع لي أنا؟ ألف؟ ما شاء الله ما شاء الله!! من يسمع لهؤلاء العلماء؟ الملايين.. أنا أنتقد الشيخ القرضاوي، ولكن الشيخ القرضاوي يسمع له الملايين.. هداية الشيخ القرضاوي ورفعته أعظم من كلامك.. أن يكون عدد الذين يسمعون كلامك ألف أو ألفين.. فهو يسمع له الملايين، فأن يقول الحق أحب من أن تقول أنت كذا وكذا.. أنت يسمعك واحد أو اثنان، هؤلاء المشايخ يسمع لهم الملايين، فرفعتهم رفعة الدين، وننصرهم لأنهم أئمة.

وحينئذٍ نقول: إذا جاءت الأمة جاء هؤلاء.. هؤلاء أئمة الأمة، هدايتهم أحب إلينا لأننا نريد نصر الدين، لا أن ننصر الدين الذي هو عندنا ولنا.. فإذا كان هذا الدين عند غيرنا لم ننصره إلا بأن يلتصق بجماعتنا وبشيوخنا!! هذه من الانحرافات التي أراها وأحسها في نظرة بعضهم إلى الأمة وإلى علماء الأمة.. هؤلاء علماء.. الذين لا يحبون الخير لحماس هؤلاء كأنهم لا يحبون الخير لطائفة كبيرة من الأمة.. بها ستتحقق النبوءات العظيمة

القادمة.

كم يسمع لي.. كم يسمع لهؤلاء.. كم يسمع لنا؟؟ نحن فقط -لو كانت القضية قضية النظر إلى العدد، ووالله لمشينا وراءهم- ولكن نلحق ما نراه الحق، وهذا هو المطلوب منا.. المطلوب منا: أينما كان الحق اتبعناه.. قليل كثير، فهذا لا يهمنا في التزامنا لأنفسنا.. وكذلك نحب الحق أن يكون في هؤلاء، هؤلاء أولى الناس بقيادة الأمة، لأنهم مقبولون من الأمة أكثر من غيرهم.. هذا هو الواقع، وهم في واقعهم يسعون الأمة.. هؤلاء العلماء يسعون الأمة.. أنا لا أتكلم فقط عمن سجن، ولكن من هم على شاكلتهم كذلك.

علينا ألا نسعى لإسقاطهم.. علينا أن نسعى للدعاء لهم ليرفعهم الله عز وجل إلى مهمات الأمة؛ ولذلك سجنهم من هذا المعنى.. عندي والله تعالى أعلم.. أرجو أن يكون هذا، وأنا أحسن الظن بربي عز وجل.. أحسن الظن بأمتي.. أنا أحسن الظن بأمتي، أحسن الظن بالعلماء فيها من كل الطبقات.. هذا هو شأني.

نجد بعض الناس «محزقينها» كما سميتهم مرة «السلفية الجينزية»، في كل طائفة في جينز.. جماعات الجينز يعني.. يضيقون الإسلام بحسب تنظيمهم.. أنا أعرف كيف الجماعات؟ وما هو تحزبها.. لا أتكلم فقط عن إخواني في الجماعات الجهادية.. الجماعات الأخرى: السياسية والدعوية كذلك.. ولو أردت أن أتحدث عن هذا نملأ المجلدات في الجماعات الحزبية.. أعرف هذا أعرف.. أعرف هذا، ولكن لا يهمني.. يهمني أن ينتصر الإسلام.

لو حكمني هؤلاء سأدين لهم بالطاعة -حكموني بالشريعة- سأدين لهم بالطاعة، وأحبهم وأدعو لهم وأقاتل دونهم، لأني لا أريد أن تنتصر الجماعة، أريد أن ينتصر الإسلام، وأن تتحقق نبوءات النبي صلى الله عليه وسلم الشريفة العظيمة بنصرة هذه الأمة.

القصد من هذا كله: ندعو لهم.. نحبهم.. ونفرح بأن النصر آت؛ وقد يقول قائل: تفرح لسجنهم؟!! نعم، أنا أفرح للألم الذي تعقبه الولادة الشريفة العظيمة القادمة.. وستجتاح الأمة.

سموا هذا ما شئتم.. أنت تتخيل! سموه تخيلاً.. أنت تستشرف، ولكن بحسب ما تؤمل وليس الواقع!! قولوا ما شئتم.. غدًا لناظره قريب.. أنا وأنتم -إذا أحياني الله- قريبًا سأقول لكم ما أكره أن أقوله دائما: «ألم أقل

لكم؟» فسأقولها يومها سأقولها -وضحك الشيخ- ولكني متأكد أنه سيأتي الآخرون لينافسونا: أنت كنت جاهلاً.. أنت لم تفهم الأمور على وجهها.. أنا أعرف.. لم أستطع يومًا أن ألزم أحدًا في مناظرة، ولكن سأقولها رحمة بنفسي وبالآخرين.

بارك الله فيكم، والحمد لله رب العالمين.

٦٥- كلمة عن بورما

ضمن الجلسة التاسعة، بتاريخ: (١٤٣٨/١٢/٢٣هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/٩/١٤ م)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل الأخ عن موقفنا من قضية أهلنا في بورما.

جواب الشيخ: تعدو الذئاب على من لا كلاب له، فهذا الدين البوذي الذي يسميه شيخ الأزهر المرتد أحمد الطيب بأنه دين الإنسانية والصمت، وأن بوذا هو سيد الصمت والحكماء، كذبًا وزورًا.. هذا هو ما يفعله البوذيون في أهل الإسلام هناك، نقمة عليهم لأنهم يوحدون الله عز وجل ويفارقون دينهم الشركي.. فهذا هو حالنا.

المشكلة: أن صراخنا نطلبه ممن لا يستجيب له، سواءً من حكام، أو من دول تنتسب للإسلام، أو من دول كافرة، أو من منظمات كافرة، وهذه هي مأساتنا؛ لكنها كذلك هي من الأدلة العظمى على إقامة الحجة على هؤلاء الكفرة من المجرمين الحكام، الذين ينفقون الأموال ويشترون الأسلحة من أجل تقوية الكافرين.. الأسلحة ليست لهم، الأسلحة بالنسبة إليهم خردة.. خردة تبقى في أماكنها.. تشترى كما الخردة.

أنتم لا تذكرون، أنتم شباب، لما اشترت بعض الدول «الأواكس» هذه الطائرة التي تكتشف حركة السماء وتراقب الطيران في الجو، وبعد ذلك خرجت طائرات من فوقها وقصفت المفاعل النووي العراقي؛ وأحد الإخوة أضحكني يومها -وقد صارت ضجة: أنه جاءت «الأواكس»- قال لي: أنها مجرد صاج فلافل!! لأن فوقها صحن هكذا.. صاج فلافل، وبالفعل هي ربما الآن تحولت إلى صاج فلافل، حديدها الواسع هذا.. تحول إلى صاج فلافل؛ وما أدري.. بعض الإخوة في غير بلاد لا يعرف «الصاج».. «الصاج» هو: القدر الكبير المتسع المفتوح، وليس كالطنجرة مغلق.. هو مفتوح.. يسمى هذا صاج.. يقلون به في بلادنا الفلافل وغير الفلافل، ولكنه معروف بصاج فلافل.

فهذه الدول تشتري الأسلحة وتنفق المليارات، من أجل إشغال غيرهم فقط، وأن تتخذ هذه الأسلحة خدمةً لهم كذلك.. خدمة لأعدائنا وليس لأمتنا، وإعمالاً لهذه المصانع لكي تشتغل، ثم ما إن تنتهي الصفقة

حتى تخرج صناعات جديدة تنسي الصناعات الثانوية التي قدمت لهذه البلاد الغبية.. ليست غبية في الحقيقة!... ذكية.. ولكنها مجرمة.

فهذه صورة من صور إقامة الحجة الإلهية على هؤلاء المجرمين، الذين باستطاعتهم بمليارات قليلة أن يشتروا أعناق هؤلاء المسلمين.

أنا أذكر لكم قصة، ربما ليس فيها المدح، ولكن فيها الذكر والاتعاظ والعبرة.

لما انفصلت باكستان عن الهند، وسميت باكستان الدولة المباركة التي أقامها المجرم الذي لا يعرف الإسلام محمد علي جناح، يسمونه «قائد أعظم» وهو مجرم لا يعرف الدين ولا يعرف الصلاة، ولم يكن مسلمًا في أصله، بل قادياني أو بهائي أو غير ذلك.. المهم: أنه ليس من الإسلام في شيء، وزوجته معروفة من أين أتت، فجاء بعض أئمة الإسلام كأبي الحسن الندوي رحمة الله عليه، سمعته بنفسي يعتبر أن انفصال باكستان عن الهند، أنه لم يحقق الخير للمسلمين، وبعض المسلمين -وسمعتها من نائب الشيخ أبي الأعلى المودودي- لأنه لا يراها كذلك، يراها أنها حققت مقاصد المسلمين، ولا يهمنا الآن البحث في هذا.

لما انفصلت وصارت المقاتل والمجازر في المسلمين في الهند، انقسمت باكستان إلى دولتين: باكستان الشرقية وباكستان الغربية، فباكستان الشرقية التي تسمى الآن «بنغلاديش» وباكستان الغربية التي هي باكستان الآن.

الباكستانيون الغربيون يحتقرون الشرقيين، يعني يعتبرونهم شعبًا أدنى -وهذا من الجاهلية التي يعيشها أهل الإسلام في كل مكان.. عرب وغير عرب- فباكستان الشرقية أكثر عددًا فانتصر حزبهم، فقام بوتو ورفض مقررات هذه الانتخابات.. المهم: غضب الباكستانيون الشرقيون وأعلنوا انفصال بنغلاديش، الهند دعمت هذا، تحب هذا الفراق؛ فدعمت، وكان هناك مجموعة من الجنود الباكستانيين المغربيين قد وقعوا أسارى -بعشرات الآلاف- بيد السلطات الهندية والجيش الهندي، وأرادوا قتلهم، فتدخل الملك فيصل في ذلك الوقت -كما تقول الأخبار.. لست متوثقًا.. لكن هذه أخبار منتشرة، وهي لإقامة الحجة- أنه دفع للهند ملايين لاستنقاذهم، يعني: اشتراهم كعبيد من أجل أن ينقذهم.. فالقصد: أن المال الذي ملكه أنقذ المسلمين.

ولما فيصل نفسه وقف في موضوع الحرب في الـ «٧٣»، وأعلن إيقاف النفط عن الغرب أحدث ضجة

وضغط عليهم، وأثر تأثيرًا إيجابيًا.

القصد: أن هؤلاء الذين يملكون الأموال، على ماذا ينفقونها؟!! هؤلاء المسلمين في بورما، بمليارات قليلة جدًا، وهي عندهم مثل التراب.. مثل السيجار الذي يدخنه بعضهم، أو الثوب الذي يلبسه، أو لحظة الحفلات التي يعيشها، أو رحلة الاستجمام التي يقضيها؛ يستطيع أن ينقذ هؤلاء العشرات الآلاف من المسلمين.

يستطيع أن يضغط من خلال المال.. هذه الدول في جنوب شرق آسيا دول تشترى وتباع -معروف هذا- وحكامها مرتزقة يتحركون ضمن حركة المال والدفع والعطاء؛ فلماذا لا تشترى هذه.. الأموال تدفع لهم لماذا؟ من أجل استقرارهم وحمايتهم؟! لكن هذه من حجج الله عز وجل على الأمة.

فما هو المطلوب؟؟ هو: أن ندعو لهم، ولكن هذا يمكن.. مثل هذا الحالات لا ينفع.. الحركات الشعبية لا تنفع.. هذه تحتاج إلى حركة أمة وحركة دولة مؤثرة.

يعني: نحن علمنا أنهم سكتوا، كما صار في فلسطين، ولم ينقذ الأقصى إلا أهله، ثم بعد أن تم النصر تسابق الآباء على قطف النصر.. كذبة.. كلهم كذبة.. لم يصنعوا شيئًا.. ولا واحد منهم تدخل.. ولا يستطيع أحد أن يتدخل، ولكن الذي تدخل هم الشباب.. هم النساء اللواتي وقفن والرجال الذين وقفوا في الأقصى من أجل إيقاف إجرام نتنياهو اليهودي هناك، فنفس الشيء هناك.. أنتم تؤثرون؟ تدخلوا.. ادفعوا شيئًا من الملايين لهؤلاء الحكام.. ادفعوا لهم.. اضغطوا عليهم بالمال.. اضغطوا عليهم بشراء الذمم، كما هو شأن الحياة.

فهذا من إقامة الحجة على هؤلاء المجرمين؛ أنهم يسكتون عن الآلام والمآسي التي يعيشها أهل الإسلام هنا وهناك، ولذلك هم عندما يزعمون أنهم يحمون المسلمين في كل مكان، فأين حماية المسلمين في كل مكان؟! أين؟! ولا تنطلق أموالهم إلا بالأوامر العليا وإلا ضمن مصالحهم الضيقة والأهواء.

انظروا إلى الأموال التي تنفق!! بعض الدول تنفق على حزب العمال الكردستاني الذي هو ملحد، يدفعون لهم الأموال، قال تعالى: ﴿يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ [الأنفال: ٣٦]، الأموال تنفق لشراء الذمم.. انظروا إلى إنفاقهم على الصحافة الكافرة!! انظروا إلى إنفاقهم على القنوات الفاجرة!! انظروا.. مليارات!! وقارن بين إنفاقهم على هذه القنوات الفاجرة وعلى الصحافة المهاجرة الكافرة

الفاجرة الملعونة التي يوجد فيها كل قاذورات العالم في صدها عن الإسلام وصدها عن المسلمين، وانحيازها إلى أعداء الأمة والملة والدين، وانظر إلى فرح بعض المشايخ بأنهم يطبعون المصاحف!! انظروا مقدار ما يطبعون هنا وما ينفقون هناك!! سنة واحدة من طباعة المصاحف لا تعادل راتب واحد فاجر من هؤلاء المستشارين الكفرة هنا وهناك!! أو على فيلم يمثل للاستهزاء كهذا «الغرابيب السود» المجرم.. الذي يمثل من قبل روافض لسب أهل السنة.

فهؤلاء المسلمون في بورما، من لهم؟ الشعوب مساكين، لكن المطلوب هو: أن يتحرك أهل الإسلام في بنغلاديش تحركًا بما يعادل الجريمة، وبالحكمة التي تحقق رفع البلاء عنهم، وندعو الله عز وجل على من انكفأ عن نصرتهم وهو قادر أن ينصرهم، ندعو الله عز وجل عليهم.. هذا ما عندي، والمأساة كبيرة ولا شك..

وكذلك أنبه بأن كثيرًا من الصور التي ينشرها بعض النشطاء وبعض الإخوة، الكثير منها ليست للأحداث في بورما.. هذا حرق الأطفال هذه ليست في بورما، والثقات يخبروننا: أن هذه في أحوال مختلفة، ومثل قضية الرجل الذي يحرق في داخل عجلة.. هذا متظاهر هندي.. هذا ليس في بورما، وتقطيع الأطفال والوقوف فوقهم.. يعني: بعض الناس ينشطون ويتألمون.. هذه مشعوذ هندي يعالج الأطفال الصغار بالوقوف فوقهم؛ فننتبه لهذه الأمور لئلا نقع في أخطاء جسيمة في قضية نصرتنا للحق بأدلة وصور باطلة، فننتبه لهذا ولا نكون إمعات في هذا الباب.. وللأسف الكثير منا يخطئ في هذا الباب.

والله تعالى أعلم، وجزاكم الله خيرًا.

٦٦- رأي الشيخ بجماعة العدل والإحسان المغربية

ضمن الجلسة التاسعة، بتاريخ: **(١٤٣٨/١٢/٢٣هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/٩/١٤ م)**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل أخ: ما رأي فضيلة الشيخ بجماعة العدل والإحسان المغربية؟

جواب الشيخ: بغض النظر عن حالة الإعجاب التي يكنها المرء لشخصيات تملك هذه التي تسمى مصطلحًا «الكاريزما» - أي القدرات وأدوات الفاعلية، فلا شك أن شيخها -شيخ العدل والإحسان- يملك قدرات عجيبة؛ يعني أن يكون هذا الرجل عنده هذه الفاعلية بأن ينشئ تيارًا عريضًا كبيرًا في المغرب.

ورحمه الله، فالرجل أفضى إلى ما قدم.. وأظنه عمل سلسلة من الحلقات ذكر فيها تاريخه مع الأستاذ عزام التميمي فيما يسمى ببرنامج «المراجعات».

بغض النظر عن حالة الإعجاب التي أكنها لهذا الرجل لما يملك من قدرات، فلا شك أن رجلاً على هذه الحالة من القدرات؛ لا بد أن تقع منه الأخطاء والهِنات.

الناس يحملون عليه من جهتين.. جماعة العدل والإحسان يحملون عليها من جهتين:

الجهة الأولى: أن موقفه من الروافض وثورة الخميني لم تكن مهدية، وأنا أعذره في هذا قديمًا، فإذا وقع منهم بقاء التأييد اليوم فلا يعذرون.

لما قامت ثورة الخميني بلا شك فتنت الناس، وأحدثت في الحقيقة بعض الجوانب الخيرة.. أنتم تعرفون أن كثيرًا من الناس اهتدوا إلى الإسلام بعد أن نظروا إلى ثورة الخميني، لأنها رفعت شعار الإسلام في الابتداء بعيدًا عن الطائفية.. بعيدًا عن الرفض، حتى لما كملت الدولة والدستور ظهرت طائفيتهم، وتبنوا المذهب الجعفري في أحكامهم إلى غير ذلك، وبدأ انتشار المصائب والرافضة في إيران ضد السنة، عندها بدأ الدعاة من أهل السنة ينشرون ما عليه الرافضة والخميني وما عليه جماعته من بغضٍ لأهل السنة والتعصب ضدهم.

فأنا أعذرهم في البداية من أخطأ في ذلك، لأنه لم يدقق في حالهم، ولأنهم لم يعلنوا الدين الذي يدينون به،

حتى إذا ظهر دينهم ينبغي التراجع.

وهناك مشايخ كبار محترمين تراجعوا كالشيخ القرضاوي مثلاً.. الشيخ القرضاوي أعلن تراجعه، وهذه مما تحسب له وتعد من فضائله جزاه الله خيرًا.. أنه مع وقوفه مع إيران وحال تقارب مع شيخهم المجرم التسفيري، الذي أظن هو رئيس لجنة التقارب.. فبعد ذلك علم ما هي إيران وتراجع؛ كما تراجع قبله بعض المشايخ كالشيخ مصطفى السباعي، كما ذكر ذلك في كتاب «السنة ومكانتها في التشريع»، وكما تراجع من قبله آخرون.. يعني حتى حسن البنا كان عضوا في لجنة التقارب، ثم تبيّن له ما هم عليه من الحال؛ فهذا وهو أن يتراجع المرء عن الخطأ من الكرامات.. هذا من الكرامات.

فأنا لا أعرف في الحقيقة الآن: ما هو حال جماعة العدل والإحسان؟ هل هم بقوا على ما كان عليه شيخهم وإمامهم من تسميتها «الهبة» أم تراجعوا؟ أنا من مدة منعزل، ولا أدري ماذا يقولون.

هذا مما يعاب عليهم، فأرجو أن يكونوا قد تخلصوا من هذه التهمة، وتخلصوا من هذا العيب الذي يقدح بلا شك في دينهم وفي فهمهم وفي انحيازهم للحق، لأن الرافضة الآن -الذي عليه أهل إيران الرافضة- هم من المجرمين، سواء كان من جهة الاعتقاد أو من جهة الأعمال.. الأعمال السياسية والعسكرية ضد المسلمين في سورية، وفي الأحواز، وفي بلوشستان، وفي كردستان وغيرها.. مذابحهم ضد المسلمين مشهودة، وقتلهم للمسلمين لا ينكره إلا جاهل.

النقطة الثانية التي تؤخذ عليهم هي: صوفية الرجل؛ والحق: أن صوفية الرجل أنا قرأت كتبه، أو لنقل: بعض كتبه، بل الكثير من كتبه ومقالاته، فلم أجده صوفيًا غارقًا في مفهوم التصوف الفلسفي، إنما هو يريد من التصوف ما كان على معنى التزكية، وهذا جانبٌ بعضهم لا يسلك فيه سلوكًا كافيًا من الدقة، يعني هناك أناس ينبذون التصوف، ومن خلال نبذ التصوف ينبذون معه كثيرًا من معاني التزكية الجيدة، فمجرد الاقتراب من عالم التزكية كأنه تصوف، وهذا غير صحيح، وهناك من يأتي إلى التزكية فيضطر أن يدخل -لعدم دقته- إلى جانب التصوف، كون التصوف رفع شعار التزكية في تاريخ المسلمين، فصارت كلمة «التصوف» تقوم مقام التزكية في جوانبها الصحيحة والخطأ.

ولذلك لما أراد أبو الحسن الندوي رحمة الله عليه -وهو من مفكري الإسلام العظام في هذا الزمان- أن يعيد

حالة التربية، فقال: نترك كلمة «التصوف» ونأتي إلى كلمة «التزكية»، وهذا خطأ؛ لأن التصوف كتراث يختلط فيه الكثير من الباطل الذي لا يدخل في معنى التزكية الشرعية.. لا يدخل.

فيؤخذ على الشيخ أنه متصوف، ويمدح أئمة التصوف ويمدح رجال التصوف، والطريقة التي لا أحبها في بعض المشايخ: أنه إذا مُدح رجل من قبل الشيخ عبد السلام ياسين -أنا ما أذكر: ذكرت اسمه خلال الكلام أم لا- رحمه الله مات.. توفي، ولا أدري فاعلية الجماعة الآن بعد وفاة شيخها، لأن الشيخ يملك قدرات عجيبة ولا شك، من نظر إلى تاريخه يعرف أنه ليس بالإنسان الهين.. الناس تتعامل معه أنه ابن شارع ورجل أطلق كلمة فتبعه الناس!! هؤلاء الذين يكونون الجماعات ويصارعون الأنظمة.. ويرسل الرسالة الكبيرة إلى ملك بلد لا يقف أمامه أحد، ويخاطبه خطاب الند للند وخطاب الشريعة القوية.. هذا رجل ليس بالقليل، يعني أنا أحترم هؤلاء الناس، وإن بعض -أنتم تعرفون الأسماء.. ضعوا الأسماء كما تحبون- إن بعض من انتقد عبد السلام ياسين وسبه لم يقف موقفه لما سجن، لما سجن سارع بالولاء للنظام والدخول فيه وصار حبيبًا له، وكان قبل يعني يطير بجناحيه ويحلق في الآفاق، فلما سجن فإذا هو فأر.. فأر كبيرة عليه.. صرصور -وضحك الشيخ-.

فالرجل صبر وثبت حتى مات، ودعا إلى الإسلام، ودعا إلى توبة الناس..

هذه الجموع التي تلحق الشيخ عبد السلام ياسين وعلى طريقته في العدل والإحسان، هم متدينون.. يهتمون بالصلاة.. نساءهم محجبات.. يوجد أخطاء ولكنهم في ضمن سياق الإسلام ديانةً وسلوكًا وتربيةً وتزكية، وسياسة كذلك.. في مصارعتهم وتقدمهم خطوات عن بقية المشايخ والأمة في صراعهم مع العلمانية.. ومع رموزها.. ومع رجالها.. ومع حكوماتها، بل موقفهم في قضية الدخول في الانتخابات وانسياقهم وراء دعوات التصالح التي ليس فيها مصلحة للمسلمين.. هم مواقفهم رجولية، ومواقفهم يعني أكثر من غيرهم.

لذلك: انتبهوا لهذا.. انتبهوا.. نحن لسنا كلاب مسعورة إذا رأينا خطأ وضعناه كله في جهنم، وأنا ذكرتكم أن هناك من كتب في عبد السلام ياسين سابًا وشاتمًا ومقرعًا، ولكنه لم يصمد في السجن بضع سنين حتى انقلب على دينه، وانقلب على أمته، وصار لسانًا قذرًا وعبدًا للطاغوت.

أرجع إلى النقطة الثانية، وهي: قضية تصوفه.. فماذا يفعل بعضهم؟؟

يأتي عبد السلام ياسين فيمدح رجلاً صوفيًا كعبد السلام بن مشيش.. يمدح رجال التصوف المغاربة، عبد السلام بن مشيش مغربي، وأبو الحسن الشاذلي مغربي، فيمدح هؤلاء الرجال المتصوفة، فيأتي أحدهم يؤلف كتابًا يسبه في تصوفه: انظروا من عبد السلام بن مشيش!! انظروا من هو أبو الحسن الشاذلي!!

هذا لو حاسبنا به ابن تيمية لكان خسرانًا في ميزان هؤلاء.. لما يمدح شيخ الإسلام ابن تيمية عدي بن مسافر في رسالته إلى أتباع عدي بن مسافر.. من هو عدي بن مسافر؟ هو شيخ الطريقة اليزيدية.. الآن التي تعبد الشيطان.. يسمونه «طاووس ملاك».

هل نفتح الباب لمدح الجنيد مثلاً؟ هذه ليست بالطريقة العلمية في شيء.

هو يريد أن يسوق الناس إلى التزكية الصحيحة.. يقع في أخطاء برفع رموز ما فيها أخطاء، نعم، لكن ينبغي أن تكون بمقدارها.

فلذلك: الذي يؤخذ عليه هذين الأمرين.. الشيخ عبد السلام ياسين وجماعة العدل والإحسان.. ويؤخذ عليه أمور أخرى، يعني كما يؤخذ على بقية الجماعات.

فأنا ممن أحترم هذا الرجل، وطوال الأوقات وأنا أقرأ له وهو مطارد.. وهو في الإقامة الجبرية.. الرجل أقام في إقامته الجبرية سنين طويلة لرسالة أرسلها، ولم يتراجع عنها، ولم يلتمس كلمةٍ من خصمه ليعفو عنه.. فهذه مما تؤخذ له.

أتباعه فيهم تدين.. فيهم تعبد.. فيهم إقبال على الصلوات.. فيهم سلوك جيد.. فيهم مصارعة للجاهلية في مظاهرها، وفي محاولة إيجاد بدائل يخطؤون ويصيبون.. فهذا رأيي فيها.

بعد وفاة الشيخ، أنا لا أعرف في الحقيقة عنها شيئًا.. تعرفون أن الأمور متسارعة جدًا، ولكن أعرف عنهم شيئًا: أنهم لم يقبلوا الدخول في اللعبة الديمقراطية موافقةً لبقية الجماعات الأخرى، التي سارت وفسدت وأفسدت، وقدمت صورًا غير صحيحة في هذا الباب.

هذا ما عندي تجاههم، وهو كما ترون كلامًا عامًا لا يدخل في التفصيلات والتدقيقات، وملاحقتهم في المسألة الفلانية والمسألة الفلانية والكلمة الفلانية؛ فهي جماعةٌ مسلمة دعت إلى إحياء الإسلام على المستويات

العامة والمستويات الخاصة، كالتربية في الأفراد، وكذلك مواجهة الجاهلية والعلمانية، فهذا في الاتجاه العام يمدح لهم.. يوجد في هذا الاتجاه بعض الأخطاء -كما ذكرنا عامة- تتعلق بفهمها للجماعات الأخرى التي تنتسب للإسلام، وطوائف بدعية، ينبغي أن نعود إلى قراءة تاريخها قبل الحكم عليها والمسارعة بموالاتها.. علينا أن نتعلم من التاريخ.. الذين مدحوا الخميني لم يدرسوا التاريخ.. لم يهتموا بالعقائد.. إنما ساقتهم المواقف السياسية.. هذا تعليل ينبغي أن ننتبه له.

الأمر الثاني في موضوع التزكية: نحتاج إلى ضبطٍ علميٍ لدى الجماعات التي تهتم بالتزكية، لئلا تخرج من عالم التزكية خوفًا من التصوف، ولئلا تدخل التصوف توسعةً لباب التزكية... هذا ما عندي، والله أعلم.

جزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

٦٧- رأي الشيخ بالشيخ محمد سرور بن زين العابدين

ضمن الجلسة التاسعة، بتاريخ: (**١٤٣٨/١٢/٢٣هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/٩/١٤ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يقول: من هو محمد بن سرور، محمد سرور هو، هو نبه على ذلك في مذكراته، محمد سرور، يعني اسمه اسم مركب، بن نايف بن زين العابدين.. مازالوا يخطئون، من هو محمد بن سرور؟ ولماذا ينسب إليه علماء السعودية أنه سبب الفتن في بلادهم، وكلما حدث حراك أو نزاع سبوه؟

جواب الشيخ: رحم الله الشيخ محمد سرور بن نايف بن زين العابدين -وهو مات قريبًا- كتب مذكرات له طبعت منها ثلاث مجلدات، وكتبت أنا فقرة بأن هذه ليست من المذكرات في شيء -وضحك الشيخ- لكن المشايخ يعني لهم خصوصيتهم أن يسموا ما يشاؤوا.. هذه ليست مذكرات يا شيخ!! ويا من طبعها!! هي مذكرات سرورية.. والمذكرات هي: حديث الرجل عما شهده.. عما فعله.. عما حضره.. عما أثر فيه، وهو يتحدث عن شيء لم يحضره ولم يشهده!! وإنما تكلم عن مذكرات.. بجمع مذكرات.. بمقارنة المذكرات، فهو باحثٌ تاريخي وهو بحثٌ تاريخي لا علاقة له بالمذكرات.. لا بأس، رحم الله الشيخ محمد سرور.

«السرورية»، هل يجوز أن نقول أنا لا أعرفها؟ الكثير من الإخوة في ظروف معينة يتحدثون عن السرورية، السرورية!! ما هي السرورية؟؟ في الحقيقة: أنا لا أعرفها، يعني لا أجد تنظيمًا ولا أجد فكرًا.

هناك مجموعة من الناس.. تعرفون مصطلح «السلفية» هذا، هو مصطلحٌ فضفاض، لا نستطيع أن نقول بأن «السرورية» أدخلت فيه الفهم السياسي؛ هو أصلاً الفهم السلفي في أصله هو فهم داخل في قضية الانحياز السياسي، يعني محمد رشيد رضا كان منحازًا إلى الشريف حسين بن علي في ثورته، ثم تراجع وغير رأيه وساء قوله فيه، ثم ناصر عبد العزيز بن سعود في إقامة المملكة العربية السعودية وسلطانه.. فهذا موقف سياسي.

السلفية الوهابية، وأنا تكلمت سابقًا لماذا أستخدم هذا اللفظ، وهو ليس على المعنى السلبي.. هو معنى سياسي موجود، وأن هذه جماعة سياسية ودولة سياسية هذا هو لقبها قبلتموه أم رفضتموه، هذا لفظٌ ليس فيه شيءٌ من الشر، بل هو مدحٌ كما يقول بعض مشايخكم.. يعني النسبة إلى الوهاب وهو الله عز وجل، كما

يقال: رباني، فهي أصلاً سلفيةٌ سياسية!! والمشايخ الذين يحبون الدولة هو يسمى موقفًا سياسيًا منها وليس موقفًا شرعيًا كما يظنون.

فالزعم بأن الشيخ محمد سرور ومن معه دمجوا بين السلفية في اعتقادها الفقهي واعتقادها العقدي، وبين الممارسة السياسية والوعي السياسي.. أن هذا هم من أنشأوه، هذا خطأ.. ولذلك المشايخ الكبار الذين هم أعلم من الشيخ محمد -رحم الله الشيخ محمد سرور- هناك من يُنسب إلى السلفية، وهو أعلم فقهًا وعقيدةً.. وفي نظره السياسي وحديثه السياسي فيه وعي ربما يقارب الشيخ أو أعلى منه.

لكن أنا أعجبني في السؤال -بعيدًا عن هذا- يأتينا أناس يقولون: هذه سرورية؛ ماذا يقصد بها؟ يقصد بها العمل السياسي حين يمارسه السلفي.. السلفي حين يمارس العمل السياسي، الانتخابات، الحديث في السياسة، الانتقاد، فيقال له «سروري» هكذا.. بلا شك أن هذا اللقب لم يتخذه أصحابه، ولكن نبذ به من قبل الخصوم، وربما يفرح الشيخ أن تنسب له جماعة، وإن كان هو ينكر كثيرًا وجود هذا المعنى، مع أنه كان هناك ثمة تنظيم، أنا تأكدت كشخص بأنه كان هناك تنظيم للشيخ مع بعض المشايخ في الجزيرة.. بغض النظر وهل مأذون؟ ليترك لهؤلاء ليتكلموا لا أنا، لكن تأكدت من هذا، ثم بعد ذلك انتهى ولم يدم طويلاً، لكن ما أعجبني في السؤال هو النقطة التالية: لماذا كل من قام للتغيير أو قام لانتقاد النظام، سمي سروريًا؟!

في الحقيقة: سأدخل في نقطة مهمة ربما تكشف بعض الجوانب:

تسمعون بصالح سرية رحمة الله عليه؟ صالح سرية، هذا الفلسطيني الذي كان قائدًا للكفاح المسلح الفلسطيني في العراق، الكفاح المسلح: هو نظام عسكري لفلسطينيين منتشرين في البلاد، في الأردن، في مصر، في العراق، في سورية، فيقوم الفلسطينيون بالدخول في الجيش وتكوين كتيبة أو سرية أو تكوين لواء يسمى بالكفاح المسلح الفلسطيني، يكون عمله عسكريًا كنواة لجيش فلسطيني، ولكنه تابع في الإدارة للدولة التي يكون فيها.. مثلاً: الكفاح المسلح الفلسطيني في الأردن، هو تنظيمٌ فلسطيني تابعٌ للجيش الأردني.. هو ذهب وانتهى الآن.. انتهى الكفاح المسلح هذا، ولكنه كان موجودًا.. وهذا خارج وليس كالتنظيمات الفلسطينية الأخرى مثل فتح، الجبهة الشعبية، والجبهة الديمقراطية وغيرها، ليس هذا، وإن كان بعد ذلك يكون تابعًا للأنظمة.

فصالح سرية هذا: فلسطيني قائد للكفاح المسلحة الفلسطيني في العراق، هذا الرجل عرض عليه صدام

شخصيًا أن يشارك في الانقلاب، فشاور – وكان إخوانيا.. من الإخوان المسلمين.. صالح سرية من الإخوان المسلمين وهو قائد الكفاح المسلح.. وتابع إخوانيًا للإخوان العراقيين، الذي كان المراقب العام فيه الدكتور الشيخ عبد الكريم زيدان حفظه الله –ما زال حيا فيما أعتقد لليوم، فكان تابعًا له– فلما عرض عليه المشاركة في الانقلاب، شاور الدكتور عبد الكريم زيدان في هذا، فأعطاه صلاحية الاختيار ولم يقدم له جوابًا.

المهم: لما انتصر صدام، خاف منه صالح سرية فهرب إلى سورية وأقام هناك أيامًا، ثم هرب إلى مصر واستقبلته الحاجة زينب الغزالي.. وكان عبقريًا، فكان يدرس في معاهد الجامعة العربية –لها معاهد في داخلها– فاشتغل فيها وبدأ في تكوين تنظيم هو من نواة تنظيم الجماعات الجهادية.. الشيخ صالح سرية.. وبعضهم يقول: معه شهادة دكتوراه، وبعضهم ينفي ذلك.. ولا يهم هذا.

المهم: ما هو صالح سرية؟؟ ما يهمنا هو «إخواني» له نظرة خاصة، مثل مروان حديد.. نشأ إخوانيًا، لكن بعد ذلك ترقى إلى صورة أخرى، كما هو سيد قطب.. هو إخواني، ولكن له فرعٌ خاص في داخل الإخوان، لأن الحالة الإخوانية حالة مؤهلة أن تحمل هذا التعدد وأن ينشأ فيها هذا الاختلاف.

فصالح سرية نزل –وجاء التحذير من الإخوان العراقيين له– واستقبلته الحاجة زينب الغزالي، وهناك نزل عند صالح أبو القيظ... إلخ القصة المشهورة.

ما يهمني: لما أنشأ تنظيمه –وكان فيه كارم الأناضولي وغيره– وكشف التنظيم، أصرت الحكومة المصرية والصحافة المصرية من أجل سبه أن يقولوا: أنه تحريري!! لأنه فلسطيني، فأن ينسب للإخوان المسلمين مشكلة!! فلذلك إلى الآن تجدون في الكتابات: أن صالح سرية تحريري، ولا علاقة له قط بحزب التحرير!! لماذا؟ من أجل ثقافة المجتمع.. أول شيء: مصري.. في وقت القدرة عليه كان هناك السعار الصحفي في العزلة المصرية بعد «كامب ديفيد»، يعني كان هناك هجوم صحفي على القضية الفلسطينية أنها سبب المآسي وو... وسب على العرب، والحالة المصرية يجب أن نهتم بها.

فصالح سرية كان ضمن هذا السياق.. فمن أجل تكريس أنه فلسطيني وليس مصري، لئلا يؤثر، ومن أجل أن يكون القبول لدى الشعب المصري في كرهه وبغضه.. فهو فلسطيني ولا ينبغي أن يكون مصري، لأن الإخوان المسلمين مصريون، ولذلك كانوا يصرون أنه تحريري.. فهمتم؟؟

الآن نأتي إلى ما تفعله الأنظمة في تسمية الخصوم.

فإذن صالح سرية هو إخواني، ولكن رفضوا أن يكون إخوانيًا من أجل ألا تمنع نسبته للإخوان مزيد البغض له من المجتمع، فلذلك قالوا: تحريري، ليتلاءم مع الفلسطينيين، كون حزب التحرير نشأ في فلسطين.

لماذا يكرهون سيد قطب؟ لأنه خارج إطار الوهابية!! والمقصود بالوهابية هو: الكيان الجغرافي أكثر منه كيان ديني؛ يعني لماذا لا يعين مثلاً إنسان مصري وهابي -بالمفهوم العقدي- ليكون مثلاً إمامًا في باب؟؟! هذا هو إدخال الدولة..

لا بأس أن أطور الموضوع، وقد يكون صادمًا.. الكثير من الشيوعيين منهم منير شفيق -هذه للذكر- مما نبه عليها: بأنه لا يمكن للمرء أن يكون شيوعيًا حقيقيًا حتى يكون عميلاً لروسيا، ذلك لأن الروس أرادوا الشيوعية خدمةً لقوميتهم.. وهذه في الحقيقة بعض المنشقين الألمان اكتشفها وهرب لهذا الأمر، وقال: بأن الشيوعية عند الروس هي وسيلة من أجل أن يسيطر الروس على العالم!! وهذا نفس ما نراه اليوم في قضية استخدام الفرس المتعصبين لقضية التشيع، والتشيع بلا شك هو اعتقاد، لكن النظرة القومية كامنة في داخلهم.. وهي «الدينمو» الذي يحرك الاعتقاد، والاعتقاد يحرك النظرة القومية على جهة التبادل بينهما..

فهكذا البعض يستخدم الدين والمبدأ من أجل خدمة قوميته، وبعضهم يستخدم الدين من أجل خدمة جهويته؛ ولذلك مثلاً تجد: أن بعض الدول الآن يرفض السلفية على اعتبار أنها من جهةٍ أخرى ومن «سايكس - بيكو» آخر، ويعاديها من هذه الجهة!! فهذا الخلط بين الجهوية والاعتقاد.. بين القومية والاعتقاد.. هذا شأنٌ موجود في داخل النظم، وفي داخل الأمم.

فلماذا يكرهون سيد قطب؟؟ سهل جدًا.. لأن سيد قطب مصري!! -وضحك الشيخ-

يوجد عظماء في داخل المجتمع الوهابي يعظمون سيد قطب كالشيخ السعدي.. انظروا إلى تاريخه وإلى رسائله: كيف كان يسعى جاهدًا من أجل أن يقتني كتب سيد قطب.. لماذا يتكلمون عن الشيخ؟ سيأتي.. كان يعظم سيد قطب.. الشيخ.. يأتي لا بأس.

لماذا يتكلمون عن بعض المشايخ في داخلهم كما يتكلمون عن سيد؟؟ مع أنهم -هؤلاء المشايخ- يعظمون

سيدًا، بل هم على طريقته!! السبب: أن سيد من قوميةٍ أخرى.. وطبعًا بلا شك كلمة «قومية» فيها تجاوز، ولكن هكذا هو.

الصراع السعودي المصري قديم.. وحتى جديد!! يعني كان هناك تنافس بين الملك عبد الله في الأردن، وبين فاروق، وبين عبد العزيز.. كان بينهم تنافس على تولي ملك العرب.. فهذا صراع.

ومن أعجب ما قرأت: أن الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مع علميته.. انظروا إلى رسائله ومجموع مؤلفاته.. في بعض الرسائل قال.. هكذا.. انتبهوا.. مع أنه عالم ومن تراثنا العلمي من تراث أمة الإسلام العلمي، لكن انظر إلى هذا الأمر، أنه أرسل إليه كتاب كتبه المصريون في مناسك الحج، وطلبوا أن يوزعوه في الحج، فأرسل إلى الشيخ محمد بن إبراهيم -باعتباره المفتي العام- لينظر فيه، فنظر فيه، وهو كتاب فقهي في الفقه الشافعي، ومعروف أن مسائل الحج فيها خلافٌ كثير، فذكر بعض ما يخالفه فيه في الفقه، لا يخالف السنة.. يخالف فقهه بين الفقهاء مما يدخل في المذاهب، لكنه رفض توزيع الكتاب في فتواه وقال: لئلا يتدخل المصريون في الحج!!

انظر.. هذه المسألة مسألة صراع سياسي لا علاقة لها بالفقه.. وقد يكون قصد المصريين هذا أن يضعوا إصبعهم في الحج، ومن هنا كان المصريون يأتون بالمحفل المصري ويكسون الكعبة.. وبعد ذلك صارت هناك خصومات ومنعوهم.. منعوا هذا.. ومنعوه لسبب سياسي!! فصفق بعض المشايخ: أن قد أوقفنا بدعة المحفل!! وهي لا علاقة لها بإيقاف البدعة ولا غيرها، هي علاقة صراع سياسي فقط.

لماذا أفضت في هذا؟ لأن القضية قضية محمد سرور.. يعني يتهمون الشيخ سفر الحوالي حفظه الله وشافاه الله ورعاه بأنه سروري!! الشيخ سفر الحوالي تابع للشيخ محمد سرور؟!! أنا أعرف الشيخ سرور من قرب، -وقرأت اليوم: الرجل يقول: من كثب.. لا تقل: عن كثب، قل: من كثب، لأنها من قرب.. طيب نقول هذا- فأعرفه من كثب رحمه الله، ويقال: الشيخ سفر تابع لسرور!! هذه غير مقبولة؛ أو ناصر العمر يقال عنه: سروري، أي تابع لمحمد سرور؟!! هذه كبيرة لا تقبل.. لا يقبلها العلم ولا يقبلها الواقع «تخينة لا تهضم».

ولكن من أجل هذا الباب: أنه كلما وقف رجل يريد الإصلاح ويخالف النظام، اشتغلت الآلة الدينية الموافقة للنظام في تنفير الناس من هذا بكونه «سروري»، لأن كلمة سروري فيها هذا المعنى الذي ذكرته وأفضت

فيه.

فلذلك: ينفر، كما يقال: مصري عند السعودي، وكما يقال: سعودي عند المصري.. هذه من الجاهلية المنتشرة في داخل البلدان للأسف، وبمفارقة المسلمين.. وإن شاء الله قريبًا ستزول.. بإذن الله قريبًا ستزول.. وأهل الدين ينتبهون لهذه المعاني الجاهلية وينفرون منها، ولا يقيمون لها شأنا ولا يهتمون لها.

ونجد كذلك في غير ما تكلمنا، نجد أن بعض التنظيمات تخالف، فإذا أرادت أن تقدح.. والتيار الجهادي يقدح فلان لأنه سروري، بمعنى أنه يراعي العمل السياسي أكثر من اهتمامه بباب الجهاد، لأن «السروريين» ينتقدون في مناهجهم الأعمال الجهادية التي تقوم بها الجماعات الجهادية.

نعم، هذا تيار موجود، وهو في رؤاه السياسية الواقعية ليس بعيدًا عن الإخوان المسلمين، يعني هناك أناس لم يعجبهم أن يدخلوا مع الإخوان تنظيميًا لأسباب، ويحق لهم ذلك في بعض الجوانب.. يحق لهم.. الإخوان فيهم تعصب شديد -كما هو شأن الجماعات- والإخوان هم من الناس الذين يضرب بهم المثال عندي في قضية تعصبهم لتنظيمهم، وأنه منغلق وو... إلخ.. حتى في القضية المصرية.. هناك من قال -من غير ذكر اسم- قال: بأن الإخوان المصريين أصلاً لا يهتمون بالإخوان الخليجيين إلا من أجل المال!! ولذلك يرسلون مندوبًا ليقودهم -من غير ذكر أسماء- يعني حتى ذكروا الاسم الذي.. من أجل أن يسيطر.. وهكذا، الإخوان الدوليون سيطر عليهم المصريون.. فيوجد هذا البعد.. ولذلك يصرون أن يكون المراقب العام إخوانيًا مصريًا!! هذا من الجاهليات التي ينبغي أن نتحرر منها، وقريبًا سنتحرر منها بإذن الله عز وجل.. قريبًا ستزول هذه الحدود وستذهب، والأمور كما ترونها مؤذنة بالزوال.

يقولون: أن هناك «سايكس - بيكو» جديدة! لا، ذهبت بيكو وسايكس.. لا يد لهؤلاء الكفار إلا أن نقطع أيديهم، وأن تزول هذه الحدود المصطنعة بإذن الله التي مزقت الأمة وكرست الفرقة بينها.

هناك من ينتقد هؤلاء انتقادًا شديدًا، مثلاً: يعطيهم بعض الصبغات التي لا ترضى، مثل: تسللهم.. تغلغلهم.. قدرتهم على استغلال الآخر.. انتقادهم الداخلي مع مدحهم الظاهري.. أنا لا أحب هذا، ونسأل الله أن تزول قريبًا كما هو الشأن في أماكن الجهاد.. بإذن تزول هذه الفوارق بين الناس.

هذا ما عندي في هذا الباب، وكما ترون أنا لا أهتم بأن أحدد ماذا يقولون في كتبهم الفلانية، يهمني كيف نتعامل مع الواقع كما هو المستقبل بين التنظيمات والتيارات الإسلامية المتعددة.

أسأل الله أن يجمع قلوب الجميع على الخير، وأن يصبح العالم في «السرورية» هو عالم المسلمين، والعالم في «الإخوان» هو عالم المسلمين لا عالم تنظيم، والعالم في التيار الجهادي هو عالم المسلمين، والعالم في المدرسة العلمية هو عالم لكل المسلمين.. من غير هذه التصنيفات التي فرقت الأمة في جانبٍ كبير منها.

بارك الله بكم والحمد لله رب العالمين.

٦٨- هل الجثة التي وجدت لفرعون هي لفرعون موسى؟

ضمن الجلسة التاسعة، بتاريخ: (**٢٣/١٢/١٤٣٨هـ الموافق لـ: ١٤/٩/٢٠١٧م**) [(١)]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل يقول: يقولون: جثة فرعون موجودة بدليل الآية: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾ [يونس: ٩٢]، ويؤيدون مقولتهم: بأن العلم الحديث أثبت أن الجثة جثة فرعون، وقد علم أنها جثته بعد أن خضعت للفحص؛ ماذا تقولون يا فضيلة الشيخ؟ وما هي وجهة نظركم في هذا الاقتراح؟ وشكرًا لكم.

جواب الشيخ: أولاً: هناك من يشكك أصلاً في أن «مصر» هذه هي «مصر» القرآن، ومن أدلة ذلك ما يذكرونه من الأدلة التي يذكرونها وتنقض هذا الكلام: أنه على الرغم من وجود تلك المسلات، تعرفون المسلات في الآثار الفرعونية.. لنطلق الكلمات كما يطلقها الناس بغض النظر عن القبول والرد.. المسلات فيها كتابة تاريخ ملوك مصر.. ملوك القبط في الحقيقة.. «Egypt» قبط.. ترون تلك العلاقة بين القبط وبين اللفظ، وفي الحديث: (**تفتحون قومًا اسمهم القبط**)، فاسم هذه التي يسمونها مصر الآن هي القبط، أو «Egypt» باللغة الأجنبية «Egypt» قبط - فهذه المسلات مع كثرتها ومع كتابة تاريخ ملوك القبط، لم توجد فيها كلمة «فرعون» قط.

والذين كتبوا عن تاريخ الحضارة القبطية، وأول من كتب عن التاريخ هو هوميروس لم يذكر شيئًا قط عن كلمة فرعون.

ومما يزيد النظر في هذا البحث: أن فرعون في كتب التاريخ العربي -الذين يكتبون عن التاريخ العربي قبل الإسلام- وفي كتب التفسير، أن فرعون رجلٌ من جزيرة العرب وليس من مصر هذه.. هذا واحد.

الشيء الثاني: أنه لم يذكر قط في تاريخ القبط -التي نسميها «مصر» اليوم- لا يوجد قط ذكر لأحداث يوسف عليه السلام، مع أنها أحداث عظمى تاريخية عظيمة!! سبع سنوات يطعمون، ثم سبع سنوات لا

---

(١) الجواب من مقطعي فيديو.

يطعمون البتة حتى يجوعوا وتصبح منطقة حكمهم -أي التي حكمها يوسف عليه السلام، وهي مصر- تصبح موئلاً لقدوم القبائل والعشائر والناس والبدو والأعراب من أجل الارتزاق وطلب الطعام والميرة.. فهذه لم تذكر قط في تاريخ القبط التي نسميها الآن «مصر».. هذا دليل ثانٍ.

دليل ثالث يذكرونه -أو أنا أذكره-: أن موسى عليه السلام لما خرج مع قومه هاربًا -خارجًا من مصر هربًا من فرعون- لماذا يذهب إلى جهة البحر؟ نعلم أنه -من غير قناة السويس التي فتحت متأخرًا- كان يمكن أن يمشي إلى غير جهة البحر.. يمشي إلى الشمال ويقطع الطريق الصحراوي من غير أن يصل البحر، مع أنه كان يعرف الطريق، لأنه خرج سابقًا إلى مدين عندما قتل الرجل القبطي..

الذين يقرأون جغرافية القرآن.. إن بعض من قرأ جغرافية القرآن يقول: إن هذه التي نسميها «مصر» هي أرض القبط، ولكن أين مصر؟؟ هنا وقع الخلاف بينهم.

مثلاً: كمال الصليبي في كتابه «التوراة جاءت من جزيرة العرب»، يحددها بالقرب من منطقة تبوك.

طبعًا لما قام كمال الصليبي في كتابه هذا، وهو باحثٌ جاد، وكاتبٌ محترم، بل هو جريء وشجاع.. ومات الرجل.. ومن شجاعته: أنه نفى أن يكون هناك ثمة تاريخ لشيء اسمه «لبنان» مع أنه يعيش في لبنان!! واللبنانيون خاصةً من الطوائف غير السنية سواء كانت مسلمة أو غير مسلمة، كالدروز والروافض، وكالنصارى المارونيين هناك، يحبون أن يجعلوا تاريخًا للبنان حتى يخرجوا من نطاق سورية الكبرى، مع أن لبنان هي صناعةٌ جديدة.. إحدى الدول الجديدة المصنوعة من عمهم «سايكس وبيكو».

فلذلك: هو جريء.. كان يقول: لا يوجد شيء اسمه «تاريخ لبنان» هذه جزء من سورية.. كلمة «سورية» هي كلمة يونانية قديمة.. نحن نسميها بلاد الشام.. الشام يعني من الشمال.. لأنها شمال الجزيرة العربية فهي بلاد الشام، كما تسمى اليمن من اليُمن وهو اليمين.. شمال-يمين.. فهذه شام وهذه يمن.. ولذلك يقال: الركن الشامي والركن اليماني.

فإذن هناك من يقول.. ونحترم هذا القول.. ومن يريد أن يبحث حوله سيجد الكثير مما يسعفه.. بغض النظر عن خصومة من خاصم كمال الصليبي عندما أخرج كتابه، هو أخرج كتابين، ولكن أهم كتاب له في هذا

الباب هو «التوراة جاءت من جزيرة العرب»، وقال: بأن التوراة لا من فلسطين، ولا علاقة لجغرافية التوراة كما هي مع جغرافية الأرض التي نراها في فلسطين، ولا في مصر التي هي مصر الآن، أو القبط كما يسميها المؤرخون قديمًا العرب وغيرهم.

فإذا فقهنا هذا، علمنا أن تلك الموميات التي تكتشف في داخل القبور القبطية، وليست المصرية؛ ليس تأييدًا، ولكن لأن هناك خلافا حول ذلك، أن هذه الموميات التي تحنط للقبط، لا نستطيع أن نقول: بأن هذه الموميات هي موميات فرعونية، أو موميات مصرية على هذا المعنى.

فالقول بأن هذه الجثة التي اكتشفت محنطة لملك من ملوكهم، وبقيت بسبب التحنيط الذكي في زمانهم، أنها لهذا السبب... ومما ينقض ما يأتي به السؤال؛ بأن ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ [يونس: ٩٢]، أن النجاة التي حصلت لهذه الجثة من المومياء لم تكن أمرًا قدريًا.. آية، بل كانت بسبب التحنيط؛ يعني عندما تذهب إلى الموميات -ومنها موميات الملوك التي تكتشف- نجد أن سبب بقاءها هو التحنيط وليس لأنها كذلك.

ولذلك: كل ما يقال من الإشاعات، يعني مثلاً قال: يجدون بعض.. هذه الجثث التي تذكر ويقال: هذه جثة فلان من ملوك القبط أنها هي جثة فرعون موسى عليه السلام، فيقول: بأنها مكسرة، والسبب: أن البحر ألقاها وو... إلى غير ذلك.. هذا غير صحيح.

أنا أميل إلى أن «مصر» اليوم ليست هي مصر القرآن، وأن مصر القرآن -مصر القرآن، ومصر موسى عليه السلام التي دخلها، وفرعون موسى- هي في جزيرة العرب، لأنه لا يوجد دليل واحد يثبت أن مصر هذه هي التي أخبر عنها القرآن أنها هي مصر الآن؛ ممكن هذا الكلام لا يقبل، ولكن يعني القلب يميل إليه.

ولكن مما أجزم به: ليس واحدًا من هذه الموميات هو فرعون موسى الذي أنجاه الله ببدنه.

نأتي إلى الآية.. طيب كيف ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾ [يونس: ٩٢]؟؟

الله عز وجل ذكر سفينة نوح عليه السلام وجعلها آية، أنجاه الله عز وجل ومن معه بالسفينة وجعلها آية -آية النجاة- لكل البشرية، مع أننا نجزم أن السفينة لا وجود لها، خلافًا لمن يزعم من بعض المؤرخين الذين يكتبون الإشاعات أنها على جبل جودي في كردستان، وأنها فوقه وأنهم رأوها!! كل هذا لا يصح، ولا وجود له،

لا وجود لهذا.

فكيف تكون هي آية؟ بالإخبار.. أن الله عز وجل لما أنجى هؤلاء بالسفينة وأهلك القوم، فكانت آية لمن حضرها على جهة المعاينة، وكانت آية لمن بعدهم على جهة السماع وعلى جهة تلقي الخبر.

فرعون أنجاه الله عز وجل، خلاف ابن عربي وضلالاته في إيمان فرعون وأنه نجى لإيمانه!! هذا الكلام الكفري الذي كفره بعض أهل العلم عليه، وحتى من يحب ابن عربي رد عليه هذا، كشهاب الدين الألوسي في تفسيره، مع أنه من المعظمين لابن عربي، ولكنه لم يرض منه هذا القول بإيمان فرعون، أن الله عز وجل أنجاه، أي أنجى فرعون ببدنه، ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ [يونس: ٩٢]، ليكون لمن خلفه آية.. لمن حضر النجاة هي آية على جهة المعاينة، ومن غاب هي له آية على جهة السماع.

فنحن هذا لنا آية، الآن هو لأهل الإسلام آية، كما أن آية نجاة النبي صلى الله عليه وسلم من قريش وهي هاجر من مكة إلى المدينة.. هذه آية.. نحن لم نحضرها ولا يوجد لها آثار، إلا كون هذا الأمر خبر من القرآن ومن السنة فآمنا به.. وهكذا.

الله عز وجل نصر محمد صلى الله عليه وسلم في بدر، فكانت هذه آية.. لنا آية وللبشرية آية.. آية لمن حضرها على جهة النظر والبصر والمشاهدة والحضور، وآية لمن بعدهم على جهة الإخبار والسماع؛ وليس من شروط الآية أن يحضرها المرء.. ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (١)﴾ [القمر: ١]، هذه آية.. آية قائمة على من حضرها بالمشاهدة، وآية لكل البشرية حين تسمع هذا الأمر ويصلها عن طريقٍ موثوقٍ صحيح، فيجب عليها أن تؤمن به.

فلذلك القول: بأن هذه الموميات القبطية الموجودة اليوم، إن أحدها هو فرعون موسى، هذا قولٌ مردودٌ وغير صحيح عندي، والله تعالى أعلم، وهذا من مسائل الاجتهاد التي تفتح فيه الأبواب ولا تغلق فيه الأمور؛ وهذا يفتح لنا بابًا عظيمًا جدًا وهو موضوع جغرافية القرآن، ومن ذلك مثلاً: أخبار القرآن عن ذي القرنين.

أين تحرك ذو القرنين من مغرب الشمس التي وجدها تغرب في عين حمئة؟ أو أين تحرك إلى جهة الشرق حتى وصل إلى قومٍ لم يكن بينهم وبين الشمس حاجزًا ومانعًا وحجابًا؟ وأين هذا الذي وصل إلى بين الجبلين فأنشأ

سدًا؟ هذه من الأمور التي ينبغي على أهل العلم أن يبحثوها على جهة إقامة الحجة على المخاصم، بأن هذا القرآن يتكلم عن حق، يعني: أين هو السد الآن؟؟ بعضهم يظن أن السد هو حاجز مثلاً: بين هؤلاء القوم وهم يأجوج ومأجوج وبين البشرية.. يعني السد يحجزهم.. يمنعهم لئلا يشاهدونا ولا نشاهدهم، فيمنعهم من الخروج.. هذا غير صحيح.

الأرض الآن كل من فيها معروف، إلا بعض الأماكن الخفية الصغيرة، أما أن يوجد هذا العدد الهائل من ابناء آدم؛ لأن يأجوج ومأجوج من بني آدم كما في الحديث.. حديث: (**أخرج بعث النار..**) فلما استعظم الصحابة أن يكون من كل ألفٍ تسع وتسعون وتسعمائة، فقال: (**ما أنتم في يأجوج ومأجوج..**)، فيأجوج ومأجوج من بني آدم، وليس كما يصف الناس: أن لهم آذان كبيرة كورقٍ كبير!! هذا غير صحيح؛ أو أنهم يحفرون، الحديث الذي صححه الشيخ الألباني وهو منكر، أنهم يخرجون إلى السد فيحفرون، هذا حديثٌ باطل، ويرده حديثٌ آخر: (**فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج هكذا**)، وحلق النبي صلى الله عليه وسلم بين إصبعيه السبابة والإبهام.. هل هذا يدل على أنهم يحفرون؟؟ لا، دل هذا على أن عوامل التعرية وعوامل الكون من الحرارة والبرودة والشمس وغيرها، العوامل الزمنية التي يسميها علماء الجيولوجيا، هي التي فتحت ردم يأجوج ومأجوج، ووقت الله عز وجل ميقاتًا وهو أن زوال السد.. انهيار السد هو وقت خروج يأجوج ومأجوج..

ولا شك أن يأجوج ومأجوج هم الصينيون.. لا يشك في ذلك أحد.. أوصاف النبي صلى الله عليه وسلم لهم تنطبق عليهم.. وهذه الكثرة التي نراها في هذه الشعوب، تنبأ بالكثرة التي أخبر عنها النبي صلى الله عليه وسلم.

القصد من ذلك: أن موضوع جغرافية القرآن، وجغرافية الحدث السني التاريخي الذي أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم، يعني ما زالت الأبحاث فيه طرية، والعلماء القدماء تكلموا بما وصل إليهم من الأخبار، ولا يوجد شيء في تاريخهم أنهم ذهبوا وحققوا، وإنما هي أخبار تصلهم، كمن يقول: أنه ذهب ورأى السد!! هناك أخبار في «مروج الذهب» للمسعودي -أظنه فيه إن لم تسعفني الذاكرة- أنه أخبر عن أقوامٍ وصلوا إلى سد يأجوج ومأجوج!! وهذا كلام غير صحيح.. كلها أخبار.

وكما ابن بطوطة يخبرنا عن حقائق رآها بأم عينه، وعن حقائق سيقت إليه وهي من العجب، التي لا

تصدق، وليست هي من سنن الكون؛ فلذلك جعل ابن خلدون -وهو الإمام الجهبذ في موضوع التاريخ- أن من شروط الأخبار أن تكون موافقة للعادات، وهذا الذي اشترطه الشاطبي كذلك في «الموافقات».. يعني يجب أن ينظر إلى الخبر: هل هو موافق للعادات -السنن الجارية- أم أنه أمرٌ خارق.. خارق من غير سبب؟! الخوارق والكرامات تحدث لأسباب عظيمة، وليست قائمة على معنى البذل بلا سبب مهمٍ جدًا.

أرجو أن يكون هذا مفتاحًا لهذا الموضوع الذي ينبغي أن يرفع عنه الخيال، وترفع عنه الإشاعة، وترفع عنه خارقة السنة، وأن يتعامل مع الجغرافية القرآنية تعاملاً سننيًا.

يعني هناك تعامل مع الأرض.. موسى عليه السلام كان على الأرض.. بل من العلماء من يقول: من قال: إن قبر النبي صلى الله عليه وسلم هذا الذي هو بجانب المسجد ليس هو كذلك، يكفر.. قبر النبي في أرضٍ نراها.. نذهب إلى المدينة ويدخل الناس يصلون في المسجد النبوي ثم يذهبون فيسلمون على النبي صلى الله عليه وسلم في قبره.. وبجانبه قبرا صاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فنحن نتعامل مع الأرض.

فإذن هذا ما ينبغي أن يُنطلق منه، فأعود وأقول: بأن هذه الموميات التي تكتشف هي موميات قبطية ليس لها علاقة بفرعون، لا لفرعون موسى ولا للفراعنة، وانظروا المؤرخين العرب القدماء يجعلون فرعون رجلاً عربيًا وليس قبطيًا، وهذا مما يؤيد ما أقول أو يؤيد ما يقال.

ملاحقةً وملاحظةً لما تم [(١)]: -هو تنبيه ولا أطلق يقينيات-: علم التاريخ هذا وعلم الجغرافيا يحتاج إلى تدقيق، وإلى بحث، ويحتاج إلى الذهاب والتفتيش.. يعني أنا كنت أقول لبعض إخواني: لو أن الأوضاع جيدة مثلاً ونملك الأموال، وهناك الأمان، ولسنا منشغلين بأمور أكبر من ذلك، لذهبت مع الإخوة وربما فتشنا عن سد ذي القرنين.

وأنا متأكد لو أن أناسًا يبحثون بعلمية عنه سيجدونه، ومن ذلك مثلاً: أن هذه المنطقة التي دخل إليها ذو القرنين منطقة فيها حديد الكثير، وأكثر منطقة في العالم -بل أول حدادٍ في العالم- في منطقة جنوب غرب الصين، فيمكن البحث هناك، لأن التاريخ القديم أن يكون هناك كمية من الحديد بحيث يبني بها السد، ويصهر الحديد بحيث يضعه بين الصدفين، أي بين الحجرين.. صدف من هنا وصدف من هنا، فيعني يمكن أن نجد

(١) بداية مقطع الفيديو الثاني.

هذا.

لكن أحد الإخوة يسأل يقول: طيب.. في تبوك أين البحر؟! نحن نتحدث عن زمنٍ غابرٍ في التاريخ، تغيرت فيه معالم في الكرة الأرضية.

ومثال ذلك: يعني أنا رأيت بعض كتب النصارى التي تقدح في صحة القرآن لجهلهم وغبائهم، يأتون بتفسيرات القدماء لغروب الشمس في عين حمئة، قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ [الكهف: ٨٦]، فيأتون بتفسيرات تلائم اللفظ الذي بين أيديهم بما يحقق هذا اللفظ وما هو أقرب إلى أذهانهم، ويخرجون عن قضية السنن؛ يعني يتصور بعض القدماء ليس كلهم، لكن بعض المفسرين: أن الشمس حين تغرب تدخل في عين، أي في بئر فيها ماء.. حمئة.. فيها النار، أو فيها الطين المختلط بالماء.. هكذا يتصورون، وهذا بلا شك باطل.. لا يشك مسلم، ولا يشك عاقل، ولا يشك ناظر في الكون أن هذا باطل، ولا يقوله القرآن، وليس هذا مقصد القرآن، ولا هو الواقع.

فإذن أين العين الحمئة؟؟! العين الحمئة هي البلاد الواطئة التي يسمونها «نيذرلاند، هولندا» هذه اسمها البلاد الواطئة.

هذه البلاد الواطئة كانت قديمًا إذا نزلت الأمطار في الشتاء، تتحول كلها إلى بحيرة، فإذا جاءت الفصول الأخرى بدأت تجف، ففي أوقات تكون حمئة، يعني تكون ماءً وطينًا، ماء حمأ: ماء وطين، وبعد ذلك قد تجف جفافًا كبيرًا في الصيف بحيث يمشي عليها الناس، الآن هولندا وفي عاصمتها امستردام بعض البيوت لا يوصل إليها إلا عن طريق القوارب.

فإذن العين الحمئة كانت قديمًا موجودة.. اليوم غير موجودة.. للتغيرات المناخية الكبرى..

وذو القرنين ولا شك رجلٌ قبل التاريخ، لأن كتب التاريخ لا تذكر شيئًا عن هذا، ولم يعلمنا عن ذي القرنين إلا القرآن، بخلاف من قال: إن ذا القرنين هو -كما قال أبو الكلام آزاد في بحثه- أن ذا القرنين هو كورش.. وانطلق من أن اليهود يسألون، وأن كورش هو الذي أعاد اليهود، هو تزوج من يهودية، وعطف على اليهود من خلال النبي دانيال كما تقول التوراة، فأرجع اليهود من سبي بابل إلى بيت المقدس، هكذا تقول التوراة، فاليهود

يعرفونه؛ فانطلق من هذا.. وقال: بأن هناك ثمة حفريات أوجدت تمثالاً لكوّرش الفارسي أو قوّرش الفارسي وله قرنان.. ولا شك أن هذا غير صحيح، وأن ذا القرنين هذا رجلٌ قبل كتابة التاريخ.. لم يأت قط في أي كتابٍ تاريخيٍ قديم شيئًا عن هذا الرجل الكبير العظيم.. الداعية المجاهد.. الذي بلغ مشارق الأرض ومغاربها.

فإذن هذا في التاريخ القديم كانت الأرض الواطئة «نيذرلاند»، التي يسمونها «هولندا».. هذه كانت بلا شك يأتي عليها وقت تكون حمئة، يعني ماء مختلط بطين، ولكن في أوقات تصبح كذلك، وفي أوقات تجف، فهو وصل إليها لما كانت على هذه الحالة.

ثم أين خرج؟ أين شرق مثلاً؟ شرق، قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا (٩٠)﴾ [الكهف: ٩٠]، بعيدًا عن خيالات البشر وخيالات الكلمات وخيالات الأخبار، بأن هناك ثمة أناس لهم أجساد خاصة، يجعل لهم أستار من أبدانهم فلا يحتاجون إلى البيوت!! لا؛ في الحقيقة: هو الليل، هو وصل في وقت من الأوقات يكون النهار طويلاً ولا يأتي الليل، في المشرق، هناك أماكن الآن تقريبًا في الشمال الشرقي أقصاه.. في روسيا، هي على هذا المعنى؛ بأن الشمس ليس لها ستر الليل هناك في أوقات الصيف، في أوقات الشتاء لا يكون الليل ولا يكون النهار.

هذه حركة إنسانٍ ضمن جغرافية الوجود وتاريخية الوجود البشري السنني الذي نراه.

إذن نعود إلى الأسئلة: إذا قلتم أنتم أن فرعون موسى أنه خرج فوجد نهرًا أو بحرًا، لأن البحر يسمونه نهرًا.. بحر النيل ونهر النيل.. ويسمى النهر العظيم بحرًا، فأين هذه في جزيرة العرب؟! هذه اليوم غير موجودة، ولكنها كانت موجودة في التاريخ، أرض العرب، جاء في الحديث أنها ستعود مروجًا وأنهارًا كما كانت.. فكان هناك أنهار.. ومن ذلك النهر الذي مر عليه موسى عليه السلام.

والله تعالى أعلم، بارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٦٩- القارئ يستشعر الحالة النفسية للكاتب، فهل يحدث هذا مع القرآن؟

ضمن الجلسة التاسعة، بتاريخ: **(١٤٣٨/١٢/٢٣هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/٩/١٤ م)**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل يقول: شيخنا، ذكرت أكثر من مرة وأنت تتحدَّث عن فن القراءة: أن القارئ مع الوقت يستطيع أن يستشعر حالة الكاتب النفسية وأنه كتب هذا وهو فرحان، وكتب هذا وهو غاضب، أو وهو يائس، أو غير ذلك مما يعتري الإنسان؛ ولكن يجول في خاطري سؤال، كنت أخشى أن أسأله، ولكنني هنا في مقام المتعلّم، فإن كان السؤال لا يصح علَّمتني ورجعت عن هذا الأمر؛ هل هذا الأمر ينطبق على كلام الله عز وجلّ، وقد ثبتت صفة الغضب والفرح لله؟؟ هل يجوز أن نقول: إن الله قال بعض الآيات وهو فرح، أو قالها وهو غاضب؟

والقصة المشهورة عن الأصمعي والأعرابي الذي سمع سورة الذاريات، فلما وصل إلى قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ (٢٣)﴾ [الذاريات: ٢٣]، صرخ الأعرابي وقال: من الذي أغضب الجليل حتى ألجأه ليحلف؟!!

هذه القصة وردت عن الأصمعي وقد ذكرها ابن قدامة في كتابه «التوابين» ثم ذكر نصّها بسند الإمام ابن قدامة، وقال الثعلبي... نعم، وذكر قصة طويلة.. من غير تطويل في السؤال...

جواب الشيخ:

للأسف هذا السؤال بلا شك أن سببه خطأ، أن سبب منشأ هذا السؤال خطأٌ، لماذا؟؟ لأنه قاس الإله الرب على المخلوق، وقاس الغائب العظيم على الإنسان المحدود الضعيف.

بلا شك إن الله عز وجل يغضب ويفرح، ولكن يغضب ربُّنا سبحانه وتعالى غضبًا على بعض خلقه الذين يستحقّون الغضب، ويفرح ربُّنا عز وجل فرحًا من أناسٍ يُفرحونه في طاعتهم له؛ ففي الوجود ما يقع منه الغضب لربنا عز وجل، وفي الوجود نفسه -في نفس اللحظة- يقع ما يوجد الفرح في نفس ربنا سبحانه وتعالى، هذا نحن لا نتصوّره في الإنسان؛ أن يكون في نفس اللحظة غاضبًا فرحًا، وأن يكون في غضبه متوجّهًا إلى ما يستحق

الغضب عليه، وفي نفس الوقت فرحًا متوجّهًا إلى رضاه عمن كان سببًا لهذا الفرح.. هذا لا يُتصوّر في الإنسان.

فالإنسان إذا جاءه الغضب، كما قالوا: «الغضب ريح، والعقل مصباح، فإذا جاءت ريح الغضب أطفأت نور المصباح أو شعلة المصباح»، فالإنسان إذا تملّكه الغضب لا يستطيع أن يفرح، وربنا سبحانه وتعالى ليس كذلك جلَّ في علاه، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١)﴾ [الشورى: ١١]، وربنا سبحانه وتعالى يغضب غضبًا على من يستحقّ الغضب ويفرح فرحًا على من يستحق الفرح؛ ولذلك لا نتصوّر، ولا يجوز لنا أن نتصوّر؛ أنه إذا غضب ربنا سبحانه وتعالى تكلَّم كلامًا في القرآن وهو في هذه الحالة من الغضب على فلان! أو إذا فرح تكلّم كلامًا فرِحًا على هذا العبد الذي فرح منه.

نعم، نحن نعلم من أخبار القرآن أن الله عز وجل غضب على قوم نوح فعذّبهم، وهذا الغضب في حقّ ربنا سبحانه وتعالى ليس كالغضب في حقّنا، فالغضب في نفس ربّنا مقيّدٌ بالحكمة ومقيّدٌ بالصبر.. كم يغضبونه في هذا الوقت؟! يسبّون الله عز وجل ويغضبونه، ويصبر عليهم ويطعمهم؛ وهذا لا يُرى في الإنسان على هذا المعنى من الاتساع، وعلى هذا المعنى من الإطلاق.

فالله عز وجل لما غضب على قوم نوح، غضب عليهم لما عصوا الرسل، وصبر عليهم هذه المدة الطويلة حتى عذَّبهم، فلما عذَّبهم كان غاضبًا عليهم، فأخبرنا سبحانه وتعالى في القرآن إخبارً مجرّدًا عن هذه اللحظة أنه لما غضب عذَّب.

وأخبرنا سبحانه وتعالى أنه لما رضي عن أقوام، كما رضي عن يونس عليه السلام وهو في البطن الحوت يدعوه ويقول: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧)﴾ [الأنبياء: ٨٧]، أخبرنا أنه رضي عنه فأنجاه من النون.

فهذا الذي نفهمه في مسألة الغضب والفرح، فلذلك نحن نقول: إنه ربما يخرج من المرء كلمات لحظة الغضب يندم عليها لحظة رضى أو بعد ذهاب الغضب، وهذا لا يتصوّر في حقّ الله عز وجل، بل إننا نمنعه في حقّ النبي صلى الله عليه وسلم.. لما عوتب عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما على أنه يكتب كل ما يسمع وفي كل لحظات حالات النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتكلَّم.. فعابته قريش أنه يكتب عنه لحظة الغضب والرضا، فقال: **(اكتب، فإني لا أقول إلا حقًّا)**، يعني في لحظة الغضب لا يخرج عن الحق، وفي لحظة

الرضا لا يخرج عن الحق، فرحه لا ينشيه حتى يتيه عقله، وغضبه لا يزيد حتى يفسد عليه حكمه وعدله ورحمته، وهذا هو الذي نفهمه.

هنا القرآن هو علم الله عز وجل وكلامه، ولكن القرآن هو العلم، مع أن الله عز وجل تكلَّم بهذا العلم.. ليس هو عين العلم، ولكنه علم الله عز وجل الذي تكلّم به كلامًا في العلم.. والعلم لا تعلّق له لا بالرضا ولا بالغضب.. لا تعلق له.. العلم يُجرّد.. العلم في كونه حقًا يُجرّد عن حالة الغضب وحالة الرضا.

وإذا أرجعنا القاعدة التي تكلَّمنا عنها: أن الله عز وجل إذا غضب لا يقول إلا حقًّا وإذا فرح لا يقول إلا حقًّا؛ فإنه يدلّ على أنه يخبر علمًا حقًّا، قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥]، فكلام الله عز وجل هو الصدق، وكلام الله عز وجل هو العدل بإطلاق.

فحين نقول: بأن الله عز وجل تكلَّم هذه الكلمة في القرآن سننظر إليها من جهتين:

الجهة الأولى: أن هذه الكلمة تكلَّمها على قومٍ ما وهو غضبان، كما أخبرنا أنه أمر السماء بأن تمطر والأرض أن تفجّر الأنهار وتفجّر الماء وتهلك قوم نوح.. هذه الكلمات الربانية التي أمر بها أمرًا كونيًا لهذه المخلوقات كانت وهو غضبان على قوم نوح، لكن هذا الغضب لم يطغ، ولذلك على الصواب والصحيح: فإن الله عذّب قوم نوح ولم يعذب الأرض جميعًا كما تقرّر التوراة.. هذا خطأ، لا يوجد في القرآن ما يدل أبدًا على أن الله عز وجل أهلك الأرض جميعًا عندما أهلك قوم نوح.. هذا مأخوذٌ من التوراة فقط أن الله عز وجل لما غضب على قوم نوح أهلك الأرض جميعًا، وسرت هذه العقيدة في اليهود ثم سرت في النصارى، أن الذنب يسري من الأب إلى الابن وفي الأجيال وهكذا وربما أجيال متعددة، بل ذكرت أظن في التوراة في كتابهم أنها تسري في خمسة أجيال، وهذا باطل.. الله عز وجل لا يعذب نفسًا إلا بما كسبت.. فلماذا عذّب قوم نوح بالطوفان؟؟

الصواب عندي: أن نوح عليه السلام وقومه كانوا يسكنون الجزر، ولذلك التجأ نوح عليه السلام –لما كانت الهلكة بالطوفان عليهم– لجأ إلى السفينة لأنه يعيش على الجزر، ولذلك لما هدَّدَه قومه، ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ (١١٦)﴾ [الشعراء: ١١٦]، ولم يهدّدوه بالطرد، لأنها جزيرة.. فأين يطردونه؟!!

بخلاف تهديد قوم لوط للوط عليه السلام عندما قالوا: ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ (١٦٧)﴾ [الشعراء: ١٦٧]، لأن قوم لوط لم يكونوا في جزيرة.

فالصواب: أن الله عز وجل أهلك قوم نوح فقط ولم يهلك الأرض جميعًا، وهذا الذي نعلمه وهو حق بأنه بنى السفينة ثم ألجأ إليها وأدخل إليها من كل زوجين اثنين، هذا بسبب أنهم في جزيرة، ولم يهلك الأرض جميعًا كما تقول التوراة.

القصد من هذا: لأدلل على أنه إذا رضي الله عز وجل يرضى على من يستحق الرضى، وفي نفس الوقت يكون غضبانًا على من يستحق الغضب في نفس الحالة.. ونحن نرى هذا.. الوجود الآن فيه من يعبد الله عز وجل.. فيه من يطيع الله عز وجل، فهذا مرضيٌّ عنه، وفي نفس الوقت نجد من يعصي؛ فيغضب عليه.. هذا لا يُتصوّر بهذا المعنى وهذا الاتساع في كل أحد في الوجود في البشر.. نحن نرى الأب مثلاً في البشر رضي عن ابن له رضًا فهو حتى يرضى عن البقية ويكون فرحًا عندها من الجميع؛ فإذا غضب على أحد غضب على الجميع.. هذا في البشر.. لا يُتصور فيهم غير ذلك، لضعفهم وعجزهم؛ وأما ربنا سبحانه وتعالى ففوق ذلك ولا يُقال عنه هذا.

فإذن القرآن على جهتين:

الجهة الأولى: جهة العلم، فهذه يقولها ربنا سبحانه وتعالى ليعلّم الناس، ولا يدخل فيها لا الغضب ولا الرضا، لكنني حين قلت: بأن كلامه يدلّ على نفسه، يعني يدل على علمه.. يدل على المعاني التي تنشأ.. يعني القرآن يدلّنا على أن الله عز وجل يغضب فعلينا ألا نغضبه.. القرآن يدلّنا على أن الله عز وجل يفرح ويعجب –كما في الحديث– فعلينا أن نفرحه وأن نبحث عن موجبات الفرح، والله عز وجل سميع فهكذا؛ فالقرآن يدلّنا على نفس الله عز وجل.. من هو الله سبحانه وتعالى.

ويعجبني ما في رسالة القشيري –فيما أظن– أنه سُئل أحدهم: لماذا ندعو الله عز وجل ولا يستجيب لنا؟! قال: لأنكم لا تعرفونه.

فالأصل هو أن نعرف الله عز وجل، قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ

يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا (١٢)﴾ [الطلاق: ١٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦)﴾ [الذاريات: ٥٦].. فهذا القرآن يدلّنا على الله عز وجل.. يعرّفنا من هو الله عز وجل.. ليس في لحظة من اللحظات وليس في وقتٍ من الأوقات، ولكن يدلّنا على صفات الله عز وجل التي تقوم فيه، وماذا يحب، وماذا يكره، وعلى ماذا يعذّب، وعلى ماذا يجزي جزاء العطاء والكرم والجود، فهذا هو المقصود.

فإذن هذا السؤال منشأه: أننا نظرنا إلى أن الرجل يتكلّم بكلمة الغضب فتدلّنا على مقدار ظلمه، وأنه إذا غضب مثلًا هذا الرجل فلا تقفوا أمامه فإنه لا يدري من يحب ومن يكره لأن غضبه شديد، ونعلم أن فلانًا من الناس إذا فرح تاه فرحه وزاد حتى أعماه عن رؤية أعدائه، وهذا لا يقال في حق الله عز وجل، لكننا نعلم أن الله عز وجل إذا غضب ماذا يفعل.. أنه إذا غضب أنه صبر.. وإذا غضب أنه عذّب.. وأنه إذا غضب لم يمنعه هذا الغضب من أن يرضى وأن يفتح باب التوبة لمن أغضبه.. وهكذا.. فالقرآن يدلّنا على هذا المعنى.. فإذن هذا هو العلم على هذا المعنى.

والمعنى الثاني: يدلّنا على أخبار كيفية حدوث أفعال الرب في خلقه.. ما هو مبعثها في نفسه جل في علاه؟ والله عز وجل له نفس كما في الآية: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦].

هذا والله تعالى أعلم، وجزاكم الله خيرًا.

٧٠- فوضى المصطلحات

ضمن الجلسة التاسعة، بتاريخ: (**٢٣/١٢/١٤٣٨هـ الموافق لـ: ١٤/٩/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: الشيخ أبا قتادة -مع كلمات أخرى نُعرض عنها لما فيها من مدح.. اللهم اغفر لنا- ما رأيكم فيمن يقول: إن مصطلح «إقامة الدين» أوسع وأعم وأشمل من مصطلح «تحكيم الشريعة»؟؟ وصاروا يدندنون حول هذا بشدةٍ خصوصًا في كتبهم الصادرة عنهم مؤخرًا، كالكتاب المشهور «معركة الأحرار»، بل إنهم صاروا يعيبون على الجماعات التي تنادي بمصطلح «تحكيم الشريعة»، ويصفونهم بالجهل، وتكرار المصطلحات دون فهم لفحواها ومعناها.

جواب الشيخ: الله يرحمنا.. في الحقيقة أنا لم أقرأ هذا الكتاب بعد، ونصحني كثير من الإخوة بالنظر فيه، ولكن كيف لهذا العبد أن يلاحق ما يأتيه من كتب، فاللهم اغفر لنا وارحمنا.. فهذا الكتاب «معركة الأحرار» في الحقيقة لم أقرأه، وأتمنى أن أقرأه.

وكلامي إذا تكلمت عن جهة أرجو ألا يفهم أني أقصدها، لأني لا أعرف هذا الكتاب، فلو عرفته لوزنت كلامي نحوه بما يناسبه، ولكن أتكلم عن ظاهرة عامة في قضية «حرب المصطلحات»، سواء تتعلق بهذا أولا تتعلق؛ بمعنى هذا الكلام الذي قاله الأخ السائل عندما قال: «ويصفون غيرهم بالجهل وتكرار الألفاظ من غير فهم لمعناها»، هذه المعركة ليست هي معركة مصطلحات بين التيارات الإسلامية، المسألة أوسع من ذلك، المسألة تتعلق بواقع.

أضرب لكم مثالا: أنا لا أرى فرقًا كبيرًا بين كلمة «معركة تحكيم الشريعة» وبين كلمة «معركة إقامة الدين»، أو بين مطلب «تحكيم الشريعة» وبين «إقامة الدين»؛ فإن إقامة الدين هو تحكيم الشريعة، إي عندما نقول: «تحكيم الشريعة»، خذها بالمعنى الأوسع، لا تأخذها بالمعنى الضيق في قضية تحكيم الشريعة في موضوع الأحكام السلطانية المتعلقة بموضوع الدولة، خذها بمنظورٍ أشمل.. فتحكيم الشريعة: المرء يحكم الشريعة في صلاته.. أن يذهب ليصلي، هذه تحكيم الشريعة.. الشريعة حكمت بأن تصلي.. الشريعة حكمت بأن تزكي..

الشريعة حكمت بأن تحب الله عز وجل وتحب رسوله صلى الله عليه وسلم وتحب المؤمنين الموالين لله ولرسوله.. الشريعة حكمت بأن تعادي أعداء الله عز وجل.. وأن تجاهد.. الشريعة حكمت بأن تحج.. هذا من أحكام الشريعة.

ولكن نعم، يؤتى للناس ويقال: عليكم أن توسعوا هذا المدلول، لا أن تحارب حوله فتوجب مصطلحًا جديدًا تجعل الأول على الباطل الكلي.. على هذا المعنى أنا أتكلم وأتقيد بالسؤال، في الحقيقة هذه المعركة لا أعرفها، وأنا أُعذر في هذا، أنا لم أر هذه المعركة حتى أتكلم عنها بما رأيت، أنا أتكلم بمقدار ما وردني من السؤال، فإذا كان هناك خطأ في التوصيف من قبل السائل فالعهدة عليه وهو مسؤول عنه جزاه الله خيرا، وبارك الله فيه، مع أدبه وحسن سؤاله وحسن ألفاظه، ولكن الناس قد يقع منهم هذا.

القصد من هذا -نعود-: لماذا نأتي ونحارب حرب المصطلحات في داخلنا؟

ننبه أن كلمة «تحكيم الشريعة» صارت قاصرة في أذهان بعضهم على موضوع الأحكام المتعلقة بالنظم، والناس غفلوا عن مواضيع تحكيم الشريعة في حياتهم.. وفي اجتماعاتهم.. وفي تنظيماتهم.. وفي عباداتهم، فعلينا أن نوسعه ونجعل مصطلح «تحكيم الشريعة» أعم، كما هو دالٌ عليه بلفظه، من قصر بعض ذلك عليه، فإذا تم هذا المعنى لم يكن هناك ثمة فرق أبدا بين مصطلح «تحكيم الشريعة» وبين «إقامة الدين».

نعم، تحكيم الشريعة أبعد في الدلالة القرآنية من كلمة إقامة الدين.. ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]، هذا لفظٌ قرآني.. ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾، كإقامة الصلاة ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ﴾، فإقامة الدين أقرب إلى اللفظ القرآني.. يمكن هذا.

إذا كان هذا الجدال وهذه المخاصمة حول لفظين ما هو الأقرب؟ كان الأقرب «إقامة الدين»، ولكن يخاف كذلك من جانبٍ آخر، أن يكون هذا المصطلح الذي يدعو إليه، من يدعو؟ -أنا لا أعرفهم.. أتكلم وأعيد هذه العبارة، لئلا أقع في خصومة مع أناس لا أعرفهم، ولا أعرف ما هو حالهم- أخاف أن يكون هذا المصطلح الجديد وهو مصطلح «إقامة الدين» هروبًا من قضية التزام الأمة في جهادها بتحكيم الشريعة في موضوع الأنظمة، وفي موضوع الأحكام العامة المتعلقة بالأمة في مجموعها، يعني يمكن لأناس أن يقولوا: تعالوا لنقم

الدين، فإذا نظرت إليه رأيته أخر موضوع مجاهدة الطواغيت الحاكمين بغير الشريعة!! أخرها من أجل أن يبرز غيرها من أجل أن ينسى الناس ذلك، يمكن.

هذا المقصد يخاف عليهم، بل إذا نظر إليهم وعرفنا حالهم ربما علمنا ما المقصود بكلمة «إقامة الدين» عندهم.. ليتني أعرفهم.. وليتني أعرف من هم؟ وما هي إصدارتهم؟ وكيف يتكلمون؟ وما هي إرشاداتهم؟ كيف يعملون -عمليًا واقعيًا- في مجموعاتهم وجماعاتهم؟ ربما كانت كلماتي أكثر وصفًا لحالهم.

فالقصد: في كل مصطلح نرفعه يمكن أن توجد عليه المحترزات وأن توجد فيه الموانع، ولكن نسدد ونقارب؛ فالدعوة إلى تحكيم الشريعة في حال الأمة نجدها مثلاً: مُذهبة لموضوع التربية!! وجدنا أن الداعين حقيقة لتحكيم الشريعة عندهم التربية.. عندهم العبادة.. وعندهم التضحية لدين الله.. وعندهم الصلوات والمحافظة عليها.. وعندهم الزكاة والقيام بها.. وهكذا، فالمحترزات التي يُخاف منها في استخدام مصطلح «تحكيم الشريعة» لا نجدها في الواقع.

وإقامة الدين كذلك.. إذا وجدت من قومٍ صالحين، ورفعها قوم من أهل العلم والتقوى والإحاطة بالشريعة، ومعرفة مراتب ما يقدم وما يؤخر كما جاء به الشارع وليس كما تريده أنفسهم -كما يريدون هم، أو كما يحكمهم الواقع استجابةً له ورضوخًا له وخضوعًا لقواعده- فربما نجد عندهم أن مصطلح «إقامة الدين» هو يعادل حال من دعا إلى «تحكيم الشريعة».

فلماذا ننشئ معركة في داخل صفنا على مصطلحات تؤدي إلى نفس المعنى؟!! حرب المصطلحات بيننا وبين خصومنا نعم.. يوجد بيننا وبين خصومنا معركة واسعة في موضوع حرب المصطلحات، ويجب أن نقيمها وأن نهتم بها.

يعني مثلاً: عندما تسمى الأشياء بغير أسماءها، ويصبح لفظ «الإسلامي» ولفظ «الشهادة» ولفظ «الجهاد» مبتذلاً يُنسب إلى غير حقائقه الشرعية، فحينئذٍ؛ ننشئ حربًا حولها.

كلمة «الكفر»، الآن يمنعون من تكفير اليهود والنصارى وغير المسلم، فنؤكد على استخدام اللفظ القرآني أنهم كفار.. هذه المعارك لابد منها.. هذه معارك شرعية وعظيمة جدًا؛ لأن المصطلحات القرآنية والنبوية هي

جزء من الدين، وهي جزء من تكوين نفسية المسلم ومشاعره، وليس فقط جزء من تكوين علمه، بل هي أيضًا جزء من تكوين شخصيته.

ونحن نعلم أن طريقة الشيطان في إماتة الحق هي استخدام الألفاظ التي تسقط الحواجز بين النفس البشرية وبين المعصية، ومن ذلك أنه سمى شجرة المعصية سماها شجرة الخلد، قال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى (١٢٠)﴾ [طه: ١٢٠]، فأطلق ألفاظًا ترقق الإقدام على هذه المعصية.

لكن في الجانب الآخر بين المسلمين: إذا وجد مصطلح دال على المعنى، فلا ننشئ معركة مع آخرين حوله، ونستخدم هذا اللفظ، ما المانع أن نقول: نحن نحارب في معركة تحكيم الشريعة على المعنى الذي بيناه، وهو: أن تحكيم الشريعة بمعناه الشمولي وبمعناه التام، وأن كل أمر للشريعة هو حكم لله عز وجل، وأن إقامة الدين هو يدخل في هذا المعنى ويحوي هذا المعنى؟؟ ما المانع؟؟ وليس هناك زيادة في كلمة «إقامة الدين» من المعاني تزيد عن مصطلح «تحكيم الشريعة» إذا فُهمت بمعناها الصحيح.. ننبه الناس على الأخطاء في الألفاظ، لا بأس.

الخطأ في هذا -إذا وجد التوصيف الصحيح من السائل حفظه الله- وهو أنهم يتهمون غيرهم بالجهل وو...!! يعني هذه للأسف خصومات على ألفاظ، وينبغي أن تكون الخصومات على الحقائق؛ أما اتهام الخصوم بالجهل واتهامهم بترديد عبارات لا يفهمون معناها.. هذا من التعالم المنهي عنه، وهذا من التعالم الغث، وهذا من التزيد على الآخرين باكتشافات جديدة: أن الفتح الرباني متعلقٌ بتعامل الناس معها!! والأمر ليس كذلك.. سبب فساد الأمة ليس هو المصطلحات، وليس هو الصور، ولا هذه الأشكال.

وللذكر: مرةً في حديثٍ مع بعض هؤلاء الناس الذين يتعلقون بالصور والأشكال -مع أن الأشكال إذا علقت بالمعاني فليست هي علل، وهذه يرد بها على الشيخ الألباني رحمه الله عندما حرم الذهب المحلق.. التحليق وعدم التحليق ليس من العلل الشرعية التي يقيم الشارع لها وزنًا، لأنها ليس لها معان في ذاتها؛ فقد يقول قائل: فلماذا الصليب؟؟ الصليب صار له معنى ديني محرم، وأما قضية محلق وغير محلق فهذه ليست من العلل التي أقام الشارع لها الانتباه أو الاعتبار أو الاهتمام.. لماذا يفرق بين الذهب المحلق وغير المحلق -النظر إلى الذهب-؟!! خذ بقول تحريم الذهب بالكلية -هو قول ضعيف لا ينبغي أن يقام له- حرم الذهب كليًا أو حلل الذهب

كليًا.. أما الذهب محلق ومعلق.. هذه الأشكال ليس لها قيمة شرعية أو ليست هي من العلل التي اهتم الشارع بها- فأحدهم كان يقول: إن العلة في فساد الأمة هي عدم رفعها للراية السوداء!! انظر!! علق النصر والهزيمة على صور!!

والنبي صلى الله عليه وسلم كان يرفع رايات متعددة الألوان؛ وهذه الراية السوداء -بهذا الوصف- هذه جمع فيها شيئان من التراث الإسلامي: الراية السوداء التي كانت هي راية العقاب، وخاتم النبي «لا إله إلا الله»؛ فهي مجموعة من أمرين وليست هي راية النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الاجتماع؛ ولكن بعضهم يقول: لابد من الراية السوداء!! لا، راية بيضاء.. راية خضراء.. المهم ألا تدل على معنى باطل، والمقصود بها: أن يتميز الناس إذا كانوا في حالة من الاجتماع كالحج والمسير والجهاد وغير ذلك.

ولذلك فالجواب على هذا: أن الذين يتهمون غيرهم بالجهل وبترداد كلمات لا يعرفون معناها.. هذا -إذا وجد حقيقةٍ- من الجهل، ومن التعالم الغث الذي ينبغي أن يُعرض عنه ولا يقم له شأنًا طالب العلم المجد المجتهد.

وبارك الله بكم والحمد لله رب العالمين.

٧١- هل التكفير يحتاج إلى عالم؟

ضمن الجلسة التاسعة، بتاريخ: (**١٤٣٨/١٢/٢٣هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/٩/١٤ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل عن قضية التكفير، وهل يحتاج إلى العالم في الكفر البواح؟

جواب الشيخ: التكفير مسألة تتعلق بالاعتقاد.. تتعلق بالفتوى.. تتعلق بالقضاء؛ فهي تدخل في هذه الجوانب المتعددة، ككل مسائل الأحكام الشرعية، يعني هناك أحكام شرعية يجب على كل مسلم أن يعلمها، وهناك أحكام شرعية يُسأل عنها العلماء، وهناك أحكام شرعية بين المتنازعين فلا بد فيها من القضاء أو التحاكم؛ فكذلك التكفير: هو حكم يدخل فيه هذه المعاني التي ذكرناها.

فهناك من أحكام التكفير التي يجب على كل مسلم أن يعلمها، وإذا جهلها يجب عليه أن يُعَلَّمَها، فإذا عُلِّمها يجب عليه أن يُعْمِلها، فإذا لم يُعْمِلها كفر؛ ومن ذلك: تكفير غير المسلمين، فهذا مما يجب اعتقاده من كل مسلم: الصغير والكبير، والعالم والمفتي، والذكر والأنثى؛ على الولد المسلم حين يميز أن يُعَلَّم: بأن غير المسلمين كفار، وأن كل أحدٍ بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم لم يتابع النبي صلى الله عليه وسلم ولم يؤمن به فهو كافر، وأن مصيره إلى جهنم خالدًا فيها أبدا.

فهذا تكفيرٌ من أركان الإيمان، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، هذا من الطاغوت، ﴿إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ﴾ [الممتحنة: ٤]، فهذا مما يجب اعتقاده.

ومن ذلك ما ذكرناه، ومن سَبَّ الله وسَبَّ الرسول، هذه مما يجب اعتقاد المسلم أنه يكفر.. يجب أن يُعَلَّم كل مسلم أن من سب الله ورسوله أنه كافر.. يّعَلَّم الطفل الصغير في البلاد التي ينتشر فيها هذا الإجرام وهذه المعصية، هذا لا يحتاج إلى أحد.. هذا كل مسلم.. كما وجب على كل مسلم أن يتعلم الصلاة، وجب أن يتعلم التكفير.. يتعلم كفر اليهود.. كفر النصارى.. كفر البوذيين.. كفر المشركين الذين يعبدون الأوثان والأصنام؛ فهذه من الأحكام التي تُعطى للمسلم في صغره، ويعتقدها كل مسلم، ويُعَلَّمها كل مسلم صغير أو كبير.

وهناك أحكام من التكفير خاصة ببعض البلاد، يعني لو انتشر -كما ذكرت- سب الله وسب الرسول في بلد، فيجب أن يعلم الصغير -كما يعلم التوحيد ويعلم الصلاة-: أن من سب الله قد كفر؛ فهذه لما أنها من النوازل التي تلزمه في بلده، كذلك لو وُجد المشعوذ والساحر -الذي يلتجأ إلى الجن ويستغيث بغير الله- في بلد أو في منطقة، فيجب أن يعلم الصغير هذا الحكم، وهذا يتعلمه ويعمل به ويعتقده.. هذا لا يحتاج إلى عالم.. ويصبح من المعلوم من الدين بالضرورة، وينتشر بين عموم المسلمين كما ينتشر بينهم أن الصلاة فرض.

وهناك من الأحكام ما يحتاجه العالم ولا يحتاجه الناس في أوضاعهم، ولكن يدخل في اعتقاد المسلم بالنسبة للقواعد العامة، يعني هناك من الذين كفرهم الله ورسوله فيجب اعتقاد كفرهم من كل أحد، ككفر فرعون؛ ولذلك كفر العلماء ابن عربي لأنه اعتقد بإسلامه أو بإيمانه، أبو لهب، قال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١)﴾ [المسد: ١]، يُعَلَّم المسلم.. يُعَلَّم التكفير وكذلك مما يدخل فيها الطوائف الكافرة.

وهناك من الأمور التي يُعَلَّمها المسلم ويَعْلَمها العلماء، كما في مسائل الأحكام، يعني لا يحتاجها كل مسلم لعدم وجودها في أرضه، ولكن إذا سُئل العالم يجيب عنه، ولا تجب على كل مسلم كفردٍ إلا عندما تقع عنده كنازلة، فيسأل عنها العلماء، وهذا مما يدخلها؛ فيمكن أن يشتبه على ناس في مسألة من مسائل التكفير فيقول يسأل: هل هذا كفر أم لا؟ فيجيب عنه العالم، وهناك من المسائل الخفية التي يختلف فيها الناس ويعلمها العلماء، بل قد يجهلها بعض العلماء.. ومن ذلك المسائل الخفية.

فلذلك: عندما يسأل: ما هو التكفير؟ هل هو حكم قضائي فقط؟ الجواب: لا.. يدخل فيه ما هو قضائي؛ يعني مثلًا: كانت ترفع بعض المسائل لأهل العلم؛ عندما يُشتبه في رجل قال كلمةً ما، فيرفع إلى العلماء.. ويجدون بعض القضاة ممن عندهم الشدة في الحكم، وبعضهم عندهم التساهل في هذا الباب، مثلًا: الحكم على الزنديق.. الشافعي يقبل توبته، فكان الزنادقة يحبون أن يرفعوا إلى القاضي الشافعي، لأنه إذا تابوا عنده -إذا ثبت عليهم الكفر والشرك- قُبل منهم، بخلاف القاضي المالكي أو الحنفي مثلًا، فهم لا يقبلون توبة الزنديق، فإذا ثبتت عليه الزندقة، أي الكفر بالمعاد.. سب الصحابة رضي الله عنهم فحينئذٍ يحكمون عليه.. حتى لو تاب يقتلونه، لأنه زنديق يُخفي؛ فلا يقبلون توبته.

وهذه أي قضية سب الصحابة مثلًا: كفر وردة.. سب أبي بكر رضي الله عنه كفر وردة.. من سب أبا بكر

رضي الله عنه قد كفر وخرج من الملة.. ومن سب عمر رضي الله عنه كفر وخرج من الملة.. من سب عموم الصحابة رضي الله عنهم كفر وخرج من الملة.. هذه كذلك يجب أن يُعَلَّمها المسلمون في هذا الوقت؛ لانتشار السابين من الفجرة الكفرة من الرافضة؛ فيُعَلَّم هذا المسلم، ويصبح هذا اعتقاد كل مسلم.

لا يقال... لا يؤتى بمسلم -مثلًا- من الشارع في بلد ينتشر فيه هذا الجهل وهذا الكفر ويقال له: ما تقول فيمن سب الله؟ فيقول: لا أدري.. هذا ينبغي أن يُعَلَّم، فإذا عُلِّم، فجاء وقال: من سب الله، أو سب الصحابة.. سب أبا بكر رضي الله تعالى عنه -هو عبد من عباد الله- فيقول: أنا أكفره.. فيقول: لا.. هذا لا ينبغي إلا أن يكفره الحاكم أو يكفره القاضي.. لا يقال هذا.

القصد: بأن مسائل التكفير هي من مسائل الأحكام التي تقع -فيما تكلمنا فيه- على مراتب؛ فمنها ما هو يقيني يجب أن يَتَعَلَّمه كل مسلم، وهو من المعلوم من الدين بالضرورة، ومنها ما هو يصار به إلى العلماء، ومنها مما يقع فيه الخلاف ويحتاج إلى تحقيقٍ قضائي، منها هذا وهذا.

فمعنى الكفر البواح، البواح: أي باح به.. ظهر، والبواح يظهر على معنيين:

المعنى الأول: أن يظهره وألا يستره، فإذا ستره فلا يلاحق إلا أن يشهد عليه شهود أنه يسر لهم هذا الكفر، فحينئذٍ يكون مفسدًا.. ويكون من الكفر البواح، ولكن لو أن المرء سره ولم نعرف عنه شيئًا، فلا ينقب على القلوب؛ فحينئذٍ يكون معنى البواح: الإظهار.

ويكون معنى البواح: أن يكون مما هو يقيني قطعي من الكفر، يعني أنه لا يختلف عليه الناس؛ فالبواح على معنيين: على معنى مادة الكفر، وأن مستواها في الظهور بيّنة واضحة؛ فلا يُختلف فيها عند أهل العلم الثقات المجمع عليهم من القدماء، والمعنى الثاني: الظهور وعدم الخفاء.

والله تعالى أعلم، وبارك الله فيكم، والحمد لله رب العالمين.

٧٢- هل كل طاغوت كافر؟

ضمن الجلسة التاسعة، بتاريخ: **(١٤٣٨/١٢/٢٣هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/٩/١٤ م)**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل أخ يقول: هل كل طاغوتٍ كافر؟

جواب الشيخ:

أولاً: الطاغوت هو كل معبود عبد من غير الله عز وجل.. هذا طاغوت؛ لأنه طغى.

أما العابد لغير الله يقال له: مشرك ولا يقال له: طاغوت.

ولكن شرط هذا المعبود: أن يكون راضيًا بالعبادة؛ ليخرج منها من عُبِد من الأنبياء والصالحين وهم على التوحيد.

فمثلًا: النصارى يعبدون عيسى عليه السلام ويؤلهونه، فلا يجوز أن يقال: بأن عيسى طاغوت.. لا يجوز أن يقال هذا.. لأن عيسى عليه السلام نبي من أنبياء الله لا يصح إسلام المسلم إلا بالاعتقاد أنه نبي، يعني أنه صالح وأنه عبد الله وأنه من أولي العزم من الرسل.

فإذن هو من عبد من حجرٍ أو وثن، ومن عبد من البشر وهو راضٍ؛ فيقال له: طاغوت.

ولكن لا يطلق على الجندي.. الجندي إذا قاتل تحت راية الطاغوت، لا يقال له: طاغوت، إلا على سبيل التجوز؛ وإلا فهو عبد الطاغوت وهو من عبدة الطاغوت.

فبعد هذا المعنى؛ هل كل طاغوت كافر؟

الجواب: نعم؛ كل طاغوتٍ كافر... إذا كان من البشر وقد عبد من دون الله، وأطيع طاعة كما يطاع الله عز وجل، فحينئذٍ يكون كافرًا، لأنه راضٍ بذلك.

ويخرج من ذلك كل من عبد من دون الله وهو على غير ذلك.. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابن

مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ﴾ [المائدة: ١١٦]، فهو رافض لهذا وهو ناهٍ عنه؛ والنبي صلى الله عليه وسلم قال: **(أجعلتني لله ندا)**، فهذا لا يجوز.. فلذلك نهى عنه.

فإذن الطاغوت شرطه إذا كان من البشر أن يكون راضيًا داعيًا إلى هذه العبادة الشركية؛ ولذلك كل طاغوتٍ كافر.. على هذا المعنى.

وبارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٧٣- حكم لبس الصليب

ضمن الجلسة التاسعة، بتاريخ: **(٢٣/١٢/١٤٣٨هـ الموافق لـ: ١٤/٩/٢٠١٧ م)**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يقول السائل: ما حكم لبس الصليب؟

جواب الشيخ:

أولاً: النبي صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الخنزير وكسر الصليب، وأمر بأن لا يُرى صليب إلا طُمس، أمر بذلك.

فلبس الصليب، النبي سماه وثنًا.. لحديث عدي بن حاتم.. أنه رأى على صدره صليبًا فقال: **(انزع عنك هذا الوثن)**؛ فسماه وثنًا.

فلذلك من لبس الصليب، عند أهل العلم بالإجماع أنه يكفر، ولكن يبقى السؤال: هل هو عملٌ من أعمال الكفر الذي يكفر به المرء كسَبِّ الدين، أو هو دلالة على الكفر، أي أنه دلالة على أنه نصراني أو يهودي؟

هنا وقع الخلاف في هذا –وليس بين المرجئة وغير المرجئة، في هذا الباب– لأن الصليب ليس بذاته، ولكن لدلالاته.. هو صليب لدلالته.. فمن هنا وقع الخلاف؛ لأنه دليلٌ على الشيء؛ فهل دل أو لم يدل؟

فحكم لبس الصليب هو غير جائز؛ فإن لبسه اضطرارًا، يعني مثلًا: أن يكون هناك قتل للمسلمين فيلبسه هربًا من القتل.. هذا خوف اضطرار؛ فلا نكفره.

فإذا لبسه من غير اضطرار، وإذا لبسه على معنى اللعب؛ فإنه يكفر، أو لبسه على معنى الاعتقاد فهذا مما لا شك فيه.. لكن لو لبسه حتى على معنى اللعب.. هو يعلم أنه صليب فاتخذه شعارًا له لابسًا إياه؛ فإنه يكفر بهذا العمل.

فلبس الصليب لا يجوز، ويكفر فيما ذكرنا، وإذا اضطر إليه اضطرارًا فإنه لا يكفر.

ولكن تبقى مسألة: هل يجوز للمرء أن يتخذه للحاجة وليس للاضطرار؟

الاضطرار عند كثير من أهل العلم لا يأتي بمعنى الإكراه؛ وعند ابن حزم وبعض أهل العلم يأتي بمعنى الإكراه.. الاضطرار هو الإكراه عندهم، فيدخل في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦]، وهذا قريب مع وجود محترزات عليه تحتاج إلى تفصيل وتوسع.

القصد من هذا: إذا لبسه المرء على معنى الحاجة -أي محتاج- وليس على معنى الاضطرار؟؟ الجواب: لا يجوز، يعني بعض الناس يلبسونه من أجل أن تسهل لهم معاملات حاجية ككسب المال، بعض الناس يلبسونه من أجل أن يعملوا أعمال شرعية في الآخرين، جهادية، الجواب: لا يجوز، الابتداء لا يجوز في هذا، إلا إذا وقعت على معنى الاضطرار، أما على معنى الحاجة فلا يجوز.

هذا هو الحكم.. والله تعالى أعلم.

٧٤- شرح حديث (أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين)

ضمن الجلسة التاسعة، بتاريخ: **(١٤٣٨/١٢/٢٣هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/٩/١٤ م)**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل عن حديث: (أنا بريءٌ من كلِّ مسلمٍ يقيمُ بين أظهرِ المشركين)، الحديث الذي رواه أبو داود.

جواب الشيخ: هذا الحديث صحيح، ولكن «بريء» من ماذا؟

هذا الحديث سببه هو: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في غَزِيّةٍ، فأصاب بعض الصحابة رضي الله عنهم رجلًا بين قومٍ مشركين وهو مسلم فقتلوه، فشهد أهله أنه أسلم، فوداه النبي صلى الله عليه وسلم.. دفع ديته لأنه مسلم.. وقال: (**أنا بريء**...).

فالمقصود من ذلك: البراءة من دمه؛ لأن الله عز وجل أمر بالهجرة... فقال صلى الله عليه وسلم: (**لا تراءى نارهما**)، يعني لا يجوز أن يجلس في مكان نور هذا الرجل -إذا أوقد نارًا في الليل- أن يقارب هذا النور، فلا يرى هذا الرجل نور الكافر، ولا يرى الكافر نوره.. لوجوب الابتعاد لئلا يُصاب في المعركة إذا بَيَّت المسلمون المشركين.. لئلا يصاب المسلم بينهم فيجب أن يعتزلهم، فقال: (**أنا بريء**...)، يعني لا أدفع ديته؛ وليس المقصود أن يبرئ من دينه.

هذا لا يعني أن الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام ليست واجبة، لا، لكنها ليست ركنًا في الدين، إلا إذا تعلق بها الخروج من الدين، بمعنى لو بقي المسلم بين أظهر المشركين، فأدت به هذه الإقامة إلى تغيير دينه، مع قدرته على الهجرة، يكون كافرًا.. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٩٧)﴾ [النساء: ٩٧]، فلذلك؛ تجب الهجرة، وتصبح آكد إذا كان عند المرء القدرة على الهجرة، وكان في عدم هجرته إفسادٌ لدينه، فحينئذٍ يكفر؛ لأنها وسيلة إلى الكفر.

وأما الهجرة فواجبة، لأن الله عز وجل قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٢]، فجعل لهم الولاية السياسية، فوق الولاية الإيمانية، ولتفريقه وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٧٢)﴾ [الأنفال: ٧٢]، فهذه ولاية سياسية تتعلق بأحكام النصرة في الجهاد وغيره؛ فلذلك هي واجبة.. فهذا هو القصد.. ليس (**بريء**) أنه بريء منه ويخرج من الملة.. كما فهمها البعض: أن الهجرة على الإطلاق هي ركن.. لا.

الأمر الثاني: الإقامة بين المشركين لا تجوز على هذا المعنى الذي ذكرناه، ولذلك الهجرة واجبة؛ وللأسف الهجرة اليوم وعدم الإقامة في أرض المشركين تتأكد ويتأكد وجوبها، للمفاسد التي تحدث، لا نتحدث عن دار كفر ودار إسلام.. نتحدث عن مجتمعات.. اليوم في بلاد الكفار لا يستطيع المرء أن يعلم دينه، التقييد على المدارس الدينية.. التقييد الذي يجدونه في اللباس وغيره.. في القوانين.

ولا أريد لأحد أن يقول: الآن جاء الشيخ يتكلم!! أين كان هذا الكلام لما كان في بلاد الغرب؟! الله يعلم.. وكل من كان قريبًا مني يعلم: بأني كنت أقول هذا الكلام وأنا في ديارهم، وكنت أسعى جاهدًا للخروج منها، ولكن الله قدر.. وما شاء سبحانه وتعالى قدر.

فلذلك أنا أنصح المسلمين بالهجرة من ديار الكفار، خاصةً في هذه الأوقات التي تحتاج بلاد المسلمين إليهم.. إن شاء الله قريبًا كل البلاد تكون قد فُتح فيها الجهاد والخير، فلا يحتاج المسلمون للبقاء في ديار الكفر.. أتكلم عن المتدينين.. غير المتدين لا يهمه.. هو كالدابة.. المهم عنده أن يأكل ويشرب، وعنده السعة في الطعام والشراب والحياة ولا يهتم لغير ذلك.. هؤلاء لا كلام لنا معهم –نسأل الله أن يصلحهم– وإنما الكلام على من يريد دينه ودين ابناءه ودين أهله، فهؤلاء يعلمون أنهم يدفعون الثمن غاليًا ببقائهم بين أظهر المشركين، فهذا ما أنصح به ولا أريد أن أطيل فهذا كافٍ، وهم يعلمون أكثر مما أعلم، وأنا عشت هناك وأعرف أثر البلاد الغربية على ابنائنا ونسائنا، ولا يقل أحد: هناك الدين أكثر.. كذاب، كذاب، كذاب.. لا أحد يقول هذا.. لا يستطيع أحد أن يقولها.. نسأل الله أن يرحمنا.

هناك سؤال تابع لهذا وهو عن الجنسية..

أنا في الحقيقة لا أجيب عن الجنسية... منذ أن بحثت هذه المسألة، وقرأت فيها كتبًا، وقرأت فيها أبحاثًا قديمة وو... إلى غير ذلك، فأنا لا أتكلم عن موضوع الجنسية، هذا موضوعٌ شائك يحتاج إلى أمرٍ كبير.

أنا لم أسع إليها، ولا أحب أن يسعى إليها مسلمٌ تقي؛ ولكن أنا لا أقف أمام الأوضاع الحالية، فالحديث عن الجنسية اليوم حديثٌ طويل شائك يحتاج إلى وعي، وإلى إحاطة لواقع الطالب ولواقع الجنسية من بلد إلى بلد؛ ولذلك أنا لا أساهم في الحقيقة، ولا أجيب عن موضوع التجنس والجنسية لدولةٍ كافرة، لأن الحقيقة الدول الآن على حال متقاربة في هذا الحكم في مسمى الدار كما تعلمون.

فالله تعالى أعلم، والله يغفر لنا ويتوب علينا.

فلا أجيب عن موضوع الجنسية لأنه شائكٌ وكبير، وأدعو المسلمين أن يبحثوها بحثًا مجردًا بعيدًا عن الهوى، والله يغفر لنا.

والحمد لله رب العالمين.

٧٥- حكم شراء الشهادات الجامعية

ضمن الجلسة التاسعة، بتاريخ: (**١٤٣٨/١٢/٢٣هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/٩/١٤ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل، وقد تكرر هذا السؤال، وهو شراء الشهادات الجامعية أو تزوير الشهادات الجامعية، دعونا نقرأ سؤال الأخ بلفظه -مع أن هذا السؤال سبق أن وجد فأعرضت عنه لكثرة الالتباس فيه، لكننا سنتكلم عنه لكثرة ما يُسأل عنه المرء.. نسأل الله أن نصيب الحق وأن نعلمه-: ما حكم شراء الشهادات الجامعية الشرعية للقادر عليها؟ بمعنى أنه درس منهج الكلية، ولو امتحن فيه لأجاب، فضلًا أن عنده من التحصيل العلمي الزيادة عما هو مقرر في الكلية الشرعية، ومقررات الكلية الشرعية هزيلة ضعيفة، لا تُنشئ مثقفًا فضلًا عن طالب علم مُمكّن، يوجد بعض الاستفادة في الدراسات العليا في كلية الشريعة مما يسمونه دراسة كل السنوات، وهي بالنسبة له تحصيل حاصل، وقد تقدم العمر بهذا الرجل بحيث لا يستطيع الانتظار لأربع سنوات أو خمس، وهو بحاجة للشهادة لأمور معروفة، فهل إذا اشتغل يكون متشبعًا بما لم يعط ولابس ثوب زور، فهل هو محرم؟؟

جواب الشيخ: لأكون صريحًا في هذه المسألة.. أنا أحب لكل سائلٍ على حدة أن يسأل عالماً عن حاله، وأن يسأل عالماً تقيًا، وفقيهًا صحيحًا.

الأصل في ذلك المنع -كما تعلمون- لأن في ذلك التزوير؛ ولو فتح هذا الباب لادعى كل واحد أنه يملك علم الشريعة التي تُخرجه الجامعات والمعاهد الشرعية.. لكان كل أحد يقول: أنا شرعي.. أنا أفهم من الدكتور.

أنا قابلت -وأنا أتكلم عن وقائع- أنا قابلت رجلاً لا يتقن قراءة الفاتحة، وهو يظن أنه في التوحيد أعلم من دكاترة الشريعة في بلده!! فهذا لو يستطيع أنا يقول ما يقوله الأخ -أعتذر.. يعني قد يكون السائل على ما قال من الحقيقة والصدق فيما قال- لكن هذا الرجل يقول: أنا أستحق دكتوراه في الشريعة كما يستحق هذا الدكتوراه في الشريعة.

وأنا جالست رجلاً أراد أن يناظرني، فأنا رأيته لا يفهم شيئًا في الدين، فقال: أنا مجتهد مسألة!! -وضحك الشيخ- لا أتحدث عن خيالات ولا عن أخبار.. هذه حدثت معي.

فالقصد: أنه لو ترك هذا الأمر للمعايير الذاتية لفسدت الأمور، ووقع في ذلك ما وقع.

هذا لا يعني أن كل من أخذ الشهادة يستحقها، يعني نحن نرى كذلك الضعف الشديد من دكاترة يحملون الدكتوراه وهم لا يفقهون شيئًا في الدين.. يعني: ابني درس في كلية الشريعة -وأنا درست في كلية الشريعة في الجامعة الأردنية، وتخرجت، ودرست البكالوريوس.. عندما كان فيها أناس كبار، ولكن يحدثني ابني وقد أنهى كلية الشريعة قريبًا، فيقول لي: إن دكتورًا يقول لهم: أنا لم أقرأ في حياتي قط كتابًا كاملا!! ماذا يخرج منه هذا؟!! بل قال بعضهم -من الدكاترة-: أن لي عشرين سنة لم أفتح كتابًا قط وما قرأت كتابًا!! فهذا.. ماذا عندهم؟!! وكيف يستحق هذا الشهادة؟!! فيوجد هذا الواقع..

وكذلك يوجد مصيبة أخرى، وهي اشتراطات غير شرعية لأخذ شهادة كلية الشريعة.. مثلًا: ما المطلوب من الإنسان أن يكون دكتورًا؟ يعني: أن يكون دارسًا للشهادة العليا؟ المطلوب منه أن يكون عالماً دارسًا لمباحث معينة، وقد اكتملت المواد لديه، يعني أكمل موادها فأخذها، فتجد الدول يشترطون لأخذك الشهادة أن تمكث في البلد الفلاني مدة ما.. أن تمكث عندهم.. وهذا سبب اقتصادي، وثم -عند بعضهم- هذا سبب تعجيزي.

ولذلك هذا الأمر يحتاج للعودة إلى طرق المشايخ القدماء.. والجامعات الغربية بدأت تميل إلى هذا.. يعني يوجد الآن في الجامعات الغربية ليس الاهتمام فقط بمادة الدراسة أن تذهب وتلاصق عالماً في مختبره.. أن تدخل في شركة وأن تتعلم جوانب العمل وتعمل فيها.. يعني هذا أقرب لمذهب المشايخ قديمًا، وطرق إعطاء ما يسمى «الإجازة» قديمًا للمشايخ.. أن تجلس عنده.. أن تصاحبه.. أن تأخذ منه المواد.. أن يرى فيك النباهة.. إذا امتحنك أن تجيب.

فطرق الأكاديمية المعاصرة ثبت فشلها، وثبت فسادها، وأنها وضعت لمقاصد للأسف أغلبها تجاري أكثر مما هو علمي، والكثير منها سياسي.. يعني لا يقبلون هذه الجامعة، ولا يعترفون بهذه الجامعة.. لأسباب سياسية.. ولأسباب كيدية... كانت بعض الجامعات معترف بها في الأزهر.. الآن سحب هذا الاعتراف.. لأسباب سياسية بعد أن تغيرت الأنظمة.

إذن نحن أمام مشكلة كبرى.. يعني لا نستطيع أن نسد الباب.. لا نستطيع أن نقول: إذا كان الحال كما ذكره الرجل.. أن يكون الرجل عالماً ثم بعد ذلك يرفض لأنه لا يملك الدكتوراه، فيقول: أنا أحضر الدكتوراه.

وأنا أعرف بعض المشايخ ممن اشترى الدكتوراه.. أعرفهم.. بعضهم مات، وبعضهم حي.. وأعرف واحدًا في هذا البلد يملك سبع شهادات دكتوراه كلها مزورة، اشتراها من سوق بازار في بيشاور، ومع ذلك هو دكتور ويقدم وو... وفي التاريخ واللغة العربية والأصول والحديث وو... وهو لا يملك شيئًا.. ويعمل، وهذه صورة من صور الباطل والضلال، ويدرس في الجامعات وهو دكتور.. ولا يستحق.. وهو مادة قوته أنه إعلامي، وكان هذا الرجل قديمًا مذيعًا في إحدى الإذاعات، فهو قوته في الخطابة الإعلامية.. خلاص، مسألة أعطه بعض الرؤوس يصيغ منها خطبة كاملة، وهؤلاء يتعلمون هذه الطرق، وهو لا يملك شيئًا.. فراغ.. طبل أجوف.. فقط له صوت وفي داخله الفراغ.

كذلك هناك صورة.. أنتم تعلمون أن الجامعة الإسلامية أنشئت على أساس العلم، لما اقترح الشيخ أبو بكر الجزائري رحمه الله على بعض المشايخ، فقام الشيخ ابن باز لما كان رئيسًا عليها عليه رحمة الله فجمع المشايخ؛ فبعد ذلك لما أرادوا الأمر الأكاديمي أجبروا المشايخ الكبار على أن يذهبوا فيتحصلوا على الدكتوراه من تلاميذهم، وهذا من المفاسد الكبيرة.

ولذلك أنا لا أغلق الباب على هذا المعنى لوجود هذا الفساد، ولا أفتحه لوجود هذا الفساد.. يعني لا يجوز فتحه بالكلية.. يقول: ما دام رأيت من نفسك العلم، زَوِّر، فهذا بابٌ يدخل فيه حينئذٍ الإجرام والكذب والدعاوى العريضة الفاسدة غير الحقيقية؛ وإذا أغلقناه وقع هذا الشر.

فما هو المطلوب؟؟

كيفية الخروج من هذا هو: أن يذهب طالب العلم الذي هو على هذه الحالة إلى شيخٍ تقيٍ عالمٍ فقيه يثق بدينه، فيمتحنه.. يكون عالماً به ويرى فيه هذا العلم، فإذا تحصل هذا على أوضاعٍ خاصة مما ذكر؛ فيجوز له ذلك، يعني أنك أنت تستحق هذا.. لا يذهب إلى أي شيخ.. هو أدرى بنفسه، وهو يطلب فتوى مني.. الذي لا يريد لا يطلب فتوى مني.. هناك من المشايخ من أخذوا –من أهل الشهادات– ولم يطلبوا فتوى مني، وأنت تطلب فتوى من أجل أن تعبد الله، ولئلا تقع في الكذب، ولئلا تقع في شهادة الزور.. الشيخ محمد مختار الشنقيطي رحمة الله عليه كان يقول –حين يدرس الفقه في الجامعة الإسلامية– يقول: ما هي شهادة الزور؟؟ فبعدها يقول: تعرفون ما هي شهادة الزور؟؟ هي شهادة الجامعة التي تأخذها بعد نهاية دراستك في الجامعة،

هذه شهادة الزور.

ولذلك الكثير من الشهادات هي شهادة زور.. والله رأيت من تخرج من كلية الشريعة، والله لا يتقن القراءة.. لا يتقن؛ وحدثني ابني: أن الدكتور وضعه من أجل أن يمتحن الطلبة في سورة «البقرة»، لأنها من المطلوب حفظه؛ فقال: والله أنهم -يريدون التخرج- لا يستطيعون قراءتها على الحاضر وليس عن غيب!! حقيقة!

في الجامعات الآن فيها مفاسد عظيمة.. ويأتي الأب إلى الدكتور ويقول: أريد أن تضع لابني «أ»، وحدث دكتور.. عن طريق أخ يقسم لي أن الدكتور الفلاني أخبره: أنه دخل عليه رجل بعباءته.. وكبير، فقال: أريد أن تضع لابني في هذه المادة «أ»، قال: من ابنك؟ قال: فلان، قال: لا أعرفه.. من هو؟ فناداه وكان خارج المكتبة، قال: لما دخل -قال: أنا لا أذكر أني رأيت هذا الشخص، قال له: يا ابني أنت أين تدرس؟؟ قال: في مادتك، قال: لم أرك، قال: أنا لا أداوم.. هو ليس فقط بليد، ولكن هو لا يداوم!! وأبوه يريد «أ»!!

فالقصد: أن الشهادات هي شهادات زور اليوم؛ وأغلبها ليس لإثبات العلمية.. نعم، أنا لو استنصحني الناس أقول: نعم، تابع الدراسة العلمية؛ لأن الشهادة اليوم نسب؛ يعني كلمة «الدكتور» اليوم نسب.. قديمًا كان يقال: البصري.. يقال كذا، فاليوم نسب فلان يقال له: دكتور.. خلاص دكتور.. ماذا تحت هذه الكلمة من حقائق ومن بلاوي ومصائب؟؟ مسألة ثانية.

فالشهادات زور، لكنها ضرورة من أجل النسب، ومن أجل العمل؛ يشترطون أن تكون دكتورًا.

فالذي أنا أُفتي به وأدين لله عز وجل به: أن يذهب هذا الدارس السائل إلى صاحب علمٍ تقيٍ ويرى أمره، فإذا كان مستحقًا لها فلا بأس في ذلك، وإن لم يكن مستحقًا لها فلا يجوز له ذلك.. وهذا ضمن ظروف خاصة.. لا تُعطى لكل أحد، بل ضمن ظروف الحاجة والضرورة التي ذكرها الأخ؛ يعني ليس كل أحد يقول: أنه يصلح لي أن أكون دكتورًا، بعد ذلك -يعني- تصبح المسألة خارج حدودها الشرعية؛ بل أن يكون الرجل مضطرًا، وأن يكون صاحب حاجة، وأن يكون على حالة معينة.. لا يستطيع.. كما ذكر.. كبير في السن أو كذا أو مثل هذه الظروف؛ فيفتيه العالم بحاله: أنك أنت تستحق أن تكون في هذه المرتبة من العلمية أو لا تستحق، وحينئذٍ يجوز له أن يفعل هذا الفعل بمقداره ولا يتوسع فيه.. هذا ما أدين لله عز وجل به وإن كان

الأصل المنع؛ لأن في ذلك نوع كذب، ولكن الكذب يجوز في حالات كما تعلمون.

وبالله التوفيق، والحمد لله رب العالمين.

٧٦- ما الفرق بين التورق والعينة؟

ضمن الجلسة التاسعة، السؤال السادس والسبعون، بتاريخ: **(١٤٣٨/١٢/٢٣هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/٩/١٤ م)**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: أنا شاب مقبل على الزواج، وكما تعلم تجهيزات العرس وتكاليفه، وأنا بحاجة لمبلغ من المال، وبنك الراجحي يعرض إقراض المال بطريقة شراء وبيع الزيت؛ فما رأي الشيخ بهكذا طريقة لإقراض المال؟

الجواب: هذه يسمونها في الحقيقة «التورق»، ما هو التورق؟ هو نصف العينة.. التورق يجمع بين نصف البيع التام حله، وبين العينة المختلف فيها والتي أغلب أهل العلم على حرمتها، بخلاف الإمام الشافعي.

العينة هي: أن تشتري وتبيع من نفس الرجل، فأن تشتري منه نسيئةً، وأن تبيعه نقدًا بأقل من النسيئة.. **(وتبايعتم بالعينة)**.

وللذكر: فإن أحد طلبة العلم أرسل لي بحثًا لأحدهم، قال فيه: أن المقصود بالعينة هنا خير المال على أساس عين المال.. ما هو خير المال من الذهب والفضة.. ولذلك قال: **(واتبعتم أذناب البقر)** قال: **(وتبايعتم بالعينة)** يعني: بالذهب والفضة، باعتبار أن الذهب والفضة هما عين مال ما يقتني المرء، وهذا كلام ضعيف لا ينبغي الاهتمام به ولا القيام له.. ولا شك أن المصطلحات الشرعية حين يفسرها أهل العلم ويجمعون على تفسيرها، لا ينبغي أن نذهب إلى المعنى اللغوي، ولا شك أن المعنى الشرعي هو مشتق في أصله من المعنى اللغوي، يعني يدخل في المعنى اللغوي.

ومع الخلاف: هل المعنى الشرعي ينقل من معنى إلى معنى؟ أم يقيد المعنى اللغوي في بعض صوره؟ وأغلب أهل العلم على القول الثاني، وهو: أن المعنى الشرعي يقيد المعنى اللغوي ولا ينقله إلى معاني أخرى كما يقول بعض أهل الأصول.

فالقصد هنا فقط التنبيه: أن بعضهم أرسل وقال: أن بعض أهل العلم يقول: أين المقصود بها كرام المال؟ يعني كالذي يقال: فلان عين الإنسان وعين البشر، أي خيرهم وأفضلهم؛ وهذا كلامٌ له وجهٍ لغوي كما ترون، ولكن المصطلح الشرعي أبلغ من ذلك.

فالعينة هي: بيع عاجلٍ بآجل، وهي: أن يذهب الرجل فيشتري من رجل سلعة دينًا، ثم يشتري منه البائع نفسه هذه البضاعة نقدًا بأقل من المبلغ الأول المتفق عليه عند البيع والشراء وهو النسيئة؛ فحينئذٍ يحصل عند الرجل المشتري مال نقدًا، ولكن ذمته مشغولة بأكثر من ذلك عند البائع، وهو -كما ترون- كما قال الإمام ابن عباس رضي الله عنهما: «وبينهما حريرة لا قيمة لها» ليس المقصود البضاعة، المقصود المال.. الربا.. وهذا تحايل.

إمامنا الشافعي رحمه الله لقواعده في قضية النظر إلى الظاهر دون النظر إلى المعاني في العقود، وبحث بحثًا مطولاً في كتابه «الأم»؛ أجازها وضعف الحديث كما يعلم أهل الفقه والأصول؛ والصواب: أن هذا بيعٌ محرم، وبيعٌ من بيوع التحايل التي ينبغي الإعراض عنها.

بالنسبة للسؤال: ما هو التورق؟ التورق هو: أن يشتري المرء بضاعة على جهة النسيئة، ويخرج بالبضاعة بعد أن تدخل في ذمته ويذهب إلى رجلٍ آخر -ليس إلى نفس الرجل- ويبيع هذه البضاعة نقدًا لرجلٍ آخر.. هذا هو التورق.

هل هذا جائز أو غير جائز؟ أغلب الأئمة على حله وأنه جائز، حتى أن المفتى به في مذهب أحمد هو الحل؛ ولكن شيخ الإسلام -تبعًا لبعض السلف- كان يحرمه، ويقول ابن القيم: كنا نراجع الشيخ كثيرًا في هذه المسألة، فيصر على التحريم ويقول: إن الشارع لا يرضى الحيل بوجهٍ من الوجوه، كانت حساسية الشيخ ابن تيمية في موضوع الحيل حساسية شديدة، ولذلك كان يحرمها.

المفتى به الجواز.. المفتى به جواز بيع التورق، كون أن هذا اشترى وباع، ولا علاقة لا للمشتري ولا للبائع بهذا الصيغة، إنما الرجل يريد المال ودخلت في ذمته وهو حرٌّ في هذا، فليست بين شخصٍ وشخص واحد.. فهذا هو التورق.

ماذا يفعل الراجحي أو مصرف الراجحي أو شركة الراجحي؟

تأتي أنت وتقول: أنا أريد قرضًا -أرجو أن أصيب في هذا؛ لأني سمعتها مرارًا من أصحاب المصارف هنا في هذا الباب- تذهب إلى وتقول: أنا أريد مالاً؛ فيقولون: نحن كما تعلم نحرم الربا، ولا نعطيك قرضًا بمنفعة أو

بزيادة لأن هذا هو عين الربا، «زد وأربي» قاعدة ربا النسيئة المجمع على حرمتها ويكفر مخالفها، ولذلك من أجاز بيع ربا النسيئة فهذا يكفر، لأنه خالف إجماعًا يقينيًا دليله في القرآن والسنة، فماذا تفعل شركة الراجحي؟ تقول: نحن نشتري لك -وهو جالس في المكتب- نشتري لك زيت النرجيل؟ أو ماذا يسمونه هنا؟ «أحد الحضور: زيت الزيتون؟»، الشيخ: لا؛ لأنهم يذهبون إلى أندونيسية وماليزيا وهناك لا يوجد عندهم زيت زيتون.. عندهم إما زيت النرجيل أو اسمه... جوز الهند.. جوز الهند.. نعم، زيت جوز الهند، وهو موجود هناك بكثرة ويستخدمونه في الأطعمة وغيرها وهو بكثرة؛ فيشترون، ويتصلون ويقولون لك: نحن نشتري لك زيت جوز الهند وهو جالس، فيشترون له كمية.. كم تريد أن تشتري؟ بحسب المال الذي تطلبه.. فيشترون له الكمية ثم يبيعونها والقائم عليها وهو جالس في المكتب.. هم يشترون ويبيعون!! وهذا تورق.

كما ترون: أنهم هم اشتروا من رجل وباعوه لرجل، فهم يشترون بسعر النقد ويبيعون بالنسيئة؛ فالمطلوب من هذا الذي يريد أن يستدين.. هم يجرون هذا العقد وسطاء في العقد ووسطاء في الدفع وهو جالس لا يفعل شيئًا.. وفي نفس اللحظة!! لا يدخل حقيقة في ذمته إلا بمقدار إنشاء العقد، ولا تدخل البضاعة في ذمته دخولاً حقيقيًا تامًا، وهذا هو التورق، أو الذي يسمونه «التورق الجماعي»، أو له اسمٌ آخر.. لكنه هو التورق، فكما ترون: أنه يشتري من واحد ويبيعه لواحد، ويقوم البنك بدفع المبلغ ثم يبيعه نسيئة، فهو يدفع لك النقد ويبيع النسيئة، فيكون لازمًا في ذمتك ثمن النسيئة لأنك أنت الذي اشتريت وأنت الذي بعت، ويقوم البنك بهذا العقد.

هذا البيع يعني في صورته الأولى أنه إذا كان تورقًا؛ فيدخل في الحكم الذي ذكرناه، لكن هذا عليه محترزات كثيرة؛ يعني في الحقيقة: أن الرجل الجالس وإن اشتروا باسمه وباعوا باسمه، فالذي يقوم بذلك كله هو البنك، وهو يقبض المال ولا يدري كيف بيع وكيف اشترى!! لا يدري من هذا شيئًا، فهذا من مصائب هذا العقد.

من مصائبه الأخرى: أنه كما ترون يصبح حالةً عامة، أن التورق يمكن أن يجيزه العلماء في صور فردية، لكن أن يصبح هو حركة البنك وحركة الجمعية فلا يمنع في الحقيقة أن يكون المشتري والبائع واحد، لا يمنع؛ وأن يكون في ذلك الاستغلال الشديد.

ولذلك الذي عندي في موضوع «الراجحي»، واكتشفت شيئًا آخر قبل أن أتكلم: أنه في موضوع البنوك -

وهذا بحديثنا مع بعض مدراء المصارف، وخاصةً الإسلامية، نجد الأمر التالي، وأنا أريد أن يهتم طالب العلم بها حين يفتي- نجد: أنه في بعض المصارف الإسلامية الحل والحرمة ليس له علاقة بأصل العقد، ولكن بطريقة إجرائه من مدير البنك أو مدير إنشاء العقد الذي ينشئ العقد، بعضهم يكون ورعًا فينشئ العقد بشروطه التي نص العلماء عليها، يعني يكون العلماء قد أباحوا هذا العقد بشروط، وهذه الشروط دقيقة، فتذهب إلى مدير البنك فيكون تقيًا، فيجاهد بأن يوقع العقد كما أفتي له به، فيجريه على هذا المعنى فيكون موافقًا لإفتاء أهل العلم له.

لكننا كذلك في حالةٍ أخرى نجد: أن بعض المدراء لا يهتم، والقاعدة عنده فيجريها على السهولة كما يظن، التي تحقق له السهولة في العقد وفي الأرباح وفي غير ذلك.. مع أن الشروط واحدة في كل البنوك، -المقصود بها مثلا: بنك فيصل، أو البنك الإسلامي، أو البنك العربي الإسلامي- تكون الشروط موضوعة، ولكن إجراءات المدراء تختلف، وفيها إزالة لشروطٍ شرعية تؤدي إلى الإباحة.

الذي أطلبه من الأخ السائل -مع هذا الذي قدمته له تصورًا-: أن يذهب إلى مدير البنك نفسه ويرى كيف يتعاقد، وينظر إلى تحقق الشروط، ويطلب منه الفتوى التي أجازت هذا البيع «التورق الجماعي» -أظن هذا هو اسمه.. هو تورق، لكن التقييد الذي يلحق كلمة التورق.. هذه قد تكون «جماعي» وقد تكون غيرها- فأن يذهب إليه، وأن يبحث معه في كيفية تطبيق الشروط، فقد تكون هذه الحالة التي ذهب إليها البنك صحيحة وقد تكون غير صحيحة، ولكن الذي أسمعه عن هذا البيع، أسمع عن هذا التورق أن فيه صورًا كثيرة للأسف مما تدخل في باب التلاعب والتحايل.

والله تعالى أعلم، وجزاكم الله خيرًا.

٧٧- ما الفرق بين الهدية والهبة؟

ضمن الجلسة التاسعة، السؤال السابع والسبعون، بتاريخ: **(١٤٣٨/١٢/٢٣هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/٩/١٤ م)**

يسأل أخ: ما الفرق بين الهدية والهبة؟ وهل هما شيءٌ واحد؟

الجواب: كلاهما يقع تحت باب العطية التي لا مقابل لها، فهي من عقود التبرعات وليست من عقود المعاوضات، الهبة والهدية، وكذلك الوصية، وكذلك الصدقة؛ كل هذه العقود التي تقابل عقود المعاوضات -عقود المعاوضات التي لا تتم إلا بإيجاب وقبول، والتي يكون فيها المقابل.. مثل الإجارة.. مثل البيع.. مثل عقد الزواج.. هذا تكون معاوضات- وأما هذه تسمى عقود التبرعات.. التبرع التي لا ينتظر فيها العاطي مقابلًا.. ثمنًا.. على معنى الثمن.

فهل هناك فرق بين الهدية والهبة؟ نعم؛ بلا شك؛ يعني لا يجوز أن يقال: الله أهدى عبده، ولكن يقال: وهب عبده؛ كما قال الرجل الصالح: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (٥)﴾ [مريم: ٥]، زكريا عليه السلام طلب من الله عز وجل أن يهب له، فهو هبة.

فلذلك: الهدية يقدمها المرء لآخر على جهة التقرب إليه، والهبة ليست على جهة التقرب المطلق، ولكن على جهة طلب الشكر، يعني الله يهب العبد ليشكره، والعبد يهدي العبد من أجل أن يتقرب إليه؛ والله عز وجل لا يتقرب إلى عبده طلبًا منه غير الشكر والعبادة.

ولذلك: كلاهما من العطايا، وكلاهما من -بالمعنى الفقهي والمصطلح الفقهي- التبرعات؛ ولكن بينهما هذا الفارق الذي نحن نذكره؛ فالهدية تأتي من طرفين متساويين، يمكن أن يهدي الصديق إلى صديقه، ويمكن أن يهدي الضعيف إلى الكبير، يمكن، يعني أن تتقرب إلى كبير بالهدية، يهدى إليه؛ ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يقبل هدايا من هو أدنى منه، ويأخذ الهدية ولا يأخذ الصدقة، وهذا من علامات نبوته، وكانت تأتيه الهدايا من الملوك.. من كسرى وقيصر.. جاءته من ملك القبط... جاءت هدايا للنبي صلى الله عليه وسلم وقبلها.

فلذلك الهدية على هذا المعنى، والهبة على هذا المعنى، فبينهما فرق دقيق في هذا الباب الذي ذكرناه.

والله تعالى أعلم، وجزاكم الله خيرًا.

٧٨- هل تجوز الصدقة على غير المسلمين؟

ضمن الجلسة التاسعة، السؤال الثامن والسبعون، بتاريخ: (**٢٣/١٢/١٤٣٨هـ الموافق لـ: ١٤/٩/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل أخ: هل تجوز الصدقة وليس الزكاة على غير المسلم، وتحديدًا الطعام؟ يعني: لو أردت توزيع بعض الطعام صدقة، فهل يجب أن أتحرى المسلمين المساكين، أم يجوز أن تشمل غير المسلمين أيضا؟

الجواب: هو يسأل عن الصدقة -كما ترون- وليس عن الزكاة.. الزكاة جمهور أهل العلم تقريبًا يمنعون أن تؤدى الزكاة لغير المسلم، بل إن قلنا: أن هناك إجماعًا بأن الزكاة خاصة بالمسلمين، لما بعدنا عن ذلك، وهناك من توسع فيها من المعاصرين.

ولكن الصدقة: هل يجوز أن يتصدق المسلم على الكافر؟ الجواب: نعم؛ وليس في ذلك خلاف، أن يتصدق المسلم على الكافر المحتاج على أي معنى، على معنى قضاء حاجته، وعلى معنى ترغيبه في الإسلام، وعلى معنى الهدية.. أن يُهدي إليه، فهذا يجوز.

والنبي صلى الله عليه وسلم نهى عن زبد المشركين؛ يعني الأصل ألا تقبل هدية الكافر، لكن لو كان في قبول هديته مصلحة فلا بأس، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قبل هداياهم مع أنه نهى عن زبد المشركين.. أي هداياهم.

قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨)﴾ [الإنسان: ٨]، مسكين ويتيم وأسير، والأسير لا يكون -في الأصل- إلا كافرًا، فيُطعم.

وعمر رضي الله عنه لما أعطى اليهودي بعد أن رآه عاجزًا يتكفف الناس، فقال: «أخذناها منك قويًا وضيعناك فقيرًا» وقدر له عطاءًا من بيت مال المسلمين، وهذا على معنى الصدقة بلا شك.

فلذلك إعطاء الكافر المسكين المحتاج، أو على معنى التقرب له لدعوته للإسلام، أو على معنى الهدية؛ فكل ذلك جائز لا حرج فيه.

تبقى مسألة: من هو الأولى، المسلم أو غير المسلم؟

بلا شك أن الأولى في ذلك.. لو وجد فقيرٌ مسلم وفقيرٌ غير مسلم وتساويا، فيرجح العطاء للمسلم فهو أقرب، كما يرجح العطاء لذي الرحم فهو أولى، ويرجح العطاء للجار فهو أولى، فيرجح العطاء للمسلم فهو أولى.

إذن الصدقة تجوز أن تعطى لغير المسلم؛ يعني لو أن مسلمًا تصدق بأغراض لمنطقة منكوبة فيها مسلمون وفيها غير مسلمين، فلا يجوز له أن يتحرى أن يعطى فقط المسلم دون غير المسلم، بل يعطى الجميع لحاجتهم في هذا الباب.

والله تعالى أعلم، وجزاكم الله خيرًا.

٧٩- حكم تخصيص الأم ابنتها بالذهب قبل وفاتها

ضمن الجلسة التاسعة، السؤال التاسع والسبعون، بتاريخ: (**١٤٣٨/١٢/٢٣هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/٩/١٤ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

سؤال لأحد الإخوة: بنت عندها ذهب فأعطته لأمها هدية، بعد ذلك أرادت الأم أن تعطيه لنفس البنت حتى لا يأخذه الورثة، لأنها تعتقد أنه ملك لابنتها وهي التي اشترته لها، فما الحكم في ذلك؟ وهل يجوز للأم أن تعطي الذهب لهذه البنت دون غيرها من باقي الإخوة والأخوات؟

الجواب: نعم، يجوز ذلك في هذه الحالة؛ يعني الأم ملكت هذا الذهب بالعطية والهبة فصار مُلكًا لها، وحينئذٍ يعتري هذا المال من القواعد الشرعية والأحكام الشرعية ما يعتري الْمُلك الثابت لها، مع جواز توزيعه على بعض الورثة على قاعدة عمر بن الخطاب رضي الله عنه التي احتوت كل هذه القاعدة بقوله: «المرء بسابقته.. المرء بحاجته.. المرء ببلائه»، فيجوز للمرء أن يخص ابنا لحاجته دون البقية.. للحاجة.. يجوز أن يخصه لبلائه.. يجوز أن يخصه لسابقته؛ وهذا أمرٌ متسع طويل الحديث فيه.

ففي هذه الحالة التي أذكرها إذا البنت أهدت لأمها هذا الذهب، فالأم أرادت أن تعيده لابنتها خاصًا لها.. في هذه الحالة يجوز على ما تقدم في هذا السؤال، والله تعالى أعلم.

مع أن الأصل في قضية الهبة قوله صلى الله عليه وسلم للبشير والد النعمان، وقد أراد أن يخصه بعطية دون بقية ابناءه، قال: (**لا أشهد على زور**).

فلا يجوز للأب أن يخص أحد ابناءه -من غير معنى- بالعطية دون بقية إخوانه؛ فإذا وجد معنى على ما تقدم، «المرء بحاجته.. المرء بسابقته.. المرء ببلائه»؛ فحينئذٍ يجوز.

والله تعالى أعلم، وبارك الله فيكم، والحمد لله رب العالمين.

٨٠- الفرق بين الشرك والكفر

ضمن الجلسة العاشرة، السؤال الثمانون، بتاريخ: (**٤/٠١/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٢٤/٠٩/٢٠١٧ م**)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

أخ يسأل: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، بارك الله في جهودكم العظيمة ونفع الله بعلمكم المسلمين؛ نودّ من الشيخ أن يوضّح لنا بشيء من التفصيل والإطناب مسألة الفرق بين الشرك والكفر، وهل يثبت اسم الشرك بخلاف اسم الكفر كما هو متعارف في كلام أئمة الدعوة النجدية، وخاصةً كلام ابن تيمية رحمه الله المُستَدلُّ به على هذه المسألة في مجموع الفتاوى إذ قال: «وقد فرّق الله بين ما قبل الرسالة وما بعدها في أسماء وأحكام وجمع بينهما في أسماء وأحكام وذلك حجّةٌ على الطائفتين: على من قال إن الأفعال ليس فيها حسن وقبيح ومن قال إنهم يستحقون العذاب على القولين.. إلى أن قال: فاسم المشرك ثبت قبل الرسالة، فإنه يشرك بربه ويعدل به ويجعل معه آلهة أخرى ويجعل له أندادًا قبل الرسول ويثبت أن هذه الأسماء مُقدّم عليها، وكذلك اسم الجهل، والجهل يُقال جاهلية وجاهلة قبل مجيء الرسول، أما التعذيب فلا..»، مع بقية كلام كان ينبغي أن يُذكر ولكن هذا هو سؤاله.. نرجو من الشيخ أن يبيّن لنا هذه المسألة المعضلة والشائكة لخوض الناس فيها بغير علمٍ وسلطانٍ مبين.

الجواب: الموضوع أولاً: أن العلماء كاصطلاح في موضوع الكفر والشرك هما على قاعدة «إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا»، فيُقال الشرك والكفر، والكفر هو الجحد، والشرك هو إثبات آلهة في العبادة غير الله عزَّ وجلَّ، أن يثبت آلهة معبودة غير الله عزَّ وجلَّ، أن يعبدها.

وبالتالي هذا التفريق الاصطلاحي، ولكن كلمة الكفر تقوم مقام الشرك لو استقلّت، وكلمة الشرك تقوم مقام الكفر إذا استقلّت؛ فلا يكون المرء كافرًا أي جاحدًا إلا وهو عابدٌ لغير الله، يعني المرء إذا كفر بالله يكون قد أشرك، لأنه لا يمكن أن يسلب حقًا لله –وهو الجحد– إلا وقد أعطاه لغيره، وكذلك كلمة الشرك، فالشرك لا يمكن للمرء أن يعبد غير الله إلا وقد جحد حقًا من حقوق الله عزَّ وجلَّ.

بعض الناس يسأل يقول طيب ائتنا إلى موضوع السب، هل السبّ هو شرك أم كفر؟ يُطلق عليه مصطلح

الأقرب إلى الكفر أنه جحد حقَّ الله عز وجل بالتعظيم والتقديس، ولذلك هو كفر، فهل يجوز أن نقول هو أشرك بالله؟ الجواب: نعم، يعني هذا الذي سبَّ الله عزَّ وجلَّ يكون عابدًا لغير الله في باب من الأبواب؛ يكون عابدًا لغير الله قد يكون عابدًا لهواه، وقد يكون عابدًا لما شُرّع في بلده من عدم معاقبة السّابّ لله، وهكذا.

ولكن على الجملة يوجد بينهما فرقٌ كما ذكرنا أن الكفر هو الجحد، وتُطلق على من جحد حقًا من حقوق الله عز وجل كما ذكرنا في السابّ وكما نذكر في غيره، فمثلًا في الحديث: **(من ترك الصلاة فقد كفر أو أشرك)**، يعني يصح أن نطلق عليه لفظ الكفر في أنه لم يمتثل أمر الله عز وجل الذي جعله ركنًا من أركان الإسلام فقد كفر، وكيف أشرك؟ أنه لا يمكن أن يترك الصلاة إلا وقد عبد غير الله عز وجل، وهذا دليل على ما قلت بأن كلمة الكفر حين تستقلّ يدخل فيها معنى الشرك، وكلمة الشرك حين تستقلّ بالذكر وتُفرد فإنه يدخل فيها معنى الكفر.

هذا أمرٌ ليس فيه كبير مقال، وليس عليه كبير بناء، وإنما هو أمرٌ اصطلاحي يؤدّي إلى حقيقة واحدة أن من كفر فقد خرج من الإسلام ومن أشرك فلا يُسمى مسلمًا، لكن ذكر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في هذا الباب هو الذي يحتاج إلى وقفات.

كلام الشيخ رحمه الله هنا كما أراه وكما هو بيّن، وإن لم أراجعه في مصدره وإن كان ينبغي أن أراجعه في مصدره ولكن لسرعة الحال فإن الشيخ يتحدَّث عن التحسين والتقبيح العقلي، وهل العقوبة تكون قبل الرسالة أم بعد الرسالة؟ هذه هي المسألة، يعني هل الناس يُعاقبون قبل الرسالة لقيام الحجّة عليهم عقلًا؟ وذلك لأن الحُسن والقبح في الأشياء هو ذاتيٌ وعقلي، هذا يقوله المعتزلة، يقولون: بأن الحجّة الربّانية قائمة قبل الرسالة لقيام حُجّة العقل عليهم، ولأن الأشياء كلها يثبت فيها الحُسن والقبح العقليان.

والآخرون يقولون: لا، يقولون: بأن الحجّة الربّانية لا تقوم إلا بعد الرسالة، والحُسن والقبح لا يكون إلا بالرسالة والعقل لا يدركه؛ ولذلك ينفون الحُسن والقبح العقليين، فشيخ الإسلام رحمه الله يقول: كلا الطرفين قد ابتعد عن الصواب.

في موضوع التحسين والتقبيح العقلي هو أساس المسألة، وقضية إقامة الحجّة بم تقوم الحجّة؟ كذلك مبنيّة على التحسين والتقبيح العقلي، وبالتالي؛ يترتَّب عليها أسماء ويترتَّب عليها أحكام.

من المعروف شرعًا بأنه قد يجتمع الاسم مع الحُكم وقد يفترق، ومثال ذلك: في أن المرء قد يقترف معصيةً، ولكن لا يترتّب الإثم عليها، ومن هنا جاءت قضية لعن الفعل لا لعن الفاعل، ومن هنا جاء لعن العموم وعدم لعن الخصوص، لأن الخاص قد لا يدخل في العام لوجود حالةٍ خاصةٍ به ولتخلّف شرطٍ قد يمنع دخوله في العام؛ هذه كلها مرتبطة -كما ترون- عند طالب العلم؛ يربطها ربطًا علميًا تامًا، لا يمكن أن يفهمها فهمًا جزئيًا، بل لا بد من الفهم الكلي لتترتَّب كل مسألةٍ على أخرى.

أبيّن: المعتزلة يرون أن الأشياء يثبت فيها الحسن والقبح العقلي، يعني أن الأشياء تملك في ذاتها حسنًا وقبحًا وبالتالي لفطرة الله عز وجل وما أعطاه الناس من الحكم على الأشياء عقلًا؛ فإن الإنسان يستطيع أن يثبت أن هذا حسن وهذا قبيح، ومن ذلك الشرك والإيمان، وأن الإيمان حسنٌ بوضع الله عز وجل الخلقي له، وأن الشرك قبيح بوضع الله له خلقًا، فبالتالي؛ العقل يدرك ذلك، فإذا أدرك العقل هذا فعندئذ يمكن للمرء أن يُعاقب.. هكذا رتَّب المعتزلة.

فالمعتزلة يرون أن كلّ مشرك سواء كان قبل الرسالة أو بعد الرسالة، سواء كان بلغه بلاغ النبي أو لم يبلغه بلاغ النبي فهو معاقب يوم القيامة، يُطلق عليه اسم الكفر والشرك ويُلحق به الحكم والعقوبة، هذه هي قاعدة المعتزلة.

خالفهم على النقيض في الجهة المقابلة من قال: بأن الأشياء لا تحمل حُسنًا ولا قُبحًا وبالتالي؛ لا يمكن للناس أن يدركوا قبح الكفر وقبح الشرك إلا بوجود الرسالة، ولا يمكن أن يدرك الناس بعقولهم حُسن الإيمان إلا بوجود الرسالة؛ لأن الأشياء لا تحمل حُسنًا ولا قبحًا، ورتَّبوا عليه مسائل مثل: جواز أن يأمر الله عز وجل ما هو عند الناس باسم الرسالة قبيح، فممكن أن يأمر الله بالكذب، فحينئذٍ يصبح الكذب حسنًا لأن الله أباحه، لأن الكذب لا يحمل حُسنًا ذاتيًا عندما خلقه الله.

لا أريد أن نعود إلى أدلّة الفريقين وكيف بنى كل فريق أدلّته سواء كانت العقلية أو الشرعية، فهذا مبحث كبير وطويل، ولكن أنا أفصّل لأصل إلى مراد الشيخ ابن تيمية رحمه الله فيما يقول.

يقول: «وكلا الطرفين غلط»، وهذا الصواب أن كلا الطرفين غلط، يقول: فالأشياء يثبت حسنها وقبحها بالعقل، ولكن ما رتّب المعتزلة على هذه القاعدة من قضية العقوبة بغير الرسالة خطأ، فحينئذٍ يصح قول الطرف

المقابل بأنه لا تثبت العقوبة إلا بالرسالة.

انتبهوا، هؤلاء قالوا: الحُسن والقُبح عقليان والعقوبة تترتَّب عليه بمجرّد العقل، والرسالة ليست إلا مؤيّدة لهذا وإنما المرء يدرك الحُسن والقُبح بعقله وإن لم يتّبع الحسن الذي فرضه العقل وإن لم يجتنب القبيح الذي فرضه العقل فهو معاقب ولو لم تأت الرسالة بذلك.

الطرف الآخر قال: لا، الأشياء لا تثبت حُسنها وقُبحها إلا بالشرع ولا تثبت العقوبة إلا بالشرع، انظر كيف جمع شيخ الإسلام رحمه الله حيث قال: «وكِلا الطرفين غلط بهذا الجمع بينهما؛ فالحُسن والقُبح يدرك في ذات الشيء عقلًا، ولكن العقوبة لا تثبت إلا بالرسالة»؛ فجمع الطرف الأول من ها هنا مع الطرف الثاني من ها هنا وقال: هذا هو الصواب.

واستدلَّ بأدلة هي التي عليها الحق، أن الأشياء والأفعال فيها القُبح والحُسن الذاتي عندما خلق الله عز وجل ذلك؛ فالله عز وجل لا يأمر بالظلم، ولا يأمر بالكذب، ولا يأمر بالغلط، ومعيار الصواب والخطأ هو بما قدَّر الله عز وجل، ولكن الإنسان يدرك ذلك عقلًا، ولكن لا تثبت العقوبة إلا بالشرع خلاف المعتزلة.. الأولى خلاف الأشاعرة والثانية خلاف المعتزلة.

فالإيمان حسنٌ بإدراك العقل له والشرك قبيحٌ بإدراك العقل له، ولكن لا يُعاقب المرء على الكفر إلا بعد الرسالة لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا (١٥)﴾ [الإسراء: ١٥]، فقبل بلوغ الرسالة لا يوجد حجّة، العقل لا تثبت به الحجّة، العقل يثبت به إدراك الصواب والخطأ، ولكن إقامة الحجّة التي يترتَّب عليها العقوبة الإلهية في الغيب لا تكون إلا بالرسالة.. هذا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

فمما قاله: أنه يمكن أن يثبت اسم الكفر على المرء قبل الرسالة لأنه كافر، ويثبت اسم الشرك عليه لأنه مشرك، لكن لعدم وجود الرسالة من أهل الفترة وقبل بلوغ الحجّة فإنه لا يُعاقب، ومن هنا جاء حديث إعذار أهل الفترة، فهم مشركون لكن لم تبلغهم الرسالة، هذا مراده، وشرحته إن شاء الله شرحًا كافيًا لطالب العلم.

نعود إلى المسألة الأولى: أئمة الدعوة النجدية..

أنا أولًا: تكلَّمت كلمةً سابقة أكرّرها اليوم: لا يوجد لأئمة الدعوة النجدية أي تجديد في هذه المسألة، وكل

ما يقولونه يحاولون تفسير كلام ابن تيمية رحمه الله ويختلفون في ذلك، أئمة الدعوة النجدية بينهم خلاف، ليس لأنهم أصَّلوا المسألة من جهة الدليل كما فعل ذلك الشيخ عبد الرحمن المعلّمي! يعني أين إبداع وإتقان وتجديد الشيخ عبد الرحمن المعلّمي في بيان معنى الإله والعبادة؟ في أنه طرقها طرقًا بعيدًا عما قاله أهل العلم وذهب إلى الكتاب والسنة واستقرأ مواطن العبادة والشرك والتوحيد وو... إلخ، من الكتاب والسنة؛ فلذلك أبدع وخرج بمقرّرات تنتسب إليه لأنه هو الذي اجتهد حتى وصل إليها وكلامه متينٌ عظيمٌ قويٌّ.

أما أئمة الدعوة النجدية فكانت الخصومة تدور: هل قال ابن تيمية ذلك أم لم يقله، بينهم وبين خصومهم وبينهم وبين أنفسهم، نشأ الخلاف في داخل الدعوة، هناك من جعل الحجّة العقلية كافية، من أئمة الدعوة من جعل المنع القدري بالسمع حُجّة إلهية لأنهم لا يستحقّونها! نعم هناك من قال: بأن الله عز وجل لم ينزل على هؤلاء رسول لعلمه أنه لو أنزله لكفروا به فلم ينزل عليهم رسولًا وانتهى الموضوع فهم كفار، وجاء إلى آيات: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ﴾ [الملك: ١٠]، وحمل السمع على معنى الإدراك وليس معنى الاتباع والانقياد.

فلذلك أئمة الدعوة النجدية يدورون حول تفسير كلام ابن تيمية، ولذلك لا أرى أن يُرجع إلى كلامهم في هذا الباب، أنا أنصح إخواني وطلبة العلم ألا يرجعوا إلى كلام أئمة الدعوة النجدية إلا باعتبارهم شُرّاحًا يصيبون ويخطئون لا باعتباره اجتهادًا جديدًا يُضاف إلى ما قاله الأئمة، ولذلك الذين حول أئمة الدعوة النجدية مع وجود من يعذر من الدعوة النجدية، بل يوجد كلام لمحمد بن عبد الوهاب في إعذار القاعدين على قبة الكوّاز وغيره، وأنا ابتداءً أقول: إن محمد عبد الوهاب فيه اضطراب في هذه المسائل الدقيقة، ومن ذلك كلامه عن حديث ذات أنواط، فقد جعلها في مواطن من الشرك الأكبر أن الصحابة رضي الله عنهم سألوا شركًا أكبر، وفي مواطن أخرى جعلها من الشرك الأصغر، والصواب أنها من الشرك الأصغر وليس من الشرك الأكبر، وهذا الذي عليه العلماء السابقون: من الشاطبي وابن تيمية وغيرهم.

ففي هذه المسائل الدقيقة يوجد في كلام الشيخ نفسه اضطراب، نعم هناك من بلغ من العلم أكثر مما بلغه جدّه من أئمة الدعوة النجدية من آل الشيخ واطلعوا على علوم أخرى لم يكن قد اطلع عليها.

فهنا أنا أتكلم: لا ينبغي الاهتمام كثيرًا بما قاله أئمة الدعوة النجدية إلا باعتبارها شروحًا على ما قاله ابن تيمية رحمه الله، والذين تابعوا ابن تيمية من محبي الدعوة النجدية من خارج نجد هم على طريقة ابن تيمية رحمه

الله في إعذار المخالف، ومن أئمة ذلك الألوسي في كتابه «غاية الأماني في الرد على النبهاني»؛ فإنه يقرّر أن كلام ابن تيمية فيه الإعذار.

القصد -نعود إلى المسألة-: فلما وقف بعضهم وهذا أمرٌ لا دليل عليه البتة وهو أن بعض أئمة الدعوة النجدية فرّقوا بين كلمة الكفر والشرك على هذا المعنى بأنه نسميه مشركًا ولا نسميه كافرًا، أي نسميه مشركًا في هذه الدنيا، ولكن لا يعني أنه كافرٌ يوم القيامة! وأجروا هذا على المخالفين لهم.. انتبه الحديث الآن عن مسلمين، فالذين نتحدَّث عنهم هم أناس ينتسبون للإسلام، كلام ابن تيمية رحمه الله في الحديث عن أناس لم يبلغهم الإسلام ولم يؤمنوا بالرسول وو... إلخ، مثلاً: من كفار قريش قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم.

فهم أجروا هذه القاعدة على المخالفين من المسلمين الذين ينتسبون للإسلام، فجاؤوا هل نعذرهم أم لا نعذرهم؟ فللأسف خرجوا بهذه البدعة الجديدة في تسمية المخالف لهم ممن ينتسب للإسلام بأن نسميه مشركًا ولكن لا نكفره، أي لا نحكم عليه بالكفر يوم القيامة ولا بالعقوبة، مع أن واقعهم هو الاستحلال للمخالف بقتله وباستحلال دمه والتعامل معه في الدنيا أنه مشرك من غير إقامة الحجّة.

الإعذار بعدم التكفير ينبغي أن يرتبط به الإعذار بعدم القتل والسبي والاستحلال، ينبغي أن يرتبط به أقل شيء على معنى واحد وإن كان موضوع الإعذار في القتال أوسع، لكن هم ضيَّقوا موضوع القتال فجعلوا إمكانية أن يُقاتل المرء على الشرك مع أنه إذا مات لا نحكم عليه بالكفر!! هذا شيءٌ غريب في الحقيقة ولا يعرف للقدماء، وإنما كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في الحديث عن موضوع التحسين والتقبيح العقلي في عدم ورود الشرع، أما ما نتحدّث في الأسماء في التعامل معهم في الدنيا فهذا بالإجماع لا يكون إلا بعد إقامة الحجّة.

يعني الذين يقولون من المعتزلة لا يجيزون في القتال إلا بعد إقامة الحجّة، إرسال الرسل وإقامة الحجّة سواء كانت جماعات ممتنعة أو سواء كانوا غير ممتنعين.

القصد: بأن ما قاله بعض أئمة الدعوة النجدية من التفريق بين الشرك والكفر الذي ترتَّب عليه هذا المعنى عندهم ليس هو في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فيما أرادوه، وأما أننا نقول في هذه الدنيا: أن هذا يُسمى مشركًا ولعدم إقامة الحجّة الرسالية عليه -هو مشرك وكافر- لكن يوم القيامة له عذره عند الله لعدم بلوغه الحجة، الجواب: نعم، ولا نقول بأن نسميه مشركًا في الدنيا ولا يكون كافرًا في الآخرة للتفريق بين الشرك

والكفر هذا كلام غير صحيح.

ولاضطراب أئمة الدعوة النجدية وتشدّدهم الكثير عندما خالفهم المخالفون في تشدّدهم نشأ للأسف جزءٌ ممن يتبعهم على هذه الإطلاقات الكبيرة التي قالها بعضهم وصار فيهم الغلو حتى في تكفير المخالف في بعض المسائل التي هي من مسائل الأحكام وليست من مسائل العقائد، يعني تكفير العاذر وغيرها، هذه كلها أصلها مأخوذ من مثل هؤلاء في إطلاقاتهم، تكفير الذي يعذر المشرك بسبب الجهل، أو يعذر الذي أصاب شركًا من المسلمين: مسلم أتى بأصل الإسلام وهو أنه عبدٌ لله لا يعبد إلا الله وأنه لا يتّبع ولا يقتدي ولا يمتثل إلا بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم على جهة التعبّد والطاعة؛ فهذا مسلمٌ أتى بأصل الإسلام ثم إذا اقترف أمرًا من الأمور التي هي من أعمال الشرك هذا الخلاف حوله؛ لجهله أو لظنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قالها لأن عالمه قد أفتاه بها أو لأنه يرى أن هذا ليس من أعمال الشرك، فللأسف جاؤوا إلى الآيات والأحاديث التي نزلت في الكفار الذين خالفوا بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وعبدوا غير الله عز وجل وأعملوها في مثل هؤلاء المخالفين! هذا وقع للأسف هذا مما وقع.

وأرجو أن أكون قد بيّنت في هذا، والمسألة بلا شك من المسائل التي يدور حولها النقاش الطويل ولكن طالب العلم لو ترك ما قاله أئمة الدعوة النجدية إلا باعتبارها شروحًا، وذهب إلى كلام الأوائل؛ لصفى ذهنه ولأتى بالحق الصريح وجمع كلام العلم؛ فوجده متفقًا تمام الاتفاق، حتى ما قاله ابن تيمية رحمه الله صار عند بعض الناس غير مقبول للأسف! بعض الناس من أهل الغلاة يخطّئون ابن تيمية رحمه الله ويتعاملون من خلال النصوص التي أطلقها علماؤنا الأقدمون على من؟ على المشركين! عندما جاؤوا إلى الآيات التي هي صريحة في التعامل مع المشرك الذي يردّ أمر الله عز وجل ويردّ توحيده ولا يمتثل أمر الله عز وجل امتثال المسلم الذي دخل الإسلام من خلال الكلمة ومن خلال التوحيد، فأتوا لكلمات العلماء السابقين وصاروا ينزلونها على المعاصرين من المسلمين الذين أتوا بأصل الإسلام ووقع منهم الجهل.

والأصل أن نذهب إلى العلماء الذين يشابه حالهم حالنا، وتحدَّثوا عن الوقائع التي تشابه حالنا، كابن تيمية رحمه الله يتحدَّث عن أناس أتوا بأصل الدين ووقعوا فيما هو من أعمال الشرك، وأنا بلا شك مع شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله والأدلة معه، والأصول معه، وأنا مع الشيخ عبد الرحمن المعلّمي رحمه الله الذي درسها دراسة

مستقلّة في هذا الباب، وأرجو أن يُرجع إلى كتابه في هذا الباب وهو «رفع الاشتباه».

أرجو أن أكون قد وُفّقت في شرحها على وجهٍ ما.

وبارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٨١- دعوى تجديد أصول الفقه

ضمن الجلسة العاشرة، السؤال الواحد والثمانون، بتاريخ: (**٤/٠١/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٢٤/٠٩/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل سؤالا عميقًا ويحتاج إلى اتساع، يقول: ما مدى صحة دعوى تجديد أصول الفقه من بعض مشايخ فقه الدليل ويضع بين قوسين «السلفيين»؟

الجواب: صار المرء يضع يده على قلبه ويتخوف من مجرد كلمة «تجديد».

في الحقيقة: كلمة «تجديد» مع أنها كلمةٌ شرعية تعني إحياء الدين وتجديده، أي إعادته إلى ما كان عليه وهو جديد في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وإزالة ما علق به، أو التذكير بما نسيه الناس، إلا أنها صارت كلمة «تجديد» لا تحمل في ذهن المرء إلا معنى سيئًا للأسف.

أول قاعدة من قواعد التجديد هي: «استيعاب القديم»، على قاعدة من قال: «التجديد يبدأ بقتل الماضي بحثًا»

كثير من الناس يدعون للتجديد؛ لأنهم على قاعدة الثعلب عندما أراد أن يقفز ليقطف العنب فلم يستطع، فقال له: «روح ما أنت حصرم»، هو مسكين غير قادر أن يصل إلى العنب فسماها «حصرم»، يعني لم يستو بعد؛ فبعض الناس يريد تجديد أصول الفقه، وسبب ذلك: أنه لم يفهم أصول الفقه القديم، فلذلك يقع منهم مثل هذه الدعوة.. الذين يحق لهم الدعوة إلى تجديد أصول الفقه هم من استوعب أصول الفقه استيعابًا تامًا.

ولكن الدعوة اليوم لتجديد أصول الفقه تكتنفها صور كثيرة وأحوال كثيرة، فمثلاً: دعا إلى ذلك حسن الترابي، وأفسد فسادًا عظيمًا في هذه الدعوة، وكان مقصده هو أن يبطل بعض أركان الأصول مثل الإجماع.

مثلاً: انظروا إلى مفاسده.. قال: نريد أن نجدد -وله رسالة في هذا.. رسالة على عادته من الرسائل الصغيرة غير العلمية وغير المؤصلة- فقال: علينا أن نجدد أصول الفقه!! ماذا تريد أن تجدد؟؟ قال: مفهوم الإجماع.. الإجماع في كتب الأصول هو إجماع علماء أمة محمد، قال: هذا غير صحيح.. هو إجماع الأمة.. كيف نحقق

إجماع الأمة؟ عن طريق الانتخابات، فالبرلمان هو إجماع الأمة، فيجوز أن تجمع الأمة على خلاف ما جاء عليه النص!! وبدأ يجدد على هذا.. انظر!!

هناك من جدد وقال: لا يوجد إجماع!! فتحوا لنا، فبدأوا يجتهدون اجتهادات خارج الإجماع!! حطموا أعظم سور يحفظ الأمة ويحفظ وحدة الأمة وهو الإجماع.. فبدأ الكلام: بأنه من ادعى الإجماع فقد كذب، ونسبوها للإمام أحمد رحمه الله على معنى باطل وهو أنه لا يوجد إجماع؛ وبالتالي؛ صارت كلمة «الإجماع» كلمة مهلهلة لا تحمل سطوةً علمية في نفس القارئ.. تقول له مثلاً: الإجماع منعقد على قطع يد السارق، يقول لك: من ادعى الإجماع فقد كذب.. ما في إجماع!! ولو أجمعوا فنستطيع أن نستدل وأن نبحث!! فتدمر الإجماع من أجل أن تفتح الأبواب وتفتح الأسوار لدخول الأهواء إلى داخل الأمة.

مع أن الإجماع -وقد شرحت هذا والحمد لله في شرحي على «الموافقات» قديمًا، بأن الإجماع لا يمثل فقط حالةً فقهية، ولكن يمثل حالةً اجتماعية وحالةً سياسية بأنه يحفظ الأمة.. عندما يخرج الإجماع يجب أن يتوقف الحديث، وتتوقف الخصومة، ويتوقف الخلاف.. يرفع الخلاف.. انتهى الموضوع، ولا ينبغي أن نسمح لأحد أن يقترب منه، لكن للأسف قلنا: ليس هناك إجماع، فانهارت الأمة.

الأوائل الذين بدأوا ربما أرادوا الخير الذين قالوا: «من ادعى الإجماع فقد كذب»، وبدأوا ينقدون ما يسمى بالإجماع الأصولي على وجهٍ ما، فربما أرادوا الخير؛ ولكن انتهى الأمر إلى دخول الزنادقة، ولم يعد ثمة هناك إجماع، صار هناك الآن ما وصل إليه محمد شحرور كما ترون.. من الذي فتح الباب؟؟ الأوائل!!

وهذا نبه عليه العلماء.. عندما نفتح الباب لتأويل كلمة، فإننا نصل إلى تأويل الشريعة كلها، ولتأويل الخبر، إلى أن تتعطل الشريعة بالكامل، فحين دمرنا الإجماع وصل بنا إلى هذه الزندقة، لا يقول أحد: لم يرد الأوائل!! نعم، لم يريدوا.. لكن كان ينبغي الانتباه على أن تدمير مثل هذه الحصون يؤدي إلى مثل هذه الانهيارات الداخلية الدقيقة في داخل الأمة.

فنرجع إلى قضية تجديد أصول الفقه..

من منع التجديد يومًا؟!! يعني أصول الفقه العلماء مارسوا عليها أنواعًا من التجديد، ولم يقف ولم يرفع أحد

يومًا: «أنا أريد أن أجدد أصول الفقه»، لم يرفع هذا.. يأتي للأصول فيستوعبها، ويكتب فيها كتابة جديدة ويقدمها للأمة.. يزيد فيها.. ينقص.. يبيّن.

يعني عندما كتب ابن حزم رحمه الله كتابه «الإحكام في أصول الأحكام»، هل رفع راية التجديد؟! أنا أريد أن أبطل أصول الفقه الأولى، وقد كتبت في عصرٍ غبي وفي عصر التخلف، ودخل فيها المنطق وو... إلخ؟! لم يرفع هذا، ذهب وبيّن ما عنده من أصول الفقه؛ فصار كتابه من جملة الكتب التي يرجع إليها طالب العلم ويثق بها من أجل فهم المسائل الأصولية.

عندما كتب الشوكاني كتابه «إرشاد الفحول»، هل رفع هذه الرايات التي يراد منها تحطيم أصول الفقه؟! بل إنه عندما جاء -من احترامه، مع أنه لم يصب في هذا- عندما جاء إلى الإجماع، ومع أنه لا يرى الإجماع.. الشوكاني لا يرى الإجماع، وبالتالي؛ لما مارس أصول الفقه في كتابه «الدراري المضية شرح الدرر البهية»، الذي وهو صاحب المتن وصاحب الشرح، وطبق أصول الفقه على متنه الفقهي الذي قاله، وقال: شهد الإجماع.. احترم كلام السابقين.. وقال: أنه لا يرى الإجماع، ومع ذلك تكلم عن الإجماع، لماذا؟ قال: لأنه من أصول الفقه الموجودة في كتب أهل العلم فنبيّن ما فيه.. احترم كلام أهل العلم بهذا الاحترام.. يعني الإنسان محترم، والإنسان يستوعب ما يقوله الأوائل.. وهكذا.

ما من كتاب إلا وهو تجديد، ما من كتاب من كتب أصول الفقه إلا وهو تجديد، ماذا تريدون من التجديد الآن؟ مثلاً: يريد أحد أن يأتي إلى كتب الأصول ويسهلها لطلبة العلم المبتدئين، لأن كتب أصول الفقه -على الجملة- لا تراعي مراتب الناس في البيان، مع أن هذا موجود، فمثلاً: ابن رشد اختصر «المستصفى» اختصارًا رائعًا، رائعًا ومسهلاً.. إذا قرأته تقرأوه في جلسة وتلخص ما فيه.

ومثلاً: عندما كتب الشيخ ابن عثيمين كتابًا في الأصول يصلح للمبتدئ، لكن عامة كتب الأصول هي كتب عميقة وواسعة؛ فلو أتى أحد قال: أريد أن أكتب كتابًا في الأصول كما فعل عبد الوهاب خلاف.. كما فعل الدكتور عبد الكريم زيدان.. فهذه كتب كتبها مثلاً ليدرس طلبة الجامعة.. وهذا يدرس طلبة جامعة في الأزهر، وهذا يدرس طلبة القانون والشريعة!! لأنه للأسف في الدول البعثية -سورية والعراق- جعلوا كلية الشريعة ضمن كلية القانون.. لم يجعلوها كليةً مستقلة في ابتداء الأمر.. فكان يدرس، وما الكلام عليه أنه جعل

تمثيل بعض المسائل مأخوذة من القانون العراقي، يعني يؤخذ عليه هذا، لكن تصلح كمبتدأ.. واحد يكتب كتابًا في هذا الباب، لا بأس.

أما التجديد بمعنى: أن الإجماع لم يعجبه فيرده، يرى أن كل حديث خالف العقل يرده، ويجعل له أصولاً جديدة غير ما قاله السلف.. فهذا من الباطل.

وهذه الدعوات «نريد أن نجدد أصول الفقه» دعوات أناس -على الجملة- إما أنهم جهلة بأصول الفقه، يعني: حدثني -وهذا من أصحاب فقه الدليل- بعض الإخوة: أنه كان في جلسة لطلبة العلم، والرجل مشهور الاسم -لا أريد أن آتي باسمه، لكن مشهور في بلادنا هنا، وأنه صاحب صوت كبير.. ويد طويلة كذلك- فجلس بينهم -وأنا أعرف هذا الشخص عن قرب قديمًا أنه لا يستطيع أن يقرأ كتاب أصول فقهٍ من الكتب الكبيرة المهمة- فجلس بينهم، فتذاكر طلبة العلم في الأصول، فقال: أصول الفقه يحتاج إلى تجديد!! هو لا يستطيع أن يفهم المسكين المسائل الكبرى فأفضل طريقة أن تلقي بهذه القنبلة، فتضاحك الناس عليه.. وهكذا.

كل من يدعو إلى هذا.. يوجد كثير منهم لا يستطيع أن يفهم أصول الفقه، وبعضهم يريد إزالة ما يعيق هواه، لأنه يجابه بالإجماع.. ويجابه بالدليل على جهةٍ ما في العموم والخصوص، والمطلق والمقيد، والناسخ والمنسوخ.. فهو يريد أن يتحلل من ذلك كله ليخرج لنا بفقهٍ جديد.

فالحقيقة: لنوقف هذه الدعوات، ولنفتح الباب لمن يريد أن يكتب في الفقه وفي الأصول ما يكتب، ثم يعرض على كلام أهل العلم من غير هذه الدعوات الباطلة.

والله تعالى أعلم، جزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

٨٢- رسالة إلى طالب العلم

ضمن الجلسة العاشرة، السؤال الثاني والثمانون، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠١/٠٤هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/٠٩/٢٤ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل سؤالا.. يعني كذلك سؤالاً واسعًا عريضًا، ومن الصعب الإجابة عليه إجابةً محيطة به، فنحاول أن نقدم ما عندنا فيه..

يسأل الأخ يقول: كيف يسعى طالب العلم لإحياء الأمة؟ وما هي أهم النقاط التي يجب على طالب العلم أن يحيط بها، لكيلا يقع في مستنقع الضلال والغلو؟ وأيضًا: أرجو منكم أن تبيّنوا لنا ذلك من خلال بعض اللمحات من التاريخ مع المنظور الشرعي.

الجواب: من المعلوم بأن أهل العلم هم منارات الهدى، الذين يفتحون للناس طرائق الهدى وطرائق الحق، ويغلقون عليهم طرائق الباطل، وهم الذين تتحقق بهم عزة الأمة.

أريد فقط أن أكرر كلمة قلتها قديمًا، لكن هذا كذلك من المناسبة أن أتكلم عليها: اعلموا علم اليقين أنه لن يحدث عزة لهذه الأمة ولا عودة إلى سابق أمرها، حتى يقودها العلماء؛ وهذه كلمة لا تعجب بعض الناس، وبعض الناس لا يفهمها على وجهها الصحيح..

لا أقصد بالعلماء المقصود بالشيخ الذي يعظ على المنبر، أو الذي يستطيع أن يقرأ كتابًا، أو قرأ كتابًا فلخصه للناس، أو أخذ دورة شرعية -يعني «على قد الحال» كما يقولون- لا أقصد به هؤلاء؛ وإنما أقصد العلماء الربانيين، والعلماء الذين قرأوا الكتاب والسنة، والعلماء الذين خبروا الفقه الإسلامي بعمق، وكذلك خبروا الحياة على جهة صحيحة.

ولذلك كل ما ترونه من المفاسد فيما يسمى بالجماعات الإسلامية مرده هو: احتقار العلماء ووضعهم في الموضع الخلفي، وهذا يعود إلى طغيان غير الشرعيين وإلى ضعف الشرعيين.

فالأصل: أن طالب العلم يقاتل مقاتلة الأسد لأن يكون أمامًا، كما قاتل علماءنا السلاطين، مثلاً

والقصص كثيرة.. تعرفونها من التاريخ الإسلامي: عندما أرسل هارون الرشيد إلى الإمام مالك من أجل أن يحدث ابنيه -الأمين والمأمون- فقال: «العلم يؤتى ولا يأتي».. هذا صراع المنزلة.. وهذا صراع المقامات.. الإمام لا ينصر نفسه، ولكن ينصر ما يحمل.

وبعض الشرعيين يقبل أن يكون تابعًا!! وهذا خطأ منهم، حين يرى الشرعي في جماعة من الجماعات، وفي مقام من المقامات، وفي حال من الأحوال، حين يرى أنه مجرد ممسحة ليمسح به الفساد، ولكي تصبغ كلماته الشرعية على الموجود بغض النظر عنه؛ فعليه أن يعتزل، وعليه أن يبتعد ويرميه.. يمشي ويترك هذا، ولا يقبل بإهانة العلم، كما فعل أئمته وكما فعل سادته من السابقين من العلماء.. كما يقول: «العلم يؤتى ولا يأتي».. امشي أنا لست خادمًا لك؛ ولكن أهل العلم لم يصونوه فلم يُصانوا.. ولكن أهل العلم أهانوه فأهينوا.

وفي التاريخ: هناك ثمة صراع -شرحتها كثيرًا، وأعود إليها- في التاريخ ثمة صراع كبير ما بين السلطان وما بين العلماء، حتى لو كان السلطان عالماً!! أنا أتكلم عن قادة الجماعات.. قادة الجماعات أقصى ما يمكن أن يكونوا سلاطين.. هذه كلمة مدح.. والسلاطين؛ حتى لو كانوا أتقياء، وحتى لو كانوا علماء، ففيهم صفة الطغيان؛ يعني هم يحبون أن يكونوا كالثقب الأسود؛ يدخلون الجميع في داخلهم وفي بطونهم.. أو يدخلون الجميع في حظائرهم.. المتدين، وصاحب المال، وصاحب الحكمة، وكذلك الشرعي؛ فهذه سنة من لم يفهمها، من ظن أن سلطانًا ما أو أميرًا لجماعة ما ليس فيه هذا المعنى الفرعوني؛ فهو جاهل وعليه أن يعيد فهمه للحياة.

في التاريخ الإسلامي صراعٌ كبير بين مؤسسة العلم ومؤسسة السلطة، وكان العلماء يرفضون رفضًا تامًا الدخول في مؤسسات السلطة.. يهربون!!

كل ما نراه من سير العلماء كالإمام أبي حنيفة، وسفيان الثوري، وفلان، وفلان، من عدم قبولهم القضاء وعدم قبولهم الزيارات، لما هارون الرشيد وهو صديق لسفيان، فيجبره أن يأتيه، ثم يخرج سفيان ويترك حذائه لئلا يعود.. إلخ؛ لأن العلماء كانوا يرون أنه لا تتحقق مقاصد علمهم إلا بهجرانهم السلطة.. وهذا هو المطلوب.

ومما ينبغي أن نفهم:

أن بعض الباحثين الغربيين -ووالله قلتها قبله، فلما قرأتها له استغربت وتعجبت: أن يكون فهمه لهذه

الدرجة!!- قال: إن أول مسمار ضرب في نعش الدولة الإسلامية هو إلغاء سلطة العلماء عن طريق التقنين، إلغاء سلطة العلماء عن طريق التقنين.. لما الدولة العثمانية قننت التشريعات فلغت سطلة العلماء.. صار العالم مجرد يعني يطبق المواد كما هي، وليس له سلطان المراقبة، وليس له سلطان السيطرة، فيجب على العلماء أن يهجروا الأماكن التي يريد أحد من الناس -الغني.. السلطان.. الأمير.. الشيخ شيخ القبيلة- حين يريد أن يسيطر عليه ليكون هو مجرد تابع.. مجرد سن في دولابه ليستخدمه كما يريد.

وللأسف: الناس استمرأوا صورة السلطان والعالم في داخله!! لا، لا، هذه الصورة غير موجودة في التاريخ الإسلامي.. هذه صورةٌ فرضها الطغاة وأخذها المسلمون منهم. ومن هنا هذه «ثنائية الحكيم وثنائية العالم» هذه ثنائية غير موجودة؛ يعني: أحد يظن «أنا قائد.. أنا قائد وأنا إداري، فأنا لي الإمارة، الشيخ مجرد شيخ فليس له...»، في الحقيقة: هذه ثنائيةٌ خطأ؛ لأننا في واقع الأمر أن هؤلاء القادة أنهم حين درسوا كانوا جهلة!! يعني.. يقولون: الشيخ درس شريعة لأنه جاهل!! أو لم يأت بالعلامات المهمة الكثيرة!! كذلك أنت -قائد الجماعة- لو رجعنا إلى حساباتك لرأيناك جاهلاً في كثيرٍ من الأمور.

وبالتالي: لا عودة للأمة إلا بأن يقودها العلماء كما قادها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الابتداء، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، وهو العلم؛ وحين لا يكون ذلك، فإن ما يقع يكون بسبب العلماء أنفسهم، أنا الآن لا أتحدث عن الطغاة -سواء طغاة كبارًا أو طغاة صغارًا- لا أتحدث عن هؤلاء، لأن هذا هو شأنهم.. شأنهم أنهم يريدون أن يكونوا كل شيء، والقوى الأخرى -ومنها قوة العلم- أن تكون في داخلهم ليستخدموها.

أنا أتحدث عن العلماء.. عن شرف العلم الذي يمتحن هذا الشرف بأن يكون قليلاً فإن أكرمته أتاك غيره، يعني: طالب العلم المبتدئ يمتحن شرف العلم عنده، فإن احترمه وقدره ودافع عنه واستمات دونه، يأتيه العلم؛ حينئذٍ يحبه العلم ويأتيه، لأنه يشعر أن هذا هو صاحبه؛ ولكن حين لا يحترم العلم يهرب منه العلم.. يهرب منه.. لا يأتيه.. لا يكرمه الله عز وجل به، لأنه لا يستحقه.

فالمطلوب من أهل العلم:

هو أن يثبتوا مكانهم، وأن يثبتوا أهميتهم، وأن يعزوا العلم الذي عندهم.. الخطاب لهم لا أخاطب غيرهم.. فما هو المطلوب؟ المطلوب هو: أن تكون مؤسستك.. أن يكون اسمك.. أن يكون علمك مستقلاً لا أحد في الدنيا له سيطرة عليك إلا الحق.. الحق هو الذي تذعن له فقط، وهذا يحتاج إلى صبر وإلى فقر، أن تكون فقيرًا.. ويحتاج إلى صبر، وإلى دوام ثبات، وعدم الانجرار وراء الدعوات المشبوهة التي فيها رمي الحب، لأن الطغيان.. الحكام والسلاطين هؤلاء جماعات ينثرون الحب، فإذا أنت كنت مسكينًا جئت وراء الحب حتى تقع في المصيدة، وهذه مصيبة كبيرة في الحقيقة.

فأنا لا أرى طاغيةً يستبد إلا بغياب أهل العلم الذين يستحقون لقب العلم، وإلا لو وقفوا لوقفت الأمة معهم، ولرفع الله شأنهم؛ ولذلك هذه الصورة من إعادة سلطة أهل العلم هي التي تحقق النصر، والله ووالله ثم والله لن يعود لهذه الأمة عزتها ولن تقف على سكة العودة إلى العزة، إلا بقيادة العلماء لها.. إلا بعودة سلطان العلماء، وحين تعود سلطة العلماء يعني أنه قد عادت عزتهم.. يعني أنه قد عادت قوتهم.. يعني أنهم قد استحقوا الإمامة.. استحقوا الإمامة بالصبر واليقين.

ما المطلوب من العلماء؟

المطلوب من العلماء هو: أن يعيدوا هيبة العلم.. المطلوب من العلماء: أن يتسموا بهذا الاسم على وجهٍ حقيقي، وليس بمجرد الشهادة التي تأخذها من الجامعة.. المطلوب من العلماء: ألا يتحدثوا إلا بالعلم، وألا ينساقوا إلى الأهواء فيتخذ العلم الذي عندهم وسيلةً للهوى!!

فكيف نعيد للعلماء هيبتهم؟

هو بعودة العلماء إلى المكان الذي يريده الله عز وجل.. سيدفعون الثمن بالنبذ والفقر.. سيدفعون الثمن، ولكن في النهاية تصل الإمامة إليهم.. سيدفعون الثمن.

وهذا حديث للأسف يسري على واقع الأمة المسلمة ككل، ويسري على واقع الجماعات، القائد والحاكم حين يقول: أنا أقول كلمة سأجد من يمسحها خلفي ويبرر لي فقهها!! هذه صورة من الطغيان، ومن الطاغوتية؛ ليشرعوا صورة قائد الجماعة الذي يتخذ حوله مجموعة من الشيوخ ويقول: أنا في الفقه أستطيع أن أحل الحرام

وأحرم الحلال!! كما يطلق عن بعضهم أو ينسب لبعضهم أنه يقول: أعطني أي مسألة وأستطيع أن أقول فيها بالسياسة، وحينئذٍ سأجد فقيها يدعمني وأجد فقيها ينصرني.

هكذا صار الفقه للأسف ألعوبة، بسبب التصاق هؤلاء الجهلة الذين يسمون بطلبة العلم وهواهم عند هؤلاء.. وأنت فقط أثبت أنك تستحق لقب العلم، لتجد أن الله عز وجل سيرفع شأنك؛ وما من عالم من علمائنا إلا فتن وابتلي، ثم صبر، ثم رفعه الله، ثم دام ذكره وذهب الطغيان.. كما حدث مع الإمام أحمد رحمه الله وما حدث مع الأئمة.. ما من إمامٍ إلا وقد ابتلي.. ولا يستحق الإمامة إلا من ابتلي، كما قال الإمام الشافعي رحمه الله.

ولا يظن أحد: أن الجماعات الإسلامية خارج هذا المعنى!! الصراع بين السلطة –المتمثلة بالإمارة والقيادة والحاكم والرئيس والملك وغيره– وبين أهل العلم.. هذا صراعٌ أبدي.. صراع أبدي، وسيبقى قائمًا إلى يوم القيامة.

هذا جانب أنا أحب أن أنبه عليه لأهميته، وما يسأل عنه الأخ يدخل في هذا الإطار.

أما كيف يسعى طالب العلم لإحياء الأمة؟

أولاً –بالنسبة إليه–: بإيجاد المثال، ليبقى الدين ناصعًا؛ وأنا أقول: من رحمة الله أن الله عز وجل يكرم كل بيئةٍ إيمانية فيها طاغية، مع وجود العلماء الذين يمشون وراءه كالممسحة –كما سميتهم يومًا «شيخ المنديل» يمشي وراءه منديلاً يمسح به الأوساخ– أن يقيم الله عز وجل علماء يقفون؛ وإلا لو دخل كل العلماء في حظيرة الحاكم لكفر الناس بالدين، فأنت أحيي الدين.. أحيي العلم بالمثال.

ثانيًا: أن تقرأ وأن تتعلم، وأن تقرأ السنة، وأن تتعلم؛ من أجل أن تعلم الناس السنة، وليس الرأي ولا الهوى ولا المزاج!!

ثالثًا: أن تصبر على هذا.. أن تصبر على هذا، ولو ابتليت؛ فبعد الابتلاء يأتي الفرج، وتأتي الرفعة، وتأتي العزة؛ وهذا أبرز ما ينبغي أن يكون عليه طالب العلم.

والله تعالى أعلم، وجزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

٨٣- رأي الشيخ بكتاب «تحرير المرأة في عصر الرسالة»

ضمن الجلسة العاشرة، السؤال الثالث والثمانون، بتاريخ: (**٤/٠١/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٢٤/٠٩/٢٠١٧ م**)

يسأل أخ سؤالًا يقول: ما رأي الشيخ بكتاب «تحرير المرأة في عصر الرسالة»، للشيخ عبد الحليم أبو شقة؟

الجواب: كتاب «تحرير المرأة في عصر الرسالة»، لم يُقَدّر لي أن أقرأه إلا متأخرًا، وجدته عند أخٍ فقرأته، وهو كتابٌ سيء.. ويفتح فجوة -ليست صغيرة، ولكن كبيرة جدًا- لقضية إفساد المرأة.. يتوسع في أبوابٍ للأسف غير شرعية لقضية خروج المرأة وتحررها.

ويكفي أن نأتي إلى كلمة «تحرير المرأة»، يعني هذه كلمة معروف أنها صارت عنوانًا.. هذا كلام موضوعي لا علاقة له بالأبحاث والدعوات في داخله؛ وإنما كلام لنرى بأي نفسية انطلق صاحبه..

وللأسف: من قدم له -كالشيخ القرضاوي وغيره- قد أخطأوا، وربما لم يقرؤوه، ومن قدم له ممن قدم لم يطلع على فحواه وعلى فروع ما أتى به من مسائل.

فهذا كتابٌ سيء وهو في مجلدين، وكتابٌ للأسف يفتح فجوات عظيمة جدًا في قضية إفساد المرأة في مجتمعاتنا، والأصل هو الإعراض عنه وعدم الاهتمام به، ومن قدّم له -كما قلت- من البعض: إما أنه لا يعرف مآلات الأمور، كما صارت اليوم في قضية المرأة وخروجها، أو أنه لم يقرأ الكتاب قراءةً كاملة.

والله تعالى أعلم، وبارك الله فيكم.

للذكر: يوجد في بعض المواقع الحديث التفصيلي في الرد عليه، ولذلك أنا لن أطيل في الكلام عنه وفي الحديث عن تفاصيله، ولكن إذا قدر الله عز وجل ربما أكتب هذا تفصيليًا في النقاط التي تُنتقد عليه.

فهو كتاب سيء وليس بالكتاب الجيد، وقلت: بأن كلمة «تحرير المرأة»، صارت عنوانًا على ما يعرف من دعوة قاسم أمين.. التي يظن بعضهم ويقول: أن كاتب الكتاب هو محمد عبده وليس قاسم أمين؛ وقاسم أمين مات وزوجته مُخمرة على وجهها، فهو يدعو غيره!

والحمد لله رب العالمين.

٨٤- أفضل كتاب لشرح الأربعين النووية وعمدة الأحكام

ضمن الجلسة العاشرة، السؤال الرابع والثمانون، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠١/٤هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/٠٩/٢٤ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: ما هو أفضل شرح للأربعين النووية وعمدة الأحكام؟ وجزاكم الله خيرًا، عِلمًا بأني في بلاد الحرمين.

الجواب: مما لا يشك فيه طالب علم، أن أفضل كتاب لشرح الأربعين النووية هو كتاب ابن رجب رحمة الله عليه، وهو «جامع العلوم والحكم».. الذي زاد عليه -كما تعرفون- أحاديث وشرحها؛ فهو أفضل شرحٍ للأربعين النووية.. أفضل شرح.. ويعني لا أظن طالب علم يخالف في ذلك أبدًا..

وأما كتاب «عمدة الأحكام»، فأفضل كتاب في شرحه فهو كتاب ابن دقيق العيد، وهو نافع لطلبة العلم، وهو أفضل كتابٍ لإعمال الأصول في الفقه.

والله تعالى أعلم، وجزاكم الله خيرا، والحمد لله رب العالمين.

٨٥- الفرق بين الاحتطاب والفيء والغنيمة

ضمن الجلسة العاشرة، السؤال الخامس والثمانون، بتاريخ: (**٤/٠١/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٢٤/٠٩/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: شيخنا، يا حبذا لو تبين لنا: ما الفرق بين الاحتطاب والفيء والغنيمة؟

الجواب: أولاً: لا يعرف في الشريعة أخذ مال الكفار إلا على جهة الفيء والغنيمة، والفرق بينهما واضح في كتب الفقه، وفي كلام ربنا عز وجل لما ذكر في سورة «الأنفال» كيف توزع الأنفال التي أخذت بعد قتال.. فتخمس، فخمس يأخذه الإمام وأربعة أخماس ترد إلى المقاتلين، ولما أخذ الصحابة رضي الله عنهم «بني النضير» أنزل الله عز وجل أحكام الفيء.. وأخذوا أموال بني النضير بغير قتال، فهذه يأخذها الإمام وليس للمقاتلة منها شيء، هذا هو قول الجمهور وهو الصواب، وخالف الشافعي، وعلماء الشافعية لا يأخذون بهذا القول من الشافعي ويعتذرون له: بأنه أخطأ في هذه المسألة، ولذلك: لا يفتى بقول الشافعي، ولا يذكر إلا للتنبيه.. فقط لطلبة العلم.

فالفيء هو: ما أخذ من أموال الكفار على جهة الغصب منهم، ولكن بلا قتال؛ كأن يحاصروا فيستسلموا، أو يحاصروا فيهربوا ويتركوا أموالهم، أو أن يأتيهم أهل الإسلام فيتركوا أموالهم ويهربوا.. إلى غير ذلك.. فلا يحصل قتال.

وأما الغنيمة فهي التي تأخذ بعد قتال؛ حين يقاتل أهل الإسلام الكفار فيغنمون أموالهم، وهذا مما أكرم الله عز وجل به هذه الأمة، وأما الأمم السابقة فلم يحل لها الغنائم قط، ولم يكن هناك ثمت قتال قبل موسى عليه السلام وإنزال التوراة، وأما القتال بعد موسى عليه السلام، فقد كان أهل الإيمان يجمعون الغنائم والأموال التي تأخذ من الكفار، فيجمعونها ثم تنزل نار من السماء فتأخذها، ولذلك فرحمةً بهذه الأمة وإكرامًا لهذه الأمة؛ أحل الله عز وجل لها الغنائم.

والأنفال تطلق على الغنيمة وتطلق على الفيء.. المهم: أن هناك قسمان لهذا الأمر.

فمن أخذَ أشياء على جهة الخلسة.. هل أموال الكفار مباحة على كل حال أولاً؟ بالإجماع.. نعم يجوز..

أنا أتكلم عن المحاربين الكفار الذين ليسوا من أهل الذمة –وأهل الذمة هم: الكفار الذين يعيشون بين أهل الإسلام ويدفعون الجزية على وجه الدوام– وليسوا من المعاهدين، وليس من المستأمنين.. هذه الثلاثة أنواع للكفار غير المحاربين.. فمن لم يدخل في أحد هذه الأقسام يكون محاربًا، ولا يقصد به القتال.. من لم يكن من أهل الذمة يعيش في دار الإسلام بين المسلمين، مع التزامهم بالشروط؛ أو معاهدًا، وهو الذي نشأ بين أهل الإسلام.. دار الإسلام.. بين إمام المسلمين وبين إمامهم هدنة، فهذا معاهد، والمستأمن، وهو الذي يدخل من الكفار ديار المسلمين بأمان، كأن يدخل لطلب العلم.. يدخل للتجارة.. يدخل للرسالة.. لإيصال رسالة ما للمسلمين، فهذا مستأمن؛ فمن لم يكن من هؤلاء يكون محاربًا.. السؤال –أتكلم شرعيًا.. وبالإجماع.. المسألة ليس فيها خلاف–: هل يجوز أخذ مال الكافر من غير هؤلاء الثلاثة على أي جهةٍ كانت؟

الجواب: نعم، يجوز أخذ ماله على أي جهةٍ كانت.. على جهة القتال الذي يؤدي إلى الأنفال –النفل أو الغنيمة– أو على جهة الإرهاب الذي يؤدي إلى الفيء.. أو على جهة اللصوصية والسرقة.. يجوز.. الكفار.

هذا المال الذي يأخذ بغير هذين المعنيين وهما الفيء والغنيمة ماذا يسمى؟؟ في المذهب الواحد كما يذكر الغزالي، وكما يذكر النووي في «روضة الطالبين» في المذهب الواحد يوجد خلاف.. هناك من يجعل هذا على معنى الغنيمة، أي أن له أربعة أخماس ويؤدي خمسه إلى غيره؛ وهناك من يجعله بمعنى الفيء، أي ليس له شيء لأنه أخذه بغير إيجاف.. ليس له شيء.. يؤديه إلى المسلمين جميعًا؛ وهناك من يجعله على معنى الاحتطاب –وهم الأحناف– أو على معنى الاختصاص.. يختص به وهذا لفظ المالكية.. وغيرهم كذلك.

لذلك سمي الاحتطاب.. كأنك تطلع إلى الجبل وتجمع القليل من حطب وتبيعه.. فهكذا دخلت لفظة الاحتطاب.. وليس هذا من الألفاظ المجمع عليها، وإنما هو خلاف.

فهذا هو الفرق.. الفرق بين الغنيمة وبين الفيء وبين الاحتطاب.. فهي من جعل المال الذي يأخذه على جهة اللصوصية والسرقة، من الكفار، ولا يكون مع المسلمين، ويأخذه على هذه الجهة.. فهذا يقال: يأخذه كله فيكون كالاحتطاب.. هذا الذي يقولونه، والمسألة كما ذكرت في المذهب الواحد.. عند الشافعية فيها خلاف.. فيها خلاف شديد في هذا الباب. ويكفي ما ذكرته لكم، والله تعالى أعلم.

٨٦- حكم أفعال التغريق والتحريق

ضمن الجلسة العاشرة، السؤال السادس والثمانون، بتاريخ: **(١٤٣٩/٠١/٤هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/٠٩/٢٤ م)**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: أفعال الذبح والحرق والغرق وطرق التعذيب المخترعة، شرعية أم لا؟ مع ذكر الدليل على ذلك.

الجواب: هذا أمرٌ يحتاج إلى شيء من التفصيل السريع حول، هذه الأمور، وهي الذبح، والتحريق، والغرق أو الغرق.

أولاً: لا يجوز التعذيب.. بلا شك، أن الأصل هو عدم جواز التعذيب، ولا يجوز لأحد أن يستخدمه، لا لأخذ إقرار.. لا يجوز.. وكل إقرارٍ مأخوذ على صيغة التعذيب وتحت الإكراه، فهو إقرارٌ باطل غير جائز، وللأسف الطواغيت يقبلون الإقرار تحت الإكراه بشروط، وهذه الشروط يتلعب بها قضائيًا.

فالأصل هو عدم جواز هذه؛ لأن هذا من الظلم، ولأن هذا من الإفساد في الأرض، ولأن الإرادة يجب أن تحترم بكونها حرة، فإذا ضُغط عليها؛ خلت الإرادة من كونها منشئة للعقود وملتزمة بما تقول.. فهذا لا يجوز.

وهناك بعض أنواع التعذيب أشد من حرمة من غيرها، كالتحريق؛ فالنبي صلى الله عليه وسلم أمر بأن لا تستخدم، وقال في الحديث -بل في الطب وهي قضية تستخدم الحرق للتطبيب.. الكي.. نهى رسول الله عن الكي وقال: **(لا أكتوي)**.. مع أنه جعلها من أسباب العلاج وقال: **(لا أكتوي)** ونهى رسول الله عن الكي، فمن باب أولى أن ينهى عنها في غير ذلك، وفي الحديث: **(لا يعذب بالنار إلا ربها)**.. فلا يجوز.

الآن: هذا هو الأصل الذي يجب المصير إليه.. لا يجوز؛ ولكن هناك مسائل ينبغي أن تذكر في هذا الباب، وهي القصاص.. هل تجوز في القصاص؟

الأحناف لا يجيزون القصاص إلا بالسيف، ومقصود بالقصاص: أن يُفعل بالمرء ما فعله بغيره.. كأن يحرق إنسان ظلمًا إنسانًا، فهل يحرق هذا الحارق؟ رجلٌ أغرق رجلاً في بئر، فهل يجوز أن يقتل تغريقا؟ رجلٌ ذبح إنسانًا، فهل يذبح.. بطريقة الذبح: كأن يضربه بالساطور، أو أن يضع رأسه ويذبحه ذبحًا من غير قتل بالسيف؟

العلماء على خلاف.. الأحناف لا يجيزون القود إلا بالسيف.. إذا قتل رجلٌ رجلا ولو بمثقل، أو قتله بالسيف، أو قتله بالتحريق.. فإن الفاعل لا يقتل إلا بالسيف.. هذا قولهم.

الجمهور يرون جواز ذلك وهو أن يعاقب بمثل ما عاقب غيره به، ويستدلون بما فعل النبي صلى الله عليه وسلم مع اليهودي الذي قتل المرأة المسلمة بأن وضع رأسها بين حجرين وفدخه وضربه؛ واستدلوا بحديث عكل وعرينة.. والأحناف يرون نسخه.

والصواب: أن القصاص والقود يجوز بما فعله.. يجوز القود بما فعله.. رجل أغرق إنسانًا فيغرق، ورجل ذبح إنسانا فيذبح، ورجل ردى رجلاً من علٍ فيردى هذا المرء.. يجوز ذلك.

والخلاف في التحريق.. الخلاف حينئذٍ يكون في التحريق.. هل هذا النهي يكون عامًا في قوله: **(لا يعذب بالنار إلا ربها)** أم أنه لا؟ هذا منهيٌ عنه على جهة الأصل، ولكنه يدخل في القود والقصاص داخلاً في فعل النبي صلى الله عليه وسلم؟؟

الصواب الذي عندي: أنه يجوز التحريق بما حرق به، يجوز أن يحرق المرء بما حرق به؛ والمنهي عنه هو أن يحرق بغير قودٍ لما اقترفه من نفس الفعل.. فيجوز أن يفعل به.. هذا انتهينا منه.

تبقى مسألة.. رجل متهم: أفعل الفعل أم لم يفعله؟؟ لا يجوز أن يضغط عليه من أجل أخذ مسألة.. لا يجوز.. فعل أو لم يفعل.. إنما تبقى إرادته حرة للنطق بما يقول، وحين تشك به أحضر الأدلة من خارج إقراره، أما إقراره فلا قيمة له.

للأسف: هذا لا يعمل به في بلادنا، وحتى أنه يفعله كثير من الذين تأثروا به في بلادهم، فأعملوه في غيرهم.

ولكن هناك مسألة يذكرها الفقهاء، وهي قضية -ليس الإقرار- ولكن استخراج الحق بعد إثبات التهمة، يعني رجل ثبت عليه بالشهود وبالأدلة الشرعية أنه سرق من بيت فلان مالاً، فهل يجوز معاقبته والضغط عليه بالإكراه ليدل على المال؟ هل يجوز؟

الجواب: نعم، يجوز في هذه الحالة؛ ولكن لأخذ إقرار منه أنه سرقه فهذا لا يجوز، وإقراره غير معتبر، ولا يجوز أن يأخذ به القاضي، ولا أن يحكم عليه من خلال هذا الإقرار الذي وقع من خلال إكراه؛ رجلٌ ثبت عليه

أنه جاسوس.. ثبت عليه بالأدلة الخارجية، وليس بإقراره تحت الإكراه، فحينئذٍ -بعد أن ثبت عليه هذا- فهل يجوز أن نقرره بالإكراه ماذا قال ومع من يتعاون وكذا؟

الجواب: نعم، يجوز في هذا الإطار؛ ولكن هل هذا على إطلاقه؟ الجواب: لا، هذا يدخله العلماء ضمن دفع الصائل؛ ودفع الصائل له شروط، وأول شرطٍ من شروطه: ألا تستخدم الآلة التي تزيد عن دفع الضرر ودفع الصيال، بمعنى: لو أن رجلاً هجم عليك يريد أن يضربك بيده، فلا يجوز أن ترده بالمسدس أو أن ترده بالسيف، وإنما ترده بعصا مثلاً، إن كنت لا تستطيع أن ترده بيدك.. إذا قدرت أن ترده بيدك فلا يجوز لك أن تستخدم العصا، فتستخدم فقط ما يرده عن بغيه ولا تزيد، لئلا تصبح أنت باغيًا ظالماً صائلاً.. وهكذا، لا يجوز أن يضر، مثلاً أن يضرب بحيث تقطع يده.. يضرب بحيث تقلع عينه.. يضرب بحيث.. إلخ، لا يجوز، فلابد من مقارنة المفسدة التي اقترفها -التي نريد أن نزيلها- بالمفسدة المتحققة عليه.. هذا من شروط دفع الصائل، وهذا الآن صائل فندفع صياله بمقدار ما يتم به الدفع، وإلا نصبح نحن مكانه، وأنت كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: **(فإن قتلته كنت بمنزلته قبل أن يسلم)**، وهكذا نقول للناس: فليتقوا الله في هذا الباب.

هذا الذي نقوله في هذا الباب، والله تعالى أعلم، والحمد لله رب العالمين.

٨٧- حكم الصلاة خلف الأئمة الذين تعينهم الدولة

ضمن الجلسة العاشرة، السؤال السابع والثمانون، بتاريخ: (**٤/٠١/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٢٤/٠٩/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: ما حكم الصلاة خلف الأئمة الذين تعينهم الدولة؟ عِلمًا أنهم لا يجيدون التجويد، ولا يستنون بالهدي الظاهر، ولا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر، ويرون مشروعية هذا النظام العلماني؟ وما حكم التحاكم للمحاكم الوضعية لشخص قد يضيع ماله أو حقه؟ نرجو منكم التوضيح.. بارك الله في أفعالكم.. أخوكم من تونس

الجواب:

أولاً: بالنسبة لموضوع الأئمة والخطباء.. ليسوا سواء.. يعني ليسوا مرتبةً واحدة في الحكم عليهم.

هناك من الأئمة من هم زنادقة، مثلاً: هذا خالد الجندي، شيخ.. هذا يلبس مرات العمامة والقفطان الأزهري، ومرات يلبس البدلة الأجنبية، وفي حواره مع بعض المشايخ جعل الحق للحاكم أن يحكم بما يرى بعيدًا عن الشرع، وأنه لا يجوز الالتزام بالأحكام الشرعية إذا خالفت الأحكام الوضعية!! وهكذا.. فهذا شيخ؛ وإن سمي شيخًا وإن خطب على المنبر وإن أم بالمسلمين، فهو زنديق، ولا يجوز الصلاة خلفه.

ليس كل من كان تابعًا لوزارة الأوقاف في دولة من الدول العلمانية وكان إمامًا، لا يجوز الصلاة وراءه، هذا غير صحيح.. لابد من التحقق.. فمجرد أنه مسلم يدعو إلى الله، وأنه يؤمن بأصل الإسلام، ويكفر بما يجب أن يكفر به المسلم من الطواغيت ومن الأوثان ومن المعبودات من دون الله عز وجل.. فهذا مسلم يجوز الصلاة وراءه، ولا يجوز ترك الجمعة والجماعة خلفه لبدعةٍ يصيبها أو لخطأ يخالف فيه المسلمين.

الذي يخاف منه هو أن بعض الناس يبالغ في وصف بعض الأئمة.. يبالغ.. فمثلاً: إذا خالفه في مسألة مثلاً من مسائل الأحكام، فإنه يتهمه بأنه خالف الدين، وأنه نقض الشريعة، وأنه نقض أصل توحيده لربه، فبعض الناس يصف هذه الأوصاف مبالغةً في كرهه للإمام وللأئمة.. فنحذر من هذا النوع من الإخوة.. ومن الناس، وهؤلاء يعني ينبغي ألا يلتفت إلى توصيفهم، ولا تعطى فتوى لهم.

ولكن على الواقع: هناك أئمة أهل صلاح وأهل دين وأهل تقوى، وإن خالفونا في مسائل، وإن كانوا موظفين في وزارات الأوقاف في الدول التي لا تحكم بالشريعة والدولة العلمانية الكافرة، فهؤلاء تجدهم أئمة يؤمون الناس، ويُعلمون الناس الدين، وربما يخالفون في مسائل، ولهم آراء في بعض القضايا تخالف الآخرين؛ فهؤلاء يعني منا ونحن منهم.

وهناك أئمة ليس لهم أي اتجاه سوى أنهم يصلون في الناس ويعلمون الناس القرآن، وليس لهم أي تدخل مثلاً في قضايا المسلمين، وليست لهم آراء؛ فهؤلاء كذلك يصلى خلفهم، ويؤخذ منهم العلم الذي يعلمونه، سواء كان من قراءات القرآن، أو من قراءات كتب السنة، أو تعلم الفقه الإسلامي منهم، أو أخذ النحو عنهم، أو أخذ أصول الفقه منهم، وهم كذلك من أهل الإسلام الذين ينبغي أن يُشهد لهم بالتوحيد، وأن يصلى عليهم إذا ماتوا، وأن يتعامل معهم كمسلمين.

لكن هناك ثمت أئمة، -لا أقول كما وصف الأخ السائل، ولكن أقول مما نراهم على أرض الواقع- نرى أنهم مثلاً يكرهون أهل الإسلام.. مثلاً: على طريقة الزنادقة في كره من هو ملتحي.. إذا دخل عليهم الملتحي يكرهونه، وربما يكرهون المرأة المتحجبة، ويكرهون المرأة الملتزمة بدينها، ويحاربون الدعاة إلى الله عز وجل، وهكذا.. فتجدهم على هذه الصفة؛ فهؤلاء لا يصلى خلفهم..

لكن بمجرد أن يدعو للحاكم بالتوفيق في الطاعة والتوفيق بالإصلاح، فهذا لا بأس أن يصلى خلفه..

أما الموضوع الفقهي وهو قضية أنه لا يتقن قواعد التجويد، فقواعد التجويد على خلاف بين أهل العلم، وليس كما قال بعضهم: أن الإجماع منعقد على أنها واجبة!! هناك خلاف في الحقيقة على قواعد التجويد.. فأن يقرأ المرء القرآن بغير قواعد التجويد لا تبطل صلاته، لكن أن يقرأ بالقراءات الشاذة فلا يجوز، وتبطل صلاته بالقراءات الشاذة، أو أن يقرأ باللحن؛ واللحن عند أهل العلم بالقراءات يقسم إلى: لحنٍ جلي ولحنٍ خفي، فاللحن الجلي هو: الذي يقرأ في القرآن ويغير فيه المعاني، كأن يقول مثلاً: «صراط الذين أنعمتُ -بالضم- عليهم» فهذا خطأ ولحنٌ جلي؛ وإن كان قادرًا ولم يتعلم فصلاته باطلة، وتعاد الصلاة، ولا يقدم للإمامة.. فمثل هذا ينظر فيه.

وكذلك الإمام المشتهر بالفسق، كحلق اللحية مثلاً، فجواز الصلاة وراءه كما هو مذهب الإمام مالك،

وهو المفتى به، يجوز الصلاة وراء الإمام الفاسق أو المبتدع، ما لم يكفر هذا ببدعته أو يكفر هذا بمعصيته.. مع الكراهة، يعني الأولى أن يقدم غيره؛ ويحتج الإمام مالك بفعل ابن عمر رضي الله عنه لما صل وراء أئمة الفتنة الذين قتلوا عثمان رضي الله عنه.. فهذا هو المفتى به؛ وهو أنه يجوز الصلاة وراء هؤلاء إن لم يكفروا ويرتدوا.

والذين مثلاً يقفون مع الطواغيت.. هناك أئمة يقفون مع الطواغيت في قتلهم للمسلمين ويؤيدونهم؛ وهناك بعض المشايخ.. وينتسبون للسلفية.. ولهم لحى.. ويلبسون الثياب الشرعية.. وعندهم الهدي الظاهر، فهؤلاء لا يُصلى خلفهم وهؤلاء مرتدون.. وسميتهم «السلفية المرتدة»، يعني الذين يعادون المسلمين ويوالون العلمانيين ويظهرون هذا بيّنًا، بل يرون القتال مع طوائف العلمانيين ضد الطوائف المجاهدة المسلمة؛ فهؤلاء لا يصلى خلفهم ولا ينبغي.. والصلاة منفردًا خير من الصلاة وراء هؤلاء.

فمثل هذا ينبغي التقيد به، في قضية التفريق بين أحوال الناس.. وأنا لا أفتي للرجل حيث يكون في ذهنه الشخص المعين على أنه على ما وصفه، لأنني أقول وأكرر: هناك بعض الناس من يبالغ في أوصاف الأئمة، يعني عندما يخالفه في موضوع الانتخابات، فيقول هو: وهذا يدعو إلى الشرك والتنديد ولا يدعو إلى التوحيد ويحارب التوحيد!! هذا توصيفٌ خطأ.. هذا توصيفٌ خطأ في المسألة..

فعلينا أن نحذر من هؤلاء الذين يطلقون العبارات الكبيرة على المواضع التي يمكن أن يتم حولها الخلاف وبالتالي؛ -هذا ما قدمته- أن الأئمة الذين يؤمون المسلمين، وهم موظفون في وزارات الأوقاف أو الأقسام التابعة لإدارة مساجد المسلمين.. ليسوا سواء.. منهم من هو الصالح والعابد والأخ والحبيب، ومنهم من هو على غير ذلك وضد من ذلك، وذلك بالنظر إلى أحوالهم من غير تدخل الهوى.. ومن غير تدخل المزاج.. ومن غير تدخل الأحكام الخاصة التي لا تقرها الشريعة.

أقول قولي هذا وأستغفر الله، وجزاكم الله خيرًا.

٨٨- حكم قضاء الصلاة الفائتة

ضمن الجلسة العاشرة، السؤال الثامن والثمانون، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠١/٠٤هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/٠٩/٢٤ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: ما حكم قضاء الصلوات الفائتة بعد التوبة من تركها؟

الجواب: هذه مسألة من المسائل العويصة بين أهل العلم، وهي قضاء الصلوات على المعنى الفقهي.. «قضاء».. لأن هناك أداء وهناك قضاء.. مع أن «قضاء» لغةً تأتي على معنى الانتهاء، لكن استقر على هذا المصطلح في التعبير عمن يصلي بعد خروج الصلاة عن وقتها، فهناك الأداء، وهو أدائها في وقتها؛ وهناك القضاء، أي أداء الصلاة بعد خروج وقتها.

أول شيء: متفق على أنه إذا ترك المرء الصلاة لعذر فإنه يصليها متى ذهب العذر، لقوله صلى الله عليه وسلم: (**من نام عن صلاةٍ أو نسيها فليصلها إذا ذكرها، ليس لها كفارة إلا ذلك**)، وهذا حديثٌ صحيح في الصحيح.. فهذا مجمع عليه.. من نام عن صلاة فقام وقد خرج الوقت يصليها.. من نسيها يصليها.. وهكذا.. من غاب عقله حتى خرج وقتها يصليها عندما يعود إليه عقله.. أو من دخل في عملية فإنه يصليها متى خرج منها عندما يعود إليه وعيه.

لكن الخلاف فيمن ترك الصلاة عمدًا، فهل إذا تاب وأناب عليه أن يعيد الصلوات التي فاتته بالترك؟

هذه مسألة خلافية.. لا أعرف -في الحقيقة هم يقولون الأئمة الأربعة- لا أعرف نصوصًا خاصة في هذه المسألة لهم، ولو ثبت عندي أن الأئمة الأربعة بنصوصهم -وليس بما يستخرج من فتاوى على كلامهم- أنهم يقولون بالقضاء، لقلت به؛ ولكن لا أجد هذا.. لا أجده عندهم.

ولذلك لأننا نقول.. وهم يرتبون على هذا القول؛ القول بخلافه، لأننا نقول: بأن من ترك الصلاة فقد كفر، والكافر بالإجماع غير ملزم بأداء ما كان تاركًا له من الطاعات الواجبة في كفره، أي أنه إذا أسلم لا يكلف بعمل إسلام إلا بعد إسلامه، وأما ما كان قبل ذلك.. مع أنه معاقب عليه ما لو مات على كفره، لأنه -على الصحيح- أن الكافر معاقبٌ ومحاسبٌ على الفروع.. ﴿لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣)﴾ [المدثر: ٤٣] فذكره ﴿وَكُنَّا

نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦)﴾ [المدثر: ٤٦]، فهم كفار بتكذيبهم بيوم الدين، ولكن عوقبوا على ترك الصلاة كذلك.. فالصواب: أن الكافر محاسب على فروع الشريعة؛ يعني الكافر الذي يكذب معاقب على كذبه فوق عقابه على كفره.

ولذلك الكفر درجات وليس درجة واحدة، وبالتالي: كلمة «ليس بعد الكفر ذنب» هذه كلمة غير صحيحة..

نعود إلى ما نحن فيه.. لأننا نقول: بأن تارك الصلاة كافر، وبالتالي: أنه معاقب على ترك الصلاة وعلى كفره بترك الصلاة، لكنه إن أسلم فإنه لا يعاقب على ترك الصلاة حين تركها.. فإنه يسلم.. فما المطلوب منه؟ المطلوب منه: التوبة، والإنابة، وكثرة الطاعات، وكثرة صلوات النوافل.. يكثر من هذا حتى يدرك.

فمن ترك صلاة، تاركًا إياها عامدًا؛ فإنه يكفر، ولو ترك صلاةً واحدة على الصحيح؛ وهذه فتوى كبار الأئمة، بل في الحقيقة من فتاوى الصحابة رضي الله عنهم، ولكن بعضهم ذكرها على التخصيص.. كما ذُكر عن إسحاق بن راهويه وغيره..

فالقصد أيها الإخوة الأحبة: بأن تارك الصلاة كافر، فإذا تاب من ترك الصلاة لا يقضيها؛ لأنه غير مكلف بها ابتداءً عند إسلامه، كما أنه لا يعيد الكافر إذا دخل الإسلام لا يعيد ما فاته من الصلوات من بلوغه إلى يوم إسلامه، ولا يكلف.. إلى غير ذلك... فالقصد: بأنني لا أرى قضاء الفوائت من الفرائض.

ولكن قضاء الفوائت من غير الفرائض فيه نظر، مثلاً: كمن ترك صلاةً مستحبة من الرواتب، فهل يقضيها؟ الجواب: نعم، لحديث أم سلمة رضي الله عنها: **(أن النبي صلى الله عليه وسلم فاتته سنة الظهر، فصلاها بعد العصر)**؛ وثبت عنه أنه كان يصلي بعد العصر ركعتين، وكانت عائشة رضي الله عنها ترسل السائل إلى أم سلمة رضي الله عنها، لعلمها بسبب فعلها من النبي صلى الله عليه وسلم.

والخلاف في قضية ترك الوتر.. وورد عن الصحابة رضي الله عنهم -عن كثير من الصحابة- كما روى محمد بن الحسن الشيباني في موطأه: بأن كثير من الصحابة كعبد الرحمن بن عوف وغيره كان يأمر وكانوا يأمرون من ترك الوتر أن يصليها؛ فهذا هو الأقرب لهذا الصواب.

وخلاف هذه المسألة في قضية الوتر.. خلاف ما قاله بعض المتأخرون كشيخ الإسلام ابن تيمية، والصواب: جواز قضاء الوتر، لأن الرواتب يجوز قضاءها كما في حديث أم سلمة رضي الله عنها.

فإذن الصواب الذي أعتقده -والله تعالى أعلم- أن الصلوات إذا تركت عمدًا لا تقضى، وأما غير الفرائض فتقضى.

والله تعالى أعلم، والحمد لله رب العالمين.

٨٩- حكم سفر المرأة بدون محرم

ضمن الجلسة العاشرة، السؤال التاسع والثمانون، بتاريخ: (**٤/٠١/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٢٤/٠٩/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل أخ يقول: هل يجوز للمرأة السفر بغير محرم في الحالات التالية: العمرة، الحج، التجارة، إذا كانت تاجرة للسفر العادي مع وجود للمحرم في البلد الذي ستسافر إليه دون أن يصاحبها في الطريق، السفر العام بغير محرم مع الرفقة الآمنة، كما تفعل وكالات السفر بما يعرف بالسفر الجماعي؟

الجواب: تفرق، أما السفر للعمرة والحج -والشافعية يرون العمرة واجبة كما الحج؛ لاقترانهما في قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦] - فيرى الإمام الشافعي، وقول عند الإمام أحمد بأنه يجوز -وأظنه هو قول ابن حزم كذلك- هؤلاء يجيزون للمرأة عند أمن الفتنة، وعند وجود الرفقة الصالحة من النسوة، ووجود الأمن.. يجيزون الحج والعمرة بغير محرم؛ وأما الجمهور فلا يرون ذلك.

في الحقيقة.. باعتبار هذه مسألة فقهية.. هكذا.. أنا أميل لهذا القول؛ ولكن عند التطبيق الأمر يختلف.. يعني الآن أنا الآن لا أجيز للمرأة أبدًا أن تسافر بغير محرم.. لا أجيز أبدًا.. لا لحج.. ولا لعمرة.. إلا عند الاضطرار، كما حال هجرة نساء الصحابة رضي الله عنهم وأمنا أم سلمة رضي الله عنها لما هاجرت للمدينة بغير محرم.. عند الاضطرار الشديد.. الاضطرار.

وأما الآن.. الآن في هذا الوقت، وعلى الحال الذي نحن فيه.. لا يجوز للمرأة أن تسافر بغير محرم، لا للحج

ولا للعمرة ولا للتجارة، حتى لو كانت تاجرة.. لا يجوز.

والسبب: لعلمي بمفاسد الحجاج والعمار.. يعني الذي أراه من كلام الناس: أن في الناس في الحج والعمرة من ترك التقوى الواجبة الشيء الغريب!! يعني -وضحك الشيخ- الأغلب فيمن يعتمرون -أنا أتحدث عما أنا فيه وعما أسمعه- يتحدث الناس عن العمار والحجاج بطريقة كأن هؤلاء ليسوا من التقوى في شيء، وليسوا من الحج في شيء، وليسوا من العمرة في شيء.. من ترك الدين، بل إن هناك من الحجاج والعمار حين غضبه يسب الله والرسول وهو في الحج والعمرة؛ وهناك من هو يأخذ معه ما يسمى عندنا «الأركيلة» -ويسميها المصريون الجوزة- يأخذونها للحج والعمرة، وفي عرفات يشربون التتن والدخان والأركيلة والمعسل إلى غير ذلك من هذه الأسماء القبيحة.

ويتحدثون عن حركة النساء في الحج.. بعض الحجاج أو العمار أخبرني: أن النساء يرفعن أصواتهن بالضحك والقهقهة، والرجال مع النساء يطلقون الطرائف الجنسية الفاسدة، الحال واحد.. لا يقول: هذا بلدكم وبلدنا.. المسلمون كلهم حالهم واحد.

وبالتالي: لا يجوز للمرأة أن تسافر بغير محرم.. للمفاسد؛ ولو سُئلت: ماذا تقول في الفقه من جهة؟؟ أقول: لي ميل لكلام الشافعي، وقول لمذهب أحمد، وقول لابن حزم.. هذا يمكن البحث فيه، بل أميل إليه كما أقول؛ ولكن الواقع على الضد من ذلك.. فلذلك لا يجوز.. الجواب في هذا الزمن: لا يجوز للمرأة أن تسافر سفرًا شرعيًا بغير محرم، حتى لو كان هناك من يستقبلها في المكان الآخر.

قد يقول قائل: الآن تركب المرأة الطيارة -مسكين هذا الشيخ.. هذا الشيخ الذي يفتي بهذه الفتوى لا يعرف- فخلال نصف ساعة أو ساعتين أو ساعات تنزل في المطار، فيستقبلها وليها... ما شاء الله!! هذا السفر الطويل ماذا يحدث فيه؟ كل المفاسد التي تحدث في السفر في البر -لا أتحدث هنا عن الرفقة الصالحة.. أتحدث عن سفر الطائرات.. هنا مسألة أخرى- كل المفاسد التي تحدث بالسفر برًا تحدث في السفر بالطائرة.. كل المفاسد.. يعني الطائرة قد تنزل في مطارٍ آخر، وقد يضطر أهلها أن يناموا في فندق.. هذا يحدث في كل يوم.. ولا أريد أن أتحدث عن المفاسد الأخرى من العلاقات التي تنشأ في داخل الطائرة، وعند الجلوس في قاعات الانتظار.. إلى غير ذلك.. هناك قصص مذهلة.. يعني -وضحك الشيخ- من العيب أن نذكرها..

ارجعوا إلى مواطنها تجدون القبائح.

وابن حزم ذكر في «طوق الحمامة» قصةً عجيبة في هذه المفاسد في هذا الباب لحجاج نسوة وماذا فعلن مع نوتي السفينة.

القصد من هذا: بأن الذين يجيزون سفر المرأة في الطائرة؛ لأنه لا يسمى بالسفر لقصر المدة، فهؤلاء للأسف يعني تجاوزوا الحدود في هذا الباب ولم يفقهوا المسألة على وجهها.

بقي الحديث الذي يحتجون به.. (**تسير الظعينة من صنعاء إلى حضرموت لا تخاف إلا الله، وليس معها أحد**)، وللأسف: أخذوا كلمة «الظعينة» على معنى المرأة، وهي المقصود بها: القافلة.. تسير القافلة.. الظعينة، المقصود بها: القافلة وليس المرأة، على الصحيح، لأنه قد وردت في حديثٍ آخر: (**القافلة**).

والله تعالى أعلم، والحمد لله رب العالمين.

٩٠- حكم كشف شيء من جسم المرأة أمام الطبيب

ضمن الجلسة العاشرة، السؤال التسعون، بتاريخ: (**٤/٠١/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٢٤/٠٩/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: هل يجوز -يا شيخ- للمرأة أن تذهب للمداواة عند رجل، مع العلم أنها ستكشف كتفها للطبيب؟

الجواب: المعروف أن كشف المرأة جسمها أو شيئًا من جسمها لغير محرمها ولغير من أجازه الله لا يجوز؛ إلا عند الضرورة.. ولا تكون ضرورة إلا عندما لا يكون هناك إمكانية لسدّها بمثيلاتها.

واليوم في بلاد المسلمين -في علمي- قل ما يوجد علم إلا وفيه امرأة.. قل ما يوجد باب من أبواب الطب إلا ويوجد فيه امرأة، ولكن لو عدم، وكان الكشف ضروريًا، يعني ليس من قبيل ما هو استحساني، بل هو من قبيل الضرورة الذي لا تصح المداواة إلا به، وكانت المداواة لشيء ضروري وليس لأشياء تجميلية مثلًا؛ فحينئذٍ يجوز للرجل أن يرى من المرأة بمقدار الحاجة، لأن الضرورة تقدر بقدرها.. فقط في هذا.

ومثلًا: لا يكشف وجهها إذا أراد أن يكشف الكتف مثلًا، بل يكشف مقدار الكتف ولا يزيد... هذا بالشروط: ألا توجد امرأة، وألا تكون إلا لضرورة.. وهذا شيءٌ معروف لدى طلبة العلم.

والله تعالى أعلم، والحمد لله رب العالمين.

٩١- حكم بيع مواد التجميل

ضمن الجلسة العاشرة، السؤال الواحد والتسعون، بتاريخ: (**٤/٠١/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٢٤/٠٩/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: ما حكم بيع مواد التجميل النسائية في البلدان التي يكثر فيها التبرج؟ فهل إذا كان حرامًا يعني المال حرام، أم حلال مع الإثم؟

الجواب: الأشياء تأخذ في بعض أحكامها في الشرع إما أن تكون محرمة بذاتها، وإما لأنها وسيلة وهي حلال في ذاتها؛ وهذه التي تسمى «سد الذرائع».

يعني: هناك أشياء.. إذا سألت عن الخمر، نقول: هي حرام بذاتها، وهذا متفق عليه؛ ولكن لو قلت: ما هو حكم بيع العنب؟ فنقول: حلال.. طيب إذا بعته لمن يستخدمه لصنع الخمر؟ حينئذٍ نقول: الأصل الإباحة، ولكن لأنه صار وسيلة إلى الحرام فيصبح حرامًا.

وهذا القول هو الذي عليه الجمهور خلافًا للإمام الشافعي رحمه الله؛ لأن الإمام الشافعي لا ينظر إلى العقود إلا إلى ذاتها بغض النظر عن مآلاتها، وله تفصيل طويل في كتابه «الأم» في هذا الباب، وله أدلته.

والصواب: أن الوسيلة إلى محرم يأخذ حكم الحرام، لأنه يدخل في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]، مع الخلاف في صحة حديث: (**نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن بيع العنب لعاصر الخمر**)، والحديث في صحيح ابن حبان وفيه كلام.

ومثل هذا يقال عن أدوات التجميل، يعني أدوات التجميل التي تستخدم إن كانت حلالاً في ذاتها.

وقد يقول قائل: ما معنى الحرام في ذاتها؟ يعني: يمكن أن تكون مستخرجة من النجاسات مثلًا.. بعضهم يقول هذا، فهذه تكون حرامًا لأنها نجسة، لكن إن كانت حلالاً في ذاتها؛ فهل يجوز أن يبيعها لمن يعلم أنه يتخذها من أجل المعصية؟ حينئذٍ لا يجوز، لأنه يعين هذا -بهذا الفعل- على المعصية؛ فنقول: هذا هو الجواب.

ولكن أنا عندي حساسية من كلمات بعض السائلين، لا أقصد هذا الأخ نفسه فلا أعرفه.. ولكن هذه

تجربتي.. يعني يقول: في كثير أو الأكثر، والذي أراه في بلاد المسلمين أن الأكثرية من النساء يستخدمن أدوات الزينة بينهن، لا يستخدمنها -مثلًا- في الخارج... الأكثر في بلاد المسلمين.. وربما يوجد في بلاد ما، ولكن الأكثر -أتكلم عن الأكثر، ولا يعني وجود الكثير من النساء أنهن هم الأكثر.. -انتبهوا- فقد يوجد الكثير من النساء، ولكن الأغلب من النساء أنهن يستخدمنه لأزواجهن وفي البيوت وفي الاحتفالات الخاصة بالنساء.. فينبغي الحذر في هذا.

فإذا علمت أنه قد غلب الشر في استخدامها وغلب الحرام في استخدامها، فلا يجوز بيعها؛ «وما حرم بيعه حرم ثمنه».. قاعدة من قواعد الشرع.

يعني: الخمر حرام، فيحرم بيعها، وثمنها حرام؛ فهذا حديث النبي صلى الله عليه وسلم: **(ما حرم بيعه حرم ثمنه)**.

فما نقول: أنه حرام؛ سواء كان بذاته حرامًا أو يؤدي إلى فعل الحرام، فيكون بيعه حرامًا.

والله تعالى أعلم، والحمد لله رب العالمين.

٩٢- حكم استخدام البطاقات الانتخابية

ضمن الجلسة العاشرة، السؤال الثاني والتسعون، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠١/٤هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/٠٩/٢٤ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يقول السائل: شيخنا، أصدر الملاحدة الأكراد عندنا في شمال سورية في مناطق سيطرتهم بطاقات انتخابية ليعلنوا فيدراليتهم، وتعتبر البطاقة مثل الهوية الشخصية عندهم، فهل يجوز الحصول عليها لاستخدامها عند المرور على حواجزهم وتسيير الأمور وما شابه ذلك؟؟

الجواب: نعم، يجوز استخدامها فيما هو جائز، ولا يزيد المرء على ذلك من المعاصي؛ فهي كالهوية أو جواز السفر، يستخدمه الناس لقضاء حوائجهم.

فالجواب - إذا كان السؤال يعبر عن الواقع تعبيرًا حقيقيًا، لئلا يأتي آخر ويقول: ليس المسألة كما قال.. المسألة كذا وكذا؛ أنا أجيب بقدر.. فليس عندي اطلاع إلا بمقدار ما قال السائل، وهو: أنهم يخرجون البطاقات الانتخابية وهي تقوم مقام الهوية، فهل يجوز للمرء أن يستخرجها من أجل استخدامها هوية كما تستخدم الهويات وبطاقات التعريف؟ - الجواب: نعم.. هل يجوز أن يذهب للانتخاب؟ الجواب: لا.

والله تعالى أعلم، والحمد لله رب العالمين.

٩٣- هل يرى الله في المنام؟

ضمن الجلسة العاشرة، السؤال الثالث والتسعون، بتاريخ: (**٤/٠١/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٢٤/٠٩/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: هل يُرى الله في المنام؟ وما هي علامات صدق هذه الرؤيا؟

الجواب: حديث (**أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا**) في صحيح مسلم، فبعض أهل العلم جعله مطلقًا وعامًا ونفى أن يرى الله عز وجل بالنظر -وهذا متفق عليه بين أهل السنة- ونفى بالتالي أن يُرى الله عز وجل في المنام؛ وهناك كثير من أهل العلم كالإمام أحمد، وبعض نصوص ابن تيمية تدور حول هذا، وكذلك بعض أقلام أهل التأويل من أهل العلم والسنة، يقولون بإمكانية رؤية الله في المنام.

انظروا.. الله عز وجل قال لموسى عليه السلام: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، والنبي صلى الله عليه وسلم لم ير ربه، والصواب: أنه لم يقع خلاف بين أهل السنة في: هل رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه في المعراج أم لا؟ لا يوجد خلاف في الأصل.. لا يوجد خلاف، وما قاله ابن عباس رضي الله عنهما إنما هو لحديث: (**رأيت ربي الليلة**...) فقال: رأى محمد ربه، ولا يقصد به ليلة المعراج، وإنما الحديث الذي هو حديث الكفارات، الحديث الصحيح الذي يذكر بعض أهل العلم: أن سنده أنظف من كثير مما ذكر البخاري من أسانيد.. (**رأيت ربي في أحسن صورة، فقال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟**)، الذي شرحه شرحًا رائعًا ابن رجب رحمة الله عليه..

فالنبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه في المنام، والله عز وجل يقول لموسى ولمن معه من البشر: ﴿لَن تَرَانِي﴾، ومحمد صلى الله عليه وسلم لم ير ربه في الواقع.. (**لقد قف شعري**).. القصد: ابن عباس لا يقول بأن النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه في المعراج.. هذا خطأ.. وإنما هو لفظٌ -للأسف- لفظٌ مجمل، أخذه بعضهم على معنى الإطلاق.. أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه، يعني رأى ربه في المنام، وإنما هو للحديث المذكور.

نرجع للمسألة.. فإذن: لم ير أحدٌ ربه بعينيه في هذه الدنيا ولن يراه أحد.. لم يره نبي ولن يراه أحد؛ وإنما الناس يرونه -من أهل الإيمان- يوم القيامة؛ واختلف في أهل النفاق: هل يرونه أم لا؟؟ لأنه يتجلى الله عز وجل لهم.. كما في الحديث أنه لا يسجد له المنافقون، فإذن هم يرونه.. واختلفوا: على أي وجهٍ من الرؤية يرونه؟،

ولكن المتفق عليه –عند أهل السنة– أن أهل الإيمان يرونه، ونفى ذلك طوائف من أهل البدع كالمعتزلة.

القصد: رؤية الله عز وجل في الجنة ورؤية الله عز وجل في المحشر من قبل المؤمنين.. فالناس يرون ربهم.. المؤمنون يرون ربهم.. ﴿إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (١٥)﴾ [المطففين: ١٥]، احتج بها الإمام الشافعي على أن المؤمن يرى ربه، فإذا حجب عن الكافر دل على أن المؤمن مكرم بأن يراه.

طيب.. ما جاز للنبي صلى الله عليه وسلم لماذا لا يجوز لأتباعه.. في قضية رؤية المنام؟ لماذا؟ السؤال المطروح: عندما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه في المنام، لماذا لا يراه غيره في المنام؟

الكلام.. ﴿لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فالقضية تتعلق بقوة موسى عليه السلام على الرؤية.. لعدم قدرة الجبل على تجلي ربنا سبحانه وتعالى، ففي المنام هذا المعنى منعدم، يراه في عالم المثال.. الرؤيا في المنام ليست من عالم الواقع، الرؤيا في المنام من عالم المثال، كما هو متفق عليه... فإذن في عالم المثال يمكن للمرء أن يرى ربه في المنام، كما رأه رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه في المنام.

فبالتالي.. الذي أقوله هو: أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه في المنام، لحديث الكفارات، وهذا ليس ثمة هناك دليل يمنع أن يرى بعض أتباعه –ممن يكرِمُهم الله– من رؤية الله عز وجل في المنام.. يمكن.

قد يقول المرء: كيف؟؟ هنا لا كيف.. يقول: رأيت ربي.. النبي يقول: **(رأيت ربي الليلة في أحسن صورة)**، وهو حديثٌ صحيح.. لا يستطيع أن يقدح في صحته أحد من أهل الحديث الموثوقين، بل كما قلت لكم: أن سنده من أجود أنواع الأسانيد.

فإذن الذي أعتقده هو إمكانية رؤية العبد لربه في هذه الدنيا «في المنام»، كما رآه النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، والذين يمنعون للحديث إنما يعملونه عملًا كما يعملون ﴿لَن تَرَانِي﴾، والمقصود هو: رؤية العينين في اليقظة.

والله تعالى أعلم، والحمد لله رب العالمين.

٩٤- معنى ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ [الممتحنة: ٤]

ضمن الجلسة العاشرة، السؤال الرابع والتسعون، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠١/٤هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/٠٩/٢٤ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل أخ يقول -وسؤاله هذا تعليق على قضية الكفر بالطواغيت، وكذلك الكفر بجنودهم- يقول: بالنسبة لآية ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ [الممتحنة: ٤]، لم أقف على من فسرها بالتكفير الاصطلاحي المعروف، والله أعلم.

الجواب: لا شك هو يقول: ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ يعني: يوجد فرق بين أن يقول: ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾، وبين أن يقال: كفرناكم.. فهاهنا فرق.

﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾، والكَفْر هنا ماذا؟ هنا الإبعاد أي ابتعدنا عنكم واعتزلناكم؛ فهذا هو المعنى الحق.

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (٨)﴾ [القصص: ٨]، وقال: ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤]، فـ ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ بلا شك أنها لا تعني كفرناكم، أي: حكمنا عليكم بالكفر؛ وإنما ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ هنا بمعنى: اعتزلناكم وابتعدنا عنكم ورفضنا دينكم..

والله تعالى أعلم.

٩٥- فضفضة

ضمن الجلسة الحادية عشر، السؤال الخامس والتسعون، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠١/٨هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/٠٩/٢٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل أخ -أو في الحقيقة طلب- نطلب منكم الاستمرار في كتابة مقالات بين منهجين ولو أسبوعياً يتناول النوازل الجديدة لتصحيح المفاهيم الخاطئة فربما تعود الأمة على ما كانت عليه.

في الحقيقة بلا شك أن الكثير يطلب مني كتابةً تلاحق أحداث العصر وما فيها بالتفصيل وبالأسماء، الأمور اختلفت الآن يعنى ما كنت عليه وما عليه أنا الآن وكذلك أوضاع الأمة في كلها قد اختلفت الأمور وظرفنا قد اختلف، وهذا شرحته سابقاً في قضية أن الفترة التي كنا نعيش فيها كتاب «بين المنهجين»، كانت تتعلق بقضية تثبيت المنهج واستشراف التاريخ وقضية تثبيت الرموز الجهادية وإثبات الحركة الجهادية على ساحة عمل الإسلامي وتأصيل شرعيتها.

والآن الأمور اختلفت في ظروف كثيرة وأحوال كثيرة، لا يعني أن المرء ينسحب ولكن اختلفت الظروف دولياً وواقعيًا وكذلك إقليميًا، واختلف موضع المرء يعني حاله ليس كما كان سابقًا، ولكن نحاول أن نسدد ونقارب، بلا شك أن المرء مشغول الآن بشغل يمنعه من الكتابة الطويلة، لأن هناك إخوة يطلبون عودة كتابة الكتب ولا شك أن المرء في ذهنه الكثير من الأمور التي تحتاج إلى كتابة، ولكن للانشغال، يعني أنا الآن أقوم بدرسين في التفسير في الأسبوع وأقوم بمناقشة كتاب أسبوعي، الناس لا يعرفون يظنون أنه أنت تجلس أمام الكاميرا وتتكلم، لا يرون كيف ماذا يدور وراء الكواليس وكيف يحضر الدرس وكيف يناقش وكيف... إلخ، يعني سلوا من يفعل.

يعنى مناقشة الكتاب هناك مؤسسات لا تستطيع أن تناقش كتاباً في كل شهر، أنا لوحدي أناقش كتابًا في كل أسبوع، وبعض الناس يظنني لا أقرأ الكتاب أنا أقرأ الكتاب مع أنني أكون قد قرأته مرات وأعيد قرأته والكتاب يكون كبيرًا مرات كثيرة، ويكون مشكلة في مرات كثيرة، ومرات أحتاج إلى كتبٍ أخرى لأعلق عليه.

يعني أنا أضرب لكم مثال: لما تكلمت عن الكاتب «بوبر» وعن كتابه «بؤس الإيديولوجيا» كنت في ذهني

أبحث عن كتاب أصدرته مؤسس روسية في قضية نقد الإيديولوجيا بين الوهم والحقيقة، كنت أريد هذا الكتاب لأهميته وبحثت عنه في المكتبة لم أجده، فالبارحة وجدته أو قبل يومين وجدته، فالمرء يجد المشقة الكبيرة، وهناك كتب أريد أن أناقشها وأعلنت عنها فبعض الأحبة يعرفون أنفسهم يسمعون لي، طلبوا مني أن لا أتكلم حتى يعطوني أكثر، وهذا صحيح يعني المرء ناقص نحن ناقص كما قال الشافعي رحمه الله: «أبى الله أن يتم إلا كتابه»، فلا يوجد كتابة كاملة ولا يوجد كلام كامل، يعنى لما تكلمت عن تقيد الهلالي، الإخوة أرسلوا لي أنه لا بد من قراءة رسائله لما فيها، بحثت عن رسائله في الأردن كلها، وجدتها عند رجل يعرف رجل عنده لما طلب منه –وهو الآن يسمعني– طلب فقال: بحثت ومكثت يومين ثلاثة، ثم قال صاحب الكتاب أنه استعير منه ولا يعرف أين هو الآن، ماذا تصنع.

فلذلك لا يقدم المرء الكلمة النهائية في كل شيء، يقدم ما يستطيع، الإجابة عن الأسئلة تحتاج يومًا كاملاً من التفرغ للإجابة عليها، الآن دخلنا في مشروع «شرح الأسماء الحسنى»، فهذا شغلٌ يحتاج إلى قراءة؛ لأني تعلمت –كما كان يقول الدكتور فتح الدريني عليه رحمة الله وهو أستاذي في الأصول وهو أستاذٌ عجيب، لا يعرف الناس قيمته وهو من الذين كانوا يستظهرون كتاب «الاعتصام» و«الموافقات»، ويقسم بالله كما قال هذه الكلمة –ولم أسمعها منه– قالها لي لشيخ أبو المنتصر لما كان جارًا لي في لندن وهو من المحبين له، وسمى ابنه على تسمية شيخ في الشام منتصر الكتاني، قال له: والله لا أذهب إلى درسٍ من دروس الا وأحضر له كأنى أسمعها لأول مرة أو كأني أفهمه لأول مرة.

هذا من أمانة العلم من أمانة العلم أنك تُحضّر لدرسك وأنك تحترم مشاهدك وتحترم من جاء من أجل أن يسمع منك الكلمة، فالمرء يتعب ولذلك الوقت لا يكاد المرء يفرغ من أن يكتب، فيأتيه مرات الموضوع السريع فيكتب فيه ملاحقةً لما يجري في العالم، ولكن كذلك لا بأس يعنى المرء لا يستطع أن يتكلم كل شيء لظروفه الخاص، ولكن يحاول أن يخرج ما عنده من الحق على أقصى ما يمكن لما أمر الله عز وجل من قول الحق، وعلى قاعدة قول القرآن ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، ويحث على المرء أن يصل إلى قولت الحق كما يقول الله عز وجل: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، فالمرء بين هذين الحدين بين أن يتق الله حق تقاته وبين أن يتق الله ما استطعتم، هذان الحدان هما ما يسعى المرء أن يجري حاله بينهما بعدم الخروج عن التقوى، فيبقى بين التقوى المقدور عليها والتقوى التي هي في أعلى درجاتها.

والمرء يحتاج إلى توفيق الله، كل شيءٍ يحتاج إلى توفيق الله، والله هناك بعض المشاريع العلمية ما بدأت معي مع بداية الطلب ولم أفعلها وهناك مشارع علمية حدثة فكرتها وقضيتها في لحظتها فكتبت ووفق الله في كتابتها، يعني كتاب «الكلام في نازلة العصر»، قصته عجيبة، أخذوني من السجن الانفرادي، كنت في وحدة، لم يكن هناك عربيٌ واحد معي، أخذوني ووضعوني في سجن في وحدة اسمها «High Security Unit» وضعوني فيها ولم يرضوا بعد ذلك أن وضعوني في هذه الوحدة شديد الحراسة في سجن مصنف شديد الحراسة، فلم يرضوا بذلك فأخذوني ووضعوني في مكان المجانين، أنظر لما يقع التوفيق، وأسأل الله أن يكون كذلك ولا يكون استدراجاً.

فأخذوني من الوحدة ووضعوني في مكان باب الغرفة التي أنا فيها مفتوح فقط فيه العمدان، وعادةً السجن هناك ونظام الغرفة السل –التي هي المنفردة– مغلق وهناك طاقة تفتح متى أراد السجان أن ينظر اليك، فوضعوني في هذا المكان وهذا متعب جدًا، ويجلس أمامك لمدة ٢٤ الساعة، يجلس أمامك الشرطي أو السجان ينظر إليك حتى إذا أردت قضاء الحاجة طلبت منه أن يبتعد أو هو يقوم بنفسه، مع أنهم لا يخجلون من هذا، يعني يقضون حاجاتهم أمام بعضهم البعض، فوضعوني في هذه الغرفة وهي للمجانين والسرير من الحجارة حتى المسجون المريض لا يقتل نفسه، وضعوني لسببٍ أمني وليس لسببٍ عقلي، وكتبت «نازلة العصر»، وأنا في هذه الحالة، كتبتها من بداية صلاة العصر إلى صلاة المغرب انتهيت منها، بالتوفيق من الله، أسأل الله عز وجل أن يكون كذلك.

وهناك لما بدأت كتابة «صبغة الله الصمد» القضية في ذهني وأحاول أن أكتب فيها فلم أستطع فلما كنت في البيت لشهر لما خرجت من أول سجنٍ ثلاث سنوات أخرجونا شهر أو شهرين ثم أعادوني، هذه المدة التي أخرجوا فيها قانون خاصًا لي، فكنت أريد، وقلت: أنا لا أستطيع أن أكتب فيها لشغلي ولذهني ولكذا، فلا أتكلم حتى طلبت من ابن واحد أصدقائي أن يحضر لي مسجلاً صغيرًا لأتكلم فيها، وكنت مرات أمسك الورق وأحاول أن أكتب فوالله ما استطعت أن أكتب نصف ورقة، وأريد أن أفسر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وغزوات النبي صلي الله عليه وسلم بما يخدم الأمة في هذا العصر، ولم استطع، فجاءوا وأخذوني؛ فصرت أكتب وأنا في المحكمة، المحكمة طبعًا محكمة هزلية ليس فيها شيء لمدة يوم يومين ليقرروا هل سجني قانوني عندهم أم لا.

وكنت إذا ذهبت إلى الغرفة في وقت فراغ المحكمة أكتب، وفي المحكمة لمدة دقائق أكتب حتى انتهيت منه، فتعجب! كيف تأتيك القوة وكيف لا تأتي! التوفيق، هذا الأمر ليس بيد المرء، والمرء مشغول له ظروفه وأحواله فيمكن أن يفوت الكثير من الواجبات، ولكن نحاول أن يسدد ويقارب ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، جزاكم الله خيراً وبارك الله فيكم.

وأنا أعرف أنا الكثير يأتي ويقول أعد شرح «الموافقات» يعني أنا كان ينبغي أن أتوقف عن شرح «الموافقات» إلى المقدمات ويكفي؛ لأن الكتاب طويل، ومن الصعب أن يبقى المرء في أحواله، وقد كنت في بيت ورحلنا إلى بيتٍ آخر، كان هناك ثمة صعوبة في قدوم إخوة كان يأتون ثلاثة أيام إلى البيت فنتدارس، ابتعد عنهم كثيراً فتوقف الأمر وحدث ما حدث، ولكن المرء يحاول أن لا يكتم أمته الحق الذي يعلمه حتى يأتي يوم القيامة مغفوراً له نسأل الله عز وجل أن يغفر لنا ويرحمنا.

فالإخوة الذين يطلبون لا يظنون أن المرء لا يعرف قيمة ما يطلبون ولكن هذا هو الحال وهذه هي القدرة، اللهم اغفر لنا وارحمنا والدعاء، جزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

٩٦- رسالة إلى الشباب الملتزم

ضمن الجلسة الحادية عشر، السؤال السادس والتسعون، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠١/٨هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/٠٩/٢٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل يقول: هناك شباب يدخلون الجامعة فينحرفون، فما هو السبيل للحفاظ على هؤلاء الشباب؟

الجواب:

أولاً: هل نستطيع أن نقول -كما يقول بعض أهل العلم- بوجوب هجر هذه الجامعات.. هجر هذه المدارس؟ هذه الأحكام لا تستوعبها الأمة، ربما يأخذ بها أفراد؛ وهؤلاء الأفراد، وثبت أن التجارب التي يقوم بها أفراد لم تنجح، يعني إقامة مدارس بديلة في بلادنا تلاحق من قبل الأمن، ولا يتحقق المقصود بها.

والآن بعض الناس يتكلم عن أولاده الذين لم يدخلوا المدارس: هؤلاء لا خرجوا بدين يحفظهم لوجود البيئة التي ينتشرون بها، ولا بدنيا يستطيعون تحقيق مصالحهم فيها لعدم دراستهم أو لعدم إتقانهم لما هو ضروري في هذه الحياة، فلا نستطيع ولا يستطيع أحد يعرف كيف يتعامل مع الأحكام الشرعية ومع مجموع الأمة، لا يستطيع أحد أن يقول: بأن هذه الفتاوى التي فيها عزل الناس عن المدارس وعزل الناس عن الجامعات، أنها تستطيع أن تستوعب الأمة.. لا يستطيع أحد.. الأمة واسعة.. نريد أن نعطي فتاوى للأمة.

فلذلك الجواب هو: أن الناس سيدخلون الجامعة، وأن الجامعات صارت قدر، وأن المدارس صارت قدر.. لا نستطيع أن نوجد البديل، حتى يتحقق لنا السلطان في هذا البلد، فالجواب على هذا بأن قاعدة الشيخ علي الطنطاوي على ما فيها.. قاعدة الشيخ علي الطنطاوي رحمة الله عليه على ما فيها من اعتذار، وعلى ما فيها من ربما منهج كلي عليه ملاحظات؛ ولكنه أجاب إجابةً تكفينا في هذا الباب.

قال: الناس حين ينتشر البرد الشديد، أو حين ينتشر الحر الشديد، فما هي الطريق؟ لا نستطيع أن نحجب الشمس.. لا نستطيع أن نغير البيئة كلها إلى البرودة.. ولا نستطيع أن نغير البرد الشديد في كل البيئة إلى حرارة معتدلة.. لا نستطيع.. فماذا نصنع؟

كل واحدٍ في بيته يستطيع أن يصنع بيئته الملائمة له.. تجد الحر الشديد في الخارج، فالناس ماذا يفعلون؟ يصنعون في بيوتهم طقسًا ومناخًا ملائمًا لهم.

هذا هو المطلوب.. حين نعجز عن التغيير الكلي، فلا يمنعنا هذا من أن ننجو بأنفسنا.. وأن ننجو بمن نعيل.. وأن ننجو بمن يلوذ بنا.. وأن ننجو بمن نقدر أن ننجو به من هذه البيئة؛ فهذه هي الطريقة.. الطريقة هي: إيجاد المحاضن الصغرى لتحفظ الناس من الانخراط في هذه البيئة التي تعم جميع المسلمين.

الطالب في الجامعة.. ما هو الطريق؟ هو أن يوجد الطلبة الجيدون المسلمون لهم بيئات في داخل الجامعة.. -وهذا جربته.. وجربناه- أن يلتف الشباب الطيب المسلم العابد.. أن يلتف مع بعضهم بعضًا، لئلا يذوبوا في داخل المجتمع، وأن نحافظ عليهم من خلال الصحبة.. ومن خلال دوام التعليم.. ومن خلال إشغالهم بحفظ القرآن.. إشغالهم بحفظ السنة.. إشغالهم بملاحقة الكتاب الفقهي المسلم، والشريط الفقهي.. وهكذا.. حتى تقوى لديه هذه الأمور.

وكذلك إيجاد الرديف في خارج الجامعة.. من المحافظة عليه في المسجد -بالطرق الكثيرة- يعني في المسجد: من خلال الصلوات والمحافظة عليه في صلوات الجماعة، ومن خلال الإخوة، والصداقة، والتعليم، وربطه بأئمة المساجد الطيبين.. ربطه بالدعاة العُباد الذين يدعون إلى التقوى ويدعون إلى التمسك بالشريعة.. إلى غير ذلك.

فالمطلوب هو هذا.. المطلوب هو: أن نحافظ على بيئتنا الصغيرة حين يعم الفساد في البيئة الكبيرة، حتى ننجو وينجو غيرنا منها.

الكيفية؟ هذه في الحقيقة لا يستطيع المرء أن يتكلم عنها كلامًا تفصيليا تامًا..

الصحبة الطيبة هذا مطلوب، الآن من المفاسد الكبرى تأخير الزواج مثلاً.. تأخير الزواج.. هذا ينبغي معالجته، وهذا لا يستطيعه الناس بأفرادهم، هذا ينبغي نشر هذه الفكرة بين الشباب، وتسهيل أمور الزواج، وغير ذلك من الأمور المحيطة بمثل هذا الموضوع.. ربطه بالعلماء.. أين هؤلاء العلماء؟ أنت تحتاج إلى رجال بيئة من البيئات التي فيها طلبة العلم الذين يقدمون للناس هذا الأمر.

الأمر شاق وشديد.. وأعلم أن هناك ملاحقات أمنية.. هناك تضييقات في المسجد.. هناك ملاحقات

على الصحبة، يعني بمجرد اجتماع أربعة خمسة لا بد من ملاحقة جماعة الأمن لهم، بمجرد محاولة التعلم توجد الملاحقة لهم ويريدون الإضرار بهم؛ ولكن الله سبحانه وتعالى من رحمته أبى أن يجعل كل البيئة مغلقة أمامك، لا بد من أن يفتح لك الطرق بمقدار ما يحقق إن شاء الله النجاة.

هذه هي الطريقة.. والله تعالى أعلم، والحمد لله رب العالمين.

٩٧- هل هاجم صلاح الدين علماء السلف؟

ضمن الجلسة الحادية عشر، السؤال السابع والتسعون، بتاريخ: (**٨/٠١/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٢٨/٠٩/٢٠١٧ م**)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل هل صلاح الدين هاجم علماء السلف في فترة حكمه على حساب الأشاعرة؟

كأن السؤال فيه تهمة بأن الأمور تختلف وبتالي يعني كأن صلاح الدين لم يهاجم السلف وبتالي يعنى كان هناك توافق بين العلماء في قتالهم لصليبين، والخطأ اليوم أن بعض من تسمى بالسلفية من المشايخ أو بعض من كان أشعرياً يقاتل السلفية.

دعوني أشرح هذه المسألة:

الحكام المسلمين قديماً لم يكن لهم كبير اعتناءٍ بملاحقة هذه القضايا في الداخل الأمة المسلمة ما دام أن العلماء يحملونها على المحمل الذي يمكن استيعابه، متى يتدخل الحاكم عندما يفجر العلماء، عندما يخطئ العلماء، وأضرب لكم أمثلة في هذا:

كان المأمون يحتاج إلى ابن أبي دؤاد ومن معه لوضع أهل السنة في السجون، تحريض المشايخ، يعني عدم استيعاب المعتزلة لعلماء أهل السنة هو الذي حرض الحاكم، من أجل لا يستوعب السنة في قتاله لأهل السنة وسجنهم ومحاربتهم وقتلهم، الحاكم في الأغلب فإنه يهتم بأن تكون الأمة تحت رايته؛ يجاهد بهم، يقيم بهم الأحكام، يحصل الأمان بهم، فالعلماء إما أن يفجر بعضهم على بعض فيتدخل الحاكم، وإما أن يحرض العالم الحاكم فيفجر الحاكم.

ففي المثال الأول بين أيدينا، من الذي كان يحرض المأمون ويحرض بعده المعتصم على قتل العلماء، الفجرة من الفقهاء الذين لم يستوعبوا الخلاف بين الأمة ولو بقية المسألة بين عموم الأمة فقط، في الداخل المساجد والمدارس العلمية لما تدخل الحاكم وما أهمه، حتى إذا فسد الناس وصار هناك ثمة خلاف وتصارع الناس صراعاً لا بد أن يتدخل لماذا يحدثوا هذا.

يعنى عندما نادر شاه -هذا مثال- عندما نادر شاه أراد من الخليفة العثماني أن يرسل له عالماً؛ فأرسل له عبد الله السويدي، والقصة ذكرتها في مناقشة مشروع «ألف كتاب قبل الممات» في قضية مؤتمر النجف وهو كتابٌ مهمٌ جدًا، كتاب مهم جدًا «مؤتمر النجف» ارجعوا إلى المناقشة واقرأوا الكتاب؛ فإنه قال: إن هناك في داخل رعاياي طائفتان يكفر أحدهم الآخر وبينهما صِرّاع، فلا بد أن أُنهي هذا، تدخل لما صار الأمر خارجًا عن إطار ما يستوعب، لماذا تدخل محمد ناصر الدين قلاوون في موضوع الصراع بين ابن تيمية وبين خصومه في مسائل الطلاق وو... غيرها؟ ولماذا حدثت الفتنة؟ لفجور العلماء ولو بقية المسألة في قضية الخلاف العلمي المستوعب؛ لما تدخل الحاكم، العلماء، وربما يقول: أحضروا هؤلاء لي فنتناقش ويميل إلى قول، وإذا مال إلى قول يفهمه العالم الآخر أن هذا لا يعني أن الآخر يستحق السَّحق والإزالة والضرب، بل هو مسلم أصلي وراؤه ويصلي ورائي، والحاكم يستوعب هذا إن رأى العلماء يستوعبون هذا الخلاف.

لماذا حدثت قضية مفتي الدولة والمراجع الأربعة، لما دخل السلطان سليم دمشق وجد علماء المذاهب يسب بعضهم بعضًا، يكفر بعضهم بعضًا، وبينهم المشاكل، فتدخل وجعل مرجعية لكل مذهب، وجعل هناك أربعة محاريب في المسجد الأموي، لفساد العالم، ولو وجد الحاكم العلماء يعرفون هذا الخلاف ولا يوصلونه إلى حد الاقتتال والحرب بينهم وإلى حد الاستعداء بينهم؛ لفهم أن المسألة يستوعبها القدر ويستوعبها الشرع، ويعذر بعضهم بعضًا، وكل واحدٍ يرفع الملام عن الآخر، رفع الملام عن الأئمة الأعلام.

لماذا كان الحاكم يتدخل في صراعات بين الأشاعرة وبين الحنابلة في بغداد؟ لأن الأشاعرة والحنابلة يقوم كل واحدٍ ضد الآخر ويحصل القتال بينهم؛ فيتدخل، الأمة تقتتل يريد أن يحسم الصراع والخلاف.

ولماذا لم يتدخل الحكام قديمًا بين الشافعي وأحمد وبين أهل الرأي وبين أهل الحديث، لماذا لم يتدخل الحكام بين مالك وبين أهل الكوفة لماذا؟ لأن الحاكم يرى أن العلماء يستوعب بعضهم بعضًا، فهو لا يتدخل، ولما

يختلفون وهو يرى أن هذا الأمور التي هي ليست لهو، بل هي للعلماء والعلماء يصلي بعضهم وراء بعض ويدع بعضهم لبعض ويحب بعضهم بعضًا، فلماذا يتدخل؟! هذا الحاكم لماذا يتدخل؟!

فهكذا الأمور تقع في هذا الباب، فلذلك لا يقال: صلاح الدين تتدخل، أين السلفيين وأين الاشاعرة في عصره؟!

فكان عنده القاضي الفاضل وهو من خيرة القضاة وعنده عماد الأصفهاني وهو من خيرة العقلاء في عصره، والعلماء إذا حدث خلاف ما في طائفة أشعرية وطائفة سلفية، مثل ما يحدث اليوم يعني، ذلك الشيخ له أتباع ويحارب شيخاً له أتباع هذا الشيخ سلفي وهذا الشيخ أشعري وبينهم حرب، لم يكن في زمن صلاح الدين هذا حتى يقال هل حارب؟ هل صلاح الدين الذي شغلته الظروف في قتال الصلبيين مشغول ليحُل مشاكل هؤلاء، يدخل في حرب مع الأشاعرة ضد...!!

والناس في زمنه الأغلب أنهم أشاعرة، ويوجد من يقول بهذا... كما كان يقول ابن تيمية، طبعًا هذا قبل ابن تيمية، فصلاح الدين ناصر قبل ابن تيمية تاريخياً.

فالعلماء يتحدثون بمقدارهم حتى إذا حصل الفجور تتدخل الحاكم، ولو أراد الحاكم أن يتدخل في هذا الباب يردعه العالم، كما أراد أبو جعفر وقيل غيره أن يجمع الناس على موطأ مالك، لو هذا اليوم حاكم قال: أنا أيها الشيخ أتبنى مذهبك وسأجلد وسأقوم بضدك، لو سأل الرضواني ورسلان وسأل المدخلي وقال له الحاكم: أنا الآن سأعقب وأسجن لطبل له وزمّر وعظّمه وجعله إمامًا لأهل السنة، هذا فقه مالك وهذا فقه الفجرة في الخصومة العلمية، فلما أراد أن يجمع الناس على الموطأ، لا الناس اختلفوا وتوزع الصحابة وتوزع العلماء، فأنا بلغني ما لم يبلغ غيري وغيري بلغه ما لم يبلغني.

ولما أرسل الإمام الليث بن سعد رسالة لمالك بيّن له هذا، بيّن لهم اختلاف الصحابة والفقهاء في الأمصار، وأن العلم ليس محصور بالمدينة المنورة.

فما دخل صلاح الدين؟ صلاح الدين كان يحب الحديث أن يجلس عنده الناس يقرأون الحديث، ويجلس عنده الناس الذي يتحدثون بالفقه الشافعي؛ لأن بلاد الشام شافعية وفيها بعض الحنابلة قلة وبعض الحنفية قلة،

فكيف يطرأ هذا السؤال لطالب علم بأن صلاح الدين قاتل -كأننا نعيش اليوم-؟! هذه حالةٌ مرضية التي نعيشها اليوم، حالةٌ مرضية لا أتكلم عن قضية معالجة الخلاف والردود العلمية، أتحدث عن تجاوز هذا الأمر إلى درجة الفسوق وفجور والخصومة واستعداء الكفرة على بعضنا البعض، استعداء الطواغيت على بعضنا البعض، وإلى هذه المؤتمرات التي تقوم لعزل أهل السنة، مثلاً التي اقيمت في الشيشان وقام ضدها في الكويت، وهذه الخصومة في استعداء الحكام وحربهم.... ما دخل الحاكم؟!!

وبعض الحكام هو في الفقه حمار تاريخيًا ومعاصراً حمار لا يفهم -أستغفر الله- هذا ضر وإيذاء للحمار -أستغفر الله-، يعني لو قالنا: خروف، نعم الخروف معروف بغبائه، وربما يكون هذا حتى إيذاء للخروف، المهم أنه دابة لا يفهم، فلماذا يُستعدى هذا ضد طائفة أخرى؟! هو لما يقوم ينصرك لا ينصرك لأنه يعتقد أنك الحق، هو يقوم ينصرك لأنك أنت حذاءٌ سياسي لمأربه في القضاء على خصومه، فلذلك لا ينبغي أن يطرأ هذا السؤال على ذهن طالب علم.

لم يتدخل الحاكم في خلاف أهل السنة إلا بسبب فجور العلماء وتدخل العوام، أما الخصوم التي كانت تدور في بغداد بين الشافعية والحنابلة بين الأشاعرة والحنابلة هذه ليست من فعل العلماء هذه من فعل العوام من غوغاء، لا يقوم بها العلماء، والذي يأتي يطين باب ابن جرير الطبري؛ لأن الطبري لم يعد أحمدًا المذهب، ما دخلك أنت أيها العامي؟! أنت جاهل تعلم دينك، ما يضرك الخلاف بين الطبري وأئمة الحنابلة أو بين الخطيب البغدادي كما فعلوا به، ما دخلكم أنتم أيها العوام؟! من استخدم العوام في هذا الباب إنما هو ضال وفاسد.

والآن أنت يا مدخلي يا رضواني ويا هؤلاء..... -لا أدري لما ذكرت هذا الاسم كثيرًا اليوم- لماذا تستعدي طاغوتاً في مسائل علمية بينك وبين الناس؟! ليتدخل الجاهل الغبي، ونحن نسمع الحكام كيف يتكلمون في هذا الزمان، الواحد منهم لا يستطع أن ينطق كلمةً عربيةً سليمة، هذا كيف يفهم الفقه!

فلذلك هذا السؤال خطأ، هل قاتل السلفيين؟! أصلاً هذا تصور لهذا الخلاف في المجتمع المسلم في زمن صلاح الدين هذا تصورٌ خطأ، لا وجود له، ولم نسمع في ذلك الوقت إلا اتحاد جميع مسلمين بالقتال ضد الصلبيين، ولم يكن هناك ثمة خصومة كبيرة.

والذي ألاحظه -فهذه خصومة كبيرة بين العلماء ليتم التنافر- والذي لاحظته وأقولها لله -والله إنها بيّنةٌ

واضحة لمن قرأ التاريخ-: كلما قلّت التقوى والتزام الدين كلما تحرج البعض في قبول أخيه، العجيب أنه إذا قل الدين يتم الانفتاح أكثر والتصلب في الدين والشدة في الدين، شدة المرء في دينه تؤدي إلى تشدد في موقفه من الآخرين، كما يُتصور قدراً وليس شرعاً، وإلا فالتشدد في الدين تؤدي إلى الرحمة على خلق، الذي ألاحظه العكس، أن هؤلاء المشايخ، دين قليل، فقه قليل، أمة تعيش في بلاء عظيم، ويتم عزل الآخر، ما كان يستوعبه العلماء بتقواهم ودينهم وعلمهم، وكانوا يستوعبون المخالف أكثر من استيعاب الناس في فسوقهم وفجورهم لبعضهم البعض اليوم، كان يجلس العلماء الكبار عند المحدث القدري فيسمعون له ويأخذون حديثه ويحترمونه ويجلسون معه مجلس طالب علم، وهم يعرفون مذهبه، اليوم لو قيل لرجل: هذا قدري، أستغفر الله، أيها الضال، أيها الفاسق، أيها الفاجر، وبدأ بالعزل، وهو أقل ديناً من أحمد وأقل ديناً من يحيى وأقل ديناً من فلان وفلان من كبار الأئمة! هذا غريب!!

ولذلك هذا ليس ديناً، هذا الذي ترونه من الخصومات بهذه الدرجة ليس لأن الرجل سني، ليس لأنه سني بل لأنه فاجر، بل لأنه صاحب هوى، بل لأنه جاهل لا يقدر الأمور قدرها، ولا يعرف الموازنة بين الصالح وبين ما هو أصلح أو بين الصالح وما هو طالح، فقد صاحب هوى، هو يخالف لأنه خالفه، العجيب أن الخلاف الشديد عند القدماء كان يجابه بالمزيد من الحب والالتقاء والأخوة، بالله عليكم هذه الأخوة بين الباقلاني وبين الدارقطني، أهذا المخالف لك أكثر خلافاً ما بين الدارقطني وبين الباقلاني؟! ومع ذلك الدارقطني يلاقي الباقلاني ويُقَبّل يده؛ لأن الباقلاني ليس هناك في تاريخ الإسلام رجلٌ وقف أمام الزنادقة كما وقف الباقلاني.

اليوم هناك علماء لا يقف أحدٌ أمام العلمانيين مثلهم، ولكن عندهم انحراف في باب كما عند الكثير من العلماء في التاريخ، الدارقطني يُقَبّل يد الباقلاني، وهناك عالمٌ حنبلي في ترجمته في السير ولعل اسمه عبد الواحد نام سبع سنين نام هو والباقلاني على وسادةٍ واحدة، سبع سنين، الباقلاني بأشعريته وهذا بحنبليته على وسادة واحدة، لما بينهما من الألفة والحب.

وقد ذكر ابن حزم كثيرًا من الناس الذين كانوا يختلفون اختلافًا شديدًا، ويتصاحبان السنين الطويلة لا يتراجعان ولا يتماحكان ولا يختصمان، كلما قلت التقوى وقل الورع وقل الدين وقل العلم كلما زادت النفرة بين الناس، وزادت دعوة التمسك بالسنة والتمسك بالحق.

النقطة الثانية: أننا نرى أن الأمة كلما أزداد عداء الآخرين لها، وزاد وضع الأمة بالبلاء؛ كلما وجب الاتحاد والائتلاف؛ لأنها مستهدفة، لكن الذي نراه في هذا اليوم الأمة مستهدفة من اللبراليين الكفرة، من الزنادقة، من داخلها من المنافقين، ومن اليهود من النصارى، من الشرق ومن الغرب، بل نحن نعيش في بلاءٍ لا يعلمه إلا الله؛ فوجب التّآلف ووجب التآلف فيما يسمى أهل القبلة، هذا المسمى الذي فقدناه اليوم لا تسمعها أهل القبلة، أهل القبلة، الذين يذهبون للمساجد مساجد السنة وجبة أُلفتهم، كل من ذهب إلى المسجد هذا هو أخي في هذه المعركة الشديدة، عجيب هذه الأمة في هذا الوقت!! هذا يدل على أنها لم تفقد الدين فقط، ولكنها فقدت العقل.

تقول للناس: أنتم في البلاء فاجتمعوا، يقول: لا، لا أجتمع إلا من كان على مقاسي وهو يعيش في جهنم، ولذلك فرحت ومدحت بعض الإخوة، للأسف إن لم تجمعكم الآن المحن وأنتم في الخارج، غدًا تجمعكم إما القبور وإما السجون، هذا التصور بانه كان يقتل السلفيين وو... عجيب!! أعجب من هذه الأسئلة؟! أستغفر الله وأتوب إليه، والحمد لله رب العالمين.

٩٨- ما الدليل على تراجع أبي الحسن الأشعري إلى عقيدة أهل السنة؟

ضمن الجلسة الحادية عشر، السؤال الثامن والتسعون، بتاريخ: (١٤٣٩/٠١/٨هـ **الموافق لـ: ٢٠١٧/٠٩/٢٨ م)**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: ما قولكم في تراجع أبو الحسن الأشعري إلى عقيدة أهل السنة؟ وهل بقيت فيه بعض هذه العقائد؟ أم تراجع عنها انقطاعاً؟ وما قولكم في كتاب «اللمع» وما ينسب إليه؟ ومتى ألفّه؟

الحديث عن شخصية أبي الحسن الأشعري حديثٌ يطول وفيه خلافٌ شديد، وهذا الإمام العظيم الذي له مواقف عظيمة في نصرة الدين، ويكفي هذا الموقف الشجاع الذي أخذه، من انخلاعه من مذهب المعتزلة، مع التصاقه به تاريخاً، وكتابةً، وتأليفًا، وتصفيناً، فوقف موقفه الشجاع على المنبر وخلع هذا المذهب، وصار منتسباً إلى مذهب أحمد كما هو يعبر عنها باللفظ، لأن الإمام أحمد رحمه الله، صار إماماً لأهل السنة، وصار الانتساب إليه انتساباً لمذهب أهل السنة، ضد غيره من المذاهب المبتدعة في عصره.

وتكلمت عندما تكلمت عن «مقالات الإسلاميين» شيئاً من الأمر، ولم يكن الكلام عنه مفصّلاً، أبو الحسن الأشعري الآن مذهبه مذهب الأشاعرة، لا يجوز أن يُنسب لأبي الحسن الأشعري، لا يجوز؛ لأن هناك فرقٌ كبير بين مذهب أبي الحسن الذي ينسب إليه الآن، وبين ما هو عليه، أولاً رفع الإمام أبو الحسن الأشعري نسبته إلى الإمام أحمد رحمة الله عليه، فهذا ينبغي أن يؤخذ منه في هذا الباب، يعني ينبغي أن يعامل معاملة الإمام الذي يقول: «وكل حديثٍ صحيح فهو مذهبي»، عندما يقول: أنا مذهبي مذهب أحمد، إذن ينبغي أن يعامل بهذا، إذا أصاب مذهب أحمد نسب إليه، وإن أخطأ رجع فيه إلى مذهب أحمد، وقلنا: أخطأ أبو الحسن مع نسبته لهذا الإمام.

أما المذهب اليوم فقد تطور، أبو الحسن الأشعري له تلميذ اسمه مجاهد، كان من أذكى تلاميذه، وأخذ عنه المذهب، وأخذ عن هذا المذهب الإمام أبو بكر الباقلاني، وأبو بكر الباقلاني رجلٌ ذكي، يُذكر عن صفاته العجائب في قوة المناظرة، وفي جهاده العظيم ضد الزنادقة، الوقت الذي انتشر فيه الباقلاني، كانت الزندقة قد غلبت وكثرت، والقرامطة عاثوا فساداً، في أمن الأمة، وفي أفكارها، وفي عقائدها، وفي وجودها وكياناتها؛ لأنّهم

قاتلوها قتالاً، القرامطة قاتلوا أهل السنة ليس على المستوى الفكري والعلمي في المدارس، ولكن على المستوى السياسي والأمني في الاغتيالات، الحشاشون كما يسميهم الغرب، وإن كان هذا الاسم غير موجود، الحشاشون غير موجود في الثقافة الإسلامية، إنّما هم الإسماعيليون، القرامطة، أتباع الحسن بن صباح في قلعة «ألموت»، كان شأنهم اغتيال العلماء، واغتيال الحكام المسلمين.

فلذلك وقوف أبو بكر الباقلاني كان عظيماً وشرح كثيراً من الأمور، وكان ينتسب إلى أبي الحسن الأشعري، لانتسابه إلى تلميذه، فصار الناس يأخذون ما عليه أبو بكر الباقلاني، أنه هو مذهب أبو الحسن، بعد ذلك الباقلاني أخذ عنه الجويني الأب، ثمّ الابن، ثمّ الغزالي، وثمّ بعد ذلك وصل الأمر إلى الرازي، فأغلب ما عليه الناس ما عليه الرازي، وشيخ الإسلام رحمة الله عليه باعتباره إمامًا قارئًا جيدًا لمذاهب القوم، بل كان يوصف بأنه أعرف بالمذاهب من أصحابها، وهذا هو العدل والإنصاف في الكلام على أي مذهب من المذاهب، أنه يقول: بأن أبو الحسن خيرٌ من تلميذه، وعبد الله بن مجاهد خيرٌ من الباقلاني، والباقلاني خيرٌ من الجويني الأب، والجويني الأب خيرٌ ممن بعده، وهكذا، وهؤلاء كلهم خيرٌ مما عليه الرازي.

وبعض الأشاعرة المعاصرين فهموا هذا، رأيت لبعضهم كلاماً أنه يقول: نحن لسنا على مذهب أبي الحسن، لأن أبا الحسن مُثبت، وعنده شيءٌ من التجسيم، وكذلك الغزالي عنده شيءٌ من التجسيم، هم على إطلاقات ما عليه الرازي في أساس التقديس، والأربعون في أصول الدين، هذان كتابان له يشرح فيهما القواعد ما عليه الأشاعرة المتأخرين بعد ذلك أخذوا منه.

نرجع إلى شخصية أبي الحسن الأشعري رحمه الله، فأبو الحسن الأشعري في أبواب أخذ أقوال أهل السنة في شعاراتها العامة، فبعضها أخذها بالشعارات وبالتفصيل، وبعضها أخذها بالشعار دون التفصيل.

أضرب لكم مثالاً: الأشعري مع أن الأشاعرة ينفون هذا الكتاب عنه، وهو كتاب «الإبانة» الذي حوله الخلاف الشديد بين الأشاعرة المتأخرين، وبين خصومهم، فهذا الكتاب له على الحقيقة، كتاب «الإبانة له»، وفيه إثبات الصفات على طريقة السلف، يثبت، وعلى الجملة فإن أبو الحسن يثبت الصفات، لكن هناك صفات يتوقف فيها في إثباتها، فصفات الذات يثبتها العين، اليد يثبتها، يثبت هذه الصفات لله عز وجل، لكن هناك صفات التي لها تعلق بالإرادة، وفيها ما يزعمونه من شبهة التجسيد، وحدوث الحوادث في ذات الله عز

وجل، تجدد الحوادث في ذات الله عز وجل، كالنزول مثلاً، فهذه ينفيها أبو الحسن، فهو مثبت من جهة، وكذلك من جهة يثبت الاسم وينفي المعنى، وهناك ما يثبته كشعار، ولكنّه حين يدقق فيه؛ لا يفهم ما كان عليه السلف.

ولا شك أنّ رجلاً مثله يقع في مثل هذه الأخطاء، مثال ذلك: الكلام في القرآن، أبو الحسن الأشعري مثلاً يقول: بأنّ القرآن هو كلام الله، فيثبت لله صفة الكلام، ولكن حين يفسر الكلام لا تجد هذا يلتقي مع كلام أهل السنة، ولا تجده يلتقي مع السنة النبوية في اللفظ، يقول: القرآن معنى نفي قديم، قائم بذاته، معنى، طيب هذا الذي نقرأه الحرف، هذا الحرف الذي نقرأه هل هذا كلام الله؟ يقول: لا، هذا مخلوق، لماذا؟ بسبب قضية تجدد الحوادث في ذات الله عز وجل، أن هذا لا يجوز، الإرادات المتجددة لا تجوز، وهذا المعنى باطل، والقرآن ينفيه: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، حصل كلام الله عز وجل لموسى عليه السلام الذي سمعه، سمع كلام الله عز وجل، فدلّ على أنّ كلام الله عز وجل يسمع، والناس لا يسمون ما يسمع إلا الصوت، السماع لا يقع إلا بالصوت، بخلاف المشاعر الأخرى التي تقع فيه، كالإدراك والبصر، أمّا أن يسمع، فلا يسمع المرء إلا الصوت؛ فدلّ على أنّ الله يتكلم بحرفٍ وصوت.

وفي الحديث الذي يهيج له المتأخرون الأشاعرة، أنّ الله يوم القيامة ينادي بصوته، يسمعه من بَعُدَ كما يسمعه من قَرُبَ، وهذا الحديث صححه الإمام ابن حجر رحمة الله عليه، وينادي الله عز وجل يوم القيامة بصوت، كما في الصحيح، فلذلك أبو الحسن الأشعري، يعني لا نخرجه كلياً من أهل السنة، وبعض كلامه يخالف ما عليه أهل السنّة، ولكن يبقيه إمامًا عظيمًا في الدفاع عن السنّة بالمجمل.

ومثل ذلك القول: بالكسب، مسألة القدر عند الإمام علي بن إسماعيل الأشعري، المقصد هو أبو الحسن الأشعري، موضوع الكسب في القدر موضوع معقّد، حتى أنّهم قالوا: أنّه كلامٌ لا يفهم:

مما يُقال ولا حقيقة تحته ... معقولة تدنو إلى الأفهامِ
الكسبُ عند الأشعري والحَالُ ... عندَ البهشمي وطفرة النظَّامِ

فالكسب هذا لا يفهم، وفي مآله كما يشرحه الرازي يؤدي إلى الجبر، قال: «هو مختارٌ في الظاهر، ومجبورٌ في الباطن»، وبعضهم يقول عن أبو الحسن الأشعري: بأنّه مرَّ في ثلاث مراحل، الاعتزال، ثمّ بقاؤه متلبساً ببعض

قواعد الاعتزال، ثمّ خروجه إلى السنّة بالكلية، التي هي كما في الإبانة، وهناك من يقول: لا، إنّما خرج من الاعتزال إلى السنّة مع بقاء ما ذكرناه مما يعاب عليه في قوله في قواعد أهل السنة في الكلية، ولكن حين يفسّر يقع فيما لا يفسّره أهل السنة في ألفاظه.

يعني مثال ذلك مما يقال في الشعار مع عدم الفهم للتفسير: يعني بعض العلماء يقولون: بأنّ الإيمان قول وعمل، فإذا جئت إلى العمل جعل العمل ليس ركنًا من أركان الإيمان، ويقول شعار أهل السنّة بعض المعاصرين، ولكنّه حين التطبيق لا يُفسّر تفسير أهل السنّة في هذا الباب.

فأبو الحسن الأشعري إمامٌ عظيم ولا شك، ولا ينبغي النظر إليه بازدراء، كما يفعل بعض الجهلة، هو إمامٌ عظيم يعامل معاملة العلماء العظماء في هذا الباب، ومثال ذلك: موضوع التفويض، يعني بعض أهل العلم لما جاء إلى كلمات العلماء قال: نمرّها كما جاءت، فهموا معنى تفويض بمعنى، فهم يقولون بكلام أهل العلم من أهل السنّة، ولكن حين يفسرون، يفسرونها على جهةٍ من الخطأ لعدم خبرتهم.

وحين تقرأ كلمات العلماء السابقين كابن جرير الطبري رحمة الله عليه، ومن معه من العلماء، فنعرف ما هو عليه أهل السنّة في هذا الباب، وبعد ذلك نحمل ما تأخر من كلام العلماء قبولاً ورداً، وحقًا وخطاءً، على كلام السابقين من أهل العلم في هذا الباب.

هذا بالنسبة لأبي الحسن الأشعري رحمة الله عليه، فلذلك أبو الحسن الأشعري له أقوال لأهل السنّة، هي من أقوال أهل السنّة، ظاهراً لفظاً ومعنى، وهناك له أقوال لأهل السنّة في ظاهرها، ولكن في تفسيرها يقع الخطأ، وهناك أقوال ليست لأهل السنّة كما هو موضوع الكسب، ليس في لفظه، وإن كان هو لفظٌ قرآني ولكنه غير صحيح في هذا الباب.

أما الكلام في «اللمع»، فلا شك أنّ كتاب «اللمع»، لمن يقول: بأنّ أبا الحسن الأشعري مرّ في ثلاثة أطوار، أنّه يجعل «اللمع» في الوسط، قبل «الإبانة»، فلذلك يأخذه على هذا المعنى، ورسالته إلى أهل الثغر، وكذلك أنّه يقول بضرورة علم الكلام، له رسالة في علم الكلام، وأنّه حق ويجوز استخدامه، ورسالة صغيرة في هذا الباب، «اللمع» نقول هذا الكتاب في هذا الطور، لأنّ فيه بعض إطلاقات لا نجدها في «الإبانة» يثبت صفات الذات، والله تعالى أعلم، فكتاب «اللمع» على هذا المعنى، ولا ينبغي النظر إلى هؤلاء العلماء إلا

باحترام وتقدير وإجلال، والحق أحق أن يتبع ولكن هؤلاء علماؤنا لهم جهادهم، ولهم مقاماتهم العظمى، والحمد لله رب العالمين.

٩٩- الرد على من يكفر الحويني وحسان ويعقوب

ضمن الجلسة الحادية عشر، السؤال التاسع والتسعون، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠١/٨هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/٠٩/٢٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخٌ يسأل: شيخنا الفاضل، كثيرٌ من الإخوة يكفرون الحويني وحسان ويعقوب، هل فعلاً هم كفار؟

الجواب: أولاً نقول: بأن المسارعة في تكفير العلماء -مهما اختلف قول العالم عما تعتقده- هذا من المسارعة إلى الباطل؛ وإن آخر ما يُتحدث عنه عن العلماء حين يخطئون في نظرك، وفي اجتهادك، فإن آخر ما ينبغي أن يخطر على البال، هو القول بالتكفير.

والقول بالتكفير لا يجوز أن يتم من أحدٍ بحق عالم، حتى يكون هذا الرجل عالماً بهذه الأحكام، ولذلك نعود إلى سؤالٍ سابق، عندما سأل بعض الإخوة هل يشترط العلم للتكفير؟ فحينها فصلنا تفصيل أهل العلم في ذلك، وهو: أن الكلام في المسائل المشكلة والمضائق التي لا يحسن الدخول فيها إلا العلماء، لا ينبغي أن يسارع فيها الجاهل والعامي، وبلا شك أن العلماء يخطئون، والنبي صلى الله عليه وسلم قال: (**إذا اجتهد القاضي فأخطأ فله أجر**).

وفي الابتداء: لا يجوز لنا أن نتصور أن عالماً يقول قول من جهة الهوى، وإنما هو يجتهد ويقدر ما فيه حكمة الدين وما فيه حكم الدين وما فيه مصلحة الدين؛ وبعد ذلك: إن رأينا في هذا الرجل خروجًا كليًا عن الدين، ومسارعة إلى أعداء الله عز وجل، وكرهًا للدين وعداءً لأهل للدين، فحينئذٍ؛ علينا أن نترك الأمر للعلماء لتقدير ذلك.

من ذكروا في هذا السؤال ليسوا مرتبةً واحدة في دينهم كما نرى.. لا علمًا ولا انزياحًا ولا قبولاً للحق والدين، يعني مثلاً: الشيخ الحويني هو خير هؤلاء في ظني، والشيخ أبو إسحاق الحويني يعني خيره على الأمة الإسلامية، وعلى طلبة العلم، وعلى الدعاة أمرٌ مشهود، ومن يسمع له ويقرأ له يرى أن الرجل من خيرة الناس في هذا الزمان في الدعوة إلى الله عز وجل وفي تفرغه للعلم، وقد يقع في أخطاء كما يقع كل واحدٍ من البشر في أخطاء (**فلو لم تخطئوا لذهب الله بكم ولأتى بقومٍ يخطئون فيستغفرون فيغفر الله لهم**).

والذي أعتقده في هذا الشيخ، هو: أنه عالم من العلماء المسلمين، الذين يحبون الدين، ويجتهدون في نشره، ويعملون على هداية الناس إلى السنة الصحيحة؛ فهذا الرجل لا ينبغي لأحد أن يظن فيه الشر علاوة على التكفير.. لا يجوز، ومثله من ذكروا من الأسماء.. ولكني أميز في المراتب، فلا نضع مثلاً الشيخ يعقوب كما نضع الشيخ الحويني، أو كما نضع حسان في العلم ولا في المواقف مع الشيخ الحويني؛ فإلى الآن أنا لا أعرف أحدًا تكلم عن الشيخ الحويني -من العالم الإسلامي- تكلم عن الشيخ الحويني كلامًا يسيء إليه، أو أنه يضلله، أو أنه يجعله في عدوة أهل الباطل في بابٍ من الأبواب.. إلا جماعة معروفة، للأسف: الذي أراه أن الإرجاء السيء يلتقي مع الغلو السيء، نرى جماعةً من الذين يسمون بالسلفيين ممن يزعمون المنهج، كما يزعم في داخلنا أناس يزعمون المنهج كذلك من أهل التشدد، وكلهم يزعم أن الرجل على دين، ولكنه يخالف في المنهج.. هذه بدعةٌ أحدثها بعض السلفيين -كما أحدثها ربيع المدخلي- وصاروا يتحدثون عن كون الرجل سلفيًا في الاعتقاد، ولكنه بدعيٌ في المنهج.. في محاولةٍ لإيجاد قاعدةٍ للتمييز بين الناس.

الناس يضعون قواعد تخالف أهواءهم، وهذه القواعد لا ينبغي الدخول فيها ولا الإقامة لها؛ لأنها تخالف دين الله عز وجل.. لا القضية قضية منهج ولا القضية قضية اعتقاد!! القضية قضية كيف يُخطئ المرء؟ هل يخطئ أم يصيب؟؟ يعني: كيف يخطئ وكيف يصيب؟؟ رجلٌ سني -منهجه سني- يصيب ويُخطئ.. لو أتينا إلى ابن حزم، فإنه سني.. يخطئ ويصيب.. أصاب هنا وأخطأ هنا.. وهكذا، العلماء يتكلمون.. وربما من خطأه في الباب يكون هو المخطئ، وربما من صوبه في باب يكون هو ومن صوبه المخطئ.. هذه قضيةٌ علمية تسير في الأمة.

ولذلك: لما رددت على الشيخ الألباني رحمه الله في قضية: بأن إحياء الأمة يتم من خلال التصفية والتربية، كان الرد على هذا: بأن عملية التصفية هي عمليةٌ ملازمةٌ للأمة في كل وقت.. ليست هي التي تحيي الأمة وتعيد كيان الأمة، فإن التصفية لم تتوقف في تاريخ أمتنا، لا تصفية الدين مما علق فيه، ولا تصفية الحديث مما هو ليس من الحديث، ولا تصفية الاعتقاد مما دخل عليه، فهذه عمليةٌ تصاحب الأمة في صعودها وهبوطها، ما دام هناك أمة، وما دام هناك علماء، وما دام مسلم، فهذه التصفية كذلك تساير الأمة في كل أوقاتها؛ وكذلك التربية.. الأمة يعني لو أقامت الدين لا تتربى؟!! هل قبل إقامة الدين تتربى؟!! التربية عمليةٌ تصاحب المرء في كل وقت، وعمل الشريعة هو التربية.

وبالتالي؛ نقول لهؤلاء كذلك نفس القضية، نقول: بأن هذا الرجل يصيب ويخطئ، أما أن نسارع إلى التكفير!! فهذه لا بد لها من عالم يستطيع أن يقدر، لأن العالم ميزته أنه يتكلم بالعلم.. فكم يحتاج طالب العلم إلى بينات حتى يتبيّن أن هذا الرجل لا يقيم شأنًا للعلم، أو انحاز إلى العلمانية ضد الإسلام بهذه الصورة؟!

يوجد أناس.. يوجد من تسمى باسم المشايخ قد كفروا قديمًا.. كالزنادقة.. كفروا قديمًا.. ويوجد من المعاصرين من كفروا وخرجوا من الملة وهم مشايخ!! ويتسمون باسم المشايخ!! وربما يتزيا أحدهم باسم الشيخ، ويكون قد خرج من الملة!! تزندق.. لا يقيم شأنًا للدين.

ولكن أنا أتساءل: بماذا كفر هؤلاء؟! أنا عندي: الذي انحاز -كعلي جمعة مثلاً- الذي انحاز إلى علمانيٍ صريح -وكالرضواني مثلا.. هذا الجاهل، وكرسلان- الذي انحاز إلى العلمانية في وضوحها وصراحتها ضد الإسلام، حتى ولو كان بدعيًا، فهذا قد خرج من الملة؛ والسبب في وضوح ذلك: أن هؤلاء يتحركون من خلال الحقد على جماعة، فليس منطلقهم السنة.. منطلقهم أنهم حاقدون على هؤلاء، فمتى هؤلاء صعدوا فهم أعداءهم، ومتى هبطوا فهم أولياء لمن أنزلهم ولمن حاربهم.. هذا معيارهم.

يعني مثلا: الإخوان المسلمون عند هؤلاء هم معيار.. من عاداهم فهو الولي، حتى لو كان عدوًا لله، كما هو شأن الطاغوت السيسي وكما هو شأن الطاغوت حفتر.. من عادى هؤلاء فهو الولي.. كما يقول أحد أتباعهم يقول: سماحة الجنرال حفتر!! -وضحك الشيخ- يعني: هؤلاء لا دين عندهم.. هؤلاء أنا أرى أنهم كفار.. لماذا؟؟ لأن معيار الحكم صار على واقع الأمة لا يمت إلى الإسلام بصلة.. المسلم ليس هذا دينه، فإذا تبيّن لنا أن هذا قد انحاز إلى هذه الفئة ضد فئةٍ مسلمة على هذا المعيار فقد خرج من الملة.

وهؤلاء الشيوخ ليسوا كذلك.. نعم، وقع محمد حسان في انحرافات في هذا الموقف.. أتكلم عن هذا الموقف.. الموقف من الأمة؛ وبعض الناس -أنبه على نقطةٍ مهمة- بعض الناس لا يقيم شأنًا لموقف المرء من الأمة وحركة الأمة.. لا يقيم لها شأنًا، ولكن يقيم شأنًا للفرعيات.. وبعض الناس لا يقيم شأنًا لفروع الشريعة ولا لأحكامها، ولكن يقيم شأنًا لما هو سياسي فقط!! هذا خطأ.

القصد: أن هذا دين.. فربما رجل يأتي ببدعةٍ فيما يتعلق بدين الناس وعمل الناس، فنقيم له الشأن ونبيّن انحرافه؛ وقد ينحرف المرء في انحيازه إلى أعداء الأمة كالعلمانيين والليبراليين.. هؤلاء كفار، فمن انحاز إليهم صار

منهم.. وهؤلاء أشر من اليهود والنصارى.. أكفر من اليهود والنصارى.. الزنادقة العلمانيون والطواغيت الحاكمون في أمتنا شر من اليهود والنصارى.

نعم؛ وقع حسان -أنا لست متابعًا لأقول- ولكن وقع حسان في موضوع الموقف من السيسي.. وقع في خطأ، ولكن ليس لهذه الدرجة التي يفعلها مثلاً المجرم المرتد الزنديق الرضواني.. وكذلك مثل رسلان.. ليس لهذه الدرجة.

ولكن الشيخ أبو إسحاق حفظه الله ليس من هؤلاء في شيء، فينبغي الحذر؛ والقصد من ذلك: أن تكفير هؤلاء -عندي- هؤلاء الثلاثة هذا انحراف عن الجادة وخطأ.. لا ينبغي المسارعة فيه، وإنما ينبغي التوقف، وينبغي الدعاء لمن هو محسن.

فإن أخطأ، في الابتداء: نحسن الظن أنه قد أخطأ إما في التأويل في تأويل النص، وإما أنه أخطأ في عدم فهم الواقع، وإما قد أخطأ في تقدير الموقف.. يعني مثلاً: عندما يظن الآن أن إقامة الخصومة في داخل الأمة تؤدي إلى المفاسد.. بعضهم يقول ويخوف الناس بما يحدث في الشام.. هذا تقدير موقف خطأ، ولكن لا نكفره عليه.. فينبغي الانتباه لهذا.

والله تعالى أعلم، والحمد لله رب العالمين.

١٠٠- أيهما أخطر على الأمة: المرجئة أم الخوارج؟

ضمن الجلسة الحادية عشر، السؤال المئة، بتاريخ: (٨/٠١/١٤٣٩هـ **الموافق لـ: ٢٨/٠٩/٢٠١٧ م)**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: أيهما أخطر على الأمة؟ المرجئة أم الخوارج؟ وهل هناك أدلة على ذلك؟

الجواب: أريد في الابتداء أن أبيّن كيف تفهم كلمات العلماء؟ يعني يوجد من العلماء من قال: المرجئ شرٌ من الخارجي، يوجد هذا، ولكنني أنا أجزم أن هذا العالم لم ير شرًا خارجيًا رؤيةً واقعية يعرف ما يحدثه الخارجين في أمته، وقد يوجد من يقول: الخارجي شرٌ من المرجئ؛ لأن هذا المرء يرى شر الخارجي عيانًا أمامه، فكل واحدٍ يتحدث عما رأى.

ولذلك مما قلته وأقوله تقليدًا لأهل العلم فيما فهموه في هذا الباب، لما أراد ابن تيمية رحمه الله أن يبيّن اختلاف أقواله أحمد وهي فتاوى وليست أقوال، في أغلبها فتاوى، يعني هذا يسأله عن حال، وهذا يسأله حال.. فيجيب عن هذا الحال ويجيب عن هذا الحال؛ فيظن السامع أن الإمام أحمد قد اختلف قولاه في المسألة، وهذا ليس اختلاف إنما هو يفتي هذه المسألة هذا حكمها لوجود شروط ووجود موانع، وهذه المسألة في هذا هو حكمها لوجود شروط وموانع، فهذا هو الأمر، فأقوال العلماء فتاوى، وأقوالهم بحسب تقديراتهم في واقع في واقعة عينٍ يُسألوا عنها، وهذا بخلاف حديث النبي صلى الله عليه وسلم، مع أن الشافعي رحمه الله له قول في قضية تخصيص العموم بالسبب فليس هذا وقته فيه الأصول مشروحة، وهذا ليس على قاعدة العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، لا، أن يخصص المعنى بالسبب فرق على قضية نفي عموم اللفظ وعدم ربطه فقط في الحادثة دون غيرها مما دخل في معانيها.

فإذن أقوال العلماء يجب أن تفهم باعتبار تجربتهم وباعتبارهم رؤيتهم للحالة الواقعة في أقوالهم، ومن هنا فأقوال العلماء، فتاوى وأقوال العلماء تحليلاً لما رأوا وما شهدوا وليست أقوالهم مطلقة كما هو قول الله عز وجل وكما هو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الآن نأتي للسؤال، المرجئ شر، ورققوا الدين حتى صار أرق -كما وصف- من الورق، وهذا الإرجاع دين

الملوك؛ لأن من مبادئ الإرجاء الإعذار لدرجة عدم المحاسبة، يعني عندما يصل الإرجاء إلى أن الكل سيدخل الجنة، وأن المرء يكون مسلمًا حتى ولو لم يأت بعملٍ من أعمال الإسلام، هذه صور من صور الإرجاء وان كانت صوره كثيرة، والخارجي شر لأنه يوجه سلاحه في أوله فيقتلون أهل الإسلام ويتركون أهل الأوثان، لا يعني هذا أنه لا يقاتل الكفرة، ولكن يعني أن أصل توجهه لعقاب المسلمين ولقتل المسلمين، وهذا الذي نراه.

فالمرجئ شر والخارجي شر، وبحسب الواقع قد يكون في هذه الواقعة المرجئ أشر من الخارجي، وفي واقعةٍ أخرى يكون الخارجي أشرٌ من المرجئ، وبحسب غلبتهم، فربما يغلب الإرجاء فتكون الخارجية بؤرة صغيرة غير مؤثرة فيكون الإرجاع هو الشر الأغلب كما غلب على أمتنا الإرجاء، وفي وقت من الأوقات تغلبوا الخارجية في مكان من الأمكنة حتى يكثر شرها؛ فيكون الإرجاء منحصرًا في قضية الخلاف العلمي.

والذي رأيته في واقع الأمر وشرحته كثيرًا أن الإرجاء في حده البعيد وأن الخارجية في حدها البعيد يلتقيان على نقطةٍ واحدة وهي عداء الإسلام، الخارجي يقاتل أهل الإسلام ويكفرهم، كما رأينا في الخوارج الجدد، والمرجئ الذي رأيناه في عصرنا من الشخصيات المرجئة يقاتل أهل الإسلام ويوالي الزنادقة والعلمانية، هذا كما رأينا أن الصوفي في إيمانه بوحدة الوجود يرتقي مع الشيوعي مع الماركسي الذي لا يؤمن بوجود الله، هذا قال الدين أفيون والشعوب لا إله والحياة مادة، وانتهى الصوفي إلى وحدة الوجود أنه لا يوجد ثمة خالق ومخلوق ولا يوجد إلا الخالق فهذا الكون هو الله، كل تطرفٍ –التطرف في مسألةٍ واحدة– التطرف يؤدي إلى الالتقاء في حديه البعيدين، المتطرفين.

فلذلك لا ينبغي أن يطلق مثل هذه العبارة، أيهما أشر الخارجية أم المرجئة؟ لا، في مرات تكون الخارجية أشر، وفي بيئة من البيئات وفي حادثة من الحوادث، تكون الخارجية أشر لما تفسد من حياة المسلمين، فإنها تقتل المسلمين، وفي فعلها شعرت أم لم تشعر تخدم أعداء الدين، الناس يكرهون الإسلام، ويكرهون الدين ويقتلون المسلمين، ولم تقم دولة للخوارج إلا وأزيلت في زمنٍ قصير لا يرفع الله لهم راية، لما يتحقق بحكمهم من ظلم، والظلم مؤذنٌ بالخراب وخاصةً إذا كان باسم الله وباسم الإسلام، فالنهاية هو غلبة أهل الكفر على الإسلام، لا يقاتل أهل الإسلام معهم، يهربون من ديارهم.

وفي وقت يكون الإرجاء هو الشر والأغلب، فلا تصدقوا شيخًا يقول لكم: الإرجاء مطلقًا هو أشر من

الخارجية، ولا تصدقوا شيخًا يقول لكم: الخارجية أشر من الإرجال، هناك أوقات يكون الإرجاء هو الأشر وهناك أوقات تكون الخارجية هي الأشر، ولذلك لو قيل كذا: في مصر من أشر؟ لقيل: الإرجاء، في مصر ما هو الشر الأكبر؟ من أين يتأتى الشر الأكبر؟ لقيل لك من الإرجاء.

ولما قامت دولة البغدادي في الأماكن التي هم فيها وفي أماكن جهاد الشام، من كان أشر؟ الخارجية، وهكذا.

فالعبرة بالبيئة والعبرة بالتاريخ، التاريخ له سطوته والجغرافيا لها سطوتها في قضية تحديد من هو الأكثر شرًا، والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين.

١٠١- لماذا لم تأمر بقتال الدواعش رغم اعتقادك أنهم خوارج؟

ضمن الجلسة الحادية عشر، السؤال الأول بعد المئة، بتاريخ: (٨/٠١/١٤٣٩هـ **الموافق لـ: ٢٨/٠٩/٢٠١٧ م)**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

أخ يسأل: شيخنا لماذا لم تأمر بقتال الدواعش رغم اعتقادك بأنهم خوارج؟

الجواب:

يعني مررنا بفترات متعددة مع هؤلاء، وأنا الآن لا أستخدم هذا اللفظ، أي كلمة «دواعش» وأنهى عن استخدامه، وذكرت هذا في لقاءات متعددة، وكتبت هذا، أني لم أعد أستخدم هذا اللفظ ولا ينبغي استخدامه، وإن استخدمته مرة من أجل فقط الإعلان، ومن أجل بيان التنفير، أما الآن فلا أستخدمه، ولكن المرور مع هذه الطائفة، وهذه الفرقة، مررت بعدة مراحل، المرحلة الأولى: التنفير العام، ثمّ بعد ذلك الحكم عليهم بالخارجية، ولما بدأ الخلاف هل يقاتلوا ابتداءً، أم يقاتلوا رد صائل؟ فأخرجت مقالة فيها شرح، أرجو أن تعاد، وأن يعود إليها طالب العلم، وهذا في الابتداء فيهم، فأخرجت مقالة ماذا يعني قول الرسول صلى الله عليه وسلم **(لأقتلنّهم قتل عاد)**، وبيّنت حال عليّ رضي الله عنه معهم، أنّ واقعهم سيؤدي إلى القتال، لأنّك لو تركتهم سيقاتلونك، وهذا الواقع.

فعلي رضي الله عنه في الابتداء لم يقاتلهم، مع علمه بحكمهم، ولما قاتلوه قاتلهم وهذا حالهم، في النهاية هذا حالهم سيبقوا على القتال حتى يُستأصلوا، حالهم هو حال الذئاب وحال الكلاب المتوحشة، التي لا ينتهي أمرها حتى تُستأصل؛ ولذلك لا زلت على القاعدة، أنّ الأمر سواء كان الأمر بقتالهم ابتداءً، أو برد الصائل فالحال واحد، لأنّهم سيبقوا على صيالهم ضد المسلمين.

وهنا أنبّه بأن الأغيار من غير المسلمين عادوا هذه الطائفة، ليس لأنّها خارجية، ربما التقينا في التنفير منها، لكنّ تنفير الأعداء الأغيار من غير المسلمين ضد هذه الطائفة، لأنّهم يريدون إقامة الدولة، وهم مانعوا الدولة إسلامية، هم أعداء للدولة الإسلامية على أي صفةٍ كانت، هم أعداء لمرسي، هم أعداء لأردوغان الذي يعيش حالةً عاطفية مع المسلمين، وأعداء لمرسي الذي كان يريد أن يجعل الإسلام شيئاً سابغاً صبغةً يسيرة في حالة

الأمة، فكيف يقبلون بدولةٍ مجاهدة، فهم لا يهمهم هذا التفريق، فلذلك لا نلتقي معهم لعدائهم لهذه الطائفة، بحيث يعادون دولة الإسلام على أي منهجٍ كانت يعادونها.

ولذلك نحن في كل وقت نحن نمدح قتال هذه الطائفة في قتالها لأعداء الله، وإنّما تسميتهم بالخوارج لأنّ عامة قتالهم كان ضد المسلمين، سهمهم موجه ضد المسلمين، وأصل قيامهم هو هروب من أجل حسم الخلاف بينهم وبين جماعات مسلمة أخرى مجاهدة.

فلذلك نقول هذا: أنّ هذه الجماعة فيها وجه حق، كما في كل مسلم، نحن لا نكفرها، نحن لا نقول أنّ هذه الطائفة طائفة كافرة، نقول: هذه طائفة مبتدعة، ولا نقول كما يقول البعض: بأنّ الخوارج كفار، لا نقول بهذا، ويعتقد أنّ مسلمًا يكفر الخوارج، وحتى من نسب للأوائل، فهذا فيه تفصيل ولا أقول بأنهم كفروهم، لا الإمام البخاري في تراجمه ولا الصحابة.

نرجع إلى ما نحن فيه، فلذلك هذه الطائفة مسلمة قاتلت الكفار، وقاتلت الزنادقة من الرافضة، فهذا جانبٌ ممدوح، وقاتلت المسلمين في أغلب قيامها، فهذا جانبٌ مذموم، ولما كانت تقاتل هؤلاء وتنتصر عليهم، وتبلي بلاءها فيهم؛ كنا نفرح وندعو لها، وإذا قاتلت المسلمين كنا نحزن وندعو عليها، هذا هو شأن المسلم فيمن اجتمع فيه باطلٌ وحق، والباطل فيه أغلب لأصل قيامها، ولذلك لا يجوز أن ندعوا إلى قتالها، والحال لسنا أمام دولة إسلامية سنّية، ودولة خارجية، لو كان الحال كذلك، أنّنا في دولة إسلامية عظيمة، وقامت دولة خارجية لدعوت إلى استئصالها، وإزالتها من الابتداء والانتهاء، وإزالتها، ولكن نحن أمام دولة خارجية، البدائل إما أن تأتي جماعات إسلامية، وإمّا أن تأتي جماعات علمانية كافرة، فحينئذٍ الدعوة إلى رد صيالها، لبقائها في قتالها الشرعي في هذا الجانب من الجوانب، هذا الجانب وهو أن تقف هذه الدولة كما هي قتالها لجحش، وقتالها للزنادقة، وقتالها للكفار، ولو لم يكن إلا هي في قتالها لهؤلاء، لجاز القتال تحت رايتها، وهذا أمر مقرر ذكرته أكثر من مرة.

والناس لا يستوعبون اجتماع الشر مع الخير، لا يستوعبون التفصيل، الوقت هذا غريب، الناس لا يحبون التفاصيل، يريدون أبيض أو أسود، المسألة ليست كذلك، هذا موقفي منهم، والآن للأسف الحال مؤسف وسيء، ولكن ندعو لها في قتالها للزنادقة والكفار والأغيار، ندعو لها ونتمنّى نصرها عليهم، ونعادي كل من

عاداها لأنّها أقامت دولة الإسلام هكذا، ولكنّنا نعاديها في قتالها للمسلمين وفي تكفيرها للجماعات المسلمة الأخرى، والله تعالى أعلم، والحمد لله رب العالمين.

١٠٢- الخلافة العثمانية

ضمن الجلسة الحادية عشر، السؤال الثاني بعد المئة، بتاريخ: (٨/٠١/١٤٣٩هـ **الموافق لـ: ٢٨/٠٩/٢٠١٧ م)**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته –وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

يقول: حياك الله شيخنا الغالي، حياك الله وبياك، حفظك الله ورعاك –آمين وإياك–.

السؤال: أريد أن أسألك عن رأيك في الخلافة العثمانية؟ هناك بعض الأشخاص من يقولون عن الدولة العثمانية أنها لم تحكم بشرع أبداً، وأنها كانت شركية، أعطني رأيك وجزاك الله خيراً.

الجواب: يعني جلد التاريخ بهذه الطريقة التي يفعلها البعض غير سديدة، الدولة العثمانية دولةٌ عظيمة، طبعاً تأخر تسميتها بالخلافة حتى دخلت بلادنا فتسمت بالخلافة، وإلا الدولة العثمانية هي دولة إسلامية كان حكامها يسمون بالسلاطين وبعد ذلك تسمت بالخلافة وأيدها العلماء كونها التي دخل فيها أكبر مساحة من بلاد المسلمين فأيدها بعض علمائها، مع أن الكثير من البلاد الإسلامية لم تدخل تحت سلطانها وإن كانت محبة هذه الدولة في قلوبهم كمسلمون الهنود وغيرهم، كانوا يحبونها ويوالونها.

ولما دعا السلطان المسلمين للتبرع من أجل بناء السكة الحديدية، هذه سكة الحديد الحجاز التي سرقها من سرقها إنما بناها تجار الهنود المسلمين، بناها تجار الهنود المسلمين تبرعوا بها لمحبتهم، ولما سقطت الخلافة بكاها علماء الهنود أكثر مما بكاها علماء العرب للأسف الذين جهلوا قيمتها؛ اغترارًا بخصومها ممن دعوا إلى إقامة خلافةٍ عربية إسلامية خلافًا لخلافةٍ تركية.

هذه خلافةٌ إسلامية لا يجوز لأحد إلا أن يعتقد محبتها وأن يرى أن وجودها كان خيراً عظيماً للمسلمين، وقعت في أخطاء ورثتها تاريخياً ليس هذا وقت البحث عنها، لكنها كانت دولة عظيمة، وتسميتها بالرجل المريض تسميةٌ استعمارية من أجل المسابقة في إرثها، وكذلك من أجل توهينها وتوهين حالها، وإلا فهي دولةٌ عظيمة كان يمكن بعدم خيانة أهلها أن تبقى قائمة، سواء أكان من خيانة من قام ضدها ممالأةً ومناصرةً للإنكليز، أو من كان من يهود الدولة في داخلها يعمل من أجل إضعافها، أو من كان من يدافع عنها بشر كما

كان بعضهم.

القصد: بأن هذه الخلافة كان قدرها أن جاءت على وقت ضعف للأمة ووقت انهيار في أخر التاريخ، والأمم تصعد وتبيد، قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الإسراء: ٥٨]، ﴿مُهْلِكُوهَا﴾ عامل قدر يهلكها بسبب فسادها، عامل القدري الزمن يمشي في الدول كما يمشي في الإنسان يكبر ويهرم، فهذا هو شأنها في آخرها، لكن كان يمكن تجاوز ذلك بشيءٍ من التدبير والثقة والولاء لها، فلذلك هي دولة خلافة حقيقة لا يجوز لأحد أن يسبها.

وقع فيها وهن، وقع فيه ضعف، وقع فيها فساد، وقعت فيها أخطاء ليس من قبل الدولة، بل من قبل علمائها، وبعضها من قبلها، يعني عدم تبني اللغة العربية لاهتمام بالبناء العسكري أكثر من البناء الثقافي، الدولة العثمانية هي التي بنت المدفع! هي التي صنعته.

ولكن لم تهتم بالجانب الثقافي العلمي، ولم تهتم بجانب تربية الأمة، يعني هذا واقعها وهذا قدرها، ربما نقول: بأنها لم يكن بالإمكان أكثر مما كان بحسب قدرتهم والسنة الحاكمة عليهم.

وموضوع القبور وكأن زمن ابن تيمية كان خالي من القبور، تعرفون لما هرب والي دمشق لما اقترب التتار، تذكروا أن ابن تيمية ذهب مع أتباعه وأبنائه وتلاميذه وهدموا قبرًا كان يعبد من دون الله، يعني كأن القبور لم تكن إلا في الدولة العثمانية، وشيخ الإسلام يتكلم في زمانه عن الذين يذهبون للقبور، فهل خلا تاريخ الإسلام من هذه الظاهرة حتى جاءت الخلافة فارتفعنا حكم الإسلام عنها؟

السبب أن السبب سياسي، الوهابيون وهي تسمية سياسية لا علاقة لها بالموقف الديني، الوهابيون، القضية شرحتها كثيراً موقفهم من الدولة العثمانية موقف مضطرب وموقف سياسي لا علاقة له بالدين!

هناك رسائل للدولة الثانية في موالاتهم للدولة العثمانية، بل يسمي بعض حكام الدولة الوهابية الثانية كما يسمونها يسمي نفسه عبداً للخليفة العثماني، الوثائق تُظهر هذا كله، وهذا ليس وقته ووقت البحث عنه..

ولكن لما بعض العلماء رأى ما رأى من بعض تصرفات من انتسب للدولة العثمانية، ذهب للأسف على قول الفساد لها، والحكم عليها بالضلال والانحراف.

الذي نقوله: هي دولة خلافةٍ إسلامية عظيمة، فيها منافع عظيمة، ويكفي أنها في زمانها حافظت على بلاد المسلمين، وهذا السلطان العظيم عبد الحميد الذي ردَّ ملايين حتى لا يتنازل عن فلسطين، يعني هذا موقف إيماني عظيم، وسببه الإيمان، الدافع له ليس قومي الدافع له الإيمان، هذه أراضي أمة مسلمة.

عبد الحميد الذي كان يسميه خصومه المجرمون بالخليفة الأحمر، لم يثبت انه قتل رجلاً واحدًا، حتى الخصوم الذين كانوا يتأمرون ضده لم يثبت أنه قتل أحدهم، وهذا الخط الحديد الحجازي كان من أجل بعض القبائل التي كانت تقتل الحجيج وتسبي الحجيج لجهلهم ولشركهم، أنشأ خط الحديد الحجازي من أجل أن يصل من إسطنبول عاصمة الخلافة إلى مكة، وأن يصلها بأمان من أجل أن يسهل للحجيج حباً بهم وطاعةً لله عز وجل.

حمى بلاد المسلمين وكان للعلماء شأنٌ عظيم فيها، طالما كان فيهم من تقليل من حنفية وغير ذلك هذا شأن العلماء وليس شأن الدولة، أخطاء العلماء ليس أخطاء الدولة، مع ما فيها أخطاء.

فالقصد: هي دولةٌ مسلمةٌ حاكمةٌ بالشريعة وسقوطها كان بلاءٌ عظيم والذين وقفوا مع خصومها ظانين أن البديل هو الخير، حالهم كحال من يريد أن يقضي على بعض الجماعات الإسلامية ظاناً أنه هو البديل، والبديل هو العلمانية، البديل هو الزندقة..

للأسف هذه عقليةٌ لا يعرف المسلمون كيف يدبرون الحال مع الواقع ويتعاملون مع إدارة الأزمة، يحاولون التغيير فيأتي غيرهم ويستخدمهم بالتغيير، فيزيل الحواجز من خلال هؤلاء المسلمين فيأتي بعد الانتهاء وبعد أن يقضوا على خصومه يأتي هو ويحكمهم ويذيقهم، تحالفوا مع عبد الناصر في الثورة ضد فاروق، وماذا كان؟ عبد الناصر ذبحهم، التحالفات هذه استخدام للمسلمين لقتل غيرهم، قضوا على الخلافة وندموا، الشريف حسين ندم بعد ذلك، هل ينفع الندم أم لا؟ أنا أتكلم عن الشرع قدرياً لا ينفع، انتهى... وهكذا.

فالذين يخالفون هذه الدولة من جهة عقدية هم مخطئون، هم مخطئون، ولم يخرجوا عنها قط إلا خروجاً سياسياً ثم لُبِس هذا الخروج السياسي بالغطاء الديني.. هذا هو الواقع، وليس هذا وقت التفصيل.

فلو أرى الآن الوثائق بين أيدي الناس، لكن لانشغال الناس ينشغلون عنها، وإلا فلو أراد أحد طلبة العلم أو المؤرخين أن يكتب فيها الآن لأصاب كل مخرزٍ فيها، لانتشار الوثائق، الوثائق الآن منتشرة، ومن يدقق في

بعض المواقع يجد هذه الوثائق كثيرة جداً في بيان موقع من خرج عليها بسببٍ ديني، كل من خرج على الدولة العثمانية كل من خرج عليها لسببٍ سياسي، إمّا أنه كان ألعوبةً وإما أنه كان يريد التوسع عليها لأنها الدولة المريضة وإما، وإما... إلخ.

والذين خرجوا عنها لأسبابٍ دينية كان الدين يستخدم من أجل القضاء عليها فقط هذه هي القاعدة، لا يعني أنها لم تخطئ، لا يعني أنها لم تقع في أخطاء، نعم، وقعت في أخطاء لكن هذا لا يعالج باستئصالها وإزالتها.

فكان يمكن للإخطاء أن تعالج من داخل الأمة، وأن يستوعبها الخلفاء وأن يستوعبها العلماء والقادة والأمراء، ولكن الأقدار تمشي، الأقدار تمشي..

ونسأل الله عز وجل أن يعيدها قوية، أقصد الخلافة على منهاج النبوة، وهي ولا شك قادمة، وهي ولا شك قادمة لا محال، ونسأل الله أن نعيش في ظلالها قريباً.

والحمد لله رب العالمين.

١٠٣- رأي الشيخ بكتاب «الأغاني» لأبي الفرج الأصفهاني

ضمن الجلسة الحادية عشر، السؤال الثالث بعد المئة، بتاريخ: (١٤٣٩/٠١/٨هـ **الموافق لـ: ٢٠١٧/٠٩/٢٨ م)**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: شيخنا الحبيب أبا قتادة -جزاك الله خيرًا وبارك فيك- أرى الناس يغفلون في الشيخ جانب الأدب، فهل قرأتم كتاب «الأغاني» لأبي الفرج؟ وما رأيكم به؟

الجواب: هذا السؤال يحتاج إلى موضوعين:

الموضوع الأول: وهو حاجة طالب العلم إلى القراءة خارج كتب الفقه والحديث والعقائد؛ لأن الكتب الأخرى هي من الكتب التي تُعين على فهم المرء لدينه، وعلى تربية المرء لنفسه؛ يعني كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يمدح شعر زهير، لأن شعر زهير؛ قال: لا يقول إلا الصدق.. إذا مدح لا يمدح إلا من يستحق.

والعلماء نجدهم في هذا الباب فيهم توسع شديد في سماع مُلح الأدب، وسماع كلام الأدب.. سماع أخبار الرقائق الإنسانية.. التصرفات الإنسانية، وهذا جانبٌ مهم؛ لأنه جانبٌ إنساني.. لا أتحدث عن استيراد الثقافة الغربية كما أرادها بعضهم، يعني هناك حالة في التاريخ تم استيراد الأدب -كما فعل ابن المقفع وابن السكيت وغيرهم- استيراد الأدب من الثقافات الأخرى.. أنا لا أتحدث عن هذا.. هذا جانبٌ لا نحبه ولا نريده.. في أمتنا من الجوانب العظيمة ما يكفينا إنسانيًا ويغنينا عن ثقافة الآخرين.

فلذلك: كتب الأدب التي فيها هذه الأمور.. كتب الأدب التي تربي من خلال الصورة.. من خلال القصة.. من خلال الشعر.. من خلال الكلمة.. من خلال الحكمة، هذه ضرورة، تجعل الإنسان إنسانيًا في رؤيته للحياة وليس مثاليًا، وليس حديًا في تعامله مع البشر.

فلذلك مما ينصح به: أن يقرأ المرء في كتب الأدب التاريخية.. والجديدة، يعني أنت لما تقرأ كتاب «المنطلق».. تقرأ كتاب «العوائق» -من الكتب المعاصرة- بلا شك أنك تحس برقيٍ في نفسك وبتغيرٍ في سلوكك مع الآخرين.. وكذلك لما تقرأ حياة الصحابة -خارج الحديث- تراها حياةً إنسانية جميلة.. وكذلك لما تقرأ الجانب الإنساني في الحديث النبوي تحس بحالة إنسانية قريبة من نفسك.. قريبة من رقيك.. وليس فقط

كقضيةٍ دينية، ولكن كقضية إنسانية تتفاعل فيها مع زوجك.. مع أبناءك.. مع جيرانك.. مع إخوانك، وهكذا.

فكتب الأدب كتبٌ مهمة في ترقية النفس، وكتبٌ مهمة في تربيتك لنفسك وتربيتك للآخرين.. نعم، أنا تربيت على كتب مصطفى صادق الرافعي.. كتبٌ راقية مع صعوبتها -لأنه يطيل الجمل-، ومن أجمل كتبه «من وحي القلم» لما أنت تقرأ الكتاب تحس بإنسانيتك من خلال كلماته، وقصصه، ومواعظه، وحكمه.

وأما الكتب القديمة فكثيرة؛ فلذلك أنا أدعو الإخوة الأحبة أن يقرأوا هذه الكتب.. وعلماءنا ألفوا فيها.. يعني هذا ابن حزم.. الذي يرقق صورته في أذهاننا أن نقرأ له «طوق الحمامة» في الحب.. تصور.. رجل يؤلف كتابًا في الحب!! لا إله إلا الله!! وتصور أن ابن القيم يؤلف كتابًا في الحب «روضة المحبين» وهكذا، العلماء يكتبون في هذا.

وابن الجوزي كتب في المجانين.. كتب في العقلاء في الأذكياء.. كتب في أخبار النساء، وهؤلاء أئمة عظام، كان يشغلهم الحديث ويشغلهم القرآن، ولكن في جانبٍ من جوانب الحياة هناك فسحة، فلا بد أن يملأها المرء بهذا الجانب الإنساني العظيم.

فأدعو بلا شك طلبة العلم أن يهتموا بهذا، لأنه في جانبٍ آخر يرفع درجة رقيهم.. الذائقة.. ذائقة الأدب.. ذائقة الكلمة.. الكلمة يصبح لها ذوق في ذهنك.. يرفع درجة ذائقة البلاغة في العبارة.. في الكلمة.. في الصياغة؛ مع الجانب التربوي الإنساني الذي تكلمنا عنه.. هذه نقطة.

النقطة الثانية: الكلام عن «الأغاني» لأبي الفرج الأصفهاني:

هذا كتاب ألفه صاحبه وكان في التاريخ مشهورًا؛ يتسارع الناس والحكام والسلاطين والأدباء إلى اقتنائه، ومن قرأ سيرة وتاريخ هذا الكتاب يجد هذا المعنى -الناس يحبونه-، وذلك لأن صاحبه موسوعي في جهاتٍ متعددة، والكتاب مرجع لجانب من جوانب الحياة، فيها ما هو جيد وفيها ما هو سيء.. يعني مثلاً: جانب الغناء والموسيقى في تاريخ أمتنا.. هذا لا يمكن أن يُعرف هذا الجانب إلا من خلال هذا الكتاب خاصة -وحوله بعض الكتب، ولكن هذا الكتاب- وفيه جوانب جيدة تربوية مهمة.

ولما طبع الكتاب أول ما طبع في مصر اختلف الناس حوله، هناك من أراد أن يُنقي الكتاب مما فيه من أخبار، وللأسف إن بعضهم عنده حساسية من بعض الكلمات التي تقال في هذا الكتاب؛ وكتب الأدب فيها هذه العبارات، يعني لما تقرأ مثلاً كتاب أبي حيان التوحيدي -نسيت اسمه، من ثلاث مجلدات اظن- يعني فيه من العبارات التي يستنكرها الناس في الخطاب وفي الكلمة.. وكذلك هذا الكتاب «الأغاني» فيه أخبار تمجها الذائقة الإيمانية؛ فبعض الناس أراد أن يزيل هذه الأخبار، وبعض الناس رفض إزالتها، رافضًا لما يسمى -ما سميته أنا- القراءة الطهرية والكتابة الطهرية؛ وأنا مع الذين يرفضون الإزالة، يجب أن يبقى الكتاب كما هو.

والناس ليسوا بهذه الهشاشة من أجل أن تفسدهم هذه الكتب، انظروا للأسف، هذا الكتاب لما طبع كان هناك معه نشوء السينما المصرية العربية، انظروا إلى السينما المصرية القديمة، سينما قذرة، وسينما عاهرة، وسينما فيها الفساد، فيها القبل، فيها اللباس غير الساتر، موجود هذا، فمن شهد تلك الفترة يعرف هذا، ومن قرأ عنها يعرف أن الناس يعترفون أن الفسوق في داخل السينما في أول خروجها أكثر من الآن، ولست خبيرًا في هذا الباب لا قديمًا ولا جديدًا، وإنما أقرأ.. أقرأ ماذا يقال عن هذا وعن هذا.. لأني ابن وقتي.. فلا بد من أن أطلع على ما يقوله الناس في جوانب الحياة المختلفة.

فيعني الآن وقف هذا الدين فقط على كتاب «الأغاني» وأما هذا الكتاب فمتروك!! يعني هشاشة الوقوع في المعصية أن يقرأ الرجل كتاب «الأغاني» ليسقط في المعصية فقط!! هذا غير صحيح، ولذلك أنا ضد هذا تمامًا.

الكتاب -كتاب «الأغاني»- نفر منه العلماء تنفيرًا مصيبًا، ما قاله ابن الجوزي عنه: بأن من قرأه -هذه النقطة.. هذا معنى كلام ابن الجوزي.. هذه حقيقة.. هذه هي التي أنا أقر وأرى أنها مهمة.. حين يقرأه المرء.. كما أنني ذكرت ذلك عندما نقرأ «البداية والنهاية».. أنا قرأت البداية والنهاية قراءة ثلاث مرات تقريبًا قراءة شاملة من أوله إلى آخره؛ فلما تخرج من الكتاب تصاب بصدمة.. وكأن تاريخ هذه الأمة هو تاريخ الملوك وما فيه من قتل وعزل واغتيال وغير ذلك.. وأين جانب الأمة الآخر؟! فأنت حين تقرأ «البداية والنهاية» في هذا الجانب، ينبغي أن تقرأ معه «سير أعلام النبلاء»، ينبغي أن تقرأ «سير العباد».. «التوابين» وهكذا.. لتعرف أن الحياة كانت في أغلبها ليست هذه الصورة التي فيها، فلان قتل فلانا.. الحاكم خرج على فلان.. وخاصةً في العصور المتأخرة.. والكتاب حين تقرأه يبقى أثره النهائي أكثر من مسيرته الأولية والوسطية فيه.

فأكبر مفسدةٍ في كتاب الأغاني واستغلها العلمانيون: أنه يبيّن الصورة للمجتمع الإسلامي في جانبها المظلم.. وهو جانبٌ موجود.. الطرار، المغنين والمغنيات، الفسقة، وو... الخ.. موجود هذا الجانب؛ ولكن أن يجمع في كتاب بهذا الاتساع، بحيث إذا قرأه المرء فهم أن المجتمع القديم كله على هذه الصورة وعلى هذا النسق.. فهذا خطأ.

هذا جانبٌ موجود كوجود المزبلة.. المزبلة في كل حي.. لو أن رجلاً تكلم عن مزبلة الحي الفلاني، فجاء القارئ فظن أن الحي كله مزبلة!! فيخطئ في التقدير.

فعلى المرء أن يقرأ «الأغاني» -إذا قرأه، ولست ناهيًا أحد عن قراءته- أن يقرأ ما فيه، ولكنه عليه أن يقرأ معه الجوانب الأخرى من الحياة.

العلمانيون استغلوا هذا الجانب وقالوا: أنتم تعظمون مجتمعًا وتاريخًا كانت هذه حياتهم فقط.. تعظمون مجتمعًا وتاريخًا هذا شأن الحكام فيهم.. الصراع السياسي وو... إلخ، أين الجهاد؟! أين العلماء؟! أين العباد؟! أين المصلون؟! أين المساجد؟! أين القراء؟! أين المحدثون؟! أين؟ أين؟!... هم الحياة، هم الحياة.

فلذلك هذا الكتاب -مع الجانب الأول الجانب الأدبي- يكشف لنا صورة من صور الحياة، وهو مهم من الجانب الآخر -كما أن العلمانيين يجعلون هذه جزئية صورةً كاملة، كذلك هو مهم من جانبٍ آخر-: حين يأتينا شيخ فيريد أن يجعل الأمة كلها في عبادتها كإبراهيم بن أدهم، أو كرابعة العدوية، أو كبشر الحافي، حتى تقوم من أجل مقاصدها في رد العدوان عليها.. يريد أن يجعل كل الناس محدثين!! وكل الناس على درجة فقه الشافعي وفقه ابن تيمية!! لا، هذا غير صحيح.. الحياة كان فيها هذا وهذا، وفي كل زمنٍ كان فيها هذا وهذا.. وكانت الأمة إذا استنفرت؛ نفرت، وإذا استحثت؛ قامت وحققت النصر، مع التوبة والإنابة وغير ذلك.. هذا جانبٌ مهم كذلك أن نفهمه في الحياة، يكفي هذا.

والحمد لله رب العالمين.

١٠٤- رأي الشيخ بكتاب «مدارك النظر» لرمضاني

ضمن الجلسة الحادية عشر، السؤال الرابع بعد المئة، بتاريخ: (٨/٠١/١٤٣٩هـ **الموافق لـ: ٢٨/٠٩/٢٠١٧ م)**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: شيخنا المقدام -جزاك الله خير- هل اطلعتم على كتاب المرجئ الرمضاني «مدارك النظر»، يلزم الرد فيه عليكم، وسؤالٌ آخر نؤجل السؤال لأن لا اجتماع بينهما.

الجواب: كتاب عبد المالك أظن أو عبد الملك الرمضاني الجزائري، له كتاب «مدارك النظر» في الرد على من تدخل في السياسة من المشايخ خلاف ما قررته الحكومات، وما قررته الهيئات العلمية المزكاة من الحكومات وفاض فيه وزاد فيه وبدأ الكتاب يتضخم، ولم يترك أحدًا إلا تحدث عنه، ولا أذكر أنه ذكرني فيه، وله كتابٌ آخر في الرد علي، بخصوص فتوى جواز قتل الذرية والنساء درءًا لقتل المجاهدين والإخوان، أو هكذا العنوان، فألف كتابًا كبيرًا فيه السب والطعن، وأما كتاب «مدارك النظر» لا يذكر أنه ذكرني فيه، إنما ذكر مجموعة من المشايخ الذين كانوا يسمون في وقتٍ من الأوقات بالإصلاحيين، أو علماء الصحوة ومشايخ الصحوة، فرد عليه.

والكتاب فاسد ومنحرف عن الجادة وفيه الظلم والافتراء وفيه للأسف الدفاع عن الطواغيت وعن مؤسساتهم العلمية التي ترقع وراءهم، والحمد لله هو كتابٌ الآن يعني كأنه غيض في بئر؛ لعدم قيمته، لما خرج بلا شك أنه يرد على فلان وفلان من المشايخ الكبار، فصار له تسويق وصار يُطبع مجانًا ويوزع في البلاد، وأنا في أوروبا خرج الكتاب ورأيته يوزع مجانًا، وكذلك الكتاب فالرد علي يوزع مجانًا، لكن من يسمع بهذا الكتاب الآن؟!

ذهبت هذه الكتب وذهبت قيمتها وذهب رجالها؛ لأن الواقع تجاوزهم، الناس الآن كانوا يتحدثون عن الإصلاح والرسائل التي ترسل إلى حكام الإصلاح، أما اليوم ظهر من هم الحكام وصار الإصلاح عسيرًا بعيدًا عن المنال، ولم يبق إلا حلٌ واحد، وهو حل الجهاد ضد هؤلاء الحكام، فلذلك يعني هذه الكتب موسمية، يصبح لها الشهرة، والإعلان لها، والدعاية لها في وقتٍ من الأوقات... فبعد مدة لأنها.. ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧].

فهذه كتب ذهبت ولا قيمة لها ولم يعد الناس يهتمون لها ولا لأصحابها، ونسأل الله أن يرحمنا برحمته ونسأل

الله أن يستعملنا وأن لا يستبدلنا، فقط هذا، والكتاب بلا شك أنه كتابٌ ظالم، جاهل، فيه دفاع عن الحكام الطواغيت -راضيٍ أو لم يرضى- بل هو يقرر أن هؤلاء الحكام على قاعدة هؤلاء الذين يقولون أن هؤلاء الحكام الذين يحكموا بغير الشريعة ويشرعون على غير منهج الله وعلى غير القرآن والسنة أنهم مسلمون وأنهم أهل صلاح ويريدون الدين، وقد ثبت أن هؤلاء ليسوا من الدين في شيء، وإنما هم زنادقة ومن يدافع عنهم إنما هو جاهل أو مرتزق، والحمد لله رب العالمين.

١٠٥- رأي الشيخ بكتاب أحداث آخر الزمان لمجموعة كُتّاب مغاربة

ضمن الجلسة الحادية عشر، السؤال الخامس بعد المئة، بتاريخ: (٨/٠١/١٤٣٩هـ **الموافق لـ: ٢٨/٠٩/٢٠١٧ م)**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: عن كتابة مجموعة من المغاربة ينتهي اسمهم بالْمُغربي، محمد وأحمد وعليّ وحمزة الْمُغربي، كتبوا كتابًا عن أحداث آخر الزمان وعن علو بني إسرائيل، وعن ابن عبد الوهاب، ومحمد بن سعود إلى غير ذلك.

ولما قرأت كتابهم هذا وعن ماذا يتحدث؟! فذهلت بمقدار الضلال الذي فيه!! ذهلت في الحقيقة وعجبت أن بعض الأمة يمكن أن يغتر بمثل هذه الكتابات!! الطريقة التي اعتمدها هؤلاء الجهلة، وجهلة بكل معنى الكلمة أنهم اعتمدوا حساب الجمل والحروف، طبعًا في البداية عظموا رقم تسعة عشر على الطريقة المشتهرة قديمًا في تفسير القرآن الرقمية، وبغض النظر عن كثرة ما وقع فيها من أخطاء وغلو وانحراف، ولكنهم جاءوا إلى طريقة غريبة جدًا وهو أنهم يجمعون حروف وحسابات الحروف لكلمة ما ويجعلون تفسيرها ما عادلها من الحساب.

فمثلاً: جعلوا كلمة بني إسرائيل أو بنو إسرائيل جعلوها تعادله في الرقم الحسابي بن سعود وبن عبد الوهاب، لماذا لم يضعوا ألف لابن سعود وابن عبد الوهاب؟ لأن الأصل أنه إذا ابتدئ بـ بن أن يوضع ألف، لماذا لم يضعوا الألف؟! لأنه لا يتم الحساب.

القصد: أن هذه الطريقة من أرقام الحروف هذه طريقةٌ لا تمت إلى العربية بصلة، ولم يعرفها الصحابة رضي الله عنهم ولا العرب قبل الإسلام ولا عرفها التابعون ولا تابعوا التابعين لم يعرفوا هذه الطريقة، هذه طريقةٌ يهودية، ثم أخذها السحرة، أخذها السحرة فكتبوا فيها ما كتبوا من النُشرة وكتبوا فيها من الرقى الشركية، وأخذوا منها ما يستطلعون به الغيب، فلان هل ينفع يتزوج فلانة؟! ومتى يموت فلان؟! ومتى تقوم الساعة؟!

وأول ما ظهرت أن بعضهم أراد أن يعرف وقت الساعة عن طريق حساب الجمل، ونبه علماء التفسير أن هذا هو فعل اليهود.

فالقرآن لا يفسر بهذه الطريقة، القرآن نزل قرآنًا عربيًا، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ [الرعد:

٣٧]، وقال تعالى: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (١) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ١-٢]، قرآن عربي؛ فتفسيره بتفسير البيان العربي، الكلمة ليس بحساب الجمل هذه «ألف، باء، تاء، ثاء» ترتيبها بهذه الطريقة ترتيبٌ محدث، وأعدوا الألف رقم واحد واثنين وثلاث ثم بعد العشرة يبدأ مائة ومئتين.. هذه طريقة مُحْدثة وبدعية وضالة فيمكن للمرء أن يأتي إلى أشرف الاسماء ويجعلها قرينة في العدد ومساوية للعدد في أخس الأسماء نعوذ بالله، يعني يمكن أن أخذ اسمًا من أسمائهم محمد وأحمد وحمزة الْمُغربي فيجعله عديلاً للشيطان كلمة لإبليس والشيطان وعدو الله، فأجمع، هذه طريقةٌ ضلالية لا يُعرف الرجال والناس وأحكام الناس، وما هم فيه من الدين أو عدم الدين إلا بوقائعهم وسلوكهم وأعمالهم واعتقادهم.

أما بهذه الحسابات هذه الحسابات ضالة، تفسير القرآن بهذه الطريقة كفرٌ بالله، لأنها ناقضٌ لإجماع الأمة في طريقة تفسير القرآن، القرآن يفسر بعضه بعضًا، تفسير القرآن بالقرآن ويفسر بالسنة ويفسر باللغة، أما أن يفسر بحسابات الجمل، وبعد ذلك يتفلسفون فلسفة كبيرة، لماذا ورد في القرآن بني إسرائيل ولم ترد بنو إسرائيل؟ هذا موضعها من جملة يا جهلة موضعها من الاعراب، لماذا لم توضع ولماذا وضعت؟! هذا جهل عجيب في هذا الباب! من أجل أن يتوافق الرقم، قال: إنما جعلت بنو إسرائيل وليس بني إسرائيل ليتوافق الرقم معها مع الشيطان أو معها مع ابن سعود.

للناس أن يتكلموا في دعوة الأنوار ما يتكلمون، لهم مخالفون لها من المسلمين، وهناك من أحسن الظن بها، وهناك من أساء الظن بها، هناك من حكم عليها بأنها سنية ثم تراجع، هناك من حكم عليها بأنها بدعية ثم تراجع، والنظر إليها باعتبار ما ينظر المرء إليها ديانةً، أما بمجرد الحساب هؤلاء جهلة، وهذه الطريقة في تفسير القرآن كفرٌ وردة عن دين الله؛ لأنها مخالفة للإجماع في طريقة تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن باللغة، أما تفسير القرآن بالحسابات! هذه طريقةٌ لا تعرف من كلام العرب وضالة ومنحرفة علينا أن نتقي الله عز وجل.

واستطلاع الغيب بحساب الجمل هي طريقة اليهود، طريقة استطلاع الغيب ماذا سيكون بحساب الجمل والأرقام ماذا يكون في السنة الفلانية، وهذا الرقم يعادل خمسة، ورقم ستة... هذه طريقة اليهود لا يجوز اعتقادها، والناس يختلفون في قضية عدد الحروف التي يستخدمها البعض، أما أن يستخدم معرفة الغيب بهذه الطريقة، هذه طريقة جاهلة لا تعرف، ولم تظهر أصلاً في الصدر الأول ولا في الذي يليه، في خير القرون، لم

تظهر هذه طريقةٌ مبتدعة، التي لا يستخدمه أحد إلا السحرة واليهود.. ونسأل الله عز وجل العفو والعافية فلا يلتفت إلى هذا الكلام والحمد لله رب العالمين.

١٠٦- ما حكم الجزم بخلود الكافر المعين في النار

ضمن الجلسة الحادية عشر، السؤال السادس بعد المئة، بتاريخ: (**٨/٠١/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٢٨/٠٩/٢٠١٧ م**)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أحسن الله إليكم شيخنا، -وأنا أقول: أحسن الله إليكم أخي العزيز- ما حكم الجزم بخلود الكافر المعين في نار جهنم خصوصًا إذا كان هذا الكافر رأسًا من رؤوس طواغيت العرب المرتدين؟

الجواب: بغض النظر عن تخصيصه بقوله: إذا كان هذا الكافر رأسًا، فإن المسألة لا تختلف، سواء كان رأسًا من رؤوس الطواغيت أو كان كافرًا ليس رأسًا من الرؤوس الكافرة، فأنا أعجب أن يوجد فيها الخلاف اليوم خاصةً ممن انتسب لأهل السنة!! مما انتسب لأهل السنة وكان على منهج أهل سنة!! نعم، هناك من توقف في أعيان الكفار إذا ماتوا.

ولكن كتب أهل السنة في هذا الباب واضحة وبيّنة، وفي كتاب «الإيمان» لأبي عبيد القاسم بن سلاّم بيّن أن التوقف في كفر الكافر يوم القيامة، الكافر الذي يموت كافرًا في الدنيا وقد أقيمت عليه الحجة بخلاف اصحاب الفترة، نتحدث عمن حكمنا عليه بالكفر في هذه الدنيا، وقد أقيمت عليه الحجة الرسالية، فبيّن أن أهل السنة لا يختلفون أبدًا في الحكم عليه بالخلود في نار جهنم، لا يختلفون.

وعجبت أن بعض المعاصرين ممن ينتسبون إلى أهل السنة يتوقف في هذا الباب!!

الرجل أو المرأة إذا مات كافرًا وحكمنا بكفره في الدنيا فيجب أن نجزم أنه في نار جهنم يوم القيامة، ولا يجوز أن نتوقف فيه إلا أن يكون من أهل الفترة أو يكون مجنونًا أو يموت يعني لمن يحكم على أطفال الكفار بأنهم على آبائهم فهنا يعذروا يوم القيامة وعلى الصواب لهم أعذارهم يوم القيامة.. كالمجنون الذي لا يفهم الخطاب إذا خُطب به فهذا غير مكلف لسقوط التكليف عنه، وأهل الفترة الذين لم يصل إليهم خبر نبيٍ قط، وكذلك الذي يموت صغيرًا، والصواب أن أولاد الكفار فيهم خلاف والأغلب أنهم من أهل الجنة، (**سألت ربي اللاهين من ذرية البشر ألا يعذبهم، فأعطانيهم**)، وقول أبي الحسن الأشعري الذي نصره ابن تيمية على أنهم

يمتحنون يوم القيامة، ويفتنون؛ فإن أصابوا دخلوا الجنة وإن أخطأوا دخلوا النار.

وأخطأ من قال بأن أولاد الكفار في جهنم تبعًا لآبائهم؛ لحديث (**اقتلوهم فإنهم منهم**)، فهذا في الأحكام وليس في الخلود في جهنم، وليس في الآخرة.

القصد: أيها المسلم حين تحكم على رجل أنه كافر وقد بلغته الحجة الرسالية بغير ما ذكرنا لوجود هذا الشرط؛ فإنك يجب عليك أن تحكم أنه خالد في جهنم خالدًا فيها أبدًا، أما أن يتوقف فيه؛ فهذه بدعة، قالها من قالها من المعاصرين وغيرهم، وأما قول أبي جعفر الطحاوي رحمه الله: ولا نحكم لأحدٍ بجنةٍ ونار، فهذا المقصود به أهل الإسلام، أي أنه يعذب أو لا يعذب؟ هل عنده معاصي باطنية خفية يعذبه الله عز وجل عليها أم يعفو عنه؟ فهذا فقط لأهل الإسلام وليس لغيرهم، وعدم القول بهذا خروجٌ عن السنة، وهذا قولٌ من أقوال الإرجاء.

للأسف كما فعل بعضهم حين جعل مثلاً: جنود الطاغوت كفارًا وسماهم كفارًا في الدنيا ثم لم يلزم بخلودهم في جهنم فهذا قول أهل الإرجاع في هذا الباب، وارجعوا إلى نص أبي عبيد القاسم بن سلام في كتابه «الإيمان»؛ فهو يبّين ما عليه السلف في هذا الباب ولا يختلفون فيه، الاختلاف حادث ومتأخر ولا عبرة به ولا قيمة له، والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين.

١٠٧- حكم الهدنة التي عقدتها حكومة غزة مع اليهود

ضمن الجلسة الحادية عشر، السؤال السابع بعد المئة، بتاريخ: (١٤٣٩/٠١/٨هـ **الموافق لـ: ٢٠١٧/٠٩/٢٨ م)**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: ما حكم الهدنة التي عقدتها حكومة غزة مع اليهود؟

الجواب: لا أعلم أن هناك هدنة -بالمعنى التام لما يسمى هدنة- بين حماس وبين اليهود، وربما هناك كما يُسمى إيقاف إطلاق النار بشيءٍ من التفاهم الواقعي، وإن كانت هذه الهدنة تُنتقض مرات من قبل اليهود، ومن قبل بعض ممن يطلق الصواريخ على اليهود.

بلا شك أنه يجوز عقد الهدنة المؤقتة لأسباب وبتقديرات سياسية للإمام، حتى لمن يحتل بلادنا، ونحن نرى في تاريخ صلاح الدين مثلًا أنه كان يعقد الهدنة مع بعض الصليبيين ليتفرّغ لغيرهم؛ لأن الصليبيين ليسوا كتلةً واحدة، وكانوا على عداء بسببٍ قومي وبسببٍ ديني فيما بينهم، ولذلك كان يعمل في تفريق الناس من أجل أن يحقق المصالح؛ فيمكن في ظرف من الظروف أن يرى القائد المسلم تحقيق هدنة مؤقتة أو هدنة مطلقة غير مؤبّدة -على خلاف، لكن هذا هو الصواب، والذي عليه الأئمة الأربعة- من أجل مصالح شرعية، ومن أجل مصالح الأمة لأسباب معيّنة.. وهذا يُقال للمسلم.. ولا يُقال للمرتد، ولا يُقال لمن هو يهودي الهوى، ولا يُقال لمن كان حاكمًا وهو أصلًا ممن ساعد وأعان على إقامة دولة يهود وإزالة الموانع في إقامتها.. لكن الحديث يدور حول ما تقوم به جماعة حماس في غزة من مصالحات داخلية.

في الابتداء: هناك تقديرات.. السبب هو التقديرات؛ يعني لا يجوز أن نحمل هذا الفعل على مسألةٍ عقدية.

من الأخطاء التي وقع فيها ميثاق حماس، وهذا من قبيل النصح.. أنا أعرف أن بعضهم إذا جاءت النصيحة من غير حزبه نفر منها ولم يأخذها واتهم قائلها، ولكن نحن نقول هذا الكلام لله عز وجل.. نحن نحب المسلمين، ونتمنى أن ينتصر المسلمون على اختلاف أحزابهم وطوائفهم وجماعاتهم المسلمة، نحن نحب أن ينتصروا، وأن يحكموا، وأن تتحقق إقامة الشريعة على يد من أكرمه الله عزَّ وجلَّ.. كائنًا من كان، والذين نعاديهم في هذا الزمان إنما هم العلمانيون والزنادقة، الزنادقة: الطوائف الكفرية التي تعيث فينا فسادًا، كالروافض وغيرهم،

والعلمانيون والليبراليون، الذين هم كفروا بالله عزَّ وجلَّ، وعملاء للشرق وللغرب.

ابتداءً: حماس لم تحدد موقفها -هذه النقطة الأهم في الموضوع- لم تحدد موقفها العقدي من التنظيمات العلمانية التي رفعت شعار تحرير فلسطين، وهذا صنع كثيرًا من الخطأ والتصرّفات غير المهدية، يعني لو رفعوا الحكم الشرعي وهي -أي حماس- جماعةٌ مسلمة ومنطلقها الإسلام، فأعمالها التي تقوم بها محكومةٌ بحكم الإسلام؛ فكان ينبغي في هذا الباب أن تعلن موقفها الشرعي ممن تبنَّى غير الإسلام دينًا في القضية الفلسطينية.

وهذه التنظيمات كلها -التي تُسمى بمنظمة التحرير- كل هذه التنظيمات التي رفعت شعار تحرير فلسطين، واتخذت إما العلمانية وإما اليسارية دينًا.. فهذه جماعاتٌ كافرة مرتدة؛ لأنها اتخذت دينًا غير دين الإسلام، كان ينبغي على حماس أن تبيّن هذا.. وبعد ذلك حين تتصرّف سياسيًا مع هؤلاء يفهم الناس أن تصرّفها سياسي، وليس لخللٍ في الاعتقاد.. وحماس إلى الآن لم تعلن هذا.. وهذا يصنع في الحقيقة تصرّفات سيئة وغير مهدية في الجماعة وفي الأفراد.

فهنا الجانب العقدي يجب أن يكون بيّنًا واضحًا صريحًا لا لبس فيه.. الجانب السياسي تدخل فيه المصلحة.. الاعتقاد لا يدخل فيه المصلحة.. الاعتقاد هو أمرٌ مطلق.. أحكام من هو مسلم، ومن هو كافر؟ أحكام الذي يدين بالإسلام والذي يدين بغير الإسلام.. إلخ؟ هذه ينبغي أن تكون بيّنة، وأن يُبنى عليها الأفراد والجماعات.

هنا بعضهم يظن أن هذا الكلام هو انحيازٌ لجماعات أخرى.. هناك جماعات ترفع كلام العقيدة، لكنها في واقع الأمر على مثل طريق حماس.. يعني في سؤالٍ سابق، عندما نتحدث عن جماعة سلفية تقول: إن المهم هو الاعتقاد.. أين اعتقادكم في العلماني؟! أين اعتقادكم فيمن لا يدين بالإسلام؟! أين اعتقادكم فيمن والى أعداء الله؟! فحتى أنتم -يعني حتى الجماعات التي تُسمى بالجماعات العقدية أو السلفية، التي ترفع راية الاعتقاد- في واقع الأمر على طريقة حماس في هذا الباب؛ ولذلك لا يتخذون موقفًا من الحكام العلمانيين.. لا يتخذون موقفًا شرعيًا من الدساتير العلمانية ومن التشريعات الكافرة.. لا يتخذون موقفًا صريحًا.. ولذلك هم يصبحون أولياء لهؤلاء الطواغيت.. أنا أتكلم عن هذه الجماعات التي ترفع راية العقيدة على أسسٍ -للأسف- ضيقة وغير مطّردة في حياتها.

أعود لجماعة حماس.. فإذن علينا أولًا: أن نحدد الموقف العقدي من الناس، وبعد ذلك يأتي دور الجانب السياسي المربوط بالمصلحة.. وأعمال الإمام منوطةٌ بمصلحة الأمة.. فهذا الذي نقوله.

النقطة الثانية وهذه تتعلّق كذلك بحماس: أن الخطأ الأكبر لحماس والذي جرَّ بعد ذلك الأخطاء ورائها، وهو قضية الدخول في واقع أوسلو.. هم رفضوا أوسلو كمبدأ، لكن حين دخلوا في الانتخابات إنما تعاطوا واقع أوسلو؛ وبعد ذلك كل الأخطاء التي وقعت فيها حماس وجرَّت سلسلة من الأخطاء –والخطأ جاء بخطأ وهكذا– إنما هو الدخول في جوف أوسلو.. التعاطي مع أوسلو.. واقع ما صنعه أوسلو.. هذا هو الأمر.. هذه هي النقطة.. بعد ذلك، نعم، وقعوا في أخطاء، لكن هذا هو المبدأ.

وبعض المسلمين –وهذا خطأ يمارسه للأسف كثير من المسلمين– بعض المسلمين يظن أن الفرصة مواتية لأن نحقق مصلحةً من خلال الطاغوت، كمن يدخل الانتخابات مثلًا: بعيدًا عن الموقف الشرعي.. لكن أتحدث عن الموقف السياسي.. كما تتعاطى هذه الجماعات في أعمالها في مثل هذه المواقف، يقول: إذا لم ندخل فات الإسلام!! وانظروا.. من أربعين سنة وهو يُضحك على جماعات الإسلام السياسي في كل مرةٍ.. وهم يضحكون به على الأمة.. يقولون: إن لم تدخلوا فاتت المصالح!! والإسلام قادم في هذه المعركة!! وإن لم تدخلوا ذهب الإسلام وذهبت مصالح الإسلام!! كم جرَّبنا في الأردن.. وجرَّب الناس في العراق.. وجرَّبوا في مصر.. وفي كل مرةٍ يدخل المسلم في سبيل المجرمين من أجل أن يحقق الإسلام يظن أن هذه المعركة التي تحقق له النصر، وبعد ذلك يثبت الفشل والخطأ.. ونرجع مرات، نرجع سنين طويلة إلى الخلف!! هذه قضية للأسف جماعات العمل السياسي لا تهتم بها، والتجارب لا يهتدون بها.

ولذلك المطلوب هو: هجر سبيل المجرمين.. أوسلو سبيل المجرمين؛ كان ينبغي هجره والتعاطي معه بالرفض والإنكار، والبقاء على ما نحن عليه.. نبني أنفسنا بناءً تامًا صحيحًا.

النقطة الثالثة في موضوع حماس، وهي قضية غزة: «من ركب فرسين شُبق ظهره» الذي يريد أن تبقى رجلٌ له هنا ورجلٌ له هنا؛ هذا في النهاية لن يصيب الموطن الأول ولن يصيب الموطن الثاني.. وهذا الذي وقعت فيه حماس.

عندما علمت – وكان فعلها صائبًا من جهة سياسية.. كان هو الأرقى في هذا الفعل، وهو أنه سيكون

هناك النحر والذبح لحماس الذي كان قد خُطط لها من قبل دحلان صاحب بناية السفينة المعروفة في غزة، فإنها قامت بالمسارعة للسيطرة على غزة، فسيطرت على غزة.. السيطرة على غزة كان فعلًا لا يخضع تمامًا لأي اتفاقات، ولا لأي سقف.. يعني لم يأخذوا غزة ضمن أوسلو، ولم يأخذوها ضمن اتفاق مع الخصوم ولا بلعبة سياسية.. فرض الأمر الواقع.. مجابهةً لتسونامي لإعصار قادم يريد تدميرها ووضع أفرادها في السجون وبدء ملحمة، كما فعل السيسي في رابعة، وكما فعل عبد الناصر قديمًا، وكما فعل الطواغيت في سوريا.. إلخ، كانوا يريدون إبادة الدين في غزة من خلال ضرب حماس وغيرها.

أُخذت غزة وسقطت في أيدي حماس.. هذا الفعل كان ينبغي أن يُستثمر استثمارٌ تامًا.. مع أنه فعلٌ صحيح لكن الذهاب على مقدار هذا العطاء الإلهي لم يكن كافيًا.. من حق الناس أن يتكلَّموا.. أنا أعرف مقدار الحساسية.. وأنا يوم السبت سأتكلَّم عن كتاب «الإخوان المسلمين أحداث صنعت التاريخ» وأعلم تعصب الجماعات.. هذا شيءٌ خبرته من خلال مسيرتي.. يعني الإخوان المسلمون من أكثر الجماعات تعصّبًا لأحزابهم.. يحتاجون غيرهم من أجل أن يدخل معهم خادمًا لهم، فإن لم يكن كذلك نبذوه ولم يعملوا معه!! بل هم على استعداد أن يعملوا مع العلمانيين بهذا المعنى ولا يعملوا مع المسلم الذي يريد أن يجلس معهم جلسة المكافئ لهم!! فالتعصب موجود -كما في الفقه الجديد، وكما في الجماعات الأخرى هناك تعصب- الإخوان المسلمون من أكثر الناس تعصبًا، ولا يحبون لأحد أن يقترب منهم لا نقدًا ولا نصحًا ولا قبولًا.. وهذا شيء نعرفه من أفرادهم وتنظيماتهم وأحزابهم وقادتهم.. وهذه هي مصيبة الأمة المسلمة.

فأعود وأقول: إن العطاء الإلهي لهم بالسيطرة على غزة، عطاءٌ إلهي للأسف أبقوه على المعنى الأول، وهو معنى أنهم جماعة سياسية أخذت انتصارًا من خلال مسيرة الانتخابات ضمن معطيات ومخرجات أوسلو!! أنتم أخذتموها على وجهٍ من العطاء الإلهي.. بسطتم بالغلبة والسيطرة.. هذا عطاء إلهي لكم.. وبقيتم تتعاملون مع الواقع من خلال لعبة السياسة ومخرجات أوسلو!! هذا خطأ كبير.. أخطأتم وأدركتم الخطأ في الأولى.. أعطاكم غزة تعاملوا معها تعاملًا شرعيًا تامًا، وافرضوا واقعًا إسلاميًا تامًا على ما أمركم الله عزَّ وجلَّ، وبمقدار ما أعطاكم الله عزَّ وجلَّ، وعلى هذا الثمن.. الآن أنتم تدفعون ثمنًا كبيرًا يُحزن كل مسلم.. الآن أنتم في حالٍ سيء.. هل إعلانكم لدينكم ومبادئكم التي قمتم من أجلها، وهو إعلان فلسطين إسلامية، وليست وطنية، وليست قومية، وليست جهوية، وليست علمانية كما تريد التنظيمات.

أردتم إسلامية القضية وكذلك إسلامية الحكم بعد فتح الله عزَّ وجلَّ، مع الاختلافات الشديدة في هذا الباب، كيف يتم تحقيق إسلامية تحرير فلسطين؟؟ وكيف يحكمها المسلمون لا العلمانيون؟؟ يخرج اليهود فيأتي من هو أكفر من اليهود وأسوأ من اليهود في حكمهم لفلسطين، مع الخلاف في نظرتكم لهذا، لكن أنتم أعلنتموها إسلامية.. فأنتم أخذتم غزة، فلماذا لم تتعاطوا مع غزة تعاطيًا إسلاميًا تامًا خارج هذه الجاهلية التي تورطتم فيها في مخرجات أوسلو؟! لم تحسنوا التصرف.

ولهم تراكمات؛ هذه التراكمات أوصلت الناس، وأوصلت الجماعة إلى الحال الذي نحن فيه.. شيءٌ محزن.. لا نستطيع أن نبرر.. لكن يتفهم كل مسلم حال المسلمين، ليس حال حماس، بل ما وصل إليه الحال في غزة من الضيق والعنت والإجرام المجتمع من كل الدول عليها.. شيءٌ محزن ومؤلم والآن ليس وقت العتاب.. هذه كلمات فقط للمراجعة التاريخية.. نسأل الله سبحانه وتعالى أن يهدي الجميع وأن يوفق الجميع.

الآن وصل الحال في غزة إلى حالٍ مؤلم جدًّا.. أين تهربون؟! القدر لا يتغيّر لا بالنوايا الحسنة ولا بغيرها، قال تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣] ليس بالأماني.

بلا شك صار انفراج كبير وقت مرسي.. والآن جاء السيسي واليهود، والكل يتحدَّث عن المآسي، وهناك إخوة يكتبون ويتكلَّمون –وهم من أهل الصدق– على الحال الذي وصلوا إليه.. هربتم إلى دحلان في وقت من الأوقات لعل أن يكون فيه النجاة.. فالتفاهمات الدولية لا تعين في هذا المسار.. الآن أعدتم قضية فك الإدارة وإحضار جماعة عباس لتدير الحال في غزة!! يعني تراكمات تؤدّي إلى مصائب كثيرة في هذا الباب.. ليس هناك ثمة فرج قادم إلا بالفرج الذي يعم كل المسلمين.. هذه قضية مهمة جدًّا.. القضية ليست قضية فلسطينية هذه قضية المسلمين.. انظروا.. حين حدث انفراج في مصر –مع مجيء مرسي– تغيّر الوضع الإقليمي كليًا.. ليس في غزة وحسب، بل في كل الأماكن، وأي وضع يحيط بالمسلمين سيتأثر به أهل فلسطين وسيتأثر به بقية الدول.

ولذلك محاولة الحصر لوطنية فلسطين هذه لن تجدي نفعًا ولن تنفعكم، ومع علمي بأن تربية أبنائكم ليس بهذا، ليس بهذه الدرجة، هناك من المجاهدين هنا وهناك من أهل حماس لهم البصمات الطيبة في الجهاد في بلاد المسلمين والناس يعرفون، لم يعد هذا سرًّا.. والمخابرات في الدول يعرفونها وليس سرًّا؛ فيوجد الأثر، ولكن هذا ليدل على أن القضية الفلسطينية هي آخر حبات الدومينو في سقوط الطواغيت في المنطقة التي تؤدي إلى الفتح

في فلسطين.

ما هو المخرج؟؟ المخرج هو: ما ينتظره كل مسلم من إزالة الطواغيت، من تغيّر الوضع حتى يتم الفتح الإلهي.

قد يقول قائل: حتى يتم، ماذا نصنع الآن؟ الذي نصنعه الصبر.. الذي نصنعه التقوى، قال تعالى: ﴿اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا﴾ [الأعراف: ١٢٨]، هذا هو الوقت، لا نفتح لهؤلاء للإتيان مهما كان، الوقت هو الصبر، والنصر صبر ساعة، نحن في اللحظات الأخيرة فلا تعطوا الدنية لا لهؤلاء ولا لهؤلاء –لا لدحلان المجرم ولا لعباس المجرم– هؤلاء كلهم يريدون إرضاء أعداء الله عزَّ وجلّ، وهؤلاء ليسوا أولياء لله.. هؤلاء ليسوا حتى وطنيين، يعني حتى إنهم لا يعلمون لمصلحة بلادهم.. هؤلاء مرتزقة.. هؤلاء من أسوأ خلق الله.. هؤلاء حيوانات لا يروقها إلا الدم من بني أهلهم ومن بني جلدتهم!

أعلم أنكم أخبر مني بالسياسة، ولكم صلات مع سياسيين يتعاملون مع الوضع الدولي ويعرفون ما تحت الطاولة وغير ذلك، فإن كان للمرء أن يتكلَّم كلمات فيقول: اصبروا، اصبروا، لا تنحازوا لا لهؤلاء ولا لهؤلاء، فما هي إلا لحظات ووالله النصر قريب، لأن الله سبحانه وتعالى رحيمٌ بنا أكثر من رحمتنا بأنفسنا، ورحيمٌ بشعوبنا أكثر من رحمة الأحزاب السياسية بهذه الأمة.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم.

١٠٨- حكم مهنة المحاماة من أجل نصرة المظلوم

ضمن الجلسة الحادية عشر، السؤال الثامن بعد المئة، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠١/٨هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/٠٩/٢٨ م**)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل أخ يقول: حكم مهنة المحاماة من أجل نصرت المظلوم؟

الجواب: أصل المحاماة في فقه الشريعة والوكيل، وكيل الخصومة، أصلها في الفقه كانت موجودة وكيل خصومة أن يوكل الرجل وكيلاً له يخاصم عنه عند القاضي؛ إما لعجزه وإما لغيابه، الآن صارت المحاماة بصورتها الواقعة على شبه إجباري في القضايا الكبيرة، أن يوكل المرء محاميًا يدافع عنه حين يدافع عن عنه، يعني هناك جوانب بالحديث عن المحاماة بالتفصيل طويل، هناك بلا شك من أعمال محاماة ما هو شرك وكفر فيمن يريد أن يقرر الحكم الشركي والتشريع الكافر، وهناك ما هو حرام لمن يدافع عن الباطل، وهناك... وهكذا.

ولكن أتحدث هنا -فالسؤال مخصص وهذا الذي يهمنا- هذا المحامي المسلم الذي يدخل في سلك المحاماة ليدافع عن الحق ليستخلص الحق، الذي قلته أكثر من مرة إن كثيرًا مما يسميه الناس تحاكمًا ليس من التحاكم، التحاكم هو طلب الحكم للالتزام، أن يذهب المرء ليطلب الحكم، يختصم هو وفلان، فهو يقول: ربما الحق معك ولكن الحق لي فيذهب إليه ليقول له: قل لي دينك لالتزم به، فالمسلم يذهب إلى المفتي يقول له: قل لي دين الاسلام لالتزم به، هذا المسلم، وغير المسلم يذهب إلى العلماني، يذهب إلى التشريع الوضعي، يذهب إلى طاغوته إلى كاهنه، فيسأله عن حكمه ليلتزم به فهذا هو التحاكم، التحاكم هو الطلب الحكم من أجل الالتزام، أن يطلب الحكم للتعلم مثلاً، أن يطلب الحكم للمعرفة، لا، هذا ليلتزم به.

فالكثير من الصور التي نراها في واقع الأمر هي ليست من هذا المعنى فيمن يذهب إلى المحكمة، الذي نراه الأكثر هو من طلب الاستنصار، هو من الاستنصار وليس من التحاكم، الاستنصار أن تطلب النصرة من غير المسلم لينصرك على حقك، الحق لك، كمن يستغيث بالكافر من أجل أن ينجده من لص أو من سارق او من معتدي أو من صائل إلى غير ذلك، فهذا فرق بينهما.

والذي أعتقده أن عمل المحامي في الدفاع عن المسلمين المظلومين وفي إقرار الحق الذي يعتقده -أي دينه-

من أجل أن ينفذه في الأمر على هذا المعنى الذي ذكرته من الاستنصار؛ فهذا عملٌ طيب ومأجورٌ عليه، ولو أخذ الأجرة عليه ماديًا فله ذلك؛ لأنه يجوز للوكيل أن يأخذ الأجرة في هذا الباب، فهو وكيل الخصومة في هذا الباب، فلذلك هذا الجزء من عمل المحامي لا بأس به.

والبعض للأسف يزيد وأنا أعرف أن بعضهم يقول: لكن انظر فلان ماذا يفعل؟ لا أتحدث عن فلان، لا أتحدث عن شخصيات، أتحدث عن حالة، أتحدث عن أصل الحكم، أن المحامي المسلم الذي يدين بالإسلام ويرى أن هذه المحاكم طاغوتية ثم يذهب إلى هذه المحاكم ليستنصرها في دفع الظلم عن المسلم أو بيان براءة المسلم مما نسب إليه، أو تبرير عمل المسلم فيما قام به من جهةٍ شرعية فهذه أعمالٌ جائزة ولا شيء فيها وله الأجر إن شاء الله تعالى ويجوز أن يأخذ الاجرة.

بارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

١٠٩- حكم قيادة المرأة للسيارة

ضمن الجلسة الحادية عشر، السؤال التاسع بعد المئة، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠١/٨هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/٠٩/٢٨ م)**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: أتمنى من فضيلة الشيخ التعليق على مسألة السماح للنساء بالسياقة، وما أدلتهم بالمنع وأدلتهم بالسماح لأن شيوخ نجد كانت آراؤهم متشددة جدًا وقضية منع النساء من السياقة أكبر مسألة في مذهبهم، سخر منها في العالم الإسلام العالم كله.

الجواب: إنا لله وإنا إليه راجعون، هنا هذا له علاقة بسؤال الدعوة والدولة، يعني للأسف موضوع السياقة بعض أهل الفقه من أهل نجد من العلماء كان يحرمها بإخلاص دون النظر إلى موضوع الحكومة وكانت الحكومة تستجيب لأسباب سياسية ولأسباب اجتماعية، كما يقولوا كما يقولون.

فالشيخ ابن باز كان يحرم السواقة للنساء، وليس لأن السواق محرمة في ذاتها، ولكن للمفاسد التي يراها في قضية سواقتها، وكان بعض تلاميذه كالشيخ عبد الرحمن عبد الخالق يفسر منع الشيخ بأن المسافات طويلة في الجزيرة ولما يقع فيها من مفاسد من انقطاع والخِلوة أو السفر الطويل كان يفسر هذا حين يخالف الشيخ في قضية الجواز.

ولا يختلف أحد أن سياقة المرأة أن السياقة هو أمرٌ جائز، وأم سلمة رضي الله عنها طافت على الجمل يعني لو قِسنا السيارة على الجمل، طافت رضي الله عنها ورآها الناس على الجمل كما هو في الحديث الصحيح لما حجت مع النبي صلى الله عليه وسلم فساقت وطافت حول الكعبة على جمل.

فالسواقة ليست محرمة في ذاتها والحديث الآن ليس عن الحل والحرم، الحديث عن كيف تتغير الفتاوى والناس يستهزئون كيف تتغير الفتاوى بتغير رأي الحاكم، يعني أنتم لو كنتم تقولون: السياقة حلال، ولكن نمنعها لأسباب سياسية ولأسباب اجتماعية؛ لفهم الناس منكم أن الأمور تغيرت، ونمنعها لمنع الحاكم، الحاكم يرى أن من المصلحة الآن على ما نعرف من الخلاف حول من هو الحاكم أهو مسلم أو غير مسلم، فلو قال العلماء: بأن السواقة جائزة في أصلها ولكن الحاكم يمنعها، فنحن نمنعها لمنع الحاكم لها، لكان هذا، لكن أن يكون هذا

التشدد من العلماء على موضوع السواقة بجعله كالدياثة سواقة المرأة دياثة، وأنه حرام وجريمة ومعركة كبرى أن يقاتلوا عليها، فإذا جاء الحاكم في ليلةٍ وضحاها وأحلها؛ فتصبح حلال وتقوم هذه المؤسسة بالدفاع عنه، هذا هو المستنكر.

فالحديث عن حال وليس عن تغير فتوى، عن حال للأسف.. فهكذا يعاقب الله عز وجل، ولا أريد أن أتحدث أكثر مما تحدث به الناس ويشعرونه في نفوسهم، «أنا أريد أن أبيع الماء في حارة السقايين يعني!!» الناس يعني للأسف وقعوا في صدمة ليس إباحة وحل السواقة، وإن كان له وجه لأن هذه الدولة كانت تتمسح بالعلماء، بالرغم أنهم كانوا يقولون في بعض المواقف أن هذا موقفٌ اجتماعي؛ لأن الناس يستنكرونه ولا يريدونه ولا يحبونه فالحكومة تتبع رأي الناس ولا تتبع رأي العلماء، في بعض أقوالهم هكذا.

لكن ولا شك ان هذه الدولة ليست متقيدة بأحكام الشريعة، وهذا الباب ليس له دخل في الدين، هذا استجابة لمشايخ من أجل أخذ الغطاء الشرعي، ويمشون بهم فإذا سقط المشايخ وذهبت قيمتهم؛ تحررت الدولة من هذه السيطرة وبعد ذلك أطلقت لنفسها العنان في أن تقرر من التشريعات والقوانين ما تريد، هذا أمرٌ يثبت أن هذا النظام ليس له علاقة بالإسلام، ولا يقرر أحكامه لما يأخذ آراء المشايخ.

المسألة الثانية: أن المشايخ لا قيمة لهم وإنما هم ممسحة، مناديل يتمندل بهم الحكام، فينبغي على المشايخ أن يحترموا أنفسهم، لا يتدخلوا في هذه الأبواب إلا على وجه الحق، لا يقولون بحلال عندما يقرر الحاكم، ولا يقولون حرام عندما يحرم الحاكم، موضوع سواقة المرأة جائز، الأصل أن تكون جائزة، والعالِم عليه أن يبينها لا يأخذها كمعركة بينه وبين الناس ويخاصم حولها وثم هو يظن أن وراءه الحائط الذي يأخذ بقوله، فيظهر وإذا هو خيال وراءه لا يستند إلى شيء، على كل حال أظهرت هذه قضيتين:

أولاً: عدم التزام الحاكم بالشريعة.

ثانيًا: موقف العلماء من الحلال والحرام، وموقفهم من أحداث الأمة، فهذا الشيخ الذي كان يقول بأن حاكمه وترامب هما قطبا العالم في إحلال السلام!! من يصدقك؟! يعني هل ينبغي أن أعلق؟! هل تبلغ كلماتي ما بلغ الأمر في نفوس المسلمين بالنظر إليه؟! يكفيه هذا، والحمد لله رب العالمين.

١١٠- حكم مصافحة المرأة الأجنبية الكبيرة في السن

ضمن الجلسة الحادية عشر، السؤال العاشر بعد المئة، بتاريخ: (**٨/٠١/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٢٨/٠٩/٢٠١٧ م**)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: السلام عليكم -وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته- ما هو حكم مصافحة المرأة الأجنبية الكبيرة في السن؟

الجواب: لا فرق على الصحيح بين المرأة الأجنبية الكبيرة التي بلغت سن اليأس وليس للرجال فيها إربا وبين الصغيرة في السلام لا يجوز، وإنما الله عز وجل أباح للقواعد من النساء أن يتخففن التخفف الذي ليس فيه إظهار الزينة، من الألبسة المزركشة والمزينة، وليس معنى ذلك أن تكشف عورتها وإنما قضية تخفف في اللباس، ولم يجز الشرع الفرق بين الكبيرة والصغيرة في موضوع المصافحة، ومصافحة المرأة لا يجوز، وبعض المعاصرين لجهلهم فإنه أجاز المصافحة؛ لتضعيفه حديث (**لأن يضرب أحدكم بمخرزٍ في رأسه خيرٌ له من أن يمس يد امرأةٍ لا تحل له**)، فضعفه ونسي أن الشارع أمر بغض البصر.

فإذا أمر بغض البصر عنها، فتصور أنه كابن حزم رحمه الله ربما يمنع وإن كان لا يفعل ذلك، ولكن على أصوله يقرر أن قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾ [الإسراء: ٢٣]، لا يقتضي منه منع الضرب وإن كان الضرب ممنوع في نصوص أخرى عنده يعني هذا تبرئةً لابن حزم.

تصور ان الشارع يمنع أن ينظر المرء إلى المرأة، وأمر المؤمنين أن يغضوا أبصارهم كما في سورة «النور»، ثم بعد ذلك يأذن له أن يصافحها وهي شابة، وهذا يقوله هذا الجاهل المعاصر يقول: وهي شابة، فلذلك الشارع لم يفرق بين الصغيرة والكبيرة والنظر أدنى بكثير جدًا من المصافحة وأن يمس يدها وأن يمس لين يدها إلى غير ذلك من المصائب والطامات التي تلحق هذه المصافحة في هذا الباب.

بل كما تعلمون أن بعض الأحزاب أجاز أن يقبل الرجل المرأة الأجنبية لأن الشارع لم ينه عنها!! يعني لا ندري إلى أي درجة من الجهالة يصل هؤلاء الأمر!! والشارع أمرنا بغض البصر وأمر عدم الخلطة؛ فمن باب أولى عدم المصافحة في هذا الباب، وهو من قياس الأولى الذي لا يختلف فيه أهل العلم في باب، والنبي صلى

الله عليه وسلم قال: (**والعين تزني وزناها النظر**)، العين تزني وزناها النظر، فسمى مقدمة الشيء بتسمية ما يؤدي إليه؛ لأن النظر هو السبيل، نظرةٌ؛ فابتسامةٌ؛ فسلامٌ؛ فكلام؛ فموعدٌ؛ فلقاءٌ، كما قال شوقي.

كـــل الحـــوادث مبـــدأها مـــن النظـــر ومعظـــم النـــار مـــن مستصـــغر الشـــرر

فالقصد: من ذلك أن الشارع نهى عن ذلك بباب قياس الأولى، والمرأة الأجنبية داخلةٌ في هذا؛ فلا يجوز في هذا الباب، لا يجوز أن يصافح الرجل المرأة الأجنبية الكبيرة؛ لأن هذا المعنى بالنسبة للشاب والمرء يدرك من نفسه ومن الآخرين أن الشاب حين تفور شهوته لا يفرق بين الكبيرة والصغيرة.

والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين.

١١١- حكم الاحتفاظ بالصور بالكاميرا

ضمن الجلسة الحادية عشر، السؤال الحادي عشر بعد المئة، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠١/٨هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/٠٩/٢٨ م**)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: ما حكم الاحتفاظ بالصور -صور الكاميرا، كما يقول- وخاصةً صورة من مات، حيث لا يتم لزقها على الجدار، فقط الاحتفاظ بها؟

الجواب: الذي أعتقده أن صورة الكاميرا ليست من الصور المنهي عنها، وإنما شيءٌ آخر، حديث النبي صلى الله عليه وسلم إنما تحدث عن صور خاصة في زمانه، والتي فيها فعل البشر، وفيها شيء من المضاهاة، وهذا شرحته قديمًا في أن النهي عن الصور لما في ذلك من مضاهاة لخلق الله عز وجل، فيقال للمصورين يوم القيامة: اخلقوا ما صنعتم، أو ما صورتم، أو ما خلقتم، فهذا من باب المضاهاة؛ وأما هذه الصور المعاصرة التي في الكاميرا فلا تخضع لهذا المسمى ولا لهذا المعنى، لا اسمًا بما قاله الحديث ولا حكمةً لما أراد النهي عنه؛ ولذلك هذه الصور جائزة.

ولكن كذلك لا يجوز -قد يكون الشيء جائزًا، ولكن يراد به الشر ويراد به الباطل- ومن ذلك تعليق الصور على الحيطان وتعظيمها، فهذا لا يجوز.. هذا لا يجوز..

والناس بعد ذلك يدخل فيهم الشرك في هذا الباب.. يعني الكثير منهم يأتي يقف أمام الصورة، وعندما يغضب يحدث الصورة: انظر ماذا فعل أبناءك.. تقول الزوجة، أو: انظر ماذا فعل الناس بعدك.. فيتحدثون كأنه حاضر، وهذا من ذرائع الشرك والضلال؛ فلذلك تعليق الصور على الحوائط وتعظيمها لا يجوز.

أما هذا الذي سأل عنه وهو أن يحتفظ بالصورة في الكاميرا، سواء كان الصور المتحركة -الأفلام- أو الصور الثابتة على الأجهزة، فهذا ليس من التعظيم، ولذلك لا بأس به.

والله تعالى أعلم، والحمد لله رب العالمين.

١١٢- هل هناك عمل إذا وقعت فيه أذهب ثلثي الدين؟

ضمن الجلسة الحادية عشر، السؤال الثاني عشر بعد المئة، بتاريخ: (**٨/٠١/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٢٨/٠٩/٢٠١٧ م**)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله:

اخي يسأل: هل هناك عمل إذا قمت به ذهب ثلثا ديني؟ ما هو العمل ولماذا يذهب ثلثا دين الرجل؟

الجواب: لا يوجد إلا حديث واحد ذكره ابن الجوزي في «الموضوعات» وهو عند البيهقي في شعب الإيمان، «من تواضع لغنيٍ بسبب غناه ذهب ثلثا دينه»، يعني إذا تواضع له تواضع الذلة التي لا تليق به بسبب غناه مع وجوب هجرانه لمعصيته أو لضلاله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «من تواضع لغنيٍ لغناه ذهب ثلثا دينه»، وهذا الحديث لا يصح، حتى إن ابن الجوزي ذكره في «الموضوعات»، والحديث بلا شك أنه لا يصح وله روايات أخرى موقوفة على الصحابة ومن حديث عبد الله بن مسعود، هذا الحديث مرفوعًا في شعب الإيمان، والصواب أنه لا يصح هذا الحديث ولا يجوز اعتقاده.

والله تعالى اعلم الحمد لله رب العالمين.

١١٣- يدرس بكلية أصول الدين ويجيب برأي العلمانية!!

ضمن الجلسة الحادية عشر، السؤال الثالث عشر بعد المئة، بتاريخ: (**٨/٠١/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٢٨/٠٩/٢٠١٧م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: ندرس في كلية أصول الدين، ونضطر للإجابة في الامتحانات بما هو مطابق للموجود في المناهج المقررة من العقيدة الأشعرية لا بما نعتقده، وفي بعض المواد نجيب بما يطابق بعض مبادئ العلمانية التي نعتقد أنها من الكفر البواح، فهل في هذا مخالفة وإثم؟

الجواب: يعني في الابتداء أقول: لو أن المرء ترك هذه المعاهد لمعاهد أخرى فحسن؛ ولكنني أعرف أن المرء لا يكون أمامه إلا هذا الباب.. إلا أن يتعلم في هذه الجامعة، أو أن كل جامعاتها على هذا المعنى فيما لو أراد التعلم.

فابتداءً: هجر هذه الأماكن جيد لمن يستطيع، وأما من لم يستطع فلا بأس أن يدرس فيها.

يمكن للمرء -الآن نأتي إلى تعدد الصورة.. لا ينبغي في الأمور القدرية الجزم بأنه لا يمكن إلا أن تدخل من هذا الباب- يمكن للمرء أن يدخل من أبواب متعددة؛ يعني مثلاً: لو أنك أجبت.. مثلًا: بيّن ما قرره العلماء في ﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾، فأنت تجيب وتقول: ما قاله علماء الأشعرية في كتاب كذا وكذا: كذا وكذا؛ فأنت تبيّن ما قالوا، ولا تبيّن اعتقادك.

سألك مثلًا: ما هو القول في القرآن؟ عندهم هو: معنى نفسي قديم قائم بالذات.. فتقول: يقول صاحب «الجوهرة» -إن كنتم تقرأون «الجوهرة» لإبراهيم اللقاني.. «جوهرة التوحيد» بشرحها، سواء له أو لإبراهيم البيجوري- يقول صاحب الجوهرة: كذا وكذا.. يقول شارح الجوهرة البيجوري شيخ الأزهر: كذا وكذا؛ فأنت تنسب.. هذا مدخل من مداخل عدم الإثم، وعدم النسبة لنفسك.. يمكن أن تفعل هذا وأن تخرج من الإثم في هذا الباب.

أما موضوع -وأنا لأتعجب من هذا السؤال! - أن يقول: أنا أدرس في كلية أصول الدين وأجيب

بالعلمانية!! لا ينبغي هذا.. يعني هذا الاجتماع صعب.. يعني أنت تدرس في كلية أصول الدين، فكلية أصول الدين لا تقرر مبادئ العلمانية أنها كفر؟! فهذا عجيب!! ومع ذلك لو أنك في العلمانية.. لا يجوز لك بحال من الأحوال أن تجيب بما هو كفر، وأن يفهم السامع منك أن هذا اعتقادك.. لا يجوز.. هذا من الكفر الذي لا يجوز إلا بالإكراه فقط.. وهذا ليس من الإكراه.. هذه الحالة التي أنت فيها ليست من الإكراه.

ولكن أنت تجيب: تقول العلمانية كذا وكذا.. ويقول العلمانيون: كذا وكذا؛ ويفهم منك أن هذا ما يقرره فلان أو ما تقرره هذه العقيدة، وليس أنت.. يجب أن يفهم منك هذا؛ والله تعالى أعلم.

وللمرء في هذا الباب يعني مسالك كثيرة من عدم قول الباطل والالتزام به، مع أن الأفضل لك إذا كان هناك ثمة طريق أن تهجرها.

والله تعالى أعلم، والحمد لله رب العالمين.

١١٤- كلمة حق في سيد قطب

ضمن الجلسة الثانية عشر، السؤال الرابع عشر بعد المئة، بتاريخ: (**١٥/٠١/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٥/١٠/٢٠١٧ م**) (١)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: شيخنا، ما هو الرد على من يكفر السيد قطب رحمه الله بمذهبه القديم، ونبذة عن مراحل حياة سيد قطب؟

الجواب: أول شيء، يعني هذا رجل -سيد قطب رحمه الله- إشراقة من إشراقات الإيمان في هذا العصر، وجاء على قدرٍ عظيم في بيان بعض ما حاول العلمانيون وبعض من تأثر بهم من المسلمين في قضايا كثيرة أن تُطمس فأثارها وأنارها وبين معالمها عليه رحمة الله.

هذا الرجل مرَّ بأطوار متعددة ولا شك لحال بلده الذي يعيش فيه، ففي الفترة الذي كان فيها كان هناك صراع بين الهوية الإسلامية وبين التغريب، كان هناك صراع بين الإسلام والاشتراكية، كان هناك صراع بين الإسلام الحقيقي والإسلام المزور، الذي يُتبنى أمريكياً، ويُتبنى غربياًن ويُتبنى زندقة، كان هناك سيطرة في زمنه عليه رحمة الله على وسائل الإعلام من قبل العلمانيين في الفكر والأدب، وكان هناك ثمة ضعف في بيان في أهل الهوية الإسلامية مع جهادهم العظيم في تثبيت معالم الإسلام من قبل أشخاص لابد أن يُذكروا بالخير والمحبة.

فسيد قطب رحمه الله نشأ في هذه الظروف، نشأ في القرية على طريقة الكتاتيب وحفظ القرآن الكريم، لكنه لما ذهب إلى القاهرة كالكثير أصيب بصدمة حملته من الإيمان الفطري الذي عليه إلى الشك وإلى الزندقة.

وهو اعترف عليه رحمة الله أنه شك بالإسلام ولم يعد يؤمن به، ولكن لم يشك بوجود الإله، وهذه يعني مرحلة من المراحل التي كان يعيشها الكثيرون في داخل العالم الثقافي الفكري في داخل الإسلام.

والأستاذ محمود شاكر رحمة الله عليه بيّن فساد الحياة الثقافية التي كان يعيشوها المثقفون، ودرس سيد قطب عليه رحمة الله في دار العلوم فهو درعمي على نفس نسق حسن البنا كذلك هو درعمي.

---

(١) الإجابة عن هذا السؤال تتكون من مقطعيي فيديو.

ومال سيد قطب كما هو معروف، -أنا أكرر كلاماً مكروراً ومعروفاً- مال إلى الحالة الأدبية إلى الدخول في عالم الأدب؛ فكتب الشعر، وبدأ يكتب المقالات الأدبية نصرةً لمن مال إليه.

وكان يمثل الحالة العلمانية التي لا تعادي الإسلام، لكنها حالة علمانية بخلاف الحالة العلمانية التي كانت تعادي الإسلام التي حملها لطفي السيد وبعد ذلك تلاميذه من طه حسين وغيرهم، هؤلاء حملوا راية العداء للإسلام في ظرفٍ ما وإن تصالحوا معه سياسةً فقط من غير حقيقة.

يعني طه حسين مثلاً: لما كتب على «هامش السيرة» أراد أن يتصالح مع الإسلام بعد وفاة الصوت المجلي والمجلجل وهو مصطفى صادق الرافعي الذي كان يمثل الحالة الإسلامية في داخل الثقافة المتصارعة في مصر.

ولم يستطيع أحد أن يدافع عن الإسلام كمدافعة الأستاذ مصطفى صادق الرافعي فكان هناك صراع حول الهوية في عالم الثقافة.

وكان مصطفى صادق الرافعي يمثل التيار الإسلامي فيها، وكان له الشهرة الأكبر، يعني المجلة الجامعة هي مجلة الرسالة لم يكن لها مثيل في داخل البيئة الثقافية، فكانت مقالة مصطفى صادق الرافعي في الصدر الأول من المجلة، والناس يشترونها من أجل مقالات مصطفى عليه رحمة الله، وكان هناك في الداخل مقالات للعقاد ومقالات لغيره ولهؤلاء، فكان يمثل الصف الإسلامي في ذلك الوقت هو الأستاذ مصطفى صادق الرافعي عليه رحمة الله جزاه الله عن أهل مصر وعن بقية المسلمين خير جزاء رحمه الله.

مات فجأة صغيراً في السن-أقصد مصطفى صادق الرافعي- وكان يمثل الاتجاه العلماني التغريبي من غير مصادمة العقاد، ولا تغرنكم كتب «العبقريات» لا تغرنكم هذه الكتب فهي على طريقة «هامش السيرة»؛ يعني لا تمثل بعداً إسلامياً وأشبه بالقراءة التاريخية للإسلام، للتاريخ المنقرض والذاهب.

وهناك تيارات علمانية حاقدة على الإسلام تُصرح بعدائها للإسلام، فكان اختيار سيد قطب أن يقف مع العقاد، ولم يكن إسلامياً ولا كان مسلماً في الحقيقة، وقلنا: أن العقاد لا ينفي وجود الله عز وجل، ولكن له نظرة غير إسلامية كما في كتابه «الله»، وكان على هذا المعنى سيد قطب، وله كتابات في مدح بعض العلمانيين، يعني كتابه «كتب وشخصيات» يمدح ببعض العلمانيين إسلاميين المظهر، وهو اعترف كما قلت: إنه لم يكن

مسلماً.

مات مصطفى صادق الرافعي وهنا فجوة تاريخية غير مضيئة في تاريخ سيد قطب عليه رحمة الله أنه واصل الطعن بمصطفى صادق الرافعي؛ إرضاءً لأستاذه العقاد بعد أن مات فجأة في مطلع كهولته، مصطفى صادق الرافعي لم يعمر عليه رحمة الله، فصار سيد يتكلم عن مصطفى صادق الرافعي كلاماً سيئاً بعد وفاته حتى تقدم الأستاذ الشيخ القاضي علي الطنطاوي عليه رحمة الله هذا الرجل العظيم الحكيم، وردَّ رداً مؤلماً ومستحقاً على سيد قطب في هذا الباب.

هذه مرحلةٌ من المراحل التي عاشها سيد، وانتقل وبدأ يكتب عن الإسلام الكتابة التي فيها إسلاميات الفكر دون تبني الإسلام باعتباره ديناً، لكنها فيها ميل إلى الإسلام باعتبارها فكرة أو منهج، أو منهج فكري.

وكما كتبها العقاد «العبقريات»، وكما كتب طه حسين «على هامش السيرة» كلها كتابات لا تمثل إسلاماً، يصارع الواقع ويفقد الهوية، وكذلك كتب سيد في هذه الفترة لكنه أقرب منهم إلى الإسلام كتاب «العدالة الاجتماعية»، فهذه فترة تُقارب الفترة التي أعقبت وفاة مصطفى صادق الرافعي عليه رحمة الله تاريخياً، بأن تجرأ هؤلاء بالكتابة عن الإسلام، لم يكونوا يتجرؤون بالكتابة عن الإسلام حتى مدحاً له في زمن مصطفى صادق الرافعي؛ باعتباره في الحياة الثقافية يمثل الصوت المدافع والمحامي بقوة، وكيل الخصومة بقوة في داخل الثقافة العربية.

هي كانت هكذا توزع، والناس كانت تبعًا لهذا، يعني محمود شاكر كان تبعًا لمصطفى صادق الرافعي في هذه المعركة، ومعاركه في ذلك مشهودة، في حياة مصطفى صادق الرافعي وبعد وفاته وهي أكثر -تستطيع قراءتها في جمهرة مقالات الأستاذ شاكر- وهكذا الكثير من هؤلاء.

بعد ذلك سيد قطب برحمةٍ ربانية، انتقل من هذه الفترة، الفترة الأولى الطفولة الإسلام الفطري، الفترة الفكرية الأصيلة في خروجه من الإسلام، الفترة الوسيطة التي عاد بها إلى قراءة الإسلام، يقول أخوه محمد قطب عليه رحمة الله: بأن سيد قطب أعاد اكتشافه للقرآن من خلال مسألةٍ لغوية بلاغية وهي قضية التكرار في القرآن، هل التكرار هو للتأسيس؟ أم التكرار للتأكيد؟

فعاد إلى هذه المسألة وعاد إشراق القرآن على قلبه، وبوعيه الثقافي وبوعيه كذلك في دخوله في جماعة الإخوان المسلمين بعد ذلك، برأيه السياسي حيث تمثل جماعة الإخوان المسلمين القلعة التي تمثل هوية الأمة الإسلامية من خلال السلوك والعمل والفكر في ذلك الوقت، فتبنى هذا الدين وصار رجلاً إيمانياً بحق.

ودخل الإخوان وصار يكتب مقالاً أسبوعياً في مجلة «الدعوة» للإخوان المسلمين والتي تحت ظلال القرآن والتي بعد ذلك تطورت حتى ألف كتابه وأنهاه في السجن وهو مجرد بداية مقالات على طريقة محمد رشيد رضا في «المنار» حيث كان يشرح أو يعيد ما سمعه من أستاذه محمد عبده في تفسير القرآن الكريم.

يعني هذه من الطرق التي تؤلف بها الكتب، أنها تبدأ مقالات ثم تنتهي إلى كتب قيمة وشاملة وجامعة، فسيد قطب عليه رحمة الله كتب بوعيه الثقافي والأدبي والعلمي كتب «معالم في الطريق»، كتب خصائص التصور القرآني أو التصور الإسلامي، وكتب هذه الكتب.

فإذن هذه المراحل التي نحن نتكلم عنها، مثال ذلك: سيد قطب كتب كلامًا سيئًا وهو في فترة الالتزام بتلمذته للعقاد، كتب كلامًا سيئًا في حق الصحابي عثمان بن عفان، وكذلك كتبه في الحياة الاجتماعية لأنه ضمن هذا الخط الذي وصل فيه إلى حد المفاصلة مع الجاهلية، تماماً.

واعترف في بعض كتبه أنه مثلاً: لما كتب «معالم في الطريق» عن موضوع الحضارة وصارت خصومة بينه وبين الأستاذ مالك بن نبي، مالك بن نبي في الحقيقة جاء إلى مصر ومن خلال بعض تلاميذه ومحبيه كعبد الصبور شاهين وصارت له علاقات بمثقفين مصريين حتى مع الأستاذ شاكر، واختلف هو وإياه في موضوع الحضارة فكتب في هامش، ارجع إلى هذه الفقرة في الحضارة تجد في الأسفل لسيد كلاماً ضد مالك بن نبي كلاماً شديداً، لأنني كنت أنا هكذا كنت ثم خرجت من هذه القوقعة التي فيها الانبهار بالغرب.

حتى الأستاذ محمد قطب وتلميذه، الأستاذ محمد قطب ذكر أنه كان على هذا منهج في قضية الدفاع عن الإسلام وأنشأ كتاب «شبهات حول الإسلام»، وقال: وهذه فترةٌ خرجت منها.. والإسلام ليس في موضع الدفاع وإنما في موضع الهجوم..

القصد من ذلك: لنبيّن أن الناس لا ينبغي أن يحكم عليهم في النهايات كما يحكم عليهم في البدايات ولا

في الأثناء.

فإذن عندما مثلاً يأتي أحدهم ويقول: سيد قطب يسب على الصحابة، نعم في كتابه «العدالة الاجتماعية» وفي بعض مقالاته التي كتبها، وردَّ عليه الأستاذ الشيخ محمود شاكر رداً قوياً منصفاً ومستحقاً في رده على الدفاع عن عثمان والدفاع عن بني أمية ومعاوية وو... إلخ..

فالآن يأتي أحدهم ليسترجع هذه المقالات من أجل أن يسقط سيد قطب في أنه عدو للصحابة وهذا ظلم.

ولأن الرجل مرَّ في أطوار وأطوار في الحقيقة لا نستطيع أن نقول في طورين أو ثلاثة! الإنسان يترقى، ترتفع مداركه، وسيد قطب لم يأت من المدرسة الدينية بحيث نحاسبه محاسبة المشايخ الذين كانوا في عصره ولم يكن خارج زمانه، يعني ليس هو بالرجل الذي استوعب قراءة الإسلام قراءةً تامة، يعني لو قدر لسيد مثلاً أن يقرأ لابن تيمية مثلاً ولا أعتقد أنه قرأه لا أجد لكلامه أثراً في هذا في تأثره بابن تيمية وإن كان بقي إلى آخر وقته محباً لمحمد عبد كما في «الظلال» يذكره على جهة التبجيل له مع الانتقاد، مع الانتقاد.

لكنه موجهًا له كالحالة الدينية في مصر، يعني الحالة الدينية في مصر إلى وقت قريب وهي تعظم محمد عبده مثلاً.. لا نحاسبهم كما نحاسب أنفسنا اليوم بعد الاطلاع على الإنتاج والتاريخ والوثائق لهذه الحقبة التاريخية.

فإذن سيد قطب رحمه الله ترقى والعبرة بالنهايات، هذا الرجل مثلاً: هل يجوز لأحد أن يؤمن بالله واليوم الآخر وهو عادلٌ في أحكامه صادقٌ في أخباره أن يتهم سيد قطب رحمه الله بأنه يؤمن بوحدة الوجود؟ هل لأحدٍ أن يقول هذه المقالة؟ هذا جاهلٌ وضال وكاذب ومفتري على الأستاذ! من أين تأتي وحدة الوجود؟!

الأديب الذي لا يعرف هذه العقائد في تاريخ أمتنا ويقرأها قراءة فكرية وليست متعمقة يقع منه الزلل في الحكم على الألفاظ، يعني عندما يأتي ابن القيم رحمه الله ويدافع عن ابن إسماعيل الهروي في كتابه «منازل السائرين» في كتابه «مدارج السالكين»، فيحمل كلاماً يكاد يكون صريحاً في بعض المعاني يحمله على المعنى الحسن لحسن الظن به، فهل عجزنا ونحن نتعامل مع ابن القيم بهذا المعنى أن نحمل أنه فهم كلام من قال بوحدة الوجود على معنى الحسن الذي يسميه سلفنا بوحدة الشهود وليس بوحدة الوجود، لماذا لا نحمل هذا المعنى؟

هل الرجل الذي كفر بالطاغوت وأعلن حربه على المبدلين لشرع الله هل يمكن أن يقول: بأن جمال عبد

الناصر هو الإله؟! وأن ما يقوله المشرعون الكفرة هو ما يقوله الله؛ لأن الكل واحد كما تقول الصوفية بوحدة الوجود؟!

هذا ضلل، انحراف وكذب، لا يرضاه الله، ولا يرضاه المؤمنون، ولا يرضاه أحدٌ من الناس ينطق بالعدل، هل نحاسب سيد قطب على كتب مرت، نحاسبه أنه كان علمانيًا وعلى الأمر الذي توفاه عليه؟ المطلوب من أهل العلم أن يبيّنوا أن هذا قد أخطأ فيه وهذا قد أخطأ فيه وهذا قد أخطأ فيه، وإذا كنا نتعامل مع الإمام الغزالي على هذا المعنى أنه في هذا أخطأ وفي هذا أخطأ ومن ثم يأتي ابن تيمية رحمه الله ليعتذر له بأنه مات وعلى صدره صحيح البخاري، فمن الأولى أن نعتذر للمعاصر؛ لم يطلع على ما اطلع عليه الغزالي، ولم يعرف الفقه كما عرفه الغزالي، ولا عرف الأصول كما عرفها الغزالي، ولا يعرف اللغة كما عرفها الغزالي، فنعتذر لرجل على هذا المعنى.

لا يعني أن كل ما كتبه حق! لا، «أبى الله إلا أن يتم كتابه»، لا يوجد عالم يقول إلا كلمة الشافعي: «أبى الله إلا أن يتم كتابه»، وهؤلاء الحاكمون عليه وقعوا في مزالق أشد مما وقع فيها سيد قطب عليه رحمة الله، فكيف يأتي أحد ويقول: الموسيقا القرآنية؟

هل أنت رجعت إلى كلمة معنى موسيقا؟ القرآن فيه موسيقا، وفيه النغم، هذا النغم المتحدر من كلام الله عز وجل، هل يأتي أحد ويقول: انظر، انظر، يقول موسيقا يعني فيه عود وفيه كمنجة وفيه... هذا جاهل، هذا غبي، هذا غبي لا يعرف معنى كلمة، لترجعوا إلى كلمة موسيقا عند العرب!

لا علاقة لكلمة الموسيقا علاقة تامة وكلية مع كلمة المزامير! المزامير تصدر الموسيقا، ولكن الموسيقا كلمةٌ تعني النغم، والنغم قد يكون في العبارة وقد يكون في الكلمة وقد يكون في جمال الكلمة وفي تناسقها والقرآن فيه هذا التناسق.

يأتون إليه، وهذا من الجهل، من الظلم، يأتون إليه ليقولوا: انظر كيف وصف موسى عليه السلام أنه كان شديداً وكان فيه عصبية، هو يصف إنسانيته، والأنبياء فيهم هذا، وفي مسند أحمد ما يثبت ذلك أن الملائكة يعذرون موسى في شدته وفي كلامه معهم -ارجعوا إلى الحديث- وللطبري كلام في هذا، في موسى عليه السلام ما يشابه كلام سيد قطب رحمه الله.

وهؤلاء الذين يدخلون الناس في الغربال؛ سيأتي من يدخلهم في المنخل، ولذلك قاعدة: «من غربل الناس نخلوه»، من غربل الناس؛ وضعهم في الغربال وضيق عليهم الدخول سيأتي من ينخله، وهكذا وقعوا هؤلاء، وجعل يكفر بعضهم بعضاً ويلاحق بعضهم بعضاً بتسمية هذا المبتدع لوجود كلمةٍ تصدر هنا أو تصدر هنا، لمجرد كلمة تقال لحاكم، لمجرد كلمة فيها انتقاد لتصرف وزير داخلية وزير خارجية صار يعد خارجياً ويسب بعضهم بعضًا، والآن لا تجد واحدًا منهم على قلب أخيه.

هذا من الظلم، والظلم مؤذن بالخراب، الناس لا يحملون الظلم إلا على ما يجري من الدول، الظلم يجري في الجماعات ويجري من المشايخ ويجري في البيوت في البيت الواحد يجري الظلم، وفي الشركة يجري الظلم، وفي الكتابة على الناس يجري الظلم، مؤذن بالخراب، لأنه يفرق القلوب ويفسد ما بين الناس.

أما هناك من الجوانب الطيبة في سيد يعدونها ضلالاً وذلك مثل كشفه لموضوع الحاكمين بغير الشريعة، هذه من إدراك سيد وفتح الله عليه، وما سموه توحيد الحاكمية، وهو توحيد تشريعي والقضاء، إذا نقموا عليه بهذا واستشهاده لهذا السبب فليتنا نسلك هذا السبيل والله عز وجل يرزقنا هذه الشهادة في الدفاع عن الحق والشريعة وإقامة التوحيد.

فسيد في هذه الأبواب عظيم، وأما دعواه بأنه يكفر المجتمعات وهذه التهم، وسيد ليس كذلك، سيد معروف، نعم له عبارات وربما يفهم منها، ولكن حياته لا تدل على هذا، ولسنا نقول: أن سيد هو الإمام المتبع.

أتاني بعض الناس قال له: ربما نفتح هذه بين قوسين موضوع (**جماعة الصادعون بالحق**) -هذه سُئلت عنها أكثر من مرة وتجنبتها لا أريد أن أتكلم- عندما جعلوا مرجعية جماعتهم سيد قطب هذا جهل!

من جعل عالماً من العلماء -من هو أعظم من سيد- من جعل الشافعي مرجعاً له هكذا في جماعته ودعا إلى مرجعية غير الكتاب والسنة هكذا بإطلاق وجعل العلماء هم مجرد وسائط لإيصال الكتاب والسنة فهو منحرف، غلطان هو، غلطان.. فهذه الجماعة «الصادعون بالحق»، مع أنه في الحقيقة يقولون: أن لهم سنين طويلة فأين الصدع بالحق؟ لِمَ نسمع منكم إلا قريباً؟! هذا فقط، ليس سباً لهم، ولا تهمةً لهم، ولكن هذا مما يؤخذ عليهم.

فمما جعلوا أن المجتهد في هذا الزمان هو سيد قطب وهذا غير صحيح! سيد قطب لم يجب على كل الأسئلة.. سيد قطب وضع شعارات عامة، أما قضية الفروع لها فسيد قطب لم يجب عن هذه الأسئلة.. سيد لم يجب عن أحكام الجنود، لم يجب عن أحكام الأمة، لم يجب على طريقة تعامله مع الحكام سوى المرور، فأصل لكن على أي طريقةٍ؟ على وجه جهادهم، على وجه كذا، على وجه.. لم يجب سيد قطب عن هذه الأسئلة، لم يجب!

سيد قطب أخذ موضوع التوحيد في المصطلحات الأربعة من أبي الأعلى المودودي أبو الأعلى المودودي دخل في العمل السياسي، فسيد قطب لم يجب على هذه الأسئلة، وأبو الأعلى المودودي طال عمره فأجاب على هذه الأسئلة، وأصاب أو أخطأ هذا قولٌ لأهل العلم يُعاد فيه.

فالقول: بأن سيد قطب هو إمام ومجدد، وأنه يجيب عن أسئلة الوجود المعاصرة وأنه يصلح أن يقودنا من أجل عملٍ حركي، هذا كلام ناس لا يفهمون دين الله! وبالتالي إذا رد أحدهم على هذا الفهم، هل معه حق؟

لكن كذلك أن نأتي إلى سيد من أجل محاسنه فنجمع له الأخطاء لإسقاط محاسنه هذا انحراف وهذا ظلم.

سيد قطب وقف موقفًا إيمانيًا أمام طاغية من الطواغيت وثبت وقدم روحه لله عز وجل، هذه إشراقةُ إيمانٍ عظيمة نحبه لها، له كلماتٌ قرآنية، كلمات الله عز وجل أجراها على لسانه وعلى قلمه بهذا القلم القوي، فهذه الكلمات نستخدمها كما نستخدم حكم العلماء القدماء في عصرنا!

وأمّا أمره فإلى الله عز وجل! ونرجو له الفردوس الأعلى، ونرجو له درجة الشهادة؛ لأنه مات شهيداً في الحقيقة، قتله الطاغوت فقط لأنه يُعادي دين الله عز وجل، جمال عبد الناصر هذا مجرم من أكابر المجرمين في هذا العصر!

وكل هؤلاء الذين نراهم من طواغيت هم فئران عند الطاغوت الأكبر جمال عبد الناصر، هذا ليس تقليلاً من شأنهم فهم طواغيت ومجرمون، لكن بالمقارنة مع عبد الناصر هم فئران أمامه.

فأين هذا؟ إذا أراد أحد أن يبيّن الأخطاء فلا بأس! لا بأس! له عبارات في تفسير المعوذتين تحتاج إلى تقويم يُعلق عليها، أن هذه العبارات قلقلة لا ينبغي لطالبٍ مبتدئ أن يفهمها على ظاهرها مثلاً وإنما لها معاني أخرى

وكذا.. إلخ، كأي عالمٍ يخطئ.. عندما نأتي إلى كلمات لإمام من الأئمة فنقول: أخطأ في هذه الكلمات.. لماذا؟ لا يُمنع هذا الجانب، لا يمنع.

فلا ينبغي أن يكون عندنا تلك الحساسية الشديدة في النقد، ولا ينبغي أن يكون عندنا الظلم من أجل إسقاط ما عنده من الحق موافقةً للطواغيت وموافقةً لأوليائهم ولجندهم!

سيد قطب مرحلة من مراحل تثبيت الهوية الإسلامية كغيره من الأئمة، قاد معركةً، نسأل الله عز وجل أن يؤتيه أجره فيها وهكذا، قد يستخدم البعض وأنا أمر مروراً سريعاً على قضايا متعددة.

فالآن الناس يحبون محمود شاكر، يحبونه! وأنا أحبه! يريد أن يستخدم حبي وحب الناس لمحمود شاكر لإسقاط سيد! انظر ماذا قال محمود شاكر! كأنه نبي محمود شاكر، هل نفعل مثلكم؟ هل نفتح ملفات محمود شاكر كما تفعلون؟ هل نفتح مثلاً: المجال السلوكي من أجل إسقاطه؟ كما يفعل الجاهلون [(١)].. نحبه ونحبه، ونحبه، ونحب سيد ونحبه، ونحبه.

سيأتي يوم بعض المتشددين يقولوا: عمن تدافع؟ تحب محمود شاكر؟ ربما كان مدخناً، كان يحب الموسيقا، وكان أصدقاءه فلان وفلان، وهكذا، وانظر إلى زوجته تكشف بعض شعرها، يوجد! من الجهلة.

هذه حياة الناس، ما يهمنا أن هؤلاء حملوا الرسالة في ظرفٍ من الظروف تحملوا اللأواء والمصاعب والمشقة والبلاء من أجل توصيل الدين والدفاع عن الإسلام.

فنحن نأخذ هذا العسل المصفى منه ونشكر لهم هذا وندعو لهم، ونمشي في طريقنا، وإذا كنا على هذه الدرجة من الدين فلنثبت كما ثبتوا، ولنصبر كما صبروا، ولنحارب حربهم في تثبيت الإسلام، ولنستغفر الله من ذنوبنا، ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٠)﴾ [الحشر: ١٠].

يعني يأتي الآن واحد يقول: انظر محمود شاكر انتحر! نعم، في وقت من الأوقات قتل نفسه، حاول أن يقتل نفسه ويموت، كما ذكر عنه أحبابه، وكما في «وحي القلم» هناك ثلاث مقالات تقريبًا تسمى الانتحار،

---

(١) بداية مقطع الفيديو الثاني من الإجابة.

وهي في الكلام عن محمود شاكر.

القصد: بأن هذا من الظلم، العلماء لهم ظروفهم لهم أحوالهم ويهمنا هو موقفهم الإيماني في حربهم في الفترة التي يقود الإسلام حربه ضد من؟

عاش هؤلاء مرحلة التغريب فأثبتوا الهوية الإسلامية-أنا لم أتي لمالك بن النبي، أستطيع أن أتكلم عنه كما أريد، وأنقل له كما أريد، لكن لماذا أحب مالك بن النبي؟ مع أنه فكرة الأفروآسيوية فكرة سيئة مدعو لمؤتمر باندونغ يعني تصاب بالتشنج وهو يمدح مؤتمر باندونغ الذي شارك فيه نهرو وتيتو وعبد الناصر واعتبر هذا المؤتمر هو بداية الصعود للشرق، والنهضة والتقدم والتجديد، ماذا تقول عنه؟

أن نحاسبه هذه المحاسبة، نقول: هو عاش فترة تثبيت الهوية الإسلامية، كانت هكذا المعركة، إما الإسلام وإما الإلحاد، إما أن تكون الأمة مسلمة أو تتغرب كما يريدها التغريبيون مثل طه حسين وغيره والذي يريدون أن يجعلوا الأمة بعيدًا عن دينها وتاريخها، ومجرد التاريخ هو ذكريات قديمة نتمتع بها، ونتحدث بها في أوقات السهر فقط للمتعة، وليس للتدين، وليس للتعبد، وليس للانتماء.

فالمطلوب هو أن نضع الرجل في زمنه وتاريخه، وما يهمنا بعد ذلك ما جرى بينه وبين العلماء من خصومة، ونستفيد منها، ونرعاها حق رعايتها، ونوالي هذا وهذا!

بعض الناس يريد أن يُسقط السُبكي، لأنه خاصم ابن تيمية، سبحان الله، إمامٌ عظيم، تراثٌ علميٌ ورّثه لنا، بمجرد مخاصمة ابن تيمية!

تحس بعض الناس كأنه يريد أن يلغي أبا حيان الأندلسي لمجرد أنه خاصم ابن تيمية!

هذه حياة، والمعاصرة لها أحكامها من الحب والبغض والخصومة، وما يهمني هو معركة الإسلام خلال الظرف التاريخي الذي عاشه هذا العالم، كانت مع المسلمين أم غير المسلمين، كان في الصف السني أم في الصف البدعي، أو في صف الزنادقة، هذه هي أحكامنا، هذا هو ديننا!

لكن للأسف هؤلاء الذين يدققون هذا التدقيق لإسقاط الحق الذي عندهم بهذا الغلط الذي وقع فيه

العلماء، هؤلاء أنا أقولها: سفهاء! سفهاء! وبعضهم من هو مأجور.

والذين يريدون -هؤلاء تعرفونه- وفي جانب كذلك من هؤلاء الذي يريد أن يضيق، الذي يريد أن يضيق لمجرد مخالفات تقال هنا وهنا من عالم سلك سلوكاً يبتغي فيه نصرة الإسلام، أو لظرفٍ هو عاشه وضعف فيه أمام.. لا نتخذه إماماً فيها ونقدر موقفه الكليّ، ونراعي الحكم الجزئي الذي وقع فيه أصاب فيه أم أخطأ.

موضوع سيد قطب عليه رحمة الله، هو منهج في التعامل مع الناس ونحن لا ندافع عنه لأنه يمثل لنا يعني مرجعية كليّة في الإسلام! لا، لا، سيد قطب في جملته هو بناءٌ نفسيّ، لو أراد أحد أن يقول: أين سيد قطب، لأنني كثيراً ما أُفرق بين أصحاب الإرادات وأصحاب العلم والمنهج والفقه، فأين سيد قطب؟

الحقيقة هو أعظم ما فيه هو البناء النفسي، ومفاصلة الجاهليّة، هو يتحدث عن أُناس في وقت من الأوقات كانوا يريدون الجمع بين الإسلام والجاهلية في بعض جوانبها، كما فعل بعض المفسرين، يعني لما أتحدث عن كتاب «الإخوان المسلمين في سطور» ذكرنا طنطاوي جوهري وكيف كان يحاول التوفيق بين القرآن وبين الثقافة والمخترعات، والقوانين القادمة، الجديدة.

فسيد قطب أعاد الثقة للناس بأن هذا كله خطأ، وأن الإسلام بنفسه يحمل القوة، ومازالت هذه المعركة قائمة إلى يومنا هذا! والحمد لله انتصرت، انتصرت في المجمل، ضعف هذا التيار التغريبي، حتى الذي يرفع شارة الإسلام، ضعف في داخل التيار الإسلامي، من الذي رفعه؟ من الذي أولاً طرحه بقوة المجاهد بقوة المقاتل؟ سيد قطب، سيد قطب! فيمدح له هذا.. اذكروا خيره..

ولكن لأنه يقف أمام الطواغيت فتريدون إسقاطه وإسقاط من يحبه، والحرب عليه، والحرب على حسن البنا، نسأل الله العفو والعافية في هذا.

وللأسف هذه المدرسة، وهي مدرسة الإسقاط، إسقاط علمائنا هؤلاء نراهم بطوائف متعددة الجوانب هناك من الأشاعرة من يريد أن يسقط ابن تيمية، هناك من المقلدين يريد أن يسقط الشيخ الفلاني، هناك من الفئة ما تريد أن تسقط العالم الفلاني، ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾ [الرعد: ١٧].

يا ناطـــــح الجبــــــل الاشـــــــم بقرنـــــــه رفقـــــا بقرنــــك لا رفقــــا علــــى الجبــــل

هذا دين الله عز وجل سيبقى وسينتصر، وكلنا سنموت ونلاقي ميزان الله عز وجل الذي نرجو فيه الرحمة، نحن نرجو من الله عز وجل أن يعاملنا بالرحمة، فعاملوا الناس بالرحمة، **(الراحمون يرحمهم الرحمن)**، عاملوا الناس بالرحمة، وسع دائرة المحبة والإخوة على دائرة العدل، حتى على دائرة العدل، لا أريد أن تلغي العدل بالكلية، ولكن وسع دائرة الرحمة على دائرة العدل، كما تحب أن يفعل الله عز وجل بك يوم القيامة.

لكن أن تضيق الرحمة وتلغي الرحمة وتنشر الظلم، حتى العدل لا نجده عندك! في أن تذكر الشر كله، كأن البعض، ولله أقرأ لبعض من يكتب أنه لا يمت إلى حكمة الدين، ولا إلى حد الشريعةِ في شيء!

هكذا يقولون: الإخونجية والعلمانيون، لا إله إلا الله! تتلمس رأسك، من يتكلم هذا من؟ هذا إذا حسبناه من طلبة العلم وليس من الخبثاء المدسوسين!

أتقارن العلمانيين الزنادقة الكفرة المجرمين حطب جهنم أفسد خلق الله في تاريخ أمتنا الإسلامية تقارنهم بجماعة مسلمة تُخطئ وتصيب؟ هذه الجماعة بداخل الصف الإسلامي، والعلماني خارج الطائفة المسلمة!

ولله تتعجب، يقول أحدهم: من أشد فساداً الشيوعي أم القطبي؟!

لا إله إلا الله، لا إله إلا الله، وهذا كيف تتعامل معه؟!

هذا إذا أحسنا لهم يعني ينطلقون من منطلق الإسلام وليس من منطلق الخبث! وأنهم صناع الجاسوسيين.

والحمد لله رب العالمين.

١١٥- كلمة في حق الشيخ سليمان العلوان

ضمن الجلسة الثانية عشر، السؤال الخامس عشر بعد المئة، بتاريخ: (**١٥/٠١/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٥/١٠/٢٠١٧م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: شيخنا، كلمة لو سمحت تذكرون فيها بالشيخ العلوان، فالشيخ لا بواكي له كما ترون.

في الحقيقة: لا، الحمد لله، الناس يعني لا ينسونه، وأهل العلم والجهاد دائمًا في ذكرى لهذا الرجل، والمرء إذا سجن فينتشر ريحه كما قال الأولون، فإن عود الطيب لا يعرف طيبه ولا يشم إلا إذا احترق، وسيد قطب رحمه الله قال: كلماتنا كالشمع، فإذا قدمنا أرواحنا لهذه التماثيل من الشمع دبت فيها الحياة؛ فسجن الشيخ ليس إماتة له.

في الحقيقة: الشيخ -لمن يراقب الساحات العلمية والجهادية- يرى أن ذِكر الشيخ كأنه حي بينهم، كأنه يعيش بينهم.. هو حي، ولكنه كأنه يعيش بينهم.

وكذلك بقية المشايخ: بعد سجن هؤلاء المشايخ، يعود ذكرى هؤلاء بالنبش والتذكير والإحياء في عموم الأمة؛ وأما أهل العلم فلا تغيب عنهم ذكرى هؤلاء المشايخ.

على كل حال: هذا شيخٌ إمام، كبقية المشايخ الذين نسأل الله عز وجل أن يرفع درجتهم، وأن يخلصهم مما هم فيه، وأن يعيدهم إلى أمتهم أئمة -أئمة قيادة غير الأئمة العلمية- وهم يستحقون هذا.

أسأل الله أن يرفع شأنهم -هو وبقية المشايخ، مثل الشيخ الطريفي وغيره.. لا أريد أن أذكر أسماء لئلا أنسى- فهؤلاء أئمة خير وأئمة هدى، وكلماتهم يقتدي بها الناس، ويحصل بها الرشد والهدى والإيمان، والعبرة بهم.

إذا أنا قصرت ولم أذكر الشيخ فهذا من الذنب، ولكن هو في القلب والذهن دائماً.. مع بقية المشايخ.. وأدعو لهم.. أشهد الله أني أدعو لهم في سري بأن يفك الله أسرهم، وأن يرفع شأنهم، وأن يثبتهم على الدين،

حتى يقع البيان الإلهي، ويخرجوا طيباً وتجربةً وهدايةً وصلابةً في الحق، فهذا هو شأن العلماء.. هذا شأن علماءنا في التاريخ.

غفر الله لنا ولهم، ورفع درجتنا ودرجتهم في الأولين والآخرين، والحمد لله رب العالمين.

١١٦- رأي الشيخ بالدكتور سعد الفقيه

ضمن الجلسة الثانية عشر، السؤال السادس عشر بعد المئة، بتاريخ: (**١٥/٠١/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٥/١٠/٢٠١٧م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: ما هو رأيكم في حركة الإصلاح بقيادة الدكتور سعد الفقيه؟

الجواب: الدكتور سعد الفقيه عرفته وعاشرته، وهو صاحب دين وخلق، وكذلك هو صاحب همةٍ عالية، وصاحب كذلك -وهذا مما يتميز به الدكتور- صاحب يقينٍ على الله، أن الله عز وجل سينصر دينه في حياته هو؛ وهذا اليقين يعجبني.

على كل حال ما عشته معه وما سمعت منه.. هو من أهل الخير، وأسأل الله عز وجل أن يرفع شأنه، وأن يوفقه لكل خير، وما يقوم به من بيان الحق، ودعوة الناس إلى الدين، وكشف المؤامرات، وكشف المفاسد؛ هو من دين الله عز وجل، الذي أسأل الله عز وجل أن يرفع شأنه فيه.

هذا مختصر قولي فيه، حفظه الله ورعاه.

والحمد لله رب العالمين.

١١٧- تكفير رسلان والرضواني

ضمن الجلسة الثانية عشر، السؤال السابع عشر بعد المئة، بتاريخ: **(١٥/٠١/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٥/١٠/٢٠١٧ م)**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يقول السائل: بخصوص تكفيركم لرسلان والرضواني، أشكل عليّ أمر، ما هو الضابط في المسألة؟ فموالاة الطغاة البيّن عداءهم كالسيسي وقعت من غيرهم، ولم نسمع منكم تكفيراً لهم، فهل توضح لنا الصورة؟

السؤال الذي بعده لأخٍ آخر: السلام عليكم شيخنا -وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته- أسأل بخصوص تكفير ما يسمون بالدعوة السلفية في الإسكندرية بقيادة ياسر برهامي، ومعروف أنهم يدعمون النظام المصري، ويشاركون في الانتخابات؛ ما هو التأويل الذي يعتبر مانعاً من موانع التكفير؟

الجواب أخي الحبيب: الرجل يُعذر في قوله: أنا أريد أن أصلح، ولكن لا يُعذر الرجل في وقوفه مع الكافر ضد المسلم، في معركةٍ حدثت بين مسلمٍ مبتدع وبين كافرٍ زنديق علماني يصرح بعلمانيته.

فأنا لم أتوقف في الآخرين إلا لسفالتهم ولعدم ظهورهم، يعني هم ليسوا في الواجهة؛ وأما هذا الرجل الذي ذكرتَ اسمه وذكرته أنا -الرضواني ورسلان-، فهؤلاء لأني أراهم في بعض المحطات التلفزيونية، حين أقلب في التلفزيون لأنظر أحوال المسلمين، ربما أجد هؤلاء؛ ولكن لا شك أن الذين فعلوا فعلهم في مصر، حكمهم هو حكم هذين الزنديقين الفاجرين.

هؤلاء الذين يسمون بحزب النور -أنا ذكرت هذا ولا أدري أسمعته أم لا- حزب النور حكمه هو حكم رسلان ورضواني، لا فرق، ولا أدري في الحقيقة إن كان هؤلاء -ياسر برهامي وجماعته الدعوة السلفية- على هذا المعنى، فإن كانوا على هذا المعنى فهم كفار.

كل من وقف -خذها مني.. لأن الأمر بيّنٌ واضح.. دعك من الهوى.. الهوى هو ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾ [النحل: ١٠٧]، الردة كلها هذا أساسها- كل من وقف مع السيسي -خذها من أخيك- من المصريين، لأنهم يعرفون الواقع.. كل من وقف مع السيسي ضد الإخوان المسلمين -انتبه.. وهي جماعةٌ إسلامية فيها بدع وفيها انحرافات، ولكنها جماعة مسلمة أرادت الإسلام- كل من وقف مع السيسي في

أمره ضد هذه الجماعة، وضد حكم الإسلام حتى بالصورة التي قدمها الإخوان، فحكمه حكم من تكلمت عنهم وهم رضواني ورسلان، حكمهم هو حكمهم هؤلاء، لا فرق عندي بينهم.

وأما سؤال الأخ بالتفصيل في متى يعذر بالجهل؟ فهذه مسألة علمية تحتاج إلى شرح، وأنا شرحتها كثيراً، فيرجع إليها في بابها.

والحمد لله رب العالمين.

١١٨- ما هو دين أرسطو وأفلاطون؟

ضمن الجلسة الثانية عشر، السؤال الثامن عشر بعد المئة، بتاريخ: **(١٥/٠١/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٥/١٠/٢٠١٧ م)**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله:

أخي يسأل: السلام عليكم -وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته- ما هو دين أرسطو وأفلاطون؟ هل هما من أهل الكفر أم التوحيد؟

الجواب: لا يشك طالب علم ولا يشك باحث بأن أرسطو من أهل الوثنية، أنه وثني وعلى دين قومه من اليونان الذين يرون تعدد الآلهة وكذلك أفلاطون، وهؤلاء ليسوا من الموحدين في شيء، وعقائدهم شركيةٌ كفرية ولم يكونوا على التوحيد الذي بعث به الأنبياء.

البعض قديماً -هذه المسألة ليست حديثة، ولكنها قديمة- حاول أن يقدم أرسطو ليس باعتبار دينه العقائدي الغيبي ولكن باعتبار أسلوبه في الوصول إلى الحقائق فيما سمي المنطق الأرسطي وتمريره باعتباره حقيقة علمية وبرهانًا عقليًا لا يحترف فيه الناس، فالجواب على هذا أن أهل السنة لم يرضوا هذا، والذي رضي منه بعض الحقائق، فيما قاله مثل ابن رشد الحفيد مع أنه مُعظم له وللأسف، وما قاله ابن حزم في تقريب لحد المنطق، وأما على الجملة فأهل السنة كابن تيمية رحمه الله ومن عرف دين هؤلاء، إنما رده لموضوعه لا لأسلوبه.

يعني بعض الناس يظنون أن دين أرسطو مقبولٌ في أسلوبه بعيدٌ في عقائده، والصواب: أن أسلوبه في تقرير الحقائق ثبت بطلانها، يعني قوله بأنه لا تعرف التصديقات إلا بالحد مثلاً: التصورات إلا بالحد، ثبت أن التصورات يمكن أن تقوم بغير الحق، والتصديقات ثبت أنها تقوم بغير الأخبار وأن نظرية الجوهر والفرد هذه نظريةٌ غير صحيحة، وثبت بطلانها التي تسمى بنظرية الجوهر، التي يسميها المعاصرون نظرية الذرة، فثبت أن كل ما قالوه من السابقين هو خطأ.

وأما في الدين فهم مشركون وثنيون وليسوا من التوحيد في شيء، وشكوكهم قائمة على عالم الغيب، هل هناك عالم غيب أم لا، شكوكهم قائمة في هذا الباب، وأما دعوة البعض اليوم في تعظيم أرسطو بأنه كان نبياً هذا كله من الكفر، فأرسطو ليس بالرجل الخفي، كتبه ترجمت للعربية، ترجمت من العربية إلى اللغات الأجنبية ثم

عادت إلى العربية، ومن قرأ عقائده في هذا الباب علم هذا العلم ولم يشتبه عليه الأمر.

فبعض الضلال الذين يحاولون أن يسوقوا هؤلاء الفلاسفة، هؤلاء من الضلالة بمكان، وفي كل فترةٍ يظهر في الغرب فلاسفة يعظمون؛ فيأخذهم الجهلة كما فلسفة كلارك مثلاً، يأخذها بعض مدرسي الجامعات وبعض من انتسب إلى الفلسفة ولما خرجت بوجودية، تبناه بعض من كتب في الفلسفة كعبد الرحمن بدوي وغيرهم، وللأسف هؤلاء لا يدركون دين الله ولا يعرفونه ولم يدرسونه، وأخذوه على جهة التزين؛ لأن هذه المذاهب كالموديلات يصعدوا أمرها في وقتٍ من الأوقات فيظنها الناس شيئاً ويجرون ورائها وينتهي بعد ذلك الموضة وترمى فتأتي موضة أخرى وهكذا، ودين الله عز وجل هو الحق المبين وهؤلاء لا قيمة لهم، فيذهبون؛ فلا يجوز لأحد أن يعظم هؤلاء بل دينهم دين الشرك والكفر ونعوذ بالله من الخذلان.

١١٩- كيف تقرأ كتب شيخ الإسلام؟

ضمن الجلسة الثانية عشر، السؤال التاسع عشر بعد المئة، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠١/١٥هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/١٠/٥ م**)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته -وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته- شيخنا كيف نقرأ كتب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله؟

الجواب: القراءة فن، وعلى الجملة هناك قواعد للقراءة، جملةً، حتى لو قرأت ورقة أو قرأت جريدة، هناك قواعد، حاولت جاهداً أن أبيّن فن القراءة، في كتابٍ مشهور أرجو أن تراجعه وهو «فنُّ القراءة»، ولم أستقص لأنّ هذا ممتنع في الظروف التي كتبتها فيه، وهذا كتاب كتبته، يعني ولا يوجد عندي أي كتاب، وإنّما هو من الذهن وغلب على كتاب «فن القراءة» المشاعر والتجربة الذاتية أكثر من التأصيلات العلمية الدقيقة، ومراجعة فنون القراءة في التاريخ الإنساني كله.

لكن على الجملة يوجد هناك فنون وقواعد للقراءة العامة، وهناك قراءة لكل عالم، كل عالم يحتاج إلى فن من فنون القراءة، وكل باب من أبواب العلم يحتاج إلى فن يختلف عن الآخر، مثلاً: قراءة الشعر غير قراءة الرياضيات، قراءة التاريخ غير قراءة الفقه، يختلف، وبلا شك أنّ ابن تيمية رحمه الله حالة فريدة في التاريخ الإسلامي، وأنّ كتبه تحمل دلالات تختلف عن كتب غيره.

من ذلك مثلاً: المعروف أنّ كتب ابن تيمية في الأغلب هي استجابة لقضايا معاصرة، أنا قلت مرةً وربّما نازعني البعض فيها، ولكن على المعنى الحسن، هم نازعوني على المعنى السيء: أنّ العالم يكتب كتباً من أجل أن يدخل في زمرة أهل العلم، يعني يشرح كتاب فقه من أجل أن يدخل في زمرة الفقهاء، ليس على المعنى السلبي أنّه يريد الشهرة، لكنّ هذا الكتاب ليس ضرورة، ولكن يكتبه على معنى من معاني الكتابة العلمية التي يمرّن فيها نفسه، ويشرح فيها فقهه، في بابٍ مذهبي أو في بابٍ علمي، فهو يريد العلم في هذا الباب، والكثير من الكتب تنشأ لأسبابٍ خاصة، ينشئها العلماء لقضايا ونوازل خاصة في عصرهم.

ابن تيمية رحمه الله في الأغلب نرى أنّ كتبه على المعنى الثاني، وإن كان المعنى الأول موجود، يعني مثلاً أشار

إلى جزء الشاطبي الذي شرح فيه العمدة، له شرح يسير للعمدة لم يتمه، هذا على المعنى الأول، ولكن تعال إلى كتبه الكثيرة تجدها استجابة، إما رسائل تدمرية، الواسطية، لأسئلةٍ وجهت إليه، أو لكتبٍ أحدثت شيئاً ما فأجاب عنها من أجل المناقشة والمناظرة لقضايا حادثة، يعني لما دخل الإسكندرية -لا أريد أن أعود إلى منهاج السنة- لما ذهب إلى الإسكندرية وجد أن كتاب «العقيدة الأصفهانية» منتشر، وهو رجلٌ قريب العهد به، فراح وشرح «الأصفهانية»، سمّاه «شرح الأصفهانية»، على الرغم أنّ هذا الشرح هو ردٌّ على بعض مسائل الأصفهانية، فإذن هو كتاب حادث في مشكلة فكتب عنه.

ولما قُدّم له كتاب «منهاج الكرامة» للحلي، ردّ عليه، لما حدثت نازلة سب النبي صلى الله عليه وسلم، وهو في شبابه، ابن تيمية كتب هذا الكتاب في شبابه، «الصارم المسلول»، في أول أمره، فردّ، فكتب ابن تيمية فيها هذه الميزة، أنّها استجابة لقضايا معاصرة، فغلبت هذه الكتب على هذا المعنى، والفتاوى، في هذا الباب هي فتاوى أجاب عنها، وبعض كتبه فتاوى.

يعني حتى انظر إلى كتابه في بيان أنّ (﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، **تعدل ثلث القرآن**)، هو سؤال وجّه إليه، فكتب هذا الكتاب، ورسائل كما في رسالته إلى جماعة عدي بن مسافر، أراد أن يردّ هؤلاء اليزيدية إلى الدين فأرسل إليهم هذه الرسالة، وانتشرت كتاباً، في رده على النصارى، هذه رسالتي تنتشر في كل وقت، حتّى في بلادنا بين الفينة وأخرى، في قضية فهم النصارى للدين الإسلامي، ونبوّة محمد صلى الله عليه وسلم، فردّ عليها في رده على النصارى، فإذن كتبه في هذا المعنى، يغلب عليها هذا المعنى، هذه ميّزة لابن تيمية رحمه الله.

الميزة الثانية لكتب ابن تيمية، وهذا الذي جعل لكتبه الانتشار المعاصر، انتشرت قديماً، لها انتشار ولها اهتمام، ولكن انتشار كتب ابن تيمية في هذا العصر؛ أنّه لم يكتب الفقه على الطريقة التقليدية، بل أجاب عن الأسئلة بطريقةٍ منفتحة، وهذا يعجب المعاصرين، وبلغةٍ يسيرة لم يعقّدها، على بلاغتها وسلاستها وروعتها، إلا أنّها سهلة، يمكن أن تقرأ كلام ابن تيمية وأنت مثقّف؛ فتفهم منه ما يريد، والمسائل المعقدة يحلها بطريقةٍ سلسة تصلح للناس، يعني عندما يتحدث عن قضية ما، يتحدث عنها بغير طرق الفقهاء المعروفة، حتى إنّ بعض المعاصرين من الجهلة، وأقصد رجلاً معروفاً عندما اتهم ابن تيمية أنّه يكتب بسرعة، وبذلك كتبه غير محققة، فيها الجهالة وليس على طرق الأصوليين! العلماء عدّوا هذا من ميزاته الحسنة، ومن إيجابياته الطيبة، وهذا الرجل

الجاهل يُعدّ هذا من سيئاته! فهذه ميزات كتبه أنّ كتبه سلسة، هيّنة، والمسائل المعقّدة يطرحها بطريقةٍ مقبولة من المعاصرين، فلذلك ممكن للمرء أن يقرأ لابن تيمية فيرتاح، ويقرأ للفقهاء فيصاب بشيء من الصعوبة في فهمه لما يقوله.

الميزة الثالثة لكتب ابن تيمية رحمه الله، أنّه في كتب الردود الطويلة، ينقل مقولات كثيرة، وهذه النقولات فيها ما يريد ابن تيمية أن يبيّنه، فيها ما يقره، وفيها ما لا يقرّه، وعلى الأغلب أنّه ينقل من أجل أن يبيّن ويفصل قبولاً ورداً، فالبعض يأخذ نقله لبعض من هذه الكتب إقراراً لها، حتى إنّنا نرى بعضهم ينقل من هذه النقولات وينسبه لابن تيمية، وذلك لأنّ هذه الكتب الطويلة تحتاج إلى قراءةٍ تختلف عن قراءة الكتب الأخرى.

يعني مثلاً: هذا «فتح الباري»، يمكن أن تقرأه قراءةً مجزّأة، بمعنى تذهب اليوم إلى كتاب من كتب البخاري، أو إلى باب من أبواب البخاري، فتقرأ هذا الباب لابن حجر وتفهم منه، وربّما يعيدك إلى بعض المواطن الأخرى، أو يأجل النظر فيها حتّى يأتي بابها في ما يستقبل من شرح الكتاب، فيمكن أن تقف عند هذا الباب وتستفيد منه، الاستفادة المطلوبة أو الكافية لك في مطلبك، لكن هذا لا ينفع مع ابن تيمية في الكتب الطويلة، ففي «درء تعارض العقل والنقل»، لابد أن تقرأ الكتاب من أوله، وأنّه لطول أخذه أو طول اقتباسه، فإنّك تحتاج أن تضع علامة أنّه من هنا بدأ كلام غيره، أي كلام فلان الذي يرويه عنه، وبعد ثلاث أربع صفحات تقول هنا انتهى كلامه، فهذا كلام ليس كلام ابن تيمية، هذا الكلام ساقه من أجل النقطة التي هو في سياقها، فهذا مما تحتاجه لئلا تقع في المشاكل.

النقطة الأخرى التي تحتاجها في قراءتك لكتب ابن تيمية رحمه الله: وهذا للاستطراد في ابن تيمة، والقدماء عابوا عليه ذلك، ودافع عنه تلميذه ابن القيم في هذا الباب، أنّه يبدأ في مسألة تتحدث في نوع هذا القلم، وبعد ذلك يأتيه وهو في هذا السياق لتحدث عن هذا الجهاز، أو هذا الكأس، فيبدأ الحديث عن الكأس تاركاً الحديث عن القلم، حتى ينتهي من الحديث عن الكأس ثم يعود للحديث عن القلم، فترى أنّ المبتدأ والخبر على هذا المعنى وليس المعنى النحوي، أنّك بحاجة إلى إزالة هذه الجملة في الحديث عن هذا الكأس لتعود في الجمع بين ما قدم وأخر في الحديث عن القلم، هذا الاستطراد؛ لأنّه صاحب ذهنٍ سيّال، فيأخذ ويشعر أنّ الحديث مهم، وأنا أعتقد أنّ هذه طريقة قرآنية وشرحتها أكثر من مرة، أنّ هذه الطريقة قرآنية، وهذا لاتساع ذهنه ولتنوع

علومه، يعني يمكن أن تتعجب، هو يتحدث عن باب يأتيه باب من أبواب النحو، فيبدأ في الحديث عن هذا الباب من أبواب النحو، ليقرر موقفه منه، ليعود بعد ذلك عمّا تحدث عنه، فيقع منه هذا المعنى.

ومن الأمور المهمة في قراءتك لابن تيمية رحمه الله، وهذا كله ضمن الجواب على سؤالك، ولكن لا أستطيع أن أستقصي، ولكن أضع علامات يمكن أن يأتي البناء عليها، أنّ ابن تيمية رحمه الله في مراتٍ كثيرة لا يقرر، وهذه طريقة يستخدمها بعض أهل العلم، وهو أنّه حين يتوجه لنقض قضية، ينقضها من أجل نصرة مذهبه، لا يعني أنّه ينقض أصل القضية، لكن ينقضها في استخدامها في هذا الباب، فلذلك تحتاج وأنت تقرأ أن تعرف، هل هو ينقض أصل القضية؟ أم ينقضها في استخدامها في هذا الباب؟ هذا مما يقع في كلام ابن تيمية.

ولذلك أنا عندي الكلام على المجاز مثلاً، عندما تحدث عن المجاز في كتابه «الإيمان الكبير»، هذه تحتاج إلى وقفة، تحتاج تجميع ما يقول حتّى نصل فيه إلى ما هو مراد، يعني هذه بعض اللفتات، واللمحات في القراءة لابن تيمية رحمه الله، ولكن أنا أعتقد -إذا أردت الجواب على هذا الأمر كله، وهو إذا أردت أن تقرأ لابن تيمية- أن تقرأ كتبه من بدايتها إلى نهايتها، وأنا حقيقة لا أحب قراءة الكتب انتقائياً، حتى ينتهي المرء من القراءة التامة.

فحتّى فتح الباب الذي ذكرته، ابدأ به من أوله، لتعرف الرجل لتعرف نفسه، ثمّ إذا أردت بعد ذلك أن تعود إلى مسائل في داخل الكتاب، فلا بأس في ذلك، لكن عليك أن تقرأ الكتب من أولها إلى آخرها، حينئذٍ يتجلّى لك منهج الكاتب على حقيقته، من خلال هذه الأفراد المتعددة من الأول إلى الآخر، أما هذا النتش الذي يفعله البعض من أخذ النصوص، فيقع فيها الخطأ الكثير، ولا يصل فيها القارئ إلى التصور الكامل لمراد ومنهج هذا المؤلف والمصنف، ومنهم ابن تيمية رحمه الله، والحمد لله رب العالمين.

١٢٠- أفضل كتاب عن حقيقة اليهود

ضمن الجلسة الثانية عشر، بتاريخ: (**١٥/٠١/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٥/١٠/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل أخ: السلام عليكم وعلى الإخوة القائمين على إدارة صفحتكم -وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته- شيخنا الفاضل، هل يمكن أن تدلنا على أحسن كتاب كتب في موضوع: حقيقة اليهود، حقيقة تاريخهم في تعاملهم مع المسلمين منذ بعثة النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا؟ وإن أمكن أن يدخل مثل هذا الكتاب ضمن مشروع «ألف كتاب قبل الممات».

الجواب: يعني أفضل كتاب في الحقيقة يبيّن حقيقة اليهود مع الأنبياء ومع هذا الدين، هو كتاب ربنا؛ وليس هذا للشعار، هذه حقيقة، ومن نظر في تفسير سورة «البقرة» -وهذا بيّن- رأى أن القرآن قد فصل في أحوالهم وعلاقتهم بالأنبياء، علاقتهم بالنبوة، علاقتهم بالأوامر الشرعية، علاقتهم بالجهاد كما في سورة «البقرة» وفي سورة «المائدة» كذلك، فالقرآن فصل أحوالهم في هذا الباب.

ولكن على جهة التفصيل والأخبار، فمن الصعب إيجاد كتاب شامل لكل هذا..

هناك كتاب «الأفعى اليهودية» لعبد الله التل كتابٌ جيد. هناك كتب.. يعني أحد الإخوة أجابك -ربما- هنا.. وأننا تكلمنا عن «بروتوكولات حكماء صهيون»، وهذه البروتوكولات تكلمت عنها أظن في لقاءين أو ثلاثة، لا أذكر الآن؛ وفيها التفصيل في طرائق اليهود في السيطرة على العالم، وهي وثيقة صحيحة كما بينت ودللت عليها.

من الصعب أن يوجد كتابًا واحدًا.. ولكن ما كتبه عبد الوهاب المسيري في الحقيقة يصلح لهذا، عبد الوهاب المسيري تخصص في قضية اليهود، وكتب عنهم كتابة جيدة ونافعة، و«الموسوعة اليهودية» تصلح لهذا الباب إن شاء الله عز وجل.

رغم أنها كبيرة وشراؤها يحتاج إلى المال، لكن إذا قدر الله عز وجل واقتنيتها، وتفرغت لها، إن شاء الله نجعلها كما تطلب أمراً منك لوضعها في مشروع «ألف كتاب قبل الممات»، لكن العبرة بالقدرة، والحمد لله.. ليست

هذه شكوى، ولكن هكذا هي الدنيا، والقدرة شرط من شروط الوجوب والفعل.

والحمد لله رب العالمين.

١٢١- حكم عوام الشيعة في هذا الزمان

ضمن الجلسة الثانية عشر، السؤال الواحد والعشرون بعد المئة، بتاريخ: (**١٥/٠١/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٥/١٠/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: حكم عوام الشيعة في هذا الزمان؟

الجواب: جيد أن سأل في هذا الزمن، العلماء قديماً تعرفون ما تكلموا عنه من الروافض والشيعة الاثنا عشرية، وهذا ينبغي مراعاة تحول الطوائف وتغيرها، وأن ما أطلقه العلماء القدماء على طوائف بحسب مما رأوه منهم وما أعتقده أهل هذه الطائفة في زمان هؤلاء العلماء.

ولا شك أن ما كان غلوًا عندهم كما قال أسياد هذه الطائفة اليوم -طائفة الاثنا عشرية- التي لم تعد اثنا عشرية في الحقيقة، وكلمة الرافضة فيهم قليلة، فهم في الحقيقة نصيريون.

ودعوني أُطيل قليلاً في هذه النقطة تاريخياً -ولما أخبرت بها الشيخ أبا المنتصر حفظه الله وقد كتب في هذا الباب، فقال: هذه قد غابت عني وأقرني عليها- الآن الاثنا عشرية هم نصيريون، والاثنا عشرية قديماً كانوا يكفروا النصيرية، لكن كيف حدث أن صار الاثنا عشرية هؤلاء الذين تحت راية الاثنا عشرية صاروا من النصيرية؟

الجواب: لما قامت الدولة الصفويّة «صفي الدين الأردبيلي» الذي أقطعه تيمور أردبيل ثم جاء حفيده نادر شاه وأقام الدولة الصفوية وأعلن المذهب الرافضي، وبدأ بقتل أهل السنة وملاحقتهم وتدمير مدارسهم، احتاج علماء رافضة شيعة اثنا عشرية ليعلموا الناس الدين، فلم يجد.

فأرسل إلى جبل عامل وأرسل إلى النصيرية في الشام، فحضر هؤلاء النصيريون إلى إيران «بلاد فارس»

وبدأوا يعلمون الدين النصيري على أنَّه دين الاثنا عشري.

وبالتالي الدين الاثنا العشري اليوم المعاصر لا يمت للاثنا عشرية القديمة التي يتكلم عنها علماءنا بإعذار أو يتكلمون عنها بما لا نشهده اليوم في واقعها، وإنما نشهد ديناً جديداً، «ما كان غلوًا عند أئمتنا صار من ضروريات مذهبنا»، هذا هو شعارهم.

وبالتالي الاثنا عشرية اليوم، عندنا حَدَّان:

الحد الأول: ما تقرير عقائدهم.

الحد الثاني: وهو مقدار انتشار هذه العقائد في العوام.

لأن كثيراً من مذاهب العلماء في الطوائف لا يجهلها العوام، وإن كثيراً ما يفعله العوام لا يقره العلماء.

فالقضية الأولى أولاً: مذهب الاثنا عشرية اليوم ديانةً وعلماً هو مذهب النصيرية، المذهب النصيري، ولم يكن الاثنا عشرية يألهون علياً، لكن الآن الاثنا عشرية يألهون عليًّا. وأئمتهم ومن راقب ما يقوله معمموهم يرى أنَّهم يألهون عليًّا وينسبون له ما ذكر في كتبهم المتقدمة: من أنَّه يعلم الغيب، وأنَّ عليّ في السماء، كانت هكذا تقول النصيرية، والآن يصرحون به.

فمذهبهم باعتبار وصفه وصفًا علميًا مذهبٌ كفريّ لا يشكّ مسلمٌ في كفره، لا يشكّ مسلم، من اعتقد في أئمتهم اعتقاد الربوبية الذي يعتقده الروافض وثم اعتقد فيهم هذا الاعتقاد فهو مشركٌ كافرٌ لا شك في كفره.

فإذن -لاحظ قال ابن تيمية- ابن تيمية تحدث عن الرافضة في زمانه، ولا شك أن الرافضة في زمانه لم يكون لهم هذا الانتشار، ولم يكون هو قد لاصقهم هذه الملاصقة التي نراها الآن، وكانوا مقموعين ولا شك.

فإذن مذهبهم في أصله الآن -هذا المذهب الآن لما تقول مذهب الاثنا عشري اليوم هو مذهبٌ كفري.

حاول بعضهم أن يجمل هذه المكفرات على المذهب، يعني مثل: عليّ شريعتي، مثل تشيع السنيّ وتشيع الفاطمي، وكشف لنا عليّ شريعتي في هذا الكتاب: كيف دخل مثلاً اللطم، كيف دخل هذا التطبير وهو ضرب السيوف.

وأنه دخل من خلال الأرثوذكس -النصارى الأرثوذكس- عندما ذهب إلى روسيا وتعلم ما يفعله القسيسون والرهبان من تعذيب أنفسهم من أجل الخلاص من الخطيئة؛ فأخذه واستحلاه كما فعل المشرك الأول عندما أخذ حجراً من الشام ونقله الجزيرة هو أول من سيب السوائب ونشر الشرك والأصنام في الجزيرة العربية فعل هذا كذلك في قومه.

فحاول هؤلاء أن يصلحوا الكثير، وكذلك موسى الموسوي في كتابه «الثورة البائسة»، وكتابه عن «الشيعة والتصحيح» حاول، ولكن هذه محاولات لم تجد، بل إننا نرى أن محمود حسين فضل الله حاول أن يعقلن المذهب الشيعي في بعض جوانبه، ولم يفلح مع وجود الخرافات لديه.

يعني ليس بمستوى هداية موسى الموسوي الذي بقي شيعياً وحاول أن يصلح التشيع فلم يُفلح، علاوة عمن خرج من التشيع وحاول أن يصلحه كأحمد الكسراوي، أو كالشيخ البرقعي كما في «كسر الصنم»، فهناك محاولات، ولكنها ميتة وليست لها أثر على المستوى الشعبي في المجتمع الشيعي.

إذن المذهب الشيعي كما في حقيقته شركٌ وكفر الآن، وهم نصيرية.

النقطة الثانية: تأثر من عوامل دينهم الآن يكاد الجهل لا أنفيه هذا لأني لست قارئًا استقصائيًا لكل شيعيٍ في العالم، ولكن الذي أراه أن الشيعة اليوم العوام والعلماء على هذا المذهب الكفري، وإذا وجد من يجهله فيعمل الحكم فيه، ولكن هذا الذي نراه في العراق، ونراه في لبنان، هذه مواطن التشيع، ونراه في إيران، وبالرغم أن إيران فيها طائفة كبيرة من العلمانيين ليسوا على دين كفروا بالإسلام كله تشيعاً وسنة.

والذي نراه في شيعة باكستان، هذه ما أعتقد تجمع الشيوعي، والقطيف في الجزيرة، هؤلاء يدينون بدين هذا الدين ومن دان بهذا الدين كافرٌ مشرك.

فهذا اعتقادي في هؤلاء -اعتقادي في دينهم أنه كفرٌ وشرك الذين يدينون به الآن مجرداً مطلقاً كما في كتبهم وكما في حديث علماءهم، وأما العوام فالآن باب الجهل بهذا الدين يكاد يكون معدوماً إن لم يكن كذلك معدوم.

فحكم العوام حكم هؤلاء، ولذلك عندي الآن طائفة الرفض والتشيع الاثنا عشرية هي طائفة كفرٍ ونكفر

أفراداها كذلك لأن الجهل ممتنع في هذا الباب لانتشار وسائل العلم فيهم، ولأن العوام أكفر الآن من مشايخهم يعني ربما الشيخ وإن كان هذا قليل لكن ربما يتورع أن يكفر المعمم كفراً كبيراً، مع أننا لا نرى هذا، إلا أن العوام يكفرون أشد من كفر علماءهم.

ولذلك الآن علماءهم وعامتهم الآن على حكمٍ واحد واسمٍ واحدٍ وهو حكم الكفر والزندقة.

والحمد لله رب العالمين.

١٢٢- سؤال عن معنى آية وقاعدة تفسيرية

ضمن الجلسة الثانية عشر، السؤال الثاني والعشرون بعد المئة، بتاريخ: (**١٥/٠١/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٥/١٠/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته -وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته- قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، فسر المفسرون ذلك بأن الله عز وجل ذكر الخاص بعد العامّ، ولا فصال بين هذين الأمرين، بل إنهما متلازمان.

هل يمكن أن نضع هذه القاعدة التفسيرية في أسماء الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (٣٤)﴾ [لقمان: ٣٤].

يقول: الاسم العليم يدل على معرفة الأشياء ظواهرها وبواطنها، أما الخبير فعلى معرفة بواطن الأمور، هل ذكر الله عز وجل الخاص بعد العام عن نفسه توكيداً بأنه يعرف حق المعرفة بأي أرضٍ سنموت (**إنه عليم**)، وأين ندفن جميعاً أنه خبير، والله أعلى وأعلم، صلى الله على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

الجواب: أولاً: أنا أشكر السائل أنه أفادني فائدة وقد تكون صحيحة، وهذا هو شأن العلم، يعني السائل شيخي في هذه المسألة إذا صحت وهي جديدة عليّ وأنا قرأت السؤال الآن فقط، لا يظن أحداً أنني رتبت في قراءتي السؤال سابقاً.

وهي كلمته: هل قوله تعالى: ﴿عَلِيمٌ﴾، بأي أرضٍ نموت و﴿خَبِيرٌ﴾ أين ندفن جميعاً، هذه فائدة؟

أما السؤال الأول: بلا شك إن الله عز وجل ذكر ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، ذكر الخاص بعد العام وهو جزءٌ منه تنبيهاً لأمره كما يقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾ [الأحزاب: ٧٢]، فالجبال من الأرض، ولكن تنويهاً بشأنها وذكر الخاص بعد العام، إنما يتم لسبب، وسبب التنبيه على أهميته.

فهناك من الأشاعرة مثلاً كالجويني وقبله شيخه الباقلاني قالوا: إن هذا يدل على أن الأعمال الصالحة

ليست من الإيمان وهذا خطأ، خطأ من جهة الورع، فإن العمل الصالح من الإيمان، لكن لماذا تذكر الأعمال الصالحة بعد الإيمان؟ تنويهًا لأهميتها، وكذلك تعظيماً لشأنها، لئلا يظن أن الإيمان نافعٌ بلا عمل.

وقوله: لابد من التلازم بينهما، نعم، هذه قاعدة «إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا» أي لا يمكن أن يكون العمل الصالح بلا إيمان بالمعنى الاعتقادي ولا يمكن ان يكون هناك إيمانٌ بلا عملٍ صالح، وهذا صحيح.

يقول: هل يمكن هذا أن نطبقه على أسماء الله وصفاته؟

نحن قلنا في شرح أسماء الله وصفاتها: أن الأسماء تجتمع من أجل التعديل والتكميل.

وأما التعديل: فلئلا يطرأ معنى على معنى، أنه عليمٌ جل في علاه خبيرٌ، فإذا اقتصر عليم صحَّ المدح لكنه لا يكون كاملاً إلا باجتماعه مع خبير في هذا الباب من الموطن الذي يخبرنا الله عز وجل عنه، فيكون تكميلاً للمدح، تكميلاً للحُسن الذي يريده الله عزَّ وجل.

وأما التعديل: فهذا المعنى، يعني: قد يكون يقول: هو عليم أي بظواهر الأمور، ولكنه ليس خبيراً بمواطنها، قد يقع هذا المعنى، أنَّه يعلم الشيء ووجوده ولكنه لا يعلم خبره وحقيقته، فيأتي النص القرآني بقوله: ﴿عَلِيمٌ﴾ بظاهر الأمور فيما يجري من أحداث الناس وأفعالهم، و﴿خَبِيرٌ﴾ بمواطنهم في نواياهم وقلوبهم وأسرارهم، فهنا يأتي التكميل–هذه قاعدة يجب حفظها، قاعدة «التكميل والتعديل»– الله عز وجل يجمع بين الإثنين لهذا الأمر، وهو أنه: «يكمل الحسنى في ذكر الصفة بعد الصفة وأنه يعدل ما يحدث بانفراد الصفة ما لو لم تأتي مع غيرها»، هذا بابٌ لا بد من أن نفهمه، وإذا طبقه المرء على القرآن وجد فيه منافع كثيرة جداً؛ لماذا هنا ذكر العزيز أو الحكيم؟

مثلاً: ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، تكثر في القرآن: العزة قد تكون بلا حكمة، قد يكون الرجل عزيزاً، ولكنه غير حكيم، فعدلت هذا المعنى بقوله: ﴿حَكِيمٌ﴾، وحين اجتماع العزة مع الحكمة ينشأ كمالٌ آخر وينشأ حسنٌ آخر، وابن القيم –وإن كان بعض أهل العلم لم يرضوا هذا القول منه– قال: «بأنه ينشأ معنى جديد»، وهذا الذي أراده، في الحقيقة ليس كما فهمه البعض أنها تُنشئ اسماً جديداً، لا هو ينشئ تكميلاً وحسنًا جديدًا، ترفع درجة الحُسن.

وأما ﴿عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ فلا تُنشئ معنًا جديدًا خارج العزة والحكمة، لا، إنما تُنشئ رقيًا آخر، وحُسنًا آخر، وفضلاً آخر، وتكميلاً آخر، نعم هذا المعنى الذي أراده ابن القيم وليس كما ردَّ عليه البعض خطأً في فهمه بالكلام.

والحمد لله ربِّ العالمين.

١٢٣- شرح حديث «تركتم على المحجة البيضاء»

ضمن الجلسة الثانية عشر، السؤال الثالث والعشرون بعد المئة، بتاريخ: (**١٥/٠١/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٥/١٠/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: ما هو تفسير حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (**تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك**).

أولاً: في الحديث هذا اللفظ لم يثبت.. هذا اللفظ «المحجة البيضاء» لم يثبت في الحديث، وإنما (**تركتكم عليها بيضاء نقية، ليلِها كنهارها**)، والأصوب هذا (**ليلِها كنهارها**)، ويصح ((ليلُها)) على اعتبار الابتداء، و(**ليلِها**) على اعتبار البدلية.

وأما كلمة «المحجة البيضاء» فلم ترد في الحديث، وإنما يقولها الخطباء في هذا؛ والمحجة البيضاء يعني الحجة النقية التي لا خلاف حول بيانها وبصيرتها.

وأما قوله صلى الله عليه وسلم: (**ليلِها كنهارها**)، يعني كل شيء فيه ليل ونهار، فيمكن أن يفسر على كل تقلبٍ في الحياة.. في وقت الشدة والرخاء.. في وقت البلاء والعطاء.. وفي وقت الفتن وغيرها؛ ففي كل حالةٍ يكون فيها الحق بينًا وواضحًا ولا يحتاج إلى زيادة، وليس هو بالنقص الذي نحتاج فيه إلى غيره.

هذا هو المقصود في هذا الحديث، ليلِها أو ليلُها، -على غير رواية- أنه كنهارها، فلو زعم زاعم: أن هذا الحديث قاله في وقت الفتن فهو بيّن، كما أن الأمر في وقت السعة هو بيّن واضح.. وفي وقت الغنى ووقت الفقر.. وفي وقت الرفعة ووقت الذلة.. وفي وقت الشدة ووقت الرخاء.. وهكذا فهي بيّنة واضحة.

والحمد لله رب العالمين.

١٢٤- حديث «وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك»

ضمن الجلسة الثانية عشر، السؤال الرابع والعشرون بعد المئة، بتاريخ: (**١٥/٠١/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٥/١٠/٢٠١٧م**)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله:

يقول أخ: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته- هل حديث (**وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك**) صحيح؟ وإن كان كذلك فهل توظيفه للسلطان في محله؟

الحديث ولا شك أنه صحيح، ولكنه محمولٌ على غير هذا الباب، يعني هذا إذا كان الحاكم -انظر إلى الحكمة النبوية في هذا انظر إليها- أبوك في بيتك ظلمك، ضربك، فهل الطريقة هي أن تهد البيت عليك وعلى إخوانك وعلى أمك وعلى أبيك؟ الطريقة أن تصبر، فله فضلٌ عليك، حاكمٌ الأمة قد اجمعت عليه.. -انظر إلى حكمة النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب وانظر إلى توظيفه أخي الحبيب- حاكمٌ يقوم بالشرع يحكم بدين الله والأمة متحدة عليه، ويدافع عن بيضة الإسلام ويجاهد في سبيل الله، ويحقق العدل في الأمة، وقعت منه مظلمة عليك أنت خاصة، هذا لا يعني أنك لا تحاول رد المظلمة، هذا الحديث لا يدعوك لهذا، فلو أنك ذهبت إلى القاضي وهكذا كان يفعل الصحابة رضي الله عنه والتابعون وتابعو التابعين، يذهبون إلى القاضي فيقيمون دعوى قضائية ضد هذا الحاكم.

الحاكم في هذا الموضوع فجر لسببٍ ما، أو لظنه أنه له الحق في هذا، اصبر، فاستخدم قوته في غير بابها -يعني سلطانه- وربما لم يستطع القاضي أن يقيم الحق لك وعليه، فما المطلوب؟ هل المطلوب أن تثير الفتن بعد أن تستفرغ الوسع في أخذ حقك وأن تدافع عنه؟ فما المطلوب؟ فهل المطلوب مثلاً أن تبدأ في تجميع الناس للقيام بالثورة عليه ولسبه وإثارة الناس حوله لتتفرق الأمة ويقتل بعضهم بعضًا والأمة بعد ذلك تفترق من أجل حضرتك ومشاكلك؟ ما هو الأفضل؟ أن توصل الأمة إلى هذه الحالة أم أن تصبر؟ كل الحكماء يقولون: أن تصبر، لكن الحديث لا يعني أنه إذا انتشر شر هذا الحاكم وظلم هذا الحاكم، وصار الأصل في فعله الظلم، وفي فعله الجهل، وفي فعله عدم إقامة الشريعة؛ لأن الحديث عن حاكم مسلم يقيم الشريعة ويحقق العدل.

لكن حين يصبح فساد هذا الحاكم أكثر من خيره، ويحقق الفساد، والفساد لا بد له من العقوبة، يعني فساده لا بد من أن يوغر الصدور عليه فتتفرق الأمة، وتحصل هناك الفتن رغم أنف الشعب ورغم أنف هذا الحاكم، فحين يصبح شره أعظم، فلا، إزالته كإزالة اليد التي تصاب بالغرغرينا والأرضة، هذه إزالتها واجب؛ لئلا يسري هذا الفساد إلى بقية الأمة، الحديث عن شخص، الحديث عن شخصين، لكن حين يصبح الظلم منهجًا فالعلماء قالوا: لا يولى الظالم، وأنتم تعرفون كلام الإمام القرطبي عند قوله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (١٢٤)﴾ [البقرة: ١٢٤]، فإنه قال: بأن أهل السنة أجمعوا على أن الظالم لا يولى، حين يصبح هذا الحاكم فيه وصف الظلم.. هذا ينبغي أن نفهمه،

ولكن هذا الحديث عن الحالة الأولى، الحكمة تقول.. كما في البيت إذا ظلمك أبوك لا تهد البيت، ولا تدمر، بل لو ظلمك سيد شغلك في باب فإنك تصبر من أجل تحصل المصالح من هذا الباب الذي تعمل فيه، ولا يؤدي بك إلى مفسدته وإلى هد البيت كله وهد المؤسسة كلها من أجل هذه المظلمة، هذا من الحكمة لا يعني هذا إقراره، ولا يعني هذا تركه، ولا يعني هذا عدم المطالبة بحقك، أبدًا، الحديث لا يقول بهذا، وإنما تصبر لئلا تخرج.

بعض الناس ربما يظلمه الحاكم فهذا يؤدي إلى قتل الحاكم، ثارت الفتن في الناس، هذا جانبٌ يتعلق بالأمر الشخصي أما أن يصبح الظلم فاشيًا فهذا لا ينطبق عليه، والأمة أجمعت هذا ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (١٢٤)﴾ [البقرة: ١٢٤]، لا يجوز تولية الظالم.

طيب إذا أصبح الظلم دينًا يشرع، وإذا أصبح الكفر شرعًا يُجبر الناس على الدخول فيه، فأي مصلحةٍ في السكوت عنه؟ يصبح حينئذٍ الخروج عليه هو الدين والسكوت عليه هو الظلم والفساد والجريمة، ولذلك قال علماءنا: إذا كفر الحاكم وجب على الأمة أن تعزله، فهذا إذا كفر في نفسه، فكيف إذا أراد أن يدخل الأمة في الكفر، فحينئذٍ يصبح جهاده من أوجب التي أمر الله عز وجل العباد بها، هذا مراد الحديث والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين.

١٢٥- تربية الأولاد على تحمل المسؤولية والثبات على الدين

ضمن الجلسة الثانية عشر، السؤال الخامس والعشرون بعد المئة، بتاريخ: (**١٥/٠١/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٥/١٠/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، حياكم الله شيخنا، نحبكم في الله لو تكرمتم في توجيهنا لمسألة تربية الأبناء، وإعدادهم لتحمل مسؤولية نصرة أمتهم ودينهم، وبارك الله في علمكم وجزاكم الله خيراً.

الشيخ: يعني هذا الموضوع، موضوعٌ عملي أكثر منه فكري، بمعنى أننا نحتاج إلى الحواضن، نحتاج إلى المدارس، نحتاج إلى صنع بيئةٍ تحقق التربية الصحيحة، نحتاج إلى اختيار الرجل للأم، الزوجة، التي تكون على كفايةٍ من قيامها بهذا الأمر، نحتاج إلى تحقيق ما قاله سيد قطب بالعزلة الشعورية، يعني أن نبني كما سميته لأبنائي الإسلام المقاتل، يعني بأنّك تعيش البيئة، وأنت صاد لها مقاتل لها، مانعاً لها من الدخول فيك، واحتوائك وذوبانك في داخلها، ما نحتاجه لهذا الأمر تقوى الله، والدعاء لأبنائنا.

وقد أفرحني أحد الإخوة عندما قال لي: نظرت إلى فلان فتعجبت منه كيف يربي أبناءه؟ فتأملت وإذا بالسبيل الوحيد الذي رأيته قد أتقنه من دون البقية، هو الدعاء لأبنائه كثرة الدعاء، أن يرى ابنك في باطنك وفي سرك على حقيقة الدين، لا يراك ذئباً إذا اختليت في دينك، وتقياً إذا خرجت إلى الناس.

ما نحتاجه في هذا الباب أن ننشئ في داخل بيوتنا المحاضن تربوية؛ لتعليم قراءة القرآن، لتعليمهم الفقه، أن نبذل الوقت الكافي من أجل النظر إليهم ورعايتهم فيما ينظرون في التلفاز، التلفاز الصغير وهو التلفون اليوم، أن نراقبهم في محافظتهم على صلاة الجماعة، أنا أعجب زيارة بعض الأقرباء لي، نذهب إلى الصلاة وأبناؤهم يلعبون! وآباؤهم لا يشجعونهم ولا يأمرونهم بالذهاب إلى الصلاة!! تعجب من متدين كيف يأتي إلى المسجد في صلاة الفجر، والصلوات ولا يأتي بأبنائه معه! فهذه أمور الصغير يراقبها، ومع ذلك يبقى توفيق الله، هذا دائمًا ما ينبغي أن نراعيه، وهو أنّ توفيق الله عز وجل، هداية الله عز وجل، علينا أن ندعو لهم، وعلينا أن نراعيهم، وأن نتقي الله عز وجل في أبنائنا.

وأهم ما ينبغي هو وجود المحاضن في قضية البيوت، مثلاً: أنت عندك القدرة في بلاد، هناك مدرسة تحتاج منك مئة دينار، ومدرسة مجانية، والمدرسة بمئة دينار هي الخير في دين ابنك، فلا تبخل، لا تبخل، ولا تزعم، أنا رأيت أناس يدعون الدين في الغرب في بريطانيا، أغلب ما أفسد أبناءه؛ هو أنّه أرسله إلى المدارس الإنجليزية، وكنا ننصحهم، وأهلنا ينصحونهم، يقولون: نحن من أين نأتي بالأموال؟ يكذبون، يستطيعوا أن يقيدوا أنفسهم، وهم كسالى، لماذا لا يأخذون أبناءهم في الصباح، لا يريد أن يقوم في الصباح ليأخذ ابنه، المدرسة بعيدة قليلاً، لماذا لا يجتهد لأخذ أبناءه إلى المدرسة العربية، أو المدرسة الأفضل، القضية قضية نسبية، أن يأخذهم هذا، فتجده بعد ذلك يبكي، ويعض أصابع الندم.

فعلينا أن يرى أبناؤنا منا محبة الدين مدفوعة الثمن، الدين مدفوع الثمن، وليس الدين مجاني، حين أراك تقدم الدين على كسلك، تقدم الدين على مالك، تقدم الدين على عملك، تقدّم الدين حقيقةً في حياتك، فابنك يراقب، وذكي.

ثمّ علينا وأهم شيء أن نعلمهم الإسلام المقاتل، بمعنى من الصعب في وقتنا أن نعزل أبناءنا عن المجتمعات، وربما تعزله وهو صغير، فيبقى يتطلع من الشباك، ويتطلع من السيارة كيف الأبناء يلعبون، وكيف يسيرون، فتبقى عنده الشهوة، متى يكبر من أجل أن يخرج مثلهم، فإذا فتحت له الفرصة خرج كذئب يقتنص الشهوات من هنا ومن هناك، وهذا الذي يحدث مع أبناء المشايخ، يقيدونه في الصغر، فإذا فتحت لهم الأبواب انطلقوا إلى المعاصي، وانطلقوا إلى الشهوات، والآباء بعد ذلك يعضون أصابع الندم ويبكون؛ لأنّهم لم يعلموهم الإسلام المقاتل، كيف يعيشون في هذه البيئة وهم ملتزمون بالإسلام، يحاربون واقعهم، محاربة السلوك ومحاربة الكذب، ومحاربة الدعوة.

ومع ذلك تبقى الهداية، يعني هناك من آباءهم ليسوا من الدين في شيء وأبناؤهم من خيرة الناس، يحفظون كتاب الله، عندنا جيران آباؤهم لا يأتون لزيارتهم في السنة مرة، مع ذلك أبناؤهم من حفظة كتاب الله، توفيقٌ إلهي، وهناك من المشايخ من يعيش مع ابنه طوال النهار، ومع ذلك ابنه يتفلت منه هنا وهناك، للفسق والفجور والشهوات، ويبكي عليه، ويبقى التوفيق الإلهي في هذا، ولذلك لا بدّ من الدعاء، لا بدّ من أن يشغل المرء وقتاً طويلاً في سجوده يدعو لأبنائه، وهذا سرٌ ينبغي أن نلازمه، هناك أبواب لا يحلها إلا هذا، إلا البكاء بين يدي

الله عز وجل، وقد يبتعد الابن قليلاً، ولكنه بالدعاء والاستغاثة يعود إلى الطريق، ويصبح خيرًا منك.

القصد من هذا كله: أننا نعيش في بيئة يمكن للمرء أن يُربّى دينيًا في صغره وينفلت، ويمكن للمرء أن يُربّى فاسقاً ويلتزم، والعبرة بتقوى العبد الأب ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ [الكهف: ٨٢]، أن يكون الأب ومع ذلك يقع، كما وقع مع ابن نوح عليه السلام، هذه مقادير، وهذا ليس من تقصير نوح عليه السلام، ولكنّها المقادير، ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦].

ولكن إذا فتحت لك الفرصة بأن تذهب بابنك لأن يحفظ القرآن ويتعلم الدين، ثم تقول: لا، لا، تذهب به ليكون من أهل الدنيا، ستخسره، وللأسف هذه المدارس الدينية اليوم التي تفتح هنا لتحفيظ القرآن، لا تقبل أبناءنا للأسف، يخافون من اتهام الإرهاب، فيها ابن فلان وعلان، وإلا لوجب على كل مسلم أن يرسل أبناءه إلى هذه المدارس، التي تقوم بها بعض الجماعات الإسلامية الطيبة، في هذا الباب، ولهم جهود من أعظم الجهود، أبو عبد الرحمن السُلمي مكث أربعين عاماً في المسجد، يحفّظ القرآن للأطفال وللناس، طمعاً في الدخول في حديث عثمان رضي الله عنه، وهو من أصحاب عثمان رضي الله عنه أبو عبد الرحمن السلمي، تابعيٌ جليل، حديث عثمان رضي الله عنه: **(خيركم من تعلم القرآن وعلّمه)**.

في بلادنا هنا نتحدث، وفي كل البلاد، يوجد هناك مدرسون الذين يحفّظون القرآن، فعلّم أبناءك الالتزام بهؤلاء والحضور معهم، وفيهم خير عظيم، أسأل الله عز وجل أن يجزيهم، وأن يحفظهم، والله ما أسمع أخبار هؤلاء الذين يعلمون أبناء المسلمين القرآن، لا أرى أحداً أعظم منهم درجة إلا المجاهد في سبيل الله فقط، أعظم الناس عملاً في هذا الوقت، هو من جلس في المساجد يحفّظ الناس القرآن، الفاتحة والقرآن الكريم، ويعلمهم الفقه والسنة بعد القرآن الكريم، وليس هناك ثمة من هو أعظم منه، إلا من بذل روحه لله عز وجل في سبيل الله فقط، فعلينا أن نشجع هؤلاء، أن ندعمهم بالمال، ندعمهم بالدعاء، ندعمهم بالدفاع عنهم، ندعمهم بوضع أبنائنا عندهم، إن أرادوا، وليس كوضعنا هنا للأسف، يطرد أبناؤنا من هذه المدارس للأسباب التي ذكرتها، وأعود وأكرر، الدعاء، ثمّ الدعاء، ثمّ الدعاء، والحمد لله رب العالمين.

١٢٦- ضرورة العلماء في الأمة

ضمن الجلسة الثانية عشر، السؤال السادس والعشرون بعد المئة، بتاريخ: (**١٥/٠١/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٥/١٠/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله...

أخ يسألني: في كلمة للشيخ «أبو مصعب السوري» فك الله أسره، على ما نعتقد من حياته والله تعالى أعلم، يقول: انتشرت كلمة «المجاهد على كيفه» أو بمعنى «بدو يجاهد على كيفه» -هي تفريغ أشرطة له- والفهم الخاطئ لما سُمّي السلفية أنهم هم رجالٌ ونحن رجال تدربوا كي يُنشر لإسقاط الأئمة، إسقاط المدرس، إسقاط العلماء، إسقاط القادة، وبالتالي أصبحت لهم القدرة والجرأة على أن يسقط من يُريد، وبالتالي حتى رموز التيار الجهادي وكُتبه ومؤلفاته وأفكاره أصبحت عرضة لعدم الاحترام.

الناس إذا ما كانوا مثل الطيور في السماء، لهم رأس، لهم أتباع، لهم ترتيب لا يمكن أن يقودهم كجموع، وإذا ما احترم التيار نفسه فيما بينهم لا يمكن أن يقدم نفسه لأمةٍ ولشعبٍ لا يعرفه أصلاً فيحترمه على وضعه القديم.

نحتاج إلى إعادة صياغة الرموز ولإعادة تلميع القاعدة ولإعادة تسليط الضوء على الأفكار الصحيحة حتى نحترمها نحن ونصنع لها الاحترام فيما بين الناس.

الشيخ: في الحقيقة الله عز وجل جعل في كل شيءٍ مادة هلكته، وجعل في كل شيءٍ -حتى لو كان الحق الذي دعا إليه القرآن- جعل هناك من الظروف القدرية التي تصاحبه وتحتاج إلى تصريح، حتى الجهاد حتى الصلاة، حتى الحج، يعني في الحج يكون السفر وتكون اللأواء والألم والناس يصيب بعضهم بعضاً من الغضب ومن المشاكل ومن التعب والمشقّة، في الصلاة يحدث في الاجتماع الكثير من المشاكل... الإمام يتقدم... رضوا على الإمام... لم يرضوا على الإمام.

ولكن المطلوب في كل ظرف أن يقوم العلماء بتجديد الدين... التجديد الكلي الذي يحصل به التجديد في معنى الحديث، والتجديد الجزئي يعني كل مسألة تحدث فيها من الأخطاء ما تحتاج إلى إعادة ترتيب وإلى حالة

جدتها التي بدأت عليه، هذه القضية يجب أن تُفهم.

ومن الأمور التي ينبغي أن تُفهم أنه لا بد أن يكون في الأمة علماء ومحتسبون وأن يكون فيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر في كل وقت من أجل أن يحصل التجديد وألا يتم التقادم على الخطأ فيصبح دينًا، وإذا سكت الناس وقع الخطأ.

هناك بلا شك أن ظاهرة التقليد للأئمة ومنع الاجتهاد والتمذهب الذي أدى إلى الصراعات الداخلية في داخل المذاهب... هذا أحدث أمراضاً في داخل أُمتنا، قام أناس ليصلحوا، هذا الإصلاح كذلك حدث فيه بعض الأمراض، مثل السنة فهي سنةٌ إلهية في كل شيء، فالتمذهب حدث لسبب، وهو الفوضى، فالناس أجمعوا على أنه لا يجوز الخروج، هناك إجماعات أكثر من عشرين إجماعًا لأهل العلم، لا يجوز الخروج عن المذاهب الأربعة، تقره... تخالفه... لكن هذا سلطانٌ قدري قد حدث وسلطانٌ علمي قد فرض نفسه في وقتٍ من الأوقات، وهذا التقليد لمعالجة ظاهرة، أحدث ظاهرةً مرضية في داخله وعالج هذا الجانب، لكنه حدث فيه مرضٌ في داخله، هذه هي سنة الله عز وجل في خلقه لطبيعة الأشياء ولما هي عليه، كل شيءٍ فيه هلكته وفيه أخطاؤه، التي تحتاج إلى تقويم، ولذلك لا بد من وجود الهداة، لا بد من وجود العلماء، لا بد من إعادة الترتيب وإعادة التنظيف وإعادة الجدة، لا بد من الاحتساب بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فالتيار السلفي قام من أجل معالجة أمراض في الأمة، هي أمراض حقيقية، يجب أن يعترف الناس بها، أن التيار السلفي جاء من أجل معالجة هذه الأمراض.

التيار السلفي لأنه حدث في وقت فيه الضعف العلمي، فلذلك أطلق كماردٍ للإصلاح وحدث الأخطاء وسار فيه المرض؛ لأنه لم يضبط ولأن كل جديدٍ يلتحق به الصالح والطالح، يلتحق به العالم ويلتحق به الجاهل، يلتحق به من أراد وجه الله ومن أراد استغلاله، هذه قضيةٌ لا بد من وجودها في كل حالة.

أضرب لكم مثالاً: لو أن هناك جماعات في بيئة من البيئات، فقامت جماعة من أجل الإصلاح، هذه الجماعة من أجل الإصلاح من سيلتحق بها؟ المصلحون الصادقون وسيلتحق بها الزعلانون، سيلتحق بها كذلك من هو سيءٌ في هذه الجماعات ومطالب بالحقوق فيهرب إليها، وهذه الجماعة -من أمراضها- لحاجتها للجموع وتكثير أمرها تسكت عن هؤلاء فبعد ذلك ربما يصبحوا هم الأساس والأُس في هذه الجماعة الجديدة

التي قامت للإصلاح.

في الصوفية قامت جماعة النقشبندية، والنقشبندية أساسًا قامت من أجل إصلاح الصوفية ومع ذلك حدث فيها المفاسد التي في الصوفية، فقد انضم إليها الفاسدون وانضم إليها الصالحون، وبعد ذلك غلب الفاسدون وهكذا.

هذه أمراضٌ قدرية ينبغي أن يُهتم لها وليبقى ولإصلاح بعد ذلك هو بقاء عملية تصفية جارية من أجل إزالة الزوائد وإقرار الحق ومعاملة الأمراض الحادثة قدراً في كل تجمعٍ وفي كل إنسان.

السلفية قامت بالإصلاح فحدث فيها، دخل فيها من هو الجاهل حتى أن البعض يرى أن محمد عبدو، الذي تزعم السلفية وصار أهل الغرب لا يدرسون فيه إلا من خلال محمد عبدو وأنه إمام السلفية، أنه هو الذي أوحى بل أنه هو الذي كتب كتاب تحرير المرأة لقاسم أمين، يعني كانت السلفية عنده تصل إلى حد الخروج حتى عن الشرع، وليس الخروج عن التقليد والمذهبية فقط، ومما حدث أنه لما رفعت التيارات الجهادية السلفية شعاراً، لحقت أمراض السلفية بعد أطوارها الثانية والثالثة، ليس الطور الأول لنقل، أو الثاني أو الثالث، هذه الأمراض التي في السلفية، لحقت بمن تبنى هذا الشعار، فتحت باب عدم التقرير، انتشر الهدم الغير منهجي وانتشر الرد الغير مبني على علم وحصلت الخصومة لأن الذين يقومون بها لا يستوعبون درجات الخلاف ولا يعرفون إدارة الأزمة والخلاف بين العلماء إذا اختلفوا.

وظنّوا لدعوى بعض المشايخ أن السلفية تقضي على الخلاف... هكذا ظنّوا، للأسف كان من كلمات بعض المشايخ أن السلفية وعدم التقليد تقلل الخلاف وتزيل الخلاف وتصنع تياراً واحداً وهذه مذهبيةٌ جديدة، وهذا إمامٌ جديد يقلّده الناس ولا يقلّدون إلا إياه، هذه مذهبيةٌ أكثر شراً من المذهبيات السابقة.

هكذا قالوا، وهذا جهل، هذا لا يمكن أن يقال، لا يوجد في وقت من الأوقات في مسائل الاجتهاد إجماعٌ على قول، وأن النص في وضوحه وظهوره في كل مسألةٍ على جهة واحدة، لا يختلف فيها الناس... هذا لا يوجد.

لكن هذه الكلمة للأسف قيلت من بعض المشايخ، فما الذي حدث؟ الذي حدث أن الأمراض السلفية

دخلت التيار الجهادي.

قد يقول قائل: السلفية فيها أمراض؟ الله عز وجل قال عن كتابه ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٧]، نعوذ بالله، فالقرآن حقٌ كله، لكن النفوس التي تنظر إليه والعقول التي تقرأ فيه وكيف يدخلها الهوى..

فالعودة إلى ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم هو الحق، ولكن هذا شعارٌ يدخل فيه الكثيرون ممن يصيب ويخطئ وممن هو على حق وممن هو على باطل، وممن هو يريد الصواب وممن هو يستخدم ذلك من أجل أهوائه.

فالمنهجية السلفية دخلت التيار الجهادي فحدث فيها هذا ومن ذلك أن فوضى الاجتهاد لم تبق لعالمٍ قيمة، نحن نرد على الصحابة فكيف لا نرد عليك؟! أنتم رجال ونحن رجال وهكذا.

وأعطيت الشعارات بلا أدوات، بمعنى أنه قال لهم: اجتهدوا ولم يُعطوا أدوات الاجتهاد، ثم بعد ذلك لا يعرفون إدارة الخلاف، لا يعرفون كيف يديرونه، أدبًا وتقوى ومعرفة المراتب كيف أن هذه مسائل اجتهاد، وهذه ليست من مسائل الاجتهاد؟ لا يعرفون... أطفال.

فأعطيت الأسلحة للأطفال فبدأ القتال، وإن صحّت نظرية «فرويد» في قتل الأب، -تعرفون نظرية هذا المجرم فرويد في قتل الأب- وهذه النظرية في بعض جوانبها تاريخية صحيحة، أن البعض لا يقوم من أجل أن يجتهد إلا بالضرب الرموز الكبيرة من أجل أن يشتهر، لا يقبل أن يقاتل طفلاً في مسجد ولا قرينًا في مسجد لا يعرفه أحد، لا بد أن يرمي بنشابه إلى الرموز الكبيرة ليقول: ها أنا، والناس يسمعون قعقعة ويسمعون صوتاً عظيمًا، من أجل أن يشتهر، فيبدؤون بهذه الطريقة للشهرة، ويبدؤون بالتحطيم وبعد ذلك ماذا يصنعون؟ يحطمون ولا يبنون وهذا هو فعل الصغار.

العظيم والعالم والكبير هو الذي يبني ويقدم البديل الأقرب إلى الحق على هذا الباطل الذي فيه بعض الحق أو ليس فيه حق، ولكن ليس الذي يزيل البطل مع بعض الحق وتأتي بالزندقة والكفر من أجل أن تملأه، هذه حكمة الحكماء، ومن يخالفها إنما هو جاهل، فالتيار الجهادي نشأ في هذا... فالشيخ أبو مصعب السوري ينبه على وجود هؤلاء أنهم حين رفعوا شعار السلفية فطبقوه على أنفسهم فبدأ المحق من الداخل وهذا ليس فقط في

التيار السلفي الجهادي «الذي هو على هذا الشعار»، ولكن كذلك التيارات السلفية قضوا على أنفسهم، المشايخ يسقطون ويتهاون الواحد تلو الآخر، والآن لم يبقى أحد، فسهل جداً أن يقول الطفل: لا أقبل هذا القول، نعم في عودة هناك لإعادة الاعتبار للعلماء، وهناك صحوة جديدة الحقيقة مباركة في عدم الانسياق وراء هؤلاء الجهلة الذين يريدون أن يسقطوا العلوم ويسقطوا المشايخ ويسقطوا الأئمة ويسقطوا المذاهب، هناك صحوة عظيمة وجميلة في هذا الباب، وهي من صناعة التوازن بين المذهبية المقيتة وبين السلفية المنفلتة، ليصنعوا تيارًا ثالثًا جديدًا يحمل العلم من الطرفين والأدب المفقود من إحدى الجهات لإحدى الجهات إلى غير ذلك، فهذه هي مرحلةٌ الجديدة بدأت.

شرح قضية لا بد من أن نحترم أنفسنا ليحترمنا الآخرون، لابد من وجود رجالٍ فينا لنحترمهم من أجل أن نقدمهم، هذه قضية بلا شك أنها قضية صحيحة، ولكن بضوابط علمية، أي لا يمكن للفكرة أن تسير بلا رجال، الله أنزل كتابه، ولكن أنزل معه نموذج العمل بهذا الكتاب وهو الرسول صلى الله عليه وسلم.

فالرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي نتبعه إعمالاً لأحكام القرآن، نُعمل أحكام القرآن، وكيف نعملها؟! من خلال منهج النبي صلى الله عليه وسلم ومسيرته في الحياة، فالسيرة هي تطبيق العمل بالقرآن، بحكمة القرآن ولأحكام القرآن، فحكمة النبي صلى الله عليه وسلم تفعله، وهكذا في كل قرنٍ سابقون هم يشكلون الأغلب، النموذج الكلي المطلق لما يمثله الكتاب كان خلقه القرآن، النبي صلى الله عليه وسلم.

ولكن بعد ذلك تنزل مرتبة الاتباع لكنهم في الجملة هم المنهج، هم المنهج مع بقاء النص هو الحاكم على الأشخاص، العلماء يُعتبرون ويقدرّون ويصبح وجودهم قدرًا لازمًا في الاتباع والاقتداء، ولكن مع حكم القرآن والسنة عليهم، والنموذج الأول المطلق هو الذي يشمل في أحكامه مَن رَدَّ ومَن رُدَّ عليه، فنعم هذا من الموجود، ولكن هذه أقدار ستنتهي بإذن الله عز وجل على قاعدة القرآن ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧].

في النهاية الله عز وجل يرفع أقوام لدينهم وتقواهم وعلمه بأنهم هم الأصلح للبشرية، ولتقواهم في دينهم ولإخلاصهم بينهم وبين الله عز وجل، وسيسقط الناس وأنتم ترون، يعني في خلال عشرين سنة أو خمسة عشرة سنة سابقة كم قامت شخوص وارتفعت وطبّل لها الناس وصار لها الانتشار؟ وبعد ذلك كأنها لم تكن، فقاعة

وذهبت، وكم أُناس أُريد لهم الزوال والذهاب والقتل والإفناء؟ ثم عاشت كلماتهم وصاروا أئمة ورفع الله عز وجل شأنهم، يعني الخوف من الله عز وجل وليس الخوف من ألسنة الناس، فعلى المرء أن يخاف الله عز وجل، وعليه أن يرى أن فعل الله عز وجل هو الحاكم وأنه هو الأقوى في قضية التقدير، ما هو الباقي وما هو الذاهب؟

والله تعالى أعلم، والحمد لله رب العالمين.

١٢٧- حصار قطر

ضمن الجلسة الثانية عشر، السؤال السابع والعشرون بعد المئة، بتاريخ: (**١٥/٠١/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٥/١٠/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يقول السائل: لم أسمع لكم كلامًا عن قضية حصار قطر والتحالف العلماني الذي بدأ يتشكل مؤخرًا من طبقة الخمارات وغيرهم، حفظكم الله لا تفوتوا جلسة كاملة لهذا الموضوع.

الشيخ: والله يا أخي هذا الموضوع لا يحتاج إلى جلسة وتكلمت أنا في الحقيقة من قبيل الإشارات في هذا الموضوع، ولا يوجد أحد يستطيع أن يزيد كلمةً عما في نفوس الناس مما عرفوا من هذا الواقع وهذا التحول الظاهري والكشف لما هو باطن مما عاشه الناس فهذا من رحمة الله عز وجل، اختلاف الحكومات رحمة للبشر، ورحمة للمسلمين؛ أنه يكشف الحقائق.

يعني هناك من الحقائق ما كان الناس يجهلونها، تعال مثلاً إلى السجون السرية في اليمن، من كان يمكن من الناس أن يعرفها؟ وإذا أظهرها البعض كم واحد من الناس يمكن له أن يسمع عنها؟ لكن الحمد لله، كم من الفضائح التي كنا نسمعها فيقع في قلوبنا الشك، أيمكن أن تكون بمثل هذا السوء والقبح؟! والحمد لله خلافات الحكام منفعةٌ للشعوب من رحمة الله عز وجل.

الذي يهمني أكثر مما عند الناس لن أزيد عما هو عند الناس وأحكامهم وما عندهم من القضايا والنظر ومعرفة المجرم ومعرفة الفاسد، الناس يعرفون هذا تمامًا وبيّنًا، وهذا من نعمة الله عز وجل في أن هذه الظروف كشفت حقائق مخفية؛ من أجل إقامة الحجة الربانية على هؤلاء؛ من أجل أن يطمسهم وأن يستأصلهم وأن يصطلمهم، هؤلاء سيصطلمون وسيستأصلون من جذورهم بسبب عدائهم لله عز وجل وعدائهم لأمة محمد صلى الله عليه وسلم وتآمرهم مع أعداء الملة ضد هذه الأمة.

الذي أحب أن تفهموه أن هذه مبشرات، كم يضيق الأمر؟ ليتسع، والله عز وجل لو وقع منه العذاب بغير إعذار وغير كشف يتساءل الناس لماذا؟ لكنه بعد ذلك لن يتساءل الناس لماذا؟ سيرون أن هذا العذاب الإلهي

يوافق ما أحدثه هؤلاء المجرمون من واقع، ما كان مخفيًا لا يعرفون إلا القلة، والناس ينازعون فيه، والناس يختلفون في هؤلاء الحكام منهم من يدافع عنهم، والآن والحمد لله تنهار هذه الحجب بسرعة، وبطريقة لم يكن لأحد أن يكشفها.

يعني من الأمور التي تبيّن حكمة الله عز وجل في هذا الأمر لو جلسنا نبيّن لسنوات طوال في حقائق هؤلاء الحكام؛ لا يسمعنا إلا القليل ولن يقتدي بنا إلا القليل، وقد فعلنا ولم يسمع لنا إلا القليل وبدأت الاتهامات هؤلاء خوارج، هؤلاء منحرفون، هؤلاء... إلخ، وهكذا يكذبون ويدافعون عن الحكام، لكن الآن لا يدافع عنهم إلا علماني زنديق خبيث يكره الدين، وشيخٌ مأجور مكشوف الناس يسبونه ليل نهار، هذا هو الواقع، هذا من رحمة الله عز وجل.

من رحمة الله عز وجل أن الأمة إذا قامت لا تندم، ولا يقولوا: قمنا على من يستحق أن يُدافع عنه أو أن نسكت عنه أو أن نصبر عليه، كل هذه المقدمات ستحقق النصر، هذا لا تحزنوا فهو على قاعدة القرآن عن الإرث، ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾ [النور: ١١]، فهذا هو دين الله عز وجل وهذه حكمة الله عز وجل في هذا الأقدار.

لا تطلب مني ولا من غيري أن يتكلم حين يكون الأمر واضحًا بمثل هذا الوضوح وهذه الصراحة؛ لأن الحديث حينئذٍ هو مُزاودة، والحمد لله أن يكون الكلام حين يسكت الناس، أما حين ينتشر الأمر فالحمد لله لا نصارع الناس فيما يتكلمون، لا نريد أن نسارع في هذا الأمر والناس كلهم يتكلمون الحمد لله، الخطباء يشيرون والذين في بحبوحةٍ من المكان والزمان يتكلمون بوضوح وصراحة، وكل هذا من نعمة الله عز وجل وهو يؤكد ما كان الناس يقولونه في زمن خفاء هؤلاء الحكام على البعض، ممن لا يعرفون حقائقهم.

فهذا من نعمة الله عز وجل، يعني الفتن تكشف، كان الناس يتحدثون عن الرافضة والناس يحبون حزب الله لأنه يقاتل اليهود، الآن الحمد لله جاء الجهاد السوري وكشف عن هذا الحزب الرافضي الخبيث، والناس يلعنون الرافضة، فهذا من رحمة الله، تأتي الفتن لتكشف هؤلاء الطواغيت، وتكشف من كان خفيًا مستورًا، وهذا من نعمة الله عز وجل، فاحمدوا الله عز وجل أن عرفكم؛ ليموت الناس على بيّنة، وليصل الناس إلى حقيقة ما حدث عنه النبي صلى الله عليه وسلم إلى فسطاطين، سيسير الناس ويسيرون بقوة إلى حقيقة الفسطاطين؛ كفر

صريح بيّن وإسلام صريح بيّن، ولا يبقى بينهم إلا الرعاع والفسقة والفجر والكفرة ممن لا يحبون أن يصحوا أبدًا، فهذا ما يمكن أن أتكلم عنه، ولا يطلب مني غير هذا، فحين يغيب الحق ويمكن للمرء أن يتكلم كاشفًا، وحين يظهر الحق يكون ظهوره كافيًا في البيان.

والحمد لله رب العالمين.

١٢٨- الفترة المكية وواقعنا المعاصر

ضمن الجلسة الثانية عشر، السؤال الثامن والعشرون بعد المئة، بتاريخ: (**١٥/٠١/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٠٥/١٠/٢٠١٧م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل يقول: نسمع كثيرًا أننا الآن في فترةٍ أشبه ما تكون بالفترة المكية قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم، هل هذا صحيح وجزاكم الله خيرًا؟

الجواب: إطلاق مثل هذه العبارات ليس جيدًا في دين الله عز وجل، الآن علينا أن نقرر القضايا التالية أن دين الله عز وجل كاملٌ تام، ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، فالإسلام تام وبيّن؛ فلا يجوز لأحد أن يقول: نحن نعيش في الفترة المكية؛ لأن مثل هذا الكلام يحتاج إلى تقييد، لو أن رجلاً قال: نعيش الفترة المكية وبالتالي؛ لا صلاة علينا! كما يقول بعض الجهلة، أو يقول: بأن صلاة الجماعة الآن غير واجبة ونحن في فترة مكية فنصلي في بيوتنا! أو أن يقول: إن هذا الوقت لا جهاد البتة لأننا نعيش فيه فترة مكية! كما يقول بعض أفراد الجماعات؛ فهذا انحراف، الصواب: أن دين الله عز وجل كامل.

لكن لا يعني هذا عدم مراعاة الأحداث ومراعاة القوة والضعف ومراعاة الأوضاع، النوازل لها ظروفها من هنا تتغير الفتوى بتغير الزمان والمكان؛ لدخول عوامل، دخول شروط، دخول موانع، تخلف شروط، فهذه تجعل المرء يتعامل بحسب الوسع والطاقة، يعني الله عز وجل لا يكلف نفسا إلا وسعها، فلو أن فترةً من الفترات عاد المسلمون فيها ضعفاء، فاحتاجوا فيها إلى السر في الدعوة إلى الله كما كان المسلمون في الجمهوريات في الاتحاد السوفيتي، كيف كانوا يعيشون؟ يعيشون في الخفاء يعلمون القرآن في الأقبية، يصلون في الخفاء، يقومون بالشعائر المقدور عليها بحسب الوسع، وما لا يقدر عليه المرء ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

لكن لا يقال لهم: أنتم تعيشون في الفترة المكية، ولكن يأخذون من هذه الفترة الأحكام التي تلائم وضعهم بحسب الوسع والقدرة، وأما إطلاق مثل هذه العبارة وهذا الشعار بأننا نعيش بالفترة المكية وبالتالي؛ نستحضر

أحكام الفترة المكية في كل أجزاءها على واقعنا هذا غير صحيح.

يعني الآن في بلاد ربما تُعادَ إذا تكلمت في التوحيد في بابٍ من الأبواب، ولكن مسموحٌ لك أن تصلي، لا تستطيع أن تجاهد، ولكن أنت تستطيع أن تصلي وتزكي وتحج، هل يقال: أنه نعود إلى الفترة المكية؟ هل المقدور يسقط بالمعسور، بغير المقدور؟ لا، حيث فتح لك الخير تفعله في كل زمان وفي كل وقت، والعبرة بالقدرة، العبرة بالقدرة والسعة في قضية الوجوب، وأما في قضية الاستحباب فالعبرة بما تقدر عليه، وما تدفعه نفسك للتضحية به.

يعني بمعنى أنه يمكن للمرء للاضطرار ألا يقول كلمة الحق، ولكن أن يقولها استحبابًا ليموت في سبيل الله، هذه مرتبةٌ عظيمة، ولا يقال للمرء نحن في الفترة المكية لا يجوز لك أن تفعل هذا، حتى الفترة المكية فيها ظروف متعددة، هناك فترة السر، هناك فترة العلن، فهذه العبارة تحتاج إلى ضبط.

والصواب في هذا أن يقال كالتالي: نحن مسلمين ونفعل من الإسلام ما نقدر عليه مما هو واجبٌ علينا، فما هو واجبٌ ووجدت السعة لفعله؛ نفعله ولا نتردد وإن تركناه نأثم باعتبار كمال الشريعة، وأما المعسور فيسقط ويسقط وجوبه، ويبقى استحبابه لمن يأتيه على وجهه العزيمة وتاركًا للرخصة، فهذا الحال الصواب في هذا الباب.

وأما ما تفعله بعض الجماعات أو يفعله بعض الجُهال، يعني كنا مثلاً في السجن؛ فالبعض يقول: السجن تسقط فيه صلاة الجمعة، نقول: كذبتم، هكذا السجن ليس عذرًا لترك الجمعة، نقول: عدم القدرة على الجمعة يسقط الجمعة، لكن لو فتح لك المجال أن تصلي الجمعة فواجبٌ عليك أن تصليها؛ لأن العبرة بالقدرة، ولا يوجد نص يقول: بأن الجمعة تسقط في السجن، والذين قالوه في زمانهم؛ إنما قالوه بحسب ما رأوا من السجون أنها رافعة للقدرة، مانعة للقدرة عن صلاة الجمعة، لكن إذا وجدت القدرة تصلي جماعة.

هل يجوز لأحد أن يقول: لا أصوم اليوم لأني في الفترة المكية؟! فيجب عليك الصيام، إذا لم تقدر، إذا أجبرت على الإفطار فحينئذٍ بحسب حالك، إما أن تأخذ بالعزيمة وإما أن تأخذ بالرخصة، بحسب الأحكام الشرعية المستقرة في دين الله عز وجل، وهناك بعض الجماعات تقول: نعيش في الفترة المكية، علينا فقط ألا نجاهد ومن جاهد فهو مخطئ والجماعة العاملة لدين الله ينبغي لها ألا تنشر هذا الفكر، هذه جماعات منحرفة، وتخلي بين الأمة وبين أعدائها.

الواجب هو أن تعمل الواجب حيث وجدت القدرة له، القدرة مع عدم وجود الموانع، حيث وجدت فتحقق الوجوب، وأما العزيمة فهذا بابٌ يتسابق فيه الناس، حتى لو لم يوجد القدرة يفعلونه على جهة التضحية لدين الله عز وجل والقيام بأمره كما يحب الله عز وجل من رؤية عباده يتسابقون في طاعته محبةً للدار الآخرة وإيثارًا لها.

والحمد لله رب العالمين.

١٢٩- حكم العمل في تل أبيب

ضمن الجلسة الثانية عشر، السؤال التاسع والعشرون بعد المئة، بتاريخ: **(١٥/٠١/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٥/١٠/٢٠١٧ م)**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: السلام عليكم شيخنا الفاضل حفظكم الله ورعاكم -وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، أكرمك الله في الدنيا والآخرة-، السؤال: لو أن شخصًا ترك عمله في بلدٍ مسلم وانتقل للعمل في تل أبيب في مهنة بيع الخضار، هل جاز له ذلك؟ مع العلم أنه غير مضطر لذلك وأن الهدف من ذلك تحصيل دخلٍ أفضل، وإن كان هذا العمل محرمًا فبماذا يرد على المسلمين؟ لأن المسلمين كانوا يعملون مع اليهود في العصر النبوي وبوركتم.

الجواب: أولاً للتفريق، هؤلاء مغتصبون ولا يقر على اغتصابهم، وهؤلاء المجرمون محتلون ولا يقر على احتلالهم، وأما الكافر الأصلي المقيم في بلده؛ فيقر على ملكه في ماله ويقر على ملكه في بلده، أي يمكن أن ننشئ معهم الهدنة لأن هذا هو بلدٌ بالقَدَر لهم إما بالتملك، إما بالطرق غير الشرعية، نقرهم على هذا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: **(اليهود على أموالهم)** وهي في عامة يثرب، فيقر الكافر على هذا المعنى، ثم بعد ذلك يؤخذ منه عن طريق الجهاد كالغنيمة والفيء وما شابه ذلك، لكنه في الابتدائي يقر عليه ويجوز التعامل معه إقرارًا له على ماله، بخلاف الذي يأخذ مال المسلمين كما فعل اليهود في فلسطين أخذوا الأرض، فلا يجوز إقرارهم على هذه الأموال التي أخذوها وأهلها حاضرون، فينبغي التفريق بين الحالين في هذا الباب فقهيًا.

أما الجواب على السؤال: فلا يجوز لأحدٍ أن يقيم في ديار الكفر على جهة تقويتهم في حياتهم الدنيوية أو في دينهم الذي يدينون به؛ يعني لا يجوز لأحدٍ أن يعمل في كنيس يهودي، ولا يجوز لأحد أن يعمل في بيعةٍ يهودية فهذا دينهم، ولا يجوز لمسلم أن يعينهم ليستقروا في أرضه، وبالتالي: من طرق قتال هؤلاء؛ ما يسمى بالحرب الاقتصادية أو المقاطعة، وهي تؤثر، ولا يقل أحد إنها في مرات لا تؤثر، ولكن على الجملة لو حصل حربٌ اقتصادية لهم لأثرت في حياتهم، وهذا كله من باب قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً﴾ [الحشر: ٥]، فلذلك الصحابة رضي الله عنهم حرقوا نخيل بني النضير، فحاربوهم من جهةٍ اقتصادية.

ومن باب أولى أن يحاربوا من كل جهةٍ اقتصادية تضييقًا عليهم في حياتهم، ولذلك فكل مسلمٍ يقوم معهم على هذا المعنى وفي تقوية حياتهم وتقوية لاستقرارهم فلا يجوز، والمطلوب في هذه المستعمرات الكافرة أن لا يقيم فيها المسلم وأن لا يعمل بها وأن لا يبيع فيها؛ فصلاً لهم وإذلالاً لهم، وإهانة لهم وإضعافًا لهم في حياتهم في هذه الأبواب، وللأسف المسلمون لا يفعلون ذلك فيشتغلون عندهم، والمستعمرات تقام بأيدي المسلمين، هم يعملون ويشتغلون عندهم وهذا للأسف من الخطأ الذي وقع فيه المسلمون وأثموا فيه.

فلذلك السؤال عن هذا الرجل جوابه: لا يجوز، ما دام أنك قلت: غير مضطر، فلا يجوز الإقامة بين أظهرهم المقصود به ليس في فلسطين، والمقصود في كوبوستاتهم ومدنهم المختصة بهم، هذا هو المقصود، وأما إقرار المسلمين في بلاد فلسطين فهذا أمرٌ واجب أن يدعموا من أجل أن يبقوا في هذه الأرض المباركة ليأتي اليوم الذي به يُحارَبون من الخارج بقدوم المسلمين من الخارج، ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (٦)﴾ [الإسراء: ٦]، وبقتال المسلمين من الداخل، في إذلالهم وقتلهم واغتيالهم والفعل به كما فعل محمد بن مسلمة بكعب بن الأشرف.

ولذلك الجواب: يقول الله عز وجل: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]، هذا من الإثم، تقوية الكافر في ظلمه وإجرامه وغصبه لأموال المسلمين هذا من الإثم والعدوان إجماعًا بلا خلاف في ذلك.

والحمد لله رب العالمين.

١٣٠- حكم الوشم

ضمن الجلسة الثانية عشر، السؤال الثلاثون بعد المئة، بتاريخ: (١٥/٠١/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٥/١٠/٢٠١٧ م)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: ما حكم الوشم على الجسم، سواء أكان وشماً مؤقتاً أو دائماً؟

الجواب أيها الأخ الحبيب: هذا من تغيير خلق الله عز وجل، ومن أمر الشيطان: ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾ [النساء: ١١٩]، فالله عز وجل خلقك على هذه الهيئة التي هي بيِّنةٌ في بيان حكمة الله وفي أحسن تقويم، وهي بينة في رحمة الله وجمال الله عز وجل، فجاء الشيطان واجتاح الناس ليغيروا خلق الله على جهة الاعتراض والتجميل؛ فنهانا الشرع عن ذلك؛ فنهى عن الوشم، ونهى عن النمص للحواجب للرجال والنساء، ونهى عن تغيير خلقة الله عز وجل في فلج الأسنان وما شابه ذلك.

فلذلك: الوشم حرام، وتغيير لخلق الله عز وجل، سواء كان مؤقتاً أو دائماً؛ ولا شك أن الدائم هو أشد إثماً، مع أن هذا -المؤقت- إثم وحرام وجريمة كذلك، ولكنه أقل؛ لأنه يمكن إزالته بخلاف الدائم، فاتخاذه عند وجوده: هذا إثمٌ وهذا إثم، وبعض أهل العلم يرى أنه نجس؛ لأنهم يضعون الدم وبعضهم يضع القاذورات!! من أجل أن يثبت الألوان.

ولا شك أن في هذا كذلك جريمة كبرى، وهي تقليد الغرب؛ الغربيون هم يفعلونه على جهةٍ من القذارة...

وأنا -في الحقيقة- الله عز وجل رزقني أن أفهم شرعه في هذا الباب فأحرمه؛ ولكن من الهداية الربانية أني أتقزز منه على جهةٍ شخصية، أتقزز منه وأتقزز من كل تغيير لخلقة الله..

وأنا أتمتع بالجمال كما هو، وأرى أن الله عز وجل خلق كل شيءٍ على صفة الجمال؛ إما من أجل التنبيه عليه، وإما من أجل الدلالة عليه.. إما من أجل التنبيه لوجود الجمال في غيره، وإما لوجود الدلالة أنه هذا هو الجمال... فأتقزز وأعجب لهؤلاء الذين يَشِمون أنفسهم بالألوان والصور وغيرها!! فهذا كله مما يستقذر، وحالهم كحال الذي يربي أظافره!! أنا أعجب كيف يأكل وزوجه، وهذه المرأة التي تضع المناكير.. جمع منكر!! أنا أعجب كيف يأكل زوجها معها! أنا أتكلم هنا من جهة دينية ومن جهة شخصية.. فأعجب ممن يفعل هذا!!

فهذا الوشم كله من الحرام، الذي هو تغيير لخلقة الله، بل إنَّ ما هو أدنى منه محرم مثل النمص، وهو أدنى من هذا الوشم وهو محرم، وهذا فيه كذلك تقليد للغرب وتقليد لأكابر المجرمين من أهل المعاصي في الغرب؛ يَشِمون ويضعون الوشوم، وما زلت أتعجب ممن يفعلها! فهذا مما يتقزز منه البشر لو كانت فطرتهم سليمة.

والحمد لله رب العالمين.

١٣١- نصائح إلى الإخوة السجناء ونظرة في نفسية بعضهم

ضمن الجلسة الثالثة عشر، السؤال الواحد والثلاثون بعد المئة، بتاريخ: (**٢٢/٠١/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٢/١٠/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: شبابٌ في السجن يبلغون الشيخ السلام -وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته- ويطلبون طلباً منه يريدون الشيخ أن يزودهم بحزمة من النصائح والوصايا يتقوون بها على ما هم فيه، ويطلبون على الخصوص توجيهاً، للتعامل مع فتة ابتلاهم الله بها من حمقاء الدواعش.

الشيخ: في الحقيقة أولاً: موضوع السجن يحتاج إلى حديثٍ طويل، وربما في كل لقاءٍ أو في كل أسبوع نوجّه إلى إخوتنا السجناء حديثاً خاصاً بهم، الناس يظنون أنّ السجين يعني أنّه إنسانٌ عادي، وأنّ وضعه بعد مدةٍ يتأقلم معه، وهذا غير صحيح، السجن للأسف في كل يومٌ يزداد آلاماً على صاحبه، وفي كل يومٍ يأتي يظن بعض الناس أنّه قد تآلف مع الألم، والصواب: لا، الألم في كل يومٍ هو يزيد، فزيادته في كل يومٍ تأتي بألم جديد، وتأتي بأحوالٍ جديد، وظروفٍ جديدة.

وكذلك السجن ليس معزولاً عن واقعه الخارجي، فكل ما يأتيه في الخارج من حياة اجتماعية، من أوضاع سياسية، من قضايا فكرية تخصه وكان معنياً بها أو كان مشاركاً بها، كذلك تؤثر عليه في داخله، السجين إنسانٌ مسلوب الإرادة وحالته مؤلمة، ومن جرب السجن يعلم هذا، حتى لو كان سجيناً دون تعذيب، فكيف إذا اجتمع عليه التعذيب والأذى من قبل السجناء؟ وكيف إذا كان السجن بذاته تعذيباً، بأن يوضع في الانفرادية، أو يوضع مع أناسٍ فجرة، أو يعذب تعذيبًا نفسيًا، أو أن يمنع من بعض حاجاته، يعني لا يستطيع أن يصلي الصلاة الصحيحة، إلا بظروف معينة، يُقطع عن أهله فلا يزورونه، أو أهله بعيدون لا يستطيعون زيارته.

في الحقيقة السجن مؤلم، ولذلك أنا لا أجيز عقوبة السجن البتة، إلا لظروفٍ خاصة، هذه أنا أتكلم عنها من تجربةٍ ومعايشةٍ لأحوالها، السجن لا يجوز، السجن عقوبةٌ لا تجوز إلا بحالٍ إلا عند الاضطرار، وهذا الاضطرار ينبغي أن يكون محصورًا، ويقوم عليه قضاة عندهم تقوى الله، وعندهم الإحساس العالي بأحوال

الناس، وظروفهم وآلامهم، وعندهم المشاعر الحية بالعائلات، وما هم فيه، والسجناء وما هم فيه، السجن عقوبة تتعدى قطع اليد، تتعدى جلد الظهر، يعني لو أنّ رجل أتى به فجلد عشر جلدات، ثمّ أطلق صراحه، أهون بكثير من أن يسجن ليلتين أو ثلاث فقط، هذه الجريمة المعاصرة التي جعلت للسجن فلسفة العقوبة الأصلية، وأنّ غيرها زائدٌ عليها وخارجٌ عنها، فهذه فلسفةٌ جاهلية مؤلمة، لا يعرفها في الحقيقة إلا من عايشها، وحتى الذين يعايشون ضمن السجون التي توافق ما يسمّى بحقوق الإنسان في السجون الغربية، لا يعرفون كم يتألم السجين في مثل هذه الظروف، وما هو عليه.

فلذلك أنا أقول لإخواني: صبّركم الله، وأقول لكل سجين: اصبر واحتسب، وتذكر الدار الآخرة، وعليك بدوام الذكر، ودوام الاستغاثة بالله، والبكاء بين يديه، وعليك بكثرة قيام الليل، بإطالة قيام الليل، وقراءة القرآن، عليك بالانشغال –إن لم تكن حافظاً لكتاب الله– أن تحفظ كتاب الله، والوقت كالسيف إن لم تقتله قتلك، إن لم تستخدمه في الحق، ارتدّ على صدرك فأبادك، وأزالك، ونحرك، هذا الابتلاء، فعليك بالصبر الجميل، والصبر الجميل الذي ليس فيه شكوى، والصبر الجميل للسجناء يفتح أبوابًا كثيرة، من أهمها: أن تحفظ ودّ إخوانك معك، ولا تزيدهم الألم.

وللأسف، للأسف إنّ أعظم ما يلاقيه السجناء في الداخل هو أن يصبح المرء وهو في سجن، يكون في سجن ممن معه، يؤذونه، أو يؤذيهم، ويحتاج بدل الصبر على السجن، يحتاج إلى صبرٍ، وصبرٍ، وصبر، يحتاج إلى تحمّل أكثر مما هو فيه، فحينئذٍ أنت تصبح غيظًا وألماً وعذابًا على إخوانك، أو يصبح هؤلاء عذابًا وألماً عليك.

في الحقيقة إنّ أشق أيام السجن هي إذا حدث في داخل السجن من مصائب تؤلم السجين من إخوانه الذين معه، نعم هناك كذلك من أشقّ أيام السجن، أن تأتي لك الأخبار السيئة من الخارج، وخاصةً إذا كانت اجتماعية، وأعلى منها إذا كانت ما سُجنت من أجله، يعني أنت سجنت من أجل الجهاد، فتجد أنّ المجاهدين في الخارج يلعبون في دين الله عز وجل، ويتقاتلون على شيءٍ أنت سجنت من أجله، يتقاتلون عليه تقاتل الأطفال والصغار، هذه من أشق أيام السجن.

وفي الحقيقة تجربة ذاتية في هذا الباب، أنا سجنت في بريطانيا، وهناك لا يوجد في السجن المهاجع الجماعية، في السجون عالية السرية لا يوجد إلا ما يسمّى السل وهي الخلية، أي السجن الانفرادي، ولا تخرج

من الزنزانة إلا نصف ساعة للتجوال، ومرات يخرجونك أقل، مرات يخرجونك من أجل أن تقضي حاجتك من تلفون، أو الغسل، مرات، فكنت أعيش ظروف السجن الانفرادي، ولما جئت إلى الأردن، وإذ أدخلوني إلى مهجع كبير فيه تقريباً اثنا عشر أخًا، ففرحت وشعرت أنّي خرجت من السجن إلى الحياة، يعني أن تكون بين إخوة، وكانوا نِعم الإخوة في الحقيقة، إلا بعض الأفراد، لا يمكن أن يخلوا الجو من شيطان، لا يمكن أن يخلوا الجو من رجلٍ صاحب لحية، يجعل السجن سجوناً عليك، وآلامًا فوق ألمك.

ووالله قلت للإخوة خلال سنة وشهرين أو أكثر، في مدة سجني في الأردن لم أشعر أنّي في سجن إلا في يومين، صارت خصومة في الداخل بين الناس؛ فصنعوا ألماً شديدًا، فذكروك أنّك في سجن، وإلا فأنت مع الإخوة تأكل معهم، وتشرب معهم، وتصلي معهم، بخلاف ما إذا أنت في غرفة لوحدك، هذه في الحقيقة من الآلام العظيمة التي يحياها السجين.

ومن حق السجناء ينبغي علينا في كل ليلة أن ندعو لهم، وأرجو أن أكون ممن يقوم بهذا الحق، أرجو من الله أنني ممن يقوم بهذا الحق أنّي في كل ليلة أدعوا إلى إخواني السجناء، لأنّي أعرف هذا، وأعرف من أعظم آلام السجين، أنّه يُنسى، من أعظم الآلام على أهله، وعليه في السجن، أنّه يُنسى، يقال: فلان أين هو؟ آه سجين، كم صار له؟ يقول لك: سنتين ثلاث، وكأنّه يتحدث عن أرقام! يتحدث عن كأس شاي! كم كأس شاي شربت، شربت كأسين، فكم له سجن، كم له مسجون، سنتين ثلاثة، كأنّه يتحدث عن كاسات شاي يعدها! لا يتحدث عن سنتين، كأنّه يتحدث عن يوم ويومين وثلاثة وعشرة! يعني ماذا نقول في مثل هذا الباب! هذا باب يعني مؤلم من أين أتيته وجدته مؤلماً.

فالقصد من هذا: أنّ على السجناء في داخل السجن، خاصة في هذه السجون التي يكون فيها المهاجع، والإخوة يعني في مكانٍ واحد، فعليهم أن يتقوا الله في أنفسهم، وكل واحدٍ يحبس ألمه من أجل أن يبتسم في وجه أخيه، لو أنّك أصبحت في الصباح متجهماً؛ تؤثر على كل إخوانك، فتبسمك حينئذٍ يكون صدقة، وتكون الحسنة عظيمة عند الله عز وجل، (**تبسمك في وجه أخيك صدقة**)، عندما تقوم فتتبسم، حينئذٍ أنت تنشر السعادة في محيطك.

وللذكر عندما كنا في الزنزانة، في الزنزانة يكون المرء في خيالات، يخاصم هذا ويخاصم هذا، وهو لوحده

يخاصم، يسمع تماثيل؛ لأنّه مسكين الرجل، متألم، وهذا عندنا يقولوا له: «بده يفش خلقه»، فيبدأ بصناعة خصومةٍ مع أوهام في نفسه، فكنت أقول للإخوة إذا خرجنا من هذه الزنزانة، فنخرج للمشي لمدة أربعين دقيقة أو أقل، فنمشي فالأخ يأتيك متجهماً، أقول له: اسمع يا أخي –وهذه أكثر من مرة– اسمع يا أخي والله أنا لم أكن معك في الزنزانة، يعني أنا لم أخاصمك ابتسم أرجوك يعني؛ لأنّه هو يكون متخاصم، فيظن أنّ هناك ثمة خصومة يعرفها الجميع، أقول له: لا، أنا لم أكن معك في الزنزانة، أنا كنت في زنزانة أخرى فلذلك لم أخاصمك؛ فيبتسم يعرف يعني أنّ هناك مشكلة يجب أن تحل في نفسه، فهكذا عليك أن تراعي إخوانك.

رجل يعني مثلاً يخرج للتلفون أو يخرج للزيارة؛ فيعود مُتجهماً؛ عليك أن تراعيه، الرجل بدل أن تأتيه سعادة، جاءه أقرباه كذلك بمصائب من الخارج، عليك أن تراعيه، أخ مريض عليك أن تراعيه، أخ تعب لظرف معين عليه، جاءه الحكم.

كانت من أشق أيامي في داخل السجن، هو أن تعود –يعني هذه رحمة في السجون التي فيها الجماعي– إذا خرجت إلى المحكمة، فرجعت بالحكم، أو رجعت بقرارٍ سيء، تدخل في غرفتك لا تجد أحدًا تصرخ في وجهه، ففي السجون الجماعية إذا رجعت تجد إخواناً تصرخ في وجوههم، دعه يصرخ استوعبه، يخرج ويغضب، استوعبه دعه يخرج ما في قلبه، كن حكيماً في هذا؛ لأنّه سيأتي دورك أنت كذلك، فيستوعبونك، فهذه ظروف السجن تحتاج إلى حكمةٍ عالية، وإلى صبرٍ عالٍ، وإلى محبةٍ عالية، وإلى روحٍ مختصة، السجن ألم لا يعلم به إلا الله.

مثلاً: –أعود وأكرر– ذهبت فضربت مئة جلدة، ورجعت إلى بيتك، انتهت، كم ستؤلمك يوم؟ يومين؟ وانتهى الموضوع، ثمّ تنطلق في حياتك، لكن السجن في كل يوم يزيد الألم، والمدة لا تزيد إلا الألم، من أعجب مما كنت أسمع، يقال: لا، تَعَوّدَ على السجن!! لا يوجد أحد يعتاد على السجن، هذه كلمةٌ فاسدة ظالمة جاهلة، لا يعرف فسادها إلا السجين، لا يوجد أحد يتعود على السجن، في كل يومٍ يزداد ألم السجين، في كل يوم؛ فعلى الإخوة في داخل السجون أن يفقهوا هذا، وأنا أتكلم في شيء من عدم الترتيب، يحضرني.

الموضوع الذي تكلم عنه الأخ: حين يكون الناس في السجن، وفي بلاءٍ واحد، المطلوب هو إدارة هذا السجن «البلاء» بطريقة الحكمة التي تخفف الآلام، لا أن تزيد آلام إخوانك، حتى لو اختلفت معهم، يعني أنا أعجب رجل يخالفك في السجن، أنت وإياه في مكان واحد، تأكل أنت وإياه، تصلي أنت وإياه، ألا يمكن أن

تستوعبه، حتى لو قال هو كان من هذه الجماعة، أو من هذه الجماعة، أنت تريد أن تزيد الألم؟! تريد أن تفرّق الناس؟!

وأعجب أن يأتيني أخ يقول لي: مكثت سبع سنوات في السجن، ما أمضيت منها أربع سنوات، وأنا مقاطع! لماذا مقاطع؟ قال: لأنّي أخالفهم في هذه المسألة! الذي فعل هؤلاء مجرمون، والله هؤلاء ظلمة، كنت قديماً مع حكمة الحكيم في قوله: «هذا الزمن لا تنفع معه العزلة»، مع أنّي غيرت رأيي إلى مقولة ابن حجر رحمة الله عليه: «عزلةٌ مؤلمة خيرٌ من صداقة مؤذية»، العزلة فيها ألم لكن خير من صداقة مؤذية، هذه كلمة لابن حجر عليه رحمة الله في «الفتح».

مع ذلك يعني السجن إذا انقطعت من إخوانك، تريد أن تنقطع من الحياة؟ فلذلك على الإخوة في داخله أن يستوعبوا بعضهم البعض، وأن يستوعبوا بعضهم اجتماعياً، يستوعبوا بعضهم إسلامياً، يستوعبوا بعضهم دينياً، إيمانياً، سبحان الله! بالفعل الله خلق للمهمات للرجال، خلق الله للحكمة رجالاً، وخلق الله للسفاهة رجالاً، سبحانه جل في علاه.

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا رأى رجلاً سفيهاً، قال: «سبحان الذي خلقك، وخلق عمر بن العاص»، عمر بن العاص هذا الداهية العجيب، وخلق سفيهًا أخرقًا مثلك، سبحان الله، وبعض الناس هكذا في السجن، هو يريد أن يصنع الشر، هذا وقت المحبة، وقت الإيثار، وقت اللقاء، حتى لو خالفته، ولكن ماذا نصنع، حقيقةً هذه الكلمات لا تفيد مع بعض السفهاء، كنا نقول لهم في السجن ولا نستفيد، بعض الناس هو هكذا خلقه الله «لوح» -هذه تعرفونها أنا أتكلم بما يتكلمون في بلادنا- «لوح» يعني قطعة لا ينفع معها الحديث، لذلك خلاص هو صاحب مشاكل، مع نفسه يتخاصم، إذا لم يجد أحداً كالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله، بعض الناس هكذا.

فالطريقة للإخوة عليهم أن يصبروا، يكثروا من الدعاء لله سبحانه وتعالى، نسأل الله أن يفك أسرهم، نسأل الله أن يرحمهم، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يردهم إلى أهلهم، وأن يلعن أعداءهم، والله من أعظم ما استفدته من السجن كره الظلم، صرت أكره الظلم، كنت أفهم أنّ الظلم حرام في كتاب الله عز وجل وفي سنة نبينا صلى الله عليه وسلم، ولكنّي لم أعرف معنى جرم وظلام وفساد الظلم حتى وقع علي، حتى رأيته وأحسسته في نفسي،

وأبنائي، وأهلي، وزوجي، وأمي، وأبي.

والله إنّ كل حاكم، وكلّ قاض، وكل سجّان، والله إنّ أعظم ما يُعذّب عليه هؤلاء إذا كانوا مسلمين، مع أنّ أغلبهم ليس مسلم، إن لم يكن كلهم ليسوا مسلمين، والله إنّ هؤلاء ليعذبون قبل الكفرة والمشركين، الظلم ظلمات يوم القيامة، يعني هؤلاء القضاة الذين، سهل جداً، اسجنوه يومين ثلاث، أو عشر أيام، مؤبد، ويكون بسبب دينه، هؤلاء لا يعرفون بعد ذلك كم هذه الكلمة ماذا فتحت من الشر، ماذا فتحت من البؤس، ماذا فتحت من الألم، على عائلة، على رجل، على أبناء، على امرأة، على زوجة.

وهذا باب الحديث عنه تختلط فيه المشاعر، وتتضارب لكثرتها، وعلى قاعدة الإمام ابن حزم رحمه الله: «إذا كثرت المصائب تساقطت»، معنى تساقطت عندنا هنا ليس أزيلت، ولكن تساقطت في عدم القدرة في الحديث عنها، فأنا أنصح الإخوة في داخل السجن، أنّهم إذا كثر الشر من أحد، يعني لا أقول يهجروه، لكن مرات للأسف آخر الدواء الكي، وألا يقطع بعضهم بعضاً، ولا يسمحوا للفساد بأن يدخل إليهم، فليحب بعضهم بعضًا، ويرقق بعضهم بعضًا في الحكمة، والكلام والنصيحة والحب، وأن تكون الألفة بينهم.

من الرحمة أن يكون السجناء في مكانٍ واحد، هذه رحمة عظيمة فلا يقلبوها إلى شر، لو أنّهم جربوا السجون الفردية، لعلموا مقدار الألم الذي يعانيه المنفرد لوحده، كان الله في عونهم، لما أسمع أنّ رجلاً في السجن المنفرد له سنين، والله ينشق قلبي، والله أشعر بألم لا يعلم به إلا الله، لأنّي عشتها، عشت هذه الظروف أعرفها، لعن الله الظلم، لعن الله الظلم والظالمين، كائناً من كان، لعن الله الظالم، لعن الله الظالم، نسأل الله عز وجل أن يذيق كل ظالمٍ ما آلم به المظلوم، من بابه، ليعرف هذا المعنى، فقط هذا الذي يسعني الآن، وإن شاء الله إن حضر شيءٌ آخر في مقامٍ آخر أتكلم به، والحمد لله رب العالمين.

١٣٢- السبيل السني في التعامل مع المخالف

ضمن الجلسة الثالثة عشر، السؤال الثاني والثلاثون بعد المئة، بتاريخ: (**٢٢/٠١/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٢/١٠/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل أخ يقول: شيخنا من المسائل التي يختلف الناس فيها نقد الرجال ووزنهم بميزان الشرع بين الجرح والتعديل وقد تكونت عدة مدارس في هذا الباب بين من يرى أن حسنات المخالف والبدعي لا تذكر بأي وجه، وهذا يتجلى واضحًا في المدرسة المدخلية وبين من يسكت عن مساوئ المبتدع وأخطاءه العقدية والمنهجية مهما كانت، فما هو السبيل السني في نظركم في الحكم على المخالف والموافق ولو تضرب لنا أمثلة من أفعال وأقوال السلف؟

الشيخ: في الحقيقة هذا السؤال مهم جدًا ولا يجوز لأحد في مسائل الحياة التي تنتج منها الأحوال المتعددة أن نجعلها كلها في إطارٍ واحد وأن نضعها ضمن نمطٍ واحد، الحياة متسعة وتتسع أغراض الحياة وبالتالي؛ تختلف أساليب الحياة باختلاف تنوعها.

ماذا تريد أنت؟ هذا سؤال، من هو الشخص في حقيقته شيء يجب أن يقوم العدل؟ وحين تتحدث ما الذي تريده، هذان الأمران وحقيقة المسالة على ما هي عليه أي حقيقة الشخص أو الجماعة على ما هي عليه هذا بند.

ومسألةٌ ثانية: وهي مسألة ماذا تريد منه، مسالةٌ ثانية، هكذا حين تنظر إلى هاتين المسألتين تفهم طريقة السلف في التعامل مع الناس.

مثلاً -مثال قديم وحديث-: حين تُنشئ كتابًا يتعلق بالرجال من جهة حفظهم؛ لأنك تريد أن تعرفهم في مرتبة روايتهم في مسالة روايتهم للحديث أمقبولةٌ أم مردودة؟ فما هو دخل الذهاب إلى اختياراته العقدية التي يحتملها خلاف المسلمين مع بعضهم البعض، ما دخله؟ لا تؤثر، يعني أهل السنة لا يردون حديث القدري، لا يردون حديث المرجئ، لا يردون حديث الخارجي، لا يردون أحاديث هؤلاء، هكذا تقررت المسألة، هؤلاء يردون

حديثه بما يردون حديث السني، وهو تعلقه بالصدق والكذب وتعلقه بالضبط وعدمه، هكذا يردون أحاديثهم، يردونه بالأحكام التي تتعلق بعلم الحديث.

فإذا أردت أن تتكلم عن شخص من جهةٍ علمية فعليك أن تكون عادلاً والعدل يقتضي أن تذكر ما فيه، من هنا فمثلاً «سير أعلام النبلاء» لم ينشئه الإمام الذهبي رحمه الله، لم ينشئه من أجل مسألةٍ حديثية ولا من أجل مسألةٍ فقهية ولا من أجل مسألةٍ عقدية، يريد أن يكتب تاريخ هؤلاء الرجال «سير أعلام النبلاء» وكذلك التاريخ «تاريخ الإسلام»، يريد أن يُنشئ كتابه «سير أعلام النبلاء» في ذكر تاريخ هؤلاء النبلاء في أمتنا، في طبقاتهم، من شيوخهم، من تلاميذهم، ما هي مشاركاتهم؟ ما هي فنونهم في العلوم؟ وبعد ذلك يذكر ما فيهم وما قيل عنهم وما قيل لهم؛ فلذلك يذكرهم بإنصاف، فلذلك أنت تأتي إلى متكلم فيقول عنه: هو صاحب الفنون وصاحب الطريقة المرضيّة والزاهد العابد وبعد ذلك يأتي لأقوال أهل العلم فيه جرحًا وتعديلاً في عقيدته، في فقهه، في مسائله، في غير ذلك؛ فتجده منصفًا في ذكر هذا الرجل.

فعندما يأتي إلى وصف ابن عطاء يذكر ما هو فيه من الخطابة والبلاغة وقوة النظر وقوة مدارك العقل فيه، وبعد ذلك يأتي إلى عقيدته، يأتي إلى شيوخه، يأتي إلى عقائده، يأتي إلى أفكاره، يأتي إلى حياته، يأتي إلى سلوكه؛ فحين إذن يقدم لنا الشخص بصورةٍ مقاربة لتتكون ملامحه في أنفسنا ما هو عليه، أهو مضخم الأنف أم هو سليم الأنف؟ هو أعور أم أنه أعمى أم أنه أعمش أم هو سليم النظر، فيجب أن يقدمه كما هو.

الآن نأتي إلى المصالح لكن في البداية حين يكتب المرء عن رجل أو عن جماعة يجب أن يقدمها بعدلٍ وإنصاف، العدل يقتضيه في تقديم الصورة الكلية أن تقدم كما هي، هكذا هي هنا وهكذا هي هنا، وهذه صورةٌ ليس فيها مفسدة.

المشكلة أن البعض يقول: إن مدح العلماء المبتدعة بما فيهم من خير، قال: يقدمهم أئمة للناس، وهذا كذب وهذا وهم، وإنما يقدمهم ليأخذ منهم من جانب ما أحسنوا فيه، وينبه على أخطائهم فيما أخطأوا فيه.

يعني عندما يُقَدم المسكين ابن حرم رحمه الله، والله إنه لرجلٍ حبيب وعظيم وعالم، لكن هذا نموذج، ما هي الطريقة؟ أن نقدمه كما هو في فقهه في علمه في القرآن، علمه في الحديث، علمه في اللغة، علمه في التاريخ، وهكذا نقدمه كما هو، وملاحظات العلماء عليه -نحن لسنا شيء، الملاحظات علينا نحن، ففي النهاية نحن

مقلدين لأهل العلم ليس على المعنى السلبي للتقليد- فأنت حين إذن إذا قرأته وحين تقرأ كتبه تكون عندك الصورة التي صنعها الإمام الذهبي وقال العلماء في كلامهم عنه في الحديث، ماذا هو في الحديث؟ ماذا هو في الفقه؟ ماذا هو في الاعتقاد؟ وأنت تقرأ تمشي متهاديًا سليمًا من الوقوع في مطبات ما هو فيه ومستفيدًا فيما أجاد فيه، وهذا ليس تلميعًا لهم كما يزعم البعض هذا هداية لك، هذا إعطاء طالب العلم المفاتيح من أجل الوصول إلى الصواب في طريقة قراءة هؤلاء العلماء فهذا واحد، هذه صورة ينبغي أن يقدمها طالب العلم أن يقول: هذه الجماعة أحسنت في هذا أو أساءت في هذا، قدمت في هذا، وأن لا يكيل بمكيال الشر، بمكيال الظلم أو بمكيال البخس، إذا أحب مدح إلى درجة الولاية العظمى، وإذا غضب أخرجه من الملة وقارب إلى القول كفروا أو كادوا يكفرون، هذا من الظلم وبعد ذلك كلماتك تسقط لا يبقى إلا العدل في الدنيا.

أما الطريقة الثانية: ما الذي تريده أنت من العالم؟ يعني أنت عندما تتكلم في مسألة من مسائل الاعتقاد هذه نجدها عند شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عندما تكلم في شرحه للأصفهانية، تكلم عن ابن حزم، انظر إلى مدحه في باب الإيمان، انظر إلى مدح ابن القيم في مسائل الفقه والحديث، انظر إلى مدح الذهبي في مسائل الفقه والحديث والاتباع وو... إلخ.

ولكن حين يأتي إلى مسألةٍ تكون في الباب، شيخ الإسلام يتكلم عن مسالة الأسماء والصفات ومواقف الناس فيها، فيقول: إن ابن حزم سفسطائي وأن الأشعرية أقرب إلى السنة منه، ولو جاء الجاهل لقال: من هذا سفسطائي، السفسطائية بمعنى يثبتون الأسماء بلا معاني وأنهم يتناقدون لدرجة اعتقاد الشيء ونقيده، ولكن هذا باب العدل لأنه يتكلم في هذا الباب من العلم، لا تسأله عن أبوابٍ أخرى وبالتالي؛ وجدنا لبعضهم من يأخذ لبعض هذه الكلمات من أجل إخراج ابن حزم أو أمثاله من الملة أو إخراجهم من السنة بالكلية، وهذا ظلم؛ لأنه لم يرد أن يقدم لك من هو ابن حزم في كليته وإنما أراد أن يتكلم عن هذه المسألة من العلم؛ فحينئذٍ أنت تنظر إلى العالم في موضوعك الذي تتكلم فيه؛ فيكون كلامك ذلك بالعلم في هذا الباب والإنصاف، ولا يسأل المرء لماذا لم تقل عنه في هذا الجانب؟ أنا لم أفتح بابًا كليًا في الحديث عنه أنا أتكلم عن هذا الباب.

مثلاً: حين أتكلم عن رجلٍ أساء في باب من الأبواب في هذه النقطة؛ فأتكلم عنه فيها قد أساء فيها، فأنت ترى ابن تيمية عندما تكلم عن الرازي في موضوع النجوم وعبادة النجوم تظن أنه كاد يكفره وهو ليس

كذلك، هو يراه أعظم من تكلم من الأشاعرة ويرى أن كلامه هو أقوى الكلمات التي ينبغي أن تناقش في مذهب الأشاعرة، عندما يتكلم عن الغزالي انظر إليه عندما يحاول أن يقدم شخصيته بطريقةٍ كلية، وإن كان لم يؤلف الكتب بهذا ابن تيمية رحمه الله، ولكن عندما يقدمه، يقدمه في هذا الباب الذي فيه الإحسان وفيه الإنصاف وفيه رعاية ما هو سيء ورعاية ما هو حسن، ولكن حين يتكلم عنه في باب يريد أن يبيّن هذا الباب ما هو موقفه منه؛ يتكلم عنه إما يسيء وإما أن يحسن.

فإذن النظر في الحكم على الرجال والجماعات ينبغي أن ينظر إليه، عن ماذا تتكلم؟ ماذا تريد؟ ولا يجوز لك مثلاً: حين يحسن الرجل في باب أن تقول: ولكنه أساء في باب، أنا لا أتحدث عن إساءته في هذا الباب، أنا أتحدث عن حاجتي له في هذه النقطة قد أحسن فيها وربما أفادني وربما أتى بأشياء لم يستطعها غيره.

سأضرب لكم مثالاً: قرأت «دلائل النبوة» لعبد الجبار المعتزلي وجدت أن عامة كلام أهل السنة في «دلائل النبوة» مأخوذ منه من جهة عقلية، كان يُحسن في هذا الباب في الرد على الزنادقة، في قضية دلائل النبوة كان يُحسن في هذا الباب، يأتيني أحدهم وأنا أحتج به في إقامة النبوة على معناها الصحيح، يقول: ولكن انظر للمعتزلين في هذا الباب، أنا أتكلم في هذا الباب ولكن عندما آتي إلى باب آخر يتعلق في إساءته في هذه النقطة أقيمها وأبينها كما هي في دين عز وجل ومن العدل والإنصاف، هذا يوجد فيه من يتهم بالغلو في النقد، وهذا فيه اتهام بالغلو في المدح، إذا قدمت الصورة الكلية فيقول: كيف تمدحه في هذا الباب وقد أساء هنا، من ينقدك في هذا؟ ينقدك من يريد أن يحمل الشخص على الإساءة والسب والاتهام والنبذ، وأما الجهة الأخرى حين تتكلم عنه في جهة من الجهات في مسألةٍ من المسائل فربما يكون فيه هذا للكلام شديدًا؛ فيأتي يقول: لكنك أنت لم تبيّن ما يحسن فيه، أنا ليس هذا بابي.

ومن أكثر الأمثلة على ذلك: الكلام عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله، يعني أنا دائمًا أقول لطلبة العلم من قديم لما كان المرء يشتغل كثيرًا في مثل هذه الأبواب، لما نأتي إلى أبي حنيفة رحمه الله في علم الحديث، ليس لنا إلا أن نريد أن نعرف أبا حنيفة ومرتبته في علم الحديث، نعرف مرتبة هذا الإمام في هذا العلم، هل هو عندما يروي حديثه مقبولٌ أم ضعيف؟ نحضر كلام الإمام مسلم، نحضر كلام النسائي، نحضر كلام فلان... وندرسه في هذه الجهة، وقد يخرج معنا وهو الأصوب أن حديثه ليس من الدرجة المقبولة في الحديث يعني حديثه فيه ضعف،

حديثه، ما دخل هذه القضية، لنفتح الآن الصورة الكلية الكاملة أو نفتح بابًا آخرًا من أبواب العلم في هذا الرجل عليه رحمة الله.

نفتح باب العقيدة نراه سنيًا، مثبتًا أن القرآن كلام الله، وإثبات النبوة والمعاد وو... إلخ، على جهة ما يقول أهل السنة، فيأتي نقده على جهة العقائد في مسألة الإمام وماذا قال فيه، هذا من الإنصاف، يأتي أحد ويقول: تسب على أبي حنيفة، أقول: لا، لا أسب على أبا حنيفة، ولكن أقرر التاريخ حتى لا أزور على الناس دينهم وأقرر الحق والعدل فأنا أحبه أكثر منك لأن الحب للرجل كما قال النبي صل الله عليه وسلم: (**انصر أخاك ظالماً أو مظلومًا**)، ومن نصرته ظالماً أن ترده عن الظلم وهو أخطئ في هذا؛ فأنا من الحق عليّ أن أبيّنه، وهو ليس بأفضل من بقية علماءٍ ثقات في الحديث أخطأوا في بعض العقائد.

والآن نأتي إلى أبي حنيفة رحمه الله في الفقه، ونرى هذا الإمام الجهبذ العظيم الذي يقول عنه الشافعي رحمة الله عليه: الناس عيالٌ على أبي حنيفة في الفقه، ونرى فقهه العظيم وو... إلخ؛ الذي جعله إمامًا لكبار الأئمة، فأنت تنصفه، هذه صورةٌ لا تغني عن هذه الصورة، وهذا الكمال لا يغني عن ذكر الصورة الأخرى.

العبرة: الضابط لهذا؛ ضابط العدل والإنصاف، والضابط الثاني: هو ضابط ماذا تريد منه؟ ما الذي تريده من هذا الشخص في هذا الباب؟ يتقنه أو لا يتقنه؟

قد يكون الحاكم ظلومًا غشومًا، تأتي تراجم بعض الأئمة في سير العلماء، قد يكون الحاكم سفاكًا للدماء في أقل الخطأ من خصومه يسفك دمائهم، ويرونه في الجانب الآخر حين يقاتل الأعداء ويقاتل الزنادقة ويقاتل المشركين من أعظم الناس نصرةً للدين وحمايةً للبيضة وإقامةً لشريعة؛ فأنت تعجب كيف يقول هذا وكيف يقول هذا!! هذه صفته، وهذه هي الحياة وهذه هي البشرية.

انتهت قضية الخير المطلق والشر المطلق، في قضية النبوة والخلافة الراشدة هي التي تملك الحق المطلق مع أن النبوة هي الحق المطلق، ولكن الخلافة الراشدة هي أقرب ما تكون إليها، ملتصقة بالخلافة الراشدة، وأما الملوك ففيهم هذا وفيهم هذا، فيهم العدل وفيهم الإنصاف، وفيهم الظلم وفيهم الهوى وفيهم طلب الدنيا و... إلخ.

بعض الناس يريد منا إذا ذكر السني كنعيم بن حماد، بعض الناس قيل له: لماذا لا تقبل حديث نعيم بن

حماد؟ نعيم بن حماد هذا رجلٌ ضعيف لكنه من أشد الناس تصلبًا في السنة، صلبًا قويًا في السنة، فهل لصلابته في السنة نعمي نظرنا عن ضعفه في الحديث، ولذلك رأينا بعضهم لا يصفه في كتاب يتعلق في الجرح والتعديل فيقول: كان صلبًا في السنة، ما همتي، ومن هنا انتقد ابن حجر لما جاء إلى أبي حنيفة في «التقريب» انتقد، وقال إمامٌ في الفقه، لا نريد الحديث الآن عن الإمامة في الفقه، نريد أن نعرف درجته في الرواية، هذا هو المطلوب، هذا هو دين الله.

وللأسف الذي سأل عنه السائل فيما يتعلق بالمداخلة تستخدمه الجماعات -أغلب الجماعات- لا يحبون، عندما تختصم جماعة مع جماعة أو فرد مع فرد فإنه من أبغض الشيء عليه أن يذكر حسناته، كأنك تريد أن تصبغ صورته بالسواد، وعندما يحب يريد أن يصبغ الصورة بكل وضوح وكل لمعان وكل بياض، وهذا ليس من العدل في شيء، على قاعدة: «أَحبِبْ حبيبَكَ هَونًا ما عسى أن يكون بغيضَك يومًا ما وأبغِضْ بغيضَك هونًا ما عسى أن يكونَ حبيبَك يومًا مَّا»، فهذا من العدل والإنصاف.

فإذن المطلوب هو أن يقيم الرجل الكلام كليًا في الرجل وليس هذا من الظلم وليس من الإجحاف في السنة، البدعي قد يصيب الكثير من الخير فيؤخذ منه وعامة أهل الأصول من الأشاعرة لا نأخذ منهم، عامتهم من تكلم في اللغة من المعتزلة، ماذا نصنع؟ البعض قال عن سيبويه: أنه سني، هذا غير صحيح، فيه اعتزال، سيبويه فيه اعتزال، ما دخله عامة من تكلم في اللغة من المعتزلة ومن كبارها، فهل مدحنا لهم في اللغة يؤدي إلى إغفال نظرنا عما هم فيه من البدعة، وهل كلامنا عنهم في البدعة التي ابتدعوها يمنعنا من النظر إليهم بإنصاف فيما أصابوا فيه، فحين نأتي إلى السنة والبدعة نأتي إلى مسألة من المسائل نتكلم عنها بمقدارها؛ ولذلك نجد الطريقة التي استقرت والطريقة التي نمدحها هي طريقة الذهبي عليه رحمة الله، طريقة الذهبي.

في النهاية كلنا نعيد أنفسنا لنضبط حالنا على ما هو عليه الذهبي، فيه جانب اعتدال، ماذا يتكلم عن الرجل قبولاً وردًا في كل رجلٍ تُكلم فيه بحق أو بغير حق، إلا الأئمة، ترك أئمة العلم لم يذكرهم في كتابه، فهذا نموذج.

والنموذج الثاني الذي نتعامل معه: نموذج ابن القيم رحمه الله في كتابه «مدارج السالكين»، كيف تعامل مع الألفاظ الموهمة حين يمدح رجل، حين يحب الرجل؟ أنه يؤول له ما استطاع، يفتح له باب التأويل، حين يحب

يفتح باب التأويل، وهذا ينبغي أن يكون حتى مع الخصم، مع خصومنا نفتح باب التأويل إلا إذا انعدم، مع أنه المقرر كما ذكر هذا القضائي للأسف في العنوان الصعب فيمن تكلموا عن ابن الفارض «تنبيه الغبي إلى تكفير ابن العربي»، انظر لهذا العنوان فإنه قرر بأن التأويل لا ينبغي إعماله، وقال: والإجماع منعقدٌ على هذا، أن التأويل لا يُعمل في كلام العلماء، لماذا؟ قال: التأويل -عندهم- يعمل به في الكتاب والسنة لأنه لا يتصور الغلط فيها؛ فنؤله ليوافق الحق لعدم تصورنا الغلط في الكتاب والسنة، ولكن لا يُعمل التأويل في كلام العلماء لأن كلام العلماء يمكن فيه الخطأ هذا قاله، وقاله محمد علي القاري في شرحه على «المشكاة» قال هذا الكلام.

القصد: لكن الصواب حين يكثر خير العالم ويمكن صرف كلامه إلى ما يوافق اعتقاده الكلي؛ فهذا هو الأصوب، أي عندما يكون معتقد الرجل واضحًا فيخطئ في باب فيما هو واضحٌ في جانبٍ آخر في لفظه، يُحمل على المعنى الكلي الذي قاله في التفصيل، فنحن نتعامل مع الذهبي، نتعامل مع طريقة ابن القيم، نتعامل مع طريقة ابن تيمية؛ لأن هؤلاء نماذج ورثنا معهم في التعامل مع العلماء، وهذا مأخوذٌ كله من السلف، عندما سُئل عن إمامٍ لا يقرأ الفاتحة، لا يرى الفاتحة واجبة، ما لم يُسئل، قال: أنصلي وراء إمامٍ لا يرى الفاتحة واجبة؟! قال: أتريدين أن لا أصلي وراء إمامك.

- انظر هذه قضية لطالب العلم ينبغي أن يفهمها:

مرات الأسلوب الفقهي الجاف لا يفهمه المخالف؛ لأنه جعل له يقرر الأحكام والحكمة وكذا، ثم لا يستوعب هذا السامع، لكن أن يصدمه بالواقع، تطبيق الفقه على الواقع هو الذي يبيّن مقدار صوابه، قال: أتريدني أنت لو حضرت مالك ألا تصلي وراءه!! وهذا مأخوذٌ مما سُئل هل تقبل شهادة الأعمى، قال: تريد أن ترد شهادة ابن عباس رضي الله عنهما؛ لأن ابن عباس رضي الله عنهما في آخر عمره أضر، ومات في الطائف، وأضر، فقال: لا تريد أن تقبل شهادة ابن عباس رضي الله عنهما، يصدمه يعني ابن عباس يأتيك فتقول له: لا أقبل شهادتك، بعض الناس يقول: أنا لا يهمني إلا الحق، الحق أنت تفهمه هكذا مجردًا، الحق يمشي في الهواء! أليس له رجال! أليس له وقائع! فكثير من الناس يتبنى الأفكار لكنه حين يأتي إلى الواقع لا يراها على جهةٍ من الحدية التي قررها في ذهنه.

البعض عجب عليّ في قضية مهدي عاكف وذِكره بالخير عندما مات، رجل تسعيني صمد صمود الأبطال

ضد العلمانية وجاهد في سبيل الله وسجن في سبيل كلمة الحق ومات ولم يتراجع وكان شجاعًا، والمشهور عنه الشجاعة، أنا أقول لك: أنت لا تريد الأخطاء التي وقع فيها، الأخطاء التي وقع فيها تشابه أخطاءنا، ألا تريد أن نعزي في الباقلاني، ألا تريد أن نعزي في ابن فورك، ربما البعض لا يعرف هؤلاء، لا يعرف قيمتهم.

ارجعوا لأهل العلم واحترامهم لهؤلاء العظام لتعرفوا كيفية التعامل مع المخالف، لكن هؤلاء للأسف الذي سماهم مدخليه ومن يتنشق نشوقهم ويأخذ منهم الزهومة، زهومة الشر، هؤلاء للأسف جعلوا يضيقون الدين، يضيقونه؛ حتى لم يثق إلا بشيخهم صار ما يشير إليه شيخهم هو الحق، فالذي يحب الشيخ هو السني والذي خالفه ولو في مسألة أو رد عليه مسألة، فهو المبتدع وسب بعضهم بعضًا.

هذا من الغلو والمذموم وكذلك حتى لا يُفهم الكلام من الخيانة ألا تبيّن مزلق العالم، من الخيانة ألا تبيّن مزالق العلماء إذا أخطئوا، حتى لو كان كبيرًا تبيّن مزلقه، وربما تشد في الكلمة تنفيرًا من مزلقه وإن كان من أكابر العلماء؛ لأن العلم له حق، حقه أمانة وأداء هذه الأمانة واجب، فهذا ديننا والذي هو شاملٌ لكل هذه الصور التي ينبغي التعامل معها، وهذا من العدل والإنصاف والحكمة ومن إقامة الحق والعدل الذي أمر الله عز وجل به.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

١٣٣- كيفية التعامل مع العصاة المجاهرين بمعصيتهم

ضمن الجلسة الثالثة عشر، السؤال الثالث والثلاثون بعد المئة، بتاريخ: (**٢٢/٠١/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٢/١٠/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: كيفية التعامل مع العصاة المجاهرين بمعصيتهم؟

الجواب: للمجاهرين بالمعصية ذنبان: الذنب الأول هو المعصية والذنب الثاني هو المجاهرة، والمجاهرة أعظم، وتزداد المجاهرة بمقدار مرتبتها، فالمجاهرة درجات، منهم من يصل إلى درجة الكفرية، يكفر بالله حين المجاهرة بالمعصية وهو أن يمدحها لمن يخبرهم بها، كأن يقول عن الزنى: زنيت وفعلت كذا والزنى خيرٌ من الزواج؛ فهو فضل الحرام على الحلال وهذا كفر وردة، وهناك من يقول: سهرنا الليلة وشربنا فكانت ليلة ممتعة وجميلة وفعلنا كذا وكذا والحياة لا تكون جميلة إلا بهذا؛ فحسن الكفر، حسن المعصية وهذا كفر؛ ولذلك المجاهرة في مرات كثيرة تكون كفرًا على هذا المعنى من التحسين، والمجاهرة ذنبٌ أعظم من المعصية وهي درجات كما ذكرت.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**كلُّ أُمَّتي مُعافًى إلا المجاهرين**)، الله يعافي أهل السر ويتوب عليهم ويغفر لهم، بشعورهم أنهم يقومون بهذه المعصية، يعني غلبةً للهوى كشأن أبيهم آدم عليه السلام حين عصى ربه فإنما غلبه الهوى، ولكن المجاهر هو الذي يستحسن المعصية ويزينها وفي وجوهٍ كثيرة ومرات كثيرة، فالمطلوب من العبد أن يتقي الله ربه إذا عصى الله أن يتقيه.

لكن السؤال كيفية التعامل مع هؤلاء؟

في الحقيقة؛ المجاهرون عادةً والأغلب فيهم، أنهم يحتقرون المتدينين ولا يعاملونهم باحترام ويحاولون إظهار حالهم مع المتدينين باستعلاء، فالمسر يتقرب من المتدين لأنه يعلم أنه لا يعلم عنه شيئًا، لكن المجاهر يريد أن يتواقح ويريد أن يحقر غيره حين يأتي المعصية وخاصةً المتدين، ولذلك هو يأتيه الشيطان يقول له: إذا تقربت من المتدين وأحسنت إليه، أصحابك سيقولون لك: أنت تفعل كذا وتعامل كذا، فالشيطان يؤزه، ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا (٨٣)**﴾ [مريم: ٨٣]، على أصحاب المعصية يؤزهم من أجل أن يظهر

إجرامه في خصومة الطاهرين الخارجين عن هذه المعصية.

ولذلك التعامل معهم ينبغي أن يكون متعدد الصور ليس هناك صورة واحدة في التعامل مع المجاهر، أولاً: الحالة الأولى التي يمكن أن تنفع وأن يتخذها الداعي وهو أن يدعو هؤلاء العصاة المجاهرين، أن يذهب إليهم ويقف ويعظهم ويمكن أن تنفع مع بعضهم، يمكن للموعظة أن تنفع مع هؤلاء، ويمكن أن تفشل، بل يمكن أن تأتي بضدها، يعني يمكن أن تذهب إلى المجاهر بالمعصية وهذا نعرفه من البعض ويحدث أنه يكون مشهورًا بالفسق والفجور فيذهب إليه الدعاة ويذهب إليه المصلحون ويلاقونه في مكان فيدعونه؛ فيتوب إلى الله عز وجل وتحسن توبته ويصبح قائمًا بالحق في أماكن قام بها بالشر في هذه الأماكن.

وبعضهم لا، بعضهم إذا نصحته يتكبر وربما لا يفعل شيء ويعرض، فهؤلاء كلاهما يدعى، والمسألة لا تعرف إلا بالتجربة.

وهناك من المجاهرين ما إذا دعوته تكبر عليك وهذا شأنه أن تتركه، هذا الذي يتكبر ويبدأ بالمجاهرة بالمعصية، اذهب أنت لا أريد منك، فهذا على قاعدة أبي الطيب المتنبي: «وإني عتوت على من عتى»، أي حين تظهر إعراضك عنه، هو يحتقر نفسه ويحتقر معصيته، وأنا أحب للمتدين أن يستعلي على هؤلاء، لا يؤذيهم ولا يتعمد أن يخاصمهم، ولكن يستعلي عليهم.

ومن تجربتي الشخصية والمسألة مسألة حكمة في إصابة الصواب، أنني مما كرهته من جماعة التبليغ هو تذللهم لمثل هؤلاء، أن يأتي متواضعًا نعم، لكن يتذلل يبقى هذا يسب، وهذا يقول: يا أخي لا، إذا سب وشتم وتعالى فعليك أن تعرض عنه، وهم يغفلون عن الطريقة النبوية **(هل لك إلى خير)**، كيف تعرفه؟ بالطريقة النبوية كما كان يفعل النبي صل الله عليه وسلم يأتي إلى الرجل فيقول له: **(هل لك إلى خير)**، هل تريد أن تسمع الخير؟ فلو قال: لا أريد من الخير، فلا تنكره وتقول له: لا، لا بد أن أصبر عليك، لا بد وأن تجلس وأن تسمع، لا، لا تفعل هذا، لا تهين دين الله، ولا تهين نفسك، فأنت في هذا تهين دين الله وتهين نفسك، لا تفعلها، وربما تنفع معك مرة فتتخذها وسيلةً دائمة في العمل، لا، فالطريقة أن تدعوه، تقف معه وإن وجدته مستعليًا عاملته باستعلاءٍ إيماني وأعرضت عنه، فالطريقة في هذا:

أولاً: الدعوة.

ثانيًا: النظر بعد الدعوة النظر في أحوال الناس، من أقبل عليك تقبل عليه، من تجد فيه اللين تزد العلاقة معه وتتقرب إليه، ومن رأيته قد فجر وزاد فإياك وإياه لا تقترب منه ابتعد عنه، ومن استعلى بإجرامه استعلي عليه بإيمانك وهكذا، فالمجاهرون بالمعصية درجات.

والذي بعد ذلك يستقر بالمعصية لا أحب للشيوخ أن يجالسوه، وللأسف مما أسمعه أن هناك من الناس من يكون مجاهرًا بالمعصية عاصيًا، ولكنه يكون ثريًا يفتح الباب والبيت له؛ فيذهب الشيوخ ويجلسون معه، هذا مما انتشر أراه في بعض البلاد وأراه في هذا البلد، فهذا في الحقيقة مما يحقر المشايخ، بالنظر إليهم ينظر الناس إليهم أنهم يأتون إليه لماله ولو كان فقيرًا ما أتوا إليه.

فهجران أصحاب المعاصي المعلنين للمعصية والمستقرين إليها هذا هو دين الله، هذه هي الحكمة هجرهم والابتعاد عنهم بعد أن قمت بالخير لهم دعوتهم إلى الله، فرأيت منهم الغرور والكبر، فلا يقول أحد: إن هؤلاء ذهبنا إليهم مرةً ومرة فلم يستجيبوا، النادر لا حكم له، وأما هؤلاء فيعرض عنهم ولا يوقف معهم في الطرقات ولا يسلم عليهم ولا يصافحوا بل يهجروا؛ حتى يعلموا أن دين الله عز وجل أغلى منهم وخاصةً عندما يكون لهم المال ويكون لهم السلطان فالإعراض عنهم هذا دين، فالطريقة في التعامل مع المجاهرين هي هذه.

ثم هناك بعض المجاهرين من السفهاء الصغار الأولاد، يعني هؤلاء يمكن أن تأتي إليهم فيخجلوا ويحسوا بالندم ويحترموا، فهؤلاء لا بأس أن تتبع الحكمة معهم وأن تواصل اللقاء معهم وأن تنفرد مع بعضهم دون بعض لا تأتيهم على صيغةٍ جماعية فربما يتقوى الشر، وإنما حين تنفرد بهم يزول الكثير من الشر، فتنفرد بهم بالدعوة إلى الله عز وجل والإحسان إليهم والصداقة معهم وإظهار المودة لبعضهم دون أن يجلسوا مع بعضهم البعض حتى لا يتقوى الشر، فيمكن هنا أن يتم الإصلاح في هذا.

وعلى الجملة فإن هذا بابٌ يحتاج إلى حكمة، وكل واحدٍ له تجربته وله أسلوبه، ولكن لا أحب أن يذل المرء دينه ونفسه لمن يستعلي عليه، هذه نقطة مما كرهتها من جماعة التبليغ في نفسي وكان بيني وبينهم مشاكل في هذا الباب.

الذي يستعلي على دين الله ولا يريد أن يسمع؛ لا تلاحقه ليست هذه الطريقة، اذهب إليه وقل له: أنا جئتك بخير أريد أن أتكلم معك، لا تتكلم معي، إلى جهنم وبئس المصير ماذا أصنع لك، لم يثبت أن النبي صلى

الله عليه وسلم قط أنه تعلق برجل ليسمع منه، لم يثبت أبدًا، إنما يذهب إلى الناس يعلمهم وفي ظروف يجلس وينتظر الناس تأتيه وذلك بحسب الظرف وبحسب الحال.

والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين.

١٣٤- بعض المسلمين لا يكفر اليهود والنصارى!!

ضمن الجلسة الثالثة عشر، السؤال الرابع والثلاثون بعد المئة، بتاريخ: (١٤٣٩/٠١/٢٢هـ **الموافق لـ:**

٢٠١٧/١٠/١٢ م)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: أدرس الشريعة في منطقة أكثرها نصارى وعندما أتناقش عن حكم هؤلاء النصارى؛ يناقشنا بعض المسلمين بأنه لا يجوز إطلاق حكم الكفر عليهم وأنهم أهل كتاب وأنهم يدخلون الجنة وأنه لا يهم الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم ويكفي توحيد الله عز وجل كما يقوله بعض طوائف النصارى، ويقولوا: إنه لا يجوز تعيين الكفر على المسلم اسمًا لأنك لم توكل من قبل الله في الحكم على الناس!

الشيخ: بلا شك أن هذا كلام عوام، موضوع تكفير اليهود والنصارى لعدم إيمانه بنبوة محمد صل الله عليه وسلم، من لم يكفر النصارى لهذا السبب فهو كافر، وهو ليس من الإسلام في شيء؛ لأن شرط الإسلام المدخل إلى الجنة هو: «لا إله الا الله، محمد رسول الله» فمن أقر بالتوحيد وكفر بمحمد فقد كفر بالله، ونحن نرى مثال ذلك في صورة «يس» ما هو كفر القرية؟ كفرها، قال تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ (١٤) قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ (١٥)﴾ [يس: ١٤-١٥]، كلمة الرحمن هذه من نطقها؟ نطقها المعاندون من أهل القرية، يعني يعلمون الرحمن، يعلمون الله، يثبتون أنه الرحمن، ولم يذكر القرآن عنهم شركًا، وإنما ردوا رسالة الأنبياء، فقال: كفار وعذبهم، فكان كفر هذه القرية بكفرهم برسالة هؤلاء الأنبياء ولم يذكر ربنا عنهم شركًا إلا أنهم كفروا بهؤلاء المرسلين، فالكفر برسالة نبي كفرٌ بالله.

نأتي إلى اليهود، اليهود في كفرهم بعيسى عليه السلام، هم كفروا بعيسى عليه السلام، هل هؤلاء كفار؟ نعم، ما هو الكفر الذي كفروه بالشريعة، هم موحدون فيما هم عليه في الابتداء ولم يأت عيسى عليه السلام ليقيم فيهم التوحيد الذي نقضوه، أتى من أجل ما حصل من التبديل في الشريعة وأتى من أجل ما حصل من رفع الإصر عنهم، فكفروا بعيسى عليه السلام أنه رسول الله عز وجل وسبوه بأنه ابن كذا لعنة الله عليهم، وكذبوه أنه هو الرسول فكذبوا الله الذي أرسله.

الآن النبي صل الله عليه وسلم أرسل رحمةً للعالمين معه شرائع، ومعه دين، ومعه بيان الحق وإقراره ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٦]، الله عز وجل أرسله بهذا، الذي يكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم يكفر بالله عز وجل، يكفر بالقرآن، القرآن هو كلام الله يكفر به، وهؤلاء حين يكفرون بالنبي صل الله عليه وسلم كفروا بالقرآن وسبوه وجعلوا يتهمونه بالتناقض والكذب ويفسرونه على طريقةٍ من الاستهزاء، هؤلاء لم يكفروا بالرسول، ولكن كفروا بالقرآن، ألا تكفرون من سب القرآن؟ ألا تكفرون من سب أحكام القرآن؟ الآن هم يزعمون أن كل الذي نقوله تنزلٌ بالخطاب، لكن تعالوا هل النصارى الذين يعيشون بين أظهر المسلمين من كاثوليك وأرثوذوكس وبروتستانت مع تعدد الطوائف تحت هذه التسميات الثلاث، هل يؤمنون بالله حقيقة؟

فالسؤال يقول: نحن لا نكفر هؤلاء يكفي أنهم أتوا بالتوحيد، ولكن كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم، فبينا أنه لو صح هذا فهم كفار، والقرآن يقرر كفرهم كما رأينا ما قالوه، قال تعالى: ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ (١٥) قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ (١٦) وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (١٧)﴾ [يس: ١٥-١٧]، ثم عذبهم الله عز وجل وقضى عليهم؛ فعدهم مشركين.

والآن هل النصارى اليوم موحدون؟ هل النصارى الآن يقولون: إله الا الله على معنى ما يقولها المسلم وما يقولها رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ هل يعبدون الله هؤلاء أم يعبدون عيسى؟ ما هي عِظم الخلاف بينهم، الاتفاق الآن أن عيسى هو ابن الله، ثم اختلفوا هل هذا الابن هو بمقدار الأب أم هو أصغر من الأب.

والآن بدأت الدعاية النصرانية بقولهم: إن ما نقوله من التثليث على قول ما تقولونه من تعدد الصفات، أنت تقول: الله واحد أحد، رحمن، رحيم؛ فتعددت الصفات، يا جهلة الصفة معنى لا تقوم بذاتها، أي لا يتصور البياض من غير جسم، فتقول هذا أبيض، هذا أسود، فالسواد صفة فحينها نفهم أن صفة أي لا تقوم بذاتها، مثل القوة نقول: فلان قوي، فالقوة هل هي شيء يمكن أن نتصورها تمشي بذاتها؟ الجواب: لا، القوة لابد أن تتسم بشيء فهي صفة، لكن حين نقول: فلان بن فلان، هل هو صفته، لأننا نتصور أن الابن موجود والأب موجود هذا ابن وهذا أب فليست صفته، فحين نقول: رحمن، هل هناك رحمة تمشي بذاتها بلا راحم أو بلا رحيم، لا نتصور الرحمة هكذا، الأم ترحم، القاضي يرحم، الأب يرحم، الشقيق يرحم، الصديق يرحم، فرحمةً ملتصقةٌ بذات، لكن حين نقول: ابن، هل نرى الابن ملتصق بالأب التصاق الصفة بالموصوف؟!

وقالوا: أنتم تقولون بتعدد الآلهة كما قالت قريش لما قال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: ١١٠]، إذن تعبدون آلهة كثيرة، رد عليهم ﴿أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾، الأسماء لله الصفات لواحد جل في علاه، فالآن حين يقولوا: الآب والابن، هل هنالك نصراني لا يقول: بهذا التثليث، يقول قائل: أن هناك جماعة موحدة في الغرب قليلة جدًا وكانوا موجودين قبل بعثة النبي صل الله عليه وسلم يسمون بالأريسيين أتباع أريس كانوا موحدين، وكلهم في بلادنا، كلهم دخلوا في الإسلام لما جاء الإسلام إلى بلاد الشام دخلوا في الإسلام، وبعضهم يقول: قرأت كتيبًا صغيرًا بوجود طائفة في أوربا تسمى بالموحدين يقولون: بأن عيسى هو عبد ورسول يقولون...، لكننا نتكلم عن جموع هذه البهائم في بلادنا من النصارى، كلهم يقولون آب ابن روح قدس إلهًا واحدًا كيف؟!

وأنا جلست مع كبار من النصارى جلست معهم مشافهةً فلا يستطيعون إلا أن يسكتوا ويتلعبوا، وفي كتيبات توزع في الغرب من قبل الأقباط يقولون: يزعم المسلمون بأن النصارى مثلثين لأننا نقول: بالآب والابن وروح القدس، قالوا: لا، إنه إلهٌ واحد نحن موحدين مثلهم، ابن ماشي في الأرض يُعذب وتلده امرأة وهذا إلهٌ وربٌ وابٌ في السماء، إلهٌ في السماء وروح القدس إلى الآن لا نعرف ما هي، يختلف فيها النصارى اختلافًا لا يمكن أن يوصلك إلى قرار ولا يمكن أن يوصلك إلى معنى محدد في ذهنك.

انظر المعنى الذهني أوسع بكثير من المعنى الواقعي، أي العقل له احتمالات أوسع بكثير من الاحتمالات الواقعية، الاحتمالات الواقعية بحسب السنن والاحتمالات العقلية مثلاً: أنت تقول: أسود؛ يقع المعنى الكلي في ذهنك، هذا المعنى الكلي لا وجود له في الواقع، فالاحتمالات الكلية في الذهن أوسع بكثير من الاحتمالات الواقعية، فهذا ابنٌ يمشي على الأرض وأبٌ في السماء وروح قدس غير معروفة، هي جزء من الابن دخلت فيه كما يقول الإنجيل لما ذهب عيسى من أجل أن يعمده يحي «يوحنا كما يقولون» فجاءت روح القدس على شكل حمامة واستقرت عليه دخلت فيه يعني صارت جزء منه، وهل خلت روح القدس من الله خلت منه؟! كأن تكون منفصلة ودخلت فيه؟! ولما عيسى باسم هذا الإله دخل في الإله صار جزء منه ولا جلس على جنبه؟! ما هذا التوحيد؟! كيف هذا توحيد؟! فالزعم بأن النصارى اليوم في بلادنا اليوم هم موحدون هذا كذب، هم مشركون يكفرون بالله يسبونه وينسبون له الولد يزعمون أن ابنه دخل في بطن هذه المرأة القديسة عليها السلام

وولد منها وهذا صُلب وو... إلخ.

فهؤلاء يكفرون بالله عز وجل ويكفرون بالرسول صلى الله عليه وسلم وهم يكفرون بعيسى عليه السلام؛ لأنهم يجعلون عيسى إلاها، يقول الله عز وجل في كتابه: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦)﴾ [المائدة: ١١٦]، فنفى ذلك، وأن هؤلاء يكذبون على عيسى عليه السلام، فهم كذبوا على عيسى عليه السلام وكذبوا على الله عز وجل وكذّبوا الرسول صلى الله عليه وسلم، وكذّبوا القرآن، ثم يأتي أحد فيقول: هؤلاء مؤمنون!! كل هذا الكذب وكل هذا الكفر ثم يأتي أحدهم فيقول: بأن هؤلاء يعبدون الله ونسبتهم إلى عيسى صحيحة!! أي كذبٍ هذا؟!!

فهم كفروا بعيسى وكفروا بموسى حين زعموا أن هذا الإله الجليل الذي نزل إلى الأرض فقتل وصلب قد بشر به موسى، بل وكذبوا على كل الأنبياء وقالوا: إن هؤلاء الأنبياء كلهم قد بشروا بعيسى هذا الابن النازل من أجل أن يحررهم من الخطيئة، والكذب على الأنبياء عند أهل الرسالات ليس فقط عند أهل الإسلام عند كل صاحب إيمان به متفق على أن الكذب على النبي كفر، من يكذب على النبي يكذب على الله، والكذب على الله كفر والكذب على النبي كفر، فكذبوا على الله عز وجل، وكذبوا على الأنبياء عليهم السلام جميعهم، وكذبوا على محمد صل الله عليه وسلم، ثم يأتي ويقول: هؤلاء النصارى مؤمنون وبعد ذلك لا يسميهم كفارًا.

سؤال لماذا تكفر أبا جهل؟! لأنه يعتقد أن هذا الصنم الذي صنعه بيديه أنه حلت فيه بعض صفات الربوبية وبالتالي أنا أعبده لأنتفع به، فأعبده وأستغيث به، هذا المعنى من دخول التأليه اللاهوت وحلوله في هذا المخلوق هو الكفر والشرك عند جميع المسلمين الذين يؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم، فإذا جاءك آتٍ وقال لك: إن الله عز وجل قد حل في بعض المخلوقات فقد كفر، ثم يأتيك فيقول: هؤلاء يقولون إن الله حل في عيسى ولا يكفروهم.

ولذلك من هنا من الذي لا يكفر هؤلاء كافرٌ بالله عز وجل، كافرٌ بالقرآن، كافر برسولنا صل الله عليه وسلم؛ لأن رسول الله صل الله عليه وسلم قد قاتلهم وأجلاهم وسماهم كفارًا وعاملهم في قضية السبي.

اليهود لهم أحكام بعد أن يستقر الحكم عليهم، لكن كيف عاملهم الرسول عليه الصلاة والسلام؟ عاملهم

كما عامل كقريش، قاتلهم فسبى نسائهم، صفية رضي الله عنها زوجة النبي صل الله عليه وسلم من سبي الرسول صلى الله عليه وسلم لبني قريظة، الأرض التي إخذها من خيبر لليهود عاملهم معاملة الكفار والمشركين في الأحكام.

لما قاتل الصحابة رضي الله عنهم النصارى في بلاد الشام كيف عاملوهم؟ عاملوهم كما عامل رسول الله صل الله عليه وسلم قريشًا وعامل أهل الطائف.

فإذن هم كفار، إذن هم مشركون، ومن لم يسمهم بذلك فهو كافرٌ بالله مُشرك بإجماع أهل الملة ولذلك مما ذكر من المكفرات المجمع عليها من لم يكفر اليهود والنصارى كائنٌ من كان، من قال إن اليهود والنصارى أي بعد بعثة النبي صل الله عليه وسلم الذين لم يدخلوا في دين الإسلام ليسوا كفارًا فهو كافر يحشر معهم يوم القيامة.

أما السؤال الثاني –هنا فقط لتقرير هذه المسألة– الله عز وجل أمرنا بأوامر، فأوامر الاعتقاد هذه مقدورٌ عليها في كل حال ولذلك غير متعلقة بالقدرة عند بلوغها، نعم ربما تكون القدرة عاجزة عن بلوغها أو عن فهمها، لكن إذا بلغتنا فالقدرة القلبية لا حجاب عليها، يعني أن تعتقد أن محمدٌ هو رسول هذه لا أحد يستطيع أن يوقف قدرتك في الاعتقاد بهذا الحق، لكن قد تأتي موانع تمنعك من إظهار لسانًا أو أن تعلنها علنًا، تأتي موانع لهذه القدرة في الإظهار.

وأما الاعتقاد، كذلك الاعتقاد فلا يجوز ربطه بالإكراه، فقال سبحانه وتعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦]، فالقلب لا سلطانًا لأحدٍ عليه، هذه القضية نقولها لأنه إذا أمرك الله عز وجل بخبرٍ يتعلق بآحادٍ من الناس فيجب عليك اعتقاده، ومن ذلك هل يجوز لأحد أن يقول بأن فرعون بعد أن حكم الله عليه بالنار ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (٤٦)﴾ [غافر: ٤٦]، هل يجوز لأحد أن يقول: أنا لا أعتقد هذا، لأن الله عز وجل لم يوكلني في الحكم على الناس؟!! بل أنت مكلفٌ من قبل الله عز وجل بتصديق هذا الخبر، وتصديق هذا الخبر لا علاقة له بقدرتك على ممارسةٍ عمليةٍ بعد ذلك، مثل لو كان أبو جهل موجود ولا تستطيع أن تقاتله ولا أن تفعل معه شيئًا وربما تضطر إلى أن تظهره على قاعدة القرآن ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦]، الله عز وجل قال: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا

كَسَبَ (٢) سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣)﴾ [المسد: ١-٣]، القرآن أخبرك بهذا.

فإذن فهناك قضايا عقدية وهناك أشخاص يحملون هذه العقيدة، طلب من الشارع أن تُعامل كل من اعتقد هذا الاعتقاد أن تحكم عليه هذا الحكم، فقال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣]، فالله أمرك بأن تقول لرجلٍ يعتقد بالآب والابن وروح القدس عنه كافر أمرك بهذا، فمخالفتك لهذا في الاعتقاد كفر؛ لأنك رددت على الله عز وجل أمره.

والله عز وجل أمرك على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم: **(من بدل دينه فاقتلوه)**، هذا أمر، السؤال من الذين يبدلون دينهم؟ إذن أعطاك الشارع آلية من أجل أن تعرف كيف يبدل الرجل دينه، فحين يأتيك رجل ويقول: أنا بدلت ديني وصرت نصرانيًا، تقول: لا يجوز أن أعتقد عما في قلبه!! لما قال الله عز وجل ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ [التوبة: ٧٤]، فعلمك بأن تحكم على الرجل حين يقول كلمة الكفر؛ أنه قد كفر، من أجل أن تطبق حكمه **(من بدل دينه فاقتلوه)**، وهذا محمول على القدرة والوسع، الفعل هذا محمول على القدرة الواسعة، نحن نتكلم الآن عما هو من قدرتك ووسعك وهو الاعتقاد الذي لا يجوز أن يدخل ضمن دائرة الإكراه.

فلذلك الشارع علمك أن هناك ثمة من يكفر بقوله، وثمة من يكفر بفعله، وثمة من يكفر باعتقاده، فإذا أظهر الرجل كفرًا بلسانه وأظهر كفرًا بفعله فيجب عليك أن تحمله، إلا إذا وجد مانع، يعني الرجل علمت أنه قال كفرًا تحت الضرب فأنت تعلم أنه مكره، أو أن رجلاً قال قولاً جاهلاً به فيعلم، رجل جاهل لا يعرف أحكام الشريعة ولا يعرف ما هو الإسلام جاءك من البادية فأنت تحكم عليه بجهله، فتقول هو مسلم لأنه أتى بالإسلام بحكمه وأتى بكلمة الإسلام فقال: «لا إله إلا الله ومحمد رسول الله»، ولكن يجهل بعض الأحكام، لأنه ليس لكل أحد من أهل الإسلام بحسب ظروفهم وأحوالهم أن يعلم كل أحكام الإسلام وكل عقائد الإسلام لا يمكن أن يوجد مثل هؤلاء.

فلذلك لا يقال بعد ذلك: أنت تحكم على الناس بقلوبهم، رجل يأتي ويسب الله وأنت تعلم من دين الله أن من سب الله عز وجل ولو كان يعتقد أنه الرحمن كما ذكرنا في قصة أهل القرية أنهم سموه الرحمن، ولكنهم سبوا الله عز وجل بأنهم منعوا اعتقاد أنفسهم بأن هؤلاء رسلاً، فقد يأتي الرجل ويعتقد بأنه الرحمن والرحيم وأنه الله

وأنه يستحق أن يعبد وبعد ذلك سبه؛ فهذا كفر، فحين يسب الله عز وجل؛ يكفر، فلا يقول أحد: أشققت عن قلبه، ما المقصود من قلبه هنا، المقصود من قلبه أنه يؤمن بأن الله موجود، يؤمن بأن الإسلام حق، هذا كله لا يمنع من أن يكفر الرجل يمكن للرجل أن يعتقد هذا الاعتقاد ويكفر بالله عز وجل ويخرج من الملة، كما هو حال المنافقين الذين حكم الله عليهم بالكفر وهم في غزوة وهم في جهاد مع النبي صلى الله عليه وسلم ويصلون معه، هؤلاء الذين نراهم لا يصلون ولا يزكون ولا يقيمون الشريعة ويكفرون بأبواب متعددة.

فالنبي صل الله عليه وسلم قال: (**من ترك الصلاة فقد كفر**)، فيأتي مسلم ويقول: ما قال الشارع أشققت عن قلبه أو لماذا تركها، فيأتي مسلم فيطبق هذا الحديث (**من ترك الصلاة فقد كفر**)، أنت تارك الصلاة فانت كافر، فيقال له: أشققت عن قلبه؟ لا، يقال: أنت طبقت حكم الله؛ لأن الشق عن القلب ليس في هذه المسألة والشارع لم يطلبها؛ لأنه لم يجعلها معتبرة بقضية الرد عليه أو عدم تكفيره، لم يجعلها معتبرة، هناك أمورٌ لا بد من اعتبارها في قضية القلب مثل الكلمات المحتملة، ماذا أردت؟ رجل جاهل ليعلمه، نعرف أنه جاهل لا يعرف، لكن في أمور حكم الشارع عليها بالكفر دون النظر في الاعتقاد، فحين تحكم فإنما تحكم بحكم الله عز وجل، وحين تُعمل آلية الحكم إنما أعملته بأمر الله عز وجل.

فلذلك لا قيمة لهذا الكلام الذي يقولونه: أشققت عن قلبه أو ما شققت، حيث قالها النبي صل الله عليه وسلم لرجل قال: لا إله إلا الله، قال: (**هلا شققت عن قلبه**)، قال: إنما قالها تقيةً قالها ردًا للسيف، قال: (**هلا شققت عن قلبه**)، لكن لو بعد ذلك ثبت عليه أنه رجع فحينئذٍ نعم تستطيع أن تقول: قالها خوفًا من السيف فلما ارتفع عنه السيف عاد إلى كفره، لكن هنا ما في قرينة، وهذه القرينة حتى لو وجدت أنه قالها في لحظة القتال ربما خوفًا، هذه الكلمة ربما لا تمنع بأنه قالها، فيجب إعمالها، وهذا الرجل الذي قال هذه الكلمة ثم كفر فأين القرينة؟ ربما تكون القرينة الإكراه فعليك أن تُعملها وربما الجهل فعليك أن تُعملها، بحسب مرتبتها في العلم.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم والحمد لله رب العالمين.

١٣٥- الرد على من يقول أكثر بلاد الغرب هم أهل فترة

ضمن الجلسة الثالثة عشر، السؤال الخامس والثلاثون بعد المئة، بتاريخ: (**٢٢/٠١/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٢/١٠/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: نسمع من بعض المشايخ والكثير من الدكاترة أن أكثر بلاد الغرب هم من أهل الفترة وأنهم معذورون؛ لأن المسلمين قصروا في إيصال صورة الإسلام الصحيحة إليهم، فما الرد عليهم؟

الجواب: يعني هذه صورة من صور التشهي في الفقه، وعدم احترامك للأئمة السابقين والطريقة النبوية في تقرير معاني الألفاظ، نحن أمام مصطلح وهو إقامة الحجة، كيف تتم؟ هذه طريقةٌ نبوية، هؤلاء بعقولهم لا يرون أن الحجة قد أقيمت هؤلاء عقولهم هكذا؛ لأن نفوسهم تتحدث.

أنا أسأل سؤالاً: عندما أرسل النبي صلى الله عليه وسلم رسولاً إلى هرقل عظيم الروم دعاه فيها إلى الإسلام، أمقتضى العقل يقول: إن هذا الرسالة وصل البلاغ فيها إلى كل جندي، ولكل أفراد البلد، ولكل قادة العسكر، أم أن النبي صل الله عليه وسلم أرسلها إلى هرقل واعتبر أن إقامة الحجة على هؤلاء القوم بقتالهم واستحلال أموالهم وتسميتهم كفارًا، قد تم البلاغ بإيصال الرسالة إلى الحاكم؟ كيف وقعت إقامة الحجة عليهم؟ بالرسالة أرسل إليه (**أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين وإن لم تفعل فإنما عليك إثم الأريسيين**)، فقط، وهناك لما أراد أن يسأل عنه سأل أبا سفيان، علم حاله من أبي سفيان ولم يكن هذا إلا حوار مع القائد وهو عظيم الروم.

إقامة الحجة عند هؤلاء في عقولهم وتشهيهم بمعنى أن يصل خبر النبوة والرسالة إلى كل آحاد هذه الدولة من العلماء فيها، والحكماء فيها، والقادة فيها، والتجار فيها، وأصحاب الأطيان البيوت والأراضي، وهذا لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم.

إقامة الحجة مسألةٌ نبوية، المعيار فيها والذي له الحق في التفسير لهذه الكلمة هو النبي صلى الله عليه وسلم، ليس أنت! الكلمة تتعلق برسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي أرسله الله ليقيم الحجة على الخلق، هذا واحد.

الأمر الثاني: هؤلاء الجهلة اليوم يريدون إعذار الكفار بأي وجه، وإن أنهينا هذه الحجة لهم؛ بحثوا عن وجوه كثيرة، هؤلاء الكفار الإسلام الذي يعلمونه ويتردد إليهم بعد أن بيّن الحجة في الدول الممتنعة أو الطوائف الممتنعة يكون بالبلاغ العام، هذه مجمعٌ عليها ذكرها الطبري وغيره، ومجمع عليها بأن الحجة تقام على الطوائف الممتنعة التي لها كيان سياسي وعسكري وتقاتل فإنما تقام الحجة عليها بإرسال رسالة البلاغ العام لأميرها، وبعد ذلك إن لم يجب قوتلوا واستحلت أموالهم وذراريهم وسبيت نساؤهم، هذه مقررة في الشريعة.

في واقع الأمر هؤلاء متى حدثت لهم صورة الإسلام السيئة أعطني إياها يا حضرة الشيخ؟! متى هذا الدكتور الذي يتكلم أعطني المرحلة التي حصلت فيها صورة الإسلام السيئة في الغرب؟! طبعًا هو عنده أن صورة الإسلام الحسنة يجب أن تقام على كل أحد من الغرب، يجب أن نذهب إلى كل بيت على طريقة « Jehovah's Witnesses» أو ما تسمى «شهود يهوه»، هذه طائفةٌ من طوائف النصارى وهي طائفةٌ ممنوعة في بعض البلاد وتزعم أنها سبتية وتزعم أنها صهيونية وهي في الغرب من أنشط الطوائف في الدعوة على طريقة التبليغ عندنا؛ يذهبون إلى كل البيوت في كل جمعة وسبت وأحد يطرقون وإذا علموا أنك عربي في الأسبوع القادم يحضرون لك عربيًا وكتبًا عربية من أنشط ما يكون، وأغلبهم سود على قاعدة توتو، هل تسمعون بتوتو؟ توتو هو زعيم الكنيس في جنوب إفريقيا قال: النصرانية ضحكت علينا أعطتنا الإنجيل وأخذت منا الأرض مع أنه نصراني ومتعصب! ليس فيه الإنصاف للإسلام للأسف.

فهم يتصورون هؤلاء الدكاترة الشهوانيون وأصحاب الرأي والأرئيتيون كما سميتهم في كتابٍ سابق، هؤلاء يتصورون أنه لابد نحن كمسلمين أن نذهب إلى كل بيت وندعوه فيه إلى الإسلام ونرد على الشبه فإن لم نستطع على رد الشبه فحينئذٍ قد عجزنا والمشكلة فينا نحن، وهذا باطل.

السؤال ماهي الصورة السيئة عن الإسلام في الغرب؟ هي الصورة الحقيقية عن الإسلام لأنهم يكرهوننا، يعني هم يكرهون الإسلام لأنهم يعلمون حقيقته، هذه حقيقة.

مثال ذلك: يناقش في وسائل الإعلام في الغرب أن الإسلام لا يعترف بحقوق الإنسان ولذلك فيه حكم الردة، ما هي الطريقة في إصلاح ذلك فالإسلام فيه حكم الردة؟ فالطريقة عند هؤلاء الدكاترة أن ننفي حد الردة حتى نقرب الإسلام إليهم نحسنه، نزيل حد الردة كما يفعل المشايخ ويقعون في الكفر لأنها من المسائل المجمع

عليها عند أهل الملة لم يخالف فيها صحابيٌ قط ولا تابعيٌ قط ليقربوه إليهم! هذا الإسلام الذي يكرهونه، يكرهون الإسلام لأننا نجاهد، يكرهون الإسلام لأننا نقاتل اليهود، يكرهون الإسلام لأنه يجيز أن تزوج أربعة، يكرهون هذا، ولو سألت أي نصراني يكره الإسلام لرأيته يكره الإسلام الحقيقي، وليس هناك إسلام مزور وهذا نحن حاورناهم ونتكلم عن تجربة، وعن سؤال كل من ناقش النصارى، لو سألته ما الذي تكرهه في الإسلام؟ أغلبهم يقول: الإسلام ليس جيد، لماذا؟! عندكم ممنوع الخمر، كما قال الشيخ القرضاوي في إباحته للغناء، قال: كيف نقدم الإسلام للغرب بلا غناء، يعني إذن نغير الإسلام.

فلا يوجد في الغرب مسألة يكرهونها في الإسلام إلا وهي في الإسلام ومن ذلك الجهاد، يعني مثلاً: الذين يقومون بجهاد الغرب الآن بصورةٍ منفردة هم مسلمون ولهم وجهة نظرٍ إسلامية وفقهٌ إسلامي ويبنون أحكامهم على الإسلام، وليس كما يزعم الدكاترة أنهم ليسوا في الإسلام من شيء! هذا دينكم أنتم، فحين يتحدثون عن ظلم المرأة، ويتحدثون عن إرهاب الإسلام، فهم يتحدثون عن الإسلام الصحيح، وحين تحاولون أنتم تحسين الصورة لهم تزورون الإسلام، فلذلك هم يكرهون الإسلام لأنهم يعلمونه ولا يحبونهن لا يريدونه، بل إن أكثر الغرب الآن وصل إلى كراهية الدين، ولماذا يحبون النصرانية لأنها دينٌ بلا تكاليف، بولس أسقط عنهم التكاليف، حلال وحرام لا يريدون، فإذا أردتني أن أتدين قدم لي دينًا بلا تكاليف، والإسلام لا يقبل هذا، ورأيت من ترك الدين لأنه تعب من الصلاة وذهب إلى البوذية لأن الصلاة فيها قبل النوم يقترب من الشمعة ويقول كلمتين ثم كالحمار ينام!

فهؤلاء الذين يقولون هذا الكلام؛ من جهةٍ فقهيةٍ كلامهم مردود، ومن جهةٍ واقعية كلامهم مردود، الغرب والذين يكرهون الإسلام يكرهونه لأنهم يعلمونه، يكرهونه ويعلمون الإسلام يقطع اليد للسرقة، الإسلام يجلد المرأة، والله رأيت بعضهم يكاد يجن، المرأة إذا زنت ترجمونها؟! ينتفض لأنه في ذهنه لو أقيم هذا الحكم فإن أمه وأخته وزوجته وابنته وصديقاته كل هؤلاء سيرجمون، بلا شك هذا التصور عندهم على هذا التطبيق سيتغير وأنه لا تقام الأحكام إلا بعد قيام سلطان الإسلام ولا يحاكم الناس على ما فعلوه قبل قيام سلطان الإسلام عليهم، لكن هو يريد أن يبقى هكذا، يقول: كل هؤلاء سيرجمون لما فعلوا؟!

هناك واحد علماني خبيث اسمه الأخضر كذا قال: هؤلاء الإرهابيون يريدون أن يجلدوني من أجل كأس من

البيرة، انظر إلى خبثه قال: يعني إذا شربت كأس من البيرة يجلدونني ثمانين جلدة حدًا لشرب الخمر.

فيا مشايخ ويا دكاترة هؤلاء يكرهون الإسلام لأنهم يعلمونه، فأنتم عندما تحاولون تحسين صورة الإسلام في أذهانهم فأنتم تفسدونه، وتقدمون إسلامًا باطلاً، إسلامًا مزورًا، إسلامًا ممسوخًا، إسلامًا مؤولاً، وليس هو إسلام الصحابة رضي الله عنهم، فمن جهةٍ فقهية هذا هو الجواب، ومن جهة واقعية هذا هو الجواب.

والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين.

١٣٦- قيام خلافة قبل ظهور المهدي

ضمن الجلسة الثالثة عشر، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠١/٢٢هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/١٠/١٢ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: السلام عليكم ورحمه الله وبركاته، شيخنا الحبيب إني أحبك في الله -أحبك الله أخي- سؤالي يا شيخ: ذكرت في إجابةٍ عن حديث (**ثم تكون خلافة على منهاج النبوة**) أنه لا يقصد المهدي، وإنما تكون قبله خلافة ويظهر المهدي وقد قامت الخلافة، فكيف نفهم إذاً قول النبي صلى الله عليه وسلم عن المهدي: (**أنه يملئ الارض قسطًا وعدلاً من بعد أن ملئت ظلمًا وجورًا**)، فهل ستُملئ الأرض ظلمًا وجورًا أكثر من حالها في الحكم الجبري؟ وهل سيكون هذا الامتلاء بالظلم والجور بعد ظهور خلافةٍ راشدة؟ وهناك من أجاب عن حديث المهدي يظهر على حين خلافٍ بين أميرين كلهم أبناء خليفة، أنه يمكن أن يكونوا من أبناء الحكام، وأن كلمة خليفة هنا ليس المقصود بها الخليفة الشرعي وإنما الحاكم، فأرجو التوضيح بارك الله فيكم.

جواب الشيخ: يعني ما يهمني هو تقرير القواعد في هذا، من المعلوم بأن الأخبار الغيبية فيما سيقع من مستقبل الزمان، أنها حق إن صحت عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن الكثير ربما يعمم الصورة وبعضهم ربما يقصرها على الحالة التي يريدها، والكثير ممن يفسر هذا الكلام على الرغم أنكم تعلمون أن ما ورد من أحاديث ليس فيها التفصيل، يعني ليس فيها التفصيل للأحوال كما هي وإنما هي كلمات عامة، يمكن للمرء أن يفهمها فهمًا كليًا أو فهمًا جزئيًا، يعني لا يوجد هذا التفصيل الذي يريده البعض أنه يريد البعض أن يقول: فلان الفلاني هو الحاكم الجبري فهناك يكون الحكم العضوض، ويكون كذا وبعد كذا، كما نرى من تفسير بعضهم لكلمة خليفة، أنه فسرها على معنى يخلف بعضهم بعضًا أي أنه الملك الذي يخلف أباه في الملك، والألفاظ في الأصل يجب أن تحمل على المعنى الشرعي، إلا إذا تعذرت، وهذا الذي حملها على هذا المعنى ربما تعذر لديه هذا المعنى الذي سأله السائل في كيف يأتي الخليفة فيملئ الأرض عدلاً وقد مُلئت ظلمًا وجورًا مع وجود خليفة قبله؟

المسألة بسيطة جدًا، المسألة سهلة، الخليفة لا يعني أنه أقام العدل في كل الأرض، قد تكون خلافة أقيمت في مكان وأستقر أمرها ودخل فيها الناس مجاهدين وأئمة، دخلوا فيها وأقروها، وبقيت الأرض على ما فيها من

ظلم ولم يستطع هذا الخليفة أن يزيل الظلم عن بقية المسلمين وعن أحوال المسلمين وعلى هذا المعنى يكون صحيحا.

الذي رأيته في موضوع الغيبيات أن الواقع هو الذي يفسرها تفسيرًا تامًا شاملاً لما يظهر لنا من التناقض، ولقد ذكرت لهذا مثالاً: أننا كيف نفهم أن آخر الزمان يعود الإسلام غريبًا كما بدأ، ومع ذلك في آخر الزمان يأتي خليفة وتقوم الخلافة ويدخل الدين ما كان الليل والنهار وأن أهل الإسلام يدخلون روما، مع أن آخر الزمان يكثر الشر، هذه صورة أنا لم أكن أفهمها ويقع الاضطراب والتناقض في فهمي لها، حتى عشت هذه الظروف التي نحن فيها، نحن نرى في هذا الزمان أن الإسلام يتقدم، وأن الكفر يندحر -هذا الذي أراه- وأن الأمة تعود إلى أخذ زمام المبادرة في قيام حكم الله والخلافة في نهاية الطريق الذي لا نهاية له بعد ذلك؛ لأنها ستكون في محن حتى بعد الخلافة، أن الأمة تعود إلى سابق عهدها وأن الخلافة قريبة، ومع ذلك الفساد في الأمة يزداد، فنرى المعاصي ونرى الشرك والكفر ونرى الفساد يزداد، ومع ذلك نرى أن طائفة الحق تسلك سبيلها في هذا الواقع لإقامة الدين، فلم أكن أفهم هذا الاجتماع حتى رأيته.

كيف النبي صلى الله عليه وسلم يقول عن آخر الزمان: (**يكثر القلم ويقل العلم**)؟ الآن انظر إلى كثرة علم الناس بالفتاوى، يعلمون فتاوى الشيخ فلان وفلان؛ حتى صار البعض يستهزئ من كثرة العلم بها، يعني عندما يأتي رمضان فالبعض قالوا للمشايخ: لا نريد منكم كذا نعلم كذا... ونعلم كذا.. يعدون ما يعلمون من أحكام رمضان، ولكن نحتاج منكم يا مشايخ أن تذكروا أحكامًا أخرى لا نعلمها، انتشر الآن القلم، يستطيع أي قارئ أن يذهب إلى النت فيستخرج أي فتوى، كانت تحتاج إلى علماء، إلى وسائل من بلد إلى بلد وشهور لتعمل ويفصل فيها حتى تنتهي، واليوم بنقرة يستطيع أن ينهي هذا الموضوع.

فانظروا اليوم هل الجهل موجود؟ الجهل موجود، وهل القلم موجود؟ القلم موجود، القلم ينتشر والجهل يزداد مع كل هذا الجهل يزداد كيف يمكن الجمع بين هذين النقيضين؟ عندما أنت تنظر في الواقع فتجده بالفعل قد جمع بين هذين النقيضين على حالٍ تفهمها، فالذي عندي هو ما قدمته، كيف يملئ الأرض عدلاً وقد ملئت ظلمًا وجورًا؟ الواقع الخلافة تقوم ولا تستطيع أن تقضي على الفساد كله ولا تستطيع أن تقيم العدل كله حتى يأتي هذا المهدي فيقيم العدل في أكثر ما يمكن حتى أن جنوده يدخلون روما يصلون إلى هذا.

والسؤال في الحقيقة الذي يطرأ كذلك مع هذا كيف يدخلون روما فيصرخ فيهم صارخ أنه قد خلفكم الدجال في أهلكم؟ معنى ذلك أن العالم ينهار، معنى ذلك أن هذه الصورة النمطية التي نحياها في قضية الدول العالم ينهار، ويمكن للجماعة المسلمة، فرقة مسلمة ليست بهذه الجيوش الجرارة أن تخترق من تركيا وتخترق البلاد الإسلامية التي حُكمت من قبل الكفر ألبانيا -بلاد إسلامية- وكوسوفو، يخترقونها حتى تدخل هذه الجماعة روما وتنصر الإسلام في هذه البلدة، ويكون هناك كذلك انهيارٌ للعالم الإسلامي في المشرق؛ لأنه يقول: قد خلفكم الدجال في أهلكم، وهو يكون كاذباً ولكن حين يعودون هؤلاء العشرة من المجاهدين وهم خيرة أهل الارض آنذاك، يعرف النبي صلى الله عليه وسلم أسمائهم وألوان خيولهم، فيعودون وقد ظهر الدجال، والدجال لما يظهر على الصورة التي تعرفونها من غلبة الفساد في الأرض وكثرة من يتبعه، وحتى أن المهدي وجنوده لا يستطيعوا أن يقاتلوا هذا الدجال حتى ينزل عيسى عليه السلام فيقتله في باب لُد -منطقة في فلسطين- وفي هذا الفساد كله يظهر يأجوج ومأجوج ولا يستطيع عيسى عليه السلام ومن معه أن يقابل يأجوج ومأجوج، بل يوحي له ربنا عز وجل: **(وأحرِزْ عبادي إلى الطُّورِ)**، وجبل الطور هذا كم يسع؟ فكم يذهب مع عيسى عليه السلام من المؤمنين.

الواقع هو الذي يكشف للناس إمكانية حمل هذين النقيضين في وقتٍ واحد، وكذلك مما أحب أن أنبه عليه ألا يقع الناس أُسراء للوهم على طريقةٍ من نصرة الإسلام الذي يتخيلونه، أنا مؤمن وموقن أن نصرة الإسلام قريبة، لكن ليس على الصورة التي يريدونها، البلاء عظيم، البلاء القادم على هذه الأمة أشد مما رأته في طيلة زمانها وحياتها، لكن النصر قادم، أن يكون لنا دولة وأن تلتقي الأمة على قوة تستطيع أن تدافع عن نفسها هذا قادم، وأن نقضي على أعداء الله وندخل بيت المقدس هذا قادم، لكن لا يعني أن بعد أن ندخل بيت المقدس نقعد ونرتاح، لا..... صلاح الدين ما صارت معه»، صلاح الدين لم ينته جهاده بدخول بيت المقدس؛ لأن بيت المقدس بعد كم سنة دخلها الفرنجة والصليبيين بعد أن دخلها صلاح الدين وحررها.

فالقادم من البلاء عظيم والدماء ستسيل والبلاء عظيم، والذين يتصورون أن قيام الإسلام على طريقة أن يأتي بجيوش جرارة فيبسط سلطانه على الأرض، كما هي شأن الدول المعاصرة من الدول العلمانية فتكون إسلامية، هذا حلم، هذا لا وجود له إلا في الأذهان فقط، أما في الحقائق فغير ذلك.

بعد اليوم لن يستقر للأُمة قرار وهي قادمةٌ بالنصر بإذن الله عز وجل وقادمةٌ ومعها البلاء؛ لأن النصر لا يكون إلا بالبلاء في هذه الاحوال الأخيرة، فالعالم يتفكك ويتشظى والكفر يزداد عنفوانًا وغضبًا، فلا ندري ماذا سيقع بعد نصرة الإسلام، لا ندري كم ستدفع الأمة من الدماء في سبيل تحقيق نصرها وإزالة دولة اليهود؟ لا ندري؟ ولذلك لعدم فهم هذا عند الناس يأتون إلى أماكن الجهاد فيسبونها؛ لأنهم تصوروا أن النصر يكون بمجرد أن نأتي وندخل عليهم الباب فيستسلمون وحينئذٍ نقيم دولة الإسلام في بلاد الشام والجزيرة واليمن وغير ذلك، هذا وهم، فلذلك حين يرون أن الدماء تسيل يقولون: النصر يكلف هذه الدماء؟! فلا نريده، هؤلاء هم أصحاب الدنيا.

دول الكفر دفعت الملايين من أجل أن يستقر لها الحكم، أوربا «١٥، ٠٠٠، ٠٠٠» قتل منها في الحرب العالمية الثانية ضد هتلر حتى استقر الوضع السياسي في أوروبا على هذا الوجه الذي نحن نراه، الحرب الأهلية الأمريكية بين الشمال والجنوب كلفت الملايين من أجل أن يستقر الوضع السياسي في أمريكا على هذه الصورة، العالم لا تستقر أحواله إلا بالدم بدفع ضريبة الدم، ولذلك لما قال ماركس –وكلمته صحيحة-: «العنف هو داية التاريخ» بما معنى أن التاريخ يتولد من خلال القتال، هو سماه العنف، ونحن نسميه القتال، ونسميه حين يكون إسلاميًا بالجهاد، العالم لا يتشكل إلا من خلال هذه المنظومة، الدول أقيمت من خلال القتال، بل إن حواضر الإسلام العظمى لم تتشكل إلا بالجهاد.

فالذين يريدون أن يقيموا دولة الإسلام من خلال انتخابات ومن خلال السلام أو من خلال فقط طلقتين أو ثلاثة من غير دماء، فهؤلاء واهمون.

فالذي أعتقده: أن هذه المرحلة قد بدأت، وهي مرحلة استعادة الأمة لسلطانها، وستصل في ذروة هذا من الكرامة الإلهية في تحرير الأقصى قريبًا، وهذا لن ينتهي وسيأتي بلاء وبلاء، وبلاء، حتى تتواصل هذه المسيرة، هذه أرضٌ لا يقر قرارها خاصةً بلاد الشام، هذه أرضٌ كتب الله عليها الجهاد منذ أن دخلها عمر ودخلها أبو عبيدة ودخلها عمرو بن العاص ودخلها يزيد بن أبي سفيان هؤلاء القادة العظام ثم جاءها خالد بن الوليد، هذه الأرض لم يتوقف فيها الجهاد لحظه ولا تقديم الدماء لحظة، فكيف تريدونها اليوم أن تتوقف!!

لو كانت المسألة متعلقة بالمسلمين ضد النصيريين لانتهت المعركة، ولكن انظر إلى القوة الشريرة الأتية، وبهذا

يجب أن يتعامل المسلمون.

الكلمة التي أقولها للمسلمين جميعًا: إذا تعاملت على مستوى قريتك ومسجدك وخصومتك مع الإمام، لا، مبروك عليك!! أما لو نظرت إلى واقع أمتك وحربها فالمسألة أعظم من ذلك بكثير.

أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم والحمد لله رب العالمين.

١٣٧- ما علاقة وحدة الوجود بالركون إلى الطاغية؟

ضمن الجلسة الثالثة عشر، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠١/٢٢هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/١٠/١٢ م**)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

أخ يسأل: ما علاقة مذهب وحدة الوجود بركون إلى الحاكم الطاغية، وخاصةً بعد انتشار أفكار ابن عربي وابن الفارض، وهل صوفيتهم تسمح بالربط بين الموضوعين كما في السؤال؟

جواب الشيخ: وحدة الوجود وهي مذهب ابن عربي، ويصرح ابن عربي: بأنه لا يرى الإثنينية، لا يرى الثنائية في الخلق والمخلوق، ولذلك هو ينفي الإتحاد؛ لأن الإتحاد يكون بين شيئين، وينفي الحلول؛ لأن الحلول كذلك يقتضي وجود شيئين، ومع أنَّ هذه المسألة مشكلة عند الصوفية أنفسهم في التفريق بين الوحدة المطلقة التي يؤمن بها ابن عربي وكذلك ابن الفارض، إلا أن بعضهم يؤمن بالحلول، وهذا كذلك يؤمن به بعض الروافض، أن الله عز وجل حل في عليّ رضي الله عنه، ويؤمن به بعض الزنادقة مثل النصيرية أن الله عز وجل حلَّ بالقمر أو حلَّ في عليّ، أو حلّ في الشمس، وعليّ حلّ في القمر وهو القمر وهو الشمس.

على كل حال المذهب الحقيقي للصوفيةِ الحقيقين وهو وحدة الوجود؛ وهو أنه لا فرق بين الخالق والمخلوق.

هذا الدين، الذي هو ليس فقط في «الصوفية الإسلامية»؛ لأنهم خرجوا من الإسلام وينسبون صوفيتهم للإسلام، ويؤولون الإسلام لدينهم كما يفعل ابن العربي في كتابه: «فصوص الحكم» و«الفتوحات المكية»، وكما قال ابن الفارض ذلك في «تائيته» المشهورة.

فإذا اقتضى وجود الوحدة فقط في هذا الوجود وأنه لا فرق بين الخالق والمخلوق، ما هي النتيجة المترتبة على الشرائع؟

هذه العقيدة، فما هي الشريعة؟

الشريعة: أنه لا فرق بين الطاهر والنجس، ولا فرق بين الصواب والخطأ.. ومن هنا فبعض الصوفية تسموا باسم «الملامتية» و«الملامتية» مأخوذة من «لا ملامة»؛ أي يجوز للعبد أن يفعل كل شيء، ولا ملامة عليه.

وللذكر -هنا أتي إلى مسألة البعض يعرفها- وهو أن الدروز هم أهل الوحدة في الاعتقاد، الدروز يؤمنون بوحدة الوجود، والدروز يسقطون الشرائع، فالذي يقول بوحدة الوجود يكون لازمُ مذهبه أن يسقط الشرائع.

بعضهم طبعاً يتخذ الشريعة على وسيلةٍ ما -ربما نمر عليها باختصار- ولكن القاعدة بالوحدة -الوحدة في الاعتقاد- لازم قوله في مسألة الشريعة ألا يرى حلالاً وحراماً، وألا يرى تكليفًا، العبد ربٌ، والرب عبدٌ-يا ليت شعري من المكلف؟

العبــــــــد رب والـــــــــرب عبـــــــــد   يا ليـــــت شـــعري مـــــن المكلــــف؟!

إذا كان الإله هو الخالق وهو المخلوق، فمن يكلف الآخر؟! وهما شيءٌ واحد! فإذن لا تكليف.

فمن هنا سقوط التكليف يؤدي إلى إيمان فرعون، يعني ابن عربي يرى أن فرعون قد آمن لما قال: أنا ربكم الأعلى، يقول بتصريح: بأن هذا توحيدٌ أعلى من توحيد موسى الذي فرّق الآلهة إلى إلهين أو إلى إلهٍ باطل وإلهٍ حق، وإنما هو إلههم الأعلى مع الاعتراف بألوهية البقية على معنى من معنى الظهور الإلهي فيه.

ولذلك الصوفية الذين يؤمنون بوحدة الوجود -لأن هناك صوفية جهلة- يعني مرتبتهم في التصوف هو أنها مسألة من مسائل التعبد والتزكية، ولكن نتحدث عن أصحاب التصوف الاعتقادي الذي يعرفه أهله وهذا دين الوحدة فيهم كلهم، كلهم يؤمنون بالوحدة.

والآن نأتي إلى موضوع التلبس بالشريعة، لماذا بعضهم يتلبس بالشريعة؟ على قاعدة: وسيق الصوفية إلى الوالي فأمر بقتلهم على الزندقة إلا الجُنيد فإنه تستر بالفقه، يجب التقية، ولذلك من الطريقة عند الصوفية التقية، وبالسر إن باحُوا، انظر هذه قاعدتهم:

بالســـــر إن باحــــوا تبــــاح دمـــــاؤهم   وكـــــذا دمـــــاء البـــــائحين تبـــــاح

ولذلك أفتى بعض الصوفية بقتل الحلاج؛ لأنه كشف الأعذار وأظهر السر، كشف الأعذار؛ قام الستار وأظهر السر المخبوء عندهم، الذي كانوا يتنشقونه كما يقولون في أقبيتهم وفي السراديب، فالشريعة مظهر فقط، وليست على الحقيقة وإلا فالعبد ربٌ والرب عبدٌ، لا يوجد فرق!!

وإذا فهمنا هذا على الوجه الصحيح وصحَّ فهمنا له فإنه حينئذٍ؛ لا يكون هناك ظالمُ ومظلوم ولا يكون

هناك مشركٌ ومؤمن، ولذلك عندهم الذي يعبد في الكنيسة كعابد في كنيسةٍ، «فقلبيَّ» كما يقول الحلاج: قلبه يتسع لمن عبد البقر وعبد في الكنيسة وعبد في الكنيس أو عبد في المسجد أو ما شابه ذلك كلها عبادةٌ صحيحة.

وهذه الوقائع العملية، قال: هذه مظهر للإله!! مظهر للقبض، مظهر للبسط، هذا الذي نراه في الوجود ومظاهر للإله الذي هو كامنٌ في هذا الوجود كلياً، وأمّا ما نراه من الأفعال هذه مظاهر، وليست بشيء، والحلال والحرام إنما هي من أجل التقية على الذين لم يبلغوا هذا المقام.

من هنا فالذين يؤمنون بوحدة الوجود على المعنى الذي بينّاه لا يرون الطاغية، لا يرون أن هناك ثمة طاغوت يعبد من دون الله، لأن كل معبودٍ هو عبادةٌ لله، لأنها هؤلاء الآلهة الباطلة هي جزء من الإله الحق كما يقولون في وحدة الوجود!!

من هنا فإن القائلون بوحدة الوجود يرون أن الاعتراض على العصاة هو حجبٌ لرؤية السر الإلهي، ولذلك من ألفاظهم العامة التي تسري في العامة: «دع الخلق للخلاق»، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الاعتراض على الأقدار! هذا لما أنت تأمر وتنهى أنت تعترض على الأقدار، أي تعترض على التجليات الإلهية في الوجود؛ لأن الله يتجلى -كما يقول بعضهم- بالمقدس والمدنس!! ويتجلى بالنجاسة ويتجلى بالطهارة!! وكلاهما تجليان لله عز وجل!! نعوذ بالله مما يقولونه.

فمن هنا لا يرون هذا الأمر، قد يقول قائل: لكننا نرى الصوفية يجاهدون؟! يعني هناك بعض الصوفية يجاهدون.. هؤلاء الذين يجاهدون -نتكلم عن الصوفية باعتبار معتقدها الذي هو الفلسفي في الإيمان بوحدة الوجود- هناك بعض الصوفية لا يرون إلا المعنى الذي ذكرناه، وهو معنى التزكية والعبادة وأنها وسيلة للوصول إلى الله وأنها للعبادة والخلوة والزهد.

فهؤلاء نعم نرى منهم الجهاد هنا وهنا؛ لأنهم يعني يتقيدون بشريعة الإسلام، ويرون أن التصوف هو الإسلام، فلذلك هم يمارسونه على هذا المعنى. فهذا يكفي والله تعالى أعلم، والحمد لله رب العالمين.

١٣٨- رأي الشيخ بالدكتور مصطفى محمود

ضمن الجلسة الثالثة عشر، بتاريخ: (**٢٢/٠١/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٢/١٠/٢٠١٧ م**)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل الأخ يقول: ما رأيكم بالدكتور مصطفى المحمود وبالشيخ محمد الغزالي وكتبهما؟

جواب الشيخ: المشكلة في الكثير من الكتّاب -أنا أتكلم أولاً عن الدكتور مصطفى محمود- المشكلة في الكثير من الكتّاب عندما يحسنون فناً من فنون الحق في الدفاع عن مسألةٍ من مسائل الحق في الوجود، ويكون منطلقهم في ذلك الإسلام؛ فإنهم يرون قدرتهم في هذا الباب وبغير وعيٍ أو بوعيٍ منهم يميلون ويزيدون في القول لأنفسهم، ويزيدون في مساحة الحق لأنفسهم في أن يتكلموا في غير بابهم.

ومصطفى محمود أنا من الذين تأثروا به في شبابهم في صغرهم يعني وأنا عمري تقريبًا ١٢سنة بدأت أقرأ له وأحب كتابته على ذلك الوقت من التفتح وأنه يتكلم في المسائل الْمُشكلة لمثل طفولتي ولمثل هذه الفتوة وزمن هذه الفتوة؛ فلذلك كنت أحب كتابته، يعني لما كنت أقرأ «حوار مع صديق الملحد» أحسّ بمتعة عجيبة وأرتاح لما يكتب في هذا الباب، حتى أني بعد ذلك تطورت في قراءة قصصه ومسرحياته التي كتبها على وجهٍ من وجوه الفنون التي أراد أن يمارسها، ولم يشتهر في الوسط الإسلامي بأنّه قاصٌ وأنه أديب، هذا يعرفه الاتجاه الآخر.

ومما هو معروف أنّ مصطفى محمود كان شيوعياً ملحداً، ولكن كتب كتاب كتاباً سماه «رحلتي من الشك إلى الإيمان»، وهذه الكتب كانت في طفولتي وفي فتوتي تعجبني وتجيب على الأسئلة التي أزعموها في مثل ذلك الوقت، ولكن هذه هي مساحة القبول لمصطفى محمود، وأنه يصلح في مثل هذا الباب فقط، طبعاً هناك من الكتب لمصطفى محمود من المسرحيات ومن القصص التي لا شأن لنا بها، لا نتحدث عنها على الرغم أنها تحمل أبعاداً فكرية وتحمل أبعاداً اجتماعية، لكن لا نريد ان نأتي اليها في حديثنا هذا.

بعد ذلك... هذا الدكتور مصطفى محمود بلا شك أنه من العقلاء وأنه من المفكرين، بل له رؤيا في قضية الإصلاح والعمل الاجتماعي، وأنتم تعرفون أن مصطفى محمود عمل مؤسسةً خيرية اجتماعية وبنى مسجداً وعمل مستشفى خيري للفقراء والمساكين، وكان في هذا الجانب مُبرزًا، مع ذلك مثل هؤلاء للأسف يرون

لأنفسهم بما يملكون من ذكاء ذاتي من غير معرفةٍ بالشريعة على وجهها الصحيح، يرون لأنفسهم الحق بأن يتكلموا في الجوانب الشرعية التي لا تُعرف إلا من جهة النص؛ فهم يفتحون مجالاً لعقولهم ليتكلموا من جهة ما يحسون من حقائق دون أن يتقيدوا بما يتعلمون من شرائع.

هذه الثنائية المتناقضة التي يتبعها الشرعي السني وهو أنه يتلقى ليفهم ويعتقد ويعمل وبين رجلٍ آخر يرى لنفسه الحق بعقله الذاتي أن يُنشئ معلومةً، ثم يكر بعد أن تستقر هذه المعلومة وهذه العقيدة في نفسه يكر على الشريعة بالتأويل أو بالإبطال، والعبارات المجملة التي يتعلمها هؤلاء من الوسط الشرعي الذي يعيشون فيه تعطيهم القوة لرد هذه الشرائع.

مثال ذلك: هم يسمعون من المشايخ أن «وَكُلُّ نَصٍ أَوْهَمَ التَّشْبِيهَا، أَوِّلْهُ أَوْ فَوِّضْ وَرُمْ تَنْزِيهَا»، أي أن كل نص لا يعجبك يُخالف العقل الذي تؤمن به وتعرفه إما أن تفوضه وتقول غير مفهوم المعنى فهي فتأتي بمعنى خاص بك، وإما أن تأول هذا النص، أو يسمعون بأنَّ هذه أحاديث آحاد يعني غير مقررة، أو يسمعون أن هذه مساحة من الخلاف مقبولة اختلف فيها الإسلاميون معتزلة وأشعرية وسلفية إلى غير ذلك؛ فينشأ لديهم ولجرأتهم وهم بلا شك يملكون جرأة ربما لا يملكها بعض المشايخ، يعني في ترداداتهم العقدية من بيئة فطرية يعيشونها إلى شيوعية إلى إلحاد إلى إسلام بهذه الجرأة، هذه الرحلة علمتهم الجرأة؛ فيبدؤون بسبب هذه الجرأة يفيضون على الناس بقرارات خاصة بهم يقولون: هي الدين.

ولعدم وجود احترام لأهل النص أي «المشايخ»؛ فيرون أنهم أعلم من المشايخ، فعندما يتحاورون مع المشايخ –وأنا أعرف– لهم صداقات غريبة في الوسط المشيخي فعندما يجلسون معهم لا يرون في المشايخ القدرة على الإثبات أو على الرد، والمشايخ يقولون: نعم في المسألة خلاف، فيخرجون ما يعتقدون من عقائد التي بنوها على ما تقدم ذكره، وهي النظر العقلي وعدم الاهتمام بالمسألة الشرعية، بل يكرون على المسألة الشرعية إمّا بالتأويل وإما بالإبطال أو الرد.

هذه للأسف، هذه هي رحلة هؤلاء، وهذا هو الوصف الأقرب لمثل الدكتور مصطفى محمود، ولعدم وجود الخوف من كلمات كبيرة في وسطهم، يعني لا يهتمون لكلمة كفر، ولا لكلمة إجماع، ولا لكلمة ضلال وبدعة، لا يهتمون لهذه الكلمات؛ لأن وسطهم لا يقيم شأناً لمثل هذه الكلمات؛ فتخرج منهم العقائد بمثل هذه

الشجاعة وبمثل هذه التأويلات وبمثل هذا الانفلات عن النص والانفلات عن البيئة السنية الصحيحة، وهذا وصفٌ ينطبق على كثير ممن تكلم في الشريعة ومنهم الدكتور مصطفى محمود وخرج بعجائب!

وعلى ما قاله الإمام ابن حجر رحمه الله كما الكلمة المشهورة التي شهرها أستاذ الجميع وهو الشيخ أحمد شاكر رحمه الله: «من تكلم بغير فنه أتى بهذه العجائب»، الذي يتكلم في غير فنه يأتي بالعجائب، وهؤلاء ليس لهم -كما قلنا- المرجعية الشرعية الصحيحة مع هذه النفسية التي تحدثت عنها من غير إعادةٍ وتطويل؛ فوقعوا في هذه المزالق الكبيرة، فلو بقوا على الباب الذي نفعوا به الناس من قضية الحديث عن قيم الإسلام العظمى والرد على الملحدين، يعني ظاهرة الإلحاد اليوم يمكن أن يقوم لها رجل عاش هذه التجربة مثل الدكتور مصطفى محمود، وإن كان هو الآن متوفى -نسأل الله لنا وله الرحمة- لكن لو بقي في هذا الاتجاه والدفاع عن الشريعة أمام العلمانيين وأمام الملحدين والدفاع عن الإيمان بمفهومه العام دون الدخول في التفاصيل التي تحتاج إلى علم بالشريعة؛ لارتفع شأنهم واجتمع الناس عليهم.

ولكن دخلوا فيما ليس لهم فيه علم فأتوا بالعجائب! ولذلك كتبه طفحت بالأغلاط الشنيعة مثل القرآن محاولة لفهمٍ عصري، الرجل فيها أراد أن يقول: بأنّ القرآن يجيب على أسئلة العصر، هذا عنوانٌ صحيح، ولكن لا يجوز أن نفسر القرآن إلا من رجلٍ أقل شيء يملك أدوات العلم في تفسيره، وللأسف الذين يتكلمون عما يسمى بالإعجاز العلمي ينفلتون من الكثير من قيود المفسرين العلمية الضرورية التي يجب على المفسر أن يمتلكها وأن تكون عنده هذه الأدوات ليعمل بها، فهذا الذي يقع الخلط والخطأ فيه.

فلذلك مصطفى محمود هذا قولي فيه، من هنا ولأني أملك جانبًا من الاحترام في وقوفه أمام الالحاد ولأني أملك جانباً من الاحترام نشأت عليه في صغري على كتبه مع خطورة ما وقع فيه من مزالق عقدية في ما قاله مثل قضية الشفع وغيرها، مثل ما فسر بعض آيات القران تفسيراً معاصراً غير صحيح، وكذلك دخل في المسائل الشرعية يعني مقالات له لما كتب في مجلة «روز اليوسف»، وهي تفسيره: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٤٤)﴾ [المائدة: ٤٤]، ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٤٥)﴾ [المائدة: ٤٥]، ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤٧)﴾ [المائدة: ٤٧]، يعني تكلم بكلام أخذ من هنا ونتش من هنا على طريقة بعض حتى المشايخ للأسف في هذه النقطة، وجمعها وصنع منها صناعةً باردة لا تملك قوة العلم ولا حرارته.

فلا أنصح طلبة العلم ولا المثقفين أن يقرؤوا له إلا على جهة الثقافة وعلى جهة الاطلاع لما يقول، ولكن هو لا يملك قوة إعطاء الحق في مثل هذه المسائل، هذا مما ينبغي أن يقال في الدكتور مصطفى محمود، وأمّا الكلام عن الشيخ محمد الغزالي فإن شاء الله في سؤالٍ آخر أنبه عليه حتى لا يطول الشريط ويطول الكلام، وبارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

١٣٩- رأي الشيخ بالداعية محمد الغزالي

ضمن الجلسة الثالثة عشر، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠١/٢٢هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/١٠/١٢ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

تتمة لسؤالٍ سبق في جزءٍ آخر وهو الحديث عن الشيخ محمد الغزالي

جواب الشيخ: الشيخ محمد الغزالي رحمة الله عليه بلا شك أنه رجلٌ عجيب، وفيه قوة عجيبة، ويملك نفسًا عجيبًا، وهو من الأفراد القلائل من الإنتاج الأزهري الذي يملك قوة ما ملك من قوة العمل لما يؤمن به.

الشيخ محمد الغزالي: الناس يعرفون تاريخه، ولكن مروري على التاريخ مرورًا سريعًا عليه ينبئنا بالجواب عنه، وله دعوة في الجواب عن معرفتنا عن نفسيته، الشيخ محمد الغزالي كان قريبًا جدًا من الشيخ حسن البنا، وكان خطيبًا مفوهًا مُسقِعًا قويًا جدًا في خطبه، يملك قوة الخطابة، والشيخ محمد الغزالي من القلائل الذين يملكون قوة الكتابة وقوة الخطابة، حتى أنه وصف بأنه إذا كتب له قلمًا سيالاً ربما في الجلسة الواحدة يستطيع أن يُنشئ عشرين أو ثلاثين صفحة، ومن قرأ كتبه يحس بهذا، يحس بنفس الاسترسال القوي.

وكذلك محمد الغزالي أنتم تسمعونه إذا تكلم أنه لا يتوقف، يعني صاحب قوة في الحديث وسيولةٍ فيه بلا تردد، وأنا أقول كلمة: يعني أنا لم أكن لأقول كلمة لولا أن محمد الغزالي ذهب لما كان للقرضاوي موجود، تعرفون أن مسألة وجود العالم الكبير ربما يطمس عن العلماء حوله، في التاريخ موجود، وربما يقع كذلك التوافق الأكبر ويكون هنالك ثمة علماء كبار في وقتٍ واحد، مثال: ابن تيمية رحمه الله هذا الشمس كسف أضواء علماء أقمار كثيرين.

المهم الذي أعتقده لو بقي الغزالي لما كان للقرضاوي شأن، انظر إلى طريقة كلام الغزالي وطريقة كلام القرضاوي الفرق بينهما شاسع كبير، حتى في الاستحضار وفي سيولة الحديث وسيلانه.

المهم، بقي إخوانيًا وخطيبًا وقريبًا مع الإخوان المسلمين حتى توفي الشيخ حسن البنا، فحدث أن ولي بأمرٍ -الله أعلم به- حتى الثقافة والأدب الإخواني لا يستطيعا أن يجيبا إجابةً واضحة عن موضوع تولي حسن الهضيبي، فكان أن غضب هو وجماعة من هذا التولي، والخصوم من الإخوان يقولون: بأن محمد الغزالي غضب

لأنه لم يولى المراقب العام للإخوان المسلمين، وأصدر -هذه نفسيته انظروا- وأصدر كلامًا في حسن الهضيبي، كلامًا شديدًا جدًا، ليس عيبًا أن نذكره الآن يعرفه الطلبة ونشره الخصوم في أن ثروت الخرباوي هذا المجرم ذكر هذا الكلام بأن محمد الغزالي اتهم الهضيبي بأنه ماسوني، وكتب هذا في كتابٍ له، يعني لم يكن فقط يسير به في الدواوين والمجالس الخاصة.

المهم وبعد ذلك محمد الغزالي ذهب إلى الجزائر وصار له شأن وذهب إلى مكة كذلك وكان له وجود وحضور، هنا كانت قمة الخلاف بينه وبين المدرسة السلفية في كتابه «السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث»، ورد عليه الكثير من المشايخ على كتابه هذا، وإن كان بعض المشايخ بعد ذلك اعتذر عن بعض الردود عليه، المهم أن الردود عليه صنعت زوبعة كبيرة غطت مساحة كبيرة من العالم الإسلامي ومن المسلمين، حتى أنه نوقش في أسلوبه، يعني جمال سلطان أعجبني في رسالته التي رد فيها على الغزالي في قضية الخطاب، أسلوب الخطاب، أزمة الخطاب الديني بأنه يملك أزمة الاستعلاء.

والغزالي رجلٌ يقصف باستعلاء، ولو أنه تكلم ما تكلم به على جهة الطرح العلمي البريء بغير لغة الاستعلاء ربما تحمله الآخرون وناقشوه بهذا النفس، لكن الغزالي مشكلته حين يتكلم يحتقر مخالفه، وهذه مما يتميز بها محمد الغزالي في خصومته هذه ناحية.

الناحية الثانية: أن الغزالي وفي للإنتاج الأزهري، ما ترون من سلفيةٍ لبعض الأزهريين هذه لم تنتج من داخل الأزهر، ما هو الإنتاج الأزهري؟ الإنتاج الأزهري في أساسه هو إنتاجٌ بالنسبة للفقه يمثله كتاب «الميزان الكبرى» لشعراني، تطور الفقه الإسلامي من الكلمة الأولى «من تتبع مزالق العلماء تزندق»، يعني من أخذ برخص العلماء تزندق، كلمةٌ بدأ بها الفقه هكذا، أي أنه لا يجوز لرجل أن يذهب فيأخذ من هذا ومن هذا بحسب هواه لأنه حين يأخذ بالرخص يصل إلى درجة الزندقة؛ بمعنى إسقاط التكاليف.

ونحن نعرف قصة الرجل الذي كتب كتابًا في رخص العلماء فقدمه للإمام أحمد؛ فالإمام أحمد رحمة الله عليه قال له: «هذا كتاب الزندقة»، بمعنى أن المرء إذا أخذ برخص العلماء سقطت التكاليف عنه وبيّن له الإمام أحمد الذي قال بهذا لم يقل بهذا، يعني الذي أخذ برخصةٍ في باب أخذ في بابٍ آخر؛ فأنت لم تتبع هذا الإمام في كل أقواله، والذي أخذ بهذه لم يأخذ بهذه وهكذا، يعني الذي يريد أن يأخذ بالمتعة عند ابن عباس أو بالصرف عنده

أو بما شابه ذلك؛ فإنه يؤدي إلى إبطال الشريعة وإسقاطها.

هذا الفقه الذي كان عليه السلف تطور في قضية النظر إلى الخلاف؛ حتى وصل إلى أنه يجوز للمرء أن يتعبد الله عز وجل بأي مذهب لكن يتقيد بقول عالم ولا يتخير بدرجة الاشتهاء والاختيار، يعني باختياره وتشهيه، انتهى الأمر، هذا التطور انتهى إلى آخر لحظة وهو ما كتبه الشعراني في «الميزان الكبرى».

هذا الكتاب «الميزان الكبرى» مع أن الاعتناء به قليل؛ لأنه بالأصل الشعراني بسبب صوفيته نُبذ واستبعد من الحوار في داخل الصف الفقهي والمدونة الفقهية، المهم في «الميزان الكبرى» طرح الشعراني الرؤية التي استقر عليها الأزهر، وهو تفسير بعيد وأبعد ما يكون لما قاله البوصيري: «وكلهم من رسول الله ملتمس»، بمعنى أن كل قولٍ قاله عالم هو قولٌ حق في ذاته، وتطور لما قاله الغزالي على غير مراده أن كل مجتهدٍ مصيب لم يقل الغزالي هذا المعنى، ولكن تطور معنى ما قاله الغزالي في «المستصفى» إلى صورة ما قاله الشعراني في «الميزان الكبرى» وهو أن كل مجتهدٍ مصيب، فكل قول أخذت به من عالم فقد تعبدت الله.

طيب كيف هذا الأقوال مختلفة؟ وكيف هي أقوال صحيحة؟ ومن الله عز وجل؟ قال: بحسب مرتبة المتعبد، المتعبد إن كان من أهل الإحسان أخذ بالتشدد والعزيمة، والذي يقول: بالحرام، وإذا قلت مرتبته في التعبد في مرتبة الإيمان أخذ بمن يقول: بالمكروه، والذي هو من الظالم لنفسه في المرتبة الدنيا من مرتبة الإسلام أخذ بمن قال: بالحل، انظر هناك من قال: بالحرام، وهناك من قال: بالكراهة، وهناك من قال: بالحل، فأهل العزيمة والإحسان يأخذون بمن قال: بالحرمة، عزيمة، والمرتبة الثانية وهم أهل الإيمان يأخذون بمن قال: بالكراهة، وأما أهل الإسلام الضعفاء والمساكين في التعبد هم أدنى مراتب الإيمان وهم أهل الإسلام يأخذون بمن قال: بالحل، وهكذا الواجب والمستحب والمباح، وجعل يفسر الشريعة على هذا، هذا الكتاب الذي سماه «الميزان الكبرى».

وأحب لطلبة العلم أن يقرؤوه؛ ليعرفوا كيف يفكر الذي تنتجه المدرسة الفقهية التي لم تتقيد بمذهب، أي طورت المسألة المذهبية على هذه الجهة، وليس على جهة الفهم السلفي في قضية النظر إلى الدليل، ولكن طورت المذهبية على هذا الاتجاه، الأزهري يخرج من الأزهر على هذا المعنى مع ما يخرج به في البناء العقدي والعقلي في موضوع الأشعرية.

محمد الغزالي ليس هو فقط الذي يحمل هذا الاعتقاد، لكنه الأصرح والأقوى ولأنه كذلك يملك قوة لا

يملكها المشايخ غيره مع اعتقادهم كما يعتقد، ولعله في رحلاته أكثر من جابهه وكان يرد عليه في هذه الأبواب هم السلفيون؛ فأنتجت لديه نفسية الخصومة والمقارعة والحرب ضدهم؛ فكانت هذه الكتب التي يقولها.

ولو قرأت الغزالي وهو يتكلم كلمة حق، لو رأيته وهو يتكلم عن العلمانيين، لو رأيه وهو يناظرهم في جامعة القاهرة؛ لرأيته رجلاً عجيبًا صاحب صوتٍ مجلجل وعقلية عظيمة في الرد على هؤلاء، لما جاء للسلفيين فتح النار بهذا الاتجاه الذي ذكرناه في قضيته الجمود، وبدأ يطلق عبارات الخصومة الشديدة كتسميته الفقه المخالف له بالفقه البدوي مثلاً، والمسألة ليست بداوة وليست حضارة وإن كان البعض يتأثر، يعني الفقيه يتأثر ببيئته نوعًا ما ولكن لا ينبغي أن يكون الفقه عند الحوار فيه بين المتخاصمين على هذا المعنى، وبالتالي الناس صدموا بأسلوبه الذي رد عليه كما قلت البعض في أزمة الحوار الديني وبعضهم رد عليه من جهة الحديث وو... إلخ.

وصار ينصر الاتجاهات العقلية في رد الأحاديث ووقع في مزالق خطيرة جدًا، -وهذه من عجائب المشايخ حين يتكلمون بالعقل كما يزعمون دون درايةٍ بالعقل كما ينبغي- مثلاً: عندما رد على قضية علو الله عز وجل، قال فماذا يصنع الذي يثبت علو الله ويقول: أنه فوق حين يعلم أن الأرض كروية وأن الذي يكون في الأسفل يشير إلى أسفل في ظنه هو وأن الذي في أعلى يشير إلى أعلى؟! يعني أنا رددت على هذه من جهة علمية فقط ومن جهة فلكية، فهذا من جهالات من يخالف، فالجهة السفلى تنتهي لكل أحد إلى مركز الأرض وبعد ذلك فكل ما خرج من هذه الأرض فهو علو لأن هذا العلو مطلق وليس كما يتصوره هو؛ عندما يكون يشير الذي أعلى والآخر يشير إلى الأعلى نفس الأعلى الذي يشير إليه الذي في الجهة الأخرى من الأرض.

القصد: هذه صورة من صور استهزاءاته وتحقيره للمخالف، على كل حال الرجل أفضى إلى ما قدم ونسأل الله أن يعامله برحمته كما يعاملنا برحمته، ولا شك أنه كان يريد الإسلام، ولا نشك أبدًا أنه أراد نصرة الزندقة كما يفعل بعض المشايخ الذين يزعمون مثلاً التوحيد الصحيح وينصرون الزنادقة، سلفيين عندهم اعتقاد مع تصور عقلي صحيح لما تأتي به السنة وهم على أرض الواقع ينصرون الكفرة والزنادقة والملحدين والعلمانيين، الرجل يعني يسمع له فيما أصاب فيه وكل أحدٍ يؤخذ من قوله ويرد كما قال إمام الأئمة مالك عليه رحمة الله، إلا النبي صل الله عليه وسلم كل أحد يؤخذ من قوله ويرد، ولكن الشيخ محمد الغزالي هو نموذج لما تقدم من قضية الإنتاج الأزهري في صورته الصارخة وصورته المقارعة والمحاربة.

هنالك جوانب أخرى يعني مثلاً: لما أقرأ كيف نتعامل مع القرآن، في حوار له، تعجب له! أنه في مرات يصيب كما قال الذهبي عن أبي محمد عن ابن حزم عندما قال تقرأ له فتعجب! وتقرأ له فتطرب! مرةً تعجب ومرةً تطرب، مرةً تقول: كيف يقول هذا الكلام؟!! ومرةً تقول: هذا كلامٌ صحيح، مع أن الكتاب في جملته لا أحبه لوجود مزالق خطيرة فيه، إلا أن فيه جوانب إشراقية جميلة في موضوع فهمه للقرآن، والحق أنا عندما قرأت هذا الكتاب وقرأته مرارًا هذا الكتاب «كيف نتعامل مع القرآن» لمحمد الغزالي، هو حوار مع شخصٍ آخر هو عمر عبيد حسنة، لما قرأته؛ علمت مقدار تعلق هذا الرجل بالقرآن في الحقيقة، يعني من يقرأ هذا الكتاب يعلم أن محمد الغزالي رجلٌ قرآني على المعنى الصحيح وفي أغلبه وعلى المعنى الآخر في أنه يرد الكثير من الأحاديث مقابل ما يفهمه من القرآن على الطريقة المشهورة المذمومة في الحقيقة.

فلذلك هذا قولي في الشيخ محمد الغزالي أسأل الله أن يرحمنا وإياه وأن يغفر لنا وله وأن يرفع درجته، ووالله أنا عندي وعلى يقين أنه ما أراد إلا نصرة الدين، لكن جزءٌ كبير من خصومته تعود إلى الحالة النفسية وتعود إلى رحلته ومعايشته، يعني هذه نقطة مهمة جدًا أريد أن أنبه نفسي لها وأنبه إخواني وأنبه طلبة العلم والمشايخ، البعض يأخذ موقفًا استفزازيًا لأن طالبًا أصغر منه جاء ونبهه، وهذه حالة عاشها الغزالي ففي تطوافه خاصةً لما كان في أم القرى، كان بلا شك يقف بعض الطلبة المبتدئين عنده يردون عليه بعض المسائل؛ لأنها منتشرة في بيئتهم وتربوا عليها في المدارس، فهذا صنع عنده شيئًا من ردة الفعل في الخصومة الشديدة ضد هؤلاء وقذفهم وو... إلخ.

مثل ما ذكر قصته في موضوع الغناء، كيف دخل عليه شاب وشاهده يستمع لمغنية وأنتم تعرفون أن الغناء عند كثير من هؤلاء المشايخ من هذه الطوائف مباح، فهو يجابه خصمه ويجابه تلميذه بالكلام عليه بشدة ولا يرد عليه بالعلم المطلوب، فهذه نقطة ينبغي للمشايخ أن ينتبهوا إليها؛ إذا وجد في بيئة علمية ما أو من جهة علمية ما من هو أعلم منك؛ فلا تأخذ موقفًا نفسيًا منه بحيث ترد عليه الرد الذي فيه الاحتقار، بل استمع ربما يكون عندهم الحق، العلم يتنوع ويتوزع وربما يأتيك من هذه الجهة ومن هذه الجهة، فالمسألة باعتبار الحق وليس باعتبار الجهة التي تأتيك منه، وهذه النقطة التي أتكلم عنها حتى في بعض البلاد الزاعمة للسنة بعض المشايخ يعتقدون أن الدين لا يأتي إلا من جهتهم، وليت هؤلاء يقرؤون رسالة الليث رحمه الله إلى مالك رحمه الله؛ ليتعلمو أن العلم يتوزع باعتبار الأشخاص، باعتبار المناطق، باعتبار البلدان، إلى غير ذلك، لكن هذه أمراض

تسري في هذا الباب.

وبلا شك البعض تستر وراءه، تستر وراء الغزالي وصار الغزالي يحاول أن يذهب بعيدًا في بعد مسائل الفقه، مثل قضية العلاقة مع الجن عندما أحدهم قدم له الكتاب أعطاه من أجل أن يكتب له مقدمة؛ فصارت هذه كأنه يريد أن يبحث عن كل شيء ليعقلنه بعيدًا عن الأثر وبعيدًا عن الحديث، وصل لهذ الدرجة الشيخ محمد الغزالي يعني أنه يريد أن يعقلن الكثير مما يظنه من البيئة البدوية أو البيئة النصية كما يسميها في كتابه، وهو كتابٌ بلا شك لم يوفق فيه وليس على الهدي الصحيح فيه.

والله تعالى أعلم، والحمد لله رب العالمين.

١٤٠- صوفي بثوب سلفي

ضمن الجلسة الثالثة عشر، بتاريخ: (**٢٢/٠١/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٢/١٠/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

الأخ يسأل: لماذا يُكثر المشايخ من الكلام عن الصوفية؟ وهل معركة الإسلام هي بينهم وبين الصوفية؟

جواب الشيخ:

أولاً: لا شك بأن الصوفية هي من عوامل نخر الأمة وإزالة فاعليتها في الوجود، أنا أقول: هناك ثلاثة عوامل أدت إلى استبعاد الإسلام من معركة الوجود، وبزوال هذه العوامل تعود فعالية المسلم في الوجود للتحقيق العزة لهذا الدين:

العامل الأول: هو الصوفية، الصوفية لأنها إسقاطٌ للعقل، الصوفية تدمر العقل ومبادئها تسقط العقل والشريعة.

فمراد الصوفية يعني لو قرات كتاب «العلم» للغزالي وفي كتاب «الإحياء» وهو من أفضل الكتب التي يتكلم عنها من جهة التربية وهو كتابٌ صوفي بلا شك، وهو كتابٌ يدل على عبقرية صاحبه وعلى عقليته الكبيرة؛ لأنه الكتاب الأول الذي مزج التصوف بالفقه، عندما يتكلم عن العلم، نحن نعرف أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**إنما العلم بالتعلم**)، وهو يذهب لنا إلى التعلم بالطريقة الأخرى وهي طريقة الفتح الرباني بالطريقة التي يمارسها المتصوفة، جاهل يريد أن يصل إلى درجة العلماء الذين يصارع غيره في العلم لمجرد أن فتح الله عليه، والتي تسمى عندهم: الجذبة أو الكشف، هذا الذي قاله الغزالي -وأنا أتكلم عن الغزالي باعتباره الإمام في هذا الباب وباعتبار أنه فقيه، لا أتكلم عن غيره وربما البعض يغضب ولكن لنناقش المسألة نقاشًا علميًا بعيدًا عن التعصب، أنا ابن هذا الدين في النهاية نريد تحقيق هذا الدين، ليس هو صراع بين المدارس ولا بين شعارات- في كتابه «المنقذ من الضلال» قرر في آخره أن المذهب الحق في اكتشاف الحقائق ليس الباطنية وليس الفقهاء وليس المتكلمين وليس كذا وكذا، ولكن المذهب الحق الذي يتم به إدراك الحقائق هو التصوف.

التصوف الذي هو البحث عن الحقيقة عن طريق الكشف، وهذا قاله تفصيلاً في كتاب «العلم» في

«الإحياء» هو أنشأ كتاب «الإحياء» للرد على العلماء الذين ضيعوا الشريعة -كما جاء في مقدمته- وضيعوا الحقيقة، ضيعوا البناء العلمي والنفسي؛ بهذا الذي مارسوه في زمان الغزالي وقبل الغزالي.

ولكن لما جاء إلى العلم كيف يتلقى -ارجعوا إليه-!

النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(إنما العلم بالتعلم)**، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: **(نَضَّرَ اللهُ امرأً سمِعَ منَّا شيئًا فبلَّغَهُ كما سمِعَهُ، فرُبَّ مُبَلَّغٍ أوْعَى من سامِعٍ)**، يعني هو السماع،

وقال تعالى: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (١)﴾ [القلم: ١]، ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١)﴾ [العلق: ١]، ﴿لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ [ص: ٢٩].

هذه هي طرق الفهم، طرق الوعي، قال صلى الله عليه وسلم: **(من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين)**، فهذه هي طرق العلم، بعد أن يترسخ المرء بالعلم الذي وقع به الفهم عن الله عن طريق التلقي فقط؛ نأتي إلى درجة تمايز الناس في إدراك هذا العلم، والله يفتح وعلى الناس بحسب مراتبهم كما قال علي رضي الله عنه وقد سُئل: أخصكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء؟ قال: «والذي خلق الحبه وبرأ النسمة ما خصنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء إلا شيئًا يؤتيه الله عبدًا من عباده»، يعني هناك يتم العطاء الإلهي بما هو من الكتاب والسنة، وليس خارج عن الكتاب والسنه.

وأما الكشف بأن هذا كله ينبذ ثم بعد ذلك تأتي إلى أن يفتح الله عز وجل علينا، ولذلك غلب على المتصوفة الجهل؛ فترى شيخ الطريقة من أجهل خلق الله، وأنتم تروهم اليوم، اليوم من فوائد النت أنه يكشف لكم الأسماء الكبيرة التي تعطى الألقاب الكبيرة لهم، يعني هذا الذي يقال له: الشيخ العارف الكذا...، تسمع له؛ وإذ هو لا شيخ ولا عالم ولا عارف شيء وهو جاهل بكل معنى الكلمة، هو أبو جهل، يقول لك: الولي التقي، فتسمع له؛ فتعلم أن أحد أبناء حفظة القرآن من التلاميذ الصغار يعلم من دين الله أكثر من هذا الشيخ الولي العارف الكذا؛ فدمروا العلم الشرعي.

الصوفية في تاريخنا دمرت العلم الشرعي، ودمرت العقل الإنساني، وكما قال أحدهم لسلاطين زمانه: «ما أخذوا بتقوى الشريعة ولا أخذوا بعقل الجاهلية»، يعين نحن نحتاج إلى عقلٍ إنساني ونحتاج إلى شريعةٍ ربانيه؛ كي

يكتمل العطاء، نحتاج إلى عقول كبيرة وهكذا كان الصحابة رضي الله عنهم، فهم أصحاب العقل بما ملكوا من زكانة وبما ملكوا من فطنة، فجاءت الشريعة فصنعت هذا الإنسان العظيم هو الإنسان الصحابي، صنعت إنسانًا عظيمًا فصنعت منه الفاعلية في الوجود، فلا شك أن الصوفية هي إحدى عوامل الهدم.

العامل الثاني: هو مذهب الإرجاء، وكلها تلتقي في معانيها، يعني الصوفي دمر العقل، دمر العبادة، دمر الشريعة، وصنع الجهل، وانظر إلى أئمتهم يعني لما تقرأ أنت «جامع كرامات الأولياء» لنبهاني، أو نرجع لشعراني في طبقاته «طبقات الصوفية»، فترى مجانين يعدونهم أولياء، مجانين!! مجذوبين يعدونهم أولياء!!

ثم جاء الإرجاء ليسقط قيمه العقل، خلاص إيمان بلا عمل المهم تقوى!! وهذا يغذي هذا، الإرجاء يغذي الصوفية والصوفية تغذي الإرجاء.

العامل الثالث: وهو ما تكلمنا عنه من قضية الفساد الفقهي، الذي وقع فيه الفقهاء فكرًا وسلوكًا.

هذه الأركان هي التي دمرت الحالة الإسلامية وأذهبتها، ولا شك أن لها توابع من العلاقة مع السلاطين، الإرجاء من تبرير للسلاطين من إجرامهم وتبرير أفعالهم، ومن الإرجاء اتخاذ مذهب الكسب وهو الجبر، «هكذا الله اختار لنا، وهكذا القدر»، العلماء والعوام يقولونها، فهذه الأركان هي التي دمرت، فيجب نبذها، ولا شك أنه الآن يوجد إعادة إحياء لها بصوره ما، وإدخال عوامل التشديد في داخل أقماع هذه المذاهب، بمعنى لما يقول مثلاً حسن الهضيبي الذي يعجب بها كثيرًا الشيخ ناصر الألباني رحمة الله عليهما، لما يقول: «أقيموا دولة الإسلام في قلوبكم تقم على أرضكم».

فهذا مذهب الإرجاء تمامًا، ربما لم يرد بها الإرجاء والجبر حسن الهضيبي مع أنها كلمه باطلة في معناها، لكن عندما يشرحها الشيخ محمد بن ناصر الدين الألباني السلفي المجدد لإحياء الأمة؛ تجده يشرحها على المعنى الإرجائي وعلى المعنى الجبري، مذهب التصفية والتربية مذهبٌ صوفي، لا أقصد كيف نتربى، ولكن أقصد أن التربية بالمفهوم الذي طرحه الشيخ الألباني هو مذهبٌ صوفي لإحياء الأمة، الصوفية ليست فقط في أدواتها الفرعية، ولكنها في قضية إيجادها للقضايا الكلية للنظر إلى حركة الوجود وإلى تغيير الوجود.

وبالتالي؛ الهجوم على التصوف والهجوم على الإرجاء والهجوم على الجبر والهجوم على قضية الفساد الفقهي

الذي تكلمنا فيه في الكلام عن كتاب الشعراني «الميزان الكبرى»، هذه ينبغي الاهتمام بها، وينبغي أن نصارح الناس بها، ربما تكون هذه التي ذكرناها غير بيّنة في تسمياتها في الجماعات الإسلامية، يعني الآن لو أرد أحد أن يقول: أين ما تقوله في جماعة الإخوان المسلمين؟ عندما تقول جماعة الإخوان المسلمين: الأصل أن نبني الفرد المسلم، ثم الأسرة المسلمة، ثم المجتمع المسلم، ثم الحكومة الإسلامية، ما الذي يختلف هذا عما يقوله الشيخ الألباني في التصفية والتربية؟ أنا أتكلم من جهة كلية، وهذه نظريات صوفية بحتة لا وجود لها في الوجود، في الوجود هي مجرد أوهام، وفي القراءة العلمية العقلية البحتة هي أوهام لا يمكن أن تطبق على أرض الواقع لإحياء الأمة، نعم لإحياء الشخص المسلم المتعبد ضمن بيئة غير إسلامية هذا يمكن أن تنتجه الصوفية وينتجه السلفي وتنتجه الإخوان وهكذا، يمكن أن تنتج هذا المتعبد، ولكن أن تنتج أمة ليست هذه هي الطريقة؛ فالحديث ينبغي أن يعود إلى ما يسمى البناء المعرفي لهذه المذاهب.

والسؤال من الأخ حول قضيه هجوم الشيوخ على الصوفية، للأسف هو هجوم على بدعها التعبدية السلوكية الفردية، وهذا جانبٌ مهم، ولكن في الحقيقة ضعف وزال تأثيره في عموم المسلمين، يعني لو ذهبنا لنرى الصوفي بالمفهوم الاصطلاحي والتاريخي، هو الصوفي الذي له بيعة للشيخ، ويأخذ منه الأوراد ويمارس عبادة على وجهٍ ما، والرقص وخلوة، رقص وذكر بالطريقة البدعية... إلى غير ذلك، فهذا الصوفي بهذا المفهوم وجوده في العالم الإسلامي مقموع في زوايا صغيرة غير مؤثرة، المؤثر الآن هي هذه النظرات الكلية في تحليل حركة الوجود، والذي نسميه البناء المعرفي لمن هو صوفي، فأنا أرى أن كثيرًا مما يقوله أكبر دعاة السلفية هي صوفية، يعني عندما يقول شيخ: الطريقة في إصلاح الحاكم اذهبوا وابكوا أمام بيته، يعني ما هو الارتباط بين تغيير الحاكم وبين هذه الحركة؟ سننيًا أين هي؟ التعالي على السنة وطمس السنة هو مبدأ من مبادئ الإرجاء، مبدأ من مبادئ الجبر، والإرجاء والجبر هو شيءٌ واحد يلتقيان دومًا، إلا في حالات معينة.

فالقصد: أن المطلوب ليس الحديث فقط عن بدع الصوفية المولد، البدع الصوفية الأذكار البدعية «الله، الله» الاسم المفرد أو الرقص، بل ينبغي أن نتحدث عن البناء المعرفي لهذه الجماعات والطوائف لأنها غزتنا وغزت العقلية الإسلامية والعقلية الفقهية، عندما يخرج المرء من كل هذه التفسيرات ويعود إلى الكتاب والسنة يجد الفاعلية الحقيقية ويجد الغذاء الذي يبعث هذا الإنسان المسلم لأن يكون صحابيًا، نريد أن نسميه المسلم الصحابي؛ هذا هو الشعار، وهذه ليست فقط شعارات من أجل بناء مؤسسات، ولكنها من أجل أن نعود إلى

الكتاب حقيقة وإلى السنه حقيقة، وإلى التجديد حقيقة.

السؤال يدور حول الصوفية بمفهومها؟ هذه نعم، للأسف هذه يعني وجودها ضعيف والاهتمام بها اهتمام زائد عن حده، وهو جزء من معركة إشغالنا بغير ما ينبغي أن نشتغل به، لأنهم عندما يُشغلونا مع جماعة صوفية... فعندنا هنا في الأردن ربما الصوفية في عالم التدين لا تخرج واحد في عشر آلاف -من المتدينين-، ربما مساجد كاملة تجد فيها صوفيًا واحدًا، ومن يحضر الرقصات الصوفية ربما لا يزيد في الأردن كلها عن المئات، وبعض من يحضرها؛ يحضرها هكذا وليس له أي ارتباط بها، يحضرها للمعرفة أو للنظر أو للأكل، فأين هي الصوفية؟!

الآن الركوبة الجديدة لأعدائنا حتى السلفية، السلفية الآن ركوبة جديدة؛ لأن العلاقة مع الخصم صار ذاك يبررها عقديًا وهذا يبررها فقهيًا، عقديًا أن هذا ابتلاء ويجب أن نصبر عليه كما يقولون، كانوا يقولون: هذا بلاء نصبر عليه ولا نصادمه لأن هذا اعتراض على الله!! هكذا كان يقول الصوفية، والسلفيون الآن يقولون: بالفقه والمصالح والمفاسد وعدم الخروج على ولي الأمر وو... إلخ، بنظرة فقهية!!

فالذي أعتقده بأنه يجب أن نوازن في عملية الإصلاح وفي قضية الهجوم على ما هو موجود من الشر بمقدار وجوده في الوجود، فمن كان عظيمًا علينا أن نواجهه، الآن نحن نواجه من في هذا العصر؟ نحن نواجه العلمانية، نحن واجه عملية التغريب الذي يمارس علينا بعيدًا عن الشعارات، من أجل إفساد أبنائنا، من أجل سيطرة العلمانية علينا، شراء هؤلاء المرتزقة من قبل الغرب بالمؤسسات والأموال ووسائل الإعلام إلى غير ذلك، وفرض العلمانية علينا من خلال كتل عسكرية وسياسية وأمنية، ثم يسعون إلى طمس الهوية الإسلامية، هذه هي معركتنا وهؤلاء هم كبار الزنادقة وأئمة الكفر، والله عز وجل يقول: ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ (١٢)﴾ [التوبة: ١٢]، فهناك للكفر أئمة وهناك أتباع لهم يستخدمونهم، ومن الذين يستخدمونهم بعض الطوائف الإسلامية بجميع الشعارات الموجودة على أرض الواقع.

هذا ولله الحمد وجزاكم الله خيرًا.

١٤١ – عبد الله بن سبأ

ضمن الجلسة الثالثة عشر، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠١/٢٢هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/١٠/١٢ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل أخ: ما رأي فضيلتكم بشخصية عبد الله بن سبأ؟ وهل جرى تضخيمه من البعض لتنحية أمر الخلافات التي كانت بين الصحابة رضي الله عنهم؟ وماذا تقول عمن يصفون هذه الشخصية بالوهمية والتي ينقلون بالمرويات عنه؟

جواب الشيخ: ابتداءً العسكري هو أول من أشار لقضية -فيما أعلم- إلى نفي عبد الله بن سبأ، وكتب الدكتور عوض القرني كتاباً في إثبات شخصية عبد الله بن سبأ اليهودي رداً على من نفى هذه الشخصية.

وأنا كتبت كذلك فيه وأثبت رواية من أصح درجة الإسناد في وجوده على طريقة المحدِّثين أن عبد الله بن سبأ شخصية حقيقة وليس كما زعموا أنها وهمية.

فالقصد: من قال بأن شخصية عبد الله بن سبأ وهمية هذا مبطل وكاذب ولا يلتفت إليه، وإثبات وهميتها لا يغير من الحقيقة شيئاً في قضية عقيدة الرافضة ودينهم وفسادهم في الوجود، لا يغير شيئاً، فالْمُثبت بأن هناك من أله علياً وقاموا وحرقهم وقال مقالته لما قام على المنبر وقال له عبد الله بن سبأ أو غيره، كائنًا من كان، قال له: أنت، أنت، فعلم أنه يقصد بكلامه أنت الله، فألهه؛ فحرقهم عليّ وقال:

لَمّا رَأَيتُ الأَمرَ أَمراً مُنكَراً ... أَجَّجتُ ناري وَدَعَوتُ قَنبَرا

قنبرا يعني خادمه من أجل أن يحرقهم.

فوجود عبد الله بن سبأ أو غير وجوده لا يغير من الأمر شيئاً، إلا إنهم يحاولون بأن ينفوا يهودية دينهم، ولكن حتى لو نفينا صناعة الدين الرافضي وأنه يهودي الصناعة، لا نستطيع أن ننفي بأنَّ هذا الدين -أي الرافضي- يشابه دين اليهود، وأول من كشف هذا المعنى هو «الشعبي» وكان خشبياً، بمعنى كان على مذهب بعض مذاهب الشيعة الذين يرون تحويل سيوفهم إلى خشب ولا يقاتلون حتى يخرج المهدي، وسموا بالخشبية.

وكان الشعبي خشبياً وكشف الصلات العقدية والمذهبية والصلات المعرفية بين اليهود وبين الرافضة، هو كشفها بغض النظر عن قضية المرجعية التاريخية، من الذي أنشأهم هذه هي الشخصية الخبيثة اليهودية عبد الله بن سبأ الذي ادعى الإسلام على طريقة ادعاء شاوول أو بولس أنه صار من أتباع عيسى عليه السلام وغير دينهم.

فهذه شخصيةٌ حقيقة، وإذا أراد أحد ألا يدخل في هذا الباب، فندخل من جهة المعرفية، من جهة التشابه المعرفي بين هذا الدين وهذا الدين.

فحينئذٍ سنجد أنه على طريقة غياب السند ننظر إلى الفكرة وهذه شرحتها في قضية «بروتكولات حكماء صهيون»، وقلت: بأنه حين يغيب السند؛ ندرس الفكرة، ندرس الموضوع، فإذا تشابه حينئذٍ نجزم بهذه الصلات، حتى لو غاب عنا السند التاريخي الموصل لهذه الصلة.

فهذا شيءٌ أولي ومن ينفيه فلينفيه، ولكن الوقائع تثبت هذه الصلات اليهودية مع دين الرافضة.

الموضوع الثاني: الذي طرحه السائل حفظه الله وهو أن هناك ثمة تضخيم له.

الجواب: قد أقترب لهذا المعنى مع السائل، بمعنى أن المنافق لا يمكن أن يُعمل عمله إلا من خلال المرض في داخل الجسم -في داخل الأمة-، لا يمكن للعدو أن يحدث أثره في داخل الأمة دون وجود الضعف في داخل الأمة، الجدار الصلب القوي لو جاءته الرياح لا تأثر فيه.

أنا أتكلم هنا من جهة التفريق الداخلي، أما من جهة الحروب قد تنهار الدول لوجود من هو أقوى منها، ممكن أن تحدث الهزيمة لهذا السبب.

ولكن أتحدث عن الفساد الداخلي لا يكون إلا بوجود العوامل الموضوعية الداخلية في داخل الصف والتي تؤدي إلى تأثير هذا المنافق عليه، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [الحشر: ١١]، ﴿نَافَقُوا﴾، ﴿لِإِخْوَانِهِمْ﴾، ﴿أَهْلِ الْكِتَابِ﴾، وهذه الصلة التي ذكرها القرآن مازالت تتكرر إلى يومنا هذا!

هل لعبد الله بن سبأ اليهودي أن يُعمل عمله لولا وجود هذه المصيبة التي وقعت بين الصحابة؟ الجواب: لا!

هل لعبد الله بن سبأ أن يؤثر تأثيره في قضية تأليه علي لولا وجود جهلة؟ الجواب: لا!

نحن رأينا بأن القتال في معركة الجمل لم يكن سببه إلا المنافقون! ولعدم الحل الشرعي لهذه المشكلة! مع أنني أؤمن بأن الأقدار لما تأتي من الصعب مجابهتها، وأنا على قاعدة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «أنه إذا جاءت الفتن –له كلمة تدور حول هذا المعنى– لما تأتي الفتن لا يكون دورٌ للعقلاء»، يتلاشى دور العقلاء ويقوم عليها السفهاء، العقلاء مساكين إذا تكلموا ضُرِبوا، ولذلك ينبغي لهم الاعتزال، فإذا جاءت الفتن ستجتاح، فيكون دور العقلاء قليل، بل ربما يكون معدوماً، حينئذٍ يبرز السفهاء وأصحاب الصوت العالي والذي يريد القتال، والذي يريد الانتقام، والذي يريد الاستئصال، والذي يريد الإصلاح عن طريق استئصال الآخر، فتبدأ مثل هذه الدعوات المنفلتة من عِقال العقل والحكمة.

دور عبد الله بن سبأ موجود، مشهود، ولكن حين يأتي أحد فيصوره أن كل الشر حصل من خلاله، فالجواب: لا! في الحقيقة لا، لا يوجد شخصية في الوجود تملك هذا التأثير الذي يريد أن يزعموه، أن كل شيء بفعله أدار المعركة ورتبها وذهب هنا وفعل هنا وو... إلخ، هذه الشخصية لا تستطيع أن تقوم بكل هذا.. الذي يقوم به المنافقون، الذي يقوم به السفهاء، الذي يقوم به من يحيط به.

يعني جاسوس واحد إذا دخل يستطيع أن يفسد بماذا؟ من خلال أدوات الضعف في داخل الصف، من خلال أدوات النفاق في داخل الصف، من خلال أدوات السفه في داخل الصف، جاسوس واحد يفعل كل هذا بسبب هذه الأدوات التي تلتف حوله.

والجاسوسية لبعض الأديان دين! يعني أنا أعتقد بأن اليهودية أن من عبادات اليهود الجاسوسية، عند اليهود الجاسوسية عبادة والآن الجاسوسية تطورت، الجاسوسية عند بعض الناس مجرد نقل الأفكار نقل الأخبار، أما صناعة الأفكار فلا يعرفونها، صناعة الأحداث لا يعرفونها، وهذا ينبغي أن يدرس، وينبغي أن يكتشف، وينبغي أن يعالج، وينبغي أن يحصن الصف من وجود هؤلاء.

فعبد الله بن سبأ اليهودي هذا اليمني، هذا لم يكن له أن يُحدث الأثر لولا وجود الضعف في داخل الصف، هو ليس شخصية تملك الحقائق وتملك القوة، لكن الضعف والخلاف الذي حدث في الأمة والقتال والدم، وما حدث من الحقد بين طوائف المسلمين ورغبة الثأر، يا لثارات الحسين.. من يدعو لذلك كما دعا المختار الثقفي الذي تنبأ بعد ذلك وكفر بالله عز وجل بعد أن كانت له سيرة حسنة في بداية أمره، وهناك من دعا لحركة التوابين من أجل الانتصار للحسين ومقتله بعد أن شعروا بالإثم عندما تخلوا عنه، وهكذا يعني نشأت حركات مؤلمة في التاريخ الإسلامي.

لكن بالنسبة لنشوء المذهب، بلا شك أن المذهب تطور، لم ينشئه رجل لكنه بذر البذرة وبعد ذلك تطور، أقام قضية تأليه الإمام، أقام قضية عصمة الإمام، أقام قضية أن عليّ مات ولم يمت وسيعود وهكذا، أقام مثل هذه المعالم لكن بعد ذلك تطورت من خلال دخول الأهواء والمجرمين في داخلها.

هل هناك تعظيم؟ نعم هناك جانب تعظيم لشخصيته، ولكن كذلك لا ينبغي أن نغفل بأن رجلاً واحداً في بيئةٍ معينة يستطيع أن يصنع الكثير، لا لقوته، ولكن لضعف هذه البيئة وانهيار عوامل المنعة في داخلها.

أقول قولي هذا وأستغفر الله.

١٤٢- علماء شيعة نقضوا التشيع من داخله

ضمن الجلسة الثالثة عشر، بتاريخ: **(٢٢/٠١/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٢/١٠/٢٠١٧ م)**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: يوجد عندنا في لبنان بعض مشايخ الشيعة كصبحي الطفيلي، ومحسن أمين، ومحمد حسين فضل الله ولديهم كلام تحس بأنهم على منهج أهل السنة، فما الحكم الشرعي في هؤلاء؟

جواب الشيخ: للذكر أنا تكلمت عن محمد حسين فضل الله وهو مات طبعاً، تكلمت عنه في مجلة المنهاج وقلت: بأنه يحاول أن يعقلنا التشيع.

مثال ذلك: مصحف فاطمة عند الشيعة، ففي دينهم أن هناك مصحف لفاطمة خاص غير الذي هو عندنا، وهو مصحف عليّ فهو عقلنا أو سننا هذا الطرح وقال: نعم هو مصحف فاطمة أنها كانت تجمع أترابها وصديقاتها وتلقي عليهن تفسيراً للقرآن فهذا مصحفها، انظر!! ومحمد حسين فضل الله أنا أتقدم في الكلام عنه لأنه الأكبر والأشهر، لم يخرج من الإطار الشيعي ولا المذهب الشيعي، يعني كل ما يفتي به من خلال المراجع الشيعية ومن خلال الطرح الشيعي، لكن يحاول كثيراً أن يأتي إلى ما هو شيعيٌ صارخٌ في جنونه، وصارخٌ في معارضته لاعتقاد ويقينيات المسلم الذي به يكفر لمخالفته يقينيات هذا الدين، فيعقلنه بطريقةٍ ما.

أنشأ جيلاً ما -محمد حسين فضل الله- لكني أعتقد أن جيله لن يدوم لأن إصلاحه لم يكن جذرياً، وإنما كان يدور حول النتاج والثمرة ولا يعالج الأصول، ومذهب الرفض مصيبته في جذوره فليست في فروعه، الجذور، مرجعية الشريعة، مرجعية النصوص، مرجعية الأحكام، كيف لا نقيم الأحكام، التشيع فساده في الجذور، هذه نقطة مهمة جداً، يعني لا يستطيع أحد أن يصلح التشيع فقط من خلال ظواهره من خلال نتائجه من خلال ثماره، لماذا؟ لأن الفساد كامل، فإذا أصلح شيئاً عاد إلى الفساد مرةً أخرى، لفساد الإمداد الأصلي.

ولذلك أنا لا أعتقد بأن محمد حسين فضل الله يعني الآن له تأثير كبير وإن كان له من يقوم على فقهه ويقوم على نشره، ولكنه ينتكس، سينتكس وسيعود، ولا أعتقد بأن محمد حسين فضل الله عالج جذور الانحراف الشيعي، هذه نقطة لم يعالج ولذلك هو بقي شيعياً في أصوله وفروعه، لا يعني هذا أن محمد حسين فضل الله

نضعه مثل السيستاني وكلاهما المرجع، هذا مخرف يعني هذا فاسدٌ من كل وجه، وهذا لا، فيه بعض التعقلن، يعقلن يعني يسنن، لأنه في الحقيقة أهل السنة هي العقل، بمعناها السني ومعناه الفطري وليس الصناعي.

أما الكتب التي تخرج له فهي كتب إسلامية فكرية عامة، مثل مجموعة سلاسله «مفاهيم إسلامية» عندما تقرأها تجد طرحاً إسلامية عاماً، كما يتحدث السني عن البناء الإيماني في الإنسان، عن مجابهة الجاهلية، مجابهة الكفر، المسلم المقاتل، وهكذا، فهي طروحات عامة يطرحها كل مسلم، هذا الجانب من محمد حسين فضل الله ليس شيعياً وهو جانبٌ عادي، ولكن الخطر في طرحه وتعليمه لأهل السنة، لأن السني بعد ذلك يظن بعد ذلك ما يقوله هو الحق، يعني يُطرح كرجل شيخ وعالم فيرى كلامه جميلاً في هذه الجوانب فيتخذه إمامًا، وهذه خطيئة كبرى ولا نقبلها.

على كل حال تأثير الرجل ضعيف جداً، والحزب الرافضي اللبناني يعني طمس وورث محمد حسين فضل الله وأزاله ولم يبق إلا مجرد ذكريات لبعض أحبابه الأوفياء له ولبعض عائلته.

موضوع محسن الأمين أنا جلست وتكلمت مع أحمد الكاتب -والله لا أذكر الآن هو جلوس مقابلة أو مكالمة هاتفية، ويغلب على ظني أنها مكالمة هاتفية بيني وبين أحمد الكاتب- كان يخرج أحمد الكاتب نشرة الشورى التي بعد ذلك جمع ما كتب فيها في تطور المذهب الرافض في موضوع المذهب الشيعي في موضوع الإمامة، وأعجبني بحثه جداً وتكلمت عنه في مشروع «ألف كتاب قبل ممات»؛ لأنه ينقض روايات الإمام وينقض روايات عصمة الأئمة وينقض روايات مرجعية الأئمة في التشريع من خلال النص الشيعي، وهذه نحن لا نعرفها في الحقيقة، لا نستطيع، يعني رجل من داخل تاريخ التشيع ينقض قضية الإمامة، وقضية المهدي المسردب في سامراء، فصار حوار بيني وبينه -لأحمد الكاتب- فقلت له: لكن هذا الكافي وكذا، الحوار العادي، فقال لي: الكافي أغلبه مكذوب، فتعجبت وقلت!: يعني من معك في هذا القول وأنت رجل شيعي، وأحمد الكاتب شيعي بقي يعني شيعياً وإن كان على مذهب التشيع خارجًا من التشيع.

وللذكر محمد حسين فضل الله هناك من كتب كتاباً هو عندي هذا الكتاب نسيت اسمه لأنه ليس من المشاهير، وأنا صرت أنسى اسماء الكتب أصلاً، رد فيه على محمد حسين فضل الله وأخرجه من التشيع انظر إلى دقة مقلدة الشيعة في دينهم، الذين يسمعون بالأصوليين.

-أعود إلى حديثي مع احمد الكاتب- فقلت له: من معك في هذا بأن الكافي مكذوب، قال: معي محسن الأمين الذي كان رئيس مرجع الشيعي الأعلى في لبنان ومات، وبعد ذلك اختلفوا على تعيين من، ولكن قال: أن محسن الأمين على هذا المذهب وهو أن أغلب كتاب الكافي مكذوبٌ وباطل ويعارض دين الله عز وجل وينبغي نبذه، وقال لي: بأن رجلاً -ذكر لي اسمًا لا أذكره الآن، ليس في ذهني- أن رجلاً كتب كتاباً في هذا وهو في تركيا في ذلك الوقت هذا الكلام، وأن من ساعده والذي دفعه لكتابته هو محسن الأمين، وهو رئيس مجلس الشيعي الأعلى في لبنان، ولكن يخاف؛ لأنه مرجع الشيعة فلذلك يخاف، ولذلك أبنائه ضد التشيع الرافضي الفارسي، ويرون أن التشيع يجب أن يعود عربياً، مقاربةً ليس على وجه الكلي لما قاله علي شريعتي في قضية التشيع العلوي والتشيع الصفوي، التشيع العلوي يعني أن نعود إلى شيعة عليّ كما هو عليّ في حقيقة الأمر وليس ما صنعه الصفويون، وذكر أمثلةً كثيرة ذكرها في بعض المجالس، من ذلك الضرب التطبيل وكذا، وقال: هذا تشيع صفوي، أحضره الصفويون من الأرثوذكس من أوروبا الشرقية واحضروه تقليداً للنصارى الأرثوذكس في قضيته إيلامهم للوصول إلى الخلاص.

فالقصد: بأن هذا الرجل لم يظهر شيئاً كبيراً، وإن كان أبناؤه الآن على هذا المعنى، يعني يخرجون كلمات فيها الوقوف أمام التشيع السياسي، يتكلموا عن المسألة سياسية، لم أطلع على أن رجلاً كتب شيئاً يتعلق بالمذهب الشيعي، لكنه في هذا الإطار هم شيعة يقفون أمام الحزب الرافض اللبناني بإمارة ورئاسة حسن نصر الله، يقفون أمام التشيع المرتبط بالمرجعية الشيعية الإيرانية؛ لأنهم يرون أن هذا خروج عن التشيع الذين هم يؤمنون به، ويرون أن هذا الارتباط السياسي غلب على الموضوع الديني فصرنا أتباعًا للسياسة والمرجعية في إيران فيما يسمى «ولاية الفقيه»، هم ضد مذهب ولاية الفقيه، ولا شك أن محمد حسين فضل الله ضد ولاية الفقيه، وكذلك هؤلاء سياسياً ضد ولاية الفقيه لا يرون لهذا الفقيه الإمام الذي يزعمون أنه نائب عن الإمام المسردب في سامراء أنه هو الذي يقوم مقامه وأن جميع الشيعة يجب أن يعودوا إلى مرجعيته وإلى أقواله تقليداً واتباعًا، وليس عندي أي اطلاع بأن لأولاد محسن الأمين أن لهم دوراً في الإصلاح الشيعي كمذهب.

نأتي إلى صبحي الطفيلي، صبحي الطفيلي كان الأمين العام للحزب الرافضي اللبناني، كان الأمين العام قبل هذا الولد، عندما كان ولداً -أقصد حسن نصر الله- وثم بعد ذلك أزيل وإيران وضعت هذا الولد ولمته وهو ولا شك أنه يملك قدرات، يعني ليس مجرد غبي حمار أتوا به، لكن هو يملك قدرات معينة يعرفها كل من يراقب

حواره ويراقب خطابه، ذكاءٌ شيطاني ولا شك، لكن صبحي الطفيلي ميزته أنه اكتشف يد إيران في تسيير الحزب لسياسة إيران، وأن هذا الحزب خرج عن صف الأمة المسلمة ليخدم مصالح إيران ضد أمته المسلمة العربية، بغض النظر عن الشعار، فلذلك هو لم يخرج عن الإطار الشيعي بقي شيعياً بإيمانه الشيعي، ولكنه يتحدث بطريقةٍ أصرح وأوضح مما تكلمنا عن قضية أولاد محسن الأمين.

هؤلاء اكتشفوا أن المذهب عند إيران وسيلة من أجل السيطرة الفارسية على المنطقة، هذه الكلمة أنا قلتها كثيراً، قلتها مع شيء من التحفظ بأن الذي يسوق الإنسان ويسوق الجماعات هي العقائد، ولكن العقائد تختلط بشيءٍ من الجهوية وشيءٍ من القطرية وشيءٍ من العنصرية، وهذا يتجلى في نظرتنا إلى إيران؛ أن إيران فيها البعد القومي وكذلك فيها البعد العقدي، ولا شك أنهم أصحاب عقيدةٍ باطلة رافضية، ولكن كذلك البعد القومي جزءٌ من تركيبة الدينمو في الحركة، دينمو الحركة باتجاه الأخر واتجاه المنطقة، فصبحي الطفيلي يصرح وأنا لم أقرأ له تصريحًا لصبحي الطفيلي إلا وهو حقيقة، وأعجب أنهم لم يقتلوه إلى الآن!! وربما لم يقتلوه لأنهم علموا لو قتلوه لما أشارت الأصابع إلا إليهم؛ لأنه عدو لهم، وتصريحاته قوية وفاضحة ولكنها حقيقية، لأن الواقع أكثر مما نظن في إجرام هذا الحزب في موقفه ضد أمته اتباعًا لسياسة إيران، وأنه لا يخدم الإسلام في شيء.

وإلا لو كان هذا الحزب إسلامياً بإطاره العام بغض النظر عما في داخله من تنوع إسلامي وإذا اعتبرنا أن الرافضة في أساس مذهبهم إذا اعتبرناهم مسلمين، فما الذي يوقفه مع هذا المجرم البعثي مثلاً؟! البعثي الذي يؤمن بحزب البعث، مع أن البعثية هي دابةٌ امتطاها النصيريون في الشام للسيطرة عليه، لكن على جهة الشعار ما الذي يربطه به؟ يربطه به أنه قريب المذهب، حافظ الأسد كمذهب أخذ الفتاوى من ملالي إيران بأن النصيرية والعلوية كما يسمونهم أنهم مسلمون، فتاوى سياسية.

فالقصد: صبحي الطفيلي يعني يمكن الالتقاء معه بهذا الباب من جهة سياسية، مع التحفظ على الجهة العقدية، ويمكن استغلال المواقف التي يتخذونها سياسياً لكشف البعد العقائدي الفاسد، أي يمكن أن تكون السياسة عند البعض سبيلاً لكشف العقيدة، وهذا للأسف بعيد في وقتنا هذا وضعيف لأننا أهل السنة الذي يمثلهم من جهة سياسية كلية ولا أتكلم عن مجاهدين وحركة الجهاد في الشام وفي اليمن، من جهة سياسية هم فاسدون، ولذلك للأسف يعني الآن هذا الاستغلال ضعيف، والذي يمثل أهل السنة في لبنان هم السياسيون

الفاسدون، أنا أتكلم عن جهة سياسية وليس عن جهة الجماعات، الجماعات هي جماعات الأمة، ومشايخ الأمة وطوائف الأمة التي تريد أن تحيي الأمة إلى مجدها، وأنا أتكلم عن جهة سياسية هم فاسدون لا يهمهم العقائد وو... إلخ، ولذلك للأسف يقوم عليه أصحاب المال الإقطاعيون، أصحاب الذمم وهذه من مصائبنا في هذا العصر.

فهذا قولي في هذا الباب وبلا شك أن الرجل إذا كان حديًا في خصومته مع الإسلام ومع أهل السنة، فمن ابتعد عنهم ولو بمقدار شبر واحد هو أقرب إلينا ومن كان شبرين أكثر وهكذا والحكيم والعاقل هو من يقدر مواقف الناس، بحسب ما يمكن أن يكونوا عليه من الشر، وبما هم عليه من بعض الشر، هذا الحكيم الذي يقدر هذه الأمور ولا شك أن هؤلاء يمدحوا في جوانب كثيرة ذكرتها ومررت عليها، مع الاحتراز لما هو فوق ذلك والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين.

١٤٣- تفصيل الخير والشر على معنى مقتضى حكمة الله

ضمن الجلسة الثالثة عشر، بتاريخ: (**٢٢/٠١/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٢/١٠/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل سؤالاً له علاقة بما شرحناه في شرح أسماء الله، والإجابة ستكون عامة يُطرح من موضوعات تتعلق بشرح أسماء الله في هذا المكان لأنه الأوسع والأرحب في الإجابة.

يسأل الا خ حفظه الله: وددت شيخنا لو زدتنا تفصيلاً في قضية الخير والشر على معنى مقتضى حكمة الله جل في علا، فقد ذكرتم الشر في ترك عملٍ محمولٍ كالصلاة من جهة تقصير العبد بقيامها شرعًا، ولكن ماذا لو أخذنا عملاً وفي ذاته مذمومًا كالزنا أو السرقة؟ كيف نفهم خلق الله له ابتداءً وهو في ذاته شر، حتى لو كان في حكمة قضائه خيرًا لنا من ناحية (والشر ليس إليه)؟ وعذرًا للإطالة شيخي وحبيبي ولكنه طمع المحب في محبوبه، جزاكم الله خيرًا.

جواب الشيخ: موضوع الخير والشر يعني لا أستطيع أن أتكلم عنه في جلسة سؤالٍ وجواب، ولكن أعطي بعض النقاط المهمة، علاوةً على ما تقدم، فقد تقدم بأن (**الشر ليس إليه**)، لا ينسب إلى الله عز وجل، فلا يجوز أن ينسب أحد الشر إلى الله عز وجل، ومع علمنا بأن الله عز وجل خلق الشر، يعني خلق إبليس وإبليس شر، وأن فعل الفعل الذي خلقه الله عز وجل فينا، هذا الفعل يمكن أن يقضيه المرء في الطاعة مثل الزواج -كالموضوع الذي طرحته وهو موضوع الزنا- يعني الله عز وجل خلق فينا هذه القدرة على النكاح في الرجال وقد يسلبه سبحان وتعالى من أحد وقد يسلبه من كل أحد عندما يكبر وتذهب قوته، فهذه القوة التي يفعلها المرء يفعلها مع أهله ويفعلها كذلك مع العاهرة.

فالآن الله عز وجل خلق هذه القدرة؛ هذا من حكمته أن يجري الفعل على وجهٍ من الطاعة وأن يجري هذا الفعل على وجهٍ من المعصية؛ هذا من حكمة الوجود بما يترتب على ذلك من مقصدٍ إلهي بعد ذلك في قضية العقوبة والمثوبة، العقوبة والمثوبة هي المقصد بعد ذلك، فالله عز وجل خلق هذه القدرة في الإنسان على أن يقوم بالكلام فأن يتكلم الحسنة وأن يتكلم السيئة، أن يتكلم السيئة هذه السيئة الله عز وجل خلقها، ولكن الله

سبحانه وتعالى خلق هذه القدرة كذلك على الاختيار بأن يقوم بهذه الحسنة، بل سبحانه وتعالى أقام للحسنة من مقويات ما لم يقيمها في السيئة؛ فجعل البركة في الحسنة، وجعل التيسير في الحسنة، وجعل الأمر الإلهي في الحسنة، وجعل المرغبات في الحسنة، المرغبات في الدنيا والآخرة، وجعل موانع كثيرة في هذه السيئة أهم هذه الموانع وهو التهديد بالعقوبة حين إتيانها.

فالله عز وجل خلق هذا وهذا لماذا؟ لحكمة الوجود، ولا يمكن لنا -هذه نقطة أنا كررتها ولكن نعيدها هنا لتُفهم- لا يمكن أن تُفهم مسألة الشر والخير دون النظر إلى العاقبة أي إلى الآخرة إلى الجنة والنار، لا يمكن، وإلا فإن كل شرٍ في هذه الدنيا يعود على من أوجده دون حكمة القضاء عليه في الآخرة والعقوبة له في الآخرة، وغلا لكان في ذلك الذي ينسبه الفلاسفة وغيرهم ممن لا يدرك حكمة الله عز وجل ولا يعرف ربه؛ نسبه إلى الظلم؛ لأن هذا العالم الظلم فيه هو الفاشي والفساد هو الأكثر، قال تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (١٠٣)﴾ [يوسف: ١٠٣]، فالظلم هو الأكثر، فلولا وجود العاقبة لكان وجود الشر شرًا محضًا، لكن لما كانت الحكمة الإلهية بهذه العاقبة؛ كان وجود الشر من تمام حكمة الله عز وجل.

أنا أفهم أن السؤال سيعود، فيقول: يعني هل هذا الشر في الوجود -نحن ندرك حكمته- لكن كيف لا ينسب إليه؟ لا ينسب إليه لأن الله عز وجل لا يزكيه، ولأن الله عز وجل نهى عنه، ولأن الله عز وجل أقام من الخير ومن وسائل الخير ما تستوعب هذا وتزيد عليه.

انظروا إلى المحرمات، فهي قليلة ومحصورة، وإلى الحلال فهو مفتوح، انظر إلى ما يمكن للمرء أن يشرب من نبيذ محلل لم يصل إلى درجة الخمر المسكر، بابٌ لا تنتهي أسمائه، وأما الخمر فهو حالةٌ واحدة، هو المسكر، ولذلك حكمة الله عز وجل في هذا الخلق هي حكمةٌ تدركها صغار العقول وليس فقط الكبار، كل واحدٍ حتى العامي حين ينظر يدرك حكمة الله عز وجل، وفي كل يومٍ العامي ماذا يقول؟ عندما تحدثه عن نعمة مثلاً الزواج؟ يقول: الحمد لله الذي أباح لنا الزواج وحرم علينا الزنا، العامي من يقولها، والعامي يقول: الحمد لله الذي حرم الخمر، عندما يرى ماذا يوقع الخمر في الناس؛ يقولها، وعندما يرى ماذا يصيب أهل الربا؛ فيحمد الله عز وجل.

فالإنسان العامي الذي يفكر بقليلٍ من عقله يدرك حكمة الله.

السؤال هل الله عز وجل خلق الشر؟ نحن نعتقد أن الله عز وجل خلق كل شيء، ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠٢]، ولكن (**الشر لا يُنسب إليه**)، لأن الله سبحانه وتعالى جعل الشر عدما، الشر عدم، وهو ترك الخير، لو أن المرء أتى الخير لما استطاع أن يأتي الشر، ولو أنه أتى الخير لاستوعب هذا الخير كل الشر ومنعه منه، وبهذا فإن الله عز وجل لا ينسب الشر إليه، هذا على المعنى الذي ذكرته وأرجو أن أكون قد أجبت شيئًا جديدًا، وإلا فهذا الباب لا ينتهي، فالحديث عن الخير والشر لا ينتهي، وأرجو أن تقرأ كتاب «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل» لابن القيم رحمه الله، هذا كتابٌ قيم ومهم جدًا في هذا الباب، وهناك كتاب «الخير والشر عند ابن تيمية رحمه الله» أظن لمحمد السيد الجليند.

والله تعالى أعلم، وبارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين

١٤٤- حكم حمل الخمر وإيصالها

ضمن الجلسة الثالثة عشر، بتاريخ: **(١٤٣٩/٠١/٢٢هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/١٠/١٢ م)**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يقول أخ سائل: أجريت مقابلة لوظيفة مع شركة -شركة اسمها كوريل- لتوصيلات الطرود، وقالوا لي: احتمال أن يكون في بعض الأحيان خمور توصلها؛ اسأل لي الشيخ ما حكمها؟

جواب الشيخ: الأصل هذا العمل صحيح، وهو من أعمال الإجارة، ولكنه إذا كان للإجارة على شيءٍ محرم وهو حمل الخمر، وحامل الخمر ملعون من الملعونين في الخمر -شاربها.. صانعها.. وكذلك من حملها.. حاملها- هؤلاء ملعونون؛ فلذلك: أن يحمل الخمر لا يجوز.

إذا علم أنه سيفعله، لا يجوز له أن يعمل في هذا العمل.. إذا علم أنه سيفعله، فلا يجوز له العمل إلا إذا اشترط عليهم: إذا كان خمراً أنا لا أشتغل، فيجوز له هذا العمل، حينئذٍ يشترط عليهم، يقول لهم -إذا كان في بلاد غربية- يمكن للمرء أن يقول: هذا يخالف ديني، فبعض الناس يفهمون عليه ولا يجبرونه على الحمل، وأما إذا كان لا بد من ذلك، فهذا عملٌ لا يجوز، وهو داخلٌ في اللعن، لقوله سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

والله تعالى أعلم، والحمد لله رب العالمين.

١٤٥- الحضانة من حق الزوج أو الزوجة؟

ضمن الجلسة الثالثة عشر، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠١/٢٢هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/١٠/١٢ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

سؤال: أختٌ تطلقت من زوجها، الطلقات الثلاث، ولها معه ابنان ثم الآن تقدمت لخطبتها رجلٌ آخر، قيل لها: إذا تزوجت من الرجل الثاني، يعني بمعنى الكلام يسقط حق الحضانة لك ويصبح للزوج، ويجب أن تعطيهم بعد ذلك له، هي لا تستطيع فراق أبنائها، وقالت قد تمتنع عن الزواج من أجل أبنائها، أبوهم لا ينفق على أبنائه، هي فقط تنفق عليهم وأمها تساعدها في أبنائها، وهي تقول: حتى إن زوجها الأول لا تأمن أن تعطيه الأطفال لا تأمن أنه سيرعاهم لأنه لا يتحمل مسؤولية، ولا يعمل ولا ينفق عليهم، هو لم يطالبها بالأبناء، فهي تسأل هل يجب عليها أن تعطي الأبناء لزوجها الأول إذا تزوجت رجلاً آخر؟

جواب الشيخ: هذا السؤال متعلق بالحضانة، والمفتى به والمعروف أن الحضانة من حق الأم، الحضانة ليست من حق الرجل، لا يجوز للرجل أن يكون حاضنًا، هذا المفتى به، وفي المذاهب الأربعة هذا موجود، أن الرجل لا يقدر أن يكون حاضًا عندما يكون الولد محتاجا إلى الحضانة، فحتى لو سقطت الحضانة أو سقط حق الحضانة للأم بسبب زواجها، فإنه يُعطى إلى غيرها، من غيرها؟ هل هي أم الزوج؟ أم أُمّ الزوجة؟ يعني إلى جدتهم لأمهم أم جدتهم لأبيهم؟ الجمهور أعطى الحضانة إلى جدتهم لأمهم، إلى الجدة لأم وليس الجدة لأب، هذا الجمهور.

وموضوع الحضانة من المسائل التي يختلف فيها الفقهاء اختلافًا كبيرًا؛ لاختلاف النصوص فيها، وبقية هذه المسألة من المسائل التي يعني كنا ومجموعة من طلبة العلم نجلس فكل واحدٍ يقرأ في كتاب مذهبه، وكان حظي ونصيبي بالقراءة في كتاب «بدائع الصنائع» للكاساني، في موضوع الحضانة، نجتمع من أجل أن نقرأ كل مسألة على دقتها وأن نضعها بين أيدينا، ماذا يقول المذهب في هذه المسألة؟ وماذا يقول في تلك المسألة؟ ففيها من الاختلاف الشيء العظيم والكبير في المذاهب، ولم أخرج من هذا الضيق حتى قرأت كلامًا لشيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الباب، وهو أن هذا كله مما قالوه من التقويم إنما منشأه العرف، ومنشأه النظر إلى النص دون النظر إلى سبب وروده، فإن كل نصٍ يتعلق بالحضانة إنما هو يتحدث عن حالةٍ معينة، كموضوع الحيض -مع الاعتذار- يعني يقول الإمام أحمد تسع سنوات قرأ الحيض، تسع سنوات حتى استوعبه، ورأى أن الأحاديث لا

تختلف، ولكن نتحدث عن حالات معين، خاصةً موضوع الاستحاضة وموضوع التوقيت، من كان لها وقت ومن لم يكن لها وقت وكانت... إلخ.

فهذا الموضوع من يستوعبه يجده سهلاً، فوجدت شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في هذا الباب قد أجاد وأفاد، فخلاصة المسألة في موضوع ما افتي به وإن كان للأسف موضوع الحضانة هي موضوع خصومة وتحاكم، فسيذهب طليقها إلى المحكمة الشرعية وهي تقضي بما عندهم من مدونةٍ فقهيةٍ ثابتة، ولن يأخذوا بفتواي ولا بفتوة ابن تيمية، فأعود وأقول من جهة الفتوى وهو الذي أفتي به: بأنه لو تقاضى إلي زوج وزوجة فحينئذٍ لا علاقة لا بزواج أمهم ولا بغير زواج أمهم ولا علاقة لهذا كله، انظر أين مصلحة الولد، فربما تكون المصلحة عند الأم، فأعطيهم للأم، وربما تكون المصلحة عند الزوج، الزوج يكون أفضل في باب من الأبواب، ويقدر الفقيه والحاكم بأن هذا الأب يقوم على شؤون أبنائه الصغار خير من أمهم وجدتهم من جهة أبيهم ومن جهة أمهم، فلا عبرة لهذا كله.

العبرة بنظر القاضي أن يكون القاضي مجتهدًا في دراسة هذه الحالة، أين الخير وأين الأفضل لهؤلاء الأطفال؟ لأن المقصود هو هذا، هو تحصيل مصلحة الأبناء، فلا توضع قواعد عامة المصلحة هنا أو المصلحة هنا ويكون الواقع خلاف ما قرر، فهذا القول في الحقيقة هو أشد ما يقال، وفيه إعمال النصوص كلها الواردة في الحضانة وكذلك فيه نظر إلى المآلات والمقاصد، والعبرة في مثل هذه الحالات المقاصد والمآلات الشرعية المطلوبة.

وبالتالي؛ في مثل هذه الحالة أنا أفتي بحسب ما ورد، أن كان قول هذه المرأة على هذا الوجه؛ فإن حق الحضانة لها، إلا إذا كان الذي الثاني الذي تزوجت به يمنعها من القيام بحقوق أبنائها، يمكن أن يقول: أنا لا أريدك في كذا ولا أريدك في كذا؛ حينئذٍ يسقط حق الحضانة منها ويذهب إلى أقرب واحد، إلى أم الزوج، إلى أم الزوجة، القاضي ينظر ما هو الأفضل؟ ما هو الأحسن؟ وربما الزوج، وهي تقول: الزوج لا يصلح لهذا حتى الآن لا يدفع نفقاتهم، فهذا من الشر وهذا يدل على فساده إن صح الوصف والفتوى بحسب الوصف، فلذلك الذي عندي أن المرأة يجوز لها أن تتزوج، فإذا كان زوجها يسمح لها بالقيام بشؤون أبنائها؛ فحينئذٍ يبقى الأبناء عندها، وإذا كان الزواج يمنعها بالقيام بحقوق أبنائها، -المهم النظر إلى مصلحة الأبناء- فيصار إلى أم أمهم أو إلى أم أبيهم بحسب ما ينظر أو هم ما يقررون من حكمة الوضع.

والله تعالى أعلم وبارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

١٤٦- زوجتي تراقب حسابي على الفيس بوك

ضمن الجلسة الثالثة عشر، بتاريخ: (**٢٢/٠١/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٢/١٠/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

هذا سؤال من أخ... وهو سؤال في حل المشاكل الاجتماعية.

الأخ يسأل: زوجتي تراقب حساب على الفيس بوك.

الشيخ: جزاها الله خيرًا، ضروري على الزوجة أن تراقب حساب زوجها، وأنا أنصح الأخوات بمراقبة حساب أزواجهن، وحتى التجسس عليها، هذا ليس من التجسس؛ لأنهم كثيرًا ما يلعبون بذيلهم في هذا الباب، وكثير فيه من الغلط، وأنا أعجب في الحقيقة -قبل أن أتم السؤال- أنا أعجب من الزوج كيف يمنع زوجته من الدخول إلى حسابه والنظر فيه! أنا أعجب من هذا! لماذا يقع هذا؟! لماذا تمنع زوجتك من النظر إلى ما تكتبه في هذه الوسائل «في الفيس بوك والوتس أب وغيرها»؟!

هل هناك جريمة تقترفها أنت؟!! ما هي الأسرار التي تسرها عن زوجتك في مثل هذه الوسائل، وفي الحقيقة أن كل زوجٍ يحاول أن يمنع زوجته من النظر إلى رسائله في هذا الباب التي تسمى «بوسائل التواصل الاجتماعي» في الحقيقة هذا رجلٌ وراءه ما وراءه، هذه أنا أقولها: الرجل الذي يحاول أن يمنع زوجته من النظر إلى ما يكتب في الوتس أب والفيس بوك وما شابه ذلك؛ هذا رجلٌ فيه خيانة، هذا الذي أراه.

نعم، نأتي إلى موضوع آخر؛ وهو أن بعض الزوجات لمجرد الحديث مع امرأة، مثلاً: هناك شيخ يجيب على أسئلة النساء، فالمرأة يطير شعرها... نعم هذه امرأة مجنونة وفيها غيرةٌ غير محمودة، والغيرة كما في الحديث المصنف لعبد الرزاق بسندٍ مرسل (**المرأة الغيرة لا تعرف أسفل الوادي من أعلاه**)، لا تعرف أين الجبل وأين الوادي، لا تعرف الفرق بين الجبل وقمته ولا تفرقه عن الوادي، هذه نعم حالة معينة، يمكن للرجل أن يجتنب هذا الباب ويحاول أن يقوم بالحكمة، ولكن مثل هذه المرأة في الحقيقة مريضة نفسيًا، وتبقى الكلمة الأولى.

هو في نهاية سؤاله يقول: زوجتي تراقب حسابي على الفيس بوك لتعرف مع من أتكلم، لأني أتكلم مع

نساء في بعض الأحيان.

الشيخ: لماذا تتكلم مع النساء؟! لا يجوز لأحدٍ أن يكلم النساء على الفيس بوك إلا بما جاز أن يكلم به النساء في غير الفيس بوك، ما الذي يجوز أن تكلم به النساء في غير الفيس بوك؟

دخلت دكانًا فوجدت امرأةً تبيع، مضطر أن تسأل هذا كم ثمنه؟... هذا اضطرار... فهذا يجوز، كما في الفيس بوك يجوز فيه الحياة العملية، وكما في الحياة العملية يجوز في الفيس بوك.

امرأة أرادت منك سؤالاً، مثلاً: طبيب ربما جاءتك لتسألك سؤالاً عن ابنها؛ فهذا جاز في الحياة العملية، يجوز في الفيس بوك؛ أنت طبيب يجوز في هذا الباب، أنت محامي تريد أن تسألك سؤالاً، أنت شيخًا تريد أن تسألك سؤالاً، فما جازت في الحياة العملية جاز في الفيس بوك، وما عُدّ تهمةً في الحياة العملية عُدّ تهمةً في الفيس بوك، وما يُعد شرًا في الحياة العملية يُعد شراً في الفيس بوك.

وأما من يستمرئ الحديث مع النساء في الفيس بوك فيما هو من لغو الكلام، يعني الذي ليس هو حرام ولا حلال، أو أنه أغلب إلى الحلال لكنه يؤدي إلى ضياع الوقت والمفاسد.

أغلب ما يجري من حديثٍ للرجال مع النساء فيما هو مباح في ذاته مع النساء في أصله يؤدي إلى الحرام وإلى المعصية، هذا أمرٌ مقطوع منه، ولذلك لا يجوز للمرأة أن تُحدّث رجلاً أجنبيًا عنها في الفيس بوك، ولو سألته: كيف حالك؟

لماذا؟! لأن هذا سيؤدي حتمًا إلى مزيدٍ من الكلام... كيف حالك؟ كيف أنت؟ كيف الأولاد؟ أين تعمل؟ أين تذهب؟ ثم تبدأ ماذا قرأت اليوم؟ فيقول: قرأت كذا وكذا، ثم يبدأ الكلام وو... إلخ، ثم تبدأ كتابة: ههههههه... بين الرجل والمرأة ثم ينتهي إلى الشر.

ولقد علمت بيوتًا هُدمت من وراء هذا، وعلمت أن زوجات طلقن أزواجهن لهذا، فهي غبية وهو غبي، المرأة هي المرأة، ولكنه هو مسكين يظنها ذكية وراء الفيس بوك، وأنتم تعرفون الصورة التي خرجت بعد الإنترنت وغيره أنه يكون هناك كلب موجود في الجهة المقابلة وهناك عبقري في الجهة المقابلة، فالكلب فقط يكتب؛ فيظن العبقري الذي يتكلم هنا يظن أنه على الجهة المقابلة أن هناك عبقريًا وهو كلب يكون.

وأنت لو أن رجلاً حاول أن يضع اسمًا أنثويًا ويتكلم باسم الأنثى، انظر كيف يطير إليه الجراد وتطير إليه الزنابير أي ذكور النحل.

الرجل يموت بأن يسمع ويتكلم مع امرأة، ويظن أنها عبقرية وربما تخرج من هذا الكتاب وتضع؛ فيظنها عبقرية، والمرأة تظن أن هذا الرجل حنون، ثم تنظر إلى زوجها يعود مسكين في آخر الليل معفر ومتعب وحالته حالة، ومتشاجر مع عشرين رجل ليأتي بالخبز ويصرف على البيت، فتقارن بين هذا الرجل الذي يتكلم معها بحكمة، وهي إذا رأته علمته مع أهله مع أمه مع أبيه مع زوجته الأخرى تعرف من هو، تعرف أنه أسوأ من الذي عندها، لكن هذه من غفلات هذه الوسائل المعاصرة ومن مصائبها... ولذلك الصواب: لا يجوز، أقول: لا يجوز لرجلٍ يتكلم مع امرأة في الفيس بوك ولو كلمة السلام عليكم، قد يقول قائل: حتى السلام عليكم؟! نعم، لأن هذه لن تنتهي بالسلام عليكم، وعليكم السلام، ثم ينتهي الأمر.

ما لم يكن هناك حاجة ضرورية، الناس إذا رأوها، زوجتك إذا رأتها وكانت عاقلة –ليست غيورة كما تقدم– إذا رأتها أعذرتك، قالت: نعم، سألتها لأمرٍ مهم، أو سألتك لأمرٍ مهم وأمر لابد منه.

أنا أعلم امرأةً غيورة وزوجها طبيب... مجنونة هذه.. مسكين الرجل.. لدرجة أنها لو زارته فوجدت عنده امرأة مع ابنها الكبير البالغ؛ سبت وشتمت وصرخت غيرةً عليه، بعض النساء من الجنون... وفي هذا الباب لا ينتهي جنون المرأة المنبعث من الغيرة، ولكن بغير ذلك على الحكمة لو أنك أعطيت زوجتك الهاتف والفيس بوك وقلت لها: أنظري، فنظرت فرأت –وكانت عاقلة مع أنها غيورة لكنها عاقلة تضبط غيرتها بضبط العقل وضبط المنطق– فلا تراهم شيئًا، ربما تغتاظ لأنك تكلم امرأة لغيرتها، ولكن ترى أن هذا لا بد منه من جهة العمل ومن جهة الحكمة.

والسؤال ينتهي: **هل هذا من التجسس؟** لا، ليس من التجسس، إلا إذا كان مبعثه الغيرة منها والشر منك، فحينئذٍ يُنهى عنه، وإلا فالأصل الرجل لا يتكلم مع المرأة في هذه الوسائل إلا بما يتكلم معها في الحياة العملية، ما جاز هنا جاز هنا، وإلا فلا يجوز... لمجرد أنك بعيد، هذا يفسد البيوت.

أعلم بعض النساء طلقن أزواجهن ثم بعد ذلك ذهبن إلى بلدٍ آخر، فتزوجن رجلاً آخر عن طريق هذه

الوسائل، دمرت بيتها وأبناءها ورمت أبناءها لمجرد أنها تزوجت رجلاً بعيدًا من خلال الفيس بوك، ومثل هذه الزوجات القائمة على الخيانة في هذا الباب لا تدوم.

على المرأة -أنا أعلم المرأة لأنها أمي وأختي وابنتي- عليّ أن أعلمها إن الذي يفعل معها هكذا سيفعل مع غيرها، وأعلم ابني أن التي سمحت لنفسها أن تتحدث معك في هذا ستتحدث مع غيرك في هذا.

يعني كيف يكون حال الزواج بعد ذلك حين يدخل الزوج وقد علم أنه أفسد هذه الزوجة من زوجٍ آخر عن طريق هذه الوسائل... كيف إذا رآها تمسك التلفون؟! سيقول: نفس القضية، سلكت نفس السبيل الذي سلكته معي، ولذلك لا يجوز هذا، وهذا إثمٌ وجريمة.

والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين.

١٤٧- المناصحة في السجون

ضمن الجلسة الرابعة عشر، بتاريخ: (**٢٩/٠١/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٩/١٠/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

هناك سؤال يتعلق بوضع مساجين، ليس شرطاً أن السؤال من مساجين لكنه يتعلق عن موضوع سجون بعض البلاد وكما هو منتشر في بعض البلاد ما يسمى بالمناصحة والمراجعة أسماء كثيرة، فأنا سأقرأ بعض الفقرات المهمة التي يترتب عليها حكم، لأن الإخوة يسألون سؤالاً يتعلق بجواز هذا الفعل أو عدمه، هناك كلام طويل لا ضرورة له لكنه يصل إلى:

السائل: شيخنا الكريم ما حكم الشرع في المشروع القائم على الأركن التالية: على المعتقل أن ينخرط كجندي يترجم الشروط والبنود في نفسه ومحيطه داخل السجن وخارجه؟

الشيخ: أقرأ مع طول السؤال لما هو مهم:

الانخراط لا يعني الإفراج وإنما يعني فقط التزكية عند الجهات المختصة كون المعتقل مؤهل لنيل العفو، المهمة الرئيسية تفكيك الخطاب -تفكيك الخطاب لغة تعني تدمير- الذي يعتمده أهل السنة والجماعة مع التركيز على نسف أربع ركائز يعتمدها التيار المسلم التوحيدي حسب زعمه الولاء والبراء والحاكمية والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتكفير، المهام الأخرى التي تقل أهمية عن الأولى هي كالآتي:

- نزع الشرعية عن التيار الجهادي ورموزه ووسمهم بالخروج والغلو والإفساد في الأرض.

- إضفاء الشرعية على النظام وأن ما عليه هو الحق ولا يتعارض مع الإسلام في شيء.

- تحذير جميع من يستطيع التواصل معهم داخل السجن في إطار التحذير، في إطار البرامج التواصلية أو خارج بالإفراج في إطار جمعيات المشاريع المجتمعية وتحذيرهم من فهم الإسلام على النحو الذي فهمه أئمة السنة، فقط.

طبعًا يذكر الأخ أنهم يدخلوا الرجل في دورات تكوينية دورة أولى، دورة ثانية، فيصبح المنخرط فيها ناصرًا

للباطل قد يصبح جاسوس، جاسوس عليهم، ويؤكد الأخ أنه لا يعني إطلاق الإفراج بالضرورة، إفراج بشروط.

جواب الشيخ: الجواب على هذا السؤال -المقصود مما قرأت ذكره-:

أولاً: لنقرر بعض المقررات ثم نصل إلى النهاية، بلا شك أن السجن إكراه، قيد، والعلماء ذكروا أنه يجوز للرجل أن يقول الباطل بسبب السجن وإن كانت مرتبة العزيمة أفضل، فالسجن قيد وإكراه هذا مما لا ينبغي أن نساه في البحث ولا يظن أن المجيب غفل عنه، ومما يعرف إجماعاً كما ذكره أهل العلم من أنه لا يجوز للرجل أن ينقذ نفسه بإيذاء غيره فيما ينقذ؛ بمعنى لا يجوز للرجل أن يجيز لنفسه أن يخرج من السجن ويصبح جاسوسًا؛ لأنه في هذا العمل يؤذي غيره على حساب إنقاذ نفسه، فلا يجوز للمرء أن يخرج نفسه من إكراه ليوقع غيره في هذا المعنى من السجن والإكراه، وكما أنه لا يجوز أن ينقذ روحه من القتل بقتل غيره فإن روحه ليست أولى بالإنقاذ من غيره.

بغض النظر عن بعض الكلام أنه مؤثر أو غير مؤثر هناك علل مؤثرة ينبغي النظر فيه:

الأمر الأول: أن هذا المشروع لا يخرجك من الوصف الذي أنت فيه من الإكراه، الأخ يكرر يقول: أمل! أمل! والحقيقة أن الشرع يجيز لك أن تقول الكلمة إن كان في ذلك المخرج، إن لم يكن هناك المخرج فلا قيمة لها، فلا يجوز للمرء أن يفعل فعلاً يتوهم أو يغلب على ظنه أنه لا يحقق المصلحة إذا كان هذا الفعل حرام في الأصل وإنما فعله درءًا للشر والشر لا يدرأ، فهذه علة ذكرها السائل؛ بمعنى أنه لا يشترط الخروج ويضعونه على الرف هكذا وهذا علةٌ مؤثرة في إزالة معنى الجواز للإكراه الذي يسلكه هؤلاء.

الأمر الثاني: وهي التي ذكرتها بأن هذا الأمر تخرج أنت من الإكراه في شيء ويؤدي لأن تكون جاسوساً ليدخل الآخرين الذين يأخذون بالعزائم في باب الإكراه فهذا كذلك يمنع الأخذ في هذا الجانب من الجواز.

الأمر الثالث: وهو الشر الأعظم أن هؤلاء يصبح أذاهم أكثر في موضوع الدين والعقيدة؛ بمعنى أنه لا يكفي أن يقول أن القرآن مخلوق، ولكن يجب أن يؤلّف ويصبح داعياً إلى أن القرآن مخلوق، بمعنى أنه لا يسقط فقط بأن يقول لهم أنني أقول: بأن الحاكم ليس بكافر، ولكنه ينبغي أن يؤلّف في ذلك ويصبح داعياً للحاكم بأنه مسلم وأنه من أولياء الله الصالحين والذي وجدته حتى في بعض البلاد الأخرى أنه حتى بعد خروجه يبقى عاملاً

ضمن طائفة الردة في قضية الجاسوسية والعمالة وملاحقة المسلمين والإخبار عنهم بمعنى أنه بقي على الشر بمكان.

الذي هو بيّن فيما ذكرته بأن الدخول في هذا الذي ذكره، أن دخول المرء في هذه الأوساط التي ذكرها لا تجوز، دخول المرء في هذه تحت دعوى الإكراه لا تجوز، بهذا الوصف الذي ذكره الأخ وذكرت الموانع، فهذا لا يتحقق به الخروج من الإكراه وهو السجن إلا على وجهٍ من وجوه الأمل، حتى لو خرج بعد ذلك فسيبقى داخلاً في معنى الإكراه في عمالته لهم وشغله معهم.

إذن:

الأمر الثاني: وهو أنه ينقذ نفسه على حساب الآخرين الذين أخذوا بالعذائم وهذا لا يجوز شرعاً وتكلمنا عن هذه القضية.

الأمر الثالث: أنه لا يطلب منه الخروج من الإكراه فقط، ولكن يطلب منه ما هو أكثر من هذا في قضية الدعوة إلى الباطل، والدعوة إلى الباطل، لا تجوز الدعوة إلى الباطل ولا الشرك ولا الكفر والدعوة له مقابل أن تكفر بنفسك للخروج، أن يقول الرجل كلمة الكفر ليرضيهم فيخرج؛ نعم، أما أن يصبح بعد ذلك داعياً إلى الكفر! فهذا لا يجوز، وخاصةً حين نعلم بأنه إذا خرج المرء داعيًا إلى الكفر لا يمنع أن يقع في الكفر هو؛ لأننا نرى أن المرء حين يصبح على هذه الجهة سيصبح في يوم من الأيام مستمرئًا هذا الأمر، هو أخذه في الابتداء على جهة الإكراه وجهة الرفض وجهة الكراهية، ولكنه يصبح بعد ذلك متلائمًا معه محبًا له راغبًا فيه وهذا رأيناه في أنفسهم، رأينا في تغير المرء حين يطلب منه أن يقف ويتكلم المرة تلوى المرة بعد ذلك ينعكس ذلك على نفسه بالفساد، فحينئذٍ يدخل في الكفر على الحقيقة وليس فقط مكرهاً.

بقية مسألة رأيت الأخ يدور حولها وهي قضية أن هناك فرق أن يأخذ أحدهم الكفر فردياً فلا يضر وبين أن يقوم به العالم فهذه نقطة مهمة جداً، ينبغي على العالم كما قال الإمام أحمد رحمه الله: «إذا سكت أنا وسكت أنت فمن يعرّف الناس الحق»، فحين يتعين الحق عليك لا يجوز لك أن تأخذ بالرخصة، حين يتعين عليك ولو أدى إلى موتك ويصبح الأخذ بالرخصة جريمة.

النقطة الثانية: التي يدور حولها بعض كلامه وهي قضية أن هذا يصبح صفة جماعية، تصبح هذه حالة جماعية تؤدي إلى إسقاط قيمة الدعوة إلى التوحيد وما يدعوا له المسلمون في هذا العصر، ما يدعو إليه المسلمون الذي يدعو إلى الحاكمية، يدعو إلى الولاء والبراء، يدعو إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يدعو إلى تكفير الكافر الذي حكم الله بكفره، حين نصل إلى درجة خلو الأرض أو خلو الأكثر في مكان من الأمكنة خلوهم من هؤلاء حينئذٍ يتعين عليهم الذهاب إلى اختيار أهل الأخدود، يتعين عليهم ولا يجوز لهم، ونحن رأينا في الجماعات التي رضيت فيما يسمى بالتراجعات أنها في الابتداء رضيتها على جهة السياسة، ثم صارت جزءًا من تركيبة الجاهلية، وجزءًا من تركيبة الشر.

وبالتالي؛ الذي أفتي به بعد هذا التقرير ولا أريد أن أطيل فيه أكثر مما ذكر في السؤال وما ذكرته أنا لأنه بيّن، بأن الدخول في هذا السبيل على المعني الذي ذكره والمعنى الذي بينته أنه لا يجوز مع علمي بأن السجن قيد وأن القيد إكراه، ولكن هذا الإكراه الآن تترتب عليه مفاسد كثيرة إذا سلكه المرء، ونحن نعلم أنهم لا يضربون نعم هو سجن، ولكن لا يضربون ولا يعذبون، يعني ليس حالهم حال رجل يأتي به السجّان فيدخله في الغرفة فيضربه حتى يسجد للصنم حتى يسجد للطاغية أو حتى يقول كلمة الكفر، لا، المسألة أبعد من هذا.

ولذلك هذه الحالة بمثل هذه الصورة عندي والله تعالى أعلم بل أجزم بذلك أن هذه الحالة من الدخول في المصالحة أو ما يسمى بالتراجعات أو الإصلاح أو ما شابه ذلك من كلمات تقال بحسب البلدان، أنها لا تجوز وأنها حرام وأنها مسلكٌ لا يبعد عن فاعله أن يدخل بعد ذلك في الكفر مختارًا، فهذا من الحرام والإجرام الذي ينبغي أن يتقيه المسلم وأن يصبر وأنه من يتق ويصبر فإن الله سبحانه وتعالى سيعجل فرجه، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (٣)﴾ [الطلاق: ٢-٣].

ونسأل الله أن يغفر لنا ولهم، والحمد لله رب العالمين وجزاكم الله خيرًا.

١٤٨- الإجماع والقياس

ضمن الجلسة الرابعة عشر، بتاريخ: (**٢٩/٠١/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٩/١٠/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: السلام عليكم -وعليكم السلام ورحمة الله- نريد تقريرًا من الشيخ في مسألة الإجماع والقياس وما وزنهما في الشريعة الإسلامية وهل هما مصدران من مصادر التشريع؟

جواب الشيخ: الخلاف في الإجماع يسير جداً وليس بمعتبر، وفي الحقيقة القدماء لا أعلم عالماً من أهل السنة نفى الإجماع، وتعلمون أن دليله هو ما احتج به الإمام الشافعي رحمه الله، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١١٥]، فجعل سبيل المؤمنين معيارًا للحق، وسبيل المؤمنين بهذا المضاف والمضاف إليه هو الإجماع ويساوي إجماع علماء أمة محمد صلى الله عليه وسلم، أصحاب الشأن في الباب، فلا أعلم عالماً من القدماء نفى الإجماع، حتى الظاهرية لا ينفون الإجماع ويثبتونه.

ولكن لنعلم ما هو دور الإجماع؟ دور الإجماع أنه حام للشريعة فإذا قال العالم: هذا إجماع ولم يعلم المخالف وجود الناقض لهذه الدعوى؛ فيجب اتباعه والتسليم له، فيجب استصحاب دعوى الإجماع حتى يأتي الناقض، نعم هناك مسائل كثيرة بعض أهل العلم يسمونها إجماعًا على معاني عندهم.

مثلاً: الترمذي يقول: والإجماع هكذا وخالف فلان فالإجماع عنده على معنى الأكثرية، والإجماع عند أبي عمر بن عبد البر على معنى أهل بلده فيقول: الإجماع كذا ويذكر الخلاف، ويقصد به أهل بلده، فالإجماع يكون عند أحدهم على معنى، ورأينا أن هناك من نقد الإجماع حتى ابن حزم، يعني ابن تيمية رحمه الله له نقد للإجماع عند ابن حزم، مع أن ابن حزم لا يأخذ إلا بإجماع الصحابة وهو الذي عنده هو المعتبر، وهناك بلا شك من قرأ كتاب الإجماع لابن المنذر يرى إجماعات منقوضة فيها؛ فهو يأخذها على معنى الأكثرية وهكذا بلغه.

لكن لا أعلم عالماً سابقًا نفى الإجماع من أهل السنة وإنما يُتهم به غير أهل السنة، يُتهم به بعض المعتزلة في

نفي الإجماع كالنّظام، فالنّظام ينفي الإجماع ولا يقول به، وأما أهل السنة فيقولون به، وأما الكلمة المنسوبة للإمام أحمد: «من ادعى الإجماع فقد كذب»، لعل الناس اختلفوا فإنما هو رد على المعتزلة في زعمهم أن ما يقولونه الإجماع، كان أهل السنة إذا قالوا للمعتزلة: كذا، قال المعتزلة: هذا إجماع، فهم يزعمونه؛ فرد عليهم في مسألة علم الكلام وليس في قضية نفي الإجماع في الفقه، ولكن التوسع المعاصر في نفي الإجماع تحت لواء كلمة الإمام أحمد تحتاج إلى ضبط هذه، ويجب أن تفهم كلمة الإمام أحمد ضمن ما فهمه أهل المذهب وليس على الطريقة المعاصرة في نفي الإجماع.

لأن هناك للأسف من فتح هذه الكلمة على مصراعيها حتى صار نقض الإجماع سهلاً عند بعضهم، وأصبحت كلمة الإجماع لا قيمة لها، وهذا للأسف عمل عليه هؤلاء ممن عمل عليها بعدم إدراك لمعانيها بجهل منهم للمرامي وما ترتب عليها من نتائج أنها فتحت هذا الباب وصار الدخول على النقض بالإجماع، كان فيه حكم المرتد، كان فيه حكم الرجم.. يعني نرى تسوراً على هذا الباب من الشر العظيم الذي يوصل صاحبه إلى الكفر.

فإذن الإجماع ليس بالشيء السهل ومن هنا الغزالي وإن خالفه بعض أهل العلم، ولكن الغزالي يرى أن الاحتجاج بالإجماع أولاً لقطع نفس وصراع وإظهار المخالف لما خالف فيقول له: الإجماع، ثم يذكر الكتاب والسنة من أين أتى، وهذا وجهٌ جيد، مع إن غيره من اهل العلم كابن تيمية يرى بأن يذكر النص ثم يذكر الإجماع، والمسألة فقط هي تنظيمية وليست مسألة علمية كبيرة.

المقصود بأن الإجماع لا يمكن أن ينعقد -وهذا مما أخطأ فيه البعض من المعاصرين- الإجماع لا ينعقد إلا مع وجود الكتاب والسنة يعني لا يوجد مسألة أجمعت عليها الأمة إلا ولها دليلٌ في الكتاب والسنة، وأما ما قاله بعضهم: من أن القراض لم يجد له دليلاً؛ فرد عليهم ابن تيمية ردوداً عظيمة في هذا، وبيَّن أن القراض هو ما كان عليه الناس في الجاهلية والإسلام، ولا يعرف الناس في قضية الشراكة أكثر مما يعرفون القراض أو المضاربة، فالإجماع هو دليلٌ شرعي يجب المصير إليه ويجب احترامه وهو الحُسن المانع من قضية التلاعب ودعوة إظهار لأحكام جديدة، ومن هنا فلا ينبغي أن يكون هناك خلاف بين الأئمة في أمور الإجماع، لا يجوز.

موضوع القياس الأمر فيه أهون من موضوع الإجماع... يعني أنا عندي من أنكر الإجماع ضال، ويجب أن

يؤدب ويُمنع من التدريس ويُمنع من... إلخ.

ولكن المخالف لموضوع القياس الأمر فيه أهون، ولا شك أن الذي يقول بعدم وجود القياس ينبغي أن يكون عنده علمٌ ليملئ ما يملأه القياس إن وُجد، نحن نعلم مثلاً أن ابن حزم رحمه الله كان عالماً بالسنة وإطلاع ابن حزم على السنة شيءٌ ممدوح ومما يجمع عليه الخصوم والأتباع والأحباب، يجمعون على أن اطلاع ابن حزم على السنة أمرٌ مذهلٌ عظيم ومعرفته بالألفاظ وخلافات الروايات التي تؤدي إلى حل المشكلات أنها ممدوحةٌ فيه، اطلاع ابن حزم على اللغة وهو معروف أنه شاعر وأن اطلاعه على اللغة اطلاع عجيب، نعم وجد أخطاء كما وجد في غيره، ولكنه جمهرةٌ أو كما يقال موسوعي في اللغة، هذا الجانب من شخصية رجلٍ ينفي القياس تقبل منه، وللذكر إن الأخطاء التي قالها ابن حزم وتشنع عليه فيها جانبٌ كبير لا علاقة له بالقياس، وإنما له علاقة بجانبٍ آخر من جوانب الأصول.

لأضرب مثالاً لكي تقترب الصورة لطالب العلم: موضوع قضية الخاتم ابن حزم يرى أنك لو وضعت الخاتم في بنصرك يعني في الأصبع التالي للخنصر أو في الأوسط أو وضعته في السبابة أو الشاهد لبطلت صلاتك، وإنما يوجب إذا لبست خاتماً أن تضعه في الخنصر أي الإصبع الصغير، هذا لا علاقة له بالقياس خطأ ابن حزم في هذا الباب ليس له علاقة بالقياس، وإنما له علاقة في قضية المنهي عنه إذا اقترفه المرء في عبادته، هل المنهي عنه يبطل الفعل؟ وما هو المنهي عنه؟ هل له علاقة بالعبادة أم ليس له علاقة بالعبادة؟

نفس القضية في قضية صلاة الفجر لو أن رجلاً لم يتكئ قبل الفجر وبعد ركعتي السنة، فعنده صلاة الفريضة باطلة، تبطل صلاته، هذه لا علاقة لها بقوله بنفس القياس، هذه لأنه لم يقل بقول العلماء الثقات في هذا الباب والأكثر علماً منه في قضية علاقة المنهي عنه مع الطاعة، مع العبادة، وهل النهي يقتضي الفساد على هذا المعنى، هل كل نهيٍ يقترفه المرء في الطاعة يقتضي الفساد؟

فمثلاً: لو أن رجلاً في صيامه نظر إلى امرأة نظرة معصية –شهوة– فهل يبطل صيامه؟ عنده يبطل صيامه هذا لا علاقة له بالقياس، فالكثير مما شُنع على ابن حزم مما ليس له علاقة بالقياس، هناك جانب نعم مثل وضع البول في زجاجة ثم وضعه في الماء يقول هذا لم يقع عليه قول الرسول صلى الله عليه وسلم، لما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البول في الماء الراكد ثم الوضوء منه، يقول: لا يقع هذا اللفظ عليه، ومثل قوله

أوف لا تصلح للنهي عن الضرب؛ لأن فيه قياس الأولى، كل أنواع القياس عند ابن حزم منفية بخلاف داوود، داوود عنده قياس العلة المنصوص عليها مأخوذٌ به عنده.

الكلام عن القياس جانبٌ مهم جداً وجانبٌ جيد، الابتعاد عن القياس ما الذي يؤدي؟ أنا أتكلم عن الجوانب الإيجابية في هذا الجانب التي يجب أن نأخذ بها، وأخذ بها الثقات والعلماء وهي مذاهب العلماء الكبار كالشافعي ومالك وأحمد رحمهم الله، ولم يكن عندهم القياس إلا كما قال الشافعي رحمه الله: إنه كالتيمم ضرورة عند فقد النص، طبعًا لا يوجد حادثة لا يشملها نص، ولكن النص قد يغيب عن الفقيه، وقد لا يدرك بعض الفقهاء وجهه، وقد يأتي بعضهم ويزعم أن هذا النص مستوفي لهذه الحادثة ولا يكون كذلك هذا باب واسع في هذا.

ما الذي يفيد نفي القياس؟ يفيد أن يطلع الناس على السنة قبل أن يقولوا بالرأي وقبل أن يقولوا من جهة أنفسهم فليذهبوا للسنة لأن في السنة الجواب، فحين يبحث مستقصياً عن السنة وما قاله العلماء وما استدلوا به فهذا يضيق جانب الرأي يضيقه جدًا، وعند ابن حزم ينفي لأن باب الاستصحاب عنده واسع وباب الدلالة عنده واسع؛ فينفيه بالكلية ويملأه بجوانب جيدة، ومن هنا أحب أهل الحديث كلام ابن حزم في «الْمُحلى»؛ لأنه قلّما يأتي بمسألة إلا ويحتج بها بالدليل، يصيب أو يخطئ؛ ولكنه يحتج بالدليل.

وعندنا جماعة آخرون وهو أنهم توسعوا في القياس حتى زعموا أن النصوص لا تستوفي عُشر الحوادث، هذه كلمة باطلة قالها الجويني وقالها أئمة آخرون، هذه كلمة غير صحيحة، الشريعة على الصحيح تستوفي كل أحداث الوجود، ولكن على معنى معين، فلذلك حين نقول للناس لا ينبغي أن نفتح لهم باب القياس على ما يفتحه القياسيون، ولا ينبغي أن تغلقه غلقًا تامًا على ما يقول ابن حزم، هناك مساحةٌ طيبة تجمع بين الأمرين، وهي توسيع دائرة النص على ما يقوله أهل الظاهر، توسيع الدائرة، وتضييق دائرة الرأي التي يقول ببعضها أهل القياس.

لست أنا ممن يستطيع أن يفصل الأمر بين هاتين الطائفتين من أهل الظاهر وأهل الرأي على وجهٍ من وجوه التمام، فإذا كان ابن القيم لم يجزم، وأنا أنصح طالب العلم خاصةً أن يفتح «إعلام الموقعين» ويقرأ ما كتبه ابن القيم في القياس؛ لأنه تكلم كلامًا لا تجده أبدًا في كتابٍ غيره، لا تجده أبدًا أنا أجزم لك بهذا، ثم لم انتهت

المعركة ما بيّن رأي هؤلاء بإنصاف وعلم بيّن رأي أهل الظاهر، وبيّن رأي أهل القياس، بعد ذلك وقف وقال: هذه آراؤهم وترى أن الجبال قد تصادمت والأمواج... له وصف عجيب فيها، ومن السلامة أن أخرج أنا بمجرد الوصف؛ كأنه يريد أن يقول: لم أنتهي لأن أجزم فألزم غيري بقول، مع أن ابن القيم يقول بالقياس على طريقة شيخه ابن تيمية رحمهم الله، لكنه يريد أن يقول: بأن أهل الظاهر في قضية نفيهم للقياس بذلوا جهودًا عظيمة في السنة والقرآن؛ فخرجت منهم معالم عظيمة مهمة جدًا، لا ينبغي أن يشن عليها بمثل شذوذات ابن حزم.

ولكنه بلا شك أن هناك من الجوانب ما نحتاجها في القياس ولو قرأنا كتاب الشيخ محمد أمين الشنقيطي في مناقشة القياسيين لوجدنا هذه الجوانب، مع أن ابن حزم رد على كثير مما ذكره الشيخ الشنقيطي في موضوع القياس، ذكره قبله وتجاوزه الشيخ الشنقيطي، لأن الشيخ الشنقيطي معروف كيف هو منهجه وهو منهج ولا شك ممدوح وعظيم، ولكن لو قرأته لوجدت هذا الجانب جيدًا.

القياس هل هو دليل؟ لا، القياس ليس دليل، القياس: كاشفٌ للدليل، القياس لا يُنشئ حكمًا، الحكم هو قال الله وقال الرسول صلى الله عليه وسلم، لكن حين يعجز الفقيه عن إدراك أين موجود، قد يكون الحديث بين يديه، يعني لا تتصور أن الصورة هو أن الحديث لا يعرفه الفقيه قد يكون يعرفه ولا يعرف دلالته على الحادثة، وهذا هو الأشهر عند العلماء، فتميز الإمام الشافعي وقدرته على الاستنباط والقصص كثيرة في هذا الباب، قصص الشافعي في هذا الباب هي التي تعد من جمالياته ومن فتح الله عليه في معاني كالأحاديث بين أيدي المحدثين ولا يعرفون دلالتها على الحادثة، لا يعرفون أن هذا الحديث يجيب عن هذه الحادثة لخفائها في المعنى.

فعندما نرى فضل أهل القياس، نرى لهم فضلاً عظيمًا وعندما نرى لأهل الرأي نرى لهم جوانب جيدة مع جوانب توسع، ولو كانت المسألة بين أهل الظاهر حدية لا بد أن تأخذ إما بأهل الظاهر وإما بأهل القياس على ما طُرح بالقياس، لا، أنا آخذ بقول أهل الظاهر، ولذلك رأى الإمام ابن حزم أن نفي الشافعي للاستحسان يصلح لنفس القياس، ومن هنا صار ظاهريًا، كان ابن حزم مالكيًا، ثم صار شافعيًا، ثم انتقل إلى مذهب أهل الظاهر والكثير من أهل العلم كانوا يميلون لأهل الظاهر حتى نسب إليهم أبي عمر بن عبد البر رحمه الله، منسوب لأهل الظاهر، إما أنه كان فيه وخرج منه على ما يقول بعضهم، وإما أنه كان في آخره ظاهرياً على

ما يقول بعضهم.

القصد: بأن المرء أن يتشدد في رد القياس ليبحث عن النص هذا مسلكٌ صحيح، لكنه يضطر إلى القياس في بعض الظروف لحاجته إليه فهذا هو الصواب، فالقياس ليس دليلاً شرعياً هو كاشفٌ للدليل عند غيابه عن الفقيه.

والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين.

١٤٩- الشروط الشرعية للزواج

ضمن الجلسة الرابعة عشر، بتاريخ: (**٢٩/٠١/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٩/١٠/٢٠١٧ م**)

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلوات ربي وسلامه عليه.

السؤال هنا يقول أخ: ما هي الشروط الشرعية للزواج وما قولكم فيما يسمى بعقد النكاح مع العلم أن هذا الاخير أصبح من الواجب في زماننا؟

جواب الشيخ: الزواج عقدٌ شرعي كما تعلمون، وله شروط وأركان وله كذلك واجبات ككل العقود في الشريعة الإسلامية وهو أجل العقود، لقوله صلى الله عليه وسلم: **(وإن أحق ما أوفيتم به من الشروط ما استحللتم بهن الفروج)** فأعظم عقدٍ يجري بين الناس هو عقد النكاح لما في المعقود عليه من الشرف والأهمية وما يترتب عليه من أحكام من النسب وغيره، فلذلك وجب الحفاظ عليه والتعامل معه تعاملاً شرعيًا.

الشرط الأول في عقد النكاح: هو الصيغة وهو الذي يسمى بالإيجاب والقبول، وهذه لها أحكامها وتفاصيلها، ويجب أن يقوم الإيجاب والقبول على الرضا، لكن هناك ظروف أخرى كزواج الصغيرة، هل يشترط رضاها مثلاً أم لا؟ لأنه يجوز زواج غير البالغ لأن الله عز وجل رتب على هذا الزواج أحكامًا ﴿وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤]، فجعل الله عز وجل للائي لم يحضن أحكامًا؛ فدل أن زواج غير الحائض زواجٌ صحيح يعني التي لم تبلغ المحيض المقصود بها غير البالغة، فلها أحكامها، والمعروف أن الصيغة يجب أن يقوم بها رجال، أي الإيجاب والقبول يجب أن يقوم به رجال، **(أيما امرأةٍ نُكحتْ بغيرِ إذنِ وليّها؛ فنكاحُها باطلٌ)**، و**(لا نكاحَ إلا بولِيّ وشاهِدَيْ عَدْلٍ)**، وهذا هو الصواب، مع وجود المخالف من أجلة العلماء كأبي حنيفة الذي أجاز للمرأة الكبيرة أن تزوج نفسها، البالغ، وبعض العلماء أجاز للمرأة الثيب، وكل هذا في الحقيقة خلاف الحديث، والصواب أنه لا يجوز للمرأة أن تعقد ولكن رضاها مطلوب، أي لا يجوز للمرأة أن تجبر، فلا تنكح المرأة حتى تستأذن، لا يجوز أن تنكح المرأة بإكراه ولا بغفلةٍ عنها، لكن من يقوم بالعقد بعد أخذ رضاها،

وليها ووكيلها، إذن هذا الشرط الأول الصيغة الذي يتم به الإيجاب والقبول.

الشرط الثاني: وهو المهر، لكن يجوز أن يقوم العقد من غير ذكر المهر وبعد ذلك يذكر المهر، يجوز، ولكن لا يجوز أن يتم زواجٌ بلا مهر، هكذا أن يشترط ما في مهر، هذا لا يجوز.

الشرط الثالث: وهو الشاهدان لا بد من الشاهدين، وبعض أهل العلم أقام مقام الشاهدين الشهرة والانتشار، أي ليس شرطًا أن تأتي باثنين، ولكن أن تشيع كما هو مذهب المالكية في هذا.

فهذه هي أركان الزواج الشرعي، ثلاثة أركان: الصيغة؛ الإيجاب والقبل هو تفسير الصيغة الإيجاب والقبول، الولي، والشاهدان.

والسؤال هنا ما يطرحه السائل بما يسمى بعقد النكاح؟ وهو المقصود به تسجيل النكاح في الدوائر الحكومية، بلا شك أن هذه مسألة حادثة، يعني وجود ما يسمى بالعاقد أو كاتب العقد، لأن العاقد إما الزوج أو وليه أو وكيله ووكيل الزوجة أو وليها، ولكن الناس يقولون نحضر العاقد، والصواب هو أن يقولوا: كاتب العقد المعين من قبل الدولة والحكومة لكتابة العقد، فبعض الناس يظن أن هذا من أركان أو شروط أو واجبات أو مستحبات النكاح، وهذا ليس من الشريعة في شيء، لا قيمة له في تصويب العقد وتصحيحه، العقد الصحيح الذي تترتب عليه الأحكام الشرعية من حل البضع، وترتب النسب وإلى غير ذلك، فيتم بها الشروط التي ذكرنا، أن يقول: زوجتك ابنتي على سنه الله ورسوله وعلى مهر كذا وكذا فيقول الوكيل أو الزوج: قبلت أو العكس على خلاف من هو الموجب ومن هو القابل، فهناك خلاف في هذه المسألة، وهو خلاف يسير لا يضر؛ يعني يصح أن يكون الزوج هو صاحب الإيجاب أو أن يكون وكيل الزوجة هو صاحب الإيجاب لا يضر في هذه المسألة.

لكن نعود إلى مسألة كاتب العقد، فهذا ليس من مكملات الزواج الشرعي لا شرطًا ولا استحبابًا ولا ووجوبًا، لكن لما كثر الفساد وعمت المشاكل وكان لا بد من صنع الدواوين التي يتم بها معرفة النفوس وو... إلخ، فوضع هذا العقد الذي يسمى عند الحكومة بعقد الزواج وكتابته، هذا في الشريعة ليس من شروط الزواج، ولكنه من الشروط التي بها يتم الاعتراف بالزواج من قبل الدوائر الحكومية، يجب أن يقع على وجهٍ من الوجوه الرسمية ويقبل الشروط في هذا الباب.

بلا شك جواب، هل هذا القول الذي تفعله الحكومات صحيح أم لا؟ الذي عندي بأن الشرع هو الذي يجب أن يُحّكم، ولكن حين يكون هناك الفساد ويترتب على أمرٍ من الأمور وغيابه وإن لم يفرضه الشارع ويترتب على غيابه الفساد؛ فيجب المصير إليه والعمل به، ولذلك كتابه العقود في الدوائر الحكومية للاعتراف بها ولما يترتب على هذه الكتابة من معاني شرعية فإن هذا من الواجب الذي يجب المصير إليه، واجب ويأثم إن لم يقم به الزوج أو ولي الزوجة أو وكيلها، فيجب أن يقع، لماذا؟ الأسباب كثيرة جدًا؛ قلة الدين الآن هي الأصل في الأمة، وقلة الصدق، وقلة الوفاء، الخيانات هي الأصل في واقعنا للأسف، حتى عند المتدينين يقع منهم من الشهوات ومن المفاسد في هذا الباب، ما الله به عليم لا نريد أن نتحدث، فكيف إذا جئنا للجانب الآخر، أي جانب الناس الذين ليس عندهم الدين على وجهٍ من الوجوه القوية، ولذلك وجب تسجيل هذه العقود في ظروفنا العادية في البلاد المستقرة والقائمة؛ لأن الكثير يتزوج وبعد ذلك يطلق ويذهب ولا يعترف بالولد، ووقع هذا في بعض الأماكن أن تزوج شباب ثم قتلوا ولا يُعرف عائلات هؤلاء الشباب ولا من هم وخرج أبناءهم ولم يعترف بهم أحد، ولا يستطيعون النسبة ولا ينتسبون لأحد، وكثير من الناس يتزوجون الآن وفي التسجيل لا يقومون بالواجبات الشرعية الملقاة عليهم التي هي من مقتضيات الزواج، فيهربون ويتركون أبناءهم وزوجاتهم.... إلخ.

ولذلك تسجيل العقود هو الآن واجب من واجبات الأمر، لكن لا يعني هذا في ظروف ما أن يقع الزواج على الوجه الشرعي من دون هذا الزائد الرسمي، إذا وجدت ظروف معينة، وهذه تحتاج إلى مفتي وإلى بيان، أن يقع مثلاً في بعض البلاد فيكون هناك إخوة أو مسلمون خرجوا من بلادهم هربًا منها وعاشوا بلا أوراق... يمكن لهذا أن يفتى به، لكن في الظروف المستقرة في بلادنا، إن عقد الزواج لا يصح ولا يعترف به إلا بعد تسجيله.

وأنا أحب أن أنبه على مسألة مهمة في هذا الباب وهي قضية تسليم المرأة لزوجها قبل الإشهار، المعروف عندنا في بلاد الشام، في بعض البلاد لا يوجد هذا الخطبة عندهم شيء والنكاح شيء، يعني في مصر تتم الخطبة ولكن لا يقع العقد والكتابة إلا عند إشهار الزواج والبناء، أن تنتقل من بيتها إلى بيت الزوج؛ ولكن في بلادنا يسمون العقد خطبة، يذهب الرجل ويخطب الزوجة ويعقد العقد ويدفع المهر وتبقى مدة عند أهلها لتحضير أو لأسباب معينة حتى يبني بها ربما سنة أو شهور وبعضهم يمكث سنتين، والعوام يسمونها خطبة «فلان

خاطب فلانة»، هو في الحقيقة عاقد، هو زوج لأن العقد قد اكتملت شروطه وأركانه فقط بقي الإشهار والبناء «الإشهار الذي يسمى العرس عند العوام».

الآن يوجد هذا العقد والعقد التام الشرعي ولم يتم البناء وانتقال الزوجة من بيت أهلها إلى بيت زوجها خلال هذه المدة هي زوجته في الشرع، لكن لوجود المفاسد والمضار لا أجيز ولا أنصح في هذه الفترة أن تسلم البنت نفسها لزوجها لأنه يستطيع لقلة الدين وقلة التقوى وللفساد وللظروف المتقلبة أن ينكر أنه دخل بها، يمكن أن يطلقها فتحمل منه ولا أحد يعترف بأن هذا الولد لفلان مع أنه زوجها.

ولذلك في هذه المدة التي تسمى بالخطبة في بلادنا لا أجيز أن تسلم المرأة نفسها لزوجها تسليم الزوجة لزوجها بحيث يترتب عليه النكاح التام الذي يأتي منه الولد، قد يبقى أمور أخرى مما يتمتع بها غير ذلك يمكن ذلك لأنها زوجته، يمكن له ذلك، أما أن يقع ما يترتب عليه الولد من النكاح فلا أجيزه لما يمكن أن يقع من قلة الدين وقلة التقوى والمفاسد في هذا الباب.

أقول قولي هذا وأستغفر الله وجزاكم الله خيرًا.

١٥٠- أحكام الرضاعة

ضمن الجلسة الرابعة عشر، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠١/٢٩هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/١٠/١٩ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يقول السائل: أسأل الله العظيم أن يختم بالباقيات الصالحات أعمالكم -آمين وإياكم وجميع المسلمين يا رب والسامعين- سؤال يا شيخ: أحكام الرضاعة، ومن هن أخوات الرضيع؟! نريد منكم التفصيل في هذا الأمر، جزاكم الله خيرًا.

جواب الشيخ: بعض الإخوة يريد درسًا أن نأتي بكتاب الرضاعة من كتب الفقه ونشرحه في هذه الأسئلة والأجوبة، يعني كنت أتمنى أن يسأل سؤالاً محددًا حتى نجيب عنه، لكن لا بأس، هكذا وضعها الأخ الأسئلة مرتبة ونمشي بالترتيب، إلا إذا كان السؤال يمكن تجاوزه.

المحرمات بالرضاعة، يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب، هذه قاعدة النبي صلى الله عليه وسلم وهي قاعدة الشريعة، وهذه تصلح أن تطبقها تطبيقًا سهلاً جدًا، هذا الذي رضع دخل في هذه العائلة فصار أخًا لها، يعني أم أرضعت ابنة أو أرضعت ابنًا، هذا الابن حملناه مع بقائه في الحكم في نسبه للعائلة الأولى الأصلية التي هي أمه وأبيه اللذان استولداه، فهذا نأخذه ونضعه في هذه العائلة ابنًا لهذه الأم وابنًا لهذا الأب؛ فيحرم من الرضاعة يحرم من النسب، يصبح كأنه ابنٌ لهم، وأحكامه بسبب الرضاعة هي نفس أحكام الْمُنشئة من قبل النسب، هذه هي القضية.

يعني هذا اسمه محمد من هذه العائلة «أ» حملناه فصار ابنًا لهذه العائلة «ب»، الآن أمه التي أرضعته أمه فهو ابنٌ لها فهو أخٌ لأبنائها من زوجٍ سابق، وهو أخٌ لأبنائها من هذا الزوج الذي أرضعت ابنه بمشاركة هذا، لكل الأبناء الذين شاركوه في الرضاعة وغير الذين شاركوه، لكن المقصود به كما تقول عائشة رضي الله عنها: «اللبن للرجل»، بمعنى هذا الابن يصبح ابنًا لهذا الأب من هذه المرأة ومن غيرها، وهذا الابن محمد يصبح ابنًا لهذه المرأة من هذا الزوج الذي هي تحته، ومن أبنائها الآخرين الذين هم من غير زوجها الذي هو تحته، انتهى... والعم عم، والخال خال، والجدة جدة، يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب، بهذا تنته القضية.

ما المشكلة في هذا إذا المرء فكر فيها ووجدها على هذا المعنى، والعم عم والخال خال... وهكذا، يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب، المسألة يسيرة جدًا، وهناك مسائل فرعية بعيدة، فيها خلاف بين أهل العلم، ولكن يكفي هذا.

الآن بعض الناس تسأل: إخوة هذا محمد من العائلة «أ» هؤلاء لا دخل لهم، هو أخوهم، ولكن أخو محمد من هذه العائلة الجديدة «ب» هم أجانب على العائلة «أ»، يعني يجوز أن يتزوج أخ محمد من الرضاعة أن يتزوج أخت محمد من النسب، لأنه لم يرضع، المحرم هو الذي شرب اللبن، فلا دخل لأبيه ولا لأمه ولا لإخوانه من النسب، لا دخل لهم.

هذا باختصار في هذه المسألة، وأرجو أن تكون مفهومة، وإذا كان هناك سؤال خاص في موضوع خاص أرجو أن ترسله فأجيب عليه، وبارك الله فيكم والحمد لله ب العلمين.

١٥١- هل تنصحون بقراءة كتب علم النفس؟

ضمن الجلسة الرابعة عشر، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠١/٢٩هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/١٠/١٩ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: هل تنصحون بقراءة علم النفس؟

جواب الشيخ: النفس البشرية، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [فصلت: ٥٣]، فالنفس هي إحدى دلائل صدق القرآن، فهذا يدل على أن علمك بنفس البشرية يؤدي بك إلى إثبات أن القرآن حق، وبالتالي؛ هذا يعني بأنه لا بد أن تعلم النفس البشرية كما هي في القرآن.

انظر؛ يجب أن تقرأ النفس البشرية في القرآن قراءةً تامة، عاليا ودقيقة، ويجب أن تقرأ النفس البشرية كما هي حينئذٍ يصبح لديك العلم اليقين والبرهان والحجة بأن علمك بالنفس البشرية في القرآن يطابق علمك بما عليه النفس.

إذن بهذا التقرير تعلم بأن قراءة علم النفس أنه من الدين، وككل العلوم وخاصةً لأنه هو علم مما يسمونه إنساني بمعنى لا يقوم على التجربة المادية، ولأنه علمٌ يمكن اختراق العقائد له، يعني علم النفس ككل العلوم كعلم الأدب يمكن اختراق العقائد الأيديولوجيات له، ويمكن استغلاله في خدمة العقائد، ويمكن... إلخ، فلذلك هو علمٌ هش، يمكن استغلاله والدخول فيه، ككل العلوم التي يسميها الغرب بالإنسانية مع الملاحظات الشرعية على هذه الكلمة، لأنهم يدخلون الدين في العلوم الإنسانية باعتبارها إنتاج ذاتي كما يزعمون كذبًا على الله سبحانه وتعالى وعلى دين الله عز وجل، وإلا فعلوم القرآن هي إنزالٌ من السماء، حقٌ ينزل من السماء ليتلاقاه البشر ويفقهوه وعملوا به، يعتقدوه فيعلموه فيعملوا به.

فلذلك علم النفس علمٌ حقيقي، وللنفس من القواعد الربانية التي فطرت عليها، فطرت النفس البشرية على قواعد، وسلفنا والعلماء تكلموا عنها وكانوا من أبصر الناس في هذا الباب، وعلمهم بالنفس البشرية هو الذي جعل دعوتهم تنجح، هو الذي جعل طرائقهم في العلم تنجح، علمهم بالطفولة كيف يمكن أن تربى؟ علمهم كنوازع البشر هو الذي جعلهم يفرضون وسائل لتعليم، وسائل التربية التي في داخل الثقافة والحضارة الإسلامية.

فلذلك علم النفس علمٌ حقيقي، وأسسه صحيحة وللنفس سنن، ربما قبل تكلمنا عنها في «سيكولوجية الجماهير» فيما أظن، فهناك علمٌ حقيقي، ولكن هذه العلوم يجب أن نقرأها بعيدًا عن أدلجتها، بعيدًا عن إدخال المذاهب البشرية الفاسدة فيها، وهذا يحتاج إلى جهود علماء من أهل السنة، لا يترجمون العلوم الأخرى كما يفعل البعض يأتي إلى التجارب الثورية مثلاً؛ فيأخذها كما هي ويبحث لها عن أمثال في الكتاب والسنة، يلصقها إلصاقًا كما يفعل أصحاب ما يسمى بالإعجاز العلمي، بعضهم يتجاوز لأنه يلصق كما فعل بعض المفسرين كطنطاوي جوهري، كان يلصق حتى ألصق ما يسمى بالتنويم المغناطيسي وتحضير الأرواح، جعله من الكتاب والسنة، وهذا من أخطائهم، فهكذا في علم النفس.

والذي أنصح به أن يُقرأ هذا العلم قراءة ابن تيمية رحمه الله للمنطق حتى وصل إلى أعماقه فعلمه على ما هو عليه، فنحن علينا حين نتكلم عن علم أن نعلمه كما هو وأن نعلمه كما يعلمه خبراء وعلماء أصحابه، كما هو؛ فحينئذٍ يفرغوا ويصلوا مع علمهم بالكتاب والسنة العلم الحقيقي وليس العلم الظاهر بمجرد الكلمات والتي تقال عندهم بأن القرآن حاوي للأشياء على طريق الإجمال، لا، القرآن من أعظم كتب الوجود حديثًا عن النفس البشرية، وأعظم ما فيه هو هذا: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]، إذن في هذا القرآن من علوم النفس الشيء العظيم؛ لأنها كذلك هي علوم الأنبياء.

فالدعوة ترتكز في أساسها على علم المرء بالناس، وما هم فيه، وكيفية التعامل معهم، يتعامل مع العظيم، يتعامل مع الطفل، يتعامل مع الأم، يتعامل مع الأب، يتعامل مع الزوجة، وهكذا، كيف يُبنى هؤلاء؟ كيف تتغير النفوس؟ كيف أن النفوس ليست رقمًا ثابتًا، وهكذا، فلذلك عليه أن يعلم القرآن والسنة على ما هي عليه في هذا الباب ويعلم العلم على ما هو عليه؛ حينئذٍ سيجد من العلوم ما تُقدم للناس من أجل أن يعتنوا بها وأن يهتموا بها.

ولكن علينا أن نحذر من أدلجة هذا العلم ودخول المذاهب فيه، فهذا بابٌ واسع، حتى صار هذا العلم ألعوبة، يعني الشيعيون أخذوا تجربة بافلوف واستخدموها في دينهم ونصروا دينهم من خلالها، فتأدلج هذا العلم وصار خادمًا للطواغيت، نسأل الله العفو والعافية.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

١٥٢- هل دراسة كتب المنطق مفيدة اليوم؟

ضمن الجلسة الرابعة عشر، بتاريخ: (**٢٩/٠١/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٩/١٠/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل أخ: هل ترون لدراسة علم المنطق القديم فائدة اليوم؟

جواب الشيخ: الجواب باختصار لا، -وتبسم الشيخ- لا يوجد، وحتى كتاب الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، يعني اقرأه فلا فائدة منه.

هي قضايا عقلية «١+١= ٢»، فضرورة تحرير الأولى والثانية تتحرر الثالثة.. لا يوجد فيه إي فائدة.

وإذا أراد المرء -كونه من علوم الإسلام، وله ألفاظ ومصطلحات ربما توجد في كتبٍ أخرى، فليأخذ كتاباً صغيراً ويتعلم مصطلحات هذا العلم، وتكفيه في ذلك؛ من أجل فقط أن يعرف مصطلحات هذا العلم؛ لأنها مبثوثة في كتب الأصول واللغة وغيرها.. فقط.

أما أن هذا العلم أنت بحاجة إليه في جانب من جوانب الدين؟ الجواب: لا، وأبداً، وقد حاول ابن حزم تقريب حد المنطق، فلم يأت بشيء.. ما أتى بشيء، إنما هي مصطلحات.. شرح للمصطلحات فقط.

فالسؤال بهذا الاختصار، له هذا الجواب.

باختصار: إن هذا العلم لا فائدة منه، وإذا أردت ولا بد فاقرأ كتاب الشيخ الشنقيطي، وفي الحقيقة لو ذهب هذا الكتاب من الوجود لما احتاجه طالب العلم في شيء، لا القليل ولا الكثير، ولأن الناس يعرفونه، الناس يعرفونه فطرةً، وليس هو من العلوم المكتسبة العقلية ومن علوم الآلة في شيء، ولكن إذا احتجته في دراستك في المصطلحات، فيكفيك كتاب مصطلح من المصطلحات وتغنيك عن بقيته.

والله تعالى أعلم، والحمد لله رب العالمين.

١٥٣- ما رأيك بالدولة الأموية؟

ضمن الجلسة الرابعة عشر، بتاريخ: (**٢٩/٠١/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٩/١٠/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: ما رأيك في الدولة الأموية؟

جواب الشيخ: الجواب أنها دولةٌ إسلاميةٌ عظيمةٌ، ويجب علينا أن نحبها وأن نمدحها وأن نذكرها بالخير، وما قامت به هذه الدولة من أعمالٍ جليلة في نشر الإسلام، الإسلام في زمن الدولة الأموية انتشر أكثر ما يمكن أن ينتشر في أي وقتٍ آخر، فإنه بلغ أفاق الدنيا بفعل هؤلاء الخلفاء الصالحين والملوك الصالح، من بدايتهم وهو معاوية ابن أبي سفيان رضي الله تعالى عنهما عن معاوية وعن أبي سفيان.

وهناك جاهل لا أريد أن أذكر اسمه ربما تعرفونه يعني يرى أنه بمجرد تغيير نظام الحكم أنها خرجت من الإسلام بالكلية؛ هذا من الجهل والضلال والتعصب والنزوع للباطل من خلال منطلقٍ صحيح، يصاب بالسعار، بحيث يبدأ بالسب المطلق ولمجرد خلاف في مسألة يعظمها، يراها هي أس الإسلام؛ فيبطل ما سواها.

الدولة الأموية أولاً: هي التي حمت البيضا، أقامت الشريعة، نعم في موضوع الوراثة أخطأت في هذا، ولكن أنظر؛ خلفاؤها أقاموا الشريعة، أقاموا العدل، أقاموا القضاة ليقيموا الشريعة، نصبوا الأئمة من أجل إقامة الجهاد، نشروا الدين، أعطوا العلماء حقوقهم المالية، فانظر إلى عطاء هذه الدولة في العلم وعطائها في الإسلام -في الدين في نشر الإسلام- وعطائها في المال، وعندها أخطاء، يوجد أخطاء ولكنها أخطاءٌ مغمورةٌ في بحار ومحيطات خيرات هذه الدولة، فدولةٌ عظيمة.

بعض هؤلاء الكفرة من الذين يزعمون أنهم ينصرون آل البيت، كم مسلم دخل على أيديهم؟! ما هي الشريعة التي أقاموها؟! عندما يأتي شيخ ودكتور ويصاحب هؤلاء ظانًا أن عندهم بعض الحق، وعندما يتكلم عن الدولة الأموية لا يراها إلا شريرة وكافرة، حتى رأيته يتكلم عن الأوزاعي، إنا لله وإنا إليه راجعون.

على كل حال هذه دولةٌ إسلاميةٌ عظيمة، جزى الله ملوكها خير الجزاء، وجزى الله وزراءها خير الجزاء، كان وزراء حكام وملوك الدولة الأموية من خيرة الوزراء، رجاء بن حيوة هذا الإمام العظيم الذي وكل إليه بناء

المسجد الأقصى، وهو الذي نصح سليمان بن عبد الملك أن يولي بعده عمر بن عبد العزيز، وزراء عظام، جيوش عظيمة كانت تدك المشرق والمغرب وفتحت البلاد ووصلت بلاد السند ووصلت إلى حدود الصين، ودخلوا الأندلس، من الذي حقق هذه الخيرات؟ في أي وقتٍ انتشرت كتب العلم؟ في أي وقتٍ انتشر العلماء العظماء؟ حتى في أي وقتٍ انتشرت اللغة؟ قام العلماء بتصنيف كتب اللغة وجمعوها.

الدولة العباسية كل ما حدث فيها من خيرات هو الصدى وظل ما تحقق من أمان، وتحقق من علم في زمن الدولة الأموية، وإذا أردتم أن تتكلموا عن سيئاتها فلها وجوهٌ من التأويل، وأنا مع يوسف العش عليه رحمة الله أن الدولة الأموية كانت ضرورة في كل أوضاعها لما تحقق من تغيرات اجتماعية في العالم الإسلامي.

ويكفي هذا والحمد لله رب العالمين.

١٥٤- الأسئلة الحمصية «١»

ضمن الجلسة الرابعة عشر، بتاريخ: (**٢٩/٠١/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٩/١٠/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: هل أنا إذا اتبعت أحد العلماء المحدثين -أو المحدثين-كالألباني في تصحيحه الأحاديث، هل لي أن أدعو الناس به أم أنني ألتزم به أنا فقط ولا أدعو به؟

جواب الشيخ: يعني هذا السؤال تتعدد به الأحوال.. ولا شك أن الشيخ الألباني رحمة الله عليه إمامٌ مجتهد وفنه الأعظم والأكبر والأفضل والأكرم هو علمه وفنه في علم الحديث، وأنه قد نفع الله عز وجل به الأمة نفعًا عظيمًا في هذا الباب وفتح باب الاستفادة من السنة، وكل ما نرى في الحقيقة في النتاج الآن المبارك حتى فيما يسمى بمنهج المتقدمين والمتأخرين، إنما هو نتاج لمدرسة هذا الشيخ الجليل، فمن الكفران أن نكفر وأن نغمط الشيخ حقه في نشر هذا العلم، وما من أحد من طلبة العلم المعاصرين إلا ولشيخ له يد عليه، حتى الذين يخالفونه، فإنه عرفهم ثم خالفوه.

لا يعني أن نغمط حقوق الآخرين ممن اشتغل في هذا العلم في زمانه، ولكن الشيخ شهرته وكتبه وانتشاره صنع تيارًا عظيمًا في هذا الباب، عليه رحمة الله.

ولكن مما يعلم الناس أن هذا العلم مسألةٌ اجتهادية، يُخطئ الناس فيها ويصيبون، في وقت من الأوقات ولا شك أن البعض وصل لدرجة أن ما قاله الشيخ هو نهاية المطلب ونهاية المطاف ونهاية كل قولٍ على قاعدة: «قَطَعَت جَهِيزَةُ قَولَ كُلّ خَطِيبِ»، وهذا ليس بصحيح؛ فعلم الحديث والحكم على الحديث هو مسألةٌ اجتهادية تختلف فيها الأنظار، ولا شك أن العلماء الأوائل -حتى في الفقه- هم أتقى وأعلم، ليس فقط أتقى ولكنهم أعلم في أقوالهم ممن تأخر، لكن لأن الشيخ رحمة الله عليه في وقتٍ من الأوقات برز في إظهار الأجزاء الحديثية والأسانيد المخفية، فظن الناس في وقت من الأوقات -وهم الجهلة ونحن منهم- ظنوا أن الشيخ أتى بما لم يأت به الأوائل واطلع على ما لم يطلع عليه الأوائل.

فلما طبعت المخطوطات وتعرف الناس، وإذا الأوائل أكثر علمًا وأكثر مادةً عندما حكموا، وأكثر إنصافًا

وأكثر إتقانًا لهذا العلم من المتأخرين، ولذلك الشيخ مجتهد، ولكن من تقدمه من العلماء أكثر إصابةٍ منه.

وأنا أقول: هنا بعض الأمور:

مثلاً: الإمام الدارقطني رحمه الله في علله التي طبعت، يعني إذا قال قولاً في العلل فهو أقرب من الألباني في هذا الباب، وإذا قال أبو حاتم الرازي كما في علل الحديث -وهو لابنه، ولكن أغلبه أخذه منه- إذا قال في حديثٍ واختلف فيه الألباني، فالقول بلا شك قول أبي حاتم، وهكذا.

يعني قلما رأى طلبة العلم، طالب العلم المجد والمحقق قلما رأى حديثًا خالف الألباني فيه قول المتقدمين من أهل العلم الكبار الذين لهم الباع الواسع في علم العلل، فرجحوا كلمةً للألباني على هؤلاء، أو رأوا أن الألباني أصاب فيها مقابل هؤلاء.

هذا ربما ليس مطلب الأخ، مطلب السائل أنه إذا أخذ حديثًا صححه الألباني، فأخذه على سبيل التعليم للناس هل يجوز أن يعلم الناس بهذا الحديث؟ الجواب: نعم، وهذا قياس على ماذا؟ من أين أتيتنا بهذا؟ لأن المفتين في هذا اليوم، يُسأل الرجل عن مسألة فقد يعلم قول الشافعي فيفتي بقول الشافعي، والناس يعلمون أن هذا الكلام الذي قاله ليس من عنده وإنما هو يفتي بكلام أهل العلم، فالناس كذلك يعرفون حالك، فربما يعرفون أنك أنت العالم المجتهد الذي لك الباع الواسع في الحكم على الأحاديث فحينئذٍ يقولون: قال فلان، ويوجد علماء يقال عند يتكلم يقولون: فلان صححه؛ لأنهم يعلمون أنه صححه من جهة نفسه، ولكن لو جاء رجلٌ آخر لا يقولون: والله فلان واحد عادي من الناس صححه، يعلمون أنه يأخذ من الألباني ويأخذ من فلان ويأخذ من علان من أهل العلم حفظهم الله ورحم الله ميتهم.

فأنت حالك يعرفك الناس فيه، وبهذا يأخذون من هم أدنى مرتبة منك أو من هو مثلك؛ فيأخذون منك هذا العلم، فعلى هذا المعنى ما في بأس، والعلماء أجازوا هذا، أجازوا للرجل حين يعلم مسألة من كلام أهل الفقه أن يعلمها لناس، والناس يعلمون، يعني لا توجد حاجة أن يقول لهم: هذه أنا أخذتها من الكتاب الفلاني، الناس يعلمون مراتب الناس المعلمين في المساجد وفي التلفزيون وفي غيره، يعلمون من أين أتى بهذا القول.

وللخروج من هذا لا بأس أن تقول: وهذا صححه الألباني، للخروج من هذا حتى لا يأتيك أحد ويقول:

أنت توهم الناس مثلاً أنك ابن بكارتها وأنك المصحح والمضعف، فتقول: صححه الألباني.

الجواب باختصار على هذا: أن حالك إذا كنت من طلبة العلم؛ فعليك أن تبحث عن العلماء ماذا قالوا في كل حديثٍ صححه الألباني، يعني هذه حالة ستبقى إلى يوم القيامة في التصحيح والتضعيف، لن ينتهي الأمر، هناك كمية من الأحاديث متفق على صحتها، وهناك كمية من الأحاديث كبيرة متفق على ضعفها، وهناك كمية متفق على أنها موضوعة، وهناك أحاديث تدور بين التحسين وبين التضعيف، بين التصحيح وبين التحسين، أحاديث تدور بين الناس على هذا، وقول الأوائل ولا شك أنه الأصوب.

فأنا أنصحك إن كنت طالب علم في هذا الباب أن تحقق، والكتب مطبوعة يعني يمكن أن ترجع إلى هذا الحديث ماذا قال فيه أبو حاتم الرازي، ماذا قال منه الإمام أحمد، ماذا قال فيه الدارقطني، وهكذا، أئمة الحديث هؤلاء الذين تكلموا الكلام الكثير في الأحاديث، وإن لم تكن كذلك يعني لا يسعك هذا؛ فيجوز لك أن تأخذ من كتبه وتعلم الناس، فإذا كان منصبك في الناس معروفٌ فليس هناك ضرورة أن تخبرهم: أني أخذت من هذا الكتاب، ولكن إذا خفت أن يقع اللبس من الناس فلا بأس أن تقول: وهذا الحديث صححه الألباني.

والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين.

١٥٥- الأسئلة الحمصية «٢»

ضمن الجلسة الرابعة عشر، بتاريخ: **(٢٩/٠١/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٩/١٠/٢٠١٧ م)**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: هل يصح للعالم أن يقول بأن المسلم الذي لا يكفر اليهود والنصارى بأنه مخطئ ولا يقول بأنه كافر؟

جواب الشيخ: هو مُخطئ نعم، ولكن ما هي درجة خطئه؟ هذه بحثناها في سؤالٍ سابق الأسبوع الفائت يرجع إليه في الرد على من لم يكفر اليهود والنصارى وزعم أن تسميتهم والحكم عليهم بالكفار خطأ، رددنا عليه، ولذلك المجمع عليه بلا خلاف بيقين بأن من لم يكفر اليهود والنصارى بأنه كافر، فرجل يقول: قل مُخطئ لمن لم يكفرهم، فتقول له: ما درجة الخطأ؟ هذا الخطأ ما درجته؟ مخطئ يعذر؟ مبتدع؟ أم أن هذا الخطأ كفر؟ فيقال له هذا.

فلذلك الصواب أنه من لم يكفر اليهود والنصارى أنه كافر -مُخطئٌ كافر- وهذه فصلنا فيها ولا نريد أن نكثر فيها في كل أسبوع، فأرجو من الأخ أن يرجع إلى جواب السؤال في الأسبوع الفائت؛ فصلنا فيه كيف أن اليهود والنصارى كفار، وهذا من المسائل المجمع عليها، الله عز وجل في كتابه بالنصوص الصريحة أنه كفر اليهود والنصارى، وهكذا يجب أن يصار إليها وعدم التلعب بكتاب ربنا بضرب الأمثال له.

والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين.

١٥٦- الأسئلة الحمصية «٣»

ضمن الجلسة الرابعة عشر، بتاريخ: (**٢٩/٠١/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٩/١٠/٢٠١٧ م**)

الحمد لله: والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: هل من بيان من الشيخ لما يُذكر عن أبي حنيفة فيما نقله بعض أهل العلم كصالح بن الإمام أحمد وغيره في كتب العقيدة؟ أي أنني أريد معرفة ما ينسب للإمام أبي حنيفة في ذلك.

جواب الشيخ: بلا شك أنه لا بد من مقدمة في إجلال هذا الإمام العظيم، لا بد من التعامل مع هذا الإمام بإجلال رحمه الله وأن الناس عيالٌ عليه في الفقه، ولا بد من معرفة ما نشر الله على يديه من الخير، وما نشر على يديه من الفقه الصحيح، وما نشر على يديه من طرق الاستنباط، يعني عندما نتحدث عن أهل القياس: لهم فوائد عظيمة، هذه الصور القياسية التي ذكروها احتجنا إليها في أزمنة متأخرة لما جد من أحداث وما جد من مسائل، فكانت حاجة الناس لهذا المذهب في هذا الباب كبيرة؛ لأنه فتح أبواب الاستنباط فيما يقع من النوازل والحوادث، ولذلك صح عن الإمام الشافعي رحمه الله أنه قال: «الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة»، فلا يجوز لأحد أن يتهمه في دينه.

ثم ما سأله السائل: ما هو الاعتقاد المذموم في حق أبي حنيفة؟ أما النسبة له بأنه قال: بخلق القرآن فكذب، وأصحابه العارفون به ينسبون له أنه قال: أن القرآن كلام الله، وهذا الطحاوي -وهو من أشد الناس التزامًا بمذهب أبي حنيفة- وفي متن عقيدته قرر بأن الإمام يقول: بأن القرآن كلام الله، فلا يصح عنه أبدًا أنه قال: القرآن مخلوق، دعكم مما ينسب هنا وهنا.

فما الذي يعاب على أبي حنيفة رحمة الله عليه في أصول الاعتقاد؟ يعاب عليه مسألة وهو قوله: بأن الإيمان هو التصديق ولم يجعل الأعمال من الإيمان وجعلها من التقوى، هذا فقط.. وبعض أهل العلم يراه خلافًا لفظًا، والمسألة متشعبة، هذا يؤخذ على أبي حنيفة عليه رحمه الله، وكفى بالمرء نبلاً أن تعد معايبه عليه رحمة الله، ما ذكره بعض المصنفين كعبد الله في كتابه «السنة»، وما ذكره الإمام الخطيب في تاريخه وما ذُكر عنه في كتبٍ أخرى يعني يعاب عليه بتوسعه في باب القياس ووقوعه في أخطاء يستهزؤون بها أن يقع فيها الفقيه، فهذه

خصومة كانت موجودة في أهل العراق، ولكن رأينا الإمام الشافعي كيف هو جاء فأنصف أهل الحديث من هؤلاء وأنصف هؤلاء في جانبٍ من جوانب نحتاجها في الحديث وهو أنه ترف الناس قيمة القياس والنظر إلى المعاني، هذا بابٌ هم فتحوه وإن كانوا قد توسعوا فيه إلى درجة الخطأ، ولكنه رده إلى الطريقة الصحيحة مع عدم الإلغاء، وهو النظر إلى المعاني والاهتمام بها، والنظر فيها على أنها موافقة للنص وليست خارجة عنه.

كان أهل الحديث لا يقيمون شأنًا للمعاني فيخطؤوا وكان أهل الرأي يقيمون شأنًا للمعاني دون النظر إلى النص، فهو جمع الأمرين على طريقةٍ من الهدى والسداد الذي مدح فيه فسمي بناصر السنة والحديث.

القصد: بأن أبا حنيفة عليه رحمة الله إمام، يجب أن تطوى هذه الصفحة من الكلام عنه بالسوء وألا يتخذ هكذا ميزانًا للعنف وميزانًا للبراءة، بعضهم يكفر أبا حنيفة ويضلله كأنه صار الحديث عن أبي حنيفة ميزانًا للجرأة في دين الله، ما هي مهمتك في هذا؟!

الأحناف عندهم هذه عقيدة أبي جعفر الطحاوي تمثل عقيدة أبي حنيفة فعليك بها، التزم بها، مع ما نبه بعض أهل العلم على ما فيها من هذا الموضوع الذي ذكرناه؛ وهو موضوع ما هو مسمى الإيمان عندهم فقط، وما يضرك بعد ذلك أن تنظر في فقهه فتستفيد كما استفاد الأئمة، ينظرون في فقهه فيستفيدون من الفوائد ما لا يعرفونه في كتب الآخرين، فقط هذا الجانب الذي نحن فيه.

وأما موضوع ضعف أبي حنيفة في الحديث فهذا معروف يعني، ولا نريد أن نتكلم عنه، أما الزعم بأن له «١٧» اسم مسند يعني هذا جاهل الذي يقوله، لا يعرف أن هذه الأسانيد لا تثبت عنه، ومسند أبي حنيفة قديم في الحقيقة ليس كما يذكرون، وأما ضعفه في الرواية فهذا شأن أهل الحديث هم الذين لهم القول في هذا، كقول النسائي وقول مسلم في طبقاته، قول يحيى بن معين وهكذا ذكروا ضعفه في الرواية، والدارقطني، ذكروا ضعفه، وهذه مسألةٌ لا علاقة لها بالفقه، مسلم بن خالد الزنجي شيخ الشافعي وأمام أهل الفقه في عصره كان ضعيفًا في الحديث إذا روى، ولكنه فقيه، قاض أهل مصر عبد الله بن لهيعة، شريك بن عبد الله قاض، قضاة عظماء ولكنهم في الرواية بسبب انشغالهم بغير ذلك أو بسبب ظروفٍ معينة؛ وقعوا في الخطأ في الحديث فالعلماء لم يقبلوا حديثهم.. والحقيقة أنه لا يوجد عندنا حديث بين يدينا انفرد به أبي حنيفة رحمة الله عليه مما يحتاجه الفقيه فضعفه الناس، ولكنه كما يذكر غيره في هذا الباب ممن اشتغلوا في علم الحديث تضعيفًا

وتصحيحًا، لكن لسنا بحاجة لروايةٍ عن أبي حنيفة عن شيوخه في بابٍ من أبواب الفقه، فإن صحت فلها طرق أخرى نحتاج إليها، ولا يوجد حديث نحتاج إليه في الفقه انفرد أبي حنيفة بروايته فضعف بسبب أبي حنيفة، هذه يعرفها أهل الفقه.

جزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

١٥٧- سؤال عن أهل الفترة

ضمن الجلسة الرابعة عشر، بتاريخ: (٢٩/٠١/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٩/١٠/٢٠١٧ م)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

هناك سؤال جاء خلال دروس التفسير في ظني، يسأل الأخ: عن أهل الفترة، يقول: سؤالي للشيخ عن أهل الفترة فإني قرأت فيهم كثيرًا ولم أجد جوابًا شافيًا، المهم ذكر الأخ -والسؤال طويل- فيقول: كأنه يرى ثمة تعارض بين أهل الفترة وبين ما ذكره الله عز وجل من عموم الرسل لعموم الام، في كقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا (١٥)﴾ [الإسراء: ١٥]، وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨) قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ (٩)﴾ [الملك: ٨-٩]، فإنه من يشرك بالله قد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وكيف يستقيم هذا عنده مع إعذار صاحب الفترة.

جواب الشيخ: قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا (١٥)﴾ [الإسراء: ١٥]، هذا حق، فالله عز وجل جعل الرسل إقامة الحجة على الخلق، ومن رحمته أنه لا يعذب أحدًا حتى تبلغه الحجة الرسالية.

هل هناك أقوام لم تبلغهم الحجة الرسالية؟ في وقت طويل ومنذ سنين طويلة كنت أعتقد بعدم وجودهم تأثرًا ببعض الكتابات، حتى صح الحديث الذي فيه أهل الفترة وهو حديثٌ صحيح، لا أعلم أحدًا من أهل العلم قد ضعفه، لا أذكر، حتى إن ابن حزم على ما هو عليه صحح الحديث، فحديث أهل الفترة صحيح.

طيب هم مشركون، أهل فترة مشركون، يسميهم مشركين، لكن لا يجوز أن نعامله في الدنيا معاملة المشرك، من استحلال الدم واستحلال المال واستحلال السبي لأنه من المال، إلا بأن نقيم الحجة الرسالة عليهم، طيب العذاب يوم القيامة مقيد ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾، أي في الاخرة، والمقصود بالرسول هو الرسول الشرعي وليس كما قالت المعتزلة: العقل، فهذا بيّن، يعني ليس هناك ثمة معارضة بين هذا وهذا؛ فنسميه مشرك، فمن أشرك على الحقيقة فهو مشرك خرج من الملة، أي نقض اصل التوحيد فهو مشرك، لكن أن يعذب في الدنيا بأيدي المؤمنين وأن يعذب يوم القيامة في جهنم؛ فلا بد من إقامة الحجة الرسالية عليه، فهذا بيّن.

أما أن نأتي للآيات التي فيها بأن كل مشرك يدخل النار ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ [المائدة: ٧٢]، فهذا محمولٌ على ما يقع يوم القيامة من أهل الفترة، أهل الفترة فيهم خلاف، ولكن أصوب القول هو القول الذي فيه ذكر أهل الفترة، وهو أنهم ممتحنين يوم القيامة، فهذا المشرك يوم القيامة يصبح مؤمنًا؛ لأنه يُفتتن ويُبتلى فيؤمن؛ فيصبح مؤمنًا وبذلك يدخل الجنة، وإذا لم يستجب لأمر الله عز وجل وأعرض يوم القيامة في الافتتان؛ يصبح من أهل الشرك اسمًا وحكمًا، فإذن تم الأمر ليس فيه إشكال، يوم القيامة يُفتن فإما أن يصبح هذا المشرك مؤمنًا لأنه في الدنيا لم يفتن ولم يبتلى فيبتلى يوم القيامة، هذا الخصوص ورد فيه الحديث، بعض أهل العلم نفى هذا الحديث كابن عبد البر؛ لتعميمه بأنه لا ابتلاء يوم القيامة وأن الآخرة هي دار جزاءٍ لا دار عملٍ وابتلاء.

ولكن لا مانع من التخصيص، ما المانع يعني؟ هذا حكم الله عز وجل يبتلي العباد متى شاء، فهؤلاء لما لم يبتلوا في الدنيا ابتلوا يوم القيامة، فهم يكونوا على الشرك لأنهم لم يسلموا لا يجوز أن نسميهم مسلمين وهم ليسوا كذلك، ولا نسميهم مؤمنين لأنهم ليسوا كذلك؛ فهم مشركون، ولكن لا يعذبهم حتى يبعث رسولاً؛ فيبتلون، فإذا ابتلاهم وصاروا من أهل الايمان دخلوا الجنة، وإن لم يستجيبوا لأمر الله عز وجل بقوا على الشرك فيدخلوا النار، وأظن أن المسألة واضحة في هذا، والله تعالى أعلم.

مع أن السؤال طويل، ولكن لا بد لطالب العلم أن ينظر إلى العام والخاص ينظر إلى المطلق والمقيد، لا يعني التعميم اللفظي أنه يعمم حكمًا لا بد من النظر إلى المخصص، قال أهل العلم: «ما من عامٍ إلا وقد خصص»، نعم يجوز إعمال العام، يجوز هذه القاعدة صحيحة، حتى ذكرها في كتاب «الفقيه والمتفقه» الخطيب، وهي موجودة في كتب الأصول، «ما من عامٍ إلا وقد خصص»، ولكن يجوز العمل بالعام قبل ورود الخصوص أو عند عدم العلم بالخصوص، ما يعلم الخصوص يعمل بالعام، ولكن قليل من العموم إلا وقد خصص كما يقولون.

فهذا العام الذي بين يديك إذا جاء حديث آخر يخرج بعض أفراده؛ فليس هذا من النسخ وليس هذا من التعارض، إحدى طرق درء التعارض أن هذا عام وهذا خاص أن هذا مطلق وهذا مقيد، وهذا أهون ما يعمله الفقيه ويفعله في اجتهاده وفي ترجيحاته.

والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين.

١٥٨- هل يعذر من لم يكفر أردوغان؟

ضمن الجلسة الرابعة عشر، بتاريخ: (**٢٩/٠١/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٩/١٠/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

سؤال من أخ هل يعذر من ينتسب إلى العلم الشرعي اليوم في عدم تكفير أردوغان؟

جواب الشيخ: عدم تكفير الرجل، وتكفير الرجل، يعني هناك فريقان أحدهما يكفره والآخر لا يكفره، سبب الاختلاف يعود إلى أركان الفتوى، ما هي أركان الفتوى؟

الركن الأول للفتوى: هو معرفة الحالة على ما هي عليه.

الركن الثاني: معرفة الشرع الملائم لهذه الحالة.

فالفريقان إما أن يختلفا في توصيف حال الرجل مع اتفاقهما في القواعد الشرعية التي تحكم بالكفر والإسلام على الرجل، يعني يكون الطرفان من أهل السنة والجماعة، وقد أصابا في القواعد العلمية، لكن يختلفان في حال الرجل، رجل يراه صالحًا بحسب ما استفرغ وسعه في النظر إليه، ورجلٌ يراه غير صالحٍ وأنه كافر، ويقع هذا الخلاف.

فالمختار بن أبي عبيد الثقفي مجرم، ابن عمر رضي الله عنه زوجه ابنته، وكان أحد الصحابة حاملاً للوائه، وهو الطفيل، عامر بن طفيل الليثي؛ فيختلف الناس.

مثلاً: أرسل لي طالب علم ممن أحبهم -ولا أريد أن أذكر اسمه فقط لئلا يغضب يعني لو استأذنته أن أذكر اسمه لذكرته- وقال: بأن تكفيرك لأردوغان غلط، يقول: لأن أقرباء له يعرفون أردوغان وأن عنده كذا وكذا، هكذا يحكم بما يعلم، وأنا أحكم بما أعلم فيه، مع اتفاقي مع هذا الشيخ الجليل في القواعد الحاكمة على الرجل بالكفر والإسلام، لكن اختلفنا في هذا، فيمكن، فأردوغان في هذا الباب يعذره ناس فيه، رجلٌ يراه عاملاً للإسلام، وهكذا يراه.

وأنا لولا أنه يصرح بأنه يتبنى العلمانية كما ذكر في لقاء له في الجزيرة، وكما خالف الإخوان المسلمين في

مصر، وكما يصرح بأنه على دين العلمانية على وجهٍ من الوجوه؛ التي يكفر بها المرء ولا يعذر بها في عصرنا، يمكن توقفت فيه، ويمكن أعذرت الناس يعني أصبحت أعذره كما يعذره البعض بأنه يريد أن ينصر الدين والإسلام، وأنا لا أراه هكذا.

فقد يقع هذا الخلاف، وهذا خلافٌ يعذر الناس، فيه ولا شك يعذر أهل العلم فيه.

الموضوع الثاني: وهو الخلاف في القواعد العلمية، هذه يكون خلاف المرء في القواعد بحسب التزامه بمذهبه، يعني مثلاً: رجل لا يكفر الحاكم إذا حكم بغير ما أنزل الله إلا إذا اعتقد، هذا مرجئ فحينئذٍ نقول: هذا خلافٌ بيننا وبينك في القواعد العلمية وأنت بحسب القواعد العلمية أنت مرجئ، يعني وقد يكون مصيبًا سنيًا في القواعد العلمية، نقول: أنت سني، ولكن مخطئ في الحكم عليه، فحينئذٍ كما رأيت في الجواب بأن الإعذار واقع في كل رجلٍ لم تنص الشريعة على كفره عيانًا.

فمثلاً: واحد جاء وقال أنا أتوقف في تكفير أبي لهب؛ نكفره لأنه ناقض النص، في تكفير أبي جهل لأنه خالف النص فيه، المجمع على كفره والذي في الكتاب والسنة هذا الذي إذا خالفه يكون راد على الله عز وجل، أما البشر والأشخاص فقد يختلف الناس فيهم، يختلفوا اختلافًا كبيرًا، فإما أن يختلفوا بحسب توصيفهم للرجل ومعرفتهم بحاله أو تقديرهم لما هو عليه، وإما أن يختلفوا في النص؛ فالأول معذورٌ فيه الناس ولا يؤدي إلى الحكم على المخالف بالتبديع ولا التفسير إلا بمجرد التخطئة والتعليم والتنبيه ولا بأس من المناظرة حولها؛ إذا تعلق بها مسألةٌ علمية بمعنى هذا حاكم ضروري أن نعرف حاله، أو أن يأتي ليتزوج ابنتك ضروري ان تناظر المخالف لك.

المسألة الثانية: إذا وقع الخلاف بحسب المنهج العلمي حينئذٍ يكون الحكم عليه بحسب ما تبناه، قد يكون سنيًا فيقال له: سنيًا مع خطأك في إنزالها، وقد يكون مبتدعًا، وقد يكون كافرًا، يقول: أنا عندي العلمانيين مسلمين!! لماذا مسلمين؟! يقول لك: لأن الشريعة تجيز للرجل أن يحكم بغير ما أنزل الله ويستدل على قوله كما يستدل الفيلسوف ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا (٨٦)﴾ [الكهف: ٨٦]، قال: الله قال له يا حاكم اصنع ما شئت، أحكم بما شئت!! كما يقول بعض الشيوخ للحاكم أن يحل الحرام ويحرم الحلال!! هذا يكفر، هذا كفر، فكما نرى أن المسألة بحسبها. والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين.

١٥٩ – تكفير العاذر بالجهل

ضمن الجلسة الرابعة عشر، بتاريخ: (**٢٩/٠١/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٩/١٠/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يبدأ سؤاله هكذا –حتى يعرف أن الجواب له– **شيخ كان لي صديق أوزبكي قبل سنتين يرى وجوب تكفير العاذر، يعني كان يقول الجهل بالتوحيد لا يعذر**، –نعم نحن لا نعذر الجهل بالتوحيد ونسميه كافراً، كل من جهل التوحيد هو كافر، معذر غير معذر موضوع ثاني– **وبه كان يكفرني** –إذن هو كان يكفر جاهلاً بالتوحيد على معنًا خاص عنده، على معنى خاص وليس التوحيد الذي هو في الكتاب والسنة، لأن بعض الناس يفترض شروطاً في التوحيد ليس من الكتاب في شيء ويجعلها شرطاً لإسلام الآخرين، فإذا خلا الأخرون من هذه الشروط كفروهم على هذا المعنى– **قال: وبه كان يكفرني كفر المتوقفين في التكفير**. يعني السؤال طويل في الحقيقة، وليسامحني السائل إني لم أقرأ السؤال كاملاً في التسجيل، يقول: حتى وصل أنه قابله بعد ذلك فوجده يكفر عموم المسلمين ويكفر العلماء حتى إني قرأت له كلمة أنه يقول: بأن ابن عبد الوهاب شرع من دون الله، ويكفر أبا حنيفة، قال: إلا الأطفال لا يكفرهم، يقول: بأن ابن عبد الوهاب غير الشريعة، لكن انتهى السؤال إلى قوله: أن هذا الرجل قال: أنا لا أخذ من كلام أحد من أهل العلم، ولكني أخذ بالكتاب والسنة.

جواب الشيخ: هذا جاهل ولا شك، وأنه يكفر وأنه من أهل الغلو هذا، ويكفر المسلمين هذا لا يرى أحداً مسلماً ربما إلا هو والأطفال، فإذا بلغوا كفروا، المطلوب هو أن تتعلم أخي أن تتعلم الأدلة.

يعني مثال ذلك: العذر بالجهل، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى﴾ [النساء: ١١٥]، هذا شرط ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى﴾، وكنا البارحة في تفسير هذه الآية: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩]، يقول ربنا: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾، في السنة قضية المؤولة، المتأول، هذا لما شرب قدامة بن مظعون الخمر فلم يكفره الصحابة، إعذار المتأول في باب من أبواب الشريعة هذا معروف في الكتاب والسنة.

فالقصد: بأني أطلب من الأخ أن يقرأ كلام أهل العلم بما هم استدلوا عليه، وأنا أنصحك بقراءة كتاب

المعلمي فإنه أفرغ الوسع في جمع الآيات هذا الباب، فيقرأه تجد أن الأدلة من الكتاب والسنة، لا تقول: لا قال ابن تيمية، فابن تيمية عندما يقول في هذه الأبواب فإنه يستند إلى الكتاب والسنة مثل قضية إعذار أهل الفطرة في عدم دخولهم النار مع تسميتهم كفارًا، الأطفال، ففي الكتاب والسنة الرجل الذي قال: والله لأن قدر الله عليه، أمر أبنائه أن يحرقوه بعد موته، ففي الكتاب والسنة يوجد في هذا الباب الشيء الكثير فسهل جدًا الرد على هؤلاء، لكنهم لجهلهم أو لعجمتيهم ربما يعني الفاعل هذا من العجم لا يفهم الكتاب السنة، ويظن أنه إذا قال: الكتاب والسنة أنه أعجز الأخر، لا هو ليقرأ الكلام على طريقة أهل العلم، نحن نقرأ الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة بما فسره العلماء.

مثلاً: نقرأ الآن «المغني» ليدلنا على الكتاب والسنة، لو بحثت أنت عن مسألة في الكتاب والسنة ربما تُضعف، فيأتي العالم يقدم لك المسألة وحكمها ويبيّن لك دليلها، فأتاك بالمسألة من كل جراميزها، أنه أتى بدليلها من الكتاب والسنة وأتى بمن قال بها من العلماء، وهذا تمام العلم، وعرفت الخلاف وهذا من محاسن العلم، «فمن لم يعرف الخلاف لم يشم رائحة العلم»، كما قال سلفنا، فانظر إلى أن كتب العلم في بيان أي مسألة ومنها هذه المسألة الجليلة أنه يذكر لك الدليل، يذكر لك القول، يذكرون لك الخلاف فيها، هل هناك أحسن من هذا؟!

لكن هؤلاء لما نقول لهم: قال ابن تيمية، على أساس أنه في النهاية هو الذي فصّل المسائل كما ذكرها السلف، مرات كثيرة عبارات السلف تكون مُجملة فلا يفهم منها -كالحديث- فلا يفهم منها العامي كما يفهمها العالم، ونحن رأينا أن ابن تيمية له فضل في هذا الباب؛ أنه أجاب على أسئلة المتكلمين بالكتاب والسنة من خلال أدوات المتكلمين، وهذا استوعبه ابن تيمية رحمه الله، ربما لبعض أهل العلم مجاهل كالخطّابي وغيره، له مجاهل يسيرة، ولكن ابن تيمية استوعب هذا؛ فنحن نقول: قال ابن تيمية، ليس لأنه هو المشّرع، ولكن على هذا المعنى العلماء واسطة لنا بتعريفنا الكتاب والسنة كما قال الشاطبي، وليس قول العالم هو الدليل، ولكن عرفنا على الدليل، مرات نحن نحتاج إلى دليل يقودنا إلى الدليل، وإذا وصلنا الدليل عرفنا كيف نستنبط كيف نستخرج من المكان، نستخرج منه العلوم، أما أن يُكفر هؤلاء ويُكفر هؤلاء العلماء، فلا ندري يعني ماذا أبقى هؤلاء من الجهل؟! نسأل الله العفو والعافية، والحمد لله رب العالمين.

١٦٠- بر الوالدين والجهاد

ضمن الجلسة الرابعة عشر، بتاريخ: (**٢٩/٠١/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٩/١٠/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة على رسول الله:

أخ يسأل: -هناك سؤالان في الحقيقة سندمجهما لأنهما في معنى واحد كما رأيت- هناك مشكلة منتشرة بين شباب المجاهدين وهي: عصيان الوالدين، وعدم الاهتمام ببرهما، وخصوصًا إذا كانا لا يريدان لولدهما الخروج إلى الجهاد، فهم يفهمون من أن الجهاد فرض عينٍ لا طاعة للوالدين في الخروج -يفهمون أن طاعة الوالدين غير واجبة-، أحد الإخوة -يمثل- ليس لوالديه ولد من الذكور غيره، ولم يراه والده لأكثر من شهرين مع أنه قريب منه ولا يوجد ما يمنعه من رؤيته، لكن لأن أباه يحاول إقناعه ترك الجهاد فهو لا يزوره، وقد نقل لنا أحد أقربائه: أن والده يبكي شوقًا للقائه، والله المستعان، نفس السؤال يقول سؤال آخر: والشباب يفهمون الجهاد أن الجهاد فرض عين فيخرج الابن من دون إذن والديه فإذا كانوا يعارضون ذلك فلا يطيعهما، حتى فيما لا يتعارض بينه وبين الجهاد، مثل زيارتهم والقيام بأمورهم.

جواب الشيخ: ما ينبغي أن يُفهم: بأن الشرع لا يُسقط الواجب كليةً إلا بما يتعارض في جزئه بما تعارض بما هو أوجب منه، ويمثل لذلك هذه القصة التي بين أيدينا؛ بمعنى أن الجهاد عندما يكون واجبًا فيخرج الولد من غير إذن أبيه لجهاد الدفع الذي تعين عليه، أو تعين عليه بإمرة الأمير أو حضر الصف؛ لأن هذه الأحوال التي يجب فيها الجهاد عينًا على كل أحدٍ من المسلمين، فهذا لا يعني أن يترك برهما فيما يقدر عليه، أو فيما لا يدخل في هذا الباب؛ «فالميسور لا يسقط بالمعسور».

ومن قواعد العموم والخصوص، فالعموم هو برهما، قال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، فقاعدة العموم «إذا خرج خصوصٌ منه فيبقى العموم على البقية»، هذا شرط، وهذه قاعدةٌ من قواعد الأصول: بأنه إذا خرج خاصٌ لحكم خاص فيه، فإن ما بقي من أفراد العموم مما لم تخرج تبقى على حكمها الذي فيه من العموم، وهذه منها؛ بمعنى أنك تخرج بغير إذن والديك في الجهاد الواجب لما قاله أهل العلم، لكن هذا لا يعني أن تُسقط برهما في الزيارة لهما، وفي برهما بالإحسان إليهما، وفي الذهاب وتقبيل

أيديهما، وتقبيل رأس الوالدين وما شابه ذلك من الإجابة لهما بالبر والإحسان والعطاء والأدب والخلق والكلمة الطيبة، فهذا يُخاف على هؤلاء أنهم إذا استشهدوا أن يفوتهم حقٌ عظيم بتقصيرهم بحقوق آبائهم وأمهاتهم.

فالواجب على هؤلاء أمرٌ عظيم، ولا شك الجهاد كما ترون ليس على دوام القتال، فإنه تُعطى للمجاهدين أوقات فراغ يفرغون لأنفسهم، لزيارة أهلهم، وللقيام ببعض شؤونهم الحياتية والاجتماعية، فلا يجوز له أن يترك الزيارة؛ لأن هذا من الإجحاف وهذا من الظلم، وهذا من العقوق الشديد.

يعني على ما ذُكر من الأسئلة: «أن والده يبكي شوقًا له؛ فلا يذهب إليه» فهذا لا يجوز، حتى لو كان العذر في أنه يدعوه إلى ترك الجهاد، فلا يطعه، ولكن يقوم ببره.

يعني لو أن رجلاً آذاه والده في كل زيارة في باب، هذا لا يعني أن يسقط زيارته، فالواجب عليه أن يصبر وأن يتحمل وأن يبر والده في الزيارة، ومن هذا ما نحن فيه، فإن الواجب عليه أن يذهب إلى والده ووالدته وأن يبرهما وأن يحسن إليهما وأن يرقق قلوبهما، ونحن رأينا قضية مهمة: رأينا أن والدينا –عندما المرء تدين– أن والده ووالدته وقفا أمامه وصداه لأسباب كثيرة منها اجتماعية ومنها خوف أمني، ومنها، ومنها... إلخ، الناس لهم ظروف...

أحكي لكم قصة: أنا مرة كنت جالسًا عند النوم، جالس من أجل أن أقرأ أذكار النوم –أنفث وأمسح–، فجأة فتح الباب ودخلت أمي ومعها عمي، فقالت: أنظر إليه مجنون، يعني أرادت أن تقبض عليّ متلبسًا بالجرم؛ لتريه كيف أجلس وأقرأ... هكذا أهلنا، وما من أحد منا إلا قد عانى في موضوع أهله في قضية التدين... لكن بالصبر والمثابرة وحسن المعاملة تغيرت النظرة.

أمي مرةً لحقت بي، أول واحد لبست ثوب لأذهب إلى المدرسة فخرجت من البيت لابسًا الثوب والعمامة وأنا في الثانوية، ومررت على أمي وهي جالسة هكذا مع النساء «الجارات»، فربما ضحكن عليّ، فهي المسكينة اغتاظت، هذا ابنها النجيب في المدرسة، كيف يُضحك عليه... فلحقت بي وسط الجبل هكذا صُعدًا، فمسكت الثوب وقدته من أوله إلى آخره، والآن إذا زرتها بالطاقية دون أن ألبس الحطة «الشماغ» تقول لي: أين الشماغ؟ ولو طلبت منها الآن أن ألبس البنطال وأترك الثوب لغضبت، الحياة تتغير، عليك أن تصبر، على الشباب أن يُفهّموا من قبل المشايخ، من قبل أصحاب التجارب، بأن البر هو الذي يغيره، بعد ذلك يدفعك

للجهاد، أنت تزوره وتحسن إليه ويراك قد تغيرت، وفي كل زيارة تحضر له هدية وتقبله وتجلس تحت قدميه؛ فحينئذٍ يرى أن أمرك قد تغير، وعندما يرى التصميم بعد ذلك يدعك لله، يتصدق بك لله عز وجل.

أنا قلت لأبي مرة: أنت لك أربعة أولاد، أن تنساني أنا أي دعني لله، أتركني لله، وقد فعل جزاه الله خيرًا.

فعندما يرى الآباء من أبنائهم البر والإحسان تتغير ظروفهم؛ فالمطلوب هو بر هؤلاء، وإياك أن تموت وأنت عاق لوالديك، هذا مما لا يعفى عنه، فحقوق العباد لا تسقط بالشهادة، وأعظم حقوق العباد هو حق الوالدين عليك، أعظم حقوق العباد هو حق الوالدين قبل حق الزوجة وقبل حق الولد، قبل حق الجار وحق الصديق، وحق الدائن... لو أنك تملك قرشًا فكان قد حل وقت دين الدائن بها على هذا القرش، وجاع أبوك واحتاج إليه فالبر أن تقدم هذا المال لأبيك وأن تمنعه من الدائن، هو أولى، فإياك أن تموت وأنت عاق لوالديك.

فأنا أنصح هؤلاء الإخوة وهؤلاء الشباب والأبناء أن يسارعوا فورًا إلى إرضاء والديهم فيما ليس فيه معصية، على ما تقدم ذكره من القواعد، وأن يبقى عنده اليوم واليومين بما هو مفرغ له أو ما يحق له من الإجازة، بأن يجلس عنده وأن يخدمه وأن يقبله وأن يجعله يبتسم ويضحك كما جعله يبكي، وبعد ذلك الله عز وجل يقذف في قلب الأب رضاه عليك مع الإكثار من الدعاء في الليل، الدعاء بأن يغفر الله لوالديه وأن يهدي قلبيهما وو... أن تدعو الله عز وجل لهما وأن تستغفر لهما، فالله يغير القلوب ويحسن إليك، لكن أن تبقى على الصيغة التي ذكرها السائل عن بعض الإخوة فهذه معصية عظيمة، أنت تريد الشهادة فتقابل العذاب، نسأل الله العفو والعافية.

هذا ما أقوله والله تعالى أعلم... وجزاكم الله خيرًا.

١٦١- حكم تعديل الصور وتغيير الألوان

ضمن الجلسة الرابعة عشر، بتاريخ: (**٢٩/٠١/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٩/١٠/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: شيخنا الكريم بارك الله فيكم -وأنتم بارك الله فيكم- لي سؤال عن التعديل على الصورة الفوتوغرافية في برامج الكمبيوتر «الفوتوشوب» وغيره ما هي حدود الجائز وغير الجائز منه؟ مثلاً تغيير الشكل، تغيير الألوان أبيض وأسود، تغيير الإضاءة دمج الصور مع الخلفيات، تغيير الصورة إلى شكل صورة كرتونية... إلخ، سواءً للاستعمال الشخصي كهواية أو للعمل الإعلامي الإسلامي وهو مجال عملي حالياً، رفع الله قدركم وأحسن إليكم وجزاكم الله خيرًا.

جواب الشيخ: وأنتم جزاكم الله خيراً، أنتم تعلمون أن هذا الباب كما يعني أسأل أنه بابٌ لا تنتهي الفنون منه، وكل حالةٍ يعني تحتاج إلى فتوى خاصة بها، يعني مثال: أن تتغير الصورة مثلاً بتغيير الأنف، تكبير الأنف، الاستهزاء به بتكبير الأذنين، مثلاً: كما وضع بعضهم لي صورة مركبة على كلب، فهذا كله من تغيير بخلق الله عز وجل ومن السب واللعن والافتراء، وهو فيه الإيذاء؛ فكأنك سببته، يعني بدلا أن تقول له أنت كذا، فالصورة تقول أنت كذا، مثلاً: تركيب صورة حيوان عليك أو أذني حمار أو كذا فأنت سببته، فمثل هذا الجانب لا يجوز قطعاً ومحرم وافتراء على الله عز وجل وعلى ما فيه من قضية يقال له: أخلق ما صورت.

أما مثلاً: الجانب الذي سألت عنه كجانب وضع الصورة الخلفية، تركيب الصورة مثلاً لخطيبٍ يتكلم وصور أخرى تبيّن شبيه مما يتكلم كأن تجمع الصور طبيعية، أو صور حقيقية لمظاهرات، أو لمجاهدين، أو لزراع، أو لصناع.. هذه صور جائزة ما فيها حرج لمثل هذا الأمر.

موضوع مثلاً: ما سألته عنه موضوع الإضاءة، أن تقوى الإضاءة أو أن تظلل من أجل إعطاء معاني فيها جمالية؛ فلا بأس في هذا وليس فيه شيء.

يعني هذا الجانب -مع أن السؤال طويل ويحتاج إلى بسط- ولكن لو أن الأخ مثلاً: ذكر ما يحتاجه من الأمور فقدم بها أسئلة فتجاب كل حالةٍ على حدة، لكن على الجملة القاعدة في أن تغيير خلق الله عز وجل لا

يجوز تغيير للخلقة، ومن ذلك تغيير الخلقة مثلاً: ما يصنعه المصورون من تجميل الصورة على غير حقيقتها، يعني شيخ أو امرأة مثلاً: تُنحف لإعطاء جماليات كما يفعل أصحاب الفسق والفجور من تجميل الصورة حتى تصاب النساء اللواتي ينظرن إليها بالغيرة والجنون، أنه كيف هذه جميلة مع أنه لو رؤية هذه المرأة على حقيقتها لما رأوا فيها مثل هذا الجمال في الصورة، هذا تغيير للخلقة، تغيير خلق الله، وهذا أعظم من قضية أن تنتف المرأة حواجبها جمالاً أو أن تفرق بين أسنانها طلباً للجمال، هذا أشد وأسوأ، والمعنى فيه أظهر وأقوى وهو من قياس الأولى.

مثلاً: أن تركب صورة لرجل بعضلات وغير ذلك، هذه لا تجوز، كل هذه لا تجوز تركيب هذه الصور بهذا المعنى، أما الصور التي تخص التجميل لما يخص الصورة جملةً أن توضع لتكون معبرة عن حالة أو رسالة لقضية، فهذا الأمر بهذا المعنى يعني ما ذكرنا من قضية صورة تدمج مع صور أو توضع صور خلفية؛ فهذه لا بأس بها، لا حرج في هذا الأمر، يعني هاتان قاعدتان يصلح الارتكاء والارتكاز عليهما في كثيرٍ من الأمور والبقية إن شاء الله إذا كان هناك ثمة شيءٌ مُشكل يعاد إليه وينظر إليه نظر إن شاء الله التحقيق ويجاب عنه.

والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين.

١٦٢- نريد من فضيلتكم تقديم سلسلة عن أشراط الساعة

ضمن الجلسة الرابعة عشر، بتاريخ: (**٢٩/٠١/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٩/١٠/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: نريد من فضيلتكم -جزاكم الله خيراً- تقديم سلسلةٍ في أشراط الساعة، وتكون قراءةً للواقع.

جواب الشيخ: نسأل الله أن يوفق.

يعني: الواقع سيكون أسرع من كلامي.. بارك الله فيكم، إن شاء الله سأحاول.. سأحاول ذلك، وأحاول أن أجيب مرات خلال الدروس شيئاً من هذا، ولكن لا شك أن قراءة الواقع من خلال الكتاب والسنة والاستشراف، هو علمٌ إيماني، قراءة الواقع كما هو ومعرفة مرتبته من الشريعة وحكم الشريعة فيه واستشراف المستقبل؛ هو من علوم الإيمان، وما نحتاجه هذه الأيام، إزالةً لليأس وتحقيقًا قلبيًا وعلميًا للوعود الربانية القادمة.

والله هذا الموضوع مهم، وأرجو من الله عز وجل أن يوفقني إليه، وهناك مشايخ بلا شك قد كتبوا أشياء كثيرة طيبة ولهم السبق فيه، فبارك الله فيهم وأسأل الله أن يجعلنا على خطاهم في هذا الباب.

والحمد لله رب العالمين.

١٦٣- الفرق بين القاعدة الأصولية والقاعدة الفقهية

ضمن الجلسة الخامسة عشر، بتاريخ: (**١٤/٠٢/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٣/١١/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل أحد الإخوة يقول: ما الفرق بين القاعدة الفقهية والقاعدة الأصولية؟

جواب الشيخ: هذا سؤال أصولي وقد شُرح كثيرًا من قبل أهل العلم، وقد شرحت شيئًا منه ربما في لقاءاتٍ سابقة في مواضيع علمية، ربما شرحته في شرح «الموافقات» عرجت عليه بما يناسب لأنه ليس مطروحًا كمسألة يُبحث فيها بخصوصها والتوسع فيها.

ولكن على الجملة بما يناسب الجواب هنا، وإن كنت رأيت لبعضهم جهالات في الردود ولا أريد أن أقف عندها؛ لأن الكثير من المتصيدين يأتي إلى الكلام على غير سياقه ويريد أن يحمله على سياقه الخاص به، وهذا أصلاً هو مناقض للبلاغة مناقض للنية الحسنة، فقد قال أهل البلاغة كما ذكر الطيبي ونقله عنه ابن حجر في «فتح الباري»: أنه الدين والعلم والبلاغة أن يُجرى الكلام على سياق ما قاله المتكلم، ولا تضع عليه أنت القيود التي تريد، ولا تجبر القائل أن يمشي في السياق الذي تريده، إذا كان هو في نفسه يريد أن يمشي في سياقٍ علمي آخر، لا أتكلم عن الصواب والخطأ ولكن أتكلم عن سياق الحديث.

هناك أخطاء في نفوس بعض الجالسين تصل إلى درجة الصبيانية، ولا بأس أن أعرج على هذه المسألة لأنها تربوية في سماعك تربوية في قراءتك، البعض يجلس أمام المتكلم فلا يهمه إلا أن يسمع إلا ما يريد، وأنا عانيت من هؤلاء يعني يكون الجالس أمامك يسألك سؤالاً فأنت تفهم من السؤال شيئًا ما فتجيب، وهو يفهم عليك أنك قد أصبت مراده، لكن هناك آخر جالس ويريد منك أن تتكلم عن موضوعٍ آخر ويراك تجمل فيه لأنه ليس هو البحث؛ فهو يعيب عليك أنك كيف أجملت في هذا الكلام وفصلت في هذا؟! أنت لست السائل، لو كنت السائل لقيدت المسؤول بأن يجيبك على ما تريد، ولكن أنت مستمع لسؤاله، فلا ينبغي لك أن تتدخل بين السائل وبين المسؤول في توجيه ماذا تريد من المواضيع، أنا لا أتكلم عن الصواب والخطأ أتكلم عن توجيه المواضيع.

كذلك المرء يُنشئ مسائل علمية فينقدح في ذهنه أن يشرح هذه المسألة، فيأتي آخر فيقول: لماذا هذه المسألة دون هذه المسألة، هذا للأسف مما يقع من المعترضين كثيرًا في هذا الباب.

الذي عليه العلماء وهذه المسألة ليست إبداعية الفرق بين القاعدة الأصولية والقاعدة الفقهية ليست إبداعية؛ بمعنى أنها ليست بِكر من المسائل بحيث يخوض فيها فلان مثلي أو علان، هذه موجودة في كلام أهل العلم القدماء وفي كتب الأقدمين فلا ضرورة للغط حولها في البحث.

وبلا شك أن القاعدة الأصولية تكون قبل الفتوى وتنشأ قبل الفتوى، من أين جاءت؟ جاءت من مصادر أصول الفقه، ماهي مصادر أصول الفقه؟ هذه تحتاج إلى كتاب وإن كان العلماء قد مروا عليها مرورًا ذكرها الآمدي في «الإحكام» وأظن هو من أول عرج عليها هذا التعريج وإن ذُكرت في كتبٍ أخرى، وموجودة في كتبٍ أخرى، وأن أصول الفقه عندهم مستمدة من اللغة العربية أو مستمدة من علم الكلام ومستمدة من الشريعة الإسلامية من طريقة فقه الصحابة رضي الله عنهم في الضبط.

فإذن القاعدة الأصولية هي: كيف فهم العالم اللغة، كيف فهم إجراء الصحابة في الفقه، وكيف فهم علم الكلام؛ لأنهم جعلوا علم الكلام شرطًا للأصولي، تعلمون أن أغلب العلم كما ذكر ذلك العلماء وأظن أن الغزالي هو ممن شهر هذا الأمر وهو أنهم أدخلوا علم الكلام في أصول الفقه، وهذه تكلمت عنها في مواطن متعددة، أنهم جعلوا علم الكلام شرطًا للأصولي، شرطًا لتمكن الأصولي في هذا العلم، ولا شك أن هذا ليس من الحق في شيء؛ لأن المقصود بعلم الكلام العلم الصناعي ولو قصد به العقل الفطري؛ لاتفق الناس عليه ولا خلاف، ولكن لما أدخل الأصوليون علم الكلام بمعنى المنطق الأرسطي في علم الأصول؛ ففسد وصار هناك كثير من المباحث لا علاقة لها بالأصول، وقد أشار إلى ذلك الغزالي في «المستصفى»: أن كثيرًا من مباني مسائل علم الأصول في كتب الأصول ليست لها قيمة وهي ثانوية على علم الأصول، وقد أشار إلى ذلك الشاطبي في «الموافقات» وشرحت ذلك موسعًا في بابه.

إذن القاعدة الأصولية تسبق الفتوى وتُضبط بها الفتوى، ومثال ذلك: -والأمثلة كثيرة في القواعد الأصولية ومن الصعب أن نستقصيها في جلسةٍ واحدة- مثال ذلك: «حمل المطلق على المقيد»، هل يحمل المطلق على المقيد مطلقًا؟ أم يحمل إذا اتحد الحكم مع اختلاف السبب وهكذا؟ هذه مسألة العلماء على خلاف فيها:

– عالمٌ يقول: بحمل المطلق على المقيد مطلقًا.

– وعالمٌ لا يرى البتة كما هو شأن ابن حزم أنه لا يحمل المطلق على المقيد أبدًا سواء اتحد الحكم أو اتحد السبب، فلا يرى ذلك.

– وبعض أهل العلم يفصل، يقول: يحمل المطلق على المقيد إذا اتحد الحكم وإن اختلف السبب وهكذا.

فهذه قاعدةٌ أصولية يضبط فيها الفقيه حكمه، كيف؟ لو جاء الفقيه إلى حكم الظهار؛ فإن القرآن الكريم لم يذكر شرط الرقبة المعتقة من أجل كفارة الظهار، فالحكم هو أن يُعتق رقبة، لكن في القتل الخطأ اشترط القرآن أن تكون الرقبة مؤمنة، فهل يحمل المطلق على المقيد لاتحاد الحكم -هنا رقبة وهنا رقبة- مع اختلاف السبب، السبب هنا ظهار والسبب هنا القتل؟ فهل يحمل المطلق على المقيد؟ بعض العلماء قال: نعم، يحمل المطلق على المقيد، وهذا قول الشافعي رحمه الله وبسطه بسطًا طويلاً في كتابه في «الأم» ذكره طويلاً وتوسع فيه، فهذه قاعدة أصولية ضبطت فقه الفقيه في هذه المسالة.

كذلك من المسائل والقواعد الأصولية -وهي كثيرة جدًا-: «إذا نشأ الاحتمال بطل الاستدلال»، وجود الاحتمال يسقط الاستدلال «تعليق الحكم على المشتق يؤذن بعلية الاشتقاق» هذه من أين جاءت؟ جاءت إما من اللغة العربية أنه فهمها أن اللغة العربية تفيد هذا أم لا، قضية الخاص والعام «العموم على عموم مالم يأتي ما يخصصه»، طيب العام يفيد اليقين أم يفيد الظن أم أن الخاص هو الذي يفيد اليقين ولا يفيد الظن أو يفيد اليقين والظن؟ هذا خلاف أصولي بين الجمهور وبين الأحناف، الأحناف يرون العام يقيني أقوى قطعي، والخاص ظني؛ ولذلك عندهم الخاص لا يقوى على تقييد العام إلا إذا كان في مرتبته في الإثبات، ومن هنا تركوا كثيرًا من الأحاديث التي رأوها أنها لا تقوى على النسخ الذي هو عندهم، أن الخاص لا يكون مقارنًا فإذا تأخر سمي عندهم نسخًا، هذه من المسائل الأصولية أدت إلى هذا الخلاف في الفقه.

فالقواعد الأصولية: هذا مسلك نشوئها وهذا عملها.

القاعدة الفقهية: تنشأ بعد الفقه عندما نعرف الأحكام، القاعدة الأصولية قبل أن نعرف الحكم، هل شرط الرقبة في كفارة الظهار هل مؤمنة أم غير مؤمنة؟ هل حديث النبي صل الله عليه وسلم (**لا يُقتل مؤمنٌ بكافر**)

هل نخصص به الآية في قضية النفس بالنفس والعين بالعين، فهل تخصص أم لا تخصص؟ فهذه إذن ضبطت لنا الفقه، وكانت قبل أن نخرج بالحكم.

لكن القاعدة الفقهية شأنها أنه بعد نشوء الحكم نرى خيطًا متصلاً كقاسمٍ مشترك بين هذه المسائل المتعددة، فحين إذن تنشأ القاعدة الفقهية بعد الفقه لا قبله، حين نرى أن هذه القاعدة مطّردة في أفرادها فتخرج لنا هذه القاعدة الفقهية فإذن هي قاعدة فقهية، قاعدة أصولية أخذناها باعتبار علم الأصول، كيف تكون؟ تكون قبل الفقه؛ نستخدم علم الأصول من أجل أن نعرف الحكم الشرعي، القاعدة الفقهية بعد أن عرفنا الفقه أي الأحكام رأينا قاسمًا مشتركًا في الأحكام؛ فنتج لنا هذه القاعدة.

مثلاً: «المشقة تجلب التيسير» هي قاعدةٌ كذلك أصولية؛ بمعنى أن الفقيه يستخدمها من أجل أن يعرف الحكم؛ لكنها بهذا الاعتبار تكون كل قاعدة فقهية قاعدة أصولية بهذا الاعتبار، بمعنى -وهذا سآتي إليه الفرق بينهما- «المشقة تجلب التيسير» يعني يقول: أنت لا تستخدم هذه كقاعدة أصولية في استنتاج حكم لو أن رجلاً جاءك وقد حصلت عنده مشقة شرعية بضابطها الشرعي، ألا يؤدي بك بحكم ميسر عليه توافق عسره الذي تلبس به؟ الجواب: نعم، بهذا الاعتبار هي قاعدة أصولية، ولكن هذه القاعدة الأصولية نتجت لا قبل الفقه ولكن نتجت بعد الفقه.

من أين أتينا بقاعدة «المشقة تجلب التيسير»؟ أتينا بها من نظرنا إلى مجموع المفردات التي قالها الشارع، رأينا ان الشارع في السفر لما كانت المشقة في السفر قصر الصلاة وأذِن بالجمع، وأن الشارع لما سافر الصائم أجاز له أن يفطر، رأينا الشارع لما مرض أجاز له أن يجلس ويصلي جالسًا في الفريضة؛ فرأينا الفقه مع ذلك، فحين نشأت هذه القاعدة الفقهية نشأت من خلال النصوص، فهل يجوز أن نعملها فيما غاب عنه النص؟ الجواب: نعم، نعملها، ولكن لا بد -هنا الفرق- لا بد من أخذ من كلام الأصوليين بأن القاعدة الفقهية لا يجوز أن يحتج بها في الاجتهاد.

ارجعوا إلى كتب القواعد الفقهية التي تتحدث عن القواعد الفقهية أوسع في شرح «مجلة الأحكام العدلية»، وهناك كتب لوالد الشيخ الزرقا عليه رحمة الله، وهناك كتاب للندوي ومنها الكتب المعاصرة ومنها الكتب القديمة في هذا، فهناك كتاب الإمام ابن رجب من القواعد الفقهية؛ بمعنى أنه نظر إلى قواسم مسائل أحمد، فقال: بهذه

القواعد وتعددت، وهي أوسع مما هي مجموعة لضابط الفقه الكلي الذي قاله ابن رجب في قواعده الفقهية: هو النظر إلى القواعد بحسب أفرادها، هناك قواعد للصلاة هناك قواعد للصيام، ولكن القواعد الفقهية الكبرى تدخل فيها الأفراد من كل الجهات ومن كل المسائل.

القاعدة الأصولية: لا يمكن، مثلاً: «العموم على عمومه حتى يأتي ما يخصصه»، ما هو العموم؟ يقال: العموم لا يصح في الأفعال، العموم لا ينتج من الفعل، العموم لا ينتج إلا من القول، هذه قاعدة أصولية، بمعنى أن الأفعال لا يجوز أن تستنتج منها عمومًا يعمم على أمثاله فيما يدخل فيه، هذه قاعدة أصولية، الآن القاعدة الأصولية تعملها ولا يوجد أحد من أهل العلم قال: هذه القاعدة لا تعمل، ولكن في خلاف بين القواعد الأصولية، خلاف بين أهل العلم، هذا يقول في المسألة الأصولية كذا، في مسائل أصولية مختلف فيها كثيرًا، وعلى هذا يوجد من كتب كتابًا في أثر الاختلاف في القواعد الأصولية في الفقه، كيف أن الخلاف في القواعد الأصولية أنتج خلافًا في الأحكام، هذه موجودة، كما الخلاف في شروط الحديث الصحيح بين الفقهاء –وحتى بين المحدثين– بين الفقهاء لنقتصر على هذا الخلاف في الحديث وصحته ينتج فقهًا مختلفًا، الحديث الضعيف يؤخذ به أو لا يؤخذ؟ الحديث المرسل يؤخذ به أو لا يؤخذ.

إذن الخلاف في قبول الحديث ورده أنتج فقهًا مختلفًا، هذه القاعدة الأصولية.

أما القاعدة الفقهية: ثبتت بمجموع أفراد الفقه فرأيناها قاسمًا مشتركًا لمجموع الشريعة أو لبعض مسائلها على أساس ما ذكرناه من الفرق بين القواعد الفقهية الكلية والقواعد الفقهية الجزئية الخاصة بمسائل خاصة بها.

الآن يأتي أحد ويقول: كل القواعد الفقهية تصلح أصولاً، نقول: لكن الفرق بينهما أن القاعدة الفقهية هي إذا احتجنا إليها مع عدم وجود الدليل الفرعي لها –انتبه ما الفرق– هي دليل الحكم، وهذا الذي جهله المعترض مرةً من المرات.

القاعدة الفقهية الأصل لا يجوز الاحتجاج بها، ليست هي الدليل، الدليل يجب الذهاب إلى الدليل الفرعي الخاص بالمسألة وتضبط بعد ذلك بالكليات، هذه طريقة الكبار من العلماء كما قرر ذلك الشاطبي وغيره؛ أنه لا بد من النظر إلى الدليل الخاص بالمسألة لنعرف الحكم مع ضبط القاعدة الكلية لهذا الدليل الخاص، لا بد من النظر إلى واقعها، لا بد من النظر إلى احوالها، لا بد من النظر إلى موانعها، لا بد من النظر إلى شروطها.

القاعدة الفقهية «المشقة تجلب التيسير» هذه تُنتج حكمًا عند غياب الفرع الخاص بالمسألة، تُنتج حكمًا وهي بالأصل أن تستبعد بالابتداء، هذه ليست آلية لاستنباط الحكم من الدليل.

يا قوم القاعدة الأصولية ندخل فيها الدليل من أجل أن نعرف أنه يقبل هذا الدليل أو لا يقبل، هذا الدليل يُنتج حكمًا بالوجوب أو حكمًا بالاستحباب، يعني القاعدة «الأمر تفيد الوجوب إلا عند وجود قرينة» هذه قاعدة أصولية، إذن عندنا أمر، عندنا نص هو الذي نريد حكمه، أدخلناه في هذه القاعدة الأصولية أخرج لنا حكمًا، أما القاعدة الفقهية ليست كذلك القاعدة الفقهية هي التي تُنشئ الحكم عند غياب الفرع، عند غياب النص الخاص بالدليل، فنَظروا فوجدوا أن القاعدة الفقهية هي قاعدة أصولية، بمعنى أنها تكون قبل الدليل إذا غاب الدليل الفرعي لهذه المسألة، لكن على أية جهة؟ هل هي كآلة استنباط؟ كآلةٍ تُنتج حكمًا؟ أو كآلة نضع فيها الحكم فتخرج لنا الحكم الذي هو في ظننا واجتهادنا أنه الحق؟ هذا الفرق بينهما لمن يريد أن يعرف المسألة من جهة العلم فيها.

فختام الأمر القاعدة الأصولية هي قاعدةٌ ما قبل الحكم تنتجها اللغة، يُنتجها معرفة كيف تعامل الصحابة رضي الله عنهم، يعني الصحابة رضي الله عنهم تعاملوا مع العموم، ارجعوا إلى كتاب «الفقيه والمتفقه» للخطيب البغدادي هو من أفضل كتب الأصول؛ بيّن لنا كيف أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يعملون العام قبل معرفتهم بالخاص فإذا جاء الخاص أخرجوه، وهكذا، يبدأ الاحتجاج في هذا الباب من جهة اللغة، من جهة طرق إعمال الصحابة رضي الله عنهم، مع استبعاد علم الكلام على ما قالوه.

أما القاعدة الفقهية فهي القاسم المشترك بعد معرفة الحكم الذي ينتظم هذه الأحكام جميعًا فتُخرج لنا هذه القاعدة الفقهية.

والقاعدة الأصولية واجب أن نستخدمها من أجل معرفة الحكم الشرعي إذا وجدت الضرورة لها والقاعدة الفقهية لا تصلح دليلاً للفقه إلا عند غياب النص الخاص بالمسألة.

والله تعالى أعلم وجزاكم الله خيرًا.

١٦٤- علاج العشق

ضمن الجلسة الخامسة عشر، بتاريخ: (١٤/٠٢/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٣/١١/٢٠١٧م)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يقول الأخ السائل حفظه الله: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته -وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته- شيخنا الحبيب آسف على السؤال -لا تتأسف أي سؤالٍ فيه خير- لكن شخص سقط في الهوى «العشق» ما هو الحل لترك هذا المرض؟ شيخنا الطيب أرجو منك ذكر أضرار ومصائب العشق وطريقة العلاج منه أفيدونا بارك الله فيكم.

جواب الشيخ: أول شيء لا يتعجبن أحد من هذا السؤال، فهذا من الأسئلة القديمة والعلماء تكلموا فيها، «روضة المحبين» هو في مداورات العشق.

العشق كالخمر أو كالمخدرات يمكن للمرء أن يتقيها فلا يدخل فيها عند الابتداء، ولكنه إذا وصل إلى مرحلة العشق الذي يسميه هذا الرجل فحينئذٍ علاجه يحتاج إلى ما يحتاجه المدمن على المخدرات تمامًا، ولا شك أن العشق مرض ولا يصح في فضله شيء، وحديث «من عشق فعف فمات مات شهيداً» هذا لا يصح يعني هذا كلام بعيد عن الشريعة.

ولكن الحب ولا شك أنه يقع في القلوب، والنبي صل الله عليه وسلم لم ينهى عنه، المعروف أن بريرة رضي الله عنها زوجها مغيث أحبها وكان كلاهما في الرق فلما أعتقت بمكاتبة أمنا عائشة رضي الله عنها، خُيرت بين أن تبقى تحت زوجها الرقيق العبد أو أن تطلقه؛ لأنه يجوز للآمة إن أصبحت حرة أن تطلق زوجها أو أن تخلعه، فرضيت أن تخلعه، فكان يمشي وراءها في أزقة المدينة ويبكي، فقال النبي صل الله عليه وسلم: **(يعجب من كره بريرة لمغيث وحب مغيث لبريرة)**، فيمكن هذا أن يقع الحب على هذا المعنى؛ يعني رجل يحب امرأة ويتعلق بها، ولكن المتفق عليه أن هذا ليس هو الفطرة، وأن الحب يمكن للمرء أن ينخلع منه، لكنه قد يصل إلى درجة من الحالة المرضية الذي يتلبس به المرء كما يتلبس المرء بالمخدرات تمامًا.

أن يحب الرجل زوجته أن يحب امرأةً ليتزوجها فهذا يقع ولا ننكره وهو أمرٌ فطري، كان النبي صل الله عليه

وسلم إذا سأل أي الناس أحب إليك، قال: (**عائشة**)، فيحبها، زوجته يحبها، ومعروف أن عبد الرحمن بن أبي بكر أحب زوجته وبقي عندها، يعني ما من زوج لا يحب زوجته على معنى، والقصص كثيرة في حب بعض الأزواج لنسائهن أو حب النساء لأزواجهن كما كان في حب بعضهن في التاريخ موجود هذا بكثرة.

نرجع لموضوعنا علميًا ما هو المطلوب؟

المطلوب: لا يُنهى عن هذا الحب الفطري، أن يرغب الرجل بامرأةٍ على معنى من معاني الحب لها؛ فهذا لا يُنهى عنه، ولكن يجب أن يعالجه بالطريق الصحيح وهو الزواج، فإن كانت محرمة عليه مثلاً: أن تكون صاحبة زوج، المرأة أن يكون لها بعل فلا يجوز له أن يتابع عليه أن يقطع الأمل وينهيه وينصرف لشأنه، ويمكن في بداية الأمر ولو رغب بها، يمكن أن ينعتق منها، لأن هذا الأمر يمكن أن يخرج منه، ولكن إذا تتابع التعلق والتفكر والنظر والحديث؛ حينئذٍ يصل إلى درجة مجنون ليلى، يصل إذا تتابع إلى درجة المجنون أن يتعلق بها بحيث يصبح مريض، كما مرض البدن يصبح الخروج منه يكاد يكون مستحيلاً وإن كان جائزاً، وسأتكلم في كيفية الخروج من العشق هذا الذي يصل إلى درجة المرض.

إذن ابتداءً يبدأ النظر، ويمكن الرجل ينظر إلى امرأة فتعجبه، وبعد ذلك يمتثل للشارع فالنظرة الأولى له والنظرة الثانية عليه؛ فيصرف نظره ثم تأتيه الحياة وتصرفه، وربما بعد شهور يتذكر أنه رأى امرأة أعجبته ثم تأتيه الحياة ويمشي وهكذا، فيبقى ذاكرًا لمن أعجبته من غير تعلقٍ بها ومن غير اهتمامٍ بشأنها.

لكن رأى رجلٌ امرأة فأعجبته، فبعد ذلك ذهب ومشى وراءها، تعلق بها، سألها، هو يريد أن يتزوجها –نتكلم عن الشرع– خلاف الشرع بيّن من مشى وراءها واتُّهم بالمعصية لا نتكلم عنه، هذا زانٍ (**والعين تزني وزناها النظر**)، لكن الرجل يريد أن يتزوجها مشى وراءها، علم أن لها زوج أنها ذات بعل، فما المطلوب منه؟

المطلوب: خلاص يمشي لحياته ويتركها وينسى، إذا تعلق قلبه بها تعلقًا يسيرًا فيستطيع أن يصرفه، –العشق عندي كشرب المخدرات– أخذ القليل من المخدرات فهو مع ذلك مازال في عقله ومشى وتركها، وتبقى ربما أمنيةً في قلبه إذا جاء ذكر الجمال تذكرها، ثم ينصرف لحياته ولا يهتم لها ولا يقيم لها شأن ولا يتعقب هذه المرأة أين هي وأين سكنت وأين ذهبت وكيف يلتقي بها وكيف يتحدث إليها، ربما تبقى في قلبه وربما يطويها النسيان

فلا يبقى لها أثر في قلبه، طيب هذه حالة.

والبعض يراها فيمشي وراءها ويعلم أن لها زوج ويبقى متعلقًا بها، وبعد ذلك يأتي كل يوم باب البيت من أجل أن يراها عندما تخرج لحاجتها وتخرج لكذا، وينظر ويتعلق قلبه بها وحينئذٍ يبدأ بالانزلاق، بالانزلاق بالتعلق بها لدرجة أن تملك عليه قلبه؛ فيمرض إن لم يرها كما يمرض شارب المخدرات، بدأ يشرب قليلاً، قليلاً، حتى أدمن، بعد ذلك إذا ذهبت عنه المخدرات وذهبت عنه رؤية هذه المرأة؛ أصيب بالمرض وبدأ يصرع وبدأ يضطرب وتضطرب نفسه إن لم يرها، إن لم يشرب هذه المخدرات، هذا المرض، حينئذٍ يصاب بالعشق، الفقهاء اختلفوا إذا قَتل وهو سكران هل يُقتل؟ إذا طلق وهو سكران مع أن بدايته كانت معصية منه، هذا الرجل قد عصا الله في متابعته، لكن حين تلبس بهذا العشق صار مجنونًا، العشق جنون، العشق مرضٌ نفسي يصيب كما تصيب المخدرات، والمخدرات نوع من تغييب العقل وهو نوع من أنواع الجنون فهل نعاقبه بذلك ماذا نصنع له؟

باختصار، ما هي الطريقة في العلاج؟ كيف نعالج صاحب المخدرات؟ ما هي الطريقة الْمُثلى لمعالجة شارب المخدرات؟ لا يوجد سوى طريقة واحدة فقط، أن نأخذه فنعزله عن المخدرات قليلاً، قليلاً، نأخذه فنحبسه، كما نفعل في الجلالة، الجلالة: هي الدابة التي تأكل العذرة، فلحمها يزنخ ويتسخ وتصبح له رائحة قبيحة؛ فنأخذ هذه الجلالة فنحبسها ونطعمها الطعام الطيب حتى يصفو لحمها فيصبح طيبًا، وهكذا هذا الرجل الذي يشرب المخدرات نأخذه، المخدرات في بدنه وحالته تكون سيئة فحين نأخذه نعالجه قليلاً، قليلاً حتى يشفى، هذه هي الطريقة الوحيدة، فالطريقة لمعالجة العشق إما إن نزوجه إياها وعلى قاعدة القدماء «إذا نكح الحب فسد»، أي العشق.

يقول الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله: لو أن مجنون ليلى تزوج ليلى لما ذُكر في الكتب وانتهى أمره، «إذا نكح الحب فسد».

فالمعنى أن الرجل يتعلق بامرأة فيرها شيئًا من المثال العظيم ويراها الصورة التي لم تجُد السماء بمثلها فإذا تزوجها وإذا هي بامرأة عادية كبقية النساء ليس فيها الشيء المتميز، ومشاكل الحياة والولادة وتغير الحياة يقوم الصبح -هو كان يراها جميلة- فيقوم الصبح يراها مشعثة الرأس وفي المطبخ تشتغل وتحلب الإبل وتمرض وتذهب بيت الخلاء، فحينئذٍ هو يعرف أنه يتعامل مع بشرٍ حقيقي من لحمٍ ودم، وليس مع مثالٍ وخيالٍ وصورة.

القصد من هذا: أن هذا الأمر الذي نطلبه، أن على المرء العاقل أولاً -نعم هناك أناس من المرضى لو رأى صورة تعلق بها فهذا علينا أن نفصله أن نبعده فورًا وهو إذا كان عاقلاً ومتديني نفسي يبتعد، وأما العاقل الذي ليس له تعلق ويخاف هذا الأمر فلينهيه من أوله كما ذكرنا، هو يريد أن يتزوج، نعم يذهب ويطلب هذه البنت ويتزوجها، فإذا تزوجها انتهى الأمر وحلت هذه المشكلة.

وما يسمى قديمًا بالحب العذري ورحم الله الشيخ عبد الله عزام قالها لنا ونحن في الجامعة، قال: هذا ليس حب عُذري هذا حب عَذَرة -العذرة تعرفونها- قال: هذا حبٌ قبيح.

فالقصد: هذا الحب كله نشأ لماذا؟ لعدم النِكاح لو أنه المحب هذا قيس الرقيات أو جميل بثينة تزوج كل واحدٍ ممن يحب لما كتب فيها شعرًا ولذلك بعضهم -لا بأس نستطرد قليلاً في هذا الباب- بعضهم كان يتمنى الحب ليكتب كلاماً جميلاً.

الأستاذ محمد قطب في كتابه عن الفن الإسلامي قال كلامًا جيداً - لا بأس، لا بأس، هذه جوانب المشايخ يهربون منها، ويتكلم بها للأسف غير المسلمين فيقصدوا مقاتل ويعالجوها معالجةً جاهلية- أذكر الأمرين، أمر الرافعي وأمر محمد قطب، الأستاذ محمد قطب في كتابه عن الفن الإسلامي قال: لماذا الفن غير الملتزم يُنتج -وذكر تجربةً عن نفسه- يُنتج أدباً وشعراً فيه ما يحب السامع؟ قال: لأن المعاناة تصنع نوعاً من الأدب لا يصنعه الاطمئنان، فقال: غير المسلم يعيش اضطرابًا.

يعني أنت لو تقرأ لكافكا، هذا المريض النفسي نيتشه عندما يتكلم -وهذا كتابٌ كبير وأنا مدحته عدة مرات في «فن القراءة» ثم أمسح، لما أرجع إلى الأصل لما ذكرت جبران وتعلق جبران بنيتشه وقلت أكثر من مرة: ومن يقرأ لنيتشه «هكذا تكلم زردشت» ولا يفتن، هؤلاء المرضى عندما يتكلمون لكلامهم شيء من الغرابة والعجب يحبه القارئ؛ فقال محمد قطب رحمة الله عليه وقد نصح في كتابه «منهج الفن الإسلامي» كثيراً، فقال هذه النقطة: إن غير المسلم وغير المتدين يعيش اضطرابات من الحب والعشق وغيرها والتعلق وو... الاضطرابات، فإذا كتبها؛ خرجت هذه الكتابة على معنى من الجمال يحبه الناس، بخلاف المطمئن ماذا ستكتب عن حالة العشق مع زوجتك، لو كتبتها ستكون هادئة، الكتابة الأخرى تكون كموج البحر عاصفة تكون كالزوابع، فبعض الناس يحبها ويرغب فيها، ولكن لو تكلمت عن الحب الآخر ترى حُبًا هادئًا ليس فيه

العواصف، ليس فيه الاضطرابات، ليس فيه الشوق، ليس فيه التعلق، إلا إذا سجن الزوج أو غاب أو اغترب فحينئذٍ يبدأ هذا الاضطراب ويدفع الكاتب الأديب إلى كتابةٍ هذا المعنى الذي يحبه البعض.

فمن هنا يبرز هذا النوع من الكتابة في عالم غير المسلمين أكثر من المسلمين، وبعض الناس يحبه يريد هذا النوع من التعلق، فأنت لو تكلمت عن عشق رجلٍ لزوجته ربما لا تثير الانتباه، ولكن لو تكلمت عن عشق رجلٍ لامرأةٍ غريبة وتعلق بها وماذا كان يصنع، قيل لرؤية مجنون ليلى يقبل عين كلب، فقال له: ماذا؟ قال: رأيت في عيني الكلب شيئًا يشبه شيئًا في عيني ليلى، فهذا كما ترى قصة أثارت الانتباه والتلذذ الذهني فيها، فهذا الجانب نفس الجانب ذكره على معنى آخر سعيد العريان عن حياة الرافعي، وهذه عجيبة -لا بأس هذا ربما أفرغ له في شرحٍ عن الأدباء وكيفية تدينهم- يعني مصطفى صادق الرافعي عندنا هو صوت الإسلام العظيم في ميدان الأدب وصوت القرآن وصوت الحديث، ولكن في الجانب الآخر الجانب الأدبي، فكانت زوجة مصطفى صادق الرافعي هي ابنة البرقوقي وهو الذي شرح ديوان المتنبي، يقول -أنا أذكر القصة وأنا أصدق سعيد العريان ليس بكاذب ولم يتهمه أحد بالكذب حتى أبناء الرافعي لم يتهموه في مثل هذه الأمور الشخصية- فقال سعيد العريان في ذكره لطريقة الرافعي: أنه كان يستأذن زوجته في مراسلة حبيبةٍ له لينفعل انفعال المحب على المعنى الذي ذكرناه -المرضي- من أجل أن يكتب في الحب، ولا شك أن هذا غير شرعي نحن نتكلم عن جانب حياتي موجود.

فلذلك مثلاً: «أوراق الورد» وغيرها فيها هذه المعاني التي كان يتخيلها على خصومةٍ كبيرة بينه وبين العقاد وبينه وبين أتباع جبران ما الذي كانت تحبه مي زيادة، أعجب كيف يحبون هذه المرأة حتى هي غير جميلة عندي مي زيادة أو ماري اسمها الحقيقي التي ماتت مجنونة أو مختلة العقل، كان لها صالون فيتردد عليها الأدباء وكل واحدٍ يظن أنها تحبه دون الآخر، وكان التنازع هل تحب العقاد؟! ولا أدري كيف تحب العقاد هذا...، والرافعي يقول: تحبني، ولا أدري كيف تحب الرافعي بهذا الشكل يعني أذنان طويلتان ولا يسمع بهما؟! أتكلم عن جانب شخصي إنساني بعيدًا عن الجوانب الأخرى، فأنا أصدق أنها كانت تحب جبران لبعده عنها ولأنه شاب وغير ذلك.

فإذن هذا الجانب وهو الجانب المضطرب، بعض الناس يعشقه يحبه كما يحب المخدرات لا يحب الجانب

الهادئ يعني هو يريد أن يحب من أجل أن يصنع قصةً، من أجل أن يعيش اضطرابًا، لماذا يشرب المخدرات الذي يشربها؟ لعيش هذه الظروف مع علمه أنها مرضية.

ولذلك في الحقيقة إن العشق مرض وآثمٌ صاحبه بماذا؟ بما سلكه من البدايات من المعاصي لأنه؛ لا يمكن للمرء أن يصل إلى نهايات العشق التي بها يكون المرض -كما ذكرنا- إلا وقد سلك الطرق المحرمة، فلو سلك الطرق الشرعية ما وصل إلى العشق، لو أنه قطع أمله ومشى في حياته وكان سويًا لما وقع في العشق، ولذلك نتكلم عن العشق كما نتكلم عن السكران في بدايته آثم، لكن كثير من الأحكام تسقط عنه في نهايته؛ لغياب عقله، وأرجو أن أكون قد أجبت وجزاكم الله خيراً والحمد لله رب العالمين.

١٦٥- الطب النبوي والتسول باللحية

ضمن الجلسة الخامسة عشر، بتاريخ: (**١٤/٠٢/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٣/١١/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل ويقول: لو تفضلتم لنا بكلمة في الطب النبوي عن فضائله وفوائده وما صُنف فيه، فحاجة الناس إليه تزيد يومًا بعد يوم كما ترون وبارك الله فيكم.

جواب الشيخ: للأمانة لست من أهل هذا الفن، يعني لست متخصصًا وعلمي به ما يعلمه أي طالب علم يقرؤه على جهة من المنشور وليس التخصص.

والطب يقسم إلى أقسام متعددة: منها ما هو متعلقٌ بالنص وهو قليل، أتكلم عن الطب المادي فهو قليل، يعني أنا أتعجب مثلاً: أن يأتيني أحد فيضع القرفة في الطب النبوي!! هذه متعلقة بطب الأعشاب، الحلبة يضعها في الطب النبوي!! فيضع الأعشاب كأنها طب نبوي!! هذا طب الأعشاب الذي يسمى في هذه الأيام بالطب البديل، دخوله في الطب النبوي بطريقة غير مباشرة، بمعنى أن النبي صل الله عليه وسلم قال: (**ما من داءٍ إلا وأنزل الله له دواء**)، فإذن الشريعة تقول: ابحث عن الدواء، فتبحث عن الدواء فحينئذٍ؛ أنت طبقت الشريعة، فمن هذا الباب هي من الطب النبوي.

لكن كثيرًا من المشايخ بأشكالهم وبكلماتهم ما يجعلون هذا المعنى كأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد قاله، أي كأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: الحلبة تشفي من كذا، لا، لا، ما قال هكذا، أو اليانسون يشفي من كذا، وبسبب أن الشيخ يقول هذا الكلام: أن اليانسون والحلبة والقرفة والميرمية والأعشاب، بسبب أن الشيخ يقولها؛ السامعون يظنون أنه قد جاء بها من الدين وهو قد جاء بها من كتب الطب العادية القديمة أو أنه أخذها بالتجربة وهي من جهة غير مباشرة، نعم الشريعة تقر الأحكام المبنية على الاستقراء، والأحكام المبنية على الدراسة، وحيث ثبت العقل فقد جاء به الشرع كما نحن نعلم، إن كل حكمٍ أثبته العقل على جهة اليقين والقطع فهو حكمٌ الشرعي هذه قاعدة من قواعد الدين.

لكن القول: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال هذا!! لا، لم يقله، ما قاله رسول الله صلى الله عليه

وسلم وما قاله القرآن مثلاً أن القرآن فيه شفاء، وكما أثبت القرآن أن العسل فيه شفاءٌ للناس، ما أثبت الشارع عن الحجامة من قضية حلق الراس وإزالة الدم واستفراغ الدم أو الأطعمة النافعة (**اسقيه عسلاً**)، كل هذا نعم جاءت به النصوص، كعلاج عرق النسا بإلية شاةٍ أعرابية، نعم جاءت وهذه النصوص موجودة يعرفها المتخصصون والكثير يعرفها من غير المتخصصين لقرأتها في الحديث فهذه جاءت بها النصوص.

لكن لم تأت الشريعة ببيان لهذه الأعشاب من النص النبوي وما فيها من منافع، فلنحذر من هذا؛ لأن الكثير من المتكلمين في هذا الباب أدخلوا هذه المعاني في النص النبوي، ولذلك ما قاله ابن القيم في الطب النبوي يجب أن نميز بين ما جاءت بها الشريعة نصًا وبين ما قاله العرب وما قاله المتخصصون على جهة الاستكشاف وجهة الاستقراء والمتابعة والفحص والتجربة، يجب أن نفرق، فأن نضع هذه المواد، ما فوائد الميرمية؟ فوائدها أنها تمسك البطن وتمنع الإسهال... إلخ، فهذا ليس طب نبوي، هذا طب مبني على الاستقراء، لم يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم، الشريعة أقرته على جهة معنى ما ذكرنا... نعم، الشريعة تقر الحقائق إذا ثبتت، لكن لا ينبغي أن يُفهم أن الشيخ إذا قالها، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قالها.

فهذا ما أنبه عليه من هذه الجهة وأنا لا تأخذ مني هذا الباب، اذهب هناك أناس لهم تخصص الكثير، لا بأس يتحملني بعض المشايخ في هذا الباب، الكثير ممن يدخل في هذا الباب تنابل، يعني العجيب أنا أعرف مثلاً موضوع الرؤية، انظروا إلى من يعمل في هذه الأمور في حياة الأمة، تنابل -أقل الناس دين وو... إلخ، يعملوا في الرقية، ويعملوا في تفسير الرؤية، ويعملوا بالأعشاب والطب البديل من هم؟ تنابل، يعني هذا قدرنا!! لم يجد عملاً فيذهب «يتعلم البيطرية في حمير النوّر» كما يقول إخواننا الجزائريون: «يتعلم الحلاقة في رؤوس اليتامى».

وأنا أعرف بعض المشايخ، أعرفهم يعالج الآن مشكلة الضعف الجنسي -ليعذرني الإخوة في هذا الباب- فيذهب إلى أرخص عسل يباع في الدكاكين ويأتي به ويضع عليه «الفياغرا» ويبيعه للناس باعتبار أنه شيخاً أنه يعالج به هذا الأمر.

ومسكين كيلوا العسل يشتريه بـ «٤» دنانير، ويبيعه ذاك بـ «٧٠ أو٨٠» دينار، فقط لأنه جاي من إيد الشيخ حط عليه هكذا، فصار فيه البركة، انتقل من «٤ أو ٧» دنانير حق الحبة؛ فصار سعره «٧٠» أو «١٠٠» دينار كذب واستغلال، بيع وشراء للحية.

ومن التجارب لما كنت في الجامعة ويشهد عليها وهذه يشهد عليها طالب علمٍ شهير اليوم من المحققين الكبار هو شاهد عليها، أستغفر الله أقولها لأنها من أيام الشباب ذهب أمرها، فخرجت من الجامعة والدنيا مطر ولا يوجد باصات، فوقفت على الشارع انتظر أن تمر سيارة، -في أيام التبليغ هذه- فنظرت لنفسي قلت لنفسي أنا «سأشحد» سأتسول على لحيتي الآن، والله لن أقف حتى أصل إلى بيتي ماشيًا لم أرد أن أقف في الشارع حتى لا أتسول بلحيتي، يعني واحد يمر يرى -اللحية- ما شاء الله شيخنا فلنأخذه معنا، فقلت: هذا تسول على اللحية ومشيت من باب الجامع إلى باب بيتي ماشيًا، لئلا أتسول على اللحية.

بعض المشايخ يتسول بلحيته، يشتري بدين الله عز وجل ثمنًا قليلاً، لأنه شيخ يستغل ظروف الناس ويظهر أن هذا من الدين ويظهر أن هذا من الطب النبوي الذي يعرفه، يقرأ عليه.

في واحد في بلدنا هنا يشتري كميات كبيرة من المياه فيقرأ عليها بالجملة، تكون موجودة عنده، البيت مليان مياه، هذه مياه الصحة الْمُنقى، فيقرأ عليها جميعًا بالجملة وهو غير محافظ على الصلوات وحليق وكذا، ويأتيه من البلاد المساكين والبدوان من الخارج، وهو ذكي يقول لي أصحابه وجيرانه والقريبون منه: إذا جاء واحد من أهل البلد يعطي إياها مجانًا لأنه عارف إذا لم يشفى سيأتي ويعمل له مشكلة، قال: لكن يبيع قارورة الماء بـ «٥٠، ٦٠» دينار، قارورة الماء التي تساوي نصف دينار، إذا جائه مسكين من بلاد الوقواق يبيعهم بكذا لأنه يقرأ عليها هكذا.

طيب من يقرأ؟ يقرأ التقي العابد، يقرأ الملازم للقرآن، فالذي قرأته تؤثر هو العابد الولي، وتذكر في تاريخ علمائنا ككرامة للكبار، وليس لسقط البشر، علم الرؤيا علم أغلبه عطاء رباني، هبة، وقليل منه يُقرأ من هنا وهنا، فيأتي أحدهم ويؤول من أين أنت اتلك هذا العلم؟! يفتح لي هذا الكتاب منسوب إلى ابن سيرين وكذا، وتأول وتشتري بدين الله ثمناً قليلاً!!

هذا الباب تأويل الرؤى والرقية الشرعية والطب النبوي هذه الثلاث في عالم الإسلام القليل منهم متدين، ويجب أن نحذر الناس من هؤلاء الشياطين ومن هؤلاء الشيوخ الذين يشترون بدين الله ثمناً قليلاً، وبعضهم في قضية إخراج الجن.

جاءت أخت وكانت مريضة ومع أهلي طفنا فيها على مجموعة من الناس، والله اكتشفت شيئًا واحدًا من

هؤلاء الذين يمارسون هذه الرقى، اكتشفت شيئًا واحدًا كل شخص حافظ كلمة فيطبقها على الذي يأتي لعنده.

أحد الإخوة ضحك علينا في ذلك اليوم، نقول له: لماذا عملت هذا؟! قال: هذا في علم النفس اسمها الحقيقة مقابل المواجهة!! جعلت أفكر فيها، من أين أتى بها؟! ربما يعرف كلمات!! ثم قال: هذه قالها أفلاطون، هنا عرفت أنه يمزح، يعني ما دخل أفلاطون في علم النفس؟! فعرفت أنه...، ربما لو قلت فرويد ربما تمشي عليّ، المهم كانت هذه من طريق المداعبة.

فبعض الناس هكذا يستخدم تذهب عليه وهو حافظ كلمتين، تسأله ما به هذا المريض؟ يقول لك: هذا المريض معه التي يسمونه الارتداد النفسي العكس الشرطي البندورة! من أين جاء بها؟! قرأها في كتاب لم يحفظ غيره، كل ما جاء إليه مريض يطبق عليه، ويرى نفس الأعرض وهو لا يعرفها ولا يميز!! فيطبق عليه!!

تذهب إلى واحد آخر، يقول لك: كلام، فتتسأل من أين جاء بهذا الكلام؟! تبدأ تحقق، وإذ هو قرأ كتاب واحد! أو معلومة واحدة فقط! وتطوف على عشرين واحد من هؤلاء أصحاب الرقية الشرعية الزاعمون للحق وأنهم عالجوا، فكل واحد يطبق كلمته، وتعيش خيالات خاصة، خيالات، كل واحد عنده خيالات خاصة به لا تنتهي.

منهم الذي يجري عملية ويضع يده في البطن ويستخرج السرطان بيده! طيب لتأخذه الحكومة لهذا المعالج بهذه الطريقة وتضعه عندنا، فعندنا السرطان بالأردن نسبته كبيرة، وأنا كتبت تغريده -وربما بعضكم قد قرأها-: كل أسبوع لابد من موت فجأة، موت سيارة، موت سرطان في الأردن، موت السرطان في الأردن كالنار في الهشيم، (**كقعاص الغنم**) كما في الحديث، فأتوا به ليعمل في المشفى، وكل يوم يجري ثلاثين أربعين عملية هذا!! يضع يده ويخرج السرطان بيده!! والحكومة تدفع له أموال والناس يدفعون له أموال، في أثرياء مستعدين أن يدفعوا مئة ألف ومئتان ألف من أجل أن يتخلص من السرطان.

ولا يا أخي هذا صار وعمل وكذا! يعني هذا الذي يجلس أمام الفام السنيمائي ويرى رجل يطير ويصدق أنه في ناس تطير!! فليذهبوا هؤلاء الأجانب إلى الألعاب الأولمبية ويأخذوا المراكز الأولى ويحصلوا على بطولة الركض وبطولة سباحة وبطولة الجمباز وو... إلخ!! يعني جهل!! مضحكة!! وفي أوقات الفراغ تجلس وتقلب على التلفاز من «٤٠ إلى ٥٠» قناة كلهم مساكين يستغلوا ظروف الناس وأحوال الناس.

والله قبل مدة قريبة كنت مع مهندس وهو يعلم كذب هذه، وابنه معه الدسك وآلمته رقبته وأنا زرته وشَكى لي الوضع عملية وغير عملية، ثاني يوم يرسل لي فيديو لرجل مشعوذ في أفريقيا يقوم بعلاج الناس بهذه الشعوذات، المسكين يعلم كذبه، ولكن هو لحاجته مستعد أن يصدق ويدفع، هم هؤلاء يستغلون هذه الحالة، أنه دعنا نجرب يعني «٥٠» لن تكسرك فلنجرب، وهو يعلم كذبهم، وعندهم كل من يختلف مع زوجته مسحور!! ينام متعشي ويحلم أحلام سيئة مسحور!! ويسمى عند الناس بالطب النبوي، والقليل منهم من الناصحين ومن يتقي الله.

وهذا لا يعني أبدًا أنه ليس هناك من فتح الله عليه علم الرؤية والتفسير وأعطاه هبة هذا العلم كما رزقها يوسف عليه السلام وكأبي بكر رضي الله عنه وابن سيرين هؤلاء أئمة الرؤى، ولا يعني هذا أن ليس هناك طب نبوي، هناك طب نبوي عظيم موجود في الأحاديث والنصوص، ولا يعني هذا أن الطب البديل ليس بنافع؛ فالطب البديل الآن العالم يمشي عليه، لكن بعلم، وأنا يعجبني دكتور لا أريد أن أذكر اسمه وهو من خبراء الطب البديل، لا أذكر اسمه لأني تعاملت معه فقال: رجاءً لا تتصل بي، يخاف يعني، فلا أريد أن أمدحه لئلا يكون في مدحه إيذاء له.

يقول كلمة وهو دكتور جامعة وهو خبير صيدلي وخبير مختبرات، قال: لا يوجد كتاب واحد عربي يقوم على علمٍ صحيحٍ في موضوع طب الأعشاب، قال: كلها مترجمة وكلها مسروقة، وهو بدأ موسوعة بسمات كبيرة جدًا حتى أنها ستطبع في اليابان لهذا، وهو بنفسه قام بالتحليل، أغلبه مسروق من هنا وهنا، ويأخذون من الكتب القديمة ويضعونها.

وبعد ذلك يزعمون العلم، يأتيهم فيقر واحد في الأسبوع يأخذون منه «٢٠٠، ٣٠٠» دينار، وإذا وجدوه استغلوه وربما تعاملوا معه غير الفساق والفجار، يعني عندي قصص لمن يتعامل بقضية الرقية من الفساق والفجار يختلون بالنساء ويضعون أيديهم على أماكن غير جائزة وإلى غير ذلك.

هذا من بعض ما يؤلم مما نتحدث عنه من واقع أمتنا المريض، نسأل الله أن يرحمنا، ومع ذلك فيوجد هناك في خيار يتعاملون بتعامل علمي وراقي ويتعاملون معاملة شرعية ويجعل، وكل ما أغلظ لك الرجل في المال فاعلم أنه كذاب، يأتي بكيلو عسل بـ «٥، ٦» دنانير ويبيعه بـ «٧٠، ٨٠» دينار، هو ماذا عمل فيه؟! أبصق فيه

لأنه نبي!! فليتقي الله عز وجل، وأنا لا أدعوا هؤلاء الذين يبيعون العسل أن يتقوا الله، هم أبعد أن يتقوا الله في موضوع المال هم وحوش كاسرة، أنت اتق الله في إضاعة مالك.

والحمد لله رب العالمين.

١٦٦- القراءة حياة

ضمن الجلسة الخامسة عشر، بتاريخ: (**١٤/٠٢/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٣/١١/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل أخ يقول: ما الوسائل المجربة التي يمكن من خلالها الاستفادة المثلى من الكتب بحيث يبقى في ذاكرة المرء منها الشيء المفيد لمدة طويلة؟ أي كيف أسجل فوائد الكتب وأضمها إلى الحصيلة المعرفية المسبقة لتتنامى الرؤية ويتسع الأفق المعرفي دون أن تضيع الجهد فيما لا يفيد؟ هل ألخص ما أقرأ تلخيصًا مدرسيًا أو أكتفي بوضع خطوط عند الأفكار المهمة؟

جواب الشيخ: والله هذا سؤال كبير وربما أوافق غيري وربما أخالف، لكن الأخ السائل طلب تجربتي.

أولاً: من المقرر من كلام السلف ومن التجربة بأنه لا يستقر العلم إلا بالمذاكرة، مهما بلغت درجة حفظ المرء فإنه إن لم يتذاكر في العلوم؛ فإنه لابد أن يقع النسيان، ما في إنسان لا ينسى، النسيان نعمةٌ ورحمةٌ من الله، وهي إحدى صفات الإنسان، فمادام أن هناك إنسان فلا بد من أنه ينسى، إما أن يأتي النسيان بطريقة متدرجة وإما أن يأتي في آخر عمره كذلك بأن يصاب بالأمراض وأن تقع فيه المشاكل... إلخ.

فالطريقة المثلى هي المذاكرة، المذاكرة كيف تقع؟ الطرق التي يستخدمها الناس، إما أننا نجد أن بعض الناس -وهي طريقة جيدة استخدمها السلف ويستخدمها البعض من قبيل الإتعاب لغيرهم- نجد أن السلف كانوا إذا جلسوا مجلس حديث رجعوا إلى بيوتهم فربما قرأوا ما سمعوه على أهلهم أو على إمائهم، وهي لا تعرف، بعض أهل العلم كان يقرأ ما يحفظ على آمته العجمية، فيقول: هي لا تفهم!!، ويقول إنما أقرأ لنفسي وليس لها.

انظر، وبعض الناس نجدهم اليوم -الواحد قل لقائه بالناس لكن موجودة كانت- أنه إذا قرأ المرء جملة جاء وقرأها على إخوانه رغم أنفهم، يقول: اليوم أنا ماذا قرأت؟ فهو يريد أن يتلو عليهم ما قرأ رغم أنوفهم، فهم يتعبون منه، ولكن هو في النهاية يستفيد، تتقرر لديه المسألة التي قرأها.

المذاكرة:

المذاكرة هذه صفة إما أن تقرأ فتتلو على الآخرين وتقدم فتترسخ الفكرة في ذهنك، وإما أن تعاود القراءة في الكتب المهمة، أنا أتمنى من بعض طلبة العلم -أردت أنا يومًا، ولكن الهموم كثيرة، فيمكن لبعض الشباب أصحاب الهمم العالية أن يفعلونها- هناك بعض أهل العلم لم يكتف بمرة أو مرتين أو ثلاثة أو عشرة أو خمسين في قراءة كتابٍ واحد؛ لأنه يرى أن هذا الكتاب يصلح قاعدة ومنفذًا لكتبٍ أخرى، ولذلك انظر إلى عدد قراء الربيع للرسالة، هل تظن أن عالماً قرأ صحيح البخاري واكتفى بمرةٍ واحدة؟! هذا لا ينفع، لا تنفع هذه القراءة، يقرأه مرة ومرة، ومرة، وبعض أهل العلم قرأ شرح النووي على مسلم ثلاثين مرة فيما ذكر، وهذا ذكر عن الشيخ ابن بازه رحمه الله، نذكر القدماء والمعاصرين.

وهناك من يقرأ الكتاب مرات ومرات، ومرات؛ لأنه يرى أن هذا الكتاب يصلح لإعادة تفكيره ويصلح لإعادة نظرته، هناك أناس يسمونه بالشاكرين -لا بأس من الطرف في الباب ليتعلم الشباب أحوال الناس- هناك أخبرني أحدهم كتب رسالة الماجستير في الأستاذ محمود شاكرن فقال: هناك قوم يسموا بالشاكرين نسبةً لمحمود شاكر، فقلت له: ما ميزاتهم؟ فقال: الواحد منهم كل عيد فطر لا بد أن يقرأ «أباطيل وأسمار»، خلاص في عطلة عيد الفطر يمسك «أباطيل وأسمار» ويقرأ هذا الكتاب، ويرى أن هذا الكتاب ينفعه في صيانة عقله وإعادة تنبئه إلى قضايا.

فإذن: المذاكرة إما أن تقرأ الكتاب على غيرك وأن تناقش به غيرك، فيحصل الترسخ، وإما عن طريق المذاكرة بأن تعود إلى الكتاب مرات، لا يوجد كتاب بمرة واحدة تفقه ما يريد إذا كان من كتب العلماء الكبار، عندما جاء النقاد إلى الفرق بين الشعر القديم والشعر الحديث -يتكلمون عن الشعر العباسي وليس الحديث عن اليوم- يقولون: إن الشعر القديم كلما أتيته استفدت منه وجدت فيه لونًا ومذاقًا ورائحةً جميلة، بخلاف الشعر المعاصر لهم، النقاد، فإنه يجدونه إذا قرأه أخذ منه الرحيق ثم عاد بعد ذلك ترابًا.

وأنا قلت مرةً: مثل العلكة تأخذها وتمضغها أول شيء لدقيقة فتخرج منها الحلاوة ثم تعود جلدة، هذا طبعًا من باب التعصب، فلا بد، كتب كثيرة تظهر قيمتها بعد القراءات المتتالية، لكن الكثير من الكتب كتب العلم لا تنفع بالقراءة الواحدة، «كتاب الرسالة» أنا قرأته مرات -ولا أدري ذكرت لكم العدد أم لا-.

ويوم السبت القادم سأناقش كتاب «الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر» والآن أنهيت نصفه وهو المجلد

الأول بعد أن قرأته مرات وهو من الكتب الأولى التي قرأتها وأنا في الإعدادي، وسأحكي قصة قراءتي هذا الكتاب في الابتداء، وأنا أقرأه في هذه الأيام رأيت كأنني أقرأه لأول مرة؛ لأن الأمور التي يذكرها لم تكن في كثير من القضايا التي ذكرها، لم أكن مطلعًا على أفرادها، فلما اطلعت على أفرادها جئت إليها وإذ وجدتها جديدة، فقد كنت أتجاوز، وهذه طريقة لا بد أن يتبعها كل واحد، بمعنى جئت إلى كتاب فهو يطرح قضايا متعددة في قضية من القضايا أنت لست مستوعبًا لها؛ لأنه أشار إليها إشارة كاستدلال دون أن يبسط وجهها، فأنت لا تعرف عنها، لا توقفك هذه المسألة كأنها غير موجودة وتابع الكتاب، يعني يريد أن يطرح فكرة فعليك بها فلا توقفك القضايا المعقدة بالكتاب أو غير مفهومة لأن تتابع الفوائد المذكورة في الكتاب بعد أو قبل لا تتوقف.

فالقصد: بأن هناك من الكتب تحتاج إلى قراءتها لأن قراءتك خارج هذه الكتب إذا رجعت إليها فتحت لك أبوابًا كنت جاهلاً عنها، فالكتب لا بد من مذاكرتها، ومن عودة القراءة في الكتب، هناك كتب مهم جدًا أن تعود إليها ولو بالتقليب، يعني مثلاً: الوقت ضيق لا يستطيع المرء أن يعود لقراءة كامل الكتاب فلا بأس أن تعود إلى التقليب فيها لتستذكرها أو إذا كانت من الكتب المراجع الكبار بأن تعود إليها عند الحاجة، أن تقرأها قراءة مستوعبة متتالية، ولكن عند الحاجة تعود إلى المسألة الفلانية فيها وغيرها، فحينئذٍ؛ يحصل لديك الترسيخ لها.

وجدت من التجربة –حقيقة هذه– من أجمل ومن وأفضل ما يرسخ المعاني في الكتب هو أن تقرأ الكتب الناقدة لها، كيف؟ الكتب الناقدة ليس المقصود بها الناقدة سلبًا، لا، قد يكون النقد إيجابي وسلبي بمعنى أنه يقبل ويرفض بمعنى أنه يشير إلى الهينات ويشير ويشيد كذلك بالجوانب الإيجابية فيه، وجدت أنك تقرأ الكتاب وتمر عليك جملة، أنت لا تنتبه إلى قيمتها، يأتي الآخر ينتقدها ويأخذ هذه الجملة ويضعها في صيغة معينة؛ فأنت تبهر بقيمتها مع أنها مرت عليك ولم تستوعب هذا الجمال فيها، فهذه الجملة حين يشير إليها أحدهم إلى قيمتها تترسخ في ذهنك، مع أنك قرأت هذه الكتب، فمن الفوائد أن تقرأ ما قيل عن الكتب لا قبلها فق ولكن بعدها كذلك، بعد أن تقرأ، اقرأ ما قيل في الكتاب، وقبل أن تقرأ لا بأس أن تقرأ النقد وإن كانت هذه أنا أشرت إليها أنها مُفسدة في جوانب كثيرة أن تقرأ النقد قبل أن تقرأ الكتاب، يعني المرء يقع في أخطاء كثيرة، ولكن يضطر المرء مرات ان يقرأ النقد قبل ان يقرأ الكتاب، وإن كانت ليست الأجود، الأجود أن تقرأ الكتاب فتعرف ماذا وقع في ذهنك منه من جهة نفسك، تُصيب، تُخطئ، وهكذا تتمرن، وبعد ذلك تقرأ ما يقول

الآخرون فتجد أصبت، أخطأت، أن كنت مبتدئًا أو أنك حين تكون قد بلغت الذروة في النقد أن تضع نفسك بين الآخرين، هذا مما يُفيد.

القصد: بأن إحدى طرق التي ترسخ الكتب؛ أن تقرأ الكتب التي تكلمت عنها واشارت إليها، لأنه في مرات كثيرة القراءة تمر عليك الجمل، وتكون في حالة غير مستوعبة، مرات تكون قد قرأت ثلاث ساعات، أربع ساعات، وبقية نصف ساعة الأخيرة أو ربع ساعة فتمر مسرعًا عليها تريد أن تنتهي وتنشغل ويشغلك شاغل أو كذا، فيأتي من يكشف لك جماليات هذا النص الذي غاب عنك، هذا من المهم جدًا، كمثل الآن نقد الشعر، مرات كثيرة تقرأ القصيدة لا ترى فيها الجماليات، فيأتي الناقد يريك جمالها من هنا ومن هنا، فتعود إلى جمالها فتقرأها مرة أخرى.

ولذلك ربما تلاحظون في أنفسكم أنكم قرأتم كتابًا فوضعتموه، فجاء من نقده وأعادك إليه مجبرًا، أن تعود إلى الكتاب لتقرأ منه، وتتساءل معقول كانت هكذا في هذا الكتاب؟! فتعود إليه فتقرأه بنفسٍ جديد ورؤيةٍ جديدة واستفادةٍ جديدة، ويترسخ لديك مفهومه.

أريد أن أقول كلمة، قلتها كثيرًا وذكرتها في «فن القراءة»: إياك أن تستجيب لداعي إبليس وداعي النفس الضعيفة بأنك لم تستفيد من كتابٍ قرأته، إياك، يا إخوتي الملكات لا تنشأ فجأة الملكات بناء والعلم يبنى والملكات تبنى لا تحسها، كما أنك لا تحس بكبر هذا الطفل أمامك، ولا تحس بكبر العضلة لما تمرنها لا تحس كيف تنمو، ولكن بعد مدة لو جاءك آتٍ وكان قد غاب عنك سنة وأنت لا تراه، فيقول: عجيب أنت هكذا كنت؟!! فيرى الفرق وأنت لم تره؛ لأنه في كل يوم ينمو، والملكات تنمو من القراءة، القراءة ملكة تحصل بها المعرفة والمعرفة تُبنى بناءً صغيرًا أو كبيرًا بحسبه، فمرات كتاب يقفز بك قفزة كبيرة جدًا ومرة كتاب يعطيك لبنة صغيرة وهكذا، هكذا هي الحياة.

فإياك أن تستجيب لداعي النفس بأنك لم تستفيد من كتاب، فهذا لا وجود له، كل كتابٍ ينمي لديك المعرفة، وقد يغيب -هنا نقطة- قد يغيب عند ما في الكتاب، للذكر أنا من الناس الذي لا أدري ماذا كتبت بعد أن يخرج، يعني يأتيني أخ يقول: هل كتبت في المسالة الفلانية، أقول: والله لا أذكر لكن هي في ذهني موجودة، فأرى أخًا يستخرج لي مما كتبت ما قلته فيها؛ فأفرح، أقول: نعم، في ذهني هكذا ولكن هل كتبتها

فيخرجها الأخ من كتابي، فأنا من هؤلاء، في الحقيقة لا أذكر ماذا أكتب، حتى ينبهني إما تصويب أو تخطئة أو استشهادًا... إلخ، كما هو شأن الحياة.

فالقصد من ذلك: بأنه يمكن –هنا النقطة التي أردها– بأنه يمكن ان يغيب عنك كل ما قرأت، لكن أين الفائدة؟ ليس المطلوب منك أن تعيد الفكرة إلى صاحبها، ربما تصبح أنت صاحب هذه الفكرة، ولكن بتطور، أن تطور الفكرة لديك.

مذكورة عن أبي النواس أنه أراد أن يكون شاعرًا؛ فذهب لأستاذه فسأله ماذا أفعل؟ قال: اذهب واحفظ ثلاثين ألف قطعة من الشعر، والقطعة عشر أبيات وما دون كما يقولون، فلما جاء قال: حفظت، قال: انساها كلها واذهب واخرج الشعر، هل هو نسيها؟ بقيت كامنة في ذهنه وفي عقله، ولكنه أصاغها بأسلوب جديد، نماهان هذبها، أو صارت هي له بوجهٍ جديد من الوجوه.

فبعد مدة سيغيب عنك كل ما قرأت، إذا كنت أنت شاب الآن تستحضر، المرء كان إذا تكلم يستحضر كلام أهل العلم، يستحضر أين قالوه، ولكن عندما تكبر خلاص تغيب عنك هذه الاقتباسات، ويبقى ما تقوله أنت، وربما يأتيك أحدهم ويقول لك: هذه الكلمة أخذتها من فلان وتشبه كلام فلان، وربما أنت أخذتها من فلان أو هي نشأت لديك وهكذا إلخ،

فأنت بعد طول مسيرٍ واقتناءٍ وحملٍ لكلام أهل العلم؛ تصبح هاضمًا لهذه المسائل، منتجًا لها إنتاجًا جديدًا، فذلك يعني طرق تثبيت القراءة هو المذاكرة على ما تقدم من وجوهٍ متعددة وكثرة القراءة، وألا تتوقف، لا تتوقف، إياك، القراءة هي الحياة، القراءة هي التي ترفع درجة ذائقتك في الحياة وفهمًا للتاريخ، والله أعظم مصيبة وجدتها عند الشباب وعند المتدينين؛ أنهم لا يقرؤون، القراءة ترفع نظرك من الجزئيات إلى الكليات، القراءة خاصةً وأنا نصحت سابقًا ماذا يقرأ القادة؟ التاريخ.

وإن شاء الله إحدى الكتب التي سنناقشها «مذكرات السلطان عبد الحميد» وسأبيّن ماذا نحتاج من قراءة التاريخ، فقرأوه، واقرأوا الأدب لترتفع ذائقتكم اللغوية واللفظية والكلامية، اعرفوا قيمة الكلمة كيف يقع جرسها على أذنك لتتعامل بها، اقرأوا التاريخ من أجل أن ترتفع نظرتكم من الجزئيات إلى الكليات إلى كيفية حركة

التاريخ، اقرأوا كل شيء، كل شيء، اقرأوا كلام أهل العلم، اقرأوا الأصول لتضبط عقولكم، اقرأوا أصول الحديث لتضبط رواياتكم وكلامكم، اقرأوا كتاب الله عز وجل لتتعبدوا، أعظم تعبد أن تقرأ كلام الله عز وجل، أن تقرأ أن تتعبد، أتعرف معنى التعبد؟ أي أن تصبح قريبًا من الله عز وجل، أنت إذا قرأت كلامه تصبح قريبًا من الله، وحينئذٍ هذا القرب هو قمة ما يسعى إليه كل عاقلٍ وأتباع الأنبياء.

فهذا ما أقدر عليه من الجواب وأرجو أن أكون قد أجبت عن رأس الإبرة، ما أجبته هو يعادل رأس الإبرة في موضوعنا هذا، وإلا فقضية القراءة هي الحياة، القراءة هي الحياة.

بارك الله بكم وجزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

١٦٧- التربية الفكرية

ضمن الجلسة الخامسة عشر، بتاريخ: (**١٤/٠٢/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٣/١١/٢٠١٧ م**)

أخ يسأل أو يقترح: أقترح منهجًا متدرجًا من الكتب التي ينبغي قراءتها في شتى العلوم التي يحتاجها ناشد الحق، علمًا أن لديه أرضية علمية مسبقة متناثرة لا بأس بها، وإن كان هذا الطلب طويلاً؛ فأقترح تدرجًا في الكتب الفكرية على الأقل يسلكه المرء ليفهم واقعه فهمًا منطلقًا من الشرع ويسوغ مستقبله، وفقهًا يمكنه المساهمة به في نهضة الأمة.

الشيخ: أرجو أن أكون قد قرأت السؤال صحيحًا لوجود بعض الأخطاء فيه.

جواب الشيخ: السؤال كما أرى فيه أمران:

الأمر الأول: كأنه يتكلم عن موضوع التربية الفكرية، وكأنه يشير إلى الكتب التي أتعامل معها في مشروع «الألف كتاب»، لا بأس يعني هذا كنت أتمنى أن يفرغ له لقاء خاص في موضوع مشروع «الألف كتاب» وربما أقتصر في هذا الجواب عليه هنا ثم أتكلم عن موضوع الدراسة الفقهية المنهجية، ووضع كتبٍ فقهية يترقى بها طالب العلم ليصل إلى ما هو مرجوٌّ منه من الاجتهاد والنظر في كتب الدليل.

يا أخوتي: يعني نحن لسنا مؤسسة، يعني لماذا الناس يريدون أن يحملوننا فوق ما نطيق؟ يبدأ صاحب الدكان مسكين ويفتح الدكان ويكون هو متقن لأن يصنع الجبنة، فالناس يشترون منه الجبنة فيقولون له: اصنع لنا الصابون، هو لا يتقن الصابون، لا يعرف، فإما أن يقبل الناس منه الجبنة التي يتقنها وإما أن يذهب فيحضر الصابون مع الجبنة فيقع الكثرة ويقع الخطأ.

هذا الذي يتكلم أمامكم لم يحصل له أن أخذ العلم عن الطرق المشيخية، لا لم يحصل هذا، هذا شيءٌ يعرفه كل من يسمع لي، ويعرفه أحبائي وغيرهم كذلك، فأنا لم أتلقى الدروس على يد مشيخة، أنا ابن الكتاب وقلتها قديمًا وسجلتها مرات؛ أنا ابن الكتاب، تعلمت من الكتب، عندي من الأخطاء التي يُنتجها العلم من هذا الطريق، وعند المرء ما عنده، أي ما يتكلم به، قرأ شيئًا، فكر في شيء، اجتهد في شيء، فيعطيه للناس، ولكن ولا شك أن هذه الطريقة التي سلكتها أنتجت بعض المعارف الجيدة، المرء تعب حتى يتحصل الأجوبة على

الأسئلة وإدراك العبارات والمصطلحات ويربط المتقدم مع المتأخر.

لأتكلم بطريقة صريحةٍ أكثر، من الواقع، يعني أنا أتاني أخ وسألني ماذا أقرأ فأردت أن أطبق عليه طريقتي فقلت له: اذهب فاقرأ فتاوى ابن تيمية رحمه الله، بالله عليكم هذه طريقة جيدة؟ هذه ليست طريقة جيدة عند كثيرٍ من الناس، أنا هكذا نشأت ذهبت لأقرأ فتاوى ابن تيمية رحمه الله، جاءتني في وقتٍ مبكر، فجعلت أقرأ فيها، هناك ما أفهمه وهناك ما لا أفهمه، هناك ما فتح عليّ أبوابًا من الفهم؛ أبوابًا من الأسئلة لأجيب عنها في كتبٍ أخرى؛ فذهبت إلى كتبٍ أخرى وو... إلخ، فهكذا نشأت.

فهناك من المسائل ما أتيت إليها من الأعلى في آخر طورٍ لها من العلم، ثم بدأت أنزل وأنزل حتى وصلت إلى بدايتها، وهذه طريقة غريبة لكن هكذا نشأت، واحتاج الأمر مني إلى وقتٍ طويل وإلى مجاهدةٍ طويلة وإلى معاناة، كيف أنت تنزل من الأعلى إلى الأدنى والأصل أن تبنى من الأسفل إلى الأعلى! هكذا حصل وهذا واقعي.

الآن هل هذا أنتج أخطاءً؟ هل هذا أنتج صوابًا؟ هذا أتركه للمنصف، أتركه للزمن، ففي النهاية هكذا أنا، حتى ولو ترك الأمر لي وبعض الإخوة ربما يسمعون، لو ترك الأمر لي من بداية التسجيل والتكلم في العلم ما قبلت أن أجلس أمام كاميرا ولا أمام شريط يسجل لي، وكنت أجد المشقة كيف أتكلم والشريط أمامي، وأجبرني بعض الإخوة بالقوة على أن أتكلم والشريط أمامي، كان هناك الشريط القديم التقليدي.

ثم الآن لو قلت لي: قبل مدة كيف أتكلم للكاميرا هكذا، لا أستطيع، فبعض الناس جنوا، لماذا جنوا؟ لأنهم مارسوا جنونهم علي، أجبروني أن أفعل هذا، على أن أجلس فأجيب على الأسئلة وأتكلم بالكتب، فليس العيب فيّ، «ولو ترك القطا ليلا لنام»، فكثير من المجانين هم الذين أفزعوني؛ فصرت أتكلم، هذا الذي أتقنه، لا تطلب مني غير ذلك، لا يطلب أحد مني أنا لا أستطيع.

أحد الإخوة أتى إلى مشروع «الألف كتاب» استفاد، هو يقول: استفاد شيئًا كثيرًا، وأخبرني أخبار سارة - ولا بأس أن أذكره ليعرف الناس ولتبقى للتاريخ- قال: قابلت وائل حلاق -تعرفون كتاب «الدولة المستحيلة» الذي ناقشته وخالفت كل من تكلم فيه- وهو يدرس الدكتوراه هذا الشخص في دولة أوربية، قال: قابلته فقلت له: هل سمعت مناقشة أبي قتادة لكتابك؟ قال: والله نعم سمعت مناقشته، قال كيف رأيته؟ قال: لما رأيت هذا

الشكل –تصور هو رجل نصراني ويعيش في الغرب ويتكلم كلامًا فكريًا فكيف لو فوجئ برجلٍ بهذا الزي وهذه الهيئة يريد أن يتكلم عن كتابي وقد سمع الكثير من السابين له والمنتقدين له– فقال: لما نظرت إلى الشريط، وقلت: أي مصيبةٍ ستأتيني من هذا الشخص؟ قال: فلما سمعته، فقال: لم أرى أحدًا فهم كتابي كما فهمه هذا الشخص.

المهم الناس يستفيدون، وأناس ينتقدون، فهو مما قاله لي: ليتك تتكلم على طرق الجامعات، فقلت: كيف يعني؟ قال: يعني تتكلم عن الكاتب، تقسم، تقول: اليوم سنتكلم لكم أيها الإخوة الأحبة الكرام عن الكتاب الفلاني مثلاً وسنبتدأ بالكتاب عن مؤلفيه وزمن صدوره ومباحثه وماذا قالوا فيه؟ وماذا قيل فيه؟ و.... إلخ، فقلت له: والله أنا لا أستطيع، لا أستطيع قدرةً، لا أستطيع نفيسةً، لا أستطيع أسلوبًا، هذه قضية أخرى، والبعض يقول: هذا الرجل يتكلم عن كل شيء إلا الكتاب، هذا رأيه ماذا أصنع له، لينصرف، ففي الحقيقة هذا الأخ يعني إذا وجد ما أقوله هو مضيعة للوقت فهناك في النت علماء ومشايخ أنا لا أكون حجرًا صغيرًا مقابل ما يتكلمون به، فليذهب، هذه قدرتي، هكذا أنا، هكذا أطرح نفسي.

أنا أنفعل مع الكتاب، أقرأ هذا الكتاب أراه مهمًا للأمة، أرى فيه أخطاء، أرى فيه الصواب، أبيّن حاله، أنفعل معه، أسير هنا، والبعض يعيب عليّ ما عابوه على ابن تيمية وشتان بين الثرى والثريا، أنه يستطرد ويستطرد ويبتعد عن النقطة هكذا أنا جبلت ماذا أصنع؟ مما أفسدني فيه ابن تيمية رحمه الله، هناك بلا شك علماء –أستغفر الله– أنا ولدني هؤلاء العلماء منهم ابن حزم عليه رحمة الله، منهم ابن تيمية وصادق الرافع وابن القيم ومحمود شاكر رحمهم الله، يعني هؤلاء العلماء أنشأوني، تربيت على كتبهم، في النهاية خرجت عنها سواء بصورةٍ فجة أو بصورةٍ مقبولة أو بصورةٍ مردودة، الحكم سيبقى للتاريخ، يبقى لكم للناس الذين يقرأون ويسمعون ورضوا هم بأنفسهم أن يضيعوا أوقاتهم مع هذا المسكين، لا أستطيع أكثر من هذا.

وأنا لم أفكر في لحظة من اللحظات في مشروع «الألف كتاب» وهو أن أبني المرء بناءً ثقافيًا، أنا أردت أن أرغبكم بالكتب فقط، اذهبوا، وكما أنا في موضوع الكتب، في موضوع الفقه كما ذكرته لكم وفي موضوع العقائد كما ذكرته لكم في قراءة ابن تيمية من فوق إلى الأسفل، أنا كذلك في الكتب، يعني أنا لا أفكر هذا الكتاب لما أقرأ مثلاً «حاضر العالم الإسلامي» لوثروب ستودارد بتعليق شكيب أرسلان، وأقرأ كتاب

«الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر»، وأقرأ كتاب «واقعنا المعاصر» لمحمد قطب، أنا لا يخطر في بالي من الذي أريد أن أقدمه قبل؛ من أجل أن أصنع لبنة يكون ما ورائها لبنة فوقها، لست أنا، لا أستطيع، قولي كما أنا هكذا.

ولكني أردت في بهذه الكتب؛ أن أقدم هذه الكتب، أقدم انفعالاتي معها، أقدم رؤيتي لها، أقدم أهمية وهذا أهم ما في الأمر هو أن أشجع السامع لي ليقرأ هذه الكتب، وأن يقرأ الكتب، لماذا؟ اسمحوا لي أن أتكلم معكم حول هذه التجربة، رأيت من أغرب ما رأيت في مسيرتي وحياتي أنني أدخل بعض المكتبات -وسآتي إلى أن المسألة تعدى الكتب، تتعدى، وتتعدى حتى العبارات- فأنظر للكتاب فأقول للأخ: هذا كتاب فيه كذا وكذا وهو واضع الكتاب ويكون قد مر عليه مرورًا سريعًا أول ما اشتراه ووضعه ولم يعرف قيمته، فيقول: كل ما تقوله في هذا الكتاب؟ فأقول له: نعم، فيكتشف أن مفاتح هذا الكتاب من أجل أن يقرأه، هذه المعاني التي ذكرتها، يريد أن يبحثها في هذا الكتاب فيتشجع لقراءة الكتاب والعودة إليه مرةً أخرى من أجل اقتناص هذه الفوائد.

مرةً كنت أدرس مجموعة من الشباب -هذه قاعدة، ولكن أذكر لكم بعض أفرادها- مرةً كنت أدرس بعض الشباب في بيشاور فذكرت شعر شاكر مصطفى، تعرفونه وهو شاعر قوي، وأن معارضته لشعر غيره أقوى، فذكرت عن شعره شيئًا جميلاً، فالإخوة في غرفة في دورة شرعية وعندهم مكتبة فذكرت بعض الأبيات التي أحفظها:

أبتَـــــــاهُ لاحَ الشـــــــطُّ للــــــــرُّبَّانِ ودنا الأمــــــــانُ لقلبِــــــهِ الحـــــــيرانِ

وبدأت أتكلم، فهم حوالي العشرين أخ، فقالوا أين شعره؟ فقلت: هذا موجود عندكم في المكتبة، ديوانه صغير أو ما طبع منه، موجود أكثر من خمس نسخ، ست نسخ، موجود لديهم في المكتبة، لم يعرفوا قيمة هذا الكتاب حتى أتيت إليهم وبينت جماله.

مرات الإنسان بحاجة أن يبين له جمال الشي؛ لأنه يغيب عنه، لا يعرف كيف يلتمس الجمال، فهناك كتب كثيرة، مرات كثيرة أنت تشرح للأخ كتاب فيقول: هذا قرأته أين موجودة هذه الكلمة، فأقول له: اذهب إليهان يكون قد مر عليها، لم نتعلم إلى الآن الطريقة الصحيحة لقراءة التراث، فعلينا أن نتعلم، وعندما شرحت «الموافقات» أردت هذا المعنى دون غيره، أو قبل كل شيء، في هناك مقاصد كثيرة ولا شك، ولكن أعظم

المقاصد هو أن نتعلم قراءة التراث، كيف نقرأ كلام العلماء.

الكتب هذه التي بين أيدي الناس كتب فيها فوئد كثيرة ومنافع وموجودة، فيجب أن نبينها للناس، ولم يخطر في ذهني أبدًا أن أنشئ الطالب المبتدئ بحيث يمشي معي من كتابٍ إلى كتاب، لست مدرسًا جامعيًا، يبدأ في السنة الأولى وهكذا، لست كذلك، لم أتربى هكذا، ولا أستطيع أن أفعله، هذا هو مشروعي بين يديكم تقرؤونه وتسمعوه، فإذا وجدتم فيه الفائدة وأرجو ذلك فأقبلوا عليه، وإذا وجدتم الفائدة ضعيفة فهناك الكثير من الخير في غيري، فلا تطلبوا من أخيكم فوق ما يستطيع، ولا تطلبوا منه خلاف ما قصد، هذا مشروعٌ كان قد تكون لدي من قديم، وكانت همتي مصروفة أن أكتب عن كل كتاب صفحة أو صفحتين على طريقة الموسوعات وطرق المعاجم، أن أعرّف، ثم بعد ذلك رأيت أن الكلام بهذه الطريقة أحسن.

هل سيطرت طريقتي في الاستطراد على شرح الكتب؟ الجواب: نعم، هل هذه طريقة مرضية؟ لا أدري، هكذا أنا، بعضهم يمدحها وبعضهم يذمها وو... إلخ، تعرفون الحياة مليئة ما من عالمٍ إلا وانتقد عليه أسلوبه وانتقد عليه علمه وانتقدت عليه أصوله؛ هكذا هو شأن الناس، فعندما يعرض المرء عقله على الناس سيلاقي هذا، أنا لست غضبانًا من قول أحد، لكن الرجاء من كل أخٍ ومن كل حبيبٍ وخصم ألا يضع في فمي ما لا أستطيع، وأن يجبرني أن أخرج من جلدي الذي أنا عليه ونشأت عليه، لا أستطيع، فهذا إحدى المشاريع التي قدمت إلى الآن بفضل الله عز وجل ناقشنا سبعين كتابًا، وفي ذلك منفعة غير منفعة أخطاء، في الحقيقة أنا استفدت.

أحد الإخوة الأحبة قال: أحب لك ألا تناقش رجلاً حتى تقرأ كل كتبه، قلت: هذا متصور في القدماء، يعني هناك بعض أهل العلم قرأت كل كتبهم التي كانت مطبوعة لنقل قبل السجن، فإذا سألتني عن كتب ابن تيمية لا أظن أنه فاتني كتاب له، ولو سألتني عن ابن القيم لا أظن أن كتابًا فاتني قبل السجن، لأنه رأيت بعض الكتب التي طبعت مثلاً لابن تيمية عن الجدل وغيره -لا تسألوني عن أسماء الكتب لا أحفظ الأسماء- يتحدث عن الجدل الباطل وكذا... إلخ. فهذا كتاب قرأته لما خرجت فيتصور هذا، أما المعاصرون فهذا صعب، فهم كل يوم يدفعون كتبًا، وهناك كتبًا لا تمثل شيئًا عندهم، ما يهمني في هذا الكتاب في فقرة ما.

يعني مثلاً: لما مدحت جورج طرابيشي في كتاب «مذبحة التراث»، مدحته في هذا الجانب أنه رصد

الاشتراكيين في قضية استخدامهم للتراث من أجل تطويعه في خدمة فكرتهم، وأعجبني في رده على عامر الجابري، في الحقيقة مستقصي، يستقصي، لكنه بعد ذلك أحد الإخوة قال لي: انظر إلى كلامه عن فقه الحديث وعن فقه ما أدري له كتاب في هذا الباب، يعني ماذا تتوقع من نصراني عندما يتكلم عن الإسلام؟!! هل تريد أن يتكلم عنه كما تكلم ابن تيمية وكما تكلم الشافعي، قطعًا الرجل لا يدين بالإسلام وبالتالي سيغرد بعيدًا عن الحق.

فلا أستطيع لأمور كثيرة، ليس هذا مجال الشكوى، لا أستطيع الآن أن أتحصل كل كتب رجلٍ معاصرٍ من أجل أن أقدم كتابه، ولكني استفدت، يعني الإخوة يفيدونني، الشيخ مثلاً أذكره لأنه غرد فيها علنًا لما تكلمت عن الشيخ عبد الحي الكتاني ومازلت متوقعًا، كما بلغني أنه يقول: هو داهن ولكنه ليس عميلاً، داهن الفرنسيين لأسباب ولكنه ليس عميلاً، وبسبب أنه خالف العلويين وبالتالي وافق الأدارسة عندما نصر السلطان عرفة فاستفدت من هذا، توقفت، أقل شيء هذا التوقف أرجعني خطوة في موقفي من عبد الحي الكتاني وما هو عليه، ولا شك أنه شخصية عظيمة كان تبهر من يجلس معه، وأنا أثق بعقل محمود شاكر لما قابل عبد الحي الكتاني بهر به، بهر في شخصيته وبهر في علمه وبهر في اطلاعه وبهر في سلوكه، وهذا شيءٌ عظيم الناس، فأصحاب الشك كمحمود شاكر من الصعب أن يقبل الكبار إلا إذا كان من الكبار حقًا.

ولما تكلمت عن تقليد النبهان تقي الدين الهلالي، أنا شرحت هذا، وحاولت أن أحصل مقالاته فلم أحصلها، ولكن الكلام عن شكيب أرسلان تطور كان عندي صورة، يعني كنت متوقف فيه خاصةً في قضية تزويج ابنته لكمال جنبلاط، ثم الحمد لله إخوة افادوني –لست أنا– أرسلوا لي وأفادوني، وأنشأت صلات بيني وبين أحبة هذه الكتب، أنشأت صلات كبيرة بيني وبين طلبة العلم، أنشأت صلات بيني وبين أناس لا يفهمون من أصحاب اللحى الطويلة إلا أننا جهلة لا نعرف إلا كذا وكذا، لكن الحمد لله استطعنا أن نقدم شيئًا ما، وأنشأت خصومات للأسف كما هو الحال مع الدكتور المساري، خصومات فيها الظلم وفيها الافتراء، حتى زعم هو وأتباعه أنني اخترت الوقت الذي كانت هناك محكمة، وأشهد الله أنني لا أعرف أنه كان عنده محكمة أصلاً، كتاب جاء هذا توقيته ماذا أصنع، كما جاء توقيت مناقشة كتاب «هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس» للكيلاني رحمة الله عيله، في يوم وفاته، هكذا الأقدار.

على كل حال هذا الذي عندي، فهكذا أنا بعد هذا العمر لا أستطيع أن أغير نفسي، أن أخرج من جلدي، هكذا تكلمت معكم ولا أدري أصبت أو أخطأت ويكفي هنا وسنجيب عن موضوع الترتيب الفقهي في جوابٍ آخر حتى لا يطول الوقت عليكم.

بارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

١٦٨- التدرج بالكتب الفقهية

ضمن الجلسة الخامسة عشر، بتاريخ: (**١٤/٠٢/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٣/١١/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

هناك سؤال تقدم نصف جوابه وهو الحديث عما يقترح من التدرج في الكتب الفقهية، أجبت عنها في سؤالٍ سابق، والاقتراح على التدرج في الكتب الفقهية.

جواب الشيخ: وهذا ما أقوله: أنا لست في الحقيقة الآن في الوضع الذي يسمح بتدريس الفقه، ولكن أحب ذلك، الفقه هو الحياة، ولا يمكن للمرء أن يقلل من شأنه، وكم أتمنى أن يتفرغ المرء من أجل أن يدرس الفقه، ولكن الظروف لا تحتمل الآن أن اختار، وقد درست قديمًا على الحال الذي كنت عليه، شرحت «الدراري المضية» للشوكاني وأحب هذا الكتاب وإن كان للمرء الآن أن يختار كتابًا آخر لاخترت غيره.

وأما التدرج في الفقه هناك أيها الأحبة كثيرًا ما يطلب مني الإخوة مناهج علمية أصولية فقهية حديثية فكرية من أجل البناء، في الحقيقة هناك مدارس كثيرة في هذا، هناك معاهد، اذهب واطلب من المعاهد، المعهد الفلاني عنده طرق كيف يبدأ بالتربية، أطلبه منهم لا تطلب مني، هناك معاهد علمية في مصر وفي الجزيرة وفي الشام وفي الهند يدرسون الفقه على طريقةٍ معينة منهجية، فاطلبوه منهم ذلك لا تطلب مني هذا؛ لأن هذا هو فنهم وعاشوا فيها السنين الطويلة، عاشوا سنين طويلة في هذه المباحث أكثر مني، للأسف لما بدأت أدرس المبتدئين بدأت بـ «الدراري المضية»؛ انسياقًا لما كنت عليه في ذلك الوقت بالابتداء بكتب الدليل.

ولذلك نقول للإخوة الأحبة: اذهبوا إلى هذه المدارس فهم يعطونكم المناهج في كيفية البداية والدراسة، مع أني لم أر أحدًا نجح في بناء نفسه بنفسه في قضية هذه المناهج، فبعض الناس طول همه ووقته هو أن يجمع المناهج كيف يبدأ! ولكنه لا يمشي، فالطريقة هي أن ينتظم في مدرسة، أن ينتظم في مجموعة، أما لوحده ما رأيت، قد يوجد، ولكنني ما رأيت أحد لوحده هكذا جاء إلى المكتبة وبدأ يبني بنفسه من الكتاب الأولي والثاني والثالث والرابع وهكذا، أنا ما رأيت في الحقيقة.

ولذلك المطلوب هو إما أن تذهب إلى المعاهد الشرعية، المدارس الشرعية وهي كثيرة ومباركة، وإما أن تنتظم

في مجموعات علمية تقوم على هذا الشأن وهي فيها الخير الكثير والمنفعة وهم أصحاب فنٍ لا أصل إلى عشر معشارهم فيه، وهي قضية طريقة بناء الفقه المنهجي بالنسبة لهم، وأنا لست صاحبها وإذا قدر الله عز وجل للمرء أن يُدرس فقهًا فسيأتي يوم ويختار المرء كتابًا في هذا الباب.

والحمد لله رب العالمين.

١٦٩- الجمع بين القراءة والمذهب

ضمن الجلسة الخامسة عشر، بتاريخ: (**١٤/٠٢/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٣/١١/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: هل صحيح شيخنا أنه مُحتمٌ على الطالب في التحصيل انتهاج منهج واحد يجمع بين القراءة والفقه، بمعنى أن يأخذ بقراءة نافع وفقه مالك لانهما مدنيان أو قراءة عاصم وفقه أبي حنيفة لأنهما كوفيان، وأنه لا يصلح لبلد أن يتعبد أهله أو يتقاضوا على فقه الشافعي ويقرأون بقراءة عاصم.

جواب الشيخ: إخوتي هذا بابٌ لا يستطيع أحد أن يضع فيه الكلمة النهائية، لكن هذا الذي قاله خطأ مئة بالمئة، هذا نجزم بخطئه، بمعنى هذا قديم ربما مقبول، يعني أهل المدينة يأخذون برجالهم تعصبًا بالمدينة وما فيها، وذكرًا لكرامتها وفضلها، ومدح النبي صلى الله عليه وسلم لعالمها، وأهل العراق يفعلون هذا، يؤلفون الكتب في ميزة وفضل أهل العراق، وربما أهل اليمن يصنعون هذا، حتى إن أهل الأندلس كذلك فعل ابن الحزم وابن الفرضي؛ ألفوا الكتب في فضل أهل الأندلس.

ولكن لا يوجد عالم من العلماء يفرض هذا الذي قاله الأخ السائل حفظه الله؛ بأنه إذا أخذ فقه بلدٍ يجب أن يأخذ قراءته، وينبغي أن يأخذ مسلكهم في العلم الأصولي ومسلكهم في العلم الحديثي، لا، هذه النقطة لم يقل بها عالم، وثم الآن انتهت قضية علماء المدينة، لا يوجد هناك علماء في المدينة وعلماء في مكة هذه انتهت الآن، هذه قديمًا كان لها ظروفها وكان لها ضرورتها، وأما اليوم فالعالم يوجد في مصر تجد له القراء والأتباع في بلدٍ آخر لما يسمعونه ويجلسون معه في ظل هذه الوسائل الحديثة.

فالقصد: أن هذا الكلام غير صحيح ولم يقل به عالمٌ قط في هذا المعنى الذي ذكره السائل.

لكن أعود إلى المسألة في قضية منهجية طالب العلم في طلب العلم، ما هي الطريقة؟ أيها الإخوة الأحبة: لا يوجد أحدٌ يستطيع أن يقول -لما النظر لما هو معروض، المعروض كثير- لكن المنصف لا يستطيع أن يأتي فيقول: هذه الطريقة هي الأسلم؛ لأننا نحن أمام أسئلة:

هل يبدأ طالب العلم بقراءة كتب المذهب فيترسخ فيه ثم يعدوا بعد ذلك إلى غيره من كتبٍ أخرى ثم يرقى

بعد ذلك إلى كتب الدليل؟ أم أنه يبدأ في الابتداء بالكتب التي فيها الدليل وفيها الخلاف ويترقى وهكذا؟ هل يبدأ بالكتب التي ليس فيها ذكرٌ للمذاهب وإنما تذهب للدليل مباشرة كما هي كتب ابن حزم وكتب الشوكاني وكتب الصنعاني وكتب الصديق حسن خان -مع أن الصديق حسن خان أغلب كتبه مأخوذة من الشوكاني كما تعلمون- فما هي الوسيلة يا طالب العلم؟

يا طالب العلم: كلها وسائل صحيحة لكن على شرط أن تترقى في العلم، يعني هل يصح لأحد أن يأخذ فقه الدليل بمعنى أنه لا ينتبه لكلام المذاهب لا الشافعي ولا الإمام أحمد ويذهب إلى الكتب التي بدأت بالحديث وشرحته وقالت ما فيه؟ هل يمكن للمرء أن يتعدى كتب المذاهب في هذا؟ لا يمكن؛ لأنه لو أنك ذهبت إلى «نيل الأوطار» مثلاً، وهذا من كتب الدليل التي بعض الناس ينصح بها، هل تخلوا من الكلام عن المذاهب؟! هل تخلو من الأخذ من المذاهب؟! لا بد أن يذكر قال فلان وقال فلان، فأنت مضطر أن تتوثق؛ لأن الكثير مما نسب عليه كلام، طيب عندما يذكرها هل تظن أنه استوعب الأدلة التي قالوها؟ فالمبتدئ يمكن له أن يسلك هذا الطريق، مُبتدئ يريد أن يتعبد الله عز وجل وهو في أخذه للشوكاني قد تذهب بمذهبه.

وذهب رجل أراد أن يقرأ مذهب الشافعي أخذ بمتن أبي شجاع، فهذا إذا بقي على هذه الحالة فهو بنفس مرتبة الذي زعم أنه أخذ من الدليل وكلهم في العلم سواء هذا مُقلد وهذا مُقلد، والذي يُشرح له هذا الكتاب، يشرح له كتاب مثل متن «الغاية والتقريب» متن أبي شجاع، لا بد له أن يذكر له الأدلة في هذا الزمان، يقول له: هذا مذهب الشافعي وهذا دليله في المسألة، وكذلك الذي يذهب إلى كتب أحمد عندما يشرح العالم لطالب العلم المبتدئ يقول له: هذا دليله في هذه المسألة، وربما في الابتداء يشرح له النص فقط، يحلل له العبارة لتكون المرتبة الثانية أن يعرف الدليل، وربما يقف إلى هذه المرتبة فقط.

في الحقيقة أن أقرأ ما يقوله فلان وما يقوله فلان، ما هو المطلوب، ما هو الأحسن، كلها طرقٌ صحيحة، وفي النهاية تؤدي إلى مرتبةٍ واحدة وهي أن يرتقي المرء إلى معرفة الأدلة؛ بحيث بعد ذلك يصبح عنده القدرة إلى النظر في الأدلة واختيار ما يراه حقًا من الأدلة، هذه مرتبته، كلها توصل، لو أنه تمذهب بمذهبٍ واحد أو أخذ بكتب التي تصحب بالدليل وهي في النهاية في المرتبة الأولى تقليد، المرتبة الأولى في أخذ كتب الدليل تقليد، أو أنه أخذ بالكتب التي تبدأ بطرح المذاهب والارتقاء بها، لو أن رجلاً قفز به -كما يفعل البعض- فكلها توصل

بطالب العلم المجد الذي يريد أن يصل إلى أن يكون فقيهًا، كلها توصل إلى مرتبةٍ واحدة، أنه ينظر في كتب الأدلة العلمية كأن يقرأ في «المغني» كأن يقرأ في «المجموع» كأن يقرأ في كتب المذاهب التي تطرح إما الأقوال المتعدد للفقهاء أو أقوال متعددة للمذهب الواحد؛ فيقرأ في هذه الكتب ويرتقي إلى أن يختار قولاً يظن أنه الدليل لأن الدليل معه.

فأما أن يقول: أن أهل المدينة لهم فقههم ولهم قراءة ولهم أصول ولهم حديث! هذا الأمر انتهى لا وجود له، والقراءات كما تعلمون -للسائل- كلها روايات، القراءات متعددة روايات بمعنى هذه حق وهذه حق، بخلاف الفقه فالفقه قد يخطئ وقد يصيب، لكن الرواية القرآنية إذا تحصلت فيها شروط القراءة المتواترة؛ كانت صحيحة حقًا، يجب الإيمان بها والإيمان بغيرها على درجةٍ واحدة من التساوي، بعض من أهل جعل هذه أفضل من الأخرى، هذه القراءة أفضل من الأخرى، وهذا مذهب الطبري ورأيت ابن كثير قد ذهب إليه، حتى في بداية السورة عندما رجح ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢)﴾ [البقرة: ٢]، انظر إليها تجد أن ابن كثير رجح قراءة على قراءة في قضية الوقف.

فالقصد: بأن الجمع بين المذهب وبين القراءة هذا جمعٌ على الخلاف، الفقه يصيب ويخطئ، يجتهد القاضي فيخطئ، أما القراءة لا يوجد فيها خطأ، وهذه القراءات المشهورة المتواترة هذه كلها صحيحة وكلها روايات عن الرسول صلى الله عليه وسلم وقالها، وهي قراءة صحيحة يجوز التعبد بها ومعانيها العلمية التي يستفاد منها هي فقهٌ صحيح، هذه فقه وهذه فقه، ﴿أَرْجُلِكُمْ﴾ و﴿أَرْجُلَكُمْ﴾، صحيحة، وهذه لها حكمها وهو الغسل وهذه لها حكمها وهو المسح على الخفين، روايات متعددة فلا جمع بين ما يسمى بالرواية لأهل البلد وبين الفقه.

وما ذَكَرتَه عن قراءة أهل العراق قراءةٌ صحيحة، أما ما ذَكَرتَه عن أبي حنيفة فليس كل ما قاله أبي حنيفة صحيح، وليس كل ما قاله مالك صحيح، هذا فرق لترى.

القصد: في قضية طلب العلم الكثير يعود ويسأل ماذا أفعل؟ الجواب: إن كل البدايات عندي واحدة، وكل هذه الطرق في حقيقتها في الارتقاء تؤدي إلى نقطةٍ واحدة، فاسلك الطريق الذي تراه مناسبًا أو ما تحصلته في بلدك، يمكن في بلدك لا يوجد إلا من يدس الفقه على الطريقة المذهبية، اذهب إليهم، اقرأ عندهم، أو تجد في بلدك لا يوجد من يعلم إلا ما يسمى بفقه الدليل وكله فقه الدليل، ولكن لا بأس مصطلح فاذهب إليه واقرأ

عنده ولا تتوقف وهكذا.

بارك الله فيكم، والحمد لله رب العالمين.

١٧٠- رأي الشيخ بالشيخ مقبل بن هادي الوادعي

ضمن الجلسة الخامسة عشر، بتاريخ: (**١٤/٠٢/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٣/١١/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل أخ: ما رأي الشيخ بالشيخ مقبل الوادعي رحمه الله؟

جواب الشيخ: الصورة من الصعب جداً الآن أن نتكلم كل شيء عن الشيخ مقبل الوادعي رحمه الله، لكن نحاول أن نصنع صورةً مقاربة للمجمل -لمجمل الصورة-.

الشيخ مقبل الوادعي مما هو معروف أن فنه الذي هو مبرز فيه هو علم الحديث، على خلاف ما قاله الشيخ الألباني فيه، تعرفون أن الشيخ الألباني رأى أن إنتاج الشيخ مقبل قليل؛ فحكم عليه بإنتاجه وهذا غير صحيح في الحكم عليه خاصةً أنه معاصر ويعرف عمله، فالشيخ مقبل فنه في هذا الحديث ومن عاش معه طالباً يعلم أنه حين يأتي للحديث يفرغ وسعه وطاقته في الكلام على الرجال، فإذا جاء إلى المتن مر عليه سريعاً؛ لأن هذا هو فقهه وهذا هو علمه وهو علم الحديث.

وبغض النظر عن الإنتاج يعني هل له إنتاج في قضية التحقيقات المطولة، هل اطال؟ يعني هل هو من المكثرين؟ الجواب: لا، ليس من المكثرين في التأليف في هذا الباب في فنه الذي هو فيه وهو علم الحديث، بخلاف الشيخ ناصر الألباني، بخلافه غيره يعني لهم اشتغال في علم الحديث وإنتاجهم أكثر من الشيخ مقبل، فهذا جانب، وهو فنه يصيب ويخطئ، ولكن هذا فنه وعلمه فهو أستاذٌ في هذا الباب ورجلٌ عظيمٌ في هذا الباب.

الأمر الثاني: الآن نأتي إلى الأمور الأخرى، ما هي العلوم الأخرى التي يتقنها؟ في الحقيقة الشيخ مقبل في بقية العلوم ضعيف، في الفقه، في التفسير، في الأصول، وسنتحدث عن أصوله الفقهية في إنكاره الإجماع والقياس مع اضطرابه فيهما، إلا أنه على الجملة في هذه العلوم في غير علم الحديث ليس له فن، وليس له اشتغال.

وهناك سؤال تقدم في قضية المذهبية؛ هو يرى أنه من الابتداء لا يجوز للرجل أن يقرأ كتابًا مذهبيًا، بل عليه

أن يذهب للدليل مباشرة، ولأنه عاش في ظروف معينة وضيقة فكان يرى إمكانية تحصيلها من خلال نماذج عنده لم تقرأ فقه المذهبية وقرأت فقه الدليل على ما يسمى مع الاحتراز لهذا اللقب، لكنه موجود ومنتشر، وجد أنهم قد برزوا ووصلوا إلى المراتب الفقهية المطلوبة عنده التي تعجبه وترضيه، لكن الشيخ بلا شك أنه في الفقه من رآه وهو يفتي علم ضعفه في هذا الباب.

المشكلة الأخرى عند الشيخ مقبل الوادعي: وهي قضية الأصول، هو ينكر الإجماع وهذه مصيبةٌ وطامة، ولعله متأثرٌ من الشوكاني، الشوكاني في «إرشاد الفحول» أنكر الإجماع، ولكنه سار -كما ذكر هو في كتابه- سار مبينًا الإجماع على طريقة الأصوليين، قال: لأنه هكذا في الأصول وإلا فهو ينكره ويرد عليه، ومن قرأ كلام الشوكاني رآه ضعيفًا ومتهافتًا في هذا الباب، والشيخ مقبل في هذا الباب كذلك، فمن أنكر الإجماع من باب أولى أن ينكر القياس، فهو لا يرى القياس في هذا، وهذا ضعف في هذا العصر من إنكار الإجماع مصيبة وطامة.

فالإجماع هو الحصن وهو السور الواقي لقضية التلاعب بالدين، هدم الإجماع حتى بهذه العبارات المتكررة «من أدعى الإجماع فقط كذب»، فتح الأبواب مشروعةً بلا ضابط لأن يقول الناس ما عندهم من غير احتراز من موضوع مخالفة الإجماع؛ فوقعوا في المصائب والطامات، فالشيخ مقبل في هذا الباب يعني للأسف ليس موفقاً في إنكار الإجماع خاصةً وكذلك إنكار القياس.

فموضوع القياس الآن ليس من الخفاء الذي كان عند الأوائل، يمكن لطالب العلم أن يقرأ القياس قراءةً صحيحة عالمة على ما عليه السلف فيعلم حاجة الناس إليه، حاجة الفقيه إليه، هذا ما يتعلق به.

الجانب الطيب الاجتماعي فيه، الآن نأتي إلى جوانب متعددة، الجانب العلمي يعني الشيخ مقبل من فضائله التفرغ للعلم، وصبره وزهده في المناصب الدنيوية، وصبره على بناء المعهد العلمي والجلوس فيه على فقر وحاجة، فهذه منقبةٌ له، ولذلك تفرغه في طلب العلم وفي تعليم الناس وفي بناء المعهد العلمي وتخريج الناس، هذه منقبةٌ تحسب له أرجو من الله عز وجل أن يؤتيه أجره في هذا الباب، وهي منقبةٌ تذكر في إيجابيات في حياته وبعد مماته، ولا شك أن له آثار طيبة للتلاميذ الذين درسوا وتخرجوا في معهده، له آثار طيبة في هذا الباب.

وكذلك أنه كان بعيد عن الحياة الوظيفية التي هي تستهلك العالم كما وقع في ذلك بعض المشايخ وبرأ منها بعض المشايخ فبرزوا وأحسنوا واتقنوا.

النقطة الأخرى: وهي قضية الموقف السياسي في حياته، بلا شك أن الشيخ مقبل الوادعي في هذا الباب مضطرب وليس مما يقتدى به ولا يمدح به في اضطرابه في المواقف السياسية، يعني تجد كلاماً له شديداً في حكام، ثم تجد كذلك سكوتًا لتصرفات شخصية معه، ومن يعرف حياته يعرف هذا جيدًا، أنه يكون شديدًا ثم يلين ثم يشتد وهكذا من غير ضوابط شرعية في هذا الباب، فموقفه من واقعه السياسي من الحكام في بلده وفي غير بلده هو مضطرب في هذا الباب، ويعجب المرء منه ولا يراه موفقاً فيه، هذا مجمل ولا أريد أن أطيل الحديث عن الشيخ مقبل، رحمه الله وغفر الله لنا وله، والحمد لله رب العالمين.

١٧١- هل ترث البنت المتزوجة من رافضي؟

ضمن الجلسة الخامسة عشر، بتاريخ: (**١٤/٠٢/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٣/١١/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخت تسأل: أخوة يريدون قسمة الميراث، وعندهم أخت وحيدة وزوجها رافضي مع حزب اللات وهي راضية في هذا الزوج وتهيئه حين الذهاب والرجوع من عمله مع الحزب، وتنظيف للباسه وهو في الشام -يعني في الشام معنى ذلك انتبه الجواب سيكون وهو بالشام يعني يقاتل في الشام مع الحزب ضد المسلمين وأهل السنة هناك- **هل يقسم لها ميراث، هي تقول: أنا سنية، نود التفصيل؟**

جواب الشيخ: أن المرأة إذا قبلت بعد أن تُعرّف بما هو عليه الرافضة اليوم، وأن أمثال هذا الشخص الذي يقاتل مع الحزب هو في طائفة كفر وهو كافر بعينه، حزب اللات هي طائفة الكفر، ولا أعتقد وقد يوجد ولكن الذي أعلمه بأن أفرادهم كذلك يعلمون معتقد أصحابهم، لا يتصور الجهل في مثل هذا الحزب اليوم فيما عليه اعتقاد الرافضة، ولذلك إذا رجعتم إلى سؤالٍ سابق فإني أرى أن دائرة الجهل للرافضي في دينه دائرة تكاد تعدم اليوم، يعني ما هي المكفرات يعتقدونها، الرافضة يعتقدونها اليوم، ففي الحزب هذا أجلى وأوضح، يعني المكفرات في الرافضة بيّنة عند الرافضة عموماً لانتشار وسائل النشر والإعلام والتنبيه والتعليم في دينهم، فأما في الحزب فهي أجلى وأوضح؛ ولذلك أفراد الحزب حكمهم حكم طائفتهم، في أحكامهم الدنيوية في قتالهم وغير ذلك، وفي أحكامهم الأخروية في تكفيرهم وخلودهم في جهنم، هذه الأولى.

الثانية: هذه المرأة يجب أن تُعرّف أولاً، شرطنا أن تُعرّف، لأنها قد تكون جاهلة، يعني تزوجت ولا تعرف ما هي الرافضة وهناك ناس لا يعرفون دينهم من أهل السنة للأسف، الروافض يعرفون دينهم والكثير من أهل السنة ينفون عن الرافضة ما عليه دينهم، كثير تأتي إليه تقول له الرافضة يقولون بتحريف القرآن، ومشايخ كانوا، ولكن الآن ربما المشايخ لكثرة ما رأوا تراجعوا، وأما في العوام فربما يوجد، وفي العوام رأيت أنا في الحقيقة ما زال هناك عوام ينفون هذه الاعتقادات المكفرة في الرافضة، فهذه المرأة تُعرّف، فإذا عرّفت بذلك وبقيت على ما عليه الحال كما سأل السائل فهي كافرة، كافرة مثله، لا يجوز لها أن تتزوج هذا الرجل، فإذا تزوجته معتقدة ما عليه

ومعينة له على ما فيه.

لأن السؤال ليس فقط أن تتزوج كافراً لأن هذه معصية، لو مسلمة تزوجت نصرانياً مع قيامها بأعمال الإسلام هذه عاصية لا نكفرها، لكن أن تكون ردءاً له في هذه الأعمال التي ذكرت في السؤال بحيث تهيئه وترتب له أعماله من الأعمال القتالية؛ فهذه حكمها حكم زوجها في القتال، ولذلك هذه كافرة على هذا الحال **(لا يتوارث أهل ملتين شتى)**، **(ولا يرث الكافر المسلم ولا يرث المسلم الكافر)**، وهذا هو الصواب في المسألة أنه لا يجوز أن يرث، يكاد يكون إجماعاً أنه لا يجوز توريث –وأظنه إجماع أرجو ذلك– أنه لا يجوز أن نورث الكافر من المسلم، والخلاف في توريث المسلم من الكافر على وجهٍ من الوجوه كما هو مذهب بعض الصحابة كمعاوية رضي الله تعالى عنه.

ولذلك في هذه المسألة لا يجوز أن تورث على الوصف الذي ذكرناه، لابد أن تُعرّف وتقام عليها الحجة وبيان أن حالها هو تقوية لمثل هذا الكافر المجرم في بلاد الشام من كفره وقتاله للمسلمين، فإذا ثبت ذلك فهذا حكمها ولا تورث، وكأنها غير موجودة صفر، والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين.

١٧٢- ما حكم الحجاب «التميمة»؟

ضمن الجلسة الخامسة عشر، بتاريخ: (**١٤/٠٢/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٣/١١/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: ما حكم ما يسمى بالحجاب الذي يُكتب فيه آيات من القرآن أو أسماء الله وليست طلاسم، وما حكم من يَكتب ومن يُكتب له؟

جواب الشيخ: الحجاب هذه يقولها أهل الشام لا أدري من يقولها من غير أهل الشام؟ هل يقولها مثلاً أهل مصر؟ وهل يقولها أهل الحجاز؟ التميمة هي الواردة في الحديث، هذه خلاف بين أهل العلم على شرط ما سُئل عنه، وهو أن يكتب آيات قرآنية أو يكتب أحاديث نبوية أو أدعية شرعية واستغاثات شرعية بالشروط المعروفة التي هي للرقية، سواء الرقية الكلامية أو رقية كتابية، فإذا كانت غير شرعية؛ فالكلام عنها واضح وبيّن لا نريد أن نخوض فيه.

ولكن إذا كانت شرعية هل يجوز أن تكتب، بحيث تعلق، تعلق مثلاً في صدره، تعلق في رقبته، سواء كان رجلاً أو امرأة، سواء كان صغيراً أو كبيراً، هذه على خلاف بين الصحابة رضي الله تعالى عنهم وخلاف بين أهل العلم، والذي أعتقد هو جوازها، أنه يجوز أن تعلق التمائم المكتوبة بآيات قرآنية وأحاديث نبوية أو أدعية شرعية، استغاثات شرعية يجوز أن تكتب، ولا تعلق في البيوت لا تنفع في تعليقها في البيوت، ولا يجوز وذكرت هذا سابقاً في جوابٍ سابق في أنها لا تعلق في البيوت وإنما تعلق في رقبة المصاب الذي أن نرجو له الشفاء، أو أنها تكتب ثم توضع في ماء بحيث يرش فيها البيت أو تشرب ما لم يكن هذا الذي كتبت فيه مادة سامة فيجوز ذلك والسلف على هذا، كثيرٌ من السلف على هذا.

وحتى المتأخرين يقولون بشيءٍ من هذا، فابن تيمية ذكر في إحدى كتبه وأظن «إيضاح الدلالة في عموم الرسالة» أظن في هذا الكتاب، أنه أشار إلى طريقة الصحابة رضي الله عنهم في تعجيل ولادة المرأة إذا تعسرت، أنه تكتب بعض الآيات وتوضع في الماء ويؤخذ هذا الماء ويرش على المرأة فتسهل ولادتها، وابن تيمية رحمه الله يقول: «وقد جربت فثبت نفعها»، طبعاً الشرع لا يثبت بالتجربة ولكن للاستطراد يدل على معنى من المعاني

بعد ثبوت الأصل والأصل قد أثبتناه، وأنا جربتها؛ استفتاني بعض الإخوة شكوا من عسر ولادة نسائهم فأفتيتهم بما قاله ابن تيمية وما ورد فيه؛ فكان نافعاً جداً.

فإذن القصد: بأن التميمة إذا كانت على المعنى التي ذُكر من التعليق أو مما ذكرنا بأن توضع في الماء من أجل رد السحر، من أجل رد العين، من أجل دفع بعض الأمراض مما ذكرنا منه فهذا لا بأس به والله تعالى أعلم، وهو من نوع القراءة، الصحابة كانوا يقرأون وثبت أنهم استرقوا بالفاتحة كما تعلمون وليس في ذلك مخالف فهذا من هذا، أن تقرأ من هذا وأن تكتب الكتابة والقراءة فيها نفس المعنى، ولا ينبغي أن توضع هذه المسألة في كتب العقائد كما فعل البعض، لا توضع في كتب العقائد، هي مسألة من مسائل الفطر ربما يرجح هذا ويرجح هذا، والإمام أحمد رحمه الله كان يفعل هذا في الصغار يعلق التمائم على الصغار ورد عن هذا وصح عنه هذا رحمة الله عليه، وأن ورد عن بعض الصحابة النهي عنها، وربما يُحمل هذا النهي على التمائم التي تكتب بالطلاسم أو يكتبها اليهود أو يكتبها المشعوذون وما شابه ذلك والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين.

١٧٣- ما حكم الدعاء بـ «الله يخليك»؟

ضمن الجلسة الخامسة عشر، بتاريخ: (١٤/٠٢/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٣/١١/٢٠١٧ م)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: ما معنى وما حكم الدعاء بـ «الله يخليك» هناك من ينكرها لأن معناها الترك، خلاه أي تركه، فما صحة ذلك، وهل هناك معاني أخرى لهذا الدعاء؟

جواب الشيخ: نعم، إما يخليه يتركه، يعني رجلٌ عنده عبد فخلاه يعني أعتقه، ورجلٌ يريد لأحدهم أن يعاقبه فخلاه، تخلية، فخلاه ماذا يعني؟ ترك عقوبته، إذن رأينا أنه أعتقه من العبودية خلاه وتركه من العقوبة، خلاه تركه من العبودية، وكذلك خلاه يأتي ويقول: رجل خلى ابنه يعني لم يقم بشأنه، خلاه تركه طرده ولم يطعمه ولم يسقه، فهذه تخليةٌ باطلة.

فإذن التخلية الترك إما تكون لما هو خير للمتروك، لمن خُلي، وإما أن تكون التخلية شرًا لمن خُلي، فالناس حينئذٍ لابد من النظر إلى المعاني، أهل المغرب يقولون: أن النار هي العافية، فكانوا يستنكرون على الشامي إذا اجتمعوا يقول: الله يعطيك العافية، وذاك يستغرب! يقول: العافية هي النار يعني الله يعطيني النار!! والعافية من اللغة النار، نعم، لماذا؟ لأنها تعفو تزيل فسميت النار لأنها تزيل، والعافية هي ماذا؟ النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (**اللهم نسألك العفو والعافية**)، فالعفو فيما يتعلق بالذنب والعافية فيما يتعلق بالمرض، ما يتعلق بشأن الدنيا، يعافيه من الأمراض يعافيه من الفقر يعافي من البلاء، فلا بد أن ننظر للمعنى.

لكن السؤال ليس هنا، فإذن كلمة الله يخليك لا ينبغي أن تُحمل ويتفلسف أحد أن الله يخليك يعني يتركك من غير عطاء، يتركك على فقرك فلا يغنيك، يتركك على جهلك فلا يعلمك، هذا إلا إذا كان الصاحب لهذه الكلمة -الداعية- صاحب سوء في المدعو، يعني يريد له الشر، والناس في أغلبهم لا يقولونها على هذا المعنى، يقولونها على المعنى الحسن، يعني الله يخليك بمعنى الله يبقيك، يخليك يعني يبعد عنك الموت، فهذا الدعاء وهو بإطالة العمر نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم هنا يأتي النهي.

فالناس يقولون: الله يبقي عمرك، الله يطيل عمرك، فيصح في الشرع، هل يطول العمر؟ يطول العمر، لقوله

صلى الله عليه وسلم: (**من أحبّ أن يُبْسَطَ عليه في رزقه، وأن يُنْسَأَ له في أَثَرِهِ؛ فَلْيَصِلْ رحمه**)، وإطالة العمر ثابتة في الشريعة، على المعاني السنية لا نريد الآن أن نخوض في هذا المعنى، ولكن ثابت إذا فعل المرء أفعالاً فيطل الله عز وجل عمره، كما أن المرء إذا عمل بالأسباب السنية سواء كانت مما ثبت شرعاً أو ثبتت قدراً مما تعارف الناس عليه؛ يزيد رزقه، كذلك العمر مثل الرزق، فالرزق مُقدر والعمر مُقدر، فالرزق يزيد والعمر يزيد.

لكنه ثبت على النبي صلى الله عليه وسلم أنه قد دعت أم حبيبة لأخيها معاوية أن يطيل الله عمره، فقال صلى الله عليه وسلم: (**قدْ سَأَلْتِ اللَّهَ لِآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ، وَأَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ، وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ، لَنْ يُعَجِّلَ شيئًا قَبْلَ حِلِّهِ، أَوْ يُؤَخِّرَ شيئًا عن حِلِّهِ، ولو كُنْتِ سَأَلْتِ اللَّهَ أَنْ يُعِيذَكِ مِن عَذَابٍ في النَّارِ، أَوْ عَذَابٍ في القَبْرِ، كانَ خَيْرًا وَأَفْضَلَ**)، كأن النبي صلى الله عليه وسلم أشار لها أن تدعو لما هو خير، وما هو أفضل من قضايا الدين، ولم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه دع لرجلٍ بإطالة العمر إلا على معاني من الخير كدعوته لأنس رضي الله تعالى عنه.

فالقصد: أن الناس إذا دعوا في هذا، إذا كان من الأفضل أن يدعو بإطالة العمر على المعنى الحسن من الخير، فهذا لا بأس به، وإن كان الأفضل إذا كان من الأمكن أن يدعو له فيما هو خير له في دينه ودنياه فهو الأفضل، فدل هذا على الجواز، وإن كان الأولى تركه لأنها مقدرة، والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين.

١٧٤- يوجد في بعض التسجيلات صوت موسيقى، فما السبب؟

ضمن الجلسة الخامسة عشر، بتاريخ: (١٤/٠٢/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٣/١١/٢٠١٧ م)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل سؤالاً طيباً -لا نقول سوى هذا- يقول: سلامٌ عليكم ورحمة الله -السلام عليكم ورحمة الله أفضل، السلام، لا بأس- شيخنا الفاضل من باب حقك عليّ أن أتبيّن وأسأل وأنبه، وجد في بعض أجوبتك يختلط معه موسيقى عابرة ولا أعرف ما السبب؟ ثم ذكر مثال الجواب على الموقف من المخالف في دقيقة الخمسة وثلاثين ثانية ثم بعده، إن لم يخوني سمعي ووجدته في جوابين آخرين أيضا، أحببت التنبيه من باب حب الولد لوالده.

جواب الشيخ: أنا حرصت بالحقيقة أن أجيب عن هذا السؤال؛ لأنه مع شكري للأخ السائل يعني الحمد لله أن الأخ سأل وتنبه مع أن هذا السؤال حتى عليه ما عليه، هو قال: أنه يعاملني كوالد ومن حق الوالد أن ينبه ولده كذلك، الحقيقة هذا السؤال يعبر عن حالة نعيشها في هذا الظرف، للأسف يعني قل ما نجد حسن الظن في إخواننا، وقل ما نُبعد الأشياء التي لا قيمة لها ولا أهمية لها في الحديث.

أولاً: للجواب على هذا السؤال ليفتح الموضوع، أنا لا أسجل في استوديو، نحن لسنا في استوديو مغلق ومبطن حتى لا تسمع الأصوات الخارجية منه حتى يُحافظ على الصوت نقياً، نحن نسجل في بيت كنت أتيه والحرارة مشتعلة ولا يوجد فيه مبرد وإذا شغلنا الهواية سيخرج الصوت وأنتم تشكون من ضعف الصوت فكيف لو شغلنا هواية ولذلك كنت ألبس فقط الطاقية لأني لا أستطيع أن أضع الغترة أو الحطة أو السُلك أو كما تسمونها الشماغ، أسماء كثيرة، فلا أستطيع بسبب الحر الشديد، وإذا شغلنا الهواية قلت لكم: يخرج الصوت، وما شاء الله ليس عنده يعني مبرد، فمن أجل هذا نفتح الشبابيك فتدخل علينا الأصوات واحد بسلم على واحد، واحد بياع خضروات، البطاطا الكيلو بدينار الباذنجان ثلاثة كيلو بليرة، تدخل عليكم الأصوات، ثم في بيت الدرج هنا يبدأ الصوت واحد ينادي على واحد ويسب عليه، ولد يصرخ نازل طالع.

وكذلك مما يدخل علينا أيها الأخ السائل يدخل علينا صوت الموسيقى، صوت الموسيقى الذي يدخل علينا

هو الصوت بائع جرار الغاز، أنت لست في الأردن ربما في بلدك الغاز يصل إليك عن طريق الأنابيب، هنا لا، هنا الغاز يباع في الجرار فالسيارات تطوف على البيوت وبين البيوت وتضع هذه الموسيقى، فتدخل علينا الموسيقى فهي ليست موسيقى باخ ولا موسيقى بتهوفن ولا موسيقى السنباطي، هي مجرد أظن موسيقى مركبة من آلات كمبيوترية، فهذا يعني هذا الجواب أولاً يعني للتنبيه.

الموضوع الأهم من هذا: هو أن نحسن الظن يا جماعة، يعني هل تتصور أنني أنا أسجل في البيت وهناك ابن لي أو هناك ابنة لي أو زوجة لابني، أو زوجتي تسمع موسيقى، بعدين انتبه يعني الموسيقى ليست جميلة يعني حتى يسمع لها، حلل حاول يعني بأن تحلل الموضوع، جيد إنك سألت، ولكن الأولى ألا تسأل يعني أمر هذا منتهي منه، ثم يعني هل بلغ يعني لدرجة الغفلة في ظني أن أسمع الموسيقى في السر، يعني ما أردت أن أسمع الموسيقى إلا وأنا أسجل الأجوبة!! ماذا نصنع؟ لم نستطع أن ندفعها!! وإذا أردنا أن ندفعها لا نستطيع أن نُنهي تسجيلاً لأنه إذا ذهبت سيارة الموسيقى بائع الغاز، يأتي الصوت بائع الخضروات، وليست سيارة واحدة سيارات، ثم يأتي بعده صوت الجيران والدرج وغيره، فهذا بيت منفتح، ووضعه مأساوي -هذه هي جاءت الآن سيارة الغاز يعني الحمد لله يعني ليكون الدليل قائم- وأنا في الحقيقة لا أعتبر هذه من الموسيقى في شيء يعني لأنها ليست من الاستماع وليست مما يتردد يعني تنبيهات ولا شك أنه يُنهى عنها، لكن يعني ليست من لأهمية بمكان.

القصد من هذا: يعني ما لنا وإخواننا، وإخواننا قليلاً يعني في التعامل مع إخوانهم أكثر تشددًا من تعامل الناس فيما بينهم، يعني ليس شكوى أنا والحمد لله يعني جسمي تكسرت النصال على النصال كما يقول أبو الطيب، لكن يعني أحسنوا الظن بأخيكم، عندما نتكلم أي كلمة، لماذا في كل موضوعٍ لا بد من الاتهام بسوء النية والمعصية؟! لماذا هذا؟! يعني أخ يأتيك ويقول: أنت مشروع لأن تكون مثل فلان أو فلان أو كذا، وأخ ينظر ويقول انظر ماذا يقول، ألا يكفي جيش الذباب الالكتروني الذي يعني يسب ويقدح؟ ألا يكفي هذا الموجود؟! يعني حتى يأتيك أخ ويضع القشة التي قصمت ضهر البعير.

سبحان ربي العظيم أريد من إخواني أن يحسنوا الظن بدين الناس، ديننا أغلى علينا من أن نضيعه، ولا يُهمنا ما يقول: فلان وفلان ولو كانت الموسيقى عندي جائزة لاستمعت أمام الناس كلهم ولا يهمني ما يقولون، وهناك مشايخ على هذا الأمر، ولكن في هذا الأمر ما أقوله بإذن الله عز وجل ألتزم به وإساءة الظن بإخوانك

والمشايخ وكذا هذا ليس من العهد، من حسن الصحبة وحسن العهد بيننا، فرجاءً يعني على إخواننا أن يحسنوا الظن بنا وأن يراعوا ظروفنا وأحوالنا، نحن لا نسجل هنا تسجيل المؤسسات، ترون مرة مشكلة في الصوت، مشكلة في الصورة مرة، هذه ظروفنا وهذه أحوالنا، من أين نأتي؟ ماذا نصنع؟! هذه ظروفنا وأحوالنا، هذا ما نقدم من خير للناس فيه، نحاول جاهدين، بيت مفتوح من أجل أن يدخل شيء من الهواء نفتح الثلاث أبواب والشبابيك، وإذا جاء الصوت يقوم الأخ راكضاً لا ترونه هناك ليغلق لئلا يدخل الصوت، لكن هذه ظروفنا وهذه أحوالنا والحمد لله رب العالمين.

١٧٥- مقومات الصبر

ضمن الجلسة السادسة عشر، بتاريخ: (**٢٠/٠٢/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٩/١١/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

إخوةٌ في السجن يطلبون من الشيخ أن يحدثهم عن مقومات الصبر، فعلى الرغم من أنّهم يقدّرون الظروف والوقت، لكنّهم مازالوا ينتظرون الحديث عن مقومات الصبر.

جواب الشيخ: لعلي أفهم من هذا السؤال أنّي كتبت عن حكمة الابتلاء، وقد طلبها أخٌ مني في السجن أن أكتب عن حكمة الابتلاء، فكتبتها، ثمّ قدّر الله عز وجل، طبعت هذه الرسالة وخرجت، وكتبت فيها ما حضرني وما قدرت عليه، وما وفق الله عز وجل العبد على فعله، وقلت في آخر المبحث: فلعلي أكتب للإخوة عن مقومات الصبر، وثمّ بعد ذلك أخذتنا الشواغل، ولم أستطع أن أفي بوعدي في أن أكتب رسالةً في مقومات الصبر، وتعلمون أنّ الكتابة لا تكون في وقتٍ واحد، فرق بين الكتابة وبين الكلام، الكتابة تكون في أوقات متعددة، وفي خلال التفكّر، يعني أنت تكتب موضوعاً، ثمّ تذهب، وتمشي، وتصلي، وتناقش، وذهنك يكون مشغولاً في هذا الأمر، فتنشأ عندك الأفكار، فتسجلها على كُنّاشة -كما يسميها سلفنا، وما زال يستخدمها أهل المغرب، جزاهم الله خيراً، وإن كانت هذه الكلمة ضعيفة جداً في استخدام المشارقة لها، يسمّونها مسوّدة أو ما شابه ذلك من الكلمات- فيكتب كثيراً، ويجمع في الكتابة أكثر من اللقاء، والسؤال يكون المرء حاضرًا، خاصةً إن لم يكن قد حضّر للموضوع كبحثٍ أو كمحاضرة مستوعبة للموضوع، وأنا على هذا المعنى الآن، يعني السؤال الآن قرأته، والآن أجيب عليه، فسأتكلم عنه مما خطر على البال مسرعاً، ولا شك أنّه سيكون قاصرًا عن المطلوب.

فأقول للإخوة الأحبة؛ أولاً: نبّه علماؤنا بأنّ الصبر هو مادة كل عمل، وكل الشريعة قائمةٌ على الصبر، وكل تكليف لا بدّ أن يكون مرتكزاً على الصبر، لا يوجد عمل من أعمال الشريعة لا يحتاج إلى الصبر، فالصبر هو ركن الأعمال، منشأ الإرادة هو تدافع الإرادات، كيف تكون الإرادة؟ تنشأ من خلال اختيارك بين إرادات متعددة، وتكون هذه الإرادة منشؤها قوة الدافع، ما الذي تحب؟ أنت تريد أن تنام فتتابع إرادة النفس واتباع الهوى، أم تريد أن تقوم فتصلي فتتابع إرادة محبة الجنّة، ورضى الله والتلذذ في الطاعة، وهكذا تنشأ كلها.

وهذه الإرادة قد تكون كما يرى الإنسان قوية في بداية الأمر، وقد يُقدم على العمل نشيطاً كما هو في الحال في كثير من حياة البشر، يقدمون على الأعمال حالة نشاطهم وقوتهم، فحين يبدؤون في العمل؛ تقصر إرادتهم عن المتابعة، ما الذي يحتاجونه بعد ذلك؟ يحتاجون إلى هذه المادة الجليلة: الصبر، قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (١٠)﴾ [الزمر: ١٠]، لا يوجد عمل من أعمال الشريعة، إلا وهو محتاجٌ إلى الصبر، ولذلك ألّف ابن القيم رحمه الله كتاباً سمّاه: «عدة الصابرين»، وبعضهم يقول ليس عدّة، إنّما عدَة الصابرين، أي ما يعدهم الله عز وجل به.

فكيف ينشأ الصبر؟ وما هي مقومات وجوده؟ أولاً: أن يتعلم الناس هذا الأمر، للأسف فإنّ الكثير من أنواع التربية التي تنشأ في مجتمعات المسلمين، تعلّم الأطفال عدم الصبر، وتُنشئهم على الملل السريع، وتُنشئهم على التسويف، هذه مادة الشيطان، ومادة الفساد، ومادة انقطاع الخير، الذين ينشؤون في بيئات فيها التحدي، وفيها التربية الصحيحة؛ يتعلمون أنّ الأمور تُبنى من خلال القواعد، حتى تنتهي إلى النهاية، البعض من الناس يربون على الترف، ولذلك الترف في لغة القرآن مذمومٌ على أي وجه، مذموم، الذي ينشّؤا في الحلية هذا إنسانٌ يجني الأشياء بسرعة وسهولة ولا يعرف قيمتها، ينفقها كذلك بسهولة، ولا يعرف قيمتها، الذي ينشأ في بيئة البلاء، والصبر، والقوة، وفي الأحوال الصعبة، تنشأ عنده الإرادات القوية.

ومن هنا لعلي ذكرت هذا في مناقشة لكتاب «الحضارة» لحسين مؤنس، عندما تكلم عن قضية الشعوب، والاختلاف بينهم في نشاطاتهم وفي تطلعاتهم، وفي إراداتهم للغزو والغنيمة، فقال: إن إفريقيا بسبب كثرة ما فيها من خيرات علمت الإنسان الكسل، يجني أشياءه بسرعة، الثمار موجودة والماء بكثرة، والأرض واسعة جداً بالنسبة إلى أعداد سكّانها، ولذلك أنشأت لديهم الكسل، لا لأنّ الإنسان الأسود كسول بطبعه، كما هي جيناته كما يقول العنصريون، لا، لكن البيئة ألقت بظلالها على هذا النوع من التربية، وعلى هذه النفوس.

نرى الأوروبيين في حالةٍ مختلفة، الأوروبيون نراهم في أعداد كثيرة، نراهم في بقعة ورقعة جغرافية صغيرة جدًا، ونرى أنّ الخيرات والطعام لا يأتيهم بسهولة، الجبال، والبرودة الشديدة وهكذا، فلذلك يحتاجون للجهد الشاق من أجل أن يجنوا على المنافع، من هنا كانت تطلعاتهم الاستعمارية لبلاد الشمس، التي هي بلادنا، بلاد العسل والخيرات، يتطلعون إليها وما زال هذا تطلعهم، فأنشأت لديهم إرادة قوية، كيف؟ لا يستطيع أن يتحصل طعامه

وشرابه ورزقه إلا من خلال الجهد والمشقة والتعب، فالأصل أن نُربّي أنفسنا على هذا، أن نعلم أنّ الأشياء لا تُجنى من خلال الضربة الواحدة، ولا من خلال الأمل الواحد، ولا من خلال الحركة الواحدة، لا، الله عز وجل أقام الوجود على معانيه المتكاملة الأركان المتعددة، الشيء له أركان، لا بد أن تقوم بها، تفرغ من شيء، وتأتي إلى شيء وهكذا... إلخ.

وبعد أن تنتهي من الأركان تأتي بالواجبات، ثمّ بعد الانتهاء من الواجبات، تأتي بالتحسينات وهذه لا تنتهي، التحسينات لا تنتهي، ثمّ بعد هذا الأمر لا بد من المحافظة عليه، بعد قيام الشيء لابدّ أن تحافظ عليه، ما الذي يطلبه هذا؟ يطلب الصبر، يطلب المتابعة، ولذلك الله عز وجل لما ختم أوامره لشخص النبي صلى الله عليه وسلم، في رِفعة شأنه، قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١)﴾ [الشرح: ١]، قال تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ (٧) وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ (٨)﴾ [الشرح: ٧-٨]، يعلمه ربه جل في علاه بأن لا ينتهي أبدًا من العمل، لا ينتهي، فإذا فرغ من عملٍ يجب أن يرغب وأن يبدأ ويشرع في عملٍ آخر، وهكذا كان شأنه صلى الله عليه وسلم، لا توجد البطالة في حياته قط، لا يوجد بطالة، لا يوجد وقت هكذا بلا شيء، بلا قيمة، بلا أهمّية، من عملٍ إلى عمل، يفرغ من شأن أهله، إلى الصلاة، يفرغ من الصلاة إلى شأن أهله، إلى شأن أمّته، إلى شأن أبناءه، إلى شأن نفسه، طاعته، وهكذا، كان يقوم في بيته بشؤون بيته، لا تراه هكذا مستلقياً لا عمل له، فإذا جلس ليستريح ضرورةً، يشرك هذه الاستراحة بعملٍ لا يحتاج إلى جهد، كالذكر، والطاعة، وقراءة القرآن، والتفكر، أعظم أنواع العبادة التفكر.

ولذلك لا يوجد للمرء حالة بطالة، هذه يفعلها السفهاء، ويفعلها الذين ليس لهم شأن في الحياة، لا يصنعون شيئاً في الحياة، يمرون على الحياة كالضيوف، ثمّ ينتهي أمرهم، الذي ينبغي أن يفهمه المرء أنّ الله خلق الإنسان في كبد، هذا نصٌ قرآني، ﴿خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ (٤)﴾ [البلد: ٤]، والكبد يعني المشقة، يعني لا يوجد شيءٌ في هذه الحياة الدنيا، يأتي بلا مشقة، لا يوجد، المال يحتاج إلى مشقة، الطعام يحتاج إلى مشقة، دخول الجنّة يحتاج إلى مشقة، الزواج يحتاج إلى مشقة، كل شيءٍ في هذا المرء إمّا أن تكون المشقة سابقة له لتحصيله، وإما أن تكون المشقة تالية له بعد الفراغ منه، فالمشقة حالةٌ بشرية، يجب على المرء أن يفهمها فهماً تاماً، هذا الفهم يورث لديه عزيمة الصبر والإصرار، وأن لا يفرغ من الأمر حتى ينتهي منه، (**إنّ الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً؛ أن يتقنه**)، هذا هو الصبر، وهو أن تبقى متابعاً للأمر لا يوقفك فيه شيء حتى تتم منه، هذا غلاف

الصبر.

إذا وقفت تصلي، النفس ستنازعك، تقول لك: خلاص أنت يكفيك أن تقرأ السورة الفلانية وتنتهي منها، ومعك وقت طويل، فأنت لا تتابع هذه النفس، ولكن سأعلمك كيف تداري النفس، وكيف تلتف عليها، وكيف تحتال على هذه النفس، هذه النفس تحتاج إلى تعامل لاعب الأفاعي، كيف يحتال عليها، ليحتال على النفس، هذه النفس في داخلك أنت غير نفسك، أنت تخاطب نفسك، أنت لا ترضى عن نفسك، فأنت غير نفسك، ولكن هذه النفس مثقلة بالأمراض، وبعد الأمراض مثقلة باللوم، وعليك أن تتعلم هذا، إذا تعلمت هذا نجوت، فعليك أن تحتال على النفس، النفس تريد منك أن تجلس، طيب بعد أن تجلس يبدأ لومها، فلماذا لا تعاقبها على أن لا تلومك؟ هذا ينبغي أن تحدث نفسك به، فالكثير من الناس يفعلوا الفعل، وهذا الفعل لا ينفعه لا في الدينا ولا في الآخرة، بل قد يكون مضراً في الدنيا، وقد يكون له عقوبة في الآخرة، فإذا فرغ المرء منه لامته نفسه، وهو يعلم هذا من خلال التكرار، من خلال التكرار يعلم هذا من نفسه، فإذن عليه أن يُفهمها أنّه لن يسمح لها بالاستهزاء به، ولا بلومه، فعليه أن يقضي العمل، وأن ينتهي منه.

انظر هذا الخطاب الذي ينشأ في نفسك، هو من مقومات الصبر، من تعلميك الصبر، الفعل لا يكون أبداً، هذا شيء، شيءٌ آخر: الفعل لا يكون أبداً إلا بنهايته، هب أنّك تحتاج لشراء هذه النظارة بمئة دينار، هب أنّك تحتاج مئة دينار، فلو جنيت تسع وتسعين دينار، لا قيمة لها، القيمة المهمة هي الدينار الأخير، الأشياء ببدايتها لها قيمة، والبدايات لها ترتيبها، ولها إدارتها في النفس تحتاج إلى ذكرى الدار الآخرة، تحتاج إلى صراع الإرادات، تحتاج إلى مقوّم الإرادة، تحتاج... إلخ.

فإذا بدأت بهذه الإرادة وشرعت، واستطعت أن تجابه المحبطات والمانعات من حصول البدايات، ونجوت من هذه المحبطات وهذه الموانع، ارتقيت إلى العمل، حينئذٍ هذا العمل حين تبدأ به، يحتاج إلى الصبر، ومن أعظم الصبر هو النهاية، والنهايات هي جمال كل شيء، بل هي كل شيء، يعني هذا الدينار الأخير الذي يصل به إلى المئة دينار هو المئة دينار، الدينار الأخير الذي جنيته من أجل أن تشتري به الشي الذي ثمنه مئة دينار، هو المئة دينار، ومن دونه كأنّ التسع وتسعين لا قيمة لها، لا تحصل لك المراد.

ومن هنا فإنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(وأنا اللبنة)** شبه النبي صلى الله عليه وسلم حال الأنبياء

كبيت، بني بيت، وبقي فيه موضع لبنة، يمرّون الناس فيه يقولون ما أجمل هذا البيت لولا هذه اللبنة، قال: **(أنا اللبنة)**، فكان خاتم كل شيء هو كل شيء، وهو أجمل شيء، النهايات هي أعظم ما في الأعمال، نهاياتها، فلذلك انظر في نهايات الأمور، يصل المرء إلى البلاغ التام، الدعاء متى يقبل في الصلاة؟ في خواتيمها، وما أفضل أنواع الدعاء؟ هو قبل أن تسلم، أقرب ما يكون العبد في قبول دعاءه قبل أن يسلم، في النهايات والناس يغفلون عنها، لأنّهم يكونون في لحظة تشّوقٍ إلى الاستراحة، وهي حالة تُغيّب -هذه حالة الشوق إلى الاستراحة- تُغيّب قيمة ما هو فيه، بعد رمي الجمرة يقف يدعوا، في نهاية الأمر عليه أن يقف يدعوا، نهايات الأمر هي أعظم شيء، قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (٣)﴾ [النصر: ١-٣]، أنت بلغت ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾، خلاص نجوت في النهاية.

فلذلك هذه النهايات مهمةٌ جداً، ويجب أن نتعلم قيمة اللمسة الأخيرة، يجب علينا أن نتعلم هذا، للأسف الذي أراه في مواضيع الدنيا، نرى أنّ خصومنا من أعدائنا من الكفّار من أعظم الناس إتقاناً للمسة الأخيرة، نحن في بلادنا من أكثر الناس جهلاً باللمسة الأخيرة، يتعبون في البدايات ويشقون، ثمّ يبقى الشيء القليل المهم، ويحتاج إلى جهد فيتركونه، وتبقى المعرة والذنب عليه حتى يسري الفساد في الأشياء التي سبقت.

أضرب لكم مثالاً حصل في بيتي، في السطح، جاؤوا وبلّطوا السطح كله، وتركوا مكاناً، البلاط من أجل أن لا ينزل الماء إلى السقف، وتركوا مكاناً لبلاطة صغيرة، ثمّ جاء المطر، ونزل المطر على هذه البلاطة، وكأنّ كل البلاط لم يكن له قيمة، اللمسات الأخيرة هي من أهم ما ينبغي أن يبذل الناس جهدهم، وعقولهم، وفكرهم، من أجل تحصيله، فهم هذا الأمر، مبعثه هو تطلعات الناس، أين أنت؟ إما أنت تكون كما سمّاه سلفنا: مخنّث الإرادة، بمعنى رجل بطّال ولا قيمة له، هذا لا يخاطب -الذي يسمونه بالتنبل- هذا يحتاج إلى إعادة تأهيل، من أجل أن يفهم ما قيمته في الحياة، من أنت؟

لكنّ المرء حين يكون مسلماً، وحين يكون داعياً إلى الله، وحين يكون مجاهداً، وحين يكون همه هو أن ينصر الدين وأن يرفع مقامه في الجنة، والنبي صلى الله عليه وسلم دفعنا إلى عظيم التشوّفات فقال: **(إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس الأعلى من الجنّة)**، لا تنظر إلى تقصيرك، لكن همّتك عالية، لتكن همّتك عظيمة، هؤلاء

الصحابة رضي الله عنهم كيف بناهم النبي صلى الله عليه وسلم؟ كيف بنى نفوسهم؟ لو كانت مهمات نفوسهم فقط أن يجلسوا في المدينة، لما فتحوا مكة، ولو كانت نفوسهم تتطلع فقط إلى فتح مكة، لما تتطلعوا إلى فتح الجزيرة، ولو كانت نفوسهم تتطلع فقط إلى الجزيرة، لما خرجوا إلى بلاد الشام وإلى العراق، ولكن انظر إلى هذه الهمم العظيمة، التي بُنيت نفوسهم عليها، هذه الهمم العظيمة والتطلعات الكبيرة، التي بعثت هذا العربي الذي أكبر همه أن يكون له الدابّة، أن يكون له الجمل، أن يشرب لبن الجمل، وأن يستظل بظلّ جاعد له قطعة قماش، هذا الإنسان الذي هو مأسورٌ بهذه البيئة الضعيفة، والتطلعات القاصرة الدنية، كيف بعث هذا الإسلام؟ كيف بعث النبي صلى الله عليه وسلم في قلوب أصحابه أن يكونوا سادة العالم؟ وأنّ القرآن يعلمنا ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، ﴿وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، انظر هذه الهمم، هذه همم جعلتهم يتطاولوا الجبال، يصارعوا الامبراطوريات ويقضوا عليها، ويقيموا أممًا جديدة تدخل في دين الله أفواجا.

فإذن الأمر الذي ينبغي أن تفهمه في هذا الباب، هو أنّك رجلٌ عظيم، وأنّ مهمتك عظيمة، واعلم أنّ المهمة العظيمة التي عندك هي أين تضع لبنتك؟ يعني رجل يمكن أن يصنع لبنة، انظر، انتبه! رجل يمكن أن يصنع لبنةً ما وضعها في داخل، مثلاً هو عنده خيمة في الصحراء، ويضعها فقط، يصنع هذه اللبنة ويضعها أمام خيمته من أجل أن يمسح رجله إذا خرج، هذه اللبنة، هذا مقدار عقله ومقدار نظره إلى قيمة هذه اللبنة في الحياة، رجلٌ آخر له مقامٌ آخر، يصنع نفس اللبنة هذه، ولا يرضى إلا أن يضعها في قصرٍ عظيمٍ يشاد ويكون له القيمة في الحياة، ما الفرق بينهما؟ الفرق في النفس، في داخل النفس.

وأقصد بهذا أنّك حين ترى فعلك من أجل إقامة الدين، تكون هذه اللبنة هي كل شيء في داخل هذا القصر، وحين تزال هذه اللبنة، القصر يكون ناقصًا، فأنت بلبنتك هذه صنعت قصرًا، على القاعدة التي قلناها: أنّ الأشياء بتمامها وبنهايتها، فمن غير هذه اللبنة التي هي لك، لا يكون القصر جميلاً، ولا تامًا ولا فيه القيمة، فرجلٌ إرادته أن يضع هذه اللبنة، في هذا القصر، فحينئذٍ تكون لبنته هي القصر، ورجلٌ آخر لبنته أن يضعها أمام بيته من أجل أن يمسح حذاءه، هنا يأتي الفرق.

وحين أنت تتكلم كلمة، تدعوا واحداً من الناس، وحين تعلم كلمةً للناس، لتكن مهمتك بأنّ كلمتك هي من أجل تحقيق نصرة الدين في الأرض، نصرة الدين كله، انظر لما النبي صلى الله عليه وسلم دعا أبو بكر

الصديق إلى الإسلام، ولما أبو بكر دعا عبد الرحمن بن عوف، ودعا الزبير، وطلحة، وعثمان رضي الله عنهم، هؤلاء العظماء، لو أنّهم دعاهم بتلك النفسية الضعيفة، رجلٌ يسلم وانتهى الموضوع، لكان أجره على مقدارها، لكن قطعاً أنّ أبا بكر عندما دعاهم، دعاهم ليكونوا أمّة، ليكون كل واحدٍ منهم أمّة، وقد كان، فله أجورهم بوضعهم، وبصفتهم أنّهم أمّة كذلك.

فإذن أنت عليك أن تفهم دورك في الحياة، لا ينشأ الصبر أبدًا من غير أن تفهم من أنت في هذه الحياة، هذا صبرٌ على الأعمال، وهذا بابٌ واسع، مع كل ما تكلمته أشعر أنّي فقط أنقر نقرًا أمام هذه الأمور، لكن ينبغي أن تعلم من أنت؟ أنت المسلم الذي كلّفك الله عز وجل بإقامة الدين في الأرض، أنت المسلم الذي إن أطلقت كلمة، جعل الله عز وجل صداها في الأرض جميعاً، ربما رجلٌ يتبعك على هذه الكلمة فيكون إمامًا، أو يكون قائدًا، أو يكون جنديًا في معركة، لولاه ولولا أمثاله لكانت الهزيمة في المعركة، عليك أن تفهم أنّ الغرزة الوحيدة في داخل الثوب الكامل، هي كل الثوب، عليك أن تفهم هذا، ومن هنا تنشأ لديك قيمة الأفعال، ولو ظهرت عندك بميزان عقلك، أنّها قليلة وأنّها فردية، ولا أهمية لها، هذا غير صحيح، إذن أصحاب الهمم العالية، هذه الهمّة تحتاج إلى صبر ومتابعة.

ومما يعاب على مشايخنا، وكنت أراه دائماً، أنّ المرء لا يصبر على مقام يقوم فيه، لا يصبر على مقام، هو يتطلع أن يكون عنده الجماهير ليخاطبها، وهو لا يتهم لو جاءه واحد أو اثنين أو ثلاثة أو عشرة لا يهتم بهم، هو يريد أن يكون جماهيرياً، هنا هذه عقلية غير سديدة، أنا أعجبت وهذا من باب الإعجاب الإنساني، يعني حدثني الشيخ أبو المنتصر عن بازركان، -تعرفون بازركان هو رئيس وزراء الخميني الثاني من بعد الصدر، أظن بعد الصدر استلم الوزارة أو قبله، الآن لا أذكر- قال: لما خالف الخميني، كان يمشي في داخل الباص، ويحمل معه منشورات صغيرة يوزّعها على الباص في كشف الموقف السياسي له، وكشف الموقف السياسي الظالم للخميني وجماعته، هذه نفسية رجلٍ سياسي كبير يفهم كيف تدور الأمور، يرى أنّ هذا الفعل وإن كان قطرة، ففي النهاية سيكون نهراً، وفي النهاية النهر سيكون بحراً، وفي النهاية البحر سيكون محيطاً، بهذه القطرة، بعض الناس لا يهتم، هو يريد أن يذهب للخطبة، فلا يهتم إلا أن تبدأ الجموع أمامه، وإذا جاءه اثنين أو ثلاثة أو واحد ليسأله، فهو يحتقر هذا الإنسان، هذا شيء عجيب!!

ثانياً: أننا نراهم أنّهم يتعبون في إيجاد مثلاً: دورة شرعية –وهذه الكل يشكو منها– أننا نتمنى أن ننتهي من دورة شرعية، يبدؤون بالنشاط والهمّة وو... إلخ، وبعد ذلك، يمشون مرة مرتين، ثمّ يبدؤون في الملل، في الأول يشعرون بالفرح، وأنّهم أخذوا أشياء جديدة، ثمّ بعد ذلك تتقاعد قواعد العلم عندهم، يبدؤون بالزيادة القليلة؛ لأنّ العلوم قد تأصلت لديهم، فيبدؤون بالزهد والملل، وحينئذٍ يفوتهم الخير العظيم، تصوّر لو أنّ هذا في نفوس العلماء القدماء.

انظروا إلى المحدثين مثلاً، المحدّث يسمع الحديث من رجلٍ ثقة عن ثقة، عن ثقة، ويصح لديه الحديث، لماذا يذهب فيأخذه من رجلٍ آخر، وآخر، وآخر، ربمّا يجمع لهذا الحديث لهذا المتن عشرات الأسانيد، لماذا؟ لوجود الهمة العالية، لوجود الهمّة يحب ذلك، هذا الأمر يحبّه، وعلى كلمة يحبّه هنا، الأمور تبدأ بالمعاناة –كما شرحت ذلك في «الموافقات»– تبدأ بالتكليف، وتنتهي بالكلف، كل الأمور تبدأ بالمشقة، وبعد ذلك يحصل العشق لها، يحصل الحب له، بغض النظر عن كلمة العشق كما يقول ابن الجوزي، لكن يحصل الكلف بها، وهكذا أنت في بداية الأمر، ربما تجد في التعليم المشقة، وبعد ذلك يصبح التعليم رغبة وهوى في نفسك، يصبح شيءٌ تحبه في نفسك، ولكن لا بدّ أن تمر فيه بالمجاهدة، لا يحصل الحب إلا بالمجاهدة، لا يحصل الكلف إلا بالقيام بشؤون التكليف على وجهٍ من المشقة.

هذه أمور ربما خارج موضوع الابتلاء، الصبر، هذا صبرٌ على العمل، صبرٌ على دوام العمل، صبرٌ على النهايات، على اللبنة الأخيرة في العمل، هذا ينبغي أنت تفهمه، وأن تفهم أنّه لا دين إلا بالصبر، وهذا الصبر هذه هي مقوماته، وهي أن تعلم بأنّك بحاجةٍ إليه في الابتداء، وبحاجةٍ إليه في الأثناء، وبحاجةٍ إليه في الانتهاء، وأنّ تدقيقك في الصغائر منها مهم، كتدقيقك في الكبير منها، وإياك والتسويف، وإيّاك وأن تقبل بالدون، إيّاك هذا.

قــــد هيّــــؤوكَ لأمــــرٍ لــــو فطنــــتَ لــــهُ ... فــــاربأ بنفســــكَ أن ترعــــى مــــع الهمــــلِ

هناك جانب آخر: وهو جانب الصبر على البلاء، ذاك الصبر على الأعمال مطلقًا، أمّا الصبر على البلاء، فهذا أمرٌ أنت بحاجةٍ إليه في كل دقيقة، وقبل أن أتكلم، مبينًا بأنّه لا يوجد أحد لا تحدّثه نفسه بالباطل، لا يوجد، لا يوجد أحد، ومن منّ الله عز وجل على المؤمن؛ ألا يتابع العبد نفسه في تحديثها له بالباطل، ﴿لَقَدْ

تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ﴾ [التوبة: ١١٧]، انظر اتبعوه، وحديث القرآن عن هذا النوع العظيم وهم المهاجرون والأنصار، هؤلاء خيرة البشر، خير الناس بعد الأنبياء، هؤلاء الحديث عنهم، ثمّ يكشف القرآن لنا أنّه ثمة هناك صراعات نفسية، كادت تزيغ قلوبهم عن متابعة النبي صلى الله عليه وسلم في ساعة العسرة، في جيش العسرة، هذا دليل على أنّ النفوس تتطلع دائماً إلى الترك، ويصبح فيها الصراع، حتى تكاد ربّما تميل إلى هذا، فتأتي رحمة الله، يأتي ذكر الدار الآخرة، فحينئذٍ ينحازوا إلى الطاعة وإلى امتثال أمر الله؛ فيحصل الفضل الإلهي.

هذا الذي يحصل في نفسك لا تهتم له، سيبقى مرافقاً لك في بلاءك في كل لحظة، وفي كل عمل، وفي كل مرتبة من المراتب، هذه اللحظة التي تعيشها من صراع نفسك مع نفسك، في قضية الترك ستبقى دائمة، فلا تظن أنّ غيرك ما شاء الله عنه هو يقرأ أربعة أجزاء من القرآن، وهو مرتاح، لا، لا، هو لا يرتاح هو في كل جزءٍ يقرأه، بل في كل صفحة تصارعه نفسه اكتفي، اكتفي، هو مثلك تماماً، «الناس كأسراب القطا يتبع بعضهم بعضا»، هو مثلك.

فما هو المطلوب؟ المطلوب أن تفهم أنّ غيرك جاهد كما جاهدت، فانتصر على نفسه، فعليك أن تنتصر على نفسك، لا تظن أنّ أحداً يقوم بالعمل هكذا محب، لا تظن أنّ سجيناً في الدنيا لا يعاني ما تعاني من صراع نفسي، لا تظن أنّ أحدًا ابتلي فلم يصبر ولم يتألم، ولم يصبر على ألمه، كلهم يعيشون هذه المرحلة، فلذلك عليك أن تهتم بهذه المقومات، أولاً: أن تعلم أنّ الكل مثلك، وأنّ البشرية واحدة، تعاني مما تعاني منه، وتتعب مما تتعب منه، حين تكون في البلاء، فهذا يدعوك لماذا؟ أن تنظر إلى غيرك.

فأول مقوّم من مقومات الصبر، بالنسبة للحالة النفسية: هو أنّك لا ترضى بأن يكون غيرك خيرًا منك، ولذلك أعتقد بأنّ من أسباب ذكر هذا الحديث العظيم في السماء، عن الصراع بين أبينا آدم والشيطان، هو لإملاء النفس المسلمة والمؤمنة، بالكره لهذا الشيطان، وأنّه عدو، فلذلك أنت حين تعصي الله عز وجل، فإنّما انتصر عليك الشيطان، فحينئذٍ أنت خسرت، هذا الشعور النفسي لو تمكن من نفسٍ عزيزة لا تقبل الهزيمة، فلذلك هو لا يقبل المعصية لئلا يكون خادماً وتابعاً، وذليلاً، وعبداً للشيطان، هو يريد أن يكون عبدًا لله عز وجل، عزيزاً، عظيماً، كريماً، وفي هذه الحالة نفس الشيء، كيف تجعل غيرك يكون خيرًا منك في هذا الباب، بل

أنت مثله، فحينئذٍ تأتي مرتبة القدوة، والأسوة، أن تنظر إلى من سبقك، تنظر إلى -هنا المهم- تنظر إلى الأنبياء، ماذا عانوا؟ وماذا تعبوا؟ (**أوذيت في الله ولم يؤذ أحد**)، فرعون هذه الأمة أشد من فرعون موسى عليه السلام، والصحابة جاعوا وتعبوا، وسافروا، وهاجروا، ولا تأخذ هذه الكلمات بلا ألم، الصحابة عندما وقع منهم هذا تألموا ألماً إنسانياً، على القاعدة التي تكلمنا فيها، يعني لم يكونوا يتمتعون في هذا الألم، وصل بهم الحال أنّهم كفروا بألسنتهم، من شدة ما وقع عليهم من عذاب، والله أعذرهم فيها، وهم الصحابة الكرام العظماء، أي الذين كان يقع عليهم البلاء، فدلّ على أنّهم عاشوا حالات بلاء عظيمة.

البلاء الذي وقع في غزوة الخندق، النبي يقول لهم: (**من يأتيني بخبر القوم وله الجنّة**)، فلا يقوم أحد، وهم من أعظم الناس رغبةً وتعظيمًا للجنة، فعلى ماذا يدل هذا؟ يدل على عظم البلاء الذي كانوا يعيشونه، فلذلك حين نتكلم وتكون في البلاء، فاعلم أنّ الناس قد عاشوا بلاءً أعظم منك، قدوتك وإسوتك عاشوا بلاءً أعظم منك، فعليك أن تقتدي بهم وأن تسير مسيرهم، وكلمّا زاد البلاء، فاعلم أنّ الفرج قادم، هذه قضية ثانية نؤجلها إذا قدرنا في هذا المقام.

القصد: أولاً: أن تنظر إلى هذا، إلى الإسوة، الإسوة الذين حولك، هذه الإسوة عليك أن تنظر إلى أسباب مددها، ما هي القوة التي تنشأ في نفوسهم، لبقائهم في هذا المقام، من العمل والثبات فيه؟ هو ذكر الدار الآخرة.

إذن؛ أولاً: هو الإسوة التي لديك، من البشرية، ماذا حدث مع فلان؟ ماذا حدث مع فلان؟ وأنا أتحدث عن خبرة، عندما تكون في موقف من مواقف البلاء، فتستحضر عظيمًا وقف هذا الموقف، أنت تقوى نفسك، وإياك أن تظن أنّ الله عز وجل لا يرعاك، هذه قضية شرحتها -الآن ستأتي في قضية ذكرى الدار الآخرة، وشرحتها في تفسير سورة «الإسراء»، سآتي إليها إن شاء الله- لكن أنت حين تكون في البلاء، فتتذكر الآخرين الذين وقفوا هذا الموقف، فصبروا وثبتوا، إذن البشرية يمكن أن تقف، أنت إنسان ما الفرق بينك وبينهم؟ ما الفرق؟ مادام أنّه هناك إنسان وقف هذا الموقف، إذن يمكن أن يثبت الناس، ولا تقل: لا، هذا موقف لا يستطيعه أحد، لا، وقف أناس في مواقف أعظم مما أنت فيه، وصبروا وثبتوا، فإياك أن ترضى بالدون في هذا، هذه حالة تعلمك مواقف عظيمة أن تقف فيها.

ثانيًا: عليك أن تتفكر بم صبروا هم؟ لماذا صبروا؟ ما الذي يصبّرهم؟ لو كانوا يرجون الدنيا، فالدنيا معروضة أمامهم، فيتركونها، ولكنّها ذكرى الدار الآخرة، هنا تأتي قضية مدد الصبر الداخلي، وتحقيق المثال والأسوة، لماذا تريد أن تدخل في هذه الأسوة؟ لتحقيق الدار الآخرة، من أجل رضى الله عز وجل، أنت حينئذٍ تستحضر أنّ الله يراقبك، والنفس تأتي: يعني الله تخلّى عنك؟ أنت تكون في غرفة تحقيق لا يوجد أحد إلا أنت، أو تكون في زنزانة لا يوجد أحد إلا أنت، حينئذٍ لا بد من تذكر أنّ الله عز وجل معك، تذكرك أنّ الله عز وجل معك حين تذكره، وأنّ الله مطّلعٌ عليك ليختبرك، انظر هذه حالةٌ أصابت العلماء، والعظماء، معاذ رضي الله عنه عند موته اشتدّ عليه المرض، كان يقول لله عز وجل: افعل ما شئت فوعزّتك أنّي أحبك، انظر هو يعلم أنّه يراقبه، لو أنّ إنساناً دخل مكاناً، لا يعلم أنّ هناك مراقبة له فيضعف، لكن لو علم أنّ المسألة امتحان، فهو يصبر إلى أقصى درجات الصبر، ولا يبقي نفسه مكاناً يمكن أن يقف فيه، فيتراجع عنه، هذه خطوة يمكن أن أمشيها، أمشيها، والتي بعدها يمكن أن أمشيها، فيمشيها وهكذا، يبقى من موقف إلى موقف من الصبر، واعلم أنّ الشيطان له نهاية، الصبر لا نهاية له، واعلم أنّ عدوك له نهاية، في النهاية سيتعب، في النهاية هو الذي سيرضخ، في النهاية هو الذي سيملّ.

إذن أنت في تطلعك لهذا يمكن أن تصل إلى درجةٍ عالية، حتى إذا أعذرت إلى الله، فحينئذٍ ينتهي الأمر، ويكون لك عذرك أمام الله، وأمام الناس، ولا أحد يعيب عليك إلا الجاهل، إذن ذكرى الدار الآخرة، تطلّع، هؤلاء صبروا فبلغوا الجنان، رفع الله شأنهم، ذكرى الدار الآخرة تعطيك معاني أنّ لك قيمة، ذكرى الدار الآخرة تعطيك معنى أنّ الله عز وجل يراقبك، ويراقبك مراقبة الامتحان، ويمدّك، أنت عندما تعلم أنّ الله عز وجل يراقبك؛ تستغيث به، تسأله بينك وبين نفسك، تدعوه، تستغيث به، وكلما ازدت قرباً منه، ازداد عطاءً لك ومددًا لك في صبرك، في النهاية لكل مشكلةٍ نهاية، هذه من مقومات الصبر.

لكن من هذه الحالة التي نتكلم عنها، وهي أنّ الله يراقبك، أنا أظنّ قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤]، وأنا شرحت هذا، إنّما هي مددٌ رباني للنبي صلى الله عليه وسلم، بأنّه ليس هو العابد الوحيد، ولكن هناك عبّادٌ حوله، هو كل ما في الأرض إلا هذا الإنسان العدو، وأنت حين تكون هذه، أنا أتكلم عن تجربة، بفضل الله عز وجل عندي تجربة، عندما تكون أنت في الزنزانة منفرداً، فأنت ترى أنّ كل شيئًا يسبّح، فلماذا تكون أنت المفارق؟!! سبّح مع من يسبّحون، الأشياء تسبّح معك، تسبّح الله عز وجل، فأنت

عليك أن تسبّح الله عز وجل، هذا يقوّي نفسك، أنّ الأشياء كلها على حالة من هذا التعبّد، فكن أنت العابد، لا تفرغ، لست أنت وحدك، لك قيمة عند الله عز وجل، وأنت في مقام كل عابدٍ مثل هذه العبادة التي تعيش حولك، هذه من مقومات وتقوية ذكرى الدار الآخرة، أن تتذكر الأحاديث، تتذكر الأمثلة، تتذكر الصحابة، تتذكر الفردوس الأعلى، تتذكر فرح الله، ولقاء الله، هذه مقومات الصبر الذي تحتاج إليها.

في الحقيقة من أعظم مقومات الصبر، اعلم أنّ الأشياء لها نهاية، وهذه شرحتها في كثير من الأوقات، فالناس يظنّون أنّ طول الزمن يعني عدم الانتهاء، يعني الناس يبدؤون في المشكلة، فيبدأ عندهم الأمل الكبير بانفراج الأزمة، هذا شيء جيد ومطلوب، ولذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦)﴾ [الشرح: ٦]، يعني ما من عسرٍ يأتي إلا وفيه يسر على معنى من المعاني، إمّا أنّ هذ العسر يكون قليلاً، وهناك ما هو أعظم منه فصاحبه اليسر، وإمّا على معنى آخر أنّ هذا العسر له نهاية، قال تعالى: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾، وينسى الناس أنّ كل يسرٍ سيصاحبه عسر، سيتشكل عسر من أجل أن يأتي بغتةً ويأتي قوةً بالنسبة إليه قدرًا، يأتي إليه، فيبدأ اليسر، فما من عسرٍ إلا ومعه يسر في زوال العسر، في بداية انتهائه، هو أتاك عظيماً، وهذا من سر اليسر والعسر، أنّ العسر يأتي عظيماً، فالناس يخافون منه، واليسر يأتي رفيقًا شيئًا لطيفًا، شيئًا فشيئًا، فلا يحسون به، لا يحسون أنّهم تزوج ولم يكن لهم الولد، فصار لهم الولد، لا يحسون أنّهم كانوا فقراء، فصاروا أغنياء، لأنّ المال جاء على ترفّق.

لكن المصيبة، مات أبوه، مات ابنه، ماتت زوجته، خسر ألف دينار، فالمصيبة جاءت كبيرة، وهذا من فتن المصائب أنّها تأتي كبيرة، فتبدأ بالزوال حتى تنتهي، وأمّا اليسر فيبدأ يسيرًا على معنى اسمه، حتّى يأتي متشكلاً كبيراً، وهذا من محنة الله عز وجل للعبد في النظر إلى الأسباب، وعدم النظر إلى يد الله الراعية للأسباب.

فما من عسرٍ يأتي إلا وقد صاحبه يسر، ما معنى أنّه بدأ ينتهي؟ أي سيتلاشى، ما من عسرٍ إلا سينتهي، إما بالنسيان وفوات الشيء بالكلية، وإمّا بزواله، وانتهائه، وبعض الناس سئلوا كيف انتهى هذا العسر؟ لا يدرون، ومن عظمة اليسر أنّه جاء منكّراً، ما معنى منكّرا؟ أي لا تعرف وجهه، الناس علموا أنّ عسراً واحداً لا يغلب يسرين، لكن نسوا أنّ تنكير اليسر؛ دلّ على أنّ له من الأبواب ما لا تعلم، العسر أنت تعلم وجهه، جاء من هذه الجهة، فتعلم وجهه، لكن اليسر لا تعلم وجهه، منكّر قد يأتي من هنا، قد يأتي من هنا، لا تعرف

الفرج من أين، ولذلك أنت اعلم أنّه عندما يطول الزمن فاعلم أنّه قد بدأ، كلّما طال الزمن، كلّما بدأ الموت لهذا العسر.

أعود، الناس في بداية الأمر يأتي العسر فيستبشرون بزواله الكثير منهم، بعضهم من أصحاب اليأس لا يحصل لديهم هذا المعنى العظيم، فيحصل منهم اليأس والقنوط والكفر، ولكنّ الأكثر يبدأ العسر فيستبشرون بذهابه، يعني رجل يسجن، فيبقى عندهم أنه سيخرج، سيخرج، اليوم الأول، الثاني، الثالث، الشهر الرابع، الخامس، السادس، السنة الأولى، الثانية، للأسف هذا الزمن يعني أنّه سينتهي، كلما طال الزمن يعني أنّه سيموت هذا العسر، ولكن هو مع طوال الزمن يبدأً اليأس، ولا بدّ أن يأتي اليأس في يوم من الأيام، وهذا اليأس على زواله هو الذي قال الله عز وجل: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ﴾ [يوسف: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٤]، يتساءلون، ولكنكم تستعجلون، هو خلص الزمن، الآن ما هو الأقرب لحصول النصر بالهجرة، السنة الأولى؟ أو السنة الحادية عشر؟ أم السنة الثانية عشر؟ أم في السنة الأولى باقي المدة طويلة، فلمّا طال الزمن اقترب النصر، واقترب اليسر، فاعلم أنّ طوال المدة تعني زوال العسر، وتحقق اليسر، هذا ينبغي أن تستحضره.

ولذلك إذا طال الزمن لا يعني أنّ اليسر قد فات، بل اقترب بإذن الله، ومن هنا فهم السلف، حين أرسل أحدهم رسالة لأحد السلاطين، وقد سجنه، قال: «اعلم أنّ كل يوم يقربني إلى رحمة الله وفرجه، وأنّ كل يوم وأنا فيه مظلوم هنا عندك يقربك إلى غضب الله وسخطه»، كل يوم أنت في البلاء يقترب فرج الله عز وجل، ويقترب عذاب الله عز وجل على غيرك، اليأس هو أعظم ما يبطل الصبر، فلا تيأس، اليأس عدو، التسويف عدو، انتبه، التسويف عدو البدايات، وهذا مرضٌ كبير، يجب أن يزول من نفوس الناشئة ومن نفوس الشباب، ومن نفوس الأمة، فالتسويف عدو البدايات، واليأس عدو النهايات، عدو الأثناء، وعدوا النهايات، فإياك والتسويف في البدايات، وإياك واليأس وأنت في الطريق، فكلّما مشيت قد اقترب الفرج، وسينتهي البلاء، هذا بعض ما يحضرني، وما يلاءم الوقت، أرجو أن أكون قد أجبت لإخوتي بعضًا من هذا.

جزاكم الله خيراً وبارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

١٧٦- متع الجنة

ضمن الجلسة السادسة عشر، بتاريخ: (٢٠/٠٢/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٩/١١/٢٠١٧ م)

الحمد لله، والصلاة على رسول الله:

يقول أخ: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته -وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته- بارك الله فيكم ما ردكم على الذين يقولون: إن المتعة في الجنة هي حسية فقط؟ وقال بعضهم: إن المتعة الفكرية بالنسبة له أكبر من المتعة الحسية والجسدية، فقال: ماذا سيفعل أمثاله في الجنة؟!

ويستندون إلى أقوال ابن رشد الحفيد وابن سينا بأن أوصاف الجنة في القران الكريم في المتع الحسية في الجنة هي مجازية، فما ردكم؟! نفعنا الله بعلمكم.

جواب الشيخ: لنرتب السؤال بحسب ما ورد فيه:

أولاً: متع الجنة: متع الجنة حسية ومعنوية، ولا قيمة لما يقال بالمعنوية دون أن تكون حسية، ولا قيمة للحسية دون أن تكون معنوية، وكل متعةٍ في الجنة بحسبها، هناك متع حسية لأن هذه المتع حسية، وهناك متع معنوية لأنها متع معنوية.

مثلاً: عندما نتحدث عن قضية العلم، أن أهل الجنة بلا شك يحصل لديهم العلم؛ فهذه متعةٌ معنوية، وحين نتحدث عن أهل الجنة أن يحصل لديهم ذهاب الحسد، هذه متعةٌ معنوية، القلق يذهب القلق، الحسد سبب من أسباب القلق والاضطراب، فهذه متعةٌ معنوية، عندما نتحدث عن لقياه بالصالحين ولقياه بالأنبياء، هذه متعةٌ معنوية، بل أعظم من ذلك هي فيما نعلم أن الرؤية هي رؤية وجه الله عز وجل تحصل -وهي أعظم متعة بهذا المعنى- تحصل مع ما يحصل من لذائذ النفس بالنظر إلى هذا الجميل العظيم جل في علاه، فهي بلا شك أقرب أن تكون إلى المتعة المعنوية مع أنها متعةٌ تعادل متعة النظر، سواء سميت متعة النظر حسية أو معنوية، فهذا أمر.

الأمر الثاني: لا يوجد أحد من البشر إلا أن يكون ناقصًا معيبًا لا يتمتع ولا ينظر إلى المتع الحسية، لا

يوجد.

في السؤال يقول: ماذا يفعل الرجل الذي فقط متعه حسية إذا كانت الجنة متعها حسية، فكيف نفعل بالرجل الذي لا يتمتع بما هو حسي؟ لا وجود لهذا الرجل إلا أن يكون مجنونًا.

الكامل من البشر هو الرسول صلى الله عليه وسلم، فقال: (**حبب إليّ من دنياكم الطيب والنساء**).

فإذا وجدت رجلا قد نقص حبه لهذين الأمرين من المتع الحسية، فاعلم أنه ناقص، وقد يصل إلى درجة التهمة، يعني مما يذكر –أنا في الحقيقة قرأتها في كتاب ولكن لم أرها مسندة– أن ابن عباس سأل رجلاً، يعني: أمتزوجٌ هو، مع أن القدماء ليس شرطًا أن يتزوجوا فهناك التسري، يعني يمكن أن يتمتع المرء بالسرية وليس بالزوجة، فقال له: لا، فقال له: إما أن تكون عنينًا؛ أي ناقص في رجولتك البدنية، وإما أن تكون فاجرًا؛ أي تقضي حاجتك فيما هو حرام، يعني إن صح هذا الكلام، فهو حقيقي، إن صح هذا القول فهو صحيح، وإلا فهو معناه حقيقي.

الرجل الذي لا يحس بالمتع الحسية، من التذوق في الطعام وشم الطيب الجيد ومتعة النكاح؛ فهو ناقص، لا قيمة له، فحين يأتي الرجل فيقول: أنا لا أتمتع بالمتع الحسية، أقول: أنت لست بشرًا، أنت مجنون إما أنك مجنون، وإما أنك ناقص، رجولتك ناقصة، فحين يأتي رجل ويقول: أنا لا أتمتع بالنساء، أقول: أنت رجل ناقص، رجولتك البدنية غير موجودة، فهذا نقصٌ فيك، وليس من دلائل الكمال.

وعلينا أن ننتبه إلى ما يقال من الحكم المنسوبة لغير المسلمين أو لبعض الفلاسفة أو المتصوفة، من ذلك أنهم يقولون: بأن أرسطو كان لا يأتي الجماع إلا مرةً واحدة في العام، ويذكرونها على سبيل المدح، وهي قدحٌ فيه، فسئل عن ذلك، قال: الجماع هو الجنون –يعني المرء يتمتع فيغيب عقله فجنون– ولا أريد أن أفقد عقلي إلا مرةً واحدةً في العام هذا مجنون، هذا كلامه مجنون، هذا كلامه ساقط، ليس من الحكمة في شيء.

أو أن يقال: فلان تزهد فترك الزواج، هذا نقص فيه، الذي يتزهد فيترك الزواج هذا نقصٌ فيه، واعلموا أنه إن كان رجلاً كاملاً، فحين يترك الزواج سيمرض وستحصل له من الأمراض النفسية والبدنية التي تمنعه من الطاعة التي يسعى إليها، اعلموا أن الذين فارقوا النساء ولم يتزوجوا في التاريخ الإنساني، إما أنهم مرضوا أمراضًا

شاقة وحصلت لديهم بعد ذلك المعاصي، يعني نرى أن الزهاد في النساء قد غلب عليهم النظر إلى المردان، ومعاص إتيان الذكران، هذا منتشر بينهم، انتشار في بعض المتصوفة الذين هجروا النساء، لأن هذه الطاقة أين يفرغها، أين يذهب بها؟! فإما أن يبقى دائم التفكر بهذا الجنس فحينئذٍ سيمرض، وإما أن يقضيه في غير طريقه السني الشرعي الصحيح، وإما أن هذا الرجل عنين يعني مريض في نفسه، أما الرجل الكامل في بدنه في رجولته فهو لابد أن يقضي هذه الحاجة، لا بد أن تشغله، لا بد أن تأتي على نفسه، لا بد أن يشتهيها، فإن لم يحصل هذا الذي يقع: إما أن يقع في المعاصي، ويقع في البهتان، ويقع في التفكر الذي يؤدي به إلى الجنون، وإما أن يكون فاقدًا لرجولته، خلاص هذا رجل عنين ليس من الرجولة في شيء، وهذا مرضٌ فيه.

ولذلك الذي يقول: أنا لا أتمتع، يعني رجل يقول: أنا لا أتمتع في الأكل الطيب، ماذا نقول له؟! أن تزهد في شيء نعم، أما أن تقول: أنا لا أتمتع، أنا لا فرق عندي بين الأكل الطيب والأكل غير الطيب؛ هذا إنسان فاقد لذائقة الحس؛ فاقد لهذه الذائقة الكرامة الربانية في اللسان والفم، فهذا مريض، وإما أن يكون كذاب أو مدعي، هنا فرق بين لذة الطعام ولذة النكاح، فرق بينهم كبير، يعني الابتعاد عن لذائذ الطعام يكفي أن تسكته بأن تذهب الجوع، يعني عندما يأكل المرء، فلو أكل خبزًا بلا إدام فشبع حصل لديه الانقطاع من الطلب للطعام، أو أكل طعاما لذيذًا، أكل العسل أكل لذائذ الطعام فحصل لديه الشبع فانقطع طلبه للطعام بخلاف النكاح، النكاح لا يتم إلا بأن يأتيه، فالفرق بين هذا وهذا، فقد يزهد المرء في الطعام الجيد لكنه مضطر إلى نوع من أنواع الأطعمة ليسكت جوعه فإن لم يسكته إما أن يموت يهزل فيموت، وهكذا اللذائذ الأخرى، فلا يوجد رجل لا ينام، سواء سمينا النوم متعة أو سميناه حاجة، فالمرء يحتاج إلى هذه الأنواع من الضرورات التي سماها علماؤنا: «بالضرورات».

لذلك قول من قال من هؤلاء الفلاسفة: بأن هناك أناس لا يتمتعون في الحسيات ويتمتعون في النظريات والعلوم؛ هؤلاء هذا وصفهم، لكن علينا أن نتكلم عن قضية المقارنة بينهما:

رجلٌ يشغله علمه، ولكنه لا بد أن تفور نفسه إلى الطلبات، كما تفور نفسه إلى الطعام، تفور نفسه إلى النكاح، فيأتيه ثم يعود إلى العلم.

أو رجلٌ مهموم في ليله ونهاره بالجماع -قديمًا اليوم لا يستطيع- اليوم كتبديل الثياب كل يوم يطلق امرأة

ويتزوج امرأة، شأنه فقط أن يستبدل «ذواق» فهذا الرجل يعاب إذا شغله عن ضرورات الحياة إذا شغله عن العلم.

فذلك قال الزمخشري:

سهري لتنقيح العلوم ألذ لي ... من وصل غانية وطيب عناق

هنا الكلام عن مقارنة بين أمرين: هذا لذته في هذا أعظم من هذا، لا يعني أنه لم يتسر أو لم يتزوج أو لم ينكح، لكن يعني أنه إذا صار الأمر بين المقارن بينهما وبين الاختيار لواحد منهما في حالةٍ ما؛ اختار هذه لأنها الألذ إليه.

ومثال ذلك: الذين يخرجون لطلب العلم، يسافرون لطلب العلم ويتركون زوجاتهم وراءهم، يسافر سنة وسنتين لطلب العلم ويسافر الشهور لطلب العلم يسمع حديثًا أو يتعلم الفقه ويهجر أهله، أو يخرج مجاهدًا في سبيل الله ويترك أهله، فهو ترك لذة لكن لا يعني أنه لا يحسها ولا يريدها، لكن هنا المعارضة فيختار هذا الأمر، يختار العلم، يختار الجهاد، يختار طلب الرزق، فالناس في كثير من البلاد يخرجون ويتركون زوجاتهم وراءهم ويذهبون لطلب الرزق، لحاجتهم للرزق يقدمونها على حاجة النكاح، لكن لا يعني هذا أنه لا يتمتع، هذا فرق وهذا فرق.

القصد: بأن الجنة فيها جميع أنواع المتع، فالله أطلق هذا، قال: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١]، فتشتهيه الأنفس، ماذا تشتهي نفسك؟! هذه النفس تشتهي ولا ينقطع اشتهاؤها، ومع ذلك قال صلى الله عليه وسلم: **(فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)**.

النفس لا تشتهي المجهول، النفس تشتهي ما تعلمه، فذلك ما يعطيك ربنا عز وجل في الجنة فوق حتى ما تشتهي نفسك فوق ما تعلم.

ولكن انظر إلى هذا في قوله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾، بمعنى أن النفس تشتهي أمرًا من شهواتها فالله عز وجل يعطيها، إذا شهوتها في العلم يعطيها العلم، وإذا شهوتها في النكاح يعطيها النكاح، والإنسان الكامل له شهوة في هذا وله شهوة في هذا... له شهوات.

ولذلك الله عز وجل يعلم فطر الخلق، فلما قرب إلينا الجنة وحببنا إليها ذكر فيها النساء ذكر الحور العين، يأتي أحد يقول: المسلمون شهوانيون، أنتم يا بقر يا أعداء الله الذين تزعمون أن المسلمين شهوانيون وأنكم لستم كذلك، أنتم تأتون الكلاب، وصلت شهواتكم في مجتمعاتكم الذين تزعمون الرقي أنهم يأتون الكلاب، وبلغ بهم أنه انتهى أمر النساء والإباحية وانتهى أمر الرجال بالرجال والآن صاروا يأتون الحيوانات، وهناك أمراض أخرى جديدة لا نريد أن نأتي بها، يعلمها كل من تابع هذه المجتمعات، ويزعمون أن المسلمين شهوانيين يذهبون الجنة من أجل الحور العين!! وأنتم تسافرون بالطائرات المسافات الطويلة وتفعلون الجرائم وتزنون هنا وهنا وتأتون المعاصي، وبعضكم يقتل بعض من أجل النساء، ومع ذلك يزعمون أن المسلمون يذهبون إلى الجهاد من أجل الجنة... هب ذلك ما المشكلة؟!! ما الذي يعيبهم؟!، مع أن هذا أهون مطلب عندهم، وهو من مطالبهم ولا يستحون من ذلك، المسلم لا يستحي من هذا المطلب.

لكن أعظم مطلب هو أن يحقق رضى الله؛ لأن رضى الله عز وجل هو أعظم ما يطلبه المؤمن، وبعد ذلك إذا حقق رضى الله يعطيه ما يحب، ومما يحب أن يدخله الجنة وفي الجنة يوجد الحور العين، وغير ذلك، فمما يشتهي الناس والنبي صلى الله عليه وسلم جعل أعظم شهوات الإنسان البشرية هو هذا -هذا الإنسان الكامل- (**حبب إليّ من دنياكم الطيب والنساء**)، هذا أعظم شهوات الدنيا، ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾، هذا مطلق، من العلوم ومن الحواس، ﴿وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾، رؤية أي مما يتعلق بالرؤية، النفس ما تتعلق بلذائذها مما يدخل فيها وما تحسه من لمس ومصادر التلذذ في البشر وكذلك مما تراه العين من الملك العظيم ومن المتع العظيمة، الرؤية التي فيها (**ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**)، فالجنة فيها هذا وهذا.

أما الذين يزعمون أن الجنة فيها فقط المنعم الحسية دون المعنوية فمخطئون، والذين ظنوا أن الجنة فيها فقط النعم المعنوية على ما قالوه إن هناك أناس لا يتمنون...! هؤلاء فيهم نقص، في الجنة يكملون، إذا كانوا من أهل الجنة ولم يفلسفوا نقصهم، يعني رجل مقطوعة يده فلا ينبغي أن يقول: إن قطع اليد هو أجمل ما في الوجود، يعترف أنه مريض، رجل عنين لا يشتهي النساء يعترف أنه ناقص، إما أن يذهب فيعالج نفسه أو أن يعتد النقص، لكن أن يفلسف هذا النقص ويجعله كمالاً هذه طريقة الجهلة طريقة المفسدين في الأرض، فلا يلتفت

لهم.

فإذا كان هذا الفيلسوف لا يشتهي النساء هذا من نقصه، ولكن لا ينبغي أن يجعله من الكمالات، كما يفعل الصوفية، الصوفية يجعلون ترك الزواج من الكمالات، وهذا من تمام الجهل، لكن لو حصلت المعارضة كما ذكر الشافعية، الشافعية عندهم طلب العلم أولى من النكاح، والزهد في النكاح خيرٌ من إتيانه، هذا قول عندهم والجمهور على خلاف ذلك، **(وأتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني)**، فمن سنته هو النكاح والزواج، هذا من سنته صلى الله عليه وسلم، وهذا مما يتحقق به قدر الله عز وجل في الوجود من دوام النوع البشري الإنساني.

فهذا هو الذي نقوله في هذا الباب، والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين.

١٧٧- رسالة إلى الشرعيين وطلاب العلم

ضمن الجلسة السادسة عشر، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٢/٢٠هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/١١/٩ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: في الجماعة الجهادية ونتيجة نقص الكوادر الشرعية وحاجة الشباب المجاهد في معسكراته ونقاط رباطه للدروس الشرعية؛ تقوم الجماعات بتصدير طلاب علم مبتدئين لسد هذا الثغر، فينقطع طالب العلم عن تحصيله أو يخف نوعاً ما، نتيجة الانشغال بهذه النوعية من الدروس وانقطاع المنهجية في طلب العلم، فبدل أن يعكف طالب العلم على كتب العلماء التأصيلية ليرتقي بمستواه ويواكب تحديات الساحة، صار همه تحضير الدروس والمحاضرات العادية لإعطائها للشباب المجاهد وسد حاجته في هذا الباب، فبهذه الطريقة لا تصنع الجماعة كوادر شرعية؛ فما هو توجيهك لطلاب العلم الذين هكذا حالهم؟ وما توجيهك للجماعات الجهادية التي تعتمد هذا الأسلوب؟

جواب الشيخ: يعني هذا أمر عام، لا يستطيع المرء أن يُخطّئ جهة على جهة، لا يستطيع، إذا كان هناك قدرة لهذه الجماعات أن تُنشئ أفرادًا أو أن تفرغ أفرادًا من أجل الوصول إلى درجةٍ عالية في العلم والنظر، وأن يكون عنده القدرة على النظر في النوازل والبحث فيها، فتقصير الجماعات إثم وغلط؛ إثم؛ لأن هذا من الواجب، وخطأ منها، ولكن إذا لم يكن عندها إلا هؤلاء -العدد قليل والساحة واسعة- فلا نستطيع أن نخطئها.. هي تريد أناس على أقل ما يمكن من القيام على العلم أن يملؤوا هذه الساحات، فلا نستطيع أن نجيب.

القصد: بلا شك أن البحث عن طالب العلم الذي يصل إلى درجة النظر في النوازل هو المطلوب، وهذا واجبٌ شرعي، فإذا تعين على جماعة وقدرت عليه وجب المصير إليه، وإذا خالفت ذلك مع القدرة عليه ومع إمكانية تحصيله فقد أثمت، ولكن لا أظن أن الحالة على هذا المعنى!! فهذا واحد.

الشيء الآخر: يعني الرجل عندما يكون هو المطلوب في هذا الباب، ولكن بوسعه أن يترك هذا المطلوب لجهةٍ أخرى؛ ليستطيع أن يحصل علمًا نافعًا وعاليًا ليصل إلى درجة النظر في النوازل، ولكنه الآن في هذه الحالة

هو مطلوب ليملأ هذا الجانب، ما هو الواجب الشرعي في حقه؟ لو جاء الأمر إلى الهوى لقلنا له: اذهب وابحث في العلم لتصل إلى هذه المرتبة واترك هذا الجانب!! ولكن العلم والفقه يأبى هذا النظر وهذا القول.

الصواب: عليه أن يقوم بهذا الأمر بقدر استطاعته، ويملأ هذا المكان الذي هو فيه حتى ولو كان قليل العلم، ولكن الإسلام كما هو في شأن القضاء، القضاء عند جماهير أهل العلم يوجب أن يكون مجتهدًا، ولكن حين عُدم المجتهد، وأن يكون هناك من المجتهدين من يملؤون أماكن ضرورة القضاء، فحينئذٍ يأتي من هو أقل، وهكذا، ثم هو يستعين بمن هو أكبر منه، أو يرجع إلى كتب أهل العلم، إلى غير ذلك، فالإسلام في هذا واقعي، وتنزل المرتبة بحسب الحاجة، نحن نحب أن نرى في كل مكان أن يوجد العلماء الذين عندهم القدرة على النظر في النوازل، ولكن حين نعجز عن هذا فيستعان بمن هو أقل، وأقل، وأقل، وهكذا، ولا يعاب.. هذا واقعنا وهذا حالنا.

نسأل الله أن يغفر لنا ولكم والحمد لله رب العالمين.

١٧٨- هل تؤخذ الفتوى من العالم وهو في السجن؟

ضمن الجلسة السادسة عشر، بتاريخ: (**٢٠/٠٢/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٩/١١/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل سؤال: هل تؤخذ الفتوى من العالم وهو في السجن؟

جواب الشيخ: نعم، لا يوجد عالمٌ قط قال: بأن الفتوى لا تؤخذ من عالمٍ في السجن، ونحن نعلم أن كثيرًا من الكتب قد كتبت في السجن وهي على معنى الفتوى، الإمام السرخسي رحمه الله في كتابه «المبسوط» كتبه وهو في الجب، وهناك مواطن متعددة في داخل الكتاب يقول فيها: وهذه كتبتها في كذا وكذا، أسأل الله الفكاك وكذا، يكتب ويشير إلى أنه كتب هذه الكتابة أو هذا الباب كتبه وهو في السجن، وبالتالي هذا علم، شيخ الإسلام رحمه الله كتب كتبًا متعددة في السجن، صاحب الظلال أتمه كتب شيئًا منه وهو تفسيرٌ لكتاب ربنا وأتمه في السجن، وهكذا يعني هذا ليس من المنكر وليس من العجيب أن يكتب العالم فتاوى تأتيه إلى السجن فيكتب.

وهذا مما عابوه ومما استنكروه على ابن تيمية رحمة الله عليه أنه كان يرد على الرسائل التي تأتيه من الخارج فيكتب حتى أنهم أخذوا من عنده الأوراق، فصار يكتب -كما ذكروا- يكتب بالفحم على الحيطان، فإذن الفتوى من السجين ليست عيبًا وليست خطأ، لكن هناك محترزات عقلية يعين يفهمها الناس:

مثلاً: لو السجين أخذ بفتوى الرخصة لنفسه فلا يُعاب؛ لأن السجن إكراه مع ضوابط، يعني أنا أتكلم عن القاعدة العامة وأما هناك ظروف ربما يكون فيها من الشروط ما هي فوق الإكراه مما يضر في دين المرء ويضر الآخرين كذلك فيما يقدر المرء على دفعه وتكلمت عن هذا في جواب لبعض الإخوة.

القصد: أن السجن إكراه يجوز للمرء أن يأخذ به، فأخذ المرء به يدل على الجواز، في أنه باب رخصة، وربما غيره هو باب عزيمة، كذلك إذا كان الأمر ينظر إليه الناظرون فيرون أن هذه الفتوى أخذت بالإكراه، يعني كتب عالمٌ فتوى بالإكراه كأن يدعو وهو في السجن المجاهدين إلى ترك الجهاد، يدعو المجاهدين إلى قبول حكم الكافرين عليهم، وهكذا؛ فنعلم أن هذه الفتاوى الخاصة بمثل هذه المسائل التي لها تعلق بحاله وبحال الأمة أنها

أخذت على وجه الإكراه، فلا تؤخذ الفتوى إذا كانت العقود بالإكراه عند كثير من أهل العلم لا تقبل، الزواج بالإكراه لا يقبل، البيع في الإكراه لا يقبل، وهذه قضايا دنيوية فما بالكم بالقضايا الدينية التي لها تعلق بدين الله ولها تعلق بالأمة، وبالتالي؛ إذا كان الرجل في السجن فتكلم كلاماً على هذا المعنى مما ذكرناه من هذه الصورة فلا يقبل منه، ولكن لا يُعاب عليه، لا يُثرب عليه، وإذا نشط أهل العلم للرد عليه علميًا دون أن يثربوا عليه ويتهموه في دينه وهكذا تبدأ المزاودات عليه، فهذا يعني جيد أن يرد عليه لأن لا يغتر الناس، الناس لا يعرفون، مثلاً الناس يقولون: الشيخ الفلاني قال، فلا بد أن يرد عليه إذا كان هذا العالم المسجون مسموع القول.

كذلك وهذا المعنى الذي نذكره هو يشابه معاني كثيرة في حياة العلماء، كأن يكون هذا العالم بائع دينه أصلاً هو قريب للسلاطين ويفتيهم بحسب ما تهوى أنفسهم، وهذا يوجد وقد ذكر شيخ الإسلام رحمه الله في بيان عدم استجابته لمنعه في قضية فتوى الطلاق الثلاثي، وقال كلمته: أن العالم إذا تابع الحاكم في هواه في كل ما يقول ويفعل فقد أرتد، ولكن هذا ليس من الإكراه الذي في السجن هذا من المتابعة الخالية من الإكراه، فإذا وجدت هذه المعاني تُرد الفتوى، فيها شبهة الهوى، فيها شبهة الإكراه، فيها شبهة الجهل، يعني الهوى متابعة الهوى يحرفها كما يريد ومشابهة الجهل لا يعرف؛ غاب عنه النص أفتى بالقول الضعيف المرجوح مع وجود القول الراجح، جاهل فيها، أو أن يكون فيها شبهة الإكراه فلا تؤخذ الفتوى.

فالقصد: بأن السجن ليس ضابطًا مُطّردًا، نحن لما نعلق الأحكام على العلل، شرط العلة أن تكون مضبوطة وأن تكون مُطّردة، فهذه لو قلنا: بأن الفتوى لا تؤخذ من السجين هذه علةٌ غير مضبوطة وغير مُطّردة، السجن ليس مُطّردًا في كل فتوى، فهناك فتاوى من السجين ربما تكون أصوب وأقوى من القائل في خارج السجن، فلذلك نحن نعلق على علل أخرى كأن يكون الهوى قد يكون الإكراه وهكذا، وحينئذٍ قد يقول: كيف عرفت ذلك؟ تُعرف من قبل العلماء، العلماء يعرفون أن هذه الفتوى أخذت على هذا الوجه أو على هذا الوجه، العلماء يعرفون، وكذلك يعرفون من حاله، لو أن رجلاً كان على حال وهو في الحرية ففجأة وهو في السجن عندما أخذ فخرج بالضد تمامًا مما يقول؛ فهذه تهمة له، وأقصد التهمة للفتوى وليست تهمة مُسقطة لعدالته، ويرد عليه ويبّين، وهذه تعرف بالقرائن يعرفها الناس ويعرفها العلماء.

ولذلك فتوى السجين الأصل القبول والاستثناء موجودٌ في فتوى السجين وفي فتوى الذي يعيشه خارج

السجن، كما رأينا أن خارج السجن قد يكون عارض الهوى لديه، وقد يكون غير سجين فيحضره الحاكم ويجبره كأن ينذره إن لم يكتب هذه الفتوى أقتص منه قتله، أو أخذ أبناءه أو سجنه أو كذا، ولا يكون سجينًا لكن في معنى الإكراه، فالضابط هو الإكراه وليس السجن، هذا ما ينبغي أن يعرف والحمد لله رب العالمين.

١٧٩- أسئلة حول مناقشة كتاب «الحكم العطائية»

ضمن الجلسة السادسة عشر، بتاريخ: (٢٠/٠٢/١٤٣٩هـ **الموافق لـ: ٩/١١/٢٠١٧ م)**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يناقش كلامي عن الحكم العطائية وله كلامٌ جيد، والحقيقة أنا معه، يقول الأخ: بارك الله فيكم، ابن عجيبة أنكر عقدة الحلول والاتحاد، فقال –نقل نصًا–: قديمٌ أزلي باقٍ أبدي منزهٌ عن الحلول والاتحاد، فهل يمكن أن نفسر وحدة الوجود عنه ووحدة الشهود.

وقال في تفسيره: ألا يرى في الوجود إلا الله ولا يشهد معه سواه فيغيب عن نظر الأكوان في شهود المكون وهذا مقام الفناء فإن رد إلى شهود الأثر بالله سمي مقام البقاء.

وقال في الرد على النصارى في تفسيره: يقول الحق جل في علاه: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧]، والقائل بهذه المقالة هي الطائفة اليعقوبية من النصارى كما تقدم وقيل لم يصرح بهذا المقال ولا أحد منهم ولكن لزمهم؛ حيث قالوا: بأن اللاهوت حل في ناسوت عيسى، مع أنهم يقولون: الإله واحد فلزمهم أن يكون هو المسيح ولزمهم الاتحاد والحلول فنسب إليهم لازمُ قولهم توضيحًا لجهلهم وتقبيحًا لمعتقدهم، ثم الأخ يذكر أمورًا متعددة سآتي إليها، ولكن يكفي إلى هنا.

جواب الشيخ: أنا لم أقول إلا مما عيب، قلت في الكلام: مما عيب عن ابن تيمية بعض الألفاظ الموهمة لابن عجيبة، الموهمة له، ولم أقل: بأنه من أهل الوحدة الذين صرحوا بهذا وصرخوا بها، لم أقل هذا، ولكن قلت: مما عابه بعض الدراسين لحكمه أن هناك بعض الألفاظ الموهمة لذلك، وهذا الاتهام جاءني ضد الصوفية، الأخ السائل يعلم أن هناك من الصوفية من صرح بهذا كالتلمساني وابن العربي هؤلاء صرحوا بوحدة الوجود وقالوا: بأنه لا وجود إلا لواحد، لا وجود لخالق ومخلوق، وإنما هو الله الخالق والمخلوق؛ فلذلك يبق الشك قائمًا في نفس الدارس حين يقرأ للصوفية بعض تلميحٍ لهذا الأمر، علينا أن نجري على ما جرى عليه ابن القيم في «مدارج السالكين» وهو أن نؤول ما استطعنا لأنه ليس من الدين أن نسارع إلى التكفير أو نسارع لإخراج المسلم من الإسلام، هذا ليس من الدين، وأظن أن الأخ إذا تابعني لا يراني بمثل هذه الجرأة في الناس، وأنا لست ممن يتهم

ابن عجيبة بأنه من القائلين والمصرحين بوحدة الوجود لم أقل هذا.

لكن هناك قضية في كلام الأخ وهي أن إنكار ابن عجيبة، هنا مسألة علمية لا علاقة للرجل لا علاقة لها بابن عجيبة، ولكنها لها علاقة بالعلم مطلقًا، وهو أن نفي الرجل للاتحاد وإن نفي الرجل للحلول لا يعني أنه ينفي الوحدة، ابن عربي الطائي المكي صاحب «الفتوحات» و«الفصوص» يقول في «الفتوحات» ويقول في «فصوص»: بتجهيل من قال بالاتحاد ومن قال بالحلول؛ لأن الاتحاد والحلول أول ما يعنيان وجود اثنين، شيءٌ حل في شيء، نعم بعد ذلك امتزج فصار شيئًا واحدًا هذا موضوع ثاني لكن في الأصل هما اثنان.

وكذلك الاتحاد لا يقوم إلا بين شيئين شيء وشيء فحصل بينهما اتحاد، بعد ذلك صار شيئًا واحدًا هذا موضوع آخر، لكن في الأصل هما شيئان، لكن وحدة الوجود تبطل هذا وتجعل أن الشيء واحد وليس في الأصل ولا في الأثناء ولا في الانتهاء، فلذلك نفي ابن عربي، ابن عربي ينكر على المتصوفة القائلين بالاتحاد وينكر على المتصوفة القائلين بالحلول، ويقول: هؤلاء جهلة، إنما هو شيءٌ واحد في القبل والبعد، وهذا لا يتعلق بابن عجيبة، نحن نريد من ابن عجيبة كلمات صريحة حتى نتهمه بهذا، وهذا لم يحصل، نقول: هناك كلمات موهمة جعلت الخصوم يتهمونه بهذا هو الفرق بين كلامه وبين الاتهام والتصريح بالأمر.

ولكنني أنبه على مسألةٍ علمية: إن نفي العالم للاتحاد والحلول لا يعني أنه ينفي الوحدة، -أقول العالم تجاوزًا- ومثال ذلك: ابن عربي المكي الطائي الظاهري وهو ظاهريٌ في المذهب.

هناك سؤال آخر أو اعتراض آخر للأخ الذي يتكلم عن هذا وكلامه جيد سأقرأه إن شاء الله:

يقول السائل: لاحظت تعميم من الشيخ في الحكم على من انتسب للتصوف وهذا خطأ منهجي في الحكم على الآخر أرجو أن يتداركه فيما يأتي من بعد من المجالس العلمية.

جواب الشيخ: أبدًا، يعني الأخ ربما حساس جدًا في الكلام على الصوفية، الصوفية عندي في الواقع ليسوا شيئًا واحدًا، لكن الصوفية باعتبارها دينًا في الأصل، في أصلها هي شيءٌ واحد، الصوفية هي مبدأٌ قبل الإسلام وبعد الإسلام لها دين، ولكن المتصوفة المسلمين ليسوا شيئًا واحدًا، هذا شيءٌ مقرر وذكرت هذا في مناقشة كتاب «الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ»، ذكرت هذا وأبينه الآن وإن فاتني وفات بعض

الناظرين هذا الأمر فإني أنبه عليه هنا، أنا لا أقول: بأن كل من انتسب إلى التصوف هم على حالةٍ واحدة، لا أقول هذا، هناك من المتصوفة من فهموا أن الصوفية هي حالة النسك وحالة التزكية، أن الصوفية هي التزكية وليس عندهم شيء من العقائد البدعية المكفرة أو البدعية، بل هناك من الصوفية من هم على عقيدة السلف في هذا الباب، في أبواب الأسماء والصفات وأبواب القدر وغيرها، ولكن هناك من المتصوفة الفلاسفة وهكذا، فأنا أفرق بارك الله فيك وإذا وجدت في كلامي شيئًا من التعميم فهذا خطأٌ من اللفظ أو خطأٌ من السامع.

يقول: لاحظت أيضًا من الشيخ أنه رمى الشيخ ابن عطاء رحمه الله بثلمة نقص لمجرد أنه خاصم ابن تيمية رحمه الله، وكأن ابن تيمية مركز الصوابية والحقانية وهذا خطأ.

جواب الشيخ: الصواب: نعم، خطأ من قال أن ابن تيمية هو مركز الصواب والخطأ وأن من عاداه هو العدو للإسلام وأن من أحبه كان وكان عليه؛ كان على الدين الحق في كل ما قال، هذا لا نقوله، لكن أردت أن أبيّن لعل الأخ فاته شيءٌ مهم، فيما ذكرت وهذا شيءٌ أنا أعالج به نفسي لأني أعلم أنه موجود في الناس؛ حين يتحدثون العلماء ويتحدثون عن حالة التسامي النسكي وحالة التسامي الصوفي خاصةً «يتحدثون عن غير البشر، كأنهم أناس خارج إطار الإنسانية»؛ ولذلك حين نقرأ –وهذا أشرت إليه– رمزية ابن عجيبة ونقرأ الشعر الرمزي لابن الفارض وغيره، يصنعون في ذهن السامع إنسانًا لا وجود له، كأنه ينخلع من البشرية لا خصوم له ولا مشاكل وو... إلخ؛ فأردت أن أقول: ابن عجيبة هذا الذي تكلم هذه الحكم العطائية التي صنعت إنسانًا متساميًا على الإنسان وعلى الإنسانية، لا، هو إنسان عادي يفعل كذا وكذا وله حياته التي يعيش فيها ضمن بشريته، هذا الذي أردته، فإذا فهم غير ذلك فهو خطأ مني أو خطأ من السامع.

أكرر، لم أرد أن أجعل خصومته لابن تيمية رحمه الله سبب لضلاله، لا، لم أقل هذا، أردت أن أقول: بأن ابن عجيبة في حكمه البعض يصنع إنسانًا خارجًا من البشرية، فقلت: لا، كاتب هذا الكلام يعيش في بشرية والدليل الخصومة، وابن عجيبة عالج خصمه لا بالعلم ولا بالمناظرة وأتباعه الذين تربوا على يديه من المباشرين والأصحاب لم يعالجوا ابن تيمية في المناظرة وإنما عالجوه بالضرب في الإسكندرية وهذا معروف ومشهور، فأنا لم أرد أن أسقط ابن عجيبة لأنه خاصم ابن تيمية، أردت أن أسقط من فهم المثال الذي يصنعه ابن عجيبة حالةً غير إنسانية، بل يبق الإنسان إنسانًا مهما بلغت درجت ولايته وصلاحه.

بقي سؤال أو كلام، وعجبت من قول الشيخ حفظه الله –هو يترقق الأخ معي جزاه الله خيرًا– أن الحكم العطائية لا تحتاج شرحًا لأنه غير ملغز والعكس صحيح، ولعل الحكمة من حكمه تحتاج كراسًا خاصًا للشرح وفك ألغازها ولعل الشيخ قيمه من منطق رفعته... إلخ، جزاه الله خيرًا، وهذا خلاف بين البشر والتقديرات ولا يضر إن شاء الله.

بارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

١٨٠- العفو أبلغ من المغفرة

ضمن الجلسة السادسة عشر، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٢/٢٠هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/١١/٩ م)**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل -في تعليقه على شرح الأسماء الحسنى- يقول: بأن العفو أبلغ من المغفرة ابتداءً وعاقبة، وأنه لا يشترط معه عقاب ولا عذاب يعني العفو، وإلا لم علم نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم أمنا عائشة بما تقول في أعظم ليلة وهي ليلة القدر: (اللهم إنك عفو تحب العفو، فاعف عنا)؟

جواب الشيخ: لا أدري ما هو وجه الاعتراض عليّ في هذا!! وقد بينت أن المغفرة هي التغطية، ومنها أخذ المغفر، والعفو هو الذهاب والإزالة، ولا شك أن العفو أبلغ من المغفرة، هذا بيّنته، وجزاه الله خيرًا.

هو يقول: ما رأيك بارك الله فيك؟

جواب الشيخ: نعم، العفو أبلغ من المغفرة، المغفرة تغطية الشيء وقد يبقى موجودًا، والتغطية كافية للعبد، لأنه إذا غطي دل على العفو، وإن الله إذا ستر عبداً لم يعاقبه عليه، ولكن أن يعفو عنه؛ بأن يزيله كأنه غير موجود، فهذا أعظم وأبلغ، ولا شك أنه ملائم للغة في سؤال الأخ.

جزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

١٨١- الفرق بين القضاء والقدر

ضمن الجلسة السادسة عشر، بتاريخ: (**٢٠/٠٢/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٩/١١/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: ما الفرق بين القضاء والقدر؟

جواب الشيخ: من أركان الإيمان التي حدثنا عنها النبي صلى الله عليه في حديث جبريل: (**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء خيره وشره**)، والعلماء اختلفوا فيما هو القضاء وما هو القدر، ولكن الجذر اللغوي لكل لفظة يدل على معنى، وبالتالي؛ يعرفنا من الأسبق ومن اللاحق.

القضاء: من قضى الشيء أي انتهى منه قضاه، انتهى منه وفرغ منه، قضيت الشيء أي أتممته، قضيت عليه أي أنهيته، القاضي سمي قاضيًا لأنه يقضي أن ينهي النزاع بين المتخاصمين، فالقضاء هو الانتهاء، والفراغ من الشيء.

والقدر: من التقدير، والتقدير هو التفصيل، قدر الشيء أي فصله.

ولنضرب مثالاً لبيان الأمرين: يأتي الخياط فيقدر أن يفصل هيئة اللباس الذي يريده، فيبدأ برسمه أو يبدأ بوضع خطواته الأولى؛ فيقدره تقديراً يعني يفصل ماذا يريد منه، فإذا قام بهذا العمل وصنعه فانتهى منه فقد قضاه، وإن كان اللفظ سابق، لفظ القضاء والقدر، القضاء سابق على القدر في اللفظ إلا أن الجذر اللغوي يدل على أن التقدير يسبق القضاء.

ولذلك ما هو القضاء والقدر في هذا؟ مراتب القضاء والقدر عند علمائنا بما ورد في الكتاب والسنة أربع مراتب:

المرتبة الأولى من مراتب القضاء والقدر: العلم؛ هو علم الله عز وجل، فعلم الله عز وجل من تقديره، وعلم الله عز وجل سابقٌ أزلي مع الله عز وجل، الله بعلمه أزلي وعلمه قائمٌ به جل في علاه، معنى من معاني الصفات التي تقوم بالله عز وجل فهو عالم علمًا أزليًا، وعلمه شاملٌ محيط بما كان ولما سيكون ولما لم يكن، الله عز وجل

يعلم الأشياء كلها مما هو سيحدث ومما لم يحدث، بل الذي لم يحدث لو صار كيف سيكون -وهذا مفصل في غير هذا الموطن لا أريد أن أقف عنده الآن-.

المرتبة الثانية من مراتب القضاء والقدر: الكتابة؛ بعد أن عَلِمَه الله عز وجل كتبه، فكتب الله عز وجل، والكتابة القدرية مراتب، ولكن نتحدث عن الكتابة القديمة التي كانت قبل أن يخلق الله عز وجل السماوات والأرض والإنسان وأعماله، أي وقوعه ووجوده بخمسين ألف سنة، كتب الله عز وجل، هنا هذه كتابة وهناك كتابة كذلك عندما يكون المرء في بطن أمه، وهناك كتابة عند العمل، الملكان يكتبان على الإنسان.

فالقصد: الكتابة هذه أقول قديمًا ليست أزلية؛ لأن الكتابة من صفات الفعل، والفعل لا يقوم إلا بإرادة، والإرادة لا تكون إلا حادثة أي لم تكن فصارت، لا أتكلم عن نوعها، فنوع الإرادة أزلي، الله عز وجل يريد بمعنى أن في صفة الإرادة هذه أزلية، ولكن أفرادها كصفة الخلق الله عز وجل خالق قبل أن يخلق الخلق، لكنه يخلق أي يفعل هذا الفعل في غيره، فإذن المرتبة الثانية من مراتب القضاء والقدر وهي داخلةٌ في التقدير الكتابة، كتب الله عز وجل كل شيء قبل أن يخلق السماوات والأرض وفي اللوح المحفوظ هناك كتابة.

ولذلك أول ما خلق الله القلم فقال: له أكتب، على خلاف ما هو الأول، هل القلم أم العرش؟ وشيخ الإسلام رحمه الله يثبت أن أول ما خلق الله عز وجل العرش وهو الأقرب -ليس هذا وكذلك موطن الحديث عنه-.

المرتبة الثالثة من مراتب القضاء والقدر: المشيئة؛ وهي من مراتب التقدير وهو أن يشاء الله عز وجل، علم فكتب فشاء أراد.

المرتبة الرابعة من مراتب القضاء والقدر: الخلق؛ وهنا نتحدث كذلك أنه ما الذي كتبه؛ شاء أن يخلقه فلو لم يشأ أن يخلقه لما كتبه، وما لم يكتبه لم يشأ أن يخلقه، فلذلك علم الله عز وجل علمه أزلي أوسع، باب الكتابة، كتب الله عز وجل فأراد ثم خلق، هذه المراتب القضاء والقدر بعد أن ينجز الشيء فقد قضاه انتهى.

فإذن ما هو القضاء والقدر؟ هذه هي مراتبها في الكتاب والسنة وهي مأخوذةٌ من -كما تعلمون- من كتاب ربنا ومن سنة النبي صلى الله عليه وسلم فهذا معنى القضاء والقدر، هناك من أهل العلم من جعل القضاء

قبل التقدير، وذلك أنه قضى بأي معنى؟ بمعنى قضى علمًا، قضى أن يخلق، قضى فكتب قضى أي سبحانه وتعالى شاء هذا المعنى عندهم، والتقدير هو تفصيله على ما قضى، هذا قول بعضهم التقدير عندهم أي فصله على ما قضاه إرادةً، هذا وجهٍ من وجوه أقوالهم والذي أراه أن الأول هو الأقوى، والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين.

١٨٢- رأي الشيخ بالشيخ عبد العزيز الطريفي

ضمن الجلسة السادسة عشر، بتاريخ: (**٢٠/٠٢/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٩/١١/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يقول أخ: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته -وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته- أحسن الله إليكم شيخنا، ما رأيكم بالشيخ عبد العزيز الطريفي؟ وهل تنصحون الإخوة بقراءة كتبه والاستماع لدروسه؟ نفع الله بكم المسلمين، وجزاكم الله خيرًا.

جواب الشيخ: سُئل يحيى بن معين -أظن- سُئل عن أحمد أو ما شابه ذلك -يعني نسيت الآن.. القصة قديمة- فقال عنه: ضعيف! سُئل عن أحمد فقال عنه: ضعيف!! فالجلوس تعجبوا!! قال: يعني واحد يسأل عن أحمد، فلا يضره أن يعرف أنه ضعيف أو غير ضعيف.

يعني في الحقيقة: الشيخ عبد العزيز الطريفي رجلٌ علم في دينه وتقواه وعلمه، جزاه الله خيراً، وبارك الله فيه، وتعلمون أن كتبه في الأغلب هي كتب قد فرغت من محاضرات، وهذه المحاضرات كان يلقيها، وهذا التفريغ، قد رأيت بعض الكتب المفرغة، رأيتها قد فرغت على وجهٍ حسن، على طريقة تفريغ دروس الشيخ ابن عثيمين، يعني فيها الترتيب الجيد بما يذهب ما يحصل من خلال الكلام والمحاضرة.

على كل حال: يعني لا يشك أحد من أهل العلم أن الرجل صاحب علم، وأنه -بإذن الله، نحسبه والله حسيبه- أنه من أهل التقوى وأهل الجهر بالحق، نسأل الله أن يفك أسره، وأن يرفع درجته، وأن يجعله إمامًا مهديًا عالِمًا عاملاً بدين الله عز وجل، كتبه المنتشرة بين أيدي الناس نافعة، وعلى المرء أن يستفيد منها وأن يهتم بها؛ وجزاه الله خيرًا.

بارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

١٨٣- حكم العمل في المجال الطبي مع المجاهدين

ضمن الجلسة السادسة عشر، بتاريخ: (**٢٠/٠٢/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٩/١١/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل –جزاه الله خيرًا– يقول: العمل في المجال الطبي مع المجاهدين ما حكمه؟ وهل له نفس أجر الرباط أو القتال أم لا وخاصةً إذا كانت ظروف الشخص الحالي لا تمكنه من الرباط والقتال لظروف الحياة ولنتيجة المشاكل مع الأهل بالدرجة الأولى؟

جواب الشيخ: لا أشك لحظةً أن القيام بأعمال الطب في الحالات التي يعيشها المجاهدون وتعيشها الأمة في وقت بلاء القصف والدمار والحروب والقتال أنها من الرباط في سبيل الله عز وجل، لا يعني الرباط ألا يخرج المرء منه أبدًا إلى بيته والله عز وجل أذن لنبيه صلى الله عليه وسلم أن يأذن لهم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٦٢)﴾ [النور: ٦٢].

القصد: بأن الأمير في الرباط كان يأذن، وهذه الآية نزلت في الأحزاب، أن الصحابة كانوا يرابطون ويحتاجون إلى أهلهم كما في صحيح مسلم الذي قتل الأفعى الْمُقعية على بيته فإنه استأذن النبي صلى الله عليه وسلم ليرجع إلى زوجه التي بنى بها حديثًا، والعلماء وقفوا أمام هذه الآية وأمام الذين يستأذنونه كما في سورة «التوبة»، ﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ [التوبة: ٤٤]، هذا تعين عليهم الجهاد في الخروج إلى تبوك، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم جميع القادرين أن يخرجوا للجهاد فتعين عليهم فاستئذانهم كان باطلاً من غير العذر وأما أهل الأعذار فمأذون لهم أصلاً ابتداءً.

القصد: أن الرباط يحصل فيه الذهاب إلى الأهل، يعني يأذن الأمير بحسب رؤيته العسكرية والحاجة إلى إملاء حالة الرباط، فيأذن لهم أن يذهبوا إلى أهلهم لقضاء حوائجهم، والناس لا يستطيعون القيام بهذا على الدوام التام.

فالقصد: بأن ذهاب الأخ من مستشفى من سيارته التي يحمل بها أو من مكان عيادته أو من مكان رباطه في المعالجة، رجوعه إلى أهله لا يعني أن رباطه باطل، لا يعني هذا ابدًا، لا يوجد أحد يرابط العمر كله في مكانٍ واحد.

لماذا أقول هذا؟ لأني شعرت في سؤال الأخ وكأن الأخ حين يكون في عمله الطبي فيرجى أنه ليس مرابطًا وهذا غير صحيح.

القصد -أعود إلى السؤال-: أن قيام الرجل في أعمال الطب في هذه الأوقات هو من أعظم الجهاد وأجله وأكرمه، ويحمل خطورة ربما لمن جرب في بعض المواطن أنه أخطر من أماكن الرباط التي فيها السواتر، يعني ربما يكون المرء في الرباط فيكون هناك السواتر التي تحميه، ولكن إذا كان في المستشفى أو كان في السيارة التي تمر بين الألغام أو تحت القصف أنها تكون أخطر مكشوفة، وكثيرًا ما تعرضوا إلى القتل هؤلاء الذين يقوموا بمثل هذه الأعمال الجليلة.

القصد: أن القيام بهذا الأمر؛ هذا من أجّل الأعمال، وأريد أن أنبه بأن كثيرًا من الكفار وأهل الحروب لا يحرصون على القتل بمقدار الحرص على الإصابة؛ لأنهم يرون أن قتل المقاتل يعني خلاص الخلاص منه، لا يشغل غيره عليه بعد أن مات، لكن إذا أصابوه فجرحوه فإنما يبقى هو بحاجة إلى عناية شديدة فيرهق الناس، وكذلك يحتاج إلى من يقوم بشأنه؛ فيشغل الناس، فلذلك ترون الألغام الأرضية يضعونها بمقدار تقطع الأرجل لا تقتل؛ لأنهم يحرصون على بقائه حيًا، لكن مع بقاء المشكلة فيه، والذين رجع من العراق وأفغانستان من المشوهين لو رأيتم البرامج التي يبثونها مؤلمة لهم وتحقق العبرة في هذا القتال لهم أكثر من الذين ماتوا، الذين ماتوا سجلوا أرقامًا وانتهى شأنهم، فبقي هؤلاء على حالهم من قطع الأرجل والأيدي والتشوه ومن الإرهاق المادي؛ تفتح لهم المستشفيات الغالية وعالية النفقة فتكلفهم الكثير.

القصد من هذا: أن أعمال الطب هذه أعمال جليلة والناس يحتاجون إليها، والردء له حكمه المباشر وهذا من أعظم الردء، والقصد من هذا: أن أعمال العلاج الطبية بالنسبة لأعمال المجاهدين والقيام بشأنهم هذا من أجّل الأعمال وهو من الرباط في سبيل الله ومن أعظم الجهاد في سبيل الله عز وجل، ومن قُتل فيها فهو شهيد، إذا كان في غزوة بدر حارثة قُتل وهو من النظارة، فقالت أمه للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رَسولَ اللَّهِ، قدْ

عَلِمْتَ مَوْقِعَ حَارِثَةَ مِن قَلْبِي، فإنْ كانَ في الجَنَّةِ لَمْ أبْكِ عليه، وإلَّا سَوْفَ تَرَى ما أصْنَعُ؟ فَقالَ لَهَا صلى الله عليه وسلم: (**هَبِلْتِ! أجَنَّةٌ واحِدَةٌ هي؟ إنَّهَا جِنَانٌ كَثِيرَةٌ، وإنَّه في الفِرْدَوْسِ الأعْلَى**)، فإذا كان هذا شأن النظارة من المسلمين الذين يشجعون المسلمين في الجهاد فما هو شأن المشارك في أعمال الطب الخطيرة كما نعلم؟

وبالله التوفيق فلذلك هذا من الجهاد في سبيل الله ومن مات؛ مات شهيدًا له حكم الشهيد في الآخرة إن شاء الله عز وجل والحمد لله رب العالمين.

١٨٤- حكم العمل في مطعم يقدم المحرمات

ضمن الجلسة السادسة عشر، بتاريخ: (**٢٠/٠٢/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٩/١١/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: لي أخٌ من صلبي -يقصد: شقيق.. ولا يقال: أخ من صلبي!!- وهو لاجئٌ في ألمانيا يريد أن يعمل ولا يجد عملاً، وراسلني أنه وجد عملاً في أحد المطاعم، ونحن نعلم أن المطاعم هناك تبيع المحرمات كلحم الخنزير وغيره، وهو عمله مقتصر على جلي الصحون فقط؛ فهل يجوز العمل؟ أفدنا شيخنا، ونسأل الله أن يحفظك.

جواب الشيخ: إذا ثبت -لأن هناك من المطاعم ما لا تبيع لحم الخنزير ولا تبيع المحرمات- إذا ثبت أن هذا المطعم الذي يريد أن يعمل فيه حتى ولو كان في غسل الصحون فقط! إذا ثبت أن هذا المطعم يبيع المحرمات، فلا يجوز العمل فيه؛ لقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]، ولأن الصواب أن الخنزير كله نجس، وليس فقط لحمه كما يقول البعض!! ﴿أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥]، المقصود: الخنزير أنه رجس، فالضمير يعود على الخنزير وليس على اللحم فقط؛ وهذا قول جماهير أهل العلم، خلافاً للظاهرية، وقد أخطأوا في هذا خطأ بيّنًا عند الفقهاء.

فالقصد: بإن العمل في هذه المطاعم التي تقدم الخمر وتقدم لحم الخنزير والمحرمات فلو عمل ردءًا أو معاونًا في أي عمل وليس فقط الطبخ وليس فقط التقدمة، ولن في غسلها لا يجوز؛ ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾، وهذا من الإثم الذي هو معصية، فلا يجوز للمرء أن يعمل فيه.

إذن ماذا يعمل؟؟ الجواب: قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣]، مع أني لا أحب للمسلمين أن يقيموا في مثل هذه البلاد -ليس اليوم فقط أتكلم- تكلمت وأنا في تلك البلاد عن هذا الأمر، أني أنصح المسلمين بهجرانها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً -أتكلم عن القادر المستطيع-، فليهجروا هذا بحثًا عن مصادر الرزق الحلال في بلادٍ أخرى؛ فإن لم يستطيعوا فليتقوا الله وليصبروا ولا يأتوا الحرام.

وكنا اليوم نتحدث مع أبنائي عن وضع الناس في تلك البلاد وتغير الأبناء.. المشكلة أن الكثير يعيش هناك ولا يهتم لنفسه، ظانًا أنه هو يقوم على الشرع هو وزوجه!! ولكن المشكلة في ضياع الأبناء، نحن نرى أن الأبناء الآن يدرسون في المدارس الأجنبية، ويتعلمون الثقافة الكافرة الجاهلية..؛ فعلى المرء أن يتقي الله في هذا الأمر ويرحل بأبنائه ما استطاع ولو بأقل الرزق، ولو بالقليل، ويقبل بشظف العيش ويبتعد عن ترفه وعن نعيمه مقابل أن يحفظ دينه ودين أبنائه.

القصد: أن هذا العمل لا يجوز؛ وعلى المرء أن يتقي الله ما استطاع، وحينئذ: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (٣)﴾ [الطلاق: ٢-٣].

والحمد لله رب العالمين.

١٨٥- هل يجوز التواصل مع أعمامي المؤيدين لبشار؟

ضمن الجلسة السادسة عشر، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٢/٢٠هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/١١/٩ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: السلام عليكم ورحمة الله، شيخنا الفاضل: أنا من حلب، هل يجوز لي التحدث مع أعمامي وعماتي وبعض أقاربي والسؤال عن حالهم، مع العلم أنهم مؤيدون للنظام النصيري، وإلى الآن محسوبين على أهل السنة، وأنا مغترب خارج سورية، فما حكمهم؟

جواب الشيخ: أما الاتصال بهم والاطمئنان على حالهم مع بقاء الود، فالله عز وجل لا ينهانا عن ذلك، ولم ينهنا عن ذلك، المودة التي هي من قبيل الخلقية والفطرية، المرء لا ينقطع من هؤلاء، وكان الصحابة رضي الله عنهم يرسلون الرسائل -المهاجرون- إلى إخوانهم، معروف إرسال الوليد بن الوليد رسالته إلى خالد بن الوليد رضي الله عنهم جميعاً.. رضي الله عن الوليد وعن خالد، وأما أبوهم فالوليد بن المغيرة قتل -كما تعلمون- في بدر.

فإذن: يجوز للمرء أن يرسل هذه الرسائل لهم، وأن يسلم عليهم التسليم الذي ليس فيه مخالفة شرعية؛ أي لا يبتدئهم بالسلام لكفرهم وردتهم، وإنما يطلق عليهم: مرحباً.. كيف حالكم؟ ويتواد بمثل هذه الكلمات الفطرية التي لا تقطع الناس عن بعضهم بعضاً، وهذا من قبيل التحبب والتقرب إليهم ليعلموا الحق.

ليكن في نية الأخ حين يتحدث معهم كشف الحق وبيان ما هو الصواب، لعل الله عز وجل يخرجهم مما هم فيه، وبالله التوفيق.

والحمد لله رب العالمين.

١٨٦- إمامنا يدعونا إلى الانتخابات، فما حكم الصلاة خلفه؟

ضمن الجلسة السادسة عشر، بتاريخ: (**٢٠/٠٢/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٩/١١/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

هناك سؤال طويل، ولكن لا بأس...

يقول السائل: نحن نقيم في ألمانيا ولدينا مُصلى ولدينا إمام متطوع فقط لصلاة الجمعة وأظنه إخواني -يعني من جماعة الإخوان المسلمين أو متعاطف معهم- وإذا به يفاجئنا في إحدى خطبه بنصيحته إيانا بالذهاب لانتخاب لصالح الحزب أي الألماني الذي يخدم مصالحنا كأقليةٍ مسلمة في ألمانيا بدعوى دفع أعظم الضررين لمنع الأحزاب العنصرية والمعادية للمسلمين من الوصول إلى الحكم؛ فتسبب رأيه في فتنة في المسجد فيما بيننا، فهناك من رفض الصلاة خلفه بدعوى ردته بدعوته للشرك الأكبر، وكان رأيي أن هذا الإمام لا أوافقه فيما قال ولكن لا أكفره واعتبرت تكفيره هو تكفير للمخالف على طريقة الخوارج، حيث إن شبهات الأحزاب الإسلامية في هذه المسألة معلومة، فاعتبرته متأولاً، ولكن بعض الإخوة اعتبروه مرتدًا ولا تأويل معتبر له وهجروا المصلى منذ ذلك اليوم، فما رأيك يا شيخنا، هل تبيّن لنا حكم من قال بقول هذا الإمام؟ وهل نترك الصلاة خلفه كما فعل الإخوة؟ وما هو التصرف الصحيح في مثل هكذا أمور؟ وبارك الله فيكم.

جواب الشيخ: الجواب هو أنت، أنت المصيب وهم مخطئون، لو أننا كفرنا كل من دعى للدخول في الانتخابات عل هذا المعنى؛ لما بقي إمام من المسلمين ولكفرنا عموم المسلمين!! كلهم يذهبون للانتخابات لا لتشريع، المسلمون يذهبون لانتخاب الذين يعينوهم في مصالحهم، الكثير منهم، أكثرهم يرون أن الذهاب لوضع الأوراق الانتخابية في صناديق الاقتراع من أجل تقدمة من يسعدهم في مصالحهم، فهذا المعنى لا يكفر المرء به، حقيقة الانتخاب ليس كذلك، الانتخاب هو تولية رجل من أجل التشريع، لبرلمان مشرع، لكن نتكلم عما يفهمه الناس وما يمارسونه، فهذا تأويل.

ثم الأمر الآخر: كثرة من يقول بهذا، كما قلت: في بلادنا وفي غير بلاد المسلمين، الحال واحد، فلا يجوز التخصيص بغير مخصص وإلا كان تحكمًا، وكان اتباعًا للهوى، ولذلك أنت ما قلته في هذا الباب هو الصواب،

هذا الرجل لا يجوز أن نكفره بهذا، ولا يجوز أن نهجر الصلاة خلفه، ونبيّن له بالحكمة وإلا فعامة الناس على هذا الأمر، وأما الذين كفروه فمخطئون وظانين أنها من الأمور البينة، لا، ليست من الأمور البينة، لم تصل إلى درجة اليقين الذي يقع به الإجماع ومخالفه يكون مخالفًا لما استقر في نفوس الناس وما يعرفونه، لا، في الحقيقة خطأ.

يعني عندما يقولون هذه الكلمة، يقول: «ولكن بعض الإخوة اعتبروه مرتدًا ولا تأويل معتبر له»، لا، له تأويل معتبر أكثر من غيره في هذا الباب.

على كل حال من غير تطويل لأن هذا الكلام تكلمنا عنه كثيرًا، فالصواب: هو فعلك أيها الأخ، أن يُصلى خلفه إذا كان هو الأقرب ولم يكن هناك من هو خيرٌ منه في دينه وفي علمه؛ فالصلاة خلف هذا الرجل جائزة، بل لا يجوز التفرق عنه لهذا الأمر، ونحن نعذر الناس في هذا الباب، والحمد لله رب العالمين.

١٨٧- متى ينقض حكم القاضي؟

ضمن الجلسة السادسة عشر، بتاريخ: (**٢٠/٠٢/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٩/١١/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: هل حين يتوفى الأب وتحكم المحكمة بأن الجد ولي، والجد يوصي للأم؛ هل حكم المحكمة بشكل عام في مثل هذه المسألة صحيح من ناحية شرعية؟ وهل الآن تصح الولاية للأم كوصي من قبل الجد؟ وهل الابن يحق له أن ينازعها؟

جواب الشيخ: السؤال ليس واضحاً في موضوع الحضانة أو موضوع الوصاية.

الوصاية: لا تكون امرأة وصية على ابنها الذي يقوم بالشأن المالي؛ هذا قول الجمهور وهو الأصوب؛ أن الوصاية المالية تكون للرجال ولا تكون للنساء؛ لأن المرأة تحتاج إلى ولي عليها في قضية المال، مع أن المسألة فيها خلاف، للذكر يعني.

فالجد ولي، بمعنى أنه هو الذي يقوم على وصايتهم -لنأخذ هذا المعنى أولاً-، فالجد يوصي للأم؟ لا، لا يجوز؛ هو الذي يقوم بكفالتهم، فإن لم يقدر يعطيها لأقرب رجل ذكر فيه صفات القيام وصفات القِوامة؛ أي القيام بحق، ولا يكون كاذبًا، أو سارقًا ولصًا، أو متهمًا في دينه.

فيقول: هل حكم المحكمة -الشرعية، هو يقصد المحاكم الشرعية- يصح أو لا يصح؟ حكم القاضي لا ينقض إلا إذا خالف نصًا، أو خالف أمرًا يقينيًا؛ كأن يحكم بالظلم، وألا يحكم بغير بالشريعة، وأن يخالف نصًا مُجمعًا عليه..، فحينئذٍ يكون قضاؤه غير نافذ، وأما إذا حكم فيما يصح الاجتهاد فيه، وكان لما اجتهد فيه وجهًا معتبرًا؛ فيمضي حكمه.

وعلى كل حال سؤال الاخ الذي أحببت أن أقرأه لأقول لك: فهل الآن تصح الولاية للأم؟ الولاية لا تكون للمرأة، الولاية تكون للرجل والأم لها الحضانة، كوصي من قبل الجد وهل الابن يحق له أن ينازعها؟ المقصود: الولاية.. إذا الابن كان الكبير، والجد اعتذر، لو اعتبرنا أن الجد هو أولى من الابن، هذا السؤال!! يعني أخي

بارك الله فيك، ليتني أستطيع الاتصال معك لأنه: وهل الابن.. ما المقصود بالابن؟ يعني المقصود بالأخ.. يعني ابنها يكون وليًا عليها؟؟ نعم، يجوز ولاية الابن على الأم في الزواج وفي قيامه على شأنها المالي، بارك الله فيكم، والحمد لله رب العالمين.

١٨٨- من أحكام الرضاعة

ضمن الجلسة السادسة عشر، بتاريخ: (**٢٠/٠٢/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٩/١١/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته -وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته-، هناك امرأة تزوجت وأنجبت بنتًا، ثم طلقت، وتبنت بنتًا وأرضعتها، -يعني أريد أن أقول: أرضعتها من لبن الزوج الأول الذي فارقته، يعني: طلقها خلال الرضاعة، والطلاق خلال الرضاعة طلاقٌ سني، فهي تبنت بعد الطلاق بنتًا وأرضعتها مع ابنتها من الزوج الأول، فهي فهذه إذًا هذه البنت ماذا صارت؟ هذه البنت صارت بنتًا لهذه الأم من الرضاعة، وصارت بنتًا للزوج الأول من الرضاعة.. انتبهوا: في هذا السؤال، هذه البنت التي أرضعتها المرأة هي بنت لهذه الأم (**يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب**) هذه بنت لها، وهذه البنت ماذا؟ بنت للزوج الذي طلقها الأول، انتهينا- يقول: فأصبحت بنتها من الرضاعة -صحيح-؛ ثم تزوجت هذه المرأة من زوج ثانٍ وأنجبت منه ذكرًا، فهل ابنتها من الرضاعة محرمة للزوج الثاني وابنه؟؟

جواب الشيخ: محرمة لابنه؟ نعم، لأن هذا الولد أخوها من الرضاعة، يعني أخوها من أمها، فهم إخوان لأم، واضح؟

الآن.. هل هذه البنت محرمة على زوج أمها من الرضاعة؟ الجواب: نعم، لأن الله عز وجل في القرآن حرم على الرجل أن يتزوج البنت إن دخل على الأم، «العقد على البنات يحرم الأمهات، والدخول على الأمهات يحرم البنات» الدخول على الأم شرطٌ لتحرم البنت، ولكن العقد على البنت يحرم الأم، بمجرد العقد، حتى لو لم يدخل بها، ولكن شرط تحريم البنت هو أن يدخل على الأم.

فالآن هذا الرجل تزوج الأم، تزوج أمها، فبالدخول على أمها حرمت هذه البنت عليه، فصارت حرامًا.

فإذن هي حرام على الابن، لأنه أخوها من الرضاعة، وحرام على زوج أمها، لأنه لا يجوز للرجل أن يتزوج الأم وابنتها، والتحريم هنا تحريم أبدي، الدخول على الأم يحرم البنات تحريمًا تأبيدًا وليس الجمع بينهما، بل تصبح حرامًا عليه على الدوام والأبد.

والحمد لله رب العالمين.

١٨٩- حكم الدراسة عند معلمة

ضمن الجلسة السادسة عشر، بتاريخ: (**٢٠/٠٢/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٩/١١/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: هناك أخ يسألني، يدرس بكالوريا -أظن بكالوريا يعني توجيهي- **ويأخذ دروساً كدورةٍ خاصة عند آنسة عمرها** -آنسة يعني غير متزوجة- **عمرها «٤٥» سنة، وقال أيضًا: إنها لا تفتن، السؤال: هل يجوز الحضور واخذ العلم منها؟**

جواب الشيخ: لا يجوز، لا يجوز له أن يختلي بها، ولا يجوز إلا مع وجود محرم، حتى لو وجد مجموعة من الطلاب والطالبات لا يصح الجلوس معها لوحدها دون وجود المحرم للأخذ منها، وهذا من الخلوة المحرمة إذا كانوا لوحدهم.

أما إذا كانت في مدرسة عامة، يعني أن يذهب إلى مدرسة فهي تعلمهم، فالأولى تركها، فإن اضطر إليها -كما يفعل الناس الآن في الجامعات، كلها فيها المعلمات- فليجلس، ولكن لا ينظر إليها على الصواب.

والمسألة فيها خلاف وهي نظر الرجل إلى المرأة بغير شهوة؛ لأن العلماء اختلفوا في هذا في الحقيقة، هل يجوز النظر إلى المرأة إلى وجهها.. ما جاز كشفه؟؟ الجمهور على عدم الجواز.. الكشف يفترق عن النظر.. ولكن بعض أهل العلم ومنهم بعض الحنفية، وأظن أن هذا قول الجصاص في «أحكام القرآن»، يقول: إنه يجوز لما كشف أن يُرى.

على كل حال: لك النظرة الأولى، والثانية عليك، فعلى المرء أن يغض بصره ولا ينظر.

القصد: جواب هذا السؤال: لا يجوز له أن ينظر إليها، ولا أن يجلس معها.

أما قوله: «لا تفتن» هذا أمرٌ اعتباري، والشارع لا يعلق الأحكام على الأمور الاعتبارية -يعني النسبية- ربما هي لا تفتن لك لأنك لا تراها جميلة، وهي تفتن لغيرك؛ وإذا أعطيناك الحكم الآن هي لا تفتن ولا ندري بعد ذلك ماذا يحصل.. (**وإذا اجتمع رجلٌ وامرأة كان الشيطان ثالثهما**).. يقينًا هذا، سواء تفتن أو لا تفتن..

يعني «٤٥» سنة قطعاً أنها امرأة ما زالت تحمل الفتنة، وفيها هذا المعنى.

بارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

١٩٠- حكم الإجابة بأقوال أهل البدع المقررة في المناهج في الامتحانات

ضمن الجلسة السادسة عشر، بتاريخ: (**٢٠/٠٢/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٩/١١/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يقول الأخ السائل: زوجتي تعطي دروسًا للقرآن في المسجد، ويطلب منها إجراء فحص لثلاث مواد: تجويد وتلاوة، وقومية، وتفسير، لحيازة رخصةٍ من الأوقاف، ويهددون بإغلاق المعهد وإحضار من تحمل رخصةً بدلاً منها إن لم تفعل، مع العلم أن كتاب التفسير -الذي فيه ما فيه من ضلال وكفر- هو لعبد الستار السيد وزير الأوقاف السوري.

جواب الشيخ: في الحقيقة لا أستطيع أن أوافق الأخ حتى أطلع، يعني ما هو الكفر في كتاب التفسير لعبد الستار؟ وإن كان عبد الستار السيد معروف ما هو دينه، هو بعثي، وأنا يعني منذ سنين أسمع أنه من مدمني الخمر.. عبد الستار السيد وزير الأوقاف السوري.

على كل حال: أرجو أن يقدرني الله عز وجل، فقط أحببت أن أبلغ الأخ أنني قد قرأت سؤاله، فأرجو أن أطلع على كتاب التفسير؛ إذا قدرت فأجيب.

ولكن تستطيع هذه الأخت إنْ كانت الأجوبة شرعية أن تجيب بالأجوبة الشرعية، يعني: تقدم الفحص وتجيب بالأجوبة الشرعية، وإذا كان لها مجال، وخاصةً أن الموضوع موضوع شرعي، وأن الفحص يقوم على مواضيع شرعية، فهي تجيب على الأسئلة التي تحقق النجاح، والأسئلة التي فيها إشكال ولا تريد أن تجيب عليها فلتتركها، ولتحقق العلامات اللازمة للنجاح لتبقى هذه الأخت قائمة على هذا العمل، من الدعوة، ومن تعليم القرآن وتحفيظه، وتعليم تلاوته وتجويده؛ فتقوم بهذا الأمر لئلا يأتي من هو شر منها.

ولكن إذا لم يكن إلا أن تكفر، فلا يجوز؛ لأن هذا ليس من الإكراه في شيء، يعني أن تقول كلامًا كفريًا فلا يجوز، ولكن إذا قدرت في بعض المسائل من غير الكفر الصريح، وأن تقول بعض الكلمات التي فيها التورية، وأن تجيب بما يقوله العلماء الثقات، تقول: قال ابن كثير، وقال.. هم يحبون مثلاً: قال الفخر الرازي -فهم يحبون هذه التفاسير- قال الألوسي، وتبتعد عن الكتب التي تسبب المغص لهؤلاء القوم.. فلا بأس بهذا الأمر.

على كل حال: أرجو أن أطلع على كتاب التفسير لعبد الستار السيد، فيكون الجواب أكثر وضوحاً من هذا الأمر؛ ومع ذلك أعيد وأكرر: يمكن للأخت أن تتقي الله ما استطاعت، وأن تنجو بهذا المعهد الجيد.

والحمد لله رب العالمين.

١٩١- هل يصح قراءة دخول المنزل عند دخول غرف التلجرام؟

ضمن الجلسة السادسة عشر، بتاريخ: (**٢٠/٠٢/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٩/١١/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: هل يصح قراءة دعاء دخول المنزل عند الدخول إلى غرف التلجرام؟

جواب الشيخ: لا، والسبب أن الدخول إلى المواطن هذه في النت هي كقراءة الرسالة.. كفتح الرسالة.. عندما تأتيك أنت رسالة، فإنك تفتح هذه الرسالة.. تسمي الله وتفتح هذه الرسالة وتقرأها، ولا حاجة لأن تدخل.

فغرف التلجرام وإن سميت بهذا الاسم، ولكن هذا من قبيل المجاز، وليست من الغرف التي يعني يقال فيها ما في حديث دخول المنزل: (**بسم الله توكلت على الله**...)، مع أن دعاء دخول المنزل يوجد عليه كلام لأهل الحديث.

القصد: بأن دخول هذه الغرف ليس حكمه هو دخول الغرف البيتية، وإنما حكمه هو حكم قراءة الرسائل، فتسمي وتدخل هذه الغرف، وبالله التوفيق.

١٩٢- الرد على بعض الشباب الذين ينكرون بعض الفتاوى وهم ليسوا بطلاب علم

ضمن الجلسة السابعة عشر، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٢/٢٤هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/١١/١٣ م**)

الحمد لله، والصلاة على رسول الله:

أخ يسأل: إن بعض الشباب ينكرون عليَّ بعض المواقف والفتاوى ويقرون بأنفسهم أني أعلم الخير من الفقه والدين والعلم ولو تفرغت للتدريس في المعاهد والجامعات لأحسنت، فهل هذا تناقض منهم فيك؟ هل سبب هذا ضعف بالعلم حين يعلمون مسألة فيثربون على مخالفيهم فيها فإن جهلوا العلم تعلموا واستفادوا؟

جواب الشيخ: هذا يدعو للحديث: البعض من هنا في هذا السؤال وفي غيره أشاروا ليتك تخرج وتتكلم في بعض البرامج وكأن الأمر بيدي يعني، وليتك تجتمع مع فلان في القضية الفلانية وتتكلموا في المسألة المعينة وتتكلموا لأنكما تحسنان في هذه المسألة.

الجواب أولاً لنبقى على ما نحن عليه فالعبرة في القدرة وليس بالأماني، ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [النساء: ١٢٣]، هذا وضعنا وهذا حالنا، ونسأل الله أن يديم هذا الخير القليل مع أنه أشبه بساقية ماءٍ صغيرة، لكن إن شاء الله نجعلها ساقية ماء تمد بحر الإسلام العظيم، بل محيط الإسلام العظيم من أجل أن يكثر الخير.

ولا بأس أنا من الناس الذين لا يهتمون بالعمل الجماهيري، نعم العمل الجماهيري له فوائده؛ أن تخرج على التلفاز كثيراً من المشايخ لا يعرفونهم الناس لكن في التلفاز صار لهم انتشار، وفيها خير عظيم، ولكن حين تعجز فلا تيأس ولا تقلل قيمة أن تعلم أحدًا، لو جاءك سؤال من أحد وعلمته فاعلم أنك قد أصبت خيراً، قال صلى الله عليه وسلم: (**ومن يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**)، وقال صلى الله عليه وسلم: (**نَضَّرَ اللَّهُ امرأً سمِعَ منَّا شيئًا فبلَّغَهُ كما سمِعَهُ، فرُبَّ مُبَلَّغٍ أوْعَى من سامِعٍ**).

فالقصد: أن ما أفعله أنا موقن أنه ساقية صغيرة تمد الخير لهذه الأمة، ولست كافياً وليس غيري بمغلقٍ عليّ باب الخير في إعطائه للناس، هذا الذي نستطيعه، ليس كاملاً، ولم يضع الأجوبة النهائية للقضايا الوجودية وقضايا المسلمين وكيفية التغيير، ولست مُغلقًا الباب عن أحد يستطيع أن يقدم الكثير، الأبواب الإسلامية تسع الناس جميعًا وهي ليست مفتوحة للناس ومغلقة عليّ، يعني أحدهم يقول: لماذا لم تفعل؟ لا، هذا باب أتقرب به إلى الله عز وجل، وينتفع به واحد واثنين وأفرح كثيرًا.

مثلاً: أحد الإخوة يرسل ويقول: أنا استفدت منك، الحمد لله واحد يكفي، ولو أن كل ما قلته عاد بالنفع على واحد من المسلمين فكان سببًا في رفعة إيمانه وثقته بهذا الدين فهذا شيءٌ عظيم فالحمد لله رب العلمين.

فالأمر المهم جدًا: على المسلمين أن يعلموا أن كل إنسانٍ في هذه الدنيا يقدم الخير للمسلمين لا بد أن يقع فيه خطأ، لماذا؟ لأن الله عز وجل أبى أن يتم إلا كتابه، كما قال بحر العلوم وإمام الأئمة الشافعي: «أبى الله أن يتم إلا كتابه»، لا يوجد إنسان يكتب كتاباً إلا وهو يراه أنه ناقص، فإذا ظن أنه كامل فهذا من نقص عقله ومن غروره.

وهذا الذي نقوله بالكتاب، نقوله في الأشخاص، فإذا أحد وقال: أنا أملأ الدنيا علمًا وأنا أكفي الناس علمًا؛ هذا من أجهل الناس وأفسد الناس هذا الرجل؛ لأن هذا الدين إلى كل أحد، يحتاج في قيامه وإلا فالله نصره، يعني هذا الذي أفهمه، وكل الناس يحتاجون إلى هذا الدين.

فلذلك أيها الإخوة الأحبة: أول شيء عليك أن تعلم أنه الخير الذي عندك عليك أن تعلمه، (**نضَّرَ اللَّهُ امرأً سمِعَ مقالتي، فبلَّغَها**)، فقط لو أنك سمعت حديثًا فبلغته فعليك أن تسعد بهذا وتفرح بأنك دخلت في (**نضَّر الله امرأً سمِع مقالَتي فوعاها**)، ويكفي (**نضَّرَ اللَّهُ امرأً**)، فهل هناك أعظم من هذا الأجر؟! أن الله عز وجل يدخلك في هذا الباب أن تعلم الناس الدين.

أبو عبد الرحمن السلمي مكث أربعين سنة يعلم الناس القرآن لحديث عثمان رضي الله عنه: (**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**).

والناس في هذا الباب يزيدون، فهناك من يجعله الله عز وجل كالبحر المتلاطم، وهناك من يجعله كالساقية

الصغيرة، وهناك من يجعله كجدول الماء كالشرعة الصغير، فالناس يتفاوتون في هذا، ولكنهم كلهم يدخلون في هذا الباب العظيم في أن الله ينضرهم يوم القيامة، في الدنيا والآخرة، وهم على منابر من نور، نسأل الله عز وجل أن نكون منهم.

الأمر الثاني: وهو أن الناس يمدحون ويذمون، هذا شأن البشر، فلا يوجد أحد يُذم بحيث لا تجد له مادحًا ولا تجد رجلاً يُمدح حتى لا تجد له ذام، لا كل الناس هناك من يذمهم ويختلفون الناس فيهم، فيوجد من انتسب إلى هذه الأمة وهم من أضل الناس وسبوا الصحابة رضي الله عنهم، فمن باب أولى من بعدهم وجد من يذمهم ومن يمدحهم، والله أعلم بمن اتقى.

والله عز وجل هو الذي يرفع أقوامًا ويضع آخرين، وهذا القرآن كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: **(إن الله ليرفع بهذا القرآن أقوامًا ويضع آخرين)**، هذا هو شأن هذا الدين، فيوجد الذام لي ويوجد المادح لي، فأنا أسمعه وأقرأ له، وأنا بشر لا يوجد أحد فوق...، فإذا وجدت الخير والذم الذي هو مبناه الشفقة على هذا العبد وأنه يحمل المنفعة في ذمه فأنا أسمعه وأتعلم منه وأدعو له في سري.

ووالله رب العرش العظيم متحدثًا بنعمة الله أنه في المواطن المباركة أدعو لمن أسأت إليه وأدعو لمن أساء إليّ، بفضل الله عز وجل، وقد يقع في قلبي الزعل والغضب لرجلٍ يسب بلحظتها ثم بعد لحظات دقائق لا تطول أدعو له وأستغفر وتمضي الحياة، وأنتم ترون أن بعض الناس ظن أن هذا الرجل –ولست كذلك والله نفسي– هدف كبير فليقصف وليسب وبعضهم هكذا يفعل ويستهزئ، رأيت أحدهم يرد ويستهزئ ويحتقر فإذا قلت كلمة، كتب ههههه –ولا تدري؟!!– أخبروني ما معناها؟ وهكذا يبدأ الاستهزاء، فماذا ترد عليه؟!! تحزن عليه هذا شاب، يعني اصبر الحياة أمامك إذا استخدمت هذا الأسلوب سيأتي من ينحرك نحرًا، فاصبر وتعلم أن هذا الوقت الذي أنت فيه محسوبٌ عليك فيما يأتي وستبدأ دفع الثمن بعد ذلك فلا تستهزئ وتعلم وتعامل بالعلم وتعامل بالتواضع والحكمة.

فالعبرة بالحق والعبرة بالدليل، ونحن نتكلم ما عندنا، والناس ربما يرون هذا خطأ فيبينون ويرون هذا صواب فيبينون والعبرة بالدليل إن شاء الله، ثم بما قدر الله عز وجل من الأحكام القدرية، في أن الله عز وجل سيعاقب كل من خان دينه، والله، والله، من لم يخف الله عز وجل في سره ونجواه ويخون الأمة ولو بكلمة واحدة، بكلمة

واحدة يخون الأمة يكتبها على معنى الخيانة لهم؛ سيكشفه الله، لو أن رجلاً بيت في السحر أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه لأصبح الناس يقولون: فلانٌ كذاب.

هذا دين الله عز وجل ليس دين دولة ولها مخابرات تطلع وتكشف ما تريد، هذا دين الله عز وجل يطلع على خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فهذا لا ينفع معه إلا الصدق، كما قال كعب بن مالك رضي الله عنه: «وأني لأعلم أني لو كنت عند أحدٍ من الملوك لكذبته؛ لكني أعلم لو أني قلت اليوم قولاً أمامك -يعني على خلاف الحق- فإن الله سيكشفه -سيفضحه-».

فالتعامل مع الله عز وجل هذا دين، التعامل مع الله عز وجل، فعلى المرء حين يذم أن يتذكر الله عز وجل، هل هو يريد النفع للأمة؟ هل يريد تجنيب الناس الخطر؟ أما يريد الانتصار والثأر والإسقاط وو... إلخ؟ وأنا لا أخاف من هذا، بل أخاف ذنبي، لا أخاف الناس، والله لا أخاف الناس، أخاف ذنبي، وأما سب المادح والقادح فهذا أمرٌ عند الله عز وجل هو ينطق الناس والألسنة، فلذلك عليك أن تتعامل مع الله عز وجل، قال صلى الله عليه وسلم: (**إنَّ اللَّهَ إذا أحَبَّ عَبْدًا دَعا جِبْرِيلَ فقالَ: إنِّي أُحِبُّ فُلانًا فأحِبَّهُ، قالَ: فيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنادِي في السَّماءِ فيَقولُ: إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلانًا فأحِبُّوهُ، فيُحِبُّهُ أهْلُ السَّماءِ، قالَ ثُمَّ يُوضَعُ له القَبُولُ في الأرْضِ، وإذا أبْغَضَ عَبْدًا دَعا جِبْرِيلَ فيَقولُ: إنِّي أُبْغِضُ فُلانًا فأبْغِضْهُ، قالَ فيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنادِي في أهْلِ السَّماءِ إنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فُلانًا فأبْغِضُوهُ، قالَ: فيُبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوضَعُ له البَغْضاءُ في الأرْضِ**).

فإياك أن تغرك اللحظة الراهنة، هذه الكلمة التي أكررها اللحظة الراهنة هي لحظة قلقة هي أضعف اللحظات، أنت على هذه الكومة ولا تدري أتذهب بك إلى الشقاء أم إلى السعادة؛ فعليك أن تّذكر وجه الله، لا يهمك الناس يقولون جزاهم الله خيرًا، وأنا أعلم -تحدثًا بنعمة الله- أن الكثير ممن يسب؛ يستفيد، وأن كثيرًا من يحسد؛ يستفيد، لا بأس، ما في مشكلة، ولم أصل إلى درجة الإمام الشافعي رحمه الله: «إني وددت أن هذا العلم يعلمه الناس ولا ينسب لي في شيء»، فلم أصل إلى هذه الدرجة، لكن لما أنشر ما أكتب وأنشر ما أقول؛ فلا أقيد من يسمع هذا الكلام ولا أضع حصونًا لمنع بعض الناس من السماع له، لا، ننشره للناس، فينتفع به المحب وينتفع به المبغض، وكثيرًا ما أجد بعض الكلمات تؤخذ وتسرق من هنا وهنا، لا بأس لا يضرني إن شاء الله، وليس هذا مما يعيب بإذن الله سبحانه وتعالى، بل هو أسأل الله عز وجل أن يجعل لي أجر هذا الأمر في

هذا الباب.

الأمر الآخر: أين أكون في الجامعات أو أين أكون الجامع؟ يا شيخ الله يكون بعونا، لا تطلب منا هذا، وددت والله لو أني أرى ما يقوله دكاترة الجامعات، وددت لو أني أعلم فيها ولو مجانًا؛ لأن الطلاب مساكين يذهبون إلى الجامعات طلبًا للعلم فيجدون... -يقول لي إبني: أن الدكتور يفتخر أنه لم يقرأ كتاباً كاملاً في حياته قط- دكتور يعلّم العلم والشريعة ثم يقول: أن لم أقرأ في كتابًا كاملاً في حياتي قط، بل بعضهم يقول: والله إني أكره التدريس والتعليم ولم آت إليكم إلا من أجل الراتب، انظر!! يعلّم الناس الدين بهذه النوازع وهذه القوى وهذه الدوافع، الناس هكذا، أسأل الله أن يغفر لنا ولكم والحمد لله رب العالمين.

١٩٣- التوبة

ضمن الجلسة السابعة عشر، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٢/٢٤هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/١١/١٣ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ جزاه الله خيراً طلب أن يُقرأ سؤاله سراً ويُعطى السائل اسمًا نتخيره، في الحقيقة أنا لا تظهر عندي أسماء السائلين، خلاصة سؤال الأخ حفظه الله: أنه كان يدرس بإحدى الجامعات في إحدى البلاد ثم هاجر، المهم شَكى هذا الأخ جزاه الله خيرًا، -أقرأ بعض الكلمات-:

يقول: ليس متزوجاً، فهو يعاني من فتنة النساء، يقول: أن حاله من الصعوبة بمكان، النقطة الأصلية أن يغض البصر فيما يعرض له من الطرقات، يمتنع عن مصافحة النساء مع انتشارها بين أئمة المساجد في البلد الذي هو فيه، عند الخلوة يتسلل النظر إلى ما حرم الله لداعي من الدواعي يعني مرات في الخلوة يبصر وينظر، تتنازعه الشهوة من كل جانب، يعني على حالةٍ من الشهوة واللوم في نفسه، يقول -أنا أردت أن أقرأ هذه الكلمة الجميلة-: المشكلة إني مثلاً أكون أقرأ للرافعي فيما كتب عن فلسفة الفقر والغنى والسعادة والحزن وكيف يترفع الإنسان بنفسه ويتنزه عن هذه السافلات التي تعرض الناس وأشعر إني ملكت الدنيا في يدي، بل كنت مرةً في قراءة القرآن فإذ وجدتني تقرأ الشياطين علي تعاويذها، فلا أعلم هل النفاق سرى لي أم أنا تائه في ظلمة من بعض هذا الظلام، أم ماذا؟ أسألك النصح بكلمات عسى لكم إن يكون فيها النجاة بإذن الله، وأجرك عند الله على أني متابع -جزاكم الله خيرًا- لكل ما تنشرونه، عذرًا للإطالة، -لا تعتذر أخي.

جواب الشيخ: حال هذا الشاب هو حال كل شاب في مجتمعاتنا، بغض النظر عن وجود المرء في أي دولةٍ فالدول تقريبًا بدأت تتساوى مع خلاف في موضوع انتشار فتنة النساء، وثم تساوت في موضوع الفتنة التي هي بين أيدي الناس، كنا ونحن صغاراً يذهب الناس إلى السينما سرِقةً فيدخلون في الأسبوع أو الشهر مرة أو السنة مرة أيام الأعياد، ولكن الآن للأسف السينما يحملونها في جيوبهم الأطفال، التلفون هذا اليوم فيه كل الأفلام وكل الصور وما لم يكن الناس يستطيعون رؤيته، يستطيعون رؤيته الآن، لأن ما يعرض في أمريكا واليابان أو يعرض في أستراليا يعرض عندك الآن بخلاف ما هو سابق، في هذه فتنة الشباب.

الأخ عليه أن يعلم قضيةً مهمة: أن ما يعرض له يعرض لكل أحد، أقصد ممن يشبه حاله، وأن الناس يقعون في هذه الفتنة على تفاوت فيهم، وكما في الحديث: (**عجب ربنا لشابٍ ليس له صبوة**)، عليك أن تعلم أن هذا الصراع أن يبقى في قلبك خير عظيم من أن تذهب إلى جهة الفساد؛ فيموت قلبك ولا تندم ولا تعيش هذا الصراع، الصراع هذا يبقي حالة الإيمان لديك، ولذلك أنت كما ترى أنك مرات تذهب لقراءة القرآن فتبكي وتتوب وهذا هو المطلوب، المطلوب هو أنك إذا بقيت على حالك من الذنب أن تتوب دائماً ولا تيأس من التوبة، لو تكررت التوبة في اليوم مئة مرة بل ألف مرة بل أكثر من ذلك عليك أن تبقى، فحيث عصيت أبقى تتوب، إياك أن تقع أسير اليأس والقنوط، لأن هذا من الكفر، ﴿إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ (٨٧)﴾ [يوسف: ٨٧].

فاليأس من الشريعة هو أساس الكفر، عامة كفر الناس يأسهم من رحمة الله، ييأسون من رحمة الله فينساقون وراء المعاصي ولا يلتفتون؛ ثم بعد ذلك تغرق قلوبهم في المعصية؛ حتى يصل الأمر على قلوبٍ أقفالها، الران في البداية ثم النهاية على قلوبٍ أقفالها، كما قال قتادة أشد ما على القلوب أن تقع عليها أقفالها، يقفل خلاص، فلا تعرف معروفًا ولا تنكر منكرًا، تصبح مُجاخاة كالقوس، بل هي أشد من ذلك، المجاخاة ممكن موجودة، ولكن هذه مغلقة، ولكن هذه مقفلة، وضع عليها الأقفال.

فلذلك أن تعيش هذه الحالة من الندم مع قوة داع الشهوة التي تدفعك مرات للسقوط؛ هذا هو شأن البشر، هذا هو البشر، والناس يتفاوتون في مثل هذا التمكن من قضية دفع الشهوة مرةً بعد مرة، ومرات بعض الناس يدفعونها وعجب ربنا بالشاب أن يدفع كل شهوة تعتريه فلا يقع البتة في المعصية، (**عجب ربنا لشاب ليس له صبوة**)، وبعض الناس يقع مرةً وينجو مرةً، فإذا وقع؛ استغفر، وهذه مرتبةٌ عظيمة جليلة من الإيمان عليك أن تلازمها إن كنت من أهلها، وبعض الناس يبقى مُسرفًا على نفسه في المعاصي، ولكنه يتوب عند كل معصية، فهذه مرتبةٌ كذلك ممدوحة، وبعض الناس يغرق في المعاصي ولا يلتفت وراءه من التوبة فهذا قد يؤول مقامه إلى الكفر؛ ذلك لأن دليل المعاصي هي بريد الكفر.

فلذلك انتبه، ما وصفته لي من حالك هذه مرتبةٌ جيدة، أولاً: أنك لا تتابع المعصية عند كل حالة، تخفق مرةً عند الخلوة وتنجو مرةً في مواطن، هذه مرتبةٌ يعني ممدوحة، وفي كل مرة تتوب وتعود، هذه مرتبةٌ ممدوحة

وأعظم، وإذا صدقت توبتك يكون حالك بعد التوبة فيما تذكر من قضية رؤيتك البكاء في نفسك والندم والشدة تعود إلى حالٍ أشد مما كنت عليه قبل الذنب، ومن هنا قد يكون الذنب سبيلاً لطاعة وسبيلاً لرفعة الإيمان بسبب ما يعقبه من الندم والخوف والخشية والبكاء من الله عز وجل.

إذن أولاً: حافظ على هذه المرتبة من الإيمان ونكارة المعصية ولا تتابع المشايخ والمفتين بما ترى، ولا تتابع كل من تراه غارقًا في المعاصي غير مهتم فهذا قد أقفل قلبه، وإياك أن تصل لهذه الحالة، وهذه حالة ستصاحب، لا يوجد أحد اليوم يستطيع أن يقول للناس: والله هاجروا من بيئتكم، إلى أين يذهبون؟ إلى الصحراء! لو ذهب إلى مكة أو ذهب إلى المدينة سيرى هذه الأمور، وكما قلت، حتى لو لم ير في واقع الأمر فعنده للأسف المسهلات من التليفون والنت إلى غيره من وسائل التواصل، ما توصله إلى أعظم المعاصي، فعلى الناس أن يتقوا الله عز وجل أن يتقوا الله في هذا الأمر، هذا أمرٌ ينبغي أن تحافظ عليه.

وعليك أن تحافظ على الصلوات إياك أن تتركها وتقصر مهما بلغت من المعصية؛ لأن ترك الصلاة كفر، الرجل قبّل امرأةً، فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فلما صلى؛ قال: (**إن الحسنات يذهبن السيئات**)، قال له: (**أصليت معنا**)، قال: نعم، قال: (**غفر الله لك**)، الصلوات تكفر الذنوب تحرقها، إذا صليتها على وجهٍ من وجوه الخشوع والقوة، (**إن الحسنات يذهبن السيئات**)، حافظ على الصلوات، حافظ على قراءة القرآن، فالقرآن حصنٌ حصين، حتى لو كنت في المعصية يجلي قلبك حتى تنكشف المعصية لك بقبحها، فتعزم على عدم العودة إليها، فإن عدت وضعفت تعود مرةً أخرى وهكذا، عليك أن تحافظ على الاستغفار، عليك أن تجاهد نفسك ما استطعت، فإذا ضعفت نفسك فوقعت بالمعصية فهذا السبيل والتوبة والعودة إلى الله عز وجل.

الأمر الأخر: وهو البحث عن الزواج إذا كان حالك يسمح، (**يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ**)، هذه نصيحة النبي صلى الله عليه وسلم، لا يوجد أعظم من هذه النصيحة، أنا أعجب للشباب تنصحه بالزواج فيعرض عنه ويرى أنه لا يحتاج إليه الآن!! أنا أتعجب من هؤلاء!! هل مات إحساس الرجولة وإحساسهم البشري في إنسانيتهم بضرورة النكاح والزواج؟!! لا أدري!! هذا الكثير مما أراه اليوم، ولعل السبب هذا الأعراض هو أنه أصابهم الضعف بسبب كثرة رؤيتهم، وقد حدثني من أثق به أنه إذا أكثر المرء رؤية المعاصي

والأفلام الخسيسة الجنسية؛ ستؤدي به إلى الضعف وإلى فقدانه لرجولته، فعليك أن تحذر من هذا وأن تحاول ما استطعت أن تتزوج فإذا تزوجت كان حديث النبي صلى الله عليه وسلم فإن من رأى مثل ما رأيت (**فإذا رأى أحدُكُمْ امرَأَةً فأعْجَبَتْهُ، فَلْيَأْتِ أَهَلَهُ، فإِنَّ الَّذِي مَعَها مِثْلَ الذي مَعَها**)، هذا هو وصف النبي صلى الله عليه وسلم، وكل النساء شيءٌ واحد في الفراش، لا فرق بين امرأةٍ وامرأة، (**فإن معها الذي معها**)، هذا وصف الحبيب النبي صلى الله عليه وسلم.

فلذلك نسأل الله عز وجل أن يرحم الشباب، أنا أعرف ما هم فيه من البلاء، وأعرف كم يعانون، ولذلك أنا أفرح إذا رأيت الشاب يعتاد المساجد، وأفرح إذا رأيته ملتحيًا، حتى مع علمي أن الناس هم الناس (**كل ابن آدم خطاء**) كما يقول الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، ولكن التوبة، التائبون العابدون، انظر إلى ما فتح الله عز وجل الباب في طاعته ومقامات الأولياء، ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ﴾ [التوبة: ١١٢]، قال ابن كثير هذه جاءت بعد ماذا؟ ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ [التوبة: ١١١]، فما هي صفة هؤلاء الذين اشتراهم الله فجعلهم له دون غيره، قال: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [التوبة: ١١٢]، فأول بابٍ للدخول على رحمة الله هو التوبة.

ولذلك (**لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولأتى بقومٍ يستغفرون فيغفر الله لهم**)، فهذا هو الباب الذي عليك أن تتبعه وأسأل الله أن يحفظك يا أخي، وبارك الله فيك، ويكفي هذا، وإن كان هذا الباب يحتاج إلى دوام متابعةٍ، وأنصحك أيها الأخ الحبيب في ختام الأمر، هو أن تبحث عن الرفقة الصالحة، يعني عندما تكون في محل يمكن هذا يكون أقل معصية من هذا فلا تذهب إلى الأكثر معصية، أذهب إلى الأقل معصية، وحافظ على نفسك بالرفقة الصالحة، إخوة يعينوك على قراءة القرآن على حفظ كتاب الله على حفظ السنة على تعلم الفقه، ويسعدنا أن تقول: أنك تتابع ما يُنشر من المواعظ فهذه تعينك على طاعة الله، يسعدني أن أسمع أنك تقرأ للعلماء الذين يدعون للفضيلة كما الاستاذ مصطفى صادق الرافعي رحمة الله عليه، وهذا يعني أنك تعرض عن من يدعو إلى الرزيلة، فهؤلاء يدعون إلى الفضيلة، فأن تقرأ لهم وأن تسمع لهم، أسأل الله أن يوفقك وأن يحفظك وجزاك الله خيرًا، وكما قيل: «ذكرتني الطعن وكنت ناسيًا»، والحمد لله رب العالمين.

١٩٤- مرجئة الفقهاء

ضمن الجلسة السابعة عشر، بتاريخ: (١٤٣٩/٠٢/٢٤هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/١١/١٣ م)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

سؤال للشيخ يقول: مرجئة الفقهاء يكفرون الساجد للصنم بالاعتقاد خلاف أهل السنة الذين يكفرون بالفعل دون الاعتقاد، لكن السؤال كيف يمكن الجمع بين هذا القول والقاعدة التي تقول: بتلازم الكفر الظاهر والباطن، أي إذا كفر الظاهر كفر الباطن؟ نريد شيئًا من التفصيل.

جواب الشيخ: يعني هذا الموضوع شرحناه كثيرًا، لا بأس، لا يكفر المرء ظاهرًا إلا وقد كفر باطنه، لا يوجد، مع اتفاقهم بأن هذا الفعل كفر في الظاهر وأن هذا القول كفر بالظاهر، ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ﴾ [التوبة: ٧٤]، فالكفر كلمة، لكن ما هو الذي يكفر باطنًا إذا كفر ظاهره؟ هنا يأتي الخلاف بين الناس:

أولاً: الذي نعتقده لا يمكن –وهذا قول أهل السنة– لا يمكن أن يكفر المرء ظاهرًا بدون إكراه، لا يمكن أن يكفر تأويلاً، لا يمكن أن يكفر المرء ظاهرًا وقد كفر باطنه، ما هو الباطن؟ لو أن رجلاً قاتل مع الكفار ضد المسلمين فهذا كفر ظاهرًا، فأين كفر الباطن؟ بلا شك ليس الاعتقاد، المرجئة الفقهاء يقولون: لا، هذا رجلٌ لا يمكن أن يقع منه هذا الفعل الظاهر إلا وهو يعتقد بأن دين الكفار خيرٌ من دين المسلمين، نقول: لا، هذا غير صحيح، هذا الباطن ليس هو الذي أنشأ الفعل المكفر ظاهرًا، ليس هو، إنما الذي أنشأ هذا الفعل قد يكون الاعتقاد كما ذكرتم وهذا بعيد وأغلب الناس لم يقع منهم هذا وإنما وقع هذا الفعل الظاهر بسبب حب الدنيا، بسبب طلب المال إرادة المال، أهو يحب الله والدار الآخرة؟ يحب نصرة المسلمين؟ أم أنه يحب الدنيا أكثر من ذلك؟

إبليس لما رد أمر الله عز وجل رده كِبرًا، ﴿أَبَى وَاسْتَكْبَرَ﴾ [البقرة: ٣٤]، الكِبر ولا يتعلق الأمر بالاعتقاد، بمعنى أن هذا الأمر ليس من الله عز وجل، لم يتعلق الأمر باعتقاد، إنما يتعلق هو الحسد، والحسد دفعه لأن يقول قولاً ينفي فيه حكم الله ويفضل حكمه هو على حكم الله عز وجل بأن قال: أنا خيرٌ منه، إذن رد على الله عز وجل أمره.

فلكي لا نطيل في هذا مع أن المسألة بحثت كثيرًا في كلامي وفي كلام أهل العلم، ولكن أن أقف على مقدار السؤال لضيق الوقت، فإذن نحن نقول: لم يكفر هذا الذي كفر ظاهرًا لاعتقادٍ في قلبه، المرجئة يقولون: لا، سبب قتاله مع الكفار ضد المسلمين لا يكون إلا بسبب اعتقاده بأن دين الكفار خيرٌ من دين المسلمين، نقول: هذا الاعتقاد لا وجود له، بل قد يكون معتقدًا أن محمد صل الله عليه وسلم صادق وأن دين المسلمين خير من دين الكفار ومع ذلك دفعه لذلك طلب الدنيا، فبعد أن قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٦)﴾ [النحل: ١٠٦]، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾ [النحل: ١٠٧]، فانظر للعلة، العلة لا علاقة لها بالاعتقاد، علاقتها بحب الدنيا، بصراع إرادتين؛ بين أن أرضي الله عز وجل وبين أن أرضي شهوتي العاجلة، فأرضى شهوته العاجلة فكفر، كلانا قد اتفق على وجود علاقة الظاهر بالباطن لكن اختلفوا في قضية تفسير الباطل.

رجلٌ سجد لصنم -هذا المثال كثيرًا يذكرونه؛ للتمثيل- فما هو سبب سجوده للصنم؟ قال مرجئة الفقهاء: لا يمكن أن يسجد للصنم إلا وهو يعتقد بأن الصنم إله، نقول: لا، قد يكون سجد للصنم من أجل طلب الدنيا، وافقهم على دينهم مع علمه أنه صنم لا ينفع ولا يضر، لكنه أراد الدنيا؛ فنقول: كفر، وافقهم في دينهم طلبوا منه أن يسجد للصنم تعبيرًا لدخوله في دينهم وهو يعتقد كفره، أي يعتقد كفرهم في سجودهم للصنم فتابعهم؛ فيكون كافرًا، لماذا؟ طلبًا للدنيا، وليس لما قالوه: بأنه لم يفعل ذلك إلا وهو يعتقد بأن الصنم نافعٌ ضار، أو يعتقد فيه ما اعتقده النصارى.

كذلك عندما يلبس الزنار، قالوا: نكفره دلالة على اعتقاده بأن دين النصارى خير وأن هذا اللباس يعبر عن انتمائه لدينٍ خير، نقول: لا، قد يكون لبسه من أجل الدنيا، انتبه هذا هو الفرق بيننا وبينهم.

فلذلك العبرة بما هو الباطن الذي يفسر به -بيننا وبين المرجئة هنا- إن لم يقع الإكراه فما هو الباطن الذي نفسر به، لما جعلوا الإيمان فقط هو التصديق؛ جعلوا الكفر هو ما عارضه وهو ضد التصديق فقط.

نحن نقول: لا، الإيمان قولٌ وعمل، فكفر الظاهر العملي وكفر الظاهر القولي يعود إلى كفرٍ باطنٍ إما قولي وإما عملي، قول القلب وعمله، لكن ما هو القول والعمل؟ ليس الاعتقاد فقط فقد الاعتقاد وغيره، فقد يقع

الاعتقاد وقد يتخلف الاعتقاد هذا واحد.

الشيء الثاني: إن خلا الأمر عن معنى الدنيا واحد يسأل ما في دنيا، لا يوجد ما هو بيّن أنه سجد للقبر أو استغاث بغير الله على معنى الطلب منه، أهل السنة يكفرونه ويقولون: لا يُشترط الاعتقاد، بمعنى عند الحكم عليه لا يسأل ما هو معتقدك فيه، الآخرون يقولون: لا، لا نكفره إلا إذا اعتقد في هذا المسجود له نوع ربوبيةٍ فيه، أي أن فيه خصوصية الربوبية، نقول: لا يمكن وقوع هذه الاستغاثة وهذه التعبد إلا بهذا الاعتقاد، وهذه للأسف اتُّهم أهل السنة من قبل المبتدعة أنهم لا يشترطون بمعنى أنهم لا يعولون عليه، نقول: لا، نعول عليه، ولكن لا نجعله شرطًا للحكم عليه، لا نجعل هذا الإقرار الباطني أن نستنفذه منه والإقرار عليه.

ولو قال قائل: أنت تستغيث بعبد القادر هل يسمعك؟ فإذا قال: لا، إذن لماذا تسأله؟! إذن أنت تعبث!! وهذا لا يتصور، هو اعتقد أن عبد القادر يسمعه، هو يقول: الله وضع فيه هذا السمع المطلق الذي إذا ناداه الرجل في الشرق أو في الغرب أجابه، نقول: هذا كفرٌ زائد؛ لأنك كذبت بأن اتهمت الله عز وجل بأنه قد جعل ربوبيته سارية في بعض خلقه.

المشكلة: الناس في هذا الباب يقعون في أخطاء، يعني عندما يقول الروافض مثلاً: نحن لا نعتقد أن عليًا حيث هو عليّ يملك ذاتًا فيها ربوبية، ولكن نقول: إن الله وضع فيه هذه الخاصية، نقول: هذا القول كفرٌ زائد عن الكفر الذي قاله خصومكم، أي باعتقاد الربوبية في أصل خلقته أن فيه الربوبية؛ لأنكم أذنتم أن الله يجعل معبودًا غيره في الأرض أو أن صفات الله قد حلت في صفات المخلوقين، حين تقول: بأن الله وضع في عليّ هذه الصفات؛ أي أنك أجزت أن الله وضع صفات الربوبية في هذا المخلوق، قال تعالى: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ (٤٥)﴾ [الزخرف: ٤٥].

أصلاً ما هي الشفاعة؟ الشفاعة هي اعتقاد قدرة هذا الْمُشفع على فعلٍ ما، من الذي أعطاه إياه؟ زعموا أن الله أعطاها لأصنامهم، وزعموا أن الله أعطاها لقسيسيهم، لرهبانهم، فهم كفروا بوجود هذه الربوبية في هذه المخلوقات وزادوا كفرًا زائدًا حيث كذبوا على الله عز وجل أنه جعل الربوبية في بعض خلقه، ثم كذبوا كذبًا زائدًا أن أجازوا أن تستغاث هذه الربوبية من أجل أن تقضي الحاجات، أي أن تمارس الألوهية، التعبد.

إذن نحن نقول: بأنه لا يتصور لرجل إلا إذا كان مجنونًا خاليًا عن التكليف بأنه إذا سأل الغائب الذي ليس

حاضرًا، فيسأله سؤال الحاضر ثم يقول: ومع ذلك أنا لا أعتقد أنه يسمعني فأنا أسأل، لماذا تسأل؟ لماذا تفعل هذا؟ إذن أنت تعبث، وهذا لا يمكن تصوره!! هم يعتقدون أن الله قد أحل فيه معاني الربوبية من السمع المطلق والبصر المطلق والنفع لكل أحد، هذا الذي نقوله باختصار.

وأسأل الله عز وجل أن أكون قد أجبت السائل ما يكفي في هذا الباب، وإن كانت المسألة أوسع من هذا في أبواب متفرقة ومختلفة.

والحمد لله رب العالمين.

١٩٥- كلمة في الشيخ سعيد الكُملي

ضمن الجلسة السابعة عشر، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٢/٢٤هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/١١/١٣ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يقول السائل حفظه الله: شيخنا هل لديك متابعة ومعرفة بالشيخ المغربي سعيد الكُملي، وماذا تقولون فيه؟ فالشيخ ذاع صيته في أرض المغرب وبارك الله له في دعوته القائمة على إعادة الاعتناء بالتراث المالكي.

جواب الشيخ: في الحقيقة أنا لم أسمع له الكثير وسمعت له بعض قوله، والسبب هو ضيق الوقت وعدم وجود الكتب، يعني سماع الناس يحتاج إلى وقت وفي الكتب سرعة أنت تمشي وتقطع في الكتب ما لا يمكن أن تقطعه خلال السماع، السماع هو يضبطك، والقراءة أنت تضبطها أقصد في الوقت، الرجل المعروف عنه شدة الحفظ وقوة الذاكرة حفظه الله، والمعروف عنه كذلك اعتناءه بكتب المالكية كما قال السامع، وانه يشرحها، والذي رأيته فيه وهذا كان في السجن هنا في الأردن، كانوا يسمحوا لنا بقناتي القناة الأردنية وقناة كانت تسمى «البديل»، أظنها ذهبت، انتهت هذه القناة، فكانوا يبثون لنا بعض المحاضرات منها محاضرات سعيد الكُملي -أظن هذا إن لم تخني الذاكرة- وكان هناك قناة تسمى القناة السادسة تبث كرسي الإمام مالك في شرح الموطأ وهو للشيخ سعيد، ومع غيره.

القصد: سمعت له، فهو من أهل الفقه ولا شك ومن أهل الاعتناء بالتراث المالكي كما سميته أو الفقه المالكي وهو في هذا خيرٌ عظيم له بعض الهنات في موضوع العقائد، يعني فهو يجري على مجرى الفقهاء المالكية المتأخرين في موضوع التأويل، له ميل لهذا، والكل يؤخذ من قوله ويرد، ولكنه ولا شك أنه فقيه، ذاع سيطه، الناس ينتفعون به، وهو متفرغ لهذا العلم العظيم، نسأل الله عز وجل أن يرفع شأنه وأن يبارك فيه وأن يكرمه في الدارين -وهو شاب ولا شك أن المساحة وأن الزمن إن لم يكن يصبغ لا أدري بالأعمار لكن أراه شابًا لا شيب فيه- أسأل الله أن يطيل عمره في طاعته.

فهذا قولي يعني لا أملك إلا أن أقول عنه أنه فقيهٌ مالكي ينتفع الناس به وله اعتناءٌ بهذا الباب، وله قوة

حافظة جيدة، ويقوم على ما فيه من حق العلم إن شاء الله عز وجل، بقيت بعض الهِنات في موضوع ما يتعلق بموضوع الأسماء والصفات والقدر وغيرها فيما يقوله الأشاعرة وخاصةً المالكية في وقت من الأوقات، قد صاروا أشاعرة ولا شك تأثرٌ من المشرق، الأصل أن المالكية ليس فيهم الأشعرية، ولكن لما جاء مشايخهم وكبارهم وعلماؤهم إلى المشرق فأخذوا هذا وخاصةً أبو الوليد الباجي وغيره، أخذوا الأشعرية من المشرق ونقلوها إلى المالكية فدخل فيهم؛ فصار أغلب المالكية أشاعرة، وهو عليهم في هذا الباب، نسأل الله أن يرحمنا وإياه، وهذا ليس مما يعني يقدح في الرجل ولكنه مما يقال، ينبغي أن نقوله، ولا ينبغي أن يسقطه هذا، هذا لا يسقط أحدًا، وإلا لأسقط علماءً أكثر منه خبرةً في هذا الدين.

وأنا أعتذر، لولا أن الإخوة يسألون، أنا لا أجيب عن المشايخ، ولكن هذا شأنهم، اسمعوا لهؤلاء العلماء، تعلموا منهم، اجلسوا أمامهم واثنوا الرُّكب عندهم، وتعلموا منهم الفقه والحديث وو... إلخ، والرجل أقوى في الفقه منه في الحديث، عنايته بالأحاديث أقل من عنايته بالفقه، وليس هذا مما يسقطه ولا يعيبه، والحمد لله رب العالمين.

١٩٦- ما هو قولكم في البوطي؟

ضمن الجلسة السابعة عشر، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٢/٢٤هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/١١/١٣ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

ما هو قولكم في البوطي؟ وهل يجوز في حال كان الرجل كافرًا أو مرتدًا أن نقول فلانٌ كافر؟ أم أن هذا هو فقط من حق العلماء ولا يجوز لأحدٍ غيرهم القول بكفره؟ وأنه علينا أن ننأى بأنفسنا عن تكفير حتى الكافر البيّن كفره أم أنه علينا أن نكفره؟

جواب الشيخ: بعض الأسئلة تبدأ بالحديث عن قضية تتعلق بشخص، ثم يتفرع عنها إلى تأصيل القواعد التي يُبنى عليها هذا الحكم النهائي، هذا السؤال أجبت عنه في هذه المواطن، ويستطيع الأخ أن يراجع بعض الأسئلة هل التكفير يجوز أن يقوم به كل أحد أم أنه خاصٌ بأهل العلم، وبينت أن هناك من التكفير الذي هو من أركان الدين وهو أن تكفر بالطاغوت وأن تكفّر من نصّ الشارع على كفره، ومن أجمعوا على كفره، هذا يجب على العامي وغير العامي، يعني تكفير أبي لهب وتكفير أبي جهل والاعتقاد بنفاق عبد الله بن أبيّ، فهذه أمورٌ مجمعٌ عليها ومتفقٌ عليها، ومنصوصٌ عليها في الكتاب والسنة واجماع الصحابة رضي الله عنهم، فمثل هذا لا يقال: بأنه لا يجوز لأحد أن يكفر، تكفير النصارى عمومًا وخصوصًا إذا علمت أنه نصراني.

يعني لو أنك سُئلت هذا رجلٌ نصراني وكان حقًا كما وُصف بأنه نصراني هل هذا كافر؟ فيجب عليك أن تُكفره، وتُكفّر اليهودي والنصارى بالعموم، لو سُئلت ما هو حكم النصارى أهم كفار أم مسلمون؟ فيجب عليك أن تقول: هم كفار، واليهود، وكل من لم يتابع النبي صلى الله عليه وسلم، وكل من لم يتبع الإسلام الخاص، لأن الإسلام العام هو إسلام الأنبياء عليهم السلام، لأن جميع الانبياء على الإسلام ولكن الإسلام الخاص المقصود به الذي جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فكل من أدرك نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولم يدخل في دينه، أو سمع بدينه وعلمه ثم لم يتبعه فهو كافر ويجب عليك أن تُكفره، هذا من المجمع عليه، ولا يجوز لأحد أن يقول: العلماء فقط هم من يفعلون هذا، هذا الذي يقوله الجهّال، الجهال اليوم يقولونها فهذه بدع حادثة لا تلتفتوا إليها، الناس اليوم يتمحلون أقوالاً من الضلال بل ربما تخرجهم من الملة وهم يزعمون الاجتهاد، فإذن هذا الأمر مجمعٌ عليه ويفعله العامي والعالم.

ولكن هناك من المسائل الخفية التي يختلف فيها الناس وربما يختلف فيها بعد ذلك في الشخص، أولاً: في ثبوت التهمة عليه، يعني الآن عندنا خلاف مع أن الأغلب على تكفيره من هو؟ ابن عربي صاحب «فصوص الحكم» و«الفتوحات المكية»، هذا الرجل أغلب أهل العلم على تكفيره، وكبار العلماء على تكفيره، وهناك من لا يكفره، هناك من العلماء من لا يكفره وهناك بعض المتأخرين كالألوسي صاحب التفسير الشهير لا يكفره ويسميه الشيخ الأكبر، كما يسميه غيره.

فالآن ما هي المشكلة في التكفير وعدم التكفير؟ المشكلة هي ثبوت التهمة، إذا ثبت أن الرجل يقول: بوحدة الوجود ولا فرق بين الخالق والمخلوق؛ فوجب تكفيره، هذه هي التهمة ثبتت عند كثير من أهل العلم، وكان ابن تيميه رحمه الله يحسن الظن فيه، في بداية الأمر، حتى رآه يقول بوحدة الوجود صراحةً، آخر يقول: لا، لا يقول بوحدة الوجود وألفاظه في هذا نستطيع أن نأولها على وجهٍ من وجوه الشريعة كوحدة الشهود مثلاً، فإذن اختلف الناس في ثبوت التهمة، وهكذا، وهذا أمرٌ واسعٌ جدًا.

ثانيًا: اختلاف الناس في هذه اللفظة ودلالتها، قد تكون اللفظة التي قالها عند عالمٍ بيّنة وواضحة، والآخر لا يراها بيّنة وواضحة، فالذي رآها بيّنة وفي دلالتها على الكفر؛ كفره، والذي رأى أن هذه الكلمة محتملة تحمل وجه الصواب والخطأ؛ فهذا لا يكفره، هذا خلافٌ محتمل يرجع فيه إلى العلماء في هذا الباب، وهذا يكفي أنا شرحت هذا كثيرًا وبيّنته.

إذن الحكم بالكفر هو لا يخرج عن مسلمٍ قط، لا يجوز لمسلم أن يقول: الحكم على معين بالكفر، هذا يمكن أن يخلوا منه مسلم، هذا لا يجوز، فتكفير الملحدين ضرورة من ضروريات الدين، فكل مسلمٍ يجيب عليه أن يعتقد أنه من قال: أن عيسى هو ابن الله؛ أنه كافر، يجب عليك أن تعتقد هذا، وإذا رأيت رجلاً على الخصوص يقول هذا القول يجب عليك أن تكفره لا فرق بين عالمٍ وعامي.

فإذن التكفير حُكمٌ يدخل فيه كل المسلمين، يجب على المسلمين أن يعتقدوا كفر أشخاصٍ وجماعاتٍ وطوائف، بغض النظر عن مرتبتهم العلمية، لكن هناك ما يتفاوت الناس فيه كما ذكرنا من الأمثلة، وهذا شيءٌ يتسع، فبعض أهل العلم يتوسع في باب التكفير على طريقة اللزوم، من سمى المصحف مصيحف هذا عندهم يكفرونه، ومن قال من الحنفية لو أن الرجل عبد الله ألف سنة ثم أهدى في النيروز بيضةً لمجوسي؛ كفر، هذا قول

الأحناف منصوص عليه في كتبهم، وهكذا فبعض الناس يتوسعون وبعض الناس يضيقون.

ولذلك قديمًا مما يذكر أنه إذا حُمل الرجل مثلاً إلى فقيهٍ مالكي يئسوا منه، لماذا؟ لتشددهم في هذا الباب، لكنه إذا حُمل إلى فقيهٍ شافعي يعني رجوا له النجاة، خاصةً في المسائل الْمُشكلة أو في قضية قبول توبة الزنديق، المالكي لا يقبل توبة الزنديق، الشافعي يقبلها، وليس هذا باب بيان ما الفرق، ولماذا هؤلاء يقبلون وهؤلاء لا يقبلون؟ ليس هذا وقته وشرحناه في مواطن أخرى.

الآن الخلاف في هذا الرجل البوطي، لو أننا أخذنا بظاهره وأخذنا بما يقول، يأتي أحدهم ويقول هو كما يشرح نفسه، هو يشرح نفسه، لو أنني سمعته يقول كلمةً واحدة أن النصيرية مسلمون؛ فقد كفر، لكن يأتي أحدهم ويقول: كان يحاول جاهدًا -هذا البوطي- أن يدخل النصيرية في الإسلام، ولذلك هو أول من أذن بدخول النصيريين إلى داخل كلية الشريعة، هو للأسف كانت نيته أن يسلمهم وأن يصبحون مسلمين فللأسف دخلوا فصاروا زنادقة وكثير من المشايخ الذين دخلوا كلية الشريعة فخرجوا منها من النصيريين؛ صاروا كفارًا باسم الشريعة ولبس العمائم.

فمرةً أحدهم اتصل وقال: الحق هناك رجلٌ من الشام -هذا الكلام قديم له أكثر من «٢٥» سنه- فهذا رجلٌ خريج كلية الشريعة وهو نصيري وهو يعلم الشريعة ولكنه نصيري ولا ما زال يبث سمومه من النصيرية والكفر للطلاب، يعني كانت النتيجة للأسف عكسية وليس كما أراد، فإذا قال رجل: هذا مراده في هذا الباب، ولكنه لو قال أن النصيرية مسلمون؛ فهذا يكفر، لأنه لا يشك مسلم صغير أو كبير إذا علم دين النصرانية على ما هو عليه؛ أن يعده من المسلمين، لا يمكن، ولذلك من لم يكفر اليهود والنصارى فهو كافر، كذلك من لم يكفر النصيرية بعد علمه بدينهم فهو كافر؛ لأنه رد حكم الله في هذا الباب، وحكم الله عز وجل أن تكفر من يقول هذا القول، فمن لم يتابع الشريعة في تكفير من كفرته الشريعة فهو رادٌ حكم الشريعة.

الرجل مثلاً -أنا أتكلم عن الفريقين- الرجل قال: هو لا يرى والكثير من المشايخ ربما يرون كفر الحاكم أو يرون زندقته ولكن لا يرون الخروج عليه لما يرون من المفاسد عند القيام عليه، هذا قولٌ فقهي لا علاقة له بالاعتقاد، لا يجوز لأحد يرى الخروج عليه أن يكفر من لا يرى الخروج عليه لسبب النظر إلى المصلحة، واحد يرى أن الحاكم لم يكفر لسبب من الأسباب أنه مسلم، يعني لما يذكر عن البوطي أنه كان يقول: بأن حافظ

الأسد يحب الإسلام أكثر من صلاح الدين أو ما شابه ذلك من الألفاظ هذا هو علمه به، المختار ابن أبي عبيدة الثقفي كان عبد الله بن عمر يحسن الظن فيه ومع ذلك ادعى النبوة هذا المجرم وهو أحد كذابي ثقيف، بل هو كذاب ثقيف.

فالقصد من هذا: الناس بعضهم يرى له التأويل وبعضهم لا يرى له التأويل، أنا لا أعيب على أحد الفريقين بالنسبة لي لا أريد أن أخبر ما اعتقادي فيه، ولكن لا أعيب على أحد الفريقين في قضية تكفيره، لكن الناس مجمعون على انحرافه في سلوكه عندما وقف مع الطاغية ضد شعبه، الناس تقريبًا على شبه إجماع في هذا الباب، ولأنه حتى لو كانت له هذه التأويلات فالمعركة قد وقعت وما نهيت عنه قد وقع؛ فلا بد أن تنحاز إلى أهل الحق.

ومثال ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم شاور الصحابة في الخروج إلى أحد فبعد ذلك استقر الأمر بالخروج وبعض الصحابة لم يكن يرى الخروج والنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يرى الخروج، لكنه بعد الخروج لا يجوز لأحد أن يقول: لا، أنا سأبقى مع طائفة القعود، أنت تقول: أنا لا أجيز لكم الخروج على هذا الحاكم الذي اتفق معكم على كفره فخرجوا، فلا يجوز أن تقول: لا، أنتم خالفتموني لذا أنا سأقف مع الطاغية، فهذا بيّنٌ في انحرافه في هذا الباب، كان ينبغي أن يقف مع أمته في قيامهم على رجلٍ أقل ما يقال: أنه طاغية، أما قضية تكفيره أنه نصيري أو غير نصيري للأسف هم يحكمون بعلمهم، والناس يحكمون بعلمهم، هو إن لم يكن نصيريًا فهو بعثي، مع أن الكثيرين وهو الأصوب أن البعثية هي مجرد حمار امتطاه النصيريون للوصول إلى حكم سوريا.

فلنترك الأمر فيه الخيار للناس في هذا الباب، ولكن الأقوى بأن الرجل قد ضل ضلالاً كبيرًا ومات على هذا الضلال وخاتمته أنه كان يقول هذا القول، يعني لم يكن هناك أيام بين موته وبين قوله، بل موته كان في هذه اللحظة التي كان يقول فيها هذه الأقوال فختم عليها، وللأسف المرء يموت على ما عاش عليه، إذا كنت مدافعًا عن الطاغوت على معنى من المعاني سواء كانت المكفرة أو من المعاني المؤولة له أو ما شابه ذلك فسوف تموت على هذا، وإذا كنت على القيام مع طائفة الحق سواءً باللفظ أو بالموقف أو بالسلاح فسوف تموت على هذا.

نسأل الله أن يميتنا على الحق وعلى الإيمان وعلى الجهاد وبارك الله فيكم والحمدلله رب العالمين.

١٩٧- أحكام النية

ضمن الجلسة السابعة عشر، بتاريخ: (**٢٤/٠٢/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٣/١١/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل النية على الشكل التالي:

نويت فعل كذا وكذا، هل تشترط لكل عملٍ سواء جهرًا أو سرًا؟ وهل أمر النبي صل الله عليه وسلم بالنية لقبول العمل؟ أم أن الأدلة الواردة فيها تدل فقط على الإخلاص في العمل لله تعالى وابتغاء وجهه وأن إقبال الشخص على الفعل والإقدام عليه هو نية بحد ذاته؟

جواب الشيخ: لم يقل أحد بأن النية لتكون معتبره شرعاً يجب أن يظهرها بلسانه، وإن قالها بعض الفقهاء المتأخرون، لكن هذه القضية تتعلق بوصف العمل القدري ووصف العمل الشرعي، الشارع لم يأتي ومما لا شك فيه لم يردّ عن الشارع قط ولا عن الصحابة رضي الله عنهم أنهم أمروا بهذا النوع من النية أو هذا النوع من اللفظ أو اشترطوا اللفظ من أجل تحقيق استقرار النية أو توجهها، لم يقل أحد من الصحابة رضي الله عنهم هذا، علاوة على أنه لم يرد لا في الكتاب ولا في السنة على هذا، أنني نوية أن أفعل كذا وكذا، فمن وصف الأمر القدري ما هي النية؟ هي القصد، فحيث توجه المرء إلى فعل شيءٍ من الأشياء فقد نوى وهذا هو المطلوب.

عندما يشترط العلماء النية، يشترطون لو أن رجلاً ذهب فسبح في البحر، فقط قام فسبح، فحين يخرج يقال له: أنت كنت على جنابة هلا اغتسلت، يقول: خلاص أنا سبحت، نقول: لا، لا بد أن تشترط أنك حين ذهبت إلى البحر أن تسقط الجنابة، من هنا جاء شرط النية، يعني لا يجوز لرجلٍ قام بالعمل على وجهٍ ما أن يدخله في وجهٍ آخر من وجوه الواجب الشرعي، أن الشارع قد أوجب عليك أن تفعل هذا الفعل على الوجه الشرعي وهو أن تذهب إليه بقصد القيام بالطاعة.

رجلٌ لو أنه قام من الطعام فغسل يديه وغسل وجهه وهكذا وأنهى أركان الوضوء وشرائطه، ولم يأت على أنه النية، ثم قام يصلي، فيقول: أنا صحيح ما نويت الوضوء، ولكن قمت بأفعال الوضوء، نقول له: لا، هذا الوضوء غير صحيح، يجب عليك أن تذهب إلى الفعل هذا بنية القيام بالوضوء، فهذا إذن قصد فعل الطاعة،

القصد في القلب.

هذا اللسان ربما يخطئ، نجد أن الكثير من الناس يقومون فيريدون أن يأتوا إلى المسجد من أجل صلاة العصر أو من أجل صلاة المغرب، ولو سئلوا أين أنتم ذاهبون؟ لقالوا وردّوا: نحن نريد أن نصلي المغرب، لو سئلوا لعلموا، فلما يقف يقول: نويت أن أصلي ركعات العشاء، وهو واقف للمغرب هذا اللفظ ما قيمته؟ ما دلالته على ما في قلبه؟ لا شيء.

ربما يقول المرء كلامًا في لسانه غافلاً عن معناه، كثيراً ما يقول الناس كلمات وتخرج منهم وهذا نجده في كلامنا وكلام الناس يتكلمون فيخطئون في كلامهم، وهم أرادوا شيئًا آخر في نواياهم، ما المعتبر؟ المعتبر ما هو في القلب لا قيمة لما يجري على اللسان، لأن اللسان يُخطئ في هذا، والقصد والحكم الشرعي معلقٌ على قصد القلب، يعني لو أن رجلاً قام إلى الصلاة -وهذا ذكره العلماء، ذكره الائمة الشافعية وينصون عليه بصراحة- لو أن رجلاً قام فقال: نويت أن أصلي أربع ركعات المغرب فريضة لله تعالى، ووضع وراء هذا الإمام بعض المساكين يزيدون من هذه الألفاظ ما شاءوا من قبيل الوسواس، فما المعتبر؟ هل هذه النية باطلة أقصد هل هذا اللفظ هو باطل؟

الجواب: لا قيمة له، القصد: أنه يعرف ما في قلبه، فلو سُئل لعلم أن المغرب وقال وأجاب: بأن المغرب هو ثلاث ركعات وليس أربعة.

فإذن ما هو المعتبر؟ المعتبر قصد القلب وعلمه لا ما يجري على اللسان؛ لأن الذي يجري على اللسان قد يجري من غير تفكّر، الناس يمشون ويتكلمون، وقد يسبح المرء وربما يفكر بشيء آخر وهو يسبح فيجري على لسانه ما لا يجري على قلبه من التفكّر، وعلى قلبه من الحضور والقصد فيقع هذا.

فالقصد: لا قيمة لما يقال من الألفاظ، والشارع لم يطلبها، لم يطلبها النبي صلى الله عليه وسلم، إنما قلنا ما هو المطلوب، هو قصد الفعل أن يحصل في قلبك أنك تريد هذا الفعل لأن الله أمرك به، لأنه على هذا المعنى الذي طلبه الله عز وجل منك، أن تتوضأ، أن تغتسل، أن تصلي، أن تتصدق، أن تصوم، إلى غير ذلك.

ومن هنا فمثلاً: لو قام رجل وأراد الصيام فمجرد نيته خلاص يكفي لا ضرورة لأن يقول نويت أن أصوم

هذا اليوم، ولمجرد أنه قام فتسحر، هذا السحور دلالة على قصده أنه يريد الصيام، وهكذا أنا أتكلم عن الصيام الذي تجب فيه النية، والصواب أن الصيام الذي تجب فيه النية هو صيام الفريضة.

أما هذه الكلمات التي يخرجها الناس فلا قيمة لها، بل هي في الحقيقة من البدع المحدثة، ولو رأينا أولاً عدم ورود الشارع فيها، (**فكل بدعةٍ ضلالة**)، وهذا من أمر التعبد لم يرد، وهذا وصفٌ قدري كما فصلت لا قيمة له ولا أهمية له.

إذن المطلوب هو الابتعاد عن هذا؛ لأنه يفسد ويضر صاحبه ولا قيمة له، وهذا من أسباب الوسواس القهري الذي يغلب على بعض الناس يقف فيريد أن يتوضأ يريد يصلي، هذا قليل في الناس، ولكن للأسف يحدث، وكان يحدث على بعضهم إذا وقف للصلاة يحتاج إلى دقيقة أو أكثر من أجل أن يجمع اللفظ الصحيح على ما يريد، وهذا غير مطلوب، هو توضأ قبل قليل ودخل المسجد وسمع الأذان ووقف وراء الإمام؛ فكل هذا يدل على قصد قلبه، فإذن أحدثت بدعًا في النفس وأحدثت انحرافًا.

ثانيًا: أنت تجد الناس يرفعون أصواتهم، «نويت أن أصلي»، كانوا قديمًا، كان كبار السن المساكين يفعلونه ويشوش بعضهم على بعض في هذا، فهو مفاسد تدل عليه.

والقصد: أن هذا الأمر وإن قاله بعض الفقهاء للأسف في قضية إظهار النية والصراحة بها، إلا أنه لم يرد به الشارع ولا يدل على حقيقة الأمر القدري من المطلوب في وصف النية والقصد.

ماهي النية والقصد؟ ما هما هذان الأمران؟ لا بد من النظر إليهما قدرًا، والشارع في هذا الباب يوافق القدر ولا يخالفه لعدم ورود ما يدل على ذلك، ولذلك المطلوب هو هذا.

لا أدري إن كان في السؤال شيءٌ آخر دعوني أراجع قبل أن أذهب إلى غيره.

هل أمر النبي بالنية لقبول العمل؟

الجواب: نعم، لكن وصفنا ما هي النية، (**إنما الأعمال بالنيات**)، هذا الشارع أمر به فهذا نعم ولكن بيّناه.

وهل تشترط لكل عملٍ سواء جهرًا أو سرًا؟

الجواب: النية التي وصفناها بالوصف الشرعي والوصف القدري.

أم أن الأدلة الواردة فيها فقط تدل على الإخلاص في العمل وابتغاء وجهه تعالى؟

الجواب: لا، النية ليست هذه، النية: هي نية العمل؛ لأن النية:

أولاً: تبيّن قصد العمل، ما الذي تريده أنت في هذا الفعل، هل تريد فقط أن تذهب لتسبح؟ أم تريد أن تذهب في الماء من أجل أن تغتسل؟ فالنية بينت الفرق بينهما.

ثانيًا: النية تبين مراتب العمل، يعني هل هذا العمل فرض أم سنة، رجلٌ قام يصلي ركعتين سنة فهذا بيّن، فلو أراد مثلاً، لأن هذا يترتب عليه أحكام، تترتب عليه أحكام في هذه النية، فتبين مراتب هذا العمل، هل تريد في هذا العمل على وجه الوجوب، أنك تسقط به واجبًا عنك؟ كمن صام، رجلٌ صام من أجل أن يصيب سنة الصيام، أو رجلٌ صام من أجل إسقاط نذرٍ عليه، أو رجلٌ صام من أجل أن يسقط كفارةً عنه، كفارة يمين.

فإذن النية في هذا الباب غير قصد الإخلاص، الإخلاص أن تفعل هذا العمل لله عزّ وجل، وأما النية التي ذكرناها هي بيان ما الذي تريده من هذا العمل هل هو تعبدي؟ أم أمرٌ ذاتي؟ هل هذا العمل فعلته من أجل شيءٍ خاص بك على جهة الجواز؟ أم فعلته لأنك تريد أن تقوم به عملاً تعبدياً ما، كما ذكرنا في الأمثال؟ ثم ثانيًا: من أجل أن تبيّن لك مراتب العمل، فهذا غير الإخلاص.

ويقول: إن إقبال الشخص على الفعل وإقدامه عليه هو نية بحد ذاته.

هذا الذي شرحناه والحمد لله رب العالمين.

١٩٨- من أحكام الوقف

ضمن الجلسة السابعة عشر، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٢/٢٤هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/١١/١٣ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: يوجد لدينا سيارة وقف في أرض الجهاد، فهل يجوز أن أبدلها بسيارة أفضل منها وأدفع الفرق مني أفيدوني؟

جواب الشيخ: هذه المسألة تكلمت عنها كثيرًا لما قاله الفقهاء، الفقهاء قديمًا ولم يعرف الناس قيمة قولهم القديم حتى رأوا التصرف في الأقوال الجديدة.

أذكرها انتفاعًا للناس فوق هذا السؤال؛ لأن الناس يقع معهم الكثير من هذا، وهو مال الوقف، العلماء عندهم قاعدة تقول: الموقوف كالمشروط والموقوف كالمشروع بمعنى أن شرط الواقف يجب أن يُعمل كما يعمل وضع الشارع وكما يعمل وضع الشارط، يجب أن ينفذ وأن يتقيد به، ومن هنا كان علماءنا قديمًا يتشددون في موضوع الوقف، وهذا من الوقف، يعني واحد وقف سيارة للجهاد، هذا وقف، فعلماءنا كانوا يتشددون كما في كتب الوقف، وكما في كتب الفقه، يتشددون في تصرف الواقف في الموقوف، الذي يسميه العلماء وخاصةً الأحناف المغاربة الذي يسمونه الأحباس، وهذا الوقف عند جماهير العلماء أنه من المستحب والأفضل، وبعض أهل العراق علم عنهم أنه تم نفيه واحتج عليهم بأدلة تصل إلى درجة التواتر، حتى ألف بعض العلماء كتابًا في الموقوف، أي في الوقف.

القصد: أنه لو وقف المتصدّق وقفًا ما واشترطه على صفةٍ ما، فهل يجب أن نتقيد بما اشترطه في الموقوف؟ كان علمائنا يشددون في هذا الالتزام ويقولون: إن شرط واقفه كوضع الشارع، هل وضع الشارع يغير؟ قالوا: لا، إذن هذا شرط الواقف لا يغير، كانت هذه قاعدته، لماذا؟ لأن المتصدق اشترطه على صفةٍ معينة، وهذا كلامٌ كان جيدًا لكنه يحدث آثارًا سيئة بمقداره، وهو أن كثيرًا من الشروط تؤدي إلى مفاسد الوقف وتعطيل مقاصد الواقف له.

ومثال ذلك: لماذا بحثها ابن القيم؟ هذه المسألة بحثها ابن القيم في «إعلام الموقعين»، بحثها لأن المدارس

الفقهية قديمًا، أنتم تعرفون أن أمتنا أبدعت في قضية إنشاء المدارس والمدارس هي التي قضت على أفكار الملحدة وكلام الزنادقة بتخريج العلماء منها، والمدارس هي التي قضت على القرامطة، والمدارس قضت على الخوارج، المدارس هي التي قضت على الإسماعيلية، وقضت على الفرق الباطنية المدارس التي أنشأها علمائنا، والناس كانوا يأتون إليها ويجلس فيها العلماء من الصباح إلى المساء يعلمون الناس الفقه والدين ويردون على المخالفين والملحدين.

فكان من بعض شروطهم أن هذه المدرسة شافعية فلا ينتفع بها الحنابلة المساكين، الشيخ ابن القيم لا ينتفع بها فلا يستطيع أن يدخل حنبليًا ليدرس، وإذا وقفت على المالكية لا يدخلها الحنابلة وهكذا، وهذه مفسدة، ولذلك ابن القيم بحث هذه المسالة ونفاها، فقال: إن المقصود هي النية والصدقة في الواقف؛ بمعنى أنه لو جيء لهذا الواقف الذي هو بين يدي الله، هو الآن ميت، وقيل له: إنك أنت وقفت هذه الصدقة والحسنة على هذا الأمر وجاء أمرٌ آخر فيه أجرٌ أعظم، أنت وقفته من أجل إطعام المساكين، لكن جاءه الآن أمرٌ أعظم وهو قضية الجهاد، فهل لو خير هذا الرجل أن يذهب بماله من الفقراء إلى المجاهدين يقبل أم لا يقبل؟ قال: يقبل، لماذا؟ لأنه يريد الأجر الأعظم، هو مقصوده تحصيل الأجر.

فإن كان له نية أخرى؟! قد لا تحسب له يجب أن تلغى مثل قضية أن يكون متعصبًا للمذهب هذا لا يؤجر عليه المرء، التعصب للمذهب، فقال: إذن هذه القاعدة غير صحيحة، وقال: إنما ينظر في الوقف إلى نية الواقف لا إلى لفظه وهو طلبه الأجر، فلو أن المال الذي وقفه على شيءٍ جاء أمرٌ أعظم منه وبقائه على ما هو فيه يفسده؛ فينبغي أن نأخذه ونضعه في الأمر الجديد حتى ولو كان على خلاف شرط الواقف، هكذا قال ابن القيم: وهذا قولٌ جيد، ولكن ظهرت مفاسده، كل أمرٍ كما ترون فيه هكذا وهكذا.

ما هي المفاسد في القول الأول؟ صار الشيء يهلك ولا يستطيع أن يبيعه لينتفع به، يعني صار رجلٌ يأتي بمكتبة أو يأتي بفراش أو يبني حائطًا أو بيتًا، فيقول أريده أن يبقى هكذا، فربما صار فيه الفساد والهلكة ولا يستطيعون التصرف فيه لشرط الواقف فيه، وتذهب منافعه الكلية مع بقائه على ما هو عليه لشرط الواقف فيه، وكما تكلمنا في قضية شرط الواقف في قضية المذهبية؛ فلذلك وقعت مفاسد.

فمثلاً: يأتون بإبريق في المسجد، يهلك الإبريق مع قدرتهم على بيعه أو استبدال إبريقين لإحضار إبريق أجدّ

منه وأفضل منه وينتفع به الناس، فيقول: لا الواقف ينبغي أن يبقى هذا عينه لأنه وقفه بعينه على هذا المسجد؛ فوقعت هذه المفاسد.

لكن ماهي مفسدة القول الآخر؟ التصرف في الوقوف بيد غير الأتقياء؛ أحدثت هذه الجرائم التي استغلها العلمانيون في سرقة الوقف، لما فتح باب التصرف في الوقوف لمنفعة الواقف؛ سرقت الأوقاف من قبل العلمانيين والزنادقة وسرقت من قبل الفسقة، أموال الوقف سرقت في بلاد الشام وفي مصر وفي كثير من البلاد تحت دعوى الإصلاح وهي لا تكون إصلاحًا، هي باب يريدوا أن يصلحوها فيسرقونها.

ولذلك علمنا بعدما حصل ما حصل من قضية فتح باب التصرف في الوقف من أجل محاسنه ومن أجل فضائله ومن أجل ما هو أحسن منه على الفتوى المتأخرة لابن القيم رحمه الله، لم رأينا تصرف الفساق في ذلك رأينا إجرامهم وكيف آل الوقف إلى لإلغاء، صار بيع.

فالآن في بلاد الشام أقرأ كثيرًا أن أموالاً كثيرة -قبل الثورة المباركة- وزعت على الناس واشتروها بثمنٍ بخس باعتها الدولة وهي أموال وقف تحت دعوى لاستغلال الوقف.

انظروا إلى الوقف في مصر أحواله مزرية من قضية استغلال الفسقة والفجرة، تجد الأرض ثمنها حين تكون لملّاك خاصين كان ثمنها يساوي الملايين، أما حين تكون وقفًا تباع بأبخس الأسعار على هذا المعنى الذي ذكرناه؛ فلذلك هذا وهذا ينبغي أن يكون في الأمر تقييد، ولذلك العودة في هذا الزمان بسبب تصرف الفساق وتولي الكثير من الفساق لرعاية الوقف والإقامة عليه نرجع إلى الفقه الأول أفضل بعدم جواز التصرف بالوقف أبدًا إلّا وفق شرط الواقف.

الآن السائل علم الجواب، وإنه إذا كان تقيًا وتصرف فيه كما يتصرف في مال اليتيم، هل يجوز لقيم مال اليتيم أن يتصرف في مال اليتيم، قالوا: يجوز له، لكن بشرط أن يكون فيه المنفعة على وفق ما يجري به في ماله من منفعة، جاز له التصرف فيه، كأن ينميه وأن يتاجر فيه، لكن كما ينمى المال في الوضع الصحيح ولا يسرقه ولا يتخذ طريق التنمية سبيلاً من أجل سرقته وبيعه إلى زوجته وأمه وأهله وهكذا... إلخ.

فإذن الجواب: يجوز للأخ إذا جرى بتقوى الله ومراقبة الدار الآخر إذا جرى على معنى مصلحة الواقف في

هذه السيارة، سيارة خربانة بدلاً أن تبقى على ما هي عليه، لو أجريناها على القول الأول فإنها تفسد ولا ينتفع بها، فيبيعها الأخ ويضع معه مال وتكون فيها أي السيارة الجديدة المنفعة الأكثر فهذا حسن ولكن بتقوى الله لئلا تقع المفسدة الأخرى، سبيلاً للمفسدة، يعني قد يقول: تكون خربت السيارة فتأتي لجنة إشراف فتجد أن السيرة جيدة كما تباع أموال الحكومات وأموال القطاع العام كما يسمونه يبيعونه بثمنٍ بخس ويزعمون أنه تالف وهو يكون بأيدي الشارين الجدد من أحسن الأشياء

إذن الجواب في هذا الأمر: هو الجواز مع تقوى الله ومراقبة الدار الآخرة والحمد لله رب العالمين.

١٩٩- مجاهد مصاب ويريد العودة إلى بلده

ضمن الجلسة السابعة عشر، بتاريخ: (**٢٤/٠٢/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٣/١١/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: نريد فتوى منكم عن هذا الموضوع: أخ من سورية مصاب منذ أربع سنوات، والإصابة في رجله، وإلى الآن لم ينته من العلاج، والمصاب يتعالج... تفصيلات.. أصبحت رجله ثابتة، يسأل الأخ بعد ذلك: هل يبقى أم يعود إلى ما كان عليه في بلاده من الجهاد؟ بارك الله فيكم.

جواب الشيخ: بحسب وسعه، وبحسب الحاجة إليه، لو كان في دخوله مشقة على الناس، وإلهاء للناس عن القيام بالواجبات؛ فلا يرجع، بل يبقى فيما هو فيه ويخدم بما استطاع، فالله عز وجل وإن أعذر الضعفاء والمساكين والعرجان والعميان، فقال: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ٩١]، لم يرفع عنهم كل التكليف، بل جعل ما سقط عنهم بعدم قدرتهم ذاهبة، وأبقى ما يقدرون عليه ﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٩١)﴾ [التوبة: ٩١]، فجعل شرطًا أن ينصحوا لله، لأن هذا من قدرتهم، مع عدم قدرتهم على الجهاد والذهاب إليه، ولكن عندهم قدرة أن ينصحوا، وأن يحبوا في قلوبهم، وأن يدعوا للمسلمين، فقال: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ٩١]، هذا شرط.. لا يكون سقوط غير المقدور موجبًا لسقوط المقدور عليه.. لا يجوز.

فهذا الأخ بحسبه: إذا قدر على أمور في الداخل يريدونها منه، من الأفعال التي تلزمه؛ فيذهب، وإذا كان في ذهابه مشقة على الناس ويحملهم المشقة، وهو في مكانه ينصح لهم على هذا المعنى من النصح والخدمة وغيرها؛ فليبق كما هو؛ والعبرة بحسب تقدير نفسه لذلك، إن كان على هذه الدرجة من التقوى والسؤال والبحث عما يرضي الله، فيستطيع أن يقدر أين ينفع أهل بلده من المسلمين ضد طاغيتهم.

والحمد لله رب العالمين.

٢٠٠- حكم أخذ الجنسية

ضمن الجلسة السابعة عشر، بتاريخ: (**٢٤/٠٢/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٣/١١/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

ما حكم أخذ الجنسية التركية من السوريين، هل تجوز أم أنها حرام؟

جواب الشيخ: ما دامت الجنسية اليوم جازت لما هو أصلي له من الخدمة التي يقام بها، فيجوز لهم أخذ هذه الجنسية في هذه البلاد، والأمر فيه يسير.

الذي أتوقف فيه ولم أفتِ به يومًا، وهو أخذ المسلم جنسية الدولة الكافرة، هذه أنا لم أفتِ فيه لا بالحل ولا بالحرمة، ومتوقف فيه من قديم؛ وأنتم تعرفون ما تكلم به العلماء لما كان الاستعمار من أخذ الجنسية الفرنسية وغيرها، أنهم كفروا فاعلها، ولكن اليوم في معانٍ أخرى وضرورات أخرى لا أريد أن أتكلم عنها.

أما على هذا المعنى الذي ذكره الأخ، فهذا جائزٌ إن شاء الله.. وعلى معنى ما يأخذه الناس من جوازات السفر من بلادهم.. لا فرق في هذا الأمر.

والحمد لله رب العالمين.

٢٠١- حكم حضور بيت العزاء

ضمن الجلسة السابعة عشر، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٢/٢٤هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/١١/١٣ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: ما حكم حضور مراسم العزاء التي تقام في بلادنا ويحضرها القراء وتكون لها بعض الطقوس والأعراف المعينة كاشتراط أن يستمع المعزي لمقطع كامل من القراءة قبل مغادرته ونحو ذلك، علمًا أن العزاء في الغالب يتم في هذه الطريقة، وإذا امتنعنا عن الحضور لأجل هذه البدعة؛ جرى التشنيع علينا بعدم التعزية في أموات المسلمين، هذا غير ما يحصل من الأقارب ونحوه في مجتمعاتنا القبلية من مقابلة عدم التعزية بمثلها؛ فما الحكم هل يمنع الحضور أو يجوز؟ وما نصيحتكم؟ جزاكم الله خير.

جواب الشيخ: المعروف بأن التعزية سُنة، أن يعزي المسلمون وغير المسلمين أن يعزي المسلمون المسلمين وغير المسلمين جائزة.

هل يجوز أن يعزي المسلم الكافر؟ على الصحيح الجواب هو الجواز، يجوز للمسلم أن يعزي النصراني ويجوز أن يعزي الكافر؛ لأن التعزية تصبير، ولكن لا يجوز له أن يأتي بالألفاظ غير الشرعية، يعني المسلمون يقولون بالعرف الجاري لهم: «عظم الله أجركم»، أي جعل الله لكم الأجر العظيم في صبركم على مصابكم، وهذه الكلمة صحيحة، الصواب في قضايا التعزية أنها ليست توقيفية.

يعني يجوز للناس أن يعزي بعضهم بعضًا بكل لفظٍ يحصل به معنى التعزية، وهو تصبير المصاب على مصابه، أن يتصبر وأن يصبر، فيجوز أن يقولوا ما يشاؤون في هذا الباب، ولا يجوز لأحد أن يقصره على ألفاظٍ معينة؛ لأنها ليست من الألفاظ المقصود بذاتها أنها المتعبد بها، ولذلك المقصود المعاني وهو ما قلناه.

فهل يجوز هذا أن يفعله المسلم للكافر؟ الجواب: نعم يجوز، ولكن يتجنب الألفاظ غير الشرعية، وهذا منصوصٌ عليه عند كثير من أهل الفقه، عند في كثير في كتبهم على أنه يجوز للمسلم أن يعزي الكافر -لا بأس هذا الاستطراد وليس هو الجواب على السؤال -.

ولكن هل هذا الاجتماع على العزاء الذي يفعله الناس في بلاد المسلمين كافة، في جميع بلاد المسلمين

تقريبًا يجلسون للعزاء بعد أن يدفن الميت يرجعون إلى بيت يصنعه أهل المتوفى هل يجوز؟ -للذكر على الهامش- هل يجوز أن يقول المتوفي، الناس يمنعوني على أساس أن المتوفي هو الله أي الذي أخذ المتوفى الذي استوفى المتوفى المأخوذ، لأن الوفاة هي استيفاء الشيء أي انتهائه وأخذه وقبضه، فهل يجوز أن نقول عن الميت أنه متوفي؟ أجاز ذلك أبو عمرو الضرير كما ذكر عنه السخاوي في كتابه عن التاريخ «كتاب التاريخ»، فقال: يجوز ذلك؛ لأن الميت قد استوفى عمره فهو متوفي بمعنى استوفى عمره، والمتوفى أي المقبوض المأخوذة روحه، الذي أخذت روحه؛ فيجوز هذا وهذا؛ أي لا تنكروا على الناس، ولكن علموهم هذه المعاني حتى لا يقع الاشتباه.

فهل هذا الاجتماع للعزاء مشروع أم لا؟ المنصوص عنه قديمًا من كلام الصحابة رضي الله عنهم وكلام أهل العلم أنه من النعي، والنعي نهى عنه الشارع، لماذا؟ لما فيه من شر؛ نهى عنه الشارع.

وما هو النعي؟ النعي هو الإخبار عامةً للناس بطرق معينة تعظيمًا للميت، كيف تعظيمًا للميت؟ كان الناس قديمًا إذا مات العظيم خرج رجل في الشارع يضرب على شيء يخرج منه الصوت كالطبل والكوبة أو ما شابه ذلك أو يقف على مكان عالي ويضرب ويصرخ في الناس مات فلان، وربما ذكر له شيئًا من الخصال المعظّمة لهذا الميت: مات فلان ابن فلان وكذا، ويعد له من مآثره التي فيها من الصدق وفيها من الكذب.

فهذا النعي نهى عنه الشارع، لماذا؟ لما فيه من الشر، وهو ماذا؟ تعظيم الميت، الموت شيءٌ واحد بالنسبة إلى الناس، ويفعلونه للغني والوجيه والشريف ولا يفعلونه للفقير والمسكين والضعيف.

ومن هنا لئلا تقع هذه المعاني في قلوب الفقراء فنهى عنه الشارع، ولما فيه من تعظيم للميت، والوقت هو وقت اعتبار لا وقت تعظيم للميت وتعداد مآثره ومعانيه، فما دخل في هذا المعنى من النعي فهو منهي، ومن ذلك أن يجتمع الشعراء وأن يجتمع الخطباء من أجل ذكر مآثر الميت، سواء كان عند موته على قبره أو بعد ذلك في اجتماعهم بما يسمى هذه الصيوانيات أو ما تسمى هذه الاجتماعات وأماكن التعزية، ويسمى عندنا في الأردن بيت الأجر، أو مكان العزاء، ولكن الأغلب من الناس العوام يقولون: بيت الأجر، يعني يحصل بالذهاب إليه الأجر.

فإذا جاء النعي على هذا المعنى فحينئذٍ يُنهى عنه، ومن هنا من هذا الباب صار الاجتماع عند سلفنا على أنه نوع من أنواع النعي المنهي عنه، لماذا؟ لما في ذلك من التعظيم، يعني الناس يجتمعون فيتحدثون، في ماذا

يتحدثون؟ في الأغلب قديمًا وفي بعض الأوقات في بلادنا يتحدثون عن مآثر الميت، هذا هو النعي، فإذا خلا إخبار الناس بوفاة فلان عن هذا المعنى؛ جاز.

أن تؤذن الناس بموت فلان ليجتمعوا لصلاة عليه أو اجتماعًا لدفنه ليحصل الأجر لهم، ويحصل الأجر للميت لقوله صلى الله عليه وسلم: **(ما من رجلٍ مسلمٍ يموتُ، فيقومُ على جنازتِه أربعون رجلًا، لا يشركون باللهِ شيئًا، إلا شفَّعَهم اللهُ فيه)**، فتكثير المصلين على الميت هذا من الخير، وتكثير السارين معه إلى المقبرة ليدعوا له عند دفنه هذا خير وليس فيه شيء.

فلو أخبر الناس بهذا الخبر –ومن معاني النعي فقط للذكر الذي يفعلونه في الجرائد ويضعون في وسط الصفحة ويدفعون الأموال وكلما عظم الإخبار عنه في الصفحة كلما كان في ذلك التعظيم والتشريف له، بعضهم يأخذ إذا كان فقيرًا صفحة صغيرة أو قسمًا من الصفحة قليلاً فهذا شأنه، وكلما عظم ماله وعظم شأنه وشرفه أخذوا المساحة الكبيرة وربما ملأوا الصفحات، وهذا كله من النعي المذموم- لكن إذا كان الإخبار أي النعي – والنعي معناه الإخبار أصلاً، أن ينعي إليه الخبر أن يصل إليه الخبر أن يخبره، أن يعلمه بالأمر– فإذا خلا الإخبار عن هذه المعاني التي ذكرناها من أسباب النهي عن النعي فحين إذا لابأس في ذلك.

فكان عند سلفنا الاجتماع للعزاء على معنى الإخبار المنهي عنه، وذلك أن يجتمعوا وكلما اجتمع الناس وتكاثر الناس وو... كلما صار الافتخار والتعظيم.

واحدة، واحدة؛ لأن السؤال فيه شعب متعددة، هل هذا الاجتماع اليوم في أيامنا هذه على معنى النعي المتقدم؟ الذي عندي لا، لأنه كما أخرجنا إخبار الناس عن النهي المذموم أن نخبرهم ليجتمعوا، أن نخبرهم ليأتوا، أن نخبر أبنائه ليأتوا ويحضروا دفنه، وهكذا، وأذِنَ النبي صلى الله عليه وسلم بموت بعض بناته فأخبروه لأن يقوم بها من أجل أن يصلي عليها، فقال: **(هلا أخبرتموني عن المرأة التي تقوم بالمسجد، هلا أخبرتموني)**، فليس مجرد الإخبار هو المنهي عنه، إنما هو إخبارٌ خاص، وهو الذي سمي عندهم بالنعي على المعنى الخاص له، كما يذكر عن الحسد الممدوح والحسد المذموم، كذلك النعي الممدوح النعي الإخبار المجرد والنعي المذموم الذي فيه التعظيم كما ذكرنا.

فإذن الاجتماع في بيوت العزاء الآن صارت سمة لا يدخل فيها هذا المعنى عندي، والناس لا يجتمعون للذكر

فيما رأيت نتحدث عن هذا البلاد لا يجتمعون لتعداد مآثر الميت، وإنما يفعلونه -أتكلم عن القرآن- ربما في بعض البلاد كما في مصر، ولكن هنا لا يقرأون القرآن، هنا يحضر بعض المشايخ فيقوم بعضهم بالموعظة الحسنة للناس ويمضي الناس إلى شؤونهم، وكما قال الأخ: يذهبون إلى البيوت ولا يقع في هذه المعنى من النعي المذموم، لكن ماذا وقع من الأمور الجديدة؟ وهو قضية الإسراف وإنفاق المال للأسف مما يكلف الكثير لأهل الميت، فأنا لا أدخل هذه أماكن العزاء في النعي المذموم لأنها خلت عن هذا المعنى الذي قاله السلف في النعي في زمانهم والاجتماع في زمانهم، ولكن تبقى أمور ليت الناس يتركونها.

يعني أنا هذا الاجتماع أحب أن يتركه الناس، لماذا؟ لما فيه من المشقة عليهم، يعني الناس يضطرون -كما ذكر الأخ- يضطرون للمجيء حتى ولو كان عندهم الأحوال المتعددة أو بعيدين عن المكان، فيضطرون إلى المجيء حتى لا يقع مثل هذا العتب وهذا الغضب عليهم بعدم مجيئهم.

كذلك يتم الإنفاق، اليوم يدفعون الأموال من أجل الكراسي ومن أجل الصيوان ومن أجل الطعام ويقدم لهم القهوة هنا عندنا ويقدم لهم التمر وربما يستغرق مالاً كثيرًا يرهق بعض الناس.

أنا أقول أن هذا من المكروه، فلو تركه الناس لكان خيرًا لهم، ولكن نحن نتحدث عن المطلوب، يعني الناس يفعلونه وللذكر بفضل الله عز وجل قبل أسبوعين أو ثلاثة زرت والدي حفظه الله وقلت: أنا وصيتك وأنت وصيتي هل تسلمني إذا أنت مت أن أقوم بشأنك كما أريد قال: نعم لك ذلك، وقال: قد قلتها لأخيك من قبل، بأنكم اتبعوا السنة عندما أموت، حفظه الله وأطال الله عمره في طاعة الله، فقلت له: إذا أنت مت أنا أتكفل لا أحد يتدخل، فقال: لك ذلك، وقلت له: أنا لن أفعل لا قضية الطعام؛ لأن الناس للأسف بعد الدفن يرجعون بعد الدفن فأهل الميت صاروا يطعمون الناس، في القديم كن له أسبابه لأن الناس يأتون من قرية إلى قرية، اليوم يأتون ويرجعون في ساعة وساعتين والواحد يأخذ «ساندويتش» في الطريق فلا يقع الجوع كما كان يقع قديمًا، فلا ضرورة لهذا الطعام الذي ينفق عليه الأموال.

وأحمد في بعض الناس أفعالهم أن بعض العشائر وأن بعض أهل القرى قد اتفقوا على ألا يصنعوا هذا الطعام فبقي قضية الاجتماع فليتهم يتركونه، ولذلك أنا أقول هذا مكروه وأنا أتركه ولن أفعله، وقلت له: وإذا أنا مت قبلك يا والدي فهذه وصيتي لك ووصيتي لأبنائي أن لا يطعموا الطعام، بل إذا كان عندهم شيءٌ من الخير

فلينفقوه على وجوهه المستحبة ولا يأكلها الغني الذي يأتي وهو زاهد، ثم بعد أن يأكل ينتقد الطعام ويعيبه ويقع مثل هذه الأمور، فالذي أحبه ألا يصنع الناس ذلك.

وللذكر هذه لحظات الفرح في تطبيق السنة شعرتها في نفسي لما حضرت صلاة الجنازة على الشيخ أبي مالك محمد إبراهيم شقرة رحمه الله وأجزل مثوبته ورفع درجته في الصالحين، بعد أن صلى عليه ابنه صلاة الجنازة في مسجده وقف وقال: تعلمون كراهية والدي للعزاء -لا أذكر قبل الصلاة أم بعد الصلاة - والشيخ لم يكن يحضر، لكنه حضر، لم يكن يحضر عامةً لكني أنا حضرت جنازةً لأخيه -أسف- حضرت مكان تعزيةٍ لأخيه ذهبت للعزاء فكان يحضر، كان يحضر اضطرارًا، فكان أخوه قد توفي، فقال: تعلمون كراهية والدي في الاجتماع لعزاء؛ فلن نجتمع، وتعلمون أننا لن نصنع الطعام، سبحان الله شعرت براحة عظيمة لما قال ابنه هذه الكلمات، خلاص انتهى، قال: لن نمنع الناس أن يعزوننا، أن يأتون إلى العزاء يسلمون ويذهبون، ولكن هذا الاجتماع الذي يفعله الناس لن نفعله.

ثم ذهبت مع الجنازة إلى المقبرة وحضرت الدفن؛ فشعرت براحة عظيمة أذهبت التكاليف عن الناس، الناس خلاص، رحمة الله عليه، صلوا عليه، دعوا له، رأوا أبنائه سلموا عليهم، وقالوا لهم: عظم الله أجركم أو لله ما أخذ ولله ما أعطى وكل شيءٍ عنده بمقدار فاصبروا واحتسبوا... إلخ، ما يقال.

ومما ذكر أن ابن زيدون الشاعر وقف يومًا للعزاء فمر عليه ألف رجل يعزونه كل رجلٍ عزاه رد عليه بكلمةٍ خلاف الآخر فعّد هذا من أدبه وقوة شكيمته في اللغة والبيان.

فإذن هذا هو المطلوب، هو أن يترك الناس هذه الأمور ويبتعدوا عنها راحةً لهم ورحمة للناس، رحمةً لهم؛ لأن الناس يتكلفون والفقراء والمساكين يتكلفون، بل بعضهم يستدين من أجل أن يحضر التمر، الحمد لله الآن يحضرون التمر كانوا قديمًا فيما أدركته كانوا يحضرون الدخان «السجائر» يحضرون السجائر، يحضرونها للعزاء ويقدمونها للناس، الحمد لله الناس استعاضوا بالتمر، ومع ذلك هذا مكلفٌ للناس وترك هذه الأمور هو الأولى.

لكن السؤال يبقى، الناس فعلوها فهل نذهب؟ الجواب: ما في بأس، الناس وقد فعلوها وتكلفوا، والأولى أن لا يفعلوها وقد فعلوها فلا بأس أن تذهب لأن تعزي لحصول العزاء، وثانيًا: من أجل أن تُذهب عنك الشر؛ لأن هذه الشرور التي تقع بعدم الذهاب مما ذكرها الأخ السائل مما ينبغي أن يتقيها المرء وأن يبتعد عنها؛ فلا

بأس من الذهاب، أنا لا أنهى أحدًا أن يذهب إذا فتح الناس بيوت العزاء، ولكني أقول أكره للناس أن يفعلوها، على هذه الصفة فهي ليست من النعي، يعني الناس لا يفتخرون فيما أرى، لا يفتخرون في مثل هذه الأمور الافتخار الذي يتفاوت فيها الغني والفقير، كلهم مساكين يفتحون بيوت العزاء ويفعلونه، والكثير منهم يفعلونها في الجمعيات، يذهبون إلى الجمعية إذا كان من البلد الفلاني لهم جمعية يذهبون ويجتمعون فيها ويفعلونها، مع أنهم يدفعون أجرتها.

فالقصد من هذا أيها الإخوة الأحبة: ليت الناس يتركون هذه الأمور، ليتهم يتركون الطعام بعد دفن الميت من قبل أهل الميت، وليتهم يتركون الاجتماع للعزاء، ويعودون للسنة فيرتاحون، ولكني أقول: إن فعل الناس هذا فالذهاب إلى هذه البيوت ليس من المنهي عنه شرعًا، والله تعالى الموفق، والحمد لله رب العالمين.

٢٠٢- حكم العمل في موقع إلكتروني لنشر الأخبار

ضمن الجلسة السابعة عشر، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٢/٢٤هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/١١/١٣ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: لدي موقع إلكتروني، أربح من خلاله عن طريق نشر أخبار الجرائم والحروب وغير ذلك في هذا المجال، مع التثبت في نقل الأخبار.

جواب الشيخ: ما جاز نشره جاز التجارة فيه؛ يعني الشيء الذي يجوز نشره يجوز التجارة فيه.

الآن موضوع الإعلام هو موضوع تجاري وموضوعٌ مربح، فلذلك هو جائز، ولكن يجب أن ننظر إلى ما يُنشر.

مثلاً: نشر الفضائح، فضائح المسلمين؛ لا يجوز، أنت اشترطت التثبت، ليس فقط مسألة التثبت، قد يكون الخبر ثابتًا، ولكن فيه فضيحة، فيه نشر للفساد، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (١٩)﴾ [النور: ١٩]،

فيجب أن تنظر إلى الشروط الأخرى، من هذه الشروط: ألا يكون فيه مفسدة، أولاً: ألا يكون فيه نشر فضائح المسلمين وكشف عوراتهم؛ هذا لا يجوز.

ألا يكون فيه مفسدة، ألا يكون فيه إرجاف، الكثير مما ينشر من الأخبار فيه إرجاف للمسلمين، حتى لو كان صحيحاً فيجب أن تكتمه، قال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣]، فلا يجوز أن يرد إلى العوام حتى يسري فيهم الشر.

فلذلك يجب النظر إلى شروطٍ أخرى، كذلك من الشروط الأخرى: ألا تنشر الأخبار التي فيها الصور الفاضحة، يعني قد يكون الخبر صحيحا ولكن يكون فيه صور فاسدة، كأن تكون فيه نساء عاريات وكذا.. وأنت تقول: انظر إلى هذا الخبر، وأنت تقول: أنا أتثبت أنه صحيح، فليس فقط شرط التثبت هو الذي يجيز لك ذلك.

أما في الأصل: فهذا نوعٌ من أنواع التجارة، واليوم هذه تجارةٌ ربما هي الأغلى والأغلب والأنفع لصاحبها.

الشروط كثيرة في هذا الباب، يعني لو أن أحدًا رجع إلى بعض كتب الإعلام الشرعية؛ لينظر ما يجوز وما لا يجوز، ولو نظر إلى النصوص شرعية في هذا الباب، لوجدها إن شاء الله مستوفية لهذا الأمر، وأما الجواز في أصل هذا الباب؛ فجائز، والله تعالى أعلم، والحمد لله رب العالمين.

٢٠٣- حكم ورق اليانصيب

ضمن الجلسة السابعة عشر، بتاريخ: (**٢٤/٠٢/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٣/١١/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يقول أخ سائل: سؤالي عن حكم شراء والاستفادة من أورق اليانصيب العمومي.. أنا من الأردن وعموم الناس تفهم حرمتها هناك؛ لأنها تعتبر في رأيهم قمارًا، إلا أني سافرت خارجًا ورأيت من يستحلها لحجج من مثل أنها لا تتضمن المغالبة، ولا تلهي الفرد عن أعماله؛ لأنها تُشرى مرة في الأسبوع أو في الشهر، وليس فيها تحاسد لأن المشترين لا يعرفون بعضهم أصلاً!!

جواب الشيخ: لمن لا يعرف اليانصيب؛ هي ورقة -لا أدري هل هي موجودة في كل البلاد- ورقة تشتريها بمبلغ، فهم يأخذون هذه المبالغ المجموعة، ثم تكون لهذه الأوراق أرقامًا، فيسحبون من الأرقام الرابحة وتعطى لهم، هذا هو مجمل ما يسمى أوراق اليانصيب، وهو قمار، وليس من شرط القمار ما ذكر الأخ السائل ليكون قمارًا.

أولاً: ليس من شرط القمار ليكون قمارًا أو حرامًا أن يُلهي صاحبه، ليس هذا من الشرط، وليس من الشرط ألا يقع التحاسد، ليس من الشرط، هو مالٌ حرام؛ لأنه يكتسب بغير وجهٍ شرعي، وهو قمار، لماذا؟ بم استحللت مال أخيك؟ هل هو بالإجارة؟! هل هو بالشراكة؟! بمَ استحللت ماله؟؟ استحللت ماله: أن مالاً وضع، والمال أحضر مالاً أو ذهب بلا ضابط، لماذا ذهب؟ لا تدري، ولماذا حضر؟ هل هو لبضاعةٍ تاجرت بها فخسرت؟!! الرابح: هل هو لبضاعة تاجرت بها فربحت؟!! فهو قمار.

هذا هو القمار، وهذا هو الحرام؛ ولذلك هذه الشروط التي ذكرها الأخ من قضية عدم التفرغ لها، وأنه لا يحصل التحاسد والتباغض فيها، كل هذه شروطٌ باطلة لا قيمة لها.

أنا أعطيك مثالاً: لو أن رجلاً وضع في كل أسبوع لمدة عشرين سنة ولم يربح!! ألا يقع في قلبه الغضب؟؟ يعني التحاسد هذا ليس بضابط.

الآن أحلُّ مالاً عند الغربيين هو القمار!! رجلٌ لعب القمار، لعب أوراقًا أو لعب بالزهر، فالمال يستحلونه

عندهم، والذي يربح يعتبر أن هذا المال من أحلِّ المال عنده ويفرح له.

فهذا هو المعنى.. هذا وضع المال وهذا وضع، فمن يربحه؟؟ الذي يخرج رقمه في الزهر، واحد يقول: ثلاثة، واحد يقول: خمسة، وهذا نفس نوع ما يدفع المال في اليانصيب، ثم يخرج بعد ذلك الرقم الرابح، فهذا هو القمار جزمًا.

فاليانصيب حرام، وأكلها حرام، والمشاركة فيها حرام، والقائمون عليها آثمون مجرمون، نسأل الله العفو والعافية.

بارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٢٠٤- حكم بيتكوين «Bitcoin»

ضمن الجلسة السابعة عشر، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٢/٢٤هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/١١/١٣ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخٌ يسأل: فضيلة الشيخ هل يجوز التجارة في عمل البيتكوين «Bitcoin» شراءها فإذا ارتفع ثمنها بيعت؟

جواب الشيخ: في الحقيقة لم أكن أعلم شيئًا عن هذا الأمر قط، قبل فقط ساعة من الزمان أخ اتصل بي وشرح شرحًا طويلًا لي -هكذا قدرًا- والحمد لله، وإلا لا أعرف عنها شيئًا.

في الحقيقة، ما هي هذه البيتكوين «Bitcoin»؟

أخبركم بما أخبرني، وهو شابٌ مطلع، ومع ذلك قال: هناك مساحة كبيرة من الجهالة حول هذا النوع، ما هو البيتكوين «Bitcoin»؟

البيتكوين «Bitcoin» هذه هي ناس أقاموا عملةً جديدة «Digital» عملة رقمية، كمبيوترية، ولخبرتي الضعيفة في قضية الكمبيوتر وكيف تكتسب القوة، يعني هناك مساحة كبيرة لا أفهمها، وهناك مساحة كبيرة حتى الأخ السائل عندما بَسَطَ لي لا يعلمها.

هذه العملة حاربتها الدول باعتبار لا مرجعية لها وأنها ستقضي على عملتهم، والكثير مما يخرجه الحكام والبلاد من العملة لا قيمة له، وهو من قبيل التحكم -ليس هذا وقت الحديث عن قضية الورق النقدي وكيف نشأ.. أظن تكلمت عنه، وإن شاء الله نشرحه في كتاب «الربا» لأبي الأعلى المودودي، يعني وعدت أن ابين هذا الكتاب في مشروع «الألف كتاب».

القصد: أن البيتكوين... أناس أنشأوا نظامًا قويًا رياضيًا خطيرًا كبيرًا، وأصدروا عملة، وهذه العملة مع طول المدة التي فعلوها ومع حرب الحكومات لها لم يستطيعوا أن يوقفوا انتشارها واكتسابها لقوةٍ شرائية، الآن صار الناس يتعاملون معها كقوة شرائية بيتكوين، -غير هذا لا تسألوني، قلت له -أي للشاب المطلع-: لو أن دولةً

أوقفت هذا الحساب؟ قال: لا يستطيعون، لو اتفقت كل الدول على إيقافها؟ قال: هذا مستحيل.. وهكذا، وأكثر الدول انتشارًا وقوةً فيها كما يقولون هي ماليزيا، ومع ذلك هي منتشرة، وهي الآن تحولت من أموال رقمية إلى أموال يمكن أن تشتريها وأن تحملها معك -هكذا يقولون- وأن تحول هذه الأرقام إلى أموال أخرى كالدولارات وغيرها.

في الحقيقة، أقول: «الحكم على الشيء فرعٌ عن تصوره»، إلى الآن هل هذه تصل إلى حكم الأوراق النقدية؟ وأنتم تعرفون أن الخلاف قديم وحديث، حيث ظهرت ورقة البانك نوت «Banknote» أي النقد الورقي، لما ظهر اختلف الناس في صيغة ما هو؟ وبعد ذلك غلب على أنه مالٌ بنفسه مستقل أخذًا بفتوى بعض العلماء -ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية- ما دام أن فيه معيارية.. ففيه نقدية ومع هذا عليه كثير من المحترزات.

فالآن هل هذا البيتكوين هل يملك قوة نقد الدول؟ إلى الآن لا؛ فلذلك إذا وصل إلى أن يكون قوة نقدية كبقية الأموال، فأحكام هذا الحساب هو أحكام أي ورق بانك نوت «Banknote» كأي ورق نقدي موجود في العالم، وأما قبل ذلك «فالحكم على الشيء فرعٌ عن تصوره».. فلا أعرف، على الناس أن يقرؤوها قراءة جيدة وأن يعرفوا كيف هي ويعرفوا مقدار قوتها، يعني صحيح أن الحاكم -كما فعلها بعض الحكام المجرمين والمجانين- أنهم لغوا العملة كاملة، جاؤوا إلى عملة وقالوا: هذه لا قيمة لها، وأخرجوا عملة جديدة كما فعل القذافي في ليبيا.

فقوة معياريتها الذاتية مفقودة، ليست كالذهب والفضة، لو أن رجلًا جاء وقال: الذهب لا قيمة له، لا أحد يستمع له، لو جاء أكبر حاكمٍ في الدنيا وقال: الذهب لا قيمة له، فالذهب يملك قوةً ذاتية، الله عز وجل وضع فيه هذا القوة الاعتبارية التي اتفقت عليها البشرية منذ أن خلق الله عز وجل الأرض، والذهب له قيمة نقدية، ما معنى النقد؟ معناه أنه معيار الثمنِيّة للأشياء، يعني أنت الآن تريد أن تعرف ثمن اللحم، ثمن الخبز، ثمن البيت، ثمن اللباس، فمعيارية ذلك هو النقد، النقد هو الذهب والفضة هذا أصله، لكن بسبب فساد البشرية أخرجوا هذه البانك نوت التي هي الورق، دولار، جنيه، دينار... وهكذا، أخرجوا هذه الأوراق وتلعبوا بها، والبشريةُ مقبلةٌ على السقوط الاقتصادي وراء هذا التلعب الذي أحدث التضخم والفساد في العالم.

الآن، الفساد زاد فأحضروا البيتكوين والله أعلم أين يصل الناس، ولذلك الجواب –بالنسبة لهذا السؤال– إذا وصلت قوة البيتكوين كورقة نقدية معتبرة في أغلب دول العالم فحكمها حكم الأوراق النقدية، وإن لم تصل لهذا فهي مجرد أوهام وألعاب فلا قيمة للمرء أن يتعامل بها، وإنما هي مفسدة من المفاسد التي تتوالى، إذا كان الورق النقدي عليه من المحترزات الكثيرة الآن الكثير! وهل يملك قوة النقد أو لا... إلخ، مما نرى من تقلب الحال، فكيف بمثل هذه الحسابات التي لا تملك إلا قوة الرقم، هكذا هي الآن، نعم، بعض من يتابع ربما يقول: لا، هي ليست فقط حسابات رقمية إنما هي حسابات حقيقية، نقول: لا، لم تصل إلى الآن؛ ولذلك هذا ما نقوله في البيتكوين. والله تعالى أعلم، والحمد لله رب العالمين.

٢٠٥- هل يجوز السكن قرب مقابر النصارى؟

ضمن الجلسة السابعة عشر، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٢/٢٤هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/١١/١٣ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: هل يجوز السكن قرب مقابر النصارى، مع العلم أن المقابر موجودة ضمن سور ضخم؟ وهل يجوز للمسلم أن يعمل في أعمال البناء داخل هذه المقبرة، لأن المقابر هي عبارة عن غرف اسمنتية؟

جواب الشيخ: نعم يجوز السكن بهذا الذي ذكرته.. نعم، يجوز السكن، لم يأت نهيٌ في الشرع فيما ذكر، لا في السنة ولا في كلام أهل العلم، على أنه لا يجوز لمسلم أن يسكن قرب مقابر النصارى، ما ورد هذا، ولذلك هو على الجواز وبقاء الحل، ومع ذلك الأخ يقول: أن المقابر موجودة ضمن سور ضخم، يعني خلاص، هناك فاصل بينك وبينها.

بل حتى لو سأل السائل: هل يجوز لي أن أسكن داخل مقبرة النصارى اضطرارًا، كما يسكن بعض المسلمين في مقابر المسلمين اضطرارًا وفقرًا؟ فالجواب: لا يوجد نهي عن ذلك.

السؤال الآخر: هل يجوز للمسلم أن يعمل في أعمال البناء داخل هذه المقبرة؟

جواب الشيخ: نعم، جائزٌ إذا كان الفعل جائزاً.. كيف؟ يعني لو أنه لو طلب منك أن تبني على القبر –أن تشيد عليه– أو أن تضع فوقه الصليب، هذا لا يجوز، لأن الفعل بذاته حرام، وليس لأنك تعمل في مقابر النصارى.

فلذلك إذا كان الفعل جائزًا فلا بأس، لو أن رجلاً مثلاً يحفر القبر للنصارى، ما في حرج، هو حفر قبرًا للنصارى، لا حرج في هذا، لكن لو طلب منه أن يبني فوقه، أو طلب منه أن يضع الصليب، فلا يجوز له ذلك.

القصد: بأن دفن النصراني جائز، والنبي صلى الله عليه وسلم أمر علي رضي الله عنه أن يدفن والده، وهذا من هذا، فلا شيء في ذلك إن شاء الله تعالى.

والحمد لله رب العالمين.

٢٠٦- لو تحدثنا عن نفسك قبل دخول السجن وبعد خروجك

ضمن الجلسة الثامنة عشر، بتاريخ: (**٢/٠٣/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٢٠/١١/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: شيخنا الفاضل لو تُحدثنا عن نفسك ما قبل دخولك السجن وبعد خروجك في الأردن، وخصوصًا على هذه النقاط: التغيرات العلمية، النضوج الفكري، فتح أبواب فكرية أمام الشباب، لمسة الإعذار العظيمة، الشعور الحنون، اتجاه جماعات واتجاه شخصيات إسلامية.

جواب الشيخ: سنأتي على ما نقدر عليه اليوم من الجواب على هذا السؤال.

أول شيء يعني نرجو أن نكون ممن لا يقع عليهم قول من قال: «إن من كان يومه كأمسه فهو مغبون ومن كان غده كيومه فهو مغبون»، لأن المرء لا يمكن أن يكون هو، هو في كل لحظة، لا يمكن أن يكون المرء في لحظة كهولته أو في شيخوخته كحاله في أيام شبابه.

ثم لا يمكن للمرء أنه كلما ازداد قراءة كلما وقف مكانه! ولا يمكن للمرء أن تمر به التجارب وتحدث معه التغيرات الحياتية وثم يبقى كما هو!

لا شك أن المرء قد تغير من جهةٍ نفسية، وأما من الجهة العلمية فنعم، أنا أعتقد كالتالي: بالنسبة لنفسي اليوم -وهذه قلتها سابقًا والله على ما أقول شهيد- إني لا أقرأ لنفسي اليوم كلمةً فأُنكرها! لا أقرأ، بل كلما قرأت لنفسي قديمًا -وأنا للذكر، يعني شرحًا لنفسي في هذا الباب والله يعلم أني صادق في هذا: أنا لا أذكر ما أكتب، لا أذكر، ولما أكتب الكلمة تخرج مني ولا أدري أذكرتها أم لا- ولذلك أنا أفرح لبعض الإخوة عندما يحضر لي كلامًا سابقًا، أو كلامًا قلته رادًا على رجلٍ يزعم أني قد تغيرت فيحضر كلامي القديم، فأشكر له هذا الفعل.

ولكن لو قيل لي: أتكلمت فيه؟ لا أدري، لا أدري، وأعجبني أني قلت هذا الكلام، لأني لا أذكر ماذا أكتب، عندما تخرج الكلمة مني انتهى موضوعها، لكن لا يعني أنها ليست في ذهني، هي في ذهني.

أنا لا أعرض كلمةً قيلت مني قديمًا ثم اليوم أراها منكرًا، لم يحصل هذا! ولو حصل لفعلت، لقلته للناس: هذه كلمة قلتها قديمًا وأنا أعتذر منها اليوم!

قد يقول قائل: لكننا نرى تغيراً؟ بلا شك مساحة الكلام التي كنا نقول فيها تغيرت المساحة، الشيء الذي كنا نتكلم فيه قديمًا كان له أهميته، اليوم ربما تراجع إلى الدرجة الثانية والثالثة وتقدمت قضايا كانت متأخرة فصارت متقدمة وينبغي الاعتناء بها!

هذه القضية هي قضية تغير الأولويات، بلا شك أن جانب الإعذار للجماعات، نعم أرى، مع أن الجانب العلمي ثابتٌ فيه! أنا لم يثبت عني قط أني كفرت جماعةً إسلامية عاملة بدين الله عز وجل، والناس يشهدون على هذا!

وكنت أقول قديمًا كلامًا الآن لا أقوله لتغيرات! ولكن كنت جريئًا في قول: بأن المجاهدين مثلاً سيورثون الراية لغيرهم من الجماعات الأخرى، وكان الإخوة ينقمون عليَّ هذه الكلمات، لكني يعني مع إخوة يحسنون الظن ولا يتهمونني في ديني، ليس كما يقال اليوم، ويقع من البعض.

فبلا شك أن المرء تغيرت اهتماماته لتغير الواقع وتغيرت نفسيته لما يحصل فيه من تغير، من كونه كان شابًا واليوم هو عجوز، هو كهل.

القصد بهذا: أن هذا التغير يقع، ولست أنا في الموضوع الفقهي كما كنت سابقًا، ولست في موضوع الاختيار الأصولي كما كنت سابقًا، ولست في مسائل الأصول كما كنت سابقًا، نعم هذه الأمور غيرتني، وهذا كله قبل السجن! فقراءاتي الفقهية وقراءاتي الأصولية التي أحملها أنا الآن، وربما كان لي في بعضها موقفٌ؛ قد تغيرت، ولكن هذا قبل السجن؛ كموضوع الظاهرية، والسلفية، والدعوة النجدية.. هذه القراءات تغيرت قبل السجن، وقد كنت أُخرج بعض الكلمات في ذلك، ف في كتابي «جؤنة المتطيبين» أشرت إلى موقفي من الدعوة النجدية رحم الله القائمين عليها وجزاهم الله خيرًا ورحم الله محمد بن عبد الوهاب رحمة الله عليه.

فهذه قراءات علمية سابقة، والحمد لله ما زلت أعيش هذه وشعرت براحةٍ عجيبة والأدلة كلها قائمة عليها، حتى الاتجاهات العلمية الصارمة التي كانت في موقفها أمام المذاهب الآن تغيرت، هي تغيرت في واقع الأمر،

الناس صاروا يستوعبون الكلام في المذاهب بعد أن استوعبوا أدلتها، كانت تُعرض المذاهب قديمًا من قبل مشايخ أعداء المذهبية بطريقة فيها تحقير وتسفيه لأصحاب المذاهب، ويعرضونها بطريقة وكأنهم لا يملكون إلا الجهل ولا ينبغي للناظر إليهم إلا الاستهزاء! هكذا كانت تقدم إلينا المذاهب الفقهية...!

وبعد ذلك لما خرجت هذه الكتب ورأينا كلام العلماء وبدأنا نفهم، أدركنا أن الذي ظلم المذاهب ليس فقط خصومها ولكن أصحابها كذلك! هذه تغيرت..

موقفي من بعض الرجال كموقفي من ابن حزم تغير ولا شك، أنا أعظم هذا الرجل وله مرتبة في نفسي، وقد ولدني ولادةً أولى مبكرة عليه رحمة الله، لكن موقفي منه في مرتبته العلمية أمام العلماء الكبار كأصحاب المذاهب الأربعة.. بلا شك أنه ليس كما كان في نفسي وأنا شاب وأقرأ في «المحلى» وأراجعه وأعيش على ضفافه وعلى شواطئه.

هل هذا نضوج فكري؟ ولكنه تغير ولا شك، هل هو للأفضل؟ عند الله عز وجل الحكم، وما زلت أسمع وأتعلم، وفي كل يومٍ أزداد في هذا، وكل يوم أقرأ، وأنا في كل يوم أقرأ، في كل يوم! ويعني اليوم الذي لا أقرأ فيه هذا يومٌ عصيبٌ على نفسي وشعور بالإثم بأني ضيعت شيئًا من عمري!

أنا أقرأ في كل يوم! وأوقاتي كلها في القراءة، أغلبها في القراءة والاستماع والنظر والبحث، والحمد لله ربِّ العالمين..

فهذا هل يُسمى نُضجًا أم لا؟ هذا يُترك للناس، أنا لا يجوز لي أن أحكم على نفسي، المرء يضع الطيب ولا يشمه إلا الآخرون، فلا يدري، ويضع كذلك القاذورات فيشمه الآخرون، الآخرون ينبهونه إلى أن رائحتك طيبة أو أن رائحتك قذرة، الناس!

والحمد لله أنا أظن أني أملك إخوةً هم من أقسى الناس في التعامل معي، يعني بفضل الله عز وجل! عندي إخوة ما شاء الله عنهم يعني لا يعرفون إلا النقد، وأحبهم، ولو قال لي أحدهم: هذه الكلمة -وهم يعرفون وربما بعضهم يسمع الآن كلامي- لو قال: هذه الكلمة ليست جيدة أزلها فأطيعه، أنا أثق في إخواني.

أنا لا أثق بنفسي في الناس، أنا معرفتي بالناس ضعيفة، وعلاقاتي الاجتماعية للأسف فاشلة، يعني أنا من

الصعب أن أنشأ علاقة اجتماعية من جهة واحدة أن أذهب بنفسي، بعض الإخوة يشجعني فنعم، أما أن أذهب بنفسي هكذا! ولذلك للأسف علاقاتي مع الناس مع أصحاب الفكر وو... إلخ، والعلماء، علاقات ضعيفة، أعدها يعني ليست بالمرتبة المطلوبة..

إلا إذا جاءني الإخوة وقالوا: نذهب لفلان.. أنا أذهب، بفضل الله عز وجل، الحمد لله، لا أجد يعني غضاضة أن أذهب إلى الناس وأن أتيهم إلى بيوتهم مهما كان شأنهم، ومهما كانت درجة الخلاف في دائرة الإسلام بيني وبينهم.

ولكن للأسف هذا يعني جانب ضعيف بي أن أذهب بنفسي وأن أتكلم، فإذا وجدت من الآخر إقبالاً ازددت إقبالاً أكثر منه بفضل الله عز وجل!

القصد: بأن الناس هم الذين يحكمون، هؤلاء الإخوة الذين حولي الحمد لله أثق بكلامهم، يعني إذا قالوا لي: هذه الكلمة أثرها في الناس ليس جيدًا؛ أزيلها فورًا، وأنا قلما أخرج كلامًا دون أن يقرأه بعض إخواني، أعرضه عليهم فيقرؤونه ويصوبونه وأفرح بهذا وأخذ بكلامهم، وأُسلم لهم في هذا الباب، إخوة كثر بفضل الله عز وجل، وكلهم أساتذتي ومشايخي، وأحبابي وإخواني، وأبنائي وأصدقائي، لا أقول تلاميذي، لا يوجد لي تلاميذ، الحمد لله هذه قضية انتهيت منها قديمًا، فهذه قضية.

القضية التي تهم في أن الواقع أيها الإخوة الأحبة تغيرت مسارات الأحداث فيه، فصار الوقت يحتاج إلينا جميعاً -يعني تكلمت فيها ولا بأس أن أعيدها- أنا أرى الآن الإسلام بكل طوائفه وجماعته يُستهدف، وبالتالي؛ أنا أدافع عن المسلمين في وقت محنتهم، في وقت من الأوقات ربما نحن في مسجد، انتبهوا إلى هذه القضية:

بعض الناس -وهذه قلتها قبل أيام وقلتها قبل سنين- بعض الناس يعيش فقط صراع المساجد، بينه وبين الجماعة المساجد، بعض الناس يعيش الصراع على مكتبة المسجد، على إمامة المسجد، على دروس المسجد، على شباب المسجد، فهو يظن أن أكبر المعارك هي هذه! فلا يبق ذهنه إلا محصورًا بهذا الصراع وإذا كبر أو صغر فهو يعيش هذا الصراع.

أنا أريد أن أفهم أين الإخوان المسلمون الآن؟ أين هم؟! أين الصراع بين الجماعات حولهم؟ أين الصراع؟

الكل الآن الحال لا يعلم به إلا الله، الآن حتى الذين كانوا ينتسبون للسلفية باعتبارها دولة ها هم اليوم نرى حالهم، حتى السلفية الآن غير مقبولة ومرفوضة في الاتجاه العام والقواعد العلمية والأسس التي قامت عليها، هي الآن مرفوضة ومحاربة.

الآن يُقدم أناس على وجهٍ معين بغض النظر سلفي أو صوفي أو كذا -أنتم تعرفون الأسماء- المهم أنهم خدم للطواغيت بغض النظر عن انتمائهم الاسمي الشكلي، وقديماً كان الصراع هنا، كلنا تحت الطواغيت، «كلنا في الهم شرق»، وكلنا في البلاء، فبالتالي الصراع على المساجد، الصراع على الشباب..

أضرب مثالاً في الكويت مثلاً: هناك صراع بين جمعية إحياء التراث وجمعية الإصلاح وبالتالي الصراع في المساجد بين أتباع هذه الجمعية وأتباع هذه الجمعية، الآن، انتهى هذا الصراع، انتهى، فكان الناس يعيشون هذا الصراع، كان الصراع على المناهج -هذه قلتها- والآن الصراع على الإسلام!

الآن لا يريدون خصومًا للإسلام، وهذه ليست تراجعًا انتبهوا! -لا بأس، أنا أُفضفض هنا، في كل مرةٍ يأتي سؤال يسمح لي بالفضفضة مع أحبتي وإخواني- بعض الناس يظن أن هذه الحالة التي نعيشها هو تراجع، يعني كان هناك جماعات إسلامية والصراع حول مفاهيم إسلامية بين الجماعات، والآن الصراع مع العلمانية هو صراع حول الإسلام، أي عودة إلى صراع الهوية، ويظنون أن هذا تراجعٌ، لا، ليس تراجع!

قلت مرةً ولا أدري هل سمعها الإخوة وأكررها هنا: متى يظهر الشيطان؟ سؤال: متى يظهر الشيطان؟

نرى أن الشيطان يظهر في حالتين:

- وفي حالة الإيمان العظيم.

- في حالة الكفر الْمُطبق.

الصورة الأولى في حالة الإيمان العظيم: رأينا الشيطان ظهر عندما الحق جليًا في شخص النبي صل الله عليه وسلم ويقهر الشيطان وجنده، ولذلك الشيطان من شدة غيظه حمل النيران وهجم هادرًا صارخًا غاضبًا من أجل أن يحرق الحبيب المصطفى صل الله عليه وسلم وهو قائم يصلي في الليل فأخذه النبي صل الله عليه وسلم، الشيطان ظهر عندما كان الحق قويًا.

الصورة الثانية في حالة الكفر المطبق: يظهر الشيطان في آخر الزمن لما يكفر الناس فيتجلى لهم الشيطان ويظهر لهم نفسه، وحينئذٍ يقول لهم: ماذا تفعلون؟ فيعود بهم إلى عبادة الأصنام.

فإذن صراحة الشيطان عندما يقوى الحق، الشيطان كان في قبل هذه المرحلة التي نعشيها كان مميعا، الشيطان مميع، ويقبل التمييع، الشيطان يحب التمييع، السبب؟ لأنه تموت المبادئ، وموت المبادئ واختلاطها يعني الكفر، اختلاط المبادئ وعدم تميزها يعني الكفر، ولذلك الله عز وجل يحب الفرقان الذي يُفرق به بين الحق والباطل، يكون الحق جليًا والباطل جليًا، ومن هنا فمن معالم الإيمان الكبرى ظهور الفسطاطين، فسطاط الإيمان الذي لا نفاق فيه، وفسطاط الكفر الذي لا إيمان فيه ولا إسلام فيه..

فمن مهماتنا التي بذلنا فيها جهودنا ودمائنا هو أن يظهر الكفر على حقيقته ومن هنا الكفر صار الآن لا يقول أنا أكره إسلامًا معينًا، صار يكره الإسلام كله! وصار يحارب من أجل منع الإسلام كله!

هذه حالةٌ بُذلت فيها الدماء والجهود والتضحيات من قبل المشايخ والعلماء وقادة الجماعات جزاهم الله خيرًا والخطباء وو... من أجل أن تظهر الجاهلية على حقيقتها!

الجاهلية تريد أن تعيش في حالةٍ هلامية لتقبل، لكنها الآن تحولت إلى الجاهلية الصُلبة التي تريد أن تنازع الإسلام في الوجود!

فبالتالي؛ لا يقولن أحد: بأن هذا ثمة تراجع! لا، الآن الحق أبلج، وصل إلى أن يحمل قوة السلاح من أجل أن يصارع الجاهلية على الأرض رجالاً برجال وسلاحًا بسلاح، وبالتالي؛ الجاهلية أسفرت عن نفسها، يظهر ترامب يظهر.. من تعلمون هنا وهنا لا يريدون الإسلام، فلنفول هذا، إذن نحن الآن صراعنا ليس على المسجد من يكون فيه ومن يستحوذ على مكتبة المسجد، الصراع الآن بيننا وبين العلمانيين على هدم المسجد.

نحن نريد أن نبقيه وسيبقى رغم أنوفهم وسينتصر الإسلام وتبقى المآذن، وسيبقى الأذان وسيبقى الموحدون وستذهب الجاهلية إلى الزبالة وإلى القبر، وستُقبض بإذن الله عز وجل! على يقين قريبًا سُتقبر الجاهلية في بلادنا، وسُيقتل أصحابها في الشوارع كالنعاج، بل كالخنازير سيذبحون ذبحًا الخنازير في الشوارع من قبل الأمة جمعاء؛ لأن صورتهم الكافرة الفاجرة قد تجلت فلم يعد إلا وسخ قذر يدافع عنها، ما بقي الآن إما أنك مسلم وإما أنك

كافر! لا يوجد، إما أنك مع الإسلام وإما أنك مع العلمانية، هذا من فضل الله، الجهاد هو الذي أظهر هذا، الصراع هو الذي أظهر هذا، اقتراب الإسلام إلى منصة الحكم هو الذي أظهر الجاهلية على حقيقتها.

يقول أحد: أنا أريد أن أصارع جماعة إسلامية! بعد أن وصل الإسلام إلى هذه مرحلة من الصراع يريد مني أن أعود فأصارع جماعة على مسائل! لا يعني هذا أن ألغي الفروق العلمية، هذه قدرنا..

فبالتالي؛ يجب أن ترتفع أنت، يجب أن ترتفع إلى مستوى أنك مسلم تحارب للدفاع عن الإسلام كله، وتعادي الجاهلية كلها وستدفع الثمن، هذا ليس هروب من المعارك! هذا خوضٌ لها بشجاعة؛ لأنك تعلم أن العاقبة إما أن تقتل في الشارع وإما أن تسجن إلى الموت! كما فُعِل ويفعل، أن المسلم يقتل ويدمر ويهان.

فهذه المعالم هي التي تجعلني أفكر هذا التفكير وأدعو إلى هذه الدعوة، أنا أعلم أن المسلمين ليخرجوا مما هم فيه من الصراعات الفكرية والصراعات التنظيمية يحتاج إلى زمن! لكن أنا مستبشر.

أنا أكبر أعدائي في هذا العصر هم أهل اليأس، أعتبر -قلتها قبل أيام في جلسةٍ مع بعض الإخوة- قلت لهم: إن اليأس يعادل عندي الشرك بالله!

اليأس.. بعض الناس ينشر اليأس، أين الأمة؟ ماذا، انظر فلان يتحرك وكأنه في ساحةٍ لا نزال فيها ولا أبطال يقاتلونه! مسكين هذا.. هؤلاء جهلة لا يعرفون هذه الأمة، لا يعرفون قوتها، لا يعرفون عوامل النصر فيها، لا يعرفون سنيتها، لا يعرفون أنها هذه أمةٌ ربانية تتحرك بقدر الله عز وجل؛ وقدر الله عز وجل يأتيهم فجأة ويأتيهم بغتة من حيث لم يحتسبوا... هذه الأمة هي قدر الله عز وجل.

فأنا في ثقة بهذه الأمة، الآن أنا لا أتعلق بجماعة، هذه جماعات عظيمة بذلت جهدًا عظيمًا وحافظت على الإسلام وحافظت على هوية الإسلام ولها جهود كلها على رأسي وعيني، ولله أنا أعتبر نفسي إنتاج لهذه الجماعات ولهؤلاء العلماء على اختلافهم، أنا تلميذٌ لأبي الأعلى المودودي، أنا تلميذٌ لأبي الحسن الندوي، أنا تلميذٌ لحسن البنا، أنا تلميذٌ لسيد قطب، أنا تلميذ لمالك بن نبي، أنا تلميذ للشيخ ابن عثيمين، أنا تلميذ للشيخ ابن باز.

هؤلاء كلهم لهم فضلٌ على كل شاب وعلى كل عجوزٍ مسلم، لهم فضائل وكل واحدٍ ورث خيرًا فيك! صنع

في داخلك وجودًا إسلاميًا من أجل تثبيت هويتك.. أنت الآن شخصٌ واحد امتزجت فيك كل هذه المعالم.

من يجهل هذا؟ الذي البارحة كان في الخمارة واليوم جاء ويريد أن يحمل السلاح ويقاتل ويظن أنه الموحد، جاءه شيخ قال له: أنت الذي تفهم في التوحيد، والبقية كلهم ضالين، والجماعات كلها منحرفة ولم يعرف التوحيد إلا أنت ولن ينتصر الإسلام إلا بك!

هذا هو المصيبة، هؤلاء هم الطامة، هؤلاء هم أخس خلق الله، وهؤلاء لن ينصرهم الله والسبب: لأنهم لا ينسبون الفضل لأهله، **(ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله)**.

أما الذي يعرف في يومنا هذا كيف وصل الإسلام، الآن كيف وصل، ما هو تاريخه المعاصر، رجل إذا ذكرت له العلماء يقول: من هؤلاء؟ عنده فقط يأتي واحد لا يحفظ الفاتحة ويقول –والله قابلت أقوامًا لا يتقنون قراءة الفاتحة ويقولون: نحن نفهم التوحيد أكثر من فلان وعلان من مشايخ أهل العلم–.

لا يقولن أحد لماذا الآن: لماذا أنت تحب أبي الأعلى هو كذا وكذا... أبي الأعلى المودودي، أنا أعرف، أنا أبصّر الناس بهؤلاء الرجال، أنا أعّرف الناس، قرأت لهم وعلِمتهم، ولكني أعتقد بأن كل عالمٍ من العلماء وضع براميل من الخير من الحليب الرائق في هذه الأمة؛ فتشكلت معالم الأمة، هذه الأمة التي ترونها الآن تصارع الجاهلية، والكفر يبذل المليارات ويخطط، بل مكر الليل والنهار تأمروننا أن نكفر بالله، القهر، سجن العلماء، هذا الذي ترونه الآن، ما الذي أوصل الجاهلية لمثل هذه الصراحة؟ جزى الله كل من أبان لنا هذا الدين، رحم الله الشيخ ناصر الألباني –أنا أسف لا تعتبوا عليَّ إذا نسيت عالماً من العلماء لما أذكرهم في هذه اللحظة– لكن كلهم علموا الخير العظيم الذي ترونه في دين الله وفي الفقه وفي التوحيد وفي معالم شخصيتنا وأفكارنا وموقفنا من الآخر.

هؤلاء جاهدوا وسُجنوا وبعضهم قتل، عبد العزيز البدري قتلوه وسيد قطب قتلوه وعبد القادر عودة قتلوه، فلذلك هذا الوعي على من أنت؟ من أنت؟

عندما رجل إذا ذُكر له شكيب أرسلان.. أو يُذكر له الحج أمين الحسين.. من هؤلاء؟! وهو يرى أنه هو الإمام، هو الذي حقق الخلافة وهو الذي نصر الدين وهو الذي تعلم التوحيد، والأمة جاهلة بالتوحيد.. حتى

جاء هذا..

جاهل! أنت جاهل! أنت لم تعلم هؤلاء، لم تعلم الشيخ الشنقيطي، لم تعلم الشيخ عبد الرحمن المعلمي، أنت لا تعرف شيئًا! ولذلك أنت دورك أن تقاتل لا أن تقيم الرجال ولا أن تتكلم في التاريخ ولا أن تعرف.. ولا يجوز لك، لا يجوز.. وكيف يقفز هؤلاء إلى المقدمة فيقودوا الشباب؟! لأن الجاهل يقود الجهلة أمثاله.

وبعد ذلك هؤلاء مثل القنبلة، القنبلة تثور مرةً واحدة فتصنع فقاعةً عظيمة ثم تعود بعد ذلك وإذا هي خابية.. لا يوجد قواعد علمية، لا يوجد تاريخ، لا يوجد امتداد فقهي وعلمي، فقط يصنعوا قنبلة والناس الصغار تغرهم، الأطفال كي يلعبوا يتعاملون مع الدين كما يتعامل أصحاب الفقاعات لهذه الاحتفالات الليلية.. تخرج باللون المتعدد ويقول: انظر هذه أجمل من النجوم!

يأتي أحدهم ويقول: انظر هذا الجمال، هذا أجمل من النجوم، وبعد ذلك تخبو وتبقى النجوم، تخبو وتذهب.

فهذا ليس تغيرًا بمقدار ما هو وعي على الواقع، ولا شك أن المرء يتغير..

يعني الموضوع الفكري: الإنسان لا يتغير لحظةً واحدة، يعني من قدر الله -للذكر هذه كان يقولها لي أبو مصعب السوري فك الله أسره- كان يقول: نحن جيلنا يختلف عن هؤلاء، أقول له: كيف؟ قال: يعني كي يستوعب الناس أنك أنت -يقول لي- أنك أنت تقرأ لمصطفى صادق الرافعي -هو لا يعرف مصطفى صادق الرافعي- وأنت مع صادق الرافعي قرأت لابن تيمية وابن تيمية قرأت لأنور الجندي وأنور الجندي قرأت لشاكر، يعني هذا الخليط كيف يتشكل؟

يعني فهم الدين بمثل هذا الاتساع، الذي يعيش في بيئةٍ واحدة وله شيخٌ واحد وكتابٌ واحد لا يصنع عنده هذا التنوع ولذلك لا يفهم الحياة على وجهها الصحيح! لا يفهم الحياة.

نحن صناعة واقعنا العلمي الإسلامي بكل جوانبه حتى في فنونه، حتى في أشعاره، حتى في آدابه، حتى في قصصه، أنا تربيت فترةً وأنا في السابعة عشر من عمري أكثر قصص نجيب الكيلاني قرأتها! قصص نجيب الكيلاني! وشكَّلت جزءًا من وعي على الحياة وفهمي لهذه الحياة، قرأت الصراع على «أولاد حارتنا»، قرأت

هذه القصة والصراع حولها مع نجيب محفوظ، قرأتها جزء من تكويني، ولذلك أفهم الصراع صراعًا متناهيًا متناميًا شاملاً، أفهم الصراع أنه على الشعر.

أنا لما أردت هذا مشروع «الألف كتاب» كان مقصدي العنوان الذي أردته في الابتداء هو بيان «مجلة شعر» التي قام عليها فلان وفلان وأدونيس وانسي الحاج وغيرهم، أن البنتاغون يدعم مجلةً شعريةً لشعر النثر الحداثي الجديد!! انظر البنتاغون يرسل السلاح ليقتلك ويرسل الشعراء من أجل أن يقتلك!!

من لا يفهم هذه المعركة! ماذا أصنع له! الرجل الذي لا يفهم مثل هذه المعارك، ويرى أنني إذا أخوضها وإذا فهمتها أن هذا ضعف في الإيمان وضعف في الحديث وكما ينتقد البعض، انظر لا يأتي بالأحاديث ولا يأتي بالآيات... كلام يقولونه في الخصومة...، تقع هذه الخصوم لأن الناس لا يستوعبون المعركة، لا يعرفونها، جهلة لا يعرفون المعركة، أو إذا خرجوا من بيئات إلى هذه المعركة، لا يعيشونها!

ولذلك المطلوب هو توعية الشباب على المعركة أنها طويلة، معركتنا طويلة ومعركتنا شاملة، ونحن نحتاج الآن إلى كل أنواع القتال، ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٧]، هذه جاءت بعد قضية الدعاية في قضية إسقاط دين النبي صلى الله عليه في قتاله في الأشهر الحرام، ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾، يقاتلونكم بالسلاح، يقاتلونكم بالدعاية، يقاتلونكم بالكلمة! يقاتلونكم...، النبي صلى الله عليه وسلم يمدح حسان ويقول له: (**اهجهم وروح القدس معك**)، روح القدس، جبريل الذي ينزل بالنصر على المؤمنين وبالهزيمة للكافرين كذلك ينزل بالتأييد للشاعر المؤمن حين يهجو الجاهلية.

موضوع الإعذار: لا، بفضل الله عز وجل، أنا في الموضوع الديني تلميذ ابن تيمية، أنا في هذا الجانب الحمد لله طول عمري، أنا نشأت تبليغيًا ومازلت أحمل هذا الإرث في جوانب جيدة ورثتها منهم وأفرح في وجودها بي، ولكن الجانب العلمي الحمد لله تربيته من شيخ الإسلام ابن تيمية، وهو إمام أهل الإعذار، هو الإمام، لا يوجد أحد يعذر العلماء ويعذر المخالفين كما يعذرهم أبصر الناس بهم وهو ابن تيمية رحمه الله، ابن تيمية هو أبصر الناس بخصوم السنة، وبالرجال وبالمذاهب وهو لعلمه بهم هو أكثر الناس إعذارًا،

فأنا لماذا أذهب إلى بنيات الطريق! واحد لا يعرف إلا كلمتين ثم لا يُعذر! لماذا؟ ولذلك أنا في هذا الباب

-باب إعذار المخالف- أنا تلميذ ابن تيمية، وللذكر «رفع الملام عن الأئمة الأعلام» هو ثمرة من ثمار ابن حزم، هذا الكتاب، هذا مأخوذ من ابن حزم عليه رحمة الله، مع شدة ابن حزم الكلامية إلا أنه يُعذر؛ يعني لا يُسارع إلى ما يُسارع به الجهلة.. هكذا هي أئمتنا.. عندما يعرفون الآخر وما مراده وهو ينكروه وكيف مآل كلامه؛ فيشددون على هذا الأمر في بيان ضلاله لأنهم يعرفون مآلات الكلام ولكنهم يعرفون منطلقات وغايات الرجل فيعذرونه؛ انظر إلى هذا الجمع الذي لا يجتمع إلا في قلوب فحول الرجال.

كيف؟ -أُعيدها- يعرفون مآلات الكلام، وأن مآلات هذا الكلام هو الكفر والنفي والزندقة، يعرفون مآلاته فيشددون ويغلظون على قائله ومع ذلك يعرفون منطلقات هذا الرجل وأنه أراد دين الله ونصرة الدين متأولاً للشريعة على وجهٍ من الوجوه؛ فيعذرونه.. الله أكبر، الله أكبر..

بصيرةٌ بالحق، بصيرةٌ بالباطل، رحمةٌ على الخلق، رحمةٌ على أصحاب الأقوال هذه؛ لأنهم يعرفون أهلها، يعرفون دينهم وحرصهم على الدين..

وأعيد كلمةً قلتها وسُجلت هنا: هل تريد أن تزاود على المخالفين؟ رأيناكم! لا نريد أن نتحدث، رأينا هؤلاء أهل الغلو.. رأيناهم كيف صمدوا! والله المرء يخجل لولا أن يعد هذا من التعيير والواقع لا يسمح لهذا؛ لتكلمنا كيف صمد هؤلاء الأبطال، كيف صمدوا في السجون وكيف ضاعوا وكيف تخرجوا منها وهم لا يحملون الدين!

تزاود على الدين أنت! تزاود على هؤلاء المخالفين! هؤلاء الذين تخالفهم وتسب عليهم فُتنوا وأُمتحنوا ودخلوا الأفران النارية ثم خرجوا ذهبًا صافيًا ثابتين على دينهم.. ورأينا هؤلاء الذين يزعمون الغلو كيف حالهم وما هو أمرهم..

فإذن أنت اعرف هذا الجانب من الإعذار يجب أن تعرفه، أن تكون بصيرًا بما هم عليه، هذا جانبٌ مطلوب أن تعرفه، ثم تعرف هؤلاء لماذا يقولون هذا؟ ومن هنا يأتي الإعذار.. ومن هنا تأتي الرحمة.. هذا جانبٌ علميٌ قاسي صعب وصلب، وهذا جانبٌ مبنيٌ على الرحمة والرفق، والله يحب هذا، **(الراحمون يرحمهم الرحمن)**، يرحمون أهل العلم، يرحمون أهل الإسلام، يأخذون بيد المتعثر، وإذا وقع لا يقولون: أضرب، ارمي عليه، لا تعن الشيطان عليه.. لا تثرب على الأخ تثريبًا يؤدي به إلى التزام الباطل كراهيةً لطريقتك في إيصال الحق له.

يعني هذا الذي أستطيع الآن أن أجيب عنه في هذا السؤال مع بقاء يعني مواضيع كثيرة في هذا الباب، ألخص أنه عليك:

أولاً: أن يتسع أفقك، عليك أن تعرف المعركة الإسلامية، عليك أن تعرف ماذا يريد الكفار منك، عليك أن تعرف حاجتك لكل مسلم، كما أن الكفر يتفق نحن بحاجة أن نفتح الأبواب ليأتي أهل الإسلام إلينا ونجتمع ونضع أيدينا بأيدي بعضنا البعض، لا نغلق الأبواب لنطرد الآخرين خارج عمل الإسلام، لا نفعل هذا، لا نفعل.. هذا فعل السفهاء، هذا فعل السفهاء!

المعركة الآن، من لم ير أن المعركة قد تغيرت، المعركة الآن هي امتدادٌ للمعارك السابقة، ولكن معالمها وأدواتها وظهورها ومقاصدها، الآن قد صار فيها الوضوح وفيها البيان، تغيرت! يا قوم المعركة تغيرت الآن.. الأمة تغيرت، هذا الخطاب الذي كان قديمًا لما يجري الآن الناس يعرفونه.. هناك كلمات...، أنا أقول لك: كم بذل ما يسمى بالسلفيين من أجل بيان الشيعة الروافض؟ كم بُذِل من أموال؟ وكم؟ وكم...؟ الآن الحمد لله، كم بقي ممن يؤيد إيران ويريد أن ينشئ معركة معها من تحت دعوة أن الناس لا يعرفونها، هذا كذب.. الناس يعرفون هذا.. المعركة بيِّنة.. من أعداؤنا؟ كم من الحكام كنت تبذل وتتعب وأنت تبين حالهم وتكشف كفرهم وزندقتهم، وخيانتهم للأمة؟

والآن لا تحتاج؛ الناس يتحدثون أكثر منك.. الناس يعرفون أكثر منك ويتحدثون أكثر منك، الحمد لله، هذا لا يعني أن الأول ذهب فضله! لا، الحمد لله جزاهم الله خيرًا، والسابقون؛ هؤلاء لهم الاعتبار ولهم التقدير ولهم الاحترام وعلى الرأس والعين جزاهم الله خيرًا.

إنما أتحدث عن هؤلاء الذين يريدون أن يعيدوا الأمة دائمًا إلى المربع الأول، الأمة مشت، فقط هذا شيء مما ينبغي أن أتحدث عنه.

أما أن السجن رقّ الإنسان: بلا شك! الحمد لله، والله لا أبيع أيام سجني بالدنيا بما فيها.. والحمد لله، أعطاني الله عز وجل في السجن عطاءً لا يمكن أن أحصله في الخارج، يكفي ما حصل في القلب من الثقة على دين الله، يكفي ما حصل من الثقة على وعود الله، رؤية الكرامات الإلهية.

للذكر -من باب الفضفضة-: لما يأتي أحد ويقول: يعني أثبت لي أن هذا السجين الذي كان يملئ الدنيا شغلاً ثم الآن يخرج.. أنا أفهم هذا! أعذرهم.. لأنهم لا يعرفون ما رأيت.. لكن اسأل أبنائي، اسأل أهلي، هل يرون كرامةً عظيمة عشناها؟ هذه كرامة توجب عليَّ الشكر والحمد والثبات على دين الله، عودني ربي عز وجل أن يجيب دعائي، عودني ربي سبحانه وتعالى بهذه الظروف أن أعرف فضله وكرامته وأنه لا يوجد شيءٌ لا يقدر عليه، وأنه فوق كل شيء، وبيده كل شيء، زادت ثقتي بالله، صرت أفهم معنى التوكل، والله كنت أقرأه وأقول: كيف يطبقه المرء؟ ولكني أفهم الآن كيف معنى التوكل على الله عز وجل عندما تفرغ من كل شيء، فلا تبقى إلا السماء! مع أنه لو ذكرت للبشر هذه الحالة لقالوا: لا حلَّ لها.. فيأتي الحل من السماء.

هذه أيام عشتها لا أبيعها بالدنيا كلها.. أعوذ بالله، الحمد لله على نعمه، الحمد لله على نعمة السجن، وأقول ما قاله ابن تيمية رحمه الله: «لو جاز لي أن أشكر خصمي على عقوبته الظالمة لي، لجاز لي أن أشكر خصمي على ما تحصلت من ظلمه لي من خيرٍ وفضل»، السجن ربا أولادي، السجن ربا أهلي، السحن رباني، أخرجني خلقًا آخر في مشاعري، صرت أعرف معنى الظلم، صرت أعرف معنى الظلم، صرت أعرف معنى أن يقول القاضي كلمة: اسجنوه فلا يعرف أثرها، تحدثت في هذا هنا في الصبر وعن الكلام عن المساجين.

صرت أعرف معنى السجن، صرت أعرف معنى الظلم، صرت أعرف معنى الوحدة، نسأل الله عز وجل أن يختم لنا بخاتمة الشهداء أنا والسامعين من إخواني والمؤمنين، صرت أعرف قيمة الدنيا أنها لا شيء.

هناك أمور -ماذا يتحدث المرء مع إخوانه- يعني من الأمور التي تطرأ على الذهن سريعًا بعض الناس يظن أنه لا يستغني عن هذا الشيء، وبعد ذلك يكتشف أنه وهم، يستغني عنه.

بعض الناس يظن أنه لن يصبر فيكون صبره كالجبال، هو يظن أنا لا أتكلم عن أن غيره يظن أنه لن يصبر، يعني مما ذكره محمد قطب عن سيد أن سيد قطب رحمه الله هذا الشخص الهادئ كانوا يتصورون أنه سيخضع لضعفه وهو رجل مسالم يتكلم بصوت هادئ فكان أصبر الناس!

حدثني أخ قال: ذهبنا سبعة إلى دائرة أمنية من أجل قضية التنظيم، وكان فيهم شاب صغير أصغرهم سنًا، فقالت الدائرة الأمنية -في بلد من البلاد- قالت: هذا أصغر المجموعة ولذلك بالضغط عليه سنعرف كل شيء، فأقسم لي هذا الأخ قال: كلنا انهرنا إلا هذا الصغير، كلنا انهرنا.

فبعض الناس لا يقول: أنا لا أصبر.. اصبر.. أسأل الله ألا يبتليك لكن تصبر، لا يغرنك الأشخاص، لا يغرنك الصراخ، لا يغرنك الفتونة، لا يغرنك الذي يفعل، لا، لا، الأسرار هذه داخلية.. أنت تتعلمها، تعرف قيمة إخوانك، تعرف قيمة زوجتك، تعرف قيمة الإخوة أن يكون هناك أخ تعرف منازلهم.

هذا ما أقوله.. وعلى كل حال جزاكم الله خيرًا، وبارك الله فيكم والحمد لله ربِّ العالمين.

٢٠٧- الكلام عن البوطي ومنهج الشيخ في الحكم على الرجال

ضمن الجلسة الثامنة عشر، بتاريخ: (**٢/٠٣/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٢٠/١١/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

هناك سؤال هنا مسجل، وأنا رأيت كذلك تعليقات على ما قلته من الكلام عن البوطي، المسجل أني لم أتكلم عنه وأنا قلت: أحتفظ بحكمه لنفسي، سوف أتكلم عن منهجي في هذا الباب، والأخ الذي نشره كتب أني أراه ضالاً ولا أراه كافرًا، جزاه الله خير، ليس له أن أخطئه ولا أن أصوبه، اسمعوا هذه القضية مهمة جداً عندي:

عندما يموت الرجل لا أعتني به كثيرًا إلا من جهة أثره العلمي في الناس، أما في حياته فشأنه الشخصي إذا كان إمامًا متبعًا أو عالماً أو هناك ثمة رابط بيني وبينه فأنا معنيٌ جداً بمعرفة عقيدته ومعرفة حكم الله فيه، أنا لا يهمني هناك رجل يمشي في الشارع أن أعرف بأنه مسلم أو كافر، ولكنه لو جاء في قضيةٍ ما، توجب عليّ أن أعرف عقيدته لكان لِزامًا عليّ أن أعرف حكم الله فيه، يعني جاء رجل استشارني أنه رجل يريد أن يتزوج ابنته فأنا معني أن أعرف دينه وأن أعرف هل يصلي أو لا يصلي، هل هو مسلم هل كذا... إلخ.

كما أكثر الناس في قضية صدام، ماذا يهمني على ماذا مات صدام؟ ما يهمني، ماذا يعنيني في هذا، لكن لو كان حاكمًا فمعني أن أعرف دينه، لو كان له شأن في حياته؛ فأنا معني أن أعرف هذا الشأن، لكن إن مات أنا أتركه لله، ماذا يبقى؟ يبقى أثره، الأثر هذا أنا معني بمعرفة الحكم عليه، يعني أنا لا يهمني كثيرًا أن أعرف حكم الله عز وجل في ابن عربي شخصيًا، على ما مات عليه، هذه قضية بينه وبين الله، لكن أنا معني بأن أعرف الحكم الشرعي في كتبه التي ورثها، فأثره باقٍ، هناك ناس ماتوا، ليس لهم أي آثار، فأنا لا يعنيني أن أتحدث عنهم كثيرًا عن هؤلاء الأشخاص، ماتوا وذهبت أثارهم ولم يبق منهم شيء، لماذا أكلف نفسي تكليفًا غير شرعي بأن أذهب فأعرف كيف ماتوا، وأتحقق في كيفية موتهم وذهابهم؟! لكن أن كانت بقيت لهم آثار فأنا معني بمعرفة حكم هذه الآثار التي تركوها.

من أجل هذا أنا لما ذكر البوطي يعني ابتعدت، لماذا؟ لأنه لا يهمني الآن، له كتبٌ علمية، بغض النظر عن

قيمتها العلمية يعني القيمة العلمية أنا لا أرى في الحقيقة أي قيمة علمية للبوطي، يعني البوطي يتقن الضرب على الطبل، أبحاث في القمة، كبرى اليقينيات الكون، يتقن هذا البوطي، يتقن القرع الشديد ليصنع صوتًا ما نحو ما يكتب، يتقنه كان يتقنه، ولكن عندما تذهب إلى كتبه لا تجد لهذا الصوت حقيقة، هذه القضية محسومة عندي الناس يخالفونني، يعني عندما يقول: «ضوابط المصلحة» وماذا فيه؟! ثم يقول كما روى عنه بعضهم أنه يقول: طلبة العلم لا يفهمونه؛ وكأنه أتى بالذئب من قرنيه وليس للذئب قرنًا.

فالرجل مات وكتبه أنا لا أهتم بها؛ لأني خبرتها، ولما أسمع له، كنت أسمع له وأراه فقط هكذا يعني يرتب الكلام من غير أي فائدة علمية تليق بدعواه، الرجل مات، لماذا ألاحقه، أنا ألاحق أثره، وهذا تكلمت عنه، موقفه من الطواغيت هذا تكلمت عنه، بأن هذا يجب أن يُجتنب، وأن هذا الموقف ضال، ولا أعذر فيه أمثاله، في موقفه من الطاغوت، هذا الذي يهمني أنا.

فلذلك إذا جاء رجل يسألني عن شخص ما، فهذا السؤال مشروع، ولا أتأفف منه ولا يعني أقف منه موقف المتحسس، لا، ولكن أنا أنظر، لو سألني سائل هذا رجلٌ حي فأنا معني أن أعرف حكمه، ومن هنا بعض الناس يعني أراد أن يقارن بين قولي في البوطي وبين قولي في رضوان ورسلان، هؤلاء مجرمون، هؤلاء الضالون، هؤلاء الكفرة، هؤلاء الذين والوا أعداء الله، وما زال شرهم وسمومهم تعيش في الأمة، وما زالوا يحرضوا على قتل المسلمين وما زالوا يوالوا الكفرة المشركين والعلمانيين في قتل المسلمين، هؤلاء نتكلم عنهم مثلما نتكلم عن رجل مات وباد وانتهى أمره!! والله لو كان حيًا لسمعوا مني مثل ما سمعوا في غيره، وكما أقول: في غيره.

فلذلك على الإخوة أن ينتبهوا لهذا الأمر، أنا أخاطب طلبة العلم، هذه الأسئلة ليست لرجلٍ عامي، وأنا أتعامل أن هناك ثمة قواعد عامة لطالب العلم يعرفها، ويبني عليها، ومن الخطأ أن يقف المرء فيشرح نفسه في كل سؤال، هذا واحد.

فمن أجل هذا لا يهمني الآن البوطي، هذا السؤال لم يهمني كثيرًا، كان ولو راجعتم الجواب على سؤالي لرأيتم أني اهتم بالتأصيل أكثر من اهتمامي بشخصه، أن أهتم بالتأصيل، الذي كان يعنيني كذلك ألا يكفر بعضهم بعضًا في قضية الاختلاف في البوطي، يعني الواقع هو الذي يحكم الجواب والاهتمام بجوانب الجواب، هناك الجواب له جوانب متعددة، فربما تمر على جانب مرورًا سريعًا، وربما لا تهتم به لعدم اعتناء الناس به، ولعدم

أثره في الواقع، وتهتم بالجوانب التي لها أثر ولها اهتمام بالواقع.

الآن الذي يهمني هو موقف الرجل فيما كان عليه وتكلمت عنه، مات فهو عند الله، هل هو في جهنم في سقر مع أبي جهل وأبي لهب ومع كل هؤلاء الطواغيت الذين والاهم وسيرى أين مستقر من دافع عنه حافظ الأسد، وقريباً إن شاء الله يلحق به ابنه فيعرف مستقره، وكذلك سيعرف مستقر باسل الأسد الذي قالوا: أنه قال عنه: أنه يجزم بأن له جناحين في الجنة، يطير بهما حيث شاء عن باسل الأسد هذا المجرم اللعين الذي هو من أسوأ الناس دينًا وخلقًا فيما يعرفه الناس، فهذا الرجل أفضى إلى مقدم، فهل أنا أقف الآن بين يدي الله ليقول له: هذا أين هو؟ وأين يذهب؟ أما أنا أتكلم عن أثره هذه نقطة.

النقطة الثانية: أنا يهمني ما هي الجوانب، الناس قد اختلفوا الآن فيه، يختلفون فيه، فلماذا يكفر بعضهم بعضًا؟! امشي في طريقك، ما دام اتفقنا أن هذا الرجل خارج حسابات الهدى التي يهتدى بها وأن قوله معتبر في هذا الباب أخرجناه، فامشي في طريق، لا تقف، لا تجعل مشكلة بيني وبينك بحيث يترتب عليها أن أكفرك وتكفرني أو أقاتلك أو تقاتلني، اتركوا هذا الأمر.

ولذلك أنا حزنت أن أحدهم قال: منذ بداية الجهاد إلى يومنا هذا ونحن مختلفون في البوطي، لماذا تختلفون!! هذا أمرٌ لا يهمكم أمشي.

لما مات صدام حسين، الأسئلة كلها تنهال على ماذا مات؟ قالوا: لكل وجهة موليها رجل، الرجل مات، واحد يقول: من ختم له بلا إله إلا الله دخل الجنة، الأخر يقول: لا، هذا بشروط أن يكفر بالطاغوت وهو لم يعلن براءته من حزب البعث المعروف بأن عقائد حزب البحث عقائد كفرية، وأن الإسلام -كما يقولون- هو مجرد فترة تاريخية من فترات هذه الأمة التي تجاوزتها إلى هذه العنصرية القومية التي يتبناها حزب البعث، فهل كفر بهذا؟! لا ندري، أنا لا أدري في الحقيقة، فرجلٌ مات فلماذا نختلف فيه؟ عند موته ما ندري على أي شيءٍ ختم له، وأنت لست بوابًا للجنة ولا أنا بوابًا لها، ولست أنت بوابًا للنار ولا غيرنا، هذه بيد الله عز وجل.

لكن الرجل حين يكون حاكمًا وحين يكون له شأن في الحياة؛ فمعرفة ذلك إذا ترتب عليها أحكامٌ شرعية وقضايا الخروج وقضايا الجهاد وو... إلخ، هذه من الواجب معرفة حكم الشرع فيه.

فمن أجل هذا الرجاء من الإخوة الأحبة ان يراعوا مثل هذه القضايا وهو النظر إلى أهمية السؤال والنظر إلى قيمتيه العلمية، القيمة العلمية بمعنى ما هو مطلب الشارع منك في هذا الباب، ما هو مطلبه، أين يريد منك الشارع أن تقيم العلم الواضح وأين لا يريد منك الشارع أن تهتم بهذا الباب، قد يقول قائل: طيب عند موته أأصلي عليه أم لا أصلي عليه؟ لا، لا تصلي عليه، على المذكورين أقصد صدام والبوطي لا تصلي عليهم، لو أنك حضرت الصلاة لا تصلي عليهم، وهذا هو الأولى والدين.

على كل حال أنا بقيت على هذا الأمر ولا أريد أن أزيد لأن الموضوع العلمي أهم عندي من أن تعرف قولي فيه.

وثانيًا: قد نتفق على القواعد ونختلف على التنزيل، يعني هذه مسألةٌ علمية، العلماء يتفقون على أن السنة هي مصدرٌ من مصادر التشريع، وأن الحديث الصحيح إذا صح يجب الأخذ به، ثم بعد ذلك كيف ينزلون هذا؟ هل هذا صحيح أو غير صحيح، هل هذا كذا، بما تعرفون من قضايا الاجتهاد المتعلقة بالنظر في النص.

هذا الذي عندي وبارك الله فيكم وجزاكم الله خيرًا على الاهتمام وعلى أن نفتح مرةً بعد مرة مثل هذه القضايا من أجل أن يتعلمها الناس والحمد لله رب العالمين.

٢٠٨- رأي الشيخ بالأستاذ نجم الدين أربكان

ضمن الجلسة الثامنة عشر، بتاريخ: (**٢/٠٣/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٢٠/١١/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل يقول: ما حكم نجم الدين أربكان؟ متابع من تركيا.

جواب الشيخ: رحمة الله عليه، يعني نجم الدين أربكان رجلٌ ممن جاهد كثيرًا جدًا في تثبيت الهوية الإسلامية لتركيا، تعرفون أن تركيا عانت كثيرًا من العلمانيين الكفرة، من مصطفى كمال ومن أبنائه -أبناءه السياسيون المقصود- الذين تابعوه، فحاربوا الإسلام حربًا شعواء. وحقق عدنان مندريس بعض الاختراق، بأن أعاد الأذان باللغة العربية؛ حقق بعض الاختراق وليس كثيرًا، ثم جاء نجم الدين أربكان رحمة الله عليه، فجاهد جهادًا عظيمًا في إعادة تثبيت الهوية الإسلامية.

المسالك التي سلكها اجتهد فيها، ولكن مقصده عظيم، وكان هذا المقصد يحتاج إلى مثل هذا الجهاد، الذي صبر فيه في بناء جماعةٍ وبناء حزبٍ ودعوة وو... إلخ.

وأنتم تعلمون أن أتباع أربكان الآن على الخلاف مع أردوغان؛ يرون أن أردوغان خان الأمانة التي حمله إياها أربكان.

على كل حال، باختصار: هذا رجل يستحق الإشادة، أنا أحبه جدًا وأحترمه، وأرى أنه على خير عظيم، حتى علي عزت بيغوفيتش من يقرأ كتبه يراه حكيمًا، أنا يهمني أن أعرف الرجل خلال عصره ما الذي يمكن أن يفعله، العصر يكون مغلقًا، أربكان جاء إلى تركيا والعلمانية فيها فاشية وقاسية وشمولية، يمنعون البنات أن يدخلن الجامعات محجبات، بل يمنعون المرأة أن تدخل من أجل أن تلد وهي محجبة، يمنعون الإسلام، يمنعون مظاهره، يمنعون أن يلبس الرجل على رأسه لأنه مظهرٌ إسلامي، فمقدار ما يحقق هذا الرجل من إعادة الهوية الإسلامية.. هذا شيءٌ عظيم.. وكذلك ما حدث في البوسنه، المواقف السياسية هذه يمكن أن يعفى عنها أمام هذا الجهاد وأمام هذه المهمات العظيمة التي قام بها هؤلاء.

رحم الله نجم الدين أربكان، ونسأل الله عز وجل أن يرفع درجته في الصالحين، وأن يغفر لنا وله، فكلنا أصحاب ذنوب، وهذه الاجتهادات، الناس يختلفون فيها ويخطئّون، والمجال هو مجال تخطئة وليس مجال تكفير وإخراج من الملة، هؤلاء مجاهدون، بذلوا أرواحهم في سبيل هذا الدين، سجنوا في سبيل هذا الدين، من أجل تثبيت الهوية الإسلامية للمجتمع.

بارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٢٠٩- رأي الشيخ بجماعة «الصادعون بالحق»

ضمن الجلسة الثامنة عشر، بتاريخ: (**٢/٠٣/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٢٠/١١/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل أخ: ما رأيك في الشيخ مصطفى كامل محمد أمير جماعة الصادعون بالحق؟ وهل توجد حدود للمرحلية في الأحكام، في بداية الدعوة لم تكن فراغ ولا يجوز إسقاط بعض الأحكام كلها مثل حلق اللحية، فريضة الحج، الحجاب أمانة بقضية المرحلة.

جواب الشيخ: في الحقيقة أنا تكلمت عن جماعة الصادعون بالحق، -وأعيد فقط بسرعة- أنا لا أحب لأي جماعة أن تجعل مرجعية لها غير الكتاب والسنة، لا أحب، حتى لو قالوا: أن مرجعيتنا هو ما قاله ابن تيمية مثلاً في الفقه، أو مرجعيتنا الشافعية أو مرجعتنا الحنفية، فلا أحب هذا؛ لأن هذا تقييد للحق في شخص بغير ما قيده الشارع، الشارع قيد الحق بالكتاب والسنة فقط، وكل ما سوى ذلك كما قال إمام دار أهل الهجرة: «كلٌ يؤخذ من قوله ويرد، إلا صاحب هذا القبر» أي النبي صلى الله عليه وسلم، فكيف إذا جعلوا مرجعتيهم لرجلٍ ليست له أقوال واضحة إلا عموميات؟! وهو الأستاذ سيد قطب رحمه الله، هذا خطأ.

فسيد قطب لا يقدم فرعيات وأجوبة على الأسئلة، إنما يقدم كليات؛ ولذلك كما قلت في مناقشة كتاب «حد الإسلام»: احتاج إلى رجلٍ آخر ليؤصل فقهه ويؤصل قضاياه الكلية من خلال الأصول الشرعية العلمية، فهذا الذي يعني أقوله.

وثانيًا: في الحقيقة هذه الجماعة يعني هل هي جديدة نحن نعرف مثلاً: الأستاذ رحمة الله عليه عبد المجيد الشاذلي له جماعة اسمها جماعة السنة والجماعة، وكانت دعوة السنة والجماعة، له اسم بهذا، ونرى أفراد من يحب هذه وينتمي إليها فيهم الالتزام بالسنة بخلاف ما رأينا في هؤلاء الأفراد الذين عرضوا موضوع البيان الأول والثاني وغيره من الصادعون بالحق فلا نرى عندهم الالتزام بالهدي الظاهر المطلوب في هذا الباب، هل هو تقليد للسيد؟! يعني نحن على معنى ما فعله سيد، حتى لو كان من نقائصه! طبعًا من نقائصه بلا شك أن ترك السنة وترك اللحية هي منقصة ولا شك، لكن لا ينبغي هذه المنقصة أن تعود على شيءٍ آخر من الفضائل بالإبطال

ولا بالتقييد، فلا نرى عندهم الالتزام بالسنة في هذا.

أما في الحديث والسؤال عن الشخص فأنا لا أعرفه، لم نعرفه إلا من خلال الإعلان عن موضوع الصاعدون بالحق ولما رجعت؛ وجدت هذا القيد ينبغي أن ينبه عليه القوم.

وثانيًا: يعني هؤلاء أين هم؟ يعني العالم الإسلامي الآن لا يحتاج إلى البيان، فالبيان قد تم، نعم، نحن بحاجة إلى تكرار البيان، ولكن ليس هو البيان المبتدأ به، هذا بيان لتكرار والتأكيد، بيان موقفنا من الطاغية من الطواغيت من الجاهلية من كذا، فهذا أمرٌ يعني قد مشى الناس فيه سيرًا جميلاً حسنًا ووصلوا إلى المواجهة المسلحة والحمد لله الجهاد موجود في بلاد المسلمين، يعني الناس تجاوزوا هذا، أما كشخص أنا لا أعرفه، ولا أعرف له كتبًا غير ما صدر، فلا يجوز لي أن أتحدث في هذا الباب.

موضوع المرحلية يا أخوتي يعني هذا تكلمت عنه كثيرًا، المرحلية وضعت في السياق النبوي وليس لوضعٍ إلهي هكذا بلا معرفةٍ بالواقع، يعني يأتي لنا مثلاً حزب التحرير فيقول: الطريقة النبوية في إقامة... فينبغي أن نمشي بهذه الطريقة، الواقع هو الذي يفرض عليك الطريقة وليس أن تنزل بالطريقة بالبراشوت على الواقع فتعجل الواقع وتريد أن تغيره وتصنع واقعًا جديدًا أو تتجاوز أركان هذا الواقع الذي تتعامل معه، الطريقة هو أن تنظرها واقعك، ما هي الطريقة لهذا الواقع الذي بين يديك؟ أن تعرف له وصفه وأن تتصوره تصورًا صحيحًا، ثم تُنشئ له الأحكام الشرعية الملائمة في الكتاب والسنة لمثل هذا الواقع، هذه الطريقة الفقهية ثم ذلك تسلك في تحقيق هذه الأحكام الشرعية على الواقع بما يقوله الشارع وبما هو متاح ومسموح، هذه هي القضية فربما تؤخر القضية لعدم وجود مقتضاها، وربما تؤخرها لضعف قدراتك فيها، وهكذا.

ولكن لا تفرض أنت حكمًا منزلاً هكذا على واقعٍ مختلف، الفتوى الشرعية مبناها على معرفة الواقع أولاً، الحكم على الشيء بعد تصوره، أولاً نعرف ما هو على حقيقته، ثم تبحث في الشرع عما يناسب هذا الواقع من أحكام شرعية ثم بعد ذلك يأتي التطبيق، والتطبيق له موانع كثيرة، له شروط كثيرة، فأنت تسلك بما تقدر عليه؛ فسلوكك هذا بما تقدر عليه ليس هو بمرحلية تفرضها في الابتداء، الواقع هو الذي يفرضها عليك، يعني هذا أمرٌ ينبغي أن ننتهي منه، ونحن لسنا أطفال نعيد تركيب العربة أمام الحصان! نعيد ونكرر ونقع في نفس الأخطاء!

فموضوع المرحلية ينبغي أن ننتهي منه النبي صلى الله عليه وسلم أستخدم السرية لأنها الملائمة لعصره، فلما

ذهب أثروا هذه السرية وبدأ يفشوا وبدأ يعلن وهكذا، ومشى بهذا بما يلائم الواقع، ونحن لا ينبغي أن نعود ونقول: أن حياتنا اليوم هي كحياة النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الوقت، لا، في بلادنا فيها المساجد نصلي ولا نقول: لا، نوهم السرية في الصلاة، كانت الصلاة الإسرار بها هو مطلب، اليوم الإسرار بالصلاة، كيف تسر بالصلاة؟! لكن أن تسر في عملٍ عسكري، أن تسر في عملٍ ما، ألا تظهره لأمرٍ أنت لا تقدر عليه وعلى نتائجه ولعدم القدرة عليه، فهذا أمرٌ يعني الشرع فيه ما يجيب على هذه الأسئلة، علينا أن نتعلم الفقه على ما هو عليه، علينا أن نتعلم الواقع وأن نعرف وصفه الصحيح، ثم نبحث عن حكم الشرعي الملائم له، ولا ننزل بالأحكام هكذا، نحضر الأحكام وننزلها على الواقع أصابت هذا الواقع أم أخطأته.

بارك الله فيكم الحمد لله رب العالمين.

٢١٠- نبوءات يهودية حققها حاكم عربي

ضمن الجلسة الثامنة عشر، بتاريخ: (**٢/٠٣/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٢٠/١١/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: شيخي الحبيب سمعت لك خطبةً قديمة تتكلم فيها عن اليهود وذكرت فيها أن السد العالي هو مشروع يهودي من شخصٍ يهودي.

جواب الشيخ: لا بأس سأتكلم عما عندي، أول قضية في هذا الباب أن جمال عبد الناصر حسين وهو رئيس جمهورية مصر العربية الذي أخذ الرئاسة من محمد نجيب بعد قيام الثورة ضد الخديوية؛ فهذا رجلٌ يهودي، هذا جزمًا، جمال عبد الناصر يهودي قد يقول قائل: لماذا تهتمون أنتم بأنه يهودي أو غير يهودي وهناك ممن هم من آباء مسلمين ومن أصلاب مسلمة هم أكفر وأسوء وأظلم من جمال عبد الناصر؟ كلامهم صحيح، لكن هذا يؤكد لنا أمورًا أخرى، ما هي؟

أولاً: بأن بحثي وبحث طالب العلم وبحث المؤرخ في دين عبد الناصر يفسر لنا بعض الأمور الخفية، يعني عندنا نحن قذرين ممن يبيعون دينهم لليهود، ولكن لا يهتمون بتنفيذ نبوءات التوراة، يعني هناك حكامٌ مرتدون يوالون أعداء الله، يوالون اليهود، يتعاملون معهم سرًا، لماذا؟ من أجل مصالحهم ﴿رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ [الأنعام: ١٢٨]، يستمتع بعضهم ببعض، هم والشياطين، والشياطين وهم علاقة المتعة بينهم، وهو يريد أن يحفظ ملكه، ويريد أن يجني المال منهم، يريد أن يرضى عنه اليهود والنصارى من أجل أن يستقر حكمه وتعطى لهم الأموال، فمبعثه هو ﴿اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾ [النحل: ١٠٧].

لكن لا يمكن أن نتصور أن مرتدًا كفر بالله يأتي إلى التوراة لينفذ نبوءاتها اعتقادًا بما فيها إلا إذا كان يهودي، ومن هنا كنا البحث في دين عبد الناصر مهمًا في هذا الباب، ليس لأنه أقل إجرامًا من غيره من المرتدين، بل لأنه هو من أسوء ما مر على العرب من حكام مع وجود منافسين له، ولكن النظر إليه مهمٌ لمعرفة تصرفاته باعتبار نبوءات التوراة.

أما يهودية عبد الناصر فقد كشفها جماعة كثر، مثلاً: محمد نجيب كشف يهوديته، اعتماد خورشيد في كتابه

«المشير وأنا» كشفت يهوديته، وهناك إجماع أنه نشأ في حارة النحاسين اليهودية، يهود القرائين، نشأ هناك في حارة اليهود، حتى هذا السيسي نشأ في حارة اليهود كما يذكرون لكنه ليس باليهودي إلا إلحاقًا بهم، بحكمهم، وأما عبد الناصر فهو يهودي من أبٍ يهودي.

وللذكر فقط والد جمال، عبد الناصر حسين تزوج أم كوهين، يعني أم كوهين كانت زوجة لرجلٍ يهودي آخر انجبت منه كوهين، كوهين هو الجاسوس اليهودي الذي كان يعمل في داخل حزب البعث والقيادة السورية في وقتٍ من الأوقات، ارجعوا إليه تجدون تراجمه وقبضوا عليه فورًا وأعدم وقبل أن يتم التحقيق معه قتل وأعدم من أجل أن يستروا مخازيه وأفعاله –لا نريد أن نتحدث كثيرًا عنه– لكنه يهودي.

هذا كوهين الديانة كانت أمه متزوجة من رجل انجبت كوهين ثم بعد ذلك تزوجت عبد الناصر حسين والد جمال عبد الناصر، كيف عرفنا ذلك؟ أحد الإخوة أخبرني بنفسه أنه قرأ في جريدةٍ تركية أن أخوات كوهين ذكرن أن عبد الناصر كان يرسل لهم الأموال ليبر بهم، فعبد الناصر هو يهودي ومن اليهود القرائين.

من هم القرائين؟ هم أتباع داوود اليهودي، هذا داوود اليهودي قديمًا كفر بالتلمود، فاليهود بالنسبة للتلمود على مذاهب، اليهود القرائين لا يؤمنوا بالتلمود يؤمنوا فقط بالتوراة ويرون أن التلمود أكذوبة، وهناك كتاب صغير لجعفر حسين وهو كتابٌ قيم، هذا الرجل عراقي وهو يقيم في بريطانيا، كتب كتبًا عن اليهود منها اليهود القرائين وكتب عن اليهود الحسيديم، وله كتب أخرى، ولكن نتكلم عن هذين الكتابين في قضية اليهود من أفضل ما كُتب عن اليهود القرائين واليهود الحسيديم، الحسيديم يعني اليهود السلفيين! يعني اليهود المتعصبين لجماعة الإحسان اليهودية، يعني كما يقال سلفية إسلامية أولئك سلفية يهودية الذين يتقيدون بالنص وغيره.

فاليهود القرائين لا يؤمنوا بالتلمود وإنما يؤمنوا فقط بالتوراة وجمال عبد الناصر كان يهوديًا قرائيًا، وهناك من كشف يهوديته، فهناك بعض البحاثة الفرنسيين لهم كتاب عن عبد الناصر وصحفي فرنسي له كتاب اسمه «عبد الناصر من حصار الفالوجة إلى الاستقالة المستحيلة» الاستقالة التي تمت بعد «١٩٦٧م» الألعوبة حتى أرسل لي أحد الإخوة نصًا لعمر موسى في كتاب مذكراته أخرج كتاب سماه «كتابية» اعترف بأن المظاهرات التي قامت من أجل منع عبد الناصر من الاستقالة كانت مرسومة، كما يقول الإخوان المسلمون وغيرهم وقد أصابوا في هذا، بأن هذه الاستقالة ألعوبة وليست من الحقيقة في شيء.

الآن إذا أقررنا هذا يمكن أن نفسر لماذا عبد الناصر مجرم؟ ولماذا كان يفعل هذه الأفاعيل؟ هل هو لأنه مرتد وكاره للإسلام؟ يمكن ذلك، ولكن أفعاله بالنظر للتوراة نجد أنها تتسق مع نبوءات التوراة، هنا النقطة، فمن أجل هذا من المهم أن نعرف أن عبد الناصر كان ينفذ نبوءات التوراة.

طبعًا عبد الناصر علاقته مع اليهود قديمة، في كتاب «فلسفة الثورة» الذي هو لعبد الناصر، لكن في الحقيقة الذي كتبه هو محمد حسنين هيكل الصحفي المعروف الذي استلم في زمن عبد الناصر مرة وزارة الإعلام وكان قائمًا على «الأهرام» وهو أكبر مصفق حتى مات لعبد الناصر ومن أتباعه ومعظميه ومن الكذابين، كتبه نافعة اقرأوها لكن احذروا من السم المدسوس في الدسم.

القصد: في كتاب «فلسفة الثورة» المنسوب لعبد الناصر، ذكر شيئًا انتشر عن عبد الناصر وهي علاقته خلال حصار الفالوجة، فالقوات المصرية حين دخلت عام «١٩٤٨م» وحوصرت في قرية الفالوجة الفلسطينية وقرية الفالوجة اسمها مأخوذ من الفلوجة أهلها رحلوا من العراق واستقروا في فلسطين فحملوا اسم بلدتهم القديمة فسميت الفالوجة فالفالوجي أصله من العراق من الفلوجة، فصار هناك حصار للكتيبة المصرية وكان زعيم الكتيبة قائد وطني محترم اسمه أحمد عبد العزيز وهذا قتل، وقتل في ظروف غامضة وأغلب الظنون أن الذي قتله هو عبد الناصر مع رفقائه عبد الحكيم عامر وغيره هم قتلوه، ومما يذكر أن أحمد عبد العزيز كان من الإخوان، يذكر هذا ولا شك أن الجيش المصري كان فيه من الإخوان كما هو معروف عن كمال الدين حسين وغيرهم.

القصد: يقول فيها: بأنه كانت تأتي سيارة يهودية من الإسرائيليين تحمل مكبر صوت وتنادي: أخرجوا لنا قائد الكتيبة المصرية فيخرج عبد الناصر ويبقى ليلة ليلتين عند اليهود عندهم، هذه اشتهرت عند الجيش ففسروها وأولوها في كتاب فلسفة الثورة بأن عبد الناصر كان يفعل ذلك من أجل أن يجلس مع اليهود ويعرف من هم أعداءه، طبعًا هذا تأويل واضح وكذب ودجل وليس بهذه الطريقة يعرف، القصد أن هذا من أدلة كثيرة بأن عبد الناصر يهودي.

الآن بالنسبة لما ذكرنا من يهوديته، انظر أن اليهود بعد «١٩٦٧م» لم يقع حرب في «١٩٦٧م» ولو رجعتم إلى وثائق الحرب في «١٩٦٧م» عبد الناصر كان يصرح قبلها بأنه لا يوجد عنده خطة للقتال ومع ذلك أغلق مضائق تيران وسحب القوات الدولية، وكانت مهزلة لم يقع فيها قتال، يقولوا: سبعة أيام أو ستة أيام وهي

سبعة ساعات انسحب الجيش المصري في مهزلة كبرى وقتل منهم، وظهر بعد ذلك بعض وثائق كيف كانوا يذبحون الجنود المصريين المستسلمين لهم بسكاكين المطبخ، وبعد أن وقع هذا الفعل خرجت الجرائد الصهيونية المتصهينة في الغرب تدلل على أن طريقة انسحاب الجنود المصريين مؤكدة لنبوءة التوراة وهي: «أعطيك أقفيتهم وأدبارهم تقتلهم وتفتيهم هكذا يقول السيد الرب» هذه نبوءة توراتية، بعد ذلك التوراة دمرها بيغن لأن النبوءة تقول: عندما يعود اليهود إلى أرض الميعاد على خلاف عندهم عندما يأتي الملك ولا يأتي الملك، فما ترونه من بعض اليهود من كراهية دولة إسرائيل ديانةً لأنهم يرونها مخالفة للتوراة بأنه لا تقوم دولة اليهود إلا بعد أن يأتي الملك المخلص، الذي هو المسيح الدجال.

فالقصد: أنهم حملوا هذه النبوءة وقالوا: هذه تدل على أن التوراة صحيحة وأن نبوءاته تطبقها دولة إسرائيل المعاصرة ومنها «أعطيك أقفيتهم وأدبارهم تقتلهم وتفتيهم هكذا يقول السيد الرب»، هذا في سفر إشعياء موجود هذا النص؛ فإذن التوراة صحيحة هذه النبوءة تقع! فكيف وقعت النبوءة؟ إلا دلالة على أن التوراة صحيحة، وأن هذه الدولة تطبق نبوءات التوراة، طريقة انسحاب عبد الناصر الأمر بالانسحاب الكلي من أجل أن تقع هذه النبوءة.

للذكر ذكر لنا أستاذنا محمود أبو القاسم عليه رحمة الله أبو الأمين –والقصة لم أعد أذكر تفاصيلها–: أن عبد الناصر اطلع على التلمود، وتعرفون كما قال عبد الوهاب المسيري: لا يوجد أحد في الدنيا استطاع أن يقرأ هذا الكتاب؛ لأن كل عالمٍ من علمائهم يضع تفسيرًا للتوراة أو نص ما فيلحق بالتلمود ولذلك هو كبيرٌ جدًا.

القصد: بأن هذا التلمود أراد بعض علماء المسلمون أن يترجمه وتحصل عليه، فطلبه عبد الناصر فاختفى هذا التلمود، أخفاه عبد الناصر، وقد يقول قائل: لماذا يخفي التلمود؟! التلمود فيه مصائب وطامات يعني ارجعوا لكتاب قدم له أستاذنا رحمة الله عليه مصطفى الزرقا واسمه «الكنز المفقود فيه أحكام التلمود» هذا كتاب مهم كشف فيه قضية قتل اليهود للدكتور توما في دمشق كما كتب القصة نجيب الكيلاني من أجل دم فطيرٍ يهودي، أن التلمود يقول: بأن هذا العيد اليهودي يجب أن يؤكل الفطير يخلط بدم واحد من الغوييم فالنصارى منهم، فقتلوا هذا الدكتور توما، طلبوه وقتلوه وخلطوه بالدم، وكشفوا هذا زمن الدولة العثمانية.

القصد: أن مثل هذه النصوص لو ترجمت لكشف الناس ما في التلمود، وصاحب كتاب «الكنز المفقود في

أحكام التلمود» وهو شخص أجنبي لا أذكر اسمه، كشف هذه النصوص من التلمود، ذهب إلى التلمود وبحث عنها ووجدها، أنا ابتعدت كثيرًا، ولكن لأهمية هذا البحث، فالقصد: بأن هذا يثبت يهودية عبد الناصر.

بقيت قضية السد العالي: ولا شك أن السد العالي يحتاج إلى دراسة وهناك نبوءات في التوراة كما أخبرنا أستاذنا محمود أبو القاسم وهو قسم نبوءات التوراة إلى قسمين: نبوءات كبرى ذكرت أكثر من مرة، ونبوءات صغرى، قال فالنبوءات الكبرى موجودة في التوراة –وأنا راجعت هذا بنفسي، أنا فقط من أجل نسبة العلم لأهله– أن من نبوءات التوراة الكبرى وهي تدمير مصر، وهذا في سفر إشعياء موجود وتكررت عدة مرات أن تدمر مصر، بغض النظر هذه مصر القرآن أو مصر أخرى، لكنهم يعتقدون هذه مصر هي مصر التوراة، هم يعتقدون هذا، وبدراسةٍ تحتاج إلى تطويل في الكلام وبحث بأن أفضل طريقة لتدمير مصر هي بناء السد، فبني السد على هذا المعنى ومن أجل تدمير مصر، ولذلك لو قصف هذا السد أو دمر أو كذا لذهبت القاهرة وهلكت.

هذا هو الذي عندي في هذا الباب، والأمر بلا شك يحتاج إلى تطويل وإلى بحث في كيفية نشوء فكرة السد وأنه تحقيق لنبوءة التوراة وأن منافعه لمصر ولنيل مصر ولزراعة مصر هي موهومة ومكذوبة، وهذا يحتاج إلى بحث طويل وإلى دراسة غير ما سمعته، يحتاج إلى دراسات جديدة في واقع السد في كيفية تدميره لمصر فيما لو وقع.

والحمد لله رب العالمين.

٢١١- سنن الإمام الدرامي

ضمن الجلسة الثامنة عشر، بتاريخ: (**٢/٠٣/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٢٠/١١/٢٠١٧ م**)

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى صحبه الغر الميامين وعلى من تبعهم بإحسانٍ وهدى وتقى إلى يوم الدين.

يسأل أخ: ما مدى صحة الأحاديث في سنن الدارمي؟

جواب الشيخ: في الحقيقة مثل هذه الأسئلة هي التي تريح النفس، وتعبر عما يحب المرء من الحديث عنه وربما أتوسع قليلاً في الحديث عن هذا السؤال محبةً في مثل هذا النوع من الأسئلة، ولأن علم الحديث هو العلم الذي تحبه النفس وتشتهيه، وتتمنى أنها لو لم تشتغل إلا فيه، ولكنها الدنيا ومصائبها ومشاغلها وأقدار الله عز وجل علينا.

كتاب سنن الدارمي، أو مسند الدارمي، أولاً: هذا الإمام الدارمي رحمه الله، طبقة عليا من الطبقة العليا، وهو من شيوخ مسلم وأبي داود والترمذي، وقد أخرج له مسلم في صحيحه وأكثر عنه؛ لأن مسلم كان تلميذًا له، فأخرج له وروى عنه، وروى عنه أبو داود والترمذي رحمة الله عليهم جميعًا.

وهناك كذلك مما ينبغي أن يعرف بأن الإمام مسلم روى عنه أحاديث ليست في المسند المشتهر المنشور؛ فدل هذا أنه أخذ عنه أحاديث من غير طريق هذا الكتاب، والإمام هذا اسمه أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن بهرام الدارمي، وهو من دارم، وتوفي هذا العلامة الكبير سنة «٢٥٥هـ» عليه رحمة الله، وتنوعت علومه وله كتاب التفسير كذلك، لكن لم يصلنا ولم يتحدث عنه المعتنون بالمخطوطات بأنه موجود أو غير ذلك، لكن المشتهر هو كتابه السنن أو المسند، وسنتحدث عن هذه التسمية وما فيها من إشكال وما تكلم عنه العلماء عليه رحمة الله.

فقط قبل أن نتابع علينا أن نفرق بينه وبين الإمام الدارمي وهو عثمان بن سعيد الدرامي صاحب «النقد على بشر المريسي» ذاك أدنى طبقةً منه، وعثمان بن سعيد الدارمي هو تلميذ تلاميذ الإمام الذي بينا أيدينا وهو عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي رحمه الله، فهذا عثمان بن سعيد له كذلك كتاب في التفسير كم يقولون ولها كتابان «الرد على الجهمية» «والنقد على بشر المريسي»، بشر المريسي المعروف باعتزاليته وكان حنفيًا وناظره بعض الأئمة كالإمام الشافعي رحمه الله.

لا بأس أن أتكلم عن عثمان بن سعيد الدارمي وكتابه الذي عليه له كلام كثير ويثبته وهو على طريقة أهل السنة بالإثبات، إلا إنه التزم -في كتابه في كتاب عثمان بن سعيد الدارمي وليس كتاب السنن- التزم فيه أن يأخذ بلوازم الصفات فيما يُناقض فيه أو يُناقش فيه من الألفاظ؛ فهو يثبت الحد علي المعنى الصحيح، ويثبت أن لله جسم على أساس أنه يُحس وأنه يُشار إليه، ولكن العلماء كما تعرفون موقفهم من هذه الألفاظ المحدثة، ومن يعرف مذاهب أهل السنة في هذه الألفاظ يعلم أنهم لا يثبتونها ولا ينفونها، لا يثبتونها جملةً ولا ينفونها جملةً إلا بعد الاستيضاح من القائل ماذا يريد منها، ولا شك أن عثمان بن سعيد الدارمي عليه رحمة الله يثبت المعاني الصحيحة لهذه المصطلحات وهذه الصفات لله عز وجل، وليس كما يقول خصومه؛ لأن كتابه شن عليه المشنعون علي رأسهم الشيخ الحنفي محمد زاهد الكوكبي، وهذا أدنى طبقة لأن عثمان بن سعيد توفي سنة «٢٨٠هـ» وقيل كما في طبقات الشافعية لأنه مذكور من تلاميذ الشافعي، بل أخذ الفقه عن البويضي وهو تلميذ الشافعي، يذكرون عنه العلوم الكبيرة عن عثمان بن سعيد الدارمي رحمه الله، فأخذ العلم عن البويضي الشافعي فذكره السبكي في «طبقات الشافعية الكبرى».

ومما يذكر هنا: أرد على الذين يتكلمون عن السبكي وعدم إنصافه وحتى أنني قرأت لبعضهم يقول: هذه طبقات الأشاعرة، هذا غير صحيح وهذا يثبت ذلك، ففي ترجمة عثمان بن سعيد الدارمي في «طبقات الشافعي الكبرى» للسبكي لا يثرب عليه ولا يحمل عليه مع أن كتابه مشتهر في زمانه وقد ذكره شيخه الذهبي في «سيرة أعلام النبلاء»، وذكر ما عليه من ملاحظات وما عليه من انتقاد في هذه الباب، لا بأس هذه قضية غير مسؤول عنها ولكن لتفريق بين الرجلين فلا يظنن أحد أن مجرد نسبة الدارمي وهي نسبة إلى قرية تدل على شيءٍ واحد، فهذا متأخر «٢٨٠هـ» تلميذ تلاميذ الإمام الأول وهو أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن بهرام الدارمي المتوفى سنة «٢٥٥هـ» كما يذكر في ترجمته، هذا له كتاب اسمه «السنن» والمشتهر أن هذا الكتاب

المشتهر به أنه مسند وبعض أهل العلم كالسيوطي وقبله كذلك انتقدوا هذه التسمية، انتقدوا أن يسمى بالمسند ذلك لأن المسند هو الكتاب المرتب على الصحابة كمسند الإمام أحمد، مسند أبي يعلا الموصلي، فهذه كتب مصنفة على الرجال مصنفة على الصحابي، مسند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، مسند أمنا عائشة رضي الله عنها، مسند جابر بن عبد الله رضي الله عنه، وهكذا رضي الله عنهم جميعًا.

وعندما نظروا فوجدوا أن مسند الدارمي لم يرتب على هذه الطريقة من التصنيف وإنما رتب على طريقة السنن، وكتب السنن مرتبة على الموضوعات، لو نظرنا إلى كتب السنن المشتهرة الأربعة ومن أولها كتاب سنن أبي داوود، ثم سنن الترمذي، ثم سنن النسائي، ثم سنن ابن ماجة، لوجدنا أنها مرتبة على المواضيع، وهذا كتاب سنن الدارمي مرتبٌ على هذه الطريقة، وإن كان له فضيلة في الترتيب فإنه مقدمته من أجّل المقدمات في الكتب المذكورة في كتب أهل الحديث، وانفرد بمثل هذه المقدمات التي يعتنى بها، مقدمة سنن الدارمي مقدمة عظيمة فقد افتتحها في قضية بيان حال الناس قبل الإسلام ثم بيان نعمة الله عز وجل ببعثة النبي صلى الله وعليه وسلم ثم تكلم عن خصال النبي صلى الله عليه وسلم، وتكلم عن صفاته ودلائل نبويته وعن معجزات عليه الصلاة والسلام، ثم بعد ذلك تكلم عن فضيلة العلم وخاصةً علم الحديث، تكلم عن علم الحديث كلام طيبًا، وثم بعد ذلك رتبه على الطهارة وغيرها من كتب أهل السنة.

فالقصد: أن مقدمة سنن الدارمي مقدمة جليلة على كل طالب علمٍ أن يطلع عليها.

فالقصد: بأن هذا الكتاب المشتهر بأنه مسند وهو مرتب على السنن ومن جاء الانتقاد من بعض أهل العلم -كما ذكرت لكم- كالسيوطي لكن هناك من حملها على المعنى الصحيح، وهو الإمام العراقي مثلاً.

الإمام العراقي كأنه يقول هو لا يقول بهذا اللفظ، يقول: هو مسند على طريقة المسند الصحيح، البخاري سمى كتابه المسند الصحيح، يعني أحاديث مسندة، فقال: هذا كذلك، أي مسند الدارمي المقصود به أن أحاديثه مسندة، لكن انتقد هذا التخريج؛ لأن الدارمي أكثر من المرسلات وأكثر من الأحاديث المعضلة وأكثر من الأحاديث المقطوعة فلم يسند الكثير، لكن كذلك يعتذر عن هذا بأن البخاري صنع هذا فيما يسمى بالمعلقات، وإن كان البخاري أراد بهذه المعلقات إخراجها من قيد المسند الصحيح، أي أنه لا يصحح في كتابه جزمًا إلا ما أخرجه مسندًا وأما الباقي قد يكون صحيحًا وقد يكون ضعيفًا كما يعرف من الكلام عن

المعلقات، وهذا أمرٌ يعرفه طلبة العلم، ليس فيه شيء جديد.

لكن البعض ذكر بأن الإمام الدارمي سمى كتابه الصحيح وهذه التسمية نعم وجدت على نسخة لمسند الدارمي أو سنن الدارمي –ليس هذا كبير أمرٍ فيه– ذكرت على طرة الكتاب على عنوان كتابه المسند الذي نسخه بخط يده وجوّد كتابته الإمام المنذري صاحب كتاب «الترغيب والترهيب»، وقد وجدت هذه النسخة وعليها كلمة الصحيح، وهذا من باب التجوّز ولا شك كما يقال: في الصحيحة الستة، كتسمية أبي داوود والترمذي والنسائي وابن ماجة بالصحاح وهذا فيه تجوّز.

ولما ابن طاهر عليه رحمة الله جعل ابن ماجه في الكتب الستة فصارت هذه الكتب الستة، العلماء كثير منهم استنكر أن يدخل ابن ماجه في هذا الإطار؛ لأن الأحاديث التي انتقدت عليه كثيرة حتى قيل وهذا الكلام لا يبعد عن الصحة: بأن كل حديثٍ انفرد فيه ابن ماجه فهو حديثٌ ضعيف، هذا لا يبعد عن الصحة، ولا أقول بأننا نجزم بصحته ولكن لا يبعد عن الصحة بأن كل حديث انفرد فيه ابن ماجة عن بقية كتب السنن الثلاثة الباقية بأنه حديثٌ ضعيف، ولذلك إدخال ابن ماجه انتقد في هذا الباب وتمنوا أن يُدخل سنن الدارمي؛ لأن سنن الدارمي أو مسند الدارمي أنظف من سنن ابن ماجه في الأحاديث، فلو وضع لكان حسنًا، وهذه أمنيات قديمة لأهل العلم بأن يُدخل فيها.

وهناك طبعًا من أخرج كما في كتاب «جامع الأصول في الأحاديث» لأبي السعادات ابن الأثير، نرى أنه لم يُدخل ابن ماجه وإنما أدخل الموطأ؛ فإذن كان هناك خلاف في هذا الباب، على كل حال الأمر الآن الكتب الستة ابن ماجه مستقر فيها والاعتناء بالدارمي قليل ليس كاعتنائه بابن ماجة، وأظن أنني أجبت بأن سنن الدارمي لم يشترط فيها الصحة كما أشترط أصحاب الصحاح، والمقصود بأصحاب الصحاب البخاري ومسلم وابن خزيمة وابن حبان مع ما في الأخيرين من كلام معروف لأهل العلم.

فذلك فيه أحاديثٌ كثيرة جيادٌ طيبةٌ صحيحة وفيه أحاديثٌ كذلك ضعيفة ومنكرة وواهية، ولكن التي فيها قليل كما نذكر عن سنن النسائي، ونحن نعلم أن سنن النسائي هي أنظف الكتب الأربعة سندًا، حتى أن بعض أهل المغرب سماه بالصحيح ولا يبعدُ هذا، وإن كان فيه بعض الأحاديث ردت عليه، وسنن الدارمي قريبٌ منه، قريبٌ من المجتبى من سنن النسائي لأن سنن النسائي إذا أُطلق فالأصل أن يطلق على المجتبى وإن كان هناك

السنن الكبرى التي اجتبى منها النسائي مع خلاف من الذي انتخب المجتبى من السنن الكبرى للنسائي، هناك خلاف هل فعلها الإمام نفسه أم تلميذه.

القصد: بأن سنن الدارمي هو من أجل كتب السنة ومن أعظمها ومن أهمها وخاصةً ما ذكرته عن المقدمة وفيه أحاديثٌ طيبة ولو ادخل في الكتب الستة لكان حسنًا، ولكن اعتناء الناس به أشد وأكثر.

أن أُسئل عن هذا السؤال فيفتح المجال للحديث عن كتب الحديث شكرًا لسائل السؤال وبارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٢١٢- كيف تختم القرآن في أسبوع؟

ضمن الجلسة الثامنة عشر، بتاريخ: (**٢/٠٣/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٢٠/١١/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل أخ: يا شيخنا لو تذكر لنا فضل أذكار الصباح والمساء، وأوقات ذكرها، وأصح الأذكار الواردة فيها؟

جواب الشيخ: أيها الأخ الحبيب، هذا موجود في كتيبات كثيرة قد اهتمّ أصحابها بأذكار الصباح والمساء، فوضّعت كالأوراد، أو كما يسمى بالأحزاب، الحزب كذا، والحزب الصباحي وكذا، وإن كانت التسمية اختصّ بها الصوفية، ولكنّها تسميةٌ صحيحة أي التحزيب والتقطيع.

ووجدت لأحدهم في تعليقه على مقالات السلف في تقي الدين الهلالي، أنّ تقي الدين الهلالي -أظن في الجزء الثاني- يتكلم عن الأحزاب، لأنّه يناقش الصوفية، فهو في الهامش كتب: والشيخ معروف منه منعه للأحزاب، هو يقول: والأحزاب فيها ما هو صالح، وفيها ما هو غير شرعي، فيقول معلّق: ومعروف عن الشيخ في آخر عمره عدم قبوله ورده للأحزاب الإسلامية، مشغول المسكين في هذا الباب، فحيث طرأت الكلمة طار إليها.

على كل حال أذكار الصباح وأذكار المساء، **أولاً: أحدد ما هو وقتها:**

بلا شك أنّ أذكار الصباح تبدأ من بعد صلاة الفجر، وتمتد إلى صلاة الظهر، إلى هذا الوقت هو أذكار الصباح، وأفضلها أن تكون من بعد صلاة الفجر إلى شروق الشمس، ولكن كذلك مما يدخل في أذكار الصباح صلاة الضحى، وهي بعد الشروق، فهي من أذكار الصباح.

وأمّا أذكار المساء فتمتد من صلاة العصر إلى صلاة المغرب، هذه أذكار المساء، وبلا شك أنّ الشارع حض على هذين الوقتين من الذكر، وفيهما فضلٌ عظيم، ومن ذلك حديث (**من قال حين يصبح... وحين يمسي**)، هذا يتردد في أحاديث (**من قال حين يصبح، وحين يمسي**)، والمقصود هذا حين يصبح أي بعد صلاة الفجر،

وحين يمسي بعد صلاة العصر هذا هو المساء، وكذلك حديث «سيد الاستغفار»، **(من قالها حين يصبح موقناً بها قلبه ومات؛ دخل الجنّة)**، **(ومن قالها في ليله حتى يصبح)**، وإن كان هذا حديث يتحدث عن الليل، أي بعد صلاة المغرب، ولكنّ أذكار الصباح والمساء هذا هو وقتها.

أمّا فضلها: فكل حديثٍ فيه فضائل، ويكفي أنّها رقية المرء، هذه الأذكار رقية المرء في دينه، يرقي دينه لئلا يضعف، ويرقي كذلك نفسه لئلا يصاب بعوارض الزمن من الشياطين وغيرهم، ولذلك هذه أوقاتٌ ينبغي على المرء أن يستغلها، وأن لا يتركها، بعض أهل العلم مثلاً: كما طاووس كان يتعجب كيف ينام الناس سَحرا، مع أنّ الإمام البخاري عندما بوّب بابًا في باب النوم سَحراً، إنما أرداه وأراد أمثاله في من يرى كراهية النوم سَحراً، وهذا لمن قام الليل، وأمّا من لم يقم الليل فنومه سَحرًا يعني على قول طاووس: من كراهية ذلك والتشديد في هذه الكراهية؛ لأنّه يفوته خير كثير، أمّا من قام من الليل، قام في ثلثه، أو نصفه الثاني، ثمّ نامَ سَحرًا كما كان يفعل النبي صلى الله عليه وسلم، وكما مدح قيام داوود عليه السلام في هذا، ينام نصفه، ثمّ يقوم ثلثه، ثم ينام سدسه، فهذا له ذلك.

وكذلك كانت أمنّا عائشة رضي الله عنها تنهى أن ينام المرء بعد الفجر، ويذكر بأنّ هذا الوقت، وإن لم يصح في ذلك حديث، أنّه وقت توزيع الأرزاق، فكيف ينام الناس عن هذا الوقت، والحق أنّه **(بارك الله لأمّتي في بكورها)**، ومن ذلك أعظم ما يقتنى في هذا الوقت، ويجتنى في هذا البكور، ليس فقط أن يذهب ليستبضع ويتاجر، ولكن أعظم ما يفعله هو أن يذكر الله سبحانه وتعالى، وكان الإمام الأوزاعي عليه رحمة الله يكره أنّ – أقول كراهةً ذاتية وليس شرعية– كان يكره أن يشتغل المرء بعد الفجر بقراءة القرآن، وإنّما يقول: «سنّة السلف الذكر»، ويتركون قراءة القرآن لليل، أحزبهم يقرؤنها في الليل، ينتهون من أحزابهم في الليل، ولذلك في الحديث **(من نام عن حزبه)**، يعني الورد الذي يقرأه في الليل، فمن نام، فكانوا يقضون أورادهم وأحزابهم في الليل، أي من قراءة القرآن، وأما الأذكار فهذا هو وقتها، وخلال النهار كذلك، هذا بالنسبة للوقت.

والعلماء يتوسعون في هذا الباب، وجدت لبعض أهل العلم من يشدد، ويرى أنّ أذكار الصباح تنتهي بشروق الشمس، وهذا فيه تشديد، يعني أنا أريد أن أقول لكم: إنّ بعض أهل العلم، عدّ الصلاة بعد المغرب إلى العشاء من قيام الليل، كما ذكر ذلك محمد بن نصر المروزي في قيام الليل، في مختصره موجود هذا، في وكذلك

في مصنف ابن أبي شيبة موجود؛ أنّ بعض السلف كانوا يعدون الصلاة بعد صلاة المغرب قبل صلاة العشاء من قيام الليل، وهذا قول سعيد بن المسيب عليه رحمة الله، هذا قول سعيد وغيره يرى هذا.

فالقصد: أنّ هذا بابٌ ينبغي التوسع فيه، وعدم التضييق عليه كما يفعل البعض جزاهم الله خيرًا، وغفر الله لنا ولهم.

فما هو أفضل الأذكار؟ هناك أذكار منصوصٌ عليها في الصباح والمساء، ومثال ذلك: (**سيد الاستغفار**)، عليك هذا أن تعتني به من بعد صلاة الفجر أن تقوله؛ لأنّ فيه فضلٌ عظيم، قال صلى الله عليه وسلم: (**سَيِّدُ الِاسْتِغْفارِ أنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أنْتَ رَبِّي لا إلَهَ إلَّا أنْتَ، خَلَقْتَنِي وأنا عَبْدُكَ، وأنا علَى عَهْدِكَ ووَعْدِكَ ما اسْتَطَعْتُ، أعُوذُ بكَ مِن شَرِّ ما صَنَعْتُ، أبُوءُ لكَ بنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وأَبُوءُ لكَ بذَنْبِي فاغْفِرْ لِي؛ فإنَّه لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلَّا أنْتَ، قالَ: ومَن قالَهَا مِنَ النَّهارِ مُوقِنًا بهَا، فَماتَ مِن يَومِهِ قَبْلَ أنْ يُمْسِيَ، فَهو مِن أهْلِ الجَنَّةِ، ومَن قالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وهو مُوقِنٌ بهَا، فَماتَ قَبْلَ أنْ يُصْبِحَ، فَهو مِن أهْلِ الجَنَّةِ**)، مات على التوحيد قبل أن يصبح أو قبل أن يمسي دخل الجنّة، فهذا مما يعتنى به، هذا منصوصٌ عنه.

كذلك المنصوص عنه وهو: التهليل، (**لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير**)، أنا أذكر لكم أفضل ما ينبغي أن يقال، بعد الفجر على المرء أن يأتي بالأذكار التالية، غير أذكار الصلاة، بعد الصلاة يذكر أذكار الصلاة المعروفة عنها، ثمّ عليه أن يستغفر مئة مرة، وعليه أن يهلل.. (**لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير**)، مئة مرة، وعليه أن يقول: (**سبحان الله وبحمده**)، وكل هذا منصوصٌ فيه، عليه نصوص، أمّا الاستغفار مئة مرة فلم ترد، ولكن ورد فضل الاستغفار كثيرًا، خلال نهاره وجلساته، ولكن المرء إذا فاته هذا التنوع وهذا التوزيع خلال النهار، فليأتي به في أول أمره.

والعلماء قالوا: «التخلية ثمّ التحلية»، قاعدة التخلية؛ يعني إذا أردت أن تجعل شيئًا جميلاً، فأول شيء تخليه من الأوساخ، وإخلاء الأوساخ بالنسبة لقلبك هو الاستغفار، هو الذي يمحوا ويحرق الذنوب والمعاصي، وما يقع على القلب من الران، فينظفه، فهذا هو التخلية، التنظيف، الاستغفار، ثمّ عليك.. (**لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير**)، مئة مرة، وهذه منصوصٌ عليه، ثمّ بعد ذلك

(**سبحان الله وبحمده**) مئة مرة، وهذه منصوصٌ عليها، بعد ذلك مئة مرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، عليك أن تصلي على النبي مئة مرة في الصباح والمساء، وهذه إن لم يكن منصوص عليها بهذا الوقت، ولكنّه منصوص عليها جملةً، وهي تدخل في الصلاة، وتدخل في الأذكار المباركة في هذا الوقت، كذلك بعد ذلك (**سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**)، الباقيات الصالحات، هذه مئة مرة في الصباح والمساء، ولك أن تكثر فيها، بعض من أعلم يفعلها في اليوم ألف مرة، وبعضهم يفعلها ألف في الصباح، وألف في المساء وهكذا، أعرف بعض من يفعل هذا، فهذا من أبواب الذكر.

وفي النهار عليك أن تكثر من ذكر الله عز وجل، لا تترك وقتًا من غير ذكر الله، في جلساتك تستغفر، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلن استغفاره بين الناس، وابن القيم له لفته رائعة، لماذا كان يصرّح بالاستغفار عندما يجلس بين أصحابه؟ قال: «من أجل إظهار عبوديته، ونقصه، وضعفه عليه الصلاة والسلام، صلى الله عليه وسلم» بأبي هو وأمي، هو صاحب الكمالات البشرية، التي لم يبلغها أحد من الخلق، ولكنّها العبودية التي يتنافس فيها الناس ولا نهاية لها، الأنبياء يتنافسون، يصلون في قبورهم لارتفاع درجاتهم، والأنبياء هذه مقامات العبودية لا انتهاء لها، فهذه الأذكار التي أنصح أن يقوم بها المرء، وهناك أذكار من الأقوال، والأدعية ممثل دعاء الاستغفار وما ذكرته لكم، ويستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، يقول: (**بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا السماء وهو السميع العليم**)، يقولها ثلاثًا.

وكذلك هناك أوراد لبعض أهل العلم، أنا أحب أن يأتي بها العبد، لبعض أهل العلم هناك مثلاً: ذكر ابن القيم رحمه الله في «الوابل الصيب»، أذكارًا عن عروة بن الزبير في صباحه، وأنا أنبه على الكتاب واذهبوا إليه فيه فضائل وكلام جميل في هذا الباب، فاذهبوا إليه تجدون أذكارًا لعروة ابن الزبير رحمه الله، وهو تابعيٌ جليل، وهو من أبناء الزبير الذين انشغلوا بالعلم والعبادة والتقوى وفرغوا لهذا الأمر، واعتزلوا الناس والفتن، فله أذكارٌ طيبة في هذا الباب، في الصباح وفي المساء.

وكذلك لا بد من قراءة القرآن، وأنا تركت الصباح والمساء؛ لأنّ قراءة القرآن لها وقتها، ممكن من النهار، ممكن من المساء، من الليل، من قيام الليل، وأنا أحب للمرء ألا يقل حزبه في اليوم عن ثلاثة أجزاء، وإلا فالأفضل أن يختم القرآن في أسبوع، على طريقة: «فمي بشوقٍ»، سُئل الصحابة -كما روى الإمام أحمد في

مسنده- كيف كانوا يحزّبون القرآن؟ فقال: «يحزبونه ثلاثًا، وخمسًا، وسبعًا، وتسعًا، وإحدى عشر، وثلاثة عشر، ثم يختمونه»، وهكذا سبعة، يعني فمي بشوقٍ، احفظوا هذه، يعني فمي بشوق، كيف؟ حرف الفاء هي الفاتحة، من الفاتحة إلى فمي، الميم المائدة، طبعًا الفاتحة غير معدودة في الثلاث، لم يعدوها الصحابة عندما ذكروا ثلاثًا، وإنّما البقرة وآل عمران، والنساء، هذه ثلاثة، ثمّ تزيد عليها، من المائدة إلى الياء؛ يعني يونس، يعني تقرأ المائدة وتقرأ الأنعام، هذا في يوم.

في اليوم الأول ثلاث سور: البقرة وآل عمران والنساء، هذا في يومٍ واحد، «فمي بشوق» طبعًا سورة الفاتحة غير معدودة في الثلاث، لم يعدها الصحابة عندما ذكروا ثلاثًا وإنما بدأوا من سورة البقرة.

في اليوم الثاني خمس سور: «فمي بشوق» حرف الميم؛ من الْمائدة والأنعام والأعراف، الرابعة هي الأنفال، ثمّ التوبة، هذه خمسة، هذا في اليوم الثاني.

في اليوم الثالث سبع سور: «فمي بشوق» حرف الياء؛ تأتي يونس، ثمّ هود عليهما الصلاة والسلام، ثمّ يوسف -الآن سبعة بدك تجيب- ثمّ الرعد، ثمّ إبراهيم، ثمّ الحِجر، وآخرها وهي النحل، هذه سبعة، عد تطلع سبعة معك.

في اليوم الرابع تسع سور: «فمي بشوق» كلمة «فمي» انتهينا منها والآن أول حرف من كلمة «بشوق»، حرف الباء وهي بني إسرائيل أي الإسراء، وللذكر طبعت بعض الدول سورة الإسراء، وكتبت بني إسرائيل، فقام العالم وقعد، وهو اسمٌ قديم، والسلف يسمونها، وبعض السور لها تسميات كثيرة، مثل غافر، تسمّى مؤمن، وهكذا، والإسراء تسمّى بني إسرائيل، ولكن بلا شك أنّ غضب الناس له أسبابه لأنّهم يتهمون هذه الدولة بكل شر، وهذا أليق بها، نعم، نرجع الآن: تسع سور، بني إسرائيل يعني الإسراء، وبعد الإسراء تأتي الكهف -والحمد لله حافظ كل السور بالترتيب، وهذا هو الترتيب المجمع عليه، هل هناك خلاف في الترتيب؟ هل الترتيب توقيفي أم لا؟ نعم، هناك خلاف، والأصوب أنّ هذا ترتيبٌ توقيفي، والذين احتجوا، احتجوا بحديث ابن مسعود، أنّ النبي صلى الله عليه وسلم، صلى بهم البقرة، ثمّ النساء، ثمّ آل عمران، وهكذا كان مصحف عبد الله بن مسعود، المهم، فيجوز يعني أن تقرأ سورة قبل سورة، وإن كان بعض أهل العلم كرهها، كالشافعية والحنفية، ويسمونها، بالتنكيس- طيب الآن نرجع إلى السور التسع، الإسراء ثمّ الكهف، وبعد الكهف تأتي سورة مريم، وبعد مريم

تأتي طه، وبعد طه تأتي الأنبياء، وبعد الأنبياء تأتي الحج، وبعد الحج المؤمنون، وبعد المؤمنون تأتي سورة النور، ثمّ بعد النور يأتي الفرقان، عدوهم صاروا تسعة، الآن كم يوم صار عندنا؟ أربعة أيام.

في اليوم الخامس إحدى عشر سورة: «فمي بشوقٍ» الآن حرف الشين، فسورة الشعراء، ثمّ بعد الشعراء النمل، ثمّ بعد النمل القصص، وبعد القصص تأتي العنكبوت، بعد العنكبوت تأتي الروم، بعد الروم تأتي سورة لقمان، وبعد لقمان تأتي السجدة، أو ﴿الم (١) تَنْزِيلُ﴾ هذا اسمٌ آخر، وبعد السجدة تأتي الأحزاب -يجب أن نعد الآن إحدى عشر-، وبعد الأحزاب تأتي سبأ، وبعد سبأ تأتي «الحمد لله» التي هي فاطر، ثم تأتي سورة يس، أصبحوا إحدى عشر سورة.

في اليوم السادس ثلاثة عشر سورة: «فمي بشوق» الآن حرف الواو، ﴿وَالصَّافَّاتِ﴾، الصافّات بعد الصافّات تأتي ص، بعد ص تأتي الزمر، وبعد الزمر تأتي «الحواميم»، أول حم تأتي سورة غافر، أو المؤمن، ثمّ بعد غافر تأتي فصّلت، وبعد فصّلت تأتي الشورى، كل هذه «الحواميم» مع كراهية الإمام الحسن البصري لهذه التسمية، وقال: قل ﴿حم﴾، وبعد الشورى تأتي الزخرف، وبعد الزخرف تأتي الدخان، وبعد الدخان تأتي الجاثية، وبعد الجاثية تأتي الأحقاف، بعد ذلك سورة محمد عليه الصلاة والسلام أو تسمّى القتال، وبعد ذلك تأتي ﴿إِنَّا فَتَحْنَا﴾، الفتح، ثمّ تأتي الحجرات، الآن أصبحوا ثلاثة عشر سورة.

في اليوم السابع بقية القرآن: «فمي بشوق»، الآن حرف القاف، نبدأ من سورة «ق» إلى بقية القرآن، هكذا تختم القرآن في أسبوع، حاول جاهدًا أن تحزب القرآن، وهذا تحزيب الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وهذا الحديث احتجّ به من احتجّ به على نفي أنّ عثمان رضي الله عنه أشكل عليه الأنفال مع التوبة، وقال: لا هما سورتان هذا قبل كتابة المصحف، وحرق المصاحف، وجمع الناس على مصحفٍ واحد، ولن نعد الأسماء بعد سورة «ق» فهي كثيرة افتحوا المصحف تجدوها، من سورة «ق» إلى آخر المصحف.

إذن بهذه السبعة يحزّب القرآن، فعليك أن تحزّب القرآن على هذا، بعض الناس يقول طويلة، انظروا أنا بالتجربة، وتجربة غيري، وجدتها من غيري، وبالتجربة وجدتها، الجزء للمتقن عشرين دقيقة، ولغير المتقن لا يزيد عن نصف ساعة، الجزء القرآني، وهذا التجزيء للذكر هذا العلماء كرهوه، بعض العلماء ومعهم حق ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية كرهوا هذه التجزئة، يعني الأجزاء الآن، وأول من فعلها هو الحجاج، أحضر القرّاء،

ومجموعة من الناس، وأحضر لهم نوى التمر ليعدوا الحروف، وعلى الحروف جزؤه، فجزؤوا القرآن ثلاثين جزءًا، وستين حزبًا، لأن كل جزء حزبين.

نرجع لكيف تقرأ؟ اسمعوا: أول شيء إياك والتسويف، لا تقل غدًا سأجلس في المسجد وسأقرأ ساعتين ثلاثة إياك أن تظن أنّك ستفعل هذا، لكن أنت الآن في السيارة -أنا لا أتكلم مع الحفاظ، الحفاظ لهم سننهم وطرائقهم، ويعرفون هذا جيدًا، أنا أتكلم عمن لم يحفظ، أما الحفّاظ فلكل حافظٍ طريقة قد رضيها، واطمئن بها، ويعرف مزالق نفسه، ويعرف ذلك من نفسه، يعني لا أريد أن أتحدث معهم، لا أعلمهم، هم أساتذة بأنفسهم، والتجربة علمتهم الأشياء الكثيرة- ولكن غير الحافظ، كيف له أن يقرأ؟ إياك أن تضيّع دقيقة، عشرين بهذا الخط الذي هو خط عثمان طه، عشرين دقيقة يعني ماذا؟ يعني عشرين صفحة، معك خمس دقائق اقرأ خمس صفحات، معك عشر دقائق اقرأ عشر صفحات، بعض الناس طبعًا يمكن أن يقرأ في أقل من عشرين دقيقة، يعني وجدت من يقول بعشر دقائق يختم الجزء، يوجد، ولكن ولا شك أنّ هناك أجزاء يعني فيها الطول، وأجزاء مثل الأجزاء الأخيرة، يمكن للمرء أن يقرأها في سبعة عشر دقيقة، أو خمس عشر دقيقة، لكنّي تعجبت أنّ بعضهم يقرأ الجزء في عشر دقائق! قطعاً هذه القراءة عليها محاذيرها مما يعرفها القرّاء.

فأنت معك عشر دقائق، أنت راكب في الباص، راكب في التكسي، عشر دقائق، عشرين دقيقة، تختم جزءًا، لا تنتظر أن تجلس، وفي المسجد وتتفرغ، لا، لا، وأنت في مسيرك، وحياتك، وأنت تمشي اقرأ، فستجد أنّك قد قطعت شوطًا طيبًا من القرآن، وحينئذٍ يتحقق لك هذا.

وربما البعض ييأس، لا، إذا أنت في يوم من الأيام لم تقرأ وقرأت جزئين أو قرأت جزءًا، لا تهتم، هكذا هي الحياة، ما في أحد لا يفوته حزبه البتة، النبي صلى الله عليه وسلم كان يفوته حزبه من الليل، فيصليه ضحى، فهذا شأن الإنسان لا يمشي على وتيرةٍ واحدة، المرء ليست حياته مرتبة الترتيب الذي به يمشي في كل يومٍ على حالةٍ واحدة، هذه صعب، خاصةً أنّ الناس في أشغالهم وأيامهم، ولكنّ الناس يتفننون في إصابة الخير التقاطًا من هنا وهنا، وهو في السيارة يقرأ، طيب واحد مش حافظ كيف يقرأ في السيارة؟ بعضهم يصور، قبل أن تخرج من بيتك صور أربع خمس أوراق في بيتك، وضعها هكذا، وأنت ماشي تنظر إليها وتقرأ، وهذا يعينك على الحفظ كذلك، وإذا لم تستطع القراءة فعليك بالذكر.

أنا أعجب لمن يمشي وفمه مغلق!! لماذا فمك مغلق؟! يعني أنت تركب الباص، وتجد الناس سكوت هكذا، لماذا؟! اشتغل بالذكر، وأنا ممن يجيز ويحبذ المسبحة، لا تلتفتوا لمن يقول: أنّها بدعة، لا تلفتوا له، صدق من قالها، وليس حديث تعرفون أنه منسوب للنبي صلى الله عليه وسلم كذبًا «نِعم المِذكر المسبحة»، أو «نِعم الْمُذّكر المسبحة»، فحقيقة وجود المسبحة بين يديك تعينك على الذكر، وحتى هذه المسبحة الرقمية هذه جيدة كذلك، وأعجب من المشايخ بعضهم يجيز المسبحة العددية، ويكره المسبحة الرقمية! لا المسبحة الرقمية أحسن، لأمرين: الأمر الأول فيها نوع إخلاص، والأمر الثاني أنّها لو انشغلت يبقى الرقم معروف، لو كان وردك مئة تسبيحة، مئتين تسبيحة، ألف تسبيحة، ألفي تسبيحة، فتنبهك إلى أين وصلت، ولا تعد بالعدّ من الأول، فهذا مما أنصح به إخواني، وإياكم أن تتركوا الأذكار، إياكم.

انظروا هذا الشيء الكثير الموصوف كثير في القرآن، كله ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (٣٤)﴾ [طه: ٣٣-٣٤]، الذكر هو الذي يقويك، الذكر هو الذي يجلي قلبك، الذكر هو الذي يذكرك بالله عز وجل؛ فتبتعد عن المعاصي، كيف تذكر الله وتنظر للمعاصي؟ الذي يذكر الله كيف يستمع للموسيقا؟ ويجلس يضيع وقته فيها؟!

وهنا آتي إلى مسألة مهمة -لا بأس أطلت عليكم- وهو أنّ الرجل يذكر ولا ينتبه، بعض الناس يذكر، يذكر، ثمّ ذهنه يذهب إلى المشرق والمغرب، ويحل مشاكله مع زوجته، ومع شركاءه، ومع أبناءه، ومع مدرسيه، ومع طلابه، نعم هذه أذكارٌ عظيمة، حتّى وأنت غافل، أعظم ذكر وأنت ذاكر، وأنت منتبه، وتراقب ربك، ولكن لو ذكرت وأنت غافل، هذا ذِكرٌ عظيم، وأستدل لكم بدليلٍ ينفعكم في هذا، أولاً: أعظم ما يستدل به هو تسبيح أهل الجنّة، أعظم تسبيح، هناك التسبيح العظيم لأهل الجنّة، هو أعظم مراتب الإيمان ما يحصل بالجنة؛ وهي الرؤية وطاعة الرحمن عز وجل، في الجنّة في طاعة، قال صلى الله عليه وسلم: **(ويُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ والتَّكْبِيرَ كما تُلْهَمُونَ النَّفَسَ)**، هل أنت تعد أنفاسك؟ هل تشعر بها؟ أنت تمشي والأنفاس تجري في نفسك دون أن تنتبه لها، وأهل الجنّة يسبحون على هذا المعنى، يلهمون، فهم في شُغلٍ في حياتهم من الأكل، والشرب، والتنعم في ملذات الجنة، ومع ذلك هم يسبّحون، فيلهمون كما يلهم النفس، كما الآن أنا أتكلم ولا أهتم للنفس، ويأكل المرء ولا يهتم للنفس، ويشتغل ويبيع ويشتري وهو لا يهتم للنفس، النفس لوحده، فهذه أعظم أنواع العبادة، تجري في الجنّة، فحكمها ما يجري من أحكامها في الدنيا.

ولذلك لا يقول أحد: أنا أذكر وو...، لا، لا، اذكر اقرأ، فهذا لا تهتم له، هو يستغفر، وبعد ذلك لا يدري هل هو يستغفر أم يسبّح، لا بأس، لا بأس هذا لك أجره، إجراء اللسان بالذكر والطاعة، هذا له أجره، حتى لو خلا عن التدبر، نعم أعظم أنواع العبادة، هو قراءة القرآن بالتدبّر.

الآن في موضوع القرآن، قد يقول: أنا أقرأ ولا أفهم، لك أجره، لو العامي قرأ القرآن وهو لا يعرفه، أو الأعجمي قرأه ولا يعرف منه حرفًا في معناه، فله الأجر، بلا شك أنّ قراءة القرآن أن المقصد الأعظم هو التدبّر، لكن هذا لا يعني فوات الأجر بعدم التدبّر، فاقرأ القرآن، ولذلك السلف عليهم رحمة الله نصحونا بقراءتين للقرآن:

القراءة الأولى: هي قراءة التدبّر، وهذه التي كان يقرأها عمر، فحفظ البقرة في عشر سنين، هذه قراءة التدبر، وأمّا أن يحفظها المرء الحفظ الذي يجري على اللسان، فهذه كان يحفظها، ويحفظ القرآن كله رضي الله عنه، كان عمر من الحفاظ، وليس كما يقول البعض أنّه لم يحفظ القرآن من الخلفاء الراشدين، إلا عثمان، هذا كلام غير صحيح، كان أبو بكر يحفظه، وكان أنزع الناس لآية، ولا يمكن للمرء أن يكون على هذا الوصف، أنزع الناس لأية إلا وهو حافظ، كان عمر يحفظ القرآن، وعلي روايات القرآن تصل إلى الإمام العظيم، علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه.

القصد: بأنّ على المرء أن يهتم بهذا الجانب، ولذلك أعظم الناس عبادةً في جهادهم، هم الذاكرون، أعظم الناس علمًا في علمهم هم الذاكرون، أعظم الناس في أي باب من أبواب الخير ويصلون ويحجون، أعظم الناس مرتبةً في قيامهم بهذه الأعمال؛ من جعلوا جوف هذه الأعمال هو ذكر الله عز وجل.

بارك الله فيكم وجزاكم الله خير والحمد لله رب العالمين.

٢١٣- قاعدة التوحيد

ضمن الجلسة الثامنة عشر، بتاريخ: (**٢/٠٣/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٢٠/١١/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يقول أخ سائل أو أخت سائلة: عندي أشكالٌ في مسألةٍ يا شيخ، إني أعلم أن الإسلام الحقيقي الذي ينفع صاحبه والعلم بالتوحيد واجتناب الشرك، لكن يا شيخ عندي جد وجدة متوفيان وجدتي كانت شديدة العبادة والذكر والقيام وكانت مُفردة لله في العبادة ومجتنبةً للشرك، لكنها كانت أمية لا تقرأ ولا تكتب ولا تعرف أن التحاكم لغير شرع الله كفر، ولكنها لم تتحاكم أبدًا لغير شرع الله، فهل ماتا على الإسلام الحقيقي؟

جواب الشيخ: والله أيها الأخ الحبيب إذا كان وصفها كما ذكرت نتمنى أن نموت على ما ماتت عليه من الذكر والعبادة والإخبات وإفراد الله عز وجل بالعبادة.

هذا السؤال والله أجيب عنه منذ ثلاثين سنة، هذا السؤال أجيب عنه بنفس الألفاظ التي سأقولها الآن منذ ثلاثين سنة، وأنا أعجب من هذا السؤال!! يعني من يتابع كلامي يعرف حكمي في مثل هذه المسائل، هذه الشروط التي يضعها البعض، وهي شروط لفظية مع وجود المعاني في قلوب العباد لها؛ من أجل تحقيق التوحيد، ووجود حده واسمه في الناس هذه شروطٌ لا تصح، ولا ينبغي لطالب العلم ولا ينبغي للمسلم أن يقيم لها شأن، أن يقيم لها شأن في الحكم على الناس الذين تلبسوا بمثل هذه الصفة وهي كما قلت: وهي أنهم عوام، طبعًا كلمة عوام هذه مصطلح تطلق في كل فنٍ على باب أو على وصف أو على حقيقة.

فمثلاً: إذا سمعت كلمة عامي في كتب الفقه فالمقصود بها أنه لا يتقن الفاتحة، حتى يعني إذا قرأت في كتب الفقه العامي يعني الذي لا يتقن الفاتحة، فنحن نتكلم هنا عن العوام الذين لم يتعلموا كلامًا ولا ألفاظًا لعقيدة التوحيد.

لكن أنا أسأل الأخ السائل: هذه الجدة الطيبة نسأل الله أن يرفع درجتها في الصالحين وهذا الجد الطيب الذي ذكرت وصفهما، لو أحضرت لجدتك زجاجة خمر -من أجل أن تعرف أنا أضرب هذا المثال دائمًا، لأن الحق واحد في هذا الباب- لو أحضرت زجاجة خمر إلى جدتك هذه المفردة لربها بالتوحيد والعبادة، وقلت لها:

يا جدتي هذه زجاجة خمر، ماذا تصنع بك؟ لا شك أننا نعلم أن كل المسلمين تقريبًا في بلادنا يعرفون أن الخمر حرام، فستضربك هذه الجدة بحذائها، وهذه كرامةٌ لك، كما هي كرامةٌ لها، فتقول لك: انصرف، ستغضب منك، فلو قلت لها: ولكن الخمر صار حلالاً، تقول لك: من الذي حلله، الله يحرمه، فتقول لها: الحاكم قد أحله اليوم، فتسب عليك وعلى أبوك وعلى الحاكم وعلى أبو الحاكم -إذا كان من جداتنا اللواتي نعرفهم-؛ هذا توحيد العبادة، هذا توحيد التشريع، هذا توحيد القضاء؛ لأنها مقرة في نفسها أنه لا يجوز لأحد أن يقول عن هذا الشيء حلال وهذا حرام إلا الله.

لماذا كانت جدتك تجتنب أكل لحم الخنزير؟ لو قدمت لها لحم خنزير أتأكله؟! لماذا تجتنبه؟ لأنها تعتقد بأن الحل والحرمة هو حق لله عز وجل لا للبشر.

لماذا أجلك الله وآسف لهذا المثال واستغفر الله، لماذا في الغرب يجيز رجل لابنته أن تعاشر تحت مسمى «بوي فرند» أن تعاشر الأجنبي؟ لأنه لا يرى أن الحاكمية للشريعة، ولا لما يقوله بول ولا لما يقوله الإنجيل، خلاص صار في قلبه ما تحله الحكومة أو ما يحله العرف والمجتمع؛ فلذلك جاز المعاشرة تحت بند «بوي فرند»، لكن هل تقبله جدتك، لماذا لا تقبله؟! هل تظن لمجرد كلمة العِرض وأهميتها بين العرب، العرب قبل الإسلام نذكر حديث عائشة رضي الله عنها كيف أنواع الزواج عندهم، دعارة وعهر لا يعلم به إلا الله، ربما الآن بعض أعمال العهر التي كانت من صفات الزواج عند الجاهلية، يأبها الآن الغربيون لا يقبلونها، لكن كانت موجودة ما الذي أحل الفروج وحرمها؟ هي كلمة الله، بماذا صارت قيمة الزواج لها أهمية في المجتمع الإسلامي؟ لأنه حكم الله عز وجل.

وبالتالي؛ عندما هذه الجدة وجدتي وجدتك وجدات المسلمين عندما يمتنعن عن الزنا لا يمتنعن فقط لمجرد العرف، هذا العرف يتغير، ولكن لأنهن يعلمن أن الله حرمه وأنه معاقب إذا انتهك حرمات الله عز وجل.

وبالتالي؛ هذا السؤال منشأه أن هذا الطالب حفظه الله وهذا السائل أو هذه السائلة ظن أن التوحيد هو الذي نتقن الكلام فيه، وليس ما استقر في القلوب من معاني، فهذا ينبغي أن ننتبه له، لا أريد أن أطيل في هذا الباب لكن يجب أن تنتبهوا لهذا، لا عليكم أن تتوقفوا عن الحكم عمن جهل علمكم فيما تتكلمون، ولا تظنن أنك لما كنت يعني غير مسلم أنك لا تعلم هذا، تعلم هذا عندما كان شارب المخدرات في زمن الجاهلية يشربها

يعلم أنه معاصٍ لله، ولذلك تاب منها، يعلم شارب الخمر أن الخمر حرام، ولذلك لما آمن وأسلم ودخل سبيل المسلمين والموحدين؛ لأنه كان يعلم أن الخمر حرام وأنها لا تجوز، ولما كان يزني يعلم أنه بفعله قد ارتكب جريمةً وفسقًا.

فلذلك مفهوم التوحيد هذا المفهوم الذي نُعلمه؛ هذا من أجل أن ترتب علمك بأدلته وترتبه ترتيبًا صحيحًا ثم تبني عليه بعض الأحكام، تبني عليه الأحكام الخاصة التي بها يتميز العلماء، هذا القواعد الأولى للتوحيد، قاعدة التوحيد الأولى هذه عليها كل المسلمين، يعرفونها.

أنا أضرب لكم مثالاً حتى تعرفوا كيف تفرقون: أحد الإخوة كان في أفغانستان وكان في الشمال مدة تقريبًا عشر سنوات، وكان عنده بعض الحراس، فكان يعلمهم -الحراس من الأفغان من الشمال- كان يعلمهم أركان الإيمان، فوصل إلى قضية الإيمان باليوم الأخر، فوجد أحدهم لا يؤمن، لا يعرف الإيمان باليوم الأخر، فالمهم علمه، هنا المسألة هو هل رد حكم الله عز وجل! هو جاهل لحكم الله فكيف يرده هو لا يدري، لم يتعلم، لم يدرس، نشأ هكذا هجينًا في الجبال ولا يعرف هذه القضايا، ولكنه يعلم أنه مسلم وأنه حيث جاء عن الله عز وجل أمرٌ من الأمور، جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمرٍ من الأمور فأنه يسلمه، فهو جاهل أن الله عز وجل قد أعلمنا إياه وأخبرنا إياه، وليس هو رادٌ عن الله حكمه.

ولذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى﴾ [النساء: ١١٥]، هذا شرط، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى﴾ [محمد: ٢٥]، هذا شرط دائمًا قرآني تَبَيُّن الهدى في أن يعلم الناس بأن الله عز وجل قد أخبرنا بهذا أو حكم علينا بهذا، طالب العلم بعد ذلك يبني على هذه القواعد الكلية التي يشترك فيها المسلمون من حد الإسلام أي الدخول في الدين وهو «لا إله إلا الله، محمدٌ رسول الله»، ثم يأتون بالتفصيلات وهناك تفصيلات لا يعرفها إلا الخواص من أهل العلم من الأحكام الشرعية، هناك أحكام شرعية لا يعرفها العلماء وإنما يعرفها الخواص من العلماء، وهكذا، هناك من السنن ما هي خفية على كثير من الناس وعلى العلماء، فيأتي عالمٌ فيعلمها ويشهرها بين الناس، وهذا الجهل عند الآخرين لا يضر دينهم ولا إيمانهم، لكن يضرهم ما لو علموا صحته ثم ردوه على الله، حينئذٍ يقعون في الشرك والكفر.

فالقصد: هذا السؤال يعني مبناه هو للأسف هو مبنى كلامي، كما يقول بعضهم: بأنه لا يصح إسلام المرء

إلا بالشروط الكلامية التالية، خرجنا من هذه الطريقة الكلامية البائدة فجئنا إلى هذه الطرق المعاصرة مما يقوله الناس ويفعلونه، أسأل الله عز وجل أن يرحمنا برحمته وأن يغفر لنا، رحم الله جدتك وألحقها بالصالحين وألحقنا بها على خير وهدى والحمد لله رب العالمين.

٢١٤- هل ساب الله كافر؟

ضمن الجلسة الثامنة عشر، بتاريخ: (**٢/٠٣/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٢٠/١١/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: هل ساب الله نقول عنه: هو على عملٍ كافر وهو ليس بكافر ولا يكفر حتى تنتفي عنه الموانع وتثبت له الشروط؟

جواب الشيخ: من سب الله ورسوله كفر، ولا يوجد إلا مانع الإكراه فقط، لا يصح فيه التأويل إلا ألا يكون عالماً بأن هذا سب؛ كأن يتكلم لغة أخرى، ولا يصح فيه عامل الجهل لأن السب مقررٌ في النفوس أنه تقبيحٌ وتحقير، ولا يقع فيه إلا الإكراه.

من سب الله في بلاد المسلمين حتى وهو ذاهنٌ عن عقيدته كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حتى ولو قالها غاضبًا في لحظة غضب، حتى -ضع مما يضع الناس- حتى لو كانت جاهلاً بمعنى ما يسمى جاهل أي غير متبع للهدى، وليس معنى الجاهل عنده أنه لا يعرف ما ينطق، بل هو يعرف ما ينطق، فمن سب الله عز وجل كفر وخرج من الملة، أتى بعملٍ مكفر وحكمه هو الكفر وعليه أحكام الكافر.

هل تقبل توبته؟ تقبل توبته، ولكن هل يسقط عنه حكم سب الله عز وجل بالقتل؟ الجواب: لا، الجواب: لا يسقط عنه، كما أن سب النبي صلى الله عليه وسلم كذلك، ولكن هذا الأمر يعني ينبغي الناس أن يراعوا فيه حال الناس وقضية القيام بالأحكام، كمن يزني حكمه كذا وكذا ولو تاب عند جمهور العلماء تقبل توبته، ولكن لا يسقط عنه حد الزنا، وهكذا، ولكن الآن الأحكام معطلة، وسب الله عز وجل هذا هو حكمه لا ينبغي التهوين بها، ولا يجوز لأحد أن يزعم كما يزعم الجهلة، هؤلاء الجهلة لا يقصدون تخرج من أفواههم بلا علم ويقللون من قيمة هذه الجريمة المنكرة التي انتشرت بين الناس.

انتشرت بين الناس وللأسف يعني أنا لي في هذا البلد ثلاث سنوات خارج السجن لم أسمع خطيبًا يتكلم عنها مع انتشارها!! مع انتشارها بين الناس والجهلة حتى النساء، بعض النساء في بيوت يفعلنها والأطفال والصغار يفعلونها والمدرسون يشكون من فعل التلاميذ، ومع ذلك لم أجد خطيبًا تكلموا عنها!! يتكلمون لنا عن

انتظام حركة السير!! احترام قوانين السير!! لكن هذه الجريمة التي تخرج المرء من الملة وتعرض الأمة لغضب الله عز وجل، هذه يعني الحديث عنها يعد من الغلو!!

وبل حدثني بعض الإخوة أن هناك محاضرات وهناك تجمعات هنا للنهي عن الغلو ومن ذلك عدم تكفير ساب الله عز وجل والرسول صلى الله عليه وسلم!! سبحان الله، بدل أن تقوم الأمة مثنى وفرادى من أجل الإنكار والتشنيع على هذه الجريمة، يهونونها!!

فالقصد: أن من طلب شروطًا لساب الله عز وجل غير حقيقية فهذا انحراف، ومن هون من هذه الجريمة فهو انحرافٌ أكبر منه، والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين.

٢١٥- مسألة في التكفير

ضمن الجلسة الثامنة عشر، بتاريخ: (**٢/٠٣/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٢٠/١١/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: زيدٌ من الناس جاء بشيءٍ من القول الكفري الصريح، وقالها في الإعلام وعلى الملأ، وسمعه الخواص والعوام، وبعد فترة يقال إنّه تاب مما قال، ولم يثبت ذلك يقينًا، مثل ما ثبت قوله الكفري يقينًا، وهناك شخصٌ يقول: نقل لي فلان من الناس توبته مما قاله، وهو لدي من الثقات، هل قول هذا الشخص ملزم بمن يكفره هذا إن صحت توبة قائل الكفر أصلاً؟

جواب الشيخ: هنا نقطة ربما من المهم أن نذكرها في هذا الباب، وهي قضية أنّ مهمتنا أن نُعذر الناس، ما هو الأولى، أن نذهب إلى من ثبت إسلامه، أن نثبت له الإسلام؟ أم نثبت له الكفر؟ أنتم تعلمون أيها الإخوة الأحبة أنّ باب الإعذار هو المقدّم، وأنّه لو كان هناك وجهٌ من وجوه عدم الكفر، ووجد سبعون وجهًا لتكفير، فالأولى أن نذهب إلى عدم التكفير، هذا صرّح به فقهانا وعلماءنا ومنهم الإمام الغزالي رحمه الله، وهو قولٌ يردده علماؤنا على وجه القبول والإقرار له، فالأصل هو إعذار الناس.

وهناك أبواب ينبغي أن نميل إلى تصحيحها، مثال ذلك النكاح، وألّف جمال الدين القاسمي رحمه الله رسالته الشهيرة «الاستئناس في تصحيح أنكحة الناس»، وقال: بأنّ الأصل هو تصحيح الأنكحة، وهكذا نحن في هذا الباب، فالأصل هو تصحيح إسلام الناس خيرٌ من تكفيرهم، الذين يميلون إلى تكفير الناس ويلذعون لهذا، هذه سوداويةٌ في الفكر والقلب والعقل والنفس، هذه قضية، فإذا وجد الإعذار نفعله، ولو قلَّ.

فهذا رجلٌ ثبت كفره بيقين كما يقول الأخ السائل، والعهدة عليه كيف ثبت، يقول: كفرٌ صريحٌ صحيح ما في عليه كلام، وذهبت الموانع و... إلخ، وتحققت شروط التكفير... إلخ، فبعد ذلك جاء رجل ونقل من ثقة أنّه مسلم، وأنّه على غير ما يُصرّح، فالواجب عليه إذا كان هذا الناقل ثقة أن يذهب إليه، ولا يقال هنا: تنازع تواترٌ مع آحاد، العبرة هي بثبوت النص، فربما يثبت الحكم بتواتر، ثمّ يثبت رفعه بالنسخ بآحاد، ويصح هذا عند جماهير أهل العلم، عند جماهير أهل العلم يجوز أن ينسخ الحديث المتواتر إن صح القياس الحديثي في الصناعة

الحديثية، يجوز أن يأتي ناسخٌ من آحاد لما ثبت تواتره من طريق عدة رجال، ولا نتحدث هنا عن القرآن والسنّة، هذه مسألةٌ أخرى، لكن نتحدث عن ما ثبت من رواة الناس.

فإذا جاء هذا الرجل خبرٌ من ثقة بأنّ هذا تاب من هذا الكفر، فيجب المصير إليه، هذا الذي يجب أن يقال، ولا يقال غيره، فإذا ثبت لديك من ثقةٍ أنّ هذا الرجل يقول بالإسلام، ومنكرٌ للكفر، ورادٌّ له وتائبٌ عنه إذا وقع فيه من قبل، فحينئذٍ يجب إثبات حكم الإسلام له، فهذا هو الذي يجب أن يصار إليه.

هذا الموضوع أيها الإخوة الأحبة، ربما يعني يطبق على بعض الأشخاص الذين نتحدث عنهم من أشخاص يخرجون في التلفاز، فتفتح لهم القنوات التلفزيونية عندما يقولون الباطل، ولكن إذا قالوا الحق أغلقت أمامهم القنوات، وأنتم تعرفون اليوم أنّ القنوات مفتوحة لأعداء الله، وقائلو الحق مغلقة الأبواب أمامهم، الذي يقول الحق اليوم تغلق الأبواب أمامه، بل ربما يعاب على القنوات أنّها تظهر فلانًا وتظهر رجلاً ممن يغرد خارج السرب كما يقولون!!

فوسائل الإعلام الآن تهتم بمن يقول الباطل، يخرج بكفرية صغيرة، وبفلسفة، وبشيءٍ من الزندقة؛ فيطبلون له، وينشرون له الكتب، تجد المطابع، ولو أردت الآن بين أيديكم أن أسمي لكم عدد المطابع التي تنشر الكفر والعلمانية والزندقة، لوجدتم الأسماء الكثيرة جدًا، وأنا مرةً قلت: بأنني معتني بأن أكتب في طبقات الزنادقة، ثمّ شغلتنا الدنيا، ولكن هذا لم يمنعنا من أن نتكلم عنهم، وكان هذا المشروع «الألف كتاب قبل الممات»، مما يفتح شيئًا من هذا الباب، وهو باب تعريف الزنادقة، فعرفوا بهذا الباب عظماءنا.

وكذلك مما ينبغي أن يعرف المطابع التي هي بهذا المعنى، أي أنّها على الزندقة، هناك مطابع ومكاتب، والعجيب أنّها تطبع الكتب ولا يشتريها إلا القلة! ومع ذلك يطبعونها مما يدل على وجود الرعاية المادية لهم من قبل أسيادهم، من قبل طواغيت الجاهلية، ورؤوس الكفر، ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٢]، هؤلاء أئمة الكفر؛ يطبعون هذه الكتب، ويوزعونها، وتجدها بأسعار رخيصة، واليوم توجد دول للأسف تعتني برعاية هؤلاء، نحن رأينا في رمضان الفائت كيف قُدّم بعض الزناقة، كمحمد شحرور وعدنان إبراهيم، كيف قدّموا للناس في التلفاز، وكيف أعطيت لهم الهدايا وأعطيت لهم الجوائز.

فالعلمانية اليوم تتنفس اصطناعيًا، تتنفس بتنفس خارجي لو تركت لتموت، ميتة لا أحد يعتني بها، لقذارة ووساخة المشايخ الرعاة لها من المشايخ الزنادقة، كذلك الصحفيون المأجورون، وكذلك الكتاب والمفكرون وهكذا، هؤلاء يتنفسون اصطناعيًا لو تركوا هكذا لوحدهم لماتوا، وأغلبهم يشتغل من أجل الدرهم والدينار، الإسلام هو الذي يخوض معركته بإخلاص، وبثقة أهله به، ويدفعون الثمن، يقولون الكلمة ويدفعون ثمنها، هؤلاء يقولون الكلمة ويأخذون ثمنها!! أما أهل الإسلام يقولون الكلمة ويخوضون معارك من أجل إثباتها، وتدفع الأثمان من أرواحهم، ودمائهم في سبيل تثبيت هذه الكلمة.

ولذلك أنأ أعلق على قضية أنّه قال كفرًا أمام الناس وتاب، هذا يوجد الكثير منه، الكثير تاب ولا يعرفونه، يعني كثير من الناس تابوا إلى الله ورجعوا، وما يعرف أحد وسكتوا، عندما كفروا طبّلت لهم وزمرت لهم القنوات، والتلفاز، ووسائل الإعلام، فهذا شيء متوقع من هذا، للأسف.

الآن أنا أسألكم، كم قناة إعلامية تنشر الحق، والدليل، والسنّة كم؟ ويقابلها فقط، لا أريد العلمانيين، أريد فقط الرافضة، افتح التلفاز، اترك إنزال القنوات هكذا عشوائيًا، ثمّ عد كم قناة رافضيّة تبث كفرها وشركها، وكم قناة سنّية تبث فقط العلم بغير صراع؟ لا تصارع الجاهلية، ولكنّها تثبت الإسلام فقط من غير صراع وخصومة، قليلة، قليلة جدًا، أمّا القنوات التي تصارع الجاهلية لإثبات الإسلام، وبيان الحق في هذه المعركة القائمة اليوم، أنا لا أعرف قناة تقوم على هذا، هناك قنوات نعم يستعين بها الناس في معرفتهم في هذه المعركة، ولكنها تجابه الجاهلية مجابهة صريحة، وواضحة، وجلية، أنا لا أعرف قناة تقوم بهذا، ولن يسمحوا لها، وأنتم ترون كيف يلاحق الناس في القنوات هذه في النت، في تويتر في كذا...، كيف يلاحقون؟ والقليل ممن يستطيع أن يمرر بعض الحق في هذه المعركة.

جزاكم الله خيرًا وبارك الله فيكم.

٢١٦- هل صفة الصفح لا تنسب لله عز وجل؟

ضمن الجلسة الثامنة عشر، بتاريخ: (٢/٠٣/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٢٠/١١/٢٠١٧ م)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يقول: سبق أن ذكرت في أحد دروس الأسماء والصفات أن الصفح صفة لا تنسب لله، وقد بحثت ذلك فلم أجد في كتب العقيدة من ذكره، أي من ذكر صفةً لله عز وجل سوى ما ذكره بعض علماء اللغة كابن منظور في «لسان العرب» وابن فارس في «مقاييس اللغة» في الصفح فما صحة ما قالاه؟

جواب الشيخ: في الحقيقة أنا لم أنف صفة الصفح، ولكني نفيت اسم الصفح، أو ما دل عليه من الأسماء، باب الإثبات أوسع من باب الأسماء والصفات باب إثبات الأفعال أوسع من باب الأسماء، الأسماء توقيفية عند أغلب أهل العلم، بل لو قلت إجماعًا لما أبعدت، وإن كان هناك من يخالف أنه يمكن أن يُشتق من الأفعال أسماءً بشروط، يوجد من قال هذا من أهل العلم، ولكن القول الصواب أن الأسماء لله عز وجل توقيفية فلا يجوز أن ينسب اسم لله عز وجل إلا وقد دل عليه الكتاب والسنة.

وإن كان كما قلت اسمه القديم لله عز وجل، هذا أثبتوه وقالوا هو معناه صحيح، وجاء العلماء وبيّنوا أن عليه محترزات هذا الاسم، لكن أن يقال: بأن الله قديم على معنى صحيح في نفس المتكلم فلا بأس.

ومن ذلك صفة الصفح، هل لو قال رجل أن الله صفح عن عبده يجوز؟ يجوز هذا المعنى أن يطلقه، ولكن أن يشتق منه اسم هذا الممتنع، ولذلك ما ذكره الأخ من أن الله عز وجل يصفح عن عبده فهذا يصح، لكن هل يثبت هؤلاء العلماء اسمًا لله عز وجل من هذا الفعل، لا يفعلان لا ابن فارس فيما ذكرت ولا ابن منظور عليه رحمة الله في «لسان العرب» لا يثبتان لله هذا الاسم، لكن هل هذا الفعل ثابت، هل يجوز للناس أن يفعلوه؟ نعم يجوز، كما نقول الله يكره؛ فهذا فعلٌ لله يفعله في نفسه جل في علاه، ويقع في نفسه أنه يكره، ولكن لا يجوز أن يشتق منه اسمًا لله عز وجل، فهذه قضية بيّنة.

الذي نهيت عنه ونفيته أن يشتق منه اسم، لكن هل الله عز وجل يصفح؟ لم يرد في الكتاب والسنة أن الله يصفح؛ لأن الصفح -هذه تحتاج إلى شيء من التطويل إن شاء الله تتحملوني- من أين أخذت الصفح،

أخذت منه صفحة الوجه؛ ذلك لأن المرء حين يصفح يعرض عنه، هو يكون يواجه طالبًا الحق أو مُريدًا أخذ الحق منه فيواجهه؛ فيصفح عنه، فهو صاحب ذنب وصفح عنه فأعرض عنه تركه خلاص، أعرض عنه، فإذن هذا هو أصلها اللغوي، فهي مأخوذة من حركة بدن، وحركة وجه وهي صفحة الوجه، والأصل في مثل هذا الذي يقع مما يسمى بالاستعارة أو ما يسمى بالتأويل أو ما يسمى بالمجاز أن يكون هناك ثمة -انتبه، هذه أنا سأتكلم عنها مختصرة جدًا- والأصل أن يكون هناك ثمة علاقة بين الفعل في الأصل، وبين ما استعير له.

أضرب لكم مثالاً: ارجعوا إلى جمهرة مقالات الأستاذ محمد شاكر، نبه عليها وفيها فائدة عظيمة ردًا على من يطلق موضوع الاستعارات بلا ضابط، جاء كاتب -أنا ضربته بالمثال لأنه هو الأجلى والأوضح في توضيح الصورة، ضربت مثال ما قاله الأستاذ محمد شاكر- جاء رجلٌ وتكلم عن كلام إما عن أغنية -لا أذكر الآن- أو عن شعر وقال: «زلزلت أذني» أي هذا المقال وهذا الكلام «زلزل أذني»، وأراد أن يبيّن بأن هذا الكلام عظيم؛ فزلزل أذنه، فرد الأستاذ محمود شاكر ردًا علميًا في هذا الباب وقال: لا بد من وجود ثمة صلة ما بين هذا الفعل وبين فاعله، وهو الأذن، زلزلة تحرك، قال: زلزل لا بد فيها من الانزياح، ونحن نعلم أن اللغة العربية إذا جاءت الحروف مكررة دلت على التكرار كما هنا، فزلزلة يعني حرك، فيها حركة، فأين الحركة في الأذن في هذا؟! فقال: لا، لا يصح هذا، وهذه كلمة صحيحة لا يصح بمعنى لا بد من وجود شيءٍ حرك أذنه عندما يقع، والناس عندما يقع عليهم الكلام الجميل لا يزلزلهم لا يزلزل أذانهم، وعندما يقع الكلام الغريب لا يزلزل، ابحث عن كلمةٍ أخرى لتدل على عظمة ما وقع على أذنيك، لكن زلزلة لا تنفع، يعني لا بد من وجود صلة.

هذا الذي قلته، هو مدخل لقضية صفحة، لما نقول: صفح، أصلها اللغوي فيه الصفح، في قضية إعراض الوجه، هذا إعراض الوجه لا يقع، لكن أنت تأخذه على معنى آخر وهو قضية أن الصفح دال على العفو، -يمكن رجلٌ صفح بمعنى أدار وجهه إنكارًا لما قال- لكنه صار في الأغلب دالاً في كلام الناس على العفو، هذا المعنى الذي غلب على كلام الناس نستخدمه في حق الله عز وجل وفي إثبات هذه الصفة أنها تقع أنه يصفح، أنه يُعرض عن عبده بأن لا يعذبه عما اقترف من الذنب، لكن هذه صفح في أصلها لا تليق في حق الله عز وجل، وهو أن يعرض عنه هذا الإعراض الذي به يقع جزئيًا في معنى الصفح، أرجو أن أكون قد قاربت المسألة.

ومن هنا فمع أن الصفح صار مستقرًا على معنى العفو إلا أن أصله يمكن أن يحتمل أشياء كثيرة، أعرض

بوجهه عن الآخر، أعرض بماذا؟ الله عز وجل قال: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ﴾ [لقمان: ١٨]، تصعر خدك عندما يأتيك أحد من الناس ويكلمك وتدير وجهك، أدرت صفحة وجهك، ولذلك صارت كلمة الصفح دالةً على معنى العفو وفي أصلها ليست كذلك، بل هي داخلٌ فيها العفو وغير العفو فكان جعلها صفة لله عز وجل فيه هذا المحترز الذي ذكرناه، أرجو أن أكون قد بيّنت في هذا والحمد لله رب العالمين.

٢١٧- أحكام المسجد المؤقت

ضمن الجلسة الثامنة عشر، بتاريخ: (**٢/٠٣/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/١١/٢٠ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل أخ: ما هي أحكام المسجد المؤقت الذي يستخدم في وقت المعسكرات والمخيمات ولا يوجد فيه مئذنة ولا محراب؟

جواب الشيخ: أول شيء: حكم المسجد المؤقت هو حكم المسجد، ومثال ذلك: المساجد في البيوت، المساجد في البيوت هي مساجد مؤقتة، وهذه سنةٌ تركها الناس، ولكنها كانت عند الصحابة رضي الله عنهم وهي اتخاذ المسجد في البيت -مكان في البيت منزوٍ، يفصله صاحب البيت عن البيت، ويطيبه، ويمنع دخول الحائض والإفساد فيه-؛ فهذا مسجدٌ مؤقت، ثمَّ عندما يرحل الرجل من البيت فيرجع هذا الموضع جزءًا من البيت ولا يكون وقفًا إسلاميًا لمسجد.

فالمساجد المؤقتة موجودة، والناس حين كانوا يرحلون من بلد إلى بلد ويقمون مدة، فيقيمون مسجدًا وعندما ينتقلون يزول عنه حكم المسجد، لكنه لحظة تسميته مسجدًا أو مؤقتًا فيجب إعمال أحكام المسجد فيه، يجب، وعندما ينتهي يعود حكمه كبقية أحكام الأرض الأخرى المملوكة والتي يقع فيها ما يقع من أحكام.

وأما إذا وقفه صاحبه مسجدًا مدى الحياة، الناس عندما يأتون إلى المناطق فيقيمون مسجدًا لا يوقفهم أحد، قد تكون أرض مشاعًا فلا يوقفونهم، إلا إذا أقاموا فيها ويتخذونه مسجدًا على الدوام، فحينئذٍ له حكم المسجد؛ وإذا كانت الأرض لغيرهم فيتخذون مسجدًا للصلاة، ولكن تبقى الأرض ملكًا خاصًا لصاحبها، وبالتالي؛ حكم المسجد المؤقت هو مسجدٌ حيث بقي مسجد، فإذا ذهب عنه اسم المسجد عاد إلى الأحكام الأخرى.

لكن الأخ السائل نبهنا على قضية، يقول: ولا يوجد فيه مئذنة ولا محراب.

في الحقيقة: المآذن محدثة والمحاريب محدثة، المآذن: المكان العالي الذي يرتفع فيه، وهو إحداثٌ حسن، يعني من أجل مقاصد حسنة، وهو أنه يرتفع من أجل أن يراه الناس فيسمعون صوته، لأنه كلما ارتفع كان مدى

صوته أكثر، وليراه الناس فيعلمون دخول الوقت؛ فالمآذن اتخذت وهي حسنة، والمحاريب كذلك اتخذت وهي حسنة وفيها منافع، والعلماء تكلموا عنها، لا أريد أن أقف عندها وقوفًا طويلاً، ولكن القصد بأن المساجد سواء كانت مؤقتة أو عامة، ليس من شروط تسميتها مساجد وليس من شروط إعطائها أحكام المساجد أن يكون لها المآذن والمحاريب، ليس هذا من الشرط، والله تعالى أعلم، بارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٢١٨- حكم الحيلة لاسترداد الحقوق

ضمن الجلسة الثامنة عشر، بتاريخ: (**٢/٠٣/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٢٠/١١/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: شخصٌ أخذ مني مالاً على وجهٍ من الوجوه، ثم أنكره عليّ بالنصب والحيلة أو بالأمانة -لا أدري لماذا وضع كلمة الأمانة!!-، ثم أعرض عني ولم يعده إلي؛ فهل يجوز لي أن أسترده منه بالسرقة أو الحيلة، أو أشتكي عليه للأمن؟ علمًا أننا نعيش في ديار يسيطر عليها المرتدون، وإن أخذت منه مالاً على هذا الوجه، فما الحكم؟

جواب الشيخ: أولاً: لا يجوز الذهاب -في مثل هذا السؤال، ليس في كل حال- لا يجوز الذهاب إلى هذه المحاكم من أجل هذا الباب، لا يجوز، وإلى هؤلاء الشرطة، الشرطة لصوص أكثر من هذا الذي تتحدث عنه أيها الأخ في كثير من البلاد، وربما تصبح أنت الظالم وتصبح أنت المتهم، فالرشوة منتشرة في الشرطة؛ لإسقاط الحق وتحويل الحق إلى باطل، منتشرة انتشارًا عظيمًا كبيرًا.

نرجع إلى أصل السؤال: هل يجوز للمرء أن يسترد ماله على وجهٍ من وجوه الحيلة والسرقة -«السرقة» يعني: يأخذها من دون إذن صاحبها، وليس بالتوصيف الشرعي للسرقة المحرمة التي توجب قطع اليد- فهل يجوز ذلك؟

الجواب: نعم يجوز بشروط، نضع هذه الشروط تنبيهًا، وإلا فالأصل أن تكون كامنة في نفوس السامعين، ودليل ذلك هو حديث هند بنت عتبة؛ لما أخبرت النبي صلى الله عليه وسلم أن أبا سفيان رجل شحيح ويمنعني ويمنع أولاده، قال: (**خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف**)، فأجاز لها النبي أن تأخذ بغير إذن أبي سفيان ما هو حق لها بالمعروف، أي ما يجري عليه العرف في كفايتك أنت وأولادك؛ فلذلك العلماء أجازوا هذا، أجازوا أن يأخذ المرء حقه بغير إذن صاحبه إذا جحده، لأنه يأخذ حقه ولا يسرق ولا يأخذ حق غيره.

طيب، ما هي الشروط لهذا؟ الشروط ينبغي أن تكون كامنة في النفوس، وهي:

أولاً: ألا يضر نفسه؛ لو أن رجلاً أخذ ماله بالسرقة فأخذ من قبل الشرطة، فيكون هنا صاحب اللحية

والحق أنه هو اللص والسارق، فيقع عليه بلاء أعظم من قضية فوات المال، فعليه أن يحترز في هذا.

ثانياً: ألا يقع منه أشد مما هو له حق؛ يعني: ممكن أن يدخل المرء سارقًا، فيعترضه صاحب المال، فيقتله**!!** معه سكين أو مسدس فيقتله، فكان له حق في المال فصار قاتلاً**!!** فينبغي أن يُحترز في هذا.

القصد: هذه شروطٌ ينبغي أن تكون كامنة في نفس السامع وعالماً بها؛ لئلا يقع فيما هو أعظم منه، يعني يريد المال فيقع في جرم أعظم أو تلحقه تهمة أعظم من قضية فوات ماله؛ فينبغي الاحتراز في هذه، وهذه أتكلم عنها ليست فتوى، ولكنها فقهٌ؛ وأما تطبيق الفتوى في كل حالة، فأرى للعبد أن يستأذن عالماً في هذا، وأن يستأذن حكيمًا عالماً في كيفية أداء الحق، يعرف: كيف هذا الرجل؟ كيف حاله؟ كيف قدراته... إلخ، هذا الذي ينبغي أن تهتم به.

والله تعالى أعلم، والحمد لله رب العالمين.

٢١٩- حكم عرض الصور الدموية للمسلمين

ضمن الجلسة الثامنة عشر، بتاريخ: (٢/٠٣/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٢٠/١١/٢٠١٧ م)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: ما حكم عرض الصور الدموية للمسلمين التي تظهر أشلائهم وجثثهم وآثار التعذيب عليهم كما هو الحال في فلسطين وغيرها من الدول، ألا ينبغي عرض صورهم وهم في أكفانهم فقط وذلك احترامًا لهم ولعائلاتهم؟

جواب الشيخ: هذا الأمر ليس فيه قولٌ واحدٌ يصير المرء إليه، هذا السؤال لا ينبغي أن يقول أحد فيه قولاً واحدًا ويحسم فيه المسألة ولا ينبغي مخالفته، لا، هناك يمكن لعرض الصور ما يؤدي إلى التثبيط وإلى اليأس وإلى القنوط، وهناك يمكن في عرض صور على هذا المعنى أن يقع التحريض وبعث الهمم في القلوب والنشاط؛ فهذا يُرجع فيه لأهل الشأن وأهل البصيرة، هل عرض فيه المنفعة؟ حتى فيما ذكر الأخ السائل حفظه الله في عرض الشهداء في أكفانهم، ربما يأتي واحد يقول: لا، لا نعرضه لسببٍ ما، لسبب يراه ويقدره تقديرًا صحيحًا ويرى أن منع عرض صوره في الأكفان هو المقدم؛ فحينئذٍ نحترم قوله وخبرته وبصره في النتائج التي تؤدي إلى مثل هذا العرض.

وأنا شخصيًا لا أحب رؤية هذه الصور ولا أطيق النظر إليها، ولا تزيدني إلا غمًا وألماً، وأما أن تحرضني فوالله إني أبغض أعداء الله عز وجل بغضًا لم يبق في قلبي مكانًا لبغض أحدٍ من البشر فوق بغض هؤلاء القوم من أعداء الملة والدين ممن تعرفونهم سواء كان من الكفار الأصليين أو من الزنادقة الذين يتسمون باسم الإسلام أو المرتدين الذين لحقوا بالمشركين على معنى من معاني الشرك والكفر، فأنا لا أستطيع النظر في هذه الصور، ليس خوفًا، ولكن لا أطيق النظر إليها تؤلمني جدًا ويعني لا أحب النظر إليها.

ولكن هذا قولي ليس مقياسًا للناس جميعًا، يمكن أن يقوم أهل الإسلام بنشر صورة فيها الآلام وفيها إجرام الكفرة بحيث نعرف مقدار حقد الكافرين علينا، وأنهم لا يقومون في مؤمن إلا ولا ذمة، فالعبرة بالنتيجة.

وهذا الذي أقوله في هذا الباب: نترك للناس تقديراتهم ونترك للناس كذلك تقديراتهم فيما يرون، فبعض

الناس يراها إذا نظر إليها أنها نافعة له في بيان حقيقة أعدائنا، ولذلك مثلاً: الكفرة في بعض قتالهم منعوا دخول الصحفيين ليمنعوا كشف جرائمهم في البلاد، أنتم تعرفون لما دخل الروس غروزني في المرة الأولى صارت فيهم مقتلة عظيمة، ورافقهم بعض الصحفيين وكانت هذه المرافقة فيها خير للأمة وفيها منفعة، لكن لما أرادوا دخولها مرةً ثانية التي أبادوا فيها غروزني وقتلوا وسفكوا الدماء وأجرموا في حق الشعب المسلم في الشيشان، منعوا دخول الصحفيين.

وكذلك في الفلوجة لما أراد الأمريكان والإنجليز الدخول إليها في المرة الأولى وحصلت فيهم مقتلة وهربوا ولم يحصل لهم النجاح في الدخول، كان هناك بعض الصحفيين ممن يرافق هذه الحملة ونشروا خيرًا عظيمًا، لكن في المرة الثانية منعوا دخول الصحفيين وأبادوا هذه المدينة المباركة إبادةً تامة؛ فالكفار يمنعون مرات نشر هذه الصور لأنها تدل على مقدار حقدهم وتكشف جرائمهم وفسادهم وضلالهم وحقدهم في قلوبهم على المسلمين، فهم لا يريدوا أن يثيروا المسلمين ضدهم، فنترك هذا الأمر لا ينبغي أن نصل إليه.

لكن بقي أمرٌ في سؤال السائل: وهو احترام أهل الميت، يعني هذا غير ما تكلمنا من قضية المصلحة التي يراها أهل الخبرة وأهل العلم وأهل النظر، فكذلك ينبغي أن يحترم ما يقوله أهله، يعني لو قال أهله: لا نريد نشر الصور، لا نريد لأبينا، لا نريد لأخينا أن تنتشر صورته؛ فيجب احترام قولهم وقوله مقدم؛ لأن هذه قضية خاصة قبل أن تكون عام وقولهم مقدم حتى على المصلحة العامة في هذا الباب؛ لأن الأمر يعود إليهم، وبعض الناس يحبون أن يعرف وجه ابنهم عند الموت، ورأينا الحمد لله كثيرًا مما يثبت سعادة الموتى الشهداء عند موتهم؛ كيف يتبسمون وهم في دماءهم مخضبون، فهذا يعني أنا أعجب وأنا أنظر للشيخ عبد الله عزام رحمة الله عليه وهو مُسجة في ثوبه ويوضع في قبره، وجزى الله من حرص على تصويره في هذه اللحظة وكأنه يبتسم، إي والله، وهكذا في كثير من الإخوة ممن يعرفوا ولا يعرفوا أنهم ماتوا وهم فرحون ومبتسمون؛ فكانت الصور دافعة لثقة الناس في هذا، والصورة تؤكد الخبر، الناس ينقلون أخبارًا والصورة تؤكده وتثبته.

لكن لو جاء أهل ميتٍ وقال: لا نريد صورة ابننا أو صورة والدنا، لا نريدها أن تنتشر فيجب احترام قولهم مهم كان، وقد يكون مضغوط عليهم هذا يحترم، لا بأس يحترم قولوهم في هذا الباب، فهذا الذي أجيب عنه في هذه النقطة والله تعالى أعلم، بارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٢٢٠– ما حكم متابعة أفلام الكرتون؟

ضمن الجلسة الثامنة عشر، بتاريخ: (**٢/٠٣/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٢٠/١١/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: ما حكم متابعة أفلام الكرتون للصغار وللكبار، وحكم تعليق صور الرسومات الكرتونية على الجدران والألبسة؟

جواب الشيخ: النظر إلى هذه الأفلام بحسب هذه الأفلام، إذا كانت يعني نافعة وفيها الفوائد فلا بأس بها، ولا حرج في هذا حتى من يرسمها ويصنعها عندي وقد خطبت في هذا خطبة قديمة، يستطيع بعض طلبة العلم الرجوع إليها، فلا أرى في ذلك بأسًا وليس هو من الصور المنهي عنها، ويجوز للناس أن ينظروا إليها إذا كانت شرعية، يعني فيها المنافع وليس فيها ما يحرم من الموسيقى أو من الدعوات الباطلة؛ لأن كثيرًا من الأفلام الكرتونية ينتجها الغرب أو ينتجها أهل الشرق من اليابانيين والصينيين وفيها عقائد وثنية، بحسب دينهم يصنعونها لأولادهم فيأخذها الجهلة من هؤلاء ويترجمونها ويضعونها دون تنقيح ودون تمحيص، يضعونها بين أيدي المسلمين مثل روح الغابة، أنا رأيت مرة هكذا روح الغابة وكيف تفعل، هذه عقيدة وثنية موجودة في ديانتهم.

مثل عقيدة سبتمبر يعني أحد الإخوة جزاه الله خير أراد أن يعرب فيلمًا كرتونيًا، ولكن فيه ما يسمى بعقيدة سبتمبر، عقيدة سبتمبر هو تحول بعض الناس في الليل إلى أشكال أخرى هذه عقيدة نصرانية، أو عقيدة غربية لنقول ليست نصرانية، عقيدة غربية موجودة في تراثهم ولا يجوز هذا في ديننا.

فالقصد: بأن مثل هذه يجب أن يُراعى الناس فيها وأن يعلم خاصةً الأطفال، الأطفال يتعلقون فيها، ربما الرجل لا يهتم لها، ولا ينتبه لها، وينبغي أن يقوم على هذا الأمر أناسٌ متخصصون، يعني أنا يعجبني عبد الوهاب المسيري عندما تكلم عن «توم وجيري» وجعلها ضمن سياق فلسفة الغرب في الحياة، قال: موضوع «توم وجيري» هو عبثية الحياة وعبثية القتال والخصومة، يعني في توم وجيري الخصومة دائمة، فخلاص الخصومة دائمة، لماذا؟ لا أحد يدري، ما هي مرجعية الخصومة؟ لا أحد يدري، فجعلها ضمن سياق لا أدرية والعبثية في الحياة الأوروبية، والناس يسمعونها عندنا ولا يهتمون، فقط يرون هذه تتشاجر ويضحكون ويلعبون ولا يهتمون

لما تغرس من معاني في نفوس الناشئة، فينبغي أن يقوم على مثل هذه الأمور أناس مختصون.

وهناك بعض الأفلام حققت منافع كثيرة يعني هذا ما يسمى فلم محمد الفاتح، انتشر بين أيدي الناس وربى أجيالاً من الصغار على الشهامة والرجولة وو... إلخ، وعزة الإسلام وذكاء القائد و... إلخ، فمثل هذه ينتفع به الناس وفيه خير، وليس فيه محرم إلا إذا وضع فيه ما يحرم.

النقطة الثانية: هو وضع الصور على الأطفال أنا أكره هذا، لا أحرمه إلا إذا كان هو بنفسه محرمًا لأن الأطفال يهينونها، بخلاف ما يضعها الرجل مفتخرًا بها، عند الأطفال تهان تكون مهانة في البيوت وليس لها قيمة، وإن كان يكره هذا لأن الطفل يتعلق بها، أنا أتكلم على الصور التي توضع على الملابس وعلى الملابس الداخلية وكذا، فهذه يعني مهانة، ولكن أن تعلق في البيوت هذا لا يجوز، هذه الصور تعلق في البيوت وتبرز في داخل غرف الأطفال خاصةً؛ هذه حرامٌ لا تجوز، ففرق بين أن توضع من أجل التعظيم والاهتمام والاعتناء بها وبين أن تكون هكذا مهانة ولا قيمة لها، فرقٌ بين هذا وهذا والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين.

٢٢١- صفقة القرن ومشروع كوشنر

ضمن الجلسة التاسعة عشر، بتاريخ: **(٢٨/٠٣/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٦/١٢/٢٠١٧ م)**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسألُ بعضُ الإخوة عن صفقة القرن أو مشروع كوشنر، هذا الولد كوشنر زوج إيفانكا أبوهُ هاجر من بولندا يهوديًا إلى أمريكا على طريقة اليهودِ في التحالف مع الأقوياء، اليهود فيهم صِفة أنهم؛ ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ [الأعراف: ١٦٧]، خلاص هذا أمر قدري لازمٌ لهم، وهو أنَّهُ: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا﴾ [آل عمران: ١١٢]، فالذِلة مضروبة، ثم جعل استثناء: ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٢]، حبلٍ من الله هو الأمر القدري؛ يعطيهم المال، يعطيهم القدرة على التجسس، يعطيهم القدرة على اختراق المجتمعات، بسبب دنيّتهم يستخدمونَّ نِسائهُم، يستخدمون التقية الْمُحرمة الخبيثة، وحبلٌ من الناس وهو التحالف مع الأقوياء.

إذن هُما أمران الذِلة كامنةٌ في نفوسِهم لا يمكنُ أنْ تُرْفَعَ عنهم، ولكنهم يعيشون في رفع الذلِة في هذين الأمرين في ما يعطيهم الله من قدرات تؤدي بهم إلى السيطرة الخفية غير المعلنة لخوفهم؛ لأنهم يخافون، لا يُظْهِرونَّ أنفسهم يتخفون يتسترون، ولذلك الجاسوسية عند اليهود دين، وهذه شرحتها من قبل، وحبل الناس هو التحالف مع الأقوياء، فهذا أمرهم، فلذلك لما جاءت أمريكا وهم يرصدون الواقع رصدًا كبيرًا، رصدًا قويًا، ومن قرأ مذكرات السلطان عبد الحميد، هناك قسمان له: قسم المذكرات السياسية في مجلدين ولا أقصد هذا الكتاب، وأقصد كتابًا آخر مذكرات السياسية وهو تبريرات سلوكه مع المجتمع العثماني السياسي في زمانه، فلو قرأتم لعلمتم كيف تلاعب اليهود وكيف لهم القدرة على الاستشعار، اليهود عندهم القدرة على الاستشعار برصدهم المظاهر كيف تجري، ولذلك رصدوا أنَّ أمريكا هي القوة الصاعدة، واستطاعوا جرَّ أمريكا في الحقيقة من سياسة النأي عن النفس إلى أن تدخلَّ الصراع في العالم.

تعرفون روزفلت زوجته روزا اليهودية، روزفلت لم يكن يهوديًا، ولكنه كان مُختَرَقاً من يهوديةٍ له، على طريقة ما اختُرِق -هم هذا فنهم- كما اخترقوا فارس عندما أرجعهم كُورَّش الفارسي من السبي البابلي، عندهم يُدْخِلونَّ النساء، فروزفلت هو أول من جرَّ أمريكا إلى العودة إلى العالم وإلا فالمؤسسون، الآباء المؤسسون في أمريكا

وضعوا شروطٌ، ذكرها كتاب «أمريكا وإسرائيل علاقة حميمة»، اقرأوا هذا الكتاب هذا كتابٌ جيد، وأنا إن شاء الله اشرحه في مشروع «الألف كتاب قبل الممات» وهو «أمريكا وإسرائيل علاقة حميمة».

شرح هذه القضية بجلاء وهو أن أمريكا أصلاً في اعتقاد المؤسسين وفي بناء المؤسسين لها، الآباء المؤسسون لها، أرادوا أن تنعزل أمريكا عن العالم، لا يريدون مشاكل العالم، العالم كله خصومات، ووجدوا قارةً كبيرة مستغنية عن العالم في وقتٍ واحد تعيش الشهور كلها وتعيش الظروف كلها وفيها كل شيء، عالمٌ متكامل، قارة تقارب العالم القديم، ولكنَّ اليهود لم يروا هذا، فذهب إليها اليهود وهاجروا ووجدوها بلدًا جديدًا بلا قوانين وبلا أديان حاكمة؛ فدخلوا فيها وتغلغلوا وغيروا أسمائهم، ولم يريدوا إبقاء أمريكا على حالها في سياسة العزلة والنأي بالنفس عن الهموم العالمية؛ فاستطاعوا في الحرب العالمية الثانية أن يعيدوا أمريكا إلى العالم.

أول شيء: ذهب روزفلت وطلب من الكونغرس أن يدخل الحرب ضد دول المحور ولكنهم رفضوا، في أول مرة رجاهم؛ فلم يقبل الكونغرس دخول الحرب ضد ألمانيا ومن معها وإيطاليا، وذهب مرة ثانية فلم يقبلوا، ثم المرة الثالثة، وصارت قضية «بيرل هاربر» «Pearl Harbor»، وأنا أنصح إخواني أن يقرأوا شيء عن «بيرل هاربر»؛ لأنها في الحقيقة ألعوبة، وشرحها بالعربية كتاب «انظر العولمة»، وأنا شرحته في مشروع «ألف كتاب قبل الممات»، ارجِعوا إليه تجدوا تفصيلاً لمعركة «بيرل هاربر»، كيف صُنِعَتْ «بيرل هاربر» من أجل جر أمريكا للدخول إلى العالم كقوة من أجل تنفيذ نبوءات اليهود.

فأمريكا دخلت على هذا الخط في هذا الباب فصارت العلاقة عن طريق التحالف اليهودي مع القوى الجديدة الأمريكية التي سمحت في دخول اليهود إلى مفاصل الدولة الأمريكية منذُ ذلك الوقت، فاليهود دخلوا المفاصل الأمريكية منذ الحرب العالمية الثانية، دخلوا فيها وسيطروا على الكثير من قراراتها ووضعوا أسس للمؤسسات المؤيدة لليهود.

هذا كوشنر من الذين أجداده من الذين هاجروا من بولندا واستقروا في أمريكا، وعمر هذا الولد ثلاثين سنة، حِمار صاحب وهم، هذا زوج إيفانكا، هذا يهودي ويهودي متعصب، وإيفانكا تهودت، هذا مما لا شك فيه، إيفانكا ابنة ترامب تهودت، وتزوجها يهوديًا، فهذا كوشنر اليهودي معروفٌ عنه أنه محب لليهود ومحب لإسرائيل وهو يميني متطرف، بمعنى من اليهود المتطرفين، ولذلك هو مِن عُمُدْ دعم نتنياهو في الانتخابات وفي

وصوله إلى رئاسة الوزراء، وتعرَّفَ على ترامب لأنه كان تاجر عقارات على طريقته فبعد أن جاء إلى البيت الأبيض أحضره معه كونُه زوج ابنته ويثق به، وهو يُسَّير ترامب، فترامب حمار ولكن الحمير هؤلاء أخطر من الأذكياء؛ لأنهم يجمعون بين البهيمية وبين الصلابة، يعني الثور بسبب غروره يندفع إلى الجبال، يندفع للجبال يحطّمها، بخلاف العقائدي الذكي الذي يتعامل مع الأمور بذكاء للوصول إلى أهدافه، ترامب من هذا النوع، نوع الثور.

فكوشنر هذا مستشار ترامب اليهودي وزوج ابنته جاء بشيءٍ وبدأ يُسرِب على قاعدتهم بما يُسمى صفقة القرن، صفقة القرن لحل قضية اليهود –المسألة اليهودية– في الشرق، وليس حل للمسألة الفلسطينية، الفلسطينيين والعرب بالنسبة لهؤلاء لا قيمة لهم والسياسيون في بلادنا يؤيدونهم، فهم يريدون حل المسألة اليهودية، هم يعلمون –انتبهوا لهذه القضايا– كل مشروع استيطاني فاشل، في أي بلدٍ في العالم، المشاريع الاستيطانية هي في النهاية إلى الزوال، والتجربة في العصر الحاضر كالتجربة الاستيطانية في جنوب أفريقيا، الاستيطان لا ينفع.

الوحيدون الذين نجحوا في الاستيطان هي الأمة المسلمة دخلوا البلاد فاستوطنوها وغلبوا أهلها فصار أهل البلاد أئمة الإسلام وعلَّموا أحفاد أسيادهم من العرب الإسلام، صاروا أئمة فأصحاب الكتب الستة وأئمة اللغة ليسوا عربًا، سيبويه ليس عربيًا وأبوهُ لا يستطيع أن ينطق العربية نطقًا صحيحًا، فصار هؤلاء أسياد بسبب هذا الدين لأنهم لم يدخلوها مستعمرين ومحتلين بل دخلوها هُداة فاتحين؛ فدعوهم إلى الله ورأوا منهم الخير؛ فدخلوا في دين الله أفواجًا وصاروا أئمةً وجاءوا إلى بلادنا فحكموا بلاد العرب، المماليك حكموا بلادنا، العثمانيون حكموا بلادنا باسم الإسلام وأحبتهمُ الأمة، ولم يكن هناك شيء من هذه القومية النتنة التي يفرزها القوميون العرب اليوم، العرب والعرب وهكذا، نعم بلا شكَّ هناك احتقار للعرب من الشعوبية الجديدة، ولكن العرب كذلك فيهم فسق وفجور وقومية نتِنة والأصل ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣)﴾ [الحجرات: ١٣]، القيمة الوحيدة لقضية العرب وغير العرب هي قيمة تعارفية، لنتعارف، ليعرف بعضنا بعضًا فقط أنَّ هذا عربي وهذا غير عربي.

المهم في هذا: فهم يريدون الآن حل المسألة اليهودية كونها مسألة استيطانية ودوام الاستيطان هو كزرع

الأجزاء الغريبة في البدن، واحد القلب تضع له قلب، الآن الكِلية، الكِلية كم تمكُث؟ هذا عند الاعتناء بها وقبول الجسد لها بعد عشر سنوات تتلف الكلية خلاص، عليها أن تتوقف ويجب تغييرها أو يموت الرجل، الاستيطان نهايته الفناء، الأمة الوحيدة التي نجحت في الاستيطان هي الأمة المسلمة لأنَّ لها قواعد من الحق والهدى والدعوة إلى الله وهداية الخلق وعدم استغلالهم، مما تميزت به عن كل مراحل التاريخ، هم يعلمون أنَّ الاستيطان إلى زوال، التجربة في جنوب أفريقيا حاضرة والحروب الصليبية حاضرة، اليهود إلى زوال، هذا جسمٌ غريب مغروس في المنطقة يجب أن يزول، هم يعرفون هذا فلا بدَّ من حل للقضية اليهودية.

المسألة اليهودية كَتَبَ فيها الغربيون كثيرًا لأنها مشكلة في داخل الغرب فجاءوا حلوها على حسابنا، لا بأس هكذا الأقدار ما عنا مشكلة، يعني هذه الأمة مكتوبٌ عليها أنْ تُعلِم العالم؛ هذا قدرُها، هذه الأمة المسلمة التي يحتقرها البعض، هذه قدرها أن تؤدب العالم، قدرها أن تُعلِمَّ العالم حتى وهي ضعيفة تؤدب العالم، هذه الأعمال التي يقوم بها المجاهدون في فلسطين ضُعفاء مساكين لا يملكون شيئًا، اليوم استُشهِدَّ شابٌ غزاوي مُقعدْ هذا يُعلِّم العالم.

هذه الأمة في ضعفها تُعلِم العالم أنها أمةٌ لا تُهان وقادرة على إزلال أكبر الجبابرة وهي في ضعفها، فكيف لو قويت؟ ولذلك العالم يصيغ نفسه، إذا كانت هذه الأمة الإسلامية ضعيفة ومُهانة كما يزعُمون لماذا العالم يركضون من أجل حل مشاكلها؟! ولماذا يغيرون القوانين؟! ولماذا يصنعون الجيوش؟! ولماذا يبذلون الأموال؟! أنا أعجبُ والله أعجب ممن يحتقرون هذه الأمة!! يا رجل يرتجفون خوفًا منها وهي ضعيفة فكيف لو قويت؟

الشاب المسلم هذا الذي يخرج من الخمّارة ويصبح مصليًا فيؤدب العالم، فهذه الأمة هذا قدرها، الغرب يريد تأديب، ليأتي إلينا لا مشكلة نؤدبه، هذا قدر هذه الأرض وخاصةً بلاد الشام قدرها، لماذا سُميت بكة؟ قيل لأنها تبك أعناق الظلمة، هذه الأرض مباركة لأن قدرها أن يُروى شجرها وأن يُروى تاريخها بدماء أعدائها.

المهم إخوتي الأحبة: هذا كوشنر المجنون بدأ بصفقة القرن، وإلى الآن لم يستطيعوا إظهار ما لديهم، ولكن هذا أبو الثلاثين سنة «الحمار كوشنر» ومن معه من الحمير الصغار من الأتباع، حفنة صغار، أولاد؛ يظنون بالقرارات – هكذا يظنون – أنَّ هذه الأمة قد ماتت ولا قيمة لها، يظنون أنهم متى جلسوا على الكراسي فبالقرارات وبالريموت كونترول ينهون الأمة، ويزعمون: نريد أن نحل قضيتكم، انسوا فلسطين، واليهود إخواننا،

والدين لا قيمة له، وهذا دينكم مُغيّر.. عشنا ثلاثين سنة في دين غلط، هكذا بالقرارات!!

ونقول لهم: هذه أمةٌ مرّ عليها الكثير من الزنادقة –يا صغار يا جهلة يا حمقى–، مرَّ عليها الكثير من الطغاة؛ يا بقرة: العُبيديون في مصر مكثوا سنين طويلة ليغيروا دين أهل مصر من السُنة إلى الرفض فما قدروا.

ولو أنَّ هؤلاء الحمير –أستغفر الله العظيم؛ لا والله، بل هم صراصير– يقرأون تاريخ بلاد الشام، في وقت من الأوقات غلبَ عليها القرمطة وغلبَ عليها الرفض وغلبَ عليها الصليبيون في وقتٍ واحد.. فأين هم؟ أين هم؟! أين ذهبوا؟! إنها يدُ الله، هم لا يحاربون شعبًا ولا شبابًا، هم يُحاربون الله عز وجل، هم يريدون حصد الدين والله عز وجل يريد زرعه وإنباته، هم يريدون إهلاكه والله يريد بركته وعطائه، فهم يريدون حل!!

فقط للذِكر لا نريد القدس عاصمة لفلسطين هذه شركية وكفرية مش ناقصنا نحن حلقة رِدَّة جديدة تنشأ، مش ناقصنا يأتي فلسطيني ليحكم فلسطين باسم فلسطين لا ينقصنا، لا نريدها، لا يهمنا، لينتبه أهل الإسلام من هذه القضية لا يهمنا، ومن هنا أنا دائمًا أقول: مما هُديتُ إليه أن الذهاب إلى القضية الفلسطينية مباشرةً غلط يؤدي إما إلى اليأس وإما إلى العمالة، يأتي فيجلس من اليأس فيصبح عميل، هكذا صار حال التنظيمات الفلسطينية عندما ذهبوا لحل القضية الفلسطينية بعيدًا عن شبكة آلام وأوضاع وأحداث الأمة، الشيخ عبد الله عزّام تقبله الله في أفغانستان كان يرسم الطريق الصحيح لأفغانستان وهكذا، القضية تطول وأنتم تعرفونها ولكنها تحتاج إلى شرح، ما يحدث الآن في بلاد المسلمين هو الهدف والبوصلة فلسطين ليس لأن فلسطين للفلسطينيين، لابأس... المزيد من الإصرار، لا يوجد شيء اسمه شعب فلسطين هؤلاء الفلسطينيين في فلسطين هؤلاء تروهم في القرى هؤلاء جاءوا مهاجرين أو مرابطين من أجل إما الجهاد ضد الصليبيين وإما من أجل الرباط في المسجد الاقصى عبادةً وإخباتًا وطاعة.

هذه أمةٌ تصاغُ لا باسم قوميةٍ ولا تاريخ، هذه أمةٌ تُصاغُ باسمِ الدين، ومدنها بُنيت على ضِفاف الجهاد وضفاف التعبد، وقُراها بُنيت على وقعِ الجهاد والتعبد والطاعة والإخبات والرباط.

الكلام كثير في هذا، وأنا لا يقهرني هؤلاء، هؤلاء سيموتون ويبيدون، وهؤلاء الصغار من الحكام ستدوسهم الأمة بأقدامها، أنا أعجب من الذين يقولون أين الأمة؟! أين الأمة؟!! يعني من الذي يصنع الجهاد؟ من الذي يقاتل في فلسطين؟ من الذي يموت؟ الآن لو فُتِحَ باب الجهاد لرأيت الناس أفواجًا ورأيت الناس بالملايين، انتظر

لكل أجلٍ كتاب، سترى هذا، هذه الأمة متفاعلة، الآن لا يوجد مسلم في بيته إلا ويتحدث عن فلسطين، ويتحدث عن اليهود، ويتحدث عن الحكام الطواغيت، ويتحدث عن الفساد، ويتحدث عن زوال دولة إسرائيل، والله تمشي بالشارع فتجد أنَّ العوام أكثر إيمانًا وأكثر يقينًا بالنصر من بعض من يتكلم معك ممن يزعُم الفِكر.

كوشنر هذا المجنون على قاعدة بعض الحكام الصغار هؤلاء البقر يظنون أنَّ القضايا ستحُل، خلاص الشعوب ماتت، فنُحرِك أحجار الشطرنج، حل قضية المسألة اليهودية، عزل تام، دولة يهودية، نرمي هؤلاء المسلمين الفلسطينيين في البحر، أرموهم في الصحراء.

هكذا يظنون أنهم يقدرون على صناعة التاريخ والجغرافيا وتغيير الجبال! مجنون! ولك يا بقرة كل قواتك وكل أسلحتك ما قدرت على مجموعة من المساكين في العراق وإلى الآن تعانون الأمرين من مجموعة مساكين في أفغانستان، أنت جئت على عش الدبابير، وبعدين أنت روح اذهب إلى الهنود الحمر، تضحك على الهنود الحمر وتبيدهم، جئت إلى أمة الإسلام، على الأمة الربانية التي أرادَّ اللهُ عز وجل لها أنْ تكون هذه الأرض مقبرةً للطغاة، وهذه الأمة مقبرة للطغاة، جئت على هذه الأمة التي يُدرِك أسيادك لو قرأت كتبهم أنَّ هذه الأمة لا تموت، تضعف لكن لا تموت، ولكنها تكمن ثم تنتفض، وسترى قبضتها قريبًا.

هذا البقرة ترامب وزوج ابنته كوشنر ما أخرجوا صفقة القرن لكن عِمادها حل المسألة اليهودية بعدم تغيير شيء وإعطاء اليهود ما يريدون، وفي مجموعة من المساكين الفلسطينيين خلص العالم زهق منهم وتعب منهم، ارموهم في البحر، حطوهم في الصحراء وانتهى الموضوع، وكأنَّ القضية هي قضية مال وقضية تعويضات، مساكين هذه نهايتهم.

حين يصل الجاهل في فهمِهِ لحركة التاريخ إلى هذه النقطة يعني أنَّه بدأ يقتل نفسه، وهذه الأمة تعتمد على حُمْقِ خصومها، حين تكون ضعيفة تعتمد على حُمّقِ خصومها، لما جاء الصليبيون إلى بلادنا كانت الأمة مهلهلة وكان هناك عمليات جهادية كما نرى الآن هكذا وهكذا، ما الذي قضى عليهم؟ هم خصومهم، هم قتلوا أنفُسَهم والحروب بينهم قتلوا أنفُسَهم، وفلان يقتل فلان تزوج زوجته وهكذا، حُمق خصومنا هم الآن حمقى.

قال الله سبحانه وتعالى جلَّ في علاه: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢]، قال ابن تيمية رحمهُ الله: «من دلائل نُصرةِ الله عز وجل أن يوجد للأنبياء أعداء»، من دلالة نصرة الله عز وجل للأنبياء أن يكون لهم أعداء، هذه الميوعة التي عاشتها الأمة هذه تقتل قيمة الدين، الله عز وجل يحبُ الظهور والبيان.

فالمشايخ عندنا –تعرفونهم– يحبون قضية الميوعة والسلم والضحك عليهم، الأمة في وادٍ وهم في وادٍ، هؤلاء الطرابيش، هؤلاء في واد آخر، هؤلاء الذين يقتاتون، ليس لدينا قيمة معهم ولا كلام معهم، ولكن هذه الأمة تعرف البوصلة، تعرف صديقها وتعرف عدوها ولا تحتاج إلى فتاوى وإلى لمشايخ يزورون دينها، فيأتي من؟ يأتي أحمق فيظهر عدائه، فتنتفض الأمة، وحتى بعد ذلك لا تخاف هؤلاء المشايخ سيأتون، غدًا إذا قام الجهاد ستجدونهم أمامكم لا تخافوا نعرفهم، هناك بعض المشايخ في سوريا كالمشايخ عندنا يرون أنَّ الجهاد إجرامًا، ثم لما قام الجهاد صاروا قادة تنظيمات، مثل كل البلاد ستجدون هؤلاء قادة تنظيمات مجاهدة، لا تخافوا المشايخ لغياب هدي الكتاب والسنة وغياب هدي التاريخ يقعون في مزالق الأعداء، لكن الأمة لا تقع في مجموعها.

فجاء هؤلاء وجاءت القرارات هذه وأحيَّت الأمة، أحيت أن هناك أعداء، والذين حتى يمشوا مع الدولة الأمريكية واليهود يمشون على استحياء، لما ظهر هذا الأمر استحيوا منه وتبرأوا منهم، قلعوا أيديهم، ولم يبق إلا الوقحين، لم يبق إلا من أراد الله أن يقصمه، وهو يخدع الأمة ويحفر تحتها من أجل أن يبيدها وستكون جثته في حفرته بعد قليل.

صفقة القرن هذه كوشنر هذا ولد، وأنا أعجبتني كلمة لمؤرخ قال: هذا لو هذا ولد –والله أعجبتني هذه الكلمة– قال: لو ولد كوشنر وفي فمه مجلد للقضية الفلسطينية وكان يقرء فيه ويقرأ المجلد الأول من القضية الفلسطينية وعمره الآن في الثلاثين لم ينتهِ من قراءة هذه القضية ولا تاريخ هذه الأمة.

فنحن نثق في نصرة الله عز وجل لهذا الدين، ونحن نثق بأنَّ المستقبل لهذا الدين وأن العاقبة للمتقين وأنَّ هذه الدولة المسخ سوف تزول، ولكن لن تزول حتى يكون في فتحها إقامة للدين، ولن يُقام هذا الدين فيها حتى يُقام الدين في الأراضي التي ينطلق منها الجهاد في سبيل الله، هذه هي الطريقة، الجهاد يمتد ويمشي ويحدث أثرًا، وتحياً الأمة، ولا يقول أحد: فيها مفاسد، نعم فيها مفاسد، ومليئة بالأمراض، لكن فيها الكثير الخير، للأسف

الناس لا يسمعون الخيرات ولا البركات، ولكن يسمعون فقط الأخطاء، يبقى المرء نائم والشخير يقتل جيرانه، حتى إذا وجدت مفسدة قام بها انظر، انظر!! لا يرى المجاهدين، لا يرى الاستشهاديين، لا يرى العلماء، لا يرى المواعظ، لا يرى الخير، فقط ينظر إلى المفاسد.

أعجبني مثال قال: جاء رجل إلى رجلٍ معه غنم فطلب منيحة -تعرفون المنيحة؛ وهي أن يُعطى رجل غنم الحامل للبن من أجل أن ينتفع باللبن ثم يرد بعد ذلك الأصل- فجاء لصاحب الغنم وقال له: أعطني منيحة، قال: هذا الغنم كله واختر ما تُحب ولك هذه المنيحة، فذهب وأخذ بأذن الكلب، ترك كل هذه الغنم وأخذ الكلب! وهكذا البعض كل هذه الخيرات في الأمة، هؤلاء الذين سجنوا، هؤلاء المجاهدون، هؤلاء المسجونين من أجل دين الله في مصر، هؤلاء العلماء المسجونين في الجزيرة، هؤلاء المجاهدون، هذا الجهاد هنا وهناك، لا يرى شيء، حتى إذا جاء خطأ قال: انظر، انظر، وهو يظن أنَّ الأمة ساكتة لأنها جبانة، يظن أنَّ الأمة ساكتة لأنها لا تريد أن تنفر في سبيل الله، يفسر سكوتها بأقبح أنواع التفاسير ولم يصب في تفسيرٍ واحد.

هذه الأمة تعرف طريقها، وتعرف متى تقوم، وتعرف متى تسكن، هذه أمةٌ تُمثل قدر الله عز وجل، وقدر الله عز وجل هو حِكمة الوجود، تعرف طريقها، لما يبعث الله عز وجل في القلوب الأمور هذه لا يقف أمامها شيء.

أما لماذا ليس الآن؟ لأن كل شيء بقدر، لا تخف كل شيء إذا جاء على غير أوانه كان مُفسدًا وولد ميتًا، السقط يلد ميتًا، لابد أن ينمو، دع الأمور تنمو من أجل إقامة الحجة الإلهية على الخلق، دع الأمور تنمو من أجل أن تعرف الأمة أعدائها، دع الأمور تنمو لتعرف الأمة كيف تنطلق، الأمور تنطلق وتتكون، هذا القرآن الذي ينتشر بين أيدي الناس، هؤلاء الذين يقبلون على حفظ كتاب الله وحفظ السُنن وتعلم الدين، وفضل الجهاد في سبيل الله، وهذه الأسئلة التي تصل من الناس يريدون الأحكام الشرعية في الصغير والكبير، دع الأمة تنمو.

فلذلك لن تنطلي مناهجهم على هذه الأمة، ولن يخطو خطوةً زائدة فوق ما هو عليه، خلاص انتهى الأمر، فقط الآن ننتظر الطلقة الأخيرة، وننتظر اللحظة التي تتم بها الخيرات والبركات، الآن نحن على الأعتاب، ما بقي شيء نحن على الأعتاب اعلموا هذا يقينًا، أنا أتكلم لكم يقينًا: نحن على أعتاب التغيُّر الكلي في هذه

الأمة، ومن بلادٍ عظيمة، وستلتقي هذه الأمة، وستذهب هذه الزبالات، لن تموت ولكنها ستقتل في الشوارع ذبحًا بعضها، وبعضها سيختفي كالفئران والصراصير حتى يأتي أمرُ الله عز وجل.

بارك الله فيكم وجزاكم الله خيرًا والحمدُ للهِ ربّ العالمين.

٢٢٢- هل الشيخ رفاعي سرور أنكر على من تكلم عن الجهاد؟

ضمن الجلسة التاسعة عشر، بتاريخ: (**٢٨/٠٣/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٦/١٢/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: هناك أخ من المشهورين على الفيس، وكان تلميذًا للشيخ رفاعي سرور رحمة الله عليه وطيب الله ثراه، يدعي وينشر بين الناس أن الشيخ لم يكن يرى الجهاد المسلح وكان يسميه الصدام المسلح بالمناسبة ضد الطواغيت وأن الشيخ قد ركن إلى الدعوة والتربية وقد غير نهجه، فنرجو من فضيلتك الرد عليه من واقع قراءتك لكتب الشيخ بحيث أن هناك عدد من الإخوة بدأوا يتأثرون بالكلام، ورفع الله من قدر شيخنا الكريم.

جواب الشيخ: أولاً رحم الله الشيخ رفاعي سرور فهو في الحقيقة محطة من محطات الحركة الجهادية ومحطة علمية فكرية سابقة، لأن في قضية المنهج السلفي في قضية قراءة الفكر والواقع فهذا قليل، بدأ اليوم والحمد لله بكثرة وانتشر وصار له الحضور الكبير، لكن في زمانه كان هذا قليل أن يكون الرجل مضبوطًا بالشرع والسنة على طريقة سلفنا وأن يكون «مفكرًا»، وأن يتكلم كلام الفكر من خلال منهج الكتاب والسنة، هذا صعب، وكان الشيخ من رجال هذا الصعب الذين ذللوه، وذلل الله عز وجل له هذا الصعب، رحمه الله، هذه القضية انتهينا منها.

القضية الثانية: لسنا من أتباع الشيخ رفاعي سرور ولم يقل الشيخ رفاعي سرور اتبعوني، وهنا أنا أتكلم منهجًا، لا يجوز لأحد أن يدعي -وهذا الذي قلته عن جماعة الصادعون بالحق- لا ينبغي تأسيس الجماعات ونشر الفكر من خلال فكر رجل، لأنهم قالوا: نريد أن نُنشئ جماعةً على منهج سيد قطب، ما الذي يدعوكم لمثل هذه الأقوال المفرقة للأمة؟! ويأتي واحد يقول: نحن على منهج الشيخ رفاعي سرور، لا لسنا على منهج الشيخ رفاعي سرور، الشيخ رفاعي سرور قنطرة علم وقنطرة جهاد، قنطرة صبر، لكن لا يجوز لأحد أن يقول: علينا أن نبحث على منهج الشيخ رفاعي سرور من أجل أن نقتدي به وأن نسير على منواله، هذه لا يقولها أحب الناس إليه، لا يقولها أبنائه من أهل العلم، ولا يقولها إخوانه أصحابه من أهل العلم، ولو قيلت له وهو رجلٌ بار لهذا الدين لكرهها واستنكرها، لا يجوز لأحد أن يقول: تعالوا لنجتمع على منهج فلان، هب أن الشيخ رفاعي سرور ككثير من أهل العلم لم يكن يرى ما سماه الصدام المسلح، وكان يدعو إلى التربية، -ويا

سلام هذه كلمة تربية صارت ملهاةٌ وملهية-.

ثالثًا: يعني أنا الآن أتعجب من الخطباء -تعرفون الآن الحال وسأتكلم إن شاء الله وربما في وقتٍ معين عن قضية الحال، وقضية الصدام مع اليهود في فلسطين، وقرار المجرم ترامب فيما قال، إن شاء الله ستنشر قريبًا وفي هذا اللقاء ستنشر وسأتحدث عن مشروع كوشنر وزوج إيفانكا، سأتكلم إن شاء الله عن هذا-، أعجب من الخطباء المساكين بعد أن يتكلم ويملئ الناس حقدًا على اليهود وعلى أمريكا وفلسطين لنا والقدس هي قضية إسلامية، ثم يقول: وطريقة التحرير هي أن تملئوا المساجد وأن تقوموا الليل!! هذا إلهاء، بلا شك أن الدين مطلوب في الأمة وأن التوبة إلى الله عز وجل هي واجبة وأن الإقبال على الشرع والعمل بدينه، لكن كأنك تريد أن تقول أن طريق فلسطين مازال والجهاد مازال؛ لأن الأمة غير متحضرة للجهاد، هذه قضيةٌ صوفية غزت عقول الأمة لا وجود لها، لا وجود لفترة تربية قبل الجهاد، الجهاد هو التربية، يقول أحدهم: انظر هذا الجهاد هذا تربية، نعم هو تربية، هذه الأمراض التي تظهر في الجهاد ستظهر في داخل المساجد، لو أقبل الناس عل المساجد سيتخاصمون، هذه أمراض ينبغي أن تخرج من الأمة من خلال الفعل ومن خلال العمل ومن خلال المجاهدة في الصلوات وفي المساجد والجهاد، لا وجود لفترة تربية، لا وجود لها هذا غلط.

هذه أمة مكلفة بالشرع عليها أن تكمل على شرع الله عز وجل، عليها أن تقوم بدين الله عز وجل في اللحظة التي تسلم فيها، الرجل يسلم ثم يدخل الجهاد، الرجل يسلم ثم يؤمر بالصلاة وهكذا، هذه الأمة حيث جاء أمر الله عليها أن تقبل، الآن هذا الجهاد هو فرض عينٍ على كل مسلم الآن، لا نقل: لا نجاهد حتى نربي الأمة، هذه سخافة لا وجود لها، ضحكوا علينا، رأيتم جماعات التربية كيف تحولت إلى مفاسد، ولا أريد أن أتكلم أنتم تعرفون من غير ذكر ليس هذا وقت ذكر الجماعات التي تزعم التربية، كلها سواء سلفية أو تبليغيه أو صوفية، كل الجماعات التي تزعم التربية أخفقت في مقصدها الذي حصرت نفسها فيه، قالوا: لا نريد أن نجاهد حتى نتربى، حتى نصفي الكتاب والسنة، حتى نصفي عقول الأمة وحتى نربي، من هم!! هؤلاء الدعاة في هذا الباب والمنهج يحتاجون إلى جلد على ظهورهم لقلة أدبهم ولقلة دينهم ولفسادهم ولضلالهم علمًا وعملاً، لا أريد أن أتحدث عن جماعة التبليغ أعرف عن أسرارها الكثير، يعني كيف يشكوا الجماعة التي ينبغي أن ترتقي في التربية ما هي أحوالها، الآن الخصومات التنظيمية بينهم شديدة والله يعلم، لا أريد أن أخاصمهم وأن يغضبوا مني، بالرغم من أنها جماعة يتكلم كبارها لي: أن مستوى التربية انهار، ضعف، عما كان عليه، والأصل أنهم ربوا

جيلاً؛ فالجيل الثاني سيكون أكثر تربية، ولكن لا، كان الجيل الثاني أكثر هبوطًا في التربية.

والصوفية ما شاء الله عنها، يعني هذه مراكز التربية تروها، مراكز البدعة، ومشيخات البدعة ومشيخات المال، انظروا إليهم الآن يجلسون مع هؤلاء ومع هؤلاء، انظروا إليهم، انظروا إلى مشايخ الصوفية الذين هم مشيخات أو يحبون المشيخات، انظروا إلى مفاسدهم، انظروا إلى أخلاقهم، انظروا إلى دينهم، انظروا إلى عبادتهم، انظروا إلى اهتمامهم بالأمة، انظروا إلى من انحازوا للعلمانيين ضد المسلمين.

يا إخوة هذه عملية إلهاء، هذه التربية عملية إلهاء، فإذن لا يجوز لأحد أن يزعم بأنه يريد –هذه الطريقة هي للسرقة– يأتي أحدهم فيقول: أنتم تحبون الشيخ رفاعي سرور، بلا شك أن الشيخ رفاعي سرور يحب، أنتم تحبونه فهبا إلى منهجه، لا، لا نريد منهج رفاعي سرور، ولا منهج سيد قطب، ولا منهج حسن البنا، ولا منهج الألباني، ولا منهج ابن عبد الوهاب، نحن نريد الكتاب والسنة، والفقه موجود، ماذا يحتاج وقتنا؟ إن قام الجهاد نجاهد.

الآن في وجود الجهاد الذي فتح الله أبوابه هنا وهنا وتعددت عناوينه في بلاد المسلمين، في هذا الوقت تريدون التربية!! كان هذا الأمر يمكن أن يُقبل من الناس قبل أن يفتح الله عز وجل باب الجهاد، فيأتون بكلمة قالها الشيخ رفاعي رحمه الله في معرض حديثٍ ما؛ أن الأمة تحتاج إلى تربية و... إلخ، نقولها نحن، لكن ليس من أجل تعطيل القيام بحكم الله عز وجل الواجب تطبيقه حالاً وفورًا، فكان هذا يمكن أن يقبل من المتكلم قبل أن يُفتح باب الجهاد، إلهاءً للناس!! اذهبوا وتربوا! لأنهم لا يستطيعون الجهاد، لأن الأمة لا تستطيع الجهاد، فيقولون: اشتغلوا، اشتغلوا في خصومات المسائل، اشتغلوا في التربية، اشتغلوا في التنظير، ألفوا الكتب، بيعوها واشتروا وابنوا العمارات عن كتب التربية، الذين ألفوا في كتب التربية صاروا أثرياء، بدل أن يزدادوا تقوى وعبادة ودين صاروا أثرياء!! وازدادت الكتب هكذا عندك كتاب الإخلاص، عندك كتاب الرياء، عندك كتاب قيام الليل، وصارت الأعمال كتبًا!! هذا هو منهجهم فقط هذا هو.

القصد: بأن الكلام الذي يحتج به المحتج أن الشيخ رفاعي سرور غير وبدل، كان على طريقة الجهاد وغير وبدل، فهذا يمكن أن ينطلي على الناس قبل أن تتعدد عناوين الجهاد، وأما وقد فتح الله باب الجهاد وأقبلت الأمة عليه والحمد لله في كل يومٍ إلى فضلٍ وتقدم ونصر، بفضل الله عز وجل، فلا يجوز لأحد أن يرجع الأمة إلى

المربع الأول، إلى هذه الخصومة القديمة التي مللنا منها سنين والأمة تتحارب، أنجاهد أم نتربى؟ التربية قبل أم الجهاد؟ ربما مكثت الأمة أربعين سنة وهي تتجادل هذا الجدال العقيم، فلا جهاد ولا تربية!! ولكن فتح الله عز وجل الآن الأبواب، وتغير الواقع، فاذهبوا ربوا المجاهدين، يريد أن يطبق منهج الشيخ رفاعي سرور في أنه دعا إلى التربية! اذهب، من أولى الناس بالتربية اذهب إلى هذا المواطن وهذا الموطن وربي الناس، علمهم الأخلاق الحسنة وهم في الجبهات، علمهم قيام الليل وهم في الرباط كما كان السلف، اقرأ عليهم الحديث والسنة والفقه وهم في الرباط، كما كان سلفنا، هذا ثالثًا.

رابعًا: في الحقيقة أولى الناس بالحديث عن تغيرات الشيخ الرفاعي سرور رحمه الله هم أبناءه، والحمد لله أبناءه هم من أهل العلم، يعني ليسوا غرباء عن هذا السبيل ورصد التحولات الفكرية عند الناسل عمومًا وعند أبيهم على الخصوص، فلذلك أنا في هذا اللحظة أدعو أبناءه البارين به الحافظين لمنهج أبيهم في إقامة الدين وحفظ معالمه بأن يتصدوا لهاذا الجواب فهم أولى، أما كتبه بيّنة، وأرسل لي ابنه عمر عندما تكلمت عن كتابه «عندما ترعى الذئاب الغنم» أرسل لي رسالةً قيمة، ضاعت في الحقيقة في ثنايا الرسائل الكثيرة، وتغيرات الأجهزة، بيّن لي أن كتب الشيخ كانت راصدة لتحولات اجتماعية وسياسية في مصر، يعني لماذا ألف هذا الكتاب؟ رصدًا لقضية كذا، وهذا شيءٌ جيد.

وأنا أدعو أبناءه البارين به وهم كذلك إن شاء الله عز وجل، أن يتصدوا لمثل هذا، ونحن ندعو إلى التربية في الجهاد وندعو إلى الجهاد؛ تربيةً لنا ولأنفسنا وللأمة ولأعداء الله عز وجل، ولا ضرورة لأن تستمعوا لأحد، الناس يستخدمون الشعارات من أجل سرقة القلوب، يرفعون شعار سيد فيدخلون الناس في داخلها، لا تهمك الشعارات، الناس يحبون الشيخ رفاعي سرور إذن تعالوا إلى دكان الشيخ رفاعي سرور، الشيخ رفاعي سرور ليس دكانًا ليتاجر به وليتصيد الشباب من حولهم به، لا، لا، هؤلاء قناطر علمية نستفيد منهم، نرتقي برقيهم، نقبس من علمهم، لكن لا نقلدهم ولا ندخل في دكاكينهم التي يتاجر بها الناس، العلماء لم يتاجروا، العلماء عاشوا فقراء وعاشوا مجاهدين، ولكن الناس يتاجرون يفتحون دكاكين، مثلاً دكان سيد قطب، دكان حسن البنا، دكان رفاعي سرور، دكان فلان، لا تقبلوا، لا تكونوا إمعات تدخلون هذه الدكاكين ليصطادكم هؤلاء تحت هذه الأبواب، كونوا أرفع من ذلك.

بارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٢٢٣- السبيل إلى تزكية النفس

ضمن الجلسة التاسعة عشر، بتاريخ: (**٢٨/٠٣/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٦/١٢/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل أخ -جزاه الله خيرًا-: شيخ أنا حالي مثل حال شباب الأمة، قسوة قلب، ولا يوجد خشية ولا خشوع، وإيمانٌ ضعيف، كل هذا بسبب أميالي، التزمت منذ عام «٢٠١٣م»، وهو التزام جهادي بدون تزكية، ولا أعرف طعم البكاء من خشية الله إلا من يومين، وقت أنزلت كلام عن التبليغ والدعاة بالخلوات، ولكن دمعتين فقط، حاولت أن أقرأ في كتب الأمراض، مثل كتاب «الداء والدواء» ولكن دون جدوى، ما هو السبيل إلى تزكية نفسي؟!، حتى أعرف معنى الخشية، ومعنى محبة الله واللجوء إليه، ويكون واقعي هكذا؟ حفظكم الله وفرج كربكم.

جواب الشيخ: أيها الأخ الحبيب لا بد من سلوك طريق التزكية عن طريق كثرة العبادة، لا وجود للتزكية من غير كثرة عبادة، لا يوجد.

أنت تقرأ الكتب لتدفعك للعبادة، أنت تسمع الموعظة من أجل أن تدفعك للعبادة، إن لم تقم بالعبادة فلا تزكية، إن لم تقم بالعبادة فلن يلين قلبك، إن لم تقم بالعبادة فلن تحس بذائقة الإيمان، إن لم تقم بالعبادة فلن تحس بذوق العبادة، العبادة هي التي تصنع الطاعة، وأعظم العبادة هي الصلاة.

ليسمح لي الإخوة الأحبة؛ يعني أنا أريد من هذا الأخ أن يجرب؛ ليذوق، أعطيك وصفة لأول مرة أظهرها: أنت قم، صلاة الضحى يصح أن تصليها ركعتين، لكن هاتان الركعتان يحصل فيهما الأجر، ولكن بهما لن تذوق، حصل معرفةٌ إيمانية وحالة إيمانية في قلبك بالركعتين، هذا بلا شك.

ولكن لتذوق لا بد من أن يكون الشيء كافيًا لحصول معنى الذوق، ليس بركعتين تذوق معنى الصلاة، ولا بقراءة صفحةٍ من القرآن تحس بذوق قراءة القرآن.

الذوق ليحصل لا بد من كميةٍ كافية، وأشبهها بالطعام أنت لو أخذت على رأسي دبوس قليلاً من العسل لا تحس به، ولتحس به لا بد أن تكون لك ذائقة قوية، لك لسان قد تمرّس على الذوق.

الآن يختبرون الطباخين فيحضرون لهم طعامًا من عدة أصناف، فيذوقونهم إياه، يقولون لهم: ماذا فيه؟! إن لم يكن صاحب الذائقة قوية، فلا يستطيع أن يميز بين المكونات لهذا الطبيخ، لا بد أن يكون له مراس.

أرجع إلى الأخ: إذن أنت تحتاج إلى أمرين؛ تحتاج إلى كميةٍ كبيرة من العمل لتذوق، وتحتاج إلى مراسٍ ليتذوق قلبك هذه المعاني، وكلاهما يعودان إلى شيءٍ واحد، وهو كثرة العبادة، كله يعود إلى كثرة العبادة.

عد مثلاً إلى الركعتين، أنت صليت ركعتين الضحى، إن لم تكن لديك تجربة في العبادة وصاحب رقيّ في كثرة العبادة، كأنك وضعت على رأسي الإبرة شيئًا من العسل وذقته؛ لا تحس به لأنك لست صاحب ذائقة ممارسة، والكمية غير كافية، فما المطلوب؟! خذها، جرب من هذا:

صلّ عشرين ركعة، هو في الحقيقة لا، حتى تحس لا بد أن تصلي أربعةً وعشرين ركعة، جرب.

تفرغ في الضحى، أنا أعطيك الوصفات، صلّ ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين... وهكذا حتى تنتهي من أربع وعشرين ركعة، وانظر إلى قلبك، انظر إلى حالك كيف أصبحت؟!

أنت تريد يا مسكين تأتي من العمل وتدخل البيت وتقول: أريد أن أبكي، ترفع يديك، فلا تحس، أعطيتك وصفة في الضحى فبعد هذه الأربع وعشرين ركعة، ارفع يديك وادعو، وحدثني، كما أرسلت لي الرسالة هنا، فأرسل رسالة كيف شعرت عندما دعوت، بعد أن صليت هذه الركعات.

وهناك وصفة أرقى منها وأعظم، وهي: أنت تقوم الليل -لنفترض أنك تقوم الليل- تقوم قبل الفجر بنصف ساعة، فتدرك ركعتين إلى أربع ركعات، لا، أنا أطلب منك أن تقوم من أجل أن تصلي في قيام الليل ثلاثة أجزاء، لا تقل: لا أقدر، تقدر، قرر وافعلها هذه الليلة، تسمع كلامي؛ افعلها هذه الليلة، تقوم إن كنت حافظًا فهذا حسن، وإن لم تكن حافظًا فعليك بالمصحف، أقرأ، صلّ، ثلاثة أجزاء مع الدعاء والصلاة، تقريبًا ساعتين ونصف، إلا أن تكون حافظًا أقل من ذلك، وبعد أن تقوم وتصلي ثمان ركعات في ثلاثة أجزاء، حدثني عن سجودك.

أنت تريد أن تبكي، تقول: قسى قلبي، لا يوجد حبوب أعطيك إياها فتحفظ صحيح البخاري! لا يوجد حبوب أعطيك إياها فتصبح سهل الدمع! لا يوجد، لا يوجد غير هذا الطريق فعليك أن تقوم، جرب هذه

الليلة، جرب، كل واحدٍ يسمع هذا الشريط فليجرب، فليقم ويصلي، فبعد ذلك وهو ساجد يذوب، يفتتح دعاءه بقوله لله عز وجل: «اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا وإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرةً من عندك إنك أنت الغفور الرحيم، اللهم إني جئتك ضعيفًا، وجئتك جاهلاً، وجئتك مسرفًا على نفسي، وكل ذلك عندي، اللهم اغفر لي»، انظر كيف ستسيل دمعاتك، أنت قدمت من العبادة، قرأت القرآن، لان قلبك، عند السجود تذلل إليه خاطبه كما تخاطب حبيبك، خاطبه وأنت تعلم قدره لما قرأت كتابه قبل قليل، خاطبه وأنت ساجد بين يديه، مخبتًا له، تكلم هذه الكلمات مع الله عز وجل أنك ضعيف جاهل مسرف على نفسك أنك محتاج إليه، لولاه لم تكن، لولاه لم ترزق... وهكذا.

تبدأ بالاستغفار ثم تستغفر لأبويك ولزوجك ولأولادك وللمسلمين، وحين تذكر وتصل إلى «رب اغفر لي ولوالدي ولزوجي ولذريتي وللمسلمين»، عندما تصل إلى المسلمين؛ ستعلم كم ستحب المسلمين، انظر إلى هذه الكلمة، هذه الكلمة حين تخرج من فمك وأنت ساجد بعد القيام الذي وصفته لك، لن تجد على قلبك غِلاً على مسلم، لما تقول هذه الكلمة «رب اغفر لي ولوالدي ولزوجي ولذريتي وللمسلمين» كيف ستربيك على محبة المسلمين؟! كيف ستربيك في الصباح على البر بوالديك، وقد دعوت لهما في الليل، انظر، انظر.

وبعد ذلك، بعد أن تستغفر وتعترف بذنبك وجهلك وضعفك وتطلب منه أن يمدك بمدده، أن يمدك بما تجهل، كم في النهار سئلت عن أسئلة لا تعرف وجهها تهت فيها؟ كم من حادثٍ وقع وأنت لا تعرف وجهه مع من تكون؟ حين تستغيث به «رب اهدني»، تذكر أن أول دعاء تدعوه في قيام الليل (**اللَّهمَّ ربَّ جبريلَ وميكائيلَ وإسرافيلَ فاطرَ السَّمواتِ والأرضِ عالِمَ الغيبِ والشَّهادةِ أنتَ تحكُمُ بينَ عبادِكَ فيما كانوا فيهِ يختلِفونَ اهدِني لما اختُلِفَ فيهِ منَ الحقِّ بإذنِكَ إنَّكَ تَهدي من تشاءُ إلى صِراطٍ مستقيمٍ**) ادع به في السجود، مع أنك تدعوه أول القيام، ادع به في السجود، وانظر كيف سيفتح الله عليك؟ انظر كيف تنشأ التربية، معقول تدعو للمسلمين بالليل وتسبهم في الصباح!! تدعو لكل المسلمين.

بعد ذلك أنا أوصيك، هذه ليست تجارب، هذه كل ليلة عليك أن تمارسها... هذه ليست تجارب، سترى حياتك، أنت في الدعاء وأنت ساجد: «اللهم انصر عبيدك المجاهدين في سبيلك» تشعر بالصلة بينك وبين كل مسلم يدافع عن دين الله، «اللهم أصلح بين قلوبهم» بدل أن تسبهم وبدل أن تشمت بخصومتهم وتقول وتفعل،

أنت تشكو إلى الله عز وجل أن يجمع بين قلوبهم.

انظر في الصباح لن تقول كلمةً تسيء وتفرق؛ لأنك دعوت في الليل، أنا لا أريد أن أقول كيف تتقرب إلى الله عز وجل، كيف تصبح علاقتك مع الله عز وجل، فهذه معاني لا يحيط بها قلم، ولا يحيط بها لسان، ولا يحيط بها كتاب، هذه معاني تجدها في قلبك، وحينئذٍ؛ حدثني عن دمعاتك الكثيرة، أما أنت تقول: أرفع يدي هكذا، جئت من الباب للمحراب كما يقولون عندنا: اللهم اغفر لي، وتريد أين البكاء؟! قدم بين يدي نجواك صدقة، أنا ضربت لك أمثلة، والأمثلة كثيرة في هذا.

ومثال ذلك: من التربية، أنت اذهب وانظر عندما تتصدق، احمل، كن عاملاً في الصدقات، لا أدري ما هو وضعك أيها الأخ السائل، اذهب إلى فلان الفقير أطعمه، واحد مريض وهكذا، وأدعو الله، وأنت تطعمه وانظر إليه وهو عاجز ولا يجد ما يأكله وحين أطعمته يقول: الحمد لله، حينها هذه ألف درسٍ في قلبك، عندما ترى هذا العاجز الذي لا يملك شيئًا وهو يحمد الله؛ فتنظر إلى نفسك من أنا؟؟ فتبكي على نفسك، وتبكي على أنك لم تشكر الله على ما أنعمه عليك وأعطاك، تبكي على نفسك.

اسألوا الحجاج والمعتمرين، رؤية غيرك في الخير تبكيك وتعرفك تقصيرك، اسألوا المعتمرين أو الحاج؛ وهو يمشي بين الصفا والمروة وهو شاب وهو يرى عجوزًا لكنها فرحة وتدعو الله وهي تبكي، هو يبكي، هو يخلو لنفسه ويبكي لله عز وجل ويرفع يديه، إن الشجى يبعث الشجى.

القصد من هذا أيها الأخ الحبيب: أنا أعرف قيمة الكتب في إصلاح القلب وفي التربية وفي الداء والدواء وغيرها، ولكن إياك أن تغفل عن أن تمارس الفعل، دراسة كتب الطب يعني أن تمارس الطب، أنا ضربت لك أمرين، ثم ضربت لك ثالثًا في العمرة والحج اسألهم، وهكذا.

ضربت لك مثال الذهاب إلى الفقراء والمساكين والبر بهم، أقول لك: إخوانك إذا كنت في الرباط، قم يومًا واغسل لهم ألبستهم، قدم لهم الطعام والشراب وكذا، وبعد أن تنتهي، وأن تتذكر لقاء الله في كل عملٍ تقدم فيه الطاعة، ثم اخلو وارفع يديك، وانظر أتبكي أم لا تبكي؟! هذا الأمر يعود إليك، فقط هذا هو سر الأمر، كل ما تسمعه من التربية هذا هو سره، إياك أن تترك حزبك من القرآن، إياك أن تترك قيام الليل، لا تصلي فقط

ركعتين، تصلي، تدم، وتديم السجود، وتبكي لله، حينئذٍ ستجد القلب يأتي لوحده، القلب يركض إليك والدمعة رغم أنفها تأتيك، لا تستجلبها، بل هي تأتيك، حدثوني بما تشعرون كما حدثتموني بما تتألمون..

جزاكم الله خيرًا وبارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٢٢٤- حكم قراءة القرآن سرًا والذكر الخفي

ضمن الجلسة التاسعة عشر، بتاريخ: (**٢٨/٠٣/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٦/١٢/٢٠١٧ م**)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله...

أخ يسأل -جزاه الله خيرًا-: عن جواز تلاوة القرآن سرًا بتحريك الشفاه دون صوت، كالقراءة في وسائل النقل وغيرها؟ وسؤالي الآخر: عن رأي الشيخ بالذكر الخفي الذي ينصح به بعض الصوفية تلاميذهم به، وذلك بإغماض العينين ومراقبة القلب، أن يرد عليه في كل نبضةٍ اسم الله، اسم الجلالة، وقولهم أنه يعطي الروحانية للمرء أكثر من الأذكار اللسانية كالاستغفار والتسبيح وما إلى ذلك، علمًا أنهم لا ينكرون فضل الأذكار اللسانية، ويحتجون على أفضلية الذكر الخفي بقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، وبقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(خير الذكر الخفي)**، فما رأي الشيخ بهذا؟!

جواب الشيخ: أولاً العلماء على قولين، ذكرهما النووي وذكرهما ابن تيمية رحمهما الله تعالى، ما هو الواجب في الذكر؟ ما هو الواجب في قراءة القرآن ليتم معنى القراءة؟ حتى يتم معنى القراءة، كأن يكون في الصلاة، فما هو الواجب؟

القول الأول: هو أنه بمجرد إجراء الحروف على اللسان والشفتين، ولو لم يخرج الهواء وبعض الصوت الخفي، فإنها قراءة، وهذا القول رجحه النووي ورجحه ابن تيمية رحمهما الله.

يعني بمجرد أن تقرأ، دون أن تخرج الهواء، ودون أن تخرج الصوت، بمجرد أن تجري الحروف على لسانك وعلى شفتيك؛ فأنت قارئ وتسمى قارئًا، ولك أجر القراءة، وهذا هو القول الصواب إن شاء الله.

القول الثاني: لا، لا بد أن تخرج بعض الهواء، ولو لم تخرج الصوت أو أخرجت بعض الصوت القليل، لا بد أن تخرج الهواء حتى تكون قارئًا، وهذا القول -كما قلت- مرجوح عند هذين الإمامين وغيرهما، ولكن ذكرت هذين لشهرتهما.

إذن ما الذي يجزئ في دخول المرء في مسمى القارئ؟ هو أن يجري الحروف -عند قراءة القرآن وعند

الذكر- أن يجري الحروف على لسانه وعلى شفتيه، لا يوجد هواء، أو يخرج بعض الهواء، فرقٌ بين هذا وهذا وهو فرقٌ يسير.

لكن من الواجب التنبيه أن البعض يقرأ بعينيه، هذا متأملاً، ليس قارئًا، وليس أجر القراءة، رجل ينظر يتأمل، له ربما أجر النظر في البحث، أنه يبحث ينظر في هذه الآية ويتفكر فيها، نعم، وينظر إلى شيء يتأمل فيه، إذا كان من التأمل الحسن، كأن يتأمل في موضوعٍ ما، كأن يقرأ كتاب الفقه ويتأمل فيه، وهو ينظر فيه ليعرف مراد صاحبه كالقراءة التي توصل إلى العلم، فهذا نعم، لكن هذا الفعل لا يسمى قراءة، وهو أن البعض يجلس إلى القرآن وهو يمر بعينيه على القرآن، هذه ليست قراءة، وليس له أجر القراءة التي قال عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(من قرأ حرفًا من كتاب الله فله حسنة)** هو هنا لا يسمى قارئًا، أقل القليل وهو أن يجري الحروف على لسانه وشفتيه، وهكذا، أرجو أن أكون قد مثلت لكم في هذه الصورة.

الأمر الآخر: ما هو خير الذكر والدعاء؟ دعاء خفيا، الله عز وجل ذكر دعاء زكريا لما أراد أن يرزق، فقال سبحانه وتعالى: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (٣)﴾ [مريم: ٣]، نداء... النداء قد يفهم منه الصوت العالي المسماع، فالله عز وجل سماه ﴿نِدَاءً خَفِيًّا (٣)﴾، ولذلك الخفاء في الدعاء والذكر هو الأفضل، وهو الأقرب إلى الله عز وجل ﴿نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (٣)﴾، وكما ذكر الأخ السائل: قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

فالمطلوب: هو الإسرار، لكن هناك حالات يكون الذكر المعلن مطلوب، النبي صلى الله عليه وسلم طلب من أصحابه: أن يسروا الذكر، فقال صلى الله عليه وسلم: **(اربعوا على أنفسكم)**، لما كانوا في غزوة، فلما صعدوا جعلوا يكبروا، فقال صلى الله عليه وسلم: **(اربعوا على أنفسكم، إنكم لا تدعون أصمًا ولا بعيدا، إنكم تدعون قريبًا مجيبًا)**، أي لا ترفعوا أصواتكم، نهاهم عن رفع الصوت، ولذلك رفع الصوت في مواطن هو من البدع الجديدة، كرفع الصوت عند الجنازات، أو رفع الصوت في مجالس الذكر عند الصوفية، كل هذا من المخالف، وفي السنة الأصل هو الإسرار، الأصل في الذكر وقراءة القرآن هو الإسرار، إلا في مواطن: الآذان لا بد من رفع الصوت، لأن مقصد الأذان الإعلان، فلا بد من رفع الصوت، النبي صلى الله عليه وسلم كان يستغفر الله عز وجل في الجلسة سبعين مرة ومئة مرة ويعدون له، قال الإمام ابن القيم: وسبب ذلك هو إظهار

إخباته وطاعته، استغفار، هذا تبليغ أنا صاحب ذنب، فيستغفر المرء لذنبه، فهذا كأنه تصبيرٌ للنفس وإهانة لها، فمواطن ينبغي الإعلان بالذكر في مواطن، والأصل هو الإسرار في هذا.

الموضوع الآخر الذي سأل عنه الأخ: وهو موضوع ذكر الصوفية.

بلا شك كما قدمت في كلامي عن كتاب «تربيتنا روحية» للشيخ سعيد حوى رحمه الله، أن الذكر المفرد بكلمة الله من الأذكار البدعية، ذكرٌ بديعي لا دليل عليه، وليس فيه تعظيم لله عز وجل، الله أمرنا أن نذكره، وعلمنا كيف نذكره في كتابه، وعلمنا نبيه صلى الله عليه وسلم كيف نذكره، النبي صلى الله عليه وسلم كان يذكر الله، لم يرد أبدًا قط أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: الله، هكذا، إما أن تكون كلمة الله جواب للسائل، فيقول له: من خلقك؟، فيقول: الله، فهذه كلمة الله ليست من الذكر المفرد، هذه جواب لسؤال، ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (٩١)﴾ [الأنعام: ٩١]، هذه جواب، في سورة «الأنعام» هذا جواب لسؤال: من الذي فعل كذا وكذا؟ قل: الله، فهذا الذكر المفرد هذا بديعي.

وأما زعمهم: أن في هذا الذكر الجمعية، هكذا يقولون في كتبهم الصوفية: أنك إذا جعلت تقول: «سبحان الله، الحمد لله» تشتت ذهنك، حتى أن الغزالي في كتابه «أيها الولد المحب» -هو كتاب جيد- للأسف نهى أن يقرأ المبتدئ والسالك في ابتداء أمره القرآن، قال: لأن القرآن يشتت الذهن -هذا معنى لفظه الآن- هو يقول: إذا قراءة القرآن أنت تمر على مساءل متعددة، والمقصود هو أن تجمع به، هذا من الباطل! هل هناك أعظم عبودية من قراءة القرآن؟ أعظم عبودية وأعظم أعمال العبادة هي قراءة القرآن في الصلاة والتدبر فيه، وأما هذه المعاني التي يجدها بعض العُبّاد في نفوسهم من الذكر المفرد فيحسنونه للناس، وإذا ذكروا الله على الطريقة السنية لم يجدوا هذه اللذة، هذه من لذائذ الشيطان تكلمت عنها سابقًا، هذه من لذائذ الشيطان، وأنا أتكلم عن تجربة وخبرة في هذا، هؤلاء يعرفون اللذة الإيمانية، قراءة القرآن والتدبر فيه تصنع لذةً إيمانية حقيقية، وليس هذه اللذة التي يشعر بها الصوفية عند الجمعية، عند تجميع القلب على حالةٍ واحدة، هذه توصل إلى ما توصل به الصوفية إلى الجنون والانخلاع عن الشريعة، والابتعاد عن السنة وعدم التقيد بها.

وهناك للأسف طريقة في اكتشاف الأذكار الباطلة وهي التجربة، والتجربة لا تُنشئ علمًا ولا تُنشئ ذوقًا صحيحًا، الذوق الصحيح هو ذوق الكتاب والسنة، ذوق الكتاب؛ أن تقرأ القرآن، أن تذكر الله عز وجل كما

أمر الله عز وجل كما علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والصوفية لهم طرق في الخلوة، حدثني كثير ممن دخل: يدخلون في داخل غرفة ويجعلون كلمة الله، قديمًا هكذا يجعلون، وفقط يكون الضوء مسلطًا عليها، هذا قديمًا، اليوم لا، يصنعون كلمة الله من الأحرف الضوئية ويبقى هكذا ينظر إليها وينظر إليها هكذا حتى يصل إلى حالة الجذبة وإلى حالة العرفان، وحالة الجذبة هي حالة جنون، شرحناها عندما تكلمنا عن كتاب الأستاذ محمود عبد الروف القاسم «الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ»، أن هذه الحالة هي حالة الجنون، وقال عنها الشافعي رحمه الله في هذا كما ذكرنا مرارًا؛ أن المتصوف في آخر نهاره مجنون، لأن هذا التركيز هو يصنع الإرهاق العقلي والبدني فيؤدي إلى إفرازات تؤدي به إلى الجنون، والتي يسمونها الجذبة، وهي حالةٌ عرفانيةٌ عظيمة عند الصوفية وفي حقيقتها هي حالة جنون، الجذبة هي الجنون.

فعليكم بالالتزام الكتاب والسنة، لا تهتموا بهذا، عليكم أن تكثروا من ذكر الله ومن قراءة القرآن، وحين تبلغون القراءة الحقيقية تحسون بلذة القرآن، في بداية الأمر أنت تقرأ، ثم تديم القراءة، فحين تكثر من القراءة؛ تصل إلى حالةٍ من المعرفة الإيمانية وحالة من الذوق العجيب الذي به تشعر بعظمة الكلمات التي تقرأها، فتدمع عينك ويقشعر جلدك وتنفعل هذا الانفعال الإيماني الذي كانت يحسه الصحابة رضي الله عنهم، وتتمنى أن لا تترك هذا الكتاب، في بداية الأمر –وهذا لمن جرب يجد هذا– عندما يقوم مثلاً من الليل، النفس تقول له: اجلس اقرأ فقط ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ مع أنها ثلث القرآن وهي شيء عظيم، لكنه يكون عنده الوقت فيبدأ هو في قراءة القرآن، يبدأ في قراءة حزبه، فبعد ذلك بعد أن يقرأ الصفحة والصفحتين يحب أن لا يأتي الفجر لمحبة القرآن والاستلذاذ به، والتلذذ به وإحساس الذوق الإيماني العظيم معه، وتبدأ الكلمات تتجسد في ذهنك وتعطي المعاني العظيمة التي بها ينفعل المرء محبةً للآخرة، محبةً لله عز وجل، محبةً للرسول صلى الله عليه وسلم، شوقًا إلى لقاء الله عز وجل، الإكثار من الطاعة، هو لا يريد كما قال الرجل الذي قام يصلي حارسًا فكان يقرأ في سورة الكهف، ورماه عدو الله بالسهام فقتله، قال: لِمَ لَمْ توقظني، قال: كنت في سورةٍ أتمنى أن تخرج روحي ولا أقطع هذه السورة، وقالوا: هي سورة الكهف كما في روايةٍ أخرى.

هذه المعاني يحسها الذي يقوم ويتعامل مع القرآن في الليل، لا يحس بها هؤلاء الذين يجلسون ويقولون: الله،

الله وهكذا، هؤلاء ينتهي بهم الأمر إلى الجنون.

هذا القرآن وهذا الذكر، الذي عندما يجلس المرء يذكر ويمشي ويذكر، وأنا هنا أنبه على أن المرء الذي يقرأ القرآن بلا تدبر، له أجر، وإن كان التدبر هو المقصد وه الأعظم، ولكن لو قرأ القرآن وهو لا يعرف معناه؛ له الأجر، ولو أجراه على لسانه بمجرد إجراء وهو ذهنه مشغول فهذا الأجر، وكذلك الذكر.

وأعظم ما وجدت دليلاً على أن المرء هو يذكر حتى ولو هو سارح الذهن؛ له أجر، أن حديث النبي صلى الله عليه وسلم عن أهل الجنة (**يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس**)، أنت الآن تتنفس لا تعد أنفاسك ولا تشعر بها ولو قيل لك: هل تتنفس؟ تقول: ماذا؟! ثم تتنبه أنك تتنفس، فمن نعيم أهل الجنة في الجنة أنهم يسبحون ويُلهمون التسبيح والتحميد، كما يُلهمون النفس، فهم لا يشعرون به، وهو نعمة، وهذا أعظم نعم وعبادة في الجنة، وكذلك في الدنيا، لو أن رجلاً يسبح «سبحان الله والحمد لله» وهو يمارس ورده أو حزبه الذي يأتيه، وينشغل، ربما ينشغل في نظره، ربما ينشغل في ذهنه، في همٍ جاءه، في قضيةٍ جاءته وهو يسبح وبعد ذلك لا يدري كم سبح، فيلتفت إلى يده أو يلتفت إلى العداد الذي بين يديه، والمسبحة التي بين يديه، فهو لا يدري، هذا له أجر في تسبيحه، وله أثر على قلبه، وإن كان الأعظم أثرًا هو أن يتفكر، أن يتفكر في قراءته وأن يتفكر في ذكره، لكن مجرد القراءة ومجرد الذكر بغير تفكرٌ له الأجر العظيم في هذا، وما ذكر من أجور الذاكرين والقارئين لكتاب ربنا، (**مَنْ قرأَ حرفًا من كتابِ اللهِ فله به حسنةٌ، والحسنةُ بعشرِ أمثالِها لا أقولُ آلم حرفٌ، ولَكِن ألِفٌ حرفٌ، ولامٌ حرفٌ، وميمٌ حرفٌ**)، هذه تأتي إليه الأجور وهو مجرد يقرأ في القرآن، والأدلة كثيرة، ولكن أحب أن أبيّن نعمة الله عز وجل في هذا الاستدلال الذي لا أدري أسبقت بهذا الاستدلال أم لا؟ فإن الحديث يدل على أعظم النعم وهو أن تصبح ذو أجر بسمتك وبلسانك حتى ولو لم تدر ما تقول، على جهة ما يقع لأهل الجنة، (**فإنهم يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس**).

لا أدري إن بقي شيء من سؤال الأخ في هذا الباب، فقط حديث «خير الذكر الخفي»، هذا الذي ذكره الأخ هذا الحديث لا يصح، هذا رواه أحمد وابن حبان وغيرهم، والحديث منكر عند أهل الصناعة الحديثية.

وأنا أحب في الحقيقة القراءة، يعني لما تجد المرء وهو يمشي في وسائل النقل، يعين لماذا تصمت؟! لماذا تغلق فمك؟! ولماذا وأنت تمشي أو تسوق السيارة تغلق فمك؟! شغله بالذكر، اقرأ القرآن، فجزاه الله خيرًا هذا الأخ

على تنبيهي بأنه في وسائل النقل، هذا في الحقيقة قلما نجد هذه الأيام مثل هؤلاء الذين يهتمون بهذا.

بارك الله فيكم وجزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

٢٢٥- رأي الشيخ بالشيخ عمر الحدوشي

ضمن الجلسة التاسعة عشر، بتاريخ: **(٢٨/٠٣/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٦/١٢/٢٠١٧ م)**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل أخ: ما رأيكم في الشيخ عمر بن مسعود الحدوشي المغربي؟ وهل ينصح بالأخذ منه والاستماع له؟

جواب الشيخ: الشيخ عمر بن مسعود الحدوشي المغربي ضعيف!! يعني هذه طريقة بعض علماءنا في استغراب بعض الأسئلة!!

ولا شك أن الشيخ عمر جزاه الله خيرًا قائمًا لله عز وجل في الدعوة إلى الله والتعليم، وهو من الإخوة الطيبين الذين لهم باع طويل في هذا الباب، وطلب العلم والحرص عليه والهجرة من أجله، جزاه الله خيرًا، وبارك الله فيه، وأسأل الله عز وجل أن يرفع شأنه، وأن يبارك في وقته، وأن يبارك في علمه وعقله.

ولا شك أن أمثال هذا الشيخ يعني يُدعى لهم في السر وفي السحر، وينصح الشباب بالأخذ منهم والتعلم منهم هو وإخوانه.

جزاكم الله خيرًا، والحمد لله رب العالمين.

٢٢٦- رأي الشيخ بالحافظ الغماري

ضمن الجلسة التاسعة عشر، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٣/٢٨هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/١٢/١٦ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: ما رأيك في الحافظ أحمد بن الصديق الغماري الحسني المغربي؟

جواب الشيخ: الشيخ بلا شك أنه محدثٌ كبير وتخريجاته للحديث تدل على اطلاعٍ واسع في علم الحديث والأجزاء الحديثية والمصادر الحديثية، وفي الصِنعة الحديثية هو ولا شك رجلٌ قدير وكبير، وأهم كتب التخريج له أظن هو «تخريج الهداية» أنا شأني به قديم في كتبه.

وكذلك الرجل من متدعي الاجتهاد، يعني الرجل كان في المسائل الفقهية، لم يكن يتقيد بمذهب، بل يجتهد اجتهادًا ذاتيًا في الأحكام الشرعية، وله بعض المفردات في الاختيارات الفقهية، وكذلك كل من قابله علم باتساع هذا الرجل وموسوعيته كما يقولون اليوم أو كما يسميها بعض أهل العلم بالجمهرة، ففي هذه الأبواب بلا شك أن القراءة له تفيد، وهو أعلم بكثير من شقيقه عبد الله، وهو شيخه لعبد الله، والرجل افتتن وابتلي في مواقفه، وسجن كما تعلمون في مصر مرات... إلخ.

لكن بقيت مسألة تتعلق باعتقاده، فهو في علم الحديث ولا شك في الصِنعة الحديثية رجلٌ يستفاد منه، وكذلك في اجتهاداته الفقهية، له اجتهادات خاصة به، ولذلك هو يميل لابن تيمية رحمه الله في المسائل الفقهية، فعندما يذكر ابن تيمية رحمه الله كفقيه، هو يذكره باحترام، وعندما يذكره كمحدث يذكره باحترام.

لكن بقيت مسألتان:

المسألة الأولى: هي تصوفه، هي تصوف هذا الرجل، أحمد بن صديق الصديق الغماري متصوف، وكان يؤمن بوحدة الوجود، وحسنها وألف فيها مؤلفات؛ ناصرًا لهذا المذهب ومدلاً عليه ومصححًا إياه.

ووحدة الوجود كما تعلمون ولا ينبغي لمسلم أن يجهل أن وحدة الوجود على المعنى الذي يذكره الصوفية وغلاة الصوفية أنه كفرٌ ورِدّة؛ لأن هذا المذهب يقرر بأنه لا فرق بين الخالق والمخلوق، وأن الوجود شيءٌ واحد،

أن الوجود الغيبي والعالم المشهود هو شيءٌ واحد وهو الله، لا يوجد فرق بين الخالق والمخلوق، وهذا مذهبٌ ردي، ولا يشك مسلم أن صاحبه كافر وأن معتقده كافر ومخالفٌ لأصل دين الله عز وجل، ففرق بين الخالق والمخلوق، بل الله عز وجل ليس فيه شيءٌ من خلقه، وهو ليس في شيءٍ من خلقه، بائنٌ عن خلقه كما يقول سلفنا، فلذلك دعوى غلاة الصوفية: بأنه لا فرق بين الخالق والمخلوق، أي وحدة الوجود، أي أن الوجود شيءٌ واحد، هذا كفرٌ وردة، وأهل الإسلام يكفرون من قال بأن هذه الأقوال صحيحة، يعني مثلاً: لماذا نكفر النصارى؟ لاعتقادهم بأن الله عز وجل –لمن يقول بهذا– أ، الله مثلاً حل في هذا الجسد وهو جسد عيسى، على أساس الناسوت؛ أنه قد اجتمع في عيسى اللاهوت والناسوت، وعيسى عليه السلام هو أكرم من بقية الخلق الذي يجعلونه الله.

يعني عندما تنظر إلى وحدة الوجود ترى أن أصحابها يقولون: بأن الدواب –نسأل الله العفو والعافية ونعوذ بالله، وناقل الكفر ليس بكافرٍ– أن الدواب هي جزءٌ من الله والقاذورات هي جزءٌ من الله –تعالى الله عما يصفون– ولذلك هم لا يفرقون بين المدنس وبين المقدس، لا يفرقون بين ما هو حسن وبين ما هو قبيح؛ لأن الوجود شيءٌ واحد عندهم.

فادعاء أن الله عز وجل حل في بعض مخلوقاته الحسنة كفرٌ وردة، فكيف على بمن ادعى أن الله هو عين هذه القاذورات!! –نعوذ بالله من الكفر والردة– ولذلك أحمد بن صديق الغماري كان على هذا المذهب وكان يحسنه، وهو صوفي في اتجاهاته واختياراته السلوكية والمعرفية، هو صوفيٌ يؤمن بوحدة الوجود، ولو كان صوفيًا، لكان في الصوفية فيما يطرحها أهلها من المعاصرين، كما هي عندهم، لا نر صوفيًا سنيًا تامًا، لا بد في كل صوفيٍ بدعة، كل من قال: أنا صوفي؛ لا بد أن تجد عنده البدعة، هذا شيءٌ بالاستقراء، وأنا أتمنى أن يأتيني أحد، فيقول: هذا صوفيٌ سني لا بدعة عنده، أتمنى، أتكلم عن المعاصرين أو قريب من المعاصرين، وحتى في الحقيقة لو أخذنا تاريخ الصوفية منذ أن دخلت على الإسلام إلى يومنا هذا؛ قل ما تجد صوفيًا سليمًا من البدعة، إلا وتجد عنده البدع أو بعض البدع.

الصوفية من الصعب أن يتخلص صاحبها من البدع، ولو تخلص من البدع لتخلى عن اسم الصوفية، لو تخلى عن البدع لما قبل أن يُسمى بالصوفي؛ لأن الصوفية لم تكن لا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم بمثل هذه

الشارات وهذه المشيخات وهذه السلوكيات وهذه العبادات البدعية التي يقترفونها، والعلاقة بين الشيخ والتلميذ... إلى غير ذلك، هذه لم تكن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، لا يقولن أحد: لكن التزكية كانت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، التزكية التي كانت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم نعرفها من البخاري ومسلم وكتب السنة، لا نعرفها من خلال هؤلاء المشايخ، هؤلاء المشايخ يزعمون أنها كانت موجودة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا استدلوا؛ استدلوا بالموضوع والمكذوب، أو أخذوا الأحاديث الصحيح وحملوها ما لا تحتمل من الإشارات والمعاني الباطلة التي لا يمكن أن يقبلها أهل العلم الثقات.

وعامة الفقهاء في تاريخنا لا يحبون المتصوفة، ويتكلمون عنهم بشدة، عامة أهل العلم من الفقهاء لا يحبون الصوفية، ويرون أن الصوفية فيها البلادة وفيها الغفلة وفيها الجهل وفيها البدعة، وإمامنا الشافعي رحمه الله قال: «ما رأيت رجلاً تصوف أول النهار، ما أتت عليه صلاة العصر إلا وهو مجنون»، الصوفية بدعة.

القصد من هذا: بأن أحمد بن صديق الغماري هذا هو شأنه، فعلى المرء أن يتقي ما هو غلط، نحن عندما يموت الرجل ننظر إلى كتبه، إذا كان حيًا ينظر إلى شخصه، التعامل معه؛ فنتحدث، لكن إذا مات الرجل لن يبق لنا إلا كتبه، وحينئذٍ ينبغي الحكم على الكتب، فهذه كتبه الحديثية منتشرة، والناس يعتنون بها ويأخذونها، ويأخذون منها، وهناك من كتبه ما ذكرت ينبغي أن تُنبذ وألا تُحترم، بل ينبغي أن تحرق وأن تزهد؛ كرامةً للرجل إن كان لبعض الناس في قلوبهم احترامًا له.

جزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

٢٢٧- رأي الشيخ بكتب سعيد حوى

ضمن الجلسة التاسعة عشر، بتاريخ: (**٢٨/٠٣/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٦/١٢/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: ما رأيك بكتب الشيخ سعيد حوى رحمه الله وهل هي جيدة للقراءة وخاصةً كتابه «المستخلص في تزكية الأنفس»؟

جواب الشيخ: الشيخ سعيد حوى في الحقيقة من المكثرين الذين أكثروا، واشتهر من خلال كتبه، وخاصةً أن مؤسسة قامت على نشر كتبه، وأقصد بها جماعة الإخوان المسلمين، فلما كان يُخرج الكتب يتبناها الإخوان المسلمون في مدارسهم وفي حلقاتهم فيقرؤنها، مثل كتب: «الله جل جلاله، الإسلام، جند الله ثقافةً وأخلاقًا»، وجعل كتبه شارحة لرسائل الشيخ حسن البنا رحمه الله؛ ولذلك كان الإخوان المسلمين يعتنون بكتبه ويشترونها، يضعونها في المساجد، ويطالبون الشباب بقراءتها ومدارستها في حلقاتهم، فاشتهر أمر سعيد حوى أكثر من غيره، ثم أخرج كتابه: «تربيتنا الروحية» وذلك لشرح ما قاله الشيخ حسن البنا بأن دعوتنا سلفية صوفية، فشرحها وقال: أراد أن يسمي هذا الكتاب بتربيتنا الصوفية، ولكن العنوان بلا شك سيجد المعارضة بمجرد النظر في عنوانه، ثم بعد ذلك أخرج هذا الكتاب الذي ذكره السائل جزاه الله خيرًا.

وبعد أن خرج وانتهت مرحلة الجهاد السوري في العشرية الثامنة من القرن الماضي الميلادي، تفرغ لبعض الكتب الكبيرة، فألف كتاب «الأساس في التفسير، الأساس في السنة» وكتبه مشتهرة، والآن وإن كان الناس لا يهتمون بها كثيرًا، فهو مكثر، لكن أنا كتبت مرةً ومازلت على هذا القول، وكلما راجعت كتبه نظرت فيها، والمرء لا بد أن يعود للكتب، لأي كتابٍ قرأه، أنا على منهج الإمام النووي رحمه الله، له كلمة مفادها أي الإمام محي الدين النووي: «أنه لا ينبغي لطالب العلم أن يهجر بابًا من أبواب العلم عامًا كاملاً»، يعني كل باب من أبواب العلم الفقه والأصول والحديث عليه أن يمر عليه المرء في كل عامٍ مرة، أن يقرأه أن يعيده، هذه طريقته.

وكذلك الكتب، الكتب المهمة والتي تحتاج إلى قراءتها، ينبغي أن تعود إليها، ومرات أنت تجد نفسك مسوقًا لهذا الكتاب تريد أن تعيد قرأته، لماذا؟ فتجد نفسك مدفوعًا لقراءة هذا الكتاب، في الحقيقة أنا لا أعرف

فضائل مهمة كبيرة في كتب سعيد حوى، فلو فقدت مكتبة المرء كتب سعيد حوى لما تأثرت، ولما نقص عنده كبير علم، هذه التي ذكرتها وغيرها مثل «الإسلام»، والرسول، الله، وجند الله ثقافة وأخلاقًا، وهكذا... تربيتنا الروحية»، هذه الكتب في الحقيقة وحتى كتاب «الأساس في التفسير»، يعني أنا عندما أقوم بدروس التفسير عادةً أقرأ أقل شيء مسرعًا في لحظة، غير ما يكون المرء قد أخذه وجمعه من قراءته سابقًا، أنه يرجع إلى أقل شيء عشرة أو خمسة عشر تفسيرًا، يرجع إليها يقرؤها، ينظر هل فيها من فوائد خاصة هنا وهنا، وكذلك أنا أضع «الأساس في التفسير» أمامي، ما رجعت إليه يومًا، مع أني قرأته خلال رحلتي في خلال وجودي في ماليزيا، قرأت هذا الكتاب كامل وكتاب «الأساس في السنة» كذلك، فما وجدت فيه شيئًا يستحق الاعتناء والاهتمام به والهجرة إليه، ما وجدت في الحقيقة.

فكتب سعيد حوى غير نافعة، والمرء لو هجرها لا يتأثر لا من جهة العلم ولا من جهة الفكر ولا من جهة العقل ولا من جهة العلوم، لا يجد فيها ما ينبغي الاعتناء به.

بقيت مسألة: وهي أن كتابه «تربيتنا الروحية» أراد أن يقرب الصوفية إلى المنهج السلفي كما يقول في بدايته، والشيخ سعيد حوى بلا شك في عنقه بيعة صوفية كما يذكر هذا هو عن نفسه، لا نريد أن نحاكم هذه القضية: البيعة الصوفية وأسسها وأدلتها وهل هي سنية أو بدعية؟ فهذه مسألة نعرض عنها الآن، ولكنه في الحقيقة في كتابه جاهد أن يؤسس لصوفية تأسيسًا حديثيًا، تأسيسًا فقهيًا، لا أريد أن أقول سلفيًا لأن البون شاسع، ولكن تأسيسًا فقهيًا فعجز.

أنظر إليه لما جاء إلى قضية الذكر المفرد، لم يستطع، لم يستطع أن يتخلص من الحصار الصوفي له، وأجاز ذكر المفرد، وللأسف هذا أمرٌ باطل، هذا ذكرٌ بدعي، والعلماء قرروا بدعية هذا الذكر، وأنه لا يصنع تعظيمًا لله، ذكر «الله» فقط ليس فيه تعظيمًا لله، فالله أمرنا أن نحمده وأن نسبحه وأن نكبره وأن نؤلهه وأن نوحده وأن نعظمه وأن نستغيث به، وأما هذا الذكر المفرد «الله، الله، الله» هذا لا يصنع تعظيمًا لله.

ثم المصيبة والطامة الأخرى أن كلمة «هو»، لما أن كلمة «الله» هكذا لا تصنع تعظيمًا إلا أن يرافقها التعظيم والتسبيح، ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١)﴾ [الأعلى: ١]، ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣)﴾ [المدثر: ٣]، فذهبوا إلى اسمٍ جديد وهو «هو»، وهذا مبدأ وحدة الوجود، لأن «هو» هو ضميرٌ غير معين، والضمير الغائب لابد له

من مرجع إما في الذهن وإما في اللفظ، مثل: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١)﴾ [الإخلاص: ١]، فهذه ﴿هُوَ﴾ تحتاج إلى مرجع، هذا الضمير يحتاج إلى مرجع في حضور في الذهن وهو الله؛ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١)﴾.

لكن عندما يأتي الذاكرة فيأتي إلى هذا الضمير، الذي لا مرجع له في ذهن متكلمه، فإنه يعيده إلى كل حاضر وإلى كل ما يطرأ على الذهن، «هو» فيمكن أن تعود إلى البيت، تعود إلى الدابة، تعود إلى السيارة، تعود إلى فلان من الناس، ولذلك الذكر «هو» هذا باللفظ هذا، الضمير الغائب، هذا هو الذي يجعل الذكر لكل مذكور ولكل موجود، وهو مبتدأ الدخول في وحدة الوجود، للأسف يجعلونها في الذكر من أعظم الذكر، وأخذًا بكلام فلان وعلان، ممن لا ينبغي أن تؤخذ أقوالهم في هذا الباب، والفقيه فقيه ما لم يتصوف، فإن تصوف خرج من فقهه إلى مثل هذه الأقوال الشاذة التي لا تعبر عن علم ولا عن دليل. الله أمرنا أن نذكره ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، علمنا كيف ذكره عن طريق الكتاب وعن طريق فعل النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يرد قط عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه ولا عن التابعين هذا الذكر المفرد «الله» أو الذكر بضمير الغائب «هو».

فلذلك سعيد حوى في كتابه «تربيتنا الروحية» لم يخرج عن هذا، وكتابه «المستخلص في تزكية الأنفس» أنا قرأته هو تقريبًا، تقريبًا كما قال مقدم الكتاب وهو سعيد حوى: أنه اختصار «لإحياء علوم الدين» المستخلص هذا كأنه أراد أن يلخص «إحياء علوم الدين»، مع بعض الإضافات، لكنه في الأصل هو اختصار لإحياء علوم الدين.

وطالب العلم في موضوع التزكية يكفيه أن يقرأ القرآن، أن يقرأ الأحاديث، أن يقرأ الكتب التربوية التي تتعلق بالأحاديث، بشرح الأحاديث، هذه من أعظم ما يربي المرء به نفسه، أما الانشغال بمثل هذه الكتب فإنها تيأسه، تقدم له طريقةً بشريةً سامية لا وجود لها، يعني أنت إذا قرأت تراجم رجال الصوفية فيقدمون رجالهم على طريقتين:

الطريقة الأولى: هي الطريقة المخزية التي فيها تعظيمٌ لأناسٍ لا دين عندهم، لو ذهبت مثلاً إلى كتاب الشعراني في كتابه «الطبقات الكبرى»، ولو ذهبنا لكتاب النبهاني كذلك، أهم كتابين في كتب تراجم الصوفية المتقدمين والمتأخرين هو كتاب: الشعراني «الطبقات الكبرى»، والكتاب الثاني هو كتاب يوسف النبهاني، الذي

كان هو القاضي الشرعي أو القاضي المدني في بيروت، وهو عم الشيخ تقي الدين النبهاني مؤسس حزب التحرير -عسى تأتي أسماء هذه الكتب في الذهن- فلو قرأت تراجم أولياء الصوفية في هذين الكتابين لرأيت مسوخًا بشرية يسمونهم بالأولياء، وفي الحقيقة هم مجاذيب ومجانين، ويذكرون عن من الأخلاق الذميمة، كالعري والقبح وترك الوضوء وترك الصلاة والتعرض للشمس طوال النهار كما يذكرونها عن فلان وعلان، عن البدوي، فالحقيقة تمسخ هذه الكتب الفطرة البشرية، لا يمسخون الإسلام في رقيه وعظمته وما فيه من علاقة عظيمة مع الله عز وجل، بل يمسخون الإنسان كونه إنسانًا يمسخونه إلى دابة، ويعظمون مجانينهم، هذه الصورة.

الطريقة الثانية التي تقدمها كتب التصوف لرجالها وهي: الخروج عن حالة البشرية، الولاية عندهم ولايةٌ تؤدي إلى الخروج من البشرية، تسامي، فالصورة الأولى تحقر الولاية، الصورة الثانية تيأس الباحث عن الولاية.

لو قرأت تراجم الصحابة تجد الإنسان الولي، أولاً الإنسان الولي، هو إنسان له وزوجة وله أولاد، ويأكل ويشرب ويبيع ويساوم ويشتري ويخطئ ويصيب... إلخ، فتقدم الإنسان الولي بصورةٍ فطريةٍ سليمة، وسننيةٍ صحيحة، لكن هؤلاء... تصور أن رجلاً منهم قال: لم يأكل أربعين سنة إلى حبة باقلاء، حبة باقلاء في كل يوم، أين هذا الوجود؟!، رجل لم يشرب الماء، هكذا.. رجل يصوم ويذهب إلى الصحراء ويمشي وينتظر حصول الكرامات له، يمشي بعيدًا ولا يشتغل ولا يبيع ولا يشتري... إلخ.

فهذه الصورة لا وجود لها.. هذه الصورة متخيلة لا وجود لها، هي في الحقيقة ظل الصورة الأولى، ولكنها تقدم في معزل عن الصورة الأولى فيبدو أن الإنسان الولي، هو إنسانٌ لا يمكن أن يصل إليه، فبهذه الطريقة تكون الطريق إلى الولاية مقفلة، إما مقفلة بالقاذورات وإما مقفلة بالمثاليات التي ترتفع عن البشرية.

القصد من هذا: لا أحبذ كتب الشيخ سعيد حوى، ليس للخلاف، هناك كتب عندما تكلمت قبل قليل عن الشيخ أحمد بن الصديق الغماري مدحت كتبه في الحديث لأنه من أهل هذه الصنعة، وكذلك في مسائل الفقه له اجتهادات وإن كانت قليلة، وأظن أن أخانا شيخ حسن كتاني في رسالة الماجستير له في أحمد بن صديق الغماري أظن، وهي عندي، ولكن الذاكرة اليوم ليست على ما يرام في هذا الباب.

أنا لا أنفر من كتب سعيد حوى لمخالفة المذهب، ولكن لقلة فائدتها، إن لم تكن الفائدة ضعيفة جدًا، جدًا، والله عز وجل أعلم.

بارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٢٢٨- ما هو ترتيب كتب السنة بحسب الصحة؟

ضمن الجلسة التاسعة عشر، بتاريخ: (٢٨/٠٣/١٤٣٩هـ **الموافق لـ: ١٦/١٢/٢٠١٧ م)**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل أخ: ما هو ترتيب كتب الحديث حسب الصحة؟ جزاكم الله خيرًا، وعندي سؤالٌ آخر هل الأحاديث في صحيح البخاري أصح منها في سنن أبي داود؟

جواب الشيخ: أولاً ترتيب كتب السنة بحسب الصحة ولا شك أن البخاري عند أهل العلم والمحققين منهم هو أصح كتاب بعد كتاب الله عز وجل، ثم يأتي بعد ذلك صحيح مسلم، والذي أنتقد على مسلم أكثر ما أنتقد على البخاري، وطريقة البخاري في الشروط وفي التدقيق وفي علم العلل أقوى وأصوب من طريقة تلميذه عليه رحمة الله الإمام مسلم وكلاهما على خير، ولا شك أن أصح الكتب من كتب السنة هو صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ثم يأتي صحيح مسلم، وهذان قد اتُفقا على صحتهما، إلا ما انتقض عليهما من بعض الحروف اليسيرة التي لا تضر أصل الحديث.

ثم تأتي بعد ذلك كتب السنة وقد بذل أهل العلم في ترتيب هذه الكتب الأربعة أما ترتيبًا زمنيًا وأولها هو كتاب سنن أبي داوود ثم بعد ذلك سنن الترمذي ثم سنن النسائي ثم سنن ابن ماجة، ولا شك أن إدخال سنن ابن ماجة لهذه الكتب غير متوافق إلا على جهة الزمن والاسم، وإلا فغيره أولى منه، لو أدخل الموطأ لكان أحسن ولو أدخل كما ذكرت في سؤال سابق سنن أو مسند الدارمي لكان هذا أصوب، وهذا الأكثر الذي عليه العلماء.

لكن ما هو الكتاب الأقرب إلى الصحة في هذه الكتب الأربعة، بعض العلماء المتسائلين يسمون الكتب الصحاح الستة، وأنا لا أمنع من هذا يعني بعض العلماء يتشددون في الردود وطلبة العلم، لا، ليست كتب الصحة، يعني المقصود بها الأغلبية، الأغلب ولا شك أن وضع الصحيحين مع الكتب الأربعة فيه إجحاف وفيه عدم دقة، ولكن لا ينبغي هذه الحساسية من تسميتها بالكتب الستة، أو الصحاح الستة، آسف ليس كتب السنة هذه ليس فيها شيء وإنما الصحاح الستة، فالأغلبية أي أغلب هذه الكتب أنها صحيحة، البخاري

ومسلم انتهينا منهما، فتبقى الكتب الأربعة.

ولا شك أن أصح كتاب من الكتب الأربعة التي ذكرناها هو صحيح الإمام النسائي، كما كان يسميه بعض أهل المغرب: بالصحيح، والحق أننا نتكلم عن المجتبى، وإلا فالسنن الكبرى للإمام النسائي الذي اجتباه هو على الصحيح وبعضهم قال: تلميذه، والصواب أنه هو الذي اجتباه من السنن الكبرى، «المجتبى من السنن الكبرى والسنن الصغرى»، فأفرده، وهو أجل الكتب الأربعة وفيه فوائد عظيمة وجليلة وخاصةً فيما يتعلق بالعلل؛ فإنه يذكر الحديث ويذكر معه الأسانيد التي اختلفت فيه، وبهذا امتاز هذا الكتاب.

أغلب أهل العلم من جهة الفقه يحبون سنن أبي داود؛ لأنه أكثر من ترتيب كتابه على طريقة الفقهاء، يعني أقرب كتب السنة في ترتيبها على طريقة الفقهاء هو سنن الإمام أبي داوود عليه رحمة الله، ولكنه ولا شك أن سنن الإمام النسائي أصح منه، ثم بعد ذلك يأتي سنن الترمذي، وأهل العلم يحبون سنن الترمذي لما فيه من:

أولاً: من ترتيبٍ فقهي وإن كان لا يصل إلى درجة سنن أبي داوود ولما فيه من الحكم على الأحاديث، وكل الكتب الأخرى لا تفرد الحكم على الحديث، وإن كانت لهم طرق كالإمام النسائي له طرقه في التنبيه لعلة الحديث عن طريق ذكر الأسانيد الأخرى، أما أبو داوود فقل ما يتكلم عنه وإن كان في رسالته لأهل مكة أشار إلى أن كل حديثٍ سكت عنه فهو مقبولٌ عنده ويحتج به مع وجود المحترزات التي قالها أهل الصِنعة الحديدية في هذا الباب.

إذن هو في الصحة يأتي أولاً البخاري ومسلم ثم سنن الإمام النسائي ثم سنن الترمذي ثم سنن أبي داود وآخرها ابن ماجة، وحتى قال بعض العلم: وقولهم مقاربٌ للصحة أنه لم ينفرد ابن ماجة بحديثٍ عن هذه الكتب التي ذكرناها الخمسة إلا بحديثٍ صحيح أو حديثٍ مقبول، وأغلب أهل العلم يقولون بهذا القول، وإن كان يخالفهم بعض العلماء، والصواب هذا القول، هذا القول صحيح، لا يعرف أن ابن ماجة صحح، ذكر حديثًا انفرد فيه في السنن عن بقية ما ذكرناه من الكتب وكان الحديث صحيحًا مقبولاً محتجًا به.

إذن هذا هو ترتيبها من جهة الصحة وترتيبها من جهة الزمن وترتيبها من جهة الصحة والقبول.

بقي سؤالٌ للأخ: ما هو الأقرب إلى الصحة سنن أبي داود أم صحيح ابن خزيمة؟ ولا شك أن صحيح ابن

خزيمة هو أقرب في التصحيح من كتاب سنن أبي داوود، ولكن هذا الكتاب -المقصود به صحيح ابن خزيمة- عليه كلام:

أولاً: أن الصحيح عند ابن خزيمة هو ما جمع بين درجتين الصحيح والحسن، ولذلك هو لا يوجد عند ابن خزيمة صحيح وحسن وضعيف، وإنما هو عنده الصحيح ثم الضعيف، ولذلك أدخل في صحيحه الأحاديث الحسنة، وبعض أحاديثه فيها ضعف عند بعض أهل العلم، وإن كان يغلب عليه الصحة والحسن، والحسن أكثر في صحيحه.

الفائدة الثانية هي الترتيب الفقهي فيه، الإمام ابن خزيمة وسع الأبواب حين تجد مثلاً باب البخاري تجد أن العناوين الصغيرة وقليلة عند ابن خزيمة يوسعها مُلائمةً لعصره.

النقطة الثالثة: أن صحيح ابن خزيمة لم يصل إلينا، وصل إلى غيرنا وليس فيه فقط إلا العبادات وقد فقد أغلبه، ولذلك الناس لا يعتنون به في التدريس كما يعتنون في الكتب التي تمت ويمكن المواصلة بها إلى أن يتم الباب أو الكتاب كاملاً، ولا شك صحيح ابن خزيمة هو أصح من سنن أبي داود كما يريد السائل أن يسأل.

جزاك الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

٢٢٩- إذا ثبت الإجماع من نقل عالمٍ ثقة، فهل يجوز نقضه؟

ضمن الجلسة التاسعة عشر، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٣/٢٨هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/١٢/١٦ م**)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله...

أخ يسأل: إذا ثبت الإجماع من نقل عالمٍ ثقة، عالمٍ بمذاهب العلماء وأقوالهم، فهل يجوز أن ينقض الإجماع باجتهادٍ أم بإجماع ينقضه؟

جواب الشيخ: لا، إذا وجد هذا المعنى من الإجماع وهو؛ الإجماع اليقيني، بل والإجماع الاستقرائي الظني، لأن الإجماع عند أهل العلم له تفصيلات كثيرة -ذكرتها ربما- إن كلمة الإجماع عن أهل العلم لها معانٍ متعددة ولكن الإجماع في المجمل يقسم إلى إجماع يقيني وإجماع استقرائي ظني.

إجماع يقيني قطعي: وهو الذي أجمع عليه الصحابة رضي الله عنهم، من الصلوات والمأمورات المجمع عليها.

وهناك إجماعٌ استقرائي: حيث العالم لا يعرف مخالفًا لهذا القول، فإذا ثبت هذا الإجماع ونقله عالم يجب المصير إليه، إلا أن ينقض بعدم وجوده، مثلاً: واحد يدعي الإجماع في مسألة فيقول: لا، هذه ليست من مسائل الإجماع، ولكن خالف العالم الفلاني وخالف الشيخ الفلاني وخالف الصحابي الفلاني، وروايات مختلفة فيها... إلخ، فينقض إجماعه.

فإذا وجد الإجماع، فلا يجوز أن ينقض، لماذا؟ لأنه حينئذٍ هو الحق؛ إذ لا يتصور إجماع الأمة على ضلالة، (**لاتزال طائفةٌ من أمتي قائمة على الحق**)، فإذا وجد الإجماع يعني هذا: أن الحق مع هذه الطائفة، والأمة معها في هذا الحق، فحيث لم يوجد المخالف دل ذلك على أن الحق هو الذي اختارته هذه الطائفة، واختارته هذه الأمة، ولذلك زعم بأن الأمة يمكن أن تجمع على ضلالة هذا ضربٌ وطعنٌ لهذا الحديث الشريف (**لا تزال طائفةٌ من أمتي قائمة على الحق**) ولذلك لا يجوز أن يخلو -كما قال الأصوليون- لا يجوز أن يخلو العصر من قائمٍ لله بحجة، قائم بالحق، لا يجوز، (**ولا تجتمع أمتي على ضلالة**)، لا تجتمع هذه الأمة على ضلالة كما ثبت عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه.

الآن، ما هي فائدة الإجماع؟ فائدة الإجماع أنه هو الحصن الذي ينبغي أن تتقي الأمة به الزندقة والضلال من الدخول في الأمة، النص؛ لو وجود النص، ربما يزعمون فيه المزاعم -كما تعلمون- أي يمكن للرجل أن يضعف النص، يمكن أن يغير دلالته، يمكن أن يدعي نسخه... إلخ.

فيأتي الإجماع من أجل أن يحمي النص من كل هذه الدعاوى الضالة والجاهلة، فإذن ما هو دور الإجماع؟ الإجماع هو الحصن الذي به يتم حماية الأمة من دخول الضلالة عليها، ويعرف الضلالة حين يأتي مخالف هذا الإجماع.

أولاً: لا يتصور الإجماع على ضلالة، ولذلك يجب استصحاب دعوى الإجماع حتى يأتي الناقض، معنى ذلك: لا يجوز لأحد أن يقول: يأتي عالم، لنقل ابن قدامة، لنقل ابن تيمية، لنقل النووي، ويقول: هذه المسألة مجمعٌ عليها، فيجب قبول دعواه حتى يأتي الناقض يقول: لا، أيها العالم -يا ابن قدامة، يا نووي، يا ابن تيمية رحمهم الله- الإجماع غير موجود، والدليل أن عبد الله بن عمر لم يقل بهذا القول وخالفه، وهذا نصه، فحينئذٍ يُنقض الإجماع، وأن العالم الفلاني خالف في هذه المسألة، وادعيت الإجماع، وهذا حينئذٍ إجماع استقرائي ظني، فيمكن أن يوجد المخالف فيه.

ولكن حيث وجدت كلمة الإجماع يجب احترامها، لا يجوز كما يفعل بعض المعاصرين كما رأيتهم وحادثتهم، حين تقول له: هذه المسألة مجمع عليها، فيقول لك: لعل الناس اختلفوا، لا تبدأ بها، لا تبدأ بهذا الكلام قبل أن تتوثق من وجود مخالفٍ لهذا الإجماع الْمُدعى، لا يجوز لك، يجب عليك أن تسلم وتقول بقول ما قيل في الإجماع حتى يأتي الناقض فحينئذٍ تجتهد، ربما يكون قول الجمهور وقول فرد، ويكون الحق مع الواحد والإثنين لا مع الجماعة، يمكن هذا، يقع هذا في الفقه الإسلامي ولا ضرر منه.

يعني مثلا الآن: رجلٌ محصن؛ هذا مجمع عليه، قتل المرتد؛ مجمع عليها هذه، هذه مما لا خلاف فيها من الأوائل، يأتي أحد ويقول: هذه لا إجماع فيها، هذه فيها الخلاف، من أين أتيت؟ أحضر لنا، لا تأتي برجل متأخر لا يرى الإجماع.

أعطيكم مثالاً: الشوكاني لا يرى الإجماع ويأتي بمسائل فقهية على خلاف الإجماع، يعني مثلاً: يرى أن الدم ليس نجس، الشوكاني، والإجماع منقول عن أحمد رحمه الله أن الدم نجس، نعم هناك خلافات تفصيلية في قضية

الكمية والكيفية... إلخ، ولكنهم يتفقون على مجمل هذه الكلمة وهي: أن الدم نجس، الشوكاني ارجعوا إلى كتابه «إرشاد الفحول»، فهو لا يرى الإجماع، وكلامه متهافتٌ فيه، كلام الشوكاني في «إرشاد الفحول» عن مسألة الإجماع متهافت، ومبني على طريقةٍ منطقيةٍ لا قيمة لها، ولا ينبغي الآن التفرغ لها.

فحين يدعي العالم الإجماع يجب الاستسلام له حتى يأتي ما ينقض الإجماع حينئذٍ يجتهد العالم بحسب دينه وتقواه ومعرفته بالكتاب والسنة وبعلوم الآلة... إلى غير ذلك، هذا واحد، ولذلك لا يتصور هذا السؤال، لا يتصور أن يُنقض الإجماع بالاجتهاد ولا يتصور إجماع ينقض إجماع، لا يجوز ولا يتصور، ما دام أن الإجماع قد قام؛ فيجب التسليم إليه، فكيف ينشأ الإجماع؟ يعني أنت تقول: أن الأمة كانت ضالة في الأولى، فنشأ وعرفنا الضلال بإجماعٍ آخر! لا يتصور.

ولذلك الأصوليون -أيها الإخوة الأحبة- يأتون بكلمات وبمسائل ذهنية، نبه على ذلك الغزالي في «المستصفى» وقال: إن هناك من المسائل ما أدخلت في أصول الفقه وهي أجنبيةٌ عنه وليست أصلية، وشرح ذلك طويلاً الشاطبي في «الموافقات»، يعني لا يتصور هذه المسألة هل ينقضي الإجماع بالإجماع؟!، هذه مسألةٌ ذهنية لا وجود لها، لو سألت العلماء في مشارق الأرض ومغاربها منذ أن وجد الفقه إلى يومنا هذا، هل وجدت هذه المسألة؟ لا وجود لها.. هم يتخيلون، ولكن لا وجود لها.

القصد: ما هي قيمة الإجماع اليوم؟ الإجماع هو الحصن الذي يحمي الأمة، لو لم يوجد الإجماع، يعني الأمة يمكن أن تفترق في هذه المسألة، ويمكن دخول الناس في هذه المسألة حتى لو كانت شاذة، هذا القول عند الكثيرين يعد شاذًا فقد يتبناه، ولكنه يبقى داخل إطار الأمة.

لكن الذي يمنع خروج الفرد من إطار الأمة، ويمنع اختراق الخارجين عن الأمة إلى داخل الأمة هو حسم الإجماع، والذي يحمي النص من أن يتلعب به هو الإجماع، -النص المقصود به ظني الثبوت ظني الدلالة- الإجماع يمنع ذلك، ولذلك يجب الحفاظ على الإجماع.

المشايخ أصحاب اللفات الذين يجتهدون في المسائل المجمع عليها هم يفتحون -دروا ام لم يدروا- باب الأمة لاختراق للزنادقة فيها، ويفعلون والأمثلة كثيرة، هؤلاء المشايخ هم الذين يفتحون الأبواب بكلماتهم هذه

يفتحون أبواب الأمة للزنادقة للدخول والولوج فيها، هم يفعلون الأمر استجابةً تحت سطوة الواقع، تحت ضغط الواقع يستجيبون لإجازة كذا ولتحليل كذا ولمناقضة كذا، يستجيبون زعمًا أنهم مجتهدون وأن هذا القول أولى وو... إلخ، لكنهم في هذا الفتح يفتحون الباب للزنادقة، للقول على الله بغير العلم، وهم لا يستطيعون الرد عليهم بطرقهم هذه الجاهلة، لا يستطيعون، الذي يمنع قتل المرتد هو الذي يفتح باب الاجتهاد لإلغاء الوضوء ولإلغاء الصلاة، وهو بفتحه هذا الباب وهذا التأويل لا يستطيع أن يغلقه، فقط هو لأنه شيخ يظن، ولذلك هذا الموضوع «ما أفسد الناس إلا القياس والتأويل» كما قال أحمد رحمه الله، «ما أفسد الناس إلا القياس والتأويل»، أساس الفساد هو القياس والتأويل، فلذلك على العلماء أن يحتفظوا بهذا الحفاظ على هذه الأمة، الجامع لها، ما الذي يجمعنا؟، نختلف ولكن يجمعنا هذا الإطار الجامع الذي يسمى بالإجماع في أمتنا.

الإجماع رحمة من الله عز وجل لهذه الأمة، لتجتمع ولتتفق ولتنطلق من هذه المسائل المجمع عليها لتحل مشاكلها فيما اختلفت فيه.

أما أن ننقض هذا الأساس ونفتح هذه الأبواب لغيرنا، لغير المسلمين لدخول فيها تحت باب الخلاف المزعوم أو المدعى أو المتهوم؛ فهذا كله من الضلال، لا وجود لاجتهاد مناقض الإجماع، هذا اجتهادٌ باطلٌ سخيف، وإذا كانت المسائل المجمع عليها يقينيًا يكفر ناقضها، والذي يأتي إلى إجماع زاعمًا أنه ليس باليقيني، ولكنه ظني دون أن يثبت؛ فهو كذاب دجال مُبطل، بعض الناس يقولون: لا، لا، هذا من الإجماع الظني، أين دليلك؟

يزعم الشوكاني –وهذا من أخطائه– أن الاجتهاد اليوم متيسر أكثر من الأوائل، وقال: من أسباب ذلك أن العلوم قد دونت! عجيب الشوكاني! مع أنه عالمٌ بحر، لكن عجيب أن يسقط مثل هذه السقطات، هذه لا يدعيها ابن حزم، ابن حزم لا يقولها –وبلا شك أن ابن حزم جبلٌ كبير والشوكاني أمامه حجرٌ صغير، أستغفر الله أرجو ألا أكون قد أخطأت في مقارنته بابن حزم– ويقول: أن الاجتهاد اليوم متيسر لأن كتب الحديث قد صنفت، هذا لا يعرف تاريخ الفقه، ولا يعرف تاريخ الفقهاء والعلماء ولا يعرف تاريخ التدوين، هذه كلمةٌ...! ليته لم يقلها محمد بن علي الشوكاني رحمه الله.

الذي يحفظ الأمة هو الإجماع، لا يأتي أحد ويقول: لا، هذه مسألةٌ من الإجماع الظني، أين دليلك؟ من

قال بها؟ أحضر لنا عالماً قال بهذا القول! أحضر لنا عالماً خالف هذا الإجماع الْمُدعى! فكل إجماعٍ ظنيٍ هو يقيني حتى يثبت العكس، ولذلك الذي يخالف الإجماع على الصواب أنه اتبع غير سبيل المسلمين، والذي يخالف الإجماع عند علمائنا خالف معلومًا من الدين بالضرورة، هذا هو معنى معلومًا من الدين بالضرورة؛ أنه كافر وعدو لله عز وجل، وناقض الشريعة من كل وجه وليس له تأويل معتبر.

سبحانك اللهم وبحمدك... والحمد لله رب العالمين.

٢٣٠- هل يجوز كتابة مقالات إسلامية في مواقع علمانية؟

ضمن الجلسة التاسعة عشر، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٣/٢٨هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/١٢/١٦ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: هل يجوز كتابة ونشر مقالات تدافع عن الإسلام وترد شبهات العلمانيين والزنادقة في مواقع تنشر لكلا الطرفين، ولا تقتصر على الطابع الإسلامي فقط أم كتابة هذه المقالات أولى في مواقع ذات صفة إسلامية فقط؟

جواب الشيخ: الجواب في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (**العبادة في الهرج كهجرةٍ إلي**)، والذي يدخل على مواقع العلمانيين والزنادقة وينشر الحق كالمجاهد في سبيل الله والاستشهادي الذي يقذف بنفسه في صفوف الكفار فيمزقهم أشلاءً، ولكن عليك أن تكون قويًا لا تدخل بالضعف فيؤدي إلى استغلال الزنادقة لضعف ما تقول؛ فيؤدي هذا إلى تقوية مذهبهم ورأيهم وكفرهم وإلحادهم.

الذي أحبه هو أن يكون هذا وهذا، بعض الناس من المسلمين يذهب إلى المواقع الإسلامية، فعلينا أن نملأ هذا الأخ بهذه الردود وأن نعلمه إياها وأن نقوي علمه في الردود عليهم بمثل هذه الردود على شُبههم، هذه علينا أن نفعله ونرسل هذا الأمر إليهم، وأن يبقى الذي لم يتعرف على هذه المواطن أن يكون قويًا في هذا الباب، لكن الذهاب إلى مواقع العلمانيين والزنادقة والردود عليهم هذا من الدين، وهذا من العلم وهذا من الجهاد في سبيل الله، ولكن بالشرط الذي ذكرته ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، فإن من شرط الأحسن أن يكون قويًا وأن يكون محكمًا، ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾ [هود: ١]، هذا وصفٌ لكتاب الله ووصفٌ لما اشتق من العلم من كتاب الله، يجب أن يكون قويًا محكمًا.

فالدخول في هذه المواقع العلمانية ومواقع الزنادقة ما لم يكن فيها ما أمر الله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [النساء: ١٤٠]، يعني تجد بعض المواقع فيها الاستهزاء هذه يجب هجرها وعدم احترامها وعدم الاقتراب منها البتة، وتركهم، الذين يسبون ويشتمون بمواقع النصارى والزنادقة والعلمانيين التي فيها التقبيح

والسب، هذه طهر قلبك، قلبك مثل اسفنجة، لا تجعله قريبًا للشر فيمتص هذا الشر، أنا أتكلم عن السباب والشتم.

أما المواقع التي فيها الحوار العلمي الحقيقي، وفيها الكلام الذي فيه الشبه عند أصحابها ويطرحونها على أي جهةٍ كانت، أن تدخل إلى هذه المواقع فتجابه هذه الشبه بالعلم وتقذف الحق على الباطل فيدمغه هذا من الدين، وعلماؤنا كانوا يذهبون إليهم، تعرفون قصة الإمام أبي بكر الباقلاني عليه رحمة الله عندما كان يأتي إلى الزنادقة فيقولون: جاءنا الشيطان، فيقول: ﴿أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا (٨٣)﴾ [مريم: ٨٣]، فحتى في مناظرتهم فيما يقولون من دعابات أو ما يقولون أو ما يقولون من تصغيره؛ يرد عليهم ويقمع، يعني يقمع رؤوسهم ويطحنهم طحنًا.

وهذا موجود بفضل الله، هناك مواقع لأهل العلم ولأهل الدين ولأهل الإسلام يردون فيها على شبه الزنادقة والنصارى والعلمانيين فهذا شيءٌ عظيم، وكذلك أن يذهب طالب العلم المتمكن إلى مواقع الزنادقة والعلمانيين والنصارى واليهود فيقمع شركهم وكفرهم وشبهاتهم، فهذا من الجهاد في سبيل الله وهو من باب غزو الكفار في ديارهم، هذا من باب الإعداد وهذا من باب نزع الكفار في ديارهم، والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين.

٢٣١- هل يجب على المدرس أن يكون صحيح اللفظ سليم اللسان؟

ضمن الجلسة التاسعة عشر، بتاريخ: (**٢٨/٠٣/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٦/١٢/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: أنا طالبٌ مُجاز في الأدب العربي ومُقبل على مباراة التعليم، لي معرفةٌ جيدة في الأدب العربي قديمه وحديثه وعلوم اللغة، ولكني أعاني من اضطراب في التلفظ، تعذر نطق حرف «الراء» نطقًا سليمًا، فهل يجب على المدرس أن يكون سديدًا النطق فصيحا اللسان، خاصةً أصبح كابوسًا يزرع الشك مكتسبات؟

جواب الشيخ: أول شيء أنا أقول لهذا الأخ عليك ألا تخجل ولا تضعف من هذه اللدغة في كون «الراء» لا تخرج معك خروجًا صحيحًا.

مرات -حقيقة هذه- مرات هذا العارض يكون جميلاً في لسان المرء، وبعض أهل العلم تغنى به في بعض النساء، وبعض الناس قلدوا هذه اللدغة، مثلاً: الراء الفرنسية بعض أهل اللغة يقولون: هذه مأخوذة من نساء بغداد، نساء بغداد كن يتصنعن لدغة «الراء» تحببًا ودلعًا و... إلخ، فلا تخجل من هذه، يعني ليست من المنقصة، الناس إذا رأوك عظيمًا في علمك، قويًا في كلامك، ثم رأوا هذه الظاهرة فيك صارت محببة إليهم.

إخواني هذا الوجود شيءٌ عجيب! -دعوني فقط أُسرح بكم قليلاً مع هذا الأمر- هذا الوجود شيءٌ عجيب! كل قوةٍ يكمن فيها المرض، وكل مرضٍ تكمن فيه القوة.

مثال ذلك: ما من شيءٍ إلا وفيه نقيضه مما يدمره من ذاته، الله عز وجل أقام الوجود على هذا المعنى، وهو معنى تكبر الرب جل وعلا واستعلاءه على خلقه، فما من شيءٍ في الوجود، وهو مظهره القوة، إلا وقد جعل الله عز وجل في داخلها الضعف، وهلكته من داخله، من داخله لا تحتاج إلى شيءٍ خارج ليضعفه، الإنسان في داخله الضعف منذ أن يلد وفي داخله الضعف، ويقوى وفي داخله الضعف، والضعف يبدأ يفعل فعله كما فعلت النملة في منسأة سليمان عليه السلام ﴿دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾ [سبأ: ١٤]، هذا شيءٌ عجيب! شيءٌ عجيب في الوجود عليك أن تتأمله.

ودائمًا إذا رأيت نفسك قويًا في باب فعلم أن فيه الهلكة، في داخله الهلكة فاحذر، الغني الفقر في داخله

مُختبئ، والمال في داخله الهلكة مُختبئة، القوي في داخله الهلكة مُختبئة، موجودة هي التي بعد ذلك تعمل عملها بفعل الزمن، هذا أمر.

الأمر الآخر: ما من ضعفٍ إلا وفيه قوة، يكسبك قوة، لا أريد أن أبعد كثيرًا وإن كانت ظاهرتها هذه كبيرة جدًا في الوجود، لكن أنظر إلى البصير علماؤنا يسمون الأعمى بصيرًا من باب التيمن، كما يسمون الصحراء مفازة؛ من الفوز، وهذا من أدب أمتنا، في الحقيقة مما لاحظته من هذه الأمة من أدبٍ عظيم، أن الغرب وللأسف سرت إلى الجاهليين وهو الاستهزاء بأصحاب الأمراض، وأمتنا لا تفعل هذا، في الغرب يوجد المسكين الأعرج -أعوذ بالله- يعني يستهزئ به أهله، أصحابه، أصدقاءه، زوجته، يستهزئون به، ونحن عندنا هذه جريمة، ولذلك يسمون صاحب العين المغمضة «العين كريمة»، أي الله عز وجل أكرم هذه العين، يسمون الأعمى بصيرًا من باب التيمن، هذه أمة عظيمة في خُلقها، في احترام الآخرين، الغرب -أعوذ بالله- الأعمى يستهزئون به.

المهم: انظر إلى الأعمى كيف يكون بصره في داخله قويًا، هذا الضعف أنشأ قوة في داخله، تحول هذا الضعف إلى قوةٍ أخرى يستغلها ويبرز، ويصبح هذا الأعمى أقوى من غيره في جانب، وهذا الضعف يكون مصدر قوة في داخله، أقول هذا، لأنك تسمع هذه اللدغة في «الراء» من الناس، فتحبها، إذا ملأتها علمًا، إذا ملأتها ذكاء، إذا ملأتها لغةً، الناس يحبونها منك، لا يستهزئون، وتكون سببًا لتفردك.

هذه كلمة «سببًا لتفردك» أضرب لكم مثلاً -كتبتها مرة في إحدى تغريداتي لكنها ذهبت-: جالست رجلين حبيبين من الإخوة الذين جاهدوا في أفغانستان، وفقد كل واحدٍ منهما رجله، فواحد رجله مصنوعة على الطريقة الأفغانية وهي الطريقة اليدوية البسيطة، ولكنها متقنة، صار صانع الأرجل الاصطناعية خبيرًا لكثرة ما صنع، ولكثرة ما -تعرفون في الجهاد الأفغاني، لعن الله السوفييت الروس، فإنهم نشروا الكثير من الألغام، وقطعت الكثير من الأرجل، فظاهرة في قطع الأرجل كانت ظاهرة في أفغانستان في المجاهدين وفي الناس وفي غيرهم- فجلس هذا الذي صنعت رجله في أفغانستان بالطريقة اليدوية السهلة ولكنها ذكيةٌ جدًا، والآخر قد صنعت رجله في بريطانيا، فهما يتنافسان في ذكر محاسن كل رجل، الذي صنعت رجله في أفغانستان يقدم رجله على التي صنعت رجله في بريطانيا، والذي صنعت رجله في بريطانيا يحسن رجله على من صنعت رجله في أفغانستان، وأنا جلست بينهما حاسدًا إياهما، كل واحد يتحدث عن رجله بطريقته، وأنا ليس عندي رجل

صناعية... إنا لله وإنا إليه راجعون، أنا أتكلم حقيقة هنا، وهي ظاهرة غريبة...

انتبهوا.. -طبعًا هذا لا يجوز- يعني أن جلست بينهما وهما أكثر من نصف ساعة يتجادلان في هذه الرجل وهذه الرجل وأنا ماذا أتكلم، أريد أن أتكلم وليس عندي رجل صناعية، فماذا أتكلم؟ فالمرء لغفلته يظن أنه أنقص بكماله من نقص هذين الأمرين، ولكن هذا النقص صار كمالاً عندما تم الافتخار.

ألا ترون أيها الإخوة الأحبة ما تصنعه النساء من جهالاتهن، أنها تزيل حاجبها كله، الحاجب كله ثم تضع بعد ذلك خطًا، وهذا شيءٌ مقرف علاوة على ما فيه من مخالفة الفطرة ومخالفة الشريعة وإصابة اللعن في هذه المرأة، إلا أنه مقرف، فوق ذلك هو مقرف نفسي، لكن أنظر ذهبن إلى النقص التام ليصنعن منه جمالاً، هذا شيء غريب في البشر!

القصد من هذا أيها الأخ الحبيب: لتكن لدغتك مصدر كمالك، ومصدر حسد الناس لك، فحين تخرج علمًا يتمنون هذه اللدغة، ليتهم يقطعون ألسنتهم، تعرفون أنه في بعض البلاد من أجل النطق، يأتون إلى الرابط بأسفل اللسان، عندما يأتي الولد يقطعونه، لماذا؟ قال: ليخرج الحروف على جهةٍ ما -تصوروا- يعني أنت أيها الأخ السائل جزاك الله خيرًا، صدقني حين تكون في مثل ما وصفت من الإحاطة في اللغة والأدب والشعر والعلم، علم البلاغة وغيره، حين تتحدث بهذا الجانب مما ذكرت سيحسدك الأصحاء، وسيكون هذا النقص فيما هو من خلقة الله التامة، مصدر قوةٍ لك ومصدر حسد الآخرين لك، فذهب إليها، إلى هذه المباراة وأنت ممتلئٌ كمالاً وهكذا أعطاك الله وهكذا أنت، والله عز وجل أوجدك من أجل أمرين: أوجدك من أجل أن يذكر الناس بنعمة الله عليهم، وأوجدك من أجل أن تقول: أن هذا النقص حين يكون العلم يكون تامًا ويكون قويًا.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم وجزاكم الله خيرًا.

٢٣٢- سؤال عن إقامة الحدود

ضمن الجلسة التاسعة عشر، بتاريخ: (**٢٨/٠٣/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٦/١٢/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل -من مشايخنا- يقول: بعض القبائل الموالية للمجاهدين تطلب منهم إقامه الحدود على أبنائهم، والحادثة كما يلي: فتاةٌ عزباء -المقصود بها يعني غير محصنة، غير متزوجه- أقدمت على الزنا ثم طلبت من أهلها تطهيرها بالحد، فأحضرها أهلها ومشايخ القبيلة إلى المجاهدين وطلبوا منهم تنفيذ الحد، وفتاةٌ أخرى جاء بها عمها لنفس الحد بموافقة أعيان القبيلة، الإخوة قرأوا لك أن منع إقامة الحدود في الجهاد ليس على إطلاقه، ويطلبون منك تفصيلاً في المسألة حتى لا يعترض مُعترض، وللعلم أغلب القبائل يذهبون للإخوة المجاهدين لحل مشاكلهم وفق الشرع ويتركون المؤسسات الحكومية، هذا السؤال الأول.

السؤال الثاني: متعلق بقضية قتل، حيث أقدم أبناء رجل على قتل أبيهم واعتقلهم أهل القبيلة وقدموهم للإخوة للقصاص، فهل ينفذ فيهم القصاص أم لا؟ ومن له الحق من أولياء الدم أن يعفو في ويقبل بالدية؟

أولاً: بلا شك أن هناك ما هو جائز في هذا الباب، وهناك ما هو واجب، الواجب على الحاكم الممكَّن، السلطان المسلم، الذي هو الإمام، يجب عليه إقامة الحدود، ويجب عليه إقامة الشريعة ما قدر على ذلك، شرط القدرة: يعني هو شرطٌ مطلق في كل أعمال الشريعة، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، للحاكم ولغير الحاكم.

فعلي رضي الله عنه لم يستطع أن يقيم القصاص على قتلة عثمان لأسباب يطول شرحها، ولكن في النهاية الحاكم ليس إلهًا يقدر في كل حالٍ أن ينفذ كل ما يؤمن به، هذه نظرية الحاكم الذي يستطيع أن يفعل ما يشاء هذه نظريةٌ يهودية، عندهم الحاكم -وسرت في بعض المسلمين- الحاكم بيده كل شيء، يستطيع أن يفعل كل شيء!! لا، لا، الحاكم في النهاية هو إنسان لو خلت عنه الشوكة أو ضعفت لما استطاع أن يقيم الكثير من الأحكام المتعلقة به، ونحن رأينا عثمان رضي الله تعالى عنه وهو الخليفة الراشد المهدي، أنه حُبس في بيته بين

أبناء الصحابة، ولم يستطع أن يشرب الماء ومنع من إمامة المسلمين في المسجد.

فالقصد: أن الحاكم كذلك يقع عليه الإكراه والحاكم يقع عليه الضعف ويصيبه ما يصيب بقية البشر، لكن الواجب عليه أن يقيم الشرع ما قدر.

المسألة الثانية: وهي إقامة الحدود لغير الإمام، هذه مسألة كتبت فيها قديمًا والأوراق ذهبت وكذا، ولكن كنت أحب أن أنشرها بيانًا، وجمعت فيها شيئًا كثيرًا من كلام أهل العلم، لا يوجد في الشرع قط يعني لو ذهبت للكتاب والسنة لن تجد نصًا صريحًا صحيحًا بأنه لا يجوز إقامة الحدود التي هي شرع، إلا بوجود الإمام الممكن لا تجد هذا، لكن فقهاءَنا رأوا –وهم يتحدثون عن بيئتهم– أن إقامة الحد لأفراد الأمة بعيدًا عن الإمام فيها افتئاتٌ على الإمام؛ فهذا حقٌ للإمام، وهو طاعة يتقرب إلى الله، وهذا فعله وهو واجبٌ عليه، فكيف يتقرب غيره في هذه الطاعة مفتئةً على الإمام، فلذلك هذا المعصية لأنه افتئاتٌ على الإمام، ويجوز للإمام أن يُعذر من افتأت عليه، كما يجوز للأب أن يعاقب ابنه حين يدير البيت على غير إرادته؛ لأن هذا حقه.

الإمام وكيل للأمة أنت وكلتني للإقامة فهذا حقٌ لي لم يعد حقًا، لك لكن بك أنت أقيم الشرع، يعني بوجودك أنت عصبتًا لي شوكتًا لي أقيم الشرع، أنا أقيمه، وأي من يقيمه من الولاة أو من الشُّرَط.

لكن حين لا يكون الإمام، فهل يجوز أن تقام الحدود؟ المعنى موجود، المعنى في إقامة الحدود عند عدم وجود الإمام موجود، ومن ذلك أن إقامة الحد طهرة للمحدود، وأن إقامة الحد طهرة للعاصي، يطهر ذنبه بهذا الحد، الله يطهره، فهذا المعنى موجود، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ﴾ [المائدة: ٤٧]، فهذا حكم لنا، الله عز وجل أمر كل مسلمٍ أن يجاهد، وأمر كل مسلمٍ أن يقيم الحد، وهو أمرٌ لكل مسلم، ولكن حين لا يمكن أن يتم هذا إداريًا وتنظيميًا؛ فالله عز وجل أمرنا باتخاذ الأئمة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، فالله عز وجل جعل لنا أئمة نطيعهم في طاعة الله عز وجل، ونوكلهم في إقامة حكم الله، وإقامه الجهاد، وحماية الأمة، وإقامة الحدود... إلى غير ذلك. و

فلذلك اشتراط القاضي في بعض الأحكام واشتراط الحاكم الممكن في بعض الأحكام هذا اشتراطٌ قال به بعض الأئمة، وأظن أنهم قالوه على المعنى الذي ذكرته، ولكن لا يوجد ما يؤيد قولهم، فبعض أهل العلم أجاز لغير القاضي أن يقوم بأعمال القاضي عند خلو الوقت من قاضي مسلم شرعي.

فمثلاً: امرأة ظلمها زوجها، ولا يوجد قاضي يقضي بالشرع في التفريق بينهما، هل يجوز لأحد المسلمين أن يفعل ذلك وأن يأخذ دور القاضي؟

الجواب: نعم، إن لم يكن له القوة لأن القاضي يشترط فيه الفرق بينه وبين المحكم، أنه عنده القوة وإلزام قوله للمتحاكمين، ولكن يجوز له أن يقول: نعم أنت يجب عليك أن تفارقها، ومع ذلك لا يستطيع ربما أن يفعل أو لا يفعل، يطع أو لا يطع، هذا موضوعٌ ثاني يتعلق في القدرة وعدمها، ولذلك في الإنصاف للمرداوي ذكر هذا القول عن ابن تيميه رحمه الله، وهو قولٌ صائب وأفعال الصحابة رضي الله عنهم تدل عليه عند كسل، عجز، عند الهوى، في تخلف القدرة على إقامة الحد يجوز لأحد الرعية أن يفعله، يجوز له وأما بوجود الإمام فالأمر للإمام فإن قصر لكسلٍ أو عجز؛ جاز لأحد الرعية أن يفعله، وفي ذلك نصوص، منها ما فعله بعض الصحابة رضي الله عنهم من قتل الساحر في حضرة السلطان، عندما تلاعب ساحر أمامهم قام واخترطه، ضربه من وسطه وقتله، قال: فليحي نفسه، غضب الإمام لأنه افتئاتٌ عليه، لكنه كان مقصرًا فأقام الشريعة، وهذا معنى من معاني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

هذا الذي أنا أقوله، هذا ليس واجبًا على الإخوة، الواجب على الإمام الموكل، وهم ليسوا كذلك، وقد يكون تمكينهم جزئيًا فهم يفعلون مقدار الواجب عليهم بمقدار الجزئية التي يملكونها، ولكن حين يأتي الناس إليهم فيسألونهم إقامة الحد وهم يحبونهم ويريدون التطهير ويريدون القضاء على الفساد لأن الحدود عقوباتٌ وزواجر، عقوبات فيها ألم للفاعل وفيها زجر لمن لم يفعل ألا يفعل، فلذلك هذا الذي نقوله في هذا: إذا جاءوا وطلبوا إقامه الحد فلنقم الحد، والإخوة يقدّرون، يقولوا: نعم لو أقمنا الحد ربما مفاسد علينا ونحن لا نملك، ولهم ذلك، لهم قراءة الوضع، قراءة يعني كامله تامة فيها النظر إلى حالهم، نعم يجب هذا الأمر، ويجوز لهم التخلي عن ذلك ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [المائدة: ٤٢]، فيجوز له أن يحكم بينهم أو يعرض عنهم بحسب ما يراه من الحكمة، لكن الفعل جائز.

وكان مما أثير على محمد بن عبد الوهاب أنه لما تمكن من الدرعية أقام حد الزنا، والدرعية هي قرية صغيره، وبعضهم اشترط ورد عليهم بردود مشهورة في رسائله لمن اشترط الإمام الأعظم في إقامة الحدود، هذه شروط لا وجود لها وهي من تقديرات أهل العلم في أزمنتهم.

ولذلك الجواب: أنه يجوز لهؤلاء الإخوة أن يقيموا الحدود ما قدروا، فإذا جاء الناس إليهم، نظروا إلى مصلحة الجهاد ومصلحتهم هم، فيقيموا الحدود بحسب وسعهم وبحسب معرفتهم بالحال، هذا الذي أقوله، هذا بعض التفصيل، وإن كان هذه المسألة ليت بعض طلبة العلم يقوم بالكتابة فيها، فهي مسألةٌ في الحقيقة مهمه جدًا، وسيجد طالب العلم الكثير من مقولات أهل العلم في هذا الباب، والأدلة على ما ذكرت لهم وجزاكم الله خيرًا.

السؤال الآخر: أغلب القبائل يذهبون للإخوة لحل مشاكلهم وفق الشرع –الحمد لله، هذا هو المطلب؛ وهو هجران هذه المؤسسات الطاغوتية العلمانية الحاكمة بغير الشريعة يجيب هجرها، ويجب على كل أهل بلدةٍ أن يختاروا من أهل العلم من يقيم فيهم شرع الله، هذا الذي قاله الإمام الجويني في «الغياثي»، هذا هو المطلوب، هذا هو الأصل، لو كانت الأمة تستجيب لأمر الله.

بقيت المسألة الثانية كما ذكر الأخ السائل، متعلقة بقضية قتل، يقول: **أقدم أبناء رجل على قتل أبيهم واعتقلهم أهل القبيلة وقدموهم للإخوة للقصاص، فهل ينفذ فيهم القصاص أم لا؟ ومن له الحق من أولياء الدم أن يعفو في ويقبل بالدية؟**

جواب الشيخ: إذا أبناء قتلوا أباهم فهل هذا فيه القصاص أم الحد؟ هذه المسألة فيها خلاف، والصواب أن من قتل أباه، قتل، حتى لو أسقط أولياء المقتول من إخوانه حقهم في قتله، هذا الخلاف موجود في كتب الفقه، ولكنه إذا قتل الابن أباه فيقتل به حدًا، كما هو قتل الغيلة عند الإمام أحمد، وهو قولٌ يعني قوي، وانا أميل إليه، أن من قتل غيلةً يقتل به حدًا لا قصاصًا، وأنتم تعرفون الفرق القصاص أولياء الدم يستطيعون إسقاط الحق والقتل عنه بالدية أو بالعفو مطلقًا، وأما الحد فلا يسقط، ولذلك فالقتل غيلة على الصواب أنه يقتل حدًا، وهكذا إذا قتل أبناء أباهم فيقتلوا به حدًا وليس قصاصًا ولا يلتفت إلى بقية الأبناء هل لهم حق الإسقاط أم لا، لا يلتفت إلى هذا، بل يقتل الأبناء بقتل أبيهم حدًا، هذا هو الصواب، والله تعالى أعلم، والحمد لله رب العالمين.

٢٣٣- حكم الرشوة في دار الكفر

ضمن الجلسة التاسعة عشر، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٣/٢٨هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/١٢/١٦ م**)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

أخ يسأل: عن حكم الرشوة في دار الكفر والحرب؟ ثم الأخ يفصل.

جواب الشيخ: هناك حالتان، حالة دفع الظلم، وحالة تحصيل الحق، والحق ليس بأعراف الناس، الحق يثبت بكلمة الله، أبين هذه الكلمة حتى تفهمها: يعني الآن المسلمون يغزون الكفار فيأخذون أموالهم، من الذي أجاز لهم أخذ المال؟ هل هم تعبوا فيها؟! هل ورثوها عن أباءهم؟! لا إنما بكلمة الله، الله أجازها فقال: حلالاً فصارت حلالاً، فكلمة الله هي التي تحدد الحلال والحرام وليس ما يتعارف عليه الناس.

يعني الغرب يجيزون القمار، ويرون أن أحل مال المرء هو القمار، ومع ذلك هو لا يجوز والمرء لا يجوز أن ينتفع به ولا أن يأخذه، ولو تعارف كل الناس عليه.

هنا فقط أتي لهاتين المسألتين أو لهذين الأمرين، ما جاز الشارع لك أخذه فيجوز لك أن تأخذه على كل وجه، وما وقع عليك من الظلم يجوز أن تدفعه بأي وجهٍ من الجواز، كله ضابط الشرع.

يعني مثال ذلك: العلماء نصوا بالإجماع على جواز دفع الرشوة لمن أراد أن يدفع الظلم عن ماله، أنت واقف في الجمرك، والجمرك هذا من المكوس عند الظالمين وعند الكفرة والمشركين أو جاءوا ليأخذ الظلمة مالك فدفعت لهم المال رشوةً لدفع الظلم عن مالك، استنقاذ المال ببعضه، هذا منصوصٌ على جوازه، يجوز لك أن تفعله، فإذن أنت دفعت الظلم بالرشوة.

ثانيًا: هل يجوز لك أن تستنقذ حقك بالرشوة، يجوز، بل يجوز لك أن تأخذ مالك الذي ظلمت بأخذه منك أن تأخذه على أي جهةٍ كانت حتى من غير إذن صاحبه، واستدلوا على هذا بحديث النبي صلى الله عليه وسلم لهند وقد شكت إليه أن أبا سفيان رجلٌ شحيح لا يعطيها وولدها ما يكفيها، فقال لها: (**خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف**)، فالجواب: أنه يجوز للمرء أن يدفع الرشوة من الرشاية أي المتواصل إليه، التوصل إلى

حقك، أو تسمى البارطيل، والبارطيل هو الحجر الذي يوضع تحت اللسان فيمنعه من الكلام، يقولوا: برطله يعني اسكته، فحيث بهذا المال توصلت إلى حقٍ لك جاز، وحيث توصلت إلى دفع الظلم عنك جاز.

يعني مثلاً: البلاد الحربية، البلاد المحاربة للمسلمين، يجوز لك أن تأخذ مالها على جهة السرقة، يجوز لك أن تملك أموالهم، كما يفعلون هم، يجوز أن تملك أموالهم، يجوز لك أن تملك أموال اليهود وأن تملك أموال المحاربة، الدول المحاربة للإسلام تملكها، حتى لو لم تنتفع بها، يجوز ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ (٥)﴾ [الحشر: ٥]، النبي صلى الله عليه وسلم أمر بحرق نخيل بني النضير، حرقه، مع أنه ليس فيها منفعة عسكرية ولكنه أضرهم، أراد أن يؤذي قلوبهم، ولم ينتفع بها، فكل هذا من الجائز، وهذا بأمر الله الحلال والحرام ليس بذوقك، يقول واحد: ما هذا الدين!! يبقى اعتراضك لنفسك أنت لا ترى العالم، أبقي أحلامك والسلام والكلمات الجميلة التي يقولها بعض الناس من المشايخ وغيرهم هذه أبقيها لنفسك، لا تنفع في مثل هذه الحياة، الحياة أقسى مما تظن من اللعب واللهو والكلمات الجميلة، الحياة لا تقضى بالكلمات الجميلة، الصراع فيه دم وفيه قتل وفيه سرقة و... إلخ، فأقول قولي هذا واستغفر الله.

جزاكم الله خيرًا الحمد لله رب العالمين.

٢٣٤- هل ذهب الزينة عليه زكاة؟

ضمن الجلسة التاسعة عشر، بتاريخ: (٢٨/٠٣/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٦/١٢/٢٠١٧ م)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل حفظه الله سؤال: هل ذهب الزينة تجب عليه الزكاة؟ ثم يقول: ونود التفصيل كم نصاب الذهب؟

جواب الشيخ: هذه المسألة أيها الإخوة الأحباء من المسائل الكبار التي ينبغي على طالب العلم أن يتفرغ لها وألا يفتي فيها تقليدًا، بل عليه أن يبلغ المدى والهمة العالية في الوصول إلى قرارٍ فيها، والناس في هذه المسألة مازالوا على خلافٍ كبيرٍ فيها قديمًا وحديثًا، العلماء على خلاف، حتى إن بعض أهل العلم جمع فيها أكثر من ستة عشر قولاً في هذه المسألة؛ لوجود الخلاف الكثير فيها، واليوم الناس مختلفون فيها، والذي عليه الأكثر من المعاصرين هو وجوب الزكاة، أنهم يوجبون الزكاة على ذهب الحلي الذي تتحلى به المرأة.

هنا علينا فقط أن نفرق بين الذي تتخذه المرأة حليًا من أجل أن تتزين به لزوجها أو بين أقرانها، أو الذي تدخره مالاً عند الملمات، أي النساء وكذلك الرجال، لكن هذا يغلب في بيئتنا على النساء، أنهن إذا جمعن مالاً لذكائهن اتخذنه ذهبًا، ذهبن واشترين بهذا المال الذي يأتي إليهن ذهبا؛ فتجد عندها مدخرات من الذهب، حين تحتاج إليه لطعام، لشراب، لبناء، لكذا... تقوم ببيع هذا الذهب والاستفادة منه، ويكون كثيرًا جدًا، وهذا الذهب بالإجماع عليه زكاة، هذا الذهب بهذا المعنى من الادخار عليه زكاة.

وإنما الحديث عن الذهب الذي تتدخره المرأة حليا، ولو سأل المرء كيف يمكن ضبط هذا التفريق بين ما تتخذه المرأة زينة تتزين به، للزينة فقط هو، وهو عادةً لا تفرط المرأة فيه إلا عند الضرورة الشديدة والحاجة، أي يكون غاليًا عليها لمعانٍ خاصة عندها، كيف نفرق بينهما؟

الفرق بينهما في الحقيقة قديمًا، بعض أهل العلم، وقولهم فيه الكثير من الحق، بل هو الحق إن شاء الله، وهو النظر إلى العرف، كم يتخذ أترابها من الذهب؛ أي النساء القرينات لها مثل بنات عمومها في ثرائها، كم يتخذن من الذهب؟ فتجد أن لهن صِبغة معينة، مرة تتخذ إسوارة أو إسوارتين، تتخذ مثلاً الحلق أو حلقين وهكذا، فإذا

زاد عما هو معروف عرفًا عدّه الناس ادخارًا، أن المرأة تتدخر ذهبًا، حتى العوام يقولون: أن هذه المرأة تتدخر أموالها ذهبًا، فهذا إذا زاد عن هذا الحد العرفي كان على معنى الادخار الذي يجب فيه الزكاة إجماعًا، يجب، علينا أن ننهي هذه المسألة، أما الذهب الذي تتحلى به المرأة، فقط تتخذه للحلية، فهذا الذي فيه الخلاف.

وبقيت مقلدًا لما يصحح بعض المشايخ المعاصرين من وجوب الزكاة على هذا الذهب الذي تتخذه المرأة خاتمًا قرطًا إسوارةً، ويصححون هذه الأحاديث على طريقة المتأخرين عليهم رحمة الله وجزاهم الله خيرًا، إلا أنه تبيّن لي أن هذا القول هو خلاف الصحيح.

والأصح هو أن حُلي المرأة الذي تتخذه للزينة لا زكاة عليه، المرأة حين تتخذ ذهبًا للزينة فهذا مال قُنية، وبالإجماع أن أموال القُنية لا زكاة عليها، بالإجماع.

لكن بعض أهل لا يرى أن الذهب من أموال القُنية، والصواب أنه من أموال القُنية، وهذا قول إمامنا الشافعي رحمه الله وهو الصواب، وكذلك هو قول أحمد رحمه الله على الصحيح في مذهبهم أن زكاة الذهب الذي تتخذه المرأة للقُنية، أي للحلية، فإنه لا زكاة عليه، لأنه داخلٌ في القُنية، القُنية: هي من الاقتناء، الرجل يكون عنده مثلاً يكون عنده مطبخ بخمسة آلاف دينار أو عشرة آلاف دينار، لو باعه ما يحضر له أربعة آلاف دينار هذا مُقتنى، تجد عنده مثلاً اليوم غرفة طعام غالية وهذه قنية لا زكاة عليها بالإجماع، ألبسته مهما غلا ثمنها فلا زكاة عليها، السيارة التي هي خاصة له، أي يقضي فيها حاجته، هي خاصة له فهذه لا زكاة عليها بالإجماع، مال القُنية لا زكاة عليه، حتى البيت يكون الرجل عنده بيت بمليون دينار مثلاً، وهو له ولو باعه يكون عنده المال التي تجب فيه الزكاة، ولكن هذا قُنية لا تجب عليه الزكاة.

فالصواب: أن ذهب القنية الذي يتخذ للزينة لا زكاة عليه، وأما المدخر فعليه الزكاة إجماعًا، أي المدخر الذي يتخذه الناس مالاً يدخرونه ثم يدخرون غيره من الذهب أو ما يقوم مقام الذهب من ورق البنك نود أي الورق النقدي، فهذا عليه زكاة بالإجماع، لا خلاف في ذلك في هذه المسألة.

وأما المسألة الأولى فهذا الذي أنا بعد دراسة وطُلعة شديدة في هذا الباب، لأن الخروج مما اعتادته النفس صعبٌ على النفس، هذه بقيت أفتي فيها نفسي وأهلي والناس مدة طويلة، ثم بعد ذلك تبيّن لي أن هذا القول مرجوح، وأن القول الراجح هو قول من قال: أن ذهب القُنية والحلي لا زكاة عليه، المال، وذهب المدخر،

والذهب المتخذ للتجارة، والذهب الذي يتخذه الرجال كذلك للادخار في بيوتهم هذا عليه زكاة، وهو كما بلغة القوم اليوم «٢,٥٪»، كيف يزكيه؟ والناس لا يخرجون من الذهب اليوم، تجد عندهم قطع من الذهب إذا ادخروا، أو تجد عند المرأة كذلك الذهب المصنع على شكل أساور، أو شكل خواتم، أو شكل قلادة، أو شكل قرط، فهذا الصواب أن الدنانير تقوم مقام الذهب هي من نوعها.

فهناك أمور يجب أن تزكيها من ذاتها، وهناك أمور يجب ألا تزكيها من ذاتها، مثال ذلك، مثلاً: الزراعة، القمح الشعير، هذا عليك أن تخرج زكاته من صنفه من نفسه، حتى لا يجوز لك أن تذهب وتشتري قمحًا آخر غير ما استنبته وخرج من أرضك أو خرج من زرعك، بل عليك أن تخرج القمح من ذات القمح الذي زرعته.

الأموال عروض التجارة لا تجب من ذاتها، مثلاً: رجل لديه قمح للتجارة فهذا يخرج زكاته، ولكن لا يجب عليه أن يخرجه من ذات القمح، يجب عليه أن يخرج زكاته ذهبًا.

الذهب يجب عليك أن تخرج زكاته من ذاته، الفضة من ذاتها، والدنانير والدراهم... الدنانير من الذهب والدراهم من الفضة، فهذه يجب عليك أن تخرجها من ذاتها.

الذهب عند المرأة يجب عليك أن تخرج منه، والناس كانوا قديمًا يخرجون من الذهب المدخر، يخرجون الدنانير؛ لأنها من صنفه، اليوم؛ لا، يخرجوا من صنفه على معنى آخر، وهو الورق النقدي، الورق النقدي يقوم مقام الذهب والفضة، فإذا كان عندك ذهبٌ تجب عليه الزكاة؛ يجوز أن تخرج عليه المال أي الورق النقدي، لأنه من صنفه ويجري مجراه والعلة فيه واحدة.

فأنت ماذا تصنع؟ مثلاً: عندك كمية من الذهب، تعرف وزنه، كم قيمة الذهب في السوق في البلدة عندك؟ كم قيمته؟ مثلاً: -لا أدري اليوم بكم غرام الذهب ربما عشرين دينار أردني؟ قديمًا كان الناس يشترونه بثلاثة دنانير وأربعة دنانير فلما زاد إلى سبعة فرح الناس وأخرجوا ذهبهم وباعوه... اليوم يتحدثون عن أرقام أخرى، أنا لا أدري في الحقيقة، لا أدري، وربما أصيب أو أخطئ... لا أدري-.

فمثلاً: عندك ألف غرام، أي كيلو غرام، تضربه بالنقد الذي به يباع، لو بعت هذا الذهب كم يحضر؟! فمثلاً لو افترضنا بعشرين دينار الغرام، كم سيصير عند؟ عشرين ألف دينار.

عشرين ألف دينار تضربه بـ «٢,٥٪»، الطريقة الجديدة وهي طريقة جيدة في الحقيقة تضرب خمس وعشرين على ألف ضرب عشرين ألف يكون الناتج خمسمئة دينار، هذا كيلو الذهب إذا كان ثمن الذهب عشرين دينار فتخرج خمسمئة دينار، هذه هي الطريقة الأسلم في هذا الباب، وأرجو أن يغنيكم الله عز وجل وأن يعود العالم بعيدًا عن هذه الهزات الاقتصادية السيئة ويعود الناس كما قديمًا يستخدمون الذهب والفضة ولكن لا ينبغي أن يُصارع في هذا الأمر تدميرًا لاقتصاد للمسلمين، هم يختصون بالذهب والفضة والعالم يشتغل في ورق البنوك المسمى «البنك نوت»، أي الورق البنكي الذي هو الورق النقدي، وهذا التضخم في العالم سببه هو هذا الفساد الذي فيه إخراج الأموال أكثر مما عند الناس من حقيقة مالية من الذهب والفضة، والنقدية أمرٌ قدري غالبٌ على البشر منذ أن خُلقت الأرض إلى يومنا هذا، العالم مجمع والبشرية مجمعة أن الذهب والفضة هما معيار الثمنية لبقية الأطعمة والأشربة والأشياء التي تباع وتشترى وتتقايض.

بارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٢٣٥- هل يجوز للمرأة أن تسافر وحدها؟

ضمن الجلسة التاسعة عشر، بتاريخ: (**٢٨/٠٣/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٦/١٢/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يقول السائل جزاه الله خيرًا: أنا وزوجتي في الشام ولله الحمد، ولكن زوجتي عندها إقامة في تركيا وعندها جواز سفر، وسبحان الله تيسر لنا من يخرج لأهلي فيزة للعمرة بمكة المكرمة، لكن أنا لا أستطيع أن أذهب معها لأنه لا يوجد معي أوراق للسفر، فهل يجوز أن لها الذهاب وحدها مع العلم أن هناك في الجزيرة العربية في مكة أو في المدينة لي أختي من أبي مع زوجها، هناك ممكن أن يستقبلوها في المطار، وفي تركيا أهلها موجودون يصلونها إلى الطائرة، أفتونا بارك الله فيكم؟

جواب الشيخ: لا يجوز في هذه الحالة، لا يجوز أن تعتمر لوحدها بهذه الطريقة ودعوة أن الطائرة سهل هذه دعوة باطلة وغير صحيحة وأنا رددت عليها بما أجاز هذا في قولهم عن حديث رسول صلى الله عليه وسلم: (**تسير الظعينة**)، والمقصود بها القافلة وليس المرأة كما فسرها بعض المعاصرين، وإن كان قد قال بالقول المعاصر بعض الأقدمين ذكرها ابن حجر في «فتح الباري»، أن بعض العلماء قال: هذا عند أمن الفتنة وذهاب الخوف، لكن أميل إلى قول إمامنا الشافعي رحمه الله: بأنه إذا وجدت الرفقة الصالحة، إذا وجدت من النساء الرفقة الصالحة في عمرتها يجوز، يجوز لها أن تعتمر مع رفقةٍ صالحة أو الحج؛ لأن العمرة على الصواب أنها واجبة، خلاف بين أهل العلم في العمرة هل هي مستحبة أم واجبة؟ والصواب أنها واجبة، وسنن الشافعي بالاقتران في هذا الباب قال تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، فقرن الله العمرة بالحج، والحج واجب فالعمرة واجبة، وهذا قولٌ صحيح في هذا الباب لا نريد أن نستطرد في المسألة الأصولية في الاقتران وغيره مع أنه من أضعف الأدلة كما يقول الأئمة.

القصد: أنه إذا وجد في هذا السفر الذي سأل عنه الأخ رفقةٌ صالحة تسير معهم فيجوز، أما أن تكون عند أختها أو أخته مع زوجها فهذا ليس بمحرم، زوج أختك أو زوج أختها ليس بمحرم، فلا يجوز لها أن تختلي به ولا يجوز لها أن تبقى عندهم على معنى الخلوة، أما في البيت والبيت متسع وهي في غرفة وهو في غرفة ولا

يجلسان... إلخ، فهذا ليس من الخلوة.

والقصد: بأنه إذا وجدت الرفقة الصالحة فنعم، وإذا لم توجد فهذا لا يجوز، لا يجوز لها السفر.

لكن سألني أخٌ سؤالاً آخر موجود هنا وهو: أن هناك أخت تريد أن تلحق بزوجها إلى أرض الجهاد ولا يوجد محرم، الجواب: يجوز، يجوز من غير محرم أن تسافر لهذا السفر ودليل ذلك حديث أم سلمة رضي الله عنها فإنها سافرت من غير محرم إلى زوجها في المدينة المنورة بعد أن هاجر قبلها ولذلك العلماء أجازوا في مثل هذا السفر أن تسافر المرأة وحدها، وأما السؤال الأول فلا يجوز الله والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين.

٢٣٦- حكم تجميد الأجنة

ضمن الجلسة التاسعة عشر، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٣/٢٨هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/١٢/١٦ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ أو أخت تسأل: لجأنا إلى طفل الأنبوب وكان لنا خمس أجنة -أظن مفردها جنين- زرعنا ثلاثة وماتوا في الرحم وبقي لنا اثنان مجمدان، هذا ولم نكن نعلم أن الدواء الذي استعمل لنمو الأجنة كان فيه هرمون فئران -أعزكم الله-؛ ما رأي فضيلتكم في إتلاف هذه الأجنة المجمدة؟ هل يجوز ذلك أم يعتبر إجهاضًا متعمدًا؟ أفيدونا بارك الله فيكم؟

جواب الشيخ: أولاً: أريد أن أتأكد من قضية هرمون الفئران: هل هذا يعني شيءٌ حقيقي أو متخيل؟ يعني: الآن موضوع ما يسمى بطفل الأنبوب، أو يسمى بالحمل خارج الرحم، وهو التلقيح خارج الرحم ليتم الزايغوت «Zygote» ثم يوضع في رحم المرأة، المقصود: الزوجة، نحن نتكلم عن الصورة الجائزة.. هناك صور غير جائزة كثيرة، كأخذ الحيوان المنوي من غير زوجها، وهذا منتشر في الغرب، أو أخذ الزايغوت ووضعه في رحم امرأةٍ أخرى!! كل هذا لا يجوز.. نحن نتكلم عن مني الرجل الزوج وبويضة الزوجة ورحم الزوجة، فهذا أمرٌ منتشر، ولا أظن أن الناس غفلوا عما يستثمر فيه أو يُنمى فيه أو يُحفظ فيه، وهو هرمون الفئران!! يعني: أنا لا أظن هذا، فينبغي المراجعة في هذا، لأن الكثير من الشبه والدعايات تطلق هكذا فقط من غير بينةٍ ولا بصيرة، فيجب التأكد من هذا.

إذا صح هذا -إذا صح استخدام هرمون الفئران- فحينئذٍ تكون نجسة، ميتة هذه، هرمون الفئران لا يؤخذ منه إلا وهو ميت، والذي يقتطع من الجزء الحي -وهرمون الفئران جزء من لحمه- فاقتطاعه منه يجعله ميتة، والصواب -كما تعلمون- نجاسة الميتة، والدليل قوله صلى الله عليه وسلم: (**أيُّما إهابٍ دُبِغَ فقد طَهُرَ**)؛ فدل هذا على أنه نجس في الأصل.

فالذي أقوله: إذا ثبت هذا فيجب إتلافه؛ أما أن هذا من باب الإجهاض، فالجواب: لا، جزمًا ليس من الإجهاض، لأن هذا الزايغوت «Zygote» المكون هذا شيءٌ محرمٌ ونجس، ولا يجوز أن يستنبت منه الإنسان

وأن يستولد منه الإنسان، فليس هذا من الإجهاض في شيء، والله تعالى أعلم.

وجزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

٢٣٧- نصيحة هامة للنساء

ضمن الجلسة التاسعة عشر، بتاريخ: (**٢٨/٠٣/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٦/١٢/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخت تسأل - السؤال الآن قرأته وفيه شيء من الألم، لكن لا بأس- تقول الأخت حفظها الله: سجلت ابنتي في الروضة، وطلبت من المدير أن أعمل عنده موظفة تهتم بالأطفال، لكن شرط أن أعمل بنقابي، وزوجي مسجون، فطلب مني رقم هاتفي وهذا أمرٌ جاري به العمل في كل المدارس، لكن رجعت إلى البيت فأرسلوا لي رقمه الشخصي، ثم اتصل بي، فقال لي: لا تخدمي في أي مكان، أنا سأعطيك ما تحتاجين من المال، قلت: أريد مالاً بعرقي أي بشغلي، ثم قال: ربما أحتاجك في يوم ما فتنفذي طلبي ومساعدتي، -كلامه مريب- فسألته: ما هو احتياجك، فقال لي: أي شيء ليومٍ ما، ثم نصحني بأن أصبر مع زوجي في السراء والضراء، ما رأيكم في هذا الموقف؟ علمًا أني مهما كان احتياجي لن أطلب منه شيء، بكيت من هذا الموقف لو تكرمتم نصحكم لحالتي؟

جواب الشيخ: نسأل الله عز وجل أولاً أن يرد إليك زوجك ونسأل الله عز وجل أن يفرج عنه وعن جميع أسرى المسلمين.

وأنا تحدثت سابقًا عن السجن وألمه وأن فلسفة السجن في كونها عقوبة هذه من أقبح ما أنتجته البشرية المعاصرة، فهي عقوبة على الرجل المسجون سواء كان مسجونٌ بحق أو بباطل، هي ألمٌ عليه وألمٌ يدوم ولا ينقطع وألمٌ على أهله وأبنائه وألم على الدولة إذا كانت ترعاه حق الرعاية... إلخ.

هذه فلسفة السجن هذه فلسفة الكفار وشيطانية يجب أن تُلغى، لا يجوز أن يبقى السجن هو عقوبة هكذا، هذا باطل.

بحسب كلام الأخت -أظن أن الأخت قد نقلت المحادثة نقلاً دقيقًا- يعني هناك ما يشير إلى بعض الخطأ أو النية السيئة وهناك بعض ما يشير إلى النية الصالحة، وهي تستطيع أن تغلق الباب في وجهه إذا رأت منه انحرافًا، في هذا الباب يعني رجل أراد أن يساعد وإن كان غياب الزوج في بيئتنا على قاعدة: «تعدو الذئاب على

من لا كلاب له»، الرجال عيونهم مجرمة ونواياهم سيئة مع المرأة التي لا زوج لها أو لها زوجٌ غائب، وهذا معروف في بلادنا للأسف وفي غير بلادنا.

الناس يتجرؤون على المرأة التي يغيب عنها زوجها، لا لمجرد السجن، لا يأتي أحد يقول: انظر -إذا كان مسجونًا لدين الله عز وجل- سجنتم الرجال وتركتم النساء في العراء، كذلك هناك رجال يغيبون عن زوجاتهم في الجيش شهور طويلة، وهناك رجال يغيبون عن زوجاتهم بحجة العمل، المال، والرجال يغيبون عن زوجاتهم بأعذار كثيرة، فالغياب هذا ليس متعلقًا بكون الرجل متدينًا فسجن فقذفنا به وبأهله في مواطن الردى والألم والتعب والفُراق.

فهذا محتمل، أنا أقول لهذه الأخت أن نية الرجل في كونه لا يريد خيرًا: محتمل، يمكن هذا، ويمكن غير ذلك، خاصةً حين قال: اصبري على زوجك في السراء والضراء، أما كلمته: أريدك في أي شيء، هي هذه الكلمة التي عليها ما عليها، فإذا كان صالحًا؛ كان ينبغي أن يبيّن، يعني أنا لا أريدك إلا في العمل الذي تتقنينه في بيتك مثلاً أو كذا، يبيّن ويفصل.

ولا أدري لماذا بمثل هذه السرعة هذا الرجل يعني طمع في هذه المرأة مثلاً، قد يكون هذا الرجل فاسقًا مجرمًا هكذا يتطلع بسرعة ويدفع بنفسه إلى الجرائم بسرعة، قد يكون هذا، وقد يكون هذا الرجل أراد أن يبعدها عن هذا العمل فيتصدق عليها ويقوم بشأن أبنائها من العمل الصالح من الصدقة والإحسان لها ولأبنائها.

على كل حال، الذي أنصح به هذه الأخت هو:

أنا أنصح كل امرأةٍ مسلمة، كما أنصح أختي المسلمة وأخواتي، وهو أنها إذا وجدت أي إشارة من الشرع أن تقطع عليه الباب، وأن تعمل له هذا البلوك الذي يُعمل، وأن تأخذ ابنها إلى مدرسة أخرى، وأن لا تعمل، فالإنسان ضعيف ومن الواجب شرعًا الابتعاد عن مواطن التهم، ويعجبني أن أسوق إليكم الان كلمةً لابن حزم في «طوق الحمامة»، حين يصف التقوى، المرأة التقية والرجل التقي، حين يصف المرأة الورعة والرجل الورع، يقول: ليس الورِع الذي إذا فُتن وداومت الفتن عليه ألا يصبر، هذا شأن المرء، يعني يقول: قلما المرء والمرأة إذا مورست الفتنة عليه مرةً ومرةً، ومرة، ألا يصبر، يقول: قلما يقع هذا؛ ولذلك في هذا الباب الشرع أمر بهجر مواطن الابتلاء والفتن، يعني امرأة تعمل في عمل ورجل يتحرش بها، هي تصده أول مرة وثاني مرة وثالث مرة

وعشرين مرة وبعد ذلك يبدأ الضعف، هكذا هو كالجدار الحفر فيه يبدأ بالقلة ثم حتى ينهار؛ فلذلك واجبٌ الهجر والابتعاد.

رجلٌ وامرأة في عمل، امرأةٌ تدعوه إلى الفاحشة، يقطع، لا يقل: أنا رجلٌ صبور، لا، فالمرء يضعف.

فيقول ابن حزم: «لكن التقي –الرجل التقي أو المرأة التقية– هو من إذا لم يُستثر إلى المعصية لم يثر إليها بنفسه»، انظر ابن حزم رجلٌ عالمٌ من علماء النفس في تاريخ الإسلام، وخاصةً أنه عاش بين هذا وهذا وتكلم بصراحة، والعلماء يعرفون ما يقول ابن حزم، ولكنهم لا يفرغون لما فرغ ابن حزم من الكتابة في شأن النساء وفي شأن النفس البشرية مع هذه الفاحشة وهذه المعصية، والميل الشهواني، فكتب كتابه من أجل أن ننتفع فيه لا لنتمتع به، ننتفع في قضية تربيتنا لأنفسنا، لا يجوز أن ترمي الطفل في مواطن المعصية، وتقول: هو سيصبر، الشاب القوي الجلد ترميه في مواطن الفتن، وتقول: سيصبر، أبعده، اعمل له الحماية، ولذلك في المجتمع إسلامي، بعد أن أُمرت المرأة أن تتحجب، أمر المرء أن يغض بصره؛ من أجل أن يحميه من الوقوع في المعصية، وضع الحواجز لئلا تقع المعصية، ولا يجوز أن نزيل الحواجز ونقول: اصبر، هذا لا ينفع!

المهم، فما ندعو هذه الأخت هو أن تبتعد إن رأت منه هذا أن تبتعد، وعليه أن يتقي الله –لا أدري إن كان يسمع، لا أدري في الحقيقة– فعليه أن يتقي الله وألا يسمح وهذا نقوله: لا يجوز لرجل –أنا أتكلم ديانةً وثقةً– لا يجوز لرجلٍ أن يتكلم مع امرأةٍ كلمة واحدة من غير ضرورة ما لم تكن زوجته أو أخته أو... إلخ، من المحرمات، لا يجوز؛ لأن هذه الكلمة إذا زادت قليلاً؛ خلاص بدأ الباب يفتح وتبدأ سلسلة الحديث والانهيار والفساد والضحك وغير ذلك... لا يجوز، اقطع.

لو كنت عالماً جاءك السؤال، أجب عليه ولا تزد، انتهى الموضوع، اقطع، أنت مدرس اتصلت بك امرأة سألتك عن ابنها، فقط، إياك لا تسأل سؤالاً آخر، هذا من الشيطان، نعرف أن الشيطان يؤز، كلنا بشر، يدفعك... قل كلام.. اسألها... قل لها: من زوجك؟ ماذا تشتغلين؟ هل عندك جامعة؟ هل تدرسين...؟! ما دخلك في هذا؟!

هي تريد أن تسأل، ابنها مريض مثلاً، أو ابنها كيف هو في المدرسة؟ وهل وصل جيدًا إلخ...؟! فقط، والسلام ختام وانتهى الموضوع، أما أن يبدأ الحديث في غير ذلك!!

لا يوجد يا قوم... لا يوجد شيءٌ اسمه الصداقة بين الرجل والمرأة، لا وجود لهذا، هذه كلمة زمالة وزميلتي، هذا من الشيطان، لا وجود له، رحم الله الإمام الشيخ الفاضل الفقيه الأديب علي الطنطاوي وهو ينصح ابنته في رسالة: يا ابنتي... يقول وينصح ابنته بنان التي قتلها النظام النصيري أمام بيتها في ألمانيا، ينصحها ويعلمها كيف تفهم الرجل، والشيخ عليّ الطنطاوي رجل ويفهم كيف يفكر الرجال، والمرأة غافلة تثق بأصحاب اللحى وبأصحاب الكلام، مسكينة.. ضعيفة...، فيقول لها: اعلمي يا ابنتي -في معنى كلامه ومفاد كلامه- أن ما من رجلٍ ينظر إليك ويكلمك، هو ينظر ويوهمك أنه يتكلم وينظر إلى عقلك وينظر إلى مهاراتك في العمل، هو لا ينظر إلى عقلك ولا إلى مهاراتك ولا إلى ذكائك، هو ينظر إليك، يريد شيئًا محددًا تعرفونه... وهذا يقوله أهل الغرب، الغربيون أظن أن اسمه ستيف هارفي هو من أشهر مقدمي البرامج في أمريكا، هو رجلٌ غربي لا يعرف من الإسلام شيئًا وإن كان يدافع عن الإسلام في بعض مواطنه، يقول: لا أؤمن بوجود شيء اسمه الصداقة بين الرجل والمرأة، هذه الكلمة قالها علماؤنا، لا وجود للصداقة والزمالة بين الرجل والمرأة.

أعجب! يدخل الرجل على بيته وتدخل المرأة على بيت الرجل فيجتمع الرجال والنساء وتبدأ الضحكات ويبدأ الكلام، ثم تقول بعد ذلك: لا يوجد معصية! وليس بينهم معصية!

ولذلك يعجبني هنا -لأول مرة أتكلم عنه- يعجبني المنفلوطي، يعجبني لأسباب كثيرة، منها: لغته الراقية، يعني المبتدئ في الكتابة لو قرأ كتاب «النظرات والعبرات» للمنفلوطي؛ ترتقي لغته، وأما إذا قرأ الشاعر -هو لم يكن يعرف الفرنسية، هو كانت تترجم له القصص فيصيغها بلغةٍ عربيةٍ راقية-، المهم.. تحدث في كتابه «النظرات والعبرات» حديثًا عجيبًا عن كيفية الدخول إلى البيوت، كيف يتدخل الأصدقاء دخول الثعالب إلى البيوت فيفسدونها، تقول: في صداقة بين الرجل والمرأة!! هذا صديقي أنا أثق به! يطرق الباب ويدخل ويجلس معها وتجلس معه!! حتى مع وجود زوجها!! هذا لا يفعله إلا الديوث، خذوها مني، هذا يعلم..

وللذكر: ابن حزم في «طوق الحمامة» ذكر هذا، ذكر هذه القضية أن الأصدقاء يدخلون البيوت فينظرون إلى المحارم، وبعضهم، قال ينبهه بالشعر، فمل قال: اترك هذا الشعر... خلاص، وهو من غبائه أو من دياثته أو من بلادته... لا ندري كيف نحمل الأمر.

فلذلك على المرأة أن تصون نفسها من الابتلاء، الرجل مجرم، يجب أن تتعامل المرأة بحساسية شديدة مع

الرجال، لا تسمح بأي كلمة ولا زيادة كلمة واحدة، ولا تسمح بفتحةٍ صغيرة لأن هذه الفتحة ستكبر حتى تصبح شارعًا.

والله يا إخوتي، والله أننا نسمع حتى من الذين يقومون بأعمال الصدقات، انتبه... نحن نريد أن ننصح الأمة، أن حتى الذين يقومون بأعمال الصدقات في الجمعيات يقع منهم الجرائم، لأنهم يقولون: الشيخ هنا، وهو لا يكون شيخًا لكنه محسن يدخل على البيوت ويتطلع ويتكلم وو... إلخ، وإذا وقع الأمر... خلاص.

تعجبني كلمة حكيمة، قالها الشيخ شعراوي اخذها من الشيخ شعراوي رحمه الله، وأنا أحب أن أنسب الفضل لأهله مهما كان، الشيخ الشعراوي قال: الشيء الوحيد الذي حرم الله النظر إليه، يعني أنت يجوز أن تنظر إلى وردة جارك، مثلاً: هو يزرع الورد في ساحة داره فتنظر للوردة، زرع شجرة جميلة تنظر إلى الشجرة، لو مررت أمام بين جميل تنظر إليه، الشارع الحكيم الله عز وجل لا يمنعك من النظر إلى البيت، فتنظر إليه وتقول: «ما شاء الله تبارك بالله»، لكن لا يجوز لك أن تنظر إلى المرأة، النظر لا يجوز، لماذا؟ قال: لأن كل المعاصي يمكن ضبطها بعد النظر، يعني أنت إذا نظرت إلى الوردة، فأعجبتك شممتها، فيمكن لك أن تضبط نفسك بعد ذلك، ألا تسرقها، عادي جدًا تدير ظهرك وتمشي، لا يغلبك غالب إلا أن يكون المرء شريرًا يغلبه غالب في أن يقطع الوردة، سهل جدًا.

قال هذا الرجل: بخلاف قضية الجنس، فإنه إن نظر، قويت نفسه أن يشم، ثم قويت نفسه أن تلمس، فإذا لمس انتهى ضبطه لنفسه، لا يستطيع أن يملك الإرادة، ينهار خاصةً إذا كان شابًا ممتلئا فحولة، فلا يستطيع، خلاص، إذا خلا الرجل بامرأة، قال صلى الله عليه وسلم: **(لا يخلون رجل بامرأة؛ فإن الشيطان ثالثهما)**، خلاص انتهى، فإذا تم اللقاء انتهى، لا يستطيع، كالمرء يكون فوق المنزلق فباستطاعته أن يضع رجله أو لا يضعه، لكن إذا وضع رجله على المنزلق فقد إرادته وسيطرته على نفسه.

ولذلك نبه على هذا الأمر... ويقع الكثير من المتدينين ثقةً بأنفسهم أنهم متدينون، وخاصةً في هذه الوسائل الجديدة، الاتصالات، يبدأ الاتصال والضحكات، ثم اللقاء، ويدخل الناس على البيوت من أجل الصدقة، وبعضهم يدخل على النساء من أجل الوعظ والإرشاد والتعليم، كل هذا لا يجوز، عَلِّم من وراء حجاب، لا تتكلم فوق المراد؛ لأنه بعد ذلك لا ضابط، لا المرأة تضبط نفسها ولا الرجل يضبط نفسه.

فنقول لهذه الأخت: هذه نصائح لأعرف الأخت من هذا الرجل، أعرفها من أنا، أعرفها من الرجل، عندما يمشي رجل بجانبك فيبتسم ويضحك -ورحم الله ابن حزم، اليوم هو يوم ابن حزم في هذا الجانب، لأنه إمامٌ عظيمٌ في هذا الباب- يقول -شيئًا عجيبًا-: لِمَ قال الله عز وجل: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]؟ قال: ما علِمت امرأةً تمشي، عَلِمت أن رجلاً ينظر إليها إلا وعدّلت مشيتها، وكذلك الرجل يمشي ما يظن أن المرأة تنظر إليه إلا وعدّل مشيته، والمرأة عندما ترى إعراض الرجل تضرب بخلخالها لتجلب نظر الرجل إليها.

على الرجل أن يعرف المرأة، وعلى المرأة أن تعرف الرجل، وكلاهما عليهما أن يعرفا تقوى الله، (**كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه**)، هذه امرأة زوجها سجين، لا تصبر، فلتطلق، تطلب منه الطلاق، وأنا أنصح أي زوج سجين تأتيه زوجته بطلب الطلاق أن يطلقها فورًا، إياك أن تحاول قبض امرأةٍ لا تريدك، إياك سجين أو غير سجين، هذه نصيحة لله: امرأة جاءت تطلب الطلاق.. مع السلامة... طلق، وسجين جاءته امرأته، قالت: تريد الطلاق، فورًا فيسارع بالطلاق، فورًا لئلا تقع المعصية بسببه...

فهذه المرأة زوجها سجين، فالعظمة هي أن تصبر، ووالله هذه كلمة أقولها في هذه اللحظة محتسبًا أجرها عند الله متيقنًا من صدقها ومن صدق واقعها، ومن أنها من العلم: والله إن نساء الإخوة المجاهدين ونساء الإخوة المسجونين ما رأيت أفضل منهن، والله إنهن أفضل من أزواجهن بدرجات في صبرهن وثباتهن ودينهن وقوتهن في الثبات والتربية، جزى الله نساء الإخوة خير الجزاء من المجاهدين والمساجين، والله إن الواحدة منهن لتعادل ألفًا من رجلها ومن بعض الرجال في دينهن وثباتهن...

بارك الله فيكم وجزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

٢٣٨- حكم صلاة المسبل

ضمن الجلسة التاسعة عشر، بتاريخ: (**٢٨/٠٣/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٦/١٢/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: شيخي الحبيب -أحبك الله- يصعب عليّ فهم انفكاك الجهة في صلاة المسبل، لمن قال: إن الصلاة صحيحة، بينما أتصور عدم صحة صلاة المسبل؛ لأن ستر العورة شرط من شروط الصلاة والمسبل قد أخل بهذا الشرط بلبسه المحرم، والقاعدة تقول: «النهي يقتضي فساد المنهي عنه»، فكيف يمكن تصور رأي المصححين لصلاة المسبل؟!

جواب الشيخ: ورد حديث الألباني صححه ولا أدري تراجع أم لا، أنه أبطل صلاة المسبل، وهذا الحديث ولا شك أنه منكر، لا يصح.

وأما المسبل في الحكم عليه قولان:

القول الأول: هو أنه حرامٌ على معنى الكبر والغرور أو لا، لمجرد الإسبال أنه حرام.

القول الثاني: الإسبال مكروه، والمحرم من صنعه لكبر.

هذان القولان مشهوران لأهل العلم، والأغلب من المعاصرين: يرون أن الإسبال محرم بكبرٍ أو غير كبر، وهو الأليق بالقواعد، ذلك لأن العلة يجب أن تكون مطّردة، وأن تكون مضبوطة وأن تكون ظاهرة، موضوع الكبر هذا.. واحد يثبت كبرًا وغرورًا، يعني كبر، طيب من أدراك؟!... فهذه غير مضبوطة، فالأليق بالقواعد، والنصوص هناك ما هو مطلق وهناك ما هو مقيد، **(من أسبل رداءه أو إزاره)**، فعلقها بالكبر حينًا وأطلقها حينًا آخر، فهل هذا له وجهٌ من التحريم اختص به؟!، ولهذا وجهٌ من التحريم اختص به؟، أو كلاهما محرم، ولكن هذا أشد حرمةً من هذا؟! أم أنه يحمل على المطلق على المقيد؟!

من جهةٍ أصولية، أن تعليق الحرمة على الكبر والغرور لا يضبط، ولذلك الأليق أن الحرمة للإسبال مطلقًا، أن المسبل سواء كان مسبلاً بكبرٍ أو ترفع أو بغير ذلك، وهذا الذي عليه إنكار السلف، لما نرى الفاروق رضي

الله تعالى عنه ينكر على المسبل لا يسأله، وحديث النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر رضي الله عنه قال: (**إِنَّكَ لَسْتَ تَصْنَعُ ذلكَ خُيَلاءَ**)، ومع ذلك قال أبو بكر: وكنت أتعاهده، يعني ينزل إزاره؛ لأن أبا بكر رجلٌ نحيف جدًا، وهو أَجَأ؛ أي فيه انحناء في الأعلى، مع نحفه، فكان إزاره لا يشتد على وسطه لنحافته فينزل، فكان يتعاهده رضي الله تعالى عنه، فلا يفعله لقصد، لا يسبل لقصد، لكنه ينزل ويرفعه فوق ما هو مطلوب، فوق الكعبين، ولكنه ينزل بغير إرادةٍ منه، فالتقى مع قوله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر رضي الله عنه: (**إِنَّكَ لَسْتَ تَصْنَعُ ذلكَ خُيَلاءَ**).

فالإسبال إذن هو محرمٌ مطلقًا بكبرٍ أو بغير كبر، وعلى المرء أن يترفع عن هذا، ثم جاء الفضل في رفع الإزار مطلقًا، فإنه أنقى، كما قال الفاروق رضي الله عنه: (**فإنه أنقى لثوبك، وأطهر لقلبك**)، فهذا مطلق، هذا لا يقع على معنى الكبر، هذا يقع المعنى الإطلاق، أن ينقي ثوبه ويطهر قلبه، هذا واحد.

الأمر الثاني: وهو أننا ذكرنا نكارة حديث إبطال الصلاة بسبب الإسبال، هذا الحديث لا يصح، وإن صححه من صححه.

بقيت مسألة الأخ، يعني قضية انفكاك الجهة، لا موطن لها فيما نحن فيه، ولكن أنا أشرح للأخ ما هو معنى قول من قال: إن النهي يقتضي الفساد، ولا شك أنها قاعدة صحيحة، أن النهي يقتضي الفساد، بمعنى أن الشارع إذا نهى عن شيء، فإن هذا الشيء لو فعله فاعل فإنه لا يقبل منه أو أنه إذا نهي عن شيءٍ في شيءٍ من الطاعات فإنه يبطل الطاعة.

علينا أن نفرق بين النهي المطلق الذي هو محرمٌ في الجملة، وبين الطاعة فيما لا علاقة بين الفعل المنهي عنه وبين الطاعة، وعلينا أن نميز ما بين المعصية في ذات الفعل، فيما له تعلق بالفعل.. لو أن رجلاً سرق ماءً ليتوضأ، فالوضوء شرطٌ لصحة الصلاة، وحينئذٍ هو سرق ماءً للوضوء، فهذا الماء مسروق فحينئذٍ صلاته باطلة؛ لأن وضوءه باطل، لماذا باطل؟ لأن الماء الذي توضأ به مسروق والسرقة منهيٌ عنها، ففسد الفعل لوجود النهي عن السرقة، سرقة أي شيء، ولكن هنا سرقة الماء.

ومن هنا فرقوا بين سرقة الماء للوضوء وبين الأرض المغصوبة، قالوا: بأن الصلاة على الأرض، الصلاة أمرٌ

خارجٌ عن قضية الأرض، وإن كانت الأرض المغصوبة فعلٌ منهيٌ عنه، فغصب الأرض فعلٌ منهيٌ عنه، ولكن هذا النهي خارج الفعل المتعبد به، خارج عن الصلاة، الماء هو فعلٌ داخلٌ في الطاعة، وهو مقصودٌ في الطاعة، أما الأرض ليست مقصودة في الطاعة، ولذلك صححوا الصلاة في الأرض المغصوبة، وأبطلوا الصلاة بالماء المغصوب، الوضوء بالماء المغصوب؛ لأن هذا خارجٌ عن الطاعة ليس جزءًا منها، وهذا جزءٌ منها... هذا قول الأكثر من أهل الفقه.

وهناك من شدد كابن حزم وجعل إي نهيٍ يرتكبه المرء خلال الطاعة مفسدٌ للطاعة، سواء له تعلق بالطاعة أو هو جزءٌ من الطاعة أو لا.

ومثال ذلك عنده: أن الرجل الصائم لو نظر لامرأة فيبطل صيامه عند ابن حزم، الصائم الذي كذب يبطل صومه، يقول: لأن الصوم طاعة وتلبست بمعصية وهي معصية الكذب فأفسدت الصيام، بل إن من عجائبه مثلاً: أن من السنة -وهذا أمر إرشاد لكنه جعله على قاعدته أنه أمر وجوب- لو أن رجلاً لبس الخاتم في البنصر، والسنة أن يلبس الخاتم في الخنصر، فلو لبسه في البنصر أو لبسه في الأوسط أو لبسه في السبابة فتبطل صلاته، يعني الرجل الذي يلبس الخاتم في بنصره عند ابن حزم بطلت صلاته؛ لأن الأمر بأن يلبسه في خنصره، انظر ما علاقة هذا بالصلاة؟! هذه لو افترضنا بالرغم من أن الأمر أمر إرشاد وليس هو وجب، لكن ما علاقة الصلاة بهذا الفعل؟، ومن هنا أبطل الرجل أي ابن حزم رحمه الله أبطل صلاة الفجر للمرء إن لم يضجع المرء قبل صلاة الفجر؛ لأن الاضطجاع عنده واجب بعد صلاة السنة، إذا صلى السنة عليه أولاً أن يضطجع ثم يصلي الفجر، فإذا صلى ولم يضطجع بطلت صلاته؛ لأن هذا الإمام العظيم لا يفرق بين النهي المقارن للفعل وهو جزءٌ منه، وبين المنهي عنه، المقارن للفعل هو ليس جزءًا منه، لو رجل يصلي ونظر إلى معصية، فصلاته صحيحة؛ لأن النظر ليس جزءًا من الصلاة.

وهنا نقول كذلك: ما هو المطلوب في الثوب؟ أن يكون الثوب ساترًا للعورة، أتى به، هذا الإسبال أمرٌ خارجٌ عن الفعل ليس جزءًا من الفعل هذا الإسبال هذا خارج، الآن أمره هو أن يستر عورته، أمرٌ زائد خارج عن الفعل؛ فلا تبطل صلاته به كالصلاة في الأرض مغصوبة، مع وجود خلاف، لكن الصواب: أن الصلاة في الأرض المغصوبة صحيحة، وهو آثمٌ لغصبه، بخلاف الوضوء بالماء المغصوب أو الماء المسروق؛ فوضوؤه باطل،

علينا أن نفرق بين الأمرين، أرجو أن أكون قد أبلغت في هذا الباب، والله تعالى أعلم.

بارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٢٣٩- هل يجوز الاستثمار في محل الحلاقة؟

ضمن الجلسة التاسعة عشر، بتاريخ: (**٢٨/٠٣/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٦/١٢/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلم على رسول الله:

أخ يسأل -وهذا السؤال ورد من اثنين على معاني مختلفة سبحان الله- أخ يسأل يقول: هل يجوز الاستثمار في محل الحلاقة للرجال في بلاد الغرب عِلمًا بأن هذه الصالونات تقوم بحلق اللحى وقص الشعر على حسب ما يريده الزبون من التسريحات المشهورة في هذه البلاد، للتفصيل فقط أنا حاليًا قد تم تسريحي من وظيفتي نتيجة الضائقة الاقتصادية كما هو معلوم في بلاد الغرب -نسأل الله أن يزيدهم ضائقة وضائقة، وضائقات- وقد عرض عليّ بأن اكون مستثمرًا في محلٍ للحلاقة من أحد أقربائي ونيتي بأن أهاجر من هذه البلاد إلى بلاد المسلمين وأن يكون لي مدخولاً يساعدني فهل يعتبر المال الذي يأتي من هذا الاستثمار مالاً حرامًا؟

جواب الشيخ: أخي عمل الحلاقين اليوم في أغلبه حرام لما ذكرت، خاصةً أن الحلاقين في بلاد الغرب لا بد أن تحلق اللحية، يعني حلق اللحية عند الحلاقين شيءٌ مهم، وكذلك التسريحات التي فيها تشبه بالكفار، بل هم كفار، أو فيها ما هو منهيٌ عنه كالقزع أو ما فيه تخطيط في الرأس على أشكال منكرة، فكل هذا لا يجوز، يجعل العمل -وهذا الأغلب الآن والحكم للأغلب كما تعلم- فيجعل هذا العمل حرامًا ويجوز عندما يكون كالميتة للمضطر، هذا كالميتة، فإذا كان حالك من الضعف والجوع والمسغبة كحال المضطر؛ يجوز لك أن تأكله، وأما في غير ذلك فلا يجوز، والأصل الحرمة ولا يجوز للمرء أن يعمل هذا وليتقي الله، وأبواب الخير والرزق كثيرة لا يُعدم المرء في مثل هذه الأحوال أن يجد باب رزقٍ مفتوح يكفيه حياته من غير توسع.

وأما الهجرة من بلاد الغرب إلى بلاد المسلمين فهي واجبة، أقول: اتقوا الله، ليتقي المسلمون ربهم في بقائهم مع أبنائهم وبناتهم في بلاد الغرب، فليهربوا، اهربوا إلى بلاد المسلمين.

أسأل الإخوة الذين في بريطانيا كيف الأمور عندكم الآن؟ فيبكون والله، كانت الأمور وأنا هناك سيئة، يقول لي: كانت سيئة! كانت جنة بالنسبة لما يعيشه المسلمون اليوم في المدارس، لا يوجد اليوم مدارس إسلامية،

ويوجبون على المدارس الإسلامية أن يعلموهم العلمانية والسلام والمحبة واتحاد الأديان، ويوجبون على المدارس الدينية أن يعلموا الأطفال الثقافة الجنسية القذرة، ولذلك الواجب هو الرحيل والهجرة، يجب على المسلمين الهجرة من تلك البلاد، وأما كيفية الرزق فالناس يعيشون هنا، يعيشون، ارحل بأبنائك وبعرضك.

وأما فالسؤال فقد اجبته: الحلاقة في بلاد الغرب على ما ذكر الأخ وما هو مشهور لا يجوز.

يوجد سؤال آخر نفس الشيء يدور حول هذا، يقول الأخ: اشترى صديق لي دكان حلاقة يحتوي على كرسيي حلاقة وقام بتأجير كل كرسي لحلاق، بحيث يدفعان لصديقي مبلغًا معينًا من المال آخر كل شهر، قيمة إيجار الكرسي، السؤال: هل يجوز له هذا المال، مع العلم بأن الحلاقين لا يمتنعون عن حلاقة الذقن والقصات الغربية التي فيها قزع؟

جواب الشيخ: الجواب هو قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]، مع وجود الخلاف في هذه المسألة، وتعرفون قول الشافعي في مسألة الإجارة والبيوع فهو أقرب للظاهرية في هذا الباب، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم في كما في صحيح ابن حبان نهى عن بيع العنب لشارب الخمر أو لمن يتخذه خمر، فهذا من باب سد الذرائع، ولذلك هذا الذي ذكره الأخ إذا كان على الحال الذي ذكرناه فلا يجوز له أن يستثمر في هذا الاستثمار لحرمتهم والله تعالى أعلم، بارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٢٤٠- حكم لعبة كرة القدم واللعب على آجار الملعب

ضمن الجلسة التاسعة عشر، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٣/٢٨هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/١٢/١٦ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخٌ يسأل: شيخنا ما حكم اللعب بكرة القدم وما شابه ذلك؟ ومسألةٌ أخرى عندما نلعب كرة القدم وما شابه ذلك بعض الشباب يريدون أن يلعبوا على ثمن آجار الملعب يعني يدفع آجار الملعب الطرف الخاسر؟

جواب الشيخ: في الحقيقة أنا تكلمت سابقًا عن حكم لعب كرة القدم، لا أرى فيها شيئًا، العلماء قديمًا لما يشبهها كانوا يكرهون ذلك؛ لما في ذلك من مضيعة للوقت والتسلية بغير ما هو نافع من أمور الجهاد، ولحديث (**لهو المرء**) وهذا لهوٌ بلا شك، ولا شك أن هذا كله من الإرشاد، هذا النهي النبوي هو من الإرشاد وليس من التحريم، لا يحرم اللعب فيما هو خارج إطار لعب المرء مع زوجته ولعب المرء مع فرسه.

فالقصد: بأن هذا كله من الإرشاد وليس من النهي المحرم، فلعب كرة القدم أنا لا أنهى عنه، ولكن لا بد من محترزات، يعني أن يلعب الشباب كرة القدم لا أنهى عنه، ولا أجد ما يحرمه في دين الله عز وجل، إنما هناك أمور يجب أن تراعى في هذا الباب، عامة هذه الألعاب تصنع الخصومات وفيها مبالغات وستوصل صاحبها إلى حد الحرام.

أما المبالغات مثل التأييد الذي يسمى بتأييد الفرق أو بالمشجعين، في الحقيقة الذي أراه في واقع الأمر أن هذا محرم، وأنه يؤدي إلى الفرقة وهو نوع من أنواع الجاهلية، وهو كذلك أسلوب من أساليب الطواغيت في تفريق الأمة، وكذلك فيه نوع من أنواع الحب والبغض الذي يخالف الشرع في كل وجه.

وقبل أن أتكلم عن اللاعبين أتكلم عن المشجعين، ما هي العلاقة بينك وبين لاعب أوربي مجنون وهو يكسب على ظهرك المال وهو من أخس خلق الله خُلقًا؟ ولمجرد أنه يعرف كيف يحرك الكرة بين رجليه في داخل الملعب، لماذا تواليه؟! لماذا تحبه؟! ولماذا تبغض خصومه هذا البغض؟! حدثني أخ من إخواننا قال: أن ابنه -قد مات رحمه الله- كان إذا حقق فريقه المؤيد له هدفًا سجد لله شكرًا، مع أنه فريق أجنبي أصحابه من أخس خلق

الله ولهم علاقات فاسدة وأخلاقهم لا يمكن للمرء أن يمدحها، هذا التعلق الذي تصنعه هذه اللعبة أو هذه الألعاب تصنعه فتودي بهم إلى المهالك وتودي بهم إلى الضلال، يعني الرجل يتصور أن له علاقة مع هذا اللاعب فيعلق صورته ويحبه ويواليه ويبغض أخاه الذي لا يحبه حبه، هذا حرام ولاشك، وكذلك في بلدنا هنا في الأردن تجد أن أحدًا يؤيد هذا الفريق وهذا الفريق وهكذا، وتُصنع الخصومات والحزازات الجاهلية بين الناس لمجرد الفرق، بل يؤدي بعض المهرجين الذي يسميهم الناس بالمشجعين، يؤدي بهم إلى أقوال قد تصل إلى الضلال، كأن يؤيدوا مثلاً أعداء الله ضد المسلمين لمجرد أن هؤلاء أعداء يؤذون هذه الفرقة أو هذه الجماعة، فهذا كله من الضلال.

ولذلك الذي أعتقده بأنه إذا أجاز المرء لنفسه أن يلعب كرة القدم عليه أن يلعبها بما أجاز العلماء أي لعبٍ آخر؛ أولاً: ألا يكون فيه الخصومات التي تؤدي إلى الشحنة والقطيعة بين المسلمين، لو كان العمل الصالح يؤدي إلى الفرقة بين المسلمين فلا يجوز أن يتخذ، فكيف بالعمل الذي هو في الأصل أقصى ما يقال بأنه مباح، فمع ذلك يتخذونه سُلمًا من أجل الخصومات، الناس قل ما يدخلون في لعبة كرة القدم إلا ويخرجون على خصومة، ويخرجون يتسابون، أنت فعلت، أنت قلت، أنت كذا...، وليس فقط الخصوم بين الفريقين، حتى في الفريق الواحد يتخاصمون.

فإذا وجد المرء شيئًا من هذا وخاصةً أن بعض الناس سفهاء في اللعب، يعني لا يطيب له اللعب حتى يخاصم، وحتى يعادي، وحتى يصرخ، وحتى يسب، وحتى يؤذي، فإذا وجد مثل هذا فهي حرام، والأغلب للأسف وجود هذا، ولذلك على المرء إذا أراد أن يلعبها فعليه أن يختار، من الإخوة من أهل المسجد، من الإخوة الطيبين، من الإخوة الصالحين، فيلعب معهم على هذا معنى من غير خصومات.

ثانيًا: عليهم أن لا يتركوا طاعة الله عز وجل من أجلها، يعني للأسف البعض منهم يتركون وقت صلاة الجمعة أو وقت رفع الأذان، هذا لا يجوز، ما هو واجب من السعي، كالسعي على الطعام والشراب، إذا نودي للصلاة يجب أن تجيب، فكيف لمثل هذه الألعاب التي لا قيمة لها!! هذا بالنسبة لهذا اللعب.

الأمر الثاني: هو هذا التشجيع الذي سرى في الأمة للأسف، يعني سريان الجاهلية سريان النار في الهشيم، وانشغل به الشباب، وحتى النساء للأسف!! لِمَ؟ لا يعلمون!! وهكذا فقط تجد هذا يشجع الفريق الفلاني وهذا

الفريق الفلاني ويبحث وكأنه جزءٌ من قضية الانتماء!!

علماءنا قديمًا كانوا يقولون: فلان الشافعي مذهبًا، الأشعري عقيدةً، القادري طريقةً، هكذا كانوا يعرفون، لا بد من ذكر مذهبه الفقهي ومذهبه العقدي وطريقته الصوفية، اليوم ترك الناس هذا ولم يعد الناس يذكرونها في التعريفات إلا ما يذكروه الناس كفلان حنبلي، فلان الحنفي، فلان الشافعي، يذكرون ويزيدون ربما يقولون كذلك: القادري وهكذا فيذكرون أمثال هذا، وإلا فأغلب الناس وأغلب أهل العلم تركوا هذا، والآن للأسف صار الناس إذا جلسوا يقولون: فلان الكذا –لا أريد أن أذكر هذه الفرق لسخافتها وقلة قيمتها في نظري– يجمعون الأموال وينفقون الأوقات وأنت تدفع لهم المال!! يعني لماذا؟! ويصنعون الروابط والجماعات والتكتلات! والطواغيت يفرحون، الشعوب تتقاتل ويسب بعضهم بعضًا على مثل هذه الأمور السخيفة، والطواغيت يفرحون ويريدون إشغال الامة، المهم أن ينشغل الشباب، وهكذا يفرقون الأمة إلى فرق وهم يضحكون، فما دام التنازع موجود فهم في راحةٍ من أمرهم، وما دام الناس منشغلون في مثل هذه الأهواء والملهيات، فهم خلاص بشغلٍ عن أن ينشغلوا بهم بفسادهم بجهلهم بضلالهم، وما دام أن الأمة يقاتل بعضها بعضًا، فلا أمل في أن تجتمع، هكذا هم يتصورون.

فالأمر يتعلق بكرة القدم بأمرين: بأمر اللاعب فيها على ما ذكرت وأمر المشجع لها:

أما التشجيع على هذه الصورة، بل التشجيع مطلقًا في الحقيقة على هذه الصورة التي نراها وبأقل منها بآلاف الدرجات هو حرام وإثم، وعلى المرء أن يبرء، على الرجل أن يبرأ من أن يكون سخيفًا، تجد الرجل كبير شايب ومع ذلك يرقص ويغني ويطرب ويتقاتل، ويصبح في الصباح نحن غلبنا وأنتم غلبتم وهكذا... إلخ.

الأمر الآخر الذي سأل عنه السائل جزاه الله خيرًا، وهي قضية القمار، إذا لعب فريقان مثلاً قد استأجرا ملعبًا للعب، فحينئذٍ يدفع الخاسر، هذا من القمار، هذا قمار، لا يجوز، إما أن يدفع الفريقان، وإما أن يدفع شخصٌ آخر غير أحد الفريقين، آخر يستأجر ويتبرع لهما باللعب، أما أن يدفع الفريق الخاسر فقط دون الفريق الآخر فهذا من القمار الذي لا يجوز، والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين.

٢٤١- مخاطر الحشيش على الشباب المسلم

ضمن الجلسة العشرون، بتاريخ: (١/٠٤/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٩/١٢/٢٠١٧ م)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يقول لنا سائل: لو تتحدث لنا عن مخاطر الحشيش والمخدرات على الشباب المسلم.

جواب الشيخ: في الحقيقة هذا الموضوع من المواضيع التي تنخُر في داخل المجتمعات الإسلامية، في داخل الشباب خاصةً، الشباب ذكورًا وإناثًا، وإن كان الأكثر في الذكور، لكنه كذلك صرنا نراه في داخل الإناث في المجتمعات الإسلامية، ولا شك أن هذه الجريمة الكبرى التي تمارس في داخل المجتمعات المسلمة ونراها في الشباب بكثرة في البلاد الإسلامية أنها مؤذنة بفسادٍ عظيم ومؤذنة بجرائم كثيرة، وصرنا نسمع هذه الأيام عن جرائم لم يكن المرء يتصور وجودها لوجود الجنون الذي يعقب تعاطي مثل هذه المواد، فقبل مدة رأينا رجلاً هنا في الأردن يشرب المخدر جاء إلى أمه وقطع رأسها وحمل رأسها هكذا المسكينة، فتنظر إليه ماذا يفعل هذا؟! وقضايا الجرائم الأخرى الأخلاقية كثيرة جدًا، وصرنا نرى التوحش في المعاصي، يعني رجل يدخل عليك بيتك وهكذا بكل صراحة لا يمكن أن يفعلها عاقل وإنما يفعلها بسبب تعاطيه لمثل هذه المخدرات، وصار الحديث عن هذه المخدرات أنها تباع في داخل الشوارع وتباع على الطرقات لا يستحون منها.

طبعًا الجريمة الكبرى أولاً في الحقيقة تعود إلى القائمين على حماية المجتمعات من هذه الجرائم، هم يقصرون وكثير منهم أصلاً هم أصحاب الجرائم ويسكتون عليها لأسباب؛ إما لأنهم يتكسبون منها، يعيشون من ورائها، هؤلاء هم الذين يقومون على حمايتها هم من يتاجرون بها، ويأخذونها من التجار الذين يخاصمونهم في التجارة وهم يبيعونها بأنفسهم، يوجد هذا في داخل المجتمعات الإسلامية ككل، القائمون على حماية المجتمعات من هذه الجرائم المخدرات وغيرها هم الذين يسهلونها، هم الذين يأخذون الرشوة على دخولها، ونسمع في هذا الباب ما لا يخطر على بال، نسمع في هذا الباب من المصائب؛ أن تجار المخدرات يستخدمون الشرطة ويستخدمون الأمنيين من أجل حمايتهم ومن أجل تسويق هذه المخدرات ولا يقتربون منهم، ولا يقتربون إلا ممن خالفهم

ودخل عليهم منافسًا، ولا يدخلون إلا على الصغار، وأما الكبار الذين يقومون على تسويق هذه الجرائم فيسكتون عنهم.

كذلك نجد أنه بسبب وجود هذ الأدوات -الاتصال- صار الناس يصنعونها في بيوتهم، ونسمع المصائب في كيفية صناعتها وما يدخل فيها، تصور أن بعض أدوات التحشيش والمخدرات المعاصرة الكيماوية يضعون عليها سم الفئران، وبعضهم يضع هذا الغطاء الذي يسمى بالمناكير -جمع منكر- الذي تضعه النساء على أظافرهن، يضعونه فيها، وأشياء غريبة جدًا، وهذا كله بسبب انتشار أدوات الاتصال فصار الاختراق سهلاً، مع ذلك لو وجدت النية في الحقيقة لدى القائمين على حماية المجتمعات ويأخذون الأجور والرواتب والرتب؛ لقضي على الكثير منها، نجد أن المتنفذين على هذه الأمور الكبيرة هم عِليّة القوم وهم حماة المجتمع زعمًا وكذبًا، هذه قضية.

القضية الأخرى: أن هذه الجريمة صارت تمارس في داخل المدارس، وداخل الجامعات، وداخل المؤسسات، وداخل البيوت وهي مبذولة بالرخص الشديد لدناءة صناعتها، يعني الأمر ليس كما كان سابقًا؛ فلذلك صار الانتشار لها كبيرًا، ولعدم وجود الثقافة والوعي، يعني أنا في هذا البلد -أتكلم عن الأردن الآن- لم أسمع إلى الآن -صار لي تقريبًا سنتين خارج السجن- لم أسمع خطبة جمعة واحدة تتكلم عن المخدرات، ولا جمعة، مرةً تسمعون الخطبة عن مخالفات السير ومشي السيارات في الشوارع وما يقع فيها من أخطاء، ولا يتكلموا عن المخدرات مع أنها جريمةٌ كبرى ويمارسها الكثيرون، والناس يعرفون هذا فليس من الشيء المسر به، والبلاد الإسلامية يقع فيها الكثير من الشر في هذا، فالوعي على هذه الجرائم للأسف قليل، توعية الشباب في المدارس، توعية الشباب في المساجد، توعية الشباب في المراكز العلمية لا يوجد.

كذلك من المصائب في بلادنا هو انشغال الأمن بالمشايخ بما يسمى الإرهاب، فلو أنهم وجدوا رجلاً مذنبًا في قطع الطريق وله لحية فهو إرهابي وتقام الدنيا ولا تقعد، أما هذه المخدرات التي يقوم عليه أبناء علان وفلان و... إلخ، لا يهتمون بها وإذا اهتموا يهتمون بالصغار المساكين، هذه جريمة يجب أن ينتشر العلم والثقافة بها، هذه مدمرة للعرض، لا نريد أن نتكلم عما يحدث في بلاد المسلمين بعد تعاطي المخدرات، ماذا يفعل هذا الرجل الغافل المتعاطي مع أهله، مع أمه، مع ابنته، مع أخته، مع جاره، كيف تحدون السائقين؟! تتعجب كيف يسوقون بهذه الطريقة؟! فيأتي الجواب: أنه هذا متعاطي يأخذ الحبوب.

والغريب في مثل هذا الأمر أنه كان قديمًا إذا شرب الرجل مثلاً الخمر تجد الرائحة وربما تجد القيئ، فتعرف أنه سكران والناس يستقذرونه، لكن اليوم تجده شابًا منتفخًا، يلبس اللباس الجميل وهو يأخذ الحبة وأنت لا تعرف عنه شيئًا، ويحدثك وأنت لا تعرف عنه شيئًا، وهو يكون غائب عن عقله، هذه جريمةٌ كبرى يجب أن يتصدى لها كل الناس، ويجب أن نعلم الناس عن هذه الجريمة من جهة شرعية أن هذا من الإجرام، وأن هذا من مخالفة الدين، وأن هذا حرام، لكن كيف نتكلم عن هذا الباب والناس يعلمون أنهم يسبون الله ويسبون الرسول وتجد بعض من تراه أو حذرته أو سببته أو دخلت في خصومة معه هو يسب الله ويسب الرسول ويسب الدين تجده يوم الجمعة يصلي بجانبك!!

وأكرر لي سنتين في الأردن لم أسمع خطبةً واحدة على حكم ساب الله والرسول، ولو أنك ذهبت إلى مؤسسة أمنية وقد سب أحدهم، وهذه حدثت لا أتحدث عن خيالات، هذه حدثت مع ابنٍ لي أنه سمع شابًا يسب الله فقام يعظه بأدب، فجاء أصحاب هذا الساب وجعلوا يشتمون ويسبون وجاءت الشرطة وكادت أن تصنع جماعةً تسمى جماعة إقامة الحدود لمجرد أنه وعظه!! انظر إلى هذا التضخيم للخوف من الدين!! وهذا التهاون في ترك الدين واقتراف هذه المعاصي؛ انظر إلى ماذا يجري!!

وإذا دخلوا السجون حدث ولا حرج، السجون في البلاد الإسلامية، القائمون على السجون هم الذين يهربون المخدرات إلى داخل السجون، والتجار الكبار أسواق النشر لهم والتوزيع والتسويق في داخل السجون أكثر من غيرها، وهي جريمةٌ تمشي في الأمة كالنار في الهشيم، تدمر البيوت، تدمر الشباب، تدمر الدراسة، تدمر العلم، تدمر العقل، تدمر العرض، تدمر المال.

ويجب علينا أن نوقظ الأمة، أن يراعي الناس أبناؤهم مع من يمشون، ماذا يفتحون في داخل النت أبناؤكم ماذا يفتحون وأين يذهبون، هذا الأب الذي لا يعرف ابنه الصغير عمره «١٣ أو ١٤» سنة يخرج وله أصحاب لا يعرف مع من يمشي، ويعود إلى منزله في منتصف الليل لا يعرف ماذا يفعل ومع من يمشي ومن يصاحب!! هذه مسؤولية القائمين وهذه مسؤولية البيت، على الأم كذلك أن تراقب ابنتها، أن تراقب سلوكها، أن تعرف كيفية النظر، لكن ماذا نصنع إذا كانت الأم كذلك كالأب، فماذا نصنع؟! كذلك هي مسؤولية المدارس، مسؤولية المساجد.

هذه جريمةٌ وظاهرةٌ خطيرة تتفشى في الأمة، الناس يتحدثون عنها ويخبرونك بأحاديث كالأعاجيب!! نسأل الله العفو والعافية، القضاء عليها ليس صعبًا، ولكن يحتاج إلى صادقين، يحتاج إلى وعي، ويحتاج إلى معركة حقيقية، ولا شك أن أعداءنا لهم دور في هذا؛ في صرف الشباب إلى هذه المصائب، لا شك أن لليهود دور، وأن للإعلام اليهودي له دور، عندما يخرج البنتاغون تقريرًا يقول: بأن قنوات «إم. بي. سي» تفيد الثقافة الأمريكية أكثر مما تفيد قناة الحرة، هذه الأفلام التي تبث في داخل هذه القنوات التي يقوم عليها «مسلمون!!» أسماء إسلامية ويبذل عليها من أموال المسلمين، ولا شك أن وراء هؤلاء مجرمون، وراء هؤلاء أعداء لأمتنا يريدون صرف الشباب عن العلم، عن الأخلاق، عن الدين، وعن التفكر في أمر أمتهم.

يعني لماذا تجد أنه إذا وجدت اللحية فورًا انصب نظر الناظر إليه إلى جريمة، وأخذ إلى أنه خلاص صارت هناك جريمة، وأصلاً هو مجرم، وأما هذا الشاب الذي تراه على هيكلٍ من هياكل الشياطين وهيكلٍ من هياكل الدواب، هذا لا قيمة له فورًا مسائله تحل بسرعة، استجابةً لأمر من هذا؟!

على كل حال أنا ما أؤمله أن القادم لهذه الأمة من أحداث سيزيل مثل هذه الأوساخ، من الصعب لكلمات ضعيفة أقولها هنا أن يستجيب لها من ذكرناهم، ممن لهم تعلق بإصلاح الأمة في هذا الباب، الدعاة والمصلحون وراء القضبان هنا وهناك، الذين يتكلمون عن الحقيقة يُمنعون، يردون مشايخ يتكلمون عن أمور تزهد الناس في ذهاب إلى المساجد، وإذا تكلموا؛ تكلموا في تسبيح حمد فلان وعلان وهكذا، وإذا تكلموا اسكتوا وطردوا، وطُردوا، نراه في بلاد المسلمين، الأخيار وراء السجون، والمساجد الآن فرغت من القيم العلمية، إذا ظهر شيخ في بلد وله أتباع أي الناس يسمعون له؛ قسم هذا الشيخ، أقصي هذا الشيخ وأزيل، بعض البلاد إذا وجد مسجد وتدافع الناس إليه جعلوا يحولنه إلى مساجد أخرى؛ حتى لا يجتمع الناس عليه، كأن معركة هؤلاء مع الإسلام، مع قيم الإسلام، مع ظهور داع يؤثر في الأمة!! نسأل الله العفو والعافية.

جريمة كبرى هذه، ويكفي أنها تهدم الدين وتهدم العرض، تعرفون أن شرب هذه المخدرات يقضي على الشرف، وأنه يصنع الدياثة، هذا مما تكلم عليه العلماء قديمًا، والعلماء أثبتوا هذا؛ أن تعاطي هذه المخدرات يصنع الدياثة، يعني الرجل يرى القوادة والمعصية على زوجته وعلى أخته وعلى أمه ولا ينتصر من وراء هذه المخدرات، بل قد يفعلها وهو غائب عن وعيه، يفعلها في زنى المحرمات، وهذا القتل الذي ينتشر واستشرى!!

تجد جرائم القتل وجرائم السواقة! كيف كل يوم يموت الشباب، وتفقد العائلات أبنائها.

وما رأيت في تاريخ هذه الأمة مما عشته أنا، ما رأيت الناس يحبون موت أبنائهم كما رأيت في هذا الزمان!! أنك تزور العائلة فتجد أن الأب والأم من كل قلوبهم يتمنون موت ابنهم! لا يروج علاجًا له إلا الموت!! لما يرون من هذه الجرائم التي يقترفها، وهذا خاصةً من وراء هذه المعاصي من الحشيش والمخدرات، يعني لا علاج له فيتمنون أن يموت، كل يوم يأتيهم بمصيبة، كل يوم يأتيهم بطامة، هم من أتعس خلق الله، البيت الذي فيه واحد من هؤلاء هو من أتعس البيوت، يفسد عليهم حياتهم في الليل والنهار، ولا حل له، ولا يوجد العناية الصحيحة، لا يوجد العلاج الصحيح لهؤلاء، فقط يوجد في أمتنا ملاحقة المتدينين!! هذا ماذا يتكلم!! ماذا يقول!! لحيته أي نوع من أنواع اللحى هو؟! فقط هذه هي التصنيفات المشغولة بها الدوائر في بلاد المسلمين، أما البقية فهذه لا قيمة لها، وإذا رأيت، رأيت القضايا الكبرى في داخل المحاكم زنى المحارم، من أين يأتي هذا؟! يأتي من تحول المرء إلى دابة؛ بفعل هذه المشروبات، بفعل هذا التعاطي المجرم، والناس في سكوت عنه، هذه السرقات الجريئة من باب البيت يأتيك يدخل عليك في بيتك، والله أنني شهدت بعض أنواع السرقات، لا يمكن أن أتصور أن يفعلها إلا رجلٌ غائبٌ عن ذهنه، غائبٌ عن عقله، فإذا قُتل أو أوذي بدأت المشاكل بين العائلات وهكذا... إلخ، نسأل الله العفو والعافية، هذه جرائم يجب... ما نقول؟! نخاطب من؟! نسأل الله أن يقيم الجاهد فيفصل الأمة والعباد.

والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين.

٢٤٢- الرد على من يقول جاهد نفسك أولاً قبل الذهاب إلى الجهاد

ضمن الجلسة العشرون، بتاريخ: (**١/٠٤/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٩/١٢/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: شيخنا الحبيب أسأل الله أن يطيل في عمرك وأن يحسن في عملك -جزاك الله خيرًا، آمين وإياكم- ما رأيك فيمن يقول للشباب الذي يريد الجهاد اليوم: جاهد نفسك أولاً، لأنك لو لم تجاهد نفسك أولاً وتربيها فلن تثبت في أراضي الجهاد، وخصوصًا يخرج هذا الكلام من جماعة كذا وكذا؟

جواب الشيخ: يعني هذا أمرٌ من القواعد ومن المناهج التي تتبناها الكثير من الجماعات قديمًا، وكان الحوار يطول ويكثر حول هذه القضية، هل الأمة تُربى أولاً ثم يقذف بها في الواجبات التي تكلف بها عمومًا؟ أما أن المطلوب هو أن تقوم الأمة الآن على حالها، أن تقوم بالواجبات المكلفة بها؟ بالنسبة أن الأخ يشير إلى جماعة الإخوان المسلمين، انظر إلى التربية فقط أضرب هذا المثال من أجل أن تعرفوا ما وراءه:

لما قامت دولة يهود بلا شك دخلت جموع من الإخوان المسلمين رمزية لم تستطع التأثير دخلت من سوريا ودخلت من الأردن ودخلت من مصر وقاتلت في فلسطين، وعليها ملاحظات كثيرة -لا نريد أن نتحدث فيها-، لكن هي كعمل مبارك وجيد وإن كان الكثير من السياسيين نت مخالفي الإخوان يرونها أعمالاً دعائية أكثر منها فعلية وواقعية ومؤثرة، لا أريد الآن أن أدخل في هذا الباب لأن الكلام فيه يطول وقد يغضب وقد يفرح، ولكن بلا شك أن دخولهم كان رمزيًا والعجيب مثلاً لنقل لرمزيته لم يؤثر.

ثانيًا: كان تصور الجماعة، جماعة الإخوان المسلمين -والسائل يسأل عن جماعة الإخوان المسلمين خصوصًا- الجماعة لما دخلت أصدر الحاكم أمرًا في «١٩٤٨م» بسجن الإخوان وهم في الجبهات في فلسطين؛ فسلموا أنفسهم، وهذا كله من ضعف التربية العقدية في داخل الإخوان المسلمين، يعني حتى الحديث عن التربية فإنه يحتاج إلى كلام كثير، ما هي التربية التي تلزم الأمة؟ وهذا سآتي إليه في الجماعات الأخرى ما يقال له: السلفية والصوفية؛ لنرى التربية أين أدت بهم؟ هل التربية التصاعدية في السلوك والتزكية أم أنها تربيةٌ أدت بهم إلى الانتكاس والحفر في الأسفل حتى النزول إلى أدنى درجات الدين والتقوى والعبادة؟ لنتجاوز هذه النقطة في قضية

دخول الإخوان المسلمين الرمزية.

بعد أن استقرت دولة يهود وبعد كذلك «١٩٦٧م» صدر أمر داخلي للإخوان المسلمين بأن هذا ليس وقت الجهاد والتحرير، ولكنه وقت التربية، على قاعدة تربية الفرد المسلم ثم الأسرة المسلمة ثم المجتمع المسلم ثم إقامة الدولة، يعني هذه طفولية ولا شك، هذا المسلك الذي قالوه هو طفوليي، لا يعرفون السنن في إقامة التغيرات الاجتماعية الكبرى والتغيرات الكبرى وإقامة الدول لا يعرفونها، هم مساكين في هذا الباب، الذين يقولون هذا الكلام ليس لهم معرفة بالسنن القدرية ولا معرفة بالشرع لكنها كلمات جميلة.

المشكلة أن المشايخ والتنظيمات تطلق عبارات جميلة، انظر تربية الفرد المسلم يؤدي تربية الفرد المسلم إلى الأسرة المسلمة ويؤدي إلى المجتمع المسلم والمجتمع المسلم يؤدي إلى إقامة الدولة هذا كلامٌ جميل، كذبك لما يطرح الشيخ ناصر رحمة الله عليه التصفية والتربية، انظر لهذه الصياغة اللفظية الجميلة «التصفية والتربية» ثم يأتي المشايخ يشرحونها ويتوسعون فيها وهو يبدأ بأن علينا... وهكذا يعود إلى ما يعود إليه الإخوان «التصفية والتربية» يعني تربية الفرد والجماعة والأسرة وتصفية الكتب، كلمات جميلة، ولكنكم تعلمت خلال مسيرة التاريخ المعاصرة بأن الكلمات الجميلة لا تصلح للعمل، وليست هي التي تلاءم السنن.

فأصدر الإخوان المسلمين فرمانًا داخليًا، كما أصدروا يومًا من الأيام فرمانًا داخليًا بعدم جواز ذهاب أفراد للجهاد في أفغانستان، ثم بعد أن بدأ الشباب يخرجون من عباءة أوامرهم وذهبوا للجهاد في أفغانستان لحقوا بهم وأنشأوا هناك المعسكرات الخاصة بهم بعيدًا عن الشيخ عبد الله عزام قصةٌ طويلةٌ مؤلمة.

من الذي ملئ الساحة في قضية القتال في فلسطين؟ التنظيمات العلمانية، غياب الجماعات المسلمة وغياب الراية المسلمة حتى جاءت حماس، هذه المدة الطويلة منذ سقوط فلسطين ودخول اليهود عليها إلى أن نشأت حماس لم تكن الساحة إلا مليئة بالأفكار العلمانية والزنادقة واليساريين وغيرهم، فأين التربية والأمة سحقت؟! نتكلم فقط عن هذه المنطقة، الأمة سحقت تحت دعاوى الزنادقة واليساريين والقوميين والشيوعيين والبعثيين، سحقت، فأين الشباب؟! أين التربية؟! فدخل الناس في دين اليسار ودين العلمانية أفواجًا تحت راية تحرير فلسطين.

فالجبهة الشعبية لتحرير فلسطين هذا التنظيم الشيوعي الذي أنشأه جورج حبش بعد أن كان من مؤسسي

حركة القوميين العرب، فكان الدخول في الجبهة الشعبية من أجل تحرير فلسطين لكنه كان تسليكًا من أجل الانحراف حتى يكون شيوعيًا، تحرير فلسطين شعار فصار الناس شيوعيين.

حركة التحرير الوطني الفلسطيني «فتح»، يدخل فيها من أجل تحرير فلسطين فيصبح علمانيًا فاسدًا... إلخ، وهكذا كالتنظيمات البعثية وغيرها.

فلذلك ترك ساحة الأمة للعلمانيين تحت دعوى التربية هذه مصيبة وطامة وتخلية بين الأمة وبين أعدائها من أجل تسليك الأمة لأن تكون كافرة كما هذه التنظيمات العلمانية الكافرة، هذا يجب أن نفهمه.

أضرب لكم مثالاً آخر: دولة من غير ذكر أسماء –لنا عذرنا في هذا فيما نذكره من أسماء وما لا نذكره من أسماء– عندما تكون هذه الدولة فاسقة وفاجرة لو جاء العلمانيون ووقفوا ضد فساد حكامها؛ لعلم الناس أن أولياء أمورهم الذين يدافعون عن حقوقهم هم العلمانيون فحينئذٍ يحبونهم ويطيعونهم ويدخلون في طاعتهم، والناس كأسراب القطا يتبع بعضهم بعضًا، ولكن عز وجل الله يقيم من دعاة الحق ما يجعل للناس نظرة احترام لهؤلاء.

عندما تجد فريقًا من الشيوخ يدخلون في طاعة الحاكم فيشرع له كفره وزندقته وفساده، الناس يكفرون بهذا الدين الذي يدعوا إليه الشيخ، لكن وجود طائفة من الحق تقوم بالحق يجعل للناس ثقة أن هؤلاء الشيوخ ليس لفساد دينهم ولكن لفسادهم الشخصي، وذلك لوجود مشايخ يؤمنون بهذا الدين يقومون موقف الحق وهذا من رحمة الله عز وجل، حين تخلو الأمة من قائم لله بحق ويبقى القائمون بالحق في الدفاع عن قضايا الأمة هم أعداء الله عز وجل؛ فيصبحون هم الأئمة؛ الناس يتبعونهم ويسيرون وراءهم.

فلذلك أيها الإخوة الأحبة هذه أقوال قديمة بليت وانتهى أمرها، الآن لا بد أن يدخل الكبار من العلماء والمفكرون والمجاهدون أن يدخلوا في الساحة فيتحملون البلاء ويقولون كلمة الحق ويصارعون الباطل؛ لأن هذا هو أعظم أنواع التربية، هذه –أكررها– التربية ليست مرحلة سابقة عن الفعل، التربية هي الدخول في الفعل، أن تدخل في الفعل المأمور به هو التربية، ليست مرتبة سابقة عن الصلاة ليست مرتبة سابقة عن الجهاد، الجهاد يجب أن تدعوا إليه، ويجب أن تدخل وتنخرط فيه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وو...، حتي يفتح الله عز وجل الأبواب للعمل الجهادي الذي أمر الله عز وجل به بالأمر بالقتال.

ولذلك الذي يدعوا إلى التربية أين وصلت بهم مسالكهم؟ الآن هذه هي المرحلة الثانية من الحديث، الحديث عن التربية: الذين يحملون راية التربية أين وصلت بهم مسالكهم؟ دعاة التربية من الإخوان انظر إلى كثرة شبابهم، -يعني هم يحدثونني لي أصدقاء منهم- هم يحدثونني عما وصلت إليه مناهجهم من السلوك الديني، سلوك قراءة القرآن، قيام الليل، والمحافظة على صلوات الجماعة، اللباس بالهدي النبوي، أين وصلوا؟! العلاقات والاختلاط بين الرجال والنساء، يعني شيء مخزي، الحديث عن هذا الباب شيء مخزي وكشفٌ للمستور مما لا نحبه، نحن لا نحبه، إلى أين وصلت بهم هذه التربية؟! هذا التماهي بين العلمانية والإسلام في بعض التنظيمات التي تفرعت عن الإخوان المسلمين كما هو شأن حزب النهضة أين التربية؟! دعاة التربية فشلوا، واقعهم أثبت فشل أقوالهم.

نأتي إلى دعاة التصفية والتربية من السلفيين، أين وصلت حالهم؟! ها هم انظر إليهم، الواقع ينبئ عن نفسه أشد مما نتكلم به ونتكلم عنه، وجدت أن السلفية هي مجرد شعار للارتزاق، دكاكين، يصارع بعضهم بعضًا، مشايخهم بينهم من الخصومات في الأموال واتهام بالسرقات ما لا يعلم به إلا الله، هذا هو الجيل الثاني من السلفية، جيل الشيخ الألباني وجيل الشيخ نسيب الرفاعي وجيل الشيخ محمد السالك وجيل الشيخ محمد شقرا، ثم جاء جيل هؤلاء قرفًا لا نذكر أسماءهم، هو جيل اللصوصية والسرقة والتنافس والقتال والسب و... إلخ.

وكل البلاد حالها مثل حال البلد هنا، انظر إليهم في اليمن وانظر إليهم في الجزيرة كيف يسب بعضهم بعضًا، ويعري بعضهم بعضًا، ويتبرأ بعضهم من بعض، وهكذا في الكويت وهكذا في كل البلاد، انظر إلى الصوفية التي تزعم التزكية، هم أحذيةٌ للطواغيت، انظر إلى فلان وعلان، نسمع كذلك استقذارًا لا أذكرهم من المشايخ الكبار، من الذين يدعون إلى التربية والتزكية، انظر إلى أخلاقهم في مولاة الكفار واللين معهم! وإلى معاداتهم وبغضهم والبراءة من المسلمين والمجاهدين! انظر إلى مولاتهم للطواغيت وحبهم وتبسمهم في الوجوه ومدحهم! وانظر إلى سبهم وتحقيرهم وتعييرهم وقذفهم لأهل الجهاد وأهل الإيمان! انظر إلى تفاعلهم في قضايا الأمة! هؤلاء الذين يشرحون الحكم العطائية، انظر إلى هذا فلان وهذا فلان، المفتي فلان وهو شارح للحكم العطائية في التزكية، انظر كيف يتكلم عن دين الله عز وجل!! العامية يدرك قرف ما يقول وشر ما يقول.

الله عز وجل أبطل هذه النظريات واقعًا، يجب قذف الأمة في مهماتها وليتولى قيادتها أناسٌ يعانون ويبتلون

في سبيل الله فيصبرون، وهنا الحديث ليس عن أشخاص، لا أتحدث عن كل شخصٍ في داخل كل طائفة، في كل جماعةٍ منهم صادقون، ولكن أتكلم عمن ظهروا وعمن صاروا يمثلون الجماعات، وعن القواعد كيف صارت، وكيف انتهى أمرها!! وإلا فالحمد لله في كل الجماعات هناك من أهل الإسلام مما لا يتاجر بالشعارات ولا يجعل هذه الشعارات وهذه التنظيمات وهذه الدعاوى دكاكين ارتزاق، ففيهم الكثير من الصابرين والزهاد والعلماء والمجاهدون وو... إلخ، فيهم الكثير والحمد لله، لكن نتحدث عن نتيجة مثل هذه الأفكار الفاسدة، أين أودت بأصحابها؟! وكيف تحول هؤلاء إلى مجرد ما ذكرته لكم؟ فيجب ترك مثل هذه الأمور.

ثالثًا: الحديث الآن هل هو نريد أن نسحب الأمة وقد بلغت الأمة إلى المواجهة؟ الأمة الآن تواجه، هل نخرج من سياسة كشف الواقع والمجاهدة في بيان حكم الله فيه؟! هل نخرج من مواجهة اليهود؛ لنتربى؟! هل نخرج من مواجهة الطواغيت في الشام وغيرها؛ لنتربى؟! يريدون إخلاء الساحة! أظن هذا السؤال كنا نسمعه قديمًا، لكن الآن الدعوة لمثل هذا الأمر بلا شك أنه شيءٌ مستهجن وغير مقبلو، وهو دعوة لإفراغ الساحة من أهل العلم ومن أهل الدين ومن اسم الإسلام وشعاره ورايته.

أقول قولي هذا واستغفرا الله لي ولكم بارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٢٤٣- الاختلاف في حكم الجاسوس بين قادة الجماعة والقاضي

ضمن الجلسة العشرون، بتاريخ: (**١/٠٤/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٩/١٢/٢٠١٧م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل أو جماعةٌ تسأل: إذا كان أمير الجماعة ومجلس الشورى يأخذون بقول ردة الجاسوس وأنه يقتل ولا يُغسل ولا يُكفن ولا يُصلى عليه، والقاضي يرى إسلامه والصلاة عليه بعد قتله، فبماذا يُعمل؟

جواب الشيخ: في الحقيقة يعني بحسب ما نعلم من تاريخ العلاقة بين القضاء وبين الإمارة وبعد أن افترق العلم عن الإمارة؛ فصار هناك أهل إرادة وهناك أهل علم، وفي التاريخ الإسلامي وكما نرى في واقعنا كذلك ما يشبهه ويقاربه، وإن كان ليس مطابقًا تمامًا على ما كان عليه أهل التاريخ الإسلامي بعد عصر الصحابة رضي الله عنهم؛ أن يكون الأمير أقل علمًا من القاضي الذي يحكم بين الناس، وإلا فمعروف أن الخلفاء الراشدين كانوا أهم الأئمة عِلمًا وعملاً في القضاء وفي الأحكام وفي النوازل، وكذلك في الإمارة والقيادة.

ولكن حكمة العلم قد افترقت عن حكمة العمل فصار العلماء في جهة وصار الحكام في جهةٍ أخرى، مع وجود يعني مساحة من الاشتراك بينهما، ففي ذلك الوقت ولا شك إذا كان القضاة هم العلماء والحكام هم الأمراء، يعني من غير اختصاصٍ لهم في العلم؛ فإن قول القاضي هو الذي يقضى به، وخاصةً الحكام يرفع في كثيرٍ من الأمور، يرفع في من تُمكن منه -يعني تمكن أهل الإسلام منه- يرفعونه إلى القضاء ليقضي به، وهذا هو من فصل السلطات، وفصل السلطات أمرٌ إسلامي ينبغي أن يُدعى إليه، خاصةً عندما نرى أنه يمكن أن يدخل الهوى والشبهة وتدخل المصلحة في أحكام الأمراء؛ فينبغي أن تفصل السلطة القضائية عن السلطة التنفيذية، وكذلك العلماء الذين يسمون بالنسبة لدساتير المعاصرة بالسلطة التشريعية، وأنا تكلمت كثيرًا عن هذه القضية وهو وجوب عزل السلطة العلمية أن تكون بعيدة عن السلطة التنفيذية، والنزاع الكبير في تاريخنا كان يدور حول هذا، حول محاولة السلطة التنفيذية المتمثلة بالأمراء والحكام إدخال «السلطة التشريعية» بين قوسين نستخدم هذا اللفظ تجوزًا مع ما فيه من محترزات، لأن التشريع هو حقٌ لله عز وجل وليس للعلماء، العلماء يجتهدون في معرفة حكم الله في معرفة تشريع الله، ولا يشرعون من جهة أنفسهم، فالحاكم هو الله عز وجل، والذي له حق التحسين والتقبيح هو الله عز وجل، والذي له حق تسمية الشيء حرامًا وتسمية الشيء حرامًا هو الله عز وجل،

والعلماء يوقعون عن رب العالمين؛ فيجب الفصل بين هذه السلطات.

فالحكام تدخل فيهم الأهواء والمنازعات، ولكن كثيرًا ما نرى في أخبار التاريخ أن الحكام تجاوزوا مناصبهم، يعني عندما قتل العباسيون الأمويين عندما دخلوا الشام، هذا فعلٌ ضال ومجرم ويحاسبون عليه يوم القيامة، والله عز وجل يغفر للجميع ولكنها جريمةٌ كبرى يقترفها مسلم ضد مسلم، وكان ينبغي رفع الأمر إلى القضاة هم الذين يقضون وهم الذين يفصلون في مثل هذه المنازعات، أقول هذا حتى لا يحتج أحد بأن الحكام كانوا يبتدؤون الأحكام وينفذونها من جهة أنفسهم دون الرجوع للقضاء، هذا من باب تجاوز الصلاحيات ويتكلمون في غير فنهم.

والآن في هذا الزمان نجد أن الأمراء والحكام تقريبًا يتقاربون ويتنافسون، وإن كان –فيما نراه– أن كثيرًا من الأمراء –كما يذكر الشيخ السائل حفظه الله– أن الأمراء في هذا الوقت الكثير منهم من يتوسع في باب التأويل عندما يدخلون في الأحكام ويدخلون في القرارات نراهم يتوسعون؛ فهم يحتاجون دائمًا إلى وجود سوار من العلماء الذين يقيدون حركتهم لئلا تنفلت أحكامهم محكومةً بمصلحة أشخاص، مصلحة الحكام، مصلحة الأمراء، الشيطان يلبس يغطي المصلحة الذاتية بمصلحة الدين، هذا نراه في الجماعات، نرى أن مصلحة الجماعة التي هي مصلحة الإمارة هي مصلحة الدين، ويلعبون في هذا كثيرًا، وهذا الافتراق حدث قديمًا في تسمية الأحكام السياسية والأحكام الشرعية وذكرها ابن عقيل عليه رحمة الله فيما ذكرها ابن القيم عنه، أن هذا الافتراق قد حصل، وناقشها ابن القيم مناقشةً علمية، للأسف فيها الكثير فيما ناقشه ابن القيم عليه رحمة الله بعيدًا عما يحصل في واقع وتاريخ الأمة الإسلامية، أن كثيرًا ما يطبق الحكام تطبيقات سياسية لا تنضبط بانضباط الشرع ولا بأحكامه، وهكذا نجد الأمراء المعاصرين كذلك.

هذه المسألة في الحقيقة ليست صورة نموذجية لما أتكلم عنه، ولكن في هذا يجب أن نضع قواعد صارمة فيمن تنفيذ أحكامه، يعني في هذه المسألة يجب الجمع بين الرأيين، فيما يتعلق بأحكام الآخرة أرى أن يُعمل بعمل القاضي الشرعي، وأما في أحكام الدنيا فالأولى أن يُعمل بأحكام الأمير؛ لأنه يمكن أن نجمع بين الأحكام الشرعية في أصلها وبين الأحكام السياسية التي هي مبنيةٌ على مصلحة الشريعة وليس مصلحة الجماعة أو مصلحة الإمارة أو مصلحة الأمير الشخصية.

ولذلك أنا الذي أعتقده في هذا الباب: أن يُعمل في موضوع قتله وغير ذلك لأن في هذا الباب الحاكم المقصود به الأمير هو أكثر دراية ومعرفة بأثر الجاسوس، وأثره في أبواب الحركة وتأثيره في الجهاد، وأما في أحكام الآخرة فيعمل بأحكام القضاء، ولكن دعوني أرجع إلى هذه المسألة من جهة أصلية هذا الذي أقوله في جوابي على الإخوة السائلين.

ولكن دعوني أتحدث عن قضية الجاسوس: أنا أسأل الإخوة سؤالاً وأقصد به الأمراء الذين يرون ردة الجاسوس مطلقًا من غير نظرٍ إلى الظروف المكتنفة لرفع درجة الجاسوسية إلى الردة، أي أن الجاسوسية ليست بنفسها ردة، ولكن يكتنفها ظروف وتكتنفها قرائن ترفع هذا الجاسوس إلى درجة الردة، ليس بجاسوسيته، ولكن بقرائن أخرى، أعطوني عالمٍ من العلماء حكم على الجاسوس كفعلٍ، فعل فقط مجرد أنه ردة؟ أنا أطلب هذا، أنا الذي أعلمه أن العلماء على خلاف وأن أحمد عليه رحمة الله جعل الجاسوس يمكن أن يقتل ردة، ويمكن أن يقتل حدًا، ويمكن أن يُعذر.

إذن الجاسوسية في ذاتها لو كانت ردة لما كان لها إلا حكم واحد، ويمكن أن تكون ردة مغلظة، ردة بسيطة وردة مغلظة، لكن أن تستوعب أحكام الجاسوسية هذه الأحكام الثلاثة التي ذكرها أحمد عليه رحمة الله؛ فدل على أن الجاسوسية بذاتها لا تكون ردة إلا أن تكتنفها قرائن ترفعها إلى درجة وهي درجة الردة، وأما الشافعي رحمه الله فمعروفٌ قوله، وكذلك الأحناف، وكذلك المالكية، فأخبروني أيها الإخوة الأحبة عمن سبق من علمائنا من قال من الفقهاء كمسألةٍ فقهية بعيدًا عن إدخالها في المسائل العقدية في قضية الولاء والبراء؛ لأنني أعلم كيف يدخلها الناس في زماننا هذا والأصل في مثل هذه المسائل أن ينظر إليها فقهًا حتى نعرف منزلتها من العقائد، لا ندخلها في العقائد ابتداءً فنعطيها حكمًا فقهيًا فيما تصورنا وجودها في داخل العقائد، هذا خطأ، نحن لسنا مبتدئين في معرفة الفقه، سبقنا أئمة، سبقتنا الصحابة، سبقنا التابعون، سبقنا الأئمة الكبار الأربع والعلماء الكبار، فلا يجوز لأحد أن يأتي اليوم بقول زاعمًا أنه قد أتى بما لم يأت به الأوائل في هذا الزمان المتأخر الذي تعلمون حال أهل العلم فيه وحال العلم فيه.

القصد: أنا أقول: بأن قول القاضي هو الأقرب إلى الصواب من جهةٍ علمية، وأما ما يطبق بينما، لو تنازعا الأمراء والقضاة في مسألةٍ من المسائل كما ذكرت وكانت المسألة تحتمل القولين فقهًا، يعني الفقهاء قالوا بقول

الأمير وقالوا بقول القاضي، فأرى أنه في مسائل الأحكام الدنيوي يُعمل بعمل الأمير وفي مسائل الآخرة يُعمل بقول القاضي، هذا هو الذي أعتقده في هذا الباب والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين.

٢٤٤- الجاسوس الذي ثبتت عليه الجاسوسية متى يعذب؟

ضمن الجلسة العشرون، بتاريخ: (١/٠٤/١٤٣٩هـ **الموافق لـ: ٢٠١٧/١٢/١٩ م)**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: الجاسوس المتيقن من عمَالته أو قل الذي تثبت القرائن القوية عمالته كوجود شاهد أو ما يقوي التهمة ضده، هل يجوز استعمال الضرب معه أثناء التحقيق؟

جواب الشيخ: أولاً: بلا شك أن الأصل في استعمال الضرب للاعتراف بالتهمة لا يجوز، لكن متى يجيز الفقهاء الضرب؟ إذا ثبتت التهمة أو غلب على ظن الفقيه وقوعها، ويضرب من أجل فائدة تتعلق بهذه التهمة.

مثال ذلك: النبي صلى الله عليه وسلم أخبر الصحابة رضي الله عنهم أن امرأةً في مكان كذا وكذا معها رسالة إلى قريش من حاطب، فهذه قد ثبت يقينًا أنها جاسوسة، وأنها تحمل رسالةً فيها التجسس على أمر الصحابة رضي الله عنهم في غزو قريش، فهددها عليّ رضي الله عنه بالضرب وبالكشف، فدل هذا على الجواز.

مما يستفاد لو أن رجلاً ثبتت عليه تهمة السرقة، لكنه يرفض أن يقر ليس بالسرقة، هذه لا يجوز أن يضرب ليقر بالسرقة، السرقة تثبت بغير الضرب ولو ضرب فأقر جاز له النقد، وحينئذٍ لا يجوز أخذه بالإقرار لأنه أخذ بالإكراه، لكن ثبتت عليه السرقة والمسروق غائب، فهل يجوز للإمام أن يضربه من أجل أن يقرا على مكان المسروق؟ الجواب: نعم، انتبه إذن فرقنا بين الإكراه بالضرب من أجل الإقرار، ومن أجل أمرٍ بعد ثبوت التهمة من أجل منفعة ما تتعلق بهذه التهمة، رجلٌ ثبت عليه أنه قتل فلانًا من الناس، لكنه أخفى جثته ولم يظهرها لنا، فبعد ثبوت التهمة عليه بالقتل فهل يجوز أن يضرب من أجل أن يعرفنا أين جثة القتيل؟ فهذا يضرب في هذا الباب.

فلذلك السؤال الذي سألت عنه من هذا المعنى، تقول أيها الأخ الحبيب: بأن الرجل قد ثبتت عليه أو قويت القرائن بما تثبت عليه التهمة، يعني القاضي يقول: أنت جاسوس فيقيم عليه، فهل يجوز أن يضرب للإقرار؟ لا، لكن هل يجوز أن يضرب بعد ثبوت التهمة عليه من أجل المنافع التي أوقعها للكفار ولأعداء الإسلام على المسلمين؟ يعني يضرب من أجل أن يخبرنا من الذي يتصل معه، من أجل أن يكشف الأعداء

الآخرين؟ يعني المسألة يترتب عليه هل إقراره يكون صوابًا في الآخرين هذه مسألةٌ أخرى، كذلك يضرب من أجل أن يخبرنا ماذا أخبرهم، ما هي الأخبار التي نقلها، يجوز أن يضرب في هذا.

ولكني أقول مع ذلك يجب أن يكون الضرب متصاعدًا، لا يبدأ بالكثير، لأنه قد يقر بالتهديد، قد يقر بالضرب اليسير، فلا يجوز أن يصار إلى أعلى منه إلى مثلاً كما يفعل الطواغيت في المسلمين من الإيذاء والضرب الشديد واستخدام الكهرباء وو... إلخ، مما تعلمون في مراكز التحقيق الطاغوتية، فهذا لا يجوز أن يصار إليه ابتداءً، لا يجوز، ولكن يُبدأ معه تصاعديًا، يبدأ بالقليل فإذا أتى بالقليل لا حاجة لما بعده من الكثير من الإيذاء، فإذن هذا الذي نقوله والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين.

٢٤٥- هل من ثمرة عملية عن اختلاف الفقهاء في الحكم الشرعي؟

ضمن الجلسة العشرون، بتاريخ: (**١/٠٤/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٩/١٢/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل أخ يقول: أحسن الله إليكم شيخنا الحبيب بارك الله فيكم -آمين وإياكم-، هل من ثمرةٍ عملية تُبنى على اختلاف الفقهاء والأصوليين في تعريف كل منهم للحكم الشرعي؟ أم يبقى في دائرة الخلاف النظري البحث؟

جواب الشيخ: ولا شك أنه لما تدخل كتب الأصوليين خاصة في تعريف الحكم الشرعي تجد عندهم التحسس الشديد في هذا الاختلاف، وأهل العلم المناطقة، أصحاب المنطق الذين يهتمون بالحدود والتعريفات والرسوم يقولون: بأن التعريفات وأن الحدود قل ما تنضبط، وهذه الشروط التي يضعونها لما يسمى بالحدود أو التعريفات هذه شروط قل ما يضبطها أحد، الإمام الجويني مع أنه بحرٌ في هذا الباب وإمام لا ينازع في الأصول وفي المنطق إلا أنه قال هذه الكلمة التي ذكرتها، وأشار إلى معناها بأنه من أعسر العلوم هو التعريفات والحدود.

السبب: أن التصورات التي هي أولاً في ذهن المرء ربما تحضر وتغيب لا يمكن للمرء حين يكتب أن يتصور الشيء على حقيقته وعلى ماهيته، على ما هي عليه، قد تغيب عنه بعض أفراد هذا المحدود وهذا المعرف، أنا يعني لا أريد أن أُدخل طلبة العلم وهم يعرفون الفرق بين التعريف وبين الحد وبين الرسم هناك تفريقات موجودة في كتب المناطقة ولا يترتب عليها كبير أمر، هذا كله فقط من التنازع اللفظي الذي هو في التصورات كاد يكون ممحيًا ومعدومًا، فلا لا يؤاخذني البعض في إني أجمع بين الحد وبين الرسم وبين التعريف في أن كلها شيءٌ واحد.

فأقول: بأن التعريف من أشق العلوم؛ ولذلك تجد في كتب التعريفات أو كتب الأصوليين خاصةً التي تهتم بالتعريفات، قلما تجد فقيهًا أو أصوليًا يتفق مع غيره في التعريف، فإما أن يكون النزاع في الماهية وإما أن يكون النزاع في اللفظ، إما أن يكون النزاع يدور حول دخول بعض الأفراد أو خروج بعض الأفراد، لأن التعريف والحد يجب أن يكون جامعًا مانعًا، فيرى الناظر والباحث والمناقش بأن تعريف فلان ليس دقيقًا؛ لأنه يدخل ما ليس فيه، أو أنه يخرج ما هو منه ولا يدخله فيه، هذا واحد، وربما العبارات تقصر وهذا أشار إليه الجويني، الجويني

إمامٌ في هذا الباب كما قلت وتكلم عن عسر هذا الأمر.

الحكم الشرعي تطبيقاته هو ما في الفقه، تطبيقاته ما نجدها في الفقه؛ ولذلك الفقهاء حين يأتون إلى تطبيق الحكم الشرعي لا يختلفون، الأحكام كلها تجدونها في كتب الفقه، ما من مسألةٍ فقهية إلا وتجدونها في كتب الفقه، ويمكن أن يخرج بعض العلوم عن كتب الفقه، يعني مثلاً: ما يتعلق بفقه السيرة فقه الحركة، وهذا أشار إليه في الحقيقة الإمام الخطيب البغدادي في «الفقيه المتفقه» وأنا أحب لطلبة العلم أن يعودوا إلى هذا النص، وأحب لطلبة العلم أن ينشغلوا في فقه السيرة؛ لأن فقه السيرة أوسع من كتب الفقه المنهجية المعروفة التقليدية التي نعرفها.

ولذلك قول بعضهم من المعاصرين لا يوجد شيء اسمه فقه السيرة هذا من الجهل! هذا من أعظم الفقه، فقه إدارة الحياة التي كان يمارسها النبي صلى الله عليه وسلم في السيرة النبوية أوسع بكثير من الكلام في كتب الفقه بكثير جدًا؛ لأنها تتعلق بسياسة العلم، وتتعلق بإدارة الحياة، بإدارة الخلاف، بإدارة المشاكل والنوازل، هذا أوسع مما نجده في كتب الفقه.

القصد -نعود إلى سؤال الأخ السائل ولا بأس بالاستطراد في هذا لأهميته-: بأن الفقهاء حين يطبقون الحكم الشرعي لا يختلفون، فعلمنا من هذا تمامًا بأن الخلاف في تعريف الحكم الشرعي هو خلاف على طريقة اختلافهم في تعريف العلم، يعني أوسع كتاب في ظني ذكر الذاكرين لتعريف العلم هو كتاب «المحصول» للرازي ثم انتهى إلى الحيرة، ذكر تعريفاتهم الكثيرة جدًا ثم انتهى إلى الحيرة كعادة الرازي، الرازي للأسف يعني يذكر الشُبه التي تجدها في «المحصول» ومرات في تفسيره تجدون هذا في تفسيره يعني واضحًا، أنه يذكر الخلاف ويذكر النقض ولا يذكر الرد عليه، ولذلك عاب عليه العلماء هذا، وهذا ليس بالشيء الجديد الذي يعرف عنه بل ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره، يذكرون أنه يذكر الشُبهة وحين يرد عليها يرد عليها بالضعف، فحين أتى إلى تعريف العلم أتى إلى تعريفات كثيرة ثم انتهى إلى الحيرة ولم يوصلنا إلى جواب، وماذا يضرنا أن لا نعرف العلم تعريفًا لفظي ونحن نعرفه في أذهاننا؟!

فالحكم الشرعي فيما ذكره الأصوليون في تطبيقاته الفقهية لا يؤدي إلى أي منفعة، الحكم الشرعي هو خطاب الله تعالى للمكلفين بالقضاء والتخيير والوضع، انتهى الموضوع، وأما بعد ذلك هذا لا يعجبه هذا اللفظ

ويقول: هذا اللفظ كذا، ويخرج منه كذا، ويخرج منه العفو... إلخ، كل هذا يمكن استيعابه في داخل هذا اللفظ، وداخل هذا الحد، وداخل هذا التعريف، ولذلك هذا الاختلاف في تعريف الحكم الشرعي لا يترتب عليه كبير علمٍ يقوم له النظر، وبارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٢٤٦- ما هو الضابط في فهم معنى القرن في حديث النبي صلى الله عليه وسلم؟

ضمن الجلسة العشرون، بتاريخ: (**١/٠٤/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٩/١٢/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل الأخ: كما هو معلوم أن الساعة بالمفهوم المستقر في أذهاننا اليوم ليس هو نفسه المفهوم الذي كان على وقت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما هو الضابط في معرفة معنى القرن في حديث: (خير القرون، أو خير الناس قروني).

جواب الشيخ: في الحقيقة أيها الأخ الحبيب السائل، الساعة مثلاً لبث ساعة، أو انتظرته ساعة، الساعة في حديثهم قديمًا هي تقريبًا الساعة في توقيتنا اليوم، التي هي ستين دقيقة تقريبًا، وإذا أردت أن تعرف هذا فارجع إلى حديث القدوم إلى يوم الجمعة مبكرًا، قال صلى الله عليه وسلم: (**مَنِ اغْتَسَلَ يَومَ الجُمُعَةِ غُسْلَ الجَنَابَةِ ثُمَّ رَاحَ، فَكَأنَّما قَرَّبَ بَدَنَةً، ومَن رَاحَ في السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ، فَكَأنَّما قَرَّبَ بَقَرَةً، ومَن رَاحَ في السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ، فَكَأنَّما قَرَّبَ كَبْشًا أقْرَنَ، ومَن رَاحَ في السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ، فَكَأنَّما قَرَّبَ دَجَاجَةً، ومَن رَاحَ في السَّاعَةِ الخَامِسَةِ، فَكَأنَّما قَرَّبَ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الإمَامُ حَضَرَتِ المَلَائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ**)، انظر واحد اثنين ثلاث أربعة خمس ساعات هذه كلها بعد الشروق، يعني الآن بعد شروق الشمس تقريبًا ستة أو ستة وربع، الآن ستة وعشرين دقيقة تقريبًا الشروق عندنا، نتكلم عن الأردن.

انظر لأعلمك كيف علمنا أن الساعة في زمانهم تقريبًا هي الساعة عندنا، الفجر عندنا تقريبًا على الخامسة ودقائق، وتشرق الشمس على ستة وعشرين دقيقة لنقول ستة ونصف، هذه ساعة ساعتين ثلاث أربعة خمسة أحسب للحادية عشر ونصف، وهكذا الظهر عندنا الساعة الحادية عشر والنصف يعني وقت صلاة الجمعة، فالحقيقة الساعة في زمانهم هي تقريبًا الساعة في عصرنا، ولذلك قول الأخ السائل حفظه الله في أن الساعة في زمانهم ليست الساعة في زماننا هذا الجواب عليه.

أما موضوع القرن فالعلماء على خلاف والمقصود بالقرن الجيل، والجيل كم يكون تقريبًا؟ الجيل يكون من

خمسين إلى ستين سنة هذا هو الجيل تقريبًا، **(فخير القرون قرني)**، أو **(خير الناس قرني)**، فالقرن المقصود به هو الجيل، جيل الصحابة رضي الله عنهم، والنبي صلى الله عليه وسلم وقت جيل بمئة عام، النبي صلى الله عليه وسلم بيّن أنه بعد مئة عام لن تبقى نفسٌ منفوسة مما هي عليه حيةٌ يوم أخبر بذلك، ومعلوم أن آخر الصحابة رضي الله عنهم هو أبو الطفيل عامر بن واثلة الليثي رضي الله تعالى عنه، ومات هكذا يعني تقريبًا على المئة، وهذا شيءٌ خاص، حياة رجلٍ هذا شيءٌ خاص، نتحدث عن جيل كامل، فالجيل تقريبًا من خمسين إلى ستين سنة هذا هو القرن، القرن هو الجيل، فـ **(خير الناس قرني)** هو جيل الصحابة، أي المقصود به الصحابة رضي الله عنهم، ثم بعد ذلك التابعون.

والنبي صلى الله عليه وسلم أخبر كما في الترمذي في «الشمائل» قال النبي صلى الله عليه وسلم: **(أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين)**، وهذا حديثٌ يعني يستشهد به في هذا الباب، فإذن هذا هو تقريبًا الجيل بين الخمسين والستين وهذا هو القرن وليس المقصود بها المئة عام، فإن هذا من الاصطلاحات التي لا ينبغي يختلف عليها الناس، ولكن قوله صلى الله عليه وسلم: **(خير الناس قرني)**، أي المقصود به جيل النبي صلى الله عليه وسلم الذي عاش معه من الصحابة رضي الله تعالى عنهم، والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين.

٢٤٧- حكم الرق في الإسلام

ضمن الجلسة العشرون، بتاريخ: (١/٠٤/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٩/١٢/٢٠١٧ م)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل يقول: جزاكم الله خيرًا، ما هو حكم الرق في الإسلام؟ وما حكم الإمام إذا منعه أو مكنه في مكانٍ ما حين غيابه؟

جواب الشيخ: أول شيء: الله عز وجل يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾ [الأحزاب: ٥٠]، فهذا جائزٌ للنبي صلى الله عليه وسلم، وخطاب الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم في هذا كما هو تتمة الآية خاص وهو قضية الهبة، أن تهب المرأة نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم؛ ولكن هذا خطابٌ له وخطاب لأمته قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب: ٥٠]، فجعل هذا الخطاب الأول عامًا ثم خصص خطابًا له صلى الله عليه وسلم؛ فدل على أن الرق جائز، ويتم الرق لأنه مال، وفي الجهاد لأنه مال يوزع من الغنيمة أو من الفيء، وما زال هو حكم الله عز وجل.

ولكن السؤال: هل يجوز للإمام أن يمنعه؟ نعم، هو جائز فيجوز للإمام أن يمنعه لمصلحة، ويمكن أن تقع المصالح العامة متعارضة مع المصالح الخاصة، فهذه مصلحةٌ خاصة في أن يكون للمرء عنده الرقيق، الإماء سواء كان الرقيق من الرجال أو من النساء، والإماء من النساء، فهذه مصلحةٌ خاصة، ولكن قد تأتي مصلحةٌ عامة لعموم الأمة؛ فيمنع الرقيق.. لا بأس، هذا من الجائز، ليس من الواجب، هو جائز، فيجوز للإمام أن يمنع الجائز إذا ثبت لدى العلماء والحكماء بأن شر هذا كبير أو أن هناك مصلحة مترتبة على إلغائه.

وقد ذكر الإمام الشاطبي عليه رحمة الله في كتابه «الموافقات» في أول بابه أنه ينبغي النظر إلى الحكم من جهتين: من جهة الخصوص ومن جهة العموم؛ بمعنى أنه: حين يكون للفرد يكون على حكم، وحين يكون

للجماعة يكون على حكم، وذلك لدخول الشروط والموانع لهذا الحكم؛ ولذلك يجوز للإمام أن يمنع هذا الحكم على جهة المصلحة الشرعية، كما منع الفاروق رضي الله عنه زواج العربي من الكتابيات، عندما فتحوا بلاد الشام منع عمر رضي الله عنه أن يتزوج الصحابة رضي الله عنهم من الكتابيات، وهو جائز، ولكنه رأى أن من مصلحة الأمة ونساء المسلمين العربيات ألا يتزوج الفاتحون المسلمون المجاهدون من الكتابيات؛ فدل هذا على جواز النظر إلى الحكم من جهة العموم خلافًا لجهة الخصوص والمنفعة والمصلحة الخاصة، والله تعالى أعلم.

بارك الله فيكم والحمد لله رب العلمين.

٢٤٨- حكم الزواج على المذهب الحنفي

ضمن الجلسة العشرون، بتاريخ: (١/٠٤/١٤٣٩هـ **الموافق لـ: ١٩/١٢/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل الأخ بعد قوله: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته -وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته- شيخنا الفاضل حفظك الله وبارك فيك -آمين وإياكم- ما حكم الزواج على المذهب الحنفي بدون إذن ولي المرأة؟ وهل تصح الولاية من تارك الصلاة في عقد الزواج؟

جواب الشيخ: أولاً النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (**لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل**)، (**أيما امرأةٍ نُكحتْ بغيرِ إذنِ وليّها؛ فنكاحُها باطلٌ، فنكاحُها باطلٌ، فنكاحُها باطلٌ**)، ولذلك قول الأحناف في هذا الباب قولٌ مرجوح، وأنا على قول ابن المنذر رحمة الله عليه كما في كتابه «الأوسط» بأنه إذا فُعل هذا الزواج يفرق بينهما مع إثبات المهر والعدة، وتتزوجه زواجًا ثانيًا سليمًا كاملاً لأركانه، ومنها أن يقوم بالعقد وليها أو وكيلها، أما أن تقوم المرأة بالعقد بينها وبين الزوج في قضية الإيجاب والقبول فهذا فعلٌ لا يجوز، وقول الأحناف في هذا الباب مرجوح، وقولهم من الأقوال الشاذة في هذا الباب لمخالفته النص الصريح في هذا الباب.

ولذلك من الأقوال التي -وإن كان قال بها بعض الفقهاء كالأئمة الأحناف وهم أئمة عظماء ولكن في هذه المسألة الخطأ فيها بين ولا ينبغي تقليدهم في هذا الحكم، وليس من شرط خروج القول عن الشذوذ أن قال به أحد الأئمة الأربعة، هذا ينبغي أن نفهمه؛ لأنه صعبٌ على النفس أن تحكم على قولٍ بأنه شاذ وقد قال به إمام من الأئمة الأربعة، لا، قد يقول الإمام قولاً من الأئمة الأربعة ويكون شاذًا، ومنها هذا القول، ومنها قول الأحناف: «يقتل المسلم بكافر»، وهذا من الأقوال الشاذة من أقوال الأحناف ومن رأى أدلتهم ونظر فيها رآها بعيدة عن هدي الكتاب والسنة وتأويلاتهم لهذا الحديث غير سديد، لهذا الحديث وهو (**أيما امرأةٍ نُكحتْ بغيرِ إذنِ وليّها؛ فنكاحُها باطلٌ**)، تأويلاتهم بعيدة، وفيها تكلفٌ شديد.

ولذلك القول الصواب: أول شي لا يجوز هذا فإن وقع وجب التفريق بينهما مع ثبوت المهر والعدة، ثبوت متعة الدخول وهو المهر والعدة ثم بعد ذلك إذا أراد أن يتزوجها زواجًا تامًا سليمًا في أركانه هذا واحد.

الشيء الثاني: هل تصح ولاية غير المصلي؟ لا، لا تصح يجب أن يكون الولي أو الوكيل مسلمًا للمرأة المسلمة لأنه لا يجوز أن يستولي غير المسلم على المسلمة، **(الإسلام يعلو ولا يُعلى عليه)**، ولا تجوز ولاية الكافر على المسلمة، وتارك الصلاة بإجماع الصحابة كافر، دعوكم مما حدث من أقوال المتأخرين، فالقول بأن تارك الصلاة كافر هو القول الذي يجب المصير إليه، وأما هذا الخلاف الحادث متأخرًا فله شروحه وله ظروفه، ولذلك لا يجوز ولاية الكافر على المسلمة، فإذا كان أبوها كافرًا، كافر يعني تارك الصلاة، فليجري العقد القانوني به بوليها، ولا شيء، وهي بعد ذلك توكل رجلاً مسلمًا تقيًا بأن يزوجها من فلان؛ فيجري العقد الشرعي مع مضي وسريان وبقاء العقد الرسمي الذي لا يشترط للأسف أن يكون الزوج مسلمًان ولا يشترط أن تكون المرأة مصلية، ولا يشترط أن يكون الولي مسلمًا والوكيل مسلمًا، لا يشترطون هذه الشروط لعدم اهتمامهم بهذا الباب والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين.

٢٤٩- مسألة في الخلع

ضمن الجلسة العشرون، بتاريخ: (**١/٠٤/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٩/١٢/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل السائل: امرأة تبلغ من العمر عشرين عامًا، تزوجت وبقيت مع زوجها شهرًا، ثم تفرقا في حال القصف ولم يُدرَ مصيره، ثم تبيّن أنه على قيد الحياة، ولكن لا يوجد تواصل معه ولا يُعرف اسمه لأنه تزوجها بالكنية، والفتاة تضررت كثيرًا من بعده، والسبب أن أباها قد توفي، وأهلها مؤيدون لنظام الأسد، وعمها يريد تزويجها لأحد شبيحة النظام، وهي لا تزال في ذمة زوجها.

عمومًا الفتاة عندما خشيت على نفسها أن يُسلمها عمها للنظام السوري، هربت إلى تركيا بعد معاناةٍ طويلة، وتعرضت فيها لشتى أنواع العذاب حتى وصلت إلى تركيا، ووضعها الآن سيء جدًا -الله المستعان، كما يقول الأخ- لا مال ولا مأوى ولا مُحرم، وهي إلى الآن لا يوجد مع زوجها تواصل قرابة الثلاثة أشهر، فهي تريد خلعه لأنها متضررة، هي الآن عندي في بيتي مقيمة مع زوجتي، لكن الفتاة في حالة يرثى لها، تقول: أريد الزواج كي أتحصل على مُحرم ومأوى، والله المستعان؛ وحسب رؤيتي -يقول السائل- وأسئلتي للفتاة: يخشى عليها الوقوع في الحرام! لا مال ولا مأوى ولا محرم، ولا يوجد من تعرفه.

جواب الشيخ: نعم، يجوز أن تذهب إلى أحد طلبة العلم، لأن القضاء الشرعي ربما يطول ويقع فيه الكثير من المعاناة الرسمية، أوراق وو... إلخ؛ ولكن تذهب إلى أحد طلبة العلم فيفسخ الزواج، يفسخ.. ليس الخلع.. عندنا نحن الطلاق والفسخ والخلع، هذه أنواع الفرقة بين الرجل وزوجته؛ الطلاق معروف، والفسخ يقع بفعل القاضي، بسبب الضرر يفسخ القاضي بينهم، والخلع يقع بإعطاء المرأة مهرها كله أو بعض مهرها، أو زيادة عليه! عند بعض أهل العلم كابن حزم وبعض الفقهاء.. تعطيه لزوجها من أجل أن يطلقها، هذه أنواع الطلاق، والصواب أن الخلع فسخ، بمعنى أنه تعتد بحيضةٍ واحدة فقط، على مذهب من يقول: إن القروء حيضة، وهو الأقوى والأصوب خلافًا لإمامنا الشافعي رحمه الله الذي يرى أن القرء هو الطهر.

المهم: فهذه المرأة يجوز لها أن تطلب الفسخ من زوجها فتذهب إلى أحد طلبة العلم وتقيم دعوى عنده -

يكون من أهل العلم والتقوى- وتطلب منه أن يفسخ زوجها؛ فيعلن بمعرفته بالضرر، ويتوثق مما تقول على الحال التي ذكرت، أن عدم هذا الفراق يؤدي إلى الضرر والخشية كما ذكرت وكما ذكر السائل، فيفسخ هذا الحاكم العالم -ليس شرطًا أن يكون قاضيًا، وهذا ذكرته أكثر من مرة.. ليس شرطاً- فيفسخ هذا العقد، فتعتد بحيضة ثم تحل للأزواج، والله تعالى أعلم. بارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٢٥٠- هل يجوز وضع المال في البنوك الربوية؟

ضمن الجلسة العشرون، بتاريخ: (**١/٠٤/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٩/١٢/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل أخ: هل يجوز وضع المال في البنوك الربوية عند عدم وجود بنوك إسلامية؟

جواب الشيخ: إذا خاف عليها الضياع، وخاف عليها الهلكة، فيجوز أن يضعها، ولكن أنتم تعرفون أن هذه البنوك عندها العقود الكثيرة في وضع المال، فإما أن يوضع المال على جهة الربا والانتفاع، وإما أن يوضع على جهة الادخار، وإما أن يوضع على جهة الأمانة والحفظ فقط، فحينئذٍ يتحرى أن يضعها على وجهٍ من وجوه الشريعة الصحيحة، بأن يضعها على يد أمانة.

وهناك كثير من البنوك يكون فيها -إذا خاف أو كذا- هناك كثير من البنوك والأماكن التي تحفظ المال.. تحفظ.. يضع المال فيها، ويكون له مفتاح، ويذهب ويأخذ متى شاء؛ ولكن هذا ربما يكون عسيرًا على التجار الذين يتعاملون بالأموال يوميًا في الدفع والشراء، فيحتاجون إلى الشيكات أو ما شابه ذلك، فحينئذٍ يجوز لهم وضع المال في البنوك، إذا لم توجد البنوك الإسلامية، وضعها في البنوك الربوية على معنى من العقود الصحيحة التي ذكرناها.

والله تعالى أعلم، والحمد لله رب العالمين.

٢٥١- حكم من يقتل نفسًا في حروب وقعت بين القبائل وهو جاهل

ضمن الجلسة العشرون، بتاريخ: (**١/٠٤/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٩/١٢/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخٌ يسأل: رجل مسلم كان في مقتبل عمره بين قبيلته من العرب وقبيلة من غير العرب حروبٌ وثارات جاهلية، يقول: أوقف يومًا سيارة فيها عددٌ من أفراد القبيلة الأخرى، وأطلق سراح الأطفال والنساء، وقتل هو وأصحابه ٢٢ رجلاً، يقول: وهم مسلمون، اشتغل بعدها ضابطًا في الدرك، وبعد ظهور المجاهدين ترك الشغل والتحق بهم وصار منهم؛ يسأل عن الحكم الشرعي فيما اقترفه، مع العلم أنه كان وقتها يصلي ويصوم، لظنه أنه لا يعرف دينه كما عرفه بعد التحاقه بالمجاهدين.

جواب الشيخ: هذا قتلٌ عمد، هو مسلم وهم مسلمون، وجهله لا يؤثر في الحكم الشرعي مهما كان، ولذلك: الذين قتلهم مع هؤلاء قتل عمد.. هذا القتل بهذا الوصف هو قتل عمد.

عليه أن يسلم نفسه لأولياء المقتولين، فإما القصاص، وإما الدية، وإما العفو.. هذا هو الحكم له.

وهذا القتل لا يدخل في قتل المتأولين الذي أجمع -كما قال الإمام الأوزاعي عليه رحمة الله- أجمع أئمة الإسلام على أن القتلى في حروب المتأولين -أو قتال المتأولين- لا دية فيه ولا قصاص فيه.

هذا قتل عمدٍ في شريعة الله، وقتل العمد فيه القصاص، إلا أن يعفو أولياء المقتول، إما بأخذ الدية وإما بالعفو مطلقًا، ولذلك: هذا عليه أن يسلم نفسه لهم، وهم يقررون في هذا.. هذا ما هو في حقه، والله تعالى أعلم، والحمد لله رب العالمين.

٢٥٢- الرد على إحدى شبهات العلمانيين

ضمن الجلسة الحادية والعشرون، بتاريخ: (٧/٠٤/١٤٣٩هـ **الموافق لـ: ٢٠١٧/١٢/٢٥ م)**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل، أو يقرر هو ناقلاً لسؤال أحدهم أو لاعتراض أحدهم، هذا هو الوضع الحقيقي لهذا السؤال، يقول هذا المعترض أو هذا المشكك: أنه لا يوجد علاقة بين تدين الشعوب وبين مستوى الأمطار، الأمطار تعتمد على المناخ والجغرافية، فكثيرٌ من الدول الاستوائية يقطنها البوذيون وحتى عبدة أوثان ومع ذلك لا تتوقف أمطارهم طوال السنة، والآن أصبح بإمكان البشر إمطار السماء بوسائل آلية، أهمية هذه المقدمة هي تذكيرٌ بأهمية استخدام المنهج العلمي عند الطرح، وأقول ذلك لأن هناك تيارًا كامنًا في مجتمعاتنا يعتبرون أنفسهم مجددين أو مصلحين، ودعوتهم للإصلاح تتمحور حول فكرة التدين كحلٍ لجميع مشاكل الأمة، فإذا تحجبت النساء وعمرت المساجد بالمصلين، وحكمنا بالشريعة سيؤيدنا الله بالنصر من عنده، المشكلة في هذا الطرح أنه طرحٌ عاطفي -كما يقول- وليس علميًا، كمثال: إذا أردت تقول: أن هناك علاقة بين الحجاب وتقدم الأمة عليك أن تأتي بدلائل واقعية وملموسة، فأفغانستان تطبق جميع ما يدعون له، ومع ذلك تقبع في مؤخرة الأمم، كما أن هناك دولاً لا دينية استثمرت في جوانب أخرى تقبع في مقدمة الدول، -مرةً أخرى هو يقول- ليست هذه دعوى للابتعاد عن الدين أو دعوى لخلع الحجاب، فهذه حريات شخصية ولا علاقة بينها وبين التقدم والتأخر، ولكن عند تقديم طرحٍ معين علينا أن نقدم طرحًا علميًا وليس عاطفيًا.

جواب الشيخ: في الحقيقة، هذا السؤال يعني صدقًا يحتاج إلى مؤلفات، يحتاج إلى شروح طويلة وحديث مفصل يستوعب كل هذه الاعتراضات وكل هذه المفاهيم وكل هذه المقررات التي طرحها السائل، ولكن دعونا نفكك أقواله وما يريد.

ابتداءً بلا شك أن هذا طرحٌ علماني يريد أن يفصل العلاقة التي ربطها القرآن ربطًا وثيقًا بين الشرع والقدر، القرآن يربط بين الشرع والقدر، يربط بين الطاعة وبين أحوال الإنسان في هذه الدنيا، أما الآخرة هذا شيءٌ مقرر ومعلوم فهي على حالةٍ واحدة إما إلى الجنة وإما إلى النار، مع اختلاف في أحوال الناس في دخولهم النار ثم خروجهم منها لما يوجد عندهم من معاصي، ولتطهيرهم حتى يدخلوا الجنة وهم أطهار لا شوب فيهم.

الحديث عن العلاقة بين الشرع والقدر هي إحدى مهمات الصراع بين أهل الإسلام وبين العلمانيين المعاصرين، ويستخدمها الزنادقة والعلمانيون في إبطال الشرع وإبطال حِكمة الله عز وجل، بغض النظر عن درجة كفر هؤلاء؛ لأن الناس يظنون أن الكفر هو فقط الإلحاد، وهو إنكار وجود الله عز وجل، إن مثل هؤلاء لا يهمهم أن الله موجود أو غير موجود، لأن هناك ما يسمى بالوجودية الملحدة والوجودية المؤمنة بحسب التفسير الفلسفي لها، ويقصدون بالمؤمنة: أن الله موجود ولكنه تخلى عن الوجود، هناك من يقول: لا يهمني موجود أو غير موجود، المهم أنه لا علاقة له بهذا الوجود وهذه الحياة، وهناك من الملحدين الكفار من ينكر وجود الله عز وجل ابتداءً وبالتالي رؤيته هي رؤية مادية بحتة لهذا الوجود ولقضايا الأخلاق والتشريعات.

التشكيك في حكمة الله عز وجل، قديم، وابن الراوندي مشهور عنه هذا وكذلك الزنادقة دائمًا يشككون، وانشغل علماؤنا كثيرًا في الرد عليهم، لماذا يؤلم الله عز وجل الأطفال؟ لماذا يبتلي المؤمن؟ لأن المؤمن نراه مبتلى، ونرى الشقي سعيدًا في هذه الدنيا؟! لماذا يعامل الله عز وجل الحياة من خلال المشقة، من خلال التعب؟ لماذا لا يبسط الله عز وجل الرزق للناس، ويعاملهم معاملة المحبة؟! حتى أن بعضهم يزعم بأن الدين النصراني في هذا الباب هو أسلم على أساس أن الله محبة، وأن الإسلام يعاملهم الله عز وجل بالعقوبة ويعاملهم بالرحمة على وجهٍ من وجوه الامتثال البشري له، بعد وجود هذا الامتثال البشري له.

دعونا نتجاوز الكثير مما قيل في هذا الكلام، ولكن لابد أن نشرح القضية:

أولاً: من شرط إيمانك بالله عز وجل أن تؤمن بحكمته، الغريب في النظر في الحكمة الإلهية أولاً، أن الناس يجعلونها على معنى الحلول، بمعنى أنها لا بد من النظر إلى الآن ماذا أنا، وينظرون إلى أن الحكمة هي الترف، يوجبون على الله أن لا تقع أفعاله إلا على معنى الترف للوجود، فإذا وقعت المشقة نزعوا الحكمة، هذا شيءٌ من أغرب ما يكون، ولا يرضاه صغار الناس، ولا يرضاه أحد، لا يرضاه الحكيم، ولو أنك جمعت العقلاء في الوجود وقلت: بأنه يجب على الناس أو حين يتعاملون مع بعضهم البعض يجب عليهم أن يتعاملوا على نسقٍ واحد من السماح والعفو!! هذا يمكن أن نقول به على شرط أن تكون النفوس البشرية كلها كذلك، أن تكون كل النفوس البشرية لا تعلق لها بالهوى، لا تعلق لها بالجهل، لا تعلق لها بالظلم، وتاريخ البشرية ينفي هذه القضية، تاريخ البشرية يثبت بأن الإنسان صاحب هوى، وأنه يتبع الهوى أكثر مما يتبع العقلانية كما يزعمون، وأنه يتبع الظلم

ويبغي بعضهم على بعض، تاريخ البشرية هو تاريخ البغي، تاريخ البشرية هو تاريخ الصراع؛ فيجب عليك قبل أن تضع التشريع وتضع كيفية التعامل، يجب عليك أن تعرف من المقصود الذي هو مادة هذا التشريع، ومادة هذا الأمر.

فحين ترى إنسانًا طيبًا وتقع منه الأخطاء حينًا، فعليك أن تعامله بمجموع ما عليه من الطيبة، فإذا أخطأ يمكن أن تتجاوز عن خطأه، وبعد ذلك يرجع إلى ما هو عليه، وحين ترى إنسانًا شريرًا فيجب عليك أن تضع العقوبة الملائمة له، أو التعامل الملائم له بأن يزجره ويردعه، والشرائع جاءت لهذا في النظر إلى الناس وتعدد أحوالهم ومقاديرهم، وبالتالي؛ الحكمة ليست هي التساوي، الحكمة هي العدل.

ومثلاً: حين يطالب البعض بأن تُعطى المواريث أو الفرائض للناس من غير تفريق بين الرجل والمرأة، يزعمون أن هذا من العدل! هذا ليس عدلاً، نعم هذه دعوة للتساوي -كما هي دعوتهم-، ولكنها ليست دعوة للعدل، «المرء بحاجته، المرء بسابقته، المرء ببلائه»، فالناس تختلف أحوالهم بالنسبة للحاجة، فالحاجة تختلف، صاحب البلاء الذي يُبلي في الفعل غير الكسول، الذي يعمل غير الذي لا يعمل، الذي له تاريخ من العمل غير الذي له تاريخ من الكسل، وبالتالي؛ المطلوب هو العدل وليس المساواة، الدعوة للمساواة دعوة جائرة لأنها تؤدي إلى ظلم من يعمل وظلم من يحتاج، وظلم من له تاريخ ممن ليس له تاريخ من العمل، فلذلك هم يدعون إلى المساواة، الدعوة للمساواة باطلة، وهكذا في قضية الشرائع.

فإذن منطلقهم هو محاولة نفي حِكمة الله عز وجل، ونفي حِكمة الله عز وجل مردها ومبعثها هو إبطال الشرائع، بمعنى أنهم حين يبطلون حكمة الله عز وجل في التعامل القدري في البشر؛ فإن هذا يؤدي لزومًا عندهم إلى إبطال حِكمة الله عز وجل في التشريع، حين يرون أن العالم لا يسري على مجرى واحد من التساوي -كما يزعمون من العدل- فإن هذا يعني ألا نقبل شرائعه، فهو ليس حكيم في أقداره وأفعاله، وبالتالي ليس حكيمًا في شرائعه وأوامره، وهذا هو مُنتهى الأمر لديهم، ولذلك نرى في سؤال السائل: أنا لا أدعو إلى عدم التدين، ولكنها مسألةٌ شخصية.

المسألة الثانية التي عليها الحديث: هو ارتباط الشرع بالقدر، وارتباط القدر بالشرع، بمعنى أن الله عز وجل أخبرنا: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ

وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا (١٢)﴾ [نوح: ١٠-١٢]، فربط الله سبحانه وتعالى النعم الدنيوية والبركات الدنيوية ربطها بالاستغفار، فهناك رابطٌ بين الشرع وبين القدر.

قال الله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٦)﴾ [الأعراف: ٩٦]، ﴿وَلَكِنْ كَذَّبُوا﴾، أي أعرضوا عن الإيمان؛ ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ﴾ أي لم يعطهم ما وعد المؤمنين؛ فأخذهم الله سبحانه وتعالى بجريرتهم ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، بجريرة فعلهم من المعصية، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٦٥) وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ (٦٦)﴾ [المائدة: ٦٥-٦٦]، فالشرع ربط بين –القرآن الكريم، الإخبار القرآني العظيم– ربط بين امتثال المرء بالشرع وبين أقداره.

موضوع القدر هو من أشق ما يُتكلم عنه، الشرع يجري على سننٍ واحد بالنسبة للأمم، وقد ختمت الشريعة الإسلامية بالكتاب والسنة وما استقر عليه أمر الله عز وجل في البشرية، ولكن الأقدار لا تجري على هذا المعنى، أنا أرجو ابتداءً أن يرجع إخواني إلى قراءة تفسيري لسورة «الشورى»، فإن سورة «الشورى» فيما تأملت من موضوعها، وجدتها تتحدث عن وحدة الحق وتعدد القدر.

الكثير من المشايخ يحتجون على تعدد القدر بأنه على تعدد الشرائع، وهذا من أبطل الباطل، فالشرع يقرر أن الحق شيءٌ واحد، ويقرر أن الأقدار تتعدد، القدر لا يجري على معنى واحد لا على المؤمنين ولا على الكافرين، ولذلك الله عز وجل قال عن المؤمنين، وهذا مثل نبينه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥)﴾ [البقرة: ١٥٥]، هذا للمؤمنين، إذن هناك كذلك حالةٌ من حالات الابتلاء يعيشها المؤمن.

الله عز وجل أعطى سبأ: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (١٥) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦)﴾ [سبأ: ١٥-١٦]، جعل الله عز وجل الإعراض عن الإيمان والشكر سببًا في هلكتهم ودمار مزارعهم، ودمار أموالهم.

لما الله عز وجل حدثنا عن الرجلين في سورة «الكهف»: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (٣٢) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا (٣٣) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (٣٦)﴾ [الكهف: ٣٢-٣٦]، ثم الحوار، الله عز وجل أهلك قريته: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤٢)﴾ [الكهف: ٤٢]، أنكر القدر، أنكر ارتباط هذه النِعم بالشرائع، فهذه إحدى محطات ومهمات الصراع.

كيف نفهم هذا؟ هم يقولون: بأن هذه النظرة كما ترون نظرة عاطفية وهي نظرة إيمانية، ولما نقول: هذا حكمٌ إيماني وقرارٌ قرآني، بمعنى أن الله عز وجل الذي أنزل هذه الشرائع وحكم المقادير، هو الذي ربط هذا الربط، وليس لنا، وبالتالي؛ يجب الإيمان بذلك، ولكن مراتب الناس في فهم العلاقة بين الشرع والقدر تختلف، ليس كل الناس على مرتبة واحدة، المؤمن العادي يؤمن بهذا الارتباط ويسلم له ولا يتفكر، والآخر وهو العالم، لا، عليه أن يفسر هذا الارتباط، وعليه أن يدركه، وبالتالي؛ هو إذا حضر إلى الوجود القدري في هذه الدنيا؛ تأمله على معنى من معاني الحق الإلهي في ارتباطه مع الشرع.

لماذا يبسط الله عز وجل الرزق للناس؟ لماذا يبسط الرزق للكفار؟ الله عز وجل قرر هذا، قال: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (٣٣)﴾ [الزخرف: ٣٣]، انتبهوا هذه الآية تقرر أن الأصل أن الدنيا للمؤمن، والحديث يشرح هذا، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه: **(أما ترضى أن تكون لهم الدنيا، وتكون لنا الآخرة)**، وفي حديثٍ صحيحٍ آخر يقول النبي صلى الله عليه وسلم: **(الدنيا جنة الكافر)**، فبالتي ما هو الأصل؟ -هنا الجواب على هذا- ما هو الأصل بالنسبة للكافر؟ هو أن يتنعم بهذه الدنيا على قاعدة: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا (١٨)﴾ [الإسراء: ١٨]، فإذن الله عز وجل في هذه الدنيا يعطي الإنسان ما سعى إليه، يسعى إلى النعيم؟ فيعطيه الله عز وجل النعيم، سنأتي إلى الآيات المنذرة بالهلاك حين الإعراض كما سنبيّن.

إذن ما هو الأصل؟ الأصل أن المؤمن مُبتلى، وأنه يعيش البلاء، وأن الكافر مُنعم من أجل أن ينتقم الله عز وجل منه، ومن حكمة النِعم بالنسبة للكافرين؛ ليكون الأخذ لهم شديد، وذلك بأنه لو أردت عقوبة إنسان ترتفع به إلى الأعلى من أجل أن يكون السقوط مدويًا، هناك فرق بين أن يكون المرء فقيرًا فيزداد فقرًا درجة أو درجتين فهذا الألم يكون قليلاً في مقابل الإنسان الذي يكون غنيًا مترفًا ثم تأخذ منه هذه الدنيا، فيعيش فقيرًا فيكون الألم أشد، ولذلك في حديث: **(إن الله ليملي الظالم حتى إذا أخذه لم يفلته)**، هذا من حكم الله عز وجل في عذاب الكافرين، ويكفي أن يكون العذاب هو بالنسبة إليه هو العذاب الذي يقع عليه الموت، وستأتي الصور كثيرة بالنسبة للأفراد وبالنسبة للجماعات، فإن الفرد الواحد تؤخذ منه الدنيا، ولا يعني أن تؤخذ منه الدنيا على معنى واحد، بأنه يفقدها بالكلية ولكن لا ينتفع بها، أنت ترى الرجل الكبير الذي عنده الأموال، ومع ذلك لا يستطيع أن يأتي أهله، وترى الرجل الغني الثري لا يستطيع أن يأكل ما يريد، يقيد في أطعمته، وهو معذب، الطعام أمامه:

كـــالعيس في البيـــداء يقتلهـــا الظمـــى   والمـــاء فـــوق ظهورهـــا محمـــول

بين يديه، هذا من العذاب الإلهي.

إذن ما هي القاعدة بالنسبة لهذه الحياة الدنيا، كما يقرر القرآن؟ قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (٣٣)﴾ [الزخرف: ٣٣]، وقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨]، وقول نبينا صلى الله عليه وسلم: **(الدنيا جنة الكافر)**، ما هو الأصل؟ -يجب أن نفهم هذا- الأصل هو أن يكون الكافر مُنعمًا، فإذا رأيته في النعيم علمت ذلك، إذا فسرته لماذا يقع هذا؟ فسره في حديث عمر رضي الله عنه: **(أما ترضى بأن تكون لهم الدنيا)**، إذن هي الدنيا لهم، هم يريدونها، فقاعدة الحق السننية: في أنه من أراد شيئًا وسعى له سعيه فهو سيدركه، وهذا الكافر يريد الدنيا، فإذا سعى لها حصلها.

لكن السؤال يبقى هنا: أنها تأتيك كثيرًا من غير سعي، وذلك أنك تجد في بلادهم مثلاً، تجد بعض البلاد والكثير من بلاد الكفر فيها النعيم الدنيوي، هذه هي قاعدة الحق: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (٣٣)﴾ [الزخرف: ٣٣]، رحمةً من الله عز

وجل على المؤمنين، رحمة من الله عز وجل على الضعفاء من المؤمنين، رحمة من الله عز وجل على نساء المؤمنين، أن المرأة ضعيفة، وأن الطفل ضعيف، وأن بعضهم ضعيف حين يرى أنه إذا كفر فتحت له الدنيا كلها، فالله عز وجل جعل الغالب على الكفار النعيم، وهناك استثناءات ليبقى المؤمن حذِرًا منها مترقبًا زوالها من المتنعم، ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (٣٣) وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ (٣٤) وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ (٣٥)﴾ [الزخرف: ٣٣-٣٥]، إذن هذه هي القاعدة، فإذا أعطى الله عز وجل هذا من العطاء الذي هو من باب مكر الله بعدوه، الآن هذه القاعدة ولا أريد أن أطيل أكثر من هذا.

نأتي إلى القضايا الأخرى: وهي وعد الله عز وجل بأن الكفار سيعاقبون بزوالها عنهم... انتبهوا لهذه القضية، هذه قضية ثانية بعد القضية الأولى.

أول شيء عليكم أن تعلموا بأن موضوع الاستئصال والاستئصال الإلهي للكفار، بمعنى الزوال، أي يستأصلهم، كما استئصال قوم عاد وثمود وقوم لوط وأهل مدين أصحاب شعيب عليه السلام، فإن هذه قد انتهت وتوقفت، هذه القضية في هذا الاستئصال الإلهي للأمم توقف، وذلك مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٤٣)﴾ [القصص: ٤٣]، فالله عز وجل أهلك هذه الأمم من أجل أن تكون عبرةً لمن يعصيه في هذه الدنيا، ولكنه لما جاء موسى عليه السلام فأمر الله عز وجل موسى عليه السلام وقومه من بني إسرائيل بالجهاد، ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ﴾ [المائدة: ٦٦]، وكانت هذه الأمة مجاهدة، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٦]، فأول أمةٍ أمرت بالجهاد والقتال في سبيل الله هي بني إسرائيل، وأول نبيٍ أمر بالقتال هو موسى عليه السلام، فلما أمر الله عز وجل المؤمنين بقتال الكافرين؛ أقام المؤمنين مقام الأقدار التي بها الله عز وجل يعاقب الكفار.

فلذلك انظروا إلى ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل خيبر، قال: **(إنا إذا نزلنا بساحة قومٍ فساء صباح المنذرين)**، هذا تمثل للفعل القدري كما وصفه الله عز وجل في سورة «الصافات»: ﴿وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (١٧٥) أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ (١٧٦) فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ (١٧٧)﴾

[الصافات: ١٧٥-١٧٧]، هذه حكاها الله عز وجل، قالها ربنا سبحانه وتعالى في وصف فعله في الكفار حين يستأصلهم، هذا الاستئصال توقف، انتهى، فماذا كان البديل عنه؟ هو تسليط الله عز وجل المؤمنين على الكافرين، فلذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: **(إنا إذا نزلنا بساحة قومٍ فساء صباح المنذرين)**، تمثل صلى الله عليه وسلم بما قاله الله عز وجل عن العقوبات القدرية بالنسبة للأعداء.

وسيأتي من سيقول: ولكن نحن نعاقب من الأعداء؟ هذه كلها لها سنن، هذه كلها خاضعة للسنن، نحن نقول: أن الأمر القدري متعدد، الله عز وجل يقول: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (١١٠)﴾ [يوسف: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ (٢٨)﴾ [الشورى: ٢٨]، انظر هذا التعدد، ارجع إلى سورة «الشورى» مليئة بهذه الصور المتعددة في قضية الأقدار الإلهية على العبيد.

إذن الذين يطالبون بالاستئصال، نقول لهم: هذا توقف، جاءت عقوبات، هل يعني هذا أنها قد توقفت العقوبات القدرية الجزئية كذلك؟ نحن نقول: توقف الاستئصال، الإزالة، ولذلك في الحديث: **(تقوم الساعة والروم أكثر الناس)**، الصراع الإسلامي اليهودي النصراني هذا سيبقى إلى يوم القيامة، والله عز وجل سيقبض أرواح المؤمنين، والروم ستكون أكثر الناس في آخر الزمان، فدل هذا على أنه لا استئصال للكافرين، لكن هل هذا يعني أنه قد توقفت العقوبات الجزئية التي تحدث عنها السائل، مثل قضية نزول المطر وغيره؟ بلا شك الجواب: لا، لم تتوقف العقوبات القدرية، ولكن هذه العقوبات القدرية تتنوع، ليس شرطًا أن تنظر إلى عقوبةٍ قدرية واحدة، كما أن السائل نظر إلى قضية نزول المطر مثلاً، أو ربما ينظر إلى كثرة الألبسة لديهم أو ارتفاع البيوت الشاهقة في بلادهم، كل هذا من الجهل في النظر إلى العقوبات الإلهية، أولاً العقوبات الإلهية هذا جهل في نظره إلى العقوبات القدرية.

لكن دعوني أولاً أفسر ما قاله: إن نزول المطر لا علاقة له بالفعل، كأنه يقول: إن نزول المطر لا علاقة له بالإرادة الحادثة، وإنما هو بسبب -لنحسن به الظن وإن لم يقله- إنما هي جرت على معنى السنة التي قررها الله عز وجل في الأزل، ولا يحتاج نزول كل مطرٍ على الأرض وكل قطرةٍ على الأرض لا تحتاج إلى إذنٍ مُسبق لها تعلق بالرضى الإلهي، والفرح الإلهي.

ابتداءً هذه الدنيا يعطيها الله لمن أحب ولمن لا يحب، فلا يعني -وهذا من جهل الناس- حين يرون أن رجلاً قد أبلغ وأعطي من الدنيا فيقول: الله رضي عنه.. هذا جهل.. فإن قارون لم يرضى الله عز وجل عنه وأتاه الله عز وجل من الكنوز ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾ [القصص: ٧٦]، لكن هذه تحتاج إلى تفسير؛ أولاً: لا تجري الأحداث في الكون، لا تجري فقط بالأمر القدري الأول، يعني الله عز وجل خلق الماء على وصفٍ معين، فهذا أمرٌ قدري أولي، لكن بقاءه على هذه السنة القديمة -وهذه شرحتها كثيرًا- لكن بقاء الماء على أمر السنة التي خلقها الله عز وجل حين خلقها يحتاج إلى إرادات؛ ولذلك هو قائمٌ عليها لتبقى على السنة التي قدرها لها، أي للماء حين خلقها جل في علاه.

السؤال: هل صحيح ما يقولونه: أن نزول المطر له تعلق بالمناخ والجغرافية والتاريخ؟

أولاً: نرجع إلى حديث: (**لا عدوى ولا طيرة**)، النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**فمن أعدل أول**)، أولاً: من الذي قرر هذه السنن ابتداءً؟ من الذي قدر هذه السنن في الوجود، أن هذا البلد له مناخ كذا ومناخ كذا وإلى آخره..، من الذي قدرها؟ الحديث يقول: (**من أعدل أول**) يعني الله عز وجل هو الذي خلق السنن حين الابتداء، حين وجدت السنن في الابتداء، الله عز وجل هو الذي قدرها.

فهل يعني أن هذه السنن لا يعتريها أمرٌ يتعلق بعبادة المرء من الدعاء، حين يطلب المرء من ربه الدعاء؟ أو حين تقع المعصية فالله عز وجل يجعه، كما دعا النبي صلى الله عليه وسلم على قريش: (**اللهم سنينًا كسنين يوسف**)، حتى كان أحدهم يرى السراب وليس سرابًا من شدة الجوع، وبعضهم أكل الجيف من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم، فما زالت السنن تعمل، لكن الذي نقوله في هذا الباب -وهو مهمٌ جدًا- أن المؤمن هو من يرى يد الله عز وجل حين أوجد السنن، بمعنى: حين يحدث زلزال في مكانٍ ما، ماذا يأتي الطبائعيون؟ ماذا يأتي السننيون؟ ماذا يأتي القدريون؟ يفسرون؛ لماذا وقع هذا الزلزال؟، يقولون: صار انزلاق في منطقة كذا وصار اختلال في الأرض الفلانية، فبسبب هذا الاختلال في قضية الأرض وترتيب الجبال وما فيها من طبقات حدث الزلزال، هو فسر الفعل، لكنه لم ير يد الله عز وجل التي حركت هذا الفعل، السؤال: من الذي أوجد هذا ابتداءً؟ عندما تقول: بسبب كذا، هذا السبب من أوجده، حين تقول: إن السبب في قضية السقوط هو الجاذبية وهو توازن الأرض، السؤال: من الذي أوجد هذا حين حدوث الزلزال؟ هذا هو السؤال الذي نبحث

عنه... (**من أعدل أول؟**)، لا نتحدث عمن أعدل أول حين أوجد المرض أي مرض الجرب أول مرة –بالنسبة لسؤال السائل– لكن نتحدث من الذي خلق المرض ابتداءً في الجمل الأول.. من الذي أوجد هذا؟

فلذلك؛ نسأل دائمًا في كل فعلٍ من الذي أوجد أوله؟ من الذي أوجده ابتداءً؟، أنت علمك يفسر الظاهرة، ولكنه لا يعلل سبب وجودها ابتداءً، لا يستطيع، لا يستطيع أن يفسر لنا ذلك إلا عالم غيب، وهو الله سبحانه وتعالى، نحن نؤمن أن الأشياء تجري بسنن، لكن هذه السنن من أوجدها ابتداءً، ثم من أوجد لها ظروفها عند كل حادثة لأن تكون؟ هذا ينبغي أن يقر به المقر، يعني تعال إلى الموت.. أنت تأتي إلى رجل فتقول: أصابته سكتة قلبية، أي سكت قلبه، مات بسبب سكوت قلبه، السؤال هو: من الذي أسكت قلبه؟ هذا السؤال: من الذي أسكت قلبه؟ أنت تفسر الظاهرة أنه مات بسبب أن القلب لم يعد يعمل، لكن السؤال: من الذي أسكت قلبه؟ يأتي عالم الغيب فيقول: أن الروح قد نزعت من هذا البدن، فتوقف قلبه عن الجريان، وإلا فالدم الدم، والقلب موجود، والأدوات موجودة، مع عوامل الزمن التي طرأت عليها، وقد يموت وهو شاب، يقولون لك: جلطة، من الذي أحدث الجلطة؟ من الذي أحدثها في هذا دون بقية الناس؟ الله عز وجل، مقادير الغيب التي هي تُجري مثل هذه السنن.

فلذلك؛ ما يزعمه من الجغرافية –السؤال–، قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ (٤٤)﴾ [الطور: ٤٤]، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم، وقد أمطرت عليهم، ونزلت عليهم السماء وهم في الحديبية، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يقول الله عز وجل: (**أصبح اليوم مؤمن وكافر بي، فأما المؤمن فيقول: أمطرنا بفضل الله، وأما الكافر فيقول: أمطرنا بنوء كذا**)... كفر بالله، علقها، لماذا أمطر؟ لأن الكثافة وغير ذلك... السؤال: من الذي أوجد هذا؟ وأنتم تعلمون أن كثيرًا من الظواهر تبدأ، ثم تنحرف، ثم تنتهي ويأتي ضدها، وتتعجبون أن رجلاً أصيب بجلطة ثم قام!! وتتعجبون أن السحاب يجري في مكان ثم أخذه الهواء إلى كذا!! من الذي يجريه؟ هذا السؤال من قضايا القرآن ومن قضايا الإيمان.

إذن قبل أن تناقش القرآن، عليك أن تعرف ماذا يقرر هذا القرآن، في أن الله عز وجل أبطل الاستئصال، لا يوجد استئصال، لكن تعال إلى صعود الأمم وهبوطها، تعال إلى تغيير الأحوال فيها، هناك دول، النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (**تعود جزيرة العرب مروجًا وأنهارًا**) من الذي حولها، بعد أن كانت مروجًا وأنهارًا فصارت

صحراء قاحلة؟ ثم بعد ذلك تعود مروجًا وأنهارًا، ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، يعيدها مروجًا وأنهارًا كما كانت.

هذا التحول الذي يشهده العالم الآن، تعال الآن؛ هذه العقوبة القدرية، أنا ذهبت إلى استراليا، ومشيت بالسيارة من ملبورن إلى سدني مسافة لا تقل عن اثنتي عشرة ساعة أو أكثر، وكنت أرى -فسألت- كنت أرى على مسافات هائلة جدًا مسافات من مئات كيلو مترات، نرى أثر المزارع، ولا نرى المزارع، أثر المزارع ومهجورة، فسألت البصير في مثل هذا، قال: هذه المزارع كانت جنان ثم تحولت إلى قفر كما تراها لا ترى فيها إلا اللون الأصفر -بلاقع- ما هو السبب؟ قال: قلة المياه، أين غاضت تلك المياه؟ أنت ستفسر تفسيرًا ماديًا، نقول: نعم، هذا التفسير السنني حقيقة، لكن من الذي أوجده حتى صارت هذه البلاد على هذه الهيكلة؟ قد يقول قائل: السبب هو طبقة الأوزون.

وقد رأيت هناك في أستراليات مثلاً قلما تجد في المنطقتين اللتين زرتهما وهما سدني وملبورن، لا تجد المرأة تكشف شيئًا من جسمها، فقط رأسها، ولكنها تلبس الباس الطويل الخفيف، فتعجب!! فالدنيا حر شديد لماذا يفعلون ذلك؟ قال: لأنهم يخافون سرطان الجلد، لماذا هذا سرطان الجلد؟ يقول: بسبب طبقة الأوزون... هذه العقوبات القدرية من الذي قدرها؟ هو بسبب معصية الإنسان، ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الروم: ٤١]، هذه التفجيرات النووية التي قام بها أغلب من قام بها أمريكا وفرنسا، ومازالت فرنسا إلى وقت قريب تقوم بالتفجيرات، يعني زمن هذا «شيراك» الرئيس الفرنسي، رفع الحظر عن التفجيرات النووية في جنوب شرق آسيا، في بعض مستعمراته جنوب أستراليا، فتدمرت طبقة الأوزون، من الذي أعد هذا؟ من الذي يحول هذا؟

الغريب بعد أن قررنا هذا، أن عليك أن تضرب الأول وعليك أن تضرب تقلب الأحوال، أن البلاد تكون -وهذا في كل البلاد- هناك سنة يأتي المطر، وهناك سنة لا يأتي المطر، سنة يأتي المطر بعذاب، فالآن في أمريكا نحن رأينا في «ساوث كارولينا» كيف أتت المياه فأغرقت ولاية كاملة، فالعلماني والزنديق والجاهلي لا يكشف إلا ما يصيب مثلاً: الفقراء هؤلاء يموتون جوعًا، ولكن لا يكشف ماذا يصيب البلاد الثرية، ماذا يصاب فيها من البلاء، هذه الحرائق التي تصيب أمريكا في كل عام وتصيب أستراليا في كل عام، انظر ارتباط القدر مع الشرع في كل معصيةٍ يقترفها العاصي.

هذا السائل يجهل ما هي آثار شرب الخمر، الخمر شرع -يعني حلال أو حرام- انظر إلى الآثار المرضية المترتبة عليه، أنا أقول لا يستطيع أحد في الدنيا أن يبيّن لنا آثار المعاصي من العقوبات الإلهية كما يبيّنها الغرب الذي يقترفها، انظر إلى معصية الزنى وما جرت من عذاب إلهي، هذا لا يلتفت إليه السائل، لا يلتفت إلى عقوبة الله عز وجل في القِمار، القمار الذي يدمر المجتمعات، كيف يدمر البيوت، هو يرونكم فقط «لوس أنجلوس» مدينة الملائكة، يرونكم الأنوار كيف هي، وكيف النساء فيها، وهذه المناظر، لكن تعالوا إلى ما تروا من مصائب اجتماعية بسبب القمار! وإلى طامات وعقوبات إلهية تنشأ في البيوت بهذه المعاصي.

إذن الجواب نفهمه على ما تقدم...

لكن بقيت قضية وهي: أن الله عز وجل وعد المؤمنين بأن يعطيهم وأن يمدهم ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَكُمْ أَنْهَارًا (١٢)﴾ [نوح: ١٠-١٢]، هذا الفعل الإلهي كذلك محكومٌ بأفعالٍ إلهيةٍ أخرى، وبحكمٍ إلهيةٍ أخرى، منها ما تقدم من قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥)﴾ [البقرة: ١٥٥]، الله يبتلي، ثم بعد الابتلاء يعطي، وبعد العطاء كما قال سبحانه وتعالى: ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ (٩٨)﴾ [يونس: ٩٨]، فالله عز وجل لا يمتع الناس متعةً تامة، الأمم تبيد وتسقط.

للأسف مثل هذا السؤال ينشأ بنظرةٍ قاصرةٍ إلى التاريخ، يعني سنوات معدودة، نحن عشنا أكثر من ألف عام أسياد هذا الوجود، ولم تكن تنشأ مثل هذه الأسئلة، فلما جاء نظام التداول الحضاري بيننا وبين الغرب بفعل عوامل الزمن، الزمن فقط، أمتنا هلكت بفعل عوامل الزمن، ودخلت فيها الأمراض بفعل عوامل الزمن والشيخوخة، وعدم تطبيق الشرع من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يوجد تجديد، ولا يوجد مراقبة للأمراض التي تنشأ فينا؛ فصارت الحضارة الغربية، ونحن ضعفنا، وكم لها هذه الحضارة؟! صار لها مئتين سنة هذه الحضارة الغربية!!، ومع ذلك لم نصبر لنرى يد الله عز وجل الفاعلة فيهم، انظر إلى هذه القرارات، فقط يتحدثون عن جيلين أو ثلاثة أجيال، مئتين سنة تقريبًا ثلاثة أجيال.

يعني الآن المتحدث من الجيل الثالث وكأن التاريخ قد أغلق، هم يؤمنون بنهاية التاريخ هؤلاء السائلين،

يؤمنون بنهاية التاريخ، ما معنى نهاية التاريخ؟ أن الحضارة الغربية لا نهاية لها، والله عز وجل يرد عليهم في آيةٍ واحدةٍ فقط: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ (٤٣)﴾ [القمر: ٤٣]، هذا ردٌ إلهي، هل هؤلاء الكفار خيرٌ من الأمم السابقة؟! أم أن الله أعطاكم براءة بأن لا يهلككم؟! انتظروا.. العالم الآن على فوهة بركان، ونحن نرى السقوط الغربي، وسقوط الأمم، يعني كان الشيوعيون، وكنا نعاني من الشيوعيين، وكانوا يبشرون بالجنة الأرضية، بالفردوس الأرضي، وأن الناس سيعيشون في هذه الدنيا... هذه هي الجنة.. الجنة هي الدنيا! هكذا بشرنا الشيوعيون، والذين هزموا دينيًا وإيمانيًا بفعل دعاياتهم وبفعل أكاذيبهم الكثيرون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، تحولوا.

فرأينا سنة «١٩١٧م» عند قيام الثورة البلشفية هذا الدمار الهائل الذي خلفته، هذا الجوع الذي عاشوا فيه، ماذا نفعتهم؟ ما الذي كان عندهم؟ عندهم مياه من سيبيريا يستطيعون التجارة في جبال من المياه، ولكن أنتم ترونهم يموتون جوعًا، وترون الفقر، وترون الجريمة، وترون العذاب الإلهي، أين الجنة الأرضية؟!

كذلك الرأسمالية؛ مؤذنةٌ بدمار، يحدث فيها المصائب، الهزات التي تمت هي هزات النذارة، وليست النهاية، الهزات السابقة التي حدثت في أوربا وفي أمريكا هزات النذارة، ولكن اصبروا قليلاً، فأنتم لم تقرأوا ألف عامٍ من أمتنا لتعرفوا حكمة الله في عزة الإيمان، فلم تصبروا على مئتي سنة لتروا ابتلاء الإيمان؟!... عجيب مثل هذه القرارات التي تقدر!

هذا ما يحضرني في هذا الباب، ومع ذلك فأنا أعلم أني فقط أجبت رؤوس أقلام على بعض القضايا، وليس على كل القضايا المتعلقة بمثل هذا الموضوع الشائك الخطير، هذا موضوع إيماني يجب عليك أن تفهمه، ومع ذلك أقول لأهل الإيمان: الموضوع في هذه الدنيا إنما هو من أجل ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا (٥٩)﴾ [الإسراء: ٥٩]، إلا بصائر، كما قرأت لكم في سورة القصص ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٤٣)﴾ [القصص: ٤٣]، فقط هي علامات، هذه الدنيا علامات، يعطيك الله عز وجل ذائقة الجمال حتى تتذكر الجنة، يعطيك ذائقة البلاء حتى تتذكر النار، هذه الدنيا هي فقط علامات من أجل الآخرة، كل هذا لا يهم، الذي يهم بعد ذلك بعد الموت ﴿يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (٢٤)﴾ [الفجر: ٢٤]، هنا المشكلة لما تموت وتنتهي، يا مسكين...

قـــــالَ الْمُـــــــنَجِّمُ وَالطَبيــــــبُ كِلاهُمـــــا   لا تُحشَـــــرُ الأَجســـــادُ قُلـــــتُ إِلَيكُمـــــا
إِن صَـــــحَّ قَولُكُمـــــا فَلَســــــتُ بِخاسِـــــرٍ   أَو صَـــــحَّ قَـــــولي فَالخُســـــارُ عَلَيكُمـــــا

يكفي أنني عشت طائعًا لله عز وجل، سعيدًا في بيتي، مطبقًا أمر الله عز وجل، أشعر بالاطمئنان، هناك خيال أعيشه أنني أشعر بالاطمئنان، هذه الدنيا كلها خيالات... هذه الدنيا كلها ذكرياتٌ وخيالات، فإذا كنت أنا فقط متخيل أني أعيش سعيدًا بسبب إيماني بالله عز وجل؛ فهذا الإيمان قد أعانني وقد ساعدني، ولكن «إن صَحَّ قَولُكُما فَلَستُ بِخاسِرٍ وإن صَحَّ قَولي فَالخُسارُ عَلَيكُما».

بعد الموت، كما يقول المثل الهندي -الظاهر الهندي إسلامي-: «بعد الموت في جنة ونار، مش مصدق؟!! موت وشوف»، المشكلة ليست في هذه الدنيا أنك تعيش غنيًا، هذا كله مُفسر، ليس هروبًا من الأجوبة، الأجوبة واضحة وصريحة لمن أراد تقوى الله، أو أراد الحق، أو أراد العقل، ولكن المشكلة لما تموت يا مسكين ﴿يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (٢٤)﴾ [الفجر: ٢٤]، هذه الدنيا ليست هي الحياة، هذه الدنيا دار ابتلاء وممر من أجل أن تُبتلى في قضية الإيمان، ومن ذلك أن تعلم أن الله عز وجل هو الذي خلق فقدر، وهو الذي هدى فشرع، جل في علاه، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، والحمد لله رب العالمين.

٢٥٣- أيهما أفضل: دولة ديمقراطية أو دولة شيوعية؟

ضمن الجلسة الحادية والعشرون، بتاريخ: (**٧/٠٤/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٢٥/١٢/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل يقول: قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله في تفسيره صفحة «٣٨٩» عند قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ (٩١)﴾ [هود: ٩١]، ومنها، أي الفوائد التي استخلصها من هذه الآية أن الله عز وجل يدفع عن المؤمنين بأسباب كثيرة قد يعلمون بعضها وقد لا يعملون شيء منها، وربما دفع عنهم بسبب قبيلتهم أو أهل وطنهم الكفار كما دفع الله عن شعيب رجم قومه بسبب رهطه، وأن هذه الروابط التي يحصل فيها من الدفع عن الإسلام والمسلمين لا بأس بالسعي فيها، بل ربما تعين ذلك لأن الإصلاح مطلوبٌ على حسب القدرة والإمكان.

فعلى هذا-نواصل كلام الإمام الشيخ عبد الرحمن- فلو ساعد المسلمون الذين تحت ولاية الكفار وعملوا على جعل الولاية جمهورية يتمكن فيها الأفراد والشعوب من حقوقهم الدينية والدنيوية لكان أولى من استسلامهم لدولة تقضي على حقوقهم الدينية والدنيوية وتحرص على إبادتهم وجعلهم عَملةً، أي إتباعًا وخدمًا، نعم إن أمكن الدولة أن تكون من المسلمين وحكّام فهو المتعين، ولكن لعدم إمكان هذه المرتبة فالمرتبة التي فيها دفع ووقاية للدين والدنيا مقدمة والله تعالى أعلم.

يقول: من فضلكم ما تعليقكم ورأيكم حول على هذا الكلام؟ ولكم مني جزيل الشكر.

جواب الشيخ: هذا كلامٌ طيب وكقاعدةٍ يقولها الشيخ فهي صحيحة ولا شك، ونحن الآن في وقتٍ فيه خيارات وهذه الخيارات لا يجوز للمرء أن يقيدها على معنًا ثنائي.

أنا أتصور هذه الصورة لما قرأت هذا الكلام تصورت الحالة التي يتكلم عنها مثلاً الشيخ الإمام عبد الرحمن السعدي بين صورة الدولة الشيوعية الشاملة وبين الدولة الأخرى الديمقراطية الحقيقية، بلا شك أولاً: أن هذا لا وجود له في عالم دول الإسلام، ونحن ربما نَعذِر أناسًا قدماء من علمائنا في مطلع القرن في نصرة الدولة الديمقراطية طمعًا بأن تصبح إسلامية، وربما نعذر بعض الجماعات المسلمة حين تعمل على دولةٍ جمهورية كما

يقولون أو ديمقراطية.

يجزمون في رؤيتهم أن أهل الإسلام لن يختاروا إلا أهل الإسلام وبالتالي سيحكم الإسلام، وبالتالي سيكون للمسلمين اليد العليا فيها أو يكون لهم الحفاظ على دينهم، ربما نعذر هؤلاء في الزمن الماضي حيث لا نرى نهايات ومآلات مثل هذه الأقوال والدعوات.

لكننا نرى الآن بوضوح وصراحة، أن هذا مجرد خداع، هذا موجود في الغرب ليس لاختيارنا، الغرب اختار النظام الجمهوري والديمقراطي ليس لاختيارنا، هو بعد أن دخل في صراعات دموية داخلية وحروب أهلية مستأصلة للآخر فتراضوا أن يعيشوا ضمن هذا بعد أن تخلى الجميع عن مطامعه الدينية، فلم يعد هناك دين يتصارع عليه، وإنما هي مصالح وبالتالي؛ تقاسموا هذه المصالح عن طريق هذا التمثيل لكل الطوائف، وأن تحكم الأكثرية، الأغلبية تحكم الأقلية، والحق لهذه الأقلية أن تصارع لتكون أكثرية، هذا هو مبدأ النظام الديمقراطي، فهذا يمكن أن نعذره.

لكن الآن انظروا إلى الحالة فهذه الصورة غير موجودة، يعني في بلاد المسلمين يترك لأهل الإسلام أن يصلوا عن طريق الحكم!! هذا غير مسموح، وحتى في دولة إسرائيل المصطنعة، الدولة التي تسمي نفسها الدولة الديمقراطية في الوطن العربي الوحيدة وهي على هذا المعنى من جهة نسبية مقبولة هذه الكلمة، ولكن أنتم تعلمون لو أن العرب أرادوا أن يكونوا أغلبية في الكنيست لألغيت أحزابهم، والدول هذه تقبل الإسلاميين باعتبارهم صورة مكملة للديكور، وليس كصورة مصارعة لأن تكون هي الأغلبية الحاكمة، لا يقبلون، والتجارب شاهدة على هذا بأن العلمانيين في بلادنا كفرة ملاعين لا يقبلون الإسلام بأي حال من الأحوال لو اختارته الشعوب كلها؛ هم سيحاربون الشعوب وسيقتلون الشعوب وسيبيدون الشعوب وسيدمرون الشعوب، هم لا يقبلون هذا ابداً، هذه القضية يجب أن نتحرر من الوهم فيها وأن لا نبقى نعيش المعركة الأخيرة.

فبعض الأحزاب الإسلامية توهم الشعوب المسلمة بأن هذه المعركة الأخيرة، اذهب فضع هذه الورقة ستكون هي معركة الإسلام الأخيرة التي سيتحقق بها نصر الإسلام، في كل مرة يضعون الشعوب أمام هذا الخيار أنك إن لم تضع الورقة خسرت الإسلام كله، وضعوها لما صارت جبهة الإنقاذ في الجزائر، وضعوا الناس أمام هذا الخيار، لما كان الخيار بين مرسي وغيره بين قضية الدستور في مصر، يضعونك أمام هذا الخيار وأنت تعلم أن هذا باطل،

ولكن الشيوخ يقعون تحت هذا الوهم وبعضهم يعلم أنه يمارس ضغطًا نفسيًا لا علميًا ولا حقيقيًا.

نرجع إلى القضية ما هو الأفضل –حين تكون ثنائية– دولة ديمقراطية بالمفهوم الحقيقي وليس المفهوم الصوري وبين الدولة الشمولية؟

بمعنى ما هو الأفضل دولة ديمقراطية في الغرب يعيش فيها المسلمون ولا يُحاربون ولا يُقاتلون ولا تُحرق مساجدهم ولا تلاحق نسائهم؟ وإلا دولة شيوعية مثل الإتحاد السوفييتي أو الصين؟ لو رأينا إلى حكم الشيوعيين في عدن وحكم العلمانيين في اليمن الشمالي، الآن نتحدث عن وقت حكم الشيوعيين ووقت حكم الليبراليين؟ بلا شك إذا كانت هذه الثنائية فقط إما أن تدخل هذا الباب وإما أن تدخل هذا الباب، فلا شك أن المسلم في داخل بريطانيا أحسن حالاً بصورةٍ لا يمكن مقارنتها بينه وبين المسلم في تركستان أو بين المسلم في الصين أو المسلم في روسيا، لما كان الإتحاد السوفييتي، الدول الشيوعية هي دول دموية دول استئصالية.

فالشيخ عبد الرحمن السعدي كتب هذه الصورة في زمانه في زمن على هذه الحالة، يعني يأتي إليه ناس يقولون: هذه حالنا وهذه حالنا فيرى ويقارن.

لم يجب الشيخ، أجاب من نكون؟ إلى من نذهب؟

الصحابة رضي الله عنهم اختاروا ترك أهلهم وأقاربهم في مكة وذهبوا وعاشوا في الحبشة؛ لأن قاعدة الحكم في الحبشة فيها ملكٌ لا يُظلم عنده أحد.

هذه قاعدة من قواعد الاختيار بين الثنائية لم يكن هناك إما أن تبقى تحت قريش فتعذبك وتقتلك وو... إلخ، وإما أن تعيش وتذهب فتعبد ربك حرًا، لكن هذا لا يعني أن تكون أن تصبح أنت جزءًا من نظامٍ هو كافر، لأنك مسلم لك دعوتك.

قد يقول قائل: أنا لا أفعل، أنا لا أستطيع، الخيار في أنك اخترت هذه الدولة لتعيش فيها، وهذه الدولة من أجل أن تستفيد من الحرية فيها هذا شيء، لكن أنك تنسى أنك مسلم لك اختيارٌ غير هذين الاختيارين، غير الاختيار الليبرالي وغير الاختيار اليساري الشيوعي الدموي، لديك خيارٌ ثالث في الدعوة إلى الله، لا ينبغي أن تتوقف عن الدعوة إلى الله في بلدك، البلد الذي أنت فيه، ولا أن تبين ما هو الإسلام الذي أنت تحمله.

الذي يحدث يا أيها الأخ السائل الكريم ليس ما قاله الشيخ عبد الرحمن السعدي، الذي حدث أن هؤلاء المسلمين دخلوا هذه النظم الليبرالية وجعلوا الإسلام ليبرالي، أنهم دخلوا النظم الديمقراطية وجعلوا الإسلام ديمقراطي، مسحوا الإسلام أذابوه من خلال هذا الاختيار الثنائي بين كفرٍ وكفر، بين كفرٍ عادل وبين كفرٍ ظالم، لكن هناك إسلامٌ عادل نسي هؤلاء الدعوة إليه.

فلذلك لا ينبغي أن يحتج به، هذا كلامٌ جيد عندما يكون الخيار ثنائيًا لا مجال للعمل إلا من خلال أحدهما، أو الهجرة إلى أحدهما، فأنت تختار، أو أن يكون الخيار إما هذا أو هذا فأنت تختار ما هو الأرفق لدينك، أما أن تبقى أنت متماهيًا مع هذا الكفر العادل زاعمًا أنه هو الذي ينبغي أن يدافع عنه وأن يعاش في أكنافه وألا يدعى فيه للإسلام الحقيقي كما يفعل بعض الشيوخ، هذه هي الجريمة الكبرى التي ينبغي أن ننبه عليها.

ما هو مراد الكلام الآن؟ نحن نعيش الآن والأمة تعيش حالة الجهاد، وتعيش اختيار الإسلام والأمة تختار الإسلام؛ فيأتي أحدهم وينهى عن اختيار الإسلام مقابل البقاء في الدولة الكافرة العادلة!! هذا الذي نحن ننبه عليه، فقط هذا الأمر.

بقيت مسألة:

لما قال الله عز وجل على لسان نبيه لوط عليه السلام: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ (٨٠)﴾ [هود: ٨٠]، قال النبي صلى الله عليه وسلم: **(لقد كان يأوي إلى ركن شديد)**، فالنبي صلى الله عليه وسلم قال: **(لم يبعث الله من نبيًا من بعده –أي من بعد لوط– إلا وله من قومه، أي يدافعون عنه.**

شعيب جاء من بعد قوم لوط فكان له من العشيرة والقبيلة ما يمنعوا قتله، فقال الله عز وجل على لسان قومه ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ (٩١)﴾ [هود: ٩١]، هل قال: هذا جيد؟ ماذا أجاب؟ بقي على دعوته ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٩٢)﴾ [هود: ٩٢]، فأنكر عليهم هذا الاعتزاز وهذا الافتخار بالقانون.

الآخر يقول: لولا القانون لقتلتك، فتقول له: أتفتخر بقانون وضعي؟ قلها كما قالها شعيب؛ حينئذٍ تكون

الصورة قد اكتملت في الدعوة إلى التوحيد وبعد ذلك التغير، العالم يتغير؛ تدعو إلى الله فيتغير الناس ولا تبقى أسيرًا لوقتك وأسيرًا لمجتمعاتك.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم والحمد لله رب العالمين.

٢٥٤- الاعتقاد عند الشوكاني وصديق حسن خان

ضمن الجلسة الحادية والعشرون، بتاريخ: (٧/٠٤/١٤٣٩هـ **الموافق لـ: ٢٥/١٢/٢٠١٧ م)**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخٌ يسأل: شيخنا الفاضل فقط نريد منكم تعليقًا وشرحًا لتعريف الاعتقاد الذي عرفه الإمام الشوكاني في الإرشاد «إرشاد الفحول»، وتبعه محمد صديق حسن خان في «حصول المأمول من علم الأصول»، حيث قال: «الاعتقاد هو المعنى الموجب لمن اختص به كونه جازمًا بصورة المجرد أو بثبوت أمرٍ»، -هو وقف إلى هنا- وهو في الحقيقة: أو نفيه، «بثبوت أمرٍ أو نفيه».

جواب الشيخ: هذا لم يختاره، هذا ذكره الشوكاني في «إرشاد الفحول» عندما جاء إلى التعريفات على عادة المناطقة في قضية الحدود والاهتمام بها، وقد جرى على منوالهم الشوكاني، مع أنه من غرائب الشوكاني: أنه جرى على سَنن من قبله حتى لو خالفهم، ومن ذلك أنه لا يقول: بالإجماع، وينفي الإجماع، ومع ذلك قال: لأن الإجماع موجودٌ في أصول الفقه وفي كلام أهل العلم، فتكلم عن الإجماع كما تكلم الأصوليون، المتكلمون قبله، وكأنه من أهل الإجماع، مع أنه تقدم كلامه في نفي الإجماع ومناقشته، وهو أوهن ما في كتاب الشوكاني، أوهن ما في كتاب الشوكاني هو مناقشة الشوكاني الإجماع، وتعجب لهذا الإمام كيف يقع في هذا المزلق!!

الأخ يطلب شرح هذه العبارة، «وهو المعنى الموجب لمن اختص به كونه جازمًا»؛ طبعًا هو يذكر هذا، ويذكر كذلك معنى الاعتقاد بمعنى التصديق، ويذكر التعاريف الأخرى ويمر عليها مرورًا سريعًا، وهذا التعريف الذي ذكره لم يختص به المتكلمين من أهل السنة، إنما قال به غيرهم، يعني تجد مثلاً في كتب الإباضية هذا التعريف عندهم، وكذلك قال به الآخرون؛ لأن المتكلمين في الحقيقة في هذه الأبواب ليسوا على افتراق، يعني تجد المتكلم السني في هذا الباب يتكلم بما يتكلم به المعتزلي، يتكلم بما يتكلم به الزيدي وهم معتزلة في هذا الأمر، أو يتكلم به الإباضية وهم معتزلة في هذا الأمر... إلخ.

إذن هو يتحدث عن المعنى الموجب، بأنه يريد أن يقول: بأن الاعتقاد يعتمد على المعاني، ليس على الألفاظ وليس على الكلمات، هذا من تدقيقات أصحاب الحدود، وأنا ذكرت سابقًا في مجلسٍ سابق: بأن كبار

الأئمة الذين اشتغلوا في الحدود واشتغلوا في التعريفات، اعترفوا بأن أشق ما يقابله المتكلم هو موضوع الحدود، وصرح بهذا الجويني، صرح بلفظه في كتابه عن الجدل صرح بهذا الأمر، فهو يقول: من قال بهذا التعريف أنه يقع الاعتقاد على المعنى الموجب للفظ وليس لذات اللفظ، ويقول: لمن اختص به كونه جازمًا، يعني هذا الذي وقع عليه المعنى يجب أن يكون جازمًا ليكون معتقدًا، وإلا فإنه لا يقع لمجرد اطمئنان النفس، لا يقع على غلبة الظن، إنما ينبغي أن يكون جازمًا فهذا شرطٌ آخر.

أولاً: «المعنى الموجب»؛ أن الاعتقاد يقع على المعاني، ثانيًا: «أن يكون جازمًا» وألا يكون من غلبة الظن أو من المشكوك فيه أو ما شابه ذلك... ولذلك قال: «بصورةٍ مجردة»، ذلك لأن الاعتقادات تقع على التصورات، وكذلك يدخلون فيها التصديقات، التصورات والتصديقات؛ ولذلك هو قال: «بصورةٍ مجردة أو بثبوت أمرٍ أو نفيه»؛ فهنا من أجل إدخال العمل في الإيمان؛ فجعلوا الأمر والنهي يدخل في الاعتقاد، هذا التعريف من أجل إدخال الأمر والنهي في الاعتقاد، وليس لمجرد التصديق؛ لأن التصديق لا يقع إلا على التصورات، وأما على الإنشاءات والخبريات فلا يقع، يعني الإنشاء هو: افعل أو لا تفعل.

فهذا التعريف من خصائصه أنه يدخل الأمر والنهي في الاعتقاد، يقع على التصورات التي يقع عليها التصديقات، ويقع على الأمر والنهي، هذا الذي قالوه، وبالنسبة لمقاربة أهل السنة له أفضل من قضية تعريف الاعتقاد بالتصديق؛ لأن التصديق يقع فقط على موضوع التصورات، ما يصدق وما يكذب، ولا يقع على الأمر والنهي، وأم هذا التعريف فيشمل الأمرين، ولذلك هو أقرب إلى تعريف من يميل إلى الاعتزال وهو أقرب ما يكون إلى ما يقوله أهل السنة.

هذا والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين.

٢٥٥- نهاد درويش وكتابه «الحيل النفسية»

ضمن الجلسة الحادية والعشرون، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٤/٧هـ الموافق لـ: ٢٠١٧/١٢/٢٥ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يقول الأخ السائل: مما أرشدتنا إليه يا شيخ كتاب «الحيل النفسية» لنهاد درويش، الذي طالعته ونسأل الله أن ينفعنا به، لكن ما لم نقع عليه هو السيرة الذاتية لمؤلفه نهاد درويش، فهل للشيخ أن يعطينا نُبذة عن سيرته، فإني قد بذلت جهدي ولم أجدها.

جواب الشيخ: في الحقيقة يعني هناك كتب تعرفها وينتهي الأمر بمعرفة الكتاب، ولا يعرف عن مؤلفه شيء، مثال: تعرفون البيقونية، هذه لا يعرف شيءٌ عن مؤلفها، ولا كلمة، فقط نعرف أن عالماً اسمه البيقونية كتب هذه فأهتم العلماء بشرحها فصارت حتى لا يجهلها طالب علمٍ في الحديث ومع ذلك لا نعرف شيئًا عن كاتبها ولا كلمة، وأعظم متنٍ في متون الحنفية هو متن الخراقي، ومع ذلك نعرف شيئًا، نعرف فقط كلام لا يسمن ولا يغني من جوع.

هناك كتب اشتهرت ولم يعرف عن صاحبها إلا الأسماء، وبعضها كتبت ولم يعرف عن مؤلفيها حتى بالأسماء لا نعرفهم، مثلاً: «إخوان الصفا» لا نعرف شيئًا عن مؤلفيها.

في الحقيقة نهاد درويش هو بلا شك أنه شامي، وكتابه «الحيل النفسية» كتابٌ جميلٌ ورائع ومهم وهو يعالج مرض البدايات وهو التسويف، الحيل النفسية مرض البدايات التسويف، هو الكتاب سرق من بعض المشايخ وكذا فكتبوا عنه وتكلموا عنه وأعطوا المحاضرات كأنها بنات أفكارهم وهي مسروقةٌ من كتاب «الحيل النفسية»، هذا كتاب مهم ويعالج المرض الأكبر الذي نعاني منه ويعاني منه الشباب وتعاني منه الأمة، من ضعف الإرادة -وكنا نتحدث عن الإرادة- عن ضعف الإرادة وعن التسويف فارجعوا إليه واقرؤوه هو كتاب صغير يمكن أن يضعه المرء في الجيب وأن ينتفع به الانتفاع الكثير.

وأنا أنبه إلى فائدةٍ للإمام النووي، استغل هذا الموقف في قراءة الكتب تذكيرًا لنفسي وإخواني بفائدةٍ من الإمام النووي رحمه الله، -لأننا ذكرنا في كلمة الجيب- نحن نعرف أن الغرب من طرق تشجيع القراءة إنتاج

كتاب الجيب؛ وهو أن تحول الكتب الشهيرة إلى صيغةٍ صغيرة يمكن أن يحمل المرء الكتاب في جيبه ويمشي، اليوم طبعًا الناس تركوا الكتاب وتعلقوا بالأدوات المعاصرة المصنوعة مثل الكمبيوتر الصغير، مثل التليفون وهكذا، وإن كنت أنا تقليدي جدًا بحيث إلى الآن لا أعرف القراءة إلا من خلال الكتب، للورق لمسها وسحرها وجمالها وفوائدها، يعني تقلب وتذهب وتخرج وتمشي والكتاب يكون طوع يديك، وأنت في الحقيقة مأسورٌ له، هذا هو سرٌ من أسرار الكتاب، الكتاب أنت تملكه تتحرك به كما تريد وهو يملكك، يُسيرك ويمشي بك وأنت تحب وهكذا، فلا تدري من الذي يملك الأخر، علاقة خادعة بينك وبينه، أنت تحب الخلوة وهو يختلي عليك خلوتك، يدخل عليك خلوتك فلا تدري أهو يأسرك أم أنت تأسره.

الإمام النووي له فائدة أذكرها من فوائد القراءة من أجل أن نعلم قيمة العودة للكتب، الإمام النووي علمنا أنه لا يجوز لطالب العلم أن يهجر بابًا من أبواب العلم أكثر من سنة، يعني عليك أن تمر على أبواب العلم – يتكلم عن الفقه هو– عليك أن تمر في كل سنةٍ على كل أبواب الفقه، فانظر إلى ماذا تقرؤون، يعني عليك أن تقرأ في الأصول، عليك أن تعود إليها، لا تقول أنا قرأت الأصول وانتهى، عليك أن تعود كل سنة إلى كتاب أصول فتعاود النظر في مسائله، وفي كتب الحديث –المقصد مصطلح الحديث– وكتب الفقه وهكذا، فانظر إلى القراءة الجديدة والقراءة القديمة وو... إلخ.

يعني الحياة هي القراءة، يكفي هذه الفائدة فكتاب نهاد درويش «الحيل النفسية» اجعله كتاب الجيب الذي ترافقه إذا خرجت من بيتك واشتغلت به وهناك لمن يشتغل بيديه دائمًا وبعينيه ويخاف حمل الكتب والوقت يضيق به، يوجد كتب التي هي مسموعة، تضع الشريط فتسمع ماذا يقال، أمضي حياتك مع الكتاب، وفي كل وقتٍ ليكن لك خلوةٌ مع الكتاب تكن من العلماء، أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم.

٢٥٦- تحقيق كتاب «المحن»

ضمن الجلسة الحادية والعشرون، بتاريخ: (٧/٠٤/١٤٣٩هـ **الموافق لـ: ٢٥/١٢/٢٠١٧ م)**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل يقول: أدرس في كلية دار العلوم بمصر -يعني هو درعمي، وهذه نسبته: درعمي- دراسات عليا -وفقك الله أخي- وكنت قرأت لفضيلتكم منذ عامين عزمكم على إعادة تحقيق كتاب «المحن»؛ فهل قمتم بخطوةٍ في هذا السبيل؟

جواب الشيخ: كتاب «المحن» لأبي يعرب التميمي، والكتاب محقَّق، وتحقيقه جيد، ولكني كنتُ أعلنت أني بدأت في شرحه؛ فليت العزائم تطابق النيات، النيات كثيرة يا أخي والعزائم ضعيفة، فبدأت بشرح بعضه وللأسف لم أتابع لانشغالي بما يسميه ابن القيم عليه رحمه الله بـ«الماجَريات»، يعني بما يجري من اليوميات التي يسمونها: اليوميات ومشاغلها؛ فللأسف لم يتم شيء من هذا، والأمور كثيرة، يعني انشغالي في الحقيقة بهذه الأجوبة والأسئلة تأخذ مني يومًا كاملاً تقريبًا، وكذا انشغالي بدروس التفسير، وانشغالي بشرح أسماء الله الحسنى، وكلها الإخوة يطلبونها، وكذا انشغالي بمشروع الألف كتاب، وانشغالي بقراءتي، والأجوبة والأسئلة اليومية في العلاقات الحادثة وفي النوازل شغلتني عنه.

والكتاب في الحقيقة لمن لا يعرفه يتحدث عن محنة العلماء، لم يمر على أمتنا عالم إلا وقد أصيب بمحنة، فلذلك هو كتاب المحن يعني فيما وقع للعلماء والحكام والصالحون، لما وقع معهم من محن وابتلاءات، وهو كتابٌ مفيد، وهو على معنى كتاب «الفرج بعد الشدة»، طبعًا لا يتحدث عن الفرج، ولكن يتحدث عن الابتلاء، وأما كتاب التنوخي فيتحدث عن الفرج بعد الشدة وهو من الكتب التي نصح بها المربي الكبير الشيخ علي الطنطاوي، نصح بكتاب «الفرج بعد الشدة» لتنوخي، وهي قبيلةٌ عربية شهيرة، مال أغلب علمائها إلى شيء من التشيع.

القصد: بأن كتاب أبي يعرب التميمي كتابٌ جيد مطبوع محقق لرجل عراقي فيما أظن، وفيه فوائد كثيرة في هذا الباب كنت أتمنى أن انشغل به انشغالاً يتمه، ولكن عرضت لنا العوارض، جزاك الله خير لهذا السؤال وهذا

الاستفسار، وهذه الأسئلة تعرفنا بضعفنا وعجزنا وعن فسخ العزائم، نسب للصالحين قولهم: «عرفت ربي بفسخ العزائم»، لو أن الإنسان يخلق فعله، ولو أن الإنسان إلهًا كما يريد العلمانيون، النتشاويون، نيتشه الذي أعلن موت الإله كذبًا وزورًا بل هو الذي مات، بمرض السفلس، وأن الإنسان السوبر يمكن أن يكون وأن يولد ويمكن للإنسان أن يرقي نفسه بحيث تخضع لإرادته الكائنات لأنه الأعلى والأكبر والأسمى؛ فعلم المرء أنه ضعيف بفسخ العزائم، ينوي ويقرر ثم لا يحصل شيء، يخلق ولا يفري، المرء يخلق ولا يفري لا ينهيه، لا يقيم الأمور على ما ينبغي أن تكون عليه من الكمال؛ فدل على أنه ضعيف؛ فعلم أن الله عز وجل هو الذي يقدر وليس هو، والله عز وجل هو الذي يختاره وليس هو، ولذلك على المرء أن يعترف بضعفه، فجزاك الله خيرًا ذكرتنا بضعفنا وإنسانيتنا ووجوب شكر ربنا سبحانه وتعالى، والحمد لله رب العالمين.

٢٥٧- من أعلم بالحديث: تقي الدين الهلالي أو أحمد الغماري؟

ضمن الجلسة الحادية والعشرون، بتاريخ: (**٧/٠٤/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٢٥/١٢/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: من هو الأعلم في صناعة علم الحديث؟ هل السيد أبي الفضل أحمد بن الصديق الغماري الحسني، أو الشيخ النحوي تقي الدين الهلالي المغربي -الذي هو من أبرز تلامذته أبي الحسن الندوي- رحم الله الجميع؟

جواب الشيخ: بلا شك أن الشيخ تقي الدين الهلالي لا عمل له في الحديث؛ لم يعمل في الحديث قط، وليس له كتب في هذا الباب، وليس له اعتناء به، ولا يعني هذا أنه لم يَدرُس علم الحديث، فإنه قد ثبت أنه هاجر إلى الهند من أجل بعض الإجازات، فلذلك لقي الشيخ المباركفوري الذي شرح سنن الترمذي في «تحفة الأحوذي في شرح سنن الترمذي» وقابله وأخذ منه الإجازات وتلقى عنه الحديث، فلا شك أن له اطلاع، ولكن أن يكون بصيرًا بالحديث وعلله وأسانيده ومصادره وأجزائه ومنتخباته كما كان عليه أحمد بن الصديق الغماري؟ الجواب: لا؛ فأحمد بن الصديق الغماري له اعتناء به، وله محبة لعلم الحديث، وله اشتغال به، وهو أبصر بكثير ممن اشتغل في علم الحديث، الشيخ أحمد الغماري أبصر بالحديث من كثير ممن اشتغل بعلم الحديث، فكيف بمن لم يشتغل به؟! والمقارنة تكون -أيها الأخ الحبيب السائل- يعني بين من ألف وبين من لم يؤلف، من هو هذا الكتاب وهذا الكتاب؟ من هو أقوى في الصناعة الحديثية.

ولا شك أن تقي الدين الهلالي ليس له كتب في الصناعة الحديثية قط، لا في التصحيح ولا في التضعيف ولا في التخريج؛ بخلاف أحمد بن الصديق الغماري، فله كتب في هذا الباب، وكتبه مشهورة ويستفيد منها طلبة العلم، وينظرون فيها نظر المتخصص في هذا الباب، فالمقدم في علم الحديث هو الغماري.

أما في قضية النحو، فلا شك أن الهلالي هو الأشهر، وإن لم يكن له كتب إلا القليل في ملاحقة الأخطاء المنتشرة، وتدل على باع طويل للشيخ تقي الدين الهلالي، أن عنايته بالنحو كانت شديدة، وكان الناس يحبون أن يفصل في النزاع هو، كما يذكر عن كثير من أهل العلم؛ أنهم كانوا يفزعون إليه لحل المشكلات النحوية

الشاقة، فهو إمامٌ خبيرٌ بها عليه رحمة الله، وإن كان اشتغاله الأكثر في الدعوة إلى الله؛ اشتغل في الأمور الإدارية، واشتغل في الدعوة إلى الله وفي تعليم الناس وفي الجلوس في مساجدهم، ولذلك لم يترك الكثير من الكتب العلمية كما ترك الشيخ الغماري الذي كان له اعتناء بالكتب والتصنيف والتأليف، والله تعالى أعلم، والحمد لله رب العالمين.

٢٥٨- إن ثبت عندي حديث صحيح يخالف مذهبي، فماذا أتبع؟

ضمن الجلسة الحادية والعشرون، بتاريخ: (**٧/٠٤/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٢٥/١٢/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل أخ يقول: شيخنا سؤالي لكم، أن ثبت عندي حديثٌ صحيح، حديث واحد مثلاً، يدل على جواز مسألة وعندي معتمد الشافعي يقول بتحريمها أو العكس، قال: فماذا أتبع؟

جواب الشيخ: ولا شك أن هذا الحديث بهذه الصورة وهذا التوصيف فعليه كلام، يعني لا يقبل هذا التوصيف بهذه الحدية أن يكون هناك حديثٌ صحيحٌ لنضع بين قوسين «متفق على صحته» ويقول بالتحريم، ويأتي الشافعي وهو يقول: بالتحليل.

فقبل السؤال ماذا أتبع؟ هل هذا له وجود بهذا الإطلاق؟ الجواب: لا، لا وجود له، ولا يوجد شيءٌ يقوله مذهب الشافعية، يقولون به وهناك حديث يمنعه ويحرمه، ولكن هناك أحكام وهناك اجتهادات في الحديث قد يصح عندك أو لا يصح عند غيره، نعم الشافعي رحمه الله يقول في مسائل بالتوقف حتى يثبت الحديث، ومثال ذلك ما ذكر في «الأم» وجمع أهل العلم المسائل وهي قليلة جدًا من كتاب «الأم»، المسائل التي توقف فيها الإمام الشافعي منتظرًا حكم الحديث.

مثال ذلك: حديث الوضوء من لحوم الإبل، توقف فيها، وقال بعض العلماء بمذهبه، وبعضهم قال بغير ذلك على أساس أن الحديث بهذا التفسير، وليس بهذا النص في الحرمة أو في وجوب الوضوء من لحوم الإبل.

أنا أقول: مثال ذلك الشافعية مثلاً لا يحرمون بيع العينة، الإمام الشافعي في كتابه «الأم» وتبعه وأصحابه وأهل المذهب في عدم حرمة بيع العينة، العينة: هو بيع عاجلٍ بآجل، وهو كما تعلمون أن يشتري منه شيئًا نسيئة ثم يبيعه نقداً بأقل مما اشتراه منه، من نفس الرجل بخلاف التورق لبائعٍ آخر، فالشافعي يجيزه، فماذا يفعل الشافعي في حديث العينة؟ يضعفه، يضعف الحديث، ليس في الصحيحين، والحديث فيه بعض هِنا لا أقول ضعف، ولكنه لم يصل إلى درجة الصحة التي بها تثبت الأحكام عند الإمام الشافعي، فلا يقال حينئذٍ الشافعي هنا خالف حديثًا صحيحًا، هو خالف حديث صحيح عند غيره، ولكنه عنده هو واجب أن يتبعه، وهو أنه لا

يصح عنده، ثم هو لا يرى أن هذا الحديث على قواعد الأصول في قضية أن العقول العبرة بالظاهر فيها وليس بالمقاصد فيها، وله قاعدة شرحها طويلاً في كتاب «الأم» في هذا يرجع إليه.

فالصورة ليست بهذه الحدية التي يعرض بها، لكن لنفترض أنها قد وقعت فما المخرج حتى لا يقال كما قيل عن فقيه، فقيه جاءوا إليه وقالوا له: سقطت فأرةٌ في بئر فماذا نصنع؟ فقال: لماذا لم تغلقوه؟ هذا ليس إغلاقًا للسؤال، الجواب: إذا كنت أنت مثلاً صاحب مذهب أو أنت على مذهب فجاء في المذهب قول، وجاء حديثٌ صح عندك، لنقل صح عندك، أما أن تقول صح عند غيري فهو لم يصح عند إمام المذهب، وأن صح فلربما له تأويل، له اجتهاد فيه، أتحدث عن فقيه، وأتحدث عن متبع كما فصل ذلك ابن عبد البر عليه رحمة الله في «جامع بيان العلم وفضله»، وكما شرح ذلك الإمام الخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه»؛ بوجود طبقة بين المجتهد وبين المقلد وهي طبقة المتبع، مع إنكار البعض لهذه الطبقة.

لو جاء حديثٌ عندك قد صح أو صححه إمامٌ معتبرٌ عندك من أئمة الحديث، يجوز هذا، يعني يجوز للإمام أن يقلد غيره مع إنه مجتهد، في ظرف، كما قال الإمام أحمد: «كل مسألةٍ لا أعرف فيها خبرًا أخذت بقول الإمام الشافعي»، والشافعي يقول لأحمد: «إن صح عندك الحديث فأخبرني به»، فهو يعتمد في التصحيح والتضعيف على غيره، وذاك يأخذ بالاجتهاد من غيره أن لم يصح لديه خبرٌ قديم، هو أولى بالاتباع عنده.

فلو صح هذا ماذا تفعل؟ تأخذ بالحديث لكن على شرط، وهو أن يكون إمامٌ فقيهٌ قد أخذ بهذا الحديث، فإذا ثبت أن المسألة، مثال ذلك: يأتي الحنفي إلى حديث **(ألا يُقتل مسلمٌ بكافر)**، هذا الحديث صّح، والحنفية لا يضعفونه، ولكنهم يحملونه على معنى آخر، فالحنفي ماذا يفعل، هل يأخذ الحديث أم يأخذ المذهب؟ يأخذ الحديث، ولكن هنا شرط وهو أن يكون هذا الحديث قد أخذ به إمامٌ متبع فقيه، ونحن نرى أن الأئمة الثلاثة غير أبي حنيفة عليه رحمة الله، يأخذون بهذا الحديث فهذه القاعدة قد صحت، فلذلك هذا إذا صح عندك حديث من إمامٍ متبع في علم الحديث ومن أهل الصناعة الحديثية ورأيت أن هذا الحديث يخالف مذهبك، وتقدرنا أن هذه الصورة كما رأينا في صورة حديث قتل المسلم للكافر، فعليك أن تأخذ بالحديث بشرط أن يكون هذا الحديث قد أخذ به إمامٌ متبع، والله تعالى أعلم وجزاكم الله خيراً والحمد لله رب العالمين.

٢٥٩- هل يجب على الإمام أن يكون صحيح اللفظ سليم اللسان؟

ضمن الجلسة الحادية والعشرون، بتاريخ: (٧/٠٤/١٤٣٩هـ **الموافق لـ: ٢٥/١٢/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: السلام عليكم، وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، شيخ لدي سؤال هل يجب على الإمام في الصلاة أن يكون صحيح اللفظ سليم اللسان؟

جواب الشيخ: أولاً: نتكلم عن قضية العوارض الخلقية الجبلية التي تعتري المرء من اللدغة وغيرها، فأهل العلم يقولون: من كان كذلك «فإنه لا يؤم إلا بمثله»، أصحاب الأعذار يؤمون بأمثالهم، وبعض أهل العلم يقول: «إذا صحت الصلاة لنفسه صحت لغيره»، فهاتان قاعدتان ينظر فيهما:

الأولى: وهو أن أصحاب الأعذار كمن معه سلس بول، أو معه انفلات ريح، أو معه عذر مثلاً لا يخرج الحروف إخراجًا جيدًا تامًا؛ فإنه يؤم فقط بأمثاله، وهذا هو الأولى في هذا الباب، نعم، يعني إذا وجد غيره فعليه أن يأتمه ويكون هو صحيح اللسان.

بقيت قضية سلامة الحروف أو صحة الحروف بلا شك أن من أعظم ما ينبغي المحافظة عليه بالنسبة للعربية أولاً، ثم للقرآن ثانيًا ومعه العلوم الشرعية ومن ذلك الحديث؛ هو أن تصح مخارج الحروف، بل لو قيل: بأن الترتيل هو الحروف ومخارجها وحسن الابتداء والوقف والانتهاء لصح ذلك، إخراج الحروف على ما هي عليه؛ ذلك لأن اللغات أيها الإخوة الأحبة يبدأ انهيارها وذوبانها وذهابها بفساد المخرج.

رصدت ظواهر موت اللغات، فوجد أن اللغات تموت بموت اللفظ بها وليس فقط في التفكر بها، حين يتكلمون بغير لفظها، وأنتم تجدون أن اللغة اللاتينية تعددت إلى لغات أوروبية بسبب اللهجات، ولذلك وجب على طالب العلم ووجب على كل عربيٍ أن يتعلم مخارج الحروف، والذي حفظ لنا مخارج الحروف هم أئمة اللغة، أول من تكلم عن مخارج الحروف هو الإمام سيبويه رحمه الله في كتابه «الكتاب»، تكلم عن مخارج الحروف وسمى وقسم الحروف: الحروف المصطبة، الحروف المتفشية، حروف الصفير، أول من تكلم عنها هو سيبويه، وكأن هذا الإمام العظيم رحمه الله يعلم -وهو بلا شك خبيرٌ بلغة قومه وخبيرٌ بهذه اللغة الشريفة العظيمة- بأن أهم ما

يحافظ عليه هو ليس فقط البناء، ليس بناء الكلمة، ولكن لفظ الكلمة، لفظ الحروف ولذلك يجب على الإنسان أن يتعلم مخارج الحروف من أين يخرجها، كيف يخرجها، فإذا صحت مخارج الحروف عنده سهل عليه بعد ذلك بقية الأمر.

فالذي لا يخرج الحروف مخارجها بلا شك أنه غير متقنٍ للقرآن، هناك فرق بين التجويد، تجويد القرآن وبين القراءة الواجبة له، بعض العلماء وهذا الأقرب بأن هذه الأحكام، أحكام القرآن من الإدغام من الإقلاب من الإظهار كثير من العلماء يرونها غير واجبة، أنها ليست واجبة، وكثير من أهل العلم خاصةً من المتخصصين في هذا الباب يرونها واجبة، فهي حتمٌ لازم، ويجعلونها داخلة في قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (٤)﴾ [المزمل: ٤]، ولكن لا يجوز لأحد أن يظهر خلافًا في مخارج الحروف، لأنه حينئذٍ لا يكون قارئ للقرآن، الظاء يخرجها زين، وهكذا... تعرفون الناس كيف ينطقون القاف «أ» والكاف «تشا»، وهكذا في لغاتهم العامية ولو استطرد هذا لذهبت اللغة وصار للناس لغات مختلفة، وهذه هي اللغة العامية التي يريدون استبدالها بدل اللغة الفصيحة أو الفصحى.

فلذلك الذي نقوله بالنسبة لهذا الجواب: يعني أصحاب الأعذار يؤمون بأمثالهم في هذا، ولا يؤمون بمن صحت عندهم كمال شروط الصلاة وأركانها، وكذلك في موضوع مخارج الحروف لا يؤتم برجل لا يقرأ الحروف على المخارج التي يتكلم بها العرب، لكن علينا أن ننتبه لنقطة مهمة جدًا، وهو النهي عن التكلف، ذكر هذا أبو علي الفارسي قال: كان العرب يخرجون الأعراب سرًا، هذا ليس من التقعر عندما يريد أن ينصب ويريد أن يجر ويريد أن يضم؛ يأتي بها من أجل أن يتشدق كما تتشدق البقرة ويلوي لسانه وفمه من أجل أن يخرج، هذه ليست من سمة العرب، ليس من سمتهم في الإعراب في النحو ليس من سمتهم، بل يجرونها سريعًا خفيةً، يمرون عليها خفيةً سريعًا، ولا يظهرونها إظهار التقعر وإظهار التفاخر والشهرة، فإذا كانت حركات الإعراب التي هي من العلم العظيم يجرونها على هذا المعنى من الخفية فكيف بالحروف؟!

بعضهم يريد أن يظهر أنه يُعلم الآخرين أنه قد أسرها «بصيرررر» أنت أتيت بها مخففة وكررتها وأبطلت مخرجها الصحيح!! يأتي البعض ويبالغ في التقعر في التفخيم ويبدأ بلوي فمه حتى يخرج عن حد الاعتدال وتبدأ الكراهة له، والكثير منهم يفعل هذا، وهذا يدل على جهله، يدل على أنه مسكين مثل الطفل الصغير لا يتعامل

إلا مع من له صدى وصوت يحب الطبلة، الصغير لو أعطيته مثلاً ورقة لا يهتم بها، يضربها فلا تخرج صوتًا هو يريد شيئًا يخرج صوتًا، يعني أعطيه طبلة صغيرة فيضرب عليها فيفرح بها، هؤلاء كالأطفال يحبون ما يحقق لهم الصدى والصوت العالي حين يقرأون تشمئز منهم، وتتمنى أن ينتهوا بسرعة حتى لا تخرج روحك مع قراءتهم في هذه المبالغات التي يأتون بها.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم.

٢٦٠- هل يقرأ المأموم الفاتحة؟

ضمن الجلسة الحادية والعشرون، بتاريخ: (**٢٠١٧/١٢/٢٥ م الموافق لـ: ٧/٠٤/١٤٣٩هـ**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخٌ يسأل: هل يقرأ المأموم الفاتحة أم يستمع لقراءة الإمام؟

جواب الشيخ: هذا السؤال واضح أنه يتحدث عن قضية الصلاة الجهرية، الفاتحة على خلاف بين أهل العلم، والصواب أنها ركن من أركان الصلاة، خلافًا لأئمتنا الأحناف عليهم رحمة الله، فإنهم يعملون الآية بإطلاق ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ [المزمل: ٢٠]، خلاص ما تيسر منه، فلا يجعلون قراءة الفاتحة ركنًا من أركان الصلاة، وهي عندهم من الواجبات فقط، والواجب غير ركن كما تعلمون.

فما هي أقوال أهل العلم؟ هذا هو القول الأول: بأنه لا يجب عليك أن تقرأ الفاتحة، بل تقرأ ما شئت، ولكن هل إذا قرأ الإمام في الصلاة الجهرية، هل تقرأ أو لا تقرأ؟ على قولين لأهل العلم:

القول الأشهر لأغلب أهل الفقه ولأهل الحديث: هو أنه يجب عليك أن تقرأ الفاتحة في السرية والجهرية، وهذا قول الإمام الشافعي وقولٌ عند أحمد عليه رحمة الله، وعليه الإمام البخاري في كتابه القراءة خلف الإمام، وواضح أن الكثير من أهل الفقه يقولون به إعمالاً لعموم حديث (**من لم يقرأ الفاتحة فصلاته خداج**)، و(**لا صلاة إلا بأم الكتاب**) فيعملون هذا، وكثير من أهل العلم يقولون: لا، في الصلاة الجهرية قراءة الإمام له قراءة، مع أن الحديث عليه كلام.

لكن الآية نزلت في الصلاة كما يقول أبو هريرة رضي الله تعالى عنه، مع وجود رأي له مع وجود الرواية، وهو أن الله عز وجل قال: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]، وهذه نزلت في الصلاة، والإمام الطبري عليه رحمة الله في تفسيره لم يذكر في تفسير هذه الآية إلا أنها في الصلاة، وجوب استماع المأموم للإمام في الصلاة وليس لغير الصلاة، ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾، وهذا اختيار كثير من المحققين كشيخ الإسلام ابن تيمية، وهذا الذي يلاءم الحال، يعني أنت الآن عندما نوجب عليك أن تقرأ الفاتحة خلف الإمام، وعادة الأئمة في كثير من البلاد بل أغلبها لا يصبرون على المأموم في قراءة الفاتحة، يقرأون الفاتحة ثم يأتون

بالسورة القصيرة، والسكتة هذه لم ترد، السكتة بين قراءة الإمام للفاتحة وبين التي تليها وردت سكتة ولكنها لا تصح عند أهل الصناعة الحديثية، يصححون سكتتين فقط للمصلي:

السكتة الأولى: قبل أن يقرأ والتي سأل أبو هريرة رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فأخبره عن دعاء الاستفتاح الذي نسميه نحن بدعاء الاستفتاح.

والسكتة الثانية: بعد القراءة وقبل الركوع، وهذه صحت عن النبي صلى الله عليه وسلم فهاتان سكتتان قد صحتا، وأما السكتة عقب الفاتحة وقبل القراءة للسورة الأخرى فلم تصح عن النبي صلى الله عليه وسلم، فمتى يقرأ المأموم إذًا وهو يريد أن يستمع؟ الشافعية خرّجوا لها مخارج لأنهم يوجبونها بل يجعلون قراءة الفاتحة ركنًا في الجهرية وغير الجهرية، وبالتالي؛ إما أن تقرأ مع الإمام، يعني الإمام يقرأ «بسم الله الرحمن الرحيم»، فتقول أنت «بسم الله الرحمن الرحيم»، فأين الاستماع؟ يقول: عليه أن يسكت سكتة، فإذا لم يسكت، قال: تقرأ معه بعد أن يشرع في قراءة السورة التالية وفي ذلك تركٌ لوجب الاستماع للقرة المأمور به نصًا: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ [الأعراف: ٢٠٤]، فالصواب والله تعالى أعلم الذي يجمع الأدلة يجمع غالب الأدلة، الفقه في مثل هذه المسائل لا يمكن للمرء أن يجمع كل الأدلة، لا بد أن ينظر إلى أغلب ما يمكن الجمع عليه وأغلب ما يمكن التوفيق فيه، وهو أنه في الصلاة السرية على المأموم والإمام وجوب قراءة الفاتحة وأنها ركن فإذا تركها بطلت صلاته، إلا أن لا يدرك المأموم الإمام في القيام بأن يدركه إما في نهاية القيام ولا يتسع الوقت للفاتحة.

وهنا أنبه على فائدةٍ مهمة نص عليه أئمة الشافعية، وهذه من فوائدهم وفرائدهم وهو أنه إذا دخل المأموم صلاة الجماعة مسبوق فعليه ألا ينشغل إلا بالفاتحة ولا ينشغل بدعاء الاستفتاح، لأنه إذا اشتغل بدعاء الاستفتاح وهو سنة -عند جماهير أهل العلم هو سنة- فكيف ينشغل بالسنة وتفوته الفاتحة مع إمكانية إدراكها؟! فلذلك إذا دخل والإمام يصلي وهو مسبوق فعليه أن يدخل بالفاتحة ولا ينشغل بالسنة، ولهم كلام في هذا لا أريد أن أذكره، ولكن هذه من الفوائد التي ينبغي الانتباه لها؛ ففي الصلاة السرية يقرأ الإمام والمأموم وفي الصلاة الجهرية قراءة الإمام لك قراءة، وهي الجامعة لأغلب الأحاديث في هذا الباب، والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين.

٢٦١- سؤال عن بيع التقسيط

ضمن الجلسة الحادية والعشرون، بتاريخ: (٧/٠٤/١٤٣٩هـ **الموافق لـ: ٢٠١٧/١٢/٢٥ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته -وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته- شيخنا بارك الله فيك وفي علمك الذي علّمك الله إياه -آمين وبارك الله فيكم، وإياكم- شيخنا أفتونا مشكورين في حكم بيع شقة بالتقسيط، وصورتها هي: سعرها الكلي «٢٥٠٠٠» ألف دينار، والتقسيط بدون منفعة أو أي شيء، وصورته دفع «٥٠٠٠» آلاف مقدم، و«٢٠٠٠٠» ألف تقسيط لمدة سنتين، وإذا دفعت المبلغ كاملاً بعد سنة تأخذها، هذه صورة أولى، والصورة أيضًا أن الشقة مستأجرة بـ «٣٥٠» دينار، واشترط البائع أن يأخذ جميع الإيجار له حتى يَكمُل التقسيط، وحجته أنّه لم يبعها عن طريق البنك كي يصبر عليك، وأنّ البنك له من المعاملات في الربا، واتفق الطرفان بذلك.

جواب الشيخ: بعد الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، الجواب: أنّ بيع التقسيط على الصحيح جائز، بشرط انفضاض المجلس على أحد السعرين كما يقول الإمام مالك رحمه الله، وهذا الذي أخذ به بقية الأئمة ممن أجازوا هذا البيع، وبيع التقسيط هو العرض بسعرين، سعر مقدّم، وسعر نقدًا، وسعر نسيئة، النسيئة يعني الدين، فأن تعرض الشقة تقول له ثمنها «٢٠٠٠٠» ألف نقدًا إذا دفعت الآن تدفع «٢٠٠٠٠» ألف، وإذا قسطتها تدفع «٢٥٠٠٠» ألف، فهل هذا جائز؟ يقول الأئمة الأربعة: بأنّ هذا البيع جائز، وليس فيه شيء، ورجحه شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم، كما شرح ذلك في شرحه على مختصر سنن أبو داود للإمام المنذري، وبيّن أنّ هذا العمل لا يدخل تحت بيعتين في بيعة، لأنّ بعض السلف من التابعين حرّم هذا البيع وهو سماك بن حرب، كما أخذ بهذا بعض المعاصرين في التحريم وردّ عليهم ردًا -أرجو لطالب العلم إن أراد التفصيل أن يرجع إليه- وهو ردٌ جيد كامل في استقصائه لهذا الباب.

إذن بيع التقسيط جائز، ولكن بشرط ما ذكرنا، وهو أن ينفضّ المجلس على أحد السعرين، ما معنى هذا؟ معنى هذا أن يقول المشتري بعد أن يعرض البائع بضاعته عليه على هذا الأمر، على هذين السعرين، أن يقول له: قبلت، إما أن يقول: قبلت نقدًا، وإمّا أن يقول: قبلت نسيئة، أو دينًا، أو تقسيطًا، بحسب اللفظ الذي

يتفق عليه الناس في أعرافهم، لأنّ هذا من المصطلحات العرفية التي يجوز فيه التغير والتبديل، أو بأي لفظٍ يدل على هذا المعنى، فإذا تمّ البيع وانفض المجلس على أحد السعرين جاز.

النقد ليس فيه شيء، لكن لو انفض على النسيئة والدين، فإنّه لا يجوز الزيادة بعد ذلك، لا يجوز الزيادة بعد ذلك، فإذا تأخر يُعمل فيه بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠]، هذه قاعدة القرآن، ولا يجوز الزيادة، والزيادة ربا، وهذا ربا النسيئة المجمع على حرمته، والذي يكفر المخالف له، وهذا لم يختلف عليه أحد، ربا النسيئة هو ربا الجاهلية، وهو على قاعدة «زد وأربي»، بمعنى زد في الزمن، وأربي في السعر والمال، وهذه قاعدته التي هي أجلى قواعد ربا النسيئة.

الآن لو قال له: تقسيط لمدة سنة، فتأخر لمدة شهر، فلا يجوز أن يزيد عليه، والبنوك الإسلامية؛ لأنّها بنوكٌ مادّية، وأصحابها لا ينظرون إلى قواعد الشرع المعنوية ولكن يهتمّون بالقواعد الظاهرية، ولذلك وقعوا في تخبط في هذا الباب ما لو تأخر، وضعوا أولاً الشرط الجزائي، الآن يضعون الرهن، يرهنون... إلى آخر ذلك، يعني هناك صور جائزة، وهناك صور فيها تحايل كالشرط الجزائي هذا تحايل في الحقيقة على الربا، الآن انتهينا من هذه الصورة، فهي صورةٌ جائزة إذا تمّ هذا الأمر.

بقيت مسألةٌ أخرى في هذا الباب؛ ما لو اتفقا –وهو الذي تعرض له السائل– ما لو اتفقوا على أن يكون نسيئة، دينًا بـ «٢٥٠٠٠٠» ألف، دفع «٥٠٠٠» آلاف، بقي «٢٠٠٠٠» ألف، فدفع لمدة ست شهور، قسّطها لمدة ستة شهور مثلاً، أو خمسة شهور، فحصل لهذا المشتري المال، فجاء إليه وقال: اسمع، أنا أدفع لك نقدًا الدين الذي علي في ذمتي وتنزل لي من المبلغ، القاعدة الأولى أن يزيد بزيادة الزمن قلنا: بأنّها ربا، وهو ربا النسيئة «زد وأربي»، ولكن الآن اختلفت الصورة، وهو أن ينزل من السعر مقابل أن يُعجل في الثمن، هذه قاعدة تناقض القاعدة الأولى، وهذه قاعدة اسمها «ضع وتعجّل»، الأولى «زد وأربي»، وهذه «ضع وتعجّل»، ضع في المال، تعجّل في الزمن، ضع في الدين أنزله وتعجّل في الزمن، فهل هذه جائزة؟ الصواب أنّها جائزة، وشرحه ابن القيم رحمه الله في «إعلام الموقعين»، ورد على الذين يخالفون ردًا، أرجو لطالب العلم أن يعود إليه، لكنّها ليست من قواعد الربا، وليست من الربا، والصواب أنّها جائزة.

أعيد الصورة؛ رجل له دين على رجل، وهو دينٌ محدد الآجل، فجاء وأراد أن يدفع له المال مُعجّلاً قبل

حلول الأجل، بشرط أن ينزل الدائن عن المديون بعض المال، فهل هذا جائز؟ الجواب: يجوز، وهذا يدخل تحت قاعدة: «ضع وتعجّل».

السؤال الثاني الذي سأل عنه الأخ حفظه الله، للأسف هذه تستخدمها البنوك بين قوسين «الإسلامية»، وفيها من الأمور الإسلامية الشيء الكثير، وفيها كذلك من الأمور الموهمة والتي فيها التحايل، والتي فيها كذلك بعض الحرمة التي يغلب على المرء أنّها حرام، وهي؛ الإجارة المنتهية بالتمليك، وهذه لها صورتان نحن سنذكرهما، ذكر السائل في هذا السؤال هنا صورةً لها، وذكر صورةً أخرى كذلك في سؤالٍ آخر وراء ما تقدم من السؤال الذي قرأناه، صورة الإجارة المنتهية بالتمليك، هي: أن يأتي يقول له –نرجع إلى بيع التقسيط، إلى بيع النسيئة– يقول له: بقي عليك «٢٠٠٠٠» ألف عليك أن تسد هذا الدين لي خلال سنتين، وخلال هاتين السنتين أنا صاحب الملك، وعليك أن تدفع لي إيجارًا، فالعقد الذي بيني وبينك هو الإيجار، وبعد أن يتم سداد ثمن البيع كاملاً، فأملكك البيت، يصبح البيت ملكك، فهو إذن إجارة، كما هي صورتها الصورة الظاهرة، كما يكتبونها الإجارة، وحقيقتها البيع، ولا يذكرون في العقد البيع، يقولون: هي قضية مسلمة لنا والثقة وبحسب ما تعلم أنّها تنتهي بهذا وربّما كتبوها.

هذا البيع ناقشت فيه من يتعامل معه من البنوك هنا، هذا العقد باطل، وهو تحايلٌ صريحٌ، صريحٌ، صريحٌ على الربا، ما هي حقيقته؟ حقيقته أنّه بيع، والإجارة تستر، ولكن لماذا جعلوها إجارة؟ جعلوا الإجارة لأنّ الإجارة؛ يجوز للمرء أن يغير الأجرة، رجل أجر رجلاً بيت لمدة شهر على أن يدفع له في هذا الشهر ألف دينار، أجرة البيت أو المكان أو المحل، فبعد انتهاء الشهر يقول له: ننشأ عقدًا جديدًا وتدفع لي «١٢٠٠»، هذا يجوز، لكن لو أنّ رجلاً اشترى هذا البيت بـ «١٠٠٠٠٠» ألف دينار دينًا، وبعد شهر قال له: ارتفعت أسعار البيوت، وأنا أريد منك أن تزيد من «١٠٠٠٠٠» ألف إلى «١٥٠٠٠٠» ألف، فهذا هو الربا، هذا «زد وأربي».

فماذا فعلوا؟ لأنّ زيادة الثمن في المبيع لا تجوز، ولكن زيادة الأجرة في الإجارة تجوز، فجعلوا الصورة الظاهرة إجارة ليتم الزيادة، وفي الباطن هو بيع، هذا هو التحايل، هذا تحايلٌ صريح لا يمكن لفقيهٍ أن يفتي بهذه الصورة، لا يمكن، فلذلك هذا بيعٌ حرام فيه التحايل، حقيقته أنّه بيع، ما هي قاعدة مالك التي تقدمت في قضية

التقسيط؟ قاعدته «على أن ينفض المجلس على أحد السعرين»، هذه مجمعٌ عليها، ولكن هنا لا، لم ينفض المجلس على أحد السعرين، ترك السعر زائدًا من خلال الإجارة تزيد وتنقص بحسب النسبة التي تُجنى على الأموال الربوية في داخل هذه المؤسسات، فلذلك هذا لا يجوز وحرام، هذه صورةٌ الأولى.

الصورة الثانية: فيها تحايلٌ، ولكن فيها بعض التغير في الصورة، فثمن البيت كما يقول في المثل «٢٥٠٠٠» دينار، فيدفع «٥٠٠٠» دينار، وهذ الخمسة آلاف كم تساوي من «٢٥٠٠٠» دينار؟ الخُمس، وأجرة البيت تقدر بـ «١٥٠» دينار، وانتبه أنَّ «٢٥٠٠٠» ثمن البيت، فيدفع مقدمًا «٥٠٠٠» آلاف، وهذه الـ«٥٠٠٠» كم تعادل من الثمن؟ الخمس، فيقول: أنت تسكن بخُمسك مجانًا، والبقية وهي «٢٠٠٠٠» ألف، هذه ملكي تدفع لي الإيجار، ولذلك إذا كان إيجار البيت «١٥٠» دينار، يسقط عنه «٣٠» دينار، خمسه «٣٠» دينار، فخمس «١٥٠» هو «٣٠» دينار، فيقول: أنت تدفع لي بدل «١٥٠» دينار مبلغًا قدره «١٢٠» دينارًا، فيسقط عنك «٣٠» دينارًا؛ لأني أملك من هذا البيت ما ذكرناه، وهو بقية «٢٠٠٠٠» ألف التي هي أربعة أخماس ثمن المبيع؛ فهذه نفس الصورة السابقة ولا فرق بينها سوى التحايل، هذا بيع، وما يهمنا هو الصورة؛ فهذه الصور دائمًا ما يلتفت لها الفقيه وطالب العلم وينظر إلى العلة، ولا ينظر إلى هذه التحولات الزائدة، فالقاعدة الأولى وهي قاعدة مالك: «ينفضُّ المجلس على أحد السعرين»، خلاص؛ هذا بيع أم إجارة؟ -انتبهوا إلى هذه القضية-؛ لأن الفرق في توصيف الفعل، يترتب عليه الفرق والخلاف في الحكم عليه.

مثال ذلك: ما الفرق بين الدين والربا؟ رجل أدان رجلاً «١٠٠.» دينار، يعيدها بعد سنة «١٠٠» دينار، ولو كان هذا بيعًا لم يجز، وكان هذا الربا هو ربا النسيئة، وصورة من صور ربا النسيئة، لأنّ شرط المال النقدي حين يباع، أن يكون يدًا بيد، فإذا اختلفت الأجناس جاز التفاضل، وإذا اتحد الجنس وجب التساوي، فلذلك رجل يدفع لرجل «١٠٠» دينار دينًا، يعيدها بعد سنة «١٠٠» دينار، هذا لو كان بيعًا لو وضع في باب البيع لكان ربا، ولكنّه وضع في باب الدين الذي يقوم على الإحسان، والدين يقوم على الإحسان، والبيع يقوم على المحاقّة، فإذا كان بيعًا كان ربا، وإذا كان دينًا على الإحسان فجاز، انظر توصيف الفعل ترتب عليه الاختلاف في الحكم.

والآن هذا الرجل يجب أن ينفض المجلس على أحد السعرين، لم ينفض، ولكنّه ترك مفتوحًا من أجل

التلاعب في قضية الربا، هو لا يريد أن يقول له: أنا أريد أن أبيعك هذا البيت بكذا، وينفض المجلس على أحد السعرين، ولكنّه يريد أن يبقى مستفيدًا، ولذلك في السؤال؛ لأنّ البنوك تأخذ كذا وكذا، أنا آخذ أقل، العبرة ليست بالقلة والكثرة، العبرة بالتوصيف الشرعي، التكييف الشرعي، ولذلك هذا الذي ذكره من السؤال الثاني في قضية إسقاط الدين الذي يُعاد، انظروا إلى هذه الأكاذيب، ما هو هذا البيع؟ يقولون: هذا أجرة، انتبه ولما تدفع يملكك بعضه، أنت دفعت «٥٠٠٠» آلاف، قلنا أنّ هذه «٥٠٠٠» آلاف من مبلغ «٢٥٠٠٠» ألف الخمس، هو ملكك هذا الخمس، هل يُملك هذا الخمس بدفع أجرة؟ إنّما هو ببيع، فإذن هو بيع، لكنّهم يتخفون تحت الأجرة بمثل هذه العقود التحايلية، ولذلك لا فرق بينهما، هذا عقد باطل غير جائز.

انتبهوا لهذا؛ بيع التقسيط أصلاً هذا فيه خلاف، نحن نقول: أنّه جائز، لكن فيه خلاف، هناك من حرمه أصلاً وقال: يدخل تحت بيعتين في بيعة، هذا قديمًا وهو قول سماك بن حرب كما قلت، وهو قول بعض المعاصرين، كتبوا فيه كُتبًا في هذا، فإذن هو بيعٌ عليه كلام مع أنّه صحيح، لكن عليه كلام، بنوا على هذا الذي عليه كلام، بنوا مسألةً فيها التحايل مع وضوح حرمتها، وبنوا أخرى أكثر وضوحًا في الحرمة، وهكذا تبدأ الأمور تجرّ لحالة حتى ينتهي إلى الربا، كل هذا من التحايل، وهروبًا من قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠]، لا يريدون هذه الآية، لا يريدونها، وهذه قاعدة من قواعد الشريعة في التعامل مع قضية الديون في البيوع وغيرها.

ولذلك هذا بيعٌ لا يجوز، ومحرم، أقصد به هذا الإيجار المنتهي بالتمليك، سواء كانت الإجارة كلية تامّة تؤخذ من الابتداء والانتهاء، أو أنّها تنزل بقدر تملكك الذي يضحكون عليه ويسمّونه إجارة، إذن هي إجارة غير موجودة، ولكنّه تملّك، تملّك جزئي، وبالنهاية تملك كلي، فأين الإجارة إذاً؟ أين الإجارة؟ كل هذا باطلٌ لا يجوز، وأرجو لطالب العلم أن يقرأ في هذه المسألة كلام الإمام ابن تيمية رحمه الله في كتابه «الحِسبة»، في كتابه «الحِسبة» فصّل تدقيق مالك عليه رحمة الله، في هذا الباب، وهو يقول في كتابه «الحِسبة» ابن تيمية، بأنّ مالك من أشدِ الناس منعًا للحيل، انظر هذه لو تفكرنا فيها، لو رأيناها لرأيناها أنها تدخل في هذه الأبواب التي يغلقها الأئمة، منعًا للتحايل، ويمنع كثيرًا من أنواع الشركات من أجل عدم الدخول إلى حيلة الربا.

يأتي الإمام ابن تيمية رحمه الله فيضرب مثالاً في قضيةٍ منتشرة -لا بأس في هذا الطرح لأهميته- وهي قضية

الشركة لعمل الربا، لكنّها في صورتها كما يراها طالب العلم لا شيء فيها، كيف؟ تشارك رجلان في سيارة يعملان عليها، هذا دفع «١٠٠٠٠» آلاف، وهذا دفع «١٠٠٠٠» آلاف، ثمنها «٢٠٠٠٠» ألفًا، فقال أحدهما: من الذي يعمل عليها؟ فقال أحدهما: أنا أعمل عليها، وتعطيني أجرة المثل، بدل أن نشغّل عليها غريبًا، أشتغل عليها أنا بأجرةٍ محددة بمقدار «١٥٠» دينار في الشهر، ليس نسبة لكنّه مبلغ محدد، هذه صورةٌ مجمعٌ على حرمتها، وسبب ذلك يشرحه ابن تيمية، وهذا يمنعه العلماء، يمنعوا هذه الصيغة وهذا العقد؛ لأنّه تحايلٌ يؤدي في صورةٍ من الصور إلى التحايل إلى الربا، هذا الذي نذكره، ويكفي إلى هنا.

جزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

٢٦٢- حكم زيارة المسلم أهله النصارى في أعيادهم

ضمن الجلسة الحادية والعشرون، بتاريخ: (**٧/٠٤/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٢٥/١٢/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل بعد أن سلم جزاه الله خيرًا: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، كيف الحال يا شيخنا الحبيب؟ -الحمد لله جزاك الله خيرًا، رفع الله شأنك- يقول السائل: أخي هو شابٌ مسلم، أسلم قبل أكثر من خمس سنوات وهو يعيش في فرنسا، وفي هذه الأيام العيد الميلادي كما يُسمى، يزور أهله ويجلس معهم مع أنه يعلم أن هذا الفعل حرام وذلك كل سنة منذ أن أسلم، السؤال: ما حكم هذا الفعل، وهل يصل إلى درجات الكفر؟ ثم ما هو موقفي الصحيح تجاهه مع العلم أنني نصحته مرارًا وتكرارًا؟ أخيرًا أريد نصيحة من الشيخ له، كشاب مسلم يعيش مع أهله من الكفار، لعلنا نبلغه هذه النصيحة وأن ننتفع بها جميعًا وجزاكم الله خيرًا.

جواب الشيخ: ابتداءً نعم نحن نعيش ما يُسمى بأعياد النصارى والتهنئة بالعيد بإجماع أهل العلم القدماء أنها حرام، وللأسف تخفف منها المعاصرون وأفتوا فتاوى باطلة لا تمت إلى الشريعة بصلة، فإن العيد أمرٌ تعبدي، والاحتفال به تعبد، ولذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم: **(أيام منى أيام أكلٍ وشرب وذكرٍ لله عز وجل)**، وأبدلنا الله بعيدين، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يظهر الفرح فيهما، فإذن الفرح في العيدين أمرٌ تعبدي، أمر شرعي يتعلق بدينك، وما من دينٍ من الأديان إلا وفيه أعياد، وما من عيدٍ إلا وهو مرتبطٌ بأمرٍ ديني عندهم، وهذا بيّن بالنسبة للأديان للإسلام واليهودية والنصرانية، ولو نظر إلى الأديان الأخرى أو للمجتمعات الأخرى لوجد ذلك بينًا واضحًا.

ومن أجل أنه تعبدي فالعلماء شددوا فيه يعني نرى أن بعض الفقهاء قال -كما عند الأحناف-: «لو أن رجلاً قدم بيضةً في النيروز لكفر»، يعني تعرفون النيروز يأتون بالبيض ويصنعونه على هيكلٍ ما ويزينونه ويتهادون به، ولا أعرفه يعني تفسيره في الدين، وقد غزا بعض البلاد الإسلامية، نحن كنا في الصغر يوجد هذا، النساء في يوم من الأيام ولعله يوم النيروز، -الذاكرة غابت- وقد غاب هذا العيد عن بلاد المسلمين في هذه البلاد، وبقي في بلادٍ أخرى يسمونه بشم النسيم مثلاً، وعندهم الفسيخ وما شابه ذلك.

القصد: بأن أهل العلم من الأحناف عليهم رحمة الله قالوا: بأنه لو قدم بيضةٍ في النيروز لكفر، يعني كأنه ذهب وصلى صلاتهم، فإن تقدمة هذه الهدايا في العيد على هذا المعنى أمرٌ تعبدي، فكأنه عبد عبادةً غير إسلامية، وهذا شركٌ وكفرٌ بالله عز وجل، فانظر إلى خطورة هذا الأمر، لا تستمع لهؤلاء المشايخ الذين يجيزون تهنئة الكافر من المسلم، أو تهنئة المسلم للكافر في أيام أعيادهم، لا تستمع إليهم احذر هذا دين، المسألة ليست متعلقة بفتوى مختلف فيها، أنا أقول لك: لا يوجد عالمٌ من علماء الإسلام السابقين أجاز لمسلم أن يهنئ كافرًا في عيده، ولا أن يدخل كنيسته، هذه قضية يجب أن تفهمها إن كنت صاحب دين وتخشى على دينك ودين الله عز وجل غالي على قلبك، والآخرة مهمةٌ بالنسبة إلى قلبك؛ فإياك أن تنخدع بمن يقول لك: أن هذا جائز أو أفتى به فلان أو علان، هؤلاء محدثون ليس لهم أن يحدثوا في دين الله عز وجل ما لم يعرفه سلفنا.

نرجع إلى السؤال: هذا الأخ الذي أسلم، يقول: يذهب في يوم عيدهم فيجلس معهم، ولا شك هذا الجلوس يترتب عليه أنه يحتفل معهم، فلذلك حذروه في هذا الباب، حذروه ربما هو يعني يفعل هذا إما أنه ضعيف الإيمان فعليك أن تقوي إيمانه وأن تشجعه وأن تضع له البديل، ما هو البديل؟ قل له: زرهم قبل العيد بيوم، أو بعد العيد بيوم، تعذر بما يتعذر به الشباب من الشغل، أذهب فاشتغل شغلاً يشغل يومك، وقل لهم: أنا لم أستطع أن أت فاذهب في يومٍ آخر.

فلذلك انظر إلى سبب هذا قد يكون هذا السبب ما زال الرجل يرتبط مع عائلته ارتباطًا قويًا، أو أنه يخاف أن يظهر دينه في بعض البلاد أن يتهم بالإرهاب أو ما شابه ذلك، انظر إلى السبب وربما هذا الرجل يقلد فتاوى مختلفة، هذا المسلم مسكين لا يعرف يظن أن كل شيخٍ وكل لفة وكل قولٍ هو قولٌ صحيح في الإسلام ويمكن له أن يختار منها ما يلائم حاله، فأنت عليك أن تبحث عن السبب، وعليك ألا تشدد، لا تقول: أنا أهجره، لا، لا تهجره، لا يوجد هجر هذه الأيام، إياك والهجر، الهجر اليوم يعود على الهاجر بالضعف لا على المهجور؛ ولذلك تأمل هذا جيدًا، لا يوجد هجر اتركوا الهجر، لا تهجر أحدًا حتى يكون القرب منه مسيئًا لدينك ومسيئًا لخلقك ومضرًا لك ولحياتك ولقلبك أكثر من القرب منه، فحينئذٍ تهجره، أما مجرد الهجر للعقوبة، لا يوجد اليوم هجر للعقوبة، لا تهجر أحدًا للعقوبة، الهجر للعقوبة من أجل أن يتأذى المهجور فيرتدع عن معصيته أو عن بدعته، اليوم للأسف نحن ضعاف وقلة، والهجر يؤذينا نحن، ويضعفنا نحن فلا تفكر بالهجر الذي مناطه العقوبة لا تفكر بهذا، أن تهجر من أجل مقاصد أخرى، نعم كما ذكرت أن يكون مؤذيًا، فهذا

نعم، أما أن تهجر من أجل أن تردعه ومن أجل أن تزجره فهذا ضعيف اليوم، يجد آلاف غيرك أنت لا تعيش في مجتمعات إسلامية إذا هُجر من المسلمين ضاقت عليه الدنيا فترك ما هو عليه وعاد إلى السبيل القويم، الحالة هذه غير موجودة.

فعليك أولاً: أن ترفق به، أن تبحث عن السبب وأن تعالج هذا السبب، وحتى لو بقي على هذا فإنه ربما يعني مع المدة وطول الحال يصلح ويتغير، هذا الذي أنا أدعوك إليه.

بقيت مسألة وهو أن الأخ سأل في نصح المسلمين في هذا الباب، الذي أدعو إليه: هو الرفق بالمسلمين الجدد، نحن نعاني من أناس عاشوا بين المسلمين وعاشوا في بيئات بدوية حتى يعني سلفية بدوية، وعاشوا في بيئات كذا وكذا من التشدد ومع ذلك تجدونهم يعني يحملون الورود الحمر في عيد الحب، ويلبسون بابا نويل في أعياد الكريسماس النصراني، ويهنئون الكفار في أعيادهم!! فكيف يعني نتعامل مع الذين يسلمون جديدًا!! فعلينا أن نرفق بهم وأن نترفق بهم وعلينا في بلاد الكفر علينا أن نكثر من مجيء الناس إلى هذا الدين لا أن ننفرهم، هذا ما أنصح به مختصرًا والمسألة كبيرة، والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين.

٢٦٣- مسألة في ولاية الأب في الزواج

ضمن الجلسة الحادية والعشرون، بتاريخ: (٧/٠٤/١٤٣٩هـ **الموافق لـ: ٢٥/١٢/٢٠١٧ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل أخ يقول: الأمر يتعلق بأخت ملتزمة ومنقبة أبوها وأمها من العوام يصلون فقط ولا يفقهون في الدين، وأخوها سكير يشرب الخمر والعياذ بالله، وأحيانًا يضايقها على النقاب.

كلام للشيخ: المشكلة في زماننا هذا أنه من النادر حين نصف رجلاً بشرب الخمر أن يكون مصليًا، يعني هذا عند القدماء كان موجودًا، عند العلماء أو عند السلف كان يمكن للمرء أن يكون شارب خمر، ولكنه لا يمكن أن يترك الصلاة، لكن الآن يعني وصف الرجل بالسكير وأنه يشرب الخمر هو وصفٌ بأنه لا يصلي فللأسف هذا هو الأغلب، ويمكن يوجد حالات يعني أنا رأيت بعض من هو مدمن على الخمر ومع ذلك هو يحافظ على الصلاة، حتى على صلاة الجماعة، صلاة الفجر جماعة، يمكن، ولكن الأغلب في زماننا هذا أن شارب الخمر لا يصلي.

نعيد السؤال: وأن أخاها سكير يشرب الخمر والعياذ بالله وأحيانًا يضايقها على النقاب، الأخت تريد الزواج من أخ ملتزم لكن أهلها لن يوافقوا، لأنهم ينظرون للملتزمين على أنهم إرهابيون يعني لا يراعون جانب الدين في الزواج -يعني أهلها- ولو تقدم لها تارك صلاة وفاسق لوافقوا عليه، أما الملتزم فلا، هي تسأل يا شيخ: هل يجوز أن تتزوج من غير إذن والديها في هذه الحالة أم لا؟ السؤال: يعني يقوم شخص آخر بتزويجها مكان والدها مع إني قرأت فتوى في هذه الحالة أنه يجوز لها أن يزوجها القاضي لكن هذا غير ممكن في بلاد تحكم بغير ما أنزل الله، لو تتفضل أخي بتفصيل الفتوى، ومدنا بها وجزاك الله عنا كل خير.

جواب الشيخ: أولاً: يعني يمكن التحايل على الوالدين على هذه الحالة أنهم أهل صلاة وفيهم بساطة، يمكن التحايل عليهم بتقدم رجل يعني يناسبها من أهل الدين الذين يتخفون، لا يكونون على شكلٍ يوحي بالإرهاب كما يعني يخاف الناس، يمكن هذا إذا وجدت مثل هذه الصيغة ولو احتمال يسير فيجب العمل بها؛ لأن وليها على هذه الحالة هو وليٌ ليس بمعضل، إذا وجدت فسحة بأن يقوم هو بالعقد، لأنه **(لا نكاح إلا**

بولي وشاهدي عدل).

لكن لو أن الأمر امتنع البتة؛ فيجوز للمرأة في هذه الحالة أن توكل غير والديها وغير أخيها من أجل العقد وهذا يكون الولي مُعضل، ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ [النساء: ١٩]، فهذا معضل أي ظالم، والولي الظالم تسقط ولايته على هذه الحالة.

ولكن أنا أنبه هذه الفتوى مجردة، ولكن عليها أن تراعي ظروف أهلها، عليها أن تراعي ظروف بلدها، عليها أن تراعي ظروف الحياة الاجتماعية في بلدها، ما لا يمكن أن تتزوج يمكن أن توكل رجلاً صالحًا بأن يزوجها من فلان، ولكن ماذا بعد ذلك! هي تعرف في بلدها، يمكن هذا في الغرب يمكن في بعض البلاد الأمر يسير تتزوج وتمشي ويتركها أهلها ولا تقع المشاكل، وبعد ذلك ربما يرضون ويقولون: الحمد لله تم الأمر وانتهى، هناك بعض البلاد نعم، وهناك في الغرب يوجد.

لكن بعض المناطق لا تحتمل هذا وقد يقع القتل وقد يقع سفك الدماء فحينئذٍ يجب مراعاة ذلك فالأمر يعود إليها وينبغي أن تستفتي رجلاً من بعد هذه الفتوى في قضية جواز الأصل أن تنظر إلى حالتها، أن تستشير حكيمًا، ليس شرطًا أن يكون طالب علم، أن تستشير حكيمًا في بلدها ليعرف ما هي الأمور المقدر حدوثها بعد ذلك، هل يمكن أن تحتمل؟ هل هي يسيرة؟ هي يمكن أن يتجاوزها المجتمع؟ أم أنها ستبقى كبيرة وسيقع فيها ما قلنا من قضية الخصومة والقتل وسفك الدماء؟ فإذا وقع هذا فلا يجوز، لا يجوز لها ذلك.

والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين.

٢٦٤- ما هي طبيعة الأسئلة التي نجيب عليها؟

ضمن الجلسة الثانية والعشرون، بتاريخ: (**١٤/٠٤/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٠١/٠١/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

هناك أمران أريد أن أتحدث عنهما:

الأمر الأول: بالنسبة لطبيعة الأسئلة وما نجيب عنه وما لا نجيب عنه.

الأمر الثاني: يتعلق بالحذف الصادر الذي تم من حذف تقريبًا كل ما صدر من مشروع «ألف كتاب قبل الممات»، يعني وبقي مادة أو مادتين، وكذلك حذفوا «شرح أسماء الله الحسنى»، وكذلك حذفوا أشرطة التفسير.

أولاً: أريد أن أخبر الأخوة: تصلنا الأسئلة متعددة وبلا شك الناس يسألون عن الكتب، ويسألون عن التاريخ، ويسألون عن الفقه، يسألون عن أصول الفقه، ويسألون عن الماضي ويسألون عن الحاضر، يفيدون وكذلك ينتقدون.

ما من سؤال إلا وأُحاول أن أطلع عليه، وللذكر فقط هنا للأمانة الذي يقوم على الأسئلة لا يريني الأسئلة، إلا لما آتي للتسجيل فقط، أي لا أطلع عليها من قبل، لكن لما أطلع أجد أن بعض الأسئلة لا ينبغي أن تطرح على العامة ليس للسبب الأمني فقط، هناك أسئلة نعم لا يجاب عنها بسبب الوضع الأمني، وهذا ليس عيبًا، المهم أن نمشي وإن لم يكن السؤال يتعلق بدين المرء الذي يتم به دخول الجنة والخروج من النار والبراءة من النار؛ فإننا نأجله ويمكن أن نرسل له رسالة ما أو أن يسأل غيري، المهم نتجنب هذا لبقاء هذا الخير الدائم.

فهناك بعض الأسئلة لسبب أمني وهي قليلة جدًا بل أقل من القليل، لكن هناك أسئلة هي بنفسها مشكلة تتعلق بأوضاع ومشاكل بينه وبين جماعات في بلدٍ من البلاد، هي لا ينبغي أن يُجاب عنها في هذه الأجوبة العامة وأنا أتجنب أن أتحدث عن أي شيءٍ يتعلق بمثل هذه بالبيانات أو بالإصدارات، هذه لا تفيد، لو أنني قمت بالإجابة أو التعليق على كل سؤال في هذا الباب لصرت حينئذٍ مصدر شر؛ لأنه تأتي أسئلة من هنا وأسئلة من هناك وكل واحد يحلف أنه الصادق، ونعلم أنه صادق ولكنه يأتيه إما من عدم ملامسته للواقع ملامسة مقاربة، بل هو يسمع من صديق له ويتم النقل بالخطأ، ويتم بالزيادة والنقصان، ويتم تحوير الكلام

لبعض المواقف إلى تحليلات غير صحيحة لكونه يبغض صاحبها أو لتحليلات لأشياء خطأ على وجهٍ من الصحة لأنه يحب صاحبها، فأرجو من الإخوة أن يعذروني في عدم إجابتي لهذه الأسئلة؛ لأن الدين يأمرنا بألا نجيب عنها بل نردها إلى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا (٨٣)﴾ [النساء: ٨٣]، إذا قدرنا نرسله لأصحاب الشأن من المشايخ والمسؤولين فهم الذين ينظرون فيه، وعندهم دين يعني الكل عنده دين بلا شك أنهم يريدون وجه الله عز وجل، وهذا ظننا فيهن.

فهناك بعض الأسئلة فليعذرنا الإخوة لعدم الإجابة عنها، وهناك بعض الأسئلة هي شاقة لأنها تحتاج إلى نوع خاص من العلاقة.

أنا أضرب مثالاً -وأرجو من الأخ السائل وسأجيب على سؤاله اليوم-، أخ طالب علم يقدم رسالة ماجستير أو دكتوراه في جامعة، ويسألنا ما الرسالة التي نقترحها، هذا السؤال رأيته أنا وأعرضت عنه، السبب ليس إعراض المتجاهل له، ولكن مثل هذا الموضوع لا بد من أن أكون قريبًا من الأخ وهذا صعب، يعني مثلاً: بعض الإخوة يسألني هذا السؤال ويكون قريبًا مني؛ فأقترح عليه موضوعًا من الموضوعات، فيذهب بهذا الموضوع إلى الجامعة والموضوع مهم، ولكن الجامعة لا تحب هذا النوع من المواضيع فيردونه، يردونه لا لعدم أهميته، ولكن لعدم اهتمام الجامعة بهذا النوع من المواضيع.

مثلاً: أخ جاءني، قلت له: اذهب إلى الجامعة وقدم عن «أصول، أصول الفقه» كيف تبنى الأصول؟ ما هي مصادر الأصول؟ عندما يقول: «تعليق الحكم بمشتق يؤذن بعلية الاشتقاق»، كيف بنى الأصوليون هذه القاعدة؟ «بالاحتمال يسقط الاستدلال» كيف بناها؟ فعندما تأتي لكتب الأصول لترى مرجع الأصول ترى صفحة أو فقرة صغيرة في الآمدي أو في غيره، ولكن هذه تحتاج إلى بحث طويل في القدرة على الاستنباط، فلما ذهبت مرةً أطلب من دكتور أن يقر، فقال لي: اذهب إلى جامعة أخرى، جامعاتنا لا تحتاج لمثل هذا البحث، ماذا أصنع؟!!

آخر قلت له: اذهب وتكلم عن قياس الدلالة، مثلاً من المواضيع الأصولية الشاقة في كتب الأصول أنهم حين يأتون إلى القياس لا يذكرون إلا مثالاً واحدًا، قضية الخمر والمسكر وغيره مما يعرفه طلبة العلم، ولكن أنت

عندما تذهب إلى كتب الفقه تجد القياس من أول كتاب الفقه لآخره، قياس العلة أو قياس الدلالة، فلماذا لا نبحث عن القياس في كتب الفقه كأمثلة؟ أن نوجد لطلبة العلم القياس الأصولي بشقيه العلة والدلالة نقدم لهم مادة علمية من كتاب يشرح القياس لا من كتب الأصول التي تذهب بعيدًا في القضايا العقلية بعيدًا عن التمثيل، التمثيل الذي فيه الشمول.

فمثل هذا السؤال مثلاً لي أسبابي في عدم الإجابة عليه، أقارن، وهكذا هناك أسئلة تحتاج إلى كتاب، مثلاً أخ يسأل ويكون طالب علم يسأل عن قضية «العذر بالجهل»، يعني هذه تحتاج إلى دورة في العذر بالجهل لطالب العلم، المبتدئ يكفيه مثلاً بعض الأمور والتمثيل ثم المشي، لكن الرجل المتخصص، وأنا أعرف السائل ما هي حقيقته هل هو من طلبة العلم أم هو من المبتدئين؛ لأن الكثير من الأسئلة تنشأ من جلسة مع بعض الناس لا يفهم موضوعًا فيرسل السؤال، أو يرى نقاشًا لا يفهم وجهه فيرسل السؤال، تكون هذه بعض منشآت الأسئلة التي تصل إلي، فأرجو من الإخوة حفظهم الله أن يراعونا في هذا، وهذا اعتذار مني لماذا لم أجب.

وثانيًا: بالنسبة لموضوع الأسئلة أنا أجيب في الأسبوع يومًا واحدًا، فبعض الإخوة يرسل السؤال ويريدني الآن أن أجيب! أنا لست مؤسسة! وربما لا أفتح النت في اليوم أو اليومين مرة واحدة؛ لانشغالي في الحياة، فأنا لست مؤسسة كما ترسل الآن فهناك مؤسسات معروفة الآن، توظف بعض الموظفين من طلبة العلم وهذا إذا جاء السؤال يجيبونه اليوم، أنا لست كذلك! أنا في الأسبوع أخصص يومًا واحدًا للإجابة، فعلى الإخوة أن يعذرونا، إذا كنت مثلاً في نازلة سريعة تريدها الآن فالأبواب العلمية والمشايخ حفظهم الله كثر في هذا الباب.

فهذا حديثٌ عن طبيعة الأسئلة وحديثٌ عن كيفية الإجابة، أرجو أن يستوعب الإخوة ذلك.

الأمر الثاني: وهو موضوع مُؤسف ومُتعب وهو موضوع حذف الإصدارات، يعني المرء يحاول ألا يقارب الواقع كثيرًا، ولكن يعطي طالب العلم الموازين التي بها يقارب هو الواقع بنفسه، يعطيه الموازين ويعطيه الاحتمالات التي يتعامل بها هو مع الواقع؛ للظروف التي تعلمونها، فماذا اختار المرء؟ أنا بدأت بالتفسير وهذا شيءٌ أحبه منذ مدة، والحمد لله كتبت «صبغة الله الصمد» وفسرت سورة «الإسراء»، وفسرت سورة «الأنبياء»، وفسرت سورة «الشورى» وسورة «الشرح»، ففسرت هذه السور وأنا في السجن و«صبغة الله الصمد» هو تفسير لسيرة النبي في القرآن الكريم، فانظر تفسير.

والموضوع الثاني: هو موضوع «شرح أسماء الله الحسنى» وهو موضوع تربوي إيماني عميق ومهم جدًا.

والموضوع الثالث: هو مناقشة الكتب، ومع ذلك هذه لم يصبروا عليها، العادة في اليوتيوب أنه تحذف مادة عليها الإشكال، يقدم ضدها الإشكال والاعتراض فتحذف، لكن يحذف خمسمئة ساعة تقريبًا؟!! فحذفت، وتنزيل هذا شيءٌ شاق بالنسبة لوضعي أنا لست مؤسسة أقول، أقوم أنا وابني وجزاهم الله خيرًا، يعني قلة واحد أو اثنين، يقوم مع الأوضاع وأحواله وكذا... على أوقات الفراغ ومع مشقة وتعب، نزلت على مشقة وتعب ومرات نتأخر لأسباب فنية ولأسباب تتعلق بكمية المساحة المعطاة لنا من الوقت بالنسبة للشركة التي نستأجرها من أجل الإنزال، يعني هناك أسباب كثيرة، المرء يعرض عن ذكرها، ومع كل هذه المشقة في ليلةٍ واحدة جاءوا وذهبوا بها كلها، ولم يتبقى تقريبًا إلا ست مواد فقط، ستة من الاختيارات، حتى إن أحد الإخوة من باب الطرفة قال لي: عجيب أزالوها كلها وأبقوا هذه فقط لا بد أن تراجعهم لماذا أبقوها؟!! ربما لأنها تخدمهم، طبعًا هذا ليس عملاً يتعلق بالشركة التي هي «اليوتيوب»، لا قطعًا هذا عمل مخابراتي بامتياز، مع أن الأعداد التي تسمع لي وتتابع، بالنسبة لأعداد الصحفيين والأفلام واللعب والمسرحيات يعني عدد هزيل جدًا وضعيف، أو مقارنة بالمشايخ الآخرين، العدد لما يزيد عن الألف المرء يشعر بالفرح أنها تجاوزت الألف، الحمد لله المهم هو النوع.

فالقصد: على الإخوة أن يراعونا فيه وأن يدعموا هذا، مثلاً الأخ الذي عنده قدرة أن ينزل عليه أن ينزلها، يجب أن نتعاون على أن نتجاوز هذا، إن شعروا أن فيها الفائدة وتستحق التعب والمشقة، فنحن نعتذر هكذا تم، للأسف أزيلت والإخوة يقولون: أين هي، أين هي؟! اكتشفنا موقعين جزاهم الله خيرًا موقع فارسي، أرجو ألا يكون هذا سببًا للذهاب إلى إزالتها، موقع الفارسي عنده مجموعة من مشروع «الألف كتاب» عليه، وكذلك مشروع آخر نسيته تستطيعون البحث عنه أنتم ما شاء الله عندكم فنون في هذا كذلك فيها مشروع «الألف كتاب».

لكن التفسير وشرح أسماء الله الحسنى للأسف هذه لم يعد لها وجود، وإن شاء الله وعدني بعض الإخوة جزاهم الله خير وهم عندهم المادة أن ينزلوها مرةً أخرى؛ فعلينا بالصبر وبالتأييد والمتابعة، وجزاكم الله خيرًا وبارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٢٦٥- ضعف الهمة في العبادات

ضمن الجلسة الثانية والعشرون، بتاريخ: (**١٤/٠٤/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٠١/٠١/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

هناك سؤلان سأدمجهما في سؤالٍ واحد، أخٌ يسأل: شيخنا أعاني من ضعف الهمة في العبادات، وأخ آخر يقول: ما المقصود بفتنة المؤمن؟ وقوله عز وجل: ﴿**أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا**﴾ [العنكبوت: ٢]، هل المقصود أن الإنسان سيظل دائما مُبتلى وممتحنًا؟ أم أنه يمتحن ثم يوسع عليه إن ثبت؟

جواب الشيخ: أول شيء موضوع التقصير في العبادات، أخي الحبيب: للخروج من هذا تحتاج إلى أمور عدة، المرء كما قال النبي صلى الله عليه وسلم والحديث عند أحمد وصححه ابن حبان لذكره في صحيحه: (**إنَّ لكلِّ عمَلٍ شِرَّةً وإنَّ لكلِّ شِرَّةٍ فترةً فمَن كانت شِرَّتُه إلى سُنَّتي فقد أفلَح ومَن كانت شِرَّتُه إلى غيرِ ذلك فقد هلَك**)، علينا أن ننظر هل هذا الكسل أمرٌ دائم؟ أم أنه خلال صعوده وطاعته وتعبده وإقباله على الله تصيبه لحظة من لحظات التقصير؟ فالحالة الأولى نوقف الكلام عنها الآن.

أما الحالة الثانية: هذه حالةٌ طبيعية، ما من أحدٍ يستطيع أن يبق على حالةٍ واحدة طوال حياته من القوة والهمة، بل لا بد أن يقع بعض التقصير الذي سماها النبي صلى الله عليه وسلم (**فترة**)، هناك فترات ينشط بقيام الليل وقراءة القرآن وتكون هي الغالبة، ولكن يأتي إليه مرات ظروف وأحوال نفسية، بدنية، اجتماعية، عائلية؛ فيكسل، هذه حالةٌ طبيعية، حالةٌ سننية تصيب كل الناس، لكل امرئٍ، النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (**لكل امرئٍ شرةٌ وفترة**)، شرة التي هي ينشط فيها، وفترة التي هي يكسل فيها، قال صلى الله عليه وسلم: (**فمنْ كان فترتُهُ إلى سنتي فقدِ اهتدى**)، بمعنى مع تقصيره في العمل لم يخرج عن حالة السنة، في ماذا؟ في تسمية البدعة سنة، أو في ميله إلى أهل البدع، أو في تبريره لهذا الكسل، (**فمنْ كان فترتُهُ إلى سنتي فقدِ اهتدى**)، عُصم، الله عصمه، فهذه حالة عليك أن تعالجها وأن تصبر معها، وبكثرة الدعاء والاستغفار والإملاء من جانب آخر.

مثلاً: رجلٌ كسل عن قيام الليل، فعليك أن تملأ من جانب آخر، أن تملأ بقراءة القرآن في النهار، أن تملأ هذا، مثلاً النوم صار ثقيلاً عليك، عليك أن تملأه بالتفرغ بين المغرب والعشاء بقراءة القرآن، السلف لهم أحوال

في قيام الليل، هناك من يقوم كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقوم ثلثه، ينام نصفه ويقوم ثلثه وينام سدسه، وهناك من يقوم في آخره، آخر الليل ويقوم بقراءة حزبه الذي هو حزبه، وهناك من الصالحين من يقرأ حزبه بين المغرب والعشاء ويقوم السحر، يصلي قليلاً، يصلي أربع ركعات ست ركعات، يعني نصف ساعة، ساعة يكون على هذا المقدار، هذه طريقة السلف، لهم أحوال عديدة في قيام الليل، فالمرء إذا قصر في حالٍ من العبادة في هذا الباب؛ فعليه أن يملأه في جانبٍ آخر.

مثلاً: رجل كسُل عن قيام الليل يتصدق، يملأ وقت فترته أي كسله بعمل طاعةٍ أخرى؛ بكثرة الذكر، مثلاً: هو ضعف عن قراءة القرآن أو عن تمام حزبه، لا يترك القرآن بالكلية، ولكن ضعف، فليملأه بالذكر والاستغفار وهكذا، فيبقى على صلةٍ بالطاعة ولا يهجر الطاعة بالكلية، يعني لا ينبغي أن يقع فيها المسلم قط، والعابد قط، والمجاهد قط، لا ينبغي أن يكون فارغًا من كل طاعة هكذا، هذا لا ينبغي أن يتخيلها أحد، أن تكون فارغًا من الطاعة، فارغًا من قراءة القرآن، فارغًا من الذكر، فارغًا من الاستغفار، فارغًا من الصدقة، فارغًا من الإحسان إلى المسلمين، فارغًا من بر الوالدين، هذا لا ينبغي.

الناس لهم مجالات في قضية التعبد، الله عز وجل يفتح الأبواب، الأبواب كثيرة إليه، الله عز وجل فتح أبوابًا كثيرة إليه، انظر إلى الذكر «سبحان اللهن والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»، الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، «سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»، الاستغفار، «لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شيءٍ قدير»، الدعاء، الصدقة، الجهاد، الله عز وجل يفتح للعبيد أبوابًا متعددة، لكن أتكلم على جانب التعبد، وهو قضية النسك في العلاقة مع الله، لا ينبغي للمرء أن يكون كسولاً في كل بابٍ من الأبواب، وخاصةً ما يتعلق في العلاقة مع الله عز وجل في باب الذكر والدعاء وقيام الليل وقراءة القرآن، الصلاة لا ينبغي أن يترك المرء صلاة السنن، لا ينبغي أن يترك كل صلاةٍ من السنن والضحى... لا ينبغي هذا.

انظر للإمام أحمد رحمه الله وقد جاء محدث نام عنده وحضر له الوضوء، قام الصبح فلم يجده قد توضأ، فتعجب الإمام أحمد، قال له: أنا مسافر، يعني كيف أنت محدث ولا تقوم الليل، مجاهد ولا يقوم الليل، داع إلى الله ولا يقوم الليل، يخطب في المسلمين ولا يقوم الليل، يشتغل بالفتوى ولا يقوم الليل، انظر، قال: محدث ولا تقوم الليل، قال: أنا مسافر، قال: ولو كنت مسافرًا، لا ينبغي أن يترك المرء طاعة، لا ينبغي أن يترك المرء عبادة،

قبل الفجر لا بد أن تقوم أقل شيء بنصف ساعة، أقل شيء.

فلو فترت فتملؤه بجوانب أخرى من الطاعات مع الاستغفار لأن يعيدك الله عز وجل إلى مقامك الذي أنت فيه، هذا للعارض.

أما المرء الذي هو في الابتداء فهذا يحتاج إلى ترقي، يعني خطوةً خطوة، أن يترقى خطوةً خطوة، عليه أن يتعلم كيف في الابتداء، لا يمكن للمرء أن يبدأ قيام الليل بساعتين، هذا شاق عليه ولا يعرفه، لكن يبدأ بنصف ساعة، يبدأ بساعة، وهكذا.. ويبدأ يزيد ويزيد ويذوق حلاوتها، وبعد ذلك يصبح قيام الليل له سمة، يعني يتقيد به.

كذلك قراءة القرآن، المرء لا يستطيع في الابتداء أن يقرأ سُبعه، الإمام أحمد معروف، والصحابة رضي الله عنهم كانوا يحزبونه إلى سبعة أقسام، يقرؤونه في كل أسبوع مرة، وهكذا كما ذكر الإمام ابن قدامة كثيرًا في «المغني»: أن الإمام أحمد كان يقرأ القرآن نظرًا في كل أسبوع مرة، ولذلك اختلف أهل العلم -خلاف موجود بين أهل العلم- هل أفضل أن تقرأ القرآن نظرًا عن حاضر أو غيبًا؟ وسبب اختلافهم: هو ما رأوا من أنفسهم من قضية التفقه والتفكر في القرآن، الإمام الشافعي رحمه الله يرى أن أفضل القراءة هي القراءة غيبًا، وأنا معه في هذا، الإمام أحمد رحمه الله يرى أن تفكره يكون أقوى عند قراءته بالنظر إلى القرآن، وهذا يعود إلى كل واحد، كل واحد له طريقته، فبعض الناس من خلال القراءة يكون تأمله أقوى، وبعض الناس تأمله في المعاني وهو يقرأ عن غيب هو أقوى، والناس في هذا مذاهب.

فالذي يكون ضعيف في العبادة عليه أن يتقوى ويتعلم، يبدأ الآن بالذكر، يبدأ بالقرآن، في وقت فراغه يقرأ الجزء والجزئين والثلاثة ويبدأ هكذا، وفي الصلوات يبدأ وقت الضحى يقوم يصلي، يبدأ بركعتين ثم بأربعة وهكذا، فحينئذٍ تنشط نفسه، لا ينتظر أن يأتيه الوقت الذي ينشط نفسه لأن يقوم الليل كله، وأن يصلي من صلاة المغرب إلى العشاء وهكذا، لا.. بل ينبغي عليه ألا يترك الطاعة وأن يمرن هذه النفس، النفس تحرن، مثل الفرس شموس النفس، فعليك أن تروضها، أن تروض هذه النفس بالطاعات المتتالية، وإذا أغلقت عليك النفس بابًا؛ عليك أن تفتح لها بابًا آخر من الطاعة وهكذا..

والمطلوب هو كثرة الاستغفار، وأكثر من الدعاء في السجود، تعلم أن تقوم ركعتين فتقرأ فيهما جزء من

القرآن، اقرأ جزءًا من القرآن، تعلم هذا شيئًا فشيئًا، وثم تطيل السجود وتستغفر؛ حينئذٍ تصبح تحس بحلاوة هذا الأمر وبسهولته على نفسك، يصبح حبيبًا إليك، ترغب فيه، والله عز وجل ييسر عليك، والمسألة هي مسألة اجتباء.. انظر إلى مقامك عند الله عز وجل في مقام الله عز وجل في قلبك.. انظر إلى مقامك عند الله عز وجل بمقدار محبتك ووقوفك بين يديه... انظر إلى محبة الله عز وجل لك بمقدار محبتك لكتابه... عندما لا تقرأ القرآن، يمر عليك أسبوع دون أن تنظر فيه، هل تحس بغمة في قلبك؟!، هل تحس بألم في قلبك؟! فهذه مواقف الناس، الله عز وجل يقينهم، فالله يجتبيك؛ فعليك أن تبكي بين يديه أن يجتبيك...

والله أيها الأخ الحبيب عندما لا تحس بالهمة إلى الطاعة، فاعلم أن هذا من إعراض الله عنك، وليس من إعراضك عن الله، «أيها المعرض عنا، إن إعراضك منا» الله عز وجل يبعدك.

ورد في بعض الآثار أن الله عز وجل يقول للملائكة لفلان يقوم: أنيموه، أنيموه، لأنه لا يحب أن يسمع أنينه ولا يحب أن يسمع كلامه؛ لما يحدث به من المعصية في النهار، ومن البغض، الله عز وجل يطرده من طاعته؛ لأنه لا يستحق أن يدخل عليه ولا أن يناجيه ولا أن يسأله ولا أن يبكي بين يديه؛ فيمنعه ويحرمه الله، يحرمه من هذا.

والبعض الله يحبه ويجتبيه، يقبله وهو صغير، انظر إلى أئمتنا وهم صغار، الله عز وجل يحبهم ويقربهم منه، فانظر إلى مقام الله عز وجل في قلبك، حينئذٍ تعلم أين مقامك من الله عز وجل.

هذا التعلق بالقرآن؛ عندما تهجر القرآن، فاعلم أنك قد ضيعت فرصة القرب من الله عز وجل، انتبه لهذا، أنت لماذا تغلق فمك؟ لماذا؟! لماذا تضيع هذه الساعات الطويلة من غير ذكرٍ لله؟! لماذا؟!

أبدأ بها، الله يحب الذاكرين: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، هذه مقاماتٌ عظيمة، إن رجلًا قال: يا رسولَ اللهِ إنَّ شرائعَ الإسلامِ قد كثُرت عليَّ فأخبِرني بشيءٍ أتشبَّثُ به قال: (**لا يزالُ لسانُك رطبًا من ذكرِ اللهِ**)، الله أكبر، فأنت الآن تترقى خطوةً خطوة، وربما الآن لو أقول لك: سبح مئة، تقول: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر» تقول: مئة كثير، والله بعد ذلك بعد المئة تشعر أن هناك من الأوقات ما يمكن أن تسبح الله ألف مرة، وعشرة آلاف مرة، أتحدث لك عن جزء القرآن، والله غدًا ستجد

عندك من الأوقات ما يبارك الله عز وجل فيها فتقرأ جزئين وثلاثة وأربعة وخمسة، انتبه لهذا.

وأنا أكرر نصيحة سابقة: إياك أن تنتظر أن يأتيك الوقت، وأنت تمشي، النبي صلى الله عليه وسلم يستغفر الله بين أصحابه، أنت في الباص في التكسي في السيارة جالس، لا تمضي كل أوقاتك في الحديث مع الناس فيما لا قيمة له، انشغل، اشغل لسانك، (**لا يزالُ لسانُك رطبًا من ذكرِ اللهِ**)، شغل لسانك، القرآن، أمسك المصحف، قل: فقط أريد أن أقرأ صفحة، فقط.

لمن عانى موضوع «الجيم» والرياضة هي القضية واحدة، الهمة واحدة، (**من لا يشكر الناس لا يشكر الله**)، الأمور الفطرية، أمور نوازع النفس واحدة، الذي ليس له همة في الطاعة؛ ليس له همة في الدنيا، تجد الكسل هذا مرض.

كانوا يحدثونا عن كيفية ذهاب الناس إلى نادي الرياضة، الناس يكسلون، يذهبون ويسجلون يداومون يوم ويوم ويكسلون، قالوا: أترك شيئًا تنساه، ازعم أنك نسيت شيئًا في داخل النادي، لتأتي إليه مرةً ثانية، مادام دخلت النادي خلاص، أتحدث عن كل يوم، وليس عن مرة واحدة، إذا دخلت وهكذا، أنت قل لنفسك: أنتِ فقط قومي صل ركعتين، فقط، قل لها هكذا، اضحك عليها، النفس حدثها، النفس عدوة، شيءٌ في داخلك هذا شيء غريب، أنت شيء ونفسك شيء؛ فحدث هذا الشيء الآخر الذي هو نفسك، حدثه، قل لها: فقط أريد منك أن تقرئي فقط جزء، أو تقرئي هذه السورة فقط، أربع صفحات فقط، فما دام فتحت المصحف وبدأت تقرأ أو كنت حافظًا وبدأت تقرأ، خلاص لسانك يبدأ والله يسهل لك.

أنت في البداية تقول: كم أسبح الآن؟ تقول: أسبح فقط مئة مرة «سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم» هذه كم تستغرق؟! ثلاث دقائق، انظر «سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم» مئة مرة ثلاث دقائق، ركعتان معتدلتان أربع دقائق، أرى بعض الناس يصلوها في دقيقتين، لا أدري، أربع دقائق تصور تصلي ركعتين، فأنت فقط قل لها: أريد ركعتين، فتجلس، فتقول: ممكن، معي أربع دقائق أخرى، ماذا أفعل بها؟ قم، افتح المصحف وأمسك المسبحة وسبح «سبحان الله وبحمده»، صل على النبي صلى الله عليه وسلم مئة مرة، كم مرة تستغرق معك «اللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه وسلم»؟ خمس دقائق، أربع دقائق ونصف أو خمس دقائق، فقط لا تزيد.

ذكر «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر» مئة مرة، كم تستغرق؟ أربع دقائق إلى خمس دقائق، تصور أنت تقولها بخمس دقائق، أمعك خمس دقائق في النهار؟ كل عمل تعمله قد يكون بين هذا وهذا العمل أربع دقائق فسبح فيها «سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم» مئة مرة، فحينئذٍ تصبح العبادة لك سمة، تصبح عابدًا لله، تصبح طائعًا لله، النفس لا ترضى ولكن أنت تجبرها، بعد ذلك خلاص، يصبح الذكر لك عادة، فإذا طرأ عليك عارض الفترة أصلحته، رأيت عبادًا ربما يتركون العبادة أسبوعًا كسلاً هكذا وظروف وهموم، ثم يعود إليها، خلاص تعود، كأنه تركها لحظة دخول مستشفى مرض لأسباب، ثم عاد إلى عمله، هكذا هي الأمور، فانتبه لهذا الأمر، ودائمًا اجعل لسانك رطبًا بذكر الله، هذه إياك، إياك أن تظن أنها ليست لها قيمة، أنت حتى تصل إلى درجة المراقبة ودرجة الإحسان هذه تحتاج إلى خطوات في التعامل مع القرآن، في التعامل مع العلم، في التعامل مع الناس، في حب المسلمين، الصدقة، البر بهم، الرفقة بالمسلمين، مراقبة الله محبة الجنة، محبة الشهادة، وأجبر لسانك.

انظر إلى هذا الحديث العظيم -أنا أكرره كثيرًا- لما نزل قوله سبحانه وتعالى: ﴿**لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ**﴾ [البقرة: ٢٨٤]، جاء الصحابة رضي الله عنهم -كما في الصحيحين- إلى النبي صلى الله عليه وسلم، قالوا: يا رسول الله حملنا ما نطيق، واليوم نحمل ما لا نطيق، قال: (**أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين: سمعنا وعصينا، قولوا: سمعنا وأطعنا**)، فجاء في الحديث: (**فزلت بها ألسنتهم**) هذه الإشارة لأن القلوب متعبة وحزينة وفيها رفض، لكن زلت بها ألسنتكم رغم أنوفكم، كيف الصحابة في حلف الحديبية رغم أنوفهم خرجوا يقتضون بأمر النبي صلى الله عليه وسلم -رضي الله عنهم- فجعلهم يحلقون رؤوسهم حتى سال الدم، وهنا زلت بها ألسنتهم، قالوا: سمعنا وأطعنا، الناس يقولون: لا كيف تقولون هذا؟، بل سمعنا وأطعنا، بل نقبل، (**زلت بها ألسنتهم**)، رحمهم الله، ﴿**رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٨٦)**﴾ [البقرة: ٢٨٦]،... لكم ذلك، لكم ذلك... كل هذا لكم... أعطاهم الله... ما أحد يقرأها من المسلمين إلا ويقول: لو كذا... الله يقول: لك ذلك، لك ذلك، فأنت سل الله أن الجنة، سل الله أن يشغلك بطاعته، سل الله أن يرزقك الشهادة، الناس تقول: الشهادة!

أحد أئمة المالكية قال: سألت الله الشهادة عند زمزم، فلما خرجت تذكرت ألم الموت، فأردت أن أذهب فأعتذر، فاستحييت من الله عز وجل، مات شهيدًا.

سؤالك أن تسأل الله عز وجل الشهادة؟ لن يقدم الله عز وجل موتك، وستموت، لكن تموت شهيدًا، فتذكر هذا، تذكر أنك عبد لله عز وجل في ذكرك، أطل السجود، أنت عندما تقوم وتصلي ركعتين أطل السجود، أطل الدعاء، أحدهم كان إذا سجد قال: «سبحان ربي الأعلى» ألف مرة، في كل سجدة في ركعتين ألف مرة، تعود، تعلم هذا، والمسألة في طاعة الله عز وجل جميلة، بعد ذلك تذوق، ذاق طعم الإيمان، تذوق هذه اللذة، لا تفوتها أيها الأخ الحبيب، حينئذٍ أنت تصبح قريبًا من الله، تراقب أمره، تحبه، تحب الآخرة، تذكر النبي صلى الله عليه وسلم وقيامه، فتحبه، تذكر العلماء فتحبهم، هكذا تبدأ هذه المعاني الجليلة الجميلة الجمال الذي يصنع الحب، والجلال الذي يصنع الهيبة فتغزو قلبك، فتحس بها، وتصبح ترقبها، ترقب هذه المعاني، نسأل الله عز وجل أن يعيننا وإياكم جميعًا على هذه الطاعة وهذه المقامات السامية الرفيعة.

السؤال الآخر: فتنة المؤمن، قال: ما معنى أن يفتن المؤمن؟

﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا﴾ [العنكبوت: ٢]، لا أريد أن أطيل عليكم، لكن انتبهوا لهذا... لا يوجد يوم بلا امتحان، ولا توجد لحظة بلا فتنة، عليك أن تتصور حالك كطالب في مدرسة، في كل يوم تأتيك ورقة الامتحان، في كل يوم، فإذا ارتقبت هذا وتوقعته وأقمت نفسك مقام الْمُبتلى الذي يفتن؛ تهيأت له ونجحت.

أحدثكم فقط متى أغضب ومتى لا أغضب: أنا أغضب عندما يأتيني أمرٌ لا أتوقعه، يعني أنا أتوقع من أخ شيئًا فيأتيني خلافه فأغضب، لكن إن كنت مُهيئًا لفعله؛ لا أغضب، يعني عندما أذهب أعلم أن هذا الرجل سيسيئ إلي فأكون متحضرًا للإساءة فأصبر، لكن إن كنت متوقعًا أن يحترمني، فيغضبني ليس بأنه لم يحترمني فقط، بل يظلم ويسيء فأغضب، وهكذا.

إذا أنت توقعت أن هذا ابتلاء، اليوم هناك ابتلاء، في كل يوم تستيقظ تذهب إلى الوضوء تصلي ركعتين قبل الفجر وهكذا، فاليوم هناك ابتلاء، ما هو؟ لا تدري، قد تُبتلى بزوجتك، قد تُبتلى بابنك، قد تُبتلى في مالك، قد تُبتلى بعدوك، قد تُبتلى في بدنك، فأنت توقع، فإذا جاء ﴿هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ [الأحزاب:

٢٢]، رجل ينتظر الوعد، إذن هم قاموا أنفسهم في مقام ابتلاء ﴿هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾، سموه: وعدًا، لماذا وعدًا؟ لأنهم أخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم: **(أنهم لن يدخلوا الجنة حتى يبتلوا)** ففي كل يوم ينتظرون الابتلاء؛ فهذا وعد، كمن ينتظر في كل يوم الهدية التي وعد فيها، فالمرء لا يخرج من الابتلاء، في كل لحظة أنت مُبتلى، لكن هذا الابتلاء يتنوع، يعني فتنة السراء وفتنة الضراء.

المرء كان مسجونًا، فكان مُبتلى، كان يقوم الليل، يصلي لله، يسجد لله، يبكي لرب العالمين أن يفرج عنه، الله عز وجل أعطاه، فماذا قال؟ هذا ابتلاء، كان هو في السجن مُبتلى، أيصبر؟ أم يكفر؟ أيشكر الله على هذه النعمة؟ أم يكفرها؟ أم يتساءل لماذا فعلت بي كذا؟ لماذا؟ ويتغير ويبدل دينه، فهذا مقامه، فإذا خرج وسيخرج ولأن مع العسر يسرا، سيخرج، الآن خرج من فتنةٍ على نوعٍ معين، دخل في فتنةٍ من نوعٍ آخر... هل يشكر؟ هل نسي ربه؟ صلى وصام لأمرٍ كان يطلبه؟، فلما قضاه له ربه، لا صلى ولا صام!! الآن حاله حال ابتلاء آخر، حال الشكر لله، أن يشكر الله عز وجل، أن يديم ذكر ويديم فضله، ويحافظ على ما كان عليه في الابتلاء من الطاعة، نعم، ستذهب عليه الكثير من المعاني في وقت الابتلاء وفي وقت الدعاء، لكن كذلك الله عز وجل يعوضه بمعاني أخرى من الإيمان، وذائقاتٌ إيمانية جديدة، فلذلك يقوم من الشكر لله وكثرة العبادة والإحسان إلى الناس وتذكر إخوانه في السجن والدعاء للمساكين، وهكذا يقوم، فهذا كما قال الإمام أحمد رحمه الله: فتنة السراء وفتنة الضراء، فتنة الصبر وفتنة الشكر.

فالمرء لا يخرج من الابتلاء، إذا خرج من ابتلاء يبدأ ببتلاء آخر، عندما خرج من السجن المسكين فلا مال عنده، هذه فتنة جديدة، عليه أن يصبر، فتنة جديدة أولاده لا يعرفونه، أغلب الذين يخرجون من السجن تحدث لهم مشاكل بعد السجن بسبب طوال المدة.

أحد الإخوة طلب مني مرة أن أتكلم عن هذا الباب، ماذا يحدث عقب السجن من حالات؟ أغلبها للأسف لا يقوم الناس فيها بمقامات السنة الطيبة بعد السجن؛ فيقع مثلاً الطلاق، يقع مثلاً الخلاف بينه وبين أبنائه وتتغير الأحوال، فالسجن والخروج منه يحتاج إلى فقه في التعامل مع الزوجة والتعامل مع الأولاد والتعامل مع الحياة، مثلاً: هو غاب خمس سنوات أو عشر سنوات أو خمسة عشر سنة، يخرج فيجد الأولاد كبار، عليه أن يتعامل معهم بالحكمة، ويجد الزوجة أنها قد تمرست على أن تقضي حاجات البيت بنفسها، وفيها

الاستقلال في قضية قبض المال وصرفه لأنه هكذا تعودت، فهي في هذه السنين الطويلة وهي قابضة على زمام البيت وقيادته، وهو يخرج يريد أن يغير في لحظة، حينئذٍ يحصل الكسر وهو الطلاق.

ولذلك حتى هذا يحدث عند الكفار، يعني قرأت لـ«باولو كويلو» صاحب الكتاب «الكيميائي»، في لقاء صحفي معه، يقول: عامة من يخرج من ابتلاءات السجن تنكسر علاقته مع زوجته، وهذا وجدته، حتى نيلسون مانديلا طلق زوجته مشيل أظن بعد السجن فالحياة تختلف، ورأيت بعض إخواننا بعد السجن كذلك ساءت علاقته مع أبنائه ومع زوجته، بل حصل الطلاق، أو تغيرت عليه أمور.. فهذا بسبب عدم قدرتهم على فهم هذا الواقع الجديد، والتعامل معه بالحكمة والسنة.

فهذه أمور ينبغي أن يعرفها لما يدخل في بلاء جديد، مثل بلاء كسب المال، بلاء تحصيل العمل، بلاء التعاون مع الزوجة، لا يوجد فترة ولا يوجد لحظة بلا ابتلاء ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ١-٢]، فالحياة بلاء والموت بلاء والخير بلاء والشر بلاء؛ فعلى المرء أن يفهم هذا وأن يتعامل معه، الناس يتعبون لجهلهم من فتنة الضراء ويرتاحون من فتنة السراء، لا والله، لو علموا لرأوا أن فتنة السراء أشد عليهم في أبواب، كما كان شأن الإمام أحمد رحمه الله كما ذكر عن نفسه: لما ابتلي بإكرام المتوكل له وإدخاله في داخل القصر... إلخ، ابتلي حتى أنه لم يأكل من القصر حتى اخضر جسمه واسود وكاد يموت، فهذه فتنة، أنت لما تكون مبتلى بالإقصاء ثم تفتح عليك الدنيا وتستقبل وكذا... كيف يكون دينك؟ هل تشكر الله؟ هل تكون في داخلك العبودية لله؟ هل تدخل -بعد أن فتحت لك الدنيا- تدخل على محرابك وفي خلوتك، فتبكي لله عز وجل كما كنت تبكي وأنت في السجن ليفرج الله عنك؟ تدخل تبكي شكرًا لله على نعمته، ودعوةً لله ألا يفتنك، وألا يضلك، وألا ينسيك درب الآخرة؟ المرء مبتلى.

وأذكر لأهمية هذا الأمر: أنك إن حضرت نفسك لهذا؛ لن تفاجئ وتتعامل بما أمر الله، كمن يحضر نفسه للموت، هو لا يُفاجئ لا يخاف من الموت، هو محضر نفسه له، هو محضر نفسه للبلاء، ولكن يسأل الله دومًا العافية.

تعلمون أن الإمام أحمد رحمه الله قال: ادعوا الله أن يعطيكم مع العافية، لأن الله إذا أراد أن يمكن القرآن

فمكنه في القيد، فادعوا الله أن يعطيكم الأمر مع العافية، وخير ما يُعطى المرء بعد دينه العافية، ومن العافية أن يعطيك الله عز وجل رزقك فلا تحتاج لأحد، ولا يكون باغيًا عليك.

أعجبني أحد الإخوة جزاه الله خيرًا والله كلمة من أنفع ما استفدت منها، وهو رجلٌ طبيب وله دخلٌ جيد، ولكنه يعني دخل ليس كدخل الأطباء والذين يستغلون المرضى، فقلت له: أنت أضعت كثيرًا من أوقاتك وليس معك المال كأقرانك، فقال: الحمد لله، لو كان معي مالٌ أكثر مما هو معي لفسد أبنائي أكثر، وذلك لحكمة نظره إلى الواقع، أنه كلما كثر المال طلب الأولاد، وكلما طلب الأولاد خرجوا عن الدين، طلبوا الأشياء.

تصور أن رجلاً من المتدينين معه مال، معه مليون؛ فأبناؤه يطلبون مصروف في كل يوم ثلاثين دينار، ابنه ثلاثين دينار، البيت كامل، بيت كامل لا يصرف هذا المبلغ، كلما كثر مالك كلما طمع فيك أولادك، وهذه من الفتن، فأنت مُبتلى، أنت أيها العبد مبتلى، وعند موتك تُبتلى فالشيطان يأتيك ليشربك الماء من أجل أن تسجد له، أنت مُبتلى، وعندما تدخل في قبرك ستفتن، من ربك؟ وما دينك؟ حتى تخرج صافيًا مُنقى، ويقول الله عز وجل للملائكة: هذا الذي قلت: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٠)﴾ [البقرة: ٣٠]، انظروا إلى يوسف ابتليته، تقولون: أنا أجتبيه من غير سبب، انظروا، أتستطيعون هذا؟ في داخل القصر يُبتلى ويقول: ﴿إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ [يوسف: ٢٣]، انظروا إلى أيوب كيف صببت عليه البلاء صبًا فلم يكن إلا في مقام الذكر والشكر وسؤال الله والاستغاثة به، انظروا إلى مقام يونس في داخل الظلمات يدعو الله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧)﴾ [الأنبياء: ٨٧]، انظروا إلى مقام محمد صلى الله عليه وسلم: (**اللهم إن لم يكن علي غضبٌ منك فلا أبالي لك العتبى حتى ترضى**)، فالله يباهي، انظروا إلى عبدي عرضت عليه الدنيا فلم يقبلها.

هذه مقامات، فكن أنت هذا، كن أنت... كيف؟ عليك أن تفهم أن كل فرصةٍ من البلاء هي بابك إلى الجنة، الملائكة تسجل، الله عز وجل يريد منك الخير، دُعيت إلى الدنيا، دُعيت إلى المعصية، دُعيت إلى الخروج من الطاعة، فتذكر هذا مقامٌ أريد أن أثبت فيه أني عبدٌ لله، إياك أن تقول: لا، بس أمر من هنا بعد ذلك أعود، لا، لا ينفع، من تعود على الهوان هانت عليه نفسه، من تعود الهوان هان عليه دينه، إياك... إياك، فالحياة فرص، وفي كل موقف اعلم أنه من الابتلاءات التي أقامك الله عز وجل فيها لتُبتلى، فكن هذا،

وللاستعانة على هذا ارجع إلى الكلام الأول، لا ينفع كما كلام العوام عندنا: «العليقة عند الغارة ما تنفع».

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ [آل عمران: ١٥٥]، تقصيرك في الطاعة في وقت الراحة هو الذي تجده ضعفًا في قلبك وإرادتك وهمتك في وقت الابتلاء، فقوي نفسك في أيام الراحة مع القرآن، مع الدين، مع ذكر الدار الآخرة، مع الاستغاثة؛ فحينئذٍ تنجح وقت الامتحان.

اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك، وجزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

٢٦٦- كيف يستطيع الإنسان معرفة نفسه أنه مقصر؟

ضمن الجلسة الثانية والعشرون، بتاريخ: (**١٤/٠٤/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٠١/٠١/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل أخ يقول: كيف يستطيع الإنسان أن يكتشف نفسه أنه مُتبعٌ للهوى، أو يكتشف نيته إذا كان فيها شوائب؟ وكيف يصلح نفسه في تلك الحالة؟

جواب الشيخ: قبل كل شيء سيبقى الإنسان جاهلاً بنفسه ومتهمًا لها، سيبقى على هذه الحالة؛ وهذا من الإيمان، ومن التعبد في قضية بقاء اتهام نفسه أنها مقصرة وأنها مذنبة وأنها صاحبة هوى وضعف وجهل، وكذلك عليه أن يبقى، وسيبقى جاهلاً بنفسه، من أنا؟ وما هي نيتي صلحت أم لم تصلح؟ سيبقى على هذه الحالة طوال حياته حتى يموت، وهذا من الإيمان كما قلت.

وهذه قضية بينه وبين الله عز وجل، عليه أن يبكي في السجود بينه وبين الله عز وجل، وفي يدعو دعائه أن يغفر الله له، يغفر له ذنبه، ويغفر له جهله، ويغفر له ضعفه، ويغفر له إسرافه على نفسه، ويغفر له اتباعه لهواه، وهكذا، فيبقى مستغيثًا بالله عز وجل حتى يأتيه الموت وهو على هذا الخوف؛ فالله عز وجل يرفع شأنه ويعافيه، ويجبر له كسره ويجبر له ضعفه، ويجبر له إسرافه على نفسه وهكذا.

لكن كيف يحاول المرء أن يخرج من هذا لو كان فيه؟ اتباع الهوى: هو أن يعرض الدين على نفسه، ويعرض الحق على نفسه، يمكن للمرء أن لا يكون متبعًا لهواه في كل شيء، لكن في باب يتبع هواه، يعني عندما تأتي خصومة فيميل إلى أحد الفريقين، هذا اتباع للهوى؛ الهوى يقابل الهدى، ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى (٢٣)﴾ [النجم: ٢٣]، فالهدى يقابل الهوى، ويقابل اتباع الظن، فالأصل؛ هو أن تتبع الحق، واتباع الهوى هو رجل تعرض عليه الطاعة، يذهب إلى المسجد أو لا يذهب؛ فيتبع الهوى وينام، يكون معه المال فيحضر له الفقير، فهل يعطيه أو لا يعطيه؟ هذا اتباع للهوى؛ يعرض عليه القضية؛ فيحكم لأحد الفريقين اتباعًا للهوى، تعرض عليه السنة والبدعة فيختار البدعة هذا اتباع الهوى؛ فعليه أن يراقب نفسه في هذه الحالة، الهدى مقابل الهوى، والهدى هو دين الله عز وجل؛ السنة، العدل، الصدق، الحكم بالحق،

العبادة، الطاعة، اتباع الشيطان أم اتباع الرحمن؟ وهكذا. فعليه دائمًا أن يعرض هذه الأمور على نفسه، ولا يختبرها، لكن إذا وقع في الاختبار، عليه أن ينظر إلى قلبه، ثم ينظر لاختياره، قلبه ربما يميل، لكن يجاهد نفسه لئلا يقع ويتبع الهوى، فيتبع الحق؛ فهذا انتصر على هواه.

رجلٌ دعته نفسه –أذن المؤذن– فدعته نفسه للجلوس فانتصر عليها هذا متبع للحق وليس متبع لهواه؛ متبع للهدى، هذا رجل عرض عليه مالاً من أجل أن يحكم بالباطل، فرد المال؛ هذا متبع للحق معرض عن الهوى، ولو أن نفسه مالت إلى المال في لحظة من اللحظات، ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ﴾ [التوبة: ١١٧]، ﴿كَادَ يَزِيغُ﴾.

الله عز وجل قال عن يوسف عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٢٤)﴾ [يوسف: ٢٤]، انتصر فهو متبع للهدى؛ فعليك أن تنظر إلى هذا، أنت الآن نفسك تكره فلانا لماذا تكرهه؟ طيب.. هل كرهك له مانع من أن تقول فيه الحق؟ فأنت تنظر إلى هذا أمتبع للهوى أم متبع للهدى؟ اتباع الهدى هو الذي يبين لك المخالف له، واتباع الهوى هو إذا سرت وراءه دون أن تتبع الهدى فحينئذٍ أنت متبع للهوى، عليك أن تنظر إلى هذا في أحكامك، في أقوالك، في اختياراتك، فالله عز وجل يرحمنا وإياك، والحمد لله رب العالمين.

٢٦٧- كلمة في الثورة الإيرانية

ضمن الجلسة الثانية والعشرون، بتاريخ: (**١٤/٠٤/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٠١/٠١/٢٠١٨ م**)

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى صحبه الغر الميامين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ وهدى وتقى إلى يوم الدين، جعلنا الله عز وجل وإياكم منهم، آمين، آمين.

طلب بعض الإخوة أن يكون هناك حديث خاص عن الوضع الإيراني وعن المظاهرات وعن وضع أهل السنة في مثل هذه الأحداث.

جواب الشيخ: ابتداءً علينا أن نفهم بأن هذه الدولة الخبيثة التي سماها موسى الموسوي «بالثورة البائسة»، وإن شاء الله سأناقش هذا الكتاب لأهميته، ولعمق طرح صاحبه له، وموسى الموسوي مرجع من مراجع الشيعة الذين خرجوا عن إطار ولاية الفقيه، وسأناقش أوضاعه ما أصاب فيه وما نجح فيه وما أخفق فيه إن شاء الله في مناقشة لكتابيه «الثورة البائسة» و«الشيعة والتصحيح» يوم السبت في مشروع «ألف كتاب قبل الممات».

لكن بلا شك هذه ثورةٌ بائسة، خرجت على رجلٍ مجرم، ولاشك أن الشاه هذا الرجل الأمريكي الذي كانت أمريكا تعده خط الدفاع الأول الذي يسمى بخط الحجاب عسكريًا ضد الاتحاد السوفيتي، ومع ذلك بسبب النزعة الكارتريا، في وقتها كارتر كان هو الرئيس الأمريكي، له نزعة ما، لم يتطوع للدفاع عنه، فسقط نظامه وتولى الملالي المجرمون، وخاصةً الخميني تولى قيادة الثورة، مع أن الثورة عند كل دارسيها لم يكن الخميني إلا رقمًا صغيرًا في داخلها أو الملالي على الجملة لم يكونوا إلا رقمًا صغيرًا في داخلها، الثورة قام بها سياسيون، وقام بها حزب «خلق» الإيراني الذي كان يجمع بين الإسلام وبين اليسار، أو كما كان يسميه البعض: «اليسار الإسلامي» كانت له نظرات اشتراكية اقتصادية، فيميل إليها، وكان له بعد إسلامي ما يعني تطوري خارج عن المرجعية الشيعية التقليدية المعروفة.

المهم هذه الثورة عموم المسلمين قد ناصروها، وأصحاب الحركات الإسلامية الذين تصطبغ حركاتهم بالبعد

السياسي أيدوها، وبدأوا يسوقونها باعتبارها منتجًا إسلاميًا خالصًا ليس مذهبيًا، بل إن بعضهم اشتط في القول فذهب إلى أن هذه الثورة هي نتاج فكر سني، حتى إن بعضهم نعم بأن سيد قطب وأفكار سيد قطب هي التي دعت إلى هذه الثورة، وأنتجت الثورة في داخل المجتمع الإيراني، وهذا غير صحيح البتة، لا يمت إلى الواقع ولو بجزء يسير جدًا من الحقيقة.

المهم أهل السنة تعاملوا معها، حتى أهل السنة في الداخل يعني البلوش، الشيخ عبد العزيز البلوشي رحمه الله تعامل معها بإيجابية، ولكن هذه الثورة أبدت عن نواجذها الدموية والطائفية بحيث تبنت المذهب الاثني عشري كما يسمونه، وهو مذهب الرافضة كما يسمونه أهل السنة وهي التسمية التي هم يقبلونها في كتبهم التاريخية، هذه الثورة آمنت على لسان زعيمها الخميني بتصدير الثورة، ولأن بعض الجماعات رأتها تصديرًا إسلاميًا من أجل القضاء على نظم علمانيا ويسارية كالقضاء على حزب البعث في العراق، فسكتوا عنها، وأمّلوا فيها الخير، ليس فقط الحركات المسيسة، ولكن كذلك بعض المشايخ رأى فيها هذا.

الذين وقفوا ضد هذه الثورة أغلبهم هم الأثريون، ونظروا إلى الرافضة باعتبار تاريخها، وهذه دراسةٌ صحيحة، الواجب علينا دائما، -وهذه أكررها مرات ومرات- بأن الواجب علينا أن نقرأ أي حركة من خلال معتقد صاحبها، إذا أخطأنا قراءة المعتقد وهو الباعث للحركة حينئذٍ نضل، ولا نستطيع أن نصف الحركة وصفًا صحيحًا، وربما نتوافق معها في الابتداء فيكون الأثناء والانتهاء دمويًا بالنسبة إلينا، قاتلاً بالنسبة إلينا، ووقعنا كثيرًا.

أهل السنة مشكلتهم، وهي ليست مشكلة، ولكنها للأسف طغت على طريقة طغيان جوانب وضمور جوانب أخرى، لأن أهل السنة هم الأصل، فيتعاملون مع الآخرين تعامل الرحمة، هذه الرحمة حسنة وإيجابية، ولكنها زادت عن حدها وضمر في جانب من جوانبها حس الحذر، حس الحذر طغت عليه قضية الرحمة واستيعاب الآخر، والآخر ملعون وخبيث فبالتالي؛ حس الحذر سقط عندنا وصار هناك تعامل مع الآخرين بعدم النظر إلى معتقدهم، يعني نرى أن الذين ضحك عليهم في تاريخ الحركة القومية المعاصرة، الفكر القومي، هم أهل السنة، هم السنيون، والبقية امتطوا هذا الفكر القومي ووصلوا إلى مقاصدهم، سواء كان النصارى، سواء كانت الطوائف المبتدعة من الرافضة، سواء كان من النصيرية، سواء كان... إلخ، امتطوا الفكرة أو الجهوية، وأما

المعتقدة السنة فغاب عن هذا، حتى الذين صحو بعد ذلك فكانت صحوتهم متأخرة قد تجاوزها الزمن، وبطلت فعاليتهم في داخل مجتمعاتهم.

فعلينا أن نقرأ أي أحداث من خلال معتقد أصحابها؛ لأن المعتقد في النهاية هو الذي يحكم استراتيجية الفعل، الخيوط الصغيرة الدقيقة في الفعل يحكمه -وهو ما يسمى بالتكتيك- يحكمه الواقع والمصلحة الآنية، ولكن الخواتيم والحركة الكلية تحكمها العقيدة، ومن هنا فأكثر الناس إدراكًا للواقع الإيراني إنما هم الذين درسوا الثورة باعتبار عقيدة أصحابها أو مشايخها أو الذين سرقوها، لأنه في الحقية هؤلاء الملالي سرقوا الثورة، سرقوا الثورة ممن قام بها على وجهٍ سياسي، على وجه تغييري إصلاحي... إلخ، فسرقها الخميني وأتباعه وهؤلاء الملالي سرقوها واستقرت الثورة لهم.

القصد: بأن هؤلاء «الأثريون» هم أكثر الناس بصيرةً في واقع الثورة وما آلت إليه بعد ذلك، وهذا اعترف به بعض المشايخ من غير ذكر أسماء، اعترف بعض المشايخ بأنهم قد أخطأوا في الحكم عليها، وأن غيرهم من الأثريين قد أصابوا وقد أدركوا حقيقتها على وجهٍ صحيح خلاف ما وصلوا إليه هم، من خلال النظر إلى الشعارات الكاذبة الوسيطة.

لكن الجموع الإسلامي في الحقيقة لم تكتشفها اكتشافًا كاملاً، حتى عندما قامت الحرب العراقية الإيرانية بسبب أن العراق لا يحمل اتجاهًا إسلاميًا، ولا يحمل إلا اتجاهًا بعثيًا، وتاريخ البعث في العراق وفي سوريا مع المسلمين تاريخ دموي وبئيس ومؤلم، لذلك تعاطف إيران مع العراق لم يكن موجودًا مع كثرة الجموع من الحكام الذين ناصروا هذه الحرب باعتبارها سدًا تقف أمام الذي سماه الخميني، سماه: بتصدير الثورة.

ما يهمنا: أن التشيع في هذه الفترة بدأ ينتشر، التشيع السياسي بمعنى تأييد إيران الذي يؤدي عادةً إلى تسليك التشيع العقدي، وهذه وسيلة معروفة تاريخيًا، يعني من خلال الطعام توصل إليه الفكرة، ومن خلال الحاجة والاتفاق السياسي تدفعه إلى الاعتقاد، وهكذا هو معلقة، معلقة، خطوات الشيطان، الشيطان لا يأتيك مرةً واحدة، بل يأتيك بالتدريج، حتى إنه في الابتداء يأتيك باسم كلمة الله، ولذلك تشرشل معروف عنه في كلمته الشهيرة: «كم يخيفني الشيطان عندما يأتيني ذاكرًا اسم الله» يعني معنى هذه الكلمة، كما قال علي رضي الله عنه: «كلمة حقٍ أريد بها باطل»، بعدها ماذا؟! هذه طرق شيطانية معروفة.

المهم: فدخل علينا التشيع السياسي على أمتنا ودخل التشيع العقدي، ومع كل وقوف الحكام السياسيين ضد إيران وثورتها، إلا أنها استطاعت الاختراق عن طريق تبني حركات إسلامية أو حركات وطنية، يعني لما قام المقام الخميني مثلاً بطرد السفير الإسرائيلي وإغلاق السفارة وتسليمها لجماعة عرفات ومنظمة التحرير، هذه صنعت الكثير، ونحن رأينا بأن كثيرًا من حالة التدين بدأت تنتشر من غير شعار ومن غير تفصيل بدأت تنتشر في داخل الحركات التي نقول أنها: إصلاحية أو ثورية، بدأ يدخل الإسلام فيها تأثرًا بفعل الثورة الإيرانية، رأينا كثيرًا منهم بدأ يدرك أن الإسلام يمكن أن يكون ثورة، هو لا يعرف السنة، ولا يعرف التشيع، يعرف هذا إسلام وفقط.

وبدأت هناك حركات تتأثر، كانت الثورة الإيرانية بشعارها العام الذي لا يريده أتباع هذه الثورة نفسهم، بدأ يجلب الناس إلى الدين، بعد ذلك تغيرت أوضاعهم، بعضهم سلك يساريًا إسلاميًا، بعضهم سلك إسلاميًا سنيًا، وبعضهم سلك شيعيًا سياسيًا، وهكذا يعني، لكن بلا شك هي أحدثت ضجة في داخل المجتمعات الإسلامية، المجتمعات غير الإسلامية العلمانية في داخل المجتمعات الإسلامية.

هذه الحالة ليست شيئًا غريبًا عن التاريخ، أنا لماذا تكلمت عن هذه المقدمة مع طولها اليسير؟ لأني معتقد تمام الاعتقاد أن هذه الثورة لن تدوم، وهذا الحكم لن يدوم، لأسباب عديدة:

أولاً: التاريخ ينبئُنا أنه تقوم لهؤلاء الروافض دولة، أو لنتجاوز كلمة الروافض، فقد تقوم لهؤلاء الشيعة دولة، ولكنها لا تدوم، لماذا؟ لأنها تقوم على الظلم، ولأنها في محيطٍ لا يقبلها وهو المحيط السني، والصراعات السنية بيننا وبينهم طويلة، وفي النهاية الانتصار سيكون للأصيل، والطارئ سينهزم، هذه دولةٌ ظالمة، ظلمها بسبب الاعتقاد، لا يوجد في قلوب أتباعها الرأفة والرحمة على الآخرين.

أضرب أمثلة تاريخية سريعة، والباحث بعد ذلك يذهب إليها ويبصرها:

لما دخل تيمور لنك دمشق قتل كل أهلها، كل من في القلعة قتلهم، أبقى الأطفال فقط، لماذا؟ لأنه كان رافضيًا، وهذا ذكره ابن عرب شاه في كتابه «عجائب المقدور في أخبار تيمور» بأنه كان رافضيًا، انتقامًا لمقتل الحسين، ظلم، تاريخ الدولة الرافضية هي رافضية سبعية، الإسماعيلية من الرافضية –للذكر– الإسماعيلية من الرافضة، والرافضي يقسم إلى قسمين: إلى اثني عشرية وإلى سبعية، أو إلى إسماعيلية وإلى موسوية، هكذا تقسيم

الرافضة ويقابلهم الزيدية، مع أن الزيدية في الجارودية دخل فيها الرفض، ولكن الرافضة الذين رفضوا زيد بن علي بعد أن تربى على الشيخين فانقسمت إلى فرقتين وهي: الإسماعيلية والثانية الموسوية أبناء جعفر اثنين: موسى والثاني إسماعيل بن جعفر «إسماعيل الكبير»، قصص طويلة لا أريد أن أدخلكم فيها.

المهم: فالإسماعيلية تسمى «السبعية» أو تسمى «القرامطة» وهذه تسميات زمانية، السبعية باعتبارهم يعتبرون الأئمة سبعة، وقرامطة لأنهم في وقت من الأوقات كانوا أتباع حمدان بن قرمط غلبوا على بلاد المسلمين فسموا بالقرامطة، أو «الباطنية» هذه أسماء الإسماعيلية، وهي قسم من الرافضة، «السبعية، القرامطة، الباطنية» هذه أسماؤها يقابلها من الرافضة الذين هم «الموسوية» ويسموا بالاثنى عشرية لأنهم يعتقدون الأئمة اثنى عشر، ويسمون بالموسوية لأن إمامهم موسى الوسيلة إلى جعفر موسى، والإسماعيلية وسيلتهم إلى جعفر إسماعيل، ويسموا كذلك عندنا «المتاولة» في الشام... هذه أسماء لهم، المهم: أن الرافضة تنطبق على اثنين.

الرافضة لم يستقر لهم الملك في المغرب لقتال أهل السنة المالكية لهم، ومن قرأ صراع وجهاد أهل السنة المغاربة العظماء العلماء للرافضة الإسماعيلية في المغرب علم أن بقاءهم في داخل المجتمعات السنية لن يدوم في أي وقتٍ من الأوقات، ولذلك جعفر الصقلي وهو أحد قواد العساكر، كان نصرانيًا وادعى أنه ترفّض أرسله أحد أئمة الإسماعيلية الذي كان له استقرار في المغرب، ولكن علم أنه لن يستقر في المغرب أرسله إلى القاهرة ودخلها تحت دعوى نصرة أهل البيت، والمسلمون مساكين يحبون من يدعي نصرة آل البيت، وناصره الصوفية في ذلك الوقت في دخوله مصر على كل حال، استقبله الصوفية ودخل، وفي بداية الأمر قوتل لكن لما دخل تحت هذا الشعار استقبله الناس، واستقر له الملك، فهذه دولة بادت وانتهت، مع أن هذه الدولة حكمت التي هي الدولة العبيدية وهي الإسماعيلية وهو اسم من أسمائهم لأنهم أتباع عبيد الله القداح، والذين يزعمون أنهم فاطميون، مع اختلاف تاريخهم معروف في هذا بين ابن خلدون وجموع كثير من أهل العلم كالباقلاني وابن الجوزي وغيرهما الذين جمعوا الشهادات بأن هؤلاء لا ينتمون لآل البيت، بل هم أبناء يهود، قصة اليهود قصة أخرى.

فالقصد: نحن نرى أنهم لم يستقر لهم الملك، ذهبوا، في المغرب الإسلامي، ولم يستقروا لهم الملك في مصر، قضى عليهم صلاح الدين، قضى عليهم بالرغم من أن حكمهم امتد لبلاد الشام، حكموا بلاد الشام، وحكموا الحجاز، وحكموا اليمن، وحكموا مصر، وحكموا جزء كبير من المغرب الإسلامي، ومع ذلك لم يستقر لهم

الملك؛ لأن وجودهم أشبه بوجود الحكم الاستيطاني لا بد أن يزول، هو يقوم على الظلم، لهم خيالات مثلاً: هذا الحاكم بأمر الله الفاطمي له خيالات عجيبة، حتى قتله أخته، أخته هي التي قتلته، فالتاريخ يثبت أنهم لم يستقر لهم الملك، سيذهبون وسيبيدون، ولا يمكن لهذه الدولة أن تدوم، الدولة، كتب الله على اليهود أنه لن يكون لهم شأن، وأن علوهم سيكون مرتبطًا بغيرهم، وهؤلاء هم من اليهود، وأول من كشف يهودية هذا الدين الخبيث هو الإمام الشعبي كما روى عنه مالك بن مغول، بأنه قال: «بأن دينهم دين يهود»، وقارن بين العقائد في دراسة عميقة جدًا لهذا الإمام العظيم الذي كان خشبيًا؛ خشبيًا يعني كان على دينهم، على هذا الدين الرافضي الخبيث، وبعد ذلك خرج منه، وكشف بأن هذا الدين صناعة يهودية، فطريقتهم هي طريقة اليهود، الطريقة هي طريقة الخبث والجاسوسية والتدخل والخيانة والتعامل من أسفل الطاولة.

انظر إلى الإسماعيلية، الإسماعيلية انقسمت إلى قسمين -للذكر- إسماعيلية التي أقامت دولة في قلعة «آلموت»، والإسماعيلية الثاني التي أقامت الدولة في مصر، افترقوا، حسن الصباح افترق عنهم، هذه دولةٌ كانت تقوم على الاغتيالات، اغتيال العلماء، اغتيال الحكام، وكانوا يعيشون في قلعة «آلموت» يعني عش العقاب، وهي كلمة فارسية «آلموت» وليس الموت كما ينطقها البعض، فكانت تعيش على الاغتيالات، وابن الأثير يشير إلى أن مقدم التتار إلى بلاد المسلمين -لما دخلوا إلى بغداد وقتلوا الخليفة- يشير إلى أن هذا بسبب استدعاء الروافض وخيانة الروافض، الروافض يستخدمون الطرق الجاسوسية في هذا، وكل الدارسين يقولون: بأن الثورة الخمينية لم تقم بسبب الخميني ولا الملالي، بل تاريخ الملالي كما يكشفه منتظري نفسه، تاريخ الملالي متواطئ مع الطغاة، ومع ذلك قفزوا فوقها واستغلوها، لا يهمنا... هذه البداية فقط من أجل أن توصلنا إلى كلمة نهائية بأن هؤلاء لا استقرار لهم وسيزولون، وأهل السنة كانوا إذا حكموا عليهم رحموهم.

يعني انظر إلى طريقة تعامل شيخ الإسلام ابن تيمية مع الدروز، والدروز -لذكرى- هم فرع مؤسسهم محمد بن إسماعيل الدرزي هم خرجوا من الإسماعيلية، يعني هم خرجوا بزمن حكم الحاكم بأمر الله الفاطمي وألهوه، فالدروز نتوء سرطاني خرج من الإسماعيلية، فهؤلاء لما شيخ الإسلام رحمه الله انتصر في شقحب فطردوا التتار بقيادة قازان لأن هجوم التتار جاءوا عدة مرات بقيادة تيمور لنك، بعثهم بقيادة قازان وغيره، فذهب إلى الجبل، مع أن شيخ الإسلام لا يرى قبول توبة الزنديق لكن استتابتهم، هذه جموع وقرى كثيرة لا يستطيع قتلها، فبنى المساجد وبقيت المساجد منذ شيخ الإسلام رحمه الله إلى يومنا هذا زرائب حيوانات عند الدروز، وتحدث

الشباب الذين ذهبوا يدرسون في هذه القرى، يدرسون أهلها في المدارس الأكاديمية ذهبوا إلى المساجد فوجدوها زرائب حيوانات، منذ القرن السابع الهجري وهي زرائب حيوانات هذه المساجد لا يدخلونها، فهؤلاء لا دين لهم، ويقيموا الحسنيات بدل المساجد، احتفالاتهم في الحسينيات ليست في المساجد، والمساجد عندهم فقط تقليدًا أخذوه من أهل السنة أو إبقاءً لما بناه أهل السنة في هذه البلاد.

القصد من هذا كله: هو أن نبيّن أن هذه الدول مهاجرة غير مقيمة تمكث بين الرمل ستزول، فالتقوي بها هو تقوي في الخيال أو تقوي في الوهم، وهذه دولةٌ ظالمة، إذن هي دولة غريبة وظالمة، هي تقتل أي بادت المخالفين لها، انظروا إلى تراجم علماء المالكية في المغرب -كما ذكرت لكم- وانظروا إلى تراجم علماء أهل السنة في مصر في زمن العبيديين، يعني العلماء تواروا والكثير منهم قتلوا، ارجعوا إلى «سير أعلام النبلاء» في هذه الفترة لحكم الدولة الفاطمية في مصر، ولذلك لما انتصر أهل السنة عليهم في مصر على هؤلاء الرافضة؛ احتفل المسلمون، وألفوا كتبًا في هذا، ابن الجوزي ألف كتابًا «النصر في مصر»، واعتبروا أن هذا النصر من أعظم النصر الذي حققه الله عز وجل في تاريخ أهل الإسلام.

ولذلك هم أعداؤنا تاريخيين، وهم الذي يختارون هذا، انظر هذه الجموع المسلمة المسكينة التي أيدت الثورة، لو أن الثورة استقبلتهم -ولا يستطيعون، لكن لو قلنا- لو استقبلتهم من خلال إطار الرحمة وإطار الوحدة الإسلامية كما يزعمون لكان الأمر مختلفًا جدًا، لاستطاعوا أن يحققوا الكثير من الاختراقات ولكن أبوا، سعارهم الكلبي والكلَّبي لا يسمح لهم بمثل هذه المناورات، إلا بإظهار عقائدهم والقتل والإفناء، قتل أهل السنة، تعلق مشانقهم تحت دعوى الوهابية، وتحت دعوى العمل لأمريكا، هذه هي دعاياتهم، تعلق المشانق على الرافعات، الرافعات في وسط الشوارع يعلقون أهل السنة، يقتلونهم في السجود، لا يوجد مسجد واحد لأهل السنة في طهران، هذه دولة خبيثة ودولة عدوة.

هنا نصل إلى نقطة: هذه الدولة في بمثل هذا الإطار، يمكن أن يقول أحدهم: لكن دعموا كذا ودعموا كذا، كل هذا الدعم السياسي المقصود به التسليك العقدي، وهم في النهاية يبحثون عن مصالحهم ويريدون اختراقات أهل السنة، هم يعرفون أنهم لا يستطيعون السيطرة إلا من خلال الاختراقات كاليهود، هم قلة، قلة في مصر، وقلة في... يعني انظر هم خارج إيران وبعض البلاد كم وجود لهذه الطائفة الزنديقة؟ قليل جدًا، فهم لا

يستطيعون السيطرة، وبالتالي هم يريدون اختراق أهل السنة، الذي حدث أن التاريخ المعاصر هو ظل لتاريخ قديم من دموية هذه الطائفة ضد أهل السنة، القتل والإبادة.

الواجب:

-هنا سنأتي إلى كلمات أخرى في هذا الباب-: المشكلة هنا حين يهرب هذا السني إلى طائفة أخرى مرتدة يحتمي بظهرها ضد هؤلاء، حينئذٍ يخسر القضية، تصبح القضية العادلة التي يحملها ضد هذه الطائفة المتزندقة، تصبح قضيته العادلة فاشلة؛ لأنه يُستأخر من قبل هذه الطوائف، والخلاف سياسي، هم لا يهمهم هذه العقائد، ومرات الخيار على الشعارات، والخصومة على الشعارات؛ بمعنى أن الحكومة تتصارع على من يمثل المسلمين، فقط، وهم في الحقيقة لا يمثلون الإسلام في شيء، هكذا تنشأ الصراعات بين الدول، من يمثل من؟ من يمثل الطائفة المسلمة؟ من يمثل المسلمين في العالم؟ ولذلك نرى أن الدول التي تنتسب للسنة مع أنها مرتدة ومجرمة، إلا أنها لا تسمح بوجود دولة إسلامية أخرى، لماذا؟ لأنها تخاف منافسة هذه الدولة حول شعار الإسلام فقط، هم يردون أن يبقوا هم فقط في الساحة، مع أنهم من أكثر الناس خزلانًا للمسلمين في العالم، خارجيًا هذا إجرامهم، نرى إجرامهم في اليمن، نرى إجرامهم في الشام، نرى إجرامهم في لبنان، نرى إجرامهم في قتل علماء في باكستان، نرى إجرامهم في أفغانستان حيث قاتلوا طالبان وهكذا... كان إجرام هذه الطائفة كبير.

وواجب علينا أن نحذر مرةً تلو المرة أنه يجب علينا ألا نضيع هذه القضية العادلة بانحيازنا إلى طوائف كاذبة في نسبتها لأهل السنة، وهذه من أخطاء بعض هؤلاء المشايخ أنهم في ذمهم لهذه الطائفة وكشفهم لجرائم هذه الدولة المجرمة يميلون إلى مدح طائفةٍ أخرى أو جماعةٍ أخرة تعارضها، والمعارضة هي سياسية لا علاقة لها بالاعتقاد، الاعتقاد وسيلة للوصول إلى الأهداف، يستخدمونك وسيلة مطية للوصول إلى أهدافهم، فعليك أن تحذر من هذا.

الذي حدث هو التالي؛ وهو أن هؤلاء الحاكمين في طهران قد قسموا المجتمع إلى قسمين تقريبًا، قسمين كبيرين، الناس الذين يعارضونها لا يعرفون الإسلام الصحيح، نحن أهل السنة في الحقيقة نحمل إجرامًا كبيرًا في عدم تبليغ الدين الحقيقي، هم لا يعرفونها، لا يعرفون السنة على حقيقتها، القليل جدًا، الطوائف أو العلماء

الذين اكتشفوا كأحمد كسروي والشيخ البرقعي، الذين اكتشفوا الحق، قلة في داخل المجتمع الإيراني الشيعي الرافضي، القليل، وبالتالي المعروض أمام الإنسان الإيراني قضيتان:

القضية الأولى: إما أن تكون مسلمًا رافضيًا، مسلمًا رافضيًا تركيبة هذه!! ولا يمكن أن يكون المسلم رافضيًا، ولا يمكن أن يكون الرافضي مسلمًا، نتكلم عن واقع نشهده، وسياسي.

القضية الثانية: وإما أن تكون علمانيًا، وبالتالي؛ انتشرت العلمانية في داخل المجتمع الإيراني، كفرًا بهذا الدين الذي يرونه، وكرهوا الإسلام من عدة جهات، بسبب ممارسات هؤلاء الملالي المجرمة، يعني أنا لما شرحت في مشروع «ألف كتاب قبل الممات» كتاب «المتعة» لشهلا الحائري، الكتاب يبيّن درجة الفسق والفجور الذي وصل إليه مجتمع الملالي في داخل الحسينيات، والمساجد والحوزات العلمية، درجة من السفالة والانحطاط والنجاسة ما لا يتخيله العقل، يقشعر بدنك، تصاب بالتقزز وأنت ترى ويتجسد أمامك هذا الواقع المأساوي الذي يمثل هؤلاء الملالي الذين تروهم، وهم لا يعرفون حلالاً، لا يحلون حلالاً ولا يحرمون حرامًا.

وكذلك الآن نرى أن هؤلاء الملالي صاروا قوة من لا شيء مع غباء، تسمعون المقاطع لغبائهم وتفسيراتهم للدين، وفهمهم للسنة، وغباء... فالإنسان المتعلم في داخل الجامعات يظن أنه هذا هو الدين، فإما أن يؤجر عقله من أجل النافع والمصالح ويمشي في ركابهم، وإما أن ينعزل فيصبح علمانيًا ومن هنا فالعلمانية في إيران تزداد، وأغلب الخارجين على النظام اليوم هم من هذا النوع، الذين كفروا بالدين كليًا، ليس هناك خيار ثالث وهو خيار أهل السنة للأسف، خيار ضعيف وغير موجود، ونحن يكفينا همومنا أهل السنة، والحكومات الفاجرة التي تريد أن تغرد باسم أهل السنة هؤلاء لا دين عندهم، ولا يهتمون بهذا، يهتمون بأن يطعموك القرش والقرشين ليصنعوا منك عميلاً خادمًا لهم، وأنا رأيت أموال هؤلاء من أخبث الأموال وأكثر الأموال تفرقةً للأمة، هذه الدول التي تنفق بالمفهوم السياسي خدمةً لمقاصدها، هذه نرى أن أموالها من أنجس الأموال، فلا تنزل في مكان إلا وتفسد الناس، وتفرق القلوب، وتصنع البغضاء بين أهل الملة الواحدة والدين الواحد، وبالتالي؛ أهل السنة لا وجود لهم في الحقيقة في مثل هذه الاضطرابات، لا وجود سياسي لمن يزعم السنة، ولا وجود عقدي.

المشكلة أن المظاهرات التي نراها اليوم، هي مظاهرات ابتدأت كمطالبات كالعادة من أجل أن يتم التجميع والتحشيد، هي المطالبات التي تبرر الخروج، لو خرجت على مفهوم الدين ومفهوم العقيدة السياسية للدولة،

يكون قمعها شديدًا فعادةً يتم الخروج باسم الأحكام الوسيطة أو المطالب الوسيطة، فهؤلاء خرجوا من أجل المنافع والحاجات دنيوية، لكنهم في الحقيقة بعد ذلك الشعارات بدأت تتطور، وهو الخروج على النظام الديني الفاجر الذي يرونه كالذئب يمتص منهم الدماء ويقتلهم.

الملالي... تعرفون الخوئي!... هذا المرجع الكبير الخوئي لما مات ورث لابنه عبد المجيد المليارات، وصار خلافات حولها، هم الآن يختلفون في هذا المرجع الذي يجني الأموال ويجني الخمس؛ أي خمس الدخل، وإذا ترك الرجل الصلاة فيأخذ منه المال، ولما يموت يأخذون أموال، ولهم طرق في استنزاف الأموال منها قضية الاستفتاح، يجلس هذا تابع المرجع فيفتح القرآن يدخل عليه رجل يسأله «يستفتحه» أحج أو لا أحج؟ أُسافر أو لا أسافر؟ أتزوج من فلانة أو لا أتزوج؟ وكل هذا بثمنه؛ استشارات دينية! يمتصونهم، ورجل حين يموت يكون تاركًا لصلاة فيأتي ورثته يدفعون للملة الذي هو التابع والممثل لهذا المرجع يدفعون له الأموال تخليصًا لهم من صلاته، من حساب يوم القيامة لصلاته!! يعني هم كذلك وكلاء وأولياء للآخرة في قضية الجنة والنار والميزان!! يأخذون منهم الأموال يعني استنزاف أموال ضخم، وهذا إن شاء الله سأبينه كثيرًا في شرح كتاب «الثورة البائسة»، فهذه الجموع خرجت من أجل طعامها وشرابها، ولكنها في الحقيقة خارجة على هذا النظام المجر.

فالواجب أولاً: هو ابتعاد الذين يمثلون الدين عنها ولو كانوا من المشايخ الرسميين؛ لأن وضع أيديهم فيها سيجعلون للآخرين حجة بأنهم مأجورون وهم في الحقيقة ليسوا مأجورين.

ما يهمنا الآن: أن تسير هذه الاضطرابات سيرها الطبيعي بعيدًا عن شعاراتنا نحن، يعني الآن هذه اللحظة ليست لحظة انقلاب الروافض في إيران وانقلاب العلمانيين في إيران إلى السنة!! هذا وهم هذا، لا نملك هذه الأدوات ولا نستطيع، ولا يوجد بين أيدينا ولا رقمًا واحدًا في هذا الباب لنستطيع، الواجب هو الابتعاد، أنا أتكلم عن هذه حشود وهم الأغلب من الروافض في هذه المناطق يخرجون حشود وأغلبها من العلمانيين على معنى ما تقدم من خروجهم على النظام الديني الذي قتلهم واستنزافهم ودمرهم.

هم يكرهون الآن الدين على اعتبارين:

على اعتبار صورة المشايخ.

والصورة الثانية: الدعاية الكبيرة التي تبذل بأن اموال -وهذا كذب طبعًا، لكني أبيّنه- أن أموال الدولة الإيرانية تبذل من أجل ثورات المسلمين في العالم! هذا كذب، دخل إيران من جنون العراق فقط لا يقل على أربعمئة مليار، تستنزف إيران من أموال العراق سنويًا أربعمئة مليار، هذا الذي يسرقونه من خارج إيران، الدولة تسرقه من العراق بكل ما فيه من طوائفه المأجورة ومن سيطرت إيران على جنوب العراق وو... إلخ، من بغداد وجر الآن.

كم تصرف إيران من أربعمئة مليار هذه، كم تصرف من أموال على حماس مثلاً أو مثل جماعة فتحي الشقاقي الجهاد الإسلامي؟ أو كم تصرف في سوريا دعمًا لبشار الشيطان؟ أو كم تصرف لحزب الشيطان حزب إيران الرافضي اللبناني؟ كم تصرف عليه من أموال؟ لا شيء من أربعمئة مليار، تصرف فتات، وفي الحقيقة إيران لا تصرف الكثير على أتباعها الحوثي وغيره بمقدار ما تأخذ، بمقدار ما تجني من داخل مناطق النفوذ لها خارج الحدود الإيرانية.

لكن الإنسان الإيراني -وهذا أنا أعلمه من الداخل- الإنسان الإيراني يمقت النظام لأنه يراه -هكذا يظن- أنه ينفق أمواله من أجل حركات المسلمين الأخرى في العالم فيبغض المسلمين، من هنا هذا جزءٌ ثاني يكرس النظرة العلمانية الحاقدة على الدين في داخل المجتمعات الإيرانية، أي تدخل الآن من هذه الدول السنية الجاهلة في هذه الثورات وأد لها واستئصال لها.

كلامي الذي أقوله: أن هؤلاء في الحقيقة:

فَنَــــذل الرِّجـــــالِ كَنــــذلِ النَّبـــاتِ   فـــلاَ للثِّمـــــارِ ولا لِلحَطَــــبْ

هؤلاء أنذال؛ نذل الرجال كنذل النبات، نذل النبات لا ينفع لا في الثمار ولا في الحطب، والآن ستجدون البعض يغرد: بأن هذه الثورة صنعها فلان مثل قضية الأقصى، لما الجموع أسقطت خيار نتنياهو الكلب؛ قام البعض يستغل ويقول: نحن صنعناها!! أنتم لا تستطيعون شيئًا، والدليل الله أخزاكم بعد ذلك بتحويل أمريكا لسفارتها إلى القدس، فأين قوتكم؟! وأين جنودكم؟! وأين عنترياتكم؟! لا شيء، فدل على أنكم لا شيء، أرقام خسيسة لا قيمة لها.

فالآن يأتي أحد ويقول: إن الثورات صنعها فلان! هذه كلها أكاذيب، هي صناعةٌ داخلية مبعثها هذا

الإجرام المشيخي الذي يقوم به الملالي في إيران من إفساد المجتمعات، دمار في داخل المجتمع الإيراني، الفساد ينخر المجتمع الإيراني بفعل هؤلاء الملالي، هؤلاء عصابات.

رفسنجاني هذا -هو فطس أظن- هذا له شركات عابرة للقارات، مستولية على أغلب مصادر الزراعة لما تميز عندهم، مثل: زراعة الفستق والمكسرات وكذلك عندهم الكافيار الإيراني، يسيطر عليها هذا الذي لا يملك قرشًا واحدًا قبل الثورة، والآن أبناؤه وشركاته تسيطر على كل شيء، الملالي يسيطرون على كل شيء، الشعب مقهور؛ ولذلك هذا الثورة هذا سببها، فلنتركها على ما هي عليه.

والمطلوب من أهل السنة: -الآن جانب آخر- المطلوب من أهل السنة الآن في هذه المجتمعات -وللذكر إيران لمن يعرف الخارطة كل الحدود الإيرانية سنة، السنة على الأطراف، في الجنوب الغربي يوجد الأهوار وأهل السنة، وفي الشمال الغربي يوجد الأكراد، وفي الشرق يوجد البلوش، فأهل السنة يحيطون بإيران- هذه فرصتهم في أن يقوموا، وإياهم أن يرتبطوا بأي دولة مما ترفع شعار السنة وترفع شعار تأييد لهذه المظلومية، إياهم، ينجسوا قضاياهم، ويسقطوا قضاياهم العادلة من داخلهم، من داخلهم يستطيعون على قاعدة: **(وجعل رزقي تحت ظل رمحي)**، بهذا المبدأ يستطيعون الحصول إلى مطالبهم وأن يحضروا أنفسهم من أجل الوراثة ومن أجل استنفاذ حقوقهم، ومن أجل الوراثة، التي الله عز وجل يكتبها لنا ولكم.

هذا ما أحببت أن أنصح إخواني به، وعلينا الآن في هذا الوقت أن نلتف حول العلماء الصادقين، حول الذين لم يبيعوا دينهم، والذين كذلك غير مأجورين لخارج الأطر الأخرى التي ننبهن على إجرامها، ونبهنا على فسادها، أموالهم نجسة، نصائحهم خبيثة، ما وضعوا أيديهم في شيء إلا وأفسدوه، إياكم... عليكم بالتوكل على الله، عليكم بالاعتماد على أعمالكم **(وجعل رزقي تحت رمحي)**، وما عندكم كثير، والأمة فيها الكثير، لا تحتاج لأموالهم، ولا تحتاج إلى نصحهم فيها العباقرة والأذكياء.

نسأل الله عز وجل أن يرحمنا وإياكم، وجزاكم الله خيرًا، والحمد لله رب العالمين.

٢٦٨- رأي الشيخ بالشيخ القرضاوي

ضمن الجلسة الثانية والعشرون، بتاريخ: **(١٤/٠٤/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٠١/٠١/٢٠١٨ م)**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل أخ جزاه الله خيرًا: شيخي ما رأيكم بالقرضاوي وهل يدخل في دائرة القبول التي تحدثتم عنها كالتي كانت بين الدارقطني والباقلاني وما هو الضابط في قبول واستيعاب المخالف؟

جواب الشيخ: إخواني يعني المرء في هذه الحياة مشكلته مع تضخيم الأمور فوق ما هي عليه أو تصغير الأمور عما هي عليه، التضخيم هو الذي يصنع التضخم والزيادة السرطانية، والضمور هو الذي يلغي الاهتمام، يجب الإنصاف والعدل، الإنصاف والعدل تسمية الأشياء بأسمائها، وسبب انحراف من ترونهم حتى انقلبوا مرتدين، أقصد ممن يقاتل مع حفّتر أو انضم إلى السيسي أو يعاون الكفار لما نشروا فتاوى بوجوب نصرة الأمريكان ضد الخوارج كما سموهم أيام العراق، فهؤلاء كفروا، خرجوا من الملة، ما هو السبب هذا؟ سبب هذا هو أن البُغض للمخالف وصل إلى درجة الإغلاق في عقولهم حتى سُكِرت عقولهم وضخموا الأمور فوق ما هي عليه فصاروا أُسرى للخطأ الذي يرونه دون النظر إلى الجوانب الخيّرة في الموجود.

فمثلاً: البغض المذهبي، البغض التنظيمي، هذا يوجد عند الصغار يضبطه الكبار، ولكن المشكلة عندما يصبح مرضًا عند الكبار، ويصبح مرضًا وهاجسًا وعصابًا، مرض عصابي، فحينئذٍ تتضخم هذه الغدة السرطانية بحيث تلغي عليه تفكيره الإيماني وموقفه الإسلامي الصحيح من العدل والإنصاف.

ما هي منطلقاتك؟ قبل أن تجيب على الأسئلة الفرعية هذه، ما هي منطلقاتك؟

منطلقاتك يجب أن تبدأ كالتالي:

وهو أنك في مراحل تقدمك لنصرة الدين بحاجةٍ لكل مسلم، وأن كل مسلم يمكن أن يقدّم كميةً ما لنصرة الدين، ويمكن أن يقع منه تهاون ويقع منه تخاذل ويقع منه -أنت على ثغرة من ثغور الإسلام فلا يؤتين من قِبلك- يؤت الإسلام من قِبله، يمكن أن يقع هذا، كلنا يقع منا، كلنا، وهذا بسبب أخطاءنا وذنوبنا والله رحيمٌ بنا، ولكن أنت إذا نظرت إلى تاريخ الإسلام المعاصر منذ أن أُبتلي وورثنا هذه الوراثة الثقيلة المحمّلة بالتاريخ،

محمّلة بالمذاهب، محمّلة بالخصومات، محمّلة بالكتب التي تدور على الخلاف بين العلماء، نحن ورَّاث لتاريخ فيه الكثير من زوائد العلم وكما قال الإمام علي رضي الله عنه فيما ينسب له: «العلم نقطة صغيرة كثّرها أهل الجهل»، فنحن نقف على قنطرة من هذه الوراثة، وهذا من ابتلاء الله لنا.

والمطلوب منّا عُشر الإنصاف، لو أتينا بعُشر ما أتى به الصحابة رضي الله عنهم من الإنصاف وعُشر ما أتى به الصحابة رضي الله عنهم من الدين والعمل والجهاد؛ لانتصرنا، لا تظنوا أننا نحمل إرثًا أثقل مما كان على الصحابة رضي الله عنهم، لا، لا والله، نحن والحمد لله نتعامل مع وسطٍ إسلامي تذهب إلى المساجد ولو خطبت يمشي معك عشرين ثلاثين واحد في مسجد، لا يمشي معك كل المسجد ولكن يمشي معك عُشْرُه، وهذا من تأييد الله عز وجل لهذا الدين، الآن ما يقوم الجهاد في بلد إلا وتجد أهله الحمد لله بالعشرات والمئات والآلاف يناصرونك وهؤلاء أكثر من أهل بدر، ولو تكلمت عن السنّة الحمد لله تجد الموافقين أكثر من المخالفين، تتحدث عن سنة من السُنن يسمعون لك الناس، نحتاج إلى عُشْر ما قدمه الصحابة رضي الله عنهم من جهاد وتقوى وعلم من أجل أن ننتصر، ومع ذلك للأسف نحن إلى الآن لم نصل إلى هذا العُشر، لتعلموا أيَّ تقصيرٍ نعيشه.

ما هي ضوابط نظرتك إلى هذا؟

يجب عليك أولاً: أن تعلم ما هي المعركة؟ تقوم معارك جزئية فرعية كثيرة هنا وهنا، معارك علمية، معارك خلافية، معارك مذهبية، ولكن لها ضابطها لها حدها، المخالف ربما يكون بِدعيًا فيُفصِلُها أكثر، ربما يقتُلُك، يعني عندما كان ابن أبي دؤاد الجهمي، جهمي ليس معتزلي، انظُر إلى إنصاف ابن تيمية رحمه الله يحضرني هنا، قال ابن أبي دؤاد ليس مُعتزليًا كان جهميًا، رحم الله ابن تيمية، لا إله إلا الله، كان ابن أبي دؤاد يقول عن الإمام أحمد: اقتتلوه ودمهُ في رقبتي.

وسعى المخالفون لابن تيمية أن يقتلوه لكن هو سني، ووالله أقولها لكم، ووالله إني أعلم الناس بما عليه الجماعات وعشتها وأعرفها وأعرف كيف يفكر أشخاصها ورجالها ورموزها، ولكن والله لو قامت دولة الإسلام على أيديهم –لماذا منعوني من الدروس ومنعوني من الخطب كما يفعل غيرهم من أعداء الله ولكن لهم نظرةٌ أخرى من التأويل– والله في سجني وفي سجودي سأدعو لهم، وسأربط على قلبي أن لا يقع في قلبي البغض

لواحدٍ منهم، البغض، أن أبغِضه لن أفعل، مقتديًا بأمر النبي صلى الله عليه وسلم وبسيرة سلفنا من العلماء رحمهم الله جميعًا.

فانظر إلى ما قدموا، انظر إلى قيمتهم في العلم، كنا ونحن صغار وللأسف كنا نتمنى موت الشيخ الفلاني، نعتقد ونحن صغار أنه لو مات الشيخ هذا لأنه واقف أمام السُنة فلو مات لانتصر الإسلام ولاستطعنا أخذ الساحة وانتصرنا فيها، مات فلان ومات فلان ولم ينتصر شيء، جهالات!! وهكذا تنشأ الخصومة بين الجماعات، يتصور تنظيم أو منهج أنه لو زالت هذه الجماعة لانتصر الإسلام، انظر لو أتى جاهل عدو لله عز وجل يقول الشيوعي أحبُّ إلي من الإخواني، أي شيطانٍ نطقّ بهذه الكلمات على لسان هذا الرجل، أيُّ قلبٍ سوداوي يقوله هذا الرجل، عندما تأتي جماعة وتقدم نفسها للأعداء وتقول: نحن البديل لمثل هؤلاء المتطرفين نحن البديل لهم اتخذونا أئمة وادعمونا لنقضي على هؤلاء، أيُّ شيطانٍ نطقّ على ألسنتهم؟

أنا لا أتحدث عن طائفة للأسف هذا مرض الإقصاء للآخرين وعدم اعترافهم بفضل الآخرين، هذا مرض موجود في كل الجماعات.

لكن أنا أنصح إخواني حتى ننجو من هذا:

أولاً: عليك أن تنظر إلى الناس بإنصاف وبمقامهم فيما لو ذهبوا من يملأه؟

اولاً: ما هي معركتنا اليوم؟ المعركة الكبرى كانت في وقت من الأوقات هي المعركة ضد الهوية الأجنبية الكافرة، ضد اليسار، ضد القومية، وجماعات قامت فيها، وعلماء مع جماعات ومع غير جماعات أصَّلوا قضية الهوية الإسلامية حيث بقيت هذه الأمة مُسلمة، هذه كلمة «هذه أمة مسلمة» هذه أُريقَّت من أجلها الدماء، والكفار حاربوا حربًا بذلوا فيها الأموال، ﴿فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ [الأنفال: ٣٦]، هذه روسيا وأمريكا بذلوا الأموال.

يا أبنائي يا من لم تشِبْ لِحاكم بعد أو من شابت ولم يراقب، الأموال التي بذلها الاتحاد السوفييتي لطمس الهوية المسلمة، والأموال التي بذلها البنتاغون لطمس الهوية المسلمة، وبذلتها رؤوس الكفر ومراكز الضلال، مليارات، ذهبوا، لا قيمة لهم، ﴿فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾، الذي انتصر هو الإسلام، بقيَّ أنتم،

أنتم تسمعون لي، تسمعون لكلمة الله يُلقيها الشيخ.

انظروا إلى وسائط الاجتهاد في وسائل التواصل الاجتماعي إلى سيطرة الدعوة والكلمة الطيبة، هذه جاءتهم هكذا على طبق من ذهب؟! هناك مشايخ عظماء، كم هائل من العظماء بذلوا أرواحهم ودمائهم.

القضية الفلسطينية -اضربها مثلاً لأن لها علاقة- أنا أحبُّ الشيخ القرضاوي في بعض الجوانب منها هو أنه من أعظم المناصرين لهوية الإسلام في القضية الفلسطينية مع جوانب أخرى، ودائمًا أقول بيني وبين نفسي أقول: لعلَّ هذا الرجل -عندما أرى نُصرته لهذه القضية وإسلاميتها- أقول: لعلَّ الله يريد أن يرفعهُ بها، والله عز وجل قَبِل مِن امرأةٍ سقَّت كلباً فشكر الله لها فأدخلها الجنة.

فهذا رجل دعا إلى هوية قضيةٍ عظيمة نُزعنا فيها، سُرقة طويلاً، مات الناس على أبواب الشيوعية عند حواة جورج حبش وهؤلاء الملاعين العلمانيين وفلان وعلّان، والآن يموتون من أجل قضية إسلامية فلسطين وفلسطين المسلمة، والدعوات الأخرى دعوات سياسية هزيلة مدعومة ببعض الأموال تقوم على أرجل من خشب، ولكن تلك تقوم على عُمد من حديد، قضية إسلامية هذه القضية، كم سُرقت منّا هذه القضية؟ ولم يكن هناك ثمة إسلام يتبنا هذه القضية ويتحملها فلان وعلّان والجماعات الشركية الكفرية والزنادقة يتحملونها، الآن يتحملها أهل الإسلام.

فعليك أن تنظر إلى المعركة، لا إلى معركة قريتك، ولا إلى معركة مسجدك صراع مع الإمام من يسيطر على المكتبة، والله إني أُحس بعض الكتابات وكأنها صراع على مكتبة في مسجد، عندما كنا صغارًا كنا نتصارع، تتصارع الجماعات على من يسيطر على لوحة المسجد ويكتب فيها، بعض الناس هكذا هي عقولهم مع أن معركة الإسلام اليوم هي التي تجابه الكفر والطواغيت، لا يوجد، لا يوجد الآن أحد يصارع الكفر والطواغيت غير الإسلام، لا يوجد كلهم يتساقطون، كلهم يقيم الله بينهم من المشاكل والمصائب ما سيتساقطون بحمقهم ولم يبق إلا الإسلام، ما بقي غير هذا الدين، فمعركتنا هي معركة الأمة.

طيب هب أن دولةٌ صغيرة تعدادها خمسة مليون مثلاً أقيمت فيها دولة الإسلام هل تستطيع جماعة واحدة أن تملأ مدرّسين لمدارس هذه البلدة في تلك الدولة؟ هذه الجماعة هل تستطيع أن تأمّن شرطة كافية لهذه الدولة فقط من جماعتها؟ إذن أنت بحاجة لكل مسلم، ولذلك في المرحلة القادمة، ن أجل هذا أنا أقول دائمًا ولا

يقبلها مني بعض الشباب في المرحلة القادمة لا يوجد جماعات لأنه لو بقي جماعات لتدمرنا بهذه العقلية التي تسيطر على الجماعات كلها، للأسف الجماعات كلها، للأسف الجماعات كلها نشأت في حالة مرضية في هذا الجانب مع جوانب عظيمة قدمتها للدين ولكن بقيت هذه القضية غالبة، ثم جاءت المذهبية، السلفية مذهبية، السلفية اليوم هي مذهبية، دكّان وليست منهجًا، فجاءت وكرَّست هذا الخلاف بيننا، فأنا أحب كل مسلم يقدم لهذا الدين مع علمي بأخطائه وأردّ عليه بالعلم، لا مانع أن نُنشئ حلقة في الرد على شيخ ينحرف في أبواب، والشيخ القرضاوي عندي فيه انحرافات، لكن انظر إليه من جهتين، يعني الشيخ القرضاوي رجل عندما أعلن وقوفه ضد إيران، هذا موقف أنا أعتبره عظيمًا، أخطأ، رجل في هذا العمر يعترف بخطئه، متى أعترف الناس بأخطائهم من الجماعات والمشايخ متى؟! فهذا الموقف عظيم.

فأنا أنظر إلى قيمته، عندما تتعاملون معه هل تريدون إسقاطه؟ من البديل؟ لو أحضرنا شيخكم أو إمامكم أو زعيم تنظيمكم ليكون بدلاً منه ماذا سيكون؟ رأينا كيف تنشأ الزوائد السرطانية فتصبح أولياء لأعداء الله، رأيناهم، رأينا الجماعات دعاة التوحيد والعقيدة، ورأينا من كان يومًا من الدعاة والشيخ الذي جابه العلمانيين، كيف انحرف إلى أن يكون حذاءً للطواغيت، رأينا!! وبالتالي أنا لا يهمني أن أعدَّ أخطاءه في باب الأصول، وفي باب الفقه، كلها أعلمها، لكن وهذا يمكن الحمد لله، الله لا يقيم هذا الغلط منه، بل يوجد من يرد عليه والناس الحمد الله يستمعون وهو يقع في هذه الأخطاء ويتّبعه أناس، ولكن الحمد لله يوجد من العلماء من يردَّ عليه ويبيّن خطأه والأمة تعرف هذا.

لكن أنا أنظر إليه أنه يقوم بمعركة، هذه المعركة هي نصرة الإسلام ضد العلمانية، وهذا موقفٌ مشّرِفٌ لهذا الرجل، يعني أن يكون القرضاوي أم علي جمعة؟!! أن يكون القرضاوي أم أحمد الطيب؟!! أن يكون القرضاوي أم أحمد حسون؟!! أن يكون القرضاوي أو من مات مثلاً فلان أو فلان؟!! تذهب وتعود إليه انظر ماذا فعل، أنا أعذره، أنا أفهم الحياة الآن المرء شاب فيعرف الحياة، يعرف كيف تمشي، عندما تحضرون له أنه ذهب وقابل بشار، لم يكن هناك الوسع للعمل مع المجرم مثل طاغية الشام إلا أن يذهب إليه من أجل أن يستخلص هؤلاء المساكين المساجين ويُرجع المهجّرين الذين لم يرو أهلهم منذ عشرات السنين و... إلخ، يعني هو لا يرى إلا هذا الوسع، ويتكلم بكلام يتمنى أن يكون هو، هذا اجتهاد هو أن يكون موصِلاً لما يريد من الخير للأمة، فإذا تغير الحال وإمكانية إسقاط بشار فليسقط بشار، وهكذا مع القذافي، وهكذا مع فلان، أنا أفهم هذا، هذا خطأ

صواب موضوع ثاني، ولكن في النهاية هو أراد دين الله، أراد دين الله عزّ وجل، هكذا ينبغي أن تنظر إلى قلوب الناس.

فأنا أنظر إلى المعركة، أين قيامه؟ أنا أقول: إني ألعن كل من وقف مع الطواغيت ضد هذه الأمة، هذا ألعنه أنا، ولكن البعض يقول: كيف هذا يتحنن على هؤلاء ويعلن أن هؤلاء كفار الذين وقفوا مع حفتر وغيره؟ نعم كفار هؤلاء وقفوا ضد الأمة، ضد الإسلام هؤلاء، ولو تسمّو ولو لحاهم طويلة لا يهمني هذا، يهمني أين موقفك أنت في معركة الإسلام التي تعيش، هذا الذي يهمني أنا.

وثانيًا: النظر إلى منهجه وطريقته وإلى منفعته للناس، مقامه، المقام الذي هو فيه، لو ذهب من الذي سيملأه؟ من الذي سيأتي بدل منه؟!

الذين كانوا يكرهون الشيخ ابن باز على الرأس والعين له أخطاؤه، وأنا ممن تكلم عنه وأتكلم اليوم، يعني لست نادمًا أن أتكلم عنه، أتكلم عن أيّ خطأ هذا حق، طفلٌ في الإسلام يرد على شيخ الإسلام هذا حق يجب أن يُبيّن، كائنٍ من كان، وهكذا الصحابة رضضي الله عنهم يحبون بعضهم البعض ويرد بعضهم على بعض، ويشدون مرات في الأخطاء، تخرج منهم، تقول عائشة رضي الله عنها: أخبروا فلان بأنه بطل حجه وجهاده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، يشدّون في الكلام يقع هذا في العلم، ولكن من الذي أتى بدلاً منهم؟ لو أن الشيخ يوسف القرضاوي غفر الله لنا وله، حفظه الله، لو أنه بقوته ويخرج للناس ويتكلم في هذه الأوضاع في مصر، ماذا سيتكلم؟ هل يتكلم كلام هؤلاء المجرمين أم يتكلم الكلام الذي يحبه كل مؤمن، وبالتالي لا تنظر كيف ينظرون إليك، يا مسلم لا تنظر كيف ينظرون إليك، أنا أعلم هذا الكلام والجماعات ربما تسُبني، لا يهمني، أنا لا أنظر إلى مصلحتي، أنا أقول لكم والله لو حكم عليّ داعٍ مسلم بالسجن والله سأدعو له بالسجن، وإني أقولها والله إني لأرجو الأجر لمن أبغضني في الله ظانًا أني على الباطل وهو على الحق في دين الله عزّ وجل، أرجو له الأجر؛ لأنه مجتهد، وقد يكون مصيباً وقد يكون مخطئًا هذا عند الله، أنا أجتهد لإصابة الحق وهو يجتهد لإصابة الحق، فلا ندري من له الأجر ومن له الأجران، لا ندري حتى نلتقي عند الله عزّ وجل، حتى ندخل الجنة فنرى حقائق الوجود، والذي نرجوه أن نكون بين الأجر والأجرين.

ولذلك لما سمعت أن الشيخ الذي درّسني أستاذي في الجامعة محمد عبد القادر أبو فارس، لما جاء وعزّا في

تقبله الله أبا مصعب، أليت على نفسي إذا جئت سأُقبِّل يده، رجل سُجن، هذا رجل كان نائبًا في البرلمان وجاء وتكلم معزيًا في استشهاد هذا الرجل ومعه فلان وعلي أبو السُّكّرة، فأليت أن آتي إلى هنا وأقبِّل يد الشيخ ابو فارس رحمه الله، وزرته أول مرة وحاولت جاهدًا أن أُقبّل يده لكنه لتواضعه كان يرفعها ويبعدها، وزرته مرة ثانية وهو مريض في الفراش كأنه فرخة صغُر جدٍ بسبب السرطان وذهبت إلى جنازته، وهكذا، ووالله إن بعض مشايخ التبليغ لأُقبّل أيديهم، لهم مقامات في قلبي وأنا صغير لا أعرف دين الله وربُّوني ويرعوني في صلاة الفجر ويراعوني في تعلم الدين ومحبة المسلمين وتعلم الأخلاق، راعوني، وهكذا فعلوا في الأمة.

البديل ليس أنت، البديل هو الكفر مرات، البديل من هو أحق؟ لو أزيل هذا الشيخ فجاء من هو أسوأ منه، هو الآن يقوم مقام الحارث على الثغر، أنا أعرف البعض هكذا هو شأنه شأن من جاء لرجل وعنده مئة غنمة وعنده كلب فطلب منيحة، فقال له: خذ ما شئت من الغنم، فذهب فأخذ بأذن الكلب، بعض الناس هكذا، أنا أعلم أخطاءهم، أعلم مرات ممكن أن تكون مصيبة منهم، ولكن في النهاية نقول كما قال ابن تيمية رحمه الله لو قُتل هؤلاء فمن للمسلمين، من للفتوى، لو لم يكون هؤلاء فمن سيكون البديل؟ هذه أمتنا هذا واقعنا، ولذلك ردّوا عليهم بالعلم وأحبوهم بقلوبكم وأدعوا لهم، وحين تقع المعركة أفدوا هؤلاء بأرواحكم، لأنهم إخوانكم، أنتم لا تعرفون الباقلاني في علم الكلام، لا تعرفون! أنظروا إلى ردود العلماء، انظروا إلى ردود شيخ الإسلام عليه، ومع ذلك كان الدارقطني المحدث العظيم يُقبل يده، فلماذا لا نُقبل أيدي هؤلاء، في وقتٍ وقفوا أمام العلمانية، ووقفوا من أجل أسلمة القضايا التي ننازع فيها بالدماء وننازع فيها بالأموال والتخطيط لئلا تكون إسلامية.

هذه هي القضايا، هذا هو الموضوع، بهذا أحكم، هل تراني أُقبّل يده أم لا؟ أُقبل يده لسابقته في العلم والجهاد والسجن والدعوة إلى الله، أقبل يده لكِبر سنه، أبيك ما شأن أبيك كم له من الأخطاء؟ مع ذلك أنت حين تقابله تقبّل يده؛ لأنه أبوك، وهؤلاء كما قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «أبٌ لك في البدن وأبٌ لك في الروح»، هذا والد ما دام أنه يقف مع الحق، لكن حين ينقلب إلى عدوة الباطل؛ سحقاً أعوذ بالله كائنًا من كان لو كان أبوك، سحقًا أبعده، ما دام أنه وقف مع الباطل، وقف مع الشر، خلاص انتهى الموضوع، وقف مع أعداء الله عزّ وجل ضد هذا الدين وضدّ الأمة؛ هذا خلاص، انتهى الموضوع، اغسل يديك منه، هذا منهجي في الحكم على الأشخاص ونسأل الله عزّ وجل أن يجمعنا، في النهاية سيصبحون إرهابيين مثلكم، وبالله التوفيق

والحمد لله رب العالمين.

٢٦٩- شرح قاعدة «لا يدخل من كفر إلا من الباب الذي خرج منه»؛ صدام حسين نموذجًا

ضمن الجلسة الثانية والعشرون، بتاريخ: (١٤/٠٤/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٠١/٠١/٢٠١٨ م)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل الأخ -جزاه الله خيرًا- يقول: شيخنا المفضال من عقيدة أهل السنة والجماعة أننا نحكم لمن نطق الشهادة بالإسلام فمثلاً من كان كافرا طيلة حياته ثم قبل موته نطق الشهادة حكمنا عليه بالإسلام....

السؤال: صدام حسين قبل موته نطق بالشهادة... لماذا حكمه عندك كافر؟ بوركت لو تجيبني بالتفصيل عن المسألة وجزاك الله من الخيرات وأحسن إليك.

جواب الشيخ: في الحقيقة... أولاً أنا أعترض على السؤال فأنا لم أحكم على صدام، يعني دائمًا عندما أسأل عن صدام على ماذا مات؛ فلا أجيب، وأظن أني أجبت لماذا لا أهتم بالإجابة الشخصية عن الأموات؛ لأنهم ماتوا، يهمني المنهج، تهمني الأصول التي بها أحكم على النازلة، على الأحداث، على الأشخاص، على الأشياء.

لا بأس دعونا نتخذ موضوع صدام وكيفية موته طريقًا للحديث عن الأصول:

نحن نعلم أولاً قاعدة الإمام الشافعي رحمه الله: «أنه إذا كان المرء مسلمًا لا يرجع إلى الإسلام إلا من الباب الذي خرج منه»، كيف كفر المرء؟ فكفر من هذا الباب، فإذا أراد العودة إلى الإسلام لا يجوز أن يدخل إليه من بابٍ آخر، يجب عليه أن ينقض الكفر الذي أتاه ويدخل من الباب الذي خرج منه، وذلك بنقض ما أتاه من فعلٍ ناقض، أي ينقض الناقض، ينقض الكفر، ويكفر بهذا الذي كفر به فيصبح مسلمًا.

وهذه القاعدة التي نعلمها من الإمام الشافعي رحمه الله تُبطل الحوار المزعوم الذي انتشر في كتاب الشيخ سيد سابق رحمه الله في الحوار الذي جرى بين الشافعي وأحمد رحمهما الله، طبعًا القصة ملفقة ليست صحيحة،

عندما قال له عن تارك الصلاة، أحمد رحمه الله يقول: هو كافر، الشافعي رحمه الله يقول: ليس بكافر، بالرغم أن الشافعي له روايتان بكفره وعدم كفره، كما ذكر ابن كثير رحمه الله في التفسير وهو شافعي للذكر، فأحمد رحمة الله قال: هو كافر، الشافعي رحمه الله قال: هو مسلم، قال الشافعي لأحمد بم يسلم؟، قال يقول: لا إله إلا الله، قال: هو لم يتركها، طبعًا الشافعي رحمه الله قاعدته هذه التي ذكرناها تبطل هذا الحوار، لأن الرجل حين كفر بتركه الصلاة لا يعود بقوله لا إله إلا الله ولكن يعود بصلاته.

لو أن رجلاً قال: «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، قالها ولكن اعتقد أن عيسى هو ابن الله على وجهٍ من الوجوه، هذا لا يدخل الإسلام.

ومن هنا فاشترط علماؤنا وعلى رأسهم الإمام الشافعي كما نص عنه كثيرًا في كتب أصحابه: أن النصراني لا يدخل بالإسلام إلا بهذه الكلمة وبما ينقض دينه الذي كان كافرًا به بالإسلام، فالنصراني يجب أن يقول: «لا إله إلا الله ومحمد رسول الله وعيسى عبد الله ورسوله»، ونصوا بأنه لا يسلم بقوله: «لا إله إلا الله ومحمد رسول الله» فقط، إلا إذا كان –هذا استدراك مني– إلا إذا عالماً أن كلمة «لا إله إلا الله» تنقض نقضًا صريحًا أن عيسى هو ابن الله، والكثير من الناس لا يعلم هذه التفاصيل، لا يعلم أن هذه الكلمة تنقض هذا الأصل، خاصةً في أوقات انتشار الجهل.

إذن ننتبه لهذه القضية أولاً:

إذن بما يسلم المرء؟ يسلم بـ «لا إله إلا الله» وبنقض ما ينقض الإسلام إذا كان على هذا الناقض قبل أن يسلم، يعني نحن نعلم أن أناسًا يزعمون أنهم شيوعيون ومسلمون، هؤلاء كفار، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥)﴾ [آل عمران: ٨٥]، قال تعالى: ﴿يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، هذا خرج مع الظلمات إلى النور، لم يأت بالناقض، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، هذا ما اجتنب الطاغوت، هذا ما كفر بالطاغوت، لذلك هو أتى بالإسلام وأتى بالناقض للإسلام، فحينئذٍ؛ تساقط الحكم وصار كافرًا، فالمرء إذا أراد أن يسلم يجب أن يكفر بما يضاد الإسلام، لا يجوز أن يقول كما سمعت لواحدة مجنونة تقول: أنا مسلمة ومسيحية في نفس الوقت، نقول: أنت كافرة؛ لأنه لا يجوز للمرء أن يدين بالإسلام مع تدينه بغير الإسلام،

يجب أن يكفر بكل دينٍ سابق أو دينٍ محرف، ويجب عليه أن يتبع فقط الرسول صلى الله عليه وسلم، وكل الأنبياء عليه أن يحترمهم ولا يجوز له أن يطيعهم إلا بما جاء النبي صلى الله عليه وسلم بالأمر بطاعته.

فمثلاً: إذا قال رجل: «لا إله إلا الله ومحمد رسول الله» وكان تاركًا للصلاة، فبم يسلم؟ يسلم بأن يصلي، رجل قال: «لا إله إلا الله ومحمد رسول الله» وكان بعثيًا بم يسلم؟ بأن يكفر بالبعث، رجل كان مسلمًا وكان شيوعيًا هذا كافر، لا بد أن يكفر بالشيوعية ويؤمن بالإسلام، لا يمكن أن يكون مسلمًا يساريًا، فلذلك الإسلام اليساري باطل.

ودعوة وجود العلمانية المائعة التي آمن بها البعض مع أنه مسلم! هذا ليس من الإسلام بشيء، هذا كفر وردة، العلمانية في دينها هي مناقضة لأصل الإسلام، فالزعم بأنه مسلم وعلماني، ولكن علمانية مائعة وليس علمانية صلبة؛ هذا تلعب، وهذا كفرٌ بالله عز وجل؛ فيجب الكفر بالطاغوت، كما قال الإمام السمعاني رحمه الله في كتابه «الاصطلام» كما ذكرت هذا في كتاب «معالم الطائفة المنصورة» كتبتها دون أن أنسبها إليه، لكن في الشرح أنسبها له، قال: «وخروج المرء من الإسلام أسرع من دخوله فيه»، دخول الإسلام يجب عليك أن تؤمن بكل ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، إما على الإجمال وإما على التفصيل، عندما يأتي التفصيل يجب أن تؤمن وعندما لا يأتي التفصيل عليك بالإجمال، بمعنى أن تقول: أنا مصدق لكل ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، وقابلٌ لكل ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، أؤمن بالله على مراد الله وعلى مراد رسول الله، وأؤمن برسول الله على مراد الله فيه وعلى مراد رسول الله، وأقبل بكل ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم.

فإذن هنالك شروط كثيرة عليك أن تحققها من أجل أن تدخل الإسلام كلها مجموعة في هذه الكلمة العظيمة: «لا إله إلا الله محمد رسول الله».

«لا إله إلا الله» يعني أنا مقّر ومصدق لكلمات الله عز وجل التي هي صدقًا وعدل، «محمد رسول الله» يعني لا أتبع شريعةً غير ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم.

فخروج المرء من الإسلام يكون بواحدة، لو أن رجلاً قال: أنا كل الإسلام أقبله إلا قضية شرب الخمر، هذه أنا لا أقبلها، فرق بين أن أقول أنا لا أقبل حكم الله، وأن لا أطبقه لهوى في نفسي، يعني أن تقول: أنا مسلم وأعلم أن الله حرمه وأستغفر الله ولكن أنا مدمن ولا أستطيع أن أتركه، فهذا عاص ولو مات عليه ولو أصر على

شربها طول عمره، إلا أن يختم له بأن يكفر عند موته، هذه بينه وبين الله عز وجل فيما يسمى بكفر المآل، لكن نحن بالنسبة إلينا هو مسلم، فلو أنه شربها طول عمره على هذا الاعتقاد بأنها محرمة وأنه عاصٍ وأنه يستغفر الله منها، ولو لم يستغفر، بل قال: الواجب هو الاستغفار، لكن لم يستغفر؛ فهذا مسلم، لكن لو قال: أنا أرد حكم الله، هذه قضية تحريم الخمر غير مقبول عندي، لو أتى بكل الإسلام دون أن يأتي بالإقرار بأن الخمر حرام؛ هو خارجٌ من الملة دون أن يكون له عذر بالجهل أو الإكراه أو ما شابه ذلك.. فهذا كافرٌ خارج من الملة، أرأيتم! فخروجه من الإسلام أسهل، دخول الإسلام عليه أن يقر بكل الإسلام، عليه أن يصدق بكل أخبار السماء.

لو أن رجلاً صدق بكل أخبار القرآن سوى أنه كفر بقوله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥)﴾ [الفلق: ٥]، قال: ما في حسد؛ فهذا يكفر، بهذه الآية فقط، لأنه كفر بهذه الآية، والكفر بآيةٍ واحدة من القرآن هو كفرٌ بكل القرآن، أرجو بأن تكون القاعدة قد ثبتت.

الآن نرجع إلى صدام:

أول شيء هو مات وأفضى إلى ما قدم والله أعلم به، لا أتحدث عنه، لكن لنتخذه مثالاً في التمثيل:

الرجل طول عمره يقول: «لا إله إلا الله ومحمدٌ رسول الله»، -أنا أذكر الآن حجج الفريقين- طول عمره الرجل ما اعترض على أنه يقول: «لا إله إلا الله ومحمد رسول الله» ولا يُعرف عنه أنه قال: أنا لست مسلمًا، فهو يقول: أنا مسلم بعثي، وطريقة البعثيين في فهم الإسلام قالها إمامهم ميشيل عفلق، ميشيل عفلق له كتاب عن محمد صلى الله عليه وسلم، ويعتقد -وهذه كان يقولها أنا سمعتها من صدام في إحدى مقاطعه قديمًا- البعثيون يعتقدون بالقومية العربية، هم شوفينيون أي جماعة عندهم تعصب لقوميتهم ويحتقرون غير العرب، عندهم هذا، وإن كان بعضهم قال: لا ليس الأمر كذلك، لكن في الحقيقة القومية العربية عند القوميين ومنهم البعثيون عنهم القومية العربية دين يدينون به ورأوا أن الأمة تجتمع كما يقول ساطع الحصري إمامهم الأول: أن الأمة ليس من مكوناتها الدين، الدين هو شيء يمدها زيادةً في توثيق قوميتها ولكنه ليس مكونًا من مكونات الأمة، ماهي مكونات الأمة؟ اللغة -تأثرًا بما يقوله الألمان- اللغة وسيرورة التاريخ أي التاريخ الواحد المشترك، وقد صارع العلماء هذا الفكر الإجرامي.

فصدام يرى -ما هو الإسلام؟ ما هو محمد صلى الله عليه وسلم؟- يرى أن الإسلام هو مرحلة من مراحل

رقي العرب تجاوزوها إلى الرقي البعثي، إذن يقولون: أن العرب ترقوا في سلم الرقي القدري القومي فكانت إحدى مراحل رقيهم هو أن جاء الإسلام ومحمد صلى الله عليه وسلم فترقوا والآن خرجوا من هذه المرحلة إلى مرحلة أخرى وهي المرحلة البعثية عندهم، البعث، فالبعث هي المرحلة النهائية التي استقر عليها الرقي، هل هناك من مراحل قادمة؟ الكثير يقولون: نعم، يمكن أن تترقى الأمة رقيًا فوق البعث، فوق ما أتى به هذا النصراني ميشيل عفلق وأكرم الحوراني وهذان هما اللذان كونا حزب البعث العربي الاشتراكي، بل البعض يرى بأن الحزب أصلاً قبل أكرم الحوراني وليس ميشيل عفلق... لا يهمنا الآن، ليس هذا دوره الآن.

هذا ما كان يعتقده صدام، إذن هو يقول: «لا إله إلا الله ومحمد رسول الله» باعتبارها دين، ولكن لا يرى أن الأمة العربية من مكوناتها الدين، ويرى أن الدين هي مرحلة فاتت، هذه حجته، إذن لما قال: «لا إله إلا الله ومحمد رسول الله»، قالها على هذا المعنى مع بقائه في الباب المكفر، ولم يعد إلى الإسلام من الباب الذي خرج منه، ولذلك عند هؤلاء هو لم يسلم؛ لأنه لم يكفر بالبعث، لم يُعرف عنه كما أعلن أنه بعثي لم يعلن عنه أنه كفر بالبعث، هذه حجتهم.

حجة الآخرين طويلة وكثيرة يقولون: مع اعترافهم بهذا –طبعًا أنا أتكلم عن العلماء لا أتكلم عن الجهلة والعوام– العوام بلا شك تأثروا بالصورة والمواقف له أمام المشنقة بهذا الشموخ وهذا الصبر والجلد والشجاعة، أنا قابلت أحدهم قبل رؤيته للصورة كان يعيب، بل يسب، بل يتهم، بل يقذف، كل من قال: بأن صدام مات مسلمًا، فلما رأى الصورة انهار وقال: لا يفعلها إلا مسلم، الصورة لها دورٌ كبير في تغيير العقائد، والشباب للأسف الصورة هي التي تحكم أفكارهم وتحكم قراراتهم، وما الغلاة إلا تجربة تبيّن هذه الحقيقة؛ بأن الناس يتبعون الصورة أكثر ما يتبعون الشرح العلمي، الشباب لا يحبون التفاصيل يحبون الأفلام، يحبون الصورة.

فقال هؤلاء الكثيرون: أنه عندما يقول: «لا إله إلا الله» فإن الله لن يوفقه إلى قولها قبل موته إلا وهو صادق على قاعدة النبي صلى الله عليه وسلم: **(من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة)**، فهو قالها توفيقًا من الله، هذا واحد، وهذا التوفيق لا يكون إلا بوجد الحقيقة في قلبه أنه «لا إله إلا الله ومحمدٌ رسول الله»؛ فمات مسلمًا، وبعضهم أنا جلست معه –قبل مدة جلست مع أحدهم– وأقسم لي أنه توثق من هذه الرواية، أن صدام في آخر عمره قال: أنا أريد أن أقيم دولةٍ إسلامية على غرار ما أقامها أبو بكر وعمر رضي الله

عنهما، أنا أذكر روايته تصدق أو لا أنا لا يهمني هذا، فلذلك يقولون: بأن الرجل خرج من البعثية وبقي اسم البعثية ولكن البعثية في النهاية سمحت له بمثل هذا التطور وبقي الاسم والشعار وقام بما قام به، قلت لهذا الذي نقل لي الخبر: لعلك تقصد الحملة الإيمانية التي اشتهرت في قضية وجوب ترفيع الضباط بأن يقرؤوا القرآن ويحفظوا القرآن ويحفظوا السنة ومنع الخمر في رمضان... إلخ، قال: لا، هذه قضية أخرى، وهناك من يسوق لهذه الفكرة من الذين كانوا قريبين من صدام، لا أريد أن أذكر أسماء وأدخل في نقاش في هذا الباب.

فبهذين الاتجاهين كل واحد يأخذ جهته، لو أننا نظرنا إلى المسألة العلمية؛ فنجد أن الفريق الأول قال بعلمية مجردة؛ بمعنى أنه هو أعلن الكفر، فهل أعلن الإسلام؟ ما الذي يمنعه؟... إلخ، فتجدها أقرب إلى العلمية.

الفريق الثاني: أقرب إلى العاطفية، مع أن لها حقائق علمية الناس يذكرون أخبارًا في هذا الباب.

ومع ذلك فأنا لا يهمني في الحقيقة، ولا أحاول... ربما كل شهر تجد جلسة الناس يسئلونك، لم أحاول مرةً أن أحسم قولي في موضوع صدام كيف مات، لا يهمني في هذا، لكن لو بقي حيًا لكان من شرط دخوله الإسلام عندي أن مسلمًا، -لا أتكلم عن حالة موته على ما مات- لو قال رجل عنه وهو حي: هل صدام مسلم؟ سأقول له من شرط إسلامه أن يكفر بما أتى من ناقض، أن يكفر بهذا الناقض، أن يكفر بحزب البعث، وأمور أخرى بلا شك، ولكن هذا الذي يعلن به كرجل قائد دولة ورئيس حزب... إلخ.

أما أنا في الحقيقة أعترض على قول: «كيف تقول إنه كافر»، أنا أقول: إنه مات والله عز وجل هو الحكم العدل ولا يحتاج إلى حكمي، فلماذا أتألى على الله، ولكن في الدنيا أنا مطالب أن أقول ما هو حكم الله فيه كرئيس دولة ورئيس حزب، لكن ليس مطلوب مني أن أجيب عن كل أحد في الدنيا، لكن إذا رجل اشتهرت له كلمة أو اشتهر له منصب أو اشتهر له حال فمن العلم أن أجيب الناس، وأن أجيب نفسي قبل كل أحد عن حاله في دين الله عز وجل.

هذا وبالله التوفيق والحمد لله رب العالمين.

٢٧٠- اقتراح رسالة ماجستير في الفقه الحنبلي

ضمن الجلسة الثانية والعشرون، بتاريخ: (**١٤/٠٤/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٠١/٠١/٢٠١٨ م**)

الحمدُ للهِ، والصلاةُ والسلامُ على رسولِ الله:

كما وعدت الأخ الذي تكلمت عنه في الاستنصاح في قضية كتابة رسالة الماجستير، يقول: السلام عليكم ورحمة الله، بارك الله فيكم ونفع الله بكم، فقد وفقنا الله بفضله للحصول على تمهيد ماجستير، المفترض التقدم بموضوع الرسالة وبحثت عن مخطوط لأصولِ الفقه الحنبلي؛ فوجدتُ أغلبه مطبوع، فهل من توجيه من سماحتكم لموضوعٍ ترونه من الأهمية أو مخطوط تنصحون به؟ بارك الله فيكم ونفع بكم وحفظكم الله وأحسن إليكم.

جواب الشيخ: بلا شك أنَّ الآن البحث عن المخطوطات ليس متيسرًا لي، متيسرًا لكم، المخطوطات الآن مبذولة، كان الناس يجدون مشقة كبيرة في البحثِ عن المخطوطات، اليوم بسبب تصوير المايكرو فيلم هذا الصغير تستطيع أن تذهب إلى أي مؤسسة أو أي تاجر مخطوطات فيمُدُك بالأشياء الكثيرة والبحث، ولاشك أن هناك ثمّةَ نشاط كبير لتحقيق كُتُبِ أصول الفقه الحنبلي، والسبب مادي ولا شك، ودِعائي أكثر منه حقيقي، بمعنى الآن فورة الحنبلية وهذا زمانهم للحنبلية لابأس، على المذاهب الأخرى في هذا الوقت أن تقتنع بشيء من الهزيمة، لكن لن يدوم هذا الانتصار، والسبب كما تعلمون أن المشايخ الحنابلة المعاصرين لهم انتشار أكثر من غيرهم، مساكين علماء الشافعية ليس لهم دعم، وكذلك الحنفية ليس لديهم دعم، المالكية يعني يوجد دول تتبناهم، وكما قال ابن حزم عليه رحمة الله عندما قرأ انتشار المذاهب؛ فعلم أنّ انتشار المذاهب منوط بالمادة والسلطة، السلطة هي التي تنشره، يعني الحنفية كيف انتشرت؟ بتبني السلطة، بتبني الدولة العباسية للقاضي أبو يوسف وهكذا، المذهبية لا علاقة لها بالصواب والخطأ وإنْ كان هناك أمر قدري أن الله عز وجل يريد بهذه الأمة خيرًا فما أبقى هذه المذاهب دون غيرها، وبقيت غيرها وانتشر غيرها.

فالحنبلية اليوم تجد لها الصدى والقبول، تجد اليوم كل واحد حنبلي، لا أبوه كان حنبليًا، ولا جده، ولا قارئ أصلاً عن المذهب الحنبلي، لماذا أنت حنبلي يا عمي؟ يقول لك: يقولون إنه أقرب المذاهب إلى السنة، وهذه من أبطل الباطل في زماننا هذا، أبطل الباطل هو هذه الدعوة، هل تم الاستقراء؟ هل استقرئت أنت المذاهب

الأخرى؟ لا بأس.

فالقصد: هذا تعليق على كلمة أنني بحثت عن مخطوطة لأصول المذهب الحنبلي، ابحث عن مخطوطة لأصول المذهب المالكي أو غيرها.

في موضوع المخطوطات لا تسألني لأني في الحقيقة بعيد عن هذا الأمر؛ بسبب انشغالي، وإن كنتُ أتمنى هذا أني قضيت عُمري في هذا الباب مثل باب العلم ونشره، ولكن هكذا الدنيا، وهذه هي أقدارنا، أسأل الله أن يتقبل منا وأن يرحمنا برحمته.

بقي الموضوع الثاني: هل هناك أشياء في ذهني تتعلق بالأصول؟ أقول: نعم، هناك أبحاث ينبغي الاهتمام بها، وهي تتعلق بما نحتاجه اليوم أو ما ننازع فيه، يعني الآن موضوع الإجماع، بعض الناس ممكن أن يقول: أنه قد انتهى الأمر، لا لم ينتهي الأمر، أعجبني كتاب وصلني من أحد الإخوة الأحبة ولعله يرانا الآن أو قد سيراني بعد أنْ تُسجل، أنّهُ أرسلَ لِيْ كتابًا، هذا الكتاب لمجموعة من المشايخ جزاهم الله خيرًا لهم اهتمام في التفسير، تحدثوا فيه عن الإسرائيليات، «بحوث في الإسرائيليات في التفسير» أظن هكذا العنوان، وهذا شيءٌ أعجبني لما قرأته رأيت أني قد تكلمت فيه، تكلمت فيه كثيرًا في شرحي للموافقات، الرجاء الرجوع إليه.

البعض يريدُ أنْ يجعل فقط الدليل صحيح وضعيف، فالضعيف يُنبَذْ والصحيح يُقبل، وهكذا في كل العلوم، وهذه قاعدة باطلة، فلماذا تُذكر الإسرائيليات؟ فأعجبتني كلمة لهم، قالوا: من أَشَقِّ ما يكتب طالب العلم هو أن يكتب في شيءٍ ظنَّ الناس أنَّهُ قد تم الكتابة فيه وانتهى الأمر، هذا معنى كلامهم، بمعنى أنك تَكْتب في شيء تظن أنه قد انتهى، والحقيقة لا، بقي الكثير ليقال، فأعجبتني هذه الكلمة منهم والكتاب جميل ورائع ومهم، وأعجبني كُتَّابُهْ وأصابوا فيها ما ينبغي أنْ يُنبَهَ عليهِ أهلُ الظاهريةِ الجُدُدْ، صاحب «البحوث في الإسرائيليات» أظن هكذا العنوان، وهو من إصدار مركز تفسير، جزى الله عز وجل الذين كتبوا هذا الكتاب خير الجزاء، فقد نشروا خيرًا وأوقفوا شرًا.

أرجع فأقول: موضوع الإجماع، الآن نحن نرى منازعة الإجماع في قضايا معينة، مثل قضية قتل المرتد، مثل قضية زواج المسلمة بالكافر، نرى، مثل الرجم، فموضوع الإجماع حاول طبعًا حسن الترابي أن يصنع إجماعًا ما كما نعلم، الاحتجاج السيء بكلمة الإمام أحمد: «من ادعى الإجماع فقد كذب»، فهذا باب من الأبواب

العلمية التي ينبغي أن تؤصل لدى طالب العلم وأنْ يُكتبَ فيها بحيث يُعاد الاعتبار للإجماع، للأسف حتى هناك من بدأ يقتدي بالشوكاني في نقد الإجماع، طالب العلم لماذا لا يكتب في هذا الباب؟ هذا بابٌ ينبغي أن يُتحدث عنه.

هناك أبواب أخرى مثلاً: أنا تكلمت عن السؤال الآخر المتعلق بالأسئلة عن قياس الدلالة، القياس في كتب الأصول جامد ولا يفتح الآفاق والأذهان، لكنه في كتب الفقه يفتح الآفاق، فلماذا لا تكتب عن القياس في كتاب من كتب أهل العلم، بأنواعه قياس العلة وقياس الدلالة؟ لماذا لا تكتب؟

أنا أردتُ مرةً أنْ أجمع القياس عند ابن حزم في كتاب «المحلى» ومن خلال قراءتي لكتاب «المحلى» وجدت ابن حزم بعقله الكبير الجبار إلا أنه يقع في القياس ويقول بالقياس على وجهٍ من الوجوه، فلماذا لا تذهب إلى كتاب «المحلى» وتجمع «السقطات» بين قوسين، ابن حزم ضد ما أصله من قضية نفي القياس، استخدم القياس في بعض أحكامه، لماذا لا تذهب إليه؟ وهذا موضوع مهم جدًا ويفيدك، أنت ابحث عن الكتاب الذي يفيدك، وعن الموضوع الذي إذا قرأته استوعبت بابه واستوعبت وجهه.

مثلاً: قياس الدلالة، قياس الدلالة، قياس الدلالة هو الأشهر في كتب الفقه، كتب الفقه الأشهر فيها ليس قياس العلة، وقياس العلة موجود وبكثرة، ولكن الأكثر منه بكثير هو قياس الدلالة، اذهب إليه، اذهب إلى كتاب «التمهيد»، أنصحك بكتاب «التمهيد» يصلح مصدرًا لقياس الدلالة، اذهب إليه واجمع قياس الدلالة في كتاب «التمهيد»، أو قياس الدلالة في كتاب «المغني» مليء، كتاب «التمهيد» خاصةً مصدر من مصادر قياس الدلالة، أذهبْ إليه، فلماذا لا تذهب إليه؟

أنبهك على باب ذكرته وهو قضية أصول، أصول الفقه، كيف تبنى الأصول؟ ماهي مصادر أصول الفقه؟ لا تقف عند كلامهم وهو اللغة العربية والقرآن والسنة والمنطق، لا، لا، هذا خادع، هذه العبارة خادعة، لو تأملت كتب الأصول لوجدت أنهم يعتمدون أكثر من هذا بكثير، طيب لما نقول لغة عربية، ماذا نقصد باللغة العربية؟ ما لمقصود بكلمة اللغة العربية عندما يجعلونها أصلاً من أصول الفقه؟ المقصود بها معاني الحروف، بعض أهل العلم في معاني الحروف أطال النفس فيها كما فعل الشوكاني وكما فعل السُبكي، اذهب إليه فهذا من الأمور المهمة جدًا، فهذه أبحاث أنا أحب لك أن تقوم بها.

وأعجبني أحدهم عندما جمع للإمام أحمد رحمه الله الألفاظ التي لم يجيب عنها في الأسئلة والأجوبة: لا أدري، اسأل غيري، لا أعرف هذه، هكذا، ولو درست دراسة جيدة لدلت على منهج علمي معين عند هذا العالم وهكذا.

يعني إلى الآن، إلى الآن لا يوجد كتاب عن مصادر الشافعي في «الرسالة»، طبعًا هي رسالة ماجستير، أنا أعرف أن رسالة ماجستير غير رسالة الدكتوراه وأعرف الآن يشكون لي أبنائي أنَّ الرسائل للأسف يشترط فيها «٢٠٠ أو ١٥٠» صفحة، يعين كما يقال في العامية: «تلفيق»، لكن هل هناك دراسة تبيّن لنا ما هي مصادر الإمام الشافعي في «الرسالة»؟

البعض يقول: أنَّه المنطق اليوناني، هل هذا صحيح؟! ادرسها، لا يكفي أنْ تجيب إجابة، كيف تكونت في عقل هذا الإمام العظيم؟ كيف تكونت هذه الأصول؟ ارجع إليه واقرأها قراءة متأنية ستخرج معك فوائد ربما تكون قليلة العدد لكنها عظيمة النفع.

في تفسير الإمام الطبري تجد أنه يعيد إلى كتابه «الأصول» المفقود -له كتاب في الأصول الإمام الطبري، ولكنه مفقود- ويعيد الكثير من الأصول عندما يتكلم على كتابه، يقول: وذكرت هذا وذكرتُ في كتابي «الأصول» كذا وكذا، فارجع واجمع لنا هذه القواعد الأصولية التي نحتاجها، اجمعها في كتاب ستخرج معك فائدة جميلة جدًا في هذا.

هذا الذي عندي بالنسبة لك أيها الأخ الحبيب، مع تجنبي لسؤالك طويلاً لكني وعدتك أن أجيب فها أنا أجيب وجزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

٢٧١- يتهم من يقرأ للفلاسفة بعدم فهم علماء المسلمين لهم

ضمن الجلسة الثانية والعشرون، بتاريخ: (**١٤/٠٤/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٠١/٠١/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل أخ: كثيرٌ ممن اهتم بالفلسفة يتهم غيره من العلماء المسلمين بعدم فهم كلام الفلاسفة المسلمين، ويدافع عنهم أمثال ابن رشد، ابن سينا، الفارابي ويقول عنهم أنهم أعظم الموحدين، فما الجواب؟

جواب الشيخ: هذا يعني رجلٌ ظالم لأهل السنة وظالم لأهل العلم، الفلسفة في تاريخنا كانت خارج الإطار الديني، ولا شك، والفلاسفة ممن سموا بالفلاسفة أو نصروا الفلاسفة لهم مقالات خطيرة جدًا في دين الله، أفضلهم دينًا في المذكورين الثلاثة الذين ذكرهم السائل، أفضلهم دينًا وعبادةً والتصاقًا بالشرع هو ابن رشد.

ابن سينا رجلٌ مضطرب نشأ إسماعيليًا، وحسن في بعض كتبه عبادة النجوم، ولم يعرف عنه الاقتداء بالشرع، والناس يمدحونه ليس لفلسفته بمقدار أنه طبيب ومباحثه إشراقية، بمعنى هو جمع بين الفلسفة التي تبحث عن الأجوبة الوجودية من خلال العقل والنظر النفسي والأخلاق من خلال الذات الإنسانية، وجمع بين فلسفة الإشراق؛ لأنه في الأصل إسماعيلي فالإسماعيلية عندهم هذه الباطنية ولذلك عنده فلسفة الإشراق، فلسفة الإشراق والبحث عن المعرفة عن طريق الجذبة، عن طريقة المجاهدة النفسية، ومن هنا فهو يقول: بأن النبي هو العارف على شيءٍ واحد، مهما اختلفت أقواله.

فأشدهم بعدًا هو الفارابي الذي يسمى بالمعلم الثاني، هذا الفارابي لا علاقة له بالدين، وهو يؤمن بقضية الفيض، أي فيض العقل الأول، كما يقولها الفلاسفة اليونان، يؤمن بهذا، واعتقاداتهم في هذا ليست من الإسلام في شيء، ولما يكتبون في هذه الأبواب لا يكتبونها باعتبارها أنها من الإسلام، وكانوا يتسترون ويظهرون كتبًا أخرى للعوام ويظهرون كتبًا أخرى من أجل العلماء، فلم يكونوا شجعانا في الحقيقة، بل يعرف عنهم الباطنية.

أقول: أقربهم إلى الشريعة هو ابن رشد الحفيد؛ لأنه علينا أن نفرق بين الجد عليه رحمة الله، الوليد ابن رشد الجد فهذا إمامٌ عظيم من أئمة المالكية، وفقيهٌ مالكي وقاضٍ كان قاض القضاة، قاض القضاة أو يسمى بقاض المظالم أو يسمى عندهم أسماء غير قاض القضاة يسمى قاض المظالم، بخلاف كلمة المشارقة قاض القضاة، فهذا

لا يُعرف عنه الفلسفة بل هو على طريقة الفقهاء والعلماء، وأما ابن رشد الحفيد فهو تكلم في الفقه هو صاحب «بداية المجتهد»، تكلم في الفقه وكان محبًا للغزالي بحيث اختصر كتابه «المستصفى»، والغزالي يحب بلا شك من كتاب «المستصفى»، والكثير من كتبه الأصولية النافعة، لكنه نصر الفلاسفة في الرد على الغزالي في كتابه «تهافت التهافت».

والعلماء انتقدوا عليه أمورًا في كتابه «فصل المقال»، قال: بأن ما تنتجه الفلسفة ينتجه الشارع، فما الحاجة للأنبياء إذًا؟!! وهل حقًا ما أنتجه الفلاسفة من هذا الاضطراب والاختلاف الذي قالوه بحيث لا يوجد فيلسوف يوافق أستاذه، ولا تلميذ يوافق شيخه، وكلهم يلعن بعضهم بعضًا، ويتهم بعضهم بعضًا بالمخالفات، هل كل ما قالوه هو يوافق ما جاء به النبي محمد صلى الله عليه وسلم؟! فلذلك هو في «فصل المقال» قال: بأن ما جاء به الأنبياء، جاء به الفلاسفة، طيب الفلاسفة يقولون: بأن النعيم الأخروي هو نعيم خيال، بمعنى موهوم نفسي، فهل هذا ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وحدثنا به عن قضية الأكل والشرب والنعيم الحسي في الآخرة من الحور العين وغيرهم هل هذا من الخيال؟! قال: نعم!! ولذلك ابن رشد يرى أن الألفاظ القرآنية وهذا أسوأ ما قاله ابن رشد -وهو أقربهم قلت إلى الشريعة- وهو أن ما أخبر به القرآن من ألفاظ إنما وافق فيها العوام؛ حتى لا تنفر القلوب منها، فمعنى كلام ابن رشد -أستغفر الله العظيم- أن القرآن زور من أجل أن يفهم العوام، هذا الخطاب الظاهري وهو خطاب شعبوي بلغة المعاصرة خطاب خطابي بلغتهم، بمعنى أنه لا يُناقش المسائل مناقشة برهانية علميّة عقليّة، بل هو يخوفهم ويفرض قوله من خلال التخويف، جنة ونار وقبر وعذاب وحشر و... إلخ، فهو خطاب خطابي؛ لأن سيدهم أرسطو قال: بأن الخطاب يقسم إلى قسمين: خطاب خطابي وخطاب برهاني مثل الخطابة والشعر وغيره... والخطاب البرهاني خطاب العقل الذي قال به وهو المنطق والقياس الذي قال به أرسطو.

فلما ردوا عليه وقالوا له: إن الفلاسفة يقولون بأشياء لا يقولها القرآن، فقال: إنما القرآن جرى على مجرى خطاب العوام؛ حتى لا ينفرهم، هذا خطاب إيماني هذا؟!

ابن سينا في قضية الفلسفة المشرقية هل خطاب إيماني هذا؟!، اقرأوا قصته «حي بن يقظان» لابن سينا، ليست رواية «حي بن يقظان» التي يقولها الفيلسوف الأندلسي ابن طُفيل، كذلك «حي بن يقظان» ألفها ابن

سينا، انظروا هل هذا لقصة توافق الشريعة؟! حتى رواية «حي بن يقظان» لابن طُفيل، هي في الحقيقة ما مقصدها؟ مقصدها؛ هناك شاب يعيش داخل جزيرة يكتشف الغيبيات ويكتشف الإيمانيات لوحده، يعني لا ضرورة للأنبياء!! الأنبياء جاؤوا من أجل خطاب العوام! أما فالعقلاني والبرهاني فهو غني عن خطاب الأنبياء! وعنده من العقل والبراهين العقليّة ما يغنيه عن خطاب الأنبياء! وخطاب الأنبياء للعوام وكذلك يراد به الإشارات فقط!! فكذلك الإشارات والكتب كثيرة لابن سينا، اقرؤها، هل هذا خطاب إيماني؟!!

ولذلك كان مضطربًا، كان إسماعيليًا متخفيًا أبوه، ولم يكن على الهدى ولم يكن على الدين، بل إن ممارساتهم يتكلم عنها أصحابهم بعدم الدين وعدم التقوى، ليس عندهم دين ولا تقوى الفلاسفة، ومن اقترب منهم كان على هذا المعنى بدون ذكر أسماء؛ حتى لا تسقط بعض الاعتبارات.

فلا أحد يقول أحد: بأن الفارابي فيلسوف مسلم وابن سينا كذلك، ابن رشد هو الخطاب حوله لماذا؟ لإنتاجه الفقهي الأصولي، ومع ذلك فإنه يقول: بأن الخطاب القرآن -وهذا أخطر ما قاله- بأن الخطاب القرآني هو خطاب خطابي شعبوي ولا يراد منه الحقاق وإنما أراد التمويه وخطاب العوام اللذين لا يفهمون إلا بالحس!! هل فهمنا هذا أم لم نفهم نحن؟ ارجعوا إليه.

الغزالي لما كفر الفلاسفة، كفرهم لأمور محددة منها؛ نفي علم الغيب العلم، العلم الكلي، نفوا العلم الكلي، بالرغم أن الغزالي كفرهم لأمور اعتقادية، ما تكلم عن سلوكهم ولا فهمهم للشريعة، وإنما الأمور العقائدية، فلما رد عليه ابن رشد، رد عليه بتهافتٍ فيه تهافت، وفيه ظلم، وفيه تجني، والغزالي متهم بأنه لم يفهم الفلاسفة، ولكن العلماء اللذين ردوا عليهم لم يفهموهم؟ هذا كذب، كانوا يفهمون مقالاتهم ويعرفونها إذا جلسوا إليهم، ويعرفون مآلات أقوالهم، وعلماءنا لم يتركوا منهج الفلاسفة لأنه خطابٌ فوقي برهاني ونخبوي، إنما رفضوا الخطاب الفلسفي؛ لموضوعه، لأن موضوعاته باطلة، موضوعات الفلاسفة باطلة، وخطابات الفلاسفة لم تنفع أصحابها، ولم تنفع أهلها.

فالرد عليهم من جهتين:

أولاً: أن الفلاسفة الذين سُموا بالفلاسفة المسلمين فيهم من الضلالة والانحراف ما الله به عليم،

ثانيًا: هل علماؤنا علموا مقالات الفلاسفة ومآلات أقوالهم؟ الجواب: نعم، وردوا عليهم بما يعلمون من مقالاتهم، هذا كلام غير صحيح.

السائل يشير إلى أن بعض الكتب تمجد الفلاسفة على وجهٍ ما، مثلاً: هناك كتاب «قصة الإيمان» لنديم الجسر تمجد الفلاسفة، لا، هو نديم الجسر أراد الرد على الملحدين في عصره، وهو رجل من القضاة التقليديين، وكان أشعريًا، ما يهمنا في هذا، وهو بلا شك متكلم فحل وكبير، لكن ماذا أراد في «قصة الإيمان»؟ انتشر في عصره الإلحاد، ما الإلحاد؟ هو نفي وجود الله ونفي مدبر للكون، وهي بدعةٌ موجودة في التاريخ، لكنها ميتة لا أحد يلتفت إليها، لكن قد انتشرت في عصر متأخر من قِبل الشيوعين، لما قالوا: لا إله والحياة مادة، ونفوا وجود الله والمدبر لهذا الكون والخالق، فأراد أن يرد عليهم بأن هذا الذي قالوه هو نبتة غريبة لم يقل بها الأوائل، لم يقل بها أحد، لم يقل بها عاقل في التاريخ، فسمى قضية وجود الله قضية إيمان مقابل كفر خاص، إيمان خاص مقابل كفر خاص، وليس إيمان عام كما هو اللفظ الشرعي مقابل كفر عام، يعني الرجل يكفر ولو آمن بوجود الله يكفر لأسباب كثيرة، ولكن هنا الإيمان الخاص وهو الإيمان بوجود الله، فقال: «قصة الإيمان» مبيّنًا أنه ما من فيلسوف إلا وآمن بوجود هذا الخالق المدبر لهذا الكون، فسماه «قصة الإيمان»، فبهذا يمدح هؤلاء؛ بأنه لم يوجد في التاريخ من نفى وجود الله عز وجل، إلا قلة قليلة منبوذة، واليوم انتشرت وبدأت بالانحسار ثم عادت الآن وعاد رداء الإلحاد ليصبح موضة يلبسه الناس بمرض وليس باختيارٍ عقلي فكري وعلمي، فهذا هو الجواب والله تعالى أعلم.

بارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٢٧٢- صلاة الجمعة إذا فاتت ماذا تصلى؟

ضمن الجلسة الثانية والعشرون، بتاريخ: (**١٤/٠٤/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٠١/٠١/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: ما هو القول الصحيح فيمن فاتته صلاة الجمعة؟ هل يصليها ركعتان لأنها فرضت هكذا أم يصليها ظهرا؟

جواب الشيخ: فيما أعلم أن الأئمة الأربعة يقولون: بأنه يصليها ظهرًا، والسبب؛ أن الجمعة لها شروطها، هذا هو التوصيف الفقهي لها أو التكييف الفقهي، بأنه إذا صلى الجمعة فعليه أن يصليها على تكييف الشارع، تكييف الشارع هو أن يصليها في مسجد، موضوع الخطبة: هل هو واجب؟ هل هو سنة؟ على خلاف، ولكن بتكييفها أن تصلى جماعة، فإذا صليت جماعة -صلاة الجمعة يوم الجمعة- فحينئذٍ يجوز له أن يصليها الجمعة، ولكن إذا صلاها في البيت مقصرًا، أو لسببٍ شرعي؛ فعليه أن يصليها ظهرًا، هذا قول الأئمة الأربعة.

وهناك من قال: الواجب -كما ذكر السائل- الواجب هو الجمعة، فعليه أن يصليها جمعة، ركعتين؛ هذا قولٌ ضعيف، لأنه لم يأتِ بصلاة الجمعة على وجهها الصحيح، وصلاة الجمعة واجبة على وجهٍ ما، فإن لم يأتِ بهذا الوجه فعليه أن يصليها ظهرًا.

ومثال ذلك المرأة؛ المرأة ليس عليها جمعة، لكن لو صلت الجمعة ماذا تصلي؟ لو صلت في المسجد تصليها جمعة وليس عليها جمعة، فإذا صلتها لعذرٍ في بيتها صلتها ظهرًا، وكذلك المريض، وكذلك المسافر المقيم -لمن يقول بهذا النوع من أنواع السفر- المسافر المقيم أن يصليها ظهرًا.

فالقصد: بأن صلاة الجمعة لا يجوز أن يصليها المرء جمعة إلا بالتكييف الشرعي لها، فإذا خرجت عن هذا التكييف بقي في حقه الظهر، إما قصرًا وإما إتمامًا بحسبه إذا كان مسافرًا أو كان مقيمًا، بحسبه.

لكن هذا التكييف الشرعي له صورة في بابٍ آخر، وهو أن يصليها جماعة من غير خطبة؛ بمعنى: هو في حاضرة وعليه الجمعة -الجمعة واجبة عليه-، فصلاها جماعة مع أناسٍ آخرين، فكيف يصليها؟ هل يصليها

جمعة أو يصليها ظهرًا؟ ما دام أنه صلاها جماعة فعليه أن يصليها جمعة، لأن شرط الجمعة هو الجماعة، وهل الخطبة ركن؟ الصواب: أنها ليست ركنًا، الصواب: أن الخطبة ليست من أركان الجمعة، إنما الواجب هو الجماعة فقط، والخطبة على خلاف بين أهل العلم وليست ركنًا.

هذا الذي أقوله.. وبالله التوفيق، والحمد لله رب العالمين.

٢٧٣- مسألة في البيوع

ضمن الجلسة الثانية والعشرون، بتاريخ: (**١٤/٠٤/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٠١/٠١/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل يقول: هناك نوع من أنواع البيوع، صيغته: أن أخذ منك بضاعة، فما بعت منها أعطيتك ثمنه، وما لم يباع أرجعه إليك، فما حكمه؟

جواب الشيخ: الجواب أيها الأخ الحبيب: هذا بيعٌ جائز ليس فيه أي حرج، وعقدٌ صحيح.

فبعض الناس يأخذ من الرجل البضاعة على أن يبيعها، فالذي باعه منها يتم على العقد على بيعه، والذي لم يبعه يُرجعه إليه، لا حرج في هذا، وهو بيعٌ صحيح ولا شبهة فيه.

يشبهه: رجل إذا أخذ بضاعةً من رجل بشرط -وفقط لزيادة الفائدة وهي المنتشرة، وربما فيها الخلاف، ولكن أنا أفتي هنا بقول الإمام البخاري ومن قال بقوله- رجل أخذ من رجل بضاعة مثلاً بمائة دينار، قال له: إن بعتها بـ «١٠٠» فلك عشرة بالمائة، فإن بعتها بـ «١٣٠» فلك عشرة بالمائة والثلاثون زيادة، هل يجوز هذا؟ هذا يجوز، لا حرج.

أعد السؤال، لو أن رجلاً أعطى رجلا بضاعة، وقال له: أنت بعها بمائة دينار، فإن بعتها بمائة دينار لك عشرة بالمائة، ولكن لو افترضت أنك بعتها بمائة وعشرين أو مائة وثلاثين، فالزيادة لك ولك النسبة، هل يجوز هذا؟ الجواب: نعم يجوز.

دمجت مسألتين في مسألة، فلو اقتصر على الأولى لا بأس، أو صارت الثانية لا بأس في هذا، فهذا بيعٌ صحيح ولا حرج فيه، والحمد لله رب العالمين.

٢٧٤- المراهنة من طرف واحد

ضمن الجلسة الثانية والعشرون، بتاريخ: (**١٤/٠٤/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٠١/٠١/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته -وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته- شيخنا الفاضل جزاك الله خيرًا، هل قول الرجل لأخيه: أراهنك من طرفٍ واحد من القمار؟

جواب الشيخ: ليس من القمار، لو قال له: تعال، فأنت لا تستطيع أن تحمل هذه، فلو حملتها لك مني «١٠٠» دينار، ولو لم تحملها ليس عليك شيء؛ هذا ليس من القمار في شيء، وهذا جائز.

وهناك مسألة ذكرها ابن القيم، وهي وجود المحلل، يعني: اثنان تبارزا فيمن لو نجح أعطى الآخر الراسب أو المهزوم، أعطى للناجح مثلاً «١٠٠» دينار؛ هذا عندهم -عند الأئمة الأربعة- لا يجوز إلا بوجود محلل، وهو وجود شخص ثالث ليس مضمون الحالة، قد ينجح وقد يخسر هذا الثالث المحلل، بشرط أن يدخل من غير مقامرة، إلا إذا نجح بأن له المائة دينار.

أعيد المسألة: «س» مع «ص» دخلا في مبارزة على شيء، مثلاً: أن يتسابقا على فرسين، فهذا وضع «١٠٠» دينار، وهذا وضع «١٠٠» دينار، فصار المجموع «٢٠٠» دينار، فالناجح يأخذ «٢٠٠»؛ هذا لا يجوز، هذا مقامرة، هذا قول الأئمة الأربعة، إلا بوجود محلل -لا نريد أن نذكر قول ابن القيم في كتاب «الفروسية»- إلا بوجود محلل، وهو «ع»، هذا «ع» لا يدفع ولا قرش، لكنه إن خسر لا يدفع وإن ربح أخذ المائتين؛ هذا الذي يجيزه أهل العلم في هذه الحالة، وهو وجود شخص ثالث محلل لا يدفع في القيمة ويربح إذا هو ربح، بشرط هذا «ع» لا يكون فقط لا قيمة له، لا، يمكن أن يبارز، شرطه أنه يمكن له أن يبارز فينجح، ولا يحضرونه هكذا فقط صورة، هذا هو قول الأئمة الأربعة في هذا الباب، وطلبة العلم لو رجعوا إلى كلام ابن القيم فيها، فله قول في قضية المبارزة في المسائل الشرعية والمسائل الجهادية، فله قول في هذا الباب يرجع إليه.

والحمد لله رب العالمين.

٢٧٥- حكم لعب الشطرنج

ضمن الجلسة الثانية والعشرون، بتاريخ: (**١٤/٠٤/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٠١/٠١/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: ما حكم لعبة الشطرنج؟

جواب الشيخ: الأغلب من أهل العلم، يعني المشهور خاصةً عند المتأخّرين يحرمونها؛ بل إن بعضهم وضعها في الكبائر!! والسلف على خلافٍ بينهم، وحين يوجد الخلاف لا بدّ من اتباع الدليل، حتى ولو كثر القائلون بقولٍ من الأقوال عند المتأخرين، فالعبرة بالدليل وليس بالأكثريّة.

فلذلك لا يوجد في الحقيقة في لعبة الشطرنج حديثٌ يصح في حرمتها؛ فالقول بحل لعبة الشطرنج دون زوائد، يعني دون أن تكون ملهية عن ذكر الله، دون أن تكون ملهية عن الصلاة، دون أن يكون فيها القمار، بهذه الشروط التي وضعها الأئمة الشافعية، الشافعية يجيزونها بالشروط، الشروط العامة التي هي فيها وفي غيرها، في أي لهوٍ من الأعمال التي تدخل في هذا الباب.

فلذلك الصواب: أن لعبة الشطرنج جائزة، ما فيها حرج بهذه الشروط، وأما الأحاديث فلا تصح، وأما أقوال بعض الصحابة فله وجه، مثل قضية: ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (٥٢)﴾ [الأنبياء: ٥٢]، تكسر أنت الصليب، تكسر شكل الفرس، تكسر شكله، بحيث لا تصبح هذه الأصنام التي يعكف الناس عليها، والصليب يكسر؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بكسر الصليب، فتميّز الملك بشكل من الأشكال.

فهذه اللعبة لا حرج فيها، جائزة، يجوز للمرء أن يلعبها، ومن فوائدها -لها فوائد في الحقيقة- هي أكثر لعبة في العالم وتاريخيًا تنمي العقل والذهن، ويمكن أن تفيد المرء في حياته، في الخطط والذكاء وغيرها، فهي لعبة ذات فائدة فكرية.

ثانيًا: وجدت أنّ الناس لا يمدحون لاعبًا من الألعاب ذهنيًا إلا في هذه اللعبة؛ يعني لو قيل: فلان هذا يلعب الشطرنج وهو متقن له؛ فورًا يصبح للناس انتباه له إلى أنّه صاحب عقل وذهن، بخلاف الألعاب الأخرى، فيها شيء من السذاجة والبساطة وغيرها، وبعضها -طبعًا غير الألعاب البدنية تلك لا تقارن في العقل

ولا يضعها الناس في ميزان العقل- وأمّا بقية الألعاب الذهنية الضعيفة، فالناس لا يحترمون عقل صاحبها كما يحترمون لاعب الشطرنج.

ولذلك: الشطرنج على الصحيح أنه جائز، ولا شيء فيه، والله تعالى أعلم، مع علمي بما شدّد به العلماء، أنا أعلم أنّ العلماء شددوا فيه، ورأيته -يعني الكلام الذي قاله بعض أهل العلم- كأن لعبة الشطرنج في زمانهم كأنّها صارت سِمة لأهل البدع، وخاصةً سمة لأهل الفجور والفسق، كأنّه لم يعد يلعبها إلا أُناس معينين، وبعض الألعاب تصبح سمة في الحقيقة لأناس معينين، فالناس يتركونها لئلا يُتهموا بأنهم من هذا الصنف من الناس، فيغلب على العالم هذا الواقع، وتكلّم عن هذه القضية الإمام ابن تيمية رحمه الله، وتكلّم عنها ابن القيّم: أنّ الواقع مرات -واقع قضيّة ما- يحكم الحكم عند الفقيه، هذه تكلّم عنها ابن تيمية في قضية ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ﴾ [الحجرات: ٩]، عند البغي، قال: لأن العلماء الذين قالوا بأن الخارج عن الإمام باغي، قال: غلبت عليهم وقائعهم؛ ذكر هذا في كتاب «الاستقامة»، ذكر بأنّ الواقع غلب عليهم وصف حالة معينة، ورأيتها للشاطبيّ في «الموافقات»، ونبّهتُ عليها عند شرحي للموافقات.

فالفقيه يغلب عليه هذا وأظن هناك كلمة للعز في هذا الباب، فنرى أن العلماء في أزمانهم يرون أن اللاعبين بالشطرنج، يذهبون إلى الصلاة فيجدونهم على لعبتهم يقيمون، لا يصلّون، أو يلعبون القمار، أو يشربون المواد المحرّمة كالحشيش وغيرها، أو يتصابون مع النساء؛ فيظنّ بعض أهل العلم أن هذه اللعبة مقرونة بمثل هؤلاء، فيحرمونها، هذا الذي وجدته، أمّا من جهة الأدلة، فلا أظن أن هناك دليلاً يصح في حرمتها، فالأصل على بقاء حلّها، والله تعالى أعلم.

بارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٢٧٦- هل هنالك عدل خارج الشريعة؟

ضمن الجلسة الثالثة والعشرون، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٤/٢١هـ الموافق لـ: ٢٠١٨/٠١/٠٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: هل هناك عدلٌ خارج الشريعة، يقول بعضهم: أن العدل شيءٌ غريزي في النفس وأنه يوجد عند البهائم، ويأتي الثور يقتص منه يوم القيامة (**يقتص من الشاة القرناء لشاة الجلحاء**)، فلماذا نحصره في الشريعة وقد تعارفت الأمم على نبذ الكذب وكرهه؟ إذن يزعمون هناك أرضية أخلاقية مشتركة بين الأمم من الخطأ الزعم أنا الحق والعدل والهدى حجرٌ على الإسلام هذه فكرة، هنا يقول الأخ أنها سُئلت، ثم يقول من استدلالاتهم كذلك؛ (**بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**)، إذن فالأخلاق عندنا وعند غيرنا.

جواب الشيخ: هذا سؤال علمي كما يقال فلسفي، لكن لا بأس، أو لنقل سؤال وجودي، هذه المسألة أيها الأخ الحبيب مسألة لها تعلق بالتحسين والتقبيح العقلي، هل هو عقلي أم شرعي؟ وتعرف الخلاف فيها؛ هناك من قال: إن الحسن والقبح لا يدرك إلا بالشرع؛ ما أمر الشارع به هو حسن وما نهى عنه قبيح، ولا يمكن للعقول أن تقرر الحسن والقبح بذاتها، وهناك من يقرر أن الحسن والقبح يدرك عقليًا؛ ولذلك هم يرون الحساب يوم القيامة على مخالفة الأمم التي لم تبلغها الرسالة على ممارستهم الشر حتى لو لم يأتيهم النبي وهناك من جمع بينهما وقال وهذا قول شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله: بأن التحسين والتقبيح عقليان ولكن هناك من الأمور لا تدرك إلا بالشرع، ويصبح حُسنها على مآلاتها، كما أمر الله عز وجل إبراهيم عليه السلام أن يذبح ابنه فهذا حسن؛ لأنه ابتلاء، وحسن للعاقبة بأن الله عز وجل جعله سبيلاً لما نعلم.

كذلك يقولون: بأن العقوبة معلقة بالرسالة وليس بالعقل؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا (١٥)﴾ [الإسراء: ١٥]، هذا السؤال وإذا اخذنا هذا القول الوسط وهو القول الجامع للأدلة عند الفريقين؛ نرى أن التحسين والتقبيح يمكن أن يدرك بالعقل، يمكن، لكن هناك جوانب ما لا تدرك إلا بالشرع، فكيف نفرق بين الحالة الإسلامية أو التكييف الشرعي لما هو حسن والتكييف العقلي العام البشري لما هو حسن؟

أول شيء هناك قضايا إجماعية تدل على أنه لا يمكن إدراك صدق النبوة إلا بتقريرها الحُسن في فطر الناس،

عندما نرى محاورة جعفر بن أبي طالب لملك الحبشة في صدق النبي صلى الله عليه وسلم، ماذا بيّن له؟ بيّن له أنه يدعوا إلى حسن الاخلاق؛ فخاطب الأخر بشيءٍ مجمع عليه، هناك قاسم مشترك؛ وهو أن هذه الأخلاق حسنة، أنه يدعوا إلى البر، إلى الإحسان، إلى إكرام الضيف، إلى عدم الظلم، إلى احترام النساء... إلى غير ذلك من هذه الأمور المتفق عليها، الرحمة على الصغير، الرحمة على الضعيف.

كذلك نرى أن هرقل لما سأله أبا سفيان عن صفات هذا النبي صلى الله عليه وسلم وما أتى به من شرائع؛ أدرك صدقه من خلال الوقائع، من خلال أنه يدعوا إلى مكارم الأخلاق، فإذن دل هذا أن البشرية في مُجملها قد فطرت على هذا الأمر الذي لا يختلف فيه الناس، والفطرة معناها هو ما لا تختلف فيه العقول البشرية، هناك فطرة على أن الصدق ممدوح وعلى أن الكذب مذموم، وعلى أن الظلم مذموم، وعلى أن العدل ممدوح، فهذه قضايا مقررة والشارع يقررها، والحُسن والقبح على الصحيح أنه ينشأ من الفطرة من العقل، والمقصود بالعقل هو العقل الفطري؛ لأن هناك من تمسخ فطرهم عن طريق ما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم: **(فأبواه)**، تمسخ فطرهم فيصبح الظلم ممدوحًا؛ هذا ممكن، وهناك طوائف من الفلاسفة يرون مذهب اللذة، يرون أن الحُسن هو ما قررته اللّذة، والقبح هو ما لا يذوق الإنسان بلذته، هناك مذهب يقوم على هذا وهو شهير، وإن كانت في مجموع الأمم لم نرى هذه الصفة، يعني في مجموع الأمم قد تكون هنالك أمة كبيرة اتفقت على هذا من النادر أن نجدها حتى لو وجدت.

فالجواب على هذا:

أولاً: أن الشارع أن يبيّن صدق النبي في مخاطبة الفطرة التي تحمل ما ذكر السائل من القواسم المشتركة في مسائل الحق والباطل؛ فدل هذا على أن البشرية تحمل، هناك قاسم، لكن في هذه المسألة فيما هو قاسم بين الشريعة وغيرها من البشرية التي لم تؤمن بالنبوة ما هو الفارق بين ما هو حقٌ وباطل؟ هو قضية التكييف، المؤمن -هنا نأتي- المؤمن في هذه الأفعال متفق عليها فطرةً وعلى عموم البشرية أن الحق لا يكون حقًا عندنا حتى يعمل لله عز وجل رغبةً بالحياة الآخرة، وبهذا يكتسب هذا الحق معيارية الثبات، الآخرون يعملونه لأن هكذا فطرتهم ولكن هذه الفطرة ليست قوية بما يكفي من أجل أن تحافظ على معيارية هذا الحق فيمكن التلاعب بهذا الحق، ويمكن إسقاطه في ظروفًا ما، حين تكون معيارية الحق ثابتة بأن الله عز وجل قاله؛ يصبح فيه الثبات،

حين تصبح معيارية الحق هو الفطرة، الفطرة تغير، أو أن المصلحة، فالمصلحة تنقلب، فيما هو متفق عليه وسنأتي إلى معاني أخرى للحق والعدل والصدق وزوائد أخرى.

من هنا فيما هو متفق عليه بين ما دعى إليه الإسلام وما التقت عليه فطر البشرية جميعًا؛ فإن الحق عندنا يقترن بمعيارية الغيب له، وبمعيارية أمر الله عز وجل له، ومعيارية دخول الجنة والنار، معيارية يترتب عليها الجنة والنار أخروية، أرأيت؟! هذه المعيارية مهمة جدًا.

وأنا أذكّر الأخ السائل ولعلي أعرف أنه مطلع: أن الفلاسفة لا يملكون، اتفقوا على كلمةٍ واحدة؛ على أنه لا يوجد ثباتٌ في القيم حين تنتجها البشرية من جهة ذاتها، ولذلك أعجبني والفائدة الوحيدة التي أخذتها من وائل حلاق من كتاب «الدولة المستحيلة» هو هذا الكلام، وهذا أنا لست مطلعًا باطلاعه على الفلاسفة، يقول: بأن الفلاسفة لا يمكن أن ينشؤوا قيمًا أخلاقية ثابتة، والسبب عندي هو هذا، هو المعيارية.

الآن أنت أنظر إلى المسلم كيف يُربى على الشريعة، العيب، الله قال هذا، حرم هذا، منع هذا، والآخر يخاطبه بماذا؟ العيب كلمة زالت، الشريعة والغيب كلمة زالت، فما بقي إلا القانون، يعني عندما يغيب القانون وعندما يصبح المرء وراء ستار من مراقبة القانون يفعل ما يشاء، من هنا الكذب ليس مذمومًا بالدرجة التي في المجتمعات الإسلامية -مع اتفاقهم على ذمها- ليس مذمومًا في المجتمعات التي لا تدين بالشريعة ولا تدين بالغيب كما هو في المجتمعات التي ما زالت تدين بالشريعة، في الغرب -أنت تعيش ربما في بلدٍ غربي تعرف أنه إذا قيل لرجل: أنت تكذب، هو يضحك! يعني أنت ما لذي اتهمته؟! هو يرى أن الكذب فن، القدرة على الخروج من المأزق هذا فن حتى ولو بالكذب؛ فإذن في مجال الأخلاق المتفق عليها الحق عندنا والعدل والصواب بما هو في ذاته صواب، ولكن كذلك بثباته على معيارية أن الله عز وجل قد قاله وقد قرره وأمر به أو نهى عنه.

نأتي الآن إلى المسألة الأخرى: الحق كله لا يُدرك إلا بالشريعة، وهنالك جوانب كثيرة جدًا لا نعرفها إلا من جهة الشرع؛ تعال إلى مسائل الميراث، الفرائض، هل يمكن للناس أن يدركوا الصواب فيها على ما جاءت به الشريعة؟ ما هو العدل؟ العدل ليس المساواة، العدل يفارق المساواة، المساواة ليست في كل شيءٍ عدل؛ يعني أنت تعطي الذي عنده خمس أولاد مالاً بمقدار ما تعطي رجل أعزب هذا مساواة ساويت بينهم ولكن أنت لم تعدل، فالعدل شيءٌ غير المساواة، فالآن ما هو العدل في توزيع الميراث؟ لأن قيم الحق عندنا مربوطةً بقول الله

عز وجل، بالغيب؛ فإن ما قاله الشارع هو العدل، الآخرون لا، يقررون شيئًا آخر تبعًا لتغيرات المجتمع، في النظام الإقطاعي لا يعطي حتى الأولاد الذكور يعطي الأكبر، التغيرات الاجتماعية هناك المرأة تعتبر أنها درجة متدنية لا تعطى شيئًا، تباع وتشترى، وفي وقتٍ تتغير فيه قيم المجتمع فتعطى المرآة كالرجل، وربما يأتي وقت آخر المرأة تعطى أكثر من الرجل.

إذن ليست كل الأخلاق على درجةٍ واحدة من دخولها في موضوع العدل، الناس يقرون أن كلمة العدل حسنة، ولكنهم حين يأتون إلى تفصيلات العدل في داخله يختلفون.

ما هو العدل في من يسرق؟ واحد سرق ما هو العدل فيه؟ عندنا العدل في السارق تقطع يده، عند الآخرين لا، الرجل الزاني والمرأة الزانية ما هو العدل فيهم؟ يتفقون أن العدل هو شيءٌ حسن، لكن التفصيلات يختلفون فيها، جيء برجلٍ متزوج وقد زنى بامرأة، ما هو العدل فيه؟ هناك مجتمعات –ربما تعرفون– هناك بعض المجتمعات لا تراه شيئًا!! ولا يرى من كبير أمرٍ أن زوجته تفعل ذلك؛ لأنه يفعل ذلك، فبدأ سقوط مفهوم الشرف، مفهوم العيب، مفهوم العرض، هذا باد وانتهى وقيت منه أشياء يسيرة جدًا لا تعد شيئًا، فما هو العدل في ذلك؟ العدل هو ما جاءت به الشريعة.

موضوع الزكاة: الآن القيم الكرم، الآخر يرى القيم أن يدفع قرشًا أو لا يدفع، ومن العدل أن يفتح المصانع ليعمل الناس، لكن الزكاة هذه حق الله عز وجل، جعلها الله عز وجل حقًا له وليس حتى للبشر؛ من أجل إعطاء صفة الشرف والكمال لها، والثبات لها؛ فجعلها حقًا له جّل في علاه، وهكذا.

فلو اتفقنا مثلاً على الاخلاق: ما هي الأخلاق؟ نحن نقول: الأخلاق الحسنة، عند التفصيل ما هي الأخلاق الحسنة؟ ما هي أخلاق الزوجة مع زوجها؟ هل من الاخلاق كما يدعون الآن إلى قضية حرية المرأة أن يكون لها الرأي الذي تناقش فيه، وحين يختلف الزوج مع الزوجة من حقها أن تبقى مُصِرة؟! والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: **(لو كنت آمرًا أحدًا لأن يسجد لأحد، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها)**، انظر، في الشريعة الزوج هو الذي يقرر في النهاية، نعم يسمع، يشاور، لا بأس، لكن في النهاية إذا اختلفا القول هو قول الزوج، هذا من الأخلاق ومن القيم.

فإذن هناك جانبان:

الجانب الأول: أن المسائل المتفق عليها تكون حقًّا وجمالاً وصدقًا وتكسب الحُسن بأنها هي قول الله عز وجل هذا عند المؤمن وليست عند الكافر، هذا افتراق كبير.

الجانب الثاني: أن التفصيلات الداخلية في داخل الكلمات الجميلة المتفق عليها، الناس يختلفون فيها اختلافًا بينًا وظاهرًا.

وما قاله النبي صلى الله عليه وسلم: (**إنما بُعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق**)، التتميم يعني أنها شيء موجود، هناك خلاف بين العلماء لماذا اختار الله عز وجل العرب من بين بقيت الأمم لأن تحمل الشريعة؟ الشريعة هي الماء، ولكن الأخلاق الأصيلة في الأمم هي الوعاء، بمعنى أنه لو كان الوعاء قذرًا ونزلت الشريعة فيه، هذا الوعاء سيقذر الشريعة، فلذلك كانت العرب تملك قيمًا عظيمة استحقت بأن يوضع فيها هذا الماء العظيم –الشريعة العظيمة– فتساوت هذه القيم مع هذه الشريعة، تساوى الإناء مع المحتوى.

ولكن اختلف العلماء فيما هي أعظم القيم؟ أنا عندي أعظم القيم عند العرب:

أولاً: هم أهل صراحةٍ، الصراحة صنعت منهم الصدق، وصنعت منهم الشجاعة، وصنعت منهم الكرم.

ثانيًا: بذل النفس وبذل المال هذا شجاعة وكرم.

ثالثًا: لأنهم يعيشون غير الظروف التي تعيشها الأمم؛ فعندهم الصدق.

هذه القيم التي صنعت في داخل نفوسهم معاني استحقت أن تدخل الشريعة عليهم، الصدق، عرب يفصحون عما في نفوسهم وبهذا استقامة ألسنتهم، لصدق عقولهم وصدق نفوسهم؛ استقامة ألسنتهم؛ فكانوا عربًا بلغتهم وعربًا بأنفسهم من الإعراب والإبانة، وكذلك كانت عندهم الشجاعة وكان عندهم الكرم، انظر إلى هذه الشريعة لو نزلت على بخيل؛ لحورها بخلاً، واستدل بها استدلالاً تشيئيًا تجميعيًا بحيث يصبح هذا الدين بخيلاً، ولو دخلت هذه الشريعة على جبان؛ لقيم الشريعة بتقييم الجبن، ولو دخلت على غير صادق؛ لكيفها بالنفاق والتقية كما تفعل بعض الفرق.

وبالتالي؛ هذه القيم جاء الإسلام وملأها بما تعلمون من الجهاد، والتحمل، والهجرة، والنفقة، والصلاة،

والبذل والحب، وو... إلخ، بهذه القيم التي هي قيم عربية، فجاء الإسلام ليتمم مكارم الأخلاق، بلا شك كل أمةٍ من الأمم تملك قيمًا جيدة يمكن أن يُبنى عليها، وهناك قيم وأعراف باطلة علينا أن نهدمها وألا نقرها وألا نجعل الشريعة مجرد موافقة لهم بهذا المعنى، هذا هو الجواب على هذا السؤال وبالله التوفيق والحمد لله رب العالمين.

٢٧٧- الإعجاز العلمي والإعجاز العددي

ضمن الجلسة الثالثة والعشرون، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٤/٢١هـ الموافق لـ: ٢٠١٨/٠١/٠٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: شيخنا الغالي -أكرمك الله- نسأل الله أن يحفظك في الدنيا والآخرة -آمين وإياكم وجميع المسلمين- ما رأيكم في الإعجاز العلمي في القرآن بشكلٍ عام والإعجاز العددي في القرآن بشكلٍ خاص؟ وما رأي فضيلتكم بالشيخ بسام جرار وما يطرحه من تنبأته بنهاية إسرائيل من خلال حساب الجُمَّل والإعجاز العددي في القرآن؟

جواب الشيخ: يعني أنا أجبت عن هذا السؤال سابقًا وأرجو أن يعاد إليه، ولكن باختصار، أنا أتكلم عن قضية الإعجاز، يعني الإعجاز هو تحدي القرآن في أن يأتوا بمثله، فهذا يقوم يعني على غير هذه المسائل، هذه التي يذكرونها يسمونها إعجازًا تدخل في باب إثبات أن القرآن من عند الله، قال تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾ [هود: ١٣]، انظر ﴿مُفْتَرَيَاتٍ﴾، بمعنى معاني باطلة ولكن صياغة مُعجزة؛ فإذن الإعجاز لا يتعلق بالموضوع، العشر سور المفتريات، لا يتعلق بموضوع ما في القرآن، وإنما يتعلق بالآلة أو يتعلق باللغة التي صيغت بها هذه المعاني الحق في القرآن، فالقرآن قال لهم: ائتوا بمعاني باطلة ولكن ائتوا ﴿بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾، هذا قول يعني يميل المرء إليه أكثر، ولكن الخلاف لفظي هل تدخل هذه المكتشفات العظيمة في القرآن تتعلق بالإعجاز العلمي والتعلق بالإعجاز العددي؟ هل تدخل في الإعجاز؟ أم أنها تبقى كدلائل على أن هذا القرآن من عند الله عز وجل؟ هذه المسألة أرجو أن تكون بيّنة في ذهن السامع.

المسألة الثانية: هل هذا الذي يقولونه في القرآن من مسائل علمية مكتشفة هل هو من العلم الصحيح؟ الجواب: نعم، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]، انظر هذه ليست قاصرة على نوع من الآيات؛ بمعنى أنك ترى العذاب الإلهي في نفسك لتعلم أنك خالفت الشريعة، لكنها عامة في كل آية من آيات الله عز وجل في الآفاق وفي النفس، فيما يتعلق بنفسك؛ وهو ما يسمى بعلم النفس وغيره، وعلم الاجتماع، وكذلك ما يسمى في الآفاق؛ وهو علم الفلك، والجيولوجيا، والفيزياء، وعلوم

البحار، علم الجغرافية، فهذه كلها تدل على هذا القرآن من عند الله عز وجل.

فلذلك هذا أنا أحبه وأرى أن الذين يقومون به يجاهدون في سبيل الله والكثير من الناس يدخلون في دين الله من هذا الباب العظيم الجليل الصحيح، هناك من يدخل في دين الله من أبواب غلط، يعني واحد يلقي على أحد مسألة وتكون خطأً فيعجب بها الآخر فيدخل الدين، يمكن هذا، لكن موضوع إعجاز الوجود وهذه الحقائق العلمية في القرآن والحقائق النفسية في القرآن والحقائق الوجودية في القرآن هذه مسألة مقررة؛ فمن ذلك الناس يتفرغون لها من أجل رد عادية الإلحاد التي يتهمون بها أهل الإسلام، يعني فيما يتعلق بعلم الأجنَّة مثلاً، هذا من الآفاق، علم الأجنة هذا شيءٌ عجيب! علم الفلك، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا (٤٥) ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا (٤٦)﴾ [الفرقان: ٤٥-٤٦]، انظر إلى هذا القبض بسبب انكسار الضوء، هذا يعني آية من آيات الله عز وجل، ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا (٤٦)﴾، هذا القبض اليسير في قضية انكسار الضوء عبر الغلاف الجوي إلى أن يكون ليس دالاً على الظل دلالةً تامة، فهذا الحديث عن البحار وعن الأمطار وعن السحب والحديث عن حقيقة الجبال ما هي؟ هذا أمر غريب جدًا، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا (٤٨)﴾ [الفرقان: ٤٨]، هذا الماء من أين أتى؟ فهذه في الحقيقة يعني جزا الله القائمين عليها خير الجزاء وأنا أحب، ولكن يُحَرِّز بأن هناك مبالغات، هناك تكلفات، هناك من يستطرد فيها إلى درجة غير صحيحة ويتكلمون، والغريب أن الذين يتكلمون يعني ينبغي أن يكونوا أهل علمٍ في القرآن واللغة وما يقتضيه اللفظ، وكذلك أن يكونوا أهل علمٍ بما يتكلمون فيه من فنون، وألا يدخل فيه المتكسبون والكذابون والمنافقون والذين يريدون الدخول من أبواب تعجب الناس على طريقة القُصاص وخاصةً قُصاص الرافضة؛ فيكذبون الكذبات الكبيرة والناس يضحكون عليهم، أما أصل العلم فصحيح.

ومن ذلك الموضوع العددي، يعني هذا مما جدَّ وله مدة صحيحة، ولكن جدَّ وكان نتيجة لبعض الأبحاث، فحقيقة نجد الأشياء العظيمة في ذلك، ويتكلمون كلامًا مبهرًا واقعًا حقيقيًا يدخل فيه الكثير من الخطأ، الكثير من المبالغات، الكثير من الالتفاف؛ من أجل التكلّف، ولكن على الجملة هو من علوم القرآن التي تفرح المرء وترد عادية المنافقين والزنادقة ضدّ هذا القرآن في اتهامه أنه ليس من عند الله.

الأمر الذي أحب أن أنبه عليه في هذا الباب: أن هذا ينبغي أن يكون داعيًا لنا لقراءة القرآن، لا ينبغي أن نقف عنده ونهجر قراءة القرآن، هذه لا تصنع تعبدًا كما صنعت في الصحاب، للأسف نجد أن بعض من يتكلم في الإعجاز العلمي كما يسمونه الإعجاز العددي ومع ذلك مقصر في الصلاة، فهذه لا تصنع تعبدًا، صناعة التعبد أن تقرأ القرآن على طريقة الصحاب رضي الله عنهم، وأن تتزوق القرآن على طريقة الصحابة رضي الله عنهم، وبعد ذلك هذه تأتي زائدة فتصنع خيرًا عظيمًا ولا بأس، ولكن كمال التعبد هو أن تقرأ القرآن على طريقة الصحابة رضي الله عنهم بأن يدخل في قلبك وأن تتدبّره تدبّر المؤمن الذي يصنع الأثر من قشعريرة البدن، من اهتزاز النفس من البكاء والخشية من الله سبحان وتعالى، هذا باختصار ما أقوله.

بقي الكلام على الشيخ بسام جرار: جزاه الله خيرًا وبارك الله فيه، بلا شك أنه يقول كلامًا كثيرًا جدًا من الحق والهدى وله منفعة كبيرة في الدعوة إلى الله وفي تعلق الناس بالقرآن، ولا شك أن الناس في هذا الباب وهم يتكلمون كما يتكلم الشيخ بسام جرار في الكثير من الحق لا بد أن يقع في بعض الهِنات، وهذا لا يضره ولا يضر أحدًا جزاه الله خيرًا وبارك الله فيه، وينتفع به.

بقيت قضية تنبأته: هو لا يتنبأ، نعوذ بالله، الرجل منضبط، وصاحب عقلٍ محترم، ويقول: أنا أستشرف ولا أجزم، وهذه كلمة كافية لاحترام علمه واحترام ما يقول، الرجل لا يجزم، لا يقول: أنا أقرر وأتنبأ، لا، لا، هو يستشرف ورأى بأدلةٍ ما على أنه يحققها، أسأل الله عز وجل أن يحقق ما يأمله وما يستشرفه، وهذا مما يزيد المرء منفعة، يعني هذا الكلام لا يبطئ المسلم ولا يصنع شرًا كلام الشيخ بسام جرار حفظه الله، وإنما يصنع خيرًا وقوةً وثقةً بهذا الدين، وأنا أرى الأمر يعني أقرب مما يقول إن شاء الله في انتصار الدين، وأسأل الله أن يكون النصر أقرب مما يقوله الشيخ، وهذا يفرحه ولا يؤذيه، جزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

٢٧٨- أثر تغير قيمة النقود على الديون

ضمن الجلسة الثالثة والعشرون، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٤/٢١هـ الموافق لـ: ٢٠١٨/٠١/٠٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، كيف حالك شيخنا؟ -الحمد لله، جزاك الله خيرًا ورفع الله شأنك وحياك الله- شخصٌ اشترى بضاعة من تاجر بالليرة السورية، واتفق معه على سداد ثمن البضاعة بعد ثلاثة أيام، بعد ثلاث أيام لم يعطيه بحجة أنه لم يتوفر معه المبلغ؛ فطلب التاجر أن يحول المبلغ من حينها إلى الدولار لأن الدولار كان يرتفع وإن لم يأخذ المال في هذا اليوم يخسر، هل يجوز قلب المبلغ للدولار بسعر يوم التسليم ويصبر عليه حتى يصبح لديه المال و يأخذ دولارًا؟

جواب الشيخ: هذه المسألة أيها الإخوة الأحبة معروفة في كتب الفقه بتغير الديون أو تغير قيمة النقود أو الفلوس على الديون، العلماء القدماء -انتبهوا أن وهذه صورة من الصور التي ينبغي أن تعالج بمعرفة تغير القيم والمعايير- العلماء القدماء يحرمون هذا، لماذا؟ السبب في ذلك أن معيارية الأموال عند الأوائل هو الذهب والفضة والذهب والفضة معيارية ثابتة، تزيد وتنقص، ولكن هي معيارية ثابتة، يعني الأشياء يزيد وينقص سعرها بعوامل تجارية معروفة، ولكن الذهب والفضة ثابت، فإذا نزل شيء من أسعارها؛ كان يسيرًا جدًا، ولو بقي العالم على أسعار الذهب والفضة لما حصل هذه التضخمات الكبيرة في العالم، والعالم أراد أن ينفلت من الذهب والفضة ليصنع فسادًا.

يعني؛ لسنة سبعين تقريبًا كان الدولار الأمريكي مربوطًا بالذهب، ثم جاء نيكسون وحل هذا الارتباط، هذا أعطى لأمريكا الحق بأن تطبع الدولارات كما تشاء، كان الدولار لا يمكن أن يصدر من البنك المركزي في أمريكا حتى أن يكون ما يعادله من الذهب، ولكن أرادوا زيادة الطباعة؛ فحلوه فصار الدولار له معايير أخرى غير الذهب والفضة، فبالتالي؛ صار إمكانية إصداره كثير، وهكذا في أغلب الدول، هناك دول لا تملك القوة التي تعادل ثمن عملتها البنكية الذي يسمى البنكنوت «Banknotes» الورق النقدي.

والورق النقدي المنتشر في العالم هو إحدى تجليات الربا، وأنا سأعود في هذا الجواب إلى بيتكوين

«Bitcoin»، سأتكلم عنه شيئًا يسيرًا، أنتم تعرفون كيف نشأت هذه العملة الورقية أصلاً، العملة الورقية نشأت بسبب الربا، كان الناس يذهبون إلى المرابي فيأخذون منه مئة دينار ذهب، فهوه يعطيهم إياها، فيذهبون ويشترون بها ويتحركون بها، ثم يرجعونها مئة وخمسون أو مئة وعشرة بحسب الاتفاق الربوي بينهم، فماذا صنع هذا المرابي؟ لنفترض عنده مثلاً نصف مليون أو عنده مئة ألف دينار ذهبي؛ فيخرجها، ولكن يأتيه أحد هم ويقول له: أنا أريد دينًا، فلا يوجد عنده، فتفتق في ذهن هذا المرابي اليهودي «شايلوك» كما في «تاجر البندقية» كما يصفه شكسبير، فتفتق ذهنه أنه يمكن يحول الذهب الذي يعطيه للمدينين أن يعطي بدلاً منه صكًا؛ لأن رجل معتبر فيعطيهم صكًا بأنك تملك مئة دينار من عنده ويذهب ويشتري بها، فإذا أراد الرجل أن يحولها ذهبًا جاء للمرابي وقال له: أعطِني المئة دينار، فيعطيه إياها، فتطورت هذه الاوراق الصادرة من الربوي، من أجل ماذا؟

من أجل أول شيء أن يضمن الذهب في مكانه، والأهم من أجل أن يخرج أوراقًا تثبت الدين أكثر مما عنده، يعني بهذه الأوراق يمكن أن يصبح دائن لمئة ألف وهو لا يملك إلا خمسين ألف؛ لأنه يخرج ورقًا والناس سيتعاملون بهذا الورق ولن يأتوا إليه مرةً واحدة، فهو يظهر كذبه عندما تأتي إليه هذه الأوراق التي أخرجها مرةً واحد تطالبه بالذهب، حينئذٍ؛ لا يكون لديه إلا نصف هذا الذهب مقابل ما أخرج من أوراق، هذه هي الطريقة التي بعدها نشأ هذا الورق النقدي.

وهذا الورق النقدي لما ظهر -أسف السؤال يسير ولكن مرتبط بقضايا كثيرة- لما ظهر اختلف العلماء فيه، فمنهم رأه صك دين ومنهم... إلخ، في النهاية الأغلبية اعتبروه نقدًا وأخذوا بكلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: بأنه ما تعارف الناس عليه نقدًا هو النقد على أساس أن الذهب والفضة إنما اكتسب قوته بالعرف وهو بالحقيقة بالفطرة، البشرية كلها متفقة على أن الذهب والفضة معيار للسلع، معيار للثمنية، فالأوائل حرموا لأن المعيار كان هو الذهب والفضة، لا يجوز أن تعطيه ذهب ما ثم تأخذ منه أكثر هذا ربا؛ لأن الذهب والفضة معيارية القيم والثمنية والقيم المادية؛ فإن الشارع حرم أن يكون سلعة، ولذلك الشارع حرم بيع الذهب بالذهب إلا هاءً وهاء، مثلاً بمثل، انظر هذا القيد لئلا يتحول الذهب إلى سلع، يعني من الذي يذهب ويشتري ذهب بذهب بنفس الكمية ونفس الوقت؟ إذن هو منع، الذهب والفضة المقصود، فإذا اختلف الصنفان جاز، ولكن بشرط التقابض، وهذا كله لعدم جعل الذهب والفضة سلعة يتاجر الناس بها؛ لأن هذا المعيار المتفق عليه صار

عرضةً للبيع والشراء إذن هو صار عرضةً لنزول السعر وارتفاع السعر، والمعيار يجب أن يكون ثابتًا، فعدم ثبوته يؤدي إلى هذه المصيبة وهذه الطامة ويؤدي إلى التضخم العالمي.

الذي حدث أن الناس فكوا ارتباطهم بالذهب والفضة وصاروا يخرجون أوراقًا وتكتسب هذه الأوراق قوتها بعوامل متعددة: أقواها هو سلطة الدولة، وأقواها سلطة العرف.

مثلاً: الدولار الآن قوته أمريكا، وقوته أنه معيارًا لبيع أعظم ما يحتاجه الناس وهو النفط، العالم لا يتعامل بالنفط الآن إلا بالدولار، هناك دول تحاول أن تخرج من هذا الإطار، حاول بعضهم أن يجعل يورو، ولكن إلى الآن الدولار هو المسيطر، بماذا الدولار يكتسب؟ لأنه صار معيارًا عرفيًا بين الناس.

هذه الدنانير وهذه الأوراق النقدية لم تعد معيارًا فقط، ولكن جعلوها الناس كذلك سلعةً تباع وتشترى، يعني الدولار الآن هو في داخل الأسواق النقدية، في داخل أسواق البورصات، عرضة للنزول والصعود، يمكن أن تدخل فيه مضاربة، وهذا يقع، فحينئذٍ؛ ينزل ويهبط والناس يبيعونه ويشترونه ويتعاملون به كسلعة يباع، وهذا أمرٌ خطير يؤدي إلى اهتزازه، ومن هنا الدول تستطيع أن ترفعه وأن تنزله بحسب حاجتها الاقتصادية، يعني عندما تريد أن تصدر فتنزل السعر من أجل أن يشتري الناس أكثر، تريد أن تغلق التصدير فترفع السعر فالناس لا يشترون لارتفاع سعر العملة التي يشترى بها البضاعة من بلدتها، يعني لا تظن أن ارتفاع سعر العملة لبلد ما أنه مطلب اقتصادي لهذه الدولة، لا، ليس دائمًا.

هذا يجرني إلى موضوع بيتكوين «Bitcoin»، بيتكوين هذا الكلام عليه ينبغي أن يدور حول هذا، كل العمولات عرضة لأي عملةٍ تنشأ سواء ورقية أو رقمية.

لو افترضنا بأنه صار هناك نكوص شديد في داخل أمريكا وشغلت بنفسها -نسأل الله أن يشغلها بنفسها- وصار فيها الفتن الكبيرة، فأمريكا بقرار سياسي تبطل كل العملة في الخارج، يصبح الدولار خارج حدود أمريكا لا يساوي الورق الذي طبع به، وربما يُطبع المليون دولار بدولار واحد، يكلف دولار واحد في الطباعة في أمريكا، فحينئذٍ؛ تصبح الأوراق لا قيمة لها، بقرار، يعني لا نعترف بكل الدولار خارج أمريكا، انتهى.

وتذكرون أن صدام فعل هذا مرة، أخرج عملة جديدة وأبطل كل العملة القديمة التي هي خارج الحدود؛ فصارت لا قيمة لها، وأخذ الأموال أخذ دولارات مقابلها وحينئذٍ أبطل قيمتها، ولم يعد ملزمًا بسداده لهذه الأموال للخزينة في البنك المركزي العراقي، ممكن، فلذلك مثلاً يأتي أحد ويقول: أنت لماذا قلت بيتكوين.

البيتكوين لو افترضنا وإن كان الخبراء يقولون: هذا من المستحيل، طبعًا المستحيل المقصود به واقعًا وليس عقلاً، كما يأتيك أحدهم ويقول: مستحيل أمريكا تبطل الدولار خارج الحدود، فأقول له: أنت تتكلم عن مستحيل واقعي وليس مستحيل عقلي، وإن كان هذا يمكن، فالدول عندما تقع في الحروب لا تنظر إلى أبيها ولا إلى أمها فهي لا تنظر إلى أي مصالح خارج إطار منفعتها، فلو افترضنا أنها بطلت، بطلت، الآن هي عملة يتداول الناس بها وتكسب قوتها من خلال قوة التداول كما أن الدولار اكتسب قوته من قوة أمريكا العسكرية والاقتصادية وو... إلخ، وكذلك من خلال عرف التداول لأنه معيار لأكبر بضاعة في العصر، وهي بضاعة النفط، فهي نفس قضية في بيتكوين، إذا الناس تعاملوا بها وتعارفوا عليها فبأي صيغة ما، والناس لا يتعارفون على خيال، بيتكوين صنعه صانعه على صفة أن استخراجه يكلف الكثير ويرهق الكثير، وبالتالي؛ إما أن تشتريه كما تشتري الذهب، وإما أن تستخرجه من داخل المعادلات الخوارزمية، كما تستخرج الذهب من داخل المناجم، ولذلك هم يسمونه «استخراج منجمي» لاستخراج بيتكوين من المعادلات الخوارزمية من خلال الكمبيوتر.

أرجو أن يكون هذا بينًا في موضوع العملة، يعني هذه العملة للأسف هي جزء من الصراع بين الدول، وهي كذلك إحدى أسلحة الدول في الإفساد والدمار والرفعة يعني مسألة كبيرة، فهي جزء من السلاح تستخدمه الدول، وعلينا أن لا نمنع من وجود هزات كبرى تنشأ في المجتمعات تؤدي إلى سقوط هذه الأوراق وعدم قيمتها في داخل البلاد، ويصبح ربما كيلو الخبز أغلى من مليون دولار، ورق، نحنا نتكلم عن الدولار لأن الكثير من الدول تربط قيمة عملتها بوجود دولار في داخل خزينتها، فاذا سقط الدولار؛ سقطت هذه العملة، كما دول كثيرة نفطية قيمة عملتها ليست بالذهب في خزينة البنك المركزي، ولكن بكمية الدولار الذي تختزنه عندها، يعني تربط قوة عملتها بالدولار؛ فسقوط الدولار يعني سقوط هذه العملة، وغير ذلك.

نرجع إلى سؤال الأخ؛ السؤال: هل يجوز أن نغير قيمة الديون بتغير قيمة العملة؟

إذا كان الكلام عن المعيارية عن الذهب والفضة؛ فالعلماء أجمعوا على أنه لا يجوز، بمعنى لو أن رجل استدان من رجل مئة دينار ذهب في وقت ثم جاءت السنة القادمة، فقال له: أنا داينتك مئة دينار وأنا أريد مئة وخمسين، فيقول له: لِمَ؟ فيقول له: مئة دينار ذهب كنت أشتري بها مئة رأس من الغنم والآن لا أشتري بها خمسين؛ فأنا أريد أن تدفع لي ثمن مئة رأس من الغنم، فنقول له: لا يجوز؛ لأن الغنم ليس معيار النقد في الدين إنما هو الذهب، هذه متفق عليها، ولا يجوز الحديث عنها.

ولكن لا نتحدث عن هذا، نتحدث عن بضاعة اليوم، اليوم تحولت الأوراق النقدية إلى بضاعة والهزات في الكثير من البلاد واقعية وليست خيالية؛ ولذلك الذين يحرمون تغير قيمة الديون بتغير قيمة النقود لهذه الأوراق النقدية، في الحقيقة يظلمون الناس، يعني في دول كثيرة الهزات الاقتصادية واضحة، يعني في كل يوم تنزل قيمة العملة فيها، وبالتالي؛ ما كان يشتري بمئة دينار السنة الفائتة الآن لا يعادل في القيمة لعموم البضاعة لا يعادل مثلاً عشرها، مثلاً كان يشتري بمئة دينار يشتري مئة كيلو من القمح، اليوم المئة دينار في بلده لا تشتري عشرة كيلو من القمح وربما أقل، نحن رأينا من إجرام الدولة المصرية كيف صار هبوط الجنيه المصري سريعًا جدًا، والدين يقوم على الإحسان وليس على المحاقة.

رجلٌ استدان منك عشرة آلاف جنيه مصري في وقتٍ كان يحقق فيه منفعة كبيرة جدًا، ثم بعد ذلك تؤديه إليه وهو لا يحقق عشر هذه المنفعة، هذا ظلم؛ ولذلك أنا أجيز –وقد كتبت فيها بحثًا قديمًا– أجيز تغير قيمة الديون بتغير قيمة النقود بعودتها إلى معيارية الذهب.

ما لذي تفعله إذا كان المبلغ كبيرًا ويؤثر عليه تغير قيمة النقود، وكان هذا التغير كبير وليس مستقرًا؟ مثلاً: جاء وقال أنا داينتك عشرة آلاف دينار، تردها لي بعد سنة، ولكن عشرة آلاف دينار اليوم تساوي مئتين غرام من الذهب –لنفترض أنا لا أدري– أنا أريد منك عند سدادها أن تردها لي مئتان غرام ذهب أو ما يعدله، هذا هو المطلوب بشرط:

– أن يكون الثمن الذي تؤديه هو عند قبض لا عند السداد بمعنى هو يساوي مئتين غرام ذهب فعند لسداد مئتين غرام ذهب، بقيمة الذهب عند الأداء.

– ولا بد أن يذكر في العقد لكيلا يقع فيه الالتباس.

- وأن يكون في المبالغ الكبيرة.

- وأن يكون في الأماكن الغير مستقرة.

فلذلك الأخ عندما قال له: اسمع أنا أعطيتك هذا المبلغ فأريد أن تسده، فيقول له بما قال السائل: أنا أريد منك هذا المبلغ بما يعادل الذهب في وقت استدانتك له؛ لئلا يقع في الربا والتصاعد بسبب الزمن لا بسبب تغير النقود، هذا من العدل والإحسان وهو أنه يجوز أن تتغير الديون بتغير قيمة النقود، إذا كان المبلغ كبير، وإذا كان التغير كذلك كبيرًا، بما ذكرنا من شروط والله تعالى أعلم والحمدالله رب العالمين.

٢٧٩- حكم الصعق الكهربائي للمواشي

ضمن الجلسة الثالثة والعشرون، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٤/٢١هـ الموافق لـ: ٢٠١٨/٠١/٠٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

هناك سؤال طويل قليلاً والحقيقة يعني الرد عليه يحتاج إلى مُؤلَف، ولكن وقد ورد السؤال نرد عليه بما يناسب الوقت.

الأخ: ذكر أن الشيخ محمد رشيد رضا في تفسير المنار عند قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: ٣]، فذكر فيه إباحة ما ذكي بالصعق الكهربائي وسماه، وهو في الحقيقة هذا لمحمد عبده وليس لرشيد رضا، وهو تفسير السيد الإمام يعني محمد عبده، وسماه التذكية الكهربائية واستدل على ذلك بأمور أهمها؛ أن المحرمات محصورة في الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله، وسع هو معنى التذكية وخالف الفقهاء بل خطأهم في قصر التذكية على إنهار الدم، وأنهم عبروا عن غالب ما يُفعل، واعتبر التذكية أعم من الذبح، وأنه تحكم من الفقهاء بلا دليل شرعي ولا طبي، ولو قصرنا التذكية على ما ذكره الفقهاء لحرمنا كل ما صاده الجارح والكلب الْمُعلَم والسهم خاصةً إذا خنق ولم يجرح، فيقول: غرض الشارع وعلة التذكية هو اتقاء تعذيب الحيوان بقدر الاستطاعة، وإزهاق روحه بأسهل الطرق، والصعق أسهل منها للدم، فما رأيك بهذا الاختيار؟ وكيف يمكن الرد عليه؟

جواب الشيخ: بلا شك أن محمد عبده في هذا قد أخطأ خطأً كبيرًا، وتسمية التذكية بأنها إراقة الدم وسفك الدم، بأنها عرفية أو أنها غالبة، هذا غير صحيح، والنبي صلى الله عليه وسلم سمى أعظم الأعمال يوم النحر، النحر هو إراقة الدم، قال: إراقة الدم، يعني الأضحية سماها إراقة الدم، والعلماء يتكلمون عما له روحٌ سائلة وليس له روح سائلة يتكلمون عن الدم، هل الدم ينزل أو لا ينزل؟ والتذكية هي كلمةٌ شرعية وكلمةٌ لغوية، ذكاه بمعنى ذبحه، والتذكية الشرعية حينئذٍ جاءت مخصوصة بوجهٍ ما، فالقول: بأنها الأغلب، فهذا قولٌ غير صحيح، أتكلم عن هذا اختصارًا ثم سآتي إلى بعض أدلته.

أما القول بأنه قال: بأن المقصود من الذكاة وهو أن الشارع اختار هذا الفعل لأنه الأرحم بالحيوان، معنى

هذا ليس من مقاصد الشريعة، مقاصد الشريعة هو التعبد، انتبه التذكية أمرٌ تعبدي، ولذلك الإمام الشافعي وهذا قول جمهور أهل العلم: أن الذبح أمرٌ تعبدي؛ ولذلك لا يجوز من الكافر مثلاً، الكافر لو ذبح فما الفرق بين ذبح الكافر والمسلم؟ وهو أمرٌ تعبدي، الكلام على التسمية مع الخلاف فيه، لو أنه سمى غير الله عليها لا تُأكل، ولو كانت ذبحت من أجل الأكل والشرب، ولذلك التذكية أمرٌ تعبدي، والأمور التعبدية أيها الاخ الحبيب لا يدخل فيها القياس والعلة فيها بعيدة، لا ينظر إلى العلة ينظر إلى الحكمة، فالتذكية أمرٌ تعبدي إذن لما كانت أمرًا تعبديًا أي التذكية، فيجب القصر عليها دون الدخول في هذه التفاصيل التي أدخلنا فيها، الأمر التعبدي النسكي يختلف عن الأمر الآخر الذي يدخل فيه القياس وتدخل العلة، توجد أو تذم.

ثانيًا: قصره على أن التذكية قد أجازها الشارع لأنها أرفق بالحيوان من غيره، الرد عليه من وسيلتين:

الوسيلة الأولى: أن هذا تحكم، كما ذكرنا في قضية أنها تعبد يجب النظر إليها باعتبار مراد الشارع لا بحسب مراده ولا مراد الحيوان، فهذا تحكم منه.

الوسيلة الثانية: هب أننا أقررنا بذلك، ما الذي أدراه أن الصعق هو أرحم للحيوان؟ يعني ما الذي أدراه؟ هل هو دخل في جوف الحيوان ليميز لنا أن الصعق أهون من الذبح؟!! ما الذي أدخلنا في هذا! الشارع يريد منا أن نحرق الدم أن نذبح، ولذلك مثلاً تعلمون قصة إبراهيم عليه السلام مع ابنه إسماعيل عليه السلام، أنه أمر بذبحه، ﴿إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ [الصافات: ١٠٢]، ولذلك جاءت التضحية في مقام الذبح، فمن أدرى هذا الشيخ غفر الله له بأن الصعق أهون؟!

الأمر الآخر الذي يتعلق بقضايا متعلقة بقضية القذارة، يعني نحن نعرف أن بقاء الدم في داخل اللحم على المعنى الكلي من غير إراقة هذا مفسد للطعام؛ لأن الدم إن سفك خرج وإن كان في المذبوح فإنه من أشد الأماكن وجودًا للميكروبات، للجراثيم، ولذلك إخراج الدم منه طُهرةً كذلك للآكل، هي مقصدٌ للرب في أنها عبادة وكذلك تحقق مقصد الآكل، وهذا لم يلتفت إليه الشيخ في كلامه هنا.

وجاء إلى قضيةٍ التسهيل وهذه مسألة لا يستطيع أن يجزم بها، نتركها للشارع في قوله: (**أرح ذبيحتك وأحد شفرتك**)، ولذلك كلامه لم يقره عليه العلماء وبقي في مقام الرد، كذلك هو حاله في هذا كحال أبي بكر

المعافري ابن العربي رحمه الله عندما جعل أي ذبحٍ يقوم اليهودي والنصراني جائز، يعني لو أنه خنقه نأكله لأنه من الطعام، ونسي ما قاله أهل العلم بإجماع: بأن الطعام المقصود به الذبائح، ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٥]، أي ذبائحهم وليس مطلق الطعام، هذا الذي نرد عليه باختصار مع أن مثل هذه المسائل العلمية إنما يشار إليها إشارة، ومن أراد الردود فليكتب فيها ولينظر إلى مباحثها في أماكنها.

وبقي هنا السؤال، قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ [المائدة: ٣]، والشارع حرم الميتة فكل ما مات على غير هذه الطريقة من الذبح هو ميتة عندنا في الأمر.

نعم بقيت مسألة وهي قضية الصيد، الصيد على خلاف الأصل وبلا شك أنه كلبٌ مُعلم لا بد من مُعلم، ولا بد من أن لا يقتل خنقًا هذه شروطهم، يعني لو أن الكلب صاده فخنقه دون أن يخرج منه الدم هذه مسألة معروفة عند أهل العلم، وكذلك لو ضربه بمثقل وليس بالسهم، ولذلك حرم الفقهاء البُندقة، البُندقة قديمًا ليس التي تخترق كما في أيامنا هذه، البُندقة هي آلة تقذف كرة حديدية تضرب الحيوان فيموت بغير أن ينزف منه الدم، أما اليوم البندقية فإنها تخرق وتفعل فعل السهم، ولذلك البُندقة قديمًا محرمة لأنها لا تؤدي إلى إهراق الدم وسفكه، والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين.

٢٨٠- شرح قاعدة «من لم يكفر الكافر فهو كافر»

ضمن الجلسة الثالثة والعشرون، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٤/٢١هـ الموافق لـ: ٢٠١٨/٠١/٠٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل أخ يقول: أنه دار حوار بينه وبين أحد الغلاة، يقول: أن المقابل له قال: من لم يكفر الكافر فهو كافر، فهلا وضحت لنا هذه القاعدة، ومن يجب على المسلم أن يكفر ليكون مسلمًا؟

النقطة الثانية قال: بأنه لو لم تكفر الكافر «فتح» مثلاً فأنت رضيت عن كفره والرضا بالكفر كفر؟

جواب الشيخ: أولاً هذه قاعدة صحيحة، ولكن كل قاعدة تحتاج إلى شرح، من أركان الدين بل هي ضرورية من ضروريات الدين الحكم على الملحدين بالكفر، ومن ضروريات الدين تكفير الملحدين، -وهذا أشبه بكتاب لأنور الكشميري رحمه الله- فالشارع كفر أناسًا بالنص فمن لم يكفرهم رد على الشارع، يعني عندما قال الشارع: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧]، الشارع قال هذا، فقال: أنا لا أكفر، فأنت لم تكفر من أمر الله عز وجل بتكفيره فرددت على الله عز وجل أمره؛ خرجت من الدين، رددت على الله عز وجل كإبليس، فهذا كفر.

عندنا إذن طبقة أولى وهي طبقة الذي صرح الشارع بكفره، إما في القرآن أو السنة يعني قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١)﴾ [المسد: ١]، قال له ماذا تقرأ؟ قال: أقرأ نسب الله وأقرأ سب أبي لهب، فالمقصود أنسب لنا ربك؛ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١)﴾ [الإخلاص: ١]، وسب أبي لهب؛ ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١)﴾ [المسد: ١]، فهذا دين من لم يرض سب أبي لهب بما ذكره القرآن من ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾؛ كفر بالقرآن.

وهكذا الذين قاتلوا النبي صلى الله عليه وسلم، الوليد بن المغيرة، وماتوا مشركون في بدر وفي أحد وهكذا، فهؤلاء يجب عليك أن تكفرهم، القرآن كفر فرعون وكفر هامان من لم يكفر هؤلاء فهو كافر، لأنه يرد على الله عز وجل، إذن الطبقة الأولى من كفره الشارع بالاسم.

الطبقة الثانية: ما كفره الله عز وجل فعلاً، الله كفر أفعالاً يأتي بها ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة:

٥١]، فهذا تكفير، الشارع كفر من أتى هذا الفعل، ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦]، فهنا كفر الشارع فعلاً؛ فعليك أن تكفر هذا الفعل الذي كفره الشارع، الشارع كفر كل من عبد غير الله عز وجل؛ فعليك أن تقول كل من عبد غير الله عز وجل كافر، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥)﴾ [آل عمران: ٨٥]، بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم كل من قبل غير الإسلام لن يقبل منه وهذا كفره الشارع، وهكذا.

فإذن الطبقة الأولى، من ذكر الله اسمه بالكفر واللعنة والخلود في جهنم بأسمائهم فهذا كافر بأسمائه.

ثانيًا: ما كفره الشارع فعلاً، إذا كفر الشارع فعلاً فعليك أن تكفر هذا الفعل.

الآن نأتي إلى المختلف فيه، لو أن رجلاً فعل فعلاً كفره الشارع، وبعد ذلك اختلف الناس هل يوجد في هذا الشخص أم لا يوجد؟ هل يدخل في هذا الباب؟

يعني مثال ذلك: هذا المختار بن أبي عبيد الثقفي، بعض أهل العلم ينسب له أنه يقول: بأنه نبي، أنه يوحى إليه، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (**لا نبي بعدي**)، فمن ادعى النبوة بعد النبي صلى الله عليه وسلم فهو كافر، هذه مجمعٌ عليها من نصوص الشريعة المأخوذة من الكتاب والسنة، خاتم الأنبياء والمرسلين، يعني القاديانية الذين يقولون: بأن القادياني نبي هم كفار، الآن نأتي إلى مسألة المختار الثقفي، يأتي أحد يقول: لا، هو لم تثبت عليه، يأتي آخر ويقول: ثبتت عليه، هذا الخلاف في تكفير المختار على هذا الباب لا يدخل فيمن لم يكفر الكافر، لا يقول: أنت لم تكفر الكافر؛ لأنه لم يثبت لديه الفعل، هذا الحديث عن النقطة الثانية وهو تكفير الفعل إذن قد يدخل فيه الخلاف لماذا؟ لأنه لم يثبت أنه قد أتاه، قد أتى بهذا الفعل.

فإذن دخلنا في مرحلة ثالثة وهي مرحلة المختلف فيه، المختلف فيه لأسباب كثيرة: إما لأنه لا يرى أن الفعل مُكفر، لأنه قد يدخل خلاف في مسألة المكفرات، هناك من العلماء من يتوسع في باب التكفير باللزوم، مثلاً: كما ذكرنا في تهنئة أعياد الميلاد، الأحناف يقولون: «من قدم بيضة هديةً في عيد النيروز فهو كافر»، يأتي عالم ويقول: لا، هذه ليست كفرًا، مثلاً: يأتي عالم يقول: من استهزئ بالقاضي يكفر، يأتي عالم ويقول: لا، هذا

الفعل ليس عندي بالكفر، فإذن الاختلاف في ثبوت التهمة، الاختلاف في المكفرات لأنها ليس كل المكفرات مُجمع عليها، مع أن الأصول واحدة، لكن التطبيقات هل هذا الفعل يدخل في الاستهزاء في الدين؟ واحد يستهزئ بالقاضي هل معنى هذا أنه استهزئ بالقرآن الذي يحمله في صدره؟ فهذا مما يقع فيه الخلاف.

إذن الأولى والثانية مُجمع عليها، إذا خالف أحدٌ فيها؛ كفر، من لم يفعلها بعد إقامة الحجة عليه فهو كافر، يعني رجل لا يعرف من هو الوليد بن المغيرة لا يعرفه، فيقول له: ألا تكفر الوليد بن المغيرة، فيقول: لا أعرفه، رجل أعجمي لا يعرف من هو هامان، يقرأ في القرآن ولا يظن أنه اسم رجل، فيأتي يقول له: أتكفر همان؟ فيقول: لا أدري، إذن بعد إقامة الحجة عليه بأن هامان مذكور في القرآن والله عز وجل ذكره ولعنه وهو كافر... إلخ، فبعد إقامة الحجة.

إذن الطبقة الأولى تنطبق عليه هذه القاعدة، الطبقة الثانية تنطبق عليها القاعدة، الطبقة الثالثة هنا الخلاف حينئذٍ لا يجوز تطبيق هذه القاعدة عليه؛ وهو ثبوت التهمة، تحقق الشروط وانتفاء الموانع في الشخص هذه لا ينبغي أن تدخل في هذه القاعدة، فلذلك إذا الناس اختلفوا في شخص لأسباب علمية، ثبوت التهمة أو عدم ثبوتها، تحقق الشروط وانتفاء الموانع في هذا الشخص كما اشترطنا العلم في الأسماء كما ذكرنا في الأولى، فحينئذٍ؛ لا تدخلوا هذه القاعدة.

ومن الغلو تكفير كل من خالفك في تكفير أحد، الآن الكلام عن رجل يدين بغير الإسلام، رجل قال أنا غير مسلم، وأنت تعلم أنه قد بلغه الإسلام، فهذا يجب الإجماع على تكفيره، إذا خالف الرجل يكون مناقضًا لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وبلا شك أن الطوائف العلمانية في بلادنا طوائف زندقة وكفر وردة، وهي مما ينبغي أن نجمع عليها ما دام أعلنت تبني العلمانية فهي كافرة، لكن حينئذٍ؛ بعض الناس يتوقف في أفرادها لأنه يرى أنهم لا يؤمنون بهذه العلمانية... إلخ، هناك أسباب؛ وهو أنك تكفر الطائفة ولا تكفر أعيانها، هذه داخلة في مسائل علمية، موجودة في داخل كتب أهل العلم أنه «يمكن أن يكفر القول ولا يكفر القائل، يمكن أن تكفر الطائفة مع التوقف في الأفراد إذا علمنا أن لهم أعذار شرعية»، هذا الذي أقوله في هذه المسألة باختصار، وأسأل الله عز وجل أن يرحمنا وأن يغفر لنا وهي كافية إن شاء الله لطالب العلم.

٢٨١- ما هي أصح كتب السيرة؟

ضمن الجلسة الثالثة والعشرون، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٤/٢١هـ الموافق لـ: ٢٠١٨/٠١/٠٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل أخ: ما هي أصح كتب السيرة؟

جواب الشيخ: أريد قبل الجواب على هذا السؤال؛ لأن هذا السؤال ينشأ للأسف من عقليةٍ تحتاج إلى تقويم، بمعنى أن السيرة... نقول كما قال الإمام أحمد ابتداءً: «إذا جاء الحلال والحرام تشددنا» أما في غير الحلال والحرام فالناس يتساهلون، ومن ذلك السيرة، من مقاصد السيرة أخذ الحلال والحرام فلا بد من اشتراط الصحة فإذا كان الأمر خارج هذا الإطار وهو الحلال والحرام توسع الناس كالأمور التربوية وأمور ما يتعلق بفقه الحياة وإدارة المعارك وو... إلخ، فالناس يتوسعون ولذلك عندما ألف الأئمة الكبار من موسى بن عقبة ومحمد بن إسحاق، عندما ألفو في السيرة لم يتشرطوا الصحة، ولم يقم عالمٌ قط بكتابة السيرة على طريقة الأحاديث الصحيحة كما فعل البخاري ومسلم، لماذا؟ لأنهم فقهاء، لأنهم يعرفون أن موضوع السيرة موضوع تربوي أعم من الحلال والحرام، وقد مدح الإمام مالك سيرة موسى بن عقبة، مدحها، والسبب؛ لأنه يعلم أن السيرة مسألة تربوية أعم من الحلال والحرام.

فلذلك لا ينبغي أن نطالب الناس بأن لا يقرؤوا من السيرة إلا ما صح على طريقة البخاري ومسلم على طريقة الصحيحين أو على طريقة تحقيق كتب الحديث، والذين يحاولون كتابة السيرة على طريقة الصحيح والضعيف هؤلاء يبطلون بابًا من أبواب الشريعة عظيمًا، يبطلون الأبواب التربوية التي نحتاج إليها؛ فينبغي عدم التشدد في هذا وفقط السيرة تقبل بكل ما فيها إلا أن يكون الحديث منكرًا، منكرًا بمعنى أن يخالف الصحيح وأن يكون مكذوبًا، نعرف أن هذه القصة مكذوبة، وأن يكون منكرًا بأن تأتي بحديثٍ بطريق ضعيفة ولكنها مخالفة لقواعد الشريعة، مخالفة للقرآن، مخالفة للسنة، مخالفة للصحيح، فننبذها مثل حديث مثلاً: «يا عبد الرحمن بن عوف تدخل الجنة حبوًا» هذا مخالف، لتبشير النبي صلى الله عليه وسلم أنه من أهل الجنة، يدخل الجنة حبوًا فهذا حديث منكر، وسواء كان سنده ضعيفًا أو كان سنده موضوعًا لكنه منكر، نحن نتكلم عن المتن هنا.

فلذلك سؤال الأخ أرجو أن لا يكون هذا منشأه وهو البحث عن السيرة الصحيحة على طريق الحديث الصحيح لأن هذا يبطل كتب السيرة، وما أنشئت من أجله، إذا أردت الصحة فكتب الحديث هي التي تروي لنا الصحيح، يعني هناك سيرة للنبي وسلم في صحيح البخاري، هناك سيرة للنبي صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم، هناك سيرة في كتب السنة المعتمدة، وهناك كتب خصصت للسيرة فأجلها وهو كتاب محمد بن إسحاق، الذي اختصره بن هشام عليه رحمة الله فصار المختصر أكثر انتشارًا من الأصل، وهكذا تصنع بعض الكتب، كالمقدمة تكون أهم من الكتاب وإنما صنعت المقدمة للكتاب، فهذه من الكتب التي يعني أنا أنصح بها، ومن الكتب المعاصرة رأيت أفضل كتاب هو «الرحيق المختوم» كتاب جيد ونافع للمبتدئين ولغيرهم.

القصد من هذا: يعني يكفي أن أقول هذا ويعني كتب السيرة كثيرة جدًا، كذلك أنا أحب من السيرة ما كتبه ابن كثير رحمه الله، لما كتب في «البداية والنهاية» مر على سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأتى فيها بما يمتع وما هو مفيد وعظيم، فكذلك من الكتب المهمة والرائعة وخاصةً أنا أحب نسكه أي حجة النبي صلى الله عليه وسلم فإنه أتى فيها بفوائد القليل من يعرف قيمتها، هذا وبالله التوفيق والحمد لله رب العالمين.

٢٨٢- ما هو القول الراجح في الحجاج؟

ضمن الجلسة الثالثة والعشرون، بتاريخ: (**٢١/٠٤/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٠٨/٠١/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: ما هو القول الراجح في الحجاج؟ ومن كان الأحق بالخلافة عبد الملك بن مروان أم عبد الله بن الزبير؟ ولماذا تخلف الكثير الصحابة رضي الله عنهم عن نصرة عبد الله بن الزبير؟

جواب الشيخ: أما الجواب الأول: الحجاج فاسق، وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم عنه وأنزلت الحديث عليه أسماء أم عبد الله بن الزبير أنه هو مبير أي سفاك للدماء وظالم غاشم بلا شك، أن الحجاج من الظلمة في التاريخ وقد كان في سيفه إراقة وقتل كثيرًا من الصحابة رضي الله عنهم وقتل كثيرًا من المظلومين فالله يعامله بما يستحق، لكن هو مسلم كان له جهود في أبواب من العلم وكان هو الذي نقط القرآن، وجهود في الجهاد هو الذي أرسل الجموع من أجل فتح السند والهند؛ فهو مسلم ولكنه غلب شره خيره، هو فاسق والله عز وجل هو ربه وهو الحكم العدل فيه وكان من إجرام الحجاج أنه يقول: «اللهم اغفر لي فإنهم يزعمون أنك لا تغفر لي»، ويقال: أن عمر بن عبد العزيز وهو قبل الخلافة حين كان يسمعه يقول هذه الكلمة يتألم منها «اللهم اغفر لي فإنهم يزعمون أنك لا تغفر لي».

وهناك من يكفره، ولما يرون أن التكفير لا يعود إلى إجرامه في سفك الدماء وإنما إلى بعض مسائل الاعتقاد ولم تثبت عنه.

فالقصد: أن الحجاج مجرمٌ، ظالمٌ، سفاكٌ للدماء، وهذا قولنا فيه والله تعالى هو ربه الحكم العدل فيه.

السؤال الثاني: من أحق عبد الملك بن مروان أم عبد الله بن الزبير؟ بلا شك أن الأئمة يثبتون أن خلافة ابن الزبير هي الصواب، عبد الله بن الزبير خلافته من الخلافة الراشدة، ويجعلون حكمه خلافة يعني ابن حزم يذكره من الخلفاء، وأن من خرجوا عليه هم الظالمون، الذين خرجوا عليه هم الظالمون من بني أمية، ثم بعد ذلك قضي عليه فاستقرت الخلافة والملك بيد الأمويين عن طريق عبد الملك، فالخليفة العظيم هو عبد الله بن الزبير، وخلافته أحق وكان هو أحق بها وحكم بلاد المسلمين، وصار يعني سلطانه على عموم بلاد المسلمين بقيت

مصر وبقيت الشام لم تدخل في سلطانه وهذا لا يقدح في خلافته عليه رحمة الله.

السؤال الثالث: يقول لماذا تخلف الكثير من الصحابة رضي الله عنهم عن عبد الله بن الزبير؟ لكلٌ سببه، الكثير من الصحابة اعتزلوا الخلاف السياسي، لم يروا نصرة جماعة في موضوع الحرب على السلطان، وهؤلاء الذين اعتزلوا لهم أسبابهم كعبد الله بن عمر لم يناصر عبد الله بن الزبير والكثير من الصحابة اعتزلوا هذا الخلاف؛ لأنهم لا يرون الدخول في أي جماعة تقاتل على السلطة وعلى الملك حتى ولو كانت دعواها إقامة الحق، كلهم يقيمون الحق، ولكن الخلاف على من هو أولى بالإمام، فكانوا يعتزلون هذه الحرب، وهذا الأولى، إلا إذا وقع ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ﴾ [الحجرات: ٩]، وهذا لم يقع كما تقول أمنا عائشة رضي الله عنها وكما يقول الكثير من الصحابة رضي الله عنهم.

بارك الله فيكم وجزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

٢٨٣- رأي الشيخ بالمجاهد عبد الكريم الخطابي

ضمن الجلسة الثالثة والعشرون، بتاريخ: (**٢١/٠٤/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٠٨/٠١/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: أنا من المغرب من الريف الأمازيغي، أريد رأيك في المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي، ومقاومته للاستعمار الفرنسي والإسباني، ومعركة أنوال التي قتل فيها مجاهدو الريف أزيد من عشرين ألف إسباني، رغم الاختلاف الهائل في العدة والعتاد، أتحفنا بكلمة عن هذه الحركة، وعن جمهورية الريف الإسلامية.

جواب الشيخ: في الحقيقة يعني اقشعر بدني! تسألني عن رأيي! في الحقيقة اقشعر بدني، يعني هذا مجاهد عظيم.. والله يسترنا من المغاربة.. المغاربة يعني واقفين لي على الحدود، ولكن في الحقيقة هذا إمامٌ مجاهدٌ عظيم، ومرجع كبير في مسائل الجهاد وفي حركة الجهاد والثورة.

والناس كانوا يستفيدون منه -من المسلمين وغير المسلمين- وينبغي لنا أن نستفيد من تجربته الكبيرة في التعامل مع الوقائع والتعامل مع أعداءنا، كيف ضغطوا عليه.. هذه فائدة لا أريد أن أتكلم عنها، ولكن إن شاء الله يعني أنا أخص هذا المجاهد بما كُتب عنه من خلال مشروع «ألف كتاب قبل الممات»، في بعض الكتب التي تكلمت عنه بالإنصاف والتوسع والإحاطة.

جزاكم الله خيراً، وبارك الله فيكم، ونسأل الله عز وجل أن يرحمنا وإياه، وأن يلحقنا به على خيرٍ وهدى، رحم الله محمد بن عبد الكريم الخطابي.

وأنا ابتداءً أنصح بقراءة ما كتبه شكيب أرسلان عنه في كتابه «حاضر العالم الإسلامي» فإنه كتب كلامًا جيدًا عنه.. رحمة الله عليهما على الشيخ محمد بن عبد الكريم الخطابي صاحب ثورة الريف، وعلى أمير البيان والسيف والقلم الأمير شكيب أرسلان.

والحمد لله رب العالمين.

٢٨٤- رأي الشيخ بالمفكر مالك بن نبي

ضمن الجلسة الثالثة والعشرون، بتاريخ: (**٢١/٠٤/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٠٨/٠١/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: ما رأي الشيخ في المفكر مالك بن نبي؟ وما مدى توافقه مع ابن خلدون وسيد قطب.. هل يتوافق مالك بن نبي مع ابن خلدون وسيد قطب؟ أريد معرفة نظرة كل واحد لمشكلة الحضارة، وكيف يتفاوتون في فهمها؟

جواب الشيخ: جزاك الله خيرًا، يعني أنا لا أريد أن أستبق الكلام على الشيخ المفكر.. الأستاذ المفكر -ليس شيخًا، لا أظن أنه يحب أن ينادى به، وأتباعه ينادونه: الأستاذ مالك بن نبي- لن أستبق الكلام بتوسع عنه، وإن شاء الله ربما أختار كتاب «شروط النهضة» مع أن كتبه الأخرى جيدة، وخاصةً «الظاهرة القرآنية».

الكلام عن المفكر مالك بن نبي، إن شاء الله سأفرغ الكلام فيه -فيما أقدر وأستطيع- في مشروع «ألف كتاب قبل الممات»، وإن شاء الله تعالى سأبين الخلاف حول هذه المسألة، وماذا يقول مالك بن نبي، وكيف رد سيد قطب في كتابه «معالم في الطريق» عليه، وما يقوله ابن خلدون.

بارك الله فيكم وجزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

٢٨٥- حكم صلاة جماعتين في مسجد واحد

ضمن الجلسة الثالثة والعشرون، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٤/٢١هـ الموافق لـ: ٢٠١٨/٠١/٠٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل أخ: كنا مجموعة دخلنا المسجد لنصلي العصر، فوجدنا جماعة صغيرة سبقتنا للصلاة فور دخول الوقت، وهم في الركعة الأخيرة، هل نصلي خلفهم أم نعمل جماعة كبيرة؟

جواب الشيخ: لا، لا يجوز، لا يجوز وجود جماعتين في مسجدٍ واحد، نعوذ بالله، هذا من التفرق المذموم، والله أمرنا بالتوحد.

ولذلك؛ المطلوب هو أن تلتحقوا بهذه الجماعة وتصلوا خلفها، فهذا الواجب في حقكم.

والله تعالى أعلم، والحمد لله رب العالمين.

٢٨٦- مسألة في أحكام الرضاعة

ضمن الجلسة الثالثة والعشرون، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٤/٢١هـ الموافق لـ: ٢٠١٨/٠١/٠٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: شيخنا، رأيت رجلاً متزوجًا من بنتٍ رضعت من أمه في صغرها ثلاث رضعات حسب ما قال الزوج، وصار لهم طفل، ما حكم هؤلاء؟ هل يفسخ النكاح أم لا؟

جواب الشيخ: لا، هذا الزواج صحيح، وهذه ليست محرمة عليه.

والأصح في أقوال أهل العلم، وهو اختيار كثير من العلماء، وبعض الأئمة الأربعة: كأحمد والشافعي، أن الْمُحرم في الرضاعة ليس المجة والمجتان، وإنما يحرم الرضاعة خمس رضعات، مشبعات هذه يزيدها الفقهاء ويتكلم بها الخطباء، وإلا فهي: خمس رضعات.

فإذا رضعت من أمه هذه الزوجة خمس رضعات فتحرم عليه، وأما أقل من ذلك فلا تحرم المجة ولا المجتان، وهذا زواجٌ صحيح.

وللذكر: فتصحيح أنكحة الناس من مقاصد الشريعة، كما قال جمال الدين القاسمي في كتابه، وهذا الأمر ينبغي المصير إليه.

فالمقصود: إذا وقع هذا وهو ثلاث رضعات فهذه زوجته ولا شيء في ذلك ولا يفارقها، بل هي زوجته والحلال عليه.

والله تعالى أعلم، والحمد لله رب العالمين.

٢٨٧- حكم أخذ تعويضات على التنقل

ضمن الجلسة الثالثة والعشرون، بتاريخ: (**٢١/٠٤/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٠٨/٠١/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: أنا موظف في الوكالة الحضرية، أتقاضى زيادة على الراتب تعويضات على التنقل، إلا أن الإدارة تصرف هذا النوع من التعويضات بشكلٍ ثابت كل ثلاثة أشهر، رغم اختلاف عدد التنقلات في كل مدة، فما حكم هذه التعويضات يا شيخنا؟ وكيف التعامل معها جزاكم الله خيرًا وخاصةً إن كان ولا بد من أن تأخذها؟

جواب الشيخ: هذا بحسب العرف، يعني العرف يجري عندكم على أن هذه تصرف كل ثلاثة أشهر بغض النظر، وقد رضي الدافع أن يدفعها على هذا المعنى.

فالجواب: هو جواز هذا الأمر ولا شيء فيه، والعبرة بالعقد، العبرة بالعقد بينكم.. أنا أصرف لك كل ثلاثة شهور بدل تنقل، سواء كان تنقلت أو لم تتنقل.. تنقلت كثيرًا أو قليلاً، فهذا لا بأس فيه ولا حرج وهو من العقود الجائزة، والناس عند شروطهم وعند عهودهم.

بارك الله فيكم وجزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

٢٨٨- حكم القرض الربوي في الغرب من أجل دفن الميت

ضمن الجلسة الثالثة والعشرون، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٤/٢١هـ الموافق لـ: ٢٠١٨/٠١/٠٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل يقول: أخي في أمريكا يقول: إن الذي يُتوفى عندهم يتكلف -أي الدفن وكذا- مبلغ خمسة آلاف دولار، والدولة لا تدفع شيئًا، وهناك شركات تدفع لهم بالتقسيط كل شهر حتى يتكلفوا بتكاليف الدفن وغيرها، فما هو الحكم في هذه المسألة؟

جواب الشيخ: في الحقيقة الجواب عن هذا السؤال يحتاج إلى استيعاب أكثر من موضوع، لأن الغرب في العموم في موضوع التقسيط يدخل فيه الربا، بمعنى لو أنك زدت الزمن عندهم من غير توقف يزيدون المال.

إذا كانت الصورة في بلادنا أن تقسط من أجل أن تجمع المال، تجعله كخزينة تدفع إليهم المال، وهم ينتفعون بها خلال الدفع حتى يأتي الموت، فبعد ذلك يدفعون، فهذا لا بأس فيه، ولكن المشكلة أن موضوع الدين في الغرب لا بد أن يدخل فيه الربا، لا بد، بمعنى لو أن رجلا مثلاً دفع «٢٥٠٠» دولار ومات، فبقيت «٢٥٠٠» دولار.. هذه إذا قسطت سيدخل فيها الربا مئة بالمئة.

ولذلك في الحقيقة يعني مشكلة في الغرب، ولكن أنا أعرف أوضاع الغرب، يعني هناك أمور لا يمكن أن تسري كما تحب، فالله يغفر لنا ولهم ويخلصهم من الغرب، لكن الصورة من غير الزوائد التي يصنعها الكفار في عقود الديون خاصةً من شروط الربا العقد لا شيء فيه؛ فإذا استطعت أن تهرب من هذه الزوائد في قضية شروط الربا في الديون فهذا حسن، وإلا فالله يغفر لنا ولك.

والحقيقة الغرب مشكلة في الموت والدفن وغيره، وعقود البيع والتحويلات، الغرب مليء.. حتى التحويل، الآن لو أراد الرجل أن يذهب إلى البنك فيحول مئة دولار إلى الأردن مثلاً، هذه المئة دولار تحول بعد ذلك إلى الأردن بطريقة إلا ويدخل فيها الربا، يدخل فيها الخلاف، ومع ذلك لا يوجد إلا هذه الطرق في هذه البلاد، نسأل الله العفو والعافية.

والحمد لله رب العالمين.

٢٨٩- فلسطين ومآلات الجهاد

ضمن الجلسة الرابعة والعشرون، بتاريخ: (٢٨/٠٤/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٥/٠١/٢٠١٨ م)

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى صحبه الغر الميامين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ وهدىً وتقى إلى يوم الدين، جعلنا الله وأياكم منهم آمين، آمين.

الكثير من الأسئلة تأتي وكذلك الكثير من الحوارات تدور خلال هذه الفترة حول قضية فلسطين، ولا شك أن هذه القضية عادت إلى الساحة على الرغم من محاولات الكفرة والملاعين من طمسها في نفوس الشعوب، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا (٣١)﴾ [الفرقان: ٣١]، الله عز وجل يقيم من الأحداث والأعمال ما يُبقي صراع الحق مع الباطل دائمًا، وحتى لا يتوقف هذا الصراع.

الكفرة والزنادقة من مهمتهم إماتة الصراع، إماتة الجهاد، إماتة حالة المدافعة بين الحق والباطل، بمجرد الاقتراب من هذه القضية يعود الناس إلى إحيائها بقوة، وكل محاولة لدفنها تخرج قوية، أنتم تعرفون الأسطورة اليونانية «طائر الفينيق»، فهذه القضية كطائر الفينيق، كقضايا كثيرة في الأمة ما يحاول أحد إماتتها إلا ويكون في هذه المحاولة إحياءٌ جديدٌ لها، وتجلية جديدة لهذه القضية وتقويتها، وبالتالي؛ الحديث عن القضية الفلسطينية، الحديث عن تاريخيتها، يعني يستطيع طالب العلم أو الباحث أن يجده منتشرًا وكثيرًا في واقع الأمة وفي كتب الناس وفي المكتبات، الحديث عن فلسطين وكيف فتحت، وكيف صار الناس فيها، وخلال الحروب الصليبية، وكيف فتحها صلاح الدين، ثم كيف قامت الحرب الصهيونية بقيادة هرتزل في محاولتها الشديدة والقوية من أجل شراء الأرض وعودة اليهود إليها، لبناء دولةٍ صهيونيةٍ يهودية هي التي يسمونها دولة إسرائيل.

ونحن نعرف موقف السلطان عبد الحميد رحمه الله من هذه القضية وهو موقف إيماني عظيم، كان سببًا لكل المكر الذي مُكر به من قِبل حتى الذين يحيطون به، وكان من أشد آلام السلطان عبد الحميد أن أحد من دخل وسلمه الوثيقة في عزله عن السلطنة وعن الخلافة أنه رجلٌ يهودي، كما ذكره هو عن نفسه في مذكراته أن هذا الأمر كان من أسباب شدة الألم عليه وزيادة الثقل الذي أصابه في هذه المحنة التي أصابته.

فهذه القضية ينبغي أن النظر إليها نظرة قدرية وشرعية وهما شيءٌ واحد، النظرة القدرية تلتقي مع الحكم الشرعي، والواقع القدري في قضية إبقاء واقع الصراع والخلاف بين أمتنا وبين أعدائها وخاصةً الروم، الروم هم أكثر الناس بقاءً، الفرس قرنًا واحد يقطع ويكسر فلا يقوم للفرس قائمة، ولكن الروم ذات القرون والصراع بيننا وبينهم، والله عز وجل جعل هذه الأرض مباركة وجعل الأديان كلها تميل إليها وتعتبرها مرجعية تاريخية لهم، اليهود يرون أن هذه الأرض هي أرض الميعاد ومزدلف الْمُلك الذي سيحققه الملك المنتظر الذي ينتظرونه، وليست فقط فلسطين هي كل أرض الميعاد، أرض الميعاد بين النيل والفرات يدخل فيها العراق، تدخل فيها سورية، تدخل فيها البنان، تدخل فيها مصر، تدخل فيها الجزيرة العربية، كل الجزيرة العربية بين النيل والفرات، هذه هي الأرض التي يحلم بها اليهودي، لكن فلسطين بالنسبة إليهم تمثل المزدلف من أجل الذهاب إلى بقية أرض الميعاد ثم السيطرة على العالم، هم يرون أن الأرض كلها مُلكٌ لهم.

فاليهود يعتبرونها أرضًا مقدسة والنصارى يعتبرونها كذلك مرجعية تاريخية لهم... إلخ، تعرفون دعوات الصليبيين عندما قاموا بتجييش وتجنيد الهمج والرعاع في أوربا من أجل الحروب الصليبية كانت دعوة لتخليص قبر المسيح من الوثنيين من المسلمين، وبالنسبة لنا من كتاب الله عز وجل، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ [الإسراء: ١]، وهي أرض إسلامية، وثبتت أنها للمسلمين بالحكم الشرعي، لا بحكم التاريخ ولا التقادم، التاريخ والتقادم أمرٌ زائدٌ عن القضية، لأن الحق يثبت لدينا بكلمة الله عز وجل، إذا كلمة الله عز وجل قالت لنا: هذا حلال؛ فيصبح هذا حلالاً، وقالت لنا: هذا حرام؛ فيصبح هذا حرامًا، حتى لو البشرية كلها اجتمعت على حل شيءٍ حرمه الشارع يبقى حرامًا عند المسلمين، ولو البشرية كلها اجتمعت بتحريم شيءٍ أحله الشارع يبقى حلالاً عند المسلمين، فالمسلم لا يلتزم إلا بكلمة الله عز وجل؛ فهذه الأرض للمسلمين، ولا يجوز أن يقبل بها طروء العدو عليها، الصليبيون مكثوا أكثر من «١٥٠» سنة في بلادنا ثم رحلوا وذهبوا وتقدم الإسلام وانتصر.

هذه الأرض إذن هي أرض الصراع والله عز وجل بارك فيها، هذه الأرض مباركة ﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: ١]، لماذا مباركة؟ لأنها أرضٌ يقوم عليها أعظم ما في دين الله عز وجل وهو ذروة سنام الإسلام وهو الجهاد، هذه الأرض مباركة ليس فقط لوجود الزيتون فيها، ووجود التين ووجود العنب، وأنها أرض السمن والعسل، ولكنها مباركة لأن فيها أعظم الأعمال عند الله عز وجل.

وأعظم الأعمال عند الله عز وجل بالنسبة لمجموع الأمة، هو الجهاد؛ لأن الجهاد هو الذي يحقق عبودية الله عز وجل في نفس المجاهد ويحقق عبودية الله عز وجل في الأرض من خلال انتصار المسلمين وغلبة الأعداء، ولذلك هذه أرضٌ مباركة بهذا المعنى، فإذا كسل أهل الإسلام عن الجهاد جاءهم الجهاد إلى عقر دارهم، هذه يجب أن نفهمه، يجب علينا أن نفهمها جيدًا، علينا ألا نتعب من الصراع، علينا ألا نقول بأننا قد ابتلينا، وما هو حظّنا، ولماذا نحن دون الآخرين؟! لا، لا، هذا قدرنا، أنا أرى لبعض العلمانيين كلامًا يعني كأنه يريد أن يجعلنا شيئًا من بقية البشر، فمرةً جلست مع بعضهم، قالوا: قضية فلسطين كأي قضية مثل قضية الفيتناميين ومثل قضية أي أرض مستعمرة، ونحن نقاتل فيها باعتبارها لنا دون هؤلاء الغاصبين، الجواب: هذا كلام باطل، هذه الأرض الله عز وجل جعلها أرضًا مباركة لأنها أرض جهاد، جعلها معيارًا للحق في الوجود؛ بمعنى إذا ضعف الحق في الوجود ضعف الإسلام في هذه البلاد.

وللذكر ليس هذا له قيمة في أهلها، كل أهلها إنما نشأوا على ضفاف الجهاد، يعني هذا ليس كلامًا بالحديث عن شعب، لا، لا يوجد هذا، عندنا لا يوجد شعب، نحن يوجد عندنا أمة مسلمة، وهذه الأرض بوركت بهجرة المسلمين إليها من أجل الرباط، الرباط في بيت المقدس من أجل العبادة، والرباط في بلاد الشام من أجل الجهاد، وأنتم إذا رأيتم أصول عائلات الناس الذين يسكنون فيها؛ رأيتم التنوع الكبير لأنهم جاءوا من مشارق الأرض ومغاربها للجهاد، فليس هذا الحديث عن شعبٍ يسمى كذا، هذا من أبطل الباطل وأجهل الجهل، نتحدث عن أمة مسلمة وهذه لن يعيدها إلى حظيرة الإسلام إلا المسلمين.

إذن هذه أرضٌ مباركة لأن فيها أعظم أعمال الإيمان وهو الجهاد ذروة سنام الإسلام، وهي أرضٌ مباركة لأنها معيار وجود الأمة، أنظروا عند تضعف الأمة، الأمة ضعُفت في زمن الحروب الصليبية؛ فجاء الصليبيون وغزوها وأخذوها وكان ضعف المسلمين في هذا الوقت في كل البلاد قد تمثل في ضعفهم في بلاد الشام وما حدث معهم، وكذلك لما عاد الأمر وانتصر المسلمون كان تعبيرًا عن حركة الجهاد في كل الأمة، فإذن هذه أرضٌ مباركة بهذه المعاني، ومن هنا فلا يجوز لأحدٍ –هنا النقطة– لا يجوز لأحدٍ أن ينظر إليها على أنها قضية أرض قد أُحتلت من قبل اليهود؛ فينبغي أن نجردها من المعاني الإيمانية التي ذكرناها، يعني بعض الناس يقول: الآن قضية فلسطين هي كل شيء!! هؤلاء جهلة في نظرهم إلى حقيقة هذه عند الله عز وجل وفي معيار قدره كما ذكرنا، وجهلة في مفهوم الصراع الذي يعيشونه في بلدانهم، هب أن اليهود ليسوا في فلسطين، فلماذا العالم يهتم ببلدك

أنت بحيث يمنع قيام حتى مجتمع نظيف وحر في بلدك؟!

يعني أنا أتكلم الآن عن الجهاد في سوريا، لو أن الأمر ليس في سوريا التي هي على ضفاف بيت المقدس، وهي من الأرض المباركة، وهي من بلاد الشام، هب أن هذه المعركة تدور في بلدٍ بعيد، هل العالم يتعامل معها هذا التعامل الموجود الآن؟ لماذا يتعامل العالم كله مع هذه القضية على هذا المعنى؟ مما ترونه؟ التفصيل يطول، يتعاملون معها على هذا المعنى؛ لأن هذه البلاد هي على تخوم فلسطين التي يحتلها اليهود الذين يعيشون الآن العلوّ الأول، يعيشون علوًا عظيمًا الآن، وبالتالي؛ العالم يتعامل مع قضيتك لارتباطها بهذه القضية، حين تفهم هذا؛ لا تستطيع ولا يجوز لك ومن الجهل أن تقول إن طرح القضية الفلسطينية في أي صراعٍ في منطقتنا هو من تعويم القضية ومن إفسادها أو من إبعاد الحلول عنها، هؤلاء جهلة، هؤلاء لا يفهمون، لا يفهمون الواقع لا يفهمون قدر الله عز وجل، لا يفهمون تاريخ هذه الأمة، ولا يفهمون الواقع ولا يفهمون كذلك كيف يتعاملون مع قضاياهم.

العالم حين يتعامل مع القضايا التي فيها اليهود؛ يتعامل تعاملٌ مختلفًا عن أي قضيةٍ أخرى، لماذا؟ لأن اليهود يسيطرون على المال، يسيطرون على الرأي السياسي، يسيطرون على الإعلام، ولأن القضية اليهودية والمسألة اليهودية كما يسمونها في الغرب مسألةٌ مهمة، وهذا التبويب لهذه الأمة وقطع أوصالها يجب أن نقرأه فيما بعد «سايكس بيكو» بعد الحرب العالمية الثانية، يجب أن نقرأه من خلال سياقه التاريخي، القضية الفلسطينية بالنسبة للغرب يجب أن نقرأها من زمن وعد نابليون قبل وعد بلفور، كيف ينظرون إلى القضية الفلسطينية باعتبارها قضية تهم وسط أوربا، تهم سيطرة أوربا على المشرق وعلى ما يسمونه بالشرق الأوسط.

يأتي أحد الآن لما تقول: هذه القضية الإسلامية في بلاد الشام، القضية الإسلامية في اليمن، القضية الإسلامية في أي مكان، هذه لها علاقة بالقضية الفلسطينية، يأتي إليك جاهل وربما ملتحي ويسب عليك ويتهمك بأنك تريد تدمير قضيته ومنع حلها، هذه القضية عند الغرب لا يحتاجون إلى كلمتي من أجل أن يغيروا رؤيتهم إلى قضيةٍ تتعلق بواقعنا، لا يحتاجون هم يقرؤون ويعرفون ولهم دهاقنتهم ولهم مؤسساتهم ولهم أرشيفهم الذي يدلهم كيف يتعاملون.

من هنا لما كنت أقول للناس: إن حركة الجهاد إلى تحرير فلسطين قد بدأت لما قامت الثورة في الشام،

البوصلة؟! أنت تريد كل شيء هو فلسطين؟! الذي يقول هذا الكلام جاهل لا يفهم شيئًا من العالم الآن ولا في تاريخ الأمة ولا كذلك في نفس الرب الذي هو قدر الله عزّ وجل.

هذه القضية قضيةٌ مهمة؛ لأنها مرتبطة بدين الناس، لماذا صُنعت هذه الأنظمة الوظيفية؟ صنعت من أجل القضية الفلسطينية، لماذا تدعم هذه بسحقها لشعوب ومنع حتى أن ينشأ فيها كفرٌ معدّل؟ لماذا يمنعون ما يسمى بالديمقراطية؟ لماذا يؤيدون العسكرة ويؤدون النظم الطاغوتية والنظم الديكتاتورية؟ لماذا يؤيدونها في المنطقة؟ السبب؛ لأنهم يعلمون أنه لو انتصرت هذه الشعوب، الشعوب نفسها سوف تكون بوصلتها إلى فلسطين، ستكون بوصلتها إلى هذه القضية في نهاية الأمر، هم يعرفون هذا، ولذلك هذه القضية قضيةٌ مهمة بالنسبة لنا دينيًا، وبالنسبة لنا واقعيًا، ويجب دائمًا أن ننظر إلى أي حدثٍ يحدث في منطقتنا أن له الارتباط الشديد، ليس باعتبار أن ننظر إلى علمانيين فلسطينيين، هؤلاء مجرمون كذلك، للأسف البعض يظن كأن الصراع هو صراع سايكس بيكو، كأنك لما تتحدث أنت لأنك فلسطيني أنك تريد أن تسرق قضيته لا قضيتك، يتمنى المرء أنه لا ينتسب لهذا البلد حتى يقبل الناس منه كلامه، وينبغي على الناس أن يتكلمون بهذا الكلام في كل البلاد.

نحن مشكلتنا الاهتمام الغربي الذي يؤدي إلى سحق حركة الأمة، إلى سحق دينها، إلى وضع أنظمة وظيفية دكتاتورية قاتلة تفتح السجون، جزءٌ كبيرٌ من هذه القضية هي هذه القضية التي بذلوا لها الأموال، هل نحن إلى الآن جهلة في مقدار ما بُذل من أجل إيجاد دولة إسرائيل في هذا الجزء الغالي من أمتنا؟! وكان هذا يتوافق مع قدر الله عز وجل أن الأمة يجب أن تُعذب لأنها ضعيفة ويجب أن ينشأ فيها هذا المرض الظاهر الذي يؤلمها من أجل أن تنهض وتقوم من أجل إزالة هذا الوجود السرطاني في هذه الأمة.

نابليون كان يفكر بعزل المشرق الإسلامي عن المغرب الإسلامي بقيام دولةٍ يهودية في فلسطين، هذا نابليون، وهم يفكرون هذا التفكير، هذه قضية يجب أن تُحسم وننتهي منها، يجب على المسلم أن ينظر إلى القضية الفلسطينية على أنها قضيةٌ دينية، هي قضية إيمانية تتعلق بوجودك في أي بلدٍ أنت من عالمك الإسلامي.

القضية الثانية في هذا الموضوع: الذي أتحدث عنه كثيرًا؛ يجب أن لا نهرب من قدرنا، نحن لا نفرح ولكن نفهم، يعني المرء لا يحب البلاء، لا يحبه لا يتمناه، لكن إذا جاء يعتبره فرصة ويقول كما قال الصحابة رضي الله

عنهم: «هذا ما وعدنا الله ورسوله»، الصحابة رضي الله عنهم لم يتمنوا لقاء العدو، والنبي صلى الله عليه وسلم نهاهم قال لهم: (**لا تتمنوا لقاء العدو**)، هذا قاله في غزوة الأحزاب، لكن لما جاء قالوا: «هذا ما وعد الله ورسوله»، نحن لا نتمنى أن تضيع فلسطين فيأخذها اليهود، لكن هذا الذي جاء هذا وعد الله، هذا وعد الله ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا (١٠٤)﴾ [الإسراء: ١٠٤]، هذا وعد الله ليتم مقتلة عظيمة، هذا وعد الله لتقوم سوق الجهاد، هذا وعد الله من أجل أن يظهر الله عظمة الإيمان، هذا وعد الله ليدلل على أن الكفر مهما تواطئ فإن مصيره إلى الزوال والانتهاء، هذا وعد الله عز وجل، نحن لا نفرح لهذا البلاء ولكن نتفهمه ونتعامل معه بمستوى الرضى على قدر الله نرضى، فرقٌ بين أن نفرح به وأن نرضى به، نحن رضينا، ويجب على الأمة أن ترضى الدخول في هذه المعركة وهذا الابتلاء وهذه الفتنة، يجب أن تقبل ولا شكَّ أنَّ هناك جموع من الأمة قد قبلت هذا المعنى.

ولذلك عندما أنا تحدثت في موقفٍ عن بعض المشايخ في قضية إسلامية القضية، أنا لا أتحدث عن القضية باعتبارها أرضًا، لا أتحدث عنها باعتبارها بلد، أتحدث عنها باعتبارها إسلامية جزء من معركتنا وفي نهاية الأمر اعلموا هذه الكلمة؛ أنَّ نهاية كل جهادٍ تعيشه الأمة في أي مكان هو أن تتوجه سهامه ونهايته وخاتمته إلى بيت المقدس، ستكون هناك الملحمة الكبرى، هذا يقيني، هذا يجب عليكم أن تؤمنوا به، وحين تنهض الأمة يعني ذلك زوال دولة إسرائيل، هذا هو المعيار، وحين تنهض الأمة يعني أن الله عز وجل فتح لها باب الجهاد ويتخذ منهم شهداء ويحقق لهم العزة ويكبت أعدائهم.

إذن الحديث ليس عن أرض والحديث وعن قضية فلسطينية باعتبارها أرض قد احتلت ونحن نتصارع عليها، مشكلة مالية، لا، لا، القضية قضية إيمانية، قضية تتعلق بالصراع بين الإيمان والكفر، هذا الذي يجب علينا أن نفهمه.

الآن القضية الثالثة المهمة: يجب علينا أن نفهم بأنَّ الله تعالى منع هذا المشروع اليهودي من الانتصار إلى الآن أيها الأخوة الأحبة، الدول العربية هُزِمَت وهزيمتها شيءٌ معروف وقدري، يعني لم يكن باستطاعتهم أن يصنعوا أكثر من ذلك، بعض الناس يظن أن معنى سبع جيوش أو ست جيوش تستطيع أن تهزم جيشًا واحد، كل هذه الجيوش لا تعدل ربع الجيش الذي قاتلوه، أسماء كثيرة وأرقام فارغة لا قيمة لها، وبلا شك هذا كشف لواقع هؤلاء اللذين لا يهُمهم إلا الحفاظ على مناصبهم ولتذهب الأرض المباركة إلى الجحيم.

ولهذا كان ينبغي أن تُفَسَّر الاحداث السابقة تفسيرًا إيمانيًا بمعرفة أحكام الشرع في أمثال هؤلاء، ولكن للأسف فهم الناس فهمًا جزئيًا عادوا فيه إلى الله عز وجل وعَلِموا أنَّ سبب الهزيمة هو البعد عن الله عز وجل، لكن لم تصل الأمة إلى الدرجة المطلوبة وهي معرفة حكم الله عز وجل في هؤلاء الذين تحققت على أيديهم الهزيمة وتحقيق دولة مجرمة دولة اليهود في فلسطين.

لكنَّ السؤال هل اليهود انتصروا في مشروعهم؟ هذا السؤال مهم، العرب هُزِموا ومازال هؤلاء الذين يحملون المعركة بمعنى عربي مع يهودي مازالوا مهزومين، وكل يوم ينهاروا، ولا يعني هذا أن مسألة الإيمان ومسألة الإسلام في صراعها مع اليهود في نزول، بل هي والحمد لله في ارتفاع، كلما قام جهادٌ في أرض؛ كلما حقق رقمًا زائدًا في ميزان انتصار المسلمين على اليهود وهذا يفرحنا، فالمزيد من الجهاد يعني المزيد من الاقتراب إلى حافة الانتصار على اليهود، المزيد من بلادٍ يقوم فيها الجهاد ولو غضبوا من خراب الدول وزوال النعيم الذي يعيشونه، هذا يعني أن الأمة قد اقتربت إلى درجة محبة الموت؛ لأن أساس المشكلة الوهن كما وصفه النبي صلى الله عليه وسلم وهو محبة الدنيا وكراهية الموت، فحين ينتشر شغف العيش ويبتعد الترف عن هذه الأمة يعني ذلك بدأنا نقترب.

وهذا لا يتحقق بإرادتنا يعني الترف وعدم الترف لا يتحقق بإرادتنا فالله عز وجل يحققهُ لنا قدرًا رغم أنوفنا، هذا الخراب الذي ترونه وسينتشر هذا الخراب، هذا الخراب بالنسبة للترف الذي تعيشه الأمة، هذا الخراب في الترف يعني التقدم نحو الهدف، الهدف هو تحقيق نبوءة النبيين ووعد الله عز وجل ونبوءة الرسول صلى الله عليه وسلم بزوال دولة إسرائيل، هذا معنى زوال الترف.

والناس يبكون هذا الخراب، نعم المرء بلا شك يحزن لكن ينبغي أن يرضى ويفهم، أن يرضى بقضاء الله عز وجل وأن يفهمه، رضيَّ بقضاء الله عز وجل لأنَّ هذا المطلوب الإيماني في كل أقدار الله عز وجل، وأن يفهمه لأنه ينبغي أن يعرف بأنه لا يمكن تحقيق الانتصار على اليهود من خلال الترف ومن خلال المحافظة على أبنيتنا وحياتنا ووظائفنا وأموالنا وامتلاء جيوبنا، هذا لا يمكن أن يتحقق.

اليهود لما أقاموا دولتهم في فلسطين كانوا غير مترفين، كان ينزل الرجل منهم قادم من أوروبا على ساحل فلسطين ويذهب فورًا إلى صحراء النقب ليبني هناك مزرعته، عاش الآباء المؤسسون لدولة إسرائيل ولم تأتيهم هذه

الأرض لم تأتيهم على طبق من ذهب، وبالتالي؛ إزالتها لا يتحقق ونحن جلوس ونحن أهل ترف، ينبغي أن تخرب، ستخرب، انتبهوا.

أنا لا أدري أبشركم أم أنذركم؟ لا أدري، خذوها كما تحبون، البلاد المسلمة التي سينطلق منها المجاهدون وتكون موطئ قدم لزوال دولة إسرائيل هذه سيُقضى على الترف فيها، بحيث الناس يذهبون إلى الجهاد لا يخافون شيئًا يذهب منهم ورائهم، لا يخافون ذهاب البيوت المبنية من الزجاج، ولا يخافون ذهاب العمارات العالية، ولا يخافون ذهاب الدنيا، سيذهبون ويركضون إلى الموت، وهذا الذي ترونه من الركض إلى الموت في البلاد المسلمة التي خربت، المقصود خرب الترف فيها، ترون كيف شبابها وكيف أهلها يتقدمون للموت ويبيعون أنفسهم لله عز وجل، بخلاف البلاد المترفة التي يزاود الآخرون بأننا علينا أن نحافظ على مكتسباتنا.

المشروع اليهودي لم ينجح، المشروع اليهودي إلى الآن لم تتحقق مقاصده النهائية، هم إلى الآن عاجزون على أن يبسطوا سلطانهم تمامًا على هذه البقعة الصغيرة المسماة فلسطين، يعني فلسطين بالنسبة للمساحة لا تعادل شيء، فلسطين التي بقيت بين أيدي لليهود هي ثلث سيناء التي تخلوا عنها، لماذا تخلوا عنها؟ من أجل ألا يقضى على نبوءاتهم، بيغن مرض واصيب بالاكتئاب لأنه تخلى عن جزء من أرض إسرائيل الكبرى.

وتخلوا عن غزة، شارون هذا التوراتي المتعصب الذي فطس قبل مدة، هذا هو الذي تخلى عن غزة، دخلوا لبنان وخرجوا منها، وبالتالي هؤلاء يعيشون رعبًا ولم يصلوا إلى درجة القبول، هذا جسمٌ غريب مازال يعاني الرفض، هذه الأمة لم تقبلهُ ابدًا، لما دخلوا السلام ووعدوا الشعوب بالترف والأموال والسلام سيأتي لكم بكذا وكذا، ولم يأتِ شيء.

وبالتالي؛ هذا المشروع إلى زوال، زوال لأنَّه مع كل هذا الضغط وكل هذا الضخ، ومع ذلك مازال غريبًا ومازال مرفوضًا، هذا الشعب الذي يعيش هناك لا يمكن أن يسكت، الشعوب المسلمة لا يمكن أن تسكت، تربى كما يُربى العربي على حب الخيل، كما يُربى العربي على حب السلاح، كما يُربى العربي على الكرم، كما يُربى العربي على الشجاعة، العربي عندما ينشأ المسلم ونحن نتكلم عن العربي لأنَّه الأقرب وإلا فترى في جاكرتا ترى في بنغلادش كذلك المشاعر الإيمانية ضد هذا الكيان، فهو مبغوض، ولذلك كما ينشأ هؤلاء على هذه العقيدة، ينشؤون أنَّ هذه دولةٌ كافرة يجب أن تزول.

عندما الأمة تنهض عليها أن تُحطم هذه الأسوار التي تحيط بهذا النظام، لأنها أُقيمت وتُدعم ورُسِم لها الإطار بأن تكون ضد شعوبها لئلا تنطلق نحو أهدافها، ولهذا الطريق والسبيل الذي سنراه هو الجهاد الذي سيقوم في البلاد المحيطة، وهذه البلاد سيزول عنها الترف من خلال جهاد أهلها والذي يؤدي بعد ذلك إلى توجههم ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (٦)﴾ [الإسراء: ٦]، ستزول هذه الدولة، إذن هذا ينبغي أن نفهمه وعلينا أن نحضر أنفسنا له.

وأي محاولة -هذا يعني على هامش الأمر مع أهميته- أي محاولة لنحافظ على كيانات هذه الدول فقط يأخذها الناس من الغاصبين والديكتاتوريين ويصبغونها صِبغةً إسلامية، فقط هكذا معدلة كما هو مقبول في بعض البلاد من قبل الغرب، هذا لن يكون، هذا لا تحلمون به، هذا لن يكون.

الله عز وجل يُنشِئ من الأقدار في واقع الأمر ليقع الصراع رغم أنوفنا، حتى لو هربنا منه سيلحق بنا الجهاد والتدافع إلى رؤوس الجبال، ولذلك هؤلاء أسمع جهلة يتكلمون: بأن الجهاد في هذا البلد أو في هذا البلد من الجهل أن ندعو إلى إقامة حكم الله، سيقوم حكم الله عز وجل رغم أنفك، والجهاد سيؤتي ثماره رغم أنفك، والله عز وجل لن يُضيع، لن تضيع هذه الجهود وهذه الثمار، لن تضيع، لن يستطيع أحد أن يوقف حركة الأمة، لن يستطيع، لا تخافوا.

الآن كذلك ليس فقط في الخارج، انظروا إلى الداخل، يعني عندما تخلى السياسيون، فمن الأمور المهمة جدًا التي يجب أن ننتبه لها: أن الناس كانوا يعلّقون تحرير فلسطين على الحكام وعلى جيوشهم، الآن سقط هذا الخيار، الناس علموا أنه لن يقلع شوكهم من أيديهم ومن وجنات وجوههم إلا أيديهم، ورأوا أن هؤلاء هم مجرد عثرة من أجل الوقوف أمام هذا المشروع، وما أقيموا إلا من أجل هذا، هذا وعي عظيم، ونحن رأينا لما حاولوا الاقتراب من الأقصى؛ ما دافع عنه إلا أهله نساؤه ورجاله وأطفاله، وحققوا شيئًا عظيمًا في هذا.

فقط للفائدة: البعض هنا يشكك وذلك بكثرة ذِكر السيئات في الأمة، يقول: الأمة ليس عندها أخلاق، الأمة ليس عندها كذا، الأمة لا تقوم الليل، الأمة لا تصلي الفجر في جماعة، ويجعلون هذه من معوقات الانتصار، هذه نعم هي من المعوقات، ولكن لا تحتاج إلى شيء كبير من أجل أن تجليها الأمة، رأينا بلادًا قد بُذِل فيها عشرات السنين من أجل نشر العلمانية وإفساد أهلها وإخراجهم من الدين، وخلال شهور قليلة تحول

هؤلاء إلى شباب وإلى مشايخ ولِحِى وعُبَّاد وتحولوا إلى مجاهدين وإلى أنصار لدين الله عزَّ وجل.

هذا الحديث الْمُتسع الكبير عن قضايا الأخلاق كمُعوق هذا لا ينبغي أن يشغلنا على أن الصناعة الإلهية بالنسبة للولي ليست على طريقة ما يريده الصوفية من الترقّي في الطبقات وكل طبقة تحتاج إلى مئة سنة؛ حتى نعيش سنوات جديدة من حياةٍ جديدة لنصل إلى ما يريدونه من مقامات، المسألة ليست كذلك، هؤلاء الشباب الذين تروهم في الشوارع هؤلاء صناعة مسوقون إلى هذا الفساد بفعل الصناعة التي تُبذل عليهم، الأنظمة والدنيا والأوضاع كلها تسوقهم إلى الفساد، هؤلاء إذا وضعوا فقط في بيئتهم التي هي حياتهم الأصلية في بيئة الجهاد وفي بيئة الإيمان؛ صاروا عُبَّادًا وصاروا أولياء وصاروا مجاهدين وهكذا.

أنتم تذكرون ماذا حدث لما قامت جبهة الإنقاذ في الجزائر، الجزائر بذلت فيها العلمانية والفرنكوفونية الجهود العظيمة، ولكن في لحظات تحول الناس إلى مسلمين، ثم بعد ذلك قضي على هذا الخيار وأغلقت الأبواب للتدين وفتحت أبواب، وهكذا الناس هذه طبيعتهم هذه حياتهم، القلة القليلة من هو يتحدى الواقع، وأما عموم الناس فضعفوا، ولذلك نحن نحتاج إلى صناعة البيئة، هذه البيئة بعد أن تتحقق يأتي الناس ويدخلون في دين الله أفواجًا، يدخلون في الجهاد أفواجًا، وبعد ذلك سترى العُبّاد، سترى المجاهدين، سترى الاستشهاديين وهكذا.

لا تهتموا، هذه أصباغٌ من الكفر صنعها أعداء الله عزّ وجل من أجل إمراغ الناس فيها رغم أنوفهم، هذه صناعة قسرية، المطلوب هو فقط فك هذه القيود لانطلاق الناس نحو الإيمان، فالأمة الوحيدة القادرة على تجنيد الملايين هو هذا الأمر.

موضوع فلسطين ليس خيارًا بين متعدد لأن بعض الناس يجب أن يطرح هذه القضية باعتبارها مفتاحًا للصراع الذي يجمع الأمة، كأن هناك شيئًا آخر، هذه القضية يجب أن لا نربطها بالمصلحة، يجب أن نربطها بالإيمان، ليس بهذا المعنى أن نقول بأن فلسطين هي الوحيدة التي تستطيع أن تجمع الناس، نقول: نعم، ذلك لأنها هي الحق، ليس لأنها هي طريقة الصناعة، وبالتالي؛ علينا أن نفهم هذا، علينا أن نفهم أن قضية حكم الشريعة، أن نحكم بالشريعة مربوطة بقضية صراعنا مع اليهود وأتباعهم، مع الصهيونية وأتباعها، مع التغريب وأتباعه، القضية واحدة، تسير كلها في سبيلٍ واحد وفي طريقٍ واحد، يعني لا يمكن تخيل قيام دولة إسلامية محكومة بالشريعة دون أن يكون هناك جهادٌ من أجل فلسطين، من أجل الأقصى، فلسطين ليست أرضًا

لشعب هذه قضية دين هذه معيار حق.

ولذلك اربطوا هذه الأمور ربطًا صحيحًا في عقولكم، إيّاكم أن تستغفلوا، الذي يريد أن يبعدكم عن هذه القضية؛ يريد أن يبعدكم عن الخلافة، والذي يريد أن يبعدكم عن الخلافة؛ يريد أن يبعدكم عن حكم الله، والذي يريد أن يبعدكم عن حكم الله؛ يريد أن يبعدكم عن الجهاد، يريد منكم فقط أن تضيعوا في أسواق النخاسة، تقاتلون في أسواق النخاسة من أجل أن يأتي هو حاكمٌ لهذا البلد.

ما أحبه في هذا الباب: أن ننظر إلى هذه القضية كقضية دينية، وقريبًا، أنا أتحدث هذا الكلام لأنني أرى بكل وضوح أنّ كل ما يدور في العالم الآن إنما هو مكرٌ إلهي، كل ما يدور في العالم الإسلامي والعالم كله وتكلمت كثيرًا عن بعض النقاط، ولكن كل ما يدور في العالم الآن هو مكرٌ إلهي لإيصال الناس إلى حالة الجهاد الذي يؤدي به إلى فناء هذه الدولة المسخ وإقامة حكم الله، ولن يطول ولا يعني هذا أن نستريح بعده.

المشكلة أن بعض الناس يبحث عن الاستراحة، هذه مشكلة، بعض الناس يظن أن حكم الله أن قيام دولة إسلامية يريحنا، لا هي مهمات جديدة وبلاءات جديدة وأحزاب سيأتينا أحزاب وسيغزونا الكفر، أنا توقعي أن يأتينا الكفر، أن يأتي الغرب والأوربيون بعد انشغالهم بفترة يتحقق فيه زوال دولة إسرائيل هذه الدولة المسخ اليهودية، أن يعود إلينا الغربيون مرةً أخرى في قرونٍ جديدة تغزونا، وأهلاً وسهلاً، هذا هو تاريخ أمتنا، هذا هو تاريخنا، هذه فرص، أسواق إيمانية، الحمد لله.

الحمد لله الذي جعل هذه البلاد لكل المسلمين سوقًا إيمانيًا، تنشأ أسواق إيمانية عظيمة في المشرق والمغرب بلا شك ولكن السوق الكبير العظيم الذي يتحقق في نبوءة هذه الأرض بلاد الشام، هذه الأرض هنا سوق الشهادة، هنا سوق الموت في سبيل الله، هنا سوق الارتقاء إلى عليين وإلى الفردوس الأعلى، هنا سوق إبادة الكفرة وإزالة المشركين، هنا سوق إذلال الله عزّ وجل للكفرة، هنا سوق رفع الله عز وجل للمؤمنين، هذا المكان هو سوق، وهذا السوق كل واحدٍ شهد لله عزّ وجل بالوحدانية ولمحمدٍ صلى الله عليه وسلم بالرسالة هو له الحق الأصيل وليس تبع، لا يقول أحد: هذه حقٌ لأهلها!! هذه سوقٌ إيمانية شعارها الإسلام، فعمر بن الخطاب رضي الله عنه جاء من الجزيرة العربية من مكة، وصلاح الدين من كردستان، والمماليك من معاركهم ضد التتار كان حكم المماليك، من أجل الرسالة الإلهية للناس أن هذا حقٌ إيماني لا علاقة له بأحد بأن هذا إرثٌ له

ولوالديه، أنه ورثه، لا هناك لن تقاتلوا فقط اليهود، ستقاتلون كذلك الذين ينتسبون لهذه الأرض من أهلها وهم مع اليهود، ستقاتلون هؤلاء، ستبين الصفوف وستظهر، وها أنتم الآن تقاتلون هنا، تقاتلون من؟ تقاتلون أهل بلدتكم في البلاد الإسلامية، ولكنه صراعٌ إيماني، ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ [الحج: ١٩]، في ربهم فقط، هذا ينبغي أن نفهمه.

هذا الفساد في العالم، هذا الرئيس يقوم هنا، ويوضع هنا، ويقتل شعبه ويسرق أرضه ويفعل كذا والغرب يسكت عليه ويدعمه لماذا؟ لماذا لا يدعم من يفعل هذا في بلدٍ آخر بهذه الطريقة؟ السبب لأن هنا اليهود، هنا الذين يسيطرون، هنا العلو، هنا مركز علو هؤلاء اليهود الذي حين يقضى عليه تكون قد قطعة رأس الأفعى، قضيت على رأس الأفعى.

هذا الذي عندي لهذا الأمر وأرجو أن أكون قد أوصلت رسالتي، وإن كان هذا الأمر سنعود إليه إن شاء الله مرةً بعد مرة، لن يُختم هذا الأمر سأبقى أذكر به؛ لأن الكثيرين يحاولون طمس هذه القضية، ولأن الكثيرين يحاولون الراحة، يريدون منّا الراحة، يقولون: أنت لا تشغلنا في قضية لها تاريخ طويل، نحن نحل مشاكلنا اليومية هكذا يقولون، لا تبعدنا، أنحن نريد أن نحل مشاكل للبلد الذي نحن فيه ولا تربطنا فيها قضايا تاريخية، لا تُحل القضايا الآنية في موضوع الإيمان وموضوع الكفر حتى تُحل القضايا الكلية، كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب أن يترك قريش وأن تتركه قريش ليفرغ إلى بقية الناس؛ ويأبى الله عز وجل إلا أن يقيم قريشًا أمامه ليكون القضاء على قريش هو مقدمة الفتح الأكبر لكل الجزيرة العربية.

أنتم تحاولون الهروب من أن تلتصقوا بهذه القضية والله عز وجل يأبى إلا أن يضعها أمامكم رغم أنوفكم من أجل أن يتحقق النصر على الكفر كله، كل هذا الجهاد في العالم كله يمشي إلى مستقره، هذه رسالتي النهائية في هذا الأمر وأرجو أن أكون قد أوصلتها.

بارك الله فيكم وجزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

٢٩٠- كلمة عن المجاهد شامل باساييف والجهاد الشيشاني

ضمن الجلسة الرابعة والعشرون، بتاريخ: (**٢٨/٠٤/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٥/٠١/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل أخ ويقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته -وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته- شيخ حدثنا عن شامل باساييف وعن حال الجهاد الشيشاني بارك الله فيك.

جواب الشيخ: والله لا أدري لما هذا السؤال ولو أن الأخ جزاهُ الله خير يعني ذهب فسيجد الكثير من الإصدارات والكثير من الكلام والكثير من الأحاديث عن الجهاد الشيشاني فهو جهادٌ عظيم أقامه الله عز وجل سوقًا إيمانية ليأخذ الشهداء ويبذل الباذلون من أموالهم ويرفع الفقراء إلى درجة الأئمة ويقيم شهادة الإيمان على الوجود كله ويتحقق النصر الذي هو يلائم الواقع، النصر في لغة القرآن ليس الذي تتوهمونه، النصر في لغة القرآن هو ما يلائم الواقع.

يعني الله عز وجل يقول عن النبي صل الله عليه وسلم وقد خرج من بين يدي قريش: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٤٠]، كانت هجرة النبي صلى الله عليه وسلم نصرًا، وهو بأن لا يقدروا على تطبيق مرادهم فيه وهو أن يحبسوه أو يقتلوه، مع أنهم ذكروا كذلك أن يخرجوه، ولكن لم يعد خيارًا لهم، فالتقى فعل النبي صلى الله عليه وسلم مع بعض خياراتهم، ومع ذلك سماه الله عز وجل نصرًا، فالنصر من إحدى معانيه هو أن لا تنفذَّ إرادة خصمك فيك، هذا نصر، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩)﴾ [آل عمران: ١٣٩]، يرفع من معنوياتهم أنتم في نصر، هذه الهزيمة في أحد لم تؤثر في إيمانكم وفي ثقتكم في هذا الدين إذن أنتم الأعلون، أنتم أعزة.

انظروا أنا تكلمت عن هذا كثيرًا سابقًا وسأتكلم عنه الآن؛ لأهميته، ولا بأس أن يُكرر المرء خطابًا واحدًا في عدة مرات لأهميته، فإن فات الناس في مكان سمعوه في مكانٍ آخر، وإذا سمعوه مرةً بعد مرة تأكد عندهم هذا المعنى وأمتنع ذهابه؛ لأن الاعتقاد ينشأ بالتكرار والزمن، عامل التكرار وعامل الوقت.

أولاً: بعض الناس يظن ويتكلم ويكتب بأنَّ التجارب الجهادية السابقة لم تؤت أُكُلها وهذا خطأ التجارب

الجهادية حققت النصر بما يعادل المعادلة بما يحقق المعادلة في زمانهم.

ثانيًا: هذا الجهاد لم يمش على طريقة كما ذكرت مرةً كرة الثلج، على طريقة كرة الثلج ينزل من الأعلى فيكبر ويكبر ويصل، لا، هذا الجهاد مشى على طريقة الزنبرك، يقيم هنا جهادًا يتحقق به معرفة ومعنى ويتحقق به خير عظيم وينتقل لمكان آخر ويحقق في هذه الأماكن مقاصد عظيمة من الدين.

يعني مثلاً: في البوسنة، الآن الوضع الديني في البوسنة، وضع الأمة والمسلمة وتحجب النساء والصلوات أكثر بكثير مما كان قبل الجهاد، تحققت مقاصد عظيمة، ليس المقصود بكل مكانٍ حصل فيه الجهاد أن يقيم الخلافة، يعني هذا خلاف السُنن، ولو كان كل جهادٍ لا يحقق لنا بحسب رؤيتنا الاستشرافية أنه لا يحقق الخلافة نبتعد عنه، هذا أولاً: باطل في دين الله، ثانياً: هذا من جهل؛ لأن مجموع الانتصارات الصغيرة في النهاية يحقق انتصارًا كبيرًا، ما هو الانتصار الكبير؟ هو مجموعة انتصارات صغيرة، النبي صلى الله عليه وسلم لم يدخل مكة من أول يوم ولم يقض على قريش في أول معركة، سلسلة طويلة من الجهاد في النهاية تحقق الفتح الأكبر، لأنه الأكبر وتحقق من خلال معارك عُظمى قتل من المشركين القليل، يعني عندما يقتل في بدر سبعون مشركًا هذه كمية كبيرة بلا شك بالنسبة لذلك العصر بالنسبة لتلك القبيلة التي هي قريش ولأهلها عددٌ كبير، ولكن في النهاية عادوا مرةً أخرى واستطاعوا بناء أنفسهم في معركة أحد.

فبعض الناس ربما ينظر أن معركة بدر لم تحقق مقاصدها لأنها لم تؤد إلى النتيجة النهائية في زوال قريش، وهو لا يعلم بأنها لبِنة لزوال حُكمِ قريش وتحقيق دار الإسلام في مكة، هذه يجب أن نفهمها، العقلية الصغيرة التي تنشئ من خلال الكتب والأفلام والتصورات الذاتية هذه عقلية يجب أن نبتعد عنها، يجب أن نكون سننيين، يجب أن نعرف ما هي قدراتنا في تحقيق النصر بالنسبة لهذا الواقع.

يعني مرات مجرد بقائك أنت أيها الداعي وبقائك أيها المجاهد حيًا هذا نصر، مرات بقاء المشروع، مرات يكون بقاء المشروع حيًا لم يمت هذه انتصار، ونحن نتعامل مع غيب وآخرة في النهاية نحقق المقاصد الإيمانية لنشر الدين، هذه الصور الجهادية التي حققها شامل باساييف، هذه صور إيمانية إلى الآن ما زالت تغزو الشباب؛ فتصنع منهم أبطالاً ومجاهدين واستشهاديين، فالقرآن وصورة الصحابة رضي الله عنهم ليست نسبًا موجودًا في القديم وبعد ذلك صحراء قاحلة حتى يصلَّ إلينا، لا، هذا النموذج الصحابي العظيم وهذا القرآن

الهادي القويم، هذا يتجدد من خلال سلسلةٍ في كل حقبةٍ تاريخية حتى يصلَّ إلينا من خلال هذه النماذج الإيمانية في نهاية المطاف، نحن ربما لا نستحضر خالد بن الوليد في معركة/ نستحضر شامل باساييف ونستحضر خطاب ونستحضر فلان ونستحضر الشيخ عبد الله عزام ونستحضر فلانًا وعلانًا من هؤلاء الأئمة العظماء الشهداء.

وهؤلاء يُذْهِبونَّ هذا المرض، بأننا لا يمكن أن نُحدِثَ شيئًا، لا، نستطيع والدليل أنَّ فلان أحدث وفلان أحدث.

ربما تقول: تريد أن تُحيي حياة الصحابة رضي الله عنهم، حياة الصحابة انتهت، لا لم تنتهِ، حياة الصحابة رضي الله عنهم نورٌ وهُدى وماء رقراق طاهر سرى في هذه الأمة عن طريق هؤلاء الشخوص والمحطات الإيمانية حتى وصلَّ إلينا.

وبالتالي؛ لا ينبغي القول: بأن التجارب الجهادية السابقة لم تحقق مقاصدها، بل حققت أعظم المقاصد، ولولا هذه المقاصد لم يصل الجهاد إلى بلاد الشام اليوم، لولا الجهاد في الشيشان ما سرى هذا الجهاد حتى تعددت عناوينه، كان له عنوان واحد في أفغانستان، الآن عناوينه في كل مكان ويمشين ويمشي، والناس البعض هكذا لا أدري من أين أضع لهم العقول، لا أستطيع أن أشتري لهم عقول وأضعها في رؤوسهم، عندما يظنون أننا لم ننتصر وأنَّ الذي نعيشه في الواقع هو لا شيء.

هذا الذي يحدث الآن، من أنتم؟ ما كان أحد يسمع بكم؟ الجهاد لم يكن أحد يسمع به، الآن بلطفٍ رباني والعالم ينظر، العام ينظر، يغزو الجهاد البلاد ويدخل فيها وو... إلخ، وينتشر، بلطفٌ رباني يخدع الكفرة ويحقق العزة للمؤمنين، هذا الجهاد الذي ينتشر والعلم بالجهاد ومحبة الجهاد، هم يظنون في كل محطة أنهم قضوا على الدين، يدخلون مدينة مثل بنغازي فيظنوا خلاص انتهى الجهاد، هذا كله خداع رباني ومكر إلهي بهم.

أرجو أن يترسخ هذا المفهوم، نحن من نصرٍ إلى نصر، ومن محطات هذا النصر الإلهي هو أن قام الجهاد في الشيشان، كانت محطة عظيمة، سوق إيماني عظيم، ملحمة، أو على طريقة المؤرخين الأسطوريين تغريبة، كانت تغريبة، أسطورة كان هذا الجهاد العظيم رفعَّ الله عز وجل بهِ رجالاً حققوا أعظم الانتصار في كسر شوكة الدولة المجرمة، وأحدثوا فيها من الثلامات ما لا يمكن تصوره، لو أرادت دول عظمى أن تُحدث مثل هذه الثملات في

هذا النظام الكافر المجرم روسيا لم تستطع، لو أرادت دول عظيمة أن تُحدث مثل هذه الثملات التي أحدثها هؤلاء الفقراء المساكين الشُعْث الغُبْر لم تستطع، ولذلك رفع الله شأن هذا الرجل، وهذا نموذج للمجاهد رحمه الله شامل باساييف، نموذج لفاعلية وقذيفة الإيمان.

أين ولد شامل؟ تعرفون بعد الحرب العالمية الثانية لعنة الله على ستالين وعلى لينين وعلى كل شيوعي، أسأل الله أن ينتقم منهم، فستالين المجرم انتقم من المسلمين، وزعم أنَّ المسلمين ناصروا هتلر عندما دخلوا الأراضي السوفييتية؛ فهجَّر العائلات والعشائر والقبائل المسلمة من الجنوب من الاتحاد السوفييتي هجرهم ورماهم في سيبيريا، وكل ما ترونه وتسمعونه من الإنجازات الصناعية والأبنية في سيبيريا بناها هؤلاء الفقراء والمساكين، فمات منهم الملايين، الملايين من مات من المسلمين في سيبيريا، وبهذا التغيير أرادَّ أن يقضي على الإسلام، فولد شامل باساييف تقبله الله في الصالحين شهيدًا، ولد في سيبيريا وأهله هُجِّروا مع من هُجِّروا بعد الحرب العالمية الثانية من قبل ستالين لبناء المصانع والقيام بأشق الأعمال في سيبيريا.

فانظر إلى صنيعهم كيف انقلب عليهم، كيف انقلب لترى قذيفة الإيمان ماذا تصنع؟ هذا الذي هُجِّر إلى سيبيريا ومُرِس عليه القمع وعلى آبائه ومُرِس إلغاء الدين، ومسح ذاكرة الأمة، ومسح ذاكرة الشريعة من عقولها، ثم يصبح إمامًا، هذه زراعة الله، هذه معركة الله سبحانه وتعالى يسقي رِماحها وسلاحها ورجالها وتاريخه يسقيه من العطاء والرحمة والكرامة والشهادة، وهم يسقونها بالدماء والجهد والإيمان فكانت هذه الملحمة العظيمة.

قد يقول قائل: فأينَّ الثمار؟ الثمار لا يهم، الثمار بمفهومك أنت ليس بهذا الاهتمام، أنا أقول لك كلمة: النبي صلى الله عليه وسلم دعى ثلاثة عشر عامًا، لا أقول الثمار لا تهم، لا تهم على مفهومك أنت، ألغي هذا المفهوم عندك.

ثلاثة عشر عامًا في مكة ماهي نتيجتها؟ هو يسقي في مكة ويدعو في مكة، فأينَّ كان زرعها ونبتها وثمارها؟ كان في المدينة، هذا ألا يُعلّمك في كيفية تدبير الله عز وجل لأقداره، هكذا يجب أن تفهم، هكذا يجب أن تفهم مسيرة الجهاد ومسيرة العلماء ومسيرة التضحيات ومسيرة المجاهدين، لا يوجد دمٌ يراق شهادةً في سبيل الله فلا ينت الله به طيبًا وخيرًا، لا يمكن.

بهذا المفهوم لديك، ما هي النتيجة؟ كل هؤلاء العلماء الذين قاتلوا الدولة العُبيدية لا قيمة لهم! ذهبوا! ولا

قيمة لهم، أهكذا تنظر إلى هذه الأمور؟!

ولذلك إذا أردتم تاريخ هذا الرجل فاقرؤوه فيما يُذكر ويُكتب ولكن إذا أردتم المعاني الإيمانية فهذا هو دورها، هذا جهادٌ عظيم ومحطةٌ من محطات الجهاد التي رفعت الأمة للمواجهة وأنها قادرة أن تُجابه أكبر الطواغيت، وأن تُحقق فيهم المراد، وبإذن الله عز وجل في النهاية سننتصر.

ولا بُد أنَّ البلاد تغيرت، البلاد في جنوب روسيا هذه البلاد تغيرت والدين تغير فيها صارت شيئًا آخر، نحن نتكلم عن البوسنة الآن لأننا نعرف، لكن انظر هناك البلاد تغيرت والإقبال على القرآن تغير والإقبال على المساجد تغير، من الذي غيره؟ هم قبلوا الإسلام الذي يُصلى فيه ويُعمل به تحت طائلة الجهاد، المجاهدون يصنعون الهوامش لعيش الإسلام في بلاد المسلمين وفي خارج بلاد المسلمين.

الناس يقولون: بأنَّ المجاهدين يسيئون سمعة الإسلام فيضيقون هامش الحياة، كذبوا، المجاهدين هم من يوسعون دائرة الهوامش لانشغال العدو بهم، فيقبل من الآخرين أن يعيشوا مسلمين سعداء لئلا يأتيهم هؤلاء المجاهدين؛ فينشغلوا بالمجاهدين ومن أجل إظهار مظهرهم؛ يسمحون لهؤلاء بأن يعيشوا الإسلام، المجاهدون هم الذين يصنعون الهامش لحياة المسلمين حياةً صحيحة إسلامية، ومع ذلك فالمعركة لم تنتهِ، لا يوجد يوم أُغلق فيه كتاب الصراع بين الحق والباطل، ولا أغلق كتاب الشهادة، لم يغلق.

فهذا الذي أنا أقوله، جزاه الله خيرًا، أثبت هذه من معالم الإيمان، معالم الإيمان كيف تأتي قذيفة الإيمان؟ يريد أن يقتلهم ستالين، ويبدهم ويغير دينهم، فنبتت رماح الخير والشهادة والعطاء، هذه فائدة عظيمة، فائدة عظيمة كيف يستطيع قِلَّة من الأمة أن يجابهوا ويقاتلوا أعتى المجرمين والكفرة والعُتاة، ويقد أن يُصيب منهم مقاتِل، ليس مقتل، مقاتِل، ثم ثالثًا: أنها سوقٌ إيمانية، سوق إيمانية نبتت بالخير هنا وهناك فكانت أشرطة الشهادة التي يقولها شامل ومعه أخوه خطاب، كانت الأشرطة تسير في الشباب وتربيهم، وأنتم لا ترونَّ الثمار، الله عز وجل هو الذي يراها، وأهل البصر من يرونها، هذا بعض ما عندي في هذا الباب والله تعالى أعلم، والحمد لله رب العالمين.

٢٩١- هل عبد الوهاب المسيري علماني؟

ضمن الجلسة الرابعة والعشرون، بتاريخ: (**٢٨/٠٤/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٥/٠١/٢٠١٨ م**)

إن الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى صحبه الغر الميامين وعلى من تبعهم بإحسانٍ وهدىً وتقى إلى يوم الدين، جعلنا الله عز وجل وإياكم منهم، آمين، آمين.

يسأل أخ: ما رأيكم بالأستاذ عبد الوهاب المسيري؟ وهل هو فعلاً يتبنى العلمانية بمفهومها فصل الدين عن الدولة؟ أم أنه يقصد بها التمييز بين دائرة الاجتهاد الفقهي والأحكام التوقيفية؟ عِلمًا أنه يميز بين العلمانية الشاملة والعلمانية الجزئية، وقد قال في كتابه «العلمانية والحداثة والعولمة»: أنا بصفتي مفكرًا إسلاميًا لا أرى غضاضة في قبول ما أسميه العلمانية الجزئية إن كان يعني بعض الإجراءات السياسية والاقتصادية ذات الطابع الفنيّ والتي لا تمس من قريب أو بعيد المرجعية النهائية، ويقول الأخ السائل: والظاهر أنه يقصد بالمرجعية النهائية الشريعة.

جواب الشيخ: أول شيء يعني الدكتور عبد الوهاب المسيري صاحب مشروع كبير، وبذل جهدًا كبيرًا في إظهار هذا المشروع ونشره والعمل عليه، وهو مشروع اليهودية والصهيونية، وقد أخرج كتبًا كبيرة في هذا الباب.

أيها الإخوة الأحبة: أي إنسان يقرأ الواقع قراءةً صحيحة ببصرٍ ثاقب؛ لا بد أن يلتقي مع مقررات الشريعة، العقل الصحيح والصريح يلتقي مع النص الصحيح كذلك والصريح؛ بمعنى: إن كثيرًا من الناس أتوا إلى الشريعة عند قراءتهم للواقع قراءة صحيحة، وعبد الوهاب المسيري وإن كان هو خريج المدارس الفكرية السابقة، يعني هو يُعد نفسه تلميذًا لبعض مدارس الصحافة العربية المعروفة، لكن الدكتور المسيري ببذله الجهد الكبير في كشف هذه القضية، وفي قضيةٍ أخرى مرافقة لها، يعني كشف الصهيونية واليهودية والكلام عنها تاريخًا وواقعًا؛ أدى به إلى كشف تجليّات هذه الصهيونية واليهودية.

ومن تجليّاتها الكبرى الحداثة، الحداثة إجرام، ومجرمة، وهذا ليس قولي، إن الكثيرين ممن تكلموا عن الحداثة

يعتبرون أن أصولها دموية، وقد ألفوا كتبًا في هذا، وإن شاء الله أنا سآتي إلى بعض الكتب خلال مناقشتي لهذه الكتب في مشروع «ألف كتاب قبل الممات» وسأبين مما يقوله يعني المفكرون الغربيون بالنسبة إلى عدم حيادية الحداثة التي هي العولمة والحداثة أنها ليست حيادية وأن الدموية من طبيعتها، وأن القمع من طبيعتها، لأسباب كلها هذه سنأتي إليها.

فهو وصل إلى هذه المقررات إلى أن يعادي الصهيونية ويعادي كذلك تجلياتها الحديثة التي يقوم عليها دهاقنة غربيون ويتلقفها مجموعة من السقط والمغرر بهم والجهلة الذين يتكلمون من أجل أن يرضوا الغرب، هذا ليس كذلك من أحكامي، يعني عندما يتكلم الحداثيون العرب يتكلمون بنغمات غربية، ولا يخاطبون حتى الشعوب العربية، يخاطبون الغرب من أجل أن يرضى عنهم وأن يستخدمهم وأن يدخلهم في مؤسساته.

فالدكتور المسيري هذا مشروعه الكبير، وبالتالي؛ استطاع أن يكشف وأن يصبح قريبًا من إحساس الجماعات التي تعادي تجليات الحداثة والتي هي إفراز للصهيونية واليهودية، هذه الخلاصة لما يقوم به المسيري.

فهو مشروع في هذا الجانب كمشروع أي مفكر صادق نظيف بحَّاثة، لا يرضى بالشواطئ يذهب إلى العمق، إلى قاموس البحر، يذهب إلى عمقه، يفتش عن الكنوز ولآلئ، يصبح له نظريات غريبة جدًا، وغريبة في اكتشافاته، يعني عندما يحلل ظواهر عادية جدًا لدى الإنسان العادي وأنها ليست في العادية في حقيقة الأمر، ولكنها صناعة فكرية.

يعني أضرب مثالاً على هذا: عندما يتكلم عن المسلسل الشهير؛ لأنه ونحن صغار شاهدناه، «توم وجيري»؛ فيرى أن هذا مسلسل مقصود به أمور فكرية، وهي طمس قضية الصراع على أُسُس حقيقة دينية، يعني الاثنين يتقاتلون دائمًا، قط وفأر، عبثية، فهو يعني يقول: أن هذا من تجلياتهم، من تجليات الحداثة.

القصد من هذا: بأنه يخرج مرات مقررات ربما تصدم الإنسان العادي أنه يرى الأيدي الخبيثة تقوم بطرح أفكار تبدو لدى الإنسان العادي ساذجة وبسيطة ومضحكة ولا يقف عندها، ولكنها في عمقها تمثل غزوًا فكريًا عميقًا لمعتقدات الأمة، فهذه هي القضية، لا أريد أن أطيل كثيرًا؛ لأن موضوع المسيري أصلاً في نفسه مبحوث عند عامة من يتعامل مع الفكر ومع كتابته في عالمنا العربي.

إذن هذا جهدٌ مشكور، كل من يقوم بكشف تجليات الغاصب والغازي من أعدائنا، خاصةً من تجليات الغربيين المجرمين الذين يخططون للأمة، أو اليهود الذين في النهاية يريدون طمس معالم الهوية الإيمانية الإسلامية في هذه الأمة، فهذا جهدٌ مشكور ويجب علينا أن نتابعه وألا نرد أفكاره بسرعة، يعني حتى وهو يقول بغرائب تصدم الإنسان الذي يعني حتى يتعامل فكريًا مع الظواهر السريعة، ولكنه بحاجة إلى أن يذهب إلى درجة عمق هذا المفكر الكبير عبد الوهاب المسيري

المسألة الثانية: وهي بالنسبة إلينا مهمة؛ هل عبد الوهاب المسيري مفكرًا إسلاميًا؟

هذا النص الذي ذكره الأخ، الدكتور عبد الوهاب المسيري هو يجب أن يُتعامل معه إسلاميًا وهو يظهر بهذا المظهر يعني، المشكلة تكمن عندنا نحن، عندما أنا أتعامل مع الفقهاء الذين يتعاملون مع الفقه بحديته الصريحة وليس على مستوى الفكر، يعني هناك ما يسمى مفكر إسلامي وربما لا يمت إلى الإسلام بصلة لا في سلوكه ولا في عمله ولا في كذلك توصيفه وتعليله لما يجري في الحياة، ومع ذلك يسمى إسلاميًا، أنا لست من هؤلاء، إنما أنا أحب أن أتعامل مع الفقه بدرجته الحدية حين يُطلق هذا الاسم، لأنه ليس حقًا لي.

أنا من حقي أن أقول: أن هذا الإنتاج صحيح أو غير صحيح من جهة واقعيته، لكن ليس من حق أحد بأن يطلق أحكامًا شرعية، هي من حق الله عز وجل على أُناسٍ لا يستحقونها؛ لأنها ليست من بذلِك الخاص، ليست من جيبك.

وبالتالي؛ هذا الموضوع يحتاج إلى تدقيق شديد والتفريق بين هذه القضية وهي: فاعلية المرء، وحاجتنا إليه، ودوره في المعركة شيء، وأن يدخل في صفنا بأن يكون مسلمًا شيئًا آخر، يعني يمكن أن يأتي رجل علماني-وأنا أعرف الكثير من العلمانيين من العرب وغير العرب يصارع الإمبراطورية الأمريكية وينظر إليها على أنها إمبراطورية الهيمنة.

يعني عندما نأتي إلى نعوم تُشُومِسْكِي أنت تلتقي معه في اتجاهه العام، في أنه يعادي الإمبريالية الأمريكية والسيطرة وو... إلخ، لكن هذا لا يعني بأنك تتماهى معه في كل ما يقوله، ولا أنه حينئذٍ تدخله في الصف الإسلامي!

وكذلك لا ينبغي أن يأتي المفكر ويقول: لا قيمة له ويتعامل معه، هذه هي الحديات غير مقبولة في موضوع الفكر وموضوع الصراع، لكن حين نأتي إلى الحكم عليه شرعًا فهذا جانبٌ مهم، ومن الدعوات التي أنا أهتم بها وربما الأخ المتابع يستطيع أن يراها جلية، بأننا يجب أن نوثق قضايا الصراع وأن نعيدها إلى أصلها الإسلامي.

وأنا قلتها كثيرًا: أنا أخاف من المفكرين الثوريين حين يأتون إلى الإسلام، فإنهم يمدحون جوانب الثورة في الإسلام، ولكن أصولهم ليست إسلامية! هذا يمشي معك إلى بعض الطريق وليس إلى كله، يمشي معك جزء الطريق ولا يمشي معك إلى النهاية، يخذلك في وسط الطريق، ولكن أنت ينبغي أن تتعامل معه بموقفه الآني مع الحذر إلى موقفه المستقبلي.

ولكن من قضايانا المهمة: علينا أن نعيد الأحكام الشرعية؛ لأنها هي منطلق حركتنا في الوجود، يعني هذه الكلمات التي يطلقها البعض قديمًا على الحكام: عملاء، وسخين، وسراق، كلام عائم لا يصنع حركة، لا يصنع موقفًا، وهذا الذي أخطأت فيه بعض الجماعات، أنها في الأصل لم تؤصل عند أفرادها النظر إلى الواقع من خلال الرؤية الشرعية، يعني حلال حرام، مسلم، كافر، وتقرأ الواقع من خلال هذه المنطلقات.

يعني أنا عندما تكلمت عن الأستاذ عبد المجيد الشاذلي في «حد الإسلام وحقيقة الإيمان»، ربما هذا استشعره سيد قطب بأنه بحاجة للفكر أن يؤصل فقهيًا.

هذه الثنائية موجودة في واقعنا، ثنائية الفقيه والمفكر موجودة، والأصل ألا تكون، الأصل أن يكون الفقيه مفكرًا، وأن يكون المفكر فقيهًا، يعني لا يجوز للمرء أن يتحدث عن الإسلام بكليته وهو جاهل لفروعه، هذا مفكر جاهل، وكذلك الفقيه لا يجوز أن يتكلم عن الفرعيات ويكون عقله ذريًا ولا يتكلم عن الكليات، فالمفكر يتحدث عن الكليات والفقيه يتحدث عن الجزئيات.

والواجب: هو أن تنشأ الجزئيات من خلال الكليات وأن تضبط من خلالها وألا تنشأ الكليات إلا من خلال معرفة الجزئيات، وبالتالي؛ الحكم على رجل بأنه مسلم أو غير مسلم هذه لا ينبغي أن نستعر منها! لكن كذلك ينبغي ألا تطمس الرؤية في تقدير مواقف الناس أنه في هذه المعركة الآنية هو معك أم ضدك.

عبد الوهاب المسيري صاحب مشروع بلا شك مشروع كبير جدًا، يتعلق بصراع الأمة مع غزاتها، من

الغربيين ومن اليهود، وبحاجة إلى أن يُحمل هذا المشروع من خلال أدوات فرعية، وأنا سمعت مرةً الدكتور عبد الوهاب المسيري يقول: أنا مستعد أن أذهب إلى أي لقاء تلفزيوني لأشرح نفسي، وأنا لما سمعت هذه الكلمة عرفت، يعني هكذا استشعرت أني أعرف النفسية التي يتكلم عنها؛ ذلك لأن الكثير من المفكرين يتحدثون في عالم الفكر، وعالم الفكر وعالم الأكاديمية، العالم الأكاديمي والفكري للأسف ليس له جذور في داخل مجتمع ضعيف الصلة يتعامل مع الفكر بمجرد العقل ولكنه لا يذهب إلى داخل المجتمعات، الفقيه والخطيب هو الذي يوصل الفكرة إلى داخل المجتمعات.

فذلك ربما هو شعر الدكتور المسيري في لحظة بأن مشروعه كبير، ولكنه محصور في جانب الفكر والجانب الأكاديمي، مشروع كبير، مجلدات وأطروحات وو... إلخ.

ولذلك كان هو يحب أن يدعى إلى داخل التلفزيون ليوصل فكرته العملاقة إلى داخل الإنسان الساذج البسيط الذي تستهويه القضايا اليومية الآنية.

كل هذه لنصل إلى القضية ثانيًا؛ هل يعتبر الدكتور المسيري مفكرًا إسلاميًا؟

هو حريص على هذا، ومرات يحب بعض المفكرين أن يُستدعى إسلاميًا، وأنا لا أريد أن أذكر أسماء يعني أنا جلست مع بعضهم وشعرت أنه هو يفكر، ولكنه فاقد لأدوات تطبيق هذا الفكر على الواقع إلا من خلال رموز إسلامية شعبوية، خطيب، شيخ... إلخ، الناس لا يثقون بأفكاره إلا إذا حملها الشيخ، فهو بحاجة إلى الشيخ، وبعضهم يذهب إلى الجماعات الإسلامية لأنه يريد أن يبني أفكاره من خلالها، هذا موجود، وهناك ظواهر واضحة لمثل هذه الشخصيات.

فهل الدكتور المسيري كان هكذا أم أنه إسلاميٌ في نفسه؟

هو يُعد نفسه أنه مفكر إسلامي بمعنى يريد أن يعيش الصراع الإسلامي المقابل له، سواء كان علماني، سواء كان حداثي، سواء كان... إلخ.

أنا جالست بعض الناس ممن يهتم بالفكر وقال: من الخطأ الكبير الذي يقع فيه الناس دائمًا في التعامل مع الدكتور المسيري أنه يعدونه إسلاميًا، وهذه الكلمة لما قيلت فاجأتني، يعني هل الدكتور المسيري ليس إسلاميًا؟

وهذه الكلمة مثلاً، الأخ الذي نقل هذه الكلمة عنه، هذه كلمة مهمة، هو يُعد نفسه مفكرًا إسلاميًا، لا ينبغي أن نجرده من هذا وأن نفهم كلماته بعمق! ومن هنا انظر إلى كلمة العلمانية الشاملة.

للذكر فقط: الذي نشر هذا التقسيم بين العلمانية الشاملة والعلمانية الجزئية، العلمانية الصلبة والعلمانية السهلة، الذي نشرها هو المسيري، ولكن ليس هو أول من أبدعها، ليس هو أول من أوجدها، هناك مفكرون حتى عرب قالوا بها قديمًا، يعني هناك تيارات قومية قالت بهذا قديمًا، ولكنها انتشرت من خلاله، ففرح الناس بها أن المسيري يقولها، ولكن في الحقيقة هذا التقسيم قديم وقبله، لكن هو شرحه ونشره، وبالتالي؛ الناس لا يعرفون في الخبايا الكتب الدقيقة، ووجهوا ما يقوله المسيري.

عندما تكلم عن العلمانية الشاملة، طبعًا العلمانية الشاملة هي التي يعني يصرح بها عزيز العظمة، يصرح بها عادل ضاهر كما ذكرت في «الأسس الفلسفية العلمانية» وهي العلمانية من منظور مختلف وأغلب العلمانيين في بلادنا على هذا النوع هم استئصاليون؛ بمعنى الدين مشكلة، وحتى عندما يقولون: نوظف الدين، لا يقصدون به الدين الصحيح.

وأنا تكلمت كثيرًا الفرق بين الدين الصحيح والدين الصالح أو النافع، وهذه كلمة قيلت قديمًا، أنا لست صاحبها، لست أول من قالها، هذه قالها الخبيث لويس عوض، قالها في بعض كتبه، قال: يتكلم عن البعض بأنهم يستخدمون الدين، ولكنهم لا يهتمون أن بالدين صحيح أو غير صحيح، وهذا في واقع الأمر موجود، بمعنى أنهم يريدون استخدام الدين، ولكن يريدون استخدام الدين المكيف المعدل.

بلا شك أن السلوك الشخصي للأسف نحن نتكلم عن بعض الظواهر في قضية صورة المرأة لهذا الزوج ما هو المحافظة على الصلوات وو...، نظرته للأمور التعبدية، إلى الحالة الذاتية لنفسه؛ حتى نعده بأنه بالفعل منحاز إلى الإسلام باعتباره حياة له أم باعتباره يمثل مرجعيةً فكرية، على وجهٍ من الوجوه، أنا لا أستطيع أن أخرجه من كونه مفكرًا إسلاميًا ليقول هذا، العلمانية التي طرحها هو قال هذا، العلمانية عنده هو يقول: أنا أقبل أن أكون علمانيًا جزئيًا، علمانيًا سهلاً؛ إذا كان المقصود بها الأدوات استخدام، هل التزم هو بهذا الكلام؟ مرات لا نرى هذا الالتزام في واقعه

وبالتالي؛ على قاعدتي التي أتعامل معها: الرجل أفضى إلى ما قدم، لم يقدم نفسه قائدًا، ولا ثورياً، ولا محركًا،

ولا حتى شريكًا للتيارات الإسلامية في صراعها مع الأنظمة العلمانية، لم يقدم نفسه بهذا التقديم، وإنما كان يعيش هذه الأبحاث التي يعني بذل حياته من أجلها وأفضى إلى ما قدم، عندما يتكلم هؤلاء عن الواقع وعن العلمانية علينا أن نأخذ منهم الكثير ونفتح الأبواب مشرعة هكذا، ولكن حين يتكلمون عن الإسلام نحن نحتاج إلى أن يكون المفكر فقيهًا لنقبل منه كيف يتكلمون عن الإسلام، هذا هو الجواب.

في خلاصة الأمر: أمثال هؤلاء الذين لم يعيشوا الإسلام عيشًا تامًا، ولم يدرسوه دراسةً تامة، حين يتكلمون عن الإسلام ينبغي أن نضع الكثير من الشباك المانعة.

يعني عندما نأتي إلى محمد أسد، محمد أسد رجلٌ أسلم، يهوديٌ أسلم، وتكلم كلامًا عظيمًا عن الإسلام وعن النبي صل الله عليه وسلم وعن رحلة الإسلام وتاريخ الإسلام، ففي هذا نحن نفتح الأبواب ونقبله، وهل هو مسلم؟ الجواب: نعم هو مسلم، هل هو مفكر إسلامي؟ الجواب: نعم مفكر إسلامي، لكن هل يجوز لنا أن نأخذ منه مسائلنا الفقهية؟ هذا لا يصلح، ليس هو الرجل، من هنا هذا الفصام أمرٌ واقع رغم أنوفنا، الفصام بين الفقيه والمفكر، الفصام موجود الفقيه ليس مفكرًا، والمفكر ليس فقيهاً، وهكذا نقول في مثل هذا الدكتور عبد الوهاب المسيري نسأل الله أن يرحمنا برحمته.

وإذا تحدثنا عن العلمانية الجزئية هل هي خطيرة؟ نعم، لماذا؟ لأن حدود العلمانية الجزئية حدود كذلك كبيرة؛ يعني عندما يأتي البعثي ويتحدث عن العلمانية الجزئية، ويرى الدين عامل موجود يجب ألا يطارد كما تطارده الشيوعية وكما تطارده الأنظمة البوليسية، فهذا حد العلمانية الجزئية عنده! وهذا بلا شك أنه إلغاء لمفهوم حاكمية الشريعة الذي هو كفر وردة.

لكن ما معنى الجزئية؟ عندما يأتي واحد ويقول: المقصود بالعلمانية الجزئية هي تطبيقات العملية مثل الانتخابات، ومحاسبة الحاكم، الأكثرية والأقلية، تحت ظلال الشريعة وكليات الشريعة، يعني الرجل حينئذٍ لا يخرج من دائرة الإسلام تصبح الخصومة داخل دائرة الإسلام، لكن ليس كل من طرح العلمانية الجزئية يعني يطرحها بنفس المفهوم، هذا الذي عندي والله تعالى أعلم، وجزاكم الله خيرًا.

٢٩٢- الإمام أبو حنيفة وفضل فقهه

ضمن الجلسة الرابعة والعشرون، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٤/٢٨هـ الموافق لـ: ٢٠١٨/٠١/١٥ م**)

أخ يسأل يقول حفظه الله: يا شيخ أحبكم في الله -أحبك الله أخي- **وأدعوا لكم دائمًا** -ولك بالمثل، أسأل الله أن يتقبل منك وأن يقول لك الملك: بالمثل- **ما رأيكم في أبي حنيفة رحمه الله، والمذهب الحنفي؟ ما رأيكم في أقول العلماء في عصر السلف ضدَّه؟**

جواب الشيخ: هذا الإمام إمامٌ عظيم، ويجب على المسلمين محبته والدعاء له؛ لأنه من الداخلين في من قال النبي صلى الله عليه وسلم فيهم: (**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**)، وهذا الإمام مهَّد الله عز وجل بعقله وبعلمه وبحسن ما آتاه الله عزّ وجل من الخصال والصفات؛ مهّد الله عز وجل للأمة فهم الدين، وما أصاب به هذا الإمام من الحق الكثير، الكثير، وما شرح به الشريعة؛ استفادت منه الأمة جميعها، ولم يذم أحد هذا الإمام من الخارجين عن عصره فيما ينشأ مما قالوه من هرمان المعاصرة إلا الذين خرجوا من الكلام عليه بعد عصر المعاصرة، ومن الكلام بين المتعاصرين، لم يتكلم فيه إلا أهل البدع والضلالات، وأهل الجهالة، وأهل العقول القاصرة والصغيرة، وإلا فهذا الإمام إمامٌ عظيم لم يجتمع به عالمٌ قط إلا وذكر من خصاله الكثير، كاجتماع الإمام مالك وما ذكر من مناظرةٍ بينهما؛ دلت على عقله ودينه، وما ذكروه من خصاله في تعبده وفي اجتهاده وفي عقله الذي لا ينكره إلا جاهل.

وبالتالي؛ هذا إمامٌ عظيم، نحبه ونتقرب إلى الله عز وجل بحبه، وما نحن فيما يطرأ على العقل من خير إلا من إنتاج هذا الإمام العظيم وأمثاله، ولا يمكن لطالب علم أن يستغني عن هذا العالم، لا يمكن، وكل الناس من أهل العلم حين يبحثون في الفقه لا بد أن يعودوا إلى حقل هذا الإمام، ويعرضوا ما يقوله؛ فيفهمونه ويوسّع لهم مداركهم، ويوسع لهم عقولهم وفقههم وفهمهم للشريعة، فلا نريد أن نزاود بالجهل على هذا الإمام، والأئمة مدحوه، ولم يذكروا فيه إلا الخير، وأما ما يقع من كلمات المتعاصرين فهذا يطوى ولا يروى، الكثير مما قيل فيه لم يصح، والكثير مما قيل فيه إنما قيل على وجه الخطأ فيه، وعلى وجه الدعاوة التي تقع بين المتعاصرين، ولا شك أن الدفاع عنه واجب، ويجب على أهل العلم في مثل هذه المسائل التي تُذكر على العلماء؛ أن لا يقام لها شأن، خاصتًا عن العلماء الذين يقال عنهم: تجاوزوا القنطرة.

هنالك بعض المعاصرين من الجهلة يريدون الإبداع إلى درجة الابتداع، وذلك بقراءة التاريخ بعيونهم المعاصرة ضمن أدواتهم القاصرة وبما يصل إليهم من جهالات، يعني أنتم تعرفون أن البعض يريد أن يقرأ -مثلاً كما فعل بعضهم- يريد أن يقرأ مفاريد البخاري، العلماء اتفقوا على أن رجال البخاري قد تجاوزوا القنطرة، وأن الأحاديث التي رواها الإمام البخاري كلها أصولها صحيحة، ربما يقع على اللفظ حوله الخلاف في حديث، ولكن أصول البخاري، أصول الأحاديث كلها صحيحة.

أنظر إلى جاهل يأتي من المعاصرين اليوم ويريد أن يضعّف هذه، بحجة أن هذا الرجل مجهول أو هذا الرجل مستور، ويأتي ويطبق هذه القاعدة على الإمام البخاري على صحيحه! ألم يقع من بعض الجهلة المعاصرين المغرورين المفتونين هذا الجهل؟! يريد أحدهم أن يطبق قواعد الحديث بما عنده من جهالات على صحيح مسلم! وبدون اتساع! وبدون أن يعرف أن يطبقها تطبيقًا علميًا تامًا على طريقة أهل العلم، أهل هذا الفن؛ فيضعف وهكذا! ويأتي إلى صحيح مسلم ويمزقه تمزيقًا!!

وحال هؤلاء كحال المتكلمين بالعلماء في تخطِئتهم وتجهيلهم أو في نقل ما يقال عنهم، حتى صرنا نسمع كلامًا تهتز له الجبال، يعني سمعت أن البعض يرى تكفير هذا الإمام العظيم، نعوذ بالله من الضلال، يعني مثل هؤلاء الزُغب، مثل هؤلاء الصغار، مثل هؤلاء الجهلة، يعني أمثال هؤلاء الضالين لا يلتفت إليهم، بل يجب هجرهم، لو كان هناك شرعًا يطبق لأُدبوا، وربما سجنوا حتى يخرج هذا الشيطان من عقولهم، وأمثال هؤلاء يأدبوا كما أدَّب الفاروق صبيغ ضربه حتى خرج الشيطان من رأسه، أقامه في الشمس وجعل يضربه في كل ذهابٍ إلى الصلاة؛ حتى خرج الشيطان من رأسه، وهؤلاء هناك شياطين في رؤوسهم.

الواجب النظر إلى هؤلاء الأئمة قد أفضوا إلى ما قدموا، كما ننظر إلى خلاف عليّ وعثمان، ماذا نفعل؟ اختلف عليّ وعثمان رضي الله عنهما، ما هو الجواب؟ هو محبة هذين الرجلين العظيمين، ويقع من البشر ما يقع، والناس يقولون هذه الأقوال فيهم، عندما يأتي مثلاً أحد الرواة ويقول: أن أبي حنيفة يقول بخلق القرآن، والأئمة الكبار ينفون هذا عنه، وتلاميذه ينفون، وأصحابه من المحققين في هذا المذهب كالطحاوي ينفون هذا عنه، أو يأتي أحد وينسب له أنه يرى السيف؛ لمجرد أنه دعم، وهذا ينسب لمالك وينسب لغيره كذلك، وهكذا عندما يقذرون بعض ما قاله من أقوال.

هكذا هم الفقهاء، كلهم يقولون هذا في بعضهم البعض، والخصومات في الاتجاه، والخصومات في المذاهب، والخصومات في الأقوال، تقع بين العلماء ويشتد بعضهم على بعض، حتى أن الصحابة رضي الله عنهم يقولوا في بعضهم البعض، ماذا قالت عائشة رضي الله عنها في زيد في موضوع الصرف؟ فيقع من الأئمة هذه الألفاظ الشديدة وتقبل منهم باعتبارهم أقرانًا، لكن ماذا نفعل نحن الأبناء من بعدهم؟ نحبهم ونطوي هذا، ونستفيد منهم بأنهم بشر، لكن هذا لا يسقط قيمتهم.

والقصد من هذا لنبيّن: بأن أبي حنيفة رحمه الله إمامٌ عظيم، الكبار من الأئمة يمدحونه، ولا ينبغي ألا يذكر عنه إلا الخير، وحين يأتي طالب العلم إلى ما كتبه العلماء عنه كما كتب الخطيب البغدادي رحمه الله في «تاريخ بغداد»؛ إنما من أجل معرفة التاريخ والأمانة لا من أجل أن يسقط الرجل، هكذا قيل فيه، والأئمة ردّوا بالإنصاف والعدل، بخلاف من رد بالجهل أو التزوير، وهذا الإمام له أتباعه العظماء الذين مهّدوا ونصروا هذا الدين، فهذا الذي أقوله في حق هذا الإمام.

أما المذهب الذي هو المذهب الحنفي؛ فهو مذهب من مذاهب المسلمين، الذي فيه الأقوال الكثيرة العظيمة، والمرء الفقيه لا يمكن أن يستغني عن هذا الفقه، لا يمكن، هؤلاء علّموا الأمة في كيفية العقل، يخطئوا ويصيبوا، في كل مذهب فيه صواب وخطأ، والناس حتى في تخطئتهم لهؤلاء الأئمة قد يخطؤون، وقد يصوبون قولاً فيخطؤون، هذه مسائل اجتهادية، ويقع منهم الخطأ ويقع من الناظر والباحث الخطأ، لا يعني هذا أنك حين تقول: أن أبي حنيفة قد أخطأ أو أن الشافعي قد أخطأ في هذه المسألة؛ يعني أنك قد أصبت أنت، ولا حتى حين تقول: قد أصاب الشافعي في هذه المسألة تكون قد أصبت أنت، لا، هذه مسائل، أنت هذا مقدار عقلك، ولا يجوز لك أن تُخطِّئ وأن تصوّب حتى تبلغ من العلم المرتبة التي تجعلك في مثل هذا المقام من الحكم على كلام أهل العلم.

وأنا أعجب! وما زلت أعجب! من الذين يقولون: بأنّ أبعد المذاهب عن السنة هو المذهب الحنفي! هذا قول رجلٍ لم يدرس الفقه، ولا يعرف الفقه، هذا رجلٌ قرأ الفقه على طريقة المتأخرين أخذ كلام ما ينتشر، لماذا كان أضعف المذاهب في التاريخ الإسلامي هو مذهب الحنابلة، واليوم هو أقوى المذاهب انتشارًا؛ السبب هو المادة، السبب هو المال، السبب هو السلطة، لذلك هذا الذي تسمعونه وهو كلام جهلة، لا يجوز لعالمٍ أن

يتكلم في مسألة فقهية حتى يرجع إلى مذهب أبي حنيفة، كما يذهب إلى مذهب غيره وينظر فيها، ومن نظر في أصوله؛ علم دقّة هذا الإمام، ومن علم اجتهاداته؛ علم عقل وفهم هذا الإمام، ارجعوا إلى ما كتبه أئمة الحنفية الذين هم على شاطئ هذا الجبل الأشم وعلى هذا البحر العظيم الذي هو الإمام، تجدونهم يتكلمون الكلام العظيم، ارجعوا إلى ما تكلموا فيه.

فهذه كلمات باطلة، أنا لا أدعو إلى التمذهب، ولكن أدعو أن يُنظر إلى كلام الأئمة وألا يجتهد أحد حتى يعرف الخلاف، ولا يجوز للمرء أن يُسمى عالمٍ حتى ينظر في الخلاف، الأصل لا يكون الرجل فقيهًا حتى ينظر في خلاف العلماء ويعرف موارد العلماء، من أين أتى هذا القول؟ وكيف صدر هذا القول؟ وما هو وجهه؟ لا يكفي أن تعرف القول، كما يقول الآمدي: ينبغي أن تعرف من أين أتى، مصدره، علته؟ كيف خرج؟ فحين تتفكر في كلام الأئمة في هذا؛ تجد الشيء الكثير، وتصبح عندك الحيرة، ليس بكلمة واحدة ننهي هذا الخلاف بين الأئمة كما يزعم البعض.

الموضوع الآخر: كيف ننظر إلى كلام أهل العلم في زمانه فيه؟ هذا كلام، يقول الناس في بعضهم البعض، الناس يتكلمون في بعضهم البعض، أنظر إلى كلام مالك في ربيعة الرأي، انظر في كلام أحمد في أبي ثور، الناس يتكلمون، تصل إليهم الأقوال فيستشنعونها ويقولون، قد تصح وقد لا تصح، قد يستشنعونها لعدم معرفتهم بوجهها، قد يستشنعونها لخطأها، كل العلماء يخطؤون، كلهم يخطؤون، ولكن خطأهم نادر، ونحن نُخطئ وخطأنا كثير، فهكذا ينبغي أن ينظر إليها.

وأنا كتبت شيئًا عن الأمام أبي حنيفة في مقدمة كتاب «اختلاف اللفظ» لابن قتيبة، فأرجو الرجوع إليه في هذا الباب رحم الله الإمام وألحقنا به على خير، ومن نظر في صفاته وخصاله الدينية والإيمانية والعلمية علم أيّ رجلٍ كان هذا الجبل الأشم، ولكن هكذا هي سيرة البحار يرمي بها الصغار الحجارة، هذا تاريخ الجبال العظيمة يأتي الصغير فيظن أنه برميها يؤثر فيها، سيبقى أبي حنيفة رحمه الله جبلاً عظيمًا، إمامًا كبيرًا، بحرًا لا ساحل له، كما هم بقية أئمتنا، ولا ينبغي للمرء أن يكون فقيهًا حتى يعلم ماذا يقول أبو حنيفة رحمه الله، هذا والله تعالى أعلم، والحمد لله رب العالمين.

٢٩٣- كلمة جديدة في الشيخ سعيد الكملي

ضمن الجلسة الرابعة والعشرون، بتاريخ: (**٢٨/٠٤/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٥/٠١/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ حبيب: في الحقيقة بعد أن سلَّم-وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته- يفتتح رسالته بقوله: أتمنى أن تجدكم رسالتي هذه في أفضل حال -جزاك الله خيرًا ورفع شأنك، وأنت كذلك- والتي أكتبها على أساس أن هذه الصفحة للشيخ أبي قتادة حفظه الله تعالى -آمين وإياكم-.

يقول شيخنا: رأيت منذ فترةٍ مقطعًا لك على اليوتيوب سُئِلت فيه عن الشيخ سعيد الكُملي-هكذا ضُبِطت-المغربي، فكان ردك كما ذكرت وبينت، وأنا أتفهم ردك وأعذرك فيه أو عليه، لأنه مقطع من إنتاج قناة السادسة المغربية ولكنني أريد أن أحيطكم علمًا أن هذا تدليس وافتراء عليه كبير، وأن هذا مخالف لعقيدته، وهذا كما تعلمون ليس هو من القناة بل هو نهج دولة، حيث يتم الآن تبني الأشاعرة في العقيدة، على الرغم من أن الدولة في الظاهر تزعم اتباع مذهب الإمام مالك، وقد كنت يومًا أحد الحاضرين حين تطرق لنزول الله سبحانه في الثلث الأخير من الليل... الحديث، وذكر الخلاف بين أهل السنة وغيرهم، فغلَّب قول أهل السنة ورجح، والتسجيل الصوتي عندي محفوظ والحمد لله، إن رغبتم أرسلته لكم.

يقول الأخ -حفظه الله-: أرسلت هذه الرسالة لأنني رأيت الكثير من السب والشتم في التعليقات والذي لا أظنكم تلقون له بالاً، لكن خشيت أن يصد جوابك هذا بعض محبيك من طلبة العلم أو غيرهم من الأخذ عن هذا الرجل عليه مؤاخذات في أمور أخرى، نعم -هكذا هو يقول، يا مغاربة هو يقول- لكن هذه ليست إحداها، جزاكم الله خيرًا وعذرًا للإطالة.

جواب الشيخ: لا يوجد إطالة أخي.

أولاً: نعم، أنا يعني تعجبت من حجم الردود والشتائم والسب على العبد الفقير عندما تحدثت عن الشيخ، ولا شك أني تحدثت بمقدار علمي، ولما أخرجت هذا ردَّ عليَّ بعض المشايخ كما ردَّ الأخ الذي لا أعرف اسمه في الحقيقة، ردَّ عليَّ كذلك بعض الإخوة منهم الشيخ حسن الكتاني، وقال: هو يعرفه وقريب منه ويشتركان في

التلاميذ، يعني هناك تلاميذ للشيخ حسن هم تلاميذ للشيخ سعيد، على كل حال أنا لما قالها الشيخ حسن لي أخذتها وصدقتها وانتهى الموضوع بالنسبة إليَّ.

ولكن أنا تعودت كثيرًا أن أُبقي المرحلة كما هي -هنا نقطة لا بأس من شرحها- أنا أحب أن أبقي ما أكتبه وما أقوله موجودًا، حتى لو أخطأت فيه وردَّ عليَّ فيه، وليس هذا يعني أني حين أبقيه أني أثبته! لا، هي مرحلة من مراحل الحياة، ولما ردَّ علي الشيخ حسن الكتاني؛ أخذت بقوله وانتهى الموضوع، وبعض الإخوة أرسل لي كذلك غير الشيخ حسن لأنه لم أستأذنهم في ذكر أسمائهم وهم من طلبة العلم في المغرب حفظهم الله.

فأخذت بقولهم وأن الرجل بفضل الله عز وجل على عقيدة أهل السنة، وربما كما يقول الأخ السائل، أو كما قال الشيخ حسن الكتاني: له ظروفه وأحواله التي تمنع من إظهار هذا، لا أريد أن أدخل في هذا، أنا أعذر الناس، ولا شك أني ذكرت أن الشيخ يُنتفع به وأنه على طريقة المالكية، حتى إن بعض الإخوة جاء وقال: أنا أخالفك لما ذكرت أن الشيخ على طريقة المالكية التقليدية، يعني المتأخرة، وهذا كذلك أحترمه، الناس يتفاوتون في الحكم على الشخص.

ولكن مما لا شك فيه، مما لا شك فيه، -وهذا قلته أنا- أن الرجل ينتفع به، بل هو من علماء المسلمين الذين لهم الجهود العظيمة في نشر العلم، فهذا قولي، والبعض ربما يرفض، من أنت حتى تحكم عليَّ؟ الإنسان يسألني فأجيب، أنت ما دخلك؟! يعني هناك إنسان عابر في الطريق سألني سؤالاً؛ فعلمت أن الإجابة عليه هي قربة إلى الله عز وجل، فأنت أيها المعترض ما دخلك؟! من أنت حتى تقول في الشيخ الفلاني؟

هذه يعترض عليَّ في كلامي على بعض من أُسئَل عنه من المشايخ أو من العلماء أو من القادة، من أنت؟! الرجل يسألني، أنا إنسان الله يرحمني ويغفر لي، فيسألني أحد، كما يسألون المشايخ، ثم يسألون الناس، ولست الوحيد الذي يعني أسُأل فأجيب فيُغلق عليَّ، يعني الكل يُسأل فيجيب، ونتقي الله فيما استطعنا في هذا، نُخطئ ونصيب، والمرء يحب من خلال هذه اللقاءات وهذه الأسئلة والأجوبة أن يعرض عقله، أنا أحب أن يرد عليّ أمثال الشيخ حسن وغيره؛ فأنا أستفيد.

وردَّ عليَّ الشيخ حسن كذلك للذكر لما تكلمت عن الشيخ عبد الحي الكتانيّ مع أن لي رأي، وإلى الآن لي رأي في الشيخ عبد الحي الكتاني لا يوافق ما قاله الشيخ حسن الكتاني، لم يصل إلى قوله فيه، والحمد لله

وصلتني رسالة في تحقيق رسالة له أظنها اسمها «المفاكهة»، -هكذا لأني لم أعد أحفظ اسم الكتب- وأخ اسمه مصطفى أظن الحساني أو كذا فتكلم عن دور العلماء في الموضوع السياسي وأُعجبت في الكتاب وذاكرت أخي الذي أرسل لي هذا الكتاب، ذاكرته في هذا الكتاب وفي قيمته وأهميته، وفهمت شيئًا جديدًا عن الشيخ عبد الحي الكتانيّ كذلك شيئًا جديدًا، يعني يُكرس لدي أن الرجل ما أعتقده في، لا أريد الآن أن أتكلم نترك الناس يتكلمون! لا نغلق الأبواب، هذه أبواب علمية، لا نغلق الأبواب نترك الناس يتحدثون فيها.

على كل حال الشيخ يعني عالمٌ فقيهٌ جليلٌ مُبلغٌ عن الله عز وجل، موقعٌ عن الله سبحانه وتعالى، فإذا ذكرت عنه شيئًا أعلمه فجاء الآخر يُعلم علمًا آخر أكبر وأوثق وأعلى مما أقوله، فوالله على الرأس والعين، وأسال الله عز وجل أن يجعلنا يوم القيامة إخوانًا على سررٍ متقابلين، وأن يجمعنا على طاعته.

فجزاك الله خيرًا لما قلت، وأنا أقبل هذا الكلام، وأنا منذ أن كتب الشيخ حسن حفظه الله كلامًا بأنه يعرف الشيخ وأنه على عقيدة السلف في موضوع الأسماء والصفات؛ انتهى الأمر لدي، خلاص، وفهمت الأمر على وجهه في هذا الباب.

كنت أُحب للأخ أن يذكر ما الملاحظات التي عليه لأستفيد فقط، وأنا أطلب منه أن يرسل لي رسالة يبيّن لي، فالظاهر أن الأخ يتابعه ويجلس معه ويحضر لمحاضرته فأن يبيّن أكثر من هذا.

وفي الحقيقة في النفس -والمشاريع كثيرة- في النفس مشروع وهو الكتابة عن العلماء، العلماء المعاصرين يعني ليت أخٌ، شيخٌ، عالمٌ، عادلٌ، مطلع يقوم بمثل هذا، مشروع «ألف كتاب قبل الممات» شغلني ويحتاج كذلك كلام عن العلماء، والمعاصرين، يحتاج كذلك يعني إلى تجميع ليطلع الناس عليها، وبهذا يتم إن شاء الله النماء والتزكية والتعرفة ورد الأخطاء.

جزا الله الأخ السائل خير جزاء، وكذلك جزا الله عز وجل الذين سبوا وشتموا كذلك أنا أقول جزاكم الله خيرًا، أنا أليت على نفسي، والله يشهد تحدثًا بنعمة الله، أليت على نفسي ألا أبيت شرًا على مسلم، ووالله الحمد لله أحسها وقد ارتحت بها وأدعو لهم، وما أحد يأتني بشتيمة إلا وأقول: غفر الله لك، بل والله أكررها -ربما سجلتها سابقًا- والله إني لأعتقد أن الرجل له أجر إذا كرهني في الله، ورأى أنني على ضلال وهو يظن أنه على حق أرجو أن يأجره الله عز وجل إذا كان يعني قد بلغ جهده وعلمه فيما يقوله صادقًا من غير ظلم ومن

غير تجاوز، أسأل الله أن يؤتيه أجره.

نحن نحب للناس أن يدخلوا الجنة يا قوم، نحب للناس أن يغفر الله لهم، نحب للناس أن يرفع الله شأنهم عبوديةً وطاعة، يعني هذا الذي نحبه ونسأل الله عز وجل أن ينتشر هذا الأمر بيننا جميعًا، بين المسلمين في كل البلاد، وأن يزول تنافس الكاذب، وأن يزول السب والشتم، وأن يزول الحقد بين المسلمين، أنا لا أنافس أحداً! رجل يعني على البركة وعلى قدنا، عندنا كلمتين فنقولهم للناس، هذا يعني شعور المرء بينه وبين الله، والله يغفر لنا.

ووالله ما دفعني للإجابة على هذه الأسئلة إلا أن الأسئلة قد كثرت على الصفحة فجاءني الأخ القيم على الصفحة أرسل لي: اتقي الله، الناس يجيبون، أنا لا أستطيع أن أجيب كتابةً طويلة على أسئلة معقدة، فقلت: أنا أسجل هذه الأسئلة والأجوبة على ما ترون نسأل الله أن ينفع بها، وهكذا كان هذا الأمر، نسأل الله عز وجل أن ينفع به.

على كل حال بلغوا الشيخ سعيد الكملي سلامي وبلغوه محبتي وهو يعني -حتى لا تغضبوا- وأنا أقول قولكم: لا يحتاج إلى كلمتي فيه، لا يحتاج إلى كلمتي فيه، ولكنني أحتاج إلى حب كل مسلم، وإلى دعاء كل مسلم، وإلى ذكر كل مسلم بالخير.

بارك الله فيكم وجزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

٢٩٤- حركة أنصار المهدي

ضمن الجلسة الرابعة والعشرون، بتاريخ: (**٢٨/٠٤/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٥/٠١/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: ما رأي فضيلة الشيخ بحركة أنصار المهدي التي تقول: إن هذا زمن ظهور المهدي، وهل كلامهم هذا صحيح؟

جواب الشيخ: يعني العلماء لما قرأوا التاريخ وجدوا أن قضية المهدي هي أكثر ما أحدثت الفتن، المهدوية من الأمور التي أحدثت الفتن في تاريخنا، وبالتالي؛ يجب عدم الحديث عنها بهذا المعنى، أن نتحدث عنها حتى يصبح الوهم بأن المهدي يعيش بيننا، وأنا لما كتبت عن المسيح الدجال لما كنا نصدر مجلة «المنهاج»، فكتبت على المسيح الدجال وكنت أعرف في ذلك الوقت أقل شيء أربعة قد ادعوا المهدوية، ما أدري الآن لو بحثنا لوجدنا الأكثر الآن بلا شك أن الجنون قد انتشر، وأن الوهم قد عم الكثير من الناس، ولا شك أن الصوفية الكثير من مشايخهم يعتقد نفسه أنه المهدي.

ولذلك قضية المهدوية يجب ألا تطرح بهذا المعنى، نحن نعتقد أن أحاديث المهدي صحيحة، ولكن أن يقول المرء: أن فلانًا هو المهدي، أو أن هذا وقت المهدي، فهذا من التألي، نحن نعتقد بأن علامات الصغرة ليوم القيامة قد ظهرت ولم يبق إلا العلامات الكبرى، ولكن هذا لا يعني أن الزمن نستطيع أن نحدده، ربما تذهب هذه الأجيال وأجيال أخرى حتى يأتي المهدي، فهذا ينبغي أن ننتبه له.

أما أن نسمي أنفسنا أنصار المهدي؛ بحيث نعيش هذا الوهم، ليس هذا من سبيل السلف، ليس من دين السلف ولا من عقيدتهم هذه المعاني، أن يقوم بأعمال تحضيرًا للمهدي؛ لأن البعض يصل إلى درجة الجنون كطريقة اليزيدين، من منهم؟ عبدوا الشيطان خوفًا منه، وبالتالي؛ إن بعض أن يدعي نصرة المهدي يأتي الفساد ليعجل به قدوم المهدي، كما هو شأن حزام التوراة اليهودي، كما هو شأن الانجيليين السبتيين، يدعمون اليهود من أجل أن تحصل معركة هرمجدون ليأتي المسيح المخلص.

فالقصد: القيام بمثل هذه الأعمال هذا من البدع والضلالات، أنت تقوم بواجب الوقت من غير نظر إلى

ما يدبر الله عز وجل من أمور قدرية قادمة، ربما نعيش في زمن المهدي ربما لا نعيش هذا من التألي على الله عز وجل أن أقول فيه شيئًا.

فلذلك الذي يبني حياته على النبوءات هذا من الباطل، أنت لا تبني واقعك إلا من خلال الحكم الشرعي، والذي يقوم على دعامتين، معرفة الواقع كما فيه، ومعرفة حكم الله عز وجل فيه، فأنت تقيم نفسك وتقيم إخوانك وتقوم ما أنت فيه مع إخوانك على هذا المعنى، وهو الالتزام بالحكم الشرعي، أما ما يدبر الله عز وجل من الأقدار فهذا لا يجوز لك أن تتخذه وسيلة من أجل أن تصنع في ذهنك وهمًا تُنشئ له واقعًا تتخيله، لشيءٍ تتخيله، هذا من الضلال ومن الانحراف، يعني هناك من أقام معارك من أجل أن يتصور أنه إذا قامت المعارك على هذا المعنى نزلت الملائكة، هذا وهم وجهل ودخول في المرض العُصابي حقيقة، يعني هذا مرض عُصابي، وفي الشريعة من الضلال.

وبالتالي؛ لا يجوز، لا الدخول مع هذه الجماعات، ولا العمل معها، المطلوب هو أن تذهب فتطبق حكم الشرع بعد أن تفهم الواقع فهمًا صحيحًا وتطبق عليه حكم الشرع؛ فتصيب مراد الله عز وجل، فأنت تقوم في الحق حينئذٍ قد يأتي الحق من جهة، وقد يقيم الله عز وجل الحق من باطل، يهدي هؤلاء فيأتي بهم إلى أنصار الدين هذا فعل الله عز وجل في أقداره، وليس لنا دخلٌ فيه.

فالإجابة على الأخ السائل عن هذه الحركات: كل هذه الحركات التي تتسمى بهذه الأسماك كأنصار المهدي أو المهدوية كلها حركاتٌ بدعية يجب هجرها والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين.

٢٩٥- كيف نتعامل مع دكتور يدعي أنه المهدي؟

ضمن الجلسة الرابعة والعشرون، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٤/٢٨هـ الموافق لـ: ٢٠١٨/٠١/١٥ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يقول السائل: من فضلكم أجيبونا، رحمكم الله وبارك لكم في علمكم ونفع بكم -آمين وإياكم- كيف التعامل مع شخص دكتور -طبعاً لا أعرف دكتور يعني طبيب أم معه شهادة دكتوراه في فن من فنون العلوم- يقول: كيف التعامل مع شخص دكتور يعيش في كندا طرأ عليه تفكر في أمور الجن والمس وغير ذلك، ثم أصبح يقول: أنه المهدي المنتظر، وهو المنتظر وهو مُقتنع بذلك، هل يناقش عقليًا أم كيف السبيل للمحافظة عليه فهو على خُلق والله المستعان؟

جواب الشيخ: الأغلب في هؤلاء هو المرض، أنا لا أنفي الحكم الشرعي عليه، هذا يحتاج إلى معرفة حاله، أهو مجنون أم لا؟ أم أنه مريض غلب عليه المرض؟ أم أنه هو مريض، ولكن المرض لم يغلب عليه والمسألة ذاتية؟ أنا لا أتكلم الآن عن الحكم الشرعي فيه، وهذا ينبغي أن يصدر من عالمٍ فيه، لكن بحسب السؤال هذا الرجل مريض، ومريض من الأمراض النفسية التي يجب أن يعالج منها، الكثير ممن يأتيني مصاب بالوسواس القهري يتعجب من جوابي، والقدماء وصلوا إلى درجة كما ذكر ابن الجوزي رحمه الله، في «تلبيس إبليس» أن الوسواس القهري غلب عليهم حتى يعني صار من المستحيل أن تؤثر فيهم المواعظ، يعني كيف يوعظ؟! خلاص، حتى إن بعض أهل العلم قال: هذا مجنون، تعرفون ما قاله ابن الجوزي عن بعضهم لما سُئل عن رجل ينزل في البحر فيغطس ثم يخرج ويقول: لم اغتسل، قال: هذا مجنون سقطت عنه الصلاة.

فمعالجة هؤلاء عن طريق المواعظ والخطاب العقلاني والعلمي والشرعي هذا لا ينفع، الواجب هو اعتقاد أن هؤلاء مرضى، والكثير من الأمراض النفسية تعالج عن طريق الحبوب، إما بالذهاب إلى طبيب عالم نفسي مسلم يعرف مثل هذه الأمور؛ فتعطى له الأدوية المادية التي تؤدي إلى معالجة أعصابه من أجل بعد ذلك أن يرافقه خطابٌ علمي.

يعني يأتيني الكثير من المصابين بالوسواس القهري في موضوع الغسل أو في موضوع الشك في أهلهم،

فالطريقة أرسله إلى الطبيب، وبالتجربة إن كثيرًا من الذين عولجوا بهذا تقريبًا ثمانين في المئة قد صلحت أحوالهم وتغيرت، ورأيت من يعيش مثل هذا وحُسنت أحواله عن طريق المعالجة النفسية، وأما أن يجلس الناس ويعظونه يتكلمون معه، هناك أمراض لا تنفع، كان معنا البعض في السجن يعني يتعبنا كثيرًا وتجلس معه وبعد ذلك يبدأ الشك، عشت مع رجل شك فيه الكل، في كل أحد، ولم نستطيع، في الخطاب لا ينفع معه الخطاب، التجربة تثبت أن هؤلاء لا ينقصهم العلم ليعلموا، ولا ينقصهم العلم ليدرأ عنهم الجهل، الجهل ليس هو السبب في الانتهاء، الجهل سبب في الابتداء، كموضوع العشق قلت: بأن العشق في الابتداء مقدورٌ عليه، لكن بعد أن يتحكم يصبح مرض، نحتاج أن نعالجه كما نعالج المريض، كالسكران في الأول عاقل يشرب جرعة فلا تسكره فيمكن ضبطه بالخطاب، لكن حين يشرب الأناء كله يسكر حينئذٍ الخطاب معه عبث، الخطاب معه لا قيمة له، لا يؤثر فيه.

ومثل هذا الرجل كما يظهر في وصف السائل جزاه الله خيرًا، فالطريقة هو أن يذهب به إلى الطبيب النفسي، وغالبًا لا يقبلون هؤلاء المعالجة، أنا فقط للنصيحة، ولذلك لا بأس إن عولج أحدهم بأن يوضع في طعامه أو شرابه المنوم ويؤخذ إلى الطبيب يضرب إبرة وهكذا يبدأ إصلاحه بدنيًا وبعد ذلك يبدئ بالخطاب معه علميًا، حتى ينقى وحتى يصلح وحتى يطب.

بارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٢٩٦- شرح ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (٧)﴾ [طه: ٧].

ضمن الجلسة الرابعة والعشرون، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٤/٢٨هـ الموافق لـ: ٢٠١٨/٠١/١٥ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: ما معنى من قول الله تعالى: ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (٧)﴾ [طه: ٧]، ما هو الذي أخفى من السر؟ يقول: أنا قرأت تفاسير العلماء فيها، ولكن ما الذي يمكن أن يؤثر في قلبي وإيماني من معانيها؟ ومدى تأثيرها على كيان المسلم الضعيف الفقير؟

جواب الشيخ: يعني الذي يتصور أنّه لا يوجد أخفى من السر، فهو لا يعرف النفس البشرية، يمكن للعلماء أن يفسّروا هذه الآية ببعض صورها، يعني السر بين اثنين، رجلٌ يعلم، فيمكن أن يأتي عالم ويقول: السر بين اثنين، هذا رجل يقول لهذا، فالأخفى منه أن يبقيه الرجل في نفسه، ولا يظهره، فهذا أخفى من السر الذي بين اثنين، هذا سرٌ نسبي، وتنطبق عليه هذه الآية، ولا شك، لأنّه ربما يطرأ على ذهن السامع، أن بمجرد بقاء المسألة، أو الأمر والعلم في نفس متكلمه، لا يعلمه الله، ولا يعلمه حتى يخبر به صديقه، أو صاحبه، أو آخر، فالقرآن يقول: ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (٧)﴾ [طه: ٧]، أي الله عز وجل يعلم هذا الأمر، حتى ولو بقي في نفس صاحبه ولم يخرجه لأحد، هذا معنى.

ولكن عندي ما هو أخفى من ذلك من المعاني، ألا ترى أنّ البشر في مرّاتٍ كثيرة لا يعلمون نفوسهم، لماذا هذا الشك الذي ينشأ في قلب العابد أنّه مخلصٌ أو لا؟ لا يدري؟ أفي نفسه شيءٌ من الرياء، أم لا؟ لا يستطيع الجزم بوجوده، ولا بنفيه، هذا في نفسه وهو سرٌ في داخل نفسه، ولا يعلم حقيقته، هذا المعنى من وجود الشيء في نفسك ولا تعلم وجوده أو عدم وجوده في نفسك، الله عز وجل يعلمه.

الناس يسرون في أنفسهم أمورًا، لكن هناك من الأمور ما لا يعرفونها من أنفسهم وهي فيها، ومثال ذلك ما ذكرته، ومثال ذلك: الناس يجهلون أنفسهم، أهم كرماء أم لا؟ لأنّهم لم يُمتحنوا، فهذا أخفى من السر، هو لا يعلم نفسه، المرء لا يعلم شجاعته، أشجاع هو أم لا؟ لأنّه لم يُمتحن، وربما يُمتحن في جانب، فيظنّ أنّه قد نجح، ولكن قد لا ينجح فيما هو أقوى من هذا الجانب، فهذا أخفى من السر، هو يعلم من نفسه أمورًا، ولا يعلم

أمورًا، فهذا أخفى من السر.

ومع ذلك فيمكن القول بشيءٍ آخر، السر هو شيءٌ موجود، والأخفى ما هو غير موجود، ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (٧)﴾، السر ما هو موجود، ألم تسمع قوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال: ٢٣]، هو لم يسمعهم، فالله عز وجل يعلم ما هو موجود، وما هو غير موجود، ولو وجد كيف يكون، فهذا أخفى من السر، السر ما هو موجود، وهناك ما هو أخفى منه، هو غير موجود، فكل هذا يدخل في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (٧)﴾، وغير ذلك مما لا نعلمه، مما هو أخفى من السر.

أرجو أن أكون قد أوصلت بعض معاني هذه الآية الجليلة العظيمة بحق ربنا عز وجل في وصفه لنفسه، أنّه سبحانه وتعالى يعلم كل شيء ولا يخفى عليه شيء مهما دقّ أو كبر، وهو الكبير كذلك، العلم به لكبره لا يمكن، يعني لو أنّ رجلاً سئل عن عظم هذا الكون، يقول هذا متسع، بعض الفلكيين قالوا: أنّ هذا الكون لا نهاية له، هذا كلامٌ جاهل، لكن هذا يدل على أنّهم جهلوه، فالشيء عندما يكبر كذلك يصبح من العجز أن يحيط المرء به، كما أنّه ذا دقّ الشيء يصبح المرء عاجزًا أن يحيط به، انظر هذا هو المرء، فمعرفته نسبية، ليس إذا كبر الشيء كبرًا عظيمًا، وليس إذا دقّ إلى أن يكون شيء خفيًا، لا يعلمه، الله عز وجل يعلم الأشياء مهما عظمت، ومهما كبرت، ومهما كثرت، ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾ [الكهف: ١٠٩]، الله يعلم ذرات الرمال في الوجود كله، في الجبال، والأنهار، والبحار، والسواحل، ويعلم ورق الشجر، ويعلم قطر الماء، والقطر يعلم ذراته، والذرات يعلم ما فيها، جل في علاه يعلم كل شيء، فعلمه محيطٌ بكل شيء، وعلمه لا يمكن لأحد أن يحيط به ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فقط هذا شاء هو جزئي، وأمّا الإحاطة بكل علم الله، فهذا لا يمكن، كما أنّه لا يمكن الإحاطة بربنا، لا تدركه الأبصار، كذلك لا يمكن أن تدرك العقول علمه، ولا أن تحيط بعلمه، جل في علاه، هذا ربنا، هذا العظيم، لا إله إلا الله.

هذا ماذا يفيد القلب حين يقرأه؟ أول شيء يعلم العبد ربه، وما خلقت إلا لتعلم الله، لتعرفه، من أجل أن تعبده، العبادة لا تنشأ على معنى صحيح، إلا إذا علمت من هو الله عز وجل، لأنّك حين تقول: سبحان الله، حين تقول: الحمد لله، حين تقول: الله أكبر، حين تقول: لا إله إلا الله، فإنّها لا يمكن أن تنشأ هذه الكلمات،

وهي الباقيات الصالحات، لا يمكن أن تنشأ إلا إذا علمت من ربك، وفي النهاية في القبر سيُسأل هذا المرء هذا السؤال، من ربك؟ فحين يعلم المرء ربه؛ يعبده، وحين يعلم المرء ربه؛ يعلم أنه الواحد لا مثيل له، وحين يعلم ربه؛ يعلم أنّه سبحانه وتعالى القدّوس، وحين يعلم ربه؛ تنشأ في قلبه معاني التعبد الصحيحة، الخوف منه، حين تعلم من هو الله؛ تحبه، وحين تعلم من هو الله؛ تخافه، وحين تعلم من هو الله؛ تخشاه، وحين تعلم من هو الله؛ تطيعه، حين تعلم من هو الله.

ومن ذلك أنّه أنت إذا ظننت أنك أخفيت شيئًا لم يعلمه الله عز وجل، تجهل هذا الرب، فتعصيه، ولكن إذا علمت أنّه يعلم كل شيء، نظرت إليه في كل حال، كما هو حال يوسف عليه السلام عندما قال: إنّه ربي، وقد غلقت الأبواب، ولم يبقى إلا نظر الله عز وجل إليه، ونظره إلى الله عز وجل، حين تعلم أنّه ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾، لا تبيت في قلبك شرًا، لأنّه يوم القيامة سيحصل الله عز وجل هذا الشر، ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ (١٠)﴾ [العاديات: ١٠]، حين تعلم أنّه ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾، لا يمكن أن تبيت شرًا لا في أمر طاعتك لربك، ولا في أمر إحسانك لإخوانك، لا يمكن، لأنّك تتعامل مع رب علم كل شيء، ونظر كل شيء، وسمع كل ما يسمع، وأبصر كل ما يبصر، وعلم كل شيء، فهذا يُنشئ لديك المراقبة، أن تعبد الله كأنّك تراه، المراقبة مراقبة الله، لا تمد يديك إلى السرقة، لا تنظر إلى الحرام، حين تكون خفيًا لا تنظر، لا تفتح هذا الجهاز، فتنظر وتقول لا يراني أحد، الله عز وجل يراك، ينشأ الحياء، من أعظم معاني التعبد الحياء، الحياء من الله عز وجل، الحياء ينشأ لما ترى نِعم المنعم عليك، وتقصيرك في أداء الشكر عليها، شكر المنعم بها.

هذا العلم الذي تحدث الله عز وجل به أن يعلم الله كل شيء، هذا الذي يُنشئ لديك الخوف منه، ويُنشئ المحبة، هذا جميل، هذا إلهٌ جميل، هذا إلهٌ عظيم يحب، والنفوس العظيمة تحب العلماء، النفوس العظيمة لا تحب الأغنياء، لا يحبونهم لغناهم، يقولون: هذه الدنيا، لكن النفوس العظيمة تحب العلماء، ألا ترون أنّ العلم يرفع صاحبه، لماذا يرفع صاحبه؟ يحبه الناس، فأنت إذا علمت أنّ الله عز وجل يعلم كل شيء، عندما يأتيك عالم يجلس معك، ويحدثك عن لفتةٍ علمية فريدة لم يسبق إليها، ألا تقوم فتقبل رأسه؟ وحين يستحضر ذهنك هذا الرجل، تمدحه وتشكر له فعله، فكيف لو علمت ما هو مقدار علم الله عز وجل، أنّ هذا العلم الإلهي العظيم، لولا أنّه علم ما خلق الجماد، ولولا أنّه علم ما خلق هذا الوجود على هذا النوع من الحكمة والروعة والجلال،

هذا يُنشئ الحب، علمك بأنّ الله عز وجل يعلم يُنشئ في قلبك الحب له، ليس فقط الخوف، يُنشئ الحياء، هذه هي الأركان؛ الخوف من الله، الحب، الشكر له، الحياء منه، والمرء من غير هذه ما هو دابة، يأكل ويشرب، ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الفرقان: ٤٤]، بل أضل من الانعام فالأنعام تشكر ربها، وتقوم على شأن نفسها، وهذا لا يقوم على شأن قلبه وهو أهم شيء، ولا على شأن عقله وهو أهم شيء، ولا على شأن آخرته وهي الحياة، فهو أضل.

يا أيها السائل وأوجه الكلام لكل أحد ولنفسي: العلم بالله يُنشئ لديك الحب، يُنشئ لديك الخشية منه، فأنت لا تبكي فقط خشية منه، ولذلك في الحديث (**ذكر الله خاليًا؛ ففاضت عيناه**)، هذا الحديث لم يذكر لنا لماذا فاضت عيناه، بعضهم تفيض عيناه حبًا له، وبعضهم تفيض عيناه إجلالاً له، بعضهم تفيض عيناه شكرًا له، فلا تظن الناس أنّه فاضت عيناه فقط خوفًا منه، هذا فهمٌ قاصر، فالحديث قال: (**ذكر الله خاليًا**)، الذكر يُنشئ من المعاني العظيمة، وكلها تُنشئ البكاء؛ ففاضت عيناه.

ألا ترى أنّ الرجل يرى رجلاً يرحم آخر، يرى ابنًا يرحم أباه؛ فتبكي، ما سبب البكاء؟ الخشية؟ فعندما تعلم نِعم الله عز وجل، فلان أنعم الله عليه، تذكر نعمة الله عليك فتبكي، هذا ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه، حياء منه، الحياء، ألا ترى أنّ الناس يبكون من الحياء، يبكون مع الله حياءً منه، فكل هذا كله عندما تعلم أنّه ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾، وحين تجلس في بيتك منفردًا، لا يستقيم النفاق مع قيام الليل، فحين يقوم المرء مفردًا بين يدي الله عز وجل في الليل، هذا يعلم أنّ الله يراه، وحين يناجيه نداء خفيًا؛ يعلم أنّ الله يعلمه ويسمعه، والناس يقدّرون تعاملهم مع الله عز وجل بعقولهم، والله عز وجل يقبل ذلك.

ألا ترى أنّي أنا وأنت والبشرية الجاهلة في مقدار علم الله، نحن ننسب العلم المطلق، ولكن مقداره لا نعرفه، جهلة، فحين نأتي لنقول، لنضرب أمثلة بيننا وبين أنفسنا في مقدار علم الله، ماذا نقول؟ قال الله عز وجل: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ﴾ [الكهف: ١٠٩]، ﴿وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ [لقمان: ٢٧]، سبعة، وقالوا: السبعة هي أكثر شيء، ولذلك سمي السبع بها؛ لأنها الأقوى، فلو قال سبعين أو قال ألفًا، ولو قال مليون، ولو قال... وهكذا، لكن يضرب لنا من أجل أن نفهم، من أجل أن نعرف، سبحانه جل في علاه.

فيا أيها الأخ الحبيب السائل: هذا هو مقصد الأمر كله، هذا هو أن يُصبح في قلبك هذا العلم، هذا هو، إذا لم يصبح في قلبك هذا العلم وبقي فقط في اللسان والرأس، لا تنتفع به، وهذا لا ينشأ إلا بأن تخلوا مع الله عز وجل، وإلا أن تكثر ذكره، وإلا أن تناجيه، فحين تقع عليك المعاصي بينك وبين الله حينئذٍ تراقب الله عز وجل، لا بدّ للمرء أن يمتحن في سره، وأنت في السيارة تمر امرأة، الله يمتحنك بها، أتطيل النظر أم تغض البصر؟ هذا امتحان، حين يقع مال حرام بين يديك، تمد يديك إليه أم تقول إنّي أخاف الله رب العالمين؟ حين يجلس أناس يغتابون رجلاً، فتتذكر أمر الله عز وجل؛ تعرض عنهم، وهكذا، حينئذٍ تترقى وينضد هذا القلب ويطهر، وتصبح جاهز للدخول، ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠)﴾ [الفجر: ٢٩-٣٠]، خلاص تظفر، الجنة طاهرة، لا يصح أن يدخل فيها فساد، فإذا بقي في القلب فساد لا بد أن تطهره قبل الدخول، إياك وأن تدخل في قبرك ومعك شيء من الفساد، تب إلى الله عز وجل، تب إليه، استغفر، حتى تدخل القبر وأنت طاهر، ربي الله وهكذا، ديني الإسلام، ونبيي محمدٌ رسول الله، قال تعالى: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ (٣٢)﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢]، هذه ضيافة رب العالمين، ضيافة من الله، الله عز وجل يريد أن يطعم وأن يكرم وأن يجزي عباده، وأن يرحمهم، وأن يعطيهم الخير العظيم، نسأل الله عز وجل أن يرحمنا برحمته، وجزاكم الله خيرًا على هذا السؤال، وبارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٢٩٧- هل كان اليهود جاحدين اعتقادًا؟

ضمن الجلسة الرابعة والعشرون، بتاريخ: (**٢٨/٠٤/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٥/٠١/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: هل كان اليهود جاحدين حكم الله اعتقادًا أم بدلوا الحكم بالفعل فقط؟

جواب الشيخ: ابتداءً أيها الأخ الحبيب الجحد في معناه القرآني هو الرد والإنكار اللساني، حتى لو لم يكن هناك تكذيبٌ قلبي، كما قال الله عز وجل: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]، ﴿وَجَحَدُوا بِهَا﴾، يعني لسانًا ظاهرًا مع وجود التصديق القلبي، فليس كما يقول الناس: الجحد هو عملية قلبية، لا الجحد هو عملية ظاهرية، عملٌ ظاهر كما رأينا في الآية وهو بيِّن.

الآن السؤال، -أنا أعرف منشأ هذا السؤال- اليهود كما هو معروف غيّروا وبدّلوا في التوراة ومن ذلك ما وقع في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وتبيّن لهم ذلك وهو التحميم للزاني المحصن.

كان حكم الله فيهم وهو الرجم، أن يرجم الزاني أو الزانية المحصن حتى الموت، فلم كثر في أبناء الأثرياء صاروا يعفون عن أبناء الأثرياء والحكّام ويقيمونه على الفقراء والمساكين ثم اصطلحوا فيما بينهم واتفقوا فيما بينهم على أن يكون للجميع التحميم وهو أن يؤتى بسواد القدور وسواد النار فيحمم ويطاف به ويشهر به في الأسواق وبين الناس، ولما حدثت واقعة الزنا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم جاؤوا إليه، والآية موجودة إلى الآن في التوراة في قضية الرجم، والله عز وجل كفرهم بهذا لما غيروا وبدلوا وسما هذا الفعل ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]، وهم يعلمون، ولا أحد منهم ادعى أن ما قاله هؤلاء الأحبار والرهبان أنه حكم الله، ولم يقولوا: بأننا أتينا حكم الله، يعني عندما قاموا بهذا التحميم لهذا الرجل بالسواد لم يقولوا: أننا أتينا حكم الله، قد اتفقوا وتمالأوا عليه؛ فصار شرعتًا بينهم دون أن ينسبوه لا لتوراة ولا لله عز وجل؛ فكان هذا هو التبديل، وكان هذا هو التحريف، وكان هذا هو اتخاذ الأحبار والرهبان أربابًا من دون الله.

ولم يطرأ على واحدًا منهم أنه يرد حكم الله عز وجل أو أن يغيره في الكتاب أي أنه يأتي إلى الكتاب ويمسحه، بل بقي ساريًا بينهم يتلونه ويعرفونه، وإذا سألوا الأحبار ما هو في التوراة أجابوا، فلماذا فعلتم هذا؟

اصطلحنا فيما بيننا واتفقنا؛ صار العرف حاكمًا على ذلك، هل أقركم علمائكم؟ نعم، قالوا: أقرنا علماؤنا، لماذا؟ لأن هؤلاء الأحبار والرهبان لا يقيمون قيمةً وحقًا لأمر الله عز وجل.

فما معنى الجحود القلبي في هذا الباب؟ أين الدليل ولو بكلمة على الجحود القلبي؟ ما معنى الجحود القلبي هنا فيما يذكره هؤلاء الجهلة من المعاصرين، أين هو الجحود؟ وما معناه؟ هل معنى ذلك أن نقول: لا، حكم الله باطل؟ لم يقولوا هذا، هم يعلمون أن سبب قيامهم بهذا الفعل هو جبنهم في إقامة هذا الحكم على الأغنياء وعلى أصحاب المال وأصحاب الثراء والقوة، هم يعلمون ذلك والناس يعلمون ولا يستطيعون الكذب على أنفسهم، فلم يقولوا: بأن هذا الحكم هو أفضل، وهل الجحد هو أن يقولوا: لا، نكذب أمر الله، هذا ليس صحيح نرده؟! -لا أدري كيف يمكن تصور الجحد القلبي في هذا الباب؟!- هل يمكن أن يقال كما يزعم البعض بأنه لا يكون تبديلاً شركيًا حتى يقول: هذا الذي أتيت به من عند الله؟ أين الدليل، يقال للأحبار والرهبان أين الدليل على أن الله قاله؟ ولما قاموا به علموا أنهم قاموا به لسبب الجهل على الله وبسبب الرد الذي هو بسبب الجبن.

وبالتالي؛ أيها الأخ الحبيب السائل بمجرد أن يغير القانون شِرعةً وعرفًا ويبدل الحكم يكون كفرًا، بغض النظر عن السبب الْمُنشئ له، الأسباب الْمُنشئة لتغيير الأحكام لا تنتهي، يمكن أن يكون رجل قاله لأنه كذب على الله، جاء وقال لهم: أنا نبي أغير لكم الشريعة، هذا كفر وكفرٌ فوق كفر.

يمكن أن يأتي لهم ويقول: هذا غير صالح لزماننا هذا، هذا سبب، ممكن أن يأتي لهم ويقول: هو صالح، ولكن لا نريده بسبب أننا جبناء، لا يغير، الحالة التي حكم الله تعالى عليها هي التبديل والتغيير ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٤٤)﴾ [المائدة: ٤٤]، فلما غيروا وبدلوا الحكم واتخذوه شِرعةً ودانوا به وجعلوه قاعدةً يُعمل بها صار كفرًا.

وبالتالي؛ قوم لوط ردوا الشرعة لأنهم كفروا بهذا الفعل من الإجراء وهو اللواط لما جعلوه مباحًا بينهم؛ يفعلونه على جهة التشريع أنه جائز ولذلك لما ردوا على لوط عليه السلام قولهن قال تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ (٧٨) قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ (٧٩)﴾ [هود: ٧٨-٧٩]، التشريع يقول لنا: أن بناتك محرمات

علينا، ولكن الولدان والغلمان حقٌ لنا جائز أن نفعل فيهم الفاحشة، فبمجرد أن يقول المرء هذا أن يضع قانونًا بغض النظر عن دافعه، الدوافع قلت لكم: لا تنتهي في الدنيا، فبمجرد أن يضع المرء قانونًا على خلاف قانون الشرع بغير اجتهادٍ شرعي؛ فهذا كفرٌ وردة وخروج من الدين، ومن فعله إنما نصّب نفسه إلهًا يحكم بالتحسين والتقبيح؛ لأن هذا هو التشريع، والتشريع هو تسمية شيء حرامًا ونزع حكم الحلّ عنه وتسمية الشيء حلالاً ونزع حكم الحرمة عنه، هذا هو التشريع، ﴿شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]، هذا التشريع كفر وردة بالإجماع.

هذا الذي فعله اليهود، أما الأسباب فهي مذكورة في النص ولولا أنها مذكورة ما ذكرناها لأنها لا تغير شيئًا من الحكم، ولكن بقاؤها بفضل الله عز وجل حجة على الذين لا يُكفّرون إلا على معنى الجحود القلبي ولا نفهمه، في الحقيقة معنى الجحود القلبي إلى الآن يعني شيءٌ لا ينتهي، شيءٌ لا يتصور على الحقيقة، ما معنى أن يجحد قلبيًا، ما معناه؟! يجحد قلبيًا كأن يقول بلسانه: أنا لا أعترف بحكم الله، هذا ليس جحد، هو يعترف بحكم الله، ولكنه يرد على الله حكمه، يرد، هذا ردّ وليس جحد، أن يقول: إن الله لم يقله، الله لم يقل هذا لنا، هذا ردٌ على الله عز وجل، ردٌ على النبي، هذا ردٌ للإجماع، ردٌ للنص، هذا المعنى الجحود القلبي هذا غير منضبط، والله عز وجل علّق الأحكام على أمورٍ مُنضبطة مُطّردة، هذا هو شرط العلة التي تُضبط بها الأحكام، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

جزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

٢٩٨- هل يتعين الجهاد على وحيد أمه؟

ضمن الجلسة الرابعة والعشرون، بتاريخ: (**٢٨/٠٤/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٥/٠١/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: أسأل الله أن تصلك رسالتي هذه يا شيخنا وقد وصلك الله بالستر والعافية دنيا وآخرة - آمين، وإياكم- **السؤال: هل يتعين الجهاد على من كان وحيدًا لوالدته العجوز، ليس لديها غيره يقوم على رعايتها وصونها؟ أرجو البيان على نوعي الجهاد؛ جهاد الدفع وجهاد الطلب، وجزيتم خيرًا ووفقكم الله لما يحب ويرضى.**

جواب الشيخ: بلا شك لو كان الحال هو جهاد الطلب وهو جهاد الدعوة ونشر الإسلام، وهو الجهاد المستحب، فهذا النبي صلى الله عليه وسلم أفتاه: (**ففيهما فجاهد**)، (**اذهب فأضحكهما كما أبكيتهما**)، فإذا كان حال أمه كذلك، فالواجب عليه أن يذهب إلى أمه ويقوم بشأنها.

ولكن بالنسبة لجهاد الدفع فالأمر فيه تفصيل؛ إذا تعين عليه فيجب أن يقوم، وتعُّين الجهاد يكون في صور مثلاً: كأن يكون الجهاد لا يتحقق غايته إلا بنفيره هو وأمثاله، والقلة من المسلمين بحاجة إليه وإلى أمثاله، فتعين عليه الجهاد؛ فيجب عليه أن ينفر، حتى لو كانت أمه كذلك، إذا تعين عليه الجهاد بأن يكون هناك مركز في مكان لا يملأه إلا هو وأمثاله، فيجب عليه أن ينفر، هذا إذا تعين.

أما حتى ولو كان هذا الجهاد هو جهاد دفع، ومع ذلك الأمة تقوم به، يعني الذي يعرف في الجهاد اليوم بأن ساحة المعركة لا تحتمل كل المسلمين أن يقوموا بها، والناس لا يشكون من القلة، حتى وهو جهاد دفع لا يشكون من القلة، يشكون من قلة السلاح، يشكون من قلة العتاد اللازم للمعركة... إلخ، فحينئذٍ يقّدر بالنسبة لقادة المعركة الأخيار العلماء، يقّدر أنا وضعي كذا وكذا، ويقولون: إنا لسنا بحاجةٍ إليك مع أنه جهاد دفع! فحينئذٍ -إذا كان الحال كذلك في بلده الذي هو فيه أو المكان الذي هو فيه- فحينئذٍ لا يجب عليه، بل عليه أن يقوم بشأن أمه.

وهذا السؤال يتكرر، هذا السؤال عند إخواني يتكرر كثيراً، الكثير من الإخوة يسألون عن مثل هذه الحالة، وكأن جهاد الدفع يوجب أن يقوم الكل مع عدم الحاجة! لا ليس هذا المقصود، المقصود في جهاد الدفع على الناس أن يقوموا بما يتحقق به المقصد، فإذا تحقق المقصد لم يتعين على الآخرين، ومن هنا فالأقرب في جهاد الدفع هو فرض الكفاية في هذا الباب، والله تعالى أعلم، والحمد لله رب العالمين.

٢٩٩- هل يجوز مشاهدة نشرة الأخبار؟

ضمن الجلسة الرابعة والعشرون، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٤/٢٨هـ الموافق لـ: ٢٠١٨/٠١/١٥ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يقول أحد الإخوة السائلين: أحسن الله إليكم شيخنا -آمين وإياكم-، **هل يجوز مشاهدة نشرة الأخبار التي نشاهد فيها أناس يكفرون أو يستهزئون بآيات الله، والله تعالى يقول: ﴿أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾** [النساء: ١٤٠]، **فنحن نشاهد هذه الأخبار من باب معرفة ما يجري في العالم؟**

جواب الشيخ: أستغرب يعني هذا الكلام، أنهم يكفرون ويستهزئون بالدين! يعني أنا لا أعرف في الحقيقة وأنا أستغرب من السؤال حيث يقول الأخ السائل بأنه في نشرات الأخبار يُكفر ويستهزأ بالدين!! يعني لا أرى نشرات الأخبار بهذا المعنى من الفجور، يقع فيها بعض المعاصي، يقع فيه بعض الأمور، ولكن ليس لهذه الدرجة التي قالها الأخ.

على كل حال، الذي أمر الشارع بهجره هو أن يجالسهم تقويةً لتكثير سوادهم، في تكثير السواد، وأن يجلس معهم غير مبالٍ، قلبه ميت!! يجلس معهم ويضحك معهم ويلعب، كما هو شأن اليهود **(فلا يمنعه أن يكون أكيله وجليسه وشريبه)**؛ فإذا وقع هذا المعنى فلا يجوز.

لكن مثلاً: سماع القاضي، القاضي يسمع ما قاله، فلا يقال: يجلس معه فيقع عليه حكم الآية!! أو رجل يريد أن يتحقق: فلانٌ قال هذا، فمثل هذه الأمور التي منها مثلاً الأخبار التي يتم إخبارك بها، أنت تريد أن تعرف: هذا وقع أو لم يقع، فيخبرك أو ينفي أو يناقش أو يحلل أو... إلخ، فلذلك هذا المعنى غير موجود، حتى على المعنى الذي قلته.

يعني أنا الآن يأتيني سؤال: رجلٌ كفر بالله وقال كذا وكذا!! لا يقال: -حتى لو جاء على صيغة صوت، يعني بالصوت- لا يقال: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠]، فهو يقرأها؛ فأنا أقوم وأقول: لا يجوز لي أن أجالسه!! لأن هذا على معنى الإخبار

من أجل معرفةٍ ما، يتحقق فيها العلم بمثل هذا الرجل، يتحقق بها العلم بواقع المسلمين، يتحقق بها العلم في رد شبههم، وهكذا؛ فليست هذه الآية على هذا المعنى من الإطلاق.

بلا شك هناك أمور قد يكون من الواجب أن تسمعها ولو كان فيها الكفر، وهناك من الأمور من المستحب أن تسمعها، وهناك أمور من الجائز أن تسمعها؛ مثلاً: الآن أنت تسمع الأخبار ليزداد كرهك للكافرين، مثلاً: يأتي رجل فيقول: كذا وكذا ويسب كذا وكذا، فتعرف أمره وتزداد بغضًا له ومحبة للدين وثقةً بالله أو كشفًا لحاله، الناس على أحوال في هذا.

على كل حال، الناس يجلسون على نشرات الأخبار ليعرفوا واقعهم ويعرفوا أحوالهم، ولو منع الناس لأسباب كأن تقرأ الأخبار امرأة متبرجة، أو أن يأتي فيها صور محرمة شرعًا؛ فحينئذٍ يتم حرمان الخير الكثير، نحرم الأمة الخير الكثير.

ولذلك الجواز لا بأس بهذا، والله تعالى أعلم، والحمد لله رب العالمين.

٣٠٠- حكم العيش في أوروبا

ضمن الجلسة الرابعة والعشرون، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٤/٢٨هـ الموافق لـ: ٢٠١٨/٠١/١٥ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يقول السائل: أود أن يكون الجواب عن العيش في أوروبا للمسلم لقد استمعت إلى عدة آراء مختلفة حول هذا الموضوع، وأود أن يكون لدي إجابتك، لأنك عشت في أوروبا كذلك، لقد رأيت المساجد هنا، نحن على سبيل المثال في فرنسا ستة ملايين مسلم ونريد التوضيح لوضعنا.

جواب الشيخ: يعني لن أجبن في الإجابة حتى لا يقال: بعد أن خرجت من أوروبا، وصارعت في المحاكم لتبقى فأُخرجت واليوم تقول: لا يجوز!! لن أجبن من هؤلاء ولن يخوفني أن أقول ما أعتقد في هذا الباب.

في الحقيقة: كل مسلم يعيش في أوروبا وأمريكا، كل مسلم هو يعرف كيف تمارس عليه الجاهلية ضغطها ومنعها للحق وغير ذلك، يعلم أن الإقامة في بلاد الكفار تلك أنها معصية، أقل ما يقال فيها أنها معصية، فقط أنا أرجع الرجل لدينه في أن ينظر إلى أحوال بنته وأحوال ابنه وأحوال زوجته وأحواله هو.

هنا الكلام عن الأصل، حتى يكون الكلام بيّنًا ولا يقع الخلط والسب والشتم والتنازع في غير بابه، أنا أتكلم عن الأصل؛ الأصل أيها الإخوة الأحبة فيما أعلم من دين الله عز وجل -وهذا قلته قديمًا-: أن الإقامة في دول الكفر بهذا الذي أعلمه من حالها كما سأل السائل جزاه الله خيرًا أنه حرامٌ ولا يجوز؛ يجب عليك أن تهرب منها ما استطعت، وإن قدرت على الهروب ولم تهرب؛ فأنت آثم، لا تقل: أنا صالح! انظر إلى أبنائك، ولا أحد يقول: أنا أبنائي جيدين! الفتوى عامة، وانظر إلى أبناء أبنائك! انظر إلى المسخ الذي يصيبهم في لغتهم، في دينهم، في أعرافهم، في أخلاقهم، في عباداتهم! انظر! انظر إلى إمكانية تغير الولد في لحظة ولا تستطيع أن تضبطه!

وبالتالي؛ الجواب الذي أحمله أمانةً للأمة أنه لا يجوز، الأصل لا يجوز.

هذا الأصل عليه استثناءات، رجل هارب بدينه وإذا رجع إلى بلده يقتل، هذه أمور استثنائية، رجل لو عاد

لمات جوعًا، رجل لو عاد... إلخ، هناك أسباب يعني استثنائية الناس ينظرون إليها بحسب أحوالهم، ولكن النظر إلى الأصل هو المهم الذي ينبغي أن نعامل أنفسنا به، لا تنظروا لي، لا أريد أن أتحدث عن نفسي، ولا يقول أحد: ولكنك قاتلت لكي تبقى في أوروبا! الدين لا يتعلق بي سواء أكنت مصيبًا أم مخطئًا، أنا أتكلم عن دين الله عز وجل لا أتكلم عن نفسي؛ وأسأل الله عز وجل أن يكلنا إلى رحمته ولا يكلنا إلى أنفسنا، فهذا الذي عندي من الجواب، والله تعالى أعلم، بارك الله فيكم.

٣٠١- حكم التيمم عند فقدان الماء الدافئ للاغتسال

ضمن الجلسة الرابعة والعشرون، بتاريخ: (**٢٨/٠٤/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٥/٠١/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: إذا لم يتوفر ماء دافئ فاتر للاغتسال من الجنابة، مع خوف المرض لبرودة الجو، هل يُجزئ التيمم من الاغتسال مع الوضوء للصلاة؟

جواب الشيخ: بلا شك أنه يُجزئ؛ لحديث عمرو بن العاص: أنه غزا مع الصحابة، فأصابته جنابة فتيمم، فشكا الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم، فاحتج عمرو بن العاص رضي الله عنه بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٢٩)﴾ [النساء: ٢٩]، فأقره النبي صلى الله عليه وسلم، وعلمهم التيمم؛ فدل هذا على جواز التيمم للجنابة كما يجوز التيمم للوضوء.

السؤال الذي يطرحه الأخ: هو يستطيع أن يتوضأ بماء بارد، ولكن لا يستطيع أن يغتسل، فهل لو تيمم للجنابة وتوضأ للوضوء؟ هذا هو الواجب عليه، لقاعدة «إن الميسور لا يسقط بالمعسور»، المعسور هو العسر هنا، وهو غسل الجنابة لا يستطيعه، لكن واجب عليه الوضوء، ولذلك عليه أن يتوضأ، فإذا قدر على ماء الوضوء توضأ، والغسل لا يستطيعه فعليه أن يتيمم.

فالجواب هو: نعم، عليه أن يتيمم للغسل، ويتوضأ بالماء لما قدر عليه.

والله تعالى أعلم، والحمد لله رب العالمين.

٣٠٢- حكم صلاة أصحاب الأعذار

ضمن الجلسة الرابعة والعشرون، بتاريخ: (**٢٨/٠٤/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٥/٠١/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل حفظه الله: شيخنا شكر الله لكم جهودكم ونفع بكم -آمين وإياكم- أنا لدي أخت لا تقرأ ولا تكتب ولا تستطيع أن تتكلم بالفصحى جيدًا، إذ يشوب ألفاظها بعض الشوائب الدارجة، وفوق ذلك كله عمياء، وهي الآن عمرها خمسة وثلاثين سنة ومنذ أكثر من عشر سنوات بحمد الله تمكنت من حفظ سورة «الفاتحة» وسورة «الكوثر»، لكن أحيانًا في صلاتها تُخطئ في قراءتها، وأيضًا علمناها كيفية الصلاة؛ حتى تعلمت، لكن مع الأيام أجدها تُخطئ، وهكذا باستمرار نعلمها وتنسى أو تخطأ، السؤال يا شيخ هل صلاتها صحيحة طوال هذه السنوات، وهل يصح لي أن ألازمها في كل صلاة ما استطعت وإخوتي حتى لا تخطأ، ماذا تنصحني؟

جواب الشيخ: أولاً هل صلاتها صحيحة، نعم صحيحة لا يشك فقيه بأن صلاتها صحيحة، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، والعامي قد لا يتقن الفاتحة، والفقهاء تكلموا عن العامي الذي لا يتقن الفاتحة وأن صلاته صحيحة، وهذا ليس في أختك لما قرأت هذا السؤال تذكرت جدتي، عمة الوالد، كنت لما أجلس أسمع لها كيف تصلي فتقرأ الفاتحة باختزال، تضيع ثلاث أربع آيات وأتعجب منها لسرعتها، فآتي إليها يا جدتي يعني اقرئي لي الفاتحة، فهي ترفض في الابتداء لكن أتحنن إليها فتقرأها، وتقرأ صحيح أو قريبة من الصحيح، لكن عند الصلاة نسمعها لا تقرأ الفاتحة صحيحة، وهكذا يعني لا تشكو من أختك بأنها حالة شاذة أو أنها حالة فريدة، عامة العوام يقعون في مثل هذا وخاصةً من العوام الذين لا يقرأون، أو الذين نشأوا في بيئات قروية، فهكذا يقرأون، ولذلك ما شكوت منه موجود وبكثرة.

والجواب: كما قلت: بأن صلاتها صحيحة، والله عز وجل أمر العبد بأن يتقيه ما استطاع، وهذا وسعهم فهي تقرأ وتنسى وهكذا، يعني هذا أمرٌ ليس من طاقتها، وإنما الذي يأثم المرء به إذا كان في طاقته أن يفعل ولم يفعل، ومثل هؤلاء يعني الله رحيم بهم، يعني هذه أنت تقول عنها أنها مثلاً عامية لم تقرأ ولم تكتب وأنها عمياء، فمثل هؤلاء الله رحيم بهم، لا يكلفهم فوق ما يستطيعون، ونرفق بهم ونتعامل معهم بالرحمة ونقرب إليهم الأمور

بطريقة الحب، ولا نردعهم، فبعض الشباب ربما يقسون على الكبار وعلى الزمنة وعلى أمثال هذه الأخت نسأل الله عز وجل أن يحفظها وأن يبارك لها، فيشددون وهذا غير صحيح، ليس من الأدب وليس من حقك أن تثرب عليهم هذا التثريب، إنما يتقرب إليهم ويعلمون وهكذا يقع في أمثال هؤلاء، فإذن صلاتها صحيحة.

السؤال الثاني: **هل عليّ أن ألازمها في كل صلاة؟** لا، ليس عليك أن تلازمها في كل صلاة، من الحُسنى أن تفعل ذلك، لأنها تصلي في أوقات محددة وأنت لا يمكن أن نلزمك بهذا، ثم ربما تصلي النوافل، فلا يمكن أن تقوم بها، فإلزامك بمثل هذا مشقة، وليس من اللازم عليك فعل ذلك، ماذا أنصحك؟ أنصحك أن تطلب منها أن تدعو لي، فنسأل الله أن يتقبل منها، ونسأل الله أن يرفع شأنها، ونسأل الله عز وجل أن يغفر لنا ولها، علينا أن نتعامل معهم بالرحمة، هؤلاء قد يكون الواحد منهم أقرب إلى الله عز وجل ممن يقرأ القرآن.

أحد الإخوة أخبرني –وكتبتها مرة في توتير لما كان توتير موجود، وأخبرت بها أمي ففعلتها، أمي عامية لا تقرأ ولا تكتب، لا تستطيع أن تكتب أي شيء إلا أن ترسم اسمها رسمًا، فقط هي ترسم الاسم لا تعرف هذا الحرف ماذا يعني، ترسمه رسمًا– فأحد الإخوة أخبرني عن جدته: أنها من شدة تعلقها بالقرآن ولا تعرف القراءة ولا الكتابة؛ فتأتي على المصحف وعند كل كلمة تقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فختمت القرآن، وفرح أنها ختمت القرآن –إنا لله وإنا إليه راجعون– يعني انظر إلى أمثال هؤلاء وإلى محبتهم وإلى رغبتهم للقرآن، انظر للمتعلمين وانظر إلى المشايخ وانظروا إلى الدعاة الواحد منهم لا يفتح القرآن في الشهر والشهرين والثلاثة، يعني أي دين عند هؤلاء! أي قلوب في صدور هؤلاء القوم! ففرحت أنها ختمت القرآن.

فابنتي جاءت لأمي وأخبرتها، قالت: يا جدتي –عنا يقولون ستي– أنت تستطيعين قراءة القرآن، فأخذت القرآن وجعلت تفعل سبحان الله الحمد لله وختمته وفرحت به، فهؤلاء يعني هكذا قلوبهم نسأل الله أن يرزقنا مثل أمثال هذه القلوب في تعلقها مع كتاب الله عز وجل.

فالذي أنصح به أن ترفق بها وأن تتحنن بها وأن تشجعها تشجيعًا حسنًا وأن ترفق بها، فأمثال الضعفاء ليس كأمثال الصغار والمتعلمين ليس كأمثال هؤلاء، وتطلب منها أن تدعو لي، بارك الله فيك يا أخي وجزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

٣٠٣- حكم أخذ قرض ربوي مع نية عدم سداده

ضمن الجلسة الرابعة والعشرون، بتاريخ: (**٢٨/٠٤/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٥/٠١/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: أريد أن آخذ قرضًا بنكيًا مع الربا دون نية دفعه مرةً أخرى، فهل هذا جزء من النهب؟ ثم يتكلم عن استماع الصوتيات الأخرى.

جواب الشيخ: هذا عقدٌ ربوي لا يجوز للمرء أن يعقده على أي نيةٍ كانت، سواء كان أراد أن يرده دون الربا أو ألا يرده أبدًا.

هذا العقد لا يجوز، لماذا؟ لأنك حين وقعت على العقد وقعت على عقدٍ ربوي فيه شروطٌ باطلة ولا تجوز، وهو العقد الربوي، وبالتالي؛ هذا عقدٌ لا يجوز، هذا الذي أقوله في الأصل، وبعد ذلك تأتي أمورٌ كثيرة لا حاجة للحديث عنها، وإنما الحديث عن أصل العقد، فإنه لا يجوز.

والله تعالى أعلم، والحمد لله رب العالمين.

٣٠٤- الزواج بامرأة تائبة من الكبيرة

ضمن الجلسة الرابعة والعشرون، بتاريخ: (**٢٨/٠٤/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٥/٠١/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل -وإنه رجل... لا أريد أن أقرأ لفظ السؤال، هو يعرفه، والناس يعني يكفي ما سأبينه ويعرفون الجواب- يقول: أنه أعزب وخطب امرأة أرملة ولها ولد، فبعد ذلك لاحظ عليها أشياء؛ فاعترفت بأنها قد يعني أجرمت جرمًا ما، يقول هو هذا كلامه: أنها أحست بالندم وصارت تزكي وتعمل بعض الصالحات للتكفير عن ذنبها، لكن لا يوجد عليها الندم الشديد، فهل يجوز لخطيبها الزواج منها والتستر عليها ولك الشكر؟

جواب الشيخ: في الحقيقة هناك جواب شرعي لهذا: أن المرأة إذا تابت فيجب أن تعامل معاملة الحرائر المحصنات، إذا تابت وثبتت توبتها، إنما الأخ يشكك بأنها ليست على درجة عالية من الصلاح، هذا يعود إليك إلى تقديرك، أتركه لك، أنك تقدر أن المرأة تابت توبةً صحيحة، أم أنها ما زالت يعني عرضة لمثل هذه الجريمة، فيعود الأمر إليك في تقدير هذا، عليك أن تنظر إليها، ولكن إذا ثبت لك توبتها وثبت لك صلاحها فلا يجوز لك أن تثرب عليها، فإما أن تقبلها وهنا تأتي المسألة أنصحك ألا تفعل، السبب؛ لأن معرفتك بهذا بحسب معرفتي بحياة الزواج، بأنه سيشق عليك وسيبقى هذا الأمر في ذهنك، وفي نهاية الأمر سيتم الخصام والفراق، لأنك أي تصرف حتى لو تصرفته على حسن النية، وأي عمل تعمله سيبقى الشك في قلبك، فالذي أنصحك به إذا لم تكن كذلك ووثقت من نفسك، فثبت لك توبتها لك الزواج منها ولا ينطبق عليك قوله سبحانه وتعالى ﴿وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ [النور: ٣]، فهذه تائبةٌ مُحصنة وخرج عنها وصف الزنا، أنها زانية، خرج عنها هذا الوصف وصارت محصنة وعمر رضي الله عنه قال لعم المرأة الذي كان يخبر زناها للناس، وقد تابت وصلح أمرها، قال: «زوجها زواج الحرائر، وإلا جلدتك»، فهذا هو المطلوب.

لكن بالنسبة لواقع الأمر؛ الأمر يعود إليك، الذي أنصح بحسب معرفتي لحياة الناس وللناس وهو أن هذا سيتعبك بقية حياتك، فإن لم تدخل بها ولم تتزوجها فتركها واستر أمرها والله ييسر لها زوجًا آخر، لكن إذا علمت إنك تستطيع وتصبر، فهذا الأمر لك ويعود إليك، وأنت تستطيع أن تقدر نفسك، ولكني أخبرك بالنصيحة.

إذا قلت: أنا مستعد من أجل سترها ومن أجل معونتها على الطاعة ومن أجل كذا وكذا، فهذا الأمر يعود لك والشرع لا يمنعه، والناس في مثل هذه الأمور تترك إلى أذواقهم، تترك إلى قدراتهم.

يعني لو أن واحد سأل الشيخ: أيجوز أن أتزوج قبيحة؟ يقول له: إذا كنت تعتقد أنها تحصنك وتمنعك من النظر فافعل، لكن ربما يتزوج القبيحة ولا تحصنه، ويبقى ناظرًا إلى النساء وغير ذلك؛ فهذا أمر يقدر إليه بعد أن يعرف من نفسه، أيقوم هذا الفعل بتحقيق مقاصد الشرع أم لا.

فالذي أقوله: أن هذه المرأة إذا تابت ورأيت منها التوبة فعليك أن تسترها وألا تثرب عليها، فإما أن تبقيها عندك إن علمت أنك لن تظلمها، وإن علمت أنك لن تبقى شاكاً، لأنه للأسف يعني سيبقى هذا الشك في نفسك في كل تصرف، والنتيجة ربما تنشأ الأولاد وتكون المشكلة، فهي ربما تجد غيرك وترتاح أنت، والآخر لا يعرف من أمرها شيئًا وتعيش معه حياة المسلمين الصالحين، هذا ما نأمله من الله تعالى، والحمد لله رب العالمين.

٣٠٥- فضفضة في شرح قصيدة لبدر شاكر السياب

ضمن الجلسة الخامسة والعشرون، بتاريخ: (٠٩/٠٥/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٢٥/٠١/٢٠١٨ م)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يعني المرء بحاجة في لحظات من حياته أن يذهب فيقرأ مشاعر الناس كيف يحسون في هذه الحياة، في صوابهم وخطأهم، في إخباتهم ومعصيتهم؛ من أجل أن يعلم نفس الإنسان التي أمر الله عز وجل النظر فيها بقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]، وأنا أعتبر أن كل إنتاجٍ إنساني صريحٌ وصادق هو إنتاجٌ إيماني، إما أن يفيدني بكراهية الباطل وإما أن يفيدني بمحبة الحق، وهكذا ينبغي أن نكون.

والعرب من أهل الإسلام كانوا يقرأون لأهل الجاهلية، ليس فقط لأخذ ما يقوله الشعراء من معاني لغوية يستدلون بها أو يستعينون بها على شرح وعلى تفسير الكتاب وفهمه وكلام النبي صلى الله عليه وسلم، لكن كذلك يقرأون أشعار الناس ليعرفوا ما انطوت عليه نفوسهم، يعني الإمام العظيم الفاروق عمر رضي الله عنه كان يحب شعر زهير ويقول: بأنه لا يمدح أحدًا إلا بالصدق، ولا يمدح أحدًا إلا بما هو فيه، فهذا شيءٌ آخر غير قراءة الشعر الجاهلي من أجل الاستدلال.

وليس هذا الموطن موطن بيان جواز رواية الشعر وقراءته وأنه يرقق القلوب وأنه يقرب نظر الإنسان إلى نفسه، مرات يغلبك الآخر بأنه يلتقط اللحظة العابرة من نفسك وأنت لا تهتم لها، ولا تقيم لها الشأن؛ فيأتي الآخر ويلتقط هذه اللحظة كما يلتقط المصور هذه اللحظة، فإذا أظهرها لك كأنك لم ترها إلا الآن، والشاعر هو من أعظم من يلتقط الصور، الصور البيانية التي تُعبّر عن طريق الكلمات هي أجمل بكثير من تلك الصور التي تلتقطها الكاميرا بحبس الظل بإيقافها أمامك في لحظة تأمل، فهذا يعنيني كثيرًا، وينبغي على طالب العلم وينبغي على الإنسان باعتباره إنسانًا وهو أن يقف أمام هذه اللحظات الإشراقية العالية الرفيعة في تجلي الإنسان في لحظة تعري الذات، في كشف الذات، أنت بحاجة إلى أن تتعلم هذه اللحظات وأن تقرأها قراءة صحيحة حتى تعرف نفسك وتعرف الإنسان، والقرآن حين يتحدث عن إنسان يعتبره شيئًا واحدًا، الإنسان هو الإنسان.

مرات مما يقع في داخلك من أخطاء، أنك تظن أنك أنت وحدك الذي تعاني هذه المعاناة، أو أنت الذي تحس هذه الأحاسيس، أو أنت الذي ارتقيت هذا الْمُرتقى إلى درجة تأمل المعاني، وهذا خطأ:

- إما أن يوقعك في تقبيح نفسك بأنك لست كغيرك، أنت تخطئ وهو لا يخطئ، أنت تجهل وهو يعلم.

- وأما أن يوقعك في لحظة أنك تعلم وهو يجهل.

وكلا هاتين الحالتين خطأ، أنت تعلم وغيرك يعلم، أنت تحس وغيرك يحس، أنت ترتقي وتفهم وغيرك يفهم، ولذلك لا تظن مثلاً بأنك إذا أخطأت أن غيرك لا يخطئ، حين يتحدث الإنسان عن نفسه وعن عبادته وعن إخباته في لحظةٍ من لحظات النور التي تشرق على قلبه لا يعني أنه لا يخطئ، فإن له لحظات يبكي من ذنبه ويُخطئ ويستغفر، فعليك أن تفهم أن هذا الذي تحس به من خطأك ومن ذنبك يحس به بقية البشر، والله عز وجل كشف لنا حياة الأنبياء عليهم السلام، وهم أعظم الناس إيمانًا وأقرب الناس لربهم أنهم كانوا يخطئون.

فهذا ذا النون عليه السلام عندما ذهب مغاضبًا، قال تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧)﴾ [الأنبياء: ٨٧]، وهذا موسى عليه السلام يقتل خصم قومه فيستغفر الله عز وجل فغفر له، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٦)﴾ [القصص: ١٦]، وهكذا،

فالقصد: بأنك أنت تخطئ وهم يخطئون، فلا تظن أنك أنت الذي تخطئ وهم أولياء في درجة من تسامي عن البشرية والخطأ.

كذلك أنت بحاجة إلى أن تعرف أن هذه الإشراقات التي تقع في قلبك من النظر إلى واقعك، إلى ضعفك وعظمة الله عز وجل، إلى حاجتك وغنى الله عز وجل، إلى ذهابك وفنائك وبقاء الله عز وجل، هذه كذلك يحس بها غيرك، مهما كانت درجة معصيته فإنه يحس بهذه المعاني، وهي معاني بالنسبة إليك تفييدك في رقيك إن كنت تائبًا صالحًا، ومعاني بالنسبة إليهم من إقامة الحجة عليهم.

عندما يشرق المفهوم الايماني في نفس الملحد بأن يرى عظمة الله في شأن فيبصر فيتكلم هذه الكلمات الموحية بإيمانه ثم يرتد كافرًا، ماذا يعني هذا؟ يعني أن الله عز وجل قد أقام عليه الحجة بمثل هذه الإشراقات،

الأدلة الإيمانية ليست فقط هي أدلة عقلية، الأدلة الإيمانية بالنسبة للبشرية هي أدلة إيمانية قلبية أكثر منها أدلة عقلية تناقش مناقشة العقلاء والحكماء والرياضيين، لا، هناك أدلة قلبية، يشرق الله عز وجل من المعاني الإيمانية على نفس الكافر الملحد، فيبصرها، فحينئذ؛ إما أن تأخذه أخذًا إلى جناب الله عز وجل وإلى الولاية والصلاح والعبادة والتقوى، وإما أن يرفضها فينتكس ويعود إلى ما هو عليه.

هذه اللحظات الإشراقية هي التي تعنينا في كلام الشعراء، الشعراء لا يعيشون الشجاعة في كل وقت، ولا يعيشون الحب في كل وقت، ولا يعيشون ذوق الفهم للمعاني في كل وقت، لكنها تشرق عليهم فيكتبونها ويصطادونها، قيد علومك بالقيود يعني الثابتة النافعة فهذا مما يستفاد من هؤلاء الذين يتكلمون.

من هنا تأتي كلمات العلماء عظيمة في فهمها، عظيمة في جمالها، عظيمة في أهميتها، ونحن بحاجةٍ إليها لهذا المعنى الذي نقرأه، كذلك نحن بحاجة أن نُسجل هذه المعاني سجلوها، العلماء عندما تحدثوا عن قراءة العامي للقرآن ليس فقط القصد: التدبر للمعاني، يعني الناس يظنون حين يتكلمون عن تدبر القرآن، بأن ينتج لديهم فهما جديدًا، تنزلاً علميًا رائعا جديدًا لم يعرفه السابقون، هذا غير صحيح، القراءة والوقوف أمام استماع القرآن أو قراءة القرآن هذا المعنى الإيماني الذي يطغى عليك من محبة هذا الكلام، ومن التفاعل معه، ومن اقشعرار البدن في سماعه، هذا مطلوبٌ إيماني، وبها ترتقي عند الله عز وجل، **(أقرأ وارتقي)**، هذه مرتبةٌ للنظر إلى القرآن.

وبالتالي؛ مرات أنت بحاجة إلى كلماتٍ تغزوا قلبك فتقرأها على هذا المعنى الفريد الذي يأتيه هذا الكاتب، ولا يهمك بقية حياته، يعني أنت لا يهمك أن تقرأ الإنسان في كل زمانه كيف هو؟ يكفيك أنه قال هذه الكلمة وقد أشرقت في ذهنه على معنى من معاني الحكمة، فأنت تأخذها، تكفيك هذه اللحظة، لا تسألني من هذا الكاتب؟ وهل أقبل منه هذه الكلمة أو لا أقبلها؟ خذها، من هنا جاءت حكمة من قال: **(الحكمة ضالة المؤمن)**، خذها وانتفع بها، هذه الحكمة أشرقت على قلبه فخذها.

من هنا يعني يعجبني أن أقرأ لإخواني ما يقوله السياب في سفر أيوب، وهنا أنبه على نقطة أن أيوب عليه السلام صار نموذجًا للصبر، وهو موجودٌ في التوراة، وموجودٌ في الإنجيل، وموجود كذلك في القرآن، فإذا الناس تحدثوا عن الصبر العظيم الكبير الذي يسلي آلامهم ويسلي صبرهم في التعامل مع آلامهم يقولوا: «صبر أيوب».

ولا شك أن شعراء التفعيلة والشعراء الْمُحدثين في هذه الأيام قد غلبت عليهم الصور الغربية، يعني أنا أعرف عندما يتحدث بدر شاكر السياب، وهو على ذكر كان شيوعيًا فكفر بهم وألف فيهم كتابًا وهو في الأصل شيعي فيما أظن، ولم يكن معروفًا بعبادته ولا بتقواه ولكنه في لحظة تعبٍ ورهق وضعف ومرض؛ نظر إلى الله فقال كلمات، هذه الكلمات جميلة وسواء عددنا هذه الكلمات من الشعر أو من النثر فهذا يكفي أن نأخذ معانيها، وعلمت أن بعض ممن هو من أكفر الناس بالشعر الحداثي المعاصر لكنه كان يتأمل هذه الكلمات ويقرأها على جهة العظة والاعتبار والتأمل.

أقول: للأسف بأن كثيرًا من الشعراء المعاصرين قد أخذوا الأساطير اليونانية فأدخلوها في الشعر، هذا معروف تموز وغيرها فلا يعني هذا أن بدر شاكر السياب عندما أتى بهذا السِفر، سِفر أيوب إنما جعله من خلال التراث الإسلامي، لا هو سِفر أيوب يعني وهذا سِفرٌ من أسفار التوراة غير الخمسة التي هي موجودة ضمن التوراة، يقول فيها –ما يهمني أن أقرأ سريعًا بعض ما قاله هذا الشاعر– يقول فيها:

لــــــــكَ الحــــــــَمدُ مهمـــــــا اســــــــتطال البــــــلاء
ومهمـــــــــــــــــــا اســـــــــــــــــتبدَّ الألــــــــــــــــــــم
لــــــــــــكَ الحمـــــــــــــدُ إن الرزايــــــــــا عطــــــــــاء
وإن المصيبــــــــــــــات بعــــــــــــــض الكَــــــــــــرَم

انظر! أنا قلت سابقًا وأقول: أنا أحس بأن هذه الكلمات لا تكلف فيها، ولم تصنع صناعة الشعر، الشعر صناعة، يقول صناعة الشعر، فالشعر ليس كما يظن البعض بأنه يعني مجرد كلمة تخرج سريعًا، لا، ربما الكلمات الأولى تخرج سريعًا، لكنها بعد ذلك تحتاج إلى بناء، ولذلك بعض الشعراء كزهير يسمي العلماء شعره بالحوليات؛ لأنه كان ينقح الشعر حولاً كاملاً، لكن من مهمات الشاعر هو أن يخفي عرق جهده وهو يبذُل كلماته؛ من أجل أن يبيّن بأنها خرجت من غير جهد؛ لأن الجهد يعني أن المعاني قد استعصت عليه، وهو يريد أن يخفي جهده، كالرجل عندما يبرز عضلاته يبتسم مع أنه يضغط أشد الضغط على نفسه، إخفاء العرق عند الكلمات الجميلة مهمة الشاعر، مهمة المتكلم بأنه لا يبذل جهدًا كبيرًا في استخراج الدرر واستخراج الكنوز مع أنها صعبة وشاقة.

هذه الكلمات أشعر بسهولتها وبساطتها وبالفعل سواء كانت خرجت من نفس السياب على معنى السيولة، كخروج الماء من مكانه من الاناء خروجًا سهلًا بلا مشقة، أو أنه تكلف بناءها ثم أخفى هذا التكلف، فكلاهما يدل على مقامٍ جميل في التقاط المعاني في نفس هذا الشاعر بدر شاكر السياب.

هذه القصيدة كتبها بدر شاكر السياب في لندن وقد أصيب بمرض السل الرئوي، فكان في داخل مستشفى وحيدًا يزوره بعض العائدين زيارات متقطعة تكلم عنها وأحسست بصدق هذه الكلمات سواء قالها على المعنى الإيماني الصحيح أو قالها على المعنى الإنساني العام، ولكنها كلمات بلا شك عجيبة جدًا، والعباد بحاجة إليها انظر إليه وهو يحمد الله عز وجل عند البلاء، وهذا معنى في معاني الحمد لا يشاركه في هذا المعنى أي لفظٍ آخر، حتى الشكر، الشكر لا يكون عند البلاء، الشكر يكون عند النعمة، الحمد يكون عند النعمة وعند البلاء، لكن الشكر لا يكون إلا عند النعمة، يعني بمعنى أن الحمد لا يمكن أن يستخدم غير هذا اللفظ عند البلاء، لا يمكن، الشكر لا يجوز أن تقوله عند البلاء، تقوله عند الرخاء، تقوله عند النعمة، والحمد تقوله عند البلاء وعند النعمة، فالشكر لا يقال عند البلاء.

فهنا قال: «لك الحمد» انظر إليه هو يحمد الله عز وجل في هذه اللحظة المؤلمة جدًا يصفها وصفًا عجيبًا جدًا في داخل هذه الكلمات الرائعة له «لك الحمد»، وهنا «لك» هذا خطاب لله عز وجل يخاطب الله سبحانه وتعالى، لأنه هو رب الأقدار لا غير، عند الضعف يظهر ضعف الإنسان، وعند الضعف تظهر حقيقة الإنسان؛ ولذلك ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ (٥٣)﴾ [النحل: ٥٣]، فالناس عند الضر لا يعرفون إلا الله عز وجل، تفرغ، الطبيب لا ينفع، الأدوية لا تنفع، المال لا ينفع، لا يبقى إلا الله عز وجل.

ومرةً كنت في مناظرة وأنا في الجامعة مع مدرس الفلسفة وهو شيوعي اسمه أحمد ماضي فذكرت له تغير خالد محمد خالد، هو احتج بخالد محمد خالد في كتاب «من هنا نبدأ»، فقلت له: أسلم الرجل تغير من الإلحاد إلى الإيمان مع ما عليه من الكلمات، فقال: هذه عادة الناس يخافون عندما يكبرون، يعني هو يلاحظ لا يريد أن يقع في هذا الموقع في أنه إذا كبر يخاف من الموت، للأسف، لكنهم في الحقيقة يخافون.

فانظر إليه عند البلاء ماذا يقول ويحمد الله: «لك الحمد مهما استطال البلاء»، واستطال يعني طال، طولاً

زائدًا وكل طولٍ يحتاج إلى استطالةٍ -انظر إلى هذا اللفظ- فهو طولٌ لا يقف عند حد، بل هو طولٌ يستطيل في كل إطالةٍ له فله الحمد جل في علاه مهما دام وطال، «ومهما استبد الألم» انظر وهو أراد شيئين هنا: أراد الحمد على البلاء بكميته والحمد على البلاء بزمانه، بكميته وطوله وزمانه، وهذا من الجمال العجيب ومن اللفظ الموفق في قوله.

«فلك الحمد مهما استطال البلاء» هذا الابتداء -سامحوني قد استعجل بعض الشيء- هذا الحمد عند الحديث لا يصبر عليه الداعي، ومن جرب البلاء في سجن، في مرض، في فقر، هو يقوله في الابتداء، ولكنه يبقى يرجو اليد الأخرى الحانية، اليد الأخرى الشافية، اليد الأخرى المعطية الكريمة، وذلك هو في آخر الأمر يعني يقول: أنت تعطي البلاء، ولكنك تعطي كذلك الشفاء، كما سيأتي، فانتبهوا إليها، لكنها عند الابتداء هكذا يبرز المرء حامدًا لربه مستعدًا لتلقي أقداره عليه.

يقول:

لــــــــك الحمــــــــد مهمــــــــا اســــــــتطال الــــــــبلاء
ومهمـــــــــــــــــــــــــــا اســـــــــــــــــــــــــتبدَّ الألم

«استطال» بالطول الزمني و«استبد» قهر وقوي وشق.

لــــــــك الحمــــــــــــد أن الــــــــــــرزايا عطــــــــــــاء

والله هذه لو قالها عابدٌ لمدح أشد المدح قال:

لــــــــك الحمــــــــــــد إن الــــــــــــرزايا عطــــــــــــاء
وإن المصـــــــــــــــيبات بعـــــــــــــــض الكـــــــــــــــرم

هناك كلمات، وكلماتهم لا تخفى في هذا الباب لأنها بروز أمام الله، وحين يبرز المرء أمام الله يتعرى، حتى لا تتخفى كلماته، فهو يحمد الله عز وجل لأنه يرى أن هذا البلاء هو عطاء من الله هو كرم، البعض يقول: كيف يكون البلاء عطاء؟! البلاء به يتم الصبر الذي به يترقى العبد، البلاء هو فرصة من أجل إثبات عبوديتك لله عز وجل، وأنك كما حمدته في العطاء تحمده في البلاء، وهو فرصة لك من أجل أن تثبت أنك تحبه لما يقدر فيك

من المقادير، وهي فرصة لك من أجل أن تثبت أنك تدخل على عبوديته من أبواب متعددة في هذا السبيل.

قال السياب: «فلك الحمد أن الرزايا» الرزايا جمع رزية وهي البلاء العظيم، «وإن المصيبات بعض الكرم» وهي ولا شك كرم لما تؤول إليه من العطاء، هنا هذا الموقف الابتدائي الذي يأتيه بدر شاكر السياب يبدأ يخف ويبدأ عامل الرجاء يثب إليه، ويقفز إلى ذهنه وإلى نفسه، هذا الموقف الأول هو موقف الصابر، الموقف الذي يتلقى القدر، الموقف الإيماني الذي يتعامل بحكمة الإيمان، لا أقول بمنطق الإيمان بحكمة الإيمان، في أنه عليه أن يصبر وعليه أن يحمد وعليه أن يثبت عليه، ولكنه حينئذٍ هنا يبدأ الرجاء، هنا يبدأ الرجاء بالنظر إلى اليد الأخرى، هنا نظرة إلى حكمة الفعل إلى حكمة المعطي، إلى حكمة المبتلى، وهنا نظر إلى عطفه ورحمته وكرمه وحنانه، فانظر إليه يقول -كأنه يسلي نفسه ولكنه مع هذه التسلية يطلب الرجاء-:

ألم تُعطـــــــــني أنـــــــــت هـــــــــذا الظـــــــــلام
وأعطيتـــــــــني أنـــــــــت هـــــــــذا السّـــــــــحر؟

هو يريد أن يذكر نفسه قبل كل أحد، هذا حديث مع النفس، يريد أن يذكر نفسه أن السنة مع هذا الإله جرت على معنيين، على معنى الليل وعلى معنى الفجر، على معنى البلاء وعلى معنى العطاء، على معنى الامتحان وعلى معنى الفرج، فهو يذكر، هذه تسلية للنفس هذه، «ألم تُعطني أنت هذا الظلام وأعطيتني أنت هذا السّحر؟»، كان هناك ظلام هذا الذي أعيشه، يعني أنا أرجو السحر أن يكون هناك الفجر الذي يزيل هذه الظلمة التي تغشاني وتحل بي.

فهـــــــــل تشـــــــــكر الأرض قطـــــــــر المطـــــــــر
وتغضـــــــــب أن لم يجـــــــــدها الغمـــــــــام؟

الأرض تعيش على حالتين، كما يعيش الليل والنهار، تعيش ينزل إليها المطر فهي تشكر وهذا الشكر يظهر بالنبت والنبات والشكر الذي في أنها تتكلم لغةً لا نفهمها، قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]، لكن إذا لم يأتيها المطار، فهل عليها أن تغضب؟! لا عليها أن تصبر، فهي بين حال الصبر والشكر، انظر وقد عبر عن هذا كأنه يحادث نفسه، كأنه يؤنبها، كأن هناك دافع، وهذا يحسه كل مُبتلى، أنا أعرف هذه لأنه يتحدث عن كل مُبتلى، والمبتلى يشعر بصدق كلماته، عندما

ينظر يقول: أنت عشت عشرين سنة وأنت منعم وأنت تشكر الله على هذه النعم، الآن لما جاء الابتلاء هذا حديث مع النفس ومن هنا جاءت هذه العبارات بصيغة السؤال فقال: «فهل تشكر الأرض قطر المطر وتغضب أن لم يجدها الغمام؟»، إن لم يعطها السحاب الماء هل تشكو؟! أصبر.

انظر إليه الآن وهو يبين حال نفسه الآن تبدأ المراتب، هذه المراتب الأولى مراتب الصامد، المرتبة الثانية الحوار، انظر المرتبة الثالثة في قضية الشكوى وهي دالة على صدق متكلمها:

شهور طوال وهذي
الجراح تمزق جنبي مثل المدى

هو يشكو الألم، كيف شدة الألم كأن سكاكين تضرب بجنبه.

ولا يهدأ الداء عند الصباح

كأن السياب هنا تذكر قصيدة المتنبي في شكواه عن الحمى التي تزوره في الليل وتنفرج عند الصباح، وهو يذكر هنا ويقول: أن مصيبتي لا تنفرج عن الصباح كمصيبة المتنبي في الحمى:

وزائرتي كأنَّ بها حياء
فليسَ تزورُ إلا في الظلام [١]

تأتيه في الظلام فقط هي تبدأ الحمى في الظلام، لما يأتي النهار تذهب، ولكن السياب لا مسكين على معنى آخر، قال:

ولا يهدأ الداء عند الصباح
ولا يمسح الليل أوجاعه بالردى

هل هذه الكلمة فيها تمني أن ينزع الموت نفس السياب من هذه الآلام «ولا يمسح الليل أوجاعه بالردى»، هذا كله حوار نفس إنسانية يحسها كل مُبتلى، أكرر هذه الكلمة لأنها هي مفتاح فهم هذه القصيدة، قال:

ولكن أيوب أن صاح

---

[١] شعر للمتنبي

إذا تكلم ماذا يقول؟

لـــــــــــك الحمــــــــــــــد، إن الــــــــــــرزايا نـــــــــــدى
وإن الجــــــــــــــراح هـــــــــــــــــدايا الحبيـــــــــــــب
أضــــــــــــــم إلى الصـــــــــــــدر باقاتهـــــــــــــا
هـــــــــــــــــداياك في خـــــــــــــافقي لا تغيـــــــــــب

وهنا هو يريد أن يذّكر ويجعل نفسه مكان أيوب عليه السلام في صبره، أي أنه يعيش حالة البلاء كما عاش أيوب عليه السلام ويقول بأنه خلال هذه الآلام التي تصبغ بنفسها عليه في كل وقت في الليل والنهار في الصباح وفي المساء، ماذا هو يفعل فيها؟ قال خلالها يصيح هذا الكلام المكلوم المتألم، يقول: «لك الحمد، أن الرزايا ندى وإن الجراح هدايا الحبيب»، هذه المصائب هدايا من الله عز وجل، والناس يقولون هذا العوام يقولون هذه: «الله أفتقدك»، يقولونها العوام يقولون حين يقع البلاء: «الله أفتقد أبو فلان»، يعني بمعنى أن الله أعطاه، الناس يفهمون من معاني القدر ما لا يفهمها بعض من زعم التعبد والإخبات.

القصد: بأنه يريد أن يقول بأن نظرة هذا العابد ونظرة هذا الْمُبتلى إلى العطاء نظرة مختلفة، أنها نظرة ليدٍ رحيمة، لا تتغير حقيقة الفعل من جهة حقيقته وإنما التغير هو في الظاهر، فهذا ألم وهذا ندى ولكنها كلها مخفيةٌ بيدٍ حانية، بيدٍ مُعطية، وكما أنه أعطى البلاء؛ أعطى العطاء، وكلاهما على معنى الحب، وهكذا يجب على العابد وعلى الناظر والْمُبتلى أن ينظر إليها، لا ينظر إلى ظاهرها ولكن ينظر إلى باطنها، فإن الله عز وجل لا يكون منه إلا الرحمة، «لك الحمد، إن الرزايا ندى»، تنزل على قلبه وكأنه يُذّكر العابد بقوله تعالى: ﴿هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ [الأحزاب: ٢٢]، كأنه يذكر المرء بهذا المعنى «وإن الجراح هدايا الحبيب، أضم» هذه الجراح، كيف يأتيها؟ يأخذها كأنها زنابق وكأنها ورود، يقول: «أضم إلى الصدر باقاتها هداياك في خافقي لا تغيب»، هذه في حنايا لا يمكن أن أنسى نعمك عليّ وعطاياك.

هاتهـــــــــــــــــــا... هـــــــــــــــــــداياكَ مقبولـــــــــــــــــــةُ

هذه اللحظة هي لحظة تحدي للذات، قهرٌ للنفس، معاذ بن جبل رضي الله عنه في لحظة الموت نطق بمثل هذه الكلمات كان يقول: «اللهم إني أحبك فابتليني كما شئت»، يقول: «زد والله وعزتك لا أقول إلا إني

أحبك»، وفي الحقيقة هذا موقف صعب، أجزم لكم أنه صعب، لكن يعيشه المرء في لحظة من اللحظات، أنا لا يهمني أن يعيشه المرء في كل لحظة، والسياب صادق كما رأيتم أن نفسه مترددة بين أن نضع الصمود العطاء وبين الخوف والرجاء وبين ارتقاب الفرج، وسترون هذا التردد في الحديث في هذه النفس الإنسانية الشاعرة المراقبة، ستروها مترددة، وهكذا كل من ابتُلي يكون هكذا، اصبر، يا رب لكني... دع البلاء ينتهي، أنت أعطيت النعم الآن جاء دور الصبر، وهكذا يبقى في مثل هذه الحالات حتى يأتيه الفرج أو يأتيه الموت، قال: «هداياك مقبولة هاتها» وقلت لكم هذه تحدي للذات، قال:

أشـــــــــــد جراحـــــــــــــي وأهتـــــــــــــف بالعائـــــــــــــدين

يعني الزوار له بغض النظر عن صحتها لغةً، هو ماذا يقول؟ لما يأتيني الزوار ماذا أفعل؟ «أشد جراحي» أكتم هذا الألم فلا يظهر على وجهي إلا البسمة وكأني أعيش حالة التمتع، قال: «أشد جراحي وأهتف»، يعني يكتم جراحه ويقول لزواره:

ألا فـــــــــــــــــــــــــانظروا وحســـــــــــــــــــــــــدوني

فهـــــــــــــــــــــذا هـــــــــــــــــــــدايا حبيـــــــــــــــــــي

يا إلهي، عندما يأتي إليه الزوار يخفي كل آلامه التي تحدث عنها ولا يظهر إلا البسمة وكأنه يعيش لحظة فرحٍ مع هذه الهدايا، يقول: انظروا هذه هدايا حبيبي، عندما يبرز لهم الآلام، جراح الجنب والآلام التي عليه، يقول: «فهذه هدايا حبيبي»، هو لا يريد أن يتحدث عن مولاه لغيره شاكيًا، يريد أن يتحدث عن مولاه أمام غيره شاكرًا، وليس شاكيًا، شاكرًا وليس شاكيًا، فانظر إليه يقول: «ألا فانظروا وحسدوني»، ولعلي قلت هذه القصة عدة مرات؛ جلست مع أخوين قد قطعت أرجلهما في الجهاد في أفغانستان وهما يتبارزان من رجله الصناعية الأجود، أحدهما صُنعت رجله في أفغانستان والثاني صُنعت في بريطانيا، فأنا جعلت انظر لهما وكأني أحسدهما يتنازعان على شيء ليس عندي.

وحقيقة يعني كأن المرء مرات يُحسد على البلاء، لأنهم يرونه في البلاء قد قام مقامًا لا يعرفونه، يرونه صابرًا، يرونه مزورًا، يرونه مرحومًا؛ فيحسدونه، الناس مرات يحسدون على البلاء كما يحسدون الناس على المكارم والعطاء، «فهذه هدايا حبيبي»، هدايا حبيبي هذه الكلمة لم تقل من بداية القصيدة، هذه الآن قيلت: «فهذه

هدايا حبيبي» انظر إلى هذه الكلمات بعدها ما أجودها، وما أروعها، وفي الحقيقة محيرة لدرجة البكاء، وتفعل في الإنسان فعله إلى درجة السكوت؛ لأن الشيء إذا قوي في عين الناظر صعب وصفه، يقول:

وإن مســــــــــــت النـــــــــــار حـــــــــــر الجبـــــــــين
توهمتهـــــا قبلـــــةً منـــــك مجبولـــــة مـــــن لهيـــــب

ماذا نقول؟! يقول: الآن إذا جاء الألم الشديد على جبيني بسبب هذا المرض، إذا أصابتني الحمى الشديدة عليّ، أنا ماذا أفهمها؟ أفهمها أنها قبلة من حبيبي ولكنها قبلةٌ مليئةٌ بالشوق فهي فيها لهيب الشوق، هذه الحرارة التي أحسها هي قبلة الحبيب المجبولة باللهيب، يعني ماذا تقول؟! فقط أنا لما أقرأ هذه، لو أفكر كيف أفسرها لا يمكن، الكلمات عندما ترتقي في درجة وصفها وشاعريتها؛ تصبح محاولة تفسيرها تقليل من درجة قوتها، وتقليل من درجة عظمتها، وتقليل من درجة أحاسيس صاحبها ومشاعر صاحبها؛ لأنه أرادها أن تكون هكذا هي، الكلمات إذا نقلت تغير الكثير من معانيها، تغيرت كثيرًا من قيمتها، ربما ترتفع، عندما يفسرها البعض يفسر الكلمات أجمل مما قالها صاحبها، فترتفع قيمتها، ولكننا أمام كلمات إذا أخرجت من مكانها بلا شك أنه ستنقص قيمتها. أعود للقراءة يقول: «وإن مست النار حر الجبين» آلام وجع، «توهمتا قبلةً منك مجبولة من لهيب».

يتابع السياب وهو الآن يتحدث عن حاله في الليل، القصيدة كما ترون لا تتحدث عن نسقٍ زماني، بمعنى لا يجوز لك أن تأخذ قصيدة الشاعر معبرة عن نفسٍ زماني، قد يجعل ما حدث معه متأخرًا في وسط الكلام، وقد يجعل ما حدث معه ابتداءً في نهاية الكلام أو في وسطه، وهذا ما عبر عنه شاكر في نمط صعب ونمط مخيف، وشاكر له كلام في هذا أرجو لأخواني أن يعودوا إليه، هو الآن يتحدث عن ماذا؟ عن حالة الليل ماذا يقع معه في الليل؟ نحن رأينا كيف فسر حر الجبين، طيب كيف يفسر هذه اللحظات التي يسمو بها مع ألمه في الليل، هو يسهر في الليل شاكيًا متألماً، لكن كيف يفسر هذا الألم وهذا السهر المتعب، الشاق، البلاء، يقول:

جميـــــــــل هـــــــــو السّـــــــــهدُ أرعـــــــــى سمـــــــــاك
بعيـــــــــنيّ حـــــــــتى تغيـــــــــب النجـــــــــوم
ويلمـــــــــس شـــــــــبّاك داري ســـــــــناك

يبقى ساهرًا في الليل، عَلّمه أن يعد النجوم، عَلّمه هذا السهر أن يسامرها، علّمه هذا السهر الذي كان سببه الألم أن يتعامل مع كائنٍ جديد، تأتي هذه النجوم ثم تذهب بسبب الفجر وحينئذٍ تشرق الشمس فتضرب شباك باب بيتيه الذي هو في المستشفى ولا شك، قال:

جميـــــــــل هـــــــــو السّـــــــــهدُ أرعـــــــــى سمـــــــــاك
بعيـــــــــنيّ حـــــــــتى تغيـــــــــب النجـــــــــوم
ويلمـــــــــس شـــــــــبّاك داري ســـــــــناك
جميـــــــــل هـــــــــو الليـــــــــل: أصـــــــــداء بـــــــــوم

لا يوجد في بريطانيا، في لندن لا يوجد بوم، ولا شك أنه أراد شيئًا آخر، أراد تلك الأصوات التي تنبعث من الليل؛ مخيفة وغير سليمة يقول:

جميـــــــــل هـــــــــو الليـــــــــل: أصـــــــــداء بـــــــــوم
وأبـــــــــواق ســـــــــيارة مـــــــــن بعيـــــــــد
وآهـــــــــاتُ مرضـــــــــى، وأم تُعيـــــــــد
أســـــــــاطير آبائهـــــــــا للوليـــــــــد

يعني أنظر هنا في تأثر كذلك الأساطير، سفر أيوب، هذه نتركها وليس هو مجال النظر فيها، قال:

وغـــــــــابات ليـــــــــل السُّـــــــــهاد، الغيـــــــــوم
تحجّـــــــــبُ وجـــــــــه الســـــــــماء

لندن مليئة بالغيوم، الآن ذهب في الحقيقة، ولكنه يتحدث عن شيء، يعني رأى أن الليل فيه غيوم تحجب السماء ولندن مدينة الضباب، قال:

وغـــــــــابات ليـــــــــل السُّـــــــــهاد، الغيـــــــــوم
تحجّـــــــــبُ وجـــــــــه الســـــــــماء
وتجلـــــــــوه تحـــــــــت القمـــــــــر

تجلوه أي تكون هي المجلية له، الآن هو بماذا يختم؟ هنا تظهر إنسانيته المفعمة بالفقر، والمفعمة بالضعف،

والمفعمة بالرجاء، بعد هذه الكلمات التي تذهب بك هنا وهنا من رجاءً، ومن تألُمٍ، ومن فهمٍ جديد وو... إلخ، لكنه في النهاية كعادة كل مُبتلى يكون ابتداؤه بالصبر، ويكون انتهاؤه بالأمل.

الْمُبتلى أيها الإخوة الأحبة يعيش بين هذين الحدين؛ يبدأ صابرًا وينتهي مؤملاً، ولولا الصبر والأمل لما قدر على أن تمر عليه لحظات البلاء على المعنى الصحيح، فانظر إلى نهاية كلماته التي تعبر حقيقة، الشعر أجمل ما فيه أنه معبر عن صدق مشاعر صاحبه، هذه الكلمات أن لم تعبر عن صدق صاحبها فليس لها قيمة، لما تحدث الشاعر عمر بهاء الدين الأميري عن أبنائه لما فقد أبناءه وتحدث عن الشعر في هذا، العقاد قال كلمة، قال: لو قيل لنا عدوا قصائد الحياة للبشرية جميعًا لكانت هذه القصيدة معدودة في شعر الحياة، الأستاذ محمد قطب لما تكلم عن الفن الإسلامي وأخذ كلامًا لعمر بهاء الدين الأميري في لحظة صراعه الضعيف، عندما دُعي إلى المعصية في داخل الفندق، قال هذا شعرٌ إنسانيٌ صادق، الشعر قيمته في صدق صاحبه، انظر إلى نهايته كيف يقول، ولذلك أنا كنت غيرت رأيي في مصطفى شكري والذي يسمون جماعته بجماعة التكفير والهجرة، وهو سمى جماعته جماعة المسلمين، فرأيته صادقًا لما قال:

أبتـــــــــــاه لاحَ الشـــــــــــــــــطُّ للـــــــــــــــربان
وبـــــــــــــدا الأمـــــــــــان لقلبـــــــــــه الولهـــــــــان [١]

وبدأت أقرأ فيها حتى وصلت إلى ذكر أمه فعلمت حينئذٍ وانفعلت معه وقلت: هذا رجلٌ صادق، لما قال في قصيدته عن أمه:

ولقـــــــــــد عجبـــــــــتُ بأي قلـــــــــبٍ تتقـــــــــــي
ذكـــــــــــري.. وكيـــــــــف لمثْلهـــــــــاِ نســـــــــياني؟ [٢]

المرء حين البلاء الشديد لا يذكر إلا أمه إن كانت حية، وهذه سمعتها من عدة أناس، أحدهم حدثني رحمة الله عليه مات شهيدًا، أسأل الله أن يقبله هو والشيخ رفاعي طه، قال: مرةً كنت أصلح الكهرباء فضربتني فأيقنت بالموت لم تأتي على روحي ونفسي إلا أمي، فالمرء حين البلاء لا يأتي لا أولاد ولا زوجة، تأتي أمه؛ ولذلك هو لحظة التنفيذ مصطفى شكري عندما جاء السجان ليقتله ذكر أمه، لما جاء إلى ذكر أبيه أعرض عنه

---

(١) شعر لمصطفى شكري.
(٢) شعر لمصطفى شكري.

وتكلم كلامًا عقلانيًا، لكن لما جاء إلى أمه قال: «ولقد عجبت بأي قلب تتقي ذكري، وكيف لمثلها نسياني؟»، الشعر قيمته في صدق صاحب.

انظر في نهايته وقد أظهر الأمل:

وإن صـــــــــــاح أيــــــــــوب كــــــــان النـــــــــداء
لـــــــــــك الحمـــــــــــد يا راميـــــــــــاً بالقـــــــــدر
ويا كاتبـــــــــــــــاً بعـــــــــــــد ذاكَ الشفـــــــــــــاء

فقط، هذا الختام: «لك الحمد يا راميًا بالقدر»، الله عز وجل يرمي عباده بمقاديره، يهربون، أين يهرب الناس؟! وكما قال الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «نفر من قدر الله إلى قدر الله»، أين الفرار؟ نحن ضعاف والقدر أمامنا، والقدر خلفنا، والقدر عن يميننا وعن يسارنا، ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ (٢٠)﴾ [البروج: ٢٠]، «فلك الحمد يا راميًا بالقدر»، وثم بعد ذلك يختمها بالرجاء: «ويا كاتبًا بعد ذاك الشفاء»، لقد صبر، ولكنه يريد أن يرى بعد ذلك الشفاء.

نسأل الله أن يرحمنا برحمته، ما يهمنا هي لحظات المعاني التي تشرق على نفس الإنسان بالنظر إلى الأقدار على وجهٍ صحيح، ولا شك مع أنه أستخدم السياب الألفاظ غير الإسلامية، ولكن كل هذا المعنى الذي هو فيه هو نتاج البيئة الإسلامية في النظر إلى القدر، الغربي لا ينظر لهذا المعاني، الغربي لا يعيش هذه المعاني قط، لا في البلاء ولا في الامتحان، له معاني أخرى يعيشها، هذا النظر إلى معنى القدر عند نفس المسلم هي التي تجعله يصبر ويفهم فهمًا صحيحًا.

يَذكرني في الختام: جالست قسيسًا نصرانيًا فأراد أن يبالغ في تجربته الإيمانية بما يسمى الإيمان بالمسيح وأنه المنقذ وأنه الشافي، فقال: أنه يأس مرةً من حياته فحاول الانتحار وفي المستشفى نظر إلى الإنجيل فأخذه وأنقذه، فاعتبر أن تجربته تجربة عالية بإنقاذ المسيح له، قلت له: يعني هون عليك -بمعنى الكلام الذي جرى- هون عليك أمي في كل يوم تعيش آلامك ومع ذلك لم تفكر في الانتحار، أمي تعيش أكثر من آلامك التي أنت هربت منها إلى الانتحار ومع ذلك لم تفكر في الانتحار، والسبب في ذلك؛ هو إيمانها بالإسلام، هو إيمانها بالقضاء والقدر.

فبلا شك أن المسلم في هذا الباب فريدٌ من نوعه ولولا الإيمان بالقضاء والقدر والإيمان باليوم الآخر؛ لرأيت الناس في بلادنا يموتون قهرًا، يموتون انتحارًا، يموتون هروبًا، يموتون بأمراضٍ كثيرة نفسية يعانون منها، ولكن القدر والإيمان باليوم الآخر يرطب هذه المعاني، ولولا أنه عاش في بيئة إسلامية لتجعل هذه المعاني تخرج من نفسه بهذه الكلمات الجميلة لما كان، اللهم ارحمنا برحمتك، جزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

٣٠٦- منهج المتقدمين والمتأخرين في مصطلح الحديث

ضمن الجلسة الخامسة والعشرون، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٥/٠٩هـ الموافق لـ: ٢٠١٨/٠١/٢٥ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

هناك سؤال طويل لأخ يسأل عن مسألة من مسائل مصطلح الحديث، وهي مسألة قديمة وحديثة واليوم قد ثارت وانتشرت، وصار لها أتباعها، وصار عليها المناظرات والمناقشات، وهو ما يقال له: بمنهج المتقدمين والمتأخرين في التصحيح والتعليم.

فيقول الأخ السائل وقد ضرب مثالاً في كتابٍ لشيخ اسمه ماهر الفحل في حديث: (**من ذرعَهُ القيءُ فليس عليه قضاءٌ، ومن استقاءَ عمدًا فليقضِ**)، وهو ينقل كلام الشيخ ماهر الفحل بهذه الألفاظ سأقرأها لأهميتها، يقول: وهذا الحديث صححه المتأخرون منهم ابن حبان والحاكم في المستدرك وهو... إلخ، بينما نجد جهابذة المتقدمين أعلوا هذا الحديث بالوقف، وذكر المعللين منهم أحمد والبخاري والدارمي والنسائي، ثم قال: وهم من هم في الحفظ والإتقان، لا ينفعه ولا يضره تصحيح المتأخرين، فلماذا يعتبر ابن حبان من متأخرين والنسائي من المتقدمين؟ ما هو الضابط؟ ابن حبان متأخر مات سنة «٣٥٤ هـ»، والنسائي مات سنة «٣٠٣ هـ»، ومنهم أبو يعلى الموصلي «٣٠٧ هـ»، وابن خزيمة «٣١١ هـ»، والطحاوي «٣١٧ هـ»، وابن أبي حاتم «٣٢٧ هـ»، فما الضابط لمعرفة المتقدم من المتأخر؟ لو تكرمت بالإجابة؟

جواب الشيخ: انتبهوا لهذا، هذه المسألة هي حقيقة، يعني من يقرأ ما يفعله بعض أهل العلم من المتأخرين، ليس كما يقوله الشيخ في ذكر ابن حبان وابن خزيمة والحاكم بأنهم من المتأخرين، هذا كلام غير صحيح، ولكن سأبين ما هي مناهج العلماء في هذا الباب:

بلا شك أننا نجد بأن العلماء المتأخرين لهم طرق، هذه الطرق لا يرضاها المتقدمون، وهي النظر إلى أخطائهم، والنظر إلى التعليل، والنظر إلى الترجيح في قضية الزيادة، هذه من المسائل التي يدور حولها تقريبًا الخلاف بين ما يسمى بمنهج المتقدمين ومنهج المتأخرين.

مثلاً: العلماء قد اتفقوا في الأصل على حديث بأنه ضعيف وأنه معلول؛ فيأتي المتأخر فيجمع لهذا الحديث

من هنا ومن هنا ويجمع الأحاديث الضعيفة والموضوعة والمنكرة وو... إلخ؛ من أجل أن يرفع هذا الحديث للقبول، يعني تجد العجائب في هذا تجد!! يمكن التمثيل مثل بصلاة التسابيح مثلاً، تجد مثل حديث إحياء والدي النبي صلى الله عليه وسلم وإسلامهما؛ فتجد الكلام على أحاديث اتفق أهل العلم القدماء على ردها وعدم قبولها وأنها معلولة؛ فيأتي المتأخرون ويجمعون لهذا الحديث لتقويته الغرائب والمنكرات.

الإمام أحمد رحمه الله وضع لنا قاعدة ربما نكررها كثيرًا حتى في المنهج النقدي العام ليس فقط في موضوع مصطلح الحديث وهو أن «المنكر منكر والضعيف يحتاج إليه في وقت»، المنكر منكر ما معنى منكر؟ يجب أن ينكر ويجب أن يرد، المتأخرون يأتون إلى المنكر فيجعلونه شاهدًا، ويأتون إلى الحديث الذي ثبت خطأ صاحبه؛ فيجعلونه شاهدًا، هذه هي المشكلة هنا في هذا الباب، ولذلك كثر عند المتأخرين تصحيح أحاديث الأئمة الكبار الأوائل على ردها، لطرق النقد الدقيقة التي يتبعونها، مثل قضية زيادة الثقة، مثل قضية خطأ الفقيه، مثل قضية انفراد المحدث.

يعني يأتي الغريب، وأنتم تعرفون طبقات الشيوخ الآخذين عن الإمام، الطبقة الأولى: هو من طال ملازمتهم له مع أنهم ثقات، يجلس الرجل العالم عشر سنوات، عشرين سنة، ثلاثين سنة مع هذا العالم حتى يستنزف علمه، ثم يمر رجل ليس ضعيف لكن ليست مرتبته في الثقل المرتبة العالية، فيمر شهرًا جالسًا مع هذا العالم يروي عنه الغرائب ولا يعرفها من صاحب هذا الإمام!! العلماء يرون أن هذا الانفراد من العلل التي يرد بها هذا الحديث، وهذا وجهٌ صحيح لو تفكر به العاقل؛ لأن علم الحديث هو قائمٌ على العقل وعلى النقد العقلي، علم الحديث المصطلح هو لو تفكرت فيه هو قائمٌ على المنطق، وقائمٌ على العقل، وقائمٌ على ما تقرره الحياة وتقرره السنن والأقدار.

مثلاً: رجل يعيش مع زوجته وهي تعرفه عاشت معه ثلاثين سنة وتعرف ألفاظه، فتأتي امرأة وتقول: أنا سألته كذا، وهو أجاب بكذا، على خلاف ما يعرف عنه، لا يمكن أن يُقبل قولها، رجل عالم يجلس مع إخوانه في هذه البلدة سنين طويلة يأخذون عنه في كل يوم يستنزفونه ويناقشونه وو...، ثم يمر واحد لا نقول: ضعيف ولنقل: قلت مرتبة حفظه وضبطه عما يقوله الثقات من ملازميه والآخذين عن هذا العالم؛ فيروي هذا حديثًا غريبًا عنه؛ فالعلماء يردونه كما هو منهج أحمد في هذا الانفراد، يرد هذا الحديث، والبرديجي يرد هذا الحديث،

ولكن المتأخرين يأتونه ويجعلونه شاهدًا ويقوون الأحاديث الضعيفة المنكرة في هذا الباب.

فبلا شك أن طريقة الأوائل في النقد لمن نظر فيها، لمن نظر إلى ما يقوله الإمام الرازي في العلل، لما يقوله الدارقطني في العلل، لما يذكر عن أحمد في العلل سواء كان برواية أبي داوود أو برواية ابنه صالح أو برواية المروزي؛ فنجد أنهم يردون أحاديث ويعللونها تعليلاً دقيقًا جدًا، المتأخرون ربما لا ينتبهون لها ولا يقيمون لهذا التعليل وزنًا، وخاصةً في قضية الْمُرسل والمنقطع والمتصل وهكذا، يرجحون ترجيحات لا يرضاها المتقدمون، فهذا الذي يفعله المتأخرون، نحن نتكلم هنا عن منهج، لا عبرة بالزمن.

الآن نأتي إلى قضية الزمن التي سأل عنها الأخ: وهذا الكلام الذي قاله السائل أنا لا أدري به فأنا لم أقرأ هذا الكتاب لهذا الدكتور أو لهذا الشيخ ماهر، لكن إذا اعتبر أن الحاكم من المتأخرين هذا خطأ، إذا اعتبر أن ابن حبان ممن المتأخرين هذا خطأ، هؤلاء لهم مناهج قد يصيبون وقد يخطئون.

يعني مثلاً: ابن خزيمة رحمه الله ليس عنده الحديث الحسن، الحديث الحسن ليس في باله وليس في ذهنه، ويُدخِل الحديث الحسن في الصحيح هذا منهجه، الكلام ليس عن أنه متأخر ومتقدم في هذا الباب، ولكنه حديثٌ عن منهجٍ خاص به، نعم الآخرون والأكثر لا يرضون هذا، بل يجعلون الصحيح في أذهانهم على ما وضع في البخاري ومسلم، لكن ابن خزيمة رحمه الله يجعل الحسن في المرتبة الصحيحة؛ ولذلك عندما يقول صحيح ابن خزيمة فإنه يُدخِلُ فيه الحسن، والصحيح مراتب يعني عندما نقول نحن: صحيح الإمام مسلم فإن فيه ما لا يرضاه الإمام البخاري عندما قال الصحيح المسند؛ فإنه أراد الطبقة الأولى وشيئًا من الثانية من الآخذين عن الإمام، والإمام مسلم أخذ من الأولى والثانية وأكثر منها وأخذ من الثالثة، الطبقة الثالثة من الآخذين عن الإمام من طبقات الشيوخ، كما هو معروف وهذا شيءٌ يعرفه طلبة العلم والمبتدئون منهم، يعني «لا نبيع الماء في حارة السقايين» كما يقولون.

نرجع: لا يجوز لأحد أن يقول: أن ابن خزيمة وابن حبان هما من المتأخرين، لا يجوز أن يقال هذا، لكن ابن حبان له منهج في التصحيح، له منهج هو له هذا المجموع وهو لا يتعلق بقضية العلل ولا بما هو خلاف بين الأوائل، وإنما يتكلم بقضية مراتب الرجال يأخذ هذا الحديد أو لا يأخذه، ليس على طريقة المتأخرين، الإمام ابن حبان لا يأخذ بالمنكرات بحيث يجعلها صحيحة، ولا يحتج بالمنكرات من أجل أن يرفع بها الحديث الضعيف

ليقوي به هذا الحديث فيجعلوه في مرتبة الصحيح، هنا الكلام، ولا يمشي مشي المتأخرين بأنه إذا جاء الوصل والانقطاع فتقدم الوصل لأنه زيادة ثقة، هذه هي النقاط التي يدور حولها بين من تقدم ومن تأخر، ولكن ابن حبان لا يفعل هذا.

وعندما نأتي إلى الإمام الحاكم في معرفة علوم الحديث نجد الدقة المتناهية في منهجه عندما يتكلم عن مصطلح الحديث، لكنه في المستدرك الناس اعتذروا له باعتذارات يعرفها طلبة العلم، المستدرك هناك من قال: بأنه كتبه ولم يسوده، هناك من قال: بأنه أخطأ في فهم مراد الأئمة في التصحيح والتضعيف... إلخ، مع أنه إمامٌ جهبذ ويعد من المتقدمين ولا شك، ولكن المتقدمين ليسوا على مرتبةٍ واحدة، يعني الآن تعليل الحديث بين الإمام مسلم والإمام البخاري، هل الإمام مسلم بمقدار الإمام البخاري؟ الإمام مسلم لا يأتي بمرتبة الإمام أبي داوود في النقد الحديثي، نقد الصناعة الحديثية الإمام أبو داود رحمه الله أكثر إتقانًا من الإمام مسلم، وربما يقول بعضهم -مع أن الكلام فيه مراجعة- ربما يقولوا: الإمام الترمذي أكثر نقد وتعليل من الإمام مسلم.

فقضية النقد للعلة الخفية هذه التي يتنافس فيها العلماء، هذه على مراتب، فلا ينبغي لمن نرى فيه الضعف في النقد، يعني الإمام مسلم رحمه الله أدخل في صحيحه بعض ما انتقده جهابذة العلماء في تصحيح هذا الحديث، وخفيت عليه بعض العلل، هل نقول: بأن الامام مسلم على مطلع من منهج المتأخرين؛ لأنه لم يفقه هذه العلة كما فقهها هذا الإمام الكبير سواء أحمد أو البخاري؟ الجواب: لا، هو على المنهج المتقدمين، لكنه أخطأ في هذا، وهكذا نقول في الإمام الحاكم، إذا أردت أن تعرف منهج الإمام الحاكم في النقد الحديثي؛ ارجع إلى كتاب «معرفة علوم الحديث» تجد إمامًا عظيمًا كبيرًا في منهج النقد، وهناك بعض المسائل التي انتقدها في التعليل المتأخرون وقفوا على ساحلها وتاهوا فيها وتكلموا الكلام الكثير فيها، مثل حديث كفارة المجلس، ارجعوا إليه.

القصد من هذا: بأن خطأ الإمام في مسائل أو اتخاذ الإمام منهجًا ما في قضية التصحيح، كالإمام ابن حبان يُدخل في صحيحه الذي يقال عنهم الثقات عنده على معنى ما، ويسميهم بعضهم بالمجاهيل، ولذلك للأسف اشتهر بين طلبة العلم بأن الإمام ابن حبان من المتساهلين والأمر ليس كذلك، وهذا يحتاج إلى بسط، ولكن أنا أجيب على هذا السؤال، الإمام ابن حبان من المتقدمين، الإمام الحاكم من المتقدمين، ولكن هؤلاء

المتقدمين ليسوا على مرتبةٍ واحدةٍ في النقد الحديثي، ليسوا على مرتبة واحدة، هناك من يتقدم هناك من يتأخر... إلخ.

إنما الحديث عندما نتكلم عن المتأخرين إنما نتكلم عن الإمام السيوطي، نتكلم عن السخاوي، وهكذا، نتكلم عن هؤلاء، ثم نتكلم عن بعض المعاصرين كالشيخ الألباني وهكذا، فهؤلاء للأسف كثيرًا ما يصححون أحاديث جزم أهل العلم مثل حديث (**الأذنان من الرأس**)، مثل حديث التسمية، انظر إلى تصحيحاتهم في حديث (**ولا وضوء إلا ببسم الله**)، أُنظر كيف جاءوا إلى ركن من أركان الوضوء الذي لو كان ركنًا؛ لأن صيغة اللفظ في قوله صلى الله عليه وسلم: (**ولا وضوء إلا ببسم الله**) هذا يفيد الركنية، وفوات الركن نسيانًا أو عمدًا يُذهب الفعل، فتصور أن ركن من أركان الوضوء الذي لا تصح الصلاة إلا به، فيأتي ويُجمع بمثل هذه التجميعات؛ فيجعلونه صحيحًا أو مقبولاً أو حسنًا، هذه الطريقة لا يقبلها العلماء المتقدمون لا يقبلونها.

وعلى كل حال فهذا بابٌ مهم وواسع ويكفي إلى هنا الحديث في ذلك، وأظن أن طلبة العلم يفهمون ما تكلمت به بأن الكلام هو كلام عن مراتب المتقدمين، فكلهم من المتقدمين ونقدهم للحديث نقد عالي جدًا، لكن لهم مناهج ينبغي هذه المناهج أن تراعى، ولا يجوز أن نلزمها بغيرهم، أي لا يجوز أن نلزم هؤلاء العلماء بطريقة غيرهم، لكن يبقى كل واحدٍ يحكم على الحديث بمنهجه الذي هو فيه، وأما المتأخرون فالكلام عن قضايا أخرى خالفوا فيها الأوائل كلهم، سواء خالفوا ابن حبان او ابن خزيمة أو الحاكم أو من كان على شاكلتهم من كبار الأئمة من أهل الصناعة الحديثية والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين.

٣٠٧- من سن في الإسلام سن حسنة

ضمن الجلسة الخامسة والعشرون، بتاريخ: (**٠٩/٠٥/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٢٥/٠١/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**من سن في الإسلام سنةً حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنةً سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء**)، يقول: متى يكون الفعل بدعة أو سنة حسنة؟ وما المقصود بفضائل العمل التي يقول بها بعض العلماء أنه يجوز العمل بالحديث الضعيف فيها؟

هناك سؤال آخر ندمجه وهو حديث: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي).

جواب الشيخ: بلا شك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في الحديث الصحيح: (**كل محدثةٍ بدعة**)، وهذا حديث: (**من سن في الإسلام سنةً حسنة**)، فظاهرهما التعارض، يقول صلى الله عليه وسلم: (**كل بدعةٍ ضلالة**)، (**ومن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**)، ثم يقول صلى الله عليه وسلم: (**من سن في الإسلام سُنةً حسنة**)، فإذن يقول صلى الله عليه وسلم: (**من سن**) هناك سنة حسنة يجوز للناس أن يحدثوا من السنن الحسنة التي يقول عنها العلماء وافقت الشرع، بل إن بعض أهل العلم جعل البدعة على مراتب الحكم المعروفة التي هي الأحكام الشرعية الخمسة، من: «الحرام، والمكروه، والمباح، والمستحب، والواجب أو الفرض»، والحديث يقول بنصه: (**كل محدثةٍ بدعة**)، (**ومن أحدث من أمرنا هذا ما ليس منه؛ فهو رد**) فكله مردود، فكيف نوفق بينهما؟

سبب حديث (**من سن في الإسلام سُنةً حسنة**)، يدل على المعنى؛ من أجل أن ننفي التعارض عن الحديثين، لا يجوز أن نأخذ بهذا الحديث دون أن نعتبر الآخر، ولا يجوز أن نأخذ بالأول دون أن نعتبر الثاني، لا بد من الجمع بينهما، والجمع هو بالنظر إلى سبب ورود حديث (**من سن في الإسلام سُنةً حسنة**)، سبب هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مع أصحابه فدخل قومٌ مُجْتَابِي النِّمَارِ عامتهم من مضر أو كلهم من مضر فكانت حالتهم شديدة وفقر شديد، مُجْتَابِي النِّمَارِ يعني يلبسون جلود الحيوانات بشكلٍ يُوضحُ ويُنبئُ عن

الفقر الشديد، فالنبي صلى الله عليه وسلم حض على الصدقة، قال: (**تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِن دِينَارِهِ، مِن دِرْهَمِهِ، مِن ثَوْبِهِ، مِن صَاعِ بُرِّهِ، مِن صَاعِ تَمْرِهِ، حتَّى قالَ: ولو بشِقِّ تَمْرَةٍ**)، فحضهم على الصدقة من أطعمتهم وألبستهم فجاء رجل يحمل صرة تكاد يده أن تعجز عن حملها بل قد عجزت، فألقاها بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ثم قام الناس فتسارعوا في إحضار هذه الصدقة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (**من سن في الإسلام سُنةً حسنة**)، ما الذي حدث؟ أين السنة؟

بلا شك أن الصدقة مشروعة في هذا الحديث وقبل هذا الحديث، الأمر بالصدقة مأمورٌ به في مكة قبل أن يستقر الإسلام بسلطانه في المدينة، فالصدقة إذن مشروعة، فما الذي وقع؟ ما هي السنة؟ إما أن تقع على معنى السنة أن النبي صلى الله عليه وسلم حض على شيءٍ مقرر فكانت لشيءٍ يُذكر به الناس من أجل حضور وقتها، فيكون هذا الحاض على أمرٍ قد قضى الشرع بوجوده واستحبابه، يكون هذا المذكر به عند ضرورته هو الذي سن؛ لأن السنة هو أن يأتي بالشيء إما أن يكون منسيًا فيحدث له جِّدة وإحداثًا جديدًا، وأما أن يحدث شيئًا لم يكن، فكون الصدقة لم تكن هذا الاعتبار غير موجود، فإذن هو حض النبي صلى الله عليه وسلم على فعلٍ قد شرع من قبل الشارع سابقًا ولكن جاء وقته، (**فمن سن في الإسلام سنة حسنة**)، يعني رجل يقوم موقف فالناس لا يعرفون ماذا يفعلون فيأتي رجل يذكرهم بحديث، فيكون قد سن.

يعني مثال ذلك: لما الصحابة رضي الله عنهم اختلفوا في حكم المجوس، ماذا يفعلون معهم؟ فجاء عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فقال: النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (**أنزلوهم منزلة أهل الكتاب**)، اعملوا معهم عمل أهل الكتاب، أحكموا فيهم حكم أهل الكتاب، إذن هو هنا ماذا؟ سن بمعنى أحدث هذا الأمر المنسي؛ لأن الشيء أما أن يكون موجودًا، ولكنه قد درس؛ فيأتي الآخر ويشق له الطريق فيسنه يجعل له طريقًا جديدًا، بعد أن كان موجودًا فدرس، وإما أن يحدث شيئًا لم يكن موجودًا فهذا المعنى الثاني غير موجود وغير حاضر، هذا معنى.

المعنى الثاني الذي يدل عليه الحديث وهو أن الرجل الذي طبق الحديث أول من طبقه، يعني أوقع النبي صلى الله عليه وسلم من سن في الإسلام على فاعله، هذا الحديث قاله النبي صلى الله عليه وسلم فمن طبقه في الأول له أجره وأجر من عمل به؛ لأن هذا المعنى على من أحياه لفظًا والثاني على من أحياه عملًا؛ لأن الذي

يحدثه عملًا الناس يقتدون به كما يقتدون بمن أحدثه شرعًا أو أحدثه أمراً وقولاً، فإذن الحديث **(من سن في الإسلام سنة حسنة)**، بمعنى السنة العملية تلك الأولى السنة التشريعية التذكيرية، الثانية السنة العملية بعد السنة القولية يأتي العملية، الناس لا يفعلون هذا الأمر حتى لو كانوا يعلمونه لأسباب؛ فيحدثه عملًا.

ومثال ذلك: ما فعله الفاروق رضي الله عنه في صلاة التراويح أو صلاة القيام فإن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في الناس قيامًا في رمضان لكن لم يخرج إليهم في الثالثة أو الرابعة ومنعه من ذلك مخافة أن تفرض عليهم، هذا المانع رُفع إذن عاد الأمر إلى السنة، ماذا فعل عمر رضي الله عنه؟ أحياه فعلاً، فكان مُحييًا للسنة فهو من سن في الإسلام، ومن هنا قال: «نعمة البدعة هي»، بمعنى أنني أحدثت سُنة قد سبق القول بها، ولكن أتيت بها على وجهٍ جديد من الفعل فبقي إذن بقي الأمر على هذا، والثاني على ماذا؟ على من يحدث في الدين.

والبدعة شرطها إحداثٌ في الدين وليس في الدنيا، عائشة رضي الله عنها تقول: أول ما أحدث الناس المناخل، يُنخّلون، كان ناس يأكلون طعام وعامة طعام أهل الحجاز هو الشعير وأما القمح كان قليلاً يأتون به من الشام، فيأخذون هذا الشعير ويطحنونه ثم يخبزونه، ثم الناس عملت المناخل حتى يخرج هذا القليل الزوال من قشره فهذا هي سمتها بدعة؛ لأنها شيءٌ جديد وليس البدعة الدينية، هنا هذه بدعة لغوية لكل شيءٍ أحدث، والناس يحدثون هذا، فالسيارات محدثة وهذه جائزة لأنها ليست في الدين وشرط البدعة أن تكون في الدين، وهذه ليست بدعة، فإذن **(كل محدثةٍ بدعة)**، **(من أحدث في أمرنا)** يعني الدين، فيبقى هذا المعنى قائمًا على إطلاقه ويقيد بمن سن في الاسلام سنة بهذا المعنى.

لكن لماذا يأتي الإمام الشافعي رحمه الله وهو الإمام العظيم، فيقول: يمكن أن تكون البدع حسنة، ويمكن أن تكون واجبة؟ بدعة واجبة، يقول: البدعة تدخلها الأحكام الخمسة، وهكذا ها قول الشافعي ثم يجري بقية الأئمة عليه كالعز بن عبد السلام وغيره، الجواب: هو ما تقدم في أنهم لا يجعلون البدعة بما أحدث الناس.

يعني مثلًا: عندما نأتي إلى الإمام والشيخ ونقول له: اضرب لنا مثالًا على البدعة الواجبة يقول: الأربطة، الرباط معروف طريقة الجهاد عند الجاهلية وفي زمن النبي صلى الله عليه وسلم وفي بداية الإسلام لا يوجد رباط، لا يوجد أماكن يصطف بها الإسلام ويمنعون الدخول إلى أرضهم وإلى غير ذلك، لكن هذه الأربطة قد أُحدثت، كتابة كتب العلم، إذن هو لا يتحدث عن البدعة في الدين أن يُحدث دينًا جديدًا وأن يحدث شريعةً

جديدة، إنما يحدث من الوسائل ما يحقق مقاصد الشريعة، الوسائل التي أطلق الشارع حكمها فهي على سبيل الاستحباب، إما الجواز أو الاستحباب أو الوجوب.

لكن قد يحدث الناس من البدع الضالة وإن لم تكن في الدين، بدع ضالة الناس يفعلونها وتجد الفساد فيها، مثلاً: ما يحدث الناس من الأمور التي تُيسر على الناس دينهم مثل صناعة الميضأة، هذه سُنّة حسنة لأنها سهلت على الناس وضوئهم، مثل بيوت الخلاء، تعرفون قديمًا كيف كانوا، أهل الحجاز لا يعرفون بيوت الخلاء، لكن لما كثرت المدن ومُصّرت فالناس كيف يذهبون إلى الخلاء في الخارج، فأحدثوا بيوت الخلاء في بيوتهم، المراحيض وهكذا.

فالمقصود بالبدعة هو ما كان في الدين، ومثال ذلك البدعة في الدين: أن تحدث أفكارًا غير شرعية، مثل الذكر المفرد، يقولون لك: جائز، من أين جائز؟! إما الذكر مستحب أو واجب، لكن أن تقول: «الله، الله» جائز! من أين أحدثتم، قالوا: أصل الأشياء الإباحة، هذا يدخل فيه قوله صلى الله عليه وسلم: **(من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه؛ فهو رد)**، هذا يريد أن يتعبد الله عز وجل، كيف تتعبد بشيءٍ لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم! وهم أعبَدوا الناس وأكثر الناس تقوى وإخبات لله عز وجل، فلو كان هذا من التعبد الذي يقرب إلى الله عز وجل؛ لسبقونا إليه، «فعليكم بالأمر العتيق وإياكم وبنيات الطريق».

ولذلك الصحابة رضي الله عنهم نهوا عن بدع كثيرة تحدث في زمانهم لم يفعلها الصحابة رضي الله عنهم، ولكن الناس كانوا يحدثونها فيردون عليهم؛ لأنها تتعلق الدين، فهذا هو المقصود، المقصود هو أن البدع التي نهى عنها الشارع هي البدع التي تتعلق بالدين، واحد يحدث صلوات، جديدة كيف في الصلاة!! لكن مطلق الصلاة مطلوبة، **(الصلاة خير موضوع فمن شاء منكم فليكثر)**، لكن أن يحدث صلوات، أن يجمع الناس على صلوات معينة في أوقات معينة وهي التي تسمى بالبدعة الإضافية، يعني هي جائزة من جهة أنها في أصلها، ولكن بوصفها قد جعلها الناس مربوطة، ربطوها، فالنبي صلى الله عليه وسلم نهى مثلاً عن إحياء ليلة الجمعة وتخصيص يوم الجمعة بقيام أو صيام، لماذا؟ لأن هذا وإن كان الأصل في الصيام الاستحباب والأصل في القيام يعني الاستحباب، لكنه قرنه بشيءٍ لم يقره الشارع في وقتٍ لم يرده الشارع على معنى الاستحباب، هذا أن تستحبه وأن تقرنه وأن تديم عليه؛ فيقع في قلبك من هذا المعنى أقرب إلى الله عز وجل، من غير أن يُبيّنه الشارع

على هذا المعنى، هذا مرفوض، هذه هي البدعة.

بقي السؤال الآخر، فضائل الأعمال: نعم المقصود بفضائل الأعمال التي يروى فيها الضعيف ليس المقصود ضعيف المنكر وليس المقصود شديد الضعف، المقصود به الحسن، فبعض أهل العلم يرى أن الحديث إذا ضعفت مرتبة تصحيحه فإنه يحتج بفضائل الأعمال، والناس يحتاجون إليه في حال، كما قال الإمام أحمد رحمه الله: «المنكر منكر والضعيف يحتاج إليه في وقت»، فهذا الحديث الذي ليس فيه نكارة قد يستخدم من أجل الموعظة، فهذا لا بأس بذلك، لكن أن يأتي بحكمٍ جديد وفعلٍ جديد، لا، هذا لا يجوز، والعلماء اشترطوا في الحديث الضعيف في فوائد الأعمال أن لا يأتي بشرعٍ جديد وألا يشتد ضعفه، وألا يعتقد عامله عند هذه الشروط التي ذكرها الإمام ابن حجر رحمه الله، وألا يعتقد العابد في هذا الحديث عند فعله، ولم يتحدث عن الحديث الضعيف عند المتأخرين، وإنما الضعيف يقصد به عند المتقدمين كما يقول كثير من الأئمة هو الحديث الحسن، والحسن كذلك درجات يعني لا نعطيه مرتبة، الحديث الذي ضعف إلى درجة الحسن في مرتبته الدنيا واقترب من الضعيف ولكنه أعلى منه قليلًا، فهذا يسميه كثير من العلماء بالضعيف من المتقدمين، ويسميه كثير من العلماء المتأخرين بالحسن، فهذا يحتج به في فضائل الأعمال ونحتاج في وقت بل أن حديث الضعيف يحتاج إليه في وقت لمن اختلف العلماء فيه، كما هو الوليد بن مسلم، كما هو حديث ابن لهيعة، فهؤلاء أحاديثهم وإن ضعّفت في الأحكام لكنها تقبل في فضائل الأعمال.

الحديث الذي سأل عنه أحد الإخوة: **(عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهددين من بعدي)**، هذا حديث من الأحاديث التي اختلف فيها أهل العلم قديمًا وحديثًا، الإمام الترمذي رواه وقال حَسنٌ صحيح، وكثير من أهل العلم يضعفونه ويعتبرونه نموذجًا لما يسمى بالإرسال الخفي، وهذا الأقرب، في الحقيقة من قرأ هذا الحديث وقرأ أسانيده وكلام أهل العلم عليه؛ رأى أن فيه هذه العلة الخفية التي ربما، يعني لا يطلع عليها أو لا يهتم لها أو لا يراها الإمام الترمذي، فيصححون هذا الحديث، وحكم عليه بالحُسن والصحة الإمام الترمذي رحمه الله، وأما كثير من أهل العلم فيرونه من الأحاديث الضعيفة.

ومن هنا يترتب عليه هل سنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي هل هي من المحضوض عليه؟ يعني هذا **(عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي)** وهذا يدخل فيما تقدم، المقصود: إن صح

الحديث (... **بالخلفاء الراشدين من بعدي**)، المقصود به ما تقدم وهو أنهم أول من أحيوا السنن عملًا لكثير من السنن هم أحيوها، كما فعل أبو بكر رضي الله عنه مع قتال المرتدين، كما أحيا عمر رضي الله عنه صلاة القيام في جماعة، فهذه السنن كانت مشروعة في الأصل ولكنهم أحيوها فعلًا، وإما أنهم أتوا بتطبيقات لهذه السنة على وجهٍ ما علم الناس وجهها، فيدخل في هذا الباب، وليس كما يظن البعض أن الصحابة رض الله عنهم لهم الحق في أحداث الأحكام على وجهٍ جديد!! هذا ليس لهم ولا لغيرهم، والناس كانوا ينازعونهم، لما أراد أبو بكر رضي الله عنه أن يجمع المصحف؛ نازعه الناس لأنهم لا يرون الأصل، حتى رأوا أن الوجه، وجه القول به أقوى من المنع، فدل على أن الصحابة رضي الله عنهم لم يكونوا يرون لأبي بكر الحق في أن يُحّدث شرعًا، ولا لعمر رضي الله عنه أن يُحّدث شرعًا، ونازعه الصحابة رضي الله عنهم في قضية سواد أهل العراق في موضوع الخراج؛ فدل على أنهم لا لم يكونوا يقيمون لأقوالهم مقام التشريع الأولي الذي يظنه البعض، هذا ما أقول وبالله التوفيق والحمد لله رب العالمين.

٣٠٨- كلمة في فريد الأنصاري

ضمن الجلسة الخامسة والعشرون، بتاريخ: (**٠٩/٠٥/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٢٥/٠١/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل أخ يقول: نرجو منكم شيخنا الفاضل كلمة عن الشيخ المغربي الدكتور فريد الأنصاري حول منهجه الإصلاحي والفكري والتربوي.

جواب الشيخ: يعني أنا لم أكن أعلم عن هذا الشيخ شيئًا، وقد كثرت حوله الأسئلة؛ فاضطررت أن أذهب -من أجل أن تجيب على سؤال فتتكلف الكثير- فذهبت وأحضرت ما استطعت من كتبه ولم أحضر قصصه، وقرأت في كتبه وكتبت كُليمة عن كتابٍ له في قضية أظن عن الحالة الإسلامية وموضوع السياسة واختراق السياسة للمفهوم الديني، وقرأت كذلك مجالسه في القرآن وكُتبًا أخرى فيها...

القصد: الذي رأيته في الدكتور رحمه الله -هو توفي كما تعلمون- الذي رأيته في كتبه الاهتمام الشديد في الناحية التربوية وهذا شيءٌ مهم، مرات الناظر للحالة الإسلامية عن بعد أو عن قرب في الحقيقة يجد أن هناك نضوبًا في اهتمام الحركة الإسلامية في ناحية التربية والعبادة والإخبات، وربما من يراقب بعض نشاط الحركات الإسلامية يجد أنها تميل إلى تربية أفرادها على أعمالٍ فكرية ما أو أعمال سلوكية ما، بحيث تتضخم هذه الأعمال السياسية والفكرية وتنضب الحالة التعبدية، هذه نقطة.

النقطة الثانية: هناك من يريد أن يُنشئ الحالة التربوية بعيدًا عن المصدر، عن الكتاب والسنة، وهؤلاء نجدهم من الصوفية، يعني يريد أن يربي السلوك الإسلامي والشباب الإسلامي على السلوك الديني وعلى الإخبات والتعبد، ولكنه يبتعد في التربية عن الكتاب والسنة؛ فتجده يهتم بنشر الكتب التي تربي تربيةً صوفية.

الأمر الآخر: نجد كذلك بأن كثيرًا ممن فسر الإسلام، ليس فقط في السلوك، ولكن في قضية المنهج فسَّره تفسيرًا سياسيًا يعني مغاليًا فيه.

الذي أدركته من كتب الشيخ الدكتور فريد الأنصاري رحمه الله، أنه يريد أن يُعيد حالة التعبد والإخبات لما

يسمى بالحركة الإسلامية، وأنه يريد أن يُعيد هؤلاء الشباب إلى مائدة القرآن، ولا شك أنها مهمةٌ عظيمة، وأن هذا المقصد مهما تكلم فيه المتكلمون فإن المرء يشعر بأن الناس تقصر كلماتهم وجهودهم عن بلوغ هذه المرتبة التي كان عليها الصحابة رضي الله عنهم أو كان عليها التابعون رحمهم الله.

أنا قرأت مجالس القرآن للشيخ، أنا أعرف كيف تضعف الأدوات عن بلوغ المآرب والنيات، هذه أعرفها تمامًا، يعني يكون في نفس الْمُتكلم أشياء عظيمة، ولكنه حين يأتي إلى هذه الأشياء العظيمة يكتبها تتحول إلى هياكل صغيرة، هذا الذي أدركته ورأيته في كلام الشيخ وحالة الشيخ الأنصاري.

أنا أؤمن أن نفسيته وأن رُقيه الذاتي كان أعظم من كتاباته، -رجعنا إلى المغاربة مرةً أخرى، لكن لا بأس، العلم لا يُرد لا بالاستحياء ولا يُردُ بالخشية، لا يُخاف من إظهار العلم ولا يُستحيى من إظهاره-.

أولاً: أنا بلا شك لا أعرفه قديمًا وربما هذه الكتب صدرت والعبد بعيد عن مراقبة التطورات والكتب والإصدارات العلمية، ولكن لما قرأت وجدت كثيرًا من أهل العلم من الإخوة خاصةً يحثونني على أن أجيب من هو هذا الرجل؟ فكنت أجيبهم: لا أعرفه في الحقيقة، حتى ذهبت فقرأت ما استطعت من كتبه إلى الآن، وإن كنت أحب أن أقدر أن أحصل كل كتبه، ليكون الحكم تامًا، وأنا أحب مثل هذه الشخصيات أن أقرأ لها كلها، خاصةً أنها شخصيات غريبة، يعني أنا استغربت بأن له قصصًا تربوية، له روايات، وأنه في إحدى قصصه تكلم عن الشيخ سعيد النورسي، وأنا أعتبر الشيخ سعيد النورسي بلا شك من المجاهدين العظماء الذين وقفوا أمام عملية التغريب القهرية والمجرمة التي مارسها كمال أتاتورك،

للذكر قلت لأحد الإخوة كلمة: إذا وفق الله العبد أقامه في المعركة الصحيحة، بعض الناس مساكين، بعض الناس يختارون المعارك الخطأ، دائمًا اكبَر، النبي صل الله عليه وسلم قال: (**إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس الأعلى**)، بمعنى هذه دعوة لك أن تكبر معركتك، أن تكبر مطالبك، انظر للنفسية العظيمة لعمر بن عبد العزيز كيف تحدث عن نفسه، في نهاية الأمر وجد أن المطلب النهائي الذي ينبغي ألا يفوته هو أن يطلب الجنة، فعليك أن تكون على هذا المعنى.

فأنا يهمني أن أنظر ابتداءً ما هي معركة المرء؟ فإذا قام بمعارك هكذا، معارك الخبايا الخفية التي الناس لا يعيشونها ولا يُدفع فيها الثمن، معارك باردة، فأعرف أن الله لم يرد به الخير، وهناك أناس يحبون عمل الضجيج

لمعاركهم اللفظية، ولكنهم لا يكبرون، لا يكبرون، الله ربي قلوب جل في علاه.

فسعيد النورسي ممن أقامه الله لمعركة عظيمة، لا يهمني أن تقولوا: انظر للأتباع، انظر لكذا... هذا موضوع ثاني لا أتحدث عنه، أتحدث عن الشخص أن معركته كانت معركة تثبيت التوحيد وتثبيت العقيدة، تثبيت مفهوم حكم الشريعة في وقتٍ كان الذي يرفع صوته يُستأصل من قبل المجرمين الأتاتوركيين.

القصد من هذا: أنه كتب قصة، أتمنى أن أقرأها، لا بأس، لأنني أعتقد بأن القصة هي إحدى أدوات الدعوة إلى الله عز وجل، يعني أنا أشكر لنجيب الكيلاني ما قام به، أشكر لعماد الدين خليل ما كتبه، أشكر لقبله، لتيمور، يعني أنا أحب هؤلاء ويعيشون للأسف، يعيشون بلا تقدير أنهم فقهاء وعلماء كتبوا القصة، وقد عبر عن هذا الألم الشيخ المربي الكبير عليّ الطنطاوي؛ فالناس لا يعدونه لا فقيهًا ولا يعدونه لا أديبًا، لأنه إذا ذهب إلى الأدباء قالوا عنه: فقيه، وإذا ذهب إلى الفقهاء قالوا عنه: أديب، فيضيع بين هذين الحدين، ولكن بلا شك أن الرواية والقصة نحن نحتاجها، نحتاجها جداً.

نعود إلى الشيخ فريد الأنصاري.

فهذا التنوع أنا أحبه، وهذه الإحاطة أن يتكلم في القرآن، أن يتكلم في الفكر، أن يتكلم في الأدب، ثم تجد ميزة عجيبة وهي الاهتمام بالإخبات، هذا النوع من الناس أنا أحبهم، وأقرأ لهم، وحتى لو وقعت منهم بعض الهِنات أفهمها لأننا بشر، يعني بأكثر من الصراحة أنا لما قرأت «مجالس القرآن» لم أهتم لكيفية محاولة الشيخ أن هل بلغ أو لم يبلغ لمراده، لكن تحسست وتدسست إلى مقاصده، فوجدت مقاصد عظيمة، هل بلغها في الكتاب؟ أنا عندي لم يبلُغها، ولا يبلغها غيره، أي في زماننا، تحتاج إلى قدرات عظيمة، ولكن فهمت أن مقاصده عظيمة، وأن هذا النظر إلى القرآن بحيث يشرق على القلب، عندما يتحدث في كتابه -الآن تذكرت كتابًا آخر قرأته له وهو كتابه عن الصلاة عن حالة الجمال في الصلاة- يعني أنا لما قرأته لم أتمتع به المتعة التي أجدها عند من يتكلم في الأدب في حالته العالية مثلاً، يعني لم أجد عنده ما وجدت عند الرافعي مثلاً، ولكن أنا أفهمه، أنا أفهمه بأنه يعيش حالة من الرُّقي وحالة من التعبد وحالة من الإخبات وحالة من الإحسان يريد أن يعبر عنها فحينئذٍ الناس يتفاوتون.

هو على الجملة من يكتب كُتبًا كبيرة في هذا الباب قد لا يصيب كثيرًا، إنما هذه إشراقات نجدها عند علمائنا السابقين إشراقات ومضات كلمات سريعة كأنها قذائف ثم تذهب وتعود مرةً أخرى، وهكذا.

أن يجلس المرء وراء الطاولة ليكتب كتابًا عن حالات المعاني التي تصببوا قلب العابد والمصلي والذاكر، أن يكتب كتابًا يعني هذه سيكون فيها بعض التكلف، وهذا ليس من الذم، ولكنه شرحٌ لحالةٍ إنسانية يعيشها كل واحدٍ مننا، هو ما الذي يحدث مع الكاتب؟ يحدث بأنه يُحس هذا المعنى ويريد أن يبثه! هو يبثه في سطر أو سطرين كما السلف يفعلون هذا، لكن هو يريد أن يؤلف كتابًا فيبدأ بالتجميع، والأخطاء، والضعف.

على كل حال أرجو أن أكون قد بيّنت، هذا الرجل يجمع بين خصلتين محاولةً إعطاء الفكر مع أني لا أراه في هذا الباب على المراتب العُليا، ولكنه بلا شك وهو مات مبكرًا يعني فلو كبر وطال عمره، نسأل الله أن يتقبله وأن يعطيه أجره، لربما أتي بأشياء أكثر مما تكلم به.

بدايته: كتاباته لا أعتبرها هي البدايات، أعتبرها مرتبة ثانية بعد البدايات، ولكنها ليست في المراتب العُليا في هذا الباب، هذا حكمي ومع ضعفي ولو قيل لي: افعل مثله، لا أستطيع! أنا أتكلم.

قيل لابن المقفع: أنت تنقد الشعر ولا تكتبه! قال: أنا كالمسن أحد ولا أقطع، المسن الذي يسن به السكاكين، لا يُقطع به لكن يُحد السكاكين، فكذلك الناقد..

فلا يقل أحد: افعل مثله! لا أستطيع أن أفعل! لكن لا أعتبر الشيخ فريد إلا في المرتبة الثانية، ولكن لم يصل إلى المراتب العُليا سواء كان في الإبانة عن نفسه فيما يحس في معاني إيمانية، أو في نقده الفكري العميق فيما يكتب، ولكنه وبلا شك أنا أحس بأنه فيه خير عظيم، وقراءته تفيد المرء من جهة عقله ومن جهة قلبه، نسأل الله عز وجل أن يلحقنا به مع الصالحين ويغفر لنا وله، والله عز وجل يغفر لنا وله.

والحمد لله رب العالمين.

٣٠٩- تسمية الأشاعرة بالجهمية

ضمن الجلسة الخامسة والعشرون، بتاريخ: (**٠٩/٠٥/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٢٥/٠١/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ من الصومال يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته -وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته- أحبكم في الله شيخنا -أحبك الله أخي وبارك الله فيك- يسأل سؤالين، لنجيب على السؤال الأول أولاً: في هذه الآونة الأخيرة رأيت ظاهرة في بعض الطلاب يرون أن علماء الإسلام الذين ينتسبون إلى الأشعري أو ربما يوافقونهم في بعض المسائل كتأويل الصفات أو التفويض، يقولون عنهم: جهمية، وقل عالم من العلماء يسلم منهم شيخنا وهل هؤلاء الإعلام يعذرون بالاجتهاد؟ وهل يعذر من أدى اجتهاده إلى خطأ في الاعتقاد؟

جواب الشيخ: جزاك الله خيرًا على السؤال، أولاً أخي الحبيب تسمية الأشاعرة بالجهمية هذا جهل وغلط، المعتزلة ليسوا جهمية، أنا سأعيدك إلى كلام ابن تيمية رحمه الله، الجهمية شرٌ من المعتزلة، تصور!! والأشاعرة خيرٌ بدرجات وأميال من المعتزلة، فهل يجوز لأحد على هذه الحال من الاعتقاد على الأشاعرة أن يسمى بالجهمية؟! المعتزلة يؤولون الصفات ولهم مسالك في قضية إثبات الخبر، الجهمية لا يفعلون هذا.

فبالتالي؛ تسمية الأشاعرة بالجهمية ظلم، وليس من العدل، والمطلوب في مثل هذه المصطلحات والأحكام وهذه الأسماء بأن يُتعامل معها بالعدل والإنصاف والعلم، وليس بقضية الجهل، وقضية الظلم؛ لأنه قد يقع المرء في معصية فيظلمه الآخر فيكون هو الظالم هذا آثمًا، وهو يزعم أنه يقيم حكم الله في هذا العاصي.

نحن لا نشك بأن مذهب التأويل مذهبٌ لم يكن عليه السلف، بل إن الأشعرية عليهم رحمة الله على ما فيهم من خير ونصرة للإسلام، بأنهم يقولون: بأن التأويل مذهبٌ حادث، لم يكن في زمن الصحابة رضي الله عنهم، ويقولون: اضطر إليه أهل العلم من أجل الدفاع عن عقائد إسلامية بسبب ما نشأ من فتن وبسبب ما نشأ من دخول علم الكلام على العقائد، يعني صار الكلام في العقائد يدور حول طريقة علم الكلام، وهو الكلام في الإلهيات وفي النبوات وفي السمعيات.

فإذن الأشاعرة يعترفون: بأن مذهب التأويل هو مذهبٌ حادث، ولم يكن في زمن الصحابة رضي الله

عنهم، فبقي مذهب التفويض والكلام عليه طويل ولا شك أنه من العار والعيب أن نقول: بأن أسماء الله عز وجل وأن صفات الله عز وجل غير مفهومة المعنى، وأنها تجري مجرى الحروف المقطعة في بداية القرآن، هذه الصفات التي أفاض القرآن والسنة في ذكرها عن الله عز وجل، فقط تقرأها هكذا لئلا نفهم معناها، ولا شك أن هذا القول لو تصوره الداعي والعالم والعابد على معنى صحيح لرده.

إذن المطلوب: هو أن نتعامل معها بتعامل العربي معها، عندما خوطب بها؛ ماذا تعني، وهذا الكلام أفاض فيه أهل العلم، وأحسن ما كُتب فيه هو «الرسالة التدمرية» لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، رد عليها ردودًا كافية إن شاء الله لطالب العلم، وهو أن القول في الصفات كالقول في الذات، وأن القول في أي صفة هو كالقول في بقية الصفات.

فالذي يثبته الأشاعرة يثبتون أن هناك صفات لله عز وجل، صفات المعاني السبعية يثبتونها، فحين إثباتها ينبغي أن يجر هذا الإثبات على بقية الصفات، وما يدفعون عن هذه الصفات من تهم ومن بدع النُفاة، كذلك بهذه الدفوعات يُصلح رد ما يردونه من صفات أي أقصد الأشاعرة.

وبالتالي؛ ينبغي أن نتوقف أولاً: بأن الأشاعرة جهمية؛ هذا انحراف وجهل وظلم، المعتزلة ليسوا جهمية.

ثانيًا: بأن قول الأشاعرة في موضوع الأسماء والصفات ليس على الهدي المطلوب، ولكن الأشاعرة يعظمون الأثر ليس على طريقة غيرهم، يعظمون الأثر وحتى إمامهم النهائي الذي يأخذون منه صاحب «الأربعين في أصول الدين» و«أساس التقديس»، وهو الرازي؛ يبتدئ كلامه في إثبات التأويل بالأثر، وأن التأويل هو دين من تقدمه من الأئمة، فيبدأه بالأثر، فهم ليسوا خارج دائرات اتباع الكتاب والسنة فيما يظنون ويصيبون، ولذلك نحن نقول: بأن لهم التأويل.

المطلوب منا: أن نتعامل مع هؤلاء كما تعامل سلفنا مع الأشاعرة، وكما تعامل العلماء مع الأشاعرة، ومع كبار المتكلمين، فنتعامل معهم باحترام وتقدير ودعاء لهم وأخذ العلوم النافعة منهم، وقد يكون الرجل أشعريًا في باب، ولكنه عالمٌ عظيم في الحديث كما هو شأن علماء كبار تأثروا من الأشعرية كما هو الإمام النووي، وابن حجر، وابن دقيق العيد، والإمام السُبكي، فهؤلاء أئمةٌ كبار نأخذ منهم العلوم النافعة ونتجنب ما أخطأوا فيه وندعو لهم، ونحن وإياهم في سبيلٍ واحد عندما يكون الإسلام هو المستهدف، عندما تكون معركتنا بين الإسلام

وغيره هذه الخطوط الداخلية يجب أن نتجاوزها ونقف صفًا واحدًا أمام هؤلاء الأعداء.

وأعجبني هذا المعنى الموجود بين طلبة العلم وبين الكثير، مع أن هناك للأسف من الجهلة من لا يفرق بين معركة الإسلام الكبرى مع أعدائه، وبين خلافه مع إخوانه المسلمين تحت سقف الإسلام في مثل هذه المسائل، لكن على الجملة الأغلب يعتبرون هذا الباب ويحترمونه، وكذلك هؤلاء ينبغي أن يثرب عليهم وأن يخالفوا بمقدار ما هو فيه، ولا يزيد المرء لئلا يكون ظالماً، فهذا من باب العدل والإنصاف في التعامل مع المخالفين.

هذا وبالله التوفيق والحمد لله رب العالمين.

٣١٠- أحكام اللعن

ضمن الجلسة الخامسة والعشرون، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٥/٠٩هـ الموافق لـ: ٢٠١٨/٠١/٢٥ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: شيخنا اختلف الإخوة في حكم اللعن، فأنكر أحدهم على الآخر لعنه لأشخاص مسلمين سفكوا دمًا حرامًا؛ فأجابه الآخر بأنه يجوز لعن المجرمين، فرد صاحبه أن اللعنة لا تجوز حتى على الكافر المعين في حياته، وتجوز على العموم لقول الله تعالى: ﴿فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٨٩)﴾ [البقرة: ٨٩]، فما قول الصواب في هذه المسألة أثابكم الله؟

جواب الشيخ: نقول وبالله التوفيق بأن هناك خلاف في لعن المسلم الْمُعين، أما لعن الكافر الْمُعين فهذا الخلاف فيه يسير، موجد الخلاف واطلعت على بعض أقوال أهل العلم تمنع لعن الكافر الْمُعين بعد وفاته، تمنع لعنه في الدنيا مادام احتمال إسلامه قائمًا، وأما من مات وثبت موته على الكفر ولم يسلم فلعنه جائز، هذا موجود هذا الخلاف بين أهل العلم، ولكنه مرجوح وقليل الأثر.

والصواب: هو لعن الكافرين على الجملة، ولعن الظالمين على الجملة، ولعن الفاسقين على الجملة، ولعن شاربي الخمر على الجملة، ولعن المائلات المميلات على الجملة، وأما لعن الكافر في حياته في الحياة الدنيا فجائز، إذن حددنا لعن الكافرين والظالمين والفاسقين وأصحاب المعاصي جملةً الذين لعنهم الله عز وجل ولعنهم رسول الله صل الله عليه وسلم، فهذا لا توقف فيه، ولا يجوز التوقف فيه.

ولكن يبقى لعن الْمُعين، الكافر الْمُعين الخلاف فيه يسير، والصواب: لعنه، يعني أن يلعن مثلاً: ترامب فهذا كافرٌ، وأمثاله ممن تعين كفره أو ردته أو زندقته، فلو لعن خامنئي فلا شيء في ذلك هو من الزنادقة، وهكذا.

ولكن يبقى لعن المسلم الفاسق الملي عينًا، يعني الذي يدخل في ملة الإسلام وعمِل عملاً من أعمال الفسق والفجور، فهل يجوز لعنه؟ المعروف أن اللعنة هي الطرد من رحمة الله، وهي أشد ما يقع على العبد حين يغضب الله عز وجل عليه، فالله عز وجل لعن إبليس وطرده، فاللعن هو الطرد من رحمة الله، ومن هنا فالعلماء

يتحرجون كثيرًا في لعن الْمُعين حتى لو أتى بالمعاصي، ويكتفون باللعن العام كما ما تقدم، وأما لعن الْمُعين فيقولون: ربما يتوب ولا تعن الشيطان عليه، يعني لما لعن خالد رضي الله عنه وهو يرجم الحجارة، فقال صلى الله عليه وسلم: (**لا تعن الشيطان عليه**)، فنهى الرسول صل الله عليه وسلم عن لعنه مع أنه زانٍ، والزناة يلعنون عمومًا، فهذا مما تحرج فيه أهل العلم، وبمثل هذا النص الذي تقدم بنهي النبي صل الله عليه وسلم خالد رضي الله عنه عن لعن هذا المرجوم، قالوا: بأن لعن المسلم المعين لا يجوز، وعليه جماهير أهل العلم، فجماهير اهل العلم يرون أن لعن المسلم المعين الفاسق إذا فسق وأتى عملاً من الأعمال التي لعنها الله عز وجل ولعن فاعلها على العموم؛ فنهى عن لعنه وقالوا: يكتفى باللعن العام.

ولكن كثيرًا من أهل العلم يرون جواز لعن المعين على معنى التبكيت له، وعلى معنى الإبعاد له، والبراءة من فعله، أن يُبكّت وأن يُساء له وأن يضيق عليه، قد تكون اللعنة في التضييق عليه والإساءة إليه والتبكّيت وإبعاد عن صحبته وقربه وردعًا للآخرين أن يأتوا هذا الفعل، يعني هذا زجرٌ وكذلك الردع، واحتجوا بأحاديث الرجل الذي كان يُؤذى من قبل جاره فاستأذن النبي صل الله عليه وسلم فأخبره بأن يخرج متاع بيته ويضعه على الطريق، فكان الناس كلما مروا عليه سألوه عن حاله شكا لهم سوء أخلاق جاره؛ فجعلوا يلعنونه، حتى جاء جاره فأرجعه، قال: فلعنوه.

وكذلك النبي صل الله عليه وسلم أخبرنا عن النساء العاصيات الفاسقات اللواتي يخرجن من بيوتهن متبرجات، فقال صل الله عليه وسلم: (**العنوهن فإنهن ملعونات**)، فقال بعض أهل العلم: هذا يدل على أنك تلعن هذه المرأة فتقول لعنك الله، يا ملعونة، وهكذا، وهذا ليس على اللعن الذي لعنه الله عز وجل به إبليس، فاللعن وكل الأدعية وكل الأحكام مراتب، فيقولون: بأن هذا اللعن هو على هذا المعنى الذي تقدم من الزجر والتبكيت والردع والهجران، وفيه الايذاء؛ حتى يرتدع عن هذه المعصية التي يأتيها وهذا قولٌ صائب.

لكن لا ينبغي للمرء –هنا يُنبه– لا ينبغي للمرء أن يكون لعانًا يعني تجد بعض الناس يكثرون اللعن بمناسبة وغير مناسبة، وهذا الذي رأيناه من اللعن لمن لم يرتدع بغير اللعن، كأن يوعظ فلا يرتدع أو أن يجاهر، كالمرأة التي تخرج متبرجة، هذه تجاهر بالمعصية فتُلعن، لكن هناك بعض الناس من هو يستتر في المعصية فلا يجوز أن يُلعن، هناك من يأتي المعصية على غير جهة الدوام والإصرار فهذا لا يُلعن، ومن هنا فينبغي على المسلم ألا يكون

لعانًا، ونهى رسول الله صل الله عليه وسلم أن يكون المرء لعانًا، ووصف نفسه بأنه ليس باللعان، والأئمة كذلك كانوا على هذا الهدي، فالإمام أحمد رحمه الله قيل له: لماذا لا تلعن فلانًا؟ من قبل ابنه يعني ابنه قال له: لماذا لا تلعن فلانًا؟ قال: أعهدت أباك لعانًا، فلذلك لا ينبغي على المرء أن يكثر اللعن، وأن يكون اللعن على لسانه على المجرى الدائم الذي يسقط قيمة هذه الكلمة.

وكذلك ننبه على لعن الآباء لأبنائهم عندما يغضبون عليهم يلعنونهم أو الأمهات لأبنائهن، فهذا كله من الشر والانحراف وهو بلا شك أنه من المعاصي التي ينبغي هجرها، فهنا ننبه على أن هذه أحكام -إذا أجزنا- وهو جائزٌ إن شاء الله لعن الْمُعين من أصحاب المعاصي الكبيرة والتي يُجاهر بها والتي يُصرون عليها، فإن هذا لا يعني بأن يتخذ المرء اللعن سيرة لسانٍ يداوم عليها؛ فيصبح فيه وصف اللعان، وتسقط قيمة كلامه في هذا؛ لأن اللعن دعاء، اللعن هو دعاء الطرد من رحمة الله، فأنت تدعو الله أن يلعنه وأن يبعده، والمرء إذا كان على هذا لا بد أن يكون منه الشر الكثير، وحين تجري الكلمات على لسانه على الدوام حين إذن تسقط قيمتها ولا يكون لها أثر، كذلك ربما تجري على من لا يستحق من اللعن، أو من كتب الله له التوبة، فينبغي التحرز في هذا، والتعامل في هذا الباب على قدرٍ ضيقٍ جدًا، جدًا، هذا الذي هو في هذا الباب.

والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين.

٣١١- حكم هجر المبتدعة

ضمن الجلسة الخامسة والعشرون، بتاريخ: (**٠٩/٠٥/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٢٥/٠١/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: قرأت في كتابك «صبغة الله الصمد»، أنه لا يُهجر في هذا الزمان إلا الزنادقة وأعداء الإسلام، وأنا هجرت بعض الفرق -لا أريد أن أقرأ منهم يعني- هجرًا كليًا حتى تركت إفشاء السلام عليهم، والبعض الآخر منهم هجرتهم في مجالسهم فقط، وأسلم عليهم؛ لأنهم أقل غلوًا وأفضل أخلاقًا، هل ما أفعله صحيح؟ أفيدونا بارك الله فيكم؟

جواب الشيخ: أولاً: جزاك الله خير أنك قرأت «صبغة الله الصمد»، لا أدري هذا الكتاب منتشر أم لا؟ وهل يعرفه طلبة العلم أم لا؟ وأنا أحب لطلبة العلم أن يقرؤوه ليفدوني فيما كتبته فيه، هو كتاب لي، سميته «صبغة الله الصمد» في سيرة الماحي محمد صلى الله عليه وسلم، وبيّنت فيه وشرحت فيه سيرة النبي صلى الله عليه وسلم الجهادية في القرآن الكريم، يعني غزوات النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم، وهي غزوات كبيرة انتثرت أخبارها في القرآن الكريم، مثلًا: في سورة «آل عمران» ذُكر لنا أخبار غزوة أحد وما فيها، والتربية القرآنية مهمة جدًا في هذا الباب بالنسبة للمسلم عامةً والمجاهد خاصةً، وهكذا مثلًا في سورة «الأنفال» هي غزوة بدر، وفي سورة «التوبة» هي غزوة تبوك، وهكذا في سورة «الفتح» صلح الحديبية، وسورة «الحشر» بني النضير، وفيها من المعاني العظيمة؛ فشرحت الغزوة من خلال السورة بعيدًا عن غيرها من المصادر، أرجو من طلبة العلم أن يقرؤوا هذا الكتاب وأن يطلعوا عليه، ونرجو أن يعيننا الله عز وجل على طباعته، يعني إلى الآن للأسف لم نستطع أن نطبع هذا الكتاب، إلا أنه موجود في داخل النت، فنسأل الله عز وجل أن يعيننا على طباعته؛ ليطلع الناس عليه فإن كان فيه فائدة استفادوا وإن كان فيه أخطاء أفادوا، وهكذا.

بالنسبة للهجر، الهجر ما سببه؟ الهجر له مع معاني:

أولاً: أن تهجر لئلا تتضرر، يعني الله عز وجل قال: ﴿**وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ**

الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا (١٤٠) الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا (١٤١)﴾ [النساء: ١٤٠-١٤١]، فالله عز وجل حرم علينا الجلوس مع أعداء الله، لئلا نكون مثلهم كما في بني إسرائيل، قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩)﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩]، فلذلك السبب الأول الموجب للهجر هو أن تحفظ دينك، وأن تتقي لدينك، بحيث لا يقع عليك حكم أنك تدخل معهم في تكثير سوادهم، ألا يتأثر قلبك من شبهات، أن يموت في قلبك الإحساس لما يقولون، المرء يسمع الكلمة اليوم فتثور أعصابه ويغضب، بعد ذلك يخف إذا تتابعت الكلمات هذه مرارًا على أذنه؛ خف أثرها في نفسه، فأولًا أنت تهجر لهذا المعنى، هذا المعنى لا يمكن أن يزول في أي وقت من الأوقات، فإذا وقع هذا المعنى يجب الهجر لا ينتهي.

أما هناك هجر الذي يفعله الأكثرون من أجل تبكيت المهجور، من أجل زجره، من أجل ردعه عما هو فيه، اليوم هذا غير موجود، إلا قليلًا، لا أنفيه بالكلية، لكن على الجملة الفساق والفجرة والعصاة والمبتدعة اليوم هم الأكثر، فلو هجرتهم لتأذيت أنت، وما حصل منهم التغير ولا التبدل ولا الصلاح، بل يقع الإيذاء عليك ويخف نفعك لهم، فإذا كان المعنى الأول هو المطلوب فهذا واجب، بل أنه من الإيمان ومن واجبات الإيمان، أن تهجر هؤلاءِ الذين تقدم ذكرهم بحيث لا يصيبك حكم الله عز جل في الجلوس معهم وتكثير سوادهم، أو لا يصيبك قذارتهم، يعني في قلبك ألا تتأثر من شبههم ومعاصيهم، وألا يموت الإحساس لديك بكثرة اللقيا والمعاشرة.

لكن المعنى الثاني: وهو أن تهجر من أجل أن تردع هذا إذا وجد هذا المعنى، لا أنفيه بالكلية، ولكن على الجملة هذا معنى ضعيف في هذه الأيام، فهذا الذي نهيت عنه، فإذا وجد هذا المعنى منك أيها السائل لبعض الناس، كائن من كان هذا أنك إذا هجرته ارتدع ورجع، وهذا يفعله الأب في البيت، يعني الأب في البيت ابنه يفعل فعلًا فلا يكلمه، زوجته تفعل فعلاً فلا يكلمها اليوم من أجل أن ترتدع وهكذا، فيهجرها من أجل أن ترتدع، فهذا المعنى قد يوجد، ولكنه على الجملة صار ضعيفًا.

فإذا تحققت هذه المعاني من الهجر فافعلها، إذا تخلفت فلا تفعلها، والعبرة بالمعاني وليس بالإطلاقات، لكني حين تكلمت في «صبغة الله الصمد» وما زلت أتكلم بأن هناك من يهجُر يعني فيهجر هو، هو الذي يُهجر ولا يتأذى المهجور، ولكن يتأذى هو الهاجر، يعني ينبغي أن يكون المرء عاقل في هذا الباب، والعبرة في الهجر هو تحقيق المقاصد فإذا تخلفت المقاصد كانت ضررًا؛ فينبغي تركها، والأحكام إنما منوطةٌ بعللها فإذا تخلفت العلل بطلت الأحكام وذهب معانيها والله تعالى أعلم، والحمد لله رب العالمين.

٣١٢- حكم من يجالس من يسب الله عز وجل ولا ينكر عليه

ضمن الجلسة الخامسة والعشرون، بتاريخ: (**٠٩/٠٥/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٢٥/٠١/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل أخ: هل من يجالس شخصًا يسبُ الرب ولا يُنكر عليه إلا بقلبه يصبح كافرًا؟ وهل هناك خلاف بين العلماء في تكفير من هذا حاله؟ شاهدت كلامًا لشيخ الإسلام لا يكفره.

جواب الشيخ: الآية واضحة، قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا (١٤٠)﴾ [النساء: ١٤٠]، ولذلك ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾ فالجلوس هنا لغير معنى من الإكراه؛ يدخل فيه هذا الحكم، ولا يكفي الإنكار بالقلب؛ لأن هذا الجلوس لا معنى له إلا في شيء من الموافقة، وشيء من السكوت.

وبالتالي؛ الجواب على هذا السؤال: إن من جالس رجلاً يسب الله عز وجل -نسأل الله العفو والعافية- هذا بلاء للأسف منتشر، والله إن بعض البلاد لتنتظر غضب الله عز وجل لما يقع فيها من هذه الجريمة النكراء، يعجب المرء!! المهم: إن جلوس المرء مع هؤلاء بغير إنكارٍ باللسان أو باليد، أو أقل القليل الإنكار بالخروج وعدم الجلوس، فإنه يدخله في حكمهم، ولا يكفي إنكار القلب، وهذا المساس وكثرته يميت الإحساس، ويدخله فيهم بعد ذلك، حتى في كفر المآل إن لم يكفر في الحال.

فالواجب: هو الهجران والترك والخروج، هذا الذي أقوله، والله تعالى أعلم، والحمد لله رب العالمين.

٣١٣- الجمع بين الصلاتين في السفر والمطر

ضمن الجلسة الخامسة والعشرون، بتاريخ: (٠٩/٠٥/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٢٠١٨/٠١/٢٥ م)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل عن مسألة الجمع بين الصلاتين في السفر، ويقول: من فضلكم لو شرحتم عن هذا الموضوع مع الاختلافات بين الأئمة في هذه المسألة مع الأدلة.

جواب الشيخ: الأئمة الأربعة قد اختلفوا في مسألة الجمع بين الصلاتين في السفر وسأفصل في السفر والمطر وفي الحضر عند نزول المطر.

الأصل هو قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا (١٠٣)﴾ [النساء: ١٠٣]، فهي واجبةٌ على وقتها، وقد جاءت الأحاديث في بيان مواقيت الصلاة، وأشهرها هو حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وهناك أحاديث أخرى كحديث أبي قتادة في صحيح مسلم في الصلاة في أنها يبقى وقتها إلى دخول وقتها الآخر، إلا بلا شك الإجماع في قضية صلاة الفجر في أنه يخرج وقتها قبل أن يدخل وقت صلاة الظهر، ولا خلاف كذلك في صلاة العشاء، إنما الله عز وجل جعل علينا خمس صلوات؛ فلا يجوز أن نكون كالروافض بأن نجمع الصلوات بعذر وبغير عذر ويكون الجمع هو السمة الدائمة، إنما الصلاة يجب أن تؤدى على وقتها.

وقد قال عمر رضي الله عنه بما صح عنه في مصنف عبد الرزاق وابن أبي شيبة أنه قال وفي رسالةٍ له لأبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه: «من جمع بين صلاتين في غير عذر قد أتى بابًا من أبواب الكبائر»، يعني اعتبره كالزنا وشرب الخمر، الذي يجمع من غير عذر، إذن هنا كلمة عمر رضي الله عنه نستفيد منها أمرين:

الأمر الأول: وهو أنه يجب الصلاة على وقتها.

الأمر الثاني: وأن الصلاة على غير وقتها في جمع صلاةٍ بغير عذر أنها كبيرة من الكبائر.

لكن كذلك يستفاد من كلام عمر رضي الله عنه بأن هناك عذرًا يدخل في هذا الباب، فقال: «من جمع بين صلاتين من غير عذر» أو «من صلى صلاتين من غير عذر»، إذن هناك عذر للجمع، الذين يحتجون بهذا

الكلام مع هذا الأثر عن عمر رضي الله عنه وقد صح عنه، ينبغي الاهتمام بهذه النقطة؛ أن عمر رضي الله عنه كان يرى عذرًا في الجمع بين الصلوات، هذه قضية يجب أن نثبتها، هذا الكلام في الحضر.

الآن الكلام في السفر ما هو القول المعتبر؟ أبي حنيفة رحمه الله ومعه صاحباه لا يجيزان الجمع بتاتًا، لا في السفر ولا في الحضر، إلا في موطنين على معنى النُسك عندهم -أي الأحناف- على معنى النُسك وليس على معنى العذر أي ليس لعلة العذر ولا لعلة السفر، وهو الجمع يوم عرفة الظهر والعصر قبل الدخول إلى عرفة في مسجد نمرة، والأحناف كذلك يجيزون الجمع فقط لمن صلى مع الإمام، حتى عندهم -عند أبي حنيفة- لو صلى الرجل ليس مع جماعة الإمام وخطبة عرفة فإنه لا يجوز له الجمع، يعني انظر يقيدون تقييدًا شديدًا، وهم يحتجون بكلامٍ لابن مسعود رضي الله عنه قد صح عنه أنه قال: «ما رأيت رسول الله صل الله عليه وسلم جمع بين صلاتين قط»، خلاص، يغلقون الباب ويقولون: لا جمع، إلا ما صح في هذه الحالة.

الحالة الثانية: وهي نفرة نصرة الناس من عرفة إلى مزدلفة؛ فإنهم يقولون بجمع التأخير المغرب والعشاء، جمع التأخير حتى يبلغ المرء مزدلفة فيصليها، منفردًا أو جماعة لا حرج، بخلاف الكلام عن الجمع في عرفات أو عند حدود عرفات، لأن مسجد نمرة خارج عرفات، صلى النبي صل الله عليه وسلم الظهر والعصر يوم عرفة قبل أن يدخل عرفات، فبعد أن صلى دخل صلى الله عليه وسلم عرفات، إذن هذا الذي عند الأحناف لا يجيزون الجمع حتى في السفر لا يجيزون الجمع في السفر لأي عذرٍ من الأعذار.

القول الثاني في قضية الجمع في السفر: هو قول أئمة العلم الثلاثة وهم مالك والشافعي وأحمد عليهم رحمة الله يقولون بجواز الجمع تقديمًا وتأخيرًا في السفر، يجوز للمرء أن يجمع وهذا عندهم جائز لا يوجبونه، بخلاف القصر عند الأحناف، فالقصر عند أبي حنيفة واجب لا يجوز للمرء أن يصلي أربع ركعات في السفر فصلاته عندهم باطلة فواجبٌ عليه أن يقصر، ولكن الجمع عندهم جائز الأئمة الثلاثة عندهم الجمع في السفر جائز، ويحتجون لهذا الجمع بحديثين الحديث الأول وهو حديث أنس رضي الله عنه الذي في صحيح مسلم؛ «أن النبي صل الله عليه وسلم كان إذا جد به المسير صلى العصر أول الظهر أو صلى الظهر اول العصر» وكذلك بالعشاء وهو لفظٌ صريحٌ في الجمع الحقيقي، هذا اللفظ لفظ أنس الذي هو في صحيح مسلم «أن النبي صل الله عليه وسلم صلى الظهر أول العصر» هذا لفظٌ صحيح وصريح في الجمع في السفر جمعًا حقيقيًا لا صوريًا كما يقول

الأحناف، الأحناف يؤولون كل العلل على الجمع الصوري، لكن يقول: أول الوقت، هذا مما استدلوا به.

واستدلوا بحديث ابن عمر رضي الله عنهما عندما كان راجعًا من الحج فجاءه الصريخ أن زوجته صفية بنت أبي عبيد تلفظ أنفاسها الأخيرة في مرض الموت؛ فجد المسير مع خمسةٍ من أصحابه، وجمع جمعًا حقيقيًا، والحديث صحيح.

وكذلك حديث ابن عباس رضي الله عنهما المشهور «أن رسول الله صل الله عليه وسلم جمع في المدينة من غير عذرٍ ولا مطر»، ولفظ السفر لفظٌ مُنكر لا يتلاءم مع أول الحديث لأنه قال: في المدينة، فلا ضرورة لأن يقول بسبب السفر لأنه في المدينة، مفهوم المخالفة إذن كان يجمع النبي صلى الله عليه وسلم في السفر، هذا الذي عليه مذاهب أهل العلم في قضية السفر.

وهناك بعض أهل العلم وهذا قول ابن تيمية رحمه الله ونصره تلميذه ابن القيم في الزاد «زاد المعاني» بأنه من السنة أن لا يجمع المرء إذا كان مسافرًا مستوطنًا، وهذا اللفظ أصر عليه شيخ الإسلام ابن تيمية وأتى به كثيرًا في كلامه، بأنه فرق بين المسافر الذي يجد المسير وبين المسافر المستوطن، بمعنى هو مسافر، ولكن جلس في مكان من الأمكنة لمدة معينة، الآن نبيّن هذه المدة لأن هناك أسئلة تتحدث بقضية الجمع في المسافر المستوطن، فيقولان بأن من سيرته صلى الله عليه وسلم أنه لم يكن يجمع إذا استوطن، واستدلوا بأن النبي صلى الله عليه وسلم في منى كان يقصر لأنه مسافر، ولكنه لم يكن يجمع، وحديث أنس الذي تقدم ذكره «إذا جد به المسير»، وكذلك حتى حديث ابن عمر بأنه لم يكن يجمع لكنه لما جد به المسير من أجل اللحوق بزوجته صفية بنت أبي عبيد جد المسير فجمع، فيقول: هذا الجمع من الأئمة بأنه إذا جد للمرء المسير يجمع في السفر، ولكنه إذا استوطن لا يجمع، هل على معنى الوجوب أم على معنى الاستحباب؟ يدل كلام ابن القيم على أن هذا على المعنى الاستحباب وليس على معنى الوجوب، هذا مدلول كلامه فيما يقول عليه رحمة الله، وهذا قولٌ جيد.

القصد: بأن الأدلة كما تقدم التي احتج بها الأحناف أدلةٌ عامة وصحيحة في قضية غير السفر، والأدلة التي احتج بها الجمهور أدلةٌ خاصة ناطقة بما يدور حوله الخلاف وهو السفر.

فالصواب: هو جواز الجمع في السفر، والأولى ألا يجمع إذا أقام.

هنا يبقى مسألة في هذا الباب، وهي مسألة مدة الإقامة في المكان حتى يخرج المرء عن حد السفر، تكلمت عن هذه المسالة أكثر من مرة، ولكن مازال الإخوة يصرون على السؤال عنها مرةً بعد مرة، الأئمة الثلاثة الذين يقولون: بأن المسافر له أن يجمع جوازًا، وكذلك القصر، القصر في السفر مجمع عليه لا خلاف؛ لأن الآية تدل عليه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ [النساء: ١٠١]، فمُجمع على القصر في السفر وكذلك في صلاة الخوف، هنا القصر قصر الكيفية أو قصر الأعداد على ما هو مبسوط في مسائله موضوع الخوف.

نرجع إلى موضوعنا: وهو السؤال لو أن رجل جد المسير ثم نزل بالسفر إلى مكان جلس فيه، كم هي المدة التي يبقى فيها على معنى السفر وتحت مسمى السفر في هذا المكان ثم إذا زاد عنها يخرج عن هذا الحد؟ الأئمة الذين يقولون بجواز الجمع في السفر، يقولون: بأن المطلوب هو عشرين صلاة، على خلافٍ بينهم هل تحسب صلاة الدخول وصلاة الخروج، على خلافٍ بينهم، والإمام أحمد رحمه الله صرح بعشرين صلاة، الإمام الشافعي رحمه الله صرح بأربعة أيام على خلاف كما قلت لكم: هل تحسب صلاة الدخول وصلاة الخروج وهذا خلاف يسير لا ينبغي أن ندخل فيه في هذا الباب.

فيقولون كالتالي: لو أن رجلاً دخل مدينة أو دخل مكانًا وأراد أن يجلس فيه فوق عشرين صلاة فما فوق؛ فصار مقيمًا وخرج عن معنى السفر الذي يجيز له الجمع، نحن نتكلم عن نوى رجل علم ونوى أنه سيقيم في هذا المكان عشرين صلاة؛ فقد خرج عن حد السفر فأصبح هو مقيم وعليه أن يتم، فإذا جلس في المكان هنا تبقى مسألة ثانية، لو أنه جلس في مكان لا يدري متى يسافر اليوم أو غدًا، يقول: غدًا أسافر ثم تأتيه أشغال وهكذا، فهذه مسألةٌ خلافية بين أهل العلم، منهم من يقول: كما يقول الأحناف، وبعض أهل العلم يقول: بأنه لو مكث العمر كله يقول سأسافر اليوم أو غدًا فله أن يجمع؛ لأنه تحت مسمى السفر.

لكن نتكلم عمن نوى أن يقيم في المكان، هذا القدر من الكلام متفق عليه، وبقي الأمر على هذا حتى شاع قول ابن القيم رحمه الله الذي نصره في «الزاد» ونقله عن شيخه أن هذا التحديد غير وارد في النصوص وبالتالي؛ كل من أقام في مكان مسافرًا على معنى الاستيطان فله أن يجمع وإن رتب عليه ابن تيمية أحكامًا أخرى بأنه يجب عليه الجمعة مثلاً، لا تسقط عنه الجمعة ولا الجماعة، لكن هو يجيز له أن يجمع لعلة السفر

لكونه لم ينو المقام في ذلك إقامة تسميه من أهل تلك البلدة.

القصد: هذا القول منبوذ ولم يقل به أهل العلم، ولكن انتشر، وابن القيم جمع له أدلته الكثيرة، وانتشر اليوم بفعل فتاوى بعض المشايخ، ولذلك يجيزون إذا خرج الرجل من بيته وهو يعلم أنه سيقيم في هذه البلدة أربع سنوات كما يقيم الدارس، بعض الطلاب يذهبون لبعض البلاد يقيمون أربع سنوات تامة، ولكن يقولون: نحن نبقى هنا فقط من أجل الدراسة ثم نرجع إلى بلادنا بعد الدراسة، فيقولون: هذا يدخل في مسمى المسافر، وهذا كلامٌ باطلٌ غلط.

والصواب: هو كلام من تقدم من الأئمة، أنه كالتالي؛ إذا دخل بلدة فنوى أن يقيم فيها عشرين صلاة فما فوق فقد خرج عن حد السفر وهو مقيم، فإذا كان لا يدري يقيم يوم أو يومين أو ثلاثة أو أربع، ولا يدري يقيم اليوم وغدًا يسافر، فهذه مسألة فيها سعة وقول الأحناف ليس بعيدًا عن الصواب، وهناك من قال: خمسة عشر يومًا... إلخ، ذكروا أقوالاً كثيرة في هذه المسألة.

لكن نبقى في مسألتنا، رجل ذهب إلى بلدة فأراد أن يقيم فيها شهرًا هذا خرج عن حد السفر، وبذلك هو يسمى مقيم وعليه أن يتم، وهذا لا ينبغي أن المصير إلى غيره، وأدلة ابن القيم عليه رحمة الله والذين يسوقونها من المعاصرين هؤلاء مخطئون، كأن الإمام أحمد رحمه الله كما روى الأثرم عنه: كأن الإمام أحمد كان يستشعر بأنه سيأتي أناس لا يفهمون وجه ما احتج به ابن عباس، ابن عباس رضي الله عنهما هو الذي احتج بهذا، في قضية العشرين صلاة، هو الذي أتى بها، مع أن هؤلاء المخالفين يأتون برواية ابن عباس أنه كان يقيم أكثر من هذه المدة في مكان وكان يجمع، ويأتون إلى حديث إقامته في سوق ذي المجاز، وهؤلاء لا يعرفون وجه الكلام في هذا الباب لأنه كان يقيم في أماكن لا يدري متى يسافر، فهذه تدخل في الباب الذي لا يتم الكلام حوله.

فقط لمن يتابعني من طلبة العلم، كيف نفهم المسألة؟ الإمام أحمد كما روى الأثرم عنه قال: «ما أتى به ابن عباس لا يفقهه كثيرٌ من أهل العلم»، لا يعرفون مداركه ولا مسالكه في الاستنباط، كيف؟ ما هو السفر وما هو ضد السفر؟ السفر هو الضرب في الأرض أي المشي، فإذا جلست انتهى الضرب وصرت مقيمًا؛ بمعنى لو أنك خرجت من بلدتك لأن الإنسان لا يكون مسافرًا في داخل البلدة، فإذا خرج عن حد البلدة كما في كلام علي رضي الله عنه أنه لا بد أن يخرج من حدود البلدة، لا يكون المرء مسافرًا بين البيوت والبيوت متصلة والمدينة

متصلة والقرية متصلة، فإذا خرج المرء عن حد البلدة وهو ماشيًا فهذا مسافر؛ لأن السفر هو الضرب في الأرض أي يمشي يضرب، فلو مشى ساعة ثم جلس عشرة دقائق، اللغة تقضي بأنه جلس فأقام خرج عن حد السفر، لو أقام ساعة أو ساعتين خرج لأن السفر هو هذا المعنى الذي تقدم وهو الضرب في الأرض، فإذا جلس انتهى الضرب؛ فانتهى معنى السفر، هذا ما تقتضيه اللغة إذن هذا هو الأصل.

وسترون كيف انقلب هذا الدليل في أذهان من لم يقل بهذا، وأقصد بذلك ابن القيم رحمه الله تعالى ومن معه، إذن الأصل أنك إذا أقمت ولو للحظة خرج عنك حد السفر وخرجت من معنى المسافر، ومثلاً: رجل أقام ساعتين أو ثلاث أو أربع أو خمس ساعات أقام يومًا كل هذا خلاص الآن هو مقيم.

إذن المطلوب من غير معرفة الأدلة، المطلوب لغةً بأن المرء إذا أقام في مكان، في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [النساء: ١٠١]، فإذا خرج عن معنى الضرب صار مقيمًا وعليه ألا يقصر وعليه ألا يجمع، بل يجب عليه أن يتم وعليه أن يصلي الصلاة في وقتها ولا يجمع، الآن كيف انقلبت الصورة؟ فجاءنا حديث يعطي فسحةً زائدة لهذه الإقامة، انتبهوا عندنا الأصل المسافر هو من يمشي فإن أقام ارتفع عنه معنى السفر، فجاءت النصوص لتقول بأن النبي صل الله عليه وسلم لما دخل مكة في حجة الوداع، كان يعلم متى سيخرج منها، ويخرج منها في يوم التروية؛ فكان مجموع ما سيمكثه في مكة عشرين صلاة، فجاءت الشريعة لتوسع معن اللغة من اللحظة التي يقيم فيها إلى عشرين صلاة، هذا الذي جاءت به الشريعة لتوسع هذا الباب.

إذن الأصل هو لا يوم ولا نصف يوم ولا صلاة، بمجرد أن يجلس فهو مقيم وانتهى عنه معنى السفر، فجاءت الشريعة لتوسع؛ فيأتي الآخرون يقولون: ما أدراكم لو مكث عشرين يومًا لا يكون مسافرًا؟ نقول: الذي أدرانا هو ما تقدم من أصل المسألة على جهة اللغة، الذي دلنا على هذا هو أصل المسألة، ما هو أصل المسألة؟ أنه بمجرد إقامة المرء وتركه الضرب في الأرض صار مقيمًا، هذا هو الأصل، فجاءت الشريعة لتقول أعطينا أربعة أيام، عشرين صلاة؛ فوسعت الشريعة ذلك، فتتوسع معها بمقدارها ولا نزيد؛ لأننا إذا زدنا هذه خارج العشرين صلاة خارج الأربعة أيام عليها أن تعود إلى معنى الأصل وهو أنك مقيم.

هم قلبوا المسالة، ما هو السفر عندهم؟ أين الخطأ عندهم؟ أنهم جعلوا السفر هو الخروج من البلدة، وليس الضرب في الأرض، بمجرد أن يخرج المرء من بلدته مسافر، خلاص هو مسافر، فلو بقي عشرين سنة في خارج

بلدته ويريد أن يعود إليها في نهاية المطاف فهو مسافر؛ لأنه خارج بلدته، من أين أتينا بهذا المعنى، اللغة لا تشهد لهم، والنصوص الشرعية لا تشهد لهم.

الأصل هو اللغة ثم جاءت الشريعة فوسعت توسيعًا ما في داخل اللغة فينبغي أن يكون هذا التوسيع بمقداره لا يزيد، ما زاد على ذلك يبقى على معنى الأصل وهو ما تقدم من أن ترك الضرب هو إقامة.

هذا هو وجه ما احتج به الإمام ابن عباس والذي مدحه الإمام أحمد وقال: إن كثيرًا من الناس لا يفهمون مدرجه ولا معناه.

تبقى المسألة الأخرى وهي مسألة الاستدلال بأفعال الصحابة رضي الله عنهم، فما من صحابي -هذا يحتاج إلى توسع وإلى قراءة كتابية- ما من صحابي احتج به ابن القيم رحمه الله أو من معه في أنه أقام على هذا المعنى؛ إما على وجه ما تقدم بأنه لا يدري أهو مسافر اليوم أو غدًا؛ لأن هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم ورد عنهم كذلك ما تقدم من فتوى ابن عباس رضي الله عنه، ما من صحابيٍ إلا وورد عنه هذا الوجه، ولذلك علينا أن ننتبه لديّننا وننتبه لصلاتنا في هذا الباب.

بقيت مسألة: يسأل عنها الناس وهذه في الحقيقة تتعلق بما يجري في بعض البلاد كبلادنا هنا في قضية التوسع في صلاة الجمع في الحضر بعذر المطر، تبقى الآية هي الحاكمة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا (١٠٣)﴾ [النساء: ١٠٣]، فينبغي الوقوف عند هذه الآية، فإذا جاء مُخصص لها؛ فينبغي النظر إلى هذا المخصص بمقداره ولا يتوسع فيه، كما تقدم في موضوع السفر والإقامة، فنجد للأسف الناس في بلادنا هنا من يفتي لمجرد الهواء اليسير، لمجرد البرد اليسير فيجمعون في الظهر والعصر وفي المغرب والعشاء.

الأئمة الذين يقولون بالجمع في الحضر بعذر المطر، أئمةٌ لهم الاعتبار، وهم الأئمة الأربعة، وأوسعهم في هذا الذي يجيز الجمع بين الظهر والعصر بعذر المطر هو الإمام الشافعي رحمه الله، وهو قولٌ عند أحمد رحمه الله وهو المفتي به، وبعض الأئمة لا يرى الجمع أبدًا بعذر المطر إلا في المغرب والعشاء وهو قول المالكية وقولٌ عند الحنابلة، كذلك مُفتى به في بعض كتب الحنابلة، بأنه لا يجوز الجمع بعذر المطر إلا في المغرب والعشاء وأما الظهر والعصر فلا يجيزونه، وقولٌ آخر لبعض الأئمة يجيزون الجمع بين الظهر والعصر لعذر المطر.

والذين يجيزون هذا الجمع في الظهر والعصر بعذر المطر يتشددون في معنى المطر، وهو معنى المشقة، ليس لمجرد قطرات ماء تنزل هكذا، فالناس يبدؤون في التشديد على الإمام والصراخ في أنه لا بد أن تجمع والإمام يتساهل فيجمع، يحتجون بحديث ابن عباس بأنه جمع سبعًا وثمانية مع النبي صل الله عليه وسلم، ويحتجون بأن النبي صل الله عليه وسلم جمع في المدينة من غير مطر؛ فإذن المطر هو عذرٌ مُبيح، وكذلك يحتجون بأن بعض الصحابة رضي الله عنهم جمعوا في الإقامة في المغرب والعشاء.

في الحقيقة لا أعرف حديثًا في الجمع في الظهر والعصر بعذر المطر في الحضر لا أعرف إلا حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وحديث ابن عباس رضي الله عنهما هنا يقع الإشكال لأن أبا الشعثاء يفسره على الجمع الصوري، وهذا تفسيرٌ لا يُلزم الناس؛ لأنه يقول فيه: «لعل»؛ فلذلك هو تفسيرٌ لا يلزم الناس فيبقى الجمع موجود بعذر المطر وله أدلته من أفعال الصحابة رضي الله عنهم، ورد عن الصحابة رضي الله عنهم أنهم جمعوا في المغرب والعشاء وبهذا أخذ المالكية والحنابلة والشافعية، في المغرب والعشاء، وتبقى قضية الظهر.

فالذي أنا أنصح به في هذا الباب: والناس هنا على تشددٍ وتساهل شديد، فهناك من يجمع -كما قلت- لأدنى الأعذار بل لعدم الأعذار لمجرد البرد اليسير أو الهواء اليسير وليس الريح، وهناك من لا يجمع أبدًا ويمنع الجمع البتة، ولا يرى الجمع وهكذا، والأدلة في الحقيقة يتنازعها الطرفان، والصواب ما ذكرته في موضوع الأدلة والنصوص، والذي أراه بأن الناس لا يجمعون في الظهر والعصر إلا عند المشقة الشديدة، أن يكون هناك الوحل الشديد، أن يكون هناك المطر الشديد والريح الشديدة، خاصةً المطر نحن نتكلم عن المطر، فيمكن الجمع بين الظهر والعصر ولكن في نطاقٍ ضيق وهو أضيق بكثير من الجمع في المغرب والعشاء، ولا بد من عذر المطر، والذين يجيزون الجمع في الظهر والعصر ينبغي مراعاة شروطهم في الجمع، يعني الأئمة الشافعية يقولون: بأنه لا يجمع إلا إذا امتد المطر من بداية الصلاة الأولى إلى بداية الصلاة الثانية، نتكلم عن الظهر والعصر في النهار في الصلاة النهارية فإذا كان المطر قد تواصل من بداية صلاة الظهر إلى بداية صلاة العصر إلى بداية صلاتهم للعصر في الوقت الأول.

وبعض من أجاز الجمع في المغرب والعشاء كالمالكية لهم شروط وهو أن يتأخر المغرب إلى منتصفه تقريبًا ويجمع العشاء معه، واختلفوا هل هذا التأخير على معنى الوجوب أم على معنى الاستحباب؟ على خلافٍ في

المذهب نفسه، مذهب المالكية أقصد.

فهذا يدُلك أيها الأخ الحبيب على تشدد العلماء في موضوع الجمع وليس كما يفعل الناس، وكذلك هذه النصوص تدل على أن المسألة ليست محسومة على ما يقولون بعدم الجمع البتة، المسألة فيها هذه الأقوال التي ينبغي أن تراعى، فمن أراد الجمع ينبغي أن يتشدد تشدد العلماء في الجمع، ولا أن يتساهل كما يتساهل الناس هكذا يجمعون لئلا يحرج الحرج، ما هو الحرج؟ يقول: أي شيء، وكأن دين أهل السنة في هذا الباب صار هو دين الشيعة، بعض الناس إذا دخل الشتاء يجمعون بالأشهر، يعني إذا دخل الشهر العاشر أو الشهر الحادي عشر؛ يقولون: دخلت شهور الشتاء فعلينا أن نجمع، هذا كله من الانحراف ورقة الدين، ومن عدم الفقه، ومن ترك الآية المحكمة ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا (١٠٣)﴾ [النساء: ١٠٣]، ومن ترك كلام عمر رضي الله عنه: «من جمع بين صلاتين فقد أتى بابًا من أبواب الكبائر»، تنبه أنك أنت تضيع نفسك، ونرى أن الأئمة هنا على حالٍ يصعب وصفه وليس الحديث معهم.

نسأل الله أن يرحمنا برحمته وجزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

٣١٤- حكم المسح على الجوارب الحالية

ضمن الجلسة الخامسة والعشرون، بتاريخ: (**٠٩/٠٥/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٢٥/٠١/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل أخ يقول: ما رأيكم في المسح على الجوارب الحالية التي نلبسها اليوم؟ هل القول بجواز المسح خارج عن المذاهب الأربعة؟ ما شروط المسح على الجورب عندكم؟ نرجو منكم الجواب بالتفصيل، جزاكم الله خيرًا وبارك الله فيكم.

جواب الشيخ: أحاديث المسح على الجوارب تجنبها صاحبا الصحيح، ووردت في السنن، وتجنُّب أصحاب الصحيح لأحاديث المسح على الجوارب لعلل موجودة في الأحاديث، لكنها في مجموعها تصل إلى درجة القبول، هذه الأحاديث في مجموعها بعضها لا تنزل عن درجة الحسن؛ وأفضل كتاب جمع فيها الأحاديث هو كتاب جمال الدين القاسمي رحمه الله في المسح على الجوربين.

المسح على الخفين قد ورد، وحديثه هو حديث جرير بن عبد الله البجلي، وهو صحيح، وكان أصحاب ابن مسعود رضي الله عنه يحبون هذا الحديث، لأنه نزل بعد آية في سورة «المائدة»؛ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا﴾ [المائدة: ٦]، فكان المسح على الخفين في الآية وبعد الآية، في الآية: ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾ [المائدة: ٦]، فالجر حمله العلماء على المسح، والنصب حمله العلماء على الغسل لأنه معطوف على المغسولات، وأما بالجر فمعطوف على المجرور وهو المسح على الرأس؛ فقالوا: هاتان قراءتان، وكل قراءةٍ هي رواية كما تعلمون.

القصد: بأن المسح على الجوارب عند كثير من أهل العلم يقبلونه، ويصححون أحاديثه، ويرون أن معنى الجوارب هو معنى الخف؛ والفرق بينهما هو المادة المستخدمة، الخف يكون من الجلد، والجوارب تكون من الصوف والكتان وما شابه ذلك، فالمعنى واحد، وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم مسح على العصائب والتساخين، هذه تسخن بها الرجل أي الخف، وهذا يسخن كذلك به الرجل وهو الأشرطة والكتان والقطن وما شابه ذلك، فالمعنى واحد، ولذلك يجوز المسح على الجوارب، ولكن بشرط أن تتحقق فيها هذا المعنى، ما هو

هذا المعنى؟ المعنى: أن تكون تساخين، الناس يلبسونها من أجل أن يتقوا بها البرد؛ فإذا كانت هذه الجوارب خفيفة ورقيقة جدًا، لا يتحقق فيها هذا المعنى، أو تكون شفافة وخفيفة جدًا، فلا يتحقق فيها هذا المعنى، فالمعنى يكون بالجوارب الثخينة التي يتحقق بها التساخين، هذا قول بعض أهل العلم.

والعلماء يجيزون المسح على الجوارب جملةً، يجيزونه، ولكنهم يشترطون شروطًا كثيرة، هذه الشروط سببها هو أنهم يريدون إلحاق الجوارب بمعنى الخف، يعني: الخف يمشى به؛ إذن يجب في الجوارب أن يمشى بها، الخف لا يشف؛ إذن هذا لا يشف، الخف يمنع وصول الماء إذا مسح عليه إلى البدن؛ فينبغي أن تكون الجوارب على هذا المعنى، وهكذا، فأنتم ما ترونه من شروط المسح على الجوارب إنما سببها من أجل أن يتحقق في الجوارب معنى الخف.

وهذا يعني تشديدٌ كثير، ولكن يبقى هذا المعنى قائمًا بحيث لا يصل إلى ما يقولونه، يعني هناك أحد العلماء قال: يجوز المسح على الجوارب بخمسة وعشرين شرطًا! فقال له الناس: قل لا يجوز وأرحنا! من أين نأتي بخمسة وعشرين شرط؟!

فهناك جوارب -حقيقة- ما هي أتقن من الخف وأثقل، ويمكن المشي عليها بتتابع أكثر مما يتتابع على الخف؛ بل بعض الخفاف تصنع على معنى من معاني الضعف المعروف.

فالقصد: أنه يجوز المسح على الخفين، ويجوز المسح على الجوربين، ولكن هذه الجوارب عليها أن تكون مقاربة لمعنى الخف؛ حتى يتحقق عليه جواز المسح.

والله تعالى أعلم، والحمد لله رب العالمين.

٣١٥- زواج الأصدقاء

ضمن الجلسة الخامسة والعشرون، بتاريخ: (**٠٩/٠٥/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٢٥/٠١/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل أخ يقول: شيخنا ما رأيكم فيما يسمى عند البعض بزواج الأصدقاء؟ وهو زواج يحصل غالبًا بين الطلبة والطالبات يتم بالعقد الشرعي المكتمل الأركان والشروط إلا أن الزوجة تتنازل عن النفقة في فترة الدراسة إلى أن يكمل الزوج دراسته فيأتي بها لبيته.

جواب الشيخ: إخواني أولاً: أنبهكم إلى وجوب ترك مثل هذه العبارات التي تدل على معاني باطلة، وهي في حقيقتها واقعة تدل على معاني صحيحة، هذا اللفظ وهو زواج الأصدقاء أنا أعرف أن بعض المشايخ قد أستخدمه في حواره وكلامه ودعوته، وهذا في الحقيقة من تسمية الأشياء الشرعية بأسماء مُنفرة ومُقبحة، فما معناه؟ يعني لماذا يقال زواج الأصدقاء؟ هذا إشارة كأن الجمع بين نقيضين في عرف الناس وأذهانهم، الأصدقاء يعني ما يسمى في لغة الناس هناك «البوي فرند والجير فرند»، «Boyfriend» «Girlfriend»، يعني هذا كلام قبيح، وأنا أعرف أن هذا الزواج أغلبه يتم في الدول الغربية، وربما يقع في بلادنا لأنه كما ذكر الأخ السائل بأنه زواج مُكتمل الأركان والشروط.

لكن الكلام هنا لماذا الحديث عن هذه الأسماء القبيحة، زواج الأصدقاء إشارة إلى تقبيح، وخاصةً نحن أمام خصوم وأمام فاسدين، يعني أنتم تعرفون موضوع زواج المسيار، زواج المسيار هو زواجٌ مُكتمل الأركان، ويجب أن يكون، وإذا كان هناك بعض الناس قد تخفف من بعض شروطه وأركانه؛ فيولى ما تولى هو بينه وبين الله عز وجل، لكن الزوجة مثلًا تتنازل عن بعض الحقوق، فلها ذلك، من حقها، ويجوز الزواج بتنازل هذه الشروط كأن يقول: أنا لا أستطيع أن أنفق عليك أو هي تشترط ألا يخرجها من بيتها أو لا يخرجها من ديارها، لا يسافر بها، وهكذا يجوز هذا عند كثير من أهل العلم، حتى أن تشترط المرأة أن لا يتزوج عليها، هناك من أهل العلم من يجيز هذا، كالإمام أحمد رحمه الله يجيز هذا الشرط وإن رده الإمام الشافعي رحمه الله.

المقصود: بأن هذه النوع من الزواج لا ينبغي إطلاق الأسماء عليه وخاصةً الأسماء المنفرة، زواج المسيار، زواج

الأصدقاء، كلمات يعني قبيحة، ينبغي أن يختار لها الأسماء التي تدل على حقيقتها، ولا يكون فيها التنفير ولا يكون فيها التقبيح، ضربت لكم مثالًا في زواج المسيار، زواج المسيار هو زواجٌ شرعي إذا اكتملت أركانه، المرأة تتخفف بترك بعض حقوقها، على الرأس العين لها ذلك، لكن مع اكتمال هذا الزواج، ومع أنه أبدي، ومع أنه مُكتمل الأركان، لكن أنظر إلى الرافضة عليهم من الله ما يستحقون عندما يتكلمون عن زواج المتعة عندهم، يقولون: عندنا زواج المتعة وأنتم عندكم زواج المسيار، مع أنه شتان بين النِكاح والسِفاح، شتان بين ما هو جائز طيب طاهر وبين ما هو حرام وقبيح ووسخ، وكذلك مثل هذه الكلمة غدًا يقولون: أنظر أهل السنة يجيزون زواج الأصدقاء!!

زواج الأصدقاء نشأ في الغرب وهو زواج خاصةً بين الطلاب، طالب وطالبة يتفقان على الزواج، يذهب فيطلب يد هذه البنت من أهلها زواجًا صحيحًا، وأنا أنبه بأن أي امرأةٍ تزوجت من غير ولي فهي زانية بنص النبي صلى الله عليه وسلم، بقوله وحكمه، **(ومن تزوجت من غير ولٍي فنكاحها باطل)** بنص النبي صلى الله عليه وسلم وحكمه، فيذهب يتزوج الزواج، ولكن لأنهم طلاب هي تبقى في بيت أهلها وهو يبقى في بيت أهله، وربما يجتمعان في نهاية الأسبوع أو يجتمعان خلال الأسبوع عندما يذهبان إلى الجامعة يستأجران، يذهبان إلى بيت الصديق أو... إلخ، مع وجود العقد الشرعي التام، وهو كما يقول الأخ يتخفف من النفقة عليها والسكنة لها، فهذا زواجٌ صحيح، ما دام أنه مُعلن، لا بد من إعلانه، لا بد من وجود شاهدين، ومن الشروط، لا بد من إعلام الأهل، لا بد من أن يكون الولي، وأي زواجٍ من غير ولي فهو نكاحٌ باطل، وهي زانية، فإذا أكتمل هذا العقد بأركانه فلا بأس بذلك، وهو زواجٌ صحيح.

ولكن أنبه على ترك مثل هذه الشعارات وترك هذه الأسماء المقبحة والمنفرة، كأن زواج الأصدقاء كأنه بهذا المعنى الذي يقوله الغرب بوي فرند «Boyfriend» وغيره، فينبغي ترك مثل هذا، والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين.

٣١٦- رجل قال لأخيه: لا أكلمك حتى تصبح أختي حلالا علي

ضمن الجلسة الخامسة والعشرون، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٥/٠٩هـ الموافق لـ: ٢٠١٨/٠١/٢٥ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يقول: رجلٌ قال لأخيه: لن أكلمك أبدًا حتى تصبح أختي حلالاً علي، هل يُعتبر هذا ظِهار؟ وما حكمه؟

جواب الشيخ: هذا ليس ظِهارًا قولًا واحدًا، وهذا من لغو الكلام، والمطلوب منه أن يستغفر وأن يتوب، ولا يعود إلى هذا الكلام البتة، وهو قصد من هذا أن يجعل الأمر صعبًا ومستحيلاً، بحيث أنه لا تجوز أخته في وقت من الأوقات له، فحينئذٍ لم يرد أن يكلمه أبدًا.

والناس في هذا قد يتراجعون، فلا ينبغي الحلف بهذا، والله قال: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩]، هذه تدل على أنه ينبغي للمرء أن يحفظ كلامه، بمعنى ألا يعطي من الكلام ما لا معنى له، أو ما لا يلتزمه، أو ما يمكن أن يغيره.

وبالتالي؛ الجواب على هذا: هذا من لغو الكلام، الذي ينبغي أن يستغفر الله منه، وأن يعرض عنه، ولا قيمة له، لا قيمة له.

والحمد لله رب العالمين.

٣١٧- ضابط أثر تغير النقود على الديون

ضمن الجلسة الخامسة والعشرون، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٥/٠٩هـ الموافق لـ: ٢٠١٨/٠١/٢٥ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

بعد أن تكلمت عن أثر تغير قيمة النقود على الديون، وقلت: بأن هذا جائز بسبب أن الأموال لم تعد هي المعيار الذي يُصار إليه، وبسبب أن الديون تقوم على الإحسان وهذا فيه الظلم الدائم، فأحد الإخوة وجه لي سؤالين:

السؤال الأول: يقول فيه: شيخنا الكريم وضعت شروطًا لحق صاحب المال أن يرد له المال على قيمته السابقة، وهي عدم استقرار الأوضاع ويكون مبلغ كبير، يقول: إن حالة عدم الاستقرار ملموسة بالعموم مثل حالة سوريا واليمن، لكن أن يكون مبلغ كبيرًا، ما الضابط لذلك شيخنا؟ قد يكون بالنسبة لي أن عشر آلاف ريال سعودي مبلغ كبير عند غيري، ومئة ألف ريال عند آخر ومليون ريال عند آخر!!

جواب الشيخ: لا، العبرة بمجرى العامة، العبرة بالكثرة ليس بما هو خصوص، يعني لا أتكلم عن رجل خاص قد يكون المليون عنده دينار ليست له قيمة، أنا رأيت البارحة صورة وإعلان عندنا في الأردن رجل اشترى رقم سيارته «٤٥٠٠٠٠» دينار أردني يعني ما يقارب نص مليون دولار!! يعني هذا اشترى رقم بنصف مليون دولا، ما قيمة نصف المليون عنده؟ لا نريد أن نتحدث عن القيمة الأخلاقية لهذا التصرف، ولا شك أنها يعني مطعونٌ فيها.

ولكن الحديث عن الكثرة والقلة باعتبار العموم، الناس، يعني الناس ربما يعدون المئة دينار شيئًا قليلًا، ولكن في بلدٍ آخر يعدون المئة دينار شيئًا مهمًا، المئة دينار اليوم لا قيمة لها، قبل عشرين سنة كانت المئة دينار لها قيمة ويحصل بها الاعتبار، فالعبرة بالعموم يعني العبرة غالب البلد وما يجري فيها، وهذا أمرٌ تقديري، أنا أعرف العلماء دائمًا يقولون: باعتبار العرف، فيأتي بعضهم يقول: حدد لي؛ لأنهم لا يرون، أترك إلى الناس، يعني لو أختلف اثنان -ننظر إلى هذه المسألة مثلًا- اختلف رجل فقال: أنا أريد أن تربط ديني هذا بالذهب، يقول له الآخر: لماذا؟ من شرط ذلك أن يكون المال كبيرًا، يقول بالنسبة لي كبير، وبالنسبة لك قليل، فالعبرة حينئذٍ

يصار إلى الاحتراز، ما هو الاحتراز؟ أن يُعتبر المال كبير، أن يعتبر المال كبيرًا، هذا هو الاحتراز، فإذا اختلفنا على شيء؛ فالعبرة بالاحتراز، لأن هذا حق الدين، حق الإحسان، فهذا هو الجواب.

هناك له سؤال ثاني الأخ يسأل يقول: هل يحق لصاحب الدين أن يراعي أيضًا حالة التضخم؟ أم فقط يكتفي بعدم الاستقرار والانهيارات الاقتصادية الواضحة؟

جواب الشيخ: الحقيقة لا، موضوع التضخم موضوع له ارتباط بقيمة النقود، ولكن العلة هي قيمة النقود، بحيث لو ذهبت بهذا المال الذي تدينته واشتريت به ذهبًا، كم يحصل من الذهب، فإذا حصل نفس قيمة الذهب عند أخذه، نعم.

وأما التضخم، التضخم ارتباطه في أغلبه مربوطٌ بقيمة السندات، قيمة الديون السندية التي يترتب عليها الربا عندهم وليس ما نتكلم به الآن، هذا الفارق، فلذلك بقاء ارتباط المسألة وعلة التغير بقيمة النقود بما يعادل الذهب هو الْمُعتبر في هذه المسألة، والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين.

٣١٨- سؤال من أهل السنة في «كرمانشاه» عن القروض

ضمن الجلسة الخامسة والعشرون، بتاريخ: (**٠٩/٠٥/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٢٥/٠١/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

هناك سؤال من أخ حفظه الله من إيران، لا أريد أن أقرأ مقدمته مع ما فيها من كلامٍ طيب جزاه الله خيرًا، لكن هو يسأل: بأن أهل السنة في محافظة كرمانشاه قد خربت بيوتهم في الزلازل الأخيرة، الدولة تعطيهم -هذه الدولة الإسلامية الإيرانية...! إسلامية!!- تعطيهم مبالغ مالية يضطرون إليها لتصليح البيوت، ولكن تعطي عليها «٥٪» زيادة لمدة «١٥» سنة، يقول: هل يجوز لنا في النهاية أن نأخذ هذه الأموال لنصلح بيوتنا... إلخ؟

جواب الشيخ: بلا شك أن هذا عقدٌ ربوي، وهذا يدل على أن الدولة تتعامل بالربا وتشرعه، ومن شرع الربا فقد كفر، وكل البلاد التي تشرع الربا في قوانينهم وتسمح بفتح البنوك الربوية وتجيز للناس التعامل بها وتقضي المحاكم بهذه العقود الربوية، فتصحح فيها العقود التي تجري على معنى الربا، وهكذا، فهذا من الكفر، ومن تبديل الشريعة الذي أجمع العلماء على أنه كفرٌ وخروج من الإسلام.

لكن هذا السؤال جاءني عدة مرات من الإخوة هناك، وأنا أحاول الابتعاد عنه لأنه فيه ما فيه، ولكن وقد كثر السؤال في هذا فأقول: لا يجوز للمرء أن يأخذ الربا إلا إذا كان على معنى الاضطرار، فإذا اضطر المرء إلى أكل الميتة فإنه يضطر إلى أخذ الربا، الميتة كالربا كلاهما محرم، والاضطرار يجيز ما هو محرم، فإذا كان الإخوة يصفون الأحوال وصفًا سيئًا جدًا على معنى أنَّ البيوت مهدمة والأحوال سيئة، فإذا وصلوا إلى معنى الاضطرار، ولا شك أن الضرورات الخمسة إذا فسدت فهو الاضطرار، وإذا خيف ذهابها فهو الاضطرار، ومن الضرورات اليوم البيت، لأنه حفاظ على النفس، حفاظ على العرض، الناس من غير بيت تذهب نفوسهم بالبرد الشديد، وتذهب أعراضهم بالتعري والضياع، ويُستغلون، فالبيت بالنسبة للإنسان -أي إنسان في هذه الدنيا- من الضرورات فإذا استطاع الإجارة فنعم، ولكن إن لم يستطع، فهذا بيت وهو من ضرورات حياته؛ فلذلك هذا العمل الربوي إذا وصل المرء فيه أو الجماعة وأنتم تعرفون الحاجيات إذا عمت تُنَزل منزلة الضرورات، بمعنى قد تكون بالنسبة للفرد الواحد ليس ضرورة، ولكن تصبح عامة لبلد عام قد سقطت بيوتهم فإنها تُنَزّل منزلة الضرورات، فهكذا الحاجيات إذا عمت.

فبالتالي؛ الذي أعتقده في هذا: على الإخوة أن ينظروا إلى أن الذي يجري عليهم هل هو على معنى الضرورة في قضية البيوت والحاجة؟ فإن كان كذلك جاز لهم أخذها وجاز لهم كذلك أن لا يؤدوا هذه الأموال إلى هذه الدولة، يعني أن يحاولوا محاولة، جاز لهم، لا أقول: يجب؛ لأنه قد يؤدي إلى ضررهم كذلك في عدم أداء هذه الديون إلى هذه الدولة، هذه الدولة كافرة، محاربة، فيجوز غنم أموالها بما يستطيع المرء، فإن لم يستطع أن يغنم أصل مالها فيجب عليه أن يسعى أن لا يؤدي الربا إليهم، قدر الاستطاعة، قد يقول: لا أستطيع، حينئذٍ ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، نتحدث عن الجائز والواجب في حدود الاستطاعة، والنظر إلى عدم الضرر المترتب عليه، لو لم يؤدوا العقد إلى هذه الدولة.

القصد: الذي أعتقده بأن الناس عليهم أن يبحثوا في هذا بحثًا شرعيًا على معنى الاضطرار، فإذا وقعت الضرورة العامة والحاجيات العامة في الناس، فجاز لهم أخذ هذه الأموال، مع جواز عدم أداء هذه الأموال لهذه الدولة، ومحاولة جادة في عدم أداء الربا إلى هذه الدولة، هذا الربا مفصول منه لا يؤديه ما استطاع إلا أن يؤدي إلى ضرر، وأما أخذ أموال هذه الدولة فهي دولةٌ محاربة يجوز لهم أخذ أموالها، وهي دولة غالبة بالكفر، هذه بلاد مسلمة لا يجوز أن تُحكم بمثل هؤلاء الزنادقة، فيجوز أخذ أموالهم على أي جهةٍ كانت، هذه فتوى سلفنا في كل من حكم متغلبًا بالكفر ومتغلبًا بالزندقة، يجوز أخذ مالهم على أي جهةٍ كانت، وهم محاربون لكم، هذا وبالله التوفيق، والحمد لله رب العالمين.

٣١٩- سؤال عن الاستفادة من المنظمات الإغاثية

ضمن الجلسة الخامسة والعشرون، بتاريخ: (**٠٩/٠٥/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٢٥/٠١/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يقول أخ: شيخنا الحبيب، يوجد عندنا في الشام وكذلك الأمر في تركيا منظمات إغاثية تعطي قسائم مواد غذائية، تصرفها من محّال ومولات، ويوجد الكثير ممن هو مكتفٍ من المواد الغذائية ويريد صرفها إلى نقود، ويوجد من يصرفها لهم، لكن يأخذ نسبة تتراوح ما بين «١٠ إلى ١٥٪»؛ ما قولكم في هذه المسألة؟ وجزاكم الله خيرًا.

جواب الشيخ: الجواب على هذا السؤال مراتب:

المرتبة الأولى: هل أنت لما تأخذ من هذه المنظمات الإغاثية الصالحة تكون مستحقًا؟ إن كنت مستحقًا هذا الأمر جاز، إن لم تكن مستحقًا فلا يجوز لك أن تأخذ، هذا واحد.

طيب.. أخذتها وأنت مستحق؛ لأنك فقير، ولكن أنت لا تريد أ تشتري اليوم الرز أو لا تريد أن تشتري السمن الذي في القسائم، وتريد شيئًا آخر من حاجاتك، تريد أن تشتري لباسًا لابنك، تريد أن تشتري الوقود لتدفئة بيتك؛ فهذا يجوز؟ الجواب: نعم، هذا حقك، يجوز لك.

يعني: أخذته وأنت محتاج، فتغير معنى الحاجة مع بقاء كونك محتاجًا؟ الجواب: نعم..

الآن المسألة الأخرى التي تليها: ذهبت من أجل أن تغير؛ فباعك بأقل منها؟ الجواب: هو آثم، يعني هنا نتكلم عن مسألة لا بد من تفصيل ما يسمى بانفكاك الجهة، علينا أن نُجزأ الأحكام حتى نفهم، هذا اسمه تجزئة الأحكام.

النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ثمن الكلب، طيب.. رجل محتاج لكلب، فذهب ليشتريه فأبى البائع إلا أن يبيعه إياه، مع أنه لا يجوز، نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ثمن الكلب وعن بيعه؛ فحينئذٍ نقول: جاز لك أن تدفع الثمن لحاجتك إليه، والذي أخذ الثمن آثم.

في الرشوة: رجلٌ محتاج، فجاء آخر فلم يقض حاجته إلا برشوة -هذا ينتشر في البلاد بسبب الفساد- فرجل لا يستطيع أن يدخل هذه المستشفى إلا بأن يرشي الرجل الذي يسجل دخوله للمستشفى، وهو محتاج؛ فالجواب: يجوز أن يدفع، والآخذ آثم.

وكذلك في الجمارك: رجل أراد أن يدفع جمرك، وهو من الْمُكوس الظالمة، يقول: أنا لا أدخلك حتى تدفع لي! الجواب: يجوز لك أن تدفع، لكن هو آثم وأنت مأجور.

يعني: الفعل وقع من جهتين: آخذ ودافع، فالدافع مأجور والآخذ آثم؛ لأن هذا على معنى وهذا على معنى، هذا يريد أن يحصل حقه، وهذا حبس الحق؛ فآثم، وأخذ على دفع الحق الذي هو واجبٌ في ذمته أخذ عليه المال، وهو ظلم.

الآن نأتي إلى هذه: نحن قلنا في الابتداء: لا يجوز أن يأخذ إلا من هو مُستحق، ثم لا يجوز أن يصرفه إلا لحاجته وليس لغيره؛ طيب.. الآخر استغل تغيير الحاجة من جهة إلى جهة وأخذها بسعرٍ أقل؟ الجواب: لا يجوز؛ لكن قال: لا يقع إلا هذا؟ نقول له: أنت مأجور ومظلوم ولك الأجر؛ لأنك داخلٌ في هذا المعنى، والذي أخذ هو مُستغل وظالم وآثم وآخذ للمال بغير حقه.

هذا هو الجواب في هذه المسألة، والله تعالى أعلم، والحمد لله رب العالمين.

٣٢٠- هل ورد حديث صحيح بفتح روما؟

ضمن الجلسة الخامسة والعشرون، بتاريخ: (**٠٩/٠٥/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٢٥/٠١/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: هل ورد حديث صحيح في فتح روما عاصمة إيطاليا؟

جواب الشيخ: ورد فيها حديثان:

الحديث الأول: عند الحاكم وهو في مسند أحمد وسنده جيد، أن النبي صلى الله عليه وسلم سُئل: «أي المدينتين تفتح أولاً: قسطنطينية أم رومية؟»، فقال صلى الله عليه وسلم: **(مدينة هرقل)** أي القسطنطينية؛ فدل هذا على أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يعلمون أن روما ستفتح والقسطنطينية ستفتح، فقالوا: «أي المدينتين ستفتح أولاً»؛ فدل على أنهم يتحدثون عن فتحٍ للمدينتين، ولكن القسطنطينية ستفتح أولاً؛ وهذا بيّن في قضية الجغرافيا: القسطنطينية تكون قبل الذهاب إلى روما، ثم قد فتحت القسطنطينية والحمد لله.

الحديث الثاني: في صحيح مسلم، وهو: أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر عن مدينةٍ نصفها في البحر ونصفها في البر، فيغزوها سبعون ألفًا من بني إسحاق، فتفتح بالتكبير؛ وهذه المدينة هي رومية وهم فيها يغنمون؛ (**فَبَيْنَما هُمْ كَذلكَ إذْ سَمِعُوا ببَأْسٍ هو أَكْبَرُ مِن ذلكَ، فَجَاءَهُمُ الصَّرِيخُ: إنَّ الدَّجَّالَ قدْ خَلَفَهُمْ في ذَرَارِيِّهِمْ**...)، الحديث المعروف.

فهذه المدينة، نعم تفتح بفضل الله عز وجل، وهي من بشائر النبي صلى الله عليه وسلم التي سيراها أهل الإسلام في وقتها، ولا شك أن هذا آتٍ ولا ريب فيه.

والحمد لله رب العالمين.

٣٢١- علو الهمة

ضمن الجلسة السادسة والعشرون، بتاريخ: (**١٦/٠٥/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١/٠٢/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

طلب بعض الإخوة مني أن أتكلم عن قضية علو الهمة، واستشهد ببيت لأبي الطيب:

لَـــوْلا المشَـــقّةُ سَـــادَ النّـــاسُ كُلُّهُـــمُ الجُـــودُ يُفْقِـــرُ وَالإقـــدامُ قَتّـــالُ

ولا شك أن مرض التسويف مرضٌ منتشر بين شباب الأمة وبين قادتها وبين عمومها، في موضوع الدين والعبادات، وموضوع الهمة في نصرة الدين والنفرة من أجل نصرته والجهاد في سبيل الله.

مرض التسويف مرضٌ خطير، للأسف ينتشر بين الناس كحال كل الأمراض، يعني يفسد بعضهم بعضا، فالأب يفسد ابنه، والأم تفسد بنتها وتفسد ابنها وهكذا... والصديق يفسد صديقه، والمسؤول يفسد رعيته من تحته، وأنا قلت سابقًا كلمة لا بد من أعيدها مرات ومرات حتى تُفقه على وجهها الصحيح: أن اختيار القادة يؤثر في اختيارات التابعين، أي اختيار المتبوع يؤثر في اختيار التابع، ودليل ذلك: أن النبي صلى الله عليه وسلم لما عرض عليه اللبن والخمر، فاختار اللبن، فقال له جبريل عليه السلام: (**لو اخترت الخمر غوت أمتك**)، والعلماء لهم لفتات جميلة جدًا قالوها في هذا الباب، قالوا: «بأن الأمة تتبع مزاج نبيها صلى الله عليه وسلم»، وهذا بيّنٌ حتى في الشرع، فنحن نرى أن عيسى عليه السلام لا نعرف أنه تزوج ولا نعرف إلا أنه الزاهد والتارك للدنيا... لماذا؟ لأنه أراد أن يصلح فساد بني إسرائيل في رغبتهم في الدنيا وتعلقهم بها؛ فسرى هذا المزاج العيسوي في أتباعه، من الزهد وترك الدنيا والإعراض عنها، والانشغال بالآخرة... إلخ.

ونرى أن مزاج النبي صلى الله عليه وسلم في الاعتدال قد سرى في أمته، في الاعتدال بين القضايا الدنيوية والأخروية على المعنى الصحيح، وليس المعنى الباطل بأن هناك دنيا مستقلة، فنجد أن هذا الاعتدال قد سرى في هذه الأمة، فهذه الأمة أكثر الناس اعتدالاً، وأكثر الأمم اعتدالا في اختياراتها، فلا ترى عندها الشذوذ في جانب، ولا كما ترى عند البوذيين في جانب مثلاً: غمط الذات وطمس مطالب النفس وشهواتها، وكذلك نرى فيها التعبد، الذي لا نجده عند من تعلق بالدنيا، فاختيارات الأئمة تؤثر في اختيارات التابعين لهم.

ولذلك ينبغي على الكبار أن ينشطوا إلى الطاعات، وينشطوا إلى المعاني العظيمة حتى يكون الأتباع تبعًا لهم، وهكذا نرى نحن في تاريخ أمتنا، نرى أن العالم يؤثر في أتباعه على معنى من المعاني، تجد عنده السمت، «فالناس كطيور القطا يتبع بعضهم بعضًا»، المرء يمشي على شاكلته، يبحث عن شاكلته، ولذلك الحب لا ينشأ إلا بالمشاكلة، الحب سببه المشاكلة، عندما تكون النفس على معنى من المعاني تميل إلى هذا المعنى في داخل الناس، فتجد أن الناس يتقاربون في هذا الجانب كثيرًا، فمما ينبغي أن ينتشر بين القادة وبين العلماء وبين المتبوعين وبين الدعاة انتشار علو الهمة، علو الهمة هي قضية إصلاحٍ للإرادة، الإرادة هذه يجب أن تقوى من أجل أن تدفع صاحبها للعمل الصالح، الإرادة مكوناتها الحب، مكوناتها العلم، مكوناتها شدة التعلق، يعني يمكن أن يعرف الناس الصواب من الخطأ، فيقبلون على الخطأ لتشوق نفوسهم إليه، ولشدة غلبة الخطأ على نفوسهم، فلذلك لابد أن نقوي هذه الإرادة من خلال تقوية قوة الدافع.

قوة الدافع كيف تُقوى؟ هذه قضية مهمة جدًا، وأعظم مقويٍ لها هي القرآن، أولاً ينبغي أن تتعلق بكتاب الله عز وجل، القرآن نور، والنور فيه كذلك الإحراق، النور فيه الإحراق، وهذا الإحراق هو الذي يشعل فتيل الإرادة في النفس، النفس كالفتيل، قال تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾ [النور: ٣٥]، فماذا يحصل إذا تم التماس؟ يحصل ما يسمى عند علمائنا: بنور القابل ونور الفاعل، النفس تتشوف إلى الخير، فيأتي القرآن فيقذف على نور التشوف إلى الحق نورًا جديدًا، فهي نورٌ على نور.

وهذا النور الذي في داخل الإنسان هو نور الفطرة من غير تغيير، هي نور محبة الحق، ولذلك الله عز وجل اختار للنبي صلى الله عليه وسلم أوعيةً صالحة ليكون فيها النور، فيتحقق نور الفاعل وهو القرآن، مع نور القابل وهو القلب، الذي تحتاجه دائمًا هو أن تُشعل هذا النور ليكشف لك حيات نفسك وعقارب نفسك وقاذورات هذه النفس التي تحيي بين جنبيك، ولذلك لا بد من القرآن، لا تطمع أبدًا، لا تطمع أبدًا أن تتغير حياتك، وأن تصلح نفسك، وأن تقوى همتك من غير أن تقرأ القرآن، والكتاب الوحيد الذي يحقق العبودية بمجرد قراءته من غير شيءٍ آخر وتنتفع به بمجرد قراءته هو القرآن، لو قرأت الشعر فلن تتمتع به حتى تفهمه، ربما تتمتع في أوزانه

فلا تصنع لديك شيئًا سوى الطرب والخفة التي يفعلها الطرب في المهوسين والصغار والأطفال والنساء والضعاف، ولكن هذه العظمة التي يحدثها القرآن بمجرد قراءته، يعني يحدث النور في صدرك، ولذلك في الحديث: (**اقرأوا القرآن في بيوتكم ولا تجعلوها مقابر**)، والحديث، (**اقرأوا القرآن في بيوتكم وإن لا يكون الشيطان إلا في البيت الخرب**)، (**لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقابِرَ، إنَّ الشَّيْطانَ يَنْفِرُ مِنَ البَيْتِ الذي تُقْرَأُ فيه سُورَةُ البَقَرَةِ**)، عليك أن تقرأ القرآن من أجل أن تَصلُح نفسك، فترميم النفس من تلقي الأوامر يكون بالقرآن.

فأولاً: إذا أردت أن تقوى همتك عليك بالقرآن، بمراتبه المتعددة: بقراءته، بالتدبر فيه، بالإمعان فيه، بقراءة ما كتبه السلف عنه، بمعرفة أحوال الناس معه، فهذا أمرٌ ينبغي عليك، ومن غيره لا تطمع، لا تقل لي: أنا أريد أن أبحث عن تصحيحٍ لنفسي من غير القرآن، إذا قلت هذا فقد جهلت، وأخطأت الطريق، فستصل بك طريقك إلى غير ما تريد، أولاً وآخرًا هو القرآن، القرآن هو الذي يشعل نور قلبك، وهو الروح الذي يحيي الموات في نفسك، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]، روح... روح القلب والنفس والحياة هو القرآن، نور تبصرة النفس هو القرآن، يرمم ما فيك، القرآن يصلح ما فيك من ضعف وجهل.

قد يقول قائل: فأنا أريد مقويات لقراءة للقرآن، المقويات لقراءة القرآن كالمقويات في كل باب، عليك أن تذهب إليه، هذا الذي نتكلم عنه هذا من المشوفات والمشوقات من أجل الذهاب إلى القرآن، الذي لم يسمع عن فضائل القرآن لن يذهب إليه، عندما تعلم أن في كل حرفٍ تقرؤه حسنة، والحسنة بعشرة بأمثالها، (**لا أقول ألم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف**)، عندما تقرأ عن فضائل القرآن: (**يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا**)، عندما تعلم أن القرآن هو مائدة الله عز وجل في الأرض، عندما تعلم أن الذين تعلقوا بالقرآن صلحت أحوالهم، وهكذا.. ولذلك عليك في كل محطة من محطات حياتك أن تعود إلى فضائل القرآن كما نطقها النبي صلى الله عليه وسلم، كما قالها القرآن وكما تحدث عن نفسه، عليك أن تعرف هذا القرآن كما هو؛ من أجل أن تتشوف نفسك إليه، عليك أن تعرف ما قاله السلف، عندما يقول الإمام الشافعي رحمه الله: «من حفظ القران عَظُم قدره»، هذا رجلٌ يراقب الحياة؛ فلذلك من غير القرآن لا تطمع بشيء، ولا تكذب على نفسك... هذا أولاً.

ثانيًا: لا بد من قراءة سيرة أصحاب الهمم العالية، وأعظم الناس وجودًا في التاريخ في الهمم هم علماء هذه

الأمة، خذ مثلاً: سيرة علمائنا في الحديث النبوي، اقرأ سيرتهم في الرحلة في طلب الحديث؛ ترى رجالاً عجبًا من العجاب، في بذلهم وجهادهم وصبرهم وقوتهم في الوصول من أجل أن يسمعوا حديثًا عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم كم سهروا حتى كتبوه؟، ثم كم سهروا حتى ألقوه على تلاميذهم؟ ثم كم سهروا حتى نقحوه وعلموا الصحيح من الضعيف؟ كم من عالم من علمائنا شرب بوله من شدة العطش وهو في طلب الحديث؟ كم عالم من علمائنا تقرحت أرجله وهو في طلب الحديث؟ كم عالم افتقر ولم يجد ما يأكله وهو في طلب الحديث؟ عندما ترى سيرة هؤلاء تقوى همتك، تنشط؛ من أجل هذا الفعل، عندما تقرأ سير علمائنا الفقهاء في مسيرتهم وتنقيبهم وسهرهم من أجل هذا الفقه أن يخرج إليك وأن يصل إليك والناس يحتقرونه لا ينظرون فيه، وهو فقهٌ عظيم لو اجتمعت كل الأمم منذ آدم عليه السلام إلى يومنا هذا ليخرجوه لنا أشباه علمائنا في الفقه لا يخرجون، لا يستطيعون أن يخرجوا من أممهم أمثال هؤلاء، فهذا عجب!!

عندما تقرأ سيرة علمائنا وسيرة مجاهدي هذه الأمة، لما تقرأ سيرة خالد رضي الله عنه، لما تقرأ سيرة أبي عبيدة رضي الله عنه، لما تقرأ سيرة هؤلاء المجاهدين، تقرأ سيرة المعتصم في جهاده، سيرة صلاح الدين، سيرة نور الدين الزنكي، لما تقرأ سيرة هؤلاء العظماء آلب الدين أرسلان، تجد أنك أمام بشر، لو شئت أن تقول: أنهم ليسوا إلا جن فوق البشر لصدقت، ولقاربت الحقيقة، فعندما تقرأ لهؤلاء وتسمع أخبارهم وسيرهم... تنشط نفسك، تمسك الكتاب وتقرأ، تذهب إلى العالم وتسمع، تفتح مصادر العلم وتسمع، لا بد أن تقوى.

إذن الطريقة القرآن الأولى، هي: القرآن، غير القرآن لا شيء، فكل هذه التي نذكرها بعده حواشي وثانويات، ثانيًا: أن تقرأ سيرة العلماء؛ فهذه تقوي إرادتك، سيرة العلماء في كل فنٍ من الفنون، لا بد أن يكون لك ورد يومي كما لك وردٌ من القرآن ومن ذكر الله عز وجل أن يكون لك وردٌ في النظر إلى سير العلماء، اقرأ «سير أعلام النبلاء»، اقرأ فيه، اقرأ «معالم الإيمان»، اقرأ «تذكرة الحفاظ»، اقرأ «السير الكبرى» للإمام السبكي، اقرأ «البداية والنهاية»، هذه أعظم ما تقوي في نفسك الإرادة، تُذهب عنك التسويف، أنت إذا سمعت كلام العلماء في وصف قيام الليل، وكم كانوا يقومون؟ فإن عجزت عن القيام مثل قيامتهم وقومهم وصلاتهم لا بد من أن تقترب منها ولو قليلاً، ثم ترقى نفسك بعد ذلك، وانظر إليهم أنهم بشر يعانون مما تعاني.

بعض الناس يعتذر ويقول: أنا صاحب أشغال أو أنا معلم أو أنا مجاهد أو أنا صاحب شغل... لا يوجد

أحد صاحب شغل كالفاروق، لا يوجد أحد امتلأ وقته كعمر رضي الله عنه، لكن هل كان يمنعه هذا أن يقوم الليل ويقرأ القرآن وأن يذكر الله، وأن يعلم الناس، وأن يقوم بشأن أهله وهكذا، لا تعتذر، هذه النفس من أشد حيلها التبرير، مرض النفس بعد التسويف التبرير، تقول: أنا لا أقدر، أنا مشغول... هذا كله أنت تعلم أنك تكذب على نفسك وتسبغ على الخطأ تبريرات والتأويلات أنت تعلم كذبها.

فلذلك أولاً: أن تقرأ القرآن، وثانيًا: أن تقرأ سيرة العلماء، سيرة السلف وأصحاب الهمم العالية.

ثالثًا: وهو أنه ستقع بعد ذلك لك الأقدار التي تعينك، هذه أمورٌ منك: قراءة القرآن، قراءة سيرة السلف الصالح، هذه أمورٌ منك، ثم تأتي لك الهدايات الربانية لك المقوية، من ذلك وقوع البلاء، هل تظن أن وقوع البلاء معوقٌ لك على العمل؟!... الجواب: لا... البلاء دافعٌ لك على العمل، وما رأيت أحدًا ابتلي في سبيل الله بسبب قيامه بالقرآن أو بسبب سلوكه سبيل السلف إلا وارتقت نفسه وهمته وصلحت أمر نفسه في نفسه، الابتلاء يرقي النفس، يرقي الهمة، ومن ذلك أنك تظن أنك لا تقدر، من أمراض النفوس وإشاعتها، فالنفس تشيع فيك أنك لا تقدر، وتمنعك من التجربة، فإذا أُبتليت وصبرت علمت أنك تقدر، فتذهب عنك ظنون الشيطان وظنون النفس... تقوى، فالابتلاء هو عطاءٌ إلهي يزيدك مقامات لا يمكن أن تبلغها بنفسك أنت، لا يمكن، رغم أنفك ترقى نفسك، وتوضع في أماكن ليست باختيارك من أجل أن تكتشف نفسك بأنك عبد، وأنك صبرت، وأنك... حتى لو ضعفت، هذا الضعف يلقي من معاني الإيمان ما ترتقي به نفسك، حتى الضعف عند الابتلاء.

فلذلك الابتلاء عطاءٌ إلهي من أجل أن ترتقي نفسك، الابتلاء يعرفك الذوق، يذيقك هذه المعاني، هناك معان في القرآن ومعان في سيرة السلف لا تفهمها حتى تكون في أتون النار والفتنة والابتلاء فحينئذٍ؛ ترتقي الكلمات من كونها معان أذنية ذهنية إلى معان قلبية في مرجل الإرادات، حينئذٍ؛ ترتقي نفسك، الابتلاء يرقيك، الذوق يأتيك، الذوق هذا يكون من أكبر الدوافع، تريد أن تعيش تلك اللحظة، تبذل الجهود لتعيش تلك اللحظة، أنت عشت لحظةً مع القرآن فهذا الذوق يبقى في ذائقتك، فأنت تسعى إليه ليكون، وتبذل جهدًا عظيمًا لتصطاده من جديد لتنعم به كما نعمت به سابقًا، انظر هذه يصنعها الفعل، يصنعها الفعل وتترقى فيها، وتشعر بقيمة المعاني وتذوق الأحوال، وتذوق المقامات والمنازل كما منازل السائرين تذوقها فحينئذ؛ إن الله عز

وجل يجتبك، الله عز وجل يصطفيك، وحين يجتبيك الله عز وجل ويصطفيك فلا تسأل، فلا تسأل عن العطاء.

المطلوب هو أن تدخل وأن تُنادى: «يا مصطفى» على معنى الاصطفاء الذي هو تبعٌ للنبوة، وأما فالنبي صلى الله عليه وسلم فمصطفى اصطفاء النبوة، وأتباعه قد اصطفاهم الله عز وجل، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢]، فحين تصطفى أنت؛ خلاص انتهى لا تسأل، فتصبح مقبولاً عند الله عز وجل، وليس معنى هذا أن تستكين، هذا الاصطفاء يرفعك لمقامات ودرجات يكون هناك معاني من التكليف ما لم تكن سابقًا، ومن ذلك مقام الشكر لله عز وجل، ومقام الإمامة، والإمامة هي أن تكون تقيًا من أتقى الناس، وعابدًا من أعبد الناس، وصادقًا من أصدق الناس، أنت حين تقوم في هذه المقامات ترتقي، والأنبياء يرتقون حتى في قبورهم فكيف بأتباعهم في حياتهم.

هذه كلها محفوفةٌ بأمرٍ مهم وهو البلاء، محفوفةٌ بأمرٍ مهم وهي المصيبة الدنيوية، إذا أردت أن تنشأ نشأةً دنيوية فلا تسأل عن هذه، يجب عليك أن تحبس نفسك، مصطفى صادق الرافعي رحمه الله له كلمة، يقول: «إذا أردت أن تكون أديبًا؛ فعليك أن تحبس نفسك، لا بين جدران السجن، ولكن في سجن الفكر والأدب».

اعلم أنه لن يصلح أمرك حتى تحبس نفسك، والحبس بلاء، فكل ما ذكرناه على قاعدة قوله صلى الله عليه وسلم: (**وحفت الجنة بالمكاره**)، وهذه المكاره هي التي تُبغّض الناس في المعاني العظيمة، هذا البلاء هو غلاف، غلاف تحته ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ (١٣)﴾ [الحديد: ١٣] البلاء هو غلاف، ظاهره.

وتعجب وتقول: أنا أسجن؟!، وتعجب وتقول: أنا أفتقر؟!، وتعجب وتقول: أنا أموت؟! هذه أغلفة، وهذه وهم، الحقيقة في الداخل، حقيقة الأفعال أنها لذيذة وجميلة وعظيمة، لكنها محفوفةٌ بالبلاء؛ فلا بد أن تكسر هذا الوهم، وتلج في داخلها لترى النور، ترى الكرم، ترى العطاء، ترى الفتح، ترى المشاهدات، منازل المشاهدات هذه تراها.

فأولاً: عليك أن تتجاوز الخوف من هذا، لا تخاف الفقر، الله عز وجل يكفيك، ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦]، الناس يخافون الفقر، الله عز وجل يقول لهم: أنا أعطيكم، ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ

﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ [الزمر: ٣٦]، ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦٨)﴾ [البقرة: ٢٦٨]، ما قال: يعدكم الغنى، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا﴾، انظر قدم الله عز وجل لهم المغفرة مع أن الحديث حديثٌ عن الغنى، لكن الغنى ليس عطاءً جميلاً بذاته، لا بد أن يسبقه ما قاله: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦٨)﴾ [البقرة: ٢٦٨]، أولاً هو المغفرة وفضلاً، قال تعالى: ﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١٣)﴾ [الصف: ١٣]، أولاً المغفرة، فهذه عليك أن تعرفها: «الجودُ يفقر والإقدام قتّالُ»، هذه ظواهر أولية، ظواهر أولية لا بد أن تدفع ثمنها حتى تصفو نفسك مع المعنى وليس مع الأشياء.

فحين ترقى هذه النفس إلى درجة تذوق المعاني تصبح الأشياء خادمة لك، يعطيك الله عز وجل ويكفيك، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (٣)﴾ [الطلاق: ٢-٣]، التوكل على الله عز وجل معنى في القلب يفتح لك الرزق، لا تقل كيف؟!

العلماء أعجبهم الوقوف عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦)﴾ [الشرح: ٦] عند قولهم: عسرٌ واحد لا يغلب يسرين، لكن لم ينتبهوا إلى تنكير اليسر وتعرفة العسر، لم يقفوا على معنى آخر، وهو الأهم عندي لمن عاش البلاء، وعاش العطاء، وعاش الجهاد، وعاش السجن، وعاش... إلخ، وهو معنى أعظم، وهو أن الله عز وجل نكر اليسر من أجل ألا يعرف الناس من أين يأتيهم، فالعسر معروف، جاءك الفقر معروف، وجاءك من ذهاب المال أو عدم مجيئه أصلاً، ولكن اليسر كيف يكون؟ منكر، كيف يكون منكر؟ لا تعرف من أين يأتيك، لأنك إن علمته ذهب الكثير من معاني التوكل، فلذلك هو مُنّكر لأنك لا تدري من أين يأتيك، لا تدري من أين يغزوك، لا تدري من أين، يأتيك رغم أنفك، ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦)﴾ [الشرح: ٦]، ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]، حسبه: كافيه، يكفيه كل شيء.

ولكن عليك أن ترضى بقسمة الله عز وجل، لا تنظر إلى الناس، أنت تنظر في قسمة الله عز وجل! أنت حقك في الله عز وجل أن يكفيك، أن يكفيك.. انتبه، أنت تطلب مليون، هذا فوق كفايتك، حقك أن تُكفى، حقك ألا تتسول، حقك أن تأكل ولا تجوع، حقك أن تلبس ولا تعرى، قول تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ

عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]، حسبه أي كافيه، والناس يريدون أكثر، يريدون مثل الأغنياء، يريدون بالطاعة مثل الأغنياء عندهم القصور وما شابه، هنا إذن أنت خرجت من معنى العبودية، حتى إذا جاءك المال فأنت في مقام البلاء.

ولذلك هذا المعنى من النظر إلى يد الله عز وجل في مقامك أنت، هذا مهمٌ جدًا؛ فعليك أن تقوم وأن تتحرك، إن أعظم ما يميت الناس عن طلب العلم، عن الجهاد، عن التقوى، عن العبادة، وهذا هو تخلف معنى إصلاح الإرادة وقوة الدافع وعدم الاهتمام بقراءة القرآن، وعدم الاهتمام بقراءة سيرة السلف، وعدم النظر إلى وهم البلاء، هذه هي المعاني التي أنبه إخواني عليها، وهذا بابٌ يجب الانتباه عليه... كان الإمام العز بن عبد السلام يشكو بأن المساجد خالية ممن يعلم الناس فقه النية، النية تحتاج إلى فقه، والحقيقة أن هذا الباب القليل -يوجد من يتكلم عنه- ولكن القليل من الذين يهتمون به ويرعاه، فليت الناس يقومون برعاية الشباب والناس في هذا الباب، ويفتحون لهم الأبواب والسبل وإياك هذه الأمراض -لا أستطيع في هذه الجلسة ولا في عشر جلسات أن أنهي هذا الباب- من ذلك أن يزعم الشيطان لك بأن الباب مغلق، وأن تقول: لا يوجد عندنا علماء فأنا لا أطلب العلم، لا يوجد جهاد فأنا لا أجاهد، وهكذا... يبدأ يمنع عنك هذه الطاعات بحجة عدم وجودها، هذا من تلاعب الشيطان.

أنت كن -مما تعلمته من بعض المشايخ- كن كالماء، هم قالوا: كن كالماء، وأنا أقول: كن كالهواء، ما هو شأن الماء؟، الماء يمشي فإذا صادف جدارًا يبحث عن منافذ أخرى صغيرة، ينفذ منها من هنا وهنا، لا يتوقف من البحث من أجل أن يواصل طريقه، الماء قد يمنع منعًا كليًا، لكن الهواء لا يمنع إلا بمشقةٍ زائدة فوق طاقة البشر في بعض الأحيان، ولذلك كن كالهواء إذا أغلقوا عليك بابًا فتحت أنت ألف باب، وتفكرت بألف باب، وهنا يأتي دور عقلك ودور حكمتك، لا تقل: أنا ذكي، ذكاؤك في قضية تحقيق عبوديتك لله عز وجل، والبحث عن المنافذ لإيصالك إلى عبوديتك لله عز وجل، وإلى الارتقاء إلى درجة المتقين ودرجة الصالحين ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٢)﴾ [التوبة: ١١٢]، هكذا ترتقي.

فلا تقل أنا أين يمكن أن أتعلم؟ كم من أمكنةٍ تعلم فيها الناس العلم من غير علماء، بحثوا عن الكتب، لا

توجد الكتب اليوم توجد منافذ كثيرة، هاجروا، تركوا أوطانهم، غضب الناس عليهم، عدوهم مجانين، ثم صاروا عظماء، لا يوجد أحد يستطيع أن يمنع عبوديتك لله عز وجل، حتى وأنت في القفر، والله لو أنك لا تحفظ إلا الفاتحة، ووضعوك داخل صندوق مغلق مصمت من كل الجهات، والله ترتقي به أعظم الدرجات مع الفاتحة، وتحس من معانيها ما لا يحسه من يحفظ القرآن كله ولا يعرف حقيقة ما بين يديه من القرآن، ألم تر أن ابن القيم رحمه الله كيف تحدث عن اختصاص قراءته للفاتحة وهو في الحج؟ وكيف كفته المرض والأكل والشرب، تحدث عنها حديثًا عجيبًا، أنت تملك كنزًا.. الفاتحة كنز، الفاتحة طعام وشراب وغذاء ودواء، أنت تستطيع، إياك إياك أن يخطر في بالك أنك لا تستطيع، إياك.. إياك أن يخطر في بالك أنك لا تستطيع ما استطاعه الأوائل من العلماء، إياك أن يلبس عليك الشيطان هذا المعنى الباطل، إياك، قم.. تحرك.. أقبل على الله عز وجل، افتح القرآن، اقرأه، احفظه، ابدأ بالحفظ، ابدأ...

المرء لولا المخافة لتحدث بأشياء عجيبة في هذا الباب لا تخطر على بال.

اللهم لك الحمد وأستغفرك ربي وأتوب إليك، يكفي هذا... وبارك الله فيكم وجزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

٣٢٢- الحديث مرة أخرى عن تجربة الجزائر

ضمن الجلسة السادسة والعشرون، بتاريخ: (**١٦/٠٥/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١/٠٢/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

ما زال الإخوة يسألون عن موضوع تجربة الجزائر وما وقع فيها، وما تحدث عنه الأخ الأستاذ أبو مصعب السوري من كلمات ونشر، وأنا وعدت سابقًا بعد أن تكلمت عنها إجابةً على سؤالٍ قد تقدّم بعض الإخوة به، ألا أعود إليها، وأن أجعل كلامي في يومها هو آخر الكلام، ومازلت على هذا القول، فلا يطمعنّ أحد بأن أزيد عما قلته سابقًا.

لكن أقول لإخواني:

يعني السائلون على أصناف متعددة: هناك من يريد أن يرد على تهم من يوجه الاتهامات لهذا العبد الفقير، هناك جهات مخابراتية ما زالت تنشر هذا، وأنا يأتيني بعض من يُطلب إلى بعض الدوائر، فيقول: كيف تثقون بهذا الرجل، وهو على كذا وكذا، هو الذي أباح الدماء وسفكها، وهو الذي أجاز كذا وكذا... إلى آخر ما يقولون، على كل حال مثل هذه الأمور أنا أعتبرها أي في تنفير أعدائي مني، أعتبرها يعني شارات وأوسمة مدحٍ لا ذم.

هناك من الإخوة من يريد أن يكون بين يديه مادة؛ من أجل أن يرد على من يطعن، وهناك من يثيرها من أجل إثارة الشحناء والمشاكل بين الإخوة، وهناك في الحقيقة من يريد أن يستفيد، وأن يتعرف على هذه التجربة ومضى عليها الآن سنين طويلة، فربما كان السائل صغيرًا يومها، واليوم قد كبر وارتقى، فيريد أن يعرف عن هذه الفترة من وجهٍ صحيح على كل ما يقال فيها.

إخواني: هناك جوانب متعددة في هذه التجربة، لا بأس، هناك جوانب ينبغي أن نتحدث عنها، وهناك جوانب ينبغي أن يكتب فيها، وأن يكتبها أهل المعرفة بما شهدوا، هناك إخوة ما زلوا يعيشون وعاشوا تلك الفترة، فيمكن لهم أن يكتبوا وأن يبيّنوا وأن يشرحوا عما ما وقع لهم، وهناك من كتب وعرّض، وهناك من كان في الخارج وله تجربة، يعني شهد بعض وقائعها من الخارج والسماعات والاطّلاع، فالناس مراتب متعددة مع كل

حدثٍ من الأحداث ومنها حدث الجزائر.

الذي أريد أن أقوله: هذا جانب ينبغي أن يختلف عن جانب الردود، وينبغي أن يكون بعيدًا عن جانب التشفّي والثأر، وينبغي أن يكون بعيدًا عن جانب تبرئة الذات مما علق بها، أنا لا أريد أن أقول بأن جهةً من الجهات هي التي تحمل نتائج ذلك الحدث، ولا أريد أن أبرء جهة من الجهات، ولا أريد كذلك أن يخطر على البال بأنّ هذه التجربة، تجربة فاشلة لا منفعة فيها، هكذا يريد البعض كذلك أن يحمل عليها؛ حتّى يجعلها سيئةً من كل وجه، والواجب هو لفّها في داخل أدوات معدنية ثمّ رميها بعد ذلك في الزبالة، هذا قولٌ غير صحيح، ينبغي على المسلم أن ينتفع بكل حدث، وأن يجعله سُلّمًا من أجل الارتقاء، وسُلّمًا من أحل العبودية، من أجل تصحيح نفسه وتصليحها والاستفادة.

الناس لا يسألون إلا القليل منهم، أنا جلست –لما كنا خارج هذا البلد– جلست مع إخوة جلسات متعددة، كنّا نراجع تاريخ تعاملنا مع هذه الفترة، واستفدنا، وكان الحديث في بعض الجلسات يُقسّم، فمن الجلسات التي جلسناها للاستفادة والحديث هو موضوع الإعلام، ولا شكّ أنّ موضوع الإعلام كانت تجربة عجيبة وثرية بغناها، ولها فوائد كثيرة، وتحدثت بصدق مع الإخوة عن الجوانب الإيجابية والجوانب السلبية، بماذا نجحنا، وبماذا أخفقنا، وهكذا، وكذلك في قضية كيفية التعامل مع الأخبار، وكيفية معرفة الناس، وعدم التعامل معهم شيئًا واحدًا جامدًا ورقمًا ثابتًا لا يتغير، كل هذه الأمور ينبغي أن تناقش، وكذلك في كيفية قدرة إدارة المعركة من قبل خصومنا، ماذا عندهم من أدوات يستغلونها للدخول إلينا، وإفساد ما عندنا.

للأسف الناس الذين يسألون لا يسألون عن هذه الجوانب، لا يسألون عن كيفية الحركة اللوجستية في قضية الدعم المادي بنوعيه، سواء السلاح أو المال، والمعنوي بالتأييد، هذه جوانب الحقيقة استفادت منها الحركة الإسلامية استفادةً عظيمة، والكثير من الشباب انضموا لها خلال تلك الفترة، والكثير من الجماعات بنت نفسها على سيط تلك الفترة، سواء كان في وقتها أو ما بعدها، وكل هذا يهربون منه، الجماعات تهرب منه ومن تفاصيله.

مما يؤسف له أنّ السائلين لا يأتون إلى هذه المعاني، ولا يريدونها، وإذا جئت إليها لا يلقون لها بالاً في قضية السماع والاستماع والإنصات والتعلم، هم يأتون إلى قضية؛ ما هو قولك يا فلان في قول فلانٍ فيك؟ الموضوع

عندي... والله بالنسبة لهذا الأمر لو ذهبت إلى محكمة -خذوها مني- لو ذهبت إلى محكمة وكان الخيار بين أن أقتل إعدامًا، وبين أن أتكلم وأدافع عن نفسي من أجل أن أبين ما هو موقفي من ما قال، والذي يتضمن لزومًا رد التهم، وتفصيلات معينة، قد تصيب المتكلم أو قد تصيب غيره، فإني سأختار القتل على أن أتكلم، لا يظن المرء أنّ الإعراض عن الإجابة هذه بسبب ضعف الراد، أنا أعتبر هذا مصدر قوة، أن يكون عندك الأدوات بأن ترد وأن تمتنع، وسبب الامتناع هو أمرٌ ديني.

ودعوني أخلِص لكم الجواب؛ أنا أتكلم هنا مع التقي العابد، وأتلكم مع المسلم الذي يهمه مصلحة الأمة، لا أن يتمتع بالأخبار، لأن البعض يحب القيل والقال، يحب هذا المنهي عنه القيل والقال، من أول شرور ذلك أننا نقدم مادة دسمة وكبيرة لأعدائنا من الزنادقة والعلمانيين وغيرهم، وطوائف الردة وطوائف الزندقة، سنقدم مادة غنية لا يفهمونها إلا على جهة القذف بنا والطعن في ديننا، وهؤلاء تروهم لسفالتهم يختارون ما حصل بين الصحابة رضي الله عنهم من خلاف؛ من أجل أن يقذفوا الدين، فإذا كانت الأخبار التي وردت عن الصحابة رضي الله عنهم يستغلونها في قذف الدين، فكيف بالأخبار التي تصدر من عندنا، إذن الواجب؛ هو كتمها لعدم وجود المنفعة الكبيرة التي تعادل هذه المفسدة، نحن لا نتكلم عن الجوانب التي تفيدها التجربة في قضية العِبرة، نتكلم عن هذا الذي أتحدث عنه، وهو ما بيني وبين الأستاذ الذي أسأل الله عز وجل أن يفك أسره.

إذن أولاً نحن نقدّم مادة، فلا يأتيني أحد من أجل أن أرضي شهوته ورغبته التي هي فقط ليعرف، فأقدّم هذه المادة لأعداء الله عز وجل، نحن نعيش واقعًا يختلف حتى في مقدار قوة الدعاية والأخبار عن أي زمنٍ سابق، النبي صلى الله عليه وسلم امتنع عن أفعال حتى لا يقولوا أنّ محمد يقتل أصحابه، ونحن نعلم ماذا حدث في قضية قتل المشرك في الأشهر الحرم، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧]، فالموضوع مهم جدًا.

لا يظنن أحد أنّ الإعلام مسألة يسيرة، وأنّه ليس من الجزء الأكبر في قضيتنا ومعركتنا، نحن من الأقسام الكبرى في معركتنا هي قضية الإعلام وكسب القلوب، والحفاظ على المشاريع نقية، نحن بشر نُخطئ ونصيب، ولكن الآخر لا يفهم خطأنا إلا بأننا سفلة، لا على أننا بشر نُخطئ، يصوروننا على أننا شياطين ويصوروننا على أننا سفلة، ويصورون أخطائنا على معنى مما يقع عندهم من السفالات والجرائم، يصورون خطأً ما بقضية رؤية

رجلٍ لامرأة على أنّه زنا، على أنّه معصية وفجور، يصورون الخطأ على أنّه كذب، يصورون الخطأ على أنّه فرية عظيمة، وهكذا يصورون، يصورون ضعفنا حين نسجن في بلاد أنّه عمالة، انظر!!

وبالتالي؛ أنا أعرف وأراقب حركة الإعلام، فلا يهمني أن تغضب أيها الأخ الحبيب -أتكلم مع الصادق وليس الكاذب، وأتكلم مع الذي يبحث من أجل المعلومة- لا يهمني أن تعلم من أجل أن أخسر، وأن أخسر قضيتي، وأن تكون أنت عرضة للقذف والاتهام، وبعد ذلك تسلط السهام من أجل تغير دينك ووجهتك، بسبب المادة التي أقدمها أنا لك لتعلم، فهذه قضية مهمة.

القضية الثانية: حين لا يكون المرء أمام قاض ليس مطلوب منه أن يتكلم، ويكون الكلام حينئذٍ للدفاع عن النفس، والدفاع عن النفس لا بد له من مقاصد عظمى، من هذه المقاصد هو أن يدفع المرء عن عرضه، وكل ما قاله على كل حال، أنا تأملت كل ما قاله، الأستاذ، فهب أنّه صدق، والله رب العرش العظيم عندي هذه خصومة أنّ فيها الكثير الكثير من الأخطاء، لكن هب أنّه صدق في كل ما قال، فهل هذه تخرجني من دائرة أنّي أخطئ وأصيب في تجربةٍ ابتدائية؟ إلى أي درجة، هل تخرجني من الملّة مثلاً؟ هل تجعلني أنا عميلاً ما مثلاً؟ أني اخترقت التنظيمات من أجل إفسادها؟ أقصى ما يقال: أنّ هذا الرجل جاهل -أقصد تقال عني- أنه جاهل، وأنّه لا يفهم و. إلخ، وأنا أرضى بهذه الصفات، يعني لا تضرني ولا تتعبني، فبيني وبين نفسي لا يضرّني أن يقول عني كائن من كان، سواء الأستاذ أو غيره، أن يقول عني: أنّي جاهل، لا يضرني أبدًا، ووالله إنّي كما يقول، أي أنني جاهل، وليقول: بأنني مغفل، نعم فليقل لا يضرني هذا، ووالله إنّني كذلك، فمثل هذه الأمور لا تضر، بغض النظر عن الكلام عن الأحداث كيف جرت، وما هو وجهها، ولكن أتحدث عن النتائج، ما الذي يضر؟

ما هو المطلوب في حالتي تعبدًا لله، ما هو المطلوب مني؟ هل هو رد الكلمة بالكلمة، أم الصبر؟ ما هو المطلوب؟ إذا أردتك أنت أيها المسلم، أيها الأخ الحبيب، إذا أردتك ناصحًا لي، وجلست بينك وبين نفسك، أريد أن أنصح هذا الرجل، هذه الشيبة، في هذا العمر، ماذا تفعل؟ من أجل رضى الله، لا رضى نفسك، الجواب: اصبر، فأنا أنصح نفسي بما ينصحني كل حكيم، فهذا أمرٌ يتعلق بهذه النقطة الثانية، بأنّ كل ما يقال لا يضر، ونحن نجهل إذا يريد أن يقول فلان عني أنّي جاهل، مازال الناس يقولون عني: أنّي جاهل، وإذا قال

الناس عني: أنّي لا أفقه الحياة، فالناس إلى الآن، الآلاف يقولون هذا.

الأمر الثالث: أنّ من الواجب هو رعاية الضعيف، والنظر إلى المقاصد، انظر، هذه الكلمات التي قيلت فيّ، رأيت أثر الصبر عليها أعظم من أثر الرد عليها، كيف؟ لو أردت مثلاً أن أرد، فأنا متأكد، وعلى يقين، أنّي سأنزل من عين الله، إما نزولاً كليًا، وإما نزول جزئي بحسبه، لأنّي في النهاية انتصرت لنفسي، والانتصار لنفسي هذا سيؤذي آخر، هذا الآخر، أنتم لا تعرفون معنى الظلم في السجن، إلا من جرّب هذه التجربة، عندما يأتيك خبر، كان أبنائي يزورونني، فعندما يقولوا: فلان يدعوا لك، كأنني خرجت من السجن وانطلقت خارجه، تسقط هذه الأسوار عندما يأتيني فلان يدعوا لك، يسلم عليك، ويخبرنا أنّه يدعوا لك ويحبك، فأشعر كأني قد خرجت من السجن، لحظات أو أيام أو إلى ما يمكن أن يحصل، من هذه المعاني النفسية، وعندما يأتيني خبر، ويأتي السجين خبر، أنّ فلان قد قدح فيه، وتكلم فيه، فكأنّه يعيش في سجنٍ آخر، وفي ألمٍ آخر، وفي ظلمةٍ أخرى، ليس على معنى أنّه لا يستطيع أن يرد، ولكن على معنى أنّه في ظلمة، يحتاج إلى من يأخذ بيده، وأنّه في قهر، ويحتاج إلى من يخرجه من هذا القهر.

بالله عليكم، الذين يحبون الأستاذ أبو مصعب حفظه الله، ورده إلى أهله سالماً، الذين يحبونه ما الذي يحبون له؟ أنا لا أعلم أحدًا يحبني ويبغضه، وإن كان هناك من يحبه ويبغضني، هذه معادلةٌ أرضاها وتفرحني، فالذين يحبون هذا الطريق، يحبونني ويحبونه، أو يحبونه لوحده، فما هو المطلوب مني من قبل هؤلاء المحبين؟ هو ألا أؤذيه، ربما أؤذيه بحق أو باطل، أتكلم فسيكون كما في رؤيته هو وفي رؤية البعض ممن يسمع فيها حق وباطل، والله عز وجل هو رب الكل وهو الذي سيحاسبنا، فماذا تنصحونني، عليك أن تكون أنت من هؤلاء، ماذا تنصحني؟ تنصحني أن أؤذيه وهو في سجنه، أم أفرحه وهو في سجنه، ما الذي يؤذيه؟ أن أقول: فعل كذا وكذا الآن، وأخطأ في كذا وو... وإلخ، وبين قوسين «لم يصدق في كذا»... إلخ، ما الذي يفرحه؟ أنا أحب أن أفرحه، وأحب أن آتي يوم القيامة أو إذا اجتمعنا في الدنيا أقول: أنا لم أتكلم عنك، وأنا متأكد أنّها ستكون قربة له في صحبته وفي صداقته، أم أن أتعبه؟ ماذا تريدون؟ إن كنتم على وجهٍ من وجوه المحبة لهذا الدين ولرجاله، وعلى معنى الاستفادة منه؛ فما الذي تريدونه؟ اطلبوا مني أن أسكت، بل اطلبوا مني أن أذكره بخير، والله إنّي لأعرف ما هي جوانب الفضل في أبي مصعب أكثر إنسان في الدنيا، عاش في بيتي، وأنا وإياه مع أهله شهور، عاش شهورًا، وأنا أعرف سرّه ونجواه في داخل بيته، وأنا أعرفه، فلو تكلمت عنه فلن أتكلم عنه بما يكتب، سأتكلم

عنه بما كتب، وبما فعل، وبما فكر، وبما أحب، وبما أبغض، وبما سلك، وكيف فعل.

فلذلك أيها الإخوة الأحبة، توقفوا، توقفوا، إن كنتم تحبون ألا نعطي الزنادقة والمرتدين سلاحًا لنقتل به، وإن كنتم تريدون تقرّبًا إلى الله عز وجل، بأن أتقرب إلى الله عز وجل؛ لأنّ محبتك للناس بأن يتقربوا إلى الله عز وجل، هي قربة إلى الله عز وجل منك، وإذا كنتم تريدون أن لا تؤذوا هذا الرجل؛ فعليكم أن تطلبوا مني أن أسكت، لهذه الجوانب ولغيرها فأنا أسكت، ولن أستثار، وما الذي سأفعله؟ أبو مصعب حفظه الله وفك أسره وأعاده إلى أهله سالماً غانماً، وإلى إخوانه، أنتج إنتاجًا علميًا، فهل المطلوب مني أن أبقي هذا الإنتاج في نضارته التي كتب بها، أم أصبغ عليه ظلمة الأخطاء البشرية التي تقع من كل إنسان، نحن أمام ناس صغار، يأتون إلى النقطة الصغيرة السوداء، فيعممونها على مساحات واسعة من حياة المرء، كلنا لنا أخطاء.

فعندما نتحدث عن سيد قطب الآن، هل نتحدث عنه بشرًا أم نتحدث عنه بطلاً ومثالاً، هو إنسان له أخطاؤه، هذا الواجب علينا أن ننظر له، لكن عندما نتحدث عنه، نتحدث عن كلمات النور التي تكلم بها، فتتحول في أذهاننا صفة النور التي في كلماته إليه، فكأنّه يصبح نورًا ومثالاً في أذهاننا، وهذا عليه أن يبقى، كما هو شأن علمائنا، مع عدم إلغائنا لبشريتهم، **(كل ابن آدم خطّاء)**.

فالناس الآن كثيرًا يقرؤون للغائب، والغائب له حضورٌ عظيم في أذهان الحاضرين والناس، لو أردت أن أتكلم عنه سأسقط الكثير من قيمة كلامه، فهل هذا دين؟ هل تحبون هذا؟ أم علي وعليكم جميعًا أن نبقي هذه الكلمات بنورها التي تُحدث آثارها الطيبة في نفوس الناس، فقط هذا الذي أنا أطلبه منكم، فأعينوني على هذا المقام، مع أنيّ بفضل الله عز وجل يعني مرتاح جدًا، وكثرة الأسئلة لا تهزني شعرة لتحرك إلى الجواب عن أي سؤال يتعلق بشخصه.

بقيت قضية العبرة والحديث عن التاريخ، وهناك أسئلة سألني إخوة للحديث عن أيام بيشاور، والحديث عن بريطانيا، الحديث عن الجزائر، الحديث عن إنسان عاش تجربة، ومازلت أقول: بأنّ الماضي ما زال حاضرًا، وأي كلمةٍ في ماضينا تؤثر على حاضرنا ومستقبلنا، لم نخرج بعد من الحياة، ولم تعد الأحداث الماضية تاريخًا مضى وانقضى، بل هي ما زالت تتسرب إلى واقعنا وأعمالنا وحركاتنا وشبابنا وإخواننا، فالمطلوب منا: أن نسكت عن الكثير الآن، وأن نقدم التجارب من خلال الكلمات دون ذكر الأحداث، يعني ما نفعله إلى الآن نتكلم، كل

يوم نتكلم بفضل الله عز وجل، نكتب، الناس يكتبون، والإخوة يكتبون، وأنا أكتب؛ فيقدّم الإخوة ويقدّم من معهم الخير للناس، دون النظر إلى الأحداث، يعني ذكر الحادثة المعينة نذكرها لبعض الإخوة ولا نسربها؛ حتى لا تصل إلى من يأخذها على وجهٍ من وجوه الضلال والانحراف.

وبالتالي؛ أيها الإخوة الأحبة، هذا الأمر اقطعوا الأمل منه في الحديث، في الرد على ما ذكره من أحداث، أقصد الأستاذ حفظه الله، ورده إلى أهله، الأستاذ أبو مصعب، ولا يوجد أحد، خذوها مني، يمكن زوجته وأبناؤه فقط، أما لا أحد في الدنيا يعرف أبو معصب كما أعرفه، لا أحد، لا تظنّوا، أنا أعّرف الناس، لا يعرفه أحد كما أعرفه أنا، أعرف فكره وكيف صاغه، لما يخرج بعض الإخوة الكلمات أقرؤها، أعرفها، أعرف من أين جاء بها، أعرف كيف صاغها، أعرف وجهته، فلذلك يبقى الشيخ كما هو، وأما أنا فأطلب من الله سبحانه وتعالى أن يغفر لي، لأنّي صاحب ذنب، وربما هذه ما يقوله الناس عني هي كفارة لذنوبي؛ لأنّ هذا شأن العبد مع نفسه ومع ربه، فهذا الذي أقوله، ولا جواب لأي حادثة، ولا جواب لأي قضيةٍ أثارها، لا جواب، خذوا هذا الأمر، ونسأل الله عز وجل أن ينفعكم وأن تسلكوا سبيلكم وأن تنتصروا وأن تحققوا مقاصد الإسلام العظيم، وأن تكون لكم تجارب أنتم، ولعلي أكون نموذجًا فيما بينكم أعيش بأن لا تنتصروا لأنفسكم، حتى وأنتم تشعرون بالظلم، حتى وأنتم تشعرون أنّ غيركم يحكي التاريخ على وجهةٍ ما، تنصر رأيه وشخصه وذكاءه و... إلخ.

بارك الله فيكم وجزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

٣٢٣- خطبة سيسية عن مصطلح الثورة

ضمن الجلسة السادسة والعشرون، بتاريخ: (**١٦/٠٥/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١/٠٢/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يقول السائل حفظه الله: كنت أستمع إلى جزء من خطبةٍ سيسية -يعني نسبة إلى للسيسي- للمدعو محمد سعيد رسلان، ذكر أنّ مصطلح الثورة لم يكن موجودًا إنّما استحدثه عبد الله بن سبأ، مما نتج عنه مقتل عثمان رضي الله عنه، ما مدى صحة هذا القول، وهل مصطلح الثورة مصطلحٌ بدعي مذموم كما يزعم هذا الرجل؟

جواب الشيخ: هذا السؤال يحتاج إلى تفصيل في عدة جهات، وبسرعة نمر على بعض الأمور، أولاً: هذا المدعو ضال، كذاب، ومفتري، وهو عندي من طائفة الردة، رسلان من طائفة الردة، وهو من زعمائها وكبارها، وهذا رجلٌ مُفسدٌ في الأرض، ونسأل الله عز وجل أن ينتقم منه، وأنا عندي كل من وقف مع هذا العدو السيسي ضد مرسي، هو هذا، لأنّه كافرٌ بالدين، لا يريد الدين، لا يقولن أحد: لا، هو فهم الدين فهمًا وكذا، لا، لا، هؤلاء علمانيون، لا أحد يشك أنّ هذا الحاكم السيسي علماني، لا أحد يشك.

وعلى الأقل مرسي عنده إسلامٌ بدعي، يعني أقل ما يمكن، أو أنّ مشروعه أن يقيم الإسلام، فهؤلاء وقفوا في واقع الأمر وحقيقته جليًا واضحًا أنّهم وقفوا ضد الإسلام، لا يقول أحد: أنّهم هم أرادوا إسلامًا ما، فالخلاف بيننا على الإسلام!! لا، واقع الأمر أنّهم وقفوا ضد الإسلام، والسبب الدافع لهم هو: حقدهم على جماعةٍ مسلمة، والناس يكفرون بالدين لأسباب، ما يهمنا هذه الأسباب، المهم أنّهم كفروا بهذا الدين، ووقفوا مع أعدائه، وناصروهم لأسباب منها دنيوية ومنها منهجية، أنشأوا لنا أديان مختلفة في نصرة العلمانية على الإسلام السني، تسمع لهم: يقول لك من هو خير والأفضل الشيوعي أم الإخوان المسلمين؟ يقول لك: الشيوعي أفضل، الذي يقول: هذا كافر، نعم إذا قال في هذه الحالة يكون ضرر، رغم أنّ الشيوعية لا يوجد فيها منفعة قط، هي كفرٌ في عقيدتها، ودمويةٌ من جهة المسلمين، فلا منفعة فيها البتة، يمكن أن يقال عن فكرٍ علمانيٍ آخر أنّه متسامح دينيًا، فيمكن أن يقولها المرء في هذا الجانب، لكن الشيوعية لا يمكن، لكن هؤلاء يقولون: الشيوعية خيرٌ من الإخوان المسلمين، ووقفوا مع علمانيين ضد جماعة مسلمة بحجة أنّ هؤلاء يفسدون الدين، والسبب

هو حقدهم وجهالتهم في تقدير مواقف المسلمين، فأنا عندي هؤلاء هم مرتدون، كل من وقف عندي مع انقلاب السيسي ضد الإخوان المسلمين، وبأي سبب من الأسباب، هو مرتدٌ كافر.

وهل تعمل الموانع أم لا؟ بلا شك أن الموانع لا يجوز لأحد أن يزيلها، لكن العبرة بتصورها ووجودها، ليس هذا تقليل لشأنها، ولكن تقديرٌ لواقع.

فهذا المجرم وأمثاله مفسدون في الأرض، وأنا قرأت البارحة منشورًا أصدرته دولة مجرمة، مقاتلة محاربة للمسلمين، وقتلت من المسلمين الآلاف، وعشرات الآلاف، مع ذلك تدعوا دوائرها بأن لا يمنعوا أتباع المدعو هذا المجرم، ومن هو على أمثاله، لأنّهم يرون بأنّ كل حاكم هو وليٌّ لأمر المسلمين لا يجوز الخروج عليه، يعني هؤلاء لا يمكن لنا أن نتخيل إجرامهم حتى نرى وقائهم على الأرض، يعني كانت كلمة الخوارج كلمة كتابية في الكتب موجودة، فلما رأيناها واقعًا، دموية، ذابحة للناس، تقاتل المسلمين، الآن خرج الأمر عن هؤلاء، بأن والوا أعداء الله ضد المرتدين، وأحد الإخوة يقول لي: هل هذا عذر لهم؟ سبحان الله، لا نعذر المسلم في توليه للكفار ضد المسلمين، ثمّ نريد أن نعذر المبتدع الذي هو أشد في نظرته لقضية العقائد من المسلم في إعذاره في توليه للكافر ضد المسلم، بحجة أنّ معتقده هو أنّه يراهم كفار، وبالتالي هو متأول، يعني هذا جهلٌ في قضية إنزال الموانع على الأعيان وعلى الجماعات والأفراد، هذا ليس وقت الحديث عنه، ويحتاج إلى دروس، يحتاج إلى إعادة صياغة عقل المسلم الفقهية في قضية فقه النوازل والأحداث.

نحن كذلك نرى التجليات النهائية، وإلا بعد لم تعد نهائية بعد، فمازال المرض يتفاقم، السرطان يتفاقم، سرطان الخوارج ما زال يتفاقم، وسرطان المرجئة هؤلاء المجرمين يتفاقم، نراه في حفتر، نراه في هذا الأورفلي المجرم يقتل أهل المسجد ويلاحق المسلمين بحجة أنّه يلاحق الخوارج، هؤلاء تلاميذ هؤلاء المجرمين، هؤلاء أعداء الله، هؤلاء يهود، بل في الحقيقة اليهود كفار أصليين ولا يفعلون ما يفعله المرتدون، ولذلك ما نراه من واقع هو تقرير لحقيقة فقهية شرعية؛ بأن المرتد أشد كفرًا وفسادًا من الكافر الأصلي، اليهود كفارٌ أصليون ومحتلون ومجرمون وظالمون، ولكنّ أحذيتهم أطهر من هؤلاء الذين يقاتلوننا بحجة أننا خوارج، فيقتلوننا طلقة بالرأس، هذا ليس تهوين لشأن اليهود، المشكلة اليهود هم أس الفساد والضلال، لكن في واقع الأمر هذا المجرم رسلان ومن معه، والله إنّ فتاواهم -فتاوى وفتاوي يجوز لغةً، كصحارى وصحاري- إنّ فتاوى هؤلاء لخادمة لليهود أكثر مما

تخدمهم فتاوى رهباهم وأحبارهم، أي اليهود.

فعندما يتكلمون عن حماس بهذا الكلام، كأنّهم يتكلمون عن مجرمين، كأنّهم يتكلمون عن كعب بن الأشرف، وهذا المجرم الرضواني الذي هو على شاكلته، هو قسيمه، كأنّ الشر قسم إلى قسمين، رضواني ورسلان في مصر، فيتكلمون عن حماس، والله لا يتكلم نتنياهو عنهم هكذا، ولو قُدّر لهم أن يحكموا لأبادوهم بالنابالم وأبادوهم بالكيماوي، يجب علينا أن نعرف أعداءنا، النبي صلى الله عليه وسلم لا يقول: الكفار اقتلوهم قتل عاد، بل قال عن أناس من أمتنا؛ لأنّهم يفعلون فينا ما لا يفعله الكفار، الكفار لما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم، أبو جهل لم يستطيع أن يضرب النساء في بيت النبي صلى الله عليه وسلم، في بيت النبوة، هؤلاء يدخلون على نسائنا وأبنائنا وأطفالنا، فهؤلاء مجرمون، هؤلاء يجب أن نفقهم، حتى لو اختلفنا في تكفيرهم، يجب أن لا نختلف في طريقة التعامل معهم.

القصد: أنّ من أكاذيبه، هو زعم أنّه لا يجوز الخروج على الحكّام، من يقصد؟ يخرجون على عثمان ذو النورين؟ أيقارن هذا المجرم، يقارن الحكّما هؤلاء الطواغيت الذين يُعَبّدون الناس لغير الله ويقاتلون المسلمين، السجون ملأى من العبّاد والصالحين والدعاة والعلماء، يقارنهم بعثمان!؟

أما القصد: أنّ كلمة الثورة هي كلمة ولا شك أنّها مُحدثة، ولم تكن لا في عصر عبد الله بن سبأ، ولا في عصر علي رضي الله عنه، وهي كلمة مُحدثة، ولا شك أنّ عليها الكثير من الإشكالات اللغوية، ولكنّها صارت دلالة على واقع، وهو الذي يُسمى المصطلح، والمصطلحات إن لم تنفي حقًّا ولم تثبت باطلاً، ولم يدخلها الاحتمالات التي تفسد معانيها، فهي من قبيل التعارف ويقال فيها، فلا مشاحة في الاصطلاح، إن كانت بهذه الشروط، نحن لا نطلق هذه العبارة لا مشاحة في الاصطلاح، لأننا نقتدي بعلمائنا في التعامل مع المصطلحات، فكلمة الثورة صار لها مدلول اصطلاحي نتعامل معه، قد تكون الثورة حقًّا، فهذه الكلمة –ثورة– لا تعني دلالة حق، ولا دلالة باطل.

ونحن نعيش زمن الجهل؛ فبعض الناس هكذا يستفز كأنّك لما تقول ثورة، كأنّك قلت له: اشرب الخمر، أو أكفر بالله، كلمة مصطلح تدل على واقع، والواقع قد يكون هذا الفعل في اتجاهه الصحيح، وقد يكون في الاتجاه الخطأ، فعندما تقول: ثورة إسلامية، فقد وجهتها إلى أنّ منطلقاتها إسلامية وجائزة، الخروج على الحكّام

واجبٌ شرعي مذكور في كتب الفقه وليس جديدًا علينا، الخروج على الحكام له أبوابه في كتب الأحكام السلطانية، وليس جديدًا، وعبد الله بن سبأ كلب حقير عدو؛ لأنّه أراد إفساد الدين، ليس فقط الخروج على عثمان رضي الله عنه لقضية الخروج على حاكم، ابن سبأ هو الذي قال عن علي رضي الله عنه: أنّه هو الله، أي لم تكن نظرته فقط القيام على الحاكم، لا، القيام على الحاكم، النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(إلا أن تروا كفرًا بواحًا)**، وأبو بكر رضي الله عنه قال: «إن رأيتم شرًا فقوموني»، وكذلك عمر رضي الله عنه، فالخروج عن الحاكم ليس بكلها، بكل صورها، هي صورة جديدة علينا أن نتعامل معها كباطل، كما يتعامل هؤلاء الجهلة، هؤلاء المفسدون، هؤلاء الضّالون.

فالخروج على الحاكم قد يكون بحق، وقد يكون بباطل، لكنّه عملٌ من الأعمال التي أجازتها الشريعة، ومقاتلة الأعداء الذين يحكموننا، هو دينٌ واجبٌ وفرضٌ على الأمّة، فرض على الأمّة في كتب الفقه، لسنا قاديانيين، نقول: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر من غير منكم!! أولي الأمر، أي أولي أمر علينا أن نطيعهم!! هذا كفر، وتغير لكتاب ربنا سبحانه وتعالى.

فالقصد: بأنّ مصطلح الثورة ولا شك أنّه مصطلحٌ جديد، لا أعرف إن استخدمه القدماء على معنى معين، ولكن صار هذا المصطلح دالاً على شيءٍ ما، هذا الشيء قد يكون في اتجاه الصحيح، وقد يكون في اتجاه الباطل، والعبرة بالاتجاه وليس بالكلمة ولا المصطلح، والله تعالى أعلم، والحمد لله رب العالمين.

٣٢٤- سؤال عن النار التي باركها الله عز وجل

ضمن الجلسة السادسة والعشرون، بتاريخ: (**١٦/٠٥/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١/٠٢/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل عن قوله تعالى: ﴿أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [النمل: ٨]، السؤال يدور في مجمله -أي هو غير مسجل بحرفه- يدور في مجمله عن قضية الصوت وعن قضية النار التي رآها موسى عليه السلام والصوت الذي سمعه موسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ [طه: ١٤]، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [النمل: ٨]، فما المقصود بالسماع، ماذا سمع موسى عليه السلام وما هي النار التي رآها في جانب الطور الغربي؟

جواب الشيخ: أنا أفهم ما يدور في نفس السائل على هذا المعنى الذي سأبينه:

أولاً: نحن نعلم أيها الإخوة الأحبة أن الله سبحانه وتعالى من أسمائه النور ومن صفاته النور، فهو سبحانه وتعالى نور السماوات والأرض، فهو نورٌ جل في علاه وفي الحديث الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم: (**حجابه النور لو كشفه لأحرقت سُبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**)، فحجابه جل في علاه كذلك النور، ونحن نعلم أن الصفة لا تعيش لوحدها، لا تقوم بذاتها، إنما تقوم بالذات، والصفة لا تخرج من الموصوف، لا تتحول إلى شيءٍ آخر، ولذلك ارتباط الصفة بالموصوف ارتباط الصفة بالذات كما هي الصفة، الصفة عرض لا يمكن أن تقوم بنفسها إلا أن تقوم بالذات؛ فلا يتصور صفة مفصولة عن الموصوف، مفصولة عن الذات.

ولا شك أن النار في بعض حالتها يكون فيها النور وبعض حالاتها لا يكون فيها النور، فالمعروف أن جهنم سوداء وفي الحديث: (**أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت**)، فالنار في حالة فيزيائية ما من شدتها ينطفئ نورها وتتحول إلى السواد، وهذا بخلاف النور، فالنور لا يكون إلا مضيئًا، والنور كذلك يحرق فيه الإضاءة وفيه الإحراق، والآن ما الذي سمعه موسى عليه السلام؟ ولا شك أن موسى عليه السلام عندما جاء إلى النار سمع كلام الله عز وجل، وبصورةٍ محددة كما في الحديث الذي رواه الإمام البخاري في خلق أفعال العباد (**ينادي الله عز وجل بصوت**)، فالله عز وجل له صوت، سمع موسى عليه السلام كلام الله عز وجل وصوت الله عز وجل

فهو كليم الله، فهذا شيءٌ مقرر عند أهل السنة، ولذلك هو يسمى كليم الله، والنبي صلى الله عليه وسلم لما عُرج به إلى السماء تكلم مع الله عز وجل، وفي الحديث عن فرض الصلاة أنه راجع ربه، وفي بعض الأحاديث في داره، وليس هذا مقام التفصيل في موضوع هذه الصفات أو هذه المعاني التي ننسبها لربنا سبحانه وتعالى، ولكن نبيّن ما هو لازمٌ للجواب على هذا السؤال.

فالذي سمعه موسى عليه السلام هو صوت ربه، سمع كلام ربه وسمع صوت ربه، ولذلك الله عز وجل ناده وقال: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ [طه: ١٤]، فمن الذي يقول إنني أنا الله؟ هل يجوز لشيءٍ مخلوق أن يقول: أنا الله؟! يتكلم كما يقول بعضهم حكايةً عن الله، كما يقول بعض الأشاعرة، لأنهم يقولون: بأن هذا الكلام الذي بين أيدينا حكاية، ولهم كلام لا أُفصل فيه الآن لئلا يشغلنا عن الجواب، فإذن الذي قال: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ﴾، هو الله سبحانه وتعالى، وهذه حجة الإمام أحمد رحمه الله في قضية أن القرآن هو كلام الله وصفة من صفاته وليس مخلوقًا، لأن الذي يقول: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢)﴾ [الإخلاص: ١-٢]، هو الله سبحانه وتعالى، فلو قاله غيره لكان هو الذي يقول عن نفسه أنه هو الصمد.

فلما قال تعالى: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ﴾، إذن الله عز وجل جل في علاه ولا يظنن أحد أن الإشارة هذه ممنوعة، ففي الحديث الذي في الصحيح قال صلى الله عليه وسلم: **(إن الله ليس بأعور)**، وأشار الرسول صلى الله عليه وسلم إلى عينه، فلا ينتشر بين الناس المقولة المنسوبة لمالك وهي ليست صحيحة عنه أنه من أشار بأصبعه إلى صفةٍ ما يعبر فيها عن صفات ربنا أنها تُقطع، فهذا كلامٌ غير صحيح، إذن سمع صوت الله عز وجل.

لكن الذي يمكن أن يقال في هذا، وهو كيف سمع موسى عليه السلام ولم يسمع بقية الخلق؟ الجواب: إن كلام الله عز وجل هو صفة من صفاته، والله عز وجل يحجبه عمن يريد، ويسمعه لمن يريد، هذه هي قدرة الله عز وجل، ولذلك أهل الإيمان في الجنة يرون ربهم فيزيل الحجاب بينه وبينهم، ولا يزيل الحجاب بينه وبين أهل النار، قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (١٥)﴾ [المطففين: ١٥]، فأهل النار محجوبون عن الله عز وجل، فالحجاب يمكن أن يُكشف عن البعض ويُمنع عن آخرين، وكذلك الصوت، الصوت هو صفة من صفات ربنا سبحانه وتعالى وهو صوته، فهو يُسمعه لمن يشاء ويمنعه عمن يشاء.

وكيف يسمع صوته والله عز وجل فوق العرش مستوٍ على عرشه وعبده موسى عليه السلام في الأرض؟

فالجواب: هو في الحديث الذي ذكرناه عن الإمام البخاري رحمه الله في خلق أفعال العباد وهو قوله صلى الله عليه وسلم: (**فينادِي بصوتٍ يسمعُه من بَعُدَ كما يسمعُه من قَرُبَ**)، الله عز وجل يسمع صوته لخلقه كما أنه ينادي أهل الجنة فيسمع ربنا سبحانه وتعالى صوته لهم، دون بقية الخلق حيث يناديهم (**أُحِلُّ علَيْكُم رِضْوانِي؛ فلا أسْخَطُ علَيْكُم بَعْدَهُ أبَدًا**)، إذن هذا هو المطلوب، إذًا ماذا سمع موسى عندما جاء إلى النار؟ سمع صوت الله عز وجل، ولم يسمع صوت غيره في ندائه له.

بقيت مسألة: ما هي النار التي رآها؟ هي الحجاب، رأى الحجاب ولم يرى نور الله عز وجل، هو كليم الله لكن لم يره في الدنيا، ولم يرى ذاته جل في علاه وهو النور، فلما جاء النار التي رآها هي النور، يعني نقول النور هو نارٌ ونور النور فيه الإحراق وفيه الإضاءة، الإحراق من كونه أي النور نارًا ومن كونه نورًا، فلما نظر، نظر إلى الحجاب، وزوجته التي معه التي تزوجها في مدين كذلك رأت؛ لأنه يصف لها النار التي يراها وتراها هي كذلك، فهذه النار التي رآها هي نور الحجاب الذي بينه وبين الله عز وجل، لأن هذا الحجاب مخلوق، فرأى هذا النور العظيم الذي رأه فجاء إليه فهناك سمع صوت الله عز وجل يناديه.

فما معنى قوله تعالى: ﴿أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [النمل: ٨]؟ الله عز وجل يبارك الأماكن لما يقع فيها من معاني الطاعة ويقع فيها من معاني البركة الإلهية، فحجابه جل في علاه مُبارك، ومن خلقه مُباركون، الله عز وجل بارك في الأرض، قال تعالى: ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ (٧١)﴾ [الأنبياء: ٧١]، فالأرض مباركة، والعِباد مباركون يعني ألقى الله عز وجل عليهم البركة، والبركة هي العطاء الكثير العميم فلذلك هذه النار مباركة، لماذا؟ لأنها نور الحجاب بسبب إضافتها لله عز وجل إضافة التشريف وإضافة الملك، إضافة الملك والتي هي لا تضاف إلا على معنى التشريف، فهذا هو المعنى الذي يعني يُسأل عنه.

إذن موسى عليه السلام رأى النار هو وزوجته ولم يسمع صوت الله عز وجل إلا موسى عليه السلام ولم تسمع زوجته هذا الصوت، فإنه ناداه على الخصوص دون بقية الخلق في ذلك الوقت حين نادى الله عز وجل، وهذا الذي نذكره كله دال على عقيدة أهل السنة والجماعة في موضوع أسماء الله عز وجل وصفاته من تفكر فيه؛ رأى أن أقوال العلماء الذين يقولون في هذا الباب من أهل السنة والجماعة هو قولهم الحق، فإنهم يثبتون لله عز وجل الصفات، يثبتون أنه سبحانه وتعالى هو بائنٌ عن خلقه، ولا تدخل ذاته وصفاته سبحانه وتعالى في

شيءٍ من المخلوقات؛ لأن الله عز وجل أكبر من ذلك جل في علاه، فهو كما يصف أهل السنة ويقولون، يثبتون له الحد والمقصود بالحد وهو أنه بائن وليس يقصد الحد وهو المانع، فالحد عند الناس مثلاً تقول: فلان له حد، أي هو محصور، ليس هذا المقصود، المقصود بالحد هنا أنه بائن، أي بمعنى أنه لا يدخل فيه شيءٌ من خلقه ولا يدخُل هو في شيءٍ من خلقه، بل هو سبحانه وتعالى مستوٍ على عرشه بذاته وصفاته جل في علاه.

وهذا سؤالٌ ينبع في قضية مثلاً الرحمة، **(إن لله مئة رحمة)**، أي مخلوقة، من الذي خلقها؟ الله عز وجل، وهذا من مقتضى أنه رحيم، لكن هي مخلوقة هذه الرحمة التي في قلوب الخلق هذه مخلوقة، وليست هي من رحمة الله عز وجل التي هي صفة من صفاته، أنها حلت في بعض خلقه!! هذا لا يتصور ولا يقال ولا يقوله أحدٌ يعلم توحيد الله سبحانه وتعالى.

هذا الذي نجيب عليه في هذا الباب أسأل الله عز وجل لنا ولكم بالمغفرة والرحمة وجزاكم الله خيرًا.

٣٢٥- هل الرياح والأعاصير عذاب من الله؟

ضمن الجلسة السادسة والعشرون، بتاريخ: (١٦/٠٥/١٤٣٩هـ **الموافق لـ: ١/٠٢/٢٠١٨ م)**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخٌ يسأل جزاه الله خيرًا، كذلك هنا يقول: هل هذه الرياح التي نراها والأعاصير والبراكين والزلازل، هل هي عذابٌ من الله سبحانه وتعالى؟

جواب الشيخ: هذا السؤال يتردد دائمًا، وأنا أجبت عنه في مناسبات كثيرة جدًا، وسبب هذا السؤال هنا في الأردن أنه مرت أيام اشتدت فيها الرياح والناس خافوا على بيوتهم وهناك حوادث وقعت ليست كبيرة جدًا كما تقع البراكين والزلازل وكما تقع الأعاصير على بعض البلاد والأماكن، لكنها كانت مخيفة ومذهلة، والناس رأوا فيها شيئًا من الهول والعظمة وما تعلمون...، فالناس يتساءلون هل هذا عذابٌ إلهي على البشر؟

أولاً: علينا أن نفهم أن الله عز وجل خلق القدر لشرعه، أولاً وقبل كل شيء هو ما يحبه الله عز وجل وما يبغضه، هذه القضية يجب أن نفهمها؛ ما من شيءٍ في القدر خُلق في هذه الدنيا بل قبل خلق الدنيا إلا من أجل شرع الله عز وجل، يعني الله عز وجل خلق الملائكة ليسبحوه، خلق الملائكة ليطيعوه، خلق الملائكة ليسجدوا له، خلق الملائكة من أجل أن يؤلهوه، يوحدوه في تأليه وتعبدهم، ولما خلق الله عز وجل هذه السماوات والأرض خلقها من أجل الإنسان، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣]، وخلق الإنسان لعبادته؛ فدل على أن كل المخلوقات خُلقت من أجل الشرع، هذه قضية يجب أن نفهمها، هذه القضية ليست مسألة ذهنية لا أثر لها في الحياة، لا، هذه لها أثر بمعنى؛ أن كل شيء إن نظرنا إليه على سبيل المصلحة الدينية وسبيل المصلحة الأخروية فهمنا الشريعة على وجهها الصحيح.

وأنا هذا الموضوع تكلمت عنه باتساعٍ وبسطٍ في كل ما كتبت، وأغلب هذا كتبته في كتاب «صِبغة الله الصمد»، وفرحت جدًا -هنا لا بد أن أنوّه- وفرحت جدًا لما رأيت هذا المعنى عند الدكتور فك الله أسره إبراهيم السكران في «مآلات الخطاب المدني»، رأيته قد التفت لهذا ووصل إلى هذه النقطة، وهذا شيءٌ طيبٌ أن ينتشر بين الناس وأن يهدي الله عز وجل القلوب، قلوب الناس الذين يُفتون ويُفكرون ويُفقّهون الناس الحياة أن يلتفتوا

لهذا.

أما الفلاسفة والذين يتكلمون بعيدًا عن الوحي أو الذين ينتسبون للشريعة وهم متأثرون بمن تكلم بعيدًا عن الوحي؛ يقلبون الصورة، يجعلون الدنيا هي الأصل وأن مقاصد تحسين الحياة الدنيا هي مقصد الشريعة، هذا غير صحيح، الله عز وجل أقام الدنيا وما فيها، وأقام الأقدار وما فيها، وأقام التكوين وما فيه من أجل شرعه، من أجل أن ينفذ الناس حبهم لربهم، من أجل أن يعلم ربنا سبحانه وتعالى العاصي من الطائع، الله عز وجل خلق الخلق من أجل أن يسبحوه، قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤]، كل الأشياء خلقها الله عز وجل من أجل الآخرة، أنت مخلوق من أجل الآخرة، الدنيا هذه ستين سبعين سنة أي شيءٍ فيها هذه؟! ما تراه من بهرج الحياة هي فتنة، قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]، هذه قضية أولية أرجو أن تفهم، أنا أسمع الكثير ممن يتكلم، ولكن أنا بيّنت أن هذه القاعدة لها نفوذٌ وتخللٌ لكل فقه الشريعة، هذا الذي يسمى فقه المصالح والمفاسد هذه كلمةٌ صحيحة، لكنها إن بنيت على أساسٍ صحيح، هذه ليست قاعدة أولية هذه قاعدة تالية وثانوية لقاعدة بناء الحياة على أن المقصود منها هو الآخرة وهو إرضاء الله عز وجل والمحاسبة على ما يحقق العبودية أو ينقض العبودية لله عز وجل، هذه قضية.

القضية الثانية: إذا تبيّن لنا هذا من الأمر الأول؛ جئنا إلى القضية الثانية التي هي تبعٌ لها، وهو أن كل ما يحدث في هذه الدنيا مربوطٌ بما يفعل الإنسان والحيوان، ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس، ما يقع في الحياة من أعمال هو مربوطٌ بفعل الإنسان، إما حالاً وإما مآلاً، انتبهوا لهذا، وهذه قضيةٌ من إحدى قضايا الصراع القرآني مع خصوم القرآن ومع الملحدين، هم يريدون أن يجردوا هذه الحياة من حركة الإنسان موافقًا للشرع أو مخالفًا له، يقول: لا ارتباط له، ويقاتلون عليها وينسجون الأدلة بحسب الظواهر ويغتروا بها الصغار والضعفاء والذين لا يفقهون مجمل قواعد القرآن في موضوع حركة السنن في الحياة والوجود.

قلنا: أولاً: إن كل شيءٍ مخلوق من أجل الشريعة، ثانيًا: أن كل ما يقع هو مربوطٌ بفعل عمل العبد من الشريعة قبولًا وردًا، فعلاً ونقضًا، فهذه يجب أن نقاتل عليها، إن النصر لا يقع إلا بالطاعة وإن الهزيمة إلا بمعصية، إن المصيبة لا تقع إلا بفعل الإنسان، وفعل الإنسان إما حالاً لما هو فيه من معصية، وإما مآلاً لنعرف موقفه من الدين وموقفه من الطاعة، إذا نزل المطر فمن أجل هذا، إذا رزقت من أجل هذا، وإذا مُنعت من

الرزق من أجل هذا، أن يعلم الله عز وجل ما في قلبك إما ارتباطًا بما فعل قلبك من قبل، وإما لمعرفة ما سيفعله قلبك بعد وقوع هذا القدر عليك، فهذه قضيةٌ مهمة وهي ارتباط حركة التاريخ بفعل الإنسان وموقفه من الشريعة.

وهذه القضية الله سبحانه وتعالى جلاها في القرآن من أكبر القضايا، الأحكام في القرآن نراها في مواطن متعددة، الذين توسعوا في تفسير آيات الأحكام لم يجمعوا إلا آيات معينة، والذين ضيقوا لم يجمعوا إلا آيات معينة، ولكن ما هي الكمية الأعظم في كتاب ربنا من القضايا؟ هي الحديث عن هذه القضية، كم حدثنا عن الأنبياء وما حدث معهم ومع أقوامهم؟ لماذا؟ من أجل أن يربط قضية القدر في العذاب والعطاء في موضوع الطاعة والمعصية وهكذا، ولما تحدث عن النصر الإلهي كما نصرهم وكما هزمهم؛ حدثها عن قضية ارتباطهم بالطاعة قبولاً وردًا، امتثالاً للشرع أو معصيةً للشرع هذه قضية إيمانية من كفر بها كفر بالقرآن كله، من زعم أن حركة الوجود لا علاقة لها، أي من زعم حركة الوجود في نزول الأمطار، في منع الامطار في تغير الوقائع من العطاء والمنع من الأعاصير، من البراكين، من الزلازل من النصر، من الهزيمة، من الفقر، من الغنى من زعم أن هذه الظواهر القدرية لا علاقة لها بموضوع الإيمان فقد كفر بالله عز وجل، وكفر بالقرآن، وكفر بالنبي صلى الله عليه وسلم.

فهذه قضية يقاتل عليها العلمانيون اليوم، ويرتبون على إحصاءاتٍ كاذبة ويزعمون أن هذا العذاب يقع في المسلمين وفي الطائعين أكثر من غيرهم، هذا الكذب، هذا استقراء باطل، العذاب الذي عندهم بسبب المعاصي عذابٌ عجيب! انظر إلى عذاب الله عز وجل بسبب اقتراف الزنا في الغرب، بسبب اللواط في الغرب، بسبب الربا في الغرب، الأمراض ربما تبدأ وتنمو فلا يراها الملاحظ، لكن الطبيب يلاحظها، ولكنها بعد ذلك تُفجر هذا المريض حتى تقضي عليه، المجتمعات الغربية الآن تبكي.

يسألني أحد الإخوة ويقول لي: إن المجتمعات المفتوحة في الحِل والحرمة ولا تحلل ولا تحرم؛ لا نرى فيها الآثار المادية في موضوع اللواط أو يسمونه تخفيفًا وغلطًا يسمونه المثلية، فهذا عجيب! لو ذهبت هناك لعلمت أن ثمانين بالمئة من المصابين بالإيدز سببه هذا اللواط، نهايات اللوطيين معروفة عندهم يتحدثون بوضوح وأن نهايتها الانتحار، الأمراض النفسية بسبب هذه الجريمة النكراء دمار كامل على المجتمع، الأمراض التي تنشأ بسبب الزنا

هناك أجلى ما تكون في التاريخ لم تظهر بمثل هذه الآثار، الربا وهزات الاقتصاد والجرائم التي تقترف بسبب الربا والأمراض التي تنشأ؛ تتفجر مرةً بنتوءات وبخراجات قيحية تكبر وتصغر، ولكنها في داخل المجتمعات تنتظر الانفجار، ينبغي أن نفهم هذا.

ونحن عندنا في بلادنا يبدأ العلمانيون بالكذب، يقولون: الغرب ليس فيه عذاب!! انظروا إلى العذاب، أنت لا تعرف العذاب الذي يصابون به، لكنهم يعالجونه بمسكنات؛ فنحن نقوله انظر! نحن لا نعرف ليس عندنا استقراء، هذا الاطمئنان الذي تعيشه أمة محمد صلى الله عليه وسلم يعرفه الغربي عندما يأتي إلينا ويجلس مع أمهاتنا ويجلس مع عجائزنا وجداتنا رضي الله عنهن، كيف يعيش هذا المجتمع في اطمئنان عجيب؟ وهو عنده القليل.

هم يظنون –الغرب– ويزعمون أن هذا من أمراضنا؛ لأنهم هم يريدون أن يعيشوا بكل الشر لمجرد فقط أعطونا المال، يريدون الزنا، يريدون الخمر، يريدون الربا، ونحن مستعدين أن نتحمل هكذا يقولون، نحن لا نريد الاطمئنان ويزعمون أن هذا الاطمئنان هو اطمئنانٌ مرضي وهم يريدون القلق وأسيادهم يعيشون القلق.

نأتي إلى موضوع الانواء وموضوع الأعاصير والأحداث الكبرى: انظر إليهم، الجرائم التي تحدث عندهم تقابل بحرائق وتقابل بعذاب وأمراض وفيضانات كلها عذاب عليهم، لكن السؤال أنت تريد أن تُدمْر؟ هذا لا، انتهى، الاستئصال الكلي والاصطلام الكلي هذا انتهى، فتأتي عليهم تدمر وتهلك وتفسد وكذلك ترتفع؛ لأنه **(تقوم الساعة والروم أكثر الناس)**، فانتهى الاستئصال، لكن البلاء يجري عليهم كما يجري على كل الناس، ويصيبهم بسبب المعاصي.

لماذا لا يتحدث العلمانيون عن حالة الاتحاد السوفيتي بسبب معاصيه وكفره بالله كيف يعيش الناس؟ وكيف يموتون؟ المجتمع المغلق، الستار الحديدي كما كانوا يسمونه لماذا لا يتحدثون؟ لماذا لا يتحدثون عن البلاء الذي يعيشه الناس هناك؟ هذه للأسف لا يتحدثون عنها، فقط يأتوا إلى الظواهر في داخل بلادنا ويجعلون انظر هذه مقرونةٌ بالإسلام، الجهل مقرونٌ بالإسلام، الجهل مقرونٌ بالإيمان بالقضاء والقدر، كله إحصاءات كاذبة فاسدة.

إذن القضية الثانية: علينا أن نربط كل حدث بالشريعة، كل حدث، لكن علينا أن نفهمه على أي وجهٍ

وقع، الله عز وجل يقول: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾ [البقرة: ١٥٥]، هذا بلاء؛ فعلينا أن نعرف أن هذا على معنى البلاء أو على معنى العذاب؟ إذا وقع مع وجود الطاعة فهو بلاء، إذا كانت العاقبة هي التقوى والصبر والاحتساب والإيمان بالقضاء والثقة بالله عز وجل والتوكل عليه فإذن هو بلاء ارتقينا ونجحنا فيه، لكن حين يقع أناس عصاة فهو عذاب، الفعل الواحد القدري الإلهي يقع على هذا المعنى وعلى هذا المعنى، الموت سيصيب كل الناس، فأناسٌ يكفرون وأناسٌ يؤمنون، كما في حديث المطر في الحديبية يقول النبي صلى الله عليه وسلم: يقول الله تعالى: (**أَصْبَحَ مِن عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وكَافِرٌ، فأمَّا مَن قالَ: مُطِرْنَا بفَضْلِ اللَّهِ ورَحْمَتِهِ، فَذلكَ مُؤْمِنٌ بِي وكَافِرٌ بالكَوْكَبِ، وأَمَّا مَن قالَ: بنَوْءِ كَذَا وكَذَا، فَذلكَ كَافِرٌ بِي ومُؤْمِنٌ بالكَوْكَبِ**).

فإذن ينبغي أن تنظر إلى الحال والمآل، الله عز وجل يرسل الآيات تخويفًا، وأما الاستئصال الكامل انتهى لا يوجد، الله يخوف عباده؛ فلذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سمع الريح استعاذ بالله من الشيطان، حين يقع الخسف يقوم إلى الصلاة، يخاف، وحين يرى النعمة يشكر الله عز وجل يخرج إلى المطر ويعري كتفه تعرضًا لعطاء الله عز وجل، والنبي صلى الله عليه وسلم خُوّف من الدجال في زمانه، ولذلك كان الناس يخافون أن ينزل عليهم العذاب بسبب المعاصي، ويتحدثون أن المعاصي في أزمانهم موجبة للعذاب ولكنها الرحمة الإلهية لهذه الأمة، الربا الذي يقع اليوم يؤذن بالهلاك والعذاب والفقر، الناس في الأول كما هو حال المخدرات، حال المخدرات أنها تعطي النشاط في الابتداء والنهاية والعاقبة هي الفجور والقتل والدمار والهلكة، فالناس الآن ينظرون إلى البدايات، الربا قد انتشر، فالبنوك تعطي الديون وتعطي القروض للناس والناس ينتعشون ويبدأ الناس يشترون وتتحرك التجارة، كل هذا مثل هذا الذي يشرب الخمر أو يشرب المخدرات يقوم وينشط في بداية الأمر، يقوم فتراه يحمل الثقيل، وبعد ذلك ينتهي إلى الموت والفناء ودمار العقل ودمار البدن ودمار النفس ودمار المال ودمار المجتمع إلى غير ذلك.

فعلينا أن نفهم أنه ما من حركةٍ في الوجود إلا وهي آيةٌ من آيات الله تنبئك عما أنت فيه من أجل أن ترقى أو من أجل أن تنتكس وإلى مآلات الأمر كيف تكون في نفسك، العلماء كانوا يرون -هذا وجهٌ وجوه النظر- يرون أن المعاصي تؤثر في بيعهم، في شرائهم، في حرور دابتهم، في معصية زوجتهم، يرون هذه، وهذه قضايا صحيحة ولكن لا تعمم، لأن بعض الأمور تجري مجرى القدر في نفسها والنظر في نفسك كيف تتعامل معها

كموت الابن، يموت ابنه، ليس معنى موت الابن أن الله عذبه، لا ليس هذا معناه، هذا القدر قد جرى عليك فهو ينظر إلى مآلك في تعاملك مع هذا الموت هل صبرت؟ هل احتسبت؟ هل كفرت؟... إلخ، هذا الذي ينبغي أن نفهمه وأن نهتم له فما من حركةٍ في الدنيا، حركة ريح، ولا نزول مطر، ولا فقر، ولا مرض، إلا وهو ابتلاء من الله عز وجل يرتبط بشرعه إما حالاً وإما مآلاً.

هذه القضية الثانية -وبهذا أختم- والقضية تحتاج إلى فقه، في كل نازلةٍ تحتاج إلى فقه، العالم هو الذي يراقب حركة الأكوان كيف تمشي وفق شرع الله، مع الشرع، هل هذا الشرع يزيد، فالشرع زاد؛ جاء الابتلاء على أي معنى؟ على مراقبة القدر، الصحابة رضي الله عنهم كانوا فقهاء في هذا الباب، يعني انظر إلى فقههم فيما وقع من مقتلة الكبار في بعاث تقاتل الأوس والخزرج في بعاث حتى هلك الكبار، كيف نظروا إليها بعد أن أسلموا -الصحابة الأنصار- كيف نظروا إلى هذه الموقعة؟ نظروا أنها مقدمة لهداية الله لهم ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم واتباعه؛ لأن الكبار عادتهم أن يردوا بسبب تمالئهم على شيء وبسبب سريانهم وعادتهم على شيء يردوا الدين، فلم يبق من الصحابة من الأنصار من الأوس والخزرج إلا الشباب وأسعد بن زرارة وهؤلاء قلة، واحد اثنين فقط، أما الكبار فماتوا في بعاث معركة بين الأوس والخزرج في الجاهلية، قُتل كبارهم ما بقي إلا الشباب، فترى أن الشباب هم اتباع النبي صلى الله عليه وسلم من الأنصار، لأنه لا كبار -المقصود بالكبار؛ العجائز-.

انظر فهموا أن هذه الحركة في الوجود، أن هذا التصرف القدري في الوجود، مربوط ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم، وهكذا، علمهم القرآن في أحد، سورة «آل عمران» علمهم، وهكذا يجب علينا أن نعلم الناس، عندما يأتي مطر فيهلك بلدة يخرج أحد من الناس يقول: هذا بسبب المعاصي؛ يقوم عليه العلمانيون والزنادقة: هذا جهل وهذا كذا ويبدؤون بالقصف، هم لا يريدون أن يعترفوا بيد الله عز وجل المحركة للوجود، ومبعث حركة الوجود الحب والبغض، حب الله عز وجل للقوم أو بغضه لقوم، ومن حبه مرات أن يجنب الناس المال لئلا يَفسُدون، ويجريهم الكفاف في قضاء الحاجة، (**اللهم اجعل رزق آل محمدٍ كفافا**).

والناس يظنون كما يقولوا علماؤنا: يظن أنه إذا أعطى الله رجلاً مالاً أو عقارًا أو غنى؛ رضي عنه، النبي صلى الله عليه وسلم فقّه عمر رضي الله عنه لما دخل عليه في حادثة التحريم، لما النبي صلى الله عليه وسلم

حلف أن لا يأتي نسائه شهرًا، الذي هو الإيلاء فدخل عليه عمر رضي الله عنه وهو في عليته، فرأه على حاجةٍ من الكفاف؛ فتألم عمر رضي الله عنه وقال: «أنت يا رسول الله على هذا الحصير قد أثر في جنبك، وفارس والروم يتنعمون بالذهب والديباج والحرير»، النبي صلى الله عليه وسلم غضب؛ لأن هذا مبعث الشر، هذا مبعث عدم فهم حكمة الله في الوجود، قال: (**أفي شكٍ أنت يا ابن الخطاب؟**)، هل معيارك في هذا أن يعطي الله الدنيا لهؤلاء ويمنعها عني؟ رضي الله عن الفاروق، الفاروق وغير الفاروق كل البشرية تلاميذ أمام علم النبي صلى الله عليه وسلم وفقه، فقال صلى الله عليه وسلم: (**إما ترضى بأن تكون لهم الدنيا وتكون لنا الآخرة؟**)، هذا معيار، هل الناس يرضونه؟ هل يرضى الناس هذا المعيار، للأسف الناس يريدون جهنم مع الغنى، تقول له: أنت تتمتع ساعة ثم تموت، يقول: لا بأس أعطني الساعة وأكفر، ولكن بعد ذلك أموت!! من جهالتهم، فيجب علينا أن نفهم هذا حق الفهم.

جزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

٣٢٦- شرح روايات في الفتن وتوجيهها الصحيح في الواقع

ضمن الجلسة السادسة والعشرون، بتاريخ: (١٦/٠٥/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١/٠٢/٢٠١٨ م)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: نريد من الشيخ أن يشرح لنا كيف نوجه هذه الروايات وما هو التطبيق الصحيح في الواقع، قال المروزي: سئل الامام أحمد: أمُرُّ في الطريق فأسمع الإقامة ترى أن أُصلي؟ فقال: «قد كنتُ أُسهِّلُ، فأما إذا كثرت البدع فلا تُصَلِّ إلا خلف من تعرف».

جواب الشيخ: أنا أعرف وجه السؤال، هناك تعرفون ما يسمى بالتوقف والتبيُّن، وهنا يحتج هؤلاء القوم بمثل هذه الروايات وغيرها، أنا قرأت لهم مقالات في هذا وناظرت صاحبها يومها، فأبيّن لكم وجه خطأهم في الاستدلال: هذا القول من الإمام أحمد رحمه الله بأنه: «إذا كثر الشر فيجب أن تتوقى»، وهذه قاعدةٌ صحيحة إذا كان الأصل المنع، وإذا كان الشرط العدالة.

فمثلاً: لو كثر الذباحون في بلد بأنهم مشركون، فلا يجوز لك أن تأكل حتى تتوثق، بخلاف ما لو كنت في بلدٍ مسلم، يصلون ويعبدون، فالتوثق حينئذٍ يكون تكلفًا، وقد يصل إلى درجة البدعة، لأن الأصل هو المنع، وأن الذبائح الأصل فيها أنها ميتة، وأنها عبادة، كما يقول الإمام الشافعي رحمه الله: «الذبح هو نسك غير معقول المعنى»، وهو يدخل في قوله صلى الله عليه وسلم: **(كل محدثةٍ بدعة)**؛ فالأصل فيها المنع، كذلك الفروج الأصل فيها المنع؛ فيجب التوثق، عند انتشار الكفر ترك الصلاة والكفر وسب الله، فيجب أن تتوثق أن هذه المرأة لا تفعل هذا، بخلاف ما لو لم يكن هذا منتشرًا.

فإذا كان الأصل هو المنع، وإذا كان شرط الاختيار هو العدالة، من ذلك الرواية، ومن ذلك الصلاة، نحن نعلم بأن الصلاة وراء البدعي مكروهة مع الصحة، ونعلم أن المبتدع الأصل هو عدم أخذ روايته إلا إذا كانت بدعته لا تؤثر على صدقه، ولكن الأصل في الرواية العدالة، الأصل العدالة، الشهادة.

إذن: «عندما يكون شرط العدالة موجودًا؛ فيجب التوثق، كما يجب التوثق عندما يكون الأصل هو المنع»، فهذه قاعدة، فالإمام أحمد رحمه الله عندما سُئل: أنصلي وراء كل أحد؟ لم تكن بدعة خلق القرآن موجودة،

فكان يسهل، يقول: «كنت أسهل»، لكن لما انتشرت هذه البدعة وكثرت بين الأئمة فصار يضيق؛ لأن الأصل في الإمامة العدالة، وليس هذا من قوله إبطال للصلاة خلفهم، إلا إذا كان يكفرهم، ومن المعروف أنه لا يكفر الأعيان فقد روي عن هؤلاء الذين قالوا بخلق القرآن، وهذه الفتنة قد جرت شيئًا كثيرًا على الأمة، فالأصل هو عدم تكفير أعيانهم، كما هو القول الصواب في المسألة، خلافًا لمن زعم من المتأخرين: أن أعيانهم كفار، ولا أريد أن أدخل الآن في هذه الخصومة.

فالأصل هو قول الأئمة ومنهم مالك رحمه الله: على أن المبتدعة تجوز وراءهم الصلاة ما لم يكفروا، مع الكراهة، إذن هو الأصل الإعراض؛ فأنت تتوثق، ولكن لو انتشر الكفر بين الأئمة، انتشار الكفر فالأصل التوثق، هذه هي القاعدة.

إذن: عندما ينتشر الكفر بين الناس ويكون الأئمة كفارًا عينا، أئمة الصلاة، أو يكون قد انتشر فيهم البدع التي تصل إلى درجة الكراهة في الصلة كما تقدمت، فالأصل هو التوثق، إذن لماذا أنتم تُبدّعون من قال: بالتوقف والتبيين؟ السبب أن هذه لا تنطبق على جمهور الأمة، لماذا؟ قد يقول قائل: هذا تحكم! الجواب: ليس تحكمًا، علينا أن نفرق بين الشيئين إذا اختلف أصلهما، نحن تقدمنا بالكلام... إذا كان الأصل المنع أو كان الشرط يقتضي العدالة، لكن إذا كان الأصل هو الإسلام، فنحن نتحدث عن الإسلام، فالأصل هو الثبوت حتى يأتي الناقض، عندما يكون الإسلام هو الأصل، وأما العدالة فالأصل هو عدم الوجود حتى تثبت العدالة.

انتبه... العلماء يثبتون الإسلام بالكلمة، بالدلالة، بالتبعية، تبعية الوالدين وتبعية الدار، هكذا قرر علماؤنا ومنهم: الإمام الكاساني، الذي جمعها هذا الجمع العظيم في «بدائع الصنائع» في كتاب «الجهاد»، وهذه منافع كتب بعض أهل العلم الذين يريدون أن يرموا كتب الحنفية ولا يرجعون إليها، هناك كلمات لا تجدونها إلا في كتبهم، كتب هؤلاء العلماء العظام رحمهم الله من الحنفية وغيرهم، فهذا من فضائل هذا الكتاب، وهذا الكتاب من أعظم الكتب، من أعظم كتب الفقه «بدائع الصنائع» للإمام الكاساني رحمه الله.

المهم، إذن الأصل في ديار الإسلام الأصل فيها الإسلام، فالتشكيك بدعة، فأثبتنا الإسلام لهم؛ فلا يجوز التشكيك، العدالة الأصل عدمها، هذا عند جمهور أهل العلم، عند جمهور أهل سوى الأحناف العدالة شرطٌ زائد على الإسلام؛ فلا بد من التوثق من وجودها، ومن هنا وجد المعدلون.. ما معنى المعدلون؟ أي الذين

يكونون في الأحياء إذا جاء الشاهد هذا طُلب الْمُعدّل ليُسأل عنه، عن دينه وعن ثقته، مع أنه ثبت له الإسلام، ولكن العدالة شرطٌ زائد، فلما كانت شرطًا زائدًا احتاجت إلى التوثق بخلاف الإسلام فإنه لا يُسأل عنه مسلم أم لا؛ لأن الأصل هو الإسلام، لكن عندما تكون في لندن الأصل هو الكفر فعندها تسأل عن الإسلام، من هنا كانت عقيدة التوقف والتبين، إذا كانت تتعلق بالعدالة فهذا دين، وإذا كانت تتعلق في بلدٍ أصله الكفر فهذا دين، السؤال عن الإسلام، لكن عندما يكون الأصل هو الإسلام فالسؤال يكون بدعة؛ لأنه تكلفٌ زائد، هذا أمر.

الأمر الآخر: التوقف والتبيين إثبات حدٍ ثالثٍ غير الإسلام والكفر، ما هو؟ لا مسلم ولا كافر، من أين أتيتم بهذا؟ أعطونا كلمة لأهل العلم، هم يستدلون بهذه الكلمات العدالة التوقف فيها، هم يستدلون بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ [الممتحنة: ١٠]، الله سماهن مؤمنات قبل الامتحان، والامتحان أمرٌ زائد بعد ثبوت الإيمان ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ﴾ سماهم مؤمنات، ﴿مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾، فلا يوجد حالة فاصلة بين الإسلام والكفر، شرط لا نعرف مسلم أم كافر، فهكذا هي.

فلذلك نحن نقول ما قاله الإمام أحمد رحمه الله، وهذا على معنى الاستحباب: إذا انتشرت البدع في بلدة، ووجد السني والبدعي، فالأفضل أن تصلي وراء السني، والبدعي تسأل عنه؛ لأن التوثق حينئذٍ كما قلنا: الأصل هو انتشار البدعة، وهذا الأمر خلاف الأصل، فخلاف الأصل يحتاج إلى التوثق، وأما الإسلام فهو الأصل فزيادة التوثق هو البدعة، الأصل هو الإسلام فزيادة التوثق ليثبت الإسلام هو البدعة، ولذلك عليه رحمة الله كثر عنه هذا اللفظ عندما انتشرت بدعة خلق القران، فكان يأمر أن لا يصلى إلا من تعرف عقيدته على معنى الاستحباب، وليس على معنى إبطال الصلاة خلفه، ويطلب من تلاميذه ألا يصلوا على قاعدة ترك الصلاة وراء البدعة والفسق؛ لأنها مكروهة مع صحتها، هو لا يبطلها، العلماء لا يبطلون الصلاة وراء الفاسق ولا وراء المبتدع الذي لا يكفر ببدعته، ولكن يستحبون الصلاة وراء غيره، ويكرهون الصلاة وراءه، وهذا الذي قاله، واحتجوا بفعل ابن عمر رضي الله عنه لما صلى وراء الثوار الذين قاموا على عثمان رضي الله عنه، فكانت منهجًا بعد ذلك؛ أن الصلاة خير ما يؤتى ولا تُبطل بإمامة مُبتدع والله تعالى أعلم، والحمد لله رب العالمين.

٣٢٧- من هو بديع الزمان النورسي؟

ضمن الجلسة السادسة والعشرون، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٥/١٦هـ الموافق لـ: ٢٠١٨/٠٢/١ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل أخ ويقول: من هو بديع الزمان النورسي؟ وما هو حاله؟

جواب الشيخ: إخواني بالنسبة للحديث عن الرجال يتشعب ويطول، ولذلك ما أتكلم به هو اختصار وإلا فكل رجلٍ أُسأل عنه فأجيب فستكون إجابتي قاصرة مع بلوغ كل المساحة في الحديث عنه، وإنما أتكلم عن جوانب تعنينا في مهمتنا في هذه الطريقة، وكيفية التعامل مع الرجال من ناحية الأصل الذي اعتمد عليه هذا الرجل، وما هو الشيء الذي هو عماد صورته، الصورة أو الهيكل له عماد، له آخية يعود إليها، فهذا ما يهمنا.

ويكون هناك جوانب كثيرة ممكن الحديث عنه تصويبًا وتخطئةً وهذا يترك إلى الكتاب المطولات عنه، ويترك إلى الناس الذين يعتنون بحياته هذا الاعتناء.

لما قام عدو الله مصطفى كمال أتاتورك، ولا شك أن كمال أتاتورك كانت أمه يهودية، هذا مما لا شك فيه، مصطفى كمال أتاتورك كان يهوديًا والكثير من الباحثين غير المسلمين وبعض الباحثين الغربيين يجزم بهذا ويذكر أن أمه كانت يهودية.

هذا لما ضعفت الخلافة، لا يستطيع أحد أن يأتي هكذا -انتبهوا لهذه النقطة- لا يستطيع أحد أن يأتي هكذا ويسقط الخلافة كأنها عش طائر فيأتي ويحرقه وينتهي الموضوع! لا!

الخلافة حقيقة أمة، فتسقط الخلافة إذا سقطت الأمة قبلها، مفهوم الأمة قد سقط قبل أن تسقط الحلقة الأخيرة من قضية إشعار الخلافة، فالخلافة في حقيقتها سقطت وتفرق الناس وتنازعوا وانتشر الجهل وضرب المستعمر عن طريق المبعوثات التي تسمى بالسفارات، وعن طريق تولي الأقليات، فهذان المدخلان دخل فيهما الغرب الكافر على الخلافة الإسلامية وعلى الأمة الإسلامية:

المدخل الأول: دخلوا عن طريق السفارات، وصار للسفارات سلطة، صار المجرم إذا سرق يذهب للسفارة

ويحتمي بها وبسبب قوة هذه الدول وخاصةً ماليًا وضعف الدولة العثمانية من جهة المال لأسباب داخلية وضعف، فصار لهذه السفارات قوة وسيطرة وصار لهم تأثير على داخل التجمعات، ولذلك لما أعدم هؤلاء في الشام كان كلهم لهم ارتباطات بالسفارة الفرنسية، بدليل سُموا بالثورة ضد الدولة العثمانية.

المدخل الثاني: هو الأقليات، لما الأقليات هذه صارت مزعجة وصارت من أجل أن تحتمي وتخرج من سيطرة الأغلبية وهم السنة صاروا يلتصقون بهذه الحكومات، فصار المارونيون في لبنان كأنهم رعايا فرنسيين لكن موجودين على الأرض اللبنانية فقط، فتتدخل فرنسا كلما حدثت مشكلة سواء الحق معهم أو عليهم.

فالمهم أن الدولة العثمانية سقطت في الحقيقة سقوطًا داخليًا قبل أن يسقط الهيكل الممثل لها خارجيًا، ولم يحارب، -هنا تأتي القضية- لم يحارب أتاتورك الإسلام فقط من جهة سياسية، وإنما حارب الإسلام من جهة الاعتقاد الداخلي في نفوس الناس وقلوبهم وحارب الدين نفسه، ولو استطاع أن يأمر الناس بأن يغيروا دينهم من اليهودية إلى النصرانية لفعل! لكنه جاء إلى مظاهر الإسلام وقتلها وقسمها، حتى الآذان فأمر بأن يؤذن باللغة التركية ومنع اللباس الإسلامي للرجال والنساء، وو... إلخ، ومنع الحديث باللغة العربية وكتب الحروف التركية بالحروف اللاتينية وهكذا، حارب الإسلام محاربة شنعاء وشعواء وقوية.

بعد ذلك الحمد لله تركيا استعادت عافيتها كثيرًا، واليوم الحمد لله نحن نرى أن تركيا بالنسبة للمجتمع الإسلامي فيها هو عمقٌ إسلامي عظيم بفضل الله عز وجل، هذا من رحمة الله، ولم يحدث فيها ما حدث في إسبانيا مثلاً! وما حدث في بعض البلاد مثل الفلبين، وإنما بدأت تعود للإسلام، وممن أرسى قواعد إعادة المظاهر الإسلامية في تركيا هو عدنان مندريس بغض النظر عن سلوكه الشخصي، كما يقول مصطفى محمد في كتابه «الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا» وهو كتابٌ جيد أنا أحب أن تقرؤوه مع أنه كتب بلغة أدبية وليس بلغة تاريخية، ولكنه مهم.

فبغض النظر عن عدنان مندريس أنه لم يكن إسلاميًا، لكنه كان ينتمي إلى الأمة من جهة الانتماء العام، ولذلك حارب مقررات أتاتورك وأعاد الآذان باللغة العربية، نسأل عز وجل أن يجزيه على هذا الفعل، هو عند ربه والله عز وجل أعلم به، لكن نسأل الله أن يجزيه فإنه أعاد المظهر الإسلامي العام في هذا، نحن نسأل الله أن يكون في باطنه من الصالحين، نحن نحب الخير للناس، لكن مرات كما أن أبو طالب هو الذي نصر الإسلام

ومع ذلك مات كافرًا، كما في الحديث عندما سُئل رَسولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: هلْ نَفَعْتَ أبَا طَالِبٍ بشَيءٍ؟ فإنَّه كانَ يَحُوطُكَ ويَغْضَبُ لَكَ، قالَ صلى الله عليه وسلم: (**نَعَمْ، هو في ضَحْضَاحٍ مِن نَارٍ، لَوْلَا أنَا لَكانَ في الدَّرَكِ الأسْفَلِ مِنَ النَّارِ**).

فالمهم أيها الإخوة الأحبة، قام أتاتورك بثورة على الدين وقمع مظاهر الدين وقمع أعمال الدين وو... إلخ، فهناك من قاوم وقُتل، وهناك من قاوم وخرج بسبب ظروف، ومن أعظم من قاوم النزعة أتاتركية مصطفى صبري رحمة الله عليه ورضي الله عنه وهو آخر شيوخ الإسلام في الدولة العثمانية، وهذا قبل الهرب واستقر به المقام في مصر وله مؤلفات عظيمة منها كتاب «موقف العلم والعقل والعالم من رب العالمين»، هذا كتاب في الحقيقة من أعظم ما كتب في هذا العصر المتأخر، وكتب كتبًا أخرى عليه رحمة الله، فالمهم هذا من الناس الذين حاربوا النزعة أتاتركية وحتى حاربها أتباعها ومناصريها في مصر.

ومن الذين حاربوا الإجرام أتاتركي ضد الدين هو سعيد النورسي، البعض -وهذا خطأ كبير- يحاول أن يحاكم الناس على غير عصرهم، بمعنى: أن سعيد النورسي هو إنتاج المؤسسة الدينية في داخل الفترة العثمانية، وهذه فترة يغلب عليها التصوف، ويغلب عليها التقليد، ومن أخطاء الدولة العثمانية ممارستها طوال وجودها أنها لم تعرب التعليم، ولم تعرب اللغة الرسمية للدولة، هذه من أخطائها التي أضعفتها، وبعض البحاثة الغربيين يرى أن من الأسباب المهمة في سقوط الدولة العثمانية هو غياب سيطرة العلماء، ومن أسباب غياب سيطرة العلماء فيما أظن هو عدم اعتماد اللغة العربية كلغة رسمية للخلافة الإسلامية العثمانية، فسعيد النورسي في صوفيته وفي حنفيته وفي لغته هو مُنتج للمدرسة الدينية في داخل تلك الفترة فلا يجوز أن نعزله وأن نحاكمه محاكمة منطقةٍ أخرى وعصرٍ آخر وظرفٍ آخر، وبالتالي؛ هذا جانب لا ينبغي أن نأخذه كمثلبة في حق الرجل، إنما يهمني دائمًا أن أنظر إلى معركة الرجل التي خاضها.

ولا شك أن سعيد النورسي عليه رحمة الله خاض معركةً عظيمة في وقتٍ تحتاج إلى مثل هذا الذي سماه الدكتور فريد الأنصاري عليه رحمة الله الفارس الأخير، وليس هو الأخير في الحقيقة ولم يكن الأخير، فهو خاض معركةً بفروسيةٍ عظيمة متسلحًا بسلاح الإيمان، وأنا لما أقرأ في كلمات سعيد النورسي أرى فيها كلمات مُشبعة، مشبعة أي كما تأخذ إسفنجة وتضعها في الماء وتغمسها ثم تخرجها فماذا تكون؟ مُشبعة، فأنا لما أقرأ كلمات

سعيد النورسي يهمني هذا، مُشبعة بالثقة بهذا الدين، مُشبعة بحب الله عز وجل وحب الرسول صلى الله عليه وسلم وحب القرآن، مُشبعة بذكر الدار الآخرة، مُشبعة بالثقة أن روحه رخيصة في سبيل هذا الدين، هذا يكفي.

أنا أعلم أنه غدًا سأجد بيانًا من أحدهم: انظر كيف يحكم على الناس؟! فقط كذا وكذا، فهذا فلان كذا وكذا وأحكم عليه بكذا وكذا... إنا الله وإنا إليه راجعون.

نحن في زمان الضعف نحتاج إلى تكاتف الجميع لنرد عادية الإلحاد والعلمانية والزندقة والردة، فأنا يأتي أحد يريد أن يلبس لباسًا كذاك الذي سميته يومًا «الجنز الخاص لمقاسات الصفر»، فهو يكون مقاس صفر –فأنا أسمع عن هذا في الحقيقة ولا أعرفه–، لكنهم هكذا يصفون بعض ألبسة الممثلين والمغنين وعارضات الأزياء؛ بأنها مقاس صفر، فهم يريدون إسلام مقاس صفر هكذا.. إنا لله وإنا إليه راجعون.

فهذا يكفي.. على كل حال أستغفر اللهن أستغفر الله..

هذا يكفي، سعيد النورسي يكفينا هذا.. معركته المجيدة العظيمة ضد العلمانية، إعادة ثقة التدين، إثبات حالة التدين والدفاع عنها، وإعادة –وهذه مسألة في الحقيقة عظيمة– وهي إعادة الثقة بالله، وربط الأمر بالدار الآخرة، هذه موفقة في لغة سعيد الدين النورسي، لغة موفقة في أنه يربط الناس باليوم الآخر، يربط الناس بالله بالتوكل، يربط الناس بمعنى الدين الحقيقي، الدين الحقيقي في جوهره أنه ثقة بالله وعلاقة مع الله وتوحيده وإخلاص العمل والعبادة له، فهذا يكفي.. هذا يكفيه لسعيد النورسي.

دعوني مع هذا الكلام الذي أنا أعتقده فيه أن أقول كلمة أخرى أعتقدها، أنا لما قرأت رسائله لم أجد فيها مما يتكلم بها الناس، أرجو ألا يكون مبعث هذا الغرور.

لما أقرأ له رسائله أجدها كلمات عادية، لكن في الحقيقة هذه الكلمات العادية تصبح قذائف إذا انطلقت من نفسٍ مفعمة بهذا الإشباع الذي تكلمت عنه، ولذلك أحدثت آثارها وأنشأت جيلاً متدينًا وو... إلخ، فهذا ما يهمني في قضية سعيد النورسي.

تبقى كلمة: أين إرثه؟

بلا شك أن سعيد النورسي لم يُنشئ مؤسسة، ولذلك تنازعه الناس وافترقت النورسية كما تسمى إلى فرق متعددة وجماعات، الفرق بينها سياسي أغلب من عقائدي ولا فقهي، وربما يصل الافتراق، افتراق المنتسبين إليه ربما إلى خمسة فرق مثلاً، ممكن، ولا شك أن منهم هو فتح الله غولن، وفي الحقيقة هذا الشخص أنا أعجب منه!

لا بأس الحديث عن النورسي لا بد أن يجرنا إلى نموذجٍ أشهر سياسيًا الآن ممن ينتسبون إلى فتح الله غولن، أو كولن -تعرفون كيف تكتب القاء.. إلخ- وليست في اللغة العربية هذه إنما هي اللغة الفارسية.

أنا في الحقيقة أعجب من هذا الرجل! يعني أنا لم أدرسه دراسة ذاتية قبل هذه الأحداث ولم أسمع عنه سماعًا قبل هذه الأحداث، وأنا غريب لمدة طويلة غائب عن الساحة بسبب ما تعلمون، ولكن هذا شخص غريب يعني الذين اقتربوا منه قبل الأحداث الأخيرة في اتهامه لقضية الانقلاب ضد أردوغان يتحدثون عن رجل قرآني، فحتى الآن عندما ذكرنا الدكتور فريد الأنصاري يعني عندما يتحدث عنه يتحدث عنه بتسامي عجيب ويتحدث عنه بوصف غريب لهذا الرجل، وأنه يعيش القرآن وأنه يعيش الهمة الإسلامية... إلخ، مما تعلمون، وكذلك غيره، أنا ذكرت فريد الأنصاري وكذلك غيره من المعاصرين من يتكلم عنه كلامًا يصل لدرجة التعظيم والتهويل له.

ونجد الآثار والمدارس وو... إلخ، وتثار حوله الشبه، ولكن الذين يعرفونه يصفون حركته وصفًا مادحًا له، حتى رأينا مواقفه السياسية، هذا شيء غريب يعني!

فهو مثلاً الآن الكل يصف بأن هذا الرجل على علاقة باليمين المعادي للإسلام في أمريكا وأن له علاقة مع الإسرائيليين، في الحقيقة أنا ليس عندي كلامٌ عنه البتة، ولا أستطيع أن أقول عنه شيئًا، فالأمر يحتاج إلى نظر، والناس عندما يختصمون يقولون، هل حقاً هو كذلك؟ كما يشاع؟ فأرجو أن يكون هناك جواب متسع في حقه، ولكن أنا أعجب له! أنا أعجب لهذه الشخصية التي يصفها الواصفون والقريبون والمقتربون منه بهذه الأوصاف، ثم نجد عليه هذه الاتهامات وهذه الأفعال وهذه السياسات التي يمارسها، هكذا الدنيا، وإن كان الأمر يحتاج إلى قراءة هذه الظاهرة على وجهٍ صحيح.

بقي أمر؛ هل تعظيم الرجل هو على طريقة تعظيم الصوفية؟

يعني نحن نسمع عن صوفية أنهم أولياء، ثم نجدهم خدم وأحذية للطواغيت للغرب والشرق، فهناك بعض الأسماء لا أريد أن أذكرها، يتحدثون عن ولاية وعن تقوى وهم أحذية لفلان ولفلان، أحذية بكل معنى الكلام، ويلبسون العمائم ويطلقون اللحى ويحملون المسابح ويتحدثون عن التقوى والقرب من الله والصلاح وقيام الليل وغير ذلك وهم في الحقيقة من أفسد خلق الله في قضية الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين.

فهل فتح الله غولن من هذا النوع؟ الله تعالى أعلم، ما عندي جواب في هذا.

نسأل الله أن يغفر لنا ويرحمنا والحمد لله ري العالمين.

٣٢٨- صلاح الصاوي ومنهجه

ضمن الجلسة السادسة والعشرون، بتاريخ: **(١٦/٠٥/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١/٠٢/٢٠١٨ م)**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: ما رأيكم بكتابات الدكتور صلاح الصاوي حول العمل الإسلامي؟ وهل للشيخ تجربة عملية؟ وهل تراجع عن آرائه المدونة في كتبه؟

جواب الشيخ: الحقيقة من الناس الذين تحترمهم وتقدر أقوالهم الدكتور صلاح الصاوي، وتقرأ له باعتناء مخالفًا وموافقًا، ولكنه على الجملة يبني أقواله على فقهٍ صحيح وسديد، وعلى تجربةٍ كذلك مهمة.

مع أن الدكتور صلاح الصاوي كان من جماعة شكري مصطفى التي تسمى بجماعة المسلمين، التي سمتها المخابرات المصرية «التكفير والهجرة»، وللذكر: هذه ليست تسميتهم، ولكن انظر!! والناس نسوا الاسم الذي سموا أنفسهم به وبقي الاسم الذي سمته المخابرات، وتركهم، وتركهم بفقهٍ وعقلٍ وإدراكٍ ولم ينقلب إلى الضد بالكلية، بل كان متوازنًا، مع وجود بعض ما يؤخذ عليه، ولكن هذا لا يضره.

كتبه في الحقيقة تدل على التزام قوي بالشريعة، وأنه ما زال على منهجٍ صحيح، يعني أنا لما أقرأ كتابه في الرد على الذين أباحوا ما يسمى بالموركج «Mortgage» وهو الربا، ربا البيوت في أمريكا، فإن كتابه هذا كتابٌ مهم وضروري، وإن شاء الله أتكلم عنه، وليت الإخوة يقرؤونه ويرجعون إليه وربما هو موجود في النت؛ فيرون نفسًا إيمانيًا إسلاميًا عظيمًا في الدفاع عن الشريعة والوقوف أمام محاولات تحريفها، وتكلم عن المؤتمر الذي أباح «الموركج» سلوكًا، وتكلم عنه فقهًا، وتكلم... إلخ، ففي الحقيقة الرجل إذا تكلم أسمع وأبلغ، جزاه الله خيرًا.

وله تجربة، ولا شك أنه يعيش الهم الإسلامي، ولا شك أن من يراقب إنتاج الدكتور صلاح الصاوي يرى أنه لا يكتب لمتعة الكتابة، ولا يكتب للدخول في مسمى الكتاب والناشرين، ولكنه يكتب الهم الإسلامين يعاني، محاولاته المتعددة في اللقاءات والنشر وكذا؛ تدل على إنصافه ومعرفته مواطن القوة في الأمة، وأنا أظن أنه من الأشخاص الذين يحاورون محاورة العقلاء، ويستفاد منهم الاستفادة الكبيرة، لتجربته ولعقله ولإنصافه.

كل رجلٍ يؤخذ من قوله ويرد، حتى المتكلم، وحتى الإمام مالك رحمه الله وحتى الإمام الشافعي رحمه الله، فبالتالي؛ أنا أنتقد عليه مثلًا: كتبت مرةً في مجلة الفجر انتقادًا له في قضية الثوابت والمتغيرات، والحقيقة أنه ككل الناس حاول أن يخوض هذا الغمار، وهو وضع قواعد علمية دقيقة في التفريق بين ما هو ثابت وما هو متغير، فلم يفلح ولم يتقن هذه المسألة؛ لأنها في الأصل هذه المسألة في نفسها عند السؤال مبنية على قاعدةٍ خطأ، وبالتالي؛ سينتج عنها أخطاء في الأجوبة.

بالنسبة للدكتور صلاح الصاوي: الآن لا أعرف حاله، كان بلا شك مدرسًا في الجامعة الإسلامية المفتوحة في أمريكا، ويعمل مع الدكتور جعفر شيخ إدريس، وكلاهما على خير في الموضوع العلمي –يكفيني هذا، لا أريد أن أدخل في أمور أخرى– وفي نشر السنة والوقوف أمام التغريب.

ولا شك أن صلاح الصاوي معتنٍ أشد الاعتناء في قضية الداخل الإسلامي، ربما جعفر الشيخ إدريس له اعتناء في الداخل والخارج، ولكن الدكتور صلاح الصاوي له اعتناء بالداخل الإسلامي وله علاقة طيبة مع الجميع، وكتبه نافعة؛ أغلبها فكرية، بعضها فقهية كما ذكرت عن كتاب «حل الربا في ديار الكفر»، وهو كتاب جيد في الحقيقة ويدل على مَلَكة فقهية طيبة، والمرء يقرأه مرة ومرتين وثلاثة فيعجب له؛ لمراجعه ولتأصيلاته العلمية المهمة، ولمعرفته واقع هذه الحادثة والنازلة.

على كل حال اقرأوا كتبه وانتفعوا بها.. نفعنا الله عز وجل وإياكم بها، جزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

٣٢٩- رجل نصراني تزوج من مسلمة ثم أسلم

ضمن الجلسة السادسة والعشرون، بتاريخ: (**١٦/٠٥/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١/٠٢/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: رجلٌ نصراني تزوج من مسلمة، وأنجبت منه ولدًا، ثم أسلم النصراني وحسن إسلامه، وعرف حكم الله في الزواج الأول، فأعاد عقد الزواج؛ فهل ينسب الولد إلى الأب بعد إسلامه أم لا؟ فإن لم يلحق به، فماذا للأب على الولد من حقوق البر والصلة؟

جواب الشيخ: أولاً: ولا شك أن الإجماع منعقد على عدم جواز زواج المسلمة من الكافر -نصراني، يهودي، مشرك.. لا يجوز-، والذين أحدثوا الأقوال الجديدة هم ضالون وناقضون للإجماع، ويحتجوا بكلام ابن القيم في «أحكام أهل الذمة» وهو ليس على الوجه الذي قالوه.

المهم.. لنأخذ كلام ابن القيم الآن في هذه الحالة: أن نلحقه لأبيه خير من ألا نلحقه له؛ لأن الشريعة الإسلامية تقوم على تصحيح الأنكحة ما استطعنا، فهذا، لماذا وقع؟ قد يكون وقع لمعصية، قد يكون وقع لجهل، فإما لجهل وإما لمعصية مع علمها -أي الزوجة-.

فالصواب في هذه المسألة: أن ينسب الابن لأبيه، فيرث منه وينتسب له، ويرث أحدهما من الآخر إذا مات قبل الآخر، فحينئذٍ -حين نسبناه لأبيه نسبةً صحيحة شرعية كما هي واقعية وقدرية- فحينئذٍ يترتب عليه ما سأل عنه الأخ من البر والصلة وو... إلخ، وحرمة الزواج من أخواته من أبيهم وأمهم، أو من أبيهم أو من أمهم، أي إذا تزوج الأب امرأةً أخرى أو الأم بعد ذلك تزوجت رجلاً آخر؛ فإنما هم إخوانه، فلا يجوز له أن يتزوج منهم.

فإذن: هو ابنٌ صحيح إما على معنى الجهل، وإما على معنى المعصية.

والله تعالى أعلم، والحمد لله رب العالمين.

٣٣٠- شخص يمتلك محل دخان وأراد أن يتوب

ضمن الجلسة السادسة والعشرون، بتاريخ: (١٦/٠٥/١٤٣٩هـ **الموافق لـ: ١/٠٢/٢٠١٨ م)**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: شخص يمتلك محلاً لبيع الدخان فقط، أراد أن يتوب، هل يتلف الدخان أم يعيده للتجار؟

جواب الشيخ: بلا شك أن الدخان عند كثير من أهل العلم أنه حرام، وهو الصواب أقول: إن الدخان حرام، فهل يجوز بيع الْمُحرم؟ إذا حرم الله عز وجل شيئًا حرم ثمنه.

الآن اشتراه.. هذا الشراء عقد باطل، فيجب ألا تترتب عليه آثاره، فعليك أن تتلفه ويرجع إليك مالك؛ ولكن هذا لا يمكن في بلادنا، فإذا كانت الحالة كذلك: إما أن يتلفه فيصبر كما صبر الأيتام، فإنكم تعلمون أنه لما حُرم الخمر جاءت قافلةٌ لأيتام -هم أيتام ضعاف-، فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعوه فلم يأذن لهم؛ لأن الله إذا حرم شيئًا حرم ثمنه؛ فأراقوها في شوارع المدينة، أراقوا هذه الخمر وكسروا الدنان وخرقوا الدلاء وسالت هذه الخمر في شوارع المدينة، وكانت لأيتام، ولم يجز النبي صلى الله عليه وسلم أن ينتفعوا بها، لا أن يحولوها إلى خل كما يقول الحنفية عليهم رحمة الله، ولا أن يبيعوها لمن يُجيز شربها كاليهود أو النصارى أو المشركين- فلم يجز؛ فالواجب هو إتلافها.

ولكن هنا السؤال: لو أعادوها إلى صاحبها ليستردوا المال؟ هذا وجهٌ جائز، إذا استطاعوا أن يعيدوها إلى صاحبها؛ لأن الأصل في العقد البطلان، هذا العقد باطل، فلا تترتب عليه آثاره، فليعد كل شيء إلى صاحبه إن قدر على هذا، وإن لم يقدر أتلفها في ذمته وتحمل ذلك من قبيل التقوى ومن قبيل امتثال أمر الله عز وجل، والله عز وجل يعطيه **(ومن ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه)**.

والحمد لله رب العالمين.

٣٣١- ما حكم عائدات التأمين؟

ضمن الجلسة السادسة والعشرون، بتاريخ: (**١٦/٠٥/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١/٠٢/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يقول السائل: فضيلة الشيخ عندي سؤال حول عائدات التأمين، فقد وقع لي حادثة سير وعوضني التأمين على الخسائر التي أصابت سيارتي، إلا أن تلك التعويضات أكثر من ثمن الخسائر؛ فهل لي أن أتخلص منها بأداء التأمين؟

جواب الشيخ: إن أعظم عقدٍ فاسدٍ في الدنيا بين البشر وظالم وقع في التاريخ الإنساني هو عقد التأمين، عجيب هذا العقد! وهو دال على أن أصحابه والشركات والقائمين عليه هم من أفسد الناس وأظلم الناس وأطغى الناس، ثم بعد ذلك هم أغنى الناس.

كل عقود الدنيا تقوم على الرضا، وما يقع فيها من شروط يتم فيه التباحث، القبول والرد؛ من أجل أن تتحقق الفائدة، في عقد التأمين هذا -انظر- لا يوجد شرط الرضا، رغم أنفك تُأمّن على سيارتك، رغم أنفك تُأمّن على بضاعتك التي تحملها من بلد إلى بلد، رغم أنفك! فعنصر الرضا مفقود، إرادة العاقد ملغاة، مفروض عليك، من قبل من؟ من قبل الدولة، الدولة من؟ هي التي تحمي هذه الشركات وهم ناس أغنى وأثرى الناس، والدولة طبعًا تستفيد منهم، وهم يستفيدون من الدولة، في علاقة ﴿رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ [الأنعام: ١٢٨]، هذه علاقة الاستمتاع التي تنشأ بين الطاغية وعباده.

ثم ثانيًا: أنت لا يجوز لك أن تناقش الشروط، يجب أن توقع، تكون هناك شروط مكتوبة في داخل عقد التأمين، وهذه الشروط لا يجوز لك أن تقول: أنا لا أريد هذا الشرط، أو أن نلغي هذا الشرط!! لا، لا، يجب أن توقع.

وأنتم تعلمون أن شروط عقود التأمين تكون بحروفٍ صغيرة، فلا يوجد في التاريخ عقدٌ بين الناس أظلم من هذا العقد وأفجر وأطغى، ولذلك أعظم الناس غنى في قضية أبواب الأموال وعقود الأموال هي البنوك ثم شركات التأمين، وفي بعض البلاد شركات التأمين تستأجر «بلطجية» من أجل أن يقوموا بحمايتها.

فلذلك: هذا عقدٌ باطل، تفعله من أجل الاضطرار، ولو كان لك الاختيار لا يجوز لك أن تفعله، لا يجوز.

وأما الذين يقولون: إن بعض العلماء أجازوه؛ فقد ثبت خطأهم، لا نريد أن ندخل في هذا كالشيخ الزرقا وفلان، لا يجوز أن ندخل في أقوالهم، الصواب: أنه عقدٌ باطل وعقدٌ ظالم وعقد ربوي، فيه ربا النسيئة، فيه ربا الفضل، فيه القمار؛ فلذلك هو عقدٌ يجب أن تفر منه ما استطعت، وحيث احتلت للخروج منه فأحسنت.

طيب.. وقع العقد رغم أنفك؛ فلا يجوز لك أن تُكافئ الظالم على ظلمه بأن تقول: أنا لا أريد المال، يعني الذين يقولون: لا يجوز لك أن تنتفع بالعقد بعد ظلم صاحبه لك، إذا وقعت عندك مفسدة أن تقول: أنا لا أريد المال! لأنك حينئذٍ أنت كافأته على ظلمه.. هؤلاء مجرمون، لصوص، وظلمة، ولهم القوة والسلطة، أنت تسجن.. أنت تعرف في بعض البلاد –هذا كان في بريطانيا– إذا قابلك الشرطي فوجدك سائقًا بغير رخصة سواقة، جُرمها أقل بكثير من أن تمشي بالسيارة بغير تأمين! انظر! هذا يدل على قوة هذه الشركات وسيطرتها على القضاة وسيطرتها على الدولة.

القصد من هذا: بأنه يجوز لك أن تأخذ من أموالهم ما استطعت على أي وجهٍ كان.

والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين.

٣٣٢- حكم دفع الرشوة للتهرب من الجمارك والرسوم

ضمن الجلسة السادسة والعشرون، بتاريخ: (**١٦/٠٥/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١/٠٢/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل أخ: ما حكم دفع الرشوة من أجل الحصول على تخفيض على السلع الجمركية؟ وهدف الرشوة هو التهرب من المكوس.

جواب الشيخ: لا شك أن الجمارك مكوس وظالمة، المكوس ظالمة وليست من العقود الصحيحة، وهي مما يؤخذ على جهة الغصب والقهر، فيجوز للمرء أن يتهرب منها.

هل يجوز له أن يدفع الرشوة لإنقاذه ماله.. أن يدفع بعض المال لإنقاذ البعض الآخر؟ الجواب: نعم، هذا مما أجمع العلماء عليه على أنه يجوز للرجل أن يدفع ضررًا كبيرًا بضررٍ صغير، أن يستنقذ مالاً كثيرًا بدفع مالٍ قليل، ولا شك أن الآخذ آثم، الأصل ألا يعمل الناس في هذه الأعمال؛ فلذلك الآخذ آثم، وأما الدافع فمأجور، كمن يدفع الضرر عن نفسه، وأما الآخذ فهو سارق، كمن أراد السرقة؛ فإما أن يقتله وإما أن يعطيه المال، فيعطيه المال؛ فهو مأجور بدفع المال؛ لدفع الضرر عن روحه، ولكن الآخذ سارق وظالم، وهذا كذلك صاحب المكوس هذا ظالم، فحين أخذ فظالم، وأما دافعها فمأجور لدفع الضرر عن نفسه.

والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين.

٣٣٣- ما حكم تغيير صلاحية أشياء لا تفسد؟

ضمن الجلسة السادسة والعشرون، بتاريخ: (**١٦/٠٥/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١/٠٢/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل أخ يقول: شيخنا الفاضل، نفعنا الله بعلمكم وجزاك الله خيرًا -آمين، وإياكم-، ما حكم إزالة أو تغيير تاريخ صلاحية أشياء المعلوم عنها أنه ليس لها انتهاء إلا أن تفسد لسببٍ ما، مثال على ذلك: هذه الأشياء المعقمات، والمطهرات، والزهورات، والأعشاب الطبية، هل هناك ضابط لهذا الفعل؟ أرجو التفصيل، وأن يتسع صدركم لنا.

جواب الشيخ: في الحقيقة: الواجب هو بيان الحقيقة عند البيع، وإذا كان فيه عيب فيجب بيان العيب، لما النبي صلى الله عليه وسلم مر على رجلٍ يبيع، فوضع يده في المبيع فابتلت يده، فقال: (**ما هذا يا صاحب الإناء**) أو كما قال صلى الله عليه وسلم، ثم قال صلى الله عليه وسلم: (**من غشنا فليس منا**).

فإذن: من الغش ألا تظهر عيب المبيع؛ فهذا واجب عند البيع، وإلا يكون المرء خائنًا كاذبًا مفسدًا لهذا البيع، وللناس حق خيار العيب، خيار العيب أي أن يشتريه على السلامة فيظهر فيه العيب، فيجوز له أن يرده على صاحبه.

ولا شك أن الكثير من المصنوعات اليوم -خاصةً التي تصنع كيماويًا- أن لها مواقيت، وأن الأشياء كلها لها أعمار، وهناك بلا شك أن الأعمار تتفاوت؛ فحين الاختلاط يقع الفساد، ولذلك نهي في البلاد الحارة -كمكة والمدينة- أن تخلط الأشربة والأنبذة، لأنه يسارع إليها الفساد والتخمير والإسكار، ولكن هذا ليس منعًا دائمًا في كل حال، ولكن هذا يدل على أن الخلط يؤدي إلى سرعة الفساد، وهذا معروفٌ عند أصحاب الشأن من الكيميائيين وغيرهم.

فهنا الأمور مختلفة، عليك أن تبيّن لهم هذا شرط، حين يأتي إليك المشتري تبيّن له أن هذه -مثلًا- الشاي أو الزهورات التي تشرب فأن تقول له: اسمع يا عم، هذه البضاعة مكتوب عليها كذا وكذا، وأنت تعرف أن الزهورات لا عمر لها، فإما أن يشتريها وإما أن يتركها؛ فعليك أن تبيّن له.

وأما الكثير مما يقال فيه: لا يدخل فيه الفساد؛ يدخل الفساد فيه بطول الزمن، فعليك أن تبيّن له، لكن إن جاء خبير وقال لك عن أشياء: أنها لا تفسد، كما هو في العسل، كما هو في الزيت، يطول مدته وإن كان يدخل عليه الفساد في قضية التخزين، فهذا الأمر فيه سعة، لا أقول: بإن الواجب أن تظهره؛ لأن بعض البلاد تقدر بعض الأشياء لا على جهة الدراسة الخاصة بها، ولكن على جهة طول المدة للأشياء التي لا يعرف مدتها، يعني مثلاً: ثلاث سنوات وخلاص.. لا يجوز بعد ذلك أن تزيد مهما كانت، وهذا وجه يجب أن يعتبر.

فالقصد: عليك أن تتقي الله، ما كان يدخل فيه الفساد؛ يجب أن تبيّنه، ما كان يمكن أن يدخل فيه الفساد؛ يجب أن تبيّنه؛ ما لا يدخل فيه الفساد البتة من قبل الخبراء؛ فالأمر فيه سعة إن شاء الله عز وجل، لأن الناس لو علموا فلن يهتموا.

ولكن عليك أن تراعي: ما هو السعر، لأنه لا يجوز لك مثلًا أن تشتري أشياء من النوع الثالث قد انتهت صلاحيتها من المخازن، وأن تبيعها بالسعر الجديد؛ فهذا مفسدة، على الناس أن يعرفوا أنك تبيع هذه الأشياء بسعرٍ أقل لما فيها من هذه الصفة، والناس يقدرون في هذا الباب تقديراتهم صحيحة.

والله تعالى أعلم، والحمد لله رب العالمين.

٣٣٤- سؤال عن معاملة ربوية

ضمن الجلسة السادسة والعشرون، بتاريخ: (١٦/٠٥/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١/٠٢/٢٠١٨ م)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: تم شراء هاتف من خلال معاملة، وتبيّن بعد ذلك أنها معاملة ربوية، ماذا نصنع بالهاتف؟

جواب الشيخ: عقد الربا عقدٌ باطل في قول جمهور أهل العلم، وعند زُفر من الحنفية: عقدٌ فاسد؛ لأن الحنفية يفرقون في المعاملات بين الباطل والفاسد.

الفاسد عند الحنفية -آثار الفاسد.. نتكلم عن الآثار، لا يهمنا كيف يفرقون أصلًا، كيف يبنون الفاسد والباطل.. لا نريد أن نتكلم عن هذا، لأنه لا يهمنا في هذا السؤال، ولكن الآثار المترتبة على الفاسد والباطل- أنتم تعرفون أن الجمهور يقولون: الباطل يؤدي إلى الفساد وأنه كأنه لم يكن، ولكن الحنفية يقولون: لا، الفاسد غير الباطل -وهذا قول كذلك عند أحمد، كما ذكر ابن بدران الدمشقي في «المدخل إلى مذهب الإمام أحمد» وذكره صاحب «الروضة» وغيره-؛ فالفاسد عندهم يتم إصلاحه بإزالة الشرط الذي أفسده فيعود صحيحًا، وأما الباطل فإنه لا يُصلح، يترتب عليه الفساد ولا يمكن أن يصلح.

ذكرتها لأن زُفر من الحنفية يقول: بأن العقد الربوي عقد فاسد يمكن إصلاحه بإزالة الشرط الفاسد؛ وهذا قول ضعيف، ومردود، ومنبوذ حتى عند الحنفية، فالإمام والصاحبان -أقصد: أبا يوسف ومحمد- يقولون بقول بقية الأئمة وهو أن: العقد الربوي باطل، بمعنى أنه: لا يترتب عليه أي أثر، معنى الصلاح: ترتب الآثار عليه؛ والصحة تقابل البطلان، فهذا عقدٌ ربوي عند الجمهور عقدٌ باطل، بمعنى أنه: لا تنشأ عليه آثاره، ويجب نقضه، ويعود الأمر إلى ما كان عليه قبل نشوء هذا العقد، وذلك بأن يعود المال إلى المشتري والمبيع إلى البائع، هذا الذي يجب في هذا الباب.

أنا أعرف أن هذه المسألة الناس لا يفعلونها، بمعنى: هذا الأخ اشترى هاتفًا ظانًا أن العقد صحيح، ثم تبيّن أنه عقد ربوي؛ فالواجب هو أن يعيد الهاتف إلى البائع ويأخذ ما دفعه إن كان قد دفع، والعقد كأنه لم يكن ولا قيمة له، ولكن الناس في بلادنا لا يفعلونه، والبنوك لا تفعل هذا، إذن ماذا نفعل؟ الواجب أن ترده، فالبنك

يأخذ الربا، يقول: الآن أعطني الربا أرجعه لك، فيأخذ الربا ويعيد إليك المال ويبقى الربا قائمًا، إذن لم يتغير شيء، وفعلنا شيئًا غريبًا وهو أننا أكرمنا هذا المرابي؛ يعني: رتبنا على هذه الإعادة فيما يفعل الناس رتبنا عليها منفعة للمرابي؛ فأكرمناه على معصيته في نقض العقد، كما أننا نفعناه بالربا في قضية نشوء العقد!

الأمر تقدم أنه عقدٌ باطل يجب أن يفسخ، وأن يترتب عليه الفساد الذي لا تنشأ عليه أي آثار، فما هو المطلوب فيما ذكرنا في أحوالنا هنا؟ المطلوب: الأصل.. ولكنه لا يقع؛ أنت أخذت عقدًا ربويًا من البنك، فإذا أرجعت إليهم رأس المال بقي الربا في ذمتك، وأرجعت إليهم المال سريعًا وهو مُقسط، فانتفعوا هم بنقضك للعقد، والقاعدة هذه نبه عليها أئمة كثر منهم شيخ الإسلام ابن تيمية: بأنه لا يجوز أن يُجازى الفاسد والعاصي على معصيته وفساده.

وبالتالي؛ ما هو المطلوب؟ المطلوب هو إفساد هذا العقد بطرق متعددة؛ إما أن تمضي العقد من غير أن تدفع لهم الربا -تتهرب من الربا ولا تدفعه أبدًا-، وإما أن تقلل الشر عليك هذا المخرج؛ أن تقلل الشر بأي صفةٍ كانت تفعلها، وأن تكون صحيحة، سوى أن تقع في معصية جديدة من ربا جديد أو سرقة أو كذب إلى ما شابه ذلك.

فالقصد: بأن هذا العقد يجب أن تنقضه، فإذا لم تستطع إبطاله إبطالًا كليًا؛ فعليك أن تفسد ما استطعت من أجزائه.

والله تعالى أعلم، والحمد لله رب العالمين.

٣٣٥- سؤال عن الوكالة

ضمن الجلسة السادسة والعشرون، بتاريخ: (١٦/٠٥/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١/٠٢/٢٠١٨ م)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل أخ يقول: رجلٌ أجير يعمل في شركة، قامت الشركة بتوكيله بشراء بضائع ومستلزمات لها من السوق، فاستطاع أن يتحصل عليها بسعر أقل من السوق، فخطر بباله أن يشتري البضائع من ماله الخاص، ثم يبيعها للشركة بسعر السوق العادي، دون أن يعلمهم بالأمر؛ هل يجوز له ذلك؟ وهل فيه شبهة؟ أفيدونا بارك الله بعلمكم.

جواب الشيخ: ليس فيه شبهة، بل هو حرام؛ هذا الفعل حرام، هذا وكيل؛ فلا يجوز أن يقوم بدور الوكيل والأصيل، لأنه حينئذٍ يبيع ويشتري من نفسه؛ هو وكيل، فالوكيل يقوم مقام الأصيل، هو وكيل لهم، وهو أصيل في البيع، يشتري من أجل أن يكون أصيلاً وهو وكيل، فالوكيل في دور الأصيل!! فكأنه يبيع لنفسه؛ وحينئذٍ تقع الشبهة وتقع التهمة، ولذلك لا يجوز هذا الفعل.

فالجواب: هو أن يشتري لهذه الشركة بالسعر الذي يدفع له، فحينئذٍ يكون وكيلاً، وقد قام بوكالته حق القيامة؛ وذلك بأن الناس إذا كانوا وكلاء -الذين هم أصلاء بالتَبع- أن يأخذوا الأشياء بسعرٍ أقل؛ ولذلك هذا لا يجوز.

ومثله: أن يشترط -حين يأتي إلى المحلات- أن يشترط على المحلات: لأشتري منكم تدفعون لي مالاً! هذا يفعله الوكلاء، يشترون من محلات ويجبرون المحلات أن تدفع لهم! الآخذ آثم، ولا يجوز له أن يأخذ منهم قرشًا؛ لأنه أخذ أجرةً على هذا الفعل في كونه وكيلاً، أخذ أجرة، فكيف يطلب مالاً من البائع؟! لكن البائعين اليوم يقولون: إن لم ندفع لهم المال لا نبيع ولا نشتري ويذهبون لغيرنا، يجوز لهم أن يدفعوا المال وهم مأجورون بالدفع، وأما الآخذ هذا السمسار أو الوكيل فهذا آثم، وسارق، ولص، وآخذ للمال الحرام.

فالجواب عن هذا، الرجل الذي يشتري ليبيع بنفسه ليأخذ سعر السوق: هذا سارق، ولص، ولا يجوز له أن يفعل ذلك، والحمد لله رب العالمين.

٣٣٦- كلمة حب ونصيحة إلى أهل غزة

ضمن الجلسة السابعة والعشرون، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٥/٢٢هـ الموافق لـ: ٢٠١٨/٠٢/٠٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

إخوتي الأحبة: هذه كلمتي إلى أهل غزة، وكلمتي إلى أهلها الطيّبين والصابرين والمرابطين:

ابتداءً أقول هذه الكلمة، والمرء من توفيق الله عز وجل له أن يحب من يقوم على طاعة الله عز وجل، وأن يراعي الذي يُعنى بنصرة دين الله عز وجل، وأن يُبغض من يُبغض هؤلاء، والحمد لله، اعتقادي في هذه الأرض المباركة الشام، ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم فيها، وأنّها هي الأرض المقدسة التي أمر الله عز وجل بني إسرائيل أن يدخلوها، فلم يدخلوها، ولم يستجيبوا لأمر نبيّهم موسى عليه السلام، وأنّها هي الأرض المباركة التي أورثها الله عز وجل لبني إسرائيل، ثمّ كما الله عز وجل كتب على أنبياءٍ كثر أن يدخلوها، وأن يبارك لها وأن يُبارك فيها، والله أقسم بها بقوله: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (١)﴾ [التين: ١]، أي أقسم بأرض التين والزيتون، والله عز وجل جعل ما حول المسجد الأقصى أرضًا مباركة، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: ١]، والنبي صلى الله عليه وسلم رأى عمودًا من نور يخرج من تحت رأسه ويستقر في الشام، فأولها مُلكه، معنى أنّ مُلكه سيستقر في الشام، ومُلكه في الشام، هذه أرض مباركة، وفي الحديث: (**إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم**)، جعل أهل الشام وما فيها من أحداث وأحوال، جعلها معيارًا لما يقع في بقية البلاد، في بقية بلاد المسلمين.

وإذا كان المرء هكذا؛ فهذا من نِعم الله عز وجل عليه، هنا هذه الأرض المباركة الله عز وجل يُبدّل فيها الأحوال؛ لتكون هذه الأرض مباركة في وقت، والأخرى في وقتٍ آخر، وهذا بحسب الأزمنة والأمكنة، فقد يكون هناك وقت فيه بركة أعظم من وقتٍ آخر، وقد يكون هناك مكان في وقتٍ ما، أكثر بركة من غيره، ثمّ تتحول البركة من مكان إلى آخر.

الذي أقوله لإخوتي وأحبتي وأهلي هناك: بأنّ الله عز وجل أراد أن يرفع شأنهم، وذلك بأن يجعلهم على الحال الذي هم فيه، أن يبقوا شعلةً تُبقي معاني الجهاد والمدافعة بيننا وبين اليهود ومن وراءهم، فهناك مرات كثيرة

يبسط الكفر سلطانه على بلادنا، لكنّه لا يمكن إلا أن يكون هناك أماكن تبقى حية بدين الله عز وجل، ومشتعلة، وجمرة لما يأتي من قدر الله عز وجل أن تسري هذه الجمرة بنارها لتحرق البقية الباقية من أعداء الله عز وجل.

في هذه الظروف التي نحياها، الكثير بل أغلب البلاد، إن لم يكن كلّها، قد مات من بينهم الجهاد بمعناه الصبر على مجالدة ومحاربة اليهود، وهذا واقع، لأسباب: أسباب سيطرة الطواغيت، لأسباب دنيوية، لأسباب الأعداء وغلبة الأفكار الباطلة، والحيلولة بين الأمّة وبين مقاصدها وما تريده... إلخ، ولكنّ الله عز وجل اختار بتدبيره جل في علاه، ولحكمته، ولأمرٍ يعلمه، اختار ودبّر أماكن لتبقى هذه الأماكن حية وتُحيي، حيّة بهذا الصراع، ولما تحيي من معاني بقاء المداولة بيننا وبينهم، والصراع بيننا وبينهم، والجهاد بيننا وبينهم، والمدافعة بيننا وبينهم.

فأقولها بصدق ما نرى، العالم انظر إليه الآن، انظر كلما أراد العالم أن يصفي حساباته مع اليهود، أقصد العالم الإسلامي، والطواغيت يصلحون بينهم وبين هؤلاء اليهود ويزيلون عوامل المدافعة، تحت ما يسمّى بالتطبيع، فكلّما أرادوا هذا خطوا خطوة إلى الأمام، تأتي غزة وتعيد هؤلاء عشرات الخُطى إلى الخلف، هذه ضريبة الاختيار الإلهي، والتدبير الإلهي، ثمنها الدماء الذي تقدمه الشعوب، أو تقدمه الفئات المؤمنة في غزة، والناس المؤمنون في غزة، عندما يختار الله عز وجل إنسانًا لأن يحبه؛ يبتليه، وعندما يختار أرضًا ليحبها؛ يبتليها، الابتلاء هو صنو المحبة الإلهية في الدنيا، ومن معانيها هو بقاء الرضى الإلهي على الأرض، ومن ومعانيها بقاء المدافعة بين الحق وبين الباطل، قال تعالى: ﴿الم (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢)﴾ [العنكبوت: ١-٢].

أنا أعلم أنّ الكثير من الناس إذا ضعف نظره يتمنى أن يخرج من الصراع كبقية البلاد، يعني لو خير بعض الناس؛ لأخذ جواز سفر، وانطلق هائمًا في الأرض يبحث عن بيتٍ زجاجي، ويبحث عن حياةٍ رغدة، ويبحث عن طعامٍ شهي، ويترك هذا البلاء الذي يعيشه أهله، هذا هروب من مقام البلاء، الذي هو مقام محبة الله، هذا الذي يفكر فيه البعض، أنّه في خروجه من البلاء يحقق رغد العيش والسعادة، هذا معناه أنّه خرج من مقام محبة الله، ومقام المعنى الإيماني في قضية الصراع، بين أعدائنا وبيننا، بين أعداء الأمة وبين هذه الأمّة، ولذلك انظروا،

هذا مقامٌ عظيم أن يجعلك الله عز وجل إمامًا ومحطةً لأن تفتن الناس، إما يحبوك وإما يبغضوك، يعني من ابتلاء الله عز وجل للعالم، أنّه أقام الأنبياء؛ فمن أحبّهم دخل الجنّة، ومن عصاهم وكرههم دخل النار، فأن يجعلك الله عز وجل وأن يجعل هذه البقعة المباركة، أن يجعلها محطة من أجل هذا المعنى، انظر من يعاديها الله عز وجل يقمعه، ويدمّره، هو الله رب العرش العظيم، في سري ونجواي، ما رأيت سبباً لزوال المجرم مبارك، إلا ما أحدثه في غزة من عداء، وما رأيت عذاب الله عز وجل عليه بموت ابن ابنه، إلا ليذوق وبال ما أذاق أهل غزة من قتل أبناءهم وأطفالهم في حروب اليهود عليهم.

هذه المعاني الإيمانية الموجودة في هذه البقعة، هذه معاني يجب أن ننتبه لها، علينا أن لا نهرب منها، هذا قدرنا، المرء لا يهرب من قدره، سيعيشه، الفقير لا يهرب من قدره، يحاول ولكنّه إمّا أن يصبر، وإمّا أن يكفر، فإذا رفض قدر الله عز وجل، وسبّه، وشتمه، واعترض عليه؛ هذا خرج من المقام الإيماني، وإذا قبله وأحبه، وتعامل معه من خلال طاعة الله عز وجل ومحبة الله عز وجل؛ ارتفعت درجته، وبعد ذلك ينقضي، الله عز وجل يقلّب الليل والنهار، إنّ مع العسر يسرا هذا موضوع آخر، يعني النصر قادم هذا لا شك فيه، وإسرائيل ستزول قريبًا، قريبًا ليس بعيدًا، وأهل غزة سيُفرج عنهم، ويكونوا أئمة قريبًا، ومن حولهم ممن يعاديهم سيذله الله عز وجل قريبًا، هذا شيء مقرر، فأنا أراه أكثر مما أرى من هو أمامي الآن، هذا أراه، هكذا هو، يطرق الأبواب الآن، هو ليس متخفيًا وراء الباب، هو يطرق الباب ليدخل بشدّة، هذا الوعد الإلهي قادم، ويطرق حياتنا، نرى معالم الإيمان هنا وهناك.

فعندما نرى هذه الصور العظيمة من إقبال الناس على المساجد في صلاة الفجر في غزة، يعني هل هذا ليس له قيمة في عين الله؟! انتبهوا لهذا جيدًا، لا تلتفوا إلى من هو مُنغمس في لذته، أو جهله، أو بدعته، انظروا إلى مجموع الأمّة كيف تتحرك، انظروا إلى أنّ المعركة الآن بين الإيمان والكفر، جزء منها يدور حول غزة، فالآن ترى وصف الإيمان يقوم في رجلٍ وجماعةٍ وفئةٍ تريد نصرة أهل غزة، وترون الكفر وترون الضلال والعذاب الإلهي لهم، لمن يعادي أهل غزة، هذه مرتبةٌ عظيمة، هنيئًا لكم، يعني عندما يقوم الجهاد؛ فيُقتل من يُقتل، وتدمّر البيوت وو... إلخ، ثمّ ينتصر الإسلام، وتتحقق حجة الله على الأعداء بأن يعذّبهم، وتتحقق رحمة الله باتخاذِ قومٍ شهداء، وبصبرهم، وبدعائهم، واستغاثتهم، وبكائهم بأن يرفع الله عز وجل عنهم البلاء، هذا موطنٌ إيماني، أن يختار الله عز وجل وأن يدبّر بأن تكون هذه البقعة، أو تكون هذه الجماعة، أو يكون هذا الشخص، هذا دلالةٌ محبّة الله

عز وجل على هذه الفئة، هذا معنى يجب أن لا يغيب علينا عندما يقع البلاء، كمن يختاره الله عز وجل في بلاء معيّن؛ يريد أن يكفّر ذنبه، يريد أن يرفع درجته، يريد أن يقضي حاجته في أبواب كثيرة، يريد أن يسمع استغاثته، وبكاءه، هذا هو شأن البلاء والمحنة، وهذا كذلك في البلاء في الفرد، والبلاء في الجماعة، والبلاء في المنطقة، والبلاء في الأمّة.

فانظر الآن إلى أهل غزة تروهم كأنّهم القضية الأولى، يتآمرون عليهم، يظنون أنّهم قد ذهب كل شيء، ولم يبقى سوى قضية الضفة وغزة، والحمد لله نحن نسمع الأخبار الطيبة كذلك، يعني أهل الضفة الآن، وبدأت العمليات، والناس يبدعون، ففي غزة يوجد هناك بيئة إيمانية، الناس ممكن أن يذهبوا ويتدربوا مع هذه الجماعة، وهذه الجماعة، ويصلّون براحتهم، ويتدربون براحتهم، ويتحدثون عن الجهاد براحتهم، لكن انظروا إلى هذا القهر الذي يعيشه أهل الضفة الغربية، ومع ذلك يبدعون لكسر هذه الحواجز؛ لتحقيق الجهاد وإبقاء جذوة العداء لهذا المشروع المجرم، الذي تمالأ العالم كله من غربه وشرقه، وحاضره وماضيه، وما يخططون له من مستقبل، وعربهم وعجمهم، كلهم، ومن تسمّى باسم الإسلام، ومنهم من بني جلدتنا، كلّهم تمالأوا لإقامة هذا المشروع اليهودي، انظر كم عكّاز، تعرفون العكّاز؟ أي انظر إلى كم من الدعامات التي تدعم هذا المشروع الميت، المشروع ميت لكن انظر كم يدعمونه؟ الشرق والغرب وكلهم، الأعداء الداخليون والخارجيون، كلهم يدعمونه، هذا مشروع ميت، لكن هكذا ينفخون فيه الحياة، ويريدون أن يتحدوا إرادة الله عز وجل وسيخسرون.

أقول أيها الإخوة الأحبّة: إذا علمت فضل الله عليك في اتخاذك عظيمًا، واتخاذك علّة للإيمان، وعلّة للكفر، علّة لمحبة الله، وعلّة لبغض الله، أن يقيمك هذا المقام، فهذا شيءٌ عظيم، ولا تظنّوا أنّ العالم لا يلتفت إليكم، إياك، من أعظم ما وجدته مؤذيًا ومؤلماً في البلاء، هو أن تظن أن الناس قد نسوك، وتكون أنت غافل، والناس يتحدثون عنك، انظر العالم الآن يبغض من يتآمر على غزة، أهل الإسلام يبغضونه، ويعرفونهم، يعرفونهم بالأسماء، ويدعون عليهم في الصلوات، وفي السجود، وفي صلاة الفجر، وكلما تحركوا، وكلما قرؤوا أخبارهم؛ لأنّهم يخططون الشر لأهل غزة، يعرفونهم، ويحبون من يحب أهل غزة، بقلوبهم هكذا، من غير دعاية، الآخر له دعايات كثيرة، والآخر ليس له دعاية، هذا دليل على أنّ الله عز وجل هو رب القلوب، وأنّ هذا الأمر هو عنده أمرٌ عظيم.

فمن أجل هذا؛ الصبر، من أجل هذا؛ ضرورة الصبر، ضرورة الائتلاف، ضرورة الحب؛ لأنّ القطيعة والفراق بيننا يمنع رحمة الله، وهذا الكلام ينبغي أن نفهمه، أن نفهمه جيدًا، بأننا إذا عصينا الله عز وجل بهذا الافتراق وهذا البغض بين المسلمين، المعركة الآن هي مشروعٌ إسلامي عظيم فيه مسلمون وفيه عبّاد وفيه مجاهدون وفيه مصلّون، وفيه لغة عربية، حتى يحاربون اللغة العربية، يحاربون تعليم القرآن، هذا المشروع الكافر الآن ينبغي أن يجابه مشروعٌ إسلاميٌ عظيم، ينبغي، هذا المشروع الذي يريدون فيه استئصال الإسلام، استئصال الإسلام من نساءنا، وبناتنا، ومعاهد التعليم، والمساجد، يمنعون حتى الكلام على الجهاد، والكلام على الكافر، والآن يقولون: الآخر، يرفضون أن يقال كافر، يعلمون الخطباء أن يقولوا: غير مسلم، غير مسلم في المخيمات، الناس تتعلم على المخيمات، أنت في هذا البلد وهذا البلد يصنعون لك مخيمات، فكأنّ هناك كافر، وهناك مسلم، وفي الوسط في واحد غير مسلم وغير كافر، تعودوا على المخيّمات الحياتية؛ فأدخلوها في أفكارهم، فصار هناك مخيّمات فكرية.

فيا أيها الأخ الحبيب: الذي نطلبه من أهل الإسلام هو الائتلاف، والاتحاد، وبقاء الخلافات العلمية، والجدل العلمي الذي يؤدي إلى الحق، وإلى نشر الحق، وإلى رد البدعة، ولكن عندما تقوم القضية التي تتعلق بالأمة، وتتعلق بالقرآن، في أصل القرآن، في أصل السنة، في أصل أمّة الإسلام، فنحن يدٌ واحدة، ينبغي هذا، وعليك أن تبدأ أنت.

وأنا لا أدري هل أصلح لأتكلم عن حكمة الحياة بعد هذه التجربة، لا تهتم أن يجابهك غيرك بقبولك، لا، ابذل، أعطي، أعطي، يسبونك أعطي الحب، أعطي الدعاء، يبعدونك أعطي الحب، أعطي الدعاء، أعطي القرب، أعطي الإحسان، ما قيمتك إذا أحسنت إلى من أحسن إليك؟ هذا شيءٌ تفعله الدواب، ولكن المرتبة العظمى في ديننا، وعند الله عز وجل، وفي الآخرة هو أن تحسن إلى من أساء إليك، أن تحب من أبغضك، إذا كان هو يظن أنّه يبغضك لله، هو جاهل لا يعرف، فأن تحبه؛ لأنّه هو في مقام الدعوة والعلم الجهاد.

فكلامي لكل أحد: بأن يبذل من الحب لأخيه، رغم أنفه، أنت لا تنتظر أن يحبك لتحبه، فإذن أحببه إن أحبك أم أبغضك، أحسن إليه، أساء إليك أم أحسن إليك، ادعوا له في الليل، سواء أبغضك أو دعا عليك، أو دعا لك، حينها الله ينظر في هذه القلوب ويؤلف، الله عز وجل رب قلوب، قال الله عز وجل: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ

قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٣]، الله عز وجل هو الذي يؤلّف، ليس المال الذي يؤلّف هذا فقط إذا أعطيته لله يؤلّف بين القلوب؛ لأنّ الصدقة تقرّب والهدية تقرّب، عن الحسن عن أبي الحسن عن جد الحسن صلى الله عليه وسلم: **(أن أحسن الحسن؛ الخُلق الحسن)** رواه الترمذي، وقال: حديثٌ حسن، الخُلق الحسن.

والمعركة قادمة، أنا لا أتلكم عن سنين طويلة، أنا أتكلم عن أنّها تطرق الباب وهكذا دخلت رياحها وروائحها الطيبة، دخلت اصبروا، ما بقي شيء، اصبر وتحابوا وتآلفوا، وإلا استبدلتم، يأتي ناس من الشوارع، يأتي ناس من الخمّارات، يأتي ناس من الكفرة الذين لا يصلّون، يأتون ويصبحوا أئمة الإسلام، إذا لم تقوموا على الإسلام كما ينبغي، إذا لم تقوموا على مهمتكم كما ينبغي، الله عز وجل يستبدل ويأتي بأقوام لم يسمعوا بالإسلام ويجعلهم من أحسن أهل الإسلام، وهذا الذي نراه، نحن نرى العجب! نرى أنّه إذا قام جهاد، ربّما من كان يصلي ويتكلم عن السنّة من أعدى أعداء المجاهدين، وينقلب على عقبيه ويصبح مواليًا لأعداء الله، ويأتي بأناس لا يعرفون الصلاة، يأتي بهم إلى المساجد؛ فيصبحون عُبّادًا مجاهدين، ويستشهدون في سبيل الله، ويصبحوا شهداء، فخافوا من هذا، الأسماء لا تنفعكم والتاريخ لا ينفعكم، «ما فيش واحد يقول من جماعتي كذا، فنحن كذا، ما في» عند الله لا ينفع هذا، ما في نسب عند الله عز وجل ينفع، ولا أبوك ينفعك في هذا الباب، إذا خالفت الطريق، فلا تقول: أنا من هذه الجماعة التي قدّمت المجاهدين، هذا الكلام لا ينفع عند الله عز وجل، ماذا قدّمت أنت؟ وماذا أنت؟ هل تحب المسلمين؟ هل تريد نصرة الإسلام؟ أم تريد أن تنصر هيكلاً صنعه البشر.

فلذلك الواجب أولاً: هو أن نعرف مقامنا في عين الله عز وجل، والذي يستوجب أن نعرف مقامنا في قضية التاريخ، نحن من في تاريخ هذا الصراع، وما هو وجودنا، لماذا؟ وهذا يؤدي بنا إلى معرفة مرتبتنا في عين الله عز وجل، ونحافظ عليها، وهذا الفهم يؤدي إلى الصبر، هذا الفهم يؤدي إلى الطاعة، هذا الفهم يؤدي إلى الحمد والشكر.

فإذن المرتبة الثانية هي: مرتبة الصبر.

المرتبة الثالثة هي: الحفاظ على هذا بطاعة الله وعدم معصيته، لأنّ المعصية ﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ

مَا كَسَبُوا﴾ [آل عمران: ١٥٥]، الهزيمة حصلت ببعض الكسب، ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، ومن ذلك ألا نتفرق وألا نختلف، بل نجتمع على كلمة «لا إله إلا الله ومحمدٌ رسول الله»، على القرآن، على السنّة، وأن نبتعد عن سبل الباطل.

للأسف هناك من يحاول من أهل غزة -فيما نسمع- يحاول التقرب مع الروافض، هؤلاء أعداؤنا، علينا أن لا نلتفت إليهم، هؤلاء سيستبدلون ويزولون، لا أتكلم عن قضية المساعدات السياسية والعسكرية، أتكلم عن هذا الولاء الذي بدأ ينشأ عن بعضهم، في إسقاط الخلافات التي هي في عين الله عظيمة، كيف توالي من يسب على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ويسب على أمّهات المؤمنين، وعنده القرآن محرّف، ويستغيث بغير الله، ومشروعه كله يقوم على استئصال أهل السنّة، أكرر أنا لا أتكلم عن قضية العلاقات السياسية والمنافع التي يتم بها دفع الضرر، أتكلم عن هذه المحاولات التي يبذلها البعض؛ من أجل التقريب القلبي، ما في تقريب، تكلمت عن هذا كثيرًا، في التاريخ هؤلاء من أنجس خلق الله، وارجعوا إلى تجربة مصطفى السباعي، تجربة حسن البنّي، والتجربة الأخيرة للشيخ القرضاوي، مع هؤلاء، كلها أظهرت أنّ هؤلاء من أئمة الكذب، وأئمة الدجل، وهم أئمة الحقد في الوجود، ولا يكون لهم شأن إلا في وقت شأن اليهود، عندما يصعد اليهود يصعدون، ومآلهم إلى زوال، فتعلقوا بالله، ولا يستخفنكم أنّ كثيرًا من الناس فرّطوا في محبتكم ودعمكم، أن تلقوا بأنفسكم في أحضان الكفر، هي كمعركة الأحزاب، القليل من الصبر.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقني وإياكم إلى ما يحب ويرضى، واعلموا أنّ لكم أحبّة يحبونكم في الله، وينصرونكم ويدعون لكم في سجودهم، ووالله كل العالم يراقب ما يحدث في غزة، وهي معيار لكفر الكافر، وبدعة المبتدع، وضلال الضال، وخيانة الخائن، وصدق المؤمن في الجهة المقابلة، فمن كان في هذا المقام هنيئًا له، والله يُغبط.

بارك الله فيكم، والحمد لله رب العالمين.

٣٣٧- مسلمون ضد الكفار وسنة ضد الزنادقة

ضمن الجلسة السابعة والعشرون، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٥/٢٢هـ الموافق لـ: ٢٠١٨/٠٢/٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

السؤال مرةً أخرى وتكلمت أنا عن الشيخ صلاح الصاوي، وأخ يسأل سؤالاً بخصوصه، حيث يقول: أطلق الدكتور صلاح الصاوي في كتابه «مدخل إلى ترشيد العمل الإسلامي» شعار الالتزام المجمل بالإسلام والانحياز المجمل إلى المعسكر الإسلامي، فهل يمكن أن نفهم موقفك من بعض المخالفين وفق هذا العنوان، وهل نستطيع القول أنّه يمثل قاعدة كلّية في جهاد الدفع، وواقع الاستضعاف.

جواب الشيخ: في الحقيقة هذا شعار أنا الآن ذهني بعيد عن مراده فيه، ولكن دعني أفصّل في بعض المحترزات فيه، فنحن لا ندعو إلى الالتزام المجمل بالإسلام، نحن ندعو إلى الالتزام المفصّل بالإسلام، لكن يكفي للحكم على المرء بالإسلام هو الالتزام المجمل بالإسلام، نفرّق بين الأمرين، نفرّق بين الدعوة ونفرّق بين الحكم.

أكرر العبارة لتفهم، نحن ندعوا إلى الالتزام المفصل، كما دعا النبي صلى الله عليه وسلم، (**نَضَّرَ اللهُ امرأً سمِعَ منَّا شيئًا فبلَّغَهُ كما سمِعَهُ، فرُبَّ مُبَلَّغٍ أوْعَى من سامِعٍ**)، نحن نبلغ دين الله، ونطالب من الناس الالتزام التفصيلي، حتّى نعلمهم آداب الطعام، وآداب الشراب، ونعلمهم آداب دخول المسجد، وآداب دخول بيت الخلاء، يعني في أدق الأمور نطالب المسلم أن يلتزم بالإسلام، ولا نكتفي منه بالإيمان المجمل، لا نكتفي، هذه ينبغي التنبيه عليها، في دعوتنا للناس نفصّل، ونعلم الناس الإسلام والسنّة في كل شيء، نعلمهم القرآن وما جاء به من أحكام، وآداب، وما جاء به من عقائد، وما جاء به من قصص، وما جاء به من أخبار، وما جاء به من غيبيّات، فنعلّم الناس ما جاء في القرآن، ونعلّم الناس ما جاء في السنّة، وعلى العلماء أن يجلسوا في المساجد، أو في البيوت، أو في أماكن العلم، ويعلموا المسلمين كل ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، كما علّم الصحابة رضي الله عنهم.

لكن للحكم على المرء بالإسلام، نقبل للحكم عليه هو الإيمان المجمل، أن يأتي بالإسلام، ما دعا إليه النبي صلى الله عليه وسلم في دخول المرء إلى الإسلام، وهو الالتزام بالكلمة، وبعد ذلك تبدأ الأحكام معه في تعليمه

المهمّات قبل الصغار، كما قال ابن عباس رضي الله عنه: «الربّانيون من علم الناس كبار العلم قبل صغاره»، نعلمهم الصلاة، التي لا يصح إسلام المرء إلا بها، الزكاة، وهكذا نبدأ بأركان الإسلام، نبدأ بالمهمات... إلخ، وثمّ بعد ذلك لا نطلبهم بما هو قليل الشأن، قبل ما هو عظيم الشأن، إذن هذا هو الذي عليه، ولكن نحكم على الناس بالإسلام بإتيانهم بالكلمة، وعدم إتيان الناقض، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [البقرة: ٢٥٦]، لم يأتي بالناقض، فإذن هذه الدعوة شيء، والحكم على الأمّة شيء آخر.

النقطة الثانية: وهي قضية التفاف المسلمين، المسلم للمسلم هكذا، يعني لا أريد أن أقول مجبر وغير مجبر، أن نلتقي جميعًا تحت شعار الإسلام ضد أعداء الإسلام، وشعار السنّة ضد الزنادقة، وهذا تفصيل أكثر مما فصّله، أنا الشعار الذي أرفعه، إذا جاز لنا أن نرفع شعارات، وإن كان في الشعارات الكثير من الغلط وبينتها في «مبحث أهل القبلة والمتأوّلون»، أنّ النمطية وأنّ القواعد ينبغي أن نفتح لها أبواب الاستثناءات، والتفصيلات، وإلا فلا يمكن لعبارةٍ أن تجمل الحق كله، لا يمكن، لا يوجد، كل قاعدةٍ من قواعد العلم فيها استثناءات، انظروا إلى «الأشباه والنظائر»، انظروا إلى القواعد الفقهية، لا يمكن لمسألةً أن ندخلها في قاعدةٍ واحدة دون أن نعمل لها استثناءات بقواعد أخرى، ولا بأس هذه من المسائل التي تحتاج إلى تفصيل في الأصول.

مثال ذلك: «الضرورات تبيح المحظورات»، هذه ليست على إطلاقها، هناك قاعدة أخرى: «الضرورة تقدّر بقدرها»، وهكذا، وهكذا كذلك في النص الإلهي، فالنص الإلهي العام يدخل فيه ما يخرج من عمومه فيما يسمّى عموم الأحوال، أي الناس يدخلون كلهم في الخطاب كأشخاص، ولكن الأحوال تتعدد، تختلف، فهذا الاختلاف لا يدخلها في العموم، وهذا يسمّى «تقييد المطلق»، لا بأس هذه نأتي إليها في مقامات أخرى.

القصد من هذا أيها الإخوة الأحبّة: أنّ عبارته إذا كان هو مقصود ما ندعوا إليه، فالحمد لله على كل حال، وإذا كان هناك بعض...، يعني لا بد أن نعود إليه، شأني به قديم، وأنا انتقدته في هذه الشعارات، لما أراد في كتابه «الثوابت والمتغيرات»، في الحقيقة أصل المسألة خطأ، يعني هذه المسألة خطأ، ليس بهذه القواعد والشعارات تطرح القضايا الفقهية، وأنا على قاعدة شيخ الإسلام ابن تيمية، بأنّ هذه الشعارات في أغلبها قدمت من غيرنا، تفريق، أصول وفروع وو... إلخ، وإن كان هناك أصول وهناك وفروع، ولكن أن تُجعل ضمن

ضوابط خاصة بالواضع، هذا هي البدعة والخطأ.

فالقصد من هذا: أن ندعوا المسلمين إلى كل الدين، ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]، فلا بد أن يكون كله، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢)﴾ [الأنعام: ١٦٢]، ولكن إذا لم يأتي من المرء إلا الإسلام المجمل؛ فنقبله منه، ما دام أنّه في صف المسلمين ضد أعداء الله، وما دام أنه في صف السنّة ضد الزنادقة، لا أقصد السنّة هنا بالمفهوم الخاص، أقصد السنّة بالمفهوم الذي يقابل الزنادقة من الملاعين الرافضة، ومن كان على شاكلتهم، هذا الذي أقصده حتى يتميز، لئلا يدخل هؤلاء تحت اسم الإسلام معنا، أو يظن ظان أننا نقصدهم للتآلف معهم، فهؤلاء زنادقة، فهذا الذي أنا أدعوا إليه.

وتبقى القضية الثانية وهي: التفاف المسلمين الذين أتوا بالإسلام المجمل ضد أعداء الله، هذه الذي ندعوا إليه، بأنّ هناك الدعوة تترك لمجال التعليم بأن لا تقيّد بأي تقييد، وعندما يستهدف الإسلام؛ فإننا ندعوا جميع المسلمين لنكون يدًا واحدة، لأنّه مسلم، وحتى لو أتى بالأخطاء، حتى لو أتى بما هو من المكفرات التي لا نكفّر عينه بها، مع أنّها في المعنى الكلي من الكفر كما هو مقرر عند أهل السنّة في هذا الباب، فهذه دعوتنا للناس جميعًا: بأن يلتفوا الآن جميعًا من أجل مجابهة الردة، ومجابهة الزنادقة، ومجابهة الكفّار في محاولتهم استئصال الإسلام، واستئصال أصل الإسلام، بل العرب والعربية من الواقع، ومن الأمة، فمعركتنا الآن هي معركة تثبيت الإسلام أمام الكفّار.

وهناك معارك صغرى بحسبها من اجتماع الحب والبغض، لأنّ المرء إذا اجتمعت فيه طاعة واجتمعت فيه معصية، يُحب بمقدار ما أتى بالطاعة، ويُبغض بمقدار ما أتى من معصية، يُحب بمقدار ما أتى بالسنّة، ويُبغض بمقدار ما أتى من بدعة، يعني يجتمع في قلب المرء نحو المسلمين هذا المعنى، فإذا غلبت حسنات المرء؛ فإنّ الحب هو الذي يغلب، وإذا غلبت المعصية؛ فإنّ البغض هو الذي يغلب، فإذا انقلب إلى صف الكفار؛ كان كافرًا، معيارنا في الحكم على الناس الآن هو هذا، وهو في أي صفٍ هو؟ في صف معركة الإسلام؟ أم في صف أعداء الله؟ لو كان بأطول من هذه اللحية بعشرات المرات، وهو مع الكفار، ومع الزنادقة والمرتدين، هذا كافر مرتد، وإذا كان شارب الخمر والمبتدع بأي بدعةٍ تلبس بها، وهو معنا في داخل دائرة العداء لأعداء الله، هو حبيب لنا نحميه بأرواحنا وندافع عنه في هذه المعركة كما ندافع عن أنفسنا وعن أهلينا، فإذا جاء الخلاف

العلمي؛ بيّنا له خطأه، هذه هي قاعدتنا في هذا الباب، وإذا كان هذا ما يقوله الشيخ صلاح، أنا الآن لا أذكر الدكتور، فقد التقينا، ولا شك أنّ ما ندعوا إليه ليس بالشيء الجديد، هذه قواعد أهل السنّة في التعامل مع الحياة والناس والفرق، والطوائف، والأحداث، والأحوال.

بارك الله فيكم وجزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

٣٣٨- تقسيم الزمخشري لمراتب العباد

ضمن الجلسة السابعة والعشرون، بتاريخ: (**٢٢/٠٥/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٠٨/٠٢/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل أخ ويقول: ذكرت في الدرس السابع عشر من دروس الأسماء موجهًا أن المرء عندما يقول: «سبحان ربي الأعلى» لا ينظر أنه أخذ حسنة، مع أن هذا مهم، ولا ينظر أنه أطاع أمر الله عز وجل فقط لأن الله عز وجل أمره به، مع أن هذا مهم، ولكن فلينظر أن هذا العمل يفرح الله عز وجل، فيقول: ما رأيكم شيخنا بتقسيم الزمخشري لمراتب العباد في كتاب «ربيع الأبرار» ونصه... وعنه: «أن قومًا عبدوا الله رغبةً فتلك عبادة التجار، وأن قومًا عبدوا الله رهبةً فتلك عبادة العبيد، وأن قومًا عبدوا الله شكرًا فتلك عبادة الأحرار»، وكذلك ذكرها النووي رحمه الله حيث قال: وإذا وجد العمل وقارنته بالنية فله ثلاثة أحوال: «أن يفعل ذلك خوفًا من الله وهذه عبادة العبيد، وأن يفعل ذلك لطلب الجنة وهذه عبادة التجار، وأن يفعل ذلك حياءً من الله وتأديةً لحق العبودية وتأديةً للشكر ويرى نفسه مع ذلك مقصرًا، ويكون مع ذلك قلبه خائفًا؛ لأنه لا يدري هل قبل عمله مع ذلك أم لا؟ فهذه عبادة الأحرار»، فهل هذا التقسيم يصح؟

جواب الشيخ: نعم يصح، وكلامهم صحيح ولا غلط فيه، انظروا إلى المرتبة النبوية، المرتبة النبوية... عائشة رضي الله عنها قالت: «وقد غفر الله لك»؛ فهي نظرت إلى أن العبادة تحقق الغفران، ولا شك أن أول مقاصد الإيمان هو المغفرة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ﴾ [التغابن: ٩]، والأنبياء عليهم السلام كما في سورة «هود» أنهم دعوا إلى الاستغفار، وفي سورة «نوح»: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠)﴾ [نوح: ١٠]، وأول ما علم داعية الجن طلبهم أن يستغفر الله عز وجل، كما في سورة «الأحقاف».

فالقصد: بأن من مقاصد الإيمان هو مغفرة الذنوب، فعائشة رضي الله تعالى عنها قالت: «وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر» هذه عبادتها رضي الله عنها، إغماطًا لنفسها أنها لما ذكرت قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢] فجعلت نفسها وهي صديقة، ولكن جعلت نفسها

إغماطًا لنفسها في مرتبة الظالم لنفسها، كما هو مذكور في تفسير هذا الموطن من هذه السورة، سورة «فاطر».

فمطلب العبد بأن يغفر الله عز وجل له.. هذا مطلب، طيب النبي صلى الله عليه وسلم غفر الله له فما هو مطلبه؟ هو مطلب أداء شكر المنعم، (**أفلا أكون عبدا شكورًا!**) هذه مرتبة، مرتبة شكر المنعم أن يشكر الله على نعمه، هذه مرتبة تدخل في مرتبة الأحرار، المرتبة الأعظم من ذلك (**وجعلت قرة عيني في الصلاة**)، بأن تحقق في قلبه محبة ما يحبه الله عز وجل، وهذه شاملةٌ لكل أنواع مراتب العبادة، وأن كل مراتب العبادة تدخل فيها، العبد إذا عبد الله سبحانه وتعالى على هذا المعنى وهو أن يصل إلى مرتبة محبة العبادة لمحبة الله لها، أصاب كل المطالب الأخرى؛ تحقق له مغفرة الذنب، تحقق له الأجر، تحقق له شكر المنعم، تحقق له كل المطالب، ولذلك هذا الحديث هو مفتاح الباب: (**وجعلت قرة عيني في الصلاة**)، أن يصل إلى مرتبة أن يحب ما يحبه الله عز وجل، وأن ينظر إلى نفس الرب في تعامله مع الأعمال، وذلك بأن يحب ما يحبه الله عز وجل، عندما يسجد فينفث كلماته في الأرض، فيسمعها رب السماء فوق عرشه وهو ينظر إلى أنه يريد أن يُفرح الله عز وجل، إذا وصل إلى هذه المرتبة؛ أخذ كل المطالب.

فلذلك في هذا الباب (**كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن**)، هذا المقصد الأعظم وهو: (**حبيبتان إلى الرحمن**)، ولأنهما حبيبتان إلى الرحمن يحصل بهما ثقل في الميزان، ولولا هذا الأول ما كان الثاني، والأصل هو أعظم من الفرع، الأصل وهو محبة الله عز وجل، والفرع هو أنها ثقيلة في الميزان، فلذلك انظر إلى هذه الكلمة، وهذه ينقلها الزمخشري عن غيره، هذه المراتب ليست مناقضة للتعبد.

ولكن مراتب التعبد كثيرة، وليست درجة واحدة، فالمرء حين يكون مُذنبًا فإنه يعبد الله عز وجل ليغفر له ذنبه، ويذهب إلى العبادة من أجل أن يأخذ الرزق، ويُعبد الله عز وجل من أجل الجنة، هذه مقاصده، وهي مقاصد إيمانية، هذه مقاصد إيمانية لا تحتقر، إياكم، الكلام في مراتب العبادة لا يعني احتقار مرتبة، وقد يكون المرء مرةً في هذا الباب ومرةً في هذا الباب، أي يمكن للنبي أن يستغفر الله ليرزقه، ويمكن للنبي أن يصلي ليقضي حاجة، لحاجة من حوائج الدنيا بأن ينصره الله وأن يهلك عدوه، وهذا من دعاء الأنبياء، فيمكن لمن هو في مرتبة عليا في باب التعبد أن يضطر في باب أن ينزل إلى أخرى لحاجته في هذا المقام، والناس تتنوع أحوالهم ومقاماتهم فجاءت العبادة لتملأ هذه المقامات، ولكن أجّل مرتبة في مراتب التعبد: هي أن تعبد الله عز وجل

لتفرح الله عز وجل، فهذه مرتبة الحب.

ومقولة: «وما عبدتك خوفا من نارك، ولا طلبًا في جنتك، عبدتك لأنك أنت الله»، هذه كلمة صحيحة على هذا المعنى، ولكن لا يعني هذا أنه لا يخاف النار، لو أن رجلاً لا يخاف النار فتنزل مرتبته من الإيمان؛ لأن مواعظ القرآن تكون قد تعطلت في قلبه وهذه مرتبةٌ متدنية، ولا أحد لا يخاف النار، هذا مجنون، في الحقيقة لا وجود لهؤلاء أي لا وجود لأحد لا يخاف النار، ومن هنا يظهر خطأ من قال: أني لا أخاف النار، لأنه يخاف، لأنه لو حرقت يده؛ لعلم ألم هذه النار فخافها وتجنبها، والمرء يستعيذ بالله من النار، واستعاذة المرء بالله من النار إيمان، فلو تركها العابد لنزلت مرتبته.

والعبد يرجو الجنة ويحب الجنة، لأن أعظم ما في الجنة أن يرى وجه الله عز وجل، أن يرى وجه حبيبه، فهل أحد يزهد في هذا المقام؟!! من زهد فيه فلا يحكم له بتمام الإيمان وكماله، لا يحكم له بأنه أتى بالإيمان على الوجه الذي أمر الله عز وجل به، وأمر به رسوله صلى الله عليه وسلم.

ولذلك نعم المرء يعبد الله عز وجل من أجل أن يدخل الجنة، نعم هذه مرتبة التجار، والله عز وجل سمى التعامل معه تجارة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠)﴾ [الصف: ١٠]، فأن يكون المرء تاجرًا على وجهٍ من وجوه محبة الله عز وجل؛ هذه مرتبة من مراتب العمل والتعبد، هذه ليست مراتب القدح، ولكن هو بيان لما ينبغي للمرء أن يطلبه من معالي الأمور، وكذلك العبيد، الذي يخاف من النار يطلب أن يتقيها؛ هذه مرتبة العبد، مرتبة العبد وهذه مرتبةٌ إيمانية، ولكن المرتبة العظمي هي المرتبة الذي ما لو قيل له: ليس هناك جنة، وليس هناك نار، فهل تعبد الله؟ يقول: نعم، أعبده، لماذا؟ لأنني أحبه.

ثم مرتبة المحبة تختلف من حالٍ إلى حال، ومن دافعٍ إلى دافع، فلو قيل له: لم تحبه؟ فقال: أحبه لما أسدى إلي من نعمة، هذه مرتبةٌ عظيمة، ولكن هناك مرتبة أعظم منها، وهي أن تحبه لأنه هو عظيمٌ جليلٌ قدوسٌ حكيمٌ عزيزٌ، هذه ذكرها العلماء، أن تحبه لما أسدى إليك من نعمة؛ هذه مرتبةٌ عظيمة، وجبلت النفوس على حب من أحسن إليها، ولكن أعظم منها أن تحبه لجماله لجلاله لعظمته، أن تحبه، لأن هذه المرتبة لا تنشأ إلا من قلبٍ يعرف قيم الأمور وعظمة الأمور وجمال الصفات، يحبه لأنه جميل، يحبه لأنه عظيم، يحبه لأنه قدوس،

يحبه لأنه سبحانه وتعالى الأول، فليس قبله شيء، يحبه لأنه الصمد... هذه أعظم المراتب، وللوصول إلى هذه المرتبة العظمى لا بد من سلوك المراتب التي هي قبل ذلك، فالناس يترقون في هذه المعاني، وهذه يذوقها المرء ذوقًا، لا يستطيع الناس أن يُعبروا عنها إلا بهذه الألفاظ، الألفاظ يُعبر عنها من ذاق أو لم يذق، ولكن أن تذوق هذا المعنى وهو أن تسجد جرب، جرب يا عبد الله أن تسجد فتقول: «سبحان الله»، واستحضر في قلبك عند قولها أنني أريد أن تفرح، عندما تسمع يا مولاي أنني سبحتك تفرح، ألم تر أن الله يضحك للعبد الذي جاءه مقبلاً إليه متضمخًا بدمه دم الشهادة، يقابله الله عز وجل وهو يضحك إليه، يقول الله عز وجل: جئتني بدمك... جئتني... هكذا جئتني محبًا لأمري مع دمك! باذلاً روحك من أجلي! تاركًا كل محبات وملذات الدنيا من أجلي! فيقابله الله ويضحك إليه.

فجرب هذا، جرب، ترقى، تربى عليه، تسبح وأنت تقول: أنا أذكرك لأني أعلم أنك ستذكرني، أنا أذكرك لأني بهذا الذكر أعلم بأنك تفرح وتباهي بي الملائكة، أنا أتصدق لتباهي بي الملائكة، هم قالوا لك جهلا ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠]، لم يعلموا أن أمثالك سيكونون، هو يقول: من أجل هؤلاء.. انظروا يا ملائكتي أنتم تسألتم، انظروا.. الله يفرح ومن فرحه يقول لملائكته: انظروا... جل في علاه.. جل في علاه.. جل في علاه، يقول للملائكة: انظروا، ولله المثل الأعلى، أرأيت كيف إذا فرح المرء فرحًا عظيمًا لم يستطع كتمانه، فنادى الناس: أنا فرح، ويبدأ بتوزيع الهدايا وتوزيع الحلويات، وهكذا يقول الله عز وجل للملائكة: انظروا... انظروا، فهذا المقام وهو مقام الأحرار، ما معنى أحرار؟ يعني أحرار من مطالب أنفسهم وبقي في نفوسهم مطلبٌ واحد، وهو أن يرضوا ربهم، فهذه هي الحرية، هذه أعظم درجات الحرية، تخلصوا من مطالب أنفسهم، فالتجارة هي مطلبٌ للنفس، والخوف من النار هو مطلبٌ للنفس، الآن ارتقى.

ولذلك في الحديث (**اللَّهُمَّ أعُوذُ برِضَاكَ مِن سَخَطِكَ، وبمُعَافَاتِكَ مِن عُقُوبَتِكَ**)، ماذا قال في آخر الحديث؟ ارتقى من الصفات إلى الذات، (**وأَعُوذُ بكَ مِنْكَ لا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أنْتَ كما أثْنَيْتَ علَى نَفْسِكَ**)، هذه مقامات تحتاج إلى مراقبة النفس، وانشغال النفس بالعبادة، ولذلك كلامهم صحيح.

تبقى هناك معان باطلة كمن يقول: أنا لا أخاف من النار... كما قلت: هذه من المراتب الباطلة، هذه

تعني أنك لا تتعظ من القرآن، وهذه مرتبة الحرية لا يعني أن تتخلص من تلك المقامات، الله عز وجل أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يستغفر، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستغفر مع أنه غفر له من ذنبه ما تقدم وما تأخر، بقي من مقام العبودية والقيام بواجباتها وشأنها، وهو أن يستغفر، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا (١٠٥) وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (١٠٦)﴾ [النساء: ١٠٥-١٠٦]، الله عز وجل أمره أن يستغفر مع أنه غفر له، ولذلك لزوم مقام التعبد لما أراد الله عز وجل به البشر، الله عز وجل خلق البشر لأنواع من التعبد، ما هو أعظم أنواع التعبد؟ الاستغفار، أعظم مقصد خلقنا الله عز وجل من أجله هو أن نستغفر، ولذلك سمى الاستغفار تسبيحًا، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧)﴾ [الأنبياء: ٨٧]، وأصحاب الحديقة الذين بيتوا ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلَا يَسْتَثْنُونَ (١٨)﴾ [القلم: ١٧-١٨]، ماذا قال؟ قال تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩)﴾ [القلم: ٢٩]، سبحوا الله، فجعل الاستغفار تسبيحًا.

فالاستغفار هو أعظم المقامات لأنه فيه إثبات مقام قدوسية الرب وتعظيمه ومقام إهانة النفس وغمطها ومعرفة من هي؟ أنها ضعيفة جاهلة مذنبة ولولا رحمة الله عز وجل تأخذ بيدها لهلكت، ولذلك لما وقف ابن القيم رحمه الله على حديث الرجل الذي معه دابته فضلت؛ فنام يائسًا منها طالبًا الموت، فلما استيقظ، في هذا الحديث النبي صلى الله عليه وسلم يصف فرح الله عز وجل أشد من فرح هذا العبد عندما وجد دابته، ففرحه أبعد عنه عقله فقال كلاما مقلوبًا: «اللهم أنت عبدي وأنا ربك»، أخطأ من شدة الفرح، ابن القيم رحمه الله وقف على شاطئ هذا الحديث، قال: هنا كلام لا نستطيع أن نعبر عنه، معان في القلب لا توجد العبارة التي تقع فيها في الخطأ، فأدنى ما يقال فيه: أن الخطأ أن الخطأ يقلب الأشياء، أقرب ما يمكن التعبير عنه بما يفهم: أن الخطأ يقلب الحق باطلاً والباطل حقًا، لأنه خطأ، الأصل أن يقول: «اللهم أنت ربي وأنا عبدك» فقلبها، والاستغفار يصنع هذا، ﴿يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠]، المعصية تصبح طاعة –هذه عبارتي– هذا أقرب ما يمكن أن يفسر الحديث، لكن انظروا إلى شدة فرح الله عز وجل، فلا يوجد في الشريعة أعظم من هذه المرتبة.

إذن العبد وهو يرتقي في درجات التعبد، لا يعني أن يتخلى عن مراتب الدنيا، يحتاجها كما الأنبياء، الأنبياء

يعبدون الله عز وجل عبادة الأحرار، ومع ذلك يستغفرون الله عز وجل ليرزقوا ويعبدونه ليجنبهم النار؛ لأنهم مهددون بها وهكذا، وإذا خوطبوا بآيات النار اهتزت قلوبهم، قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢)﴾ [الأنفال: ٢]، الأنبياء يبكون خشيةً من الله عز وجل، يخشون الله عز وجل؛ لأن هذا من معرفة صفاته؛ أنه إذا غضب جل في علاه عذب، وإذا عذب كان العبد تعيسًا شقيًا.

هذا الذي يحضر في هذا الباب، وهذه مقاماتٌ ذوقية يا عبد الله، بمعنى لن تعرف نعمة الله عليك في هذا الباب حتى تذوق، وإلا فحالك كما قال الغزالي واصفًا الفرق بين الذوق وبين الوصف الذهني، «كالعنين يتحدث عن وصف لذة الجماع»، لا يدري عنه، هو لا يعرفه، فهي كلمات في ذهنه ولا يذوق لذته إلا من مارسه.

لذة هذه المقامات في تذوقها، وكيف تتذوقها؟ بالدخول فيها، وفي الابتداء يحصل التصنع، ولذلك **(فإنْ لَمْ تَبْكُوا فتبَاكَوا)**، الإبداع يبدأ بالمحاكاة، تباكى وأنت تسجد تستحضر هذه المعاني، عسى الله أن يجذبك إليه جذبًا، جل في علاه فيجعلك من أوليائه... والحمد لله رب العالمين.

٣٣٩- الاهتمام بالأدب الإسلامي

ضمن الجلسة السابعة والعشرون، بتاريخ: (**٢٢/٠٥/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٨/٠٢/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، تقبل تحياتي شيخنا الكريم، أنا كاتب فلسطيني مهتم بالأدب، وكجزء من الثقافة العامة طالعت الكثير من الطروحات المختلفة في التاريخ الإسلامي، والسياسة والأدب والنقد، مع الوقت عافت نفسي الثقافة السائدة لأنها متضاربة مع ما خُلصت إليه من زيف المشهد المعاصر وانتحاله واختراقه، المشروع الذي جذبني إليك هو مشروع «ألف كتاب قبل الممات»، فلا وقت بعد أن مضى الوقت لإعادة تأصيل النفس أو تطويرها في مجالات متباينة قد لا أستطيع التحصيل فيها من فقه وتاريخ وحديث وتفسير، أتمنى منكم وما تفعله من جهد مبارك بإذن الله التركيز أكثر على النِتاج الأدبي المعاصر، مثلاً: عند الاهتمام بالأدب الإسلامي الحديث من الرواية والقصة لم أجد تنظيرًا نقديًا له، بل لم أجد أمثلة يُعتد بها، ولم أجد من هو قادر على قراءة تاريخ الأدب وفق نظرة إسلامية تسلم من اختراق الاستشراق والتبشير والتأثير السياسي، مع تمنياتي لك بالصحة وطول العمر والسلام -أكرمك الله-.

الحقيقة جزاك الله خيرا أيها الأخ السائل، وأسأل الله أن يبارك في هذا المشروع، وأنا تكلمت في حلقة سابقة عن هذا المشروع، وماهي آمالي فيه، وكيف بدأ، بارك الله فيك، وأسأل الله عز وجل أن يتمم على خير، وأن يعيننا على هذه الرسالة...

جواب الشيخ: جزاك الله خير أيها الأخ السائل، وأسأل الله عز وجل أن يبارك في هذا المشروع، وأنا تكلمت في وقتٍ سابق عن هذا المشروع وما هي أمالي فيه، وكيف بدأ، وكيف بارك الله فيه، نسأل الله عز وجل أن يتمم على خير وأن يعننا على أداء هذه الرسالة.

موضوع الأدب خطير جدًا، وأنا تكلمت عنه في أكثر من موطن، وكان الاختيار للكتاب الأول أو الثاني هو: «رسالة في الطريق إلى ثقافتنا»، فهي رسالة تتحدث عن فساد الحياة الأدبية، كما يسميها شيخ العربية في هذا العصر محمود شاكر رحمه الله الحياة الأدبية فاسدة، الحقيقة في كل المجالات وليس فقط المشهد الأدبي،

المشهد السياسي، المشهد الصحفي، حتى المشهد الإسلامي، العلمي، الفتوى والفقيه اخترقها الفساد وضرب الفكر الغربي بسهامه الكثير من مواطن القوة والْمَقاتل في داخل ثقافتنا وديننا ونفسياتنا.

وبلا شك أن أعظم الاختراقات وأخطرها ما تعلق بالفقه، لكن الاهتمام بالأدب كان مبكرًا، أنت تعلم كيف اهتم الغرب برموز معينة، مثل: طه حسين ومعه سلامة موسى، ثم بعد ذلك لويس عوض، وهؤلاء صُدِّروا المشهد، ثم بعد ذلك هؤلاء فرخوا تلاميذ، ملأوا الساحة الأدبية، الصحافية والطباعة ومراكز الأدب ومراكز النشر وكذلك مراكز الجوائز، فمن رأى كيف رد محمود شاكر على جائزة الملك فيصل، عندما ذكروا أن الكتاب الذي أعطيت له الجائزة كتاب قديم تبرئةً حتى لا يسوقوا كتابه الجديد «المتنبي» الذي فيه الزوائد كالرسالة في الطريق إلى ثقافتنا، كرد الدين بينه وبين طه حسين وضع متممات وزوائد فيه، كان يطمع أن تدخل في الجائزة وفي التنويه بما قدم للأدب العربي.

هذا الموضوع ولا شك أن الرجال الذين قاموا لصد العوادي والمصائب عليه هم مجاهدون، واكتشفوا الاختراقات قبل أن يكتشفها غيرهم، يعني عندما نقرأ للدكتور محمد محمد حسين في «الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر»، يتحدث عن الاختراق العلمي والشرعي والمشيخي يتحدث عن محمد عبده، يتحدث عن اختراقات علمية دينية كما يتحدث عن اختراقات أدبية، إلى الآن للأسف مثلاً: عندنا أنور الجندي هذا عملاق، لكن من يعرفه؟ من يعرف أنور الجندي ويعرف جهوده وجهاده في تقرير ما يسمى بالأدب الإسلامي، وكشف الزيف والاختراق والاستشراق والفكر التوراتي والإنجيلي الذي غزا ثقافتنا، غزا شعرنا، غزا أدبنا؟

فلذلك ما زالت المعركة قائمة، المعركة على الأمم قائمة، نعم انتصرنا... أنا أعتقد بأن معركتنا مع اللغة بفضل الله، وهذا ليس إلا بجهود قلة ومع ذلك انتصرنا، يعني اللغة العربية مع شدة الهجوم عليها وقلة من يناصرها... فانظر؛ وزارة الثقافة الفرنسية تقتسم ميزانية الدولة مع وزارة الدفاع، لأن الثقافية الفرنسية مستهدفة، بخلاف الثقافة الإنكليزية بسبب أمريكا وسطوة أمريكا، فلذلك هم يبذلون الأموال، لا يوجد دولة في العالم فيها جوائز للغتهم كما للفرنكوفونية، عندهم عشرات بل مئات الجوائز تشجيعًا للناس بتعلم هذه اللغة، والتثقف بها، ومعرفة ثقافتها.

لكن ماذا يوجد عندنا؟ انظر... الجوائز يسيطر عليها العلمانيون وزنادقة الأدب، المجلات يسيطر عليها

العلمانيون وزنادقة الأدب المستغربون، فلذلك هذا الجانب الله عز وجل يرعاه والفقراء والمساكين يرعونه ولو وجدت الأموال والبذل كما في المجلات والمراكز والدروس ودعم متعلمي العربية، لوجدت هذه اللغة غير ذلك، والآن هي في المرتبة الثالثة من القوة بعد أن كانت مرتبتها مئة وثمانين في المراتب السفلى، والآن الحمد لله وكل الخبراء يقولون: بأن اللغة التي ستبقى هي اللغة العربية؛ لأنها هي اللغة الآن التي لا تحفر القبور في هدمنا وتدميرنا وتيئيسنا، اللغة الإنجليزية هي التي تكاد تنهار في داخل أهلها، اذهبوا إلى بريطانيا أم هذه اللغة، الدكتور عندهم لا يعرف يكتب كلمة «Blood» فيها دبل «o» لا يستطيع ولا يعرف، أما أولاد الشوارع لا يستطيعون الكتابة أبدًا، لا يستطيعون.. العامية هناك منتشرة، لا يحبون لغتهم، هناك عندهم لغة الشارع، اللغة الساقطة، كذلك باقي اللغات الأخرى.

الحمد لله الآن بفضل القرآن... كم حفظة القرآن؟ كم انتشروا؟ والناس يحفظون، انظروا إلى العلماء والمشايخ وو...، بفضل الله عز وجل، أنا أعتقد بأن محنة اللغة العربية قد تجاوزتها اللغة العربية، هذه المحنة قد تجاوزتها ولكن نحتاج إلى مزيد من تحصين هذه الأمة من الثقافة، من الثقافة التي تمتطي اللغة، فهذه الثقافة يجب التحذير منها وكشفها حتى لا تصل إلى المشايخ، لأنني أعتقد بأن التغريب يدخل حتى يصل عقل المفتي، يتأثر به المفتي، نظرية المصلحة، الآن هي نظرية المنفعة كما هي عند فلاسفة الغرب، بعض المشايخ يتحدث عن المصلحة كما يتحدث مذهب اللذة، مذهب اللذة يتحدث بنفس القوانين التي يتحدث بها الفقيه، هذه اخترقت العالم الإسلامي.

ولذلك أنا أعتقد -كما قلت- بأن اللغة العربية تجاوزت المحنة، ولكنها تحتاج إلى الكثير من الصبر، وتحتاج إلى الكثير من المعاناة، أنا أنصح الأخ.. أنا في هذا المشروع أنا لا أستطيع أن أجيب على الأسئلة، ولا أستطيع أن أصنع مشروعًا للغة العربية، هذه تحتاج إلى رجال، والحمد لله في الحقيقة أنا أنظر إلى المواقع التي تهتم باللغة وتهتم بالقرآن، وتهتم بالتفسير، هناك اعتناء باللغة العربية شيء مذهل وجزاهم الله خيرًا وهم أئمة، وهناك تنافس في هذا الباب، ومع ذلك هذا يحتاج إلى آخرين كذلك.

ما قلته أنت أيها الأخ السائل يدفعك ويوجب عليك أن تهتم أنت به، لا تنتظر مني، عليك أن تهتم به أنت، ابحث وفي بحثك أكتب، والله عز وجل يرفع شأنك، انظر قد تكتشف جوانب من الاختراق غير اختراق

العامية، غير الاختراق اللفظ الإغريقي واللفظ التوراتي، قد تكتشف أشياء كثيرة في هذا الباب فتنفع بها الأمة... جزاك الله خيرًا لما ذكرت من فضل هذا المشروع «ألف كتاب حتى الممات»، ولكن هذا يوجب علي أن أقول لك: يجب عليك أن تقوم بهذه المهمة في قضية بيان اللغة، على كل حال أنت فتحت وربما أنا هذا اليوم أتكلم عن قصيدة «مصطفى» لعبد الله البردُّوني الشاعر اليمني الضرير في لقاءٍ آخر إن شاء الله، كما تكلمت عن سِفر أيوب لبدر شاكر السياب.

بارك الله فيكم وجزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

٣٤٠- الشهيد نزار ريان والسلفية العلمية

ضمن الجلسة السابعة والعشرون، بتاريخ: (**٢٢/٠٥/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٨/٠٢/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: ما رأيك في كتاب «الإعلام بقواطع الإسلام» لابن حجر الهيتمي، وما رأيك في الشهيد نزار ريان ونظرية السلفية العلمية الآن في القضية الفلسطينية، يعني؛ كل الأطراف السلفية والمرجئة.

جواب الشيخ: كتاب «الإعلام بقواطع الإسلام» كتابٌ جيد لابن حجر الهيتمي، وأنصح بقراءته، وهو من الكتب التي تعين طالب العلم، يعني كتب لأهل العلم تعين طالب العلم في تصور الحكم على النوازل والأعمال هل هي كفر أم لا؟ وضع قواعد متعددة وتحدث عن خلافات العلماء فيها، ولذلك هو كتابٌ من الكتب التي يُسعى إليها، كما هو شأن كتاب «الشفا» في هذا الباب يبحث في هذه القواطع، وكتاب للقاضي عياض كذلك في قضية الإعلام بقواطع الإسلام.

فالقصد: بأن كتاب ابن حجر الهيتمي كتاب جيد ونافع، ومع أن ابن حجر من الذين أجازوا التوجه للقبور والدعاء عندها والاستغاثة بأصحابها ولم يراه كفرًا وهو مُعذور في هذا رحمه الله، وحتى مشايخ الدعوة الوهابية استشهدوا به نموذجًا من الأخطاء التي يقع فيها في باب العقائد والأعمال والعبادات والنُسك ومع ذلك يُستفيدون من كتبه لأنه باقٍ على أصل الإسلام.

القصد: بأن كتابه «الإعلام بقواطع الإسلام» كتابٌ جيد ونافع ومفيد، ولكن لأهل العلم، فيه مسائل كثيرة تحتاج إلى بسط وتحتاج إلى بيان وخاصةً في قضية القواعد والخلافات، ولكنه كتابٌ جيد نافع، هذا الذي عندي.

بالنسبة للشهيد نزار ريان: يعني لماذا تسألني؟! هو أنت سميته شهيد، وأنا أسميه كذلك شهيد، فهو من العلماء الذين بذلوا أرواحهم في سبيل الله عز وجل، وهو من العلماء الذي نسأل الله عز وجل أن يتقبلهم، وأراد الله عز وجل له الرفعة بأن أخذه شهيدًا هو وعائلته، ومثل هؤلاء الواجب هو أن نحبهم، وأنا نتمنى أن نسلك سبيلهم في قبول الله لنا، والواجب علينا أن ندعو لهم، وألا يكونوا محط خلافٍ بين الناس، يعني افرض أن الناس

يختلفون في رجلٍ من جهةٍ علمية وعنده مثلاً خطأ من الأخطاء -لا أمثل بالشيخ نزار ولكن على الجملة- لأن الناس يختلفون في التنظيمات والأقوال فيها، ولكن حين يُفضي المرء إلى ربه فالواجب هو النظر إليه شهيدًا، محبوبًا عند الله عز وجل، فإنه مات بقتل الكفار له في معركة من معارك الإسلام في هذا الزمان؛ فلا ينبغي الاختلاف حول هؤلاء إنما ينبغي الإجماع على حبهم والدعاء لهم والتمني اللحوق بهم.

أما موضوع السلفية: ذكرت مرةً أظن في «الفيس بوك» بأنني وأنا شاب مبتدئ جلست مع الشيخ أحمد السالك رحمة الله عليه فقلت له: نحن السلفيين، وهو أنكرها، قال: نحن المسلمين، وقتها كنت في بداية المحبة لإظهار التميز وإظهار الانتماء يعني لم أفهمها، لكن أدركت بعد ذلك حكمة الشيخ رحمه الله، وهو من المشايخ الذين للأسف لم يعرف الناس حقهم ولم يعرفوا حق نفسه؛ ففات خيرٌ كثير وذهب مع وفاته رحمه الله.

أنا لا أحب هذه الأسماء وأبغضها وأراها مفرقة للمسلمين وأرى أن التمترس وراءها والتخفي وراءها يتخذه الكثيرون وهم الأصل الآن، صارت الهوامش قليلة، الأصل يتخذونها دكاكين للارتزاق، سواء كان هذا أو مشيخة، أي لا فرق عندي بين رافع شعار السلفية دكانًا من أجل الارتزاق، وبين فتح زاوية لصوفي يرتزق من ورائها أو فتح مشيخة، فكلها الآن العلم قليل والتعبد بالنص قليل، وهذه المؤسسات والأسماء والجماعات هذه الحمد لله بدأ الناس يدركون فسادها.

وأنا أقول منذ مدة: وأنا أطوف بين المسلمين فأجد أن عامة المسلمين يكرهون هذه الأسماء، ويكرهون الجماعات والتنظيمات التقليدية وكذا.. يعرفون أن أصحابها يستفيدون منها ولا يقدمون لها، وصار عامة الناس والذين يفكرون بالدين يتحللون من هذه الجماعات، وهذا بإذن الله عز وجل مؤذن بخيرٍ عظيم، أنه إذا قام الجهاد لا يتمترسون وراء جماعاتهم وتنظيماتهم كما هو يحدث في كثير من المواطن.

فلذلك المطلوب هو ترك هذه الأسماء، نحن أهل السنة والجماعة وفقط، الآن عادت السلفية إلى التقليد، وعادت السلفية إلى الخطأ، وعادت السلفية إلى الخصومات، وعادت السلفية إلى أنها حزب يمثل دولة، يعني يُستخدمون من أجل قتال خصوم الدول، لا بأس هذا أمرٌ تعرفونه وتحدثت به كثيرًا من قبل.

لكن هذه الدكاكين السلفية وهذه التقسيمات للسلفية في داخلها، ما هو شأنها من القضية الفلسطينية؟

ولله هناك من هو يتسمى باسم السلفية في دكانه، وعامتهم قضية فلسطين والجهاد وقضية الأمة لا تعينهم إلا القليل منهم، مؤسسات مثلاً خيرية تدعم الصامدين هناك، تحب المجاهدين، يوجد لا أستطيع أن أنكر أن هناك من الجمعيات أو المؤسسات ترفع شعار السلفية من أجل المساعدة، ويكون فيهم الحزبية أي يقدمون للسلفيين أكثر مما يقدمون لغيرهم وربما غيرهم يكون أكثر حاجة، وربما يكون غيرهم من الدعاة كذلك أكثر نشاطًا.

هذه عامة الأسماء السلفية سواء من يسمونهم بالسلفية الجهادية وهي تسمية خطأ، ينبغي تركها والابتعاد عنها ولا أُخطئ من استخدمها سابقًا وأنا ممن استخدمها يومًا، فينبغي تركها والابتعاد عن هذه الأسماء، لكن الذين يسمون بالسلفية عامة فيما نرى الدكاكين -أنا أتكلم عن الدكاكين- عامتهم لا تعنيهم القضية الفلسطينية، سواء أكان سلفية رسمية أو مرجئة أو علمية، القضية فلسطينية يشاركون فيها مشاركة العوام، يحسون كما يحس العوام، أما أن يعملوا من أجل هذه القضية إعدادًا للأمة وتنفيرًا للكفار، وكشف لمعركتنا مع اليهود، والكلام عن الواقع السياسي، وماذا يعمل أذناب اليهود في بلادنا وكيف يفسدون، فالقليل، يوجد بعض العلماء نشكر لهم جهادهم، وإنما نتكلم عن الدكاكين، أعيد وأقول: الدكاكين التي يتخفى أصحابها، فهؤلاء جهادهم بالنسبة للقضية الإسلامية التي هي نهاية المطاف في صراعنا مع الكفرة الاهتمام بها قليل.

ولا أريد التفصيل أكثر من ذلك، فقطعًا السائل يعرف، وفي كل بلدٍ يوجد دكاكين، ويوجد صادقون، يوجد من هو صادق، ويوجد من هو متخفٍ بهذه الأسماء ليكتسب.

تعرفون حدثني مرةً أحدهم بأن هناك من يتسمى باسم أهل الحديث في الهند ولا يصلون لأنهم يكتسبون الرزق بسبب هذه التسمية! قال لي وأقسم لي على ما رأى أن هناك من تسمى بأهل الحديث ولا يصلون ولكن لأنهم يفتحون دكانًا باسم أهل الحديث يرتزقون من ورائها، كما حال الكثير كذلك من مشيخات الصوفية لا يتقون الله وليس عندهم دين ولكنهم مشايخ، فلذلك هذا هو الشأن في مثل هذا الأمر، نسأل الله العفو والعافية، والذين نحبه أن نجتمع تحت راية الإسلام، ولو كانت هذه الراية في الحقيقة بريئة من دخول هؤلاء المجرمين من يقولون نحن من أهل الإسلام وهم من أكثر خلق الله كزنادقة الرافضة، وإلا لما رضينا إلا هذا الاسم.

حتى أهل السنة والجماعة هذا إن كان تخلينا عنه في مثل هذا الظرف، ولكن لوجود هذه الطوائف البدعية

الضالة التي الكثير منها خرج من الدين وفي الباطن منافقون وزنادقة، وفي الظاهر في الحقيقة فالآن عقائدهم يظهرونها في كتاب ربنا في ربنا في الأئمة وفي سنة النبي صل الله عليه وسلم تخرجهم من الدين ولا شك ولا يتردد المرء في تكفيرهم؛ فلولا وجود هؤلاء لما ارتضينا إلا بتسمية المسلمين، ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا﴾ [الحج: ٧٨]، القرآن هو سمانا: المسلمين.

بارك الله فيكم وجزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

٣٤١- كلمة في مالكوم إكس ومحمد عليّ كلاي

ضمن الجلسة السابعة والعشرون، بتاريخ: (**٢٢/٠٥/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٨/٠٢/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: ما رأي فضيلتكم بمالكوم إكس ومحمد عليّ كلايّ؟

جواب الشيخ: إخوتي أنتم تعرفون بأن السود في أمريكا كما ذكر المؤرخون وفي كتاب «الجذور»، لـ أليكس هيلي، بينوا أن كثيرًا من السود أصولهم إسلامية وأنهم أُخذوا من أفريقيا إلى داخل أمريكا وأُخذ الأطفال وبيعوا عبيدًا وأبناء الملوك والأمراء.

فأصول الكثير من السود الذي يعيشون في أمريكا هي أصول إسلامية، وهذا من إحدى جرائم أمريكا في العالم، فجرائمها على شعب الهنود الحمر معروفة، قتلوا الملايين منهم، وكذلك أفسدوا في كثير من البلاد ومن ذلك بلاد المسلمين في أفريقيا.

المهم هناك من اكتشف هذا، كان هناك رجل الذي أنشأ مجموعة البلاليين ابنه عبد الوراث محمد وهو اسمه إليجاه محمد، هذا رجل من شدة بغضه للبيض فاستغل هذه العلاقة التي بقيت في الناس نحو الإسلام، لكنه أنشأ لهم إسلامًا خاصًا ابتدعه من عنده، هذا إليجاه محمد العجوز الكبير، ولكنه جمعهم تحت البلاليين على أساس أن بلال رضي الله عنه وهو سيدنا رضي الله تعالى عنه كان أسودًا؛ فجمعهم على أن الإسلام إنما هو إسلام السود وأن الشيطان أبيض، بل قال شيئًا آخرًا عن الله عز وجل وهكذا، وأنشأ دينًا عجيبًا في داخل أمريكا وسميَّ هؤلاء بالمسلمين السود وسميو بالبلاليين، وأنشأ لهم دينًا لا يمت إلى الإسلام بصلة إلا في كونه دعوة إلى الإسلام ومحمد صل الله عليه وسلم.

جاء ابنه عبد الوارث محمد فزار مكة واكتشف ضلال أبيه، حتى إن أباه حاول قتله ثلاث مرات، وبدأ يدعو إلى إعادة هذه الجماعة إلى الإسلام بما تعلمه من الإسلام وقد نجح نجاحًا جيدًا، ولما كان أبوه على فراش الموت يَئِسَ فسلم الإمارة لابنه عبد الوارث محمد، سلمه الإمارة وبدأ هو بالإصلاح قدر الإمكان وبذل جهودًا جيدة جزاه الله خيرًا وبارك الله فيه ورحمه الله.

المهم إليجاه محمد هذا الوالد دخل معه الكثير من السود الذين لا يعرفون أصولهم أو الذين هم من أصول غير إسلامية فشدهم هذا الدين وشدهم هذا التراث لمن كان مسلمًا، فعادوا إليه، وممن دخلوا في الإسلام على هذا المعنى دخل فيه محمد عليّ، ولا شك أنه بعد ذلك تحول في العالم واكتشف أشياء فعلى هذا المعنى صار مسلمًا. يعني هذا النموذج محمد عليّ قبل أن نأتي إلى مالكوم، لأن مالكوم إكس شيءٌ آخر أكثر وضوحًا وجلاءً في موضوع الإسلام، لكن نتكلم عن محمد عليّ هذا النموذج هو الذي تكلم عنه علماؤنا فيمن ينشأ في بادية بعيدة عن العلم، منطقة جهل.. إلخ، فهذا الذي تكلم عنه سلفنا في قضية إعذار هؤلاء.

هؤلاء رضوا الإسلام دينًا، وآمنوا بالله عز وجل، وآمنوا برسوله صل الله عليه وسلم، وآمنوا بالقرآن المجمل، وآمنوا بالسنة المجملة، وعلموا فقط هذه القضايا وبعد ذلك تاهت بهم السبل، الصلاة غير الصلاة، يعرفون الصلاة لا يعرفون الصلاة... إلخ، فتاهت بهم السبل، فإذا جاءهم الحق من جهة علموها اتبعوها وآمنوا بها، قد يقوموا بها وقد لا يقوموا بها بحسب قدرتهم أو بحسب اتباعهم للهوى، ولكنها معاصي، لكنهم آمنوا بها، وقد يأتيهم من غير طريق من يقلدونهم فيردونها وهكذا.

هؤلاء مسلمون، هؤلاء مسلمون، ولا يجوز لمسلمٍ يعلم دين الله تعالى وفقه علمائنا وطريقة السنة والجماعة والسلف في التعامل مع هؤلاء لا يمكن أن يخرجهم من الإسلام، هؤلاء مسلمون.

عندما تروهم مثلاً ينتشر بينهم معصية كبيرة من تحليل ما حرم الله، هذا لا يخرجهم من الإسلام، هؤلاء نحن نطبق عليهم ما قاله سلفنا، هؤلاء أسلموا انتهى، آتوا بالكلمة انتهى، نحن عبيد لله نعبد الله لا نشرك به شيئًا، وأسلمنا لله عز وجل واتبعنا الرسول، بعد ذلك ما هي شرائع النبي صل الله عليه وسلم ما أحل وما حرم، ماذا قال ماذا أخبر؟ هل علموها؟ هل جهلوها؟ هل علموا ضدها ظنوها أنها الحق؟ هذا كله معفوٌ عنه، نحن نتكلم على الجملة في هذا الباب، فمن أتى بهذا الإسلام على هذا المعنى فهو مسلم. ومن هنا لا تسألوا، الآن يخرج أحدهم ويقول: كان يقول محمد عليّ كذا، وكان يفعل كذا ولم يكن كذا، وهكذا، كلها هذه لا تخرجه من الإسلام ما دام أنه بقي ملتزمًا بالكلمة، وهي أصل الإسلام: «لا إله إلا الله ومحمدٌ رسول الله» أنا مسلم متبع للنبي صل الله عليه وسلم وعبدٌ لله عز وجل ليس عبدًا لأحد، فهكذا الذي نقوله في محمد عليّ.

بالنسبة لمالكوم إكس، لا، مالكوم إكس هو قفزة عظيمة للسود في داخل أمريكا، وجاء إلى مكة وقابل

علماء المسلمين وتعلم وصارت عنده المعرفة بالإسلام أكثر من غيره، أنا لا أستطيع أن أقول: إنه يقل عن عبد الوارث محمد ولا عبد الوارث يزيد عنه، ولكن مالكوم إكس وُجِدَ في قدرٍ صارت له الشهرة أكثر حتى تمَّ اغتياله، وله كلمات من أروع الكلمات في الحكمة وعظمة الإسلام وعظمة الدين تدلُ على تشرب المعاني الأصلية لهذا الدين.

وهذا لا يعني أنهم بلغوا ما بلغ علماء المسلمين في بلادنا، ولا ما بلغه حتى ربما العاميّ في بعض التفصيلات الإسلامية، ولكن هذا الذي نقوله فيهم، فنترحم عليهم، ندعو لهم، وكل ما آتوا به بعد ذلك، إما آتوا به عن جهل وإما آتوا به عن تقليد؛ فهو معفوٌ وداخلٌ في باب الإعذار عند أهل السنة والجماعة في هذا الباب، وخاصةً محمد علي هو نموذج لإعذار الجاهل، ونموذج لإعذار الْمُخطئ، ونموذج لإعذار المقلد، ونموذج لإعذار المتأول، رحمهم الله، نسأل الله عز وجل أن يغفر لنا ولهم. لكن مالكوم إكس في الحقيقة أنا أنصح إخواني بقراءة تاريخه، فبعض الإخوة يقول: فصل لنا عن فلان؟ أنا لا أستطيع، المحاضرة والجلسة ليست من أجل محاضرة تامة عن شخصية في المعالجة، إنما أتحدث عن طريقة تعاملك معه، وأين هو في داخل هذا الإطار، إما الإطار الإسلامي، وإما الإطار الكفري، وفي الإطار الإسلامي ماذا يغلب عليه؟ هذا الذي أستطيع أن أجيب عنه، وإلا في الحقيقة إن قصة مالكوم إكس تستحق القراءة، وإن تجربته تستحق القراءة، وإن حِكمه تستحق التأمل، ورحمهم الله وأجزل مثوبتهم ورحم الله عبد الوارث محمد كذلك في الحقيقة.

وبارك الله فيكم وجزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

٣٤٢- حكم منع اللباس العسكري

ضمن الجلسة السابعة والعشرون، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٥/٢٢هـ الموافق لـ: ٢٠١٨/٠٢/٠٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: السلام عليكم شيخنا، بعض الإخوة هنا يمنعوننا من اللباس العسكري بدعوة التشبه مما يوقعنا في إحراج، ويغيب عنه أن اللباس العسكري صار علمًا عسكريًا يدخل في باب التمويه والتخفي، مع العلم اننا أحضرنا لباسًا شرعيًا مموهًا عسكريًا واعترضوا عليه، فلو توضح لهم أن الأمر ليس كما يذهبون إليه وأنه من صميم العمل العسكري والمجاهدون أولى الناس به من غيرهم وأنه لا علاقة له بالتشبه المزعوم.

جواب الشيخ: هذه المسألة أيها الإخوة الأحبة عرضت للناس أيام الجهاد الأفغاني في الحقيقة، وتحدث الناس بها وأرجعتهم إلى بعض المصادر ليروا أن التراتيب الإدارية كما سماها الشيخ عبد الحي الكتاني هي من صميم الدين، وأن ما ينكره الكثير من الناس اليوم من تصرفات وترتيبات إدارية تتعلق بالتنظيم هي أن أصولها موجودة في زمن السلف الصالح.

بلا شك ان الجهاد زمن النبي صل الله عليه وسلم وزمن الصحابة رضي الله عنهم كان متطوعًا، الأمة كلها تجاهد وإن كان عمر رضي الله عنه قد دون الدواوين وكتب دواوين الجند، ولكن أن يكون للجند عمل هو خاصٌ بهم، هذا حدث في وقتٍ متأخر وصار هو سمة الأمة؛ بمعنى أن المجاهدين وأن المقاتلين لهم ديوانٌ خاص وعملٌ خاص يتفرغون فيه. ولا شك هنا ابتداءً أن التميز في شريعتنا منهيٌ عنه، فنهى الرسول صل الله عليه وسلم عن الأثرة، والأثرة هو أن يتميز العالم ويتميز الكبير والسيد بلباسٍ خاصٍ به دون بقية الناس، ولكن يصبح هناك مرات ضرورات وحاجيات مهمة جدًا لمثل هذا التميز، فالأصل هو أن المسلم يكون كبقية المسلمين لا يتميز عنهم، لكن انظروا كان يدخل الإعرابي على المسجد النبوي فلا يعرف النبي صل الله عليه وسلم حتى يسأل، فكان هذا من أسباب بناء المنبر، كما ورد في الحديث وذكره الشُراح في سبب اتخاذ المنبر للنبي صل الله عليه وسلم الذي هو في حديث جبريل؛ لما دخل إعرابي على رسول الله صل الله عليه وسلم فجلس وكان رسول الله جالسًا كما يجلس الناس حتى جلس إليه وكثيرًا ما ورد أن أعرابيًا دخل وسأل: أيكم محمد؟ فاتخذ الناس المنبر من أجل أن يتميز حتى يصبح له نوع تعرفة تُذهب الكثير من الشرور، والمنبر الذي بُني من أجل جلوس النبي

صل الله عليه وسلم عندما يجلس مع أصحابه رضي الله عنهم.

فإذن الأصل هو عدم الأثرة والأثرة كما ترون هو أن يستأثر الناس بأشياء دون بقية الناس؛ ففيها نوع ترفع وقد يدخل في هذا الألبسة والأبنية ويدخل في هذا الدابة أن يتميز البعض عن البعض وفي ذلك معنى الرفعة عن بقية الناس وهذا منهيٌ عنه ولا وجه له، لكن إذا غاب هذا المعنى ووجدت معاني أخرى فلا بد من اعتبار هذه المعاني والنظر إليها قد تكون ضرورة، كمن يتخفى من الكفار يلبس ألبسة معينة فهذه ضرورة؛ من أجل المحافظة على نفسه فتكون واجبة، وقد تكون حاجية من أجل الراحة ودفع الضرر كألبسة معينة يتخذها الناس في صناعاتهم ويعملون بها، وأنا سأذكر شيئًا من هذا وقد تكون هي من باب كذلك التحسينات التي ينتفع بها الناس.

ومما ذكر في كتب أهل العلم في كتب الحسبة: أن المحتسب كان يطوف على المخابز ويوجب عليهم ألبسة معينة بأن يغطوا اللحية مثلاً، وأن يغطوا أنوفهم، كما ترون اليوم عندما يعرض مرض ينتشر فالناس يتخذون الكمامات الأنفية والفموية من أجل الاحتراز، فكذلك كان المحتسب يطوف ويجبر الخبازين على هذه الألبسة؛ لئلا تسقط شعور لحاهم في داخل العجين أو أن تخرج أشياء من أفواههم أو من أنوفهم، كذلك كان يجبرهم إذا عجنوا على شيء معين في أيديهم، حتى إن بعضهم طلب منهم أن يفعلوا النورة وهي أن يأتوا بالمادة المعروفة من أجل أن يقطع الشعر ويزيل الشعر حتى لا ينزل شعر الأيدي في الخبيز وفي الطحين، فإذن كان الناس يتخذون هذا، وكذلك كانوا يتخذون لهؤلاء المحتسبين شارات معينة حتى إذا مشوا بين الناس راعى الناس ظروفهم ما كانوا في زمانهم يحملون هوية ليقدموها؛ فمن أجل أن يعرفهم الناس فيتخذون شارات ليعرف، فيلبسوا لباسًا معينًا يضع قطعة في يده أو في وسطه فيتميز بها عن الناس، وبهذا نشأت هذه الألبسة التي يتميز بها الناس لأسباب، منها ما هو أسباب معتبرة شرعيًا كما ذكر في المحتسب وكذلك في المجاهد وكذلك في القاضي، لأنه إذا جلس القاضي مثل الناس فالناس لا يعرفونه من أجل أن يحترم، من أجل إذا تكلم يسمع له الناس، ولا يتسألون من هو هذا؛ فتبدأ المشاكل، فلدرء هذا المشاكل ينشأ مثل هذا التميز من أجل التعرفة.

الآن نأتي إلى هذه الألبسة التي يلبسها العسكر في تاريخ هذه الأمة، قبل أن تدخل علينا حضارة العسكر الغربية، كان الناس يتميزون بألبستهم، يتميزون في زمن العلماء، فالمماليك كانت لهم شارات خاصة، الذي عنده

مئة، لأنه يكون هناك عرفاء على مئة، هناك عرفاء على ألف، هناك عرفاء على خمسمئة، هناك عرفاء على عشرة، ولهم أسماؤهم، فلو رجعتم إلى كتاب «صبح الأعشى» للقلقشندي تجدون مثل هذه الأسماء التي تطلق على العرفاء، وإشاراتهم على ماذا تدلن مثل اللون الأبيض على ماذا يدل، فهذا مأخوذ من سعة الشريعة ومن بعض أصول فعل النبي صل الله عليه وسلم، يعني الراية لماذا اتخذها النبي صل الله عليه وسلم؟ بيانًا للناس، له راية خاصة هو صلى الله عليه وسلم، الكتيبة الخضراء، واللواء الذي يمشي أمامه؛ فيميز الناس أن هذا جيش وليست قافلة تحمل قمحًا أو تحمل شعيرًا، والناس إذا مشوا يرونه ويعرفون أن هذه راية من أجل القتال؛ فيميزونهم.

إذن هذا التميز في هذه الشارات يكون لأسباب: السبب الأول: التميز لهؤلاء الناس من أجل مصلحة شرعية أن يتميزوا، لأسباب كثيرة جدًا هذه لا يمكن استقصاؤها، مثل وجوب الاحترام لهؤلاء، الآن أضرب لكم مثالاً: لو أن رجلاً معه مرض ما فحمل بيده دلالة على المرض لأنه إذا وقع ليعرف الناس هذا المرض بسرعة ما هو أو من أجل إذا كان يحتاج إلى مساعدة إذا صعد إلى الباص أو صعد على ركوبة ليعرف الناس حاله؛ فيجلسونه، هناك أمراض ظاهرة كالكساح، ولكن هناك أمراض باطنة متعبة كالذي معه مرض قلب لا يستطيع؛ فيعرف الناس ذلك فيجلسونه، فهذه أسباب لمساعدته ومعرفته، ومثلاً: الجند إذا مشوا على الناس أن يحترموهم ويسهلوا لهم أمورهم.

هذا الأمثلة لأدلل على أن الأصول شرعية والرد على أنها ليست من التقليد لهم، هذه أصول موجودة عند العراب موجودة أصيلة قديمة لأنها من ضرورات الحياة والناس والفطر تتفق عليها، العجيب أن اتخاذ الألبسة لبعض الصنائع، مثل هذا الصانع يلبس كذا وكذا هذه قضية فطرية موجودة في البشر في كل البلاد لا يخلو منها بلد فهذه من الأمور الفطرية والمباحة، ولكن تصبح ضرورة من الضرورات كما ذكرت وتصبح حاجة من الحاجيات أو تحسينية لأمر تحسين الحياة، والآن سأذكر بعض ما يدل على هذا فيما أنا في سياقه الآن. مثلاً: ألبسة الذين يساعدون في إطفاء الحريق وما يسمى في البلاد العربية بالدفاع المدني أو قسم إطفاء الحرائق، يلبسونهم ألبسة معينة؛ من أجل أن يفتح الناس لهم الطريق إذا جاؤوا، أمضطر أن يصف للناس أنا مطفئ الحريق، فلهذا الناس يعرفون ألبستهم فيفتحون لهم الطريق فهذه الشارة صارت لها ضرورة، كذلك المسعفون في الحوادث يلبسون ألبسةً معينة يتخذونها، كذلك من هذا وهو أن يتميز لباس أهل الإسلام عن لباس غيرهم، فربما

تختلط الجيوش فالمرء يعرف كما يعرفه من وجهه يعرفه من لباسه أنه منهم، أن هذا من جماعته، وأن هذا من طائفته، وأن هذا هو من فرقته أو من الجيش المسلم وليس من جيش غيره، بالألبسة يميز الناس عندما يقنصون يرونهم ما يلبسون يعرفون هذا لباس كذا وهذا لباس كذا، يتميز الناس، فهذه من الضرورات التي نحتاجها في هذا الباب.

فدعوى بأنها تقليد للغرب هذا غياب عن أن هذه قضية تاريخية أصلاً في قضية تمايز الألبسة، وموجودة في تاريخنا قبل أن تقلد الأمة الغرب بعد عصر الاستضعاف وغلبتهم علينا بعد عصر «الاستحمار» الاستعمار. كذلك هناك ضرورات كما ذكر السائل في قضية التخفي، لماذا تجدون أن هذه الألبسة الموجودة الآن في بعض أقسام الجيش وخاصةً أصحاب العمليات الخاصة الذين يسمون بالفدائيين أو بالصاعقة لماذا يلبسونها؟ لأنهم يضطرون للتخفي، ينزلون في الأراضي فيتخفون والألبسة تعينهم على هذا، فهذا التخفي ضروري، أي أن تلبس لباسًا يلائم الصحراء إذا كنت تعمل في منطقة في الصحراء، أن تلبس لباسًا يصلح في التخفي في المناطق الجبلية الصخرية أو في مناطق شجرية، فهذه ضرورة لحماية النفس وحماية إخوانك.

كذلك من الحاجيات المهمة في أن هذه الألبسة تساعد وتعين على العمل، فمن غير المعقول أن يلبس الشخص «دشداش» كما يسمى عندنا أو ثوب طويل أو القميص الطويل ويخرج للقتال، هذا غير مقبول، أو أن يلبس شيئًا يُعيقه فيحتاج إلى ألبسة معينة، الناس الذين يعملون مثلاً في الثلج يحتاجون إلى ألبسة معينة، الذين يمشون في وسط الأشجار والأدغال لهم ألبسة معينة لها صفاتها، وكذلك من هذه الألبسة ما يعين على ما تحمله أنت من أشياء، يعني أنت الآن لو لبست القميص العادي والبنطلون العادي، وربما احتجت إلى أشياء كثيرة في سفرك، فأنت تحتاج إلى لباس فيه كثير من الجيوب هذه الجيوب التي لها صفة معينة مثلاً تجدون من يخرج في الرحلات لا بد أن يشتري لباسًا تكون الجيوب فيه لها سحاب حتى لا تسقط الأشياء، هذه من شروطهم، هذه يعرفها أصحاب الخبرة، إذا تكلمت فيها سأكون ناقصًا ولكن أنبه عليها لأهميتها.

فإذن هذه أنشأتها الحاجة وهناك أشياء تحسينية، كغطاء الرأس، فلا تستطيع أنت الآن أن تلبس غطاء للرأس لونه أحمر! لأنه لا ينفع للتمويه، فلا بد أن تلبس لباسًا معينًا، تجدون الناس بفطرهم ألبستهم المائية غير ألبستهم الصحراوية غير ألبستهم الجبلية؛ لأنها تلائم الحال، حتى ألبسة الرأس تختلف، وهذا ليس من تقليد

الغرب، هذا جهل بتاريخ التراتيب الإدارية الإسلامية، ولمن يريدها من طلبة العلم فليراجع هذا الكتاب فإنه أجمع كتابٍ في هذا الباب في تحديثه عن هذه الترتيبات التي هي إدارية، وإما أن الأصل فيها الإباحة وإما أن لها أصولاً من عمل النبي صل الله عليه وسلم، تميزوا أيها الناس كان يقول، فكيف يتميز، كيف يعرف؟ ربما ينظر للوجه لكن في ظروف الليل لا يعرف، فلما قال في هجومهم على حديقة المجرم الكذاب مسيلمة، فصاح خالد بن الوليد رضي الله عنه: تميزوا أيها الناس لنعرف من أين نؤتى، وكذلك في القادسية صاح سعد رضي الله عنه: تميزوا أيها الناس لنعرف من أين نؤتى، أي كل قبيلة تصطف لوحدها، قديمًا الاصطفاف هكذا يجلس يراه بعينه فيعرف هذا محمد وهذا علي، القوات تعرف بعضها، واليوم غير موجود هذا، فيحتاج إلى إشارات معينة، قد تكون لباس الرأس، قد تكون قطعة في اليد، قد يكون لباس معين، وهكذا يتميز. فلو قال لك الأمير أو المسؤول أو القائد: البس لباسًا غربيًا على صفة ما يلبسون، مثال ذلك نجد أن هناك ألبسة في داخل الجيوش هي ألبسة للمتعة وألبسة السهر، مثل الطواقي الكبيرة هذه أو الشارات والألبسة المعينة، هذه من أجل فقط أن يعطي انطباعًا عسكريًا مع شيء من الترف، وهذه نحن لا نحض عليها ولا نقلدها، لكن لا بد أن يكون كذلك هناك ألبسة حين يجتمع الناس يعرفون من هذا ومن هذا ومن أي جهةٍ هو، يمكن أن نضع للذي يشتغل في الشرطة غير الذي يشتغل في الجيش غير الذي في الحسبة وهكذا، الآن إذا دخلت أنت المستشفى بما تميز الطبيب عن غيره؟ بلباسه، إذا دخلت المطعم من أجل أن تأكل بما تميز الخادم فيه بلباسه، يعني هذه لا تحتاج إلى السؤال! لا تسأل أين الخادم؟! وإنما تعرفه من لباسه وتشير له فقط لو سمحت وهكذا، فهذه الأمور من الضرورات وهي من الحاجيات وبعضها من التحسينات التي فيها زيادة راحة في مرافق الحياة.

فلذلك أنا أعجب من وجود مثل هذه العقلية! نحن ما زلنا في عقليةٍ عجيبة! أذكر أن أحد الإخوة كانوا يتدربون على المشية العسكرية ولها فوائد كثيرة يعرفها العسكريون، فالمشية العسكرية ليست فقط من أجل الاستعراض، لا، المشية العسكرية تُنشئ نفسًا عسكرية وهذا يعرفه من جرب ومن درس النفوس، فكان أحدهم يقول: هذه من المطيطاء التي نهى عنها الرسول صل الله عليه وسلم، هذا جهل! المطيطاء هي المشي مفتخرًا، ونهى عنها النبي صل الله عليه وسلم وقال: (**إن هذه لمشيةٌ لا يحبها الله ورسوله إلا في هذا الموطن**)، فهذه مشية التكبر.

لكن انظر هنا فهذا باب هنا أن الشيء قد يكون في أصله ممنوع، ولكن للضرورة مباح، ذكر العلماء ومنهم

ابن قدامة رحمه الله في كتابه «المغني» أنه يجوز للمجاهد أن يطلق أظافره، كان قديمًا يحتاج للأظافر من أجل –لما يشرحون كلامه– من أجل فك العقد من أجل مساعدته في التسلق، فالأصل أن قص الأظافر من الفطرة وهو اجب من الواجبات الشرعية، لكن هذا أجيز، كذلك هذه المشية –مشية الاستعراض–، يمشيها للضرورة من أجل أن يخيفهم، لماذا النبي صل الله عليه وسلم أوقف أبا سفيان على فم الوادي ومرر أمامه الجيش؟ استعراض هذا، أصل الاستعراض العسكري له مقاصد، له أسباب، له معاني، وكذلك الألبسة والأقوال واستخدام الأدوات، لماذا أجاز العلماء استخدام الطبل الكبير لأنها تخيف وترعب الأعداء قديمًا لما تستخدم وتدخل في قلوبهم الروع.

فهذا الذي يجاب عنه، وأنا أحب لهؤلاء الشباب ألا يسارعوا في رد الأمور هكذا جهلاً، وللأسف انتشر بين الناس ضرورة الدليل، لكن لم يعلم الشباب مصادر الدليل، انتبهوا لما انتشر بين الشباب هذا يذكرني باعتراض البعض على أنه لا يوجد في الشريعة علم التجويد، لماذا؟ قالوا: نظروا في البخاري ومسلم والسنن الأربعة فلم يجدوا علم التجويد، لم يجدوا إلا المد، فكان النبي صل الله عليه وسلم يمد في آية ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا﴾ [الفتح: ١]، فجعل يمدها مدًا طويلاً، فقالوا: لا نجد إلا المد أين الإدغام؟ أين الإظهار؟ أين الإقلاب؟ وهكذا، هذا علم العربية، هذا لا يؤخذ من الرواية الحديثية التي تقول فيها الحلال والحرام، هذا يؤخذ من العرب كيف كان العرب ينطقون الحروف، فهذا العلم مصدره نقلة اللغة لا نقلة الحديث، الناس ظنوا أن هذا المصدر من هذا الباب!

فلو أن أحدهم قال: أذكر لنا القرآن من الحديث من أي كتاب؟ لأن طريقة تلقي الأمة للقرآن غير طريقة تلقي الأمة للحديث غير طريقة تلقي الأمة للغة، ولذلك التجويد مثله أن تذهب إلى هنا. الآن السؤال؛ الألبسة الأصل فيها الحل إلا ما جاء الشارع في النهي عنه ومن ذلك تقليد الكفار، نعم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التشبه بالكافرين، نهى على أن يلبس المرء المسلم لباس الكافرين وتلبس المرأة المسلمة لباس المرأة الكافرة، لكن هم لا يلبسونه على هذا المعنى من أنه من تقاليد بلادهم، ولا من تقاليد دينهم، لأن اللباس ينشأ في المجتمعات لأسباب، هذا يدخلنا في موضوع آخر لكن سنمر عليه سريعًا.

الشعوب لماذا تختار ألبستها؟ أصلاً قبل أن يدخل فيها الاندماج، يعني هذا اللباس يصبح ملقحًا للباس

المنطقة الأخرى، هناك أسباب كثير تُنشئ نوعية الألبسة:

أولاً: وجود المادة، يعني هذه بلاد لا يوجد فيها الرعي، ولكن يوجد فيها دودة القز فهم يأخذون خيوطها، بلاد يوجد فيها الرعي كثيرًا لكن نوع الرعي من أين يأخذونه من وبر الجمال أم يأخذونه من الصوف وهكذا يختلفون، فتجد الناس أولاً لا بد من المادة، أنا أتكلم إذا لم يكن هناك ثمة تلاقح، أي الأصل الناس في مثل هذه القضايا قديمًا يعتمدون على أنفسهم ويرون من الضرر أن يحتاج إلى غيرهم، فيكون اللباس على هذا المعنى.

ثانيًا: وينوع اللباس بسبب الضرورة الحياتية، فانظر إلى اللباس الإفريقي، كيف تجد الإفريقي يمشي يرفل، لباسه وسيع للحرارة، لا تجد الألبسة الضيقة، لكن إذا ذهبت إلى المناطق الباردة تجد الألبسة الضيقة أما الأفارقة فألبستهم ترفرف من هنا ومن هنا، فهذا من أسباب اختيار الناس للباس.

ثالثًا: نأتي إلى القضية الدينية، هناك لباس ديني، سببه الدين، وذلك تقليدًا لإمامهم الذي يتدينون بدينه إما أن يكون مُوحى إليه وإما أن يكون كذابًا أو أن يكون إمامًا من أئمة الدنيا، فهو له مزاج في اللباس، فهذا المزاج يدخل في الأمة، ومن هنا لماذا كان لباس العربي هو من أفضل الألبسة؟ لأن مصدر اللباس للجزيرة العربية هم الأنبياء، العرب قلدت إسماعيل عليه السلام تقليدًا ومشت على منوال ما جاء به فيما ظنوا فيما أصابوا وأخطأوا، لكن هم يقتدون بإبراهيم وإسماعيل رضي الله عنهم، فهذا الإمام يصنع مزاجًا له مزاج في الألبسة، وهذا المزاج النبوي بلا شك أنه مزاجٌ مهدي؛ الله عز وجل لا يختار لأنبيائه إلا المزاج الذي يحبه هو، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: (**حبب إليّ من دنياكم الطيب والنساء**)، هذا لأنهما أجمل ما في الخلق القدري.

فإذن اللباس إما أن ينشأ من ثقافة، وإما أن ينشأ من دين فيلبسون لباسًا متدينًا في هذا الباب، انظروا اليوم اختلت الصورة، الأصل أن الذي يجلس على الكرسي ويعمل موظفًا هو أن يلبس لباسًا واسعًا فضفاضًا لأنه جلس ولا يريد شيء يخنقه وشيء يضيق عليه، والذي يشتغل في الحقل أن يلبس لباسًا ضيقًا، ولكن هذا لا عقل له الذي قلد الغرب فجلس وراء المكتب ولبس الكرافت التي تخنقه والبنطال الضيق الذي يعصره والقميص الذي يشد على دهن بطنه وهكذا! فالناس لا عقول لهم في هذا أخذوا هذا تقليدًا للغرب، لهذا يقال تقليدًا الغرب، لكن انظر إلى آبائنا وهم في الحقل إما يلبسون الثوب الطويل، وإما يلبسون الثوب المفتوح من الأمام المسمى في بلادنا «قمباز»، فيعرفون ما يحتاجونه بسبب العرق وهكذا، يشدونه على أنفسهم عندما يعملون

ويفتحونه عندما يريدون الراحة؛ فيحقق لهم الأمرين.

انظر إلى طريقة لباس العرب في التوسعة في العباءة مثلاً يحتاجون للعباءة، عجيبة هذه عند العربي، يستر بها زوجته، ويقضي بها حاجته عند الذهاب إلى الخلاء يضعها فوقه وتمنع من رؤيته، وإذا نام جعلها فوقه تدفئة، وإذا مشى يتزين بها، ولكن اليوم العباءة الناس لا يحترمونها؛ لأنهم لا يحترمون عقولهم. فالقصد من هذا: أن تقليد لباس الغرب ما كان على معنى من ثقافتهم، وعلى معنى من معاني دينهم، ومن هنا يتم التشبه، فإذا خلا هذا المعنى لا يكون تشبهًا، فالآن أن تأتي وتلبس لباس الرجل الصيني! لماذا تلبسه؟! اعترفًا بثقافته الغالبة، لماذا يلبسون هذا الكرافت والبنطلون اعترفًا بالثقافة الغالبة المسيطرة القاهرة، فأنت في هذا تلبس تقليدًا لهم، ولكن هذه الألبسة التي يتخذها الإخوة هذه ليست على هذا المعنى، لا هي من المعنى الثقافي، ولا من المعنى الديني، هذه على المعنى التي أفرزتها الضرورة وأفرزها الحال الذي أنت بحاجة إليه، لا أحد يأتي ويقول: إذا ذهبت إلى ألاسكا فلا يجوز لك أن تلبس لباسهم، هذا اللباس يلائم منشأه والبيئة التي يعيشون فيها، يلبسون الفرو ويلبسون الألبسة المعينة عندهم؛ لأن البيئة هي التي أنتجت هذا اللباس، فأنت إذا ذهبت إلى البيئة لا يرد عوادي ويقوم بحاجات هذه البيئة إلا هذا اللباس.

فبهذا يتبين بأن أصول هذه التراتيب الإدارية؛ أصولٌ شرعية إما على التعيين، وإما على اللفظ العام، وإما على القياس والاعتبار، وأنها موجودة ولا ترد ما جهلته، وإما أنها على المعنى الذي ذكرته أنه يدخل في باب النوازل الجديدة التي يحكم بها من خلال الضرورات ومن خلال الحاجيات ومن خلال التحسينات، جزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

٣٤٣- حكم مشروع ملعب لكرة القدم

ضمن الجلسة السابعة والعشرون، بتاريخ: (**٢٢/٠٥/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٨/٠٢/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل أخ: أنا على وشك افتتاح مشروع رزق، وهو ملعب لكرة القدم يتسع لستة لاعبين من كل فريق، بمبدأ استئجار الملعب من قبل الفريقين المتنافسين لمدة ساعة ونصف، مع العلم أني أضع بالحسبان منع التدخين والكلام النابي وما شابه من المعاصي -وإيقاف اللعب وقت الصلاة- فهل في هذا المشروع أي شبهة؟

جواب الشيخ: لا شبهة فيه؛ ومجرد لعب كرة القدم -مع القيام بالواجبات الشرعية وترك المحرمات- لا شيء فيه، والله عز وجل يعينك، وأن ينجح لك مشروعك.

والحمد لله رب العالمين.

٣٤٤- الراجح في صلاة الحائض

ضمن الجلسة السابعة والعشرون، بتاريخ: (**٢٢/٠٥/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٨/٠٢/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل أخ: لو بينت لنا الراجح في مسألة صلاة الظهر عندما تطهر المرأة، أي من الحيض أو النفاس، مثل: وقت العصر أو وقت العشاء؛ فهل تقضي الصلاة التي قبلها، أي الظهر أو المغرب؟ وإذا طهرت بعد شروق الشمس، هل تصلي الفجر؟ وإذا حاضت المرأة بعد الظهر ولم تكن قد صلت، فهل تقضيه بعد أن تطهر؟

جواب الشيخ: العلماء على خلاف في هذه المسألة، والصحابة رضي الله عنهم اختلفوا في هذه المسألة، فهناك من عد الظهر والعصر وقتًا واحدًا، والمغرب والعشاء وقتًا واحدًا، فإذا طهرت المرأة وقت العصر فعليها أن تصلي الظهر، لأنه في وقتها بالنسبة إليها، وإذا طهرت العشاء فتصلي المغرب، لأن المغرب في وقتها، هي بالنسبة إليها، وإن كان في الأصل غير ذلك؛ لأن الوقت من هذه الجهة له معنيان: المعنى العام والأصل؛ ومعنى كقوله صلى الله عليه وسلم: (**من نام عن صلاة أو نسيها فليصليها إذا ذكرها، ليس لها كفارة إلا ذلك**)، فهذا وقتها، بالنسبة إليه وقت صلاة العصر متى صحي، ربما يصحى ثاني يوم، ربما يصحى عند العشاء، فصلاة العصر بالنسبة إليه هو: متى صحى، فإذن الوقت في هذا الوقت كما تقدم.

فكثير من الصحابة رضي الله عنهم وكثير من التابعين يقولون بهذا، وبعض أهل العلم لا يرى ذلك، يرى أنها طهرت في وقت الظهر فعليها أن تصلي الظهر، طهرت في وقت العصر تصلي العصر، وهكذا.. وهذا هو الأقرب.

ومع ذلك، مع قولي: أن هذا هو الأقرب، لأنه في الحقيقة أوقات الصلاة مخصوصة؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا (١٠٣)﴾ [النساء: ١٠٣]، فهذا وقت الظهر وهذا وقت العصر وهذا وقت المغرب وهذا وقت العشاء؛ فلذلك هذا الذي أميل إليه بأن تصلي الوقت الذي طهرت فيه ولا تصلي ما قبله، ولكن إذا هي أرادت الاحتراز فهذا لها، لأن هذا القول موجود للصحابة رضي الله عنهم، فلو أرادت

الاحتراز، ولا تدري ربما طهرت ولا تدري، لأن الأوقات تتداخل، خاصةً إذا طهرت في آخر الوقت ربما تتداخل الأوقات فلو فعلته فلا بأس بهذا.

المسألة الثانية التي سألها الأخ: وهي قضية أنها طهرت بعد الشروق؛ في الحقيقة خرج وقتها، ولكن كذلك نفس ما قلناه، انتهى وقت صلاة الفجر، فلو طهرت ضحى لا تصلي الفجر، لو طهرت بعد شروق الشمس لا تصلي، لكن لو أرادت الاحتراز على المعنى الذي تقدم فلا بأس بهذا، وكل ذلك مذكورٌ في كتب أهل الفقه.

المسألة الأخرى: إذا حاضت المرأة –هنا السؤال– إذا حاضت المرأة وقت الظهر ولم تصل، فهل تصلي الظهر بعد أن تطهر؟ الجواب: لا، وإن لم تخني الذاكرة إن في ذلك إجماع، كمن مات وقت الظهر ولم يصل، ولكن لم يخرج الظهر، أو مات وقت العصر ولم يصل العصر، فهذا لا شيء عليه، أنا أذكر أن ابن حزم قد ذكر الإجماع في هذه المسألة، وأرجو ألا أكون ناسيًا في هذا الباب؛ لذلك تراجع، ولكن لا أظن أن الخلاف –إذا وجد– له اعتبار وله قيمة، فالمرأة إذا حاضت وقت الظهر فلا يلزمها بعد الطهر أن تصلي الظهر، ربما يوجد خلاف الآن لا يحضرني، لكن الذي أعلمه أن هذا الخلاف غير معتبر.

والله تعالى أعلم، والحمد لله رب العالمين.

٣٤٥- نجاسة الخمر والقيء والدم

ضمن الجلسة السابعة والعشرون، بتاريخ: (**٢٢/٠٥/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٨/٠٢/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: ما حكم كل من الخمر والدم والقيء؟ يقول أخي السائل: مع الخلاف الواقع بين المتقدمين والمتأخرين من أهل العلم في نجاستها، فكيف يحصل إجماع من الأمة على أمر ما مع عدم وجود أدلة صحيحة وصريحة تقول بنجاستها، وبأدلة صحيحة، ولكن غير صريحة؟ فكلام المتأخرين كالشيخ ابن عثيمين والشيخ الألباني والإمام الشوكاني وغيرهم مقنعًا بينما هناك إجماع من المتقدمين على نجاستها أفيدونا وفقنا ووفقكم الله لطاعته ونفعنا بعلمكم ورفع قدركم.

جواب الشيخ: في الحقيقة أولاً: أحكام هذه الأعيان ليست على مرتبة واحدة من الاتفاق والاختلاف، فأعظمها في النجاسة هو الدم، فقد نقل ابن القيم رحمه الله في «إغاثة اللهفان» عن الإمام أحمد رضي الله عنه أنه نقل إجماع الأمة على نجاسة الدم -الآن نفصل- ثم بعد ذلك الخمر، فالخلاف فيه يسير فالأئمة الأربعة على نجاسة الخمر مع وجود من خالف، يروى عن ربيعة، يروى عن الليث، يروى عن المزني رحمه الله، وبعض المالكية يقولون بطهارة الخمر، وأما القيء فالأئمة الأربعة على خلاف، الثلاثة يرونه نجسًا، والمالكية يفرقون بين ما تغير بسبب طبخه في المعدة طول مكثه وبين عدم مكثه؛ فيفرقون بين القيء المتغير وغير المتغير. إنما ذُكر الإجماع على نجاسة الدم عند الأئمة الأربعة، مع قول الأئمة الأربعة بنجاسة الدم إلا أنهم يختلفون في بعض التفاصيل، من هنا يمكن الدخول في تبرير من قال من المتأخرين، مثال ذلك: الشافعية يرون أن الدم الخارج من بدن الإنسان إن لم يتعدى محله فإنه طاهر، هذه اختلفوا فيها، اختلفوا في دم الشهيد فالحنابلة يرون أن دم الشهيد لنفسه ليس لغيره طاهر، ويرون دم ما لا روح له سائلة يعني الذي لا يخرج منه الدم سائلاً مسفوحًا فيرون دمه طاهرًا، مثل بعض الدواب إذا ضربتها لا تخرج دمًا أي فيها دم ولكن لا يخرج من مكانه، أو ما كان في معنى الدم ولا يخرج من مكانه، ولكن أصل الدم متفق على حرمته عندهم، وما هو الدم؟ هو الذي يُسفح مع اتفاقهم على أن الدم الذي سُفح وخرج من مكانه.

مثلاً: الحنابلة كما رأوا طهارة دم الشهيد ودم ما لا روح له سائلة، كذلك يرون طهارة الدم الذي بقي في العروق، يعني عندما نذبح الذبيحة تبقى هناك دماء في العروق فهذا الدم يرونه طاهرًا، ويحتجون بقول عائشة رضي الله عنها أنهم كانوا يرون السفرة على وجه الطعام، فعندما يطبخ الناس اللحم تخرج بعض الدم في العروق ولا يرونه شيئًا.

القصد: بأن أصل الدم بالإجماع على أنه نجس ويجب اجتنابه ثم بعد ذلك يختلفون في بعض التفاصيل، هذا الخلاف في بعض التفاصيل هو الذي يفتح الباب لمن يقول بعدم وجود الإجماع، طيب إذا وجد الإجماع فكيف وجد الخلاف، الرواية عن أحمد رحمه الله أنه روى الإجماع على نجاسة الدماء، ولكنه بعد ذلك جاء إلى التفاصيل التي تخرج عن الأصل، قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [الأنعام: ١٤٥]، ويقول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠)﴾ [المائدة: ٩٠]، فمن هنا يأتي الخلاف، هذا بيان للأحكام، ولكن كيفية تكييف خروج المخالفين، أنا لا أعلم أحدًا أطلق حل الدم هكذا المسفوح قبل الإمام الشوكاني كما هو في «الدراري المضية» وكما في «السيل الجرار» في رده على كتاب «حدائق الأزهار»، وبعد ذلك أخذه المتأخرون أقنعهم كلامه.

مثلاً: أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يصلون بجراحاتهم، مع أن هناك من العلماء من أخرج هذا على ما قاله الشافعية أنه دم الإنسان الذي لا يخرج من مكانه يبقى في مكانه، وكذلك يؤولون هذا على معنى الحاجة والاضطرار، ليس عندهم غيرها أو على معنى أنه يقارب دم الشهيد على هذا المعنى.

ثم بعد ذلك جاء الشيخ ناصر الألباني كما في «تمام المنة» ونصر هذا القول، والشيخ ابن عثيمين معروف أنه تكلم عنه ونصر هذا القول بأدلة كما هي مبسوطة، أغلبهم يأخذون من كلام الشوكاني عليه رحمة الله، فهذا هو التكييف الذي له، بلا شك مما يجب العمل بالإجماع هو ترك الدم المسفوح وعدم مقاربته لأنه نجس والآية: ﴿فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥]، فهل هذا يعود على كل المذكور؟ وهذا قول الكثيرين، وهناك من يعيدوه ﴿أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥]، والظاهرة يعدونه فقط على اللحم أما على الجلد والدهن وعلى الدم فلا يعيدونه على كل الخنزير، وهذا طبعًا غلط وخطأ ﴿فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ يعود عليه كله، وإنما الخلاف على عودته على

الجميع أم لا؟ هذا الذي وقع فيها الخلاف.

السؤال الذي يسأله الأخ أين الأدلة على طهارة الدم؟ كل الأدلة تحمل احتمالاً، وإذا قام الاحتمال سقط الاستدلال، ويحتجون بالأصل والأصل قام عليه ما ينقضه، والدعوة الأصل هو أضعف الأدلة، الاستصحاب هو أضعف الأدلة وهو دليل إثبات لا دليل دفع، لا يصلح للدفع هو دليل إثبات فقط، الاستصحاب، فهذا الذي أقوله في الدم.

ثم المرتبة الثانية: الخمر، والخمر هناك من قال بطهارته من أهل العلم وإن كان ليس من الأئمة الأربعة والأدلة على نجاستها، قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠)﴾ [المائدة: ٩٠]، رجس كما هو في الآية: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥]، رجس أي نجس، ولقوله صل الله عليه وسلم عن روثة الحمار في أنها رجس أي نجسة، فيفسر الرجس بالنجاسة وبحسب موضعها، فهذا الأصل في هذا أنها نجاسة وتوضع على معاني أخرى كصفة العمل أنه رجس فيما فسر ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى: ﴿رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ [المائدة: ٩٠] أي الشر، فسر بأنها شر، لكن سبب الشر أنها نجسة، سبب الشر أن الخمر والميسر نجسة، فابن عباس رضي الله عنهما يرى نجاستها.

فإذن الخمر فيها خلاف بين أهل العلم، والذين يحتجون بالأدلة يحتجون مثلاً: بأن النبي صل الله عليه وسلم أمر بإراقتها في شوارع المدينة، فقالوا: لو كانت نجسة لما أمر بتنجيس الشوارع، هذا رد عليهم القرطبي بأن هذا ردٌ ضعيف؛ كما ذكر الإمام الشيخ الشنقيطي في تفسيره نقلاً عن القرطبي بأن هذه الخمر قليلة؛ فرميها في الشوارع لا يؤدي أن تسيل سيولاً وأنهارًا حتى تعم، ثم هذا لن يعم كل المدينة، يمكن في زاروبة من زواريب المدينة والناس يجتنبونها، وربما يكون هناك البول في الطريق فيجتنبه الناس فهذا من الأدلة العجيبة في هذا الباب، هم يقولون: بأن الحرمة لا تقتضي النجاسة، لكن قد يكون المحرم سببه النجاسة؛ فلكونه رجس جاءت الحرمة في شربه –أنا أتكلم هنا عن الخمر– ولا شك أن السبب هو الإسكار، وهذا الإسكار قد يتعلق به معنى ثاني من الاجتناب، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ

﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: ٩٠]، فكل شيءٍ تعود عليه الرجسية هنا، تعود على كل واحد منها بمعنى خاص بها، فالخمر والميسر لها معنى خاص بها، والأنصاب والأزلام لها معنى خاص بها، والمعنى الخاص بها أنها نجسة.

ثم قال تعالى: ﴿رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾، عمل الشيطان، ماذا؟ يعني أن تعمل بها بما يُعمل بها مما يعمله الناس –أسف لهذه العبارة، لكن هذا معناها– ﴿رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾، ماذا يعمل الناس في الأنصاب والأزلام يعبدونها، أو الأنصاب يذبحون عندها والأزلام يقتنعون بها، فماذا يعمل الناس في الخمر؟ يشربونها، والميسر يلعبون بها وهي القمار، فهذا المعنى في أنها رجس في شربها ورجس في نجاستها متحقق فيها هذا المعنى، هكذا يقول الذين يرون نجاسة الخمر، وهو معنى قوي وإن كان غيره كذلك له وجهة من النظر، أنا أفسر، لأن الأخ لا يسأل عن أحكامها لأن الظاهر الأخ يعرف الأحكام لكن يسأل عن وجهها.

السؤال هل إذا قام الإجماع يجوز الاجتهاد؟ الجواب: لا، بلا شك أن الاجماع هو الحصن الذي لا ينبغي أن يُخترق، ولكن كثيرًا من الإجماعات كما تعلم منقوضة، ولكن أن ينقل أحمد الإجماع لا بد من الناقض، والاجماع يبقى قائمًا حتى يأتي ما ينقضه، أي لو أن عالماً قال: الاجماع على كذا، مثل أحمد رحمه الله ممن استوعب المذاهب وأقوال الصحابة وأقوال التابعين كما هو معلوم عنه، فيقول: هذا إجماع، فلا يجوز لأحد أن يقول: من ادعى الإجماع فقط كذب، لا، ينبغي أن تبيّن لنا من نقض الإجماع، لذلك الإجماع قائم على نجاسة الدم إلا ما ذكروه من خلاف فيمكن هذا النظر فيه وكذلك الخمر، فيبقى القيء.

القيء أمره يسير في هذا، وقول مالك في هذه المسألة قريب، وحتى ابن حزم استغربت أنه ينجس القيء ويستدل بحديث: **(العائد في هبته كالكلب يلعق قيئه)**، فقال: لما نهى عن أن يلعقه دل على نجاسته، على معنى الرجس الذي تقدم من عمل على هذا المعنى، فقال: دل على الجرسية، ولذلك هو يرى نجاسة القيء، وبلا شك أن قول مالك رحمه الله ينطبق عل ما قاله ابن القيم رحمه الله من الأطفال الذين يقيئون كثيرًا على أمهاتهم ولا يمكن الاحتراز من ذلك فهي داخلة فيما قاله المالكية وداخلة في قوله: أنها على قاعدة «عموم البلوى»، إذا عم الشيء خف حكمه وصار الأمر فيه أيسر وأسهل.

والله تعالى أعلم، والحمد الله رب العالمين.

٣٤٦- هل يجوز لزوجة المرتد أن تطلب الطلاق؟

ضمن الجلسة السابعة والعشرون، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٥/٢٢هـ الموافق لـ: ٢٠١٨/٠٢/٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل أخ: هل يجوز لزوجة المرتد أن تطلب الخُلع وتتحاكم للمحاكم الطاغوتية في حكم الخُلع فقط للتخلص من أن تكون تحت مرتد؛ وكذلك أمور الطلاق والزواج والإرث يتم التحاكم لها فيما يسمى بالمحكمة الشرعية، هل التحاكم لها يعد تحاكماً للطاغوت، كونها تعمل في دار الكفر الطارئ؟

جواب الشيخ: نعوذ بالله.. يعني هذا خطأ شنيع؛ القول بأن المحاكم الشرعية التي في بلاد المسلمين، وتحكم بالفقه الحنفي في الأصل إعمالاً لفقه الدولة العثمانية التي كانت مسيطرة على بلاد المسلمين، أو بما يؤخذ من الفقه الشرعي أو من الشريعة الإسلامية، مع ما فيها من أخطاء وقعت، ولكن على الجملة هي خاضعة للشريعة، وأنها أحكامٌ شرعية لم تخرج عن مذاهب الأئمة، سواء كان الأربعة أم غيرهم، يأخذون مرات من غير الأئمة الأربعة، كما أخذوا هنا في الأردن بالوصية الواجبة، على مذهب ابن حزم وابن جرير الطبري.

فالجواب على سؤال هذا الأخ: هذه المرأة تذهب، ولكن للأسف هذه المحاكم ليس فيها بند المرتد، ولذلك لو قدمت هذه الصيغة على أنه مرتد وأنها تريد أن تخلع نفسها منه؛ فهم لا يقبلون، فهي تقيم شيئًا آخر أنه يؤذيها -ولا شك أن المرتد يؤذي- وأنها لا تحبه، وأنه يفسد عليها دينها ويفسد عليها حياتها، وهذه المعاني كلها تدخل في المرتد.

الجواب على هذا السؤال هو: يجوز لها أن تتحاكم إلى هذه المحاكم، وهذه المحاكم شرعية وليست طاغوتية، حتى ولو كانت في ديار الردة الطارئة؛ فالعبرة بذاته لا العبرة بما خضع له، العبرة هي بما يعمل به؛ فهذه محاكم شرعية، ويجوز التحاكم إليها ولا شيء في ذلك.

والحمد لله رب العالمين.

٣٤٧- حكم العمل في شركات التأمين

ضمن الجلسة السابعة والعشرون، بتاريخ: (**٢٢/٠٥/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٨/٠٢/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يفتتح سؤاله بقوله: أنا متغرب في دولة عربية، المهم: القصة طويلة يشرحها، وأنا قرأت المقدمة ليعرف أني أجيبه هو، واشتدت الأمور في بلاده فقرًا، فهاجر إلى إحدى البلاد الإسلامية، يقول: أنه بقي يبحث عن شغل لمدة ثلاثة أشهر فلم ينفع، المهم.. فتح عليه رزق في إحدى فروع شركات التأمين، عمله في شركة التأمين لا دخل له، إلا أنه يقيم في مكان من أجل مساعدة الناس الذين تتعطل سياراتهم في الشوارع ولهم اشتراك في هذه الشركة، فقط يساعد السيارات، إما بتصليحها أو بحملها، فهذا عمله، يقول: أنه جمع القليل من المال من أجل إنشاء مشروع ويبتعد عن هذا المجال، هل يجوز أن يستثمر هذه المدخرات التي أخذها أجرة من هذه الشركة في عملٍ ما ويتزوج بها؟

جواب الشيخ: نعم، يجوز لك، عملك ليس حرامًا وإن كان الأولى تركه، يعني: أنت عملك بذاته صحيح، ولكن أنت تشتغل عند مرابي، تشتغل عند مقامر؛ أقصد شركة التأمين، شركة التأمين حرام، وأموالها حرام، ولا يجوز للمرء أن يساهم فيها أخذًا من ربحها، لكن هل يجوز عمل أمر جائز عند مرابي؟ مثل هذا السؤال، هل يجوز للمرء أن يشتغل في عمل جائز -كتصليح السيارات- عند مرابي وهي شركة التأمين؟ الجواب: نعم، وإن كان الأولى تركها، ولو قال أحد بكراهة العمل لصح قوله، لاقترب، ولكن لا يحرم.

فماله حلال، ويجوز له أن يتزوج منه، ويجوز له أن يتاجر فيه، ويجوز له أن يهدي منه، يجوز أن يأكل منه، يجوز أن يطعم والديه منه وأبنائه منه، فهو مالٌ حلال، والأولى ترك هذا العمل، ولذلك بحثه عن عملٍ آخر يكتسب منه فهذا جيد، لماذا؟ الجواب: لأن عمله بذاته صحيح، كما اشتغل علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند اليهودي، وعامة أموال اليهود من الربا، فالنظر إلى أنها إجارة صحيحة، مع أنهم قالوا: بكراهة تأجير المسلم للكافر إلا للحاجة أو الضرورة، وقوله صلى الله عله وسلم: (**الإسلام يعلو ولا يعلى عليه**)، وقوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا (١٤١)﴾ [النساء: ١٤١]، فلا يجوز للمسلم أن يذل نفسه للكافر، ولكن عند الاضطرار والحاجة يجوز، وهكذا نقول في هذه المسألة أو قريبًا منها.

الجواب: إن هذا المال جائز، وعملك جائز وإن كان هو خلاف الأولى، وإذا قيل بالكراهة فيمكن ذلك، لكن المال حلال، والحمد لله رب العالمين.

٣٤٨- كلمة في الشيخ محمد زاهد الكوثري

ضمن الجلسة الثامنة والعشرون، بتاريخ: (**٢٩/٠٥/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٥/٠٢/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل عن الشيخ محمد زاهد الكوثري؛ وقد رآني أقلب كتابًا فيه رسائله وهي: «بلوغ الأماني في سيرة الإمام محمد بن حسن الشيباني»، و«حسن التقاضي في سيرة الإمام أبي يوسف القاضي»، و«لمحات النظر في سيرة الإمام زفر»، «الحاوي في سيرة الإمام أبي جعفر الطحاوي»، و«الإمتاع في سيرة الإمامين الحسن بن زياد وصاحبه محمد بن شجاع»، و«تذهيب التاج اللجيني في ترجمة البدر العيني»، وسألنا عن هذا الشيخ محمد بن زاهد الكوثري.

جواب الشيخ: فأقول وبالله التوفيق: هذا الرجل له مواطن طيبة في كشف الكماليين والدفاع عن الدولة العثمانية في وقت وجهت كل القوة السهام للطعن بالدولية العثمانية وعلماءها وتاريخها، وهو ممن أصابهم ظلم الكماليين، المقصود بالكماليين هم أتباع مصطفى كمال أتاتورك الذي سُمي بالذئب الأغبر، وهو ولا شك أنه يهودي، وعدائه للإسلام ولدين شيء غريب جدًا، وانتقم له الله عز وجل منه، وبفضل الله عز وجل تركيا الآن تعود إلى الدين، وتحاول جاهدةً محو أثار هذا المجرم الذي غير ديانة الناس ولغة الناس وكتابة الناس، حتى أنه غير الآذان وجعله باللغة التركية، حتى جاء عدنان مندريس وأعاد المدارس الدينية وأعاد الآذان بالعربية كما هو في دين الله عز وجل.

فالقصد: أن محمد زاهد الكوثري رجلٌ عجيب في هذا الباب، في حميته الدينية ضد العلمانية وضد الزندقة التي انتشرت، ولقي في هذا الباب في سبيل الدفاع عن الدين لقي الكثير من المحن والفتن، والرجل مع هذا العلم وكذلك تبصره في المخطوطات فله بصرٌ شديد ومعرفة، ومن يطالع كتبه يدل على مقدار اطلاعه الشديد على المخطوطات ومعرفته بأماكنها ومعرفته بذاتها، وحقق الكثير من الكتب التي في أغلبها فيها نصرة لمذهبه والرد على ما يسميهم الحشوية والمجسمة والمشبهة، أقصد بهم أسباع الحديث، أهل الحديث الذين يثبتون لله عز وجل ما أثبت لنفسه، فالكثير من الكتب التي حققها تدور في هذا الباب، وحتى إذا كان في الكتاب شبه مطعن في تاريخ المحدثين؛ حققه، ككتاب «الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة» لابن قتيبة، فإن فيه التعريض

بفتنة ما يسمى باللفظية بين أهل الحديث، ونزع إليه.

وكذلك لما اهتم بتحقيق كتاب «الأسماء والصفات» للبيهقي، والمراد من تحقيقه ما يعلم طالب العلم، بأنه أراد بهذا الطعن في مذهب أهل الحديث والسنة، وكذلك إحاطته بالمذهب الحنفي، ومعرفته بتاريخ الدولة العثمانية وتاريخ الفقه العجمي، فهو يعتني بهذا اعتناء شديدًا، كذلك له الاعتناء الشديد بالتعريف بأئمة المذهب الحنفي، ومنهم هذا الكتاب وهو «الإمتاع بسيرة الإمامين الحسن بن زياد وصاحبه محمد بن شجاع، ويليه حُسن التقاضي في سيرة الإمام أبي يوسف القاضي وصفحة من طبقات الفقهاء، ويليه بلوغ الأماني في سيرة الإمام محمد بن الحسن الشيباني، ويليه لمحات النظر في سيرة الإمام زُفر، ويليه الحاوي في سيرة الإمام أبي جعفر الطحاوي»، وكل هؤلاء الذين ذكرت تراجمهم في هذا المجلد كلهم من الحنفية وفيه ترجمة أبي يوسف ومحمد بن حسن الشيباني وزفر، وهؤلاء أصحاب أبي حنيفة، ثم ترجمته أبي جعفر الطحاوي وهو معروف بحنفيته، كذلك حسن بن زياد اللؤلؤي، ومحمد بن شجاع، وكذلك البدر العيني.

إلا أنك لما تقرأ له هذا تجد فيه التعصب الشديد لهذا المذهب، ولذلك أحمد بن صديق الغماري يسميه مجنون أبي حنيفة مع إنه يقر بسعة اطلاعه وبقوة ذاكرته، إلا أنه عندما تكون الخصومة بين الأحناف وغيرهم؛ لا يتردد في قصف المخالف لهم كائنًا من كان، لا يتردد، يقصف المخالف قصفًا شديدًا، حتى لو كان الشافعي رحمه الله، حتى لو كان ابن حجر رحمه، حتى لو كان كائنًا من كان هذا المخالف؛ فإنه يطعنه بشدة ويلمز به لمزًا شديدًا.

والرجل قد أُتهم في حياته من قبل بعض الناشرين بأنه يتلعب في المخطوطات، المقدسي الذي كان ينشر له، تراجع في آخر عمره وتوقف وأخذ منه بعض المخطوطات التي أعطاه إياها من أجل نشرها وتحقيقها، وأتهمه بأنه يغير ويبدل، في الحقيقة هذا يحتاج إلى دراسة ولكن نكرها على سبيل الخبر، إلا أنه مما ثبت أن الشيخ كما كشف هذا الشيخ المعلمي في كتابه «التنكيل» وفي «القائد في تطهير العقائد»، الذي هو جزء من التنكيل في رده عليه في باب العقائد وما سبقه من «طليعة التنكيل» كلها تثبت بأن الشيخ مستعد أن يذهب مذهب الغلط، من بعض التحقيق العلمي الصادق والأمين من أجل تبرئه أبي حنيفة، وهو مستعد أولاً أن يقذف الآخرين بأشد ما يُقذف به؛ من أجل تبرئة ما يقولون الناس في مذهبه أو في شيوخه أو في إمامه وصاحبه؛

ولذلك قلت مرتبة هذا الرجل في هذا الباب، حتى مع علمه وسعة اطلاعه.

وكان مما أثار الحفيظة وانتشر الأمر وهو أنه بدأت طباعة «تاريخ بغداد» للإمام الخطيب البغدادي، وهو الكتاب الجليل الذي انتشر ذكر صاحبه وذكر هذا الكتاب في حياة مؤلفه، وصار له القبول وتعجب الناس منه، وصار أم التعرفة بالمدن الإسلامية، وكان أبي حنيفة رحمه الله من الذين دخلوا بغداد، فكان له من الترجمة له، الخطيب ترجم له وأطال النفس فيه، وعرّف به، وذكر ما قاله الناس في مدحه وما قال الناس في ذمه، الخطيب البغدادي كان حنبليًا ثم صار شافعيًا ولم يرضى عنه الحنابلة لأنه سمى إمامهم بالمحدث وسمى الشافعي بالفقيه، وهذا حسب ما درج عليه السابقون ومنهم ابن جرير الطبري في عدم عد الإمام أحمد من الفقهاء، وهذا في الحقيقة فيه تجاوز، فله مذهب في الحقيقة وله اختيارات فقهية وله مفردات في الفقه، انفرد بمسائل خاصة مما يدل على أنه ليس تابعًا كغيره في الاجتهاد وفي الأحكام.

لم طُبع هذا الكتاب، هاجم الأحناف، لأنه طبع «حيدر آباد الدكن» في الهند، وكان تجمع الأحناف هناك، ولما أرادت هذه المطبعة الطبعة قام الأحناف لعلمهم بما فيه الكتاب، خاصةً أن هناك من ألف كتابًا في الطعن في الخطيب سماه «السهم المصيب في كبد الخطيب»، يعرفونه أن الخطيب قد ذكر روايات شديدة في حق الإمام أبي حنيفة رحمه الله، فقامة قيامتهم، وأرادوا أن يطبع الكتاب من غير ترجمة الإمام، وهذه خيانة علمية، يجب أن تحترم كلمات الأوائل، تردها بعلم، لكن يجب أن تبقى كما هي، وألا تُحرف وألا تزال، والرجل أراد كتابه على هذا المعنى؛ فاحفظ المعنى الذي أراده، إلا أن الناس لهم مذاهب ويتعصبون لها، والتعصب مذموم ولا شك.

المهم: ثم اتفق بعد ذلك على طباعتها، بشرط أن يطبع معه «السهم المصيب»، يعني أن يكون معه، مع تذكرة الخطيب الرد على الخطيب في ترجمة أبي حنيفة، وهم علموا أن الخطيب يميل إلى الطعن، هكذا هم ظنوا؛ ذلك لأن الخطيب قال: بأن ما أختم به ترجمة الرجل هي التي أنا أقولها؛ فبدأ بمن ذكره مدحًا، وختم بمن ذكره ذمًا، فدل هذا على أن الخطيب يميل إلى تصويب من ذمه، هكذا الأئمة الأحناف في هذا الباب، فلما خرجة الترجمة وخرج معها «السهم المصيب» ولسبط ابن الجوزي، فحميت عند الكوثري أنفته لمذهبه، فقام وألف كتابًا سماه «تأنيب الخطيب على ما ساقه في ترجمة أبي حنيفة من الأكاذيب»، ورد جوانب تكلم على الرجال

والأسانيد التي فيها الطعن في أبي حنيفة، وتكلم في فقه المخالفين وفقه أبي حنيفة، وتكلم في العقائد وهكذا... فيقول الشيخ عبد الرحمن المعلمي العتمي اليماني: لما وصلت إليها قرأتها ولم ينشط للرد عليها، ويقول: وكنت أعرف حال محمد زاهد الكوثري أن فيه تعصب شديد.

المهم: بعد ذلك بدأ يكتب وشجعه البعض من أرسل له الكتاب من أجل أن يرد، وقام بالرد، وقدم الرد بمقدمة سماها طليعة التنكيل، على أساس أن يكون ممهد لما سيكتبه، فرحب محمد زاهد الكوثري، فسماه الترحيب، رحب بالطليعة، ورد عليه كذلك، ولكن أبان –ما يهمنا هنا– أبان أن طريقة زاهد الكوثري فاقدة للعلمية وللصدق في طرق متعددة، من أمثلة ذلك: فهو أنه يأتي إلى رجل مثلاً اسمه محمد بن علي فهذا الاسم في هذه الطبقة يوجد رجلان يكون أحدهما مطعونٌ فيه ويكون الثاني ثقة، والذي في السند هو الثقة لمعرفتنا بالشيوخ والطبقة ولمعرفتنا من الراوي له، فيترك الثقة ويجعل في السند المطعون فيه من أجل أن يبطل السند، هذه الطريقة استخدمها كثيرًا.

ومن الطرق التي استخدمها أن يأتي إلى الرجل الثقة، وقد قال فيه بعضهم مقالة خطأ ومقالة مرجوح؛ فيجعل المرجوح هو الراجح ليطعن بهذا الرجل ويسقطه، وهكذا استخدم هذا الاسلوب، فرد عليه، وأُشتهر هذا الرد وانتشر هذا الرد، وبالفعل صار حال محمد زاهد الكوثري مكشوفًا لدى الناس، والناس أنصفوا بأن رد المعلم ردٌ عظيم وكان نموذجًا للرد، أخذت عليه أشياء؛ اعتذر عنها لما أخرج التنكيل، لأنه أرسل طليعة التنكيل لأحد الناشرين، فزاد عليها ألفاظ ليست من نفّس الشيخ المعلمي، منها سباب وكذا وألفاظ لا يقرها، واعتذر منها وقال: هذه ألفاظ ليست مني، وكان دائمًا يناديه بالأستاذ وهذا يدل على أخلاقه، يناديه بالأستاذ ويكشف ما عنده من أخطاء، ولكن الألفاظ التي قالها وأعيبت عليه إنما أضيفت إلى رسالته التي أرسلها إلى أحد الناشرين فأخطأ، فيها فهذا هو محمد زاهد الكوثري، فيستفاد من بعض كتبه وبعض كتبه نافع بلاسك وبعيد عن التجاوز، ولكن ينبغي الانتباه إلى أخطاءه في طعنه ضد الآخرين، والحمد لله رب العالمين.

٣٤٩- كلمة في الشذوذ الجنسي «الجزء الأول» [(١)]

ضمن الجلسة الثامنة والعشرون، بتاريخ: **(٢٩/٠٥/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٥/٠٢/٢٠١٨ م)**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل أحد الإخوان عن معالجة السلف في موضوع الشذوذ؟

جواب الشيخ: لا شك أن الشذوذ هو مخالفة الفطرة، معنى الشاذ هو الشيء المخالف للأصل، فهناك أصل وهناك شذوذ، حتى يقال: حديث شاذ أي يُخالف الأصل، وشاذ يعني إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية، الشاذة، البعيدة عن القطيع، فالأصل هو الفطرة، أن يعمل الناس العمل الصحيح الذي فطروا عليه وجاءت به الشرائع، ولكن الشذوذ هو خلافها.

وصار هذا اللفظ في علم النفس يطلق على الموضوع الجنسي خاصةً، وهو ما يُسمى الشذوذ الجنسي، وسؤال الأخ يدور حوله، والشذوذ الجنسي يعني هو ميل المرأة للمرأة وميل الرجل للرجل مع أن الأصل هو أن الرجل يميل للمرأة والمرأة تميل للرجل في هذا الباب على ما خلق الله عز وجل الخلق عليه وعلى ما فطرهم عليه، ولكن هذا المرض اليوم يحاول المروجون له من الغربيين وللأسف بعض من استنشق غبار وسخهم وتلبس بجرائمهم وقاذوراتهم، يحاول أن يفسر الشذوذ على ما يفسرونه.

الكذبة الكبرى التي وصلوا إليها في الغرب أن الشذوذ هو فطرة وأنه ليس مرضًا، بمعنى أن الإنسان يُخلق على هذا، هكذا يخلق في ميل الرجل للرجل وميل المرأة للمرأة وهو الذي يُسمى باللواط والسُحاق، فاللواط هو إتيان الرجل للرجل، والسُحاق هو إتيان المرأة للمرأة، المجرمون اليوم تسويقًا لهذه الجريمة يقولون: هكذا فطرا الناس عليها، هذا مخلوقٌ لهذا الأمر وهذا مخلوقٌ على هذه الهيئة وهذه مخلوقةٌ على هذه الهيئة حيث خلقت هكذا، وزعموا كذبًا ودجلاً بأن الجينات في داخل الشاذين مختلفة عن الجينات الموجودة في بقية البشر، العلوم أثبتت دجل كل هذا، لا وجود لهذه الاكذوبة، والصواب: أن الشذوذ مرض، والصواب: أن الشذوذ شذوذ؛ أي خروج عن الجادة، وخروج عن الفطرة، وخروج عن الأصل، ولذلك إقرار الناس عليه جريمة كبرى، إقرار القوانين

---

(١) الإجابة عن هذا السؤال تتألف من ثلاثة أجزاء

والدساتير والشرائع وإقرار المحللين النفسانيين والأطباء على هذه الجريمة بنفسها جريمة. لكن للأسف لما بلغ –هنا أفصل قليلاً– الشاذون في أوروبا قديمًا كانوا يقتلوا، ولكن في وقت من الأوقات كانوا منبوذين ولا تستطيع المرأة أن تظهر هذه الجريمة ولا الرجل أن يظهر هذه الجريمة، وكانوا يضربون ويطردون ولا يُستقبلون، وبعد ذلك صار هناك قبول لهم بالمجتمع بسبب أن هؤلاء صار لهم حضور في العالم العلوي من السياسيين والأطباء والقادة والمفكرين والمشرعين في داخل تشريعات البرلمانات ومجالس العموم، مجالس التشريع؛ فصار لهم سطوة في الإعلام وصار الكثير منهم من أصحاب الأموال والدعاية الذين يملكون الاعلام والدعاية؛ فلذلك كثر هجومهم لإثبات أنفسهم وهم قلة في داخل المجتمعات، ولكن فرضوا سلطانهم كقلة بسبب وصولهم لمناصب القرار ومناصب التأثير، منصات القرار ومنصات التأثير، سواء كانت منصات سياسية أو منصات مالية أو منصات دعائية... إلى غير ذلك.

فوصلت بعض الدول إلى تشريعٍ تجرم فيه المنتقد لهؤلاء الشاذين، وتجرم من يحتقر هؤلاء، هذا موجود في بعض البلاد، وأوجبوا على بعض المؤسسات أن توظفهم، بمعنى كما يوظفون المقعدين على أنه يجب على كل شركة أن توظف نسبة معينة من المقعدين، يجب أن توظف مجموعة من الشاذين، وغلبوا، الآن مثلاً: في بريطانيا وهي أكثر الدول نقول تقدمًا!! تقدمًا نحو الشر ونحو الهاوية، في إقرار هذا التشريع، كثير من البلاد لم تصل لهذه الدرجة من تجريم المعادين لهم، ولا يسمحون لا أحد أن ينتقدهم، وصاروا يجرؤون بقوة على إظهار أنفسهم، هذا الذي وصلوا إليه، ولا شك أن هناك من المسلمين في الغرب، المسلمين بين قوسين!! أن أصولهم إسلامية قد كونوا جماعات وتنظيمات كبرى مدعومة من قبل طوائف مجرمة من أجل إظهار المسلم الشاذ، وصاروا يروجون أن القرآن لا يمنع هذا، وهناك مسجد في فرنسا يزوجهم، هناك الإمام يزوج الذكر للذكر!! إمام!! ويُدعم ويُناصر ويُشجع، ويزعم أن قوم لوط إنما عذبوا لأنهم يجبرون ولا يفعلونه من جهة الاختيار، فهو جريمة من جهة كونه اغتصاب لا من كونه أنه هو في ذاته جريمة، وهكذا.

فهناك بعض المواقع كذلك تروج لهم ويفتتحون برامجهم وقنواتهم، ويفتتحون بقراءة الفاتحة، وأذكر وأنا في السجن في بريطانيا صار هناك دعوة لمظاهرة يجتمع فيها الشاذون بين قوسين من أصول إسلامية!! من أجل عمل مظاهرة في داخل بريطانيا، قدموا من هنا وهناك، وللأسف في بلادنا ينتشر هذا.

كان هناك بعض المجرمين كسلامة موسى مثلاً يزعم بأن هذه الأفعال -الشذوذ- تنتج بسبب الحجاب، وأنه بسبب عزلة الرجال عن النساء، فلا يستطيع الرجل أن يقضي حاجته مع المرأة؛ فيضطر أن يقضيها الرجل مع الرجل والمرأة مع المرأة كالسُحاق وغيره، وتعرفون أن دور البِغاء كانت منتشرة في الدول العربية، كانت في القاهرة موجودة وفي بغداد وفي دمشق وفي المغرب، كانت البِغاء مرخصة وتؤخذ منها الضرائب، ثم بفضل الله عز وجل ألغيت، فلما ألغيت بدأ هؤلاء المجرمون يثربون على إلغائها، ويسيئون لمن ألغاها بأن دور البِغاء قضية مهمة جدًا، وبأنها تنفس عن الرجل فلا يضطر إلى هذا الشذوذ بالذهاب إلى الرجل.

وأنا لما تكلمت عن علي الوردي في كتاب عن طبيعة المجتمع العراقي بمشروع «ألف كتاب قبل الممات»، تكلمت عن الوردي وكتابه «مهزلة العقل البشري»، زعم أن «٤٠٪» من بيئة المجتمع العراقي تمارس اللواط، وهو شيعي يتكلم عن البيئة الشيعية، وربما قد صدق في بيئته، ولكن ليس في مجموع المجتمع العراقي، وهو فقط أعتذر أنه لا يعمم على الأكراد.

القصد: أن هؤلاء كانوا يشيعون بأن المجتمع الإسلامي ينتشر فيه الشذوذ بسبب الحجاب، وبسبب عدم الخلوة بين الرجل والمرأة، فقالوا: إذا اجتمع الرجال والنساء ذهبت هذه الشهوة الجنسية الحارقة بين الرجال والنساء وصارت طبيعية.

وبلا شك أن المسلم ليس هذا هو معيار الحق والباطل لديه، وهو إدخال الشريعة في تجربة، ليس هذا، نحن نأخذ كلام الله عز وجل أنه الحق، علمنا نتائجه أم لم نعلم، ولا شك أن الله عز وجل لا يفعل شيئًا ولا يأمر إلا بحكمة، وأن نتائج ما يفعله العبد طائعًا لله عز وجل هو الحسنى في الدنيا والآخرة، ولكن الآن نستطيع أن نقول: بأننا في هذه الأيام نستطيع أن نرد على هؤلاء قدرًا، كما رد علماؤنا عليهم يومًا شرعًا، هم يريدون التنفيس في نساء بعضهم البعض، يعني ماذا يريد أن يقول سلامة موسى ومن معه، وعليّ الوردي ومن معه؟ يريدون أن يقولوا: بأنه نفتح العلاقة بين الرجال والنساء لئلا يأتي الرجال رجال، يعني بالنهاية الجريمة قائمة، ولكن الجريمة مع النساء التي هي أشد في موضوع الشرف ويترتب عليها الأولاد وهؤلاء الأولاد لا يعرفون نسبتهم ولا يعرفون أباءهم؛ فتختلط الأنساب بين الناس وربما يؤدي إلى زواج الرجل بأخته، زواج الرجل بعمته وخالته... إلى غير ذلك، تختلط الأنساب.

لكن أقول: لو الآن عدنا إلى الغرب لوجدنا أن الغرب في كثير من البلاد قد وصل إلى النهاية في معرفة نهايات الشذوذ، -أريد هنا فقط نقطة يسيرة- هناك كثير من الأمراض لها درجات، بل كل الأمراض لها درجات، درجة أولى، ثانية، ثالثة، رابعة وأكثر، وربما أنت لا تعرف المرض بسبب القضاء عليه إلا درجته الأولى أو الثانية، فتقضي عليه، فأنت بحاجة مرات أن تعرف درجته عندما يرتقي صعودًا من غير معالجة.

مثلاً: الآن الغرب لا يعرفون مرض السل بدرجاته العليا؛ فيضطر الأطباء الذين يريدون التخصص بالذهاب إلى بلاد ينتشر فيها هذا المرض ليروا نتائجه النهائية كيف يصنع، فمرض الشذوذ في الغرب رأينا نتائجه في أغلبها ولا شك أن هناك ما هو أعظم منها، رأينا هذا المرض كيف يقضي على القيم، وكيف يقضي على الفطرة، هذا المرض الشذوذ الآن تحول إلى حالة من الهوس والمرض الذي يؤدي إلى الانتحار، الدراسات تقول: أن «٨٠٪» من مرضى الإيدز بسبب الشذوذ، بعض الممثلين -ربما بعضكم سمع بهذا- أنه أصيب بسرطان الفم، فلما تكلموا معه، هو يقول والأطباء يقولون: سبب هذا السرطان، سرطان الفم، هو الجنس الفموي، وهو استخدام الفم في الجنس، انظر الشذوذ يؤدي إلى سرطانات، ووجدوا أن الكثير من الشاذين ينتهي بهم الأمر إلى الانتحار.

بلا شك أولاً: أثبت العلم أكذوبة الافتراقات الجينية، لا وجود لها، والآن نسأل كيف ينشأ الشذوذ ويصبح هو الأصل في إنسانٍ مريض؟ يصبح لا يحب النساء ويحب الرجال، أبون كما يقال في اللغة، قبل هذا الآن في الغرب نرى أن هذا المرض قد وصل إلى أكثر ما يمكن تخيله، وهو أن هؤلاء مرضى ينتهي بهم الأمر إلى الانتحار، هذا من ناحية الأثر النفسي، وينتهي بهم إلى الإيدز من ناحية الأثر المادي، البدني، وهناك عقوبات عجيبة جدًا، والكثير منهم يموتون بطرق غريبة جدًا للوصول إلى لحظات الرعشة الجنسية التي لم تعد تحدث أولاً مع المرأة -انتبهوا- هو كان يعاشر المرأة فيريد أن تأتي هذه الرعشة الجنسية، فلكثرة ما يأتي من النساء؛ تموت هذه الرعشة، فهو يريدها مع الرجل، فلما يجرب شيئًا جديد تأتي هذه الرعشة الجنسية التي يحتاجها، وبعد طول مراس يقرف؛ فيذهب إلى الحيوانات، يمارس الجنس مع الحيوانات، بحثًا عن هذه الرعشة، فبعد ذلك ييأس فيذهب إلى الأطفال، وهؤلاء الذين يذهبون إلى الأطفال هم من أقذر خلق الله، حتى في السجن عندما يسجن هؤلاء الذين يغتصبون الأطفال، أطفال صغار وليسوا بعمر أربع أو خمس سنوات بل يغتصبون الطفل وعمره سنة، يغتصبون الطفل وعمره ستة أشهر، تصور إلى هذه الدرجة من المرض، وهؤلاء عندما يسجنون لا يسجنون

مع المساجين؛ لأن المساجين يقتلونهم، أنا عشت في السجن وأعرفهم، يسمونهم في سجون «vp»، ويضعونهم في سجنٍ خاصٍ بهم وهناك قصص غريبة، وأنا في السجن سمعت قصص غريبة.

أذكر مرةً كانوا يأخذوننا إلى مكتبة السجن بعيدًا عن الناس، يغلقوا السجن حتى لا يرانا الناس ولا نرى الناس، فكان الإخوة يطلبون بعض الكتب الإنكليزية فتحضرها القائمة على المكتبة وكانت امرأة عجوز وجيدة تحترم الإخوة، فكانوا إذا طلبوا كتابًا تسجله عندها وتحضره من مكاتب أخرى، لا تشتريه تحضره من مكاتب أخرى استعارة لهم، فكانت تميل إلى الإخوة احترامًا لهم وهي امرأة عجوز كما قلت، فكانت مما تحدث به مرةً قالت: هذا كتاب أنا أخذته وأخفيته، فقال الإخوة: لماذا أخفيتِ هذا الكتاب، قالت: تعجبت! هؤلاء الفيبز – مغتصبون الأطفال– يأخذون هذا الكتاب ويتناولونه، كلما رجع يأتي آخر ويأخذ هذا الكتاب، فتعجبت! ماذا في هذا الكتاب؟ هو أشبه بالمجلة، فلما أخذت الكتاب لتتصفحه وإذ هو صور أطفال صغار، يأخذونها بحثًا عن الرعشة الجنسية!! أحد الإخوة قبض عليه هناك في بريطانية، والأخ يحب أن يجمع صور الأطفال، يعني هذا يجب عليكم أن تعرفوا الثقافات، فعندنا هنا أحد الإخوة حفظه الله عندما يريد أن يسعدني يرسل لي صورة طفل، هكذا أنظر إليه فأضحك، خاصةً عندما يفعل الطفل بعض الحركات في فمه تضحك، فتصور في حركة جميلة، تعطف عليه، الأطفال كلنا نحبهم، وكان هذا الأخ المسلم المتدين يحفظ في تلفونه صور أطفال يلتقط صور الأطفال فقط هكذا، كما هو إنسان فينا يحب صور الأطفال، فلما قبضوا عليه وحققوا معه للإرهاب، فوجدوا معه الصور؛ فأنزلوه على تهمة الشذوذ الجنسي مع الأطفال، على أنه يجمع الصور من أجل المتعة الجنسية، فلما أفهموهم قالوا لهم: يا بقر المسلمون ليس عندهم هذا.

وفي الحقيقة أنا لا أرى طفلاً في بلدي إلا وأقبله وأحضنه، هذه المتعة في حضن الأطفال كنت ممنوعًا عنها طيلة مدتي في بريطانيا، لا أستطيع، فهناك لو أنت تمشي في داخل السوق وتلمس الطفل هكذا جريمة، حتى لو نظرت إليه هناك أمه تحمله وتخاف وتهرب منك، فمجرد النظر إليه!! انظر إلى الفارق بيننا وبينهم في هذا القبيل. وطبعًا صارت حوادث في أمريكا مع رجل وهو نصراني لبناني في الحقيقة وليس مسلمًا، لكنه عربي، فيجلس ابنة ابنه على حجره ليشاهد مباراة كرة القدم، فعجوزتان نظرنا إليه فقدمنا فيه شكوى؛ فسجن خمس سنوات!! مسكين، اتهموه بأنه يضع ابنة ابنه في حجره لأمور...، ولذلك القوانين عندهم في هذا الباب تلائمهم، ممنوع لمس الطفل، لأن لمس الطفل عندهم معناه رسالة قذرة.

وأنا أقول لكم: لما كان يأتي أهلي لزيارتي في السجن، والسجناء هناك يجلسون على كراسي، فإذا مر الأطفال لا أستطيع أن انظر إليهم، أغض بصري بقوة وهكذا أتكلم مع أبنائي، وأنا أحب الأطفال في الحقيقة، يعني أنظروا إلى الشذوذ عندهم أين وصل!! هم يزعمون الآن بأن الشذوذ أمرٌ لا بأس به.

هذه المقدمة لبيان الحال الذي وصلوا إليه، ولذلك هم يضعون من القوانين ما هي ملائمة، فأنا لا أعيب عليهم بشدة القوانين للتعامل مع هذه الجرائم القذرة. فالقصد: صار حال الإنسان عندهم انتهى الرجل من الرجل هذه قضية الآن صارت عادية عندهم، ويسمونه باسم جميل، لا أريد أن أذكره، أنه الرجل السعيد يسمون الشاذ الرجل السعيد، وعندنا الصحافة والمثقفون يسمونهم مثلية تهوينًا لهم، يا كلاب هذا لواط هذه جريمة!! فالقصد: أن هذه جريمة كبرى وتدمر المجتمعات، تدمر المرأة، تدمر البيت، فالبيوت تدمر إذا وقعت، والأطفال يعانون منها معاناة شديدة؛ ولذلك يجب الحذر، هذا الجزء الأول، وسنأتي في الجزء الثاني في بيان كيفية التعامل مع هذه القضية إن شاء الله تعالى، والحمد لله رب العالمين.

كلمة حول الشذوذ الجنسي «الجزء الثاني»

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله: نكمل ما بدأنا به في موضوع الشذوذ، تقدم الكلام في أن الأمراض ترتقي؛ بمعنى أنها لا تكون في النهايات كما هي في البدايات، ولا في البدايات كما هي في الأثناء والنهايات، هذا مرض خطير، وهو مرض من الأمراض النفسية كأي مرض حذر الشارع منه، كمرض السرقة، الشارع لم يحرم السرقة من أجل الأكل والشرب، لم يحرم السرقة لأنك محتاج فلا تسرق، لا، أنا أعطيك فتوى ابن حزم، «إذا منع أهل البلدة الزكاة فجاع الفقير؛ فله أن يسرق الغني لأنه لا يسرق الغني بل يسرق ماله هو الذي أوجبه الشارع على الغني من أجل أن يعطيه للفقير» انتبه لهذا.

أنا أريد أن أنبه لهذه لأنها قضية مهمة، الشارع لما حرم السرقة لأنها مرضٌ من أجل التلذذ ومن أجل الشهوة ومن أجل الاستزادة بالمال، لكن لو أن رجلاً سرق لأنه جائع؛ الشرع لا يعاقبه، لأنه جائع وله سبل أن يصل إلى المال الحلال، عنده قدرة أن يصل إلى المال الحلال ومُنع منها ولم يجد، أو أنه فقير ولم يعطيه الغني ماله؛ فله أن يسرق، لا نعاقبه كما لم يعاقب عمر رضي الله عنه الفتيان لما أخذوا الجمل في عام الرمادة.

إذن لماذا نعاقب على السرقة؟ لأنها مرض -لا تذهب أنظاركم عنها-، هناك في أوربا تكتشف كاميرات المراقبة أشياء غريبة جدًا، في الحقيقة النموذج الآن نموذج لفهمنا للشرع؛ لأن أقدارهم تمثل الحالة الْمُثلى لمخالفة الشرع، أين سيصل الناس لو خالفوا الشرع، كيف سَيَصِلوا؟ كما تكلمنا في الشذوذ في الأطفال في اللقاء السابق، نتكلم الآن عن مرض السرقة، تجد الرجل ملياردير، ويسرق شيئًا بخمس جنيهات!! خمس دنانير، خمس دولارات، هو لا يسرقه لأنه يحتاجه، ولا يسرقه لأنه بخيل، فبعض الناس يقولوا عنه: هذا بخيل هو لا يريد أن ينفق من المليارات التي عنده، لا، لا، هو عادي ينفق الكثير، لكن عنده متعة السرقة، هذه المتعة كيف تكونت عنده؟ تكونت بمرضٍ فيه في الابتداء فانتهى إلا أن يصبح متلبسًا به، مرض أن يسرق، وهكذا الأمراض الأخرى، وكذلك الزنا فهو يريد فقط أن يمارس الزنا مثلاً ليقهر صديقه أنه فعلها مع زوجته، هذه موجودة هناك لا تظن أن الجنس هناك قد صار حالة اعتيادية، لا، هو ضمن معادلة الصراع الاجتماعي في داخل البيئة الواحدة، فهذا مرض.

والسرقة مرض، وتبدأ بالابتداء بشؤون معينية وكذلك الشذوذ الجنسي، واللواط والسحاق هو مرض يبدأ

ببدايات نبينها، فيمكن معالجتها ثم بعد ذلك يصبح العلاج هو القتل، ولذلك الحديث: **(من سرق)**، ثم ذكر...، ثم قال: **(فاقتلوه)**، وهذا مذهب أحمد رحمه الله، لكن نحن لا نتحدث عن هذه النهايات، نحن نتحدث عن بيئتنا، ولكن أنا أبيّن كيف تصبح نهايات الأمراض، وكيف تتلبس بها.

مثلاً: الكذب، هو لا يحتاج إلى الكذب، الكذاب لا يحتاج الكذب، في الحديث: **(لا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا)** خلاص، لو قيل له: أصدق، لا يستطيع؛ لأن صورة الأشياء في ذهنه اختلت وحين تختل؛ تختل عن اللسان، في الأول يكذب بإرادته، ويكذب، ويكذب؛ حتى يصبح عنده صفة الكذب، فالكذب يصبح مرض متمكن منه كمرض الشلل في اليد، يبدأ نمنمة في اليد، ثم تعب، ثم إرهاق، حتى تنتهي بالشلل، ثم تقطع، الأمراض النفسية كالأمراض البدنية في ترقيها وفي بداياتها، كيف تبدأ ثم بعد ذلك تستقر على حالة من التمكن في صاحبها، وكذلك الأمراض الجنسية، فلما نتكلم الآن هو يبحث ويريد أن يصل إلى هذه التي يصل إليها كل واحد في بلادنا مع زوجته ومع أهله، وقديمًا مع آمته، بعد زوجته آمته، لكن هؤلاء خرجوا عن حد الفطرة فتمكن منهم المرض فصار مرضًا، لا نهاية له، وهكذا الإدمان، الإدمان يبدأ بإرادتك، ثم كل ما أوغلت فيه سيطر عليك أكثر حتى تصبح أنت أسيرًا له، فيتمكن منك هذا المرض.

الآن هذا المرض كيف يبدأ؟ بالتتبع -والحديث طويل ولكن أنا أحاول أن أقتصر على المهم- بالتتبع وجد أن هذا المرض ينشأ بسبب ظرفين: الظرف الأول هو: العدوان الذي يقع على الأطفال أو على البنات، يقع على الأطفال جملةً ذكورًا وإناثًا، للأسف هناك بعض البيئات يتحلل منها أهلها من الدين ويتسمحون بالعلاقات القريبة بظروف معينة، بوجود خدم، بوجود مأبونين، بوجود مرضى، من غير توثق لمن يدخل لبيته ويتعامل مع ابنه ومع ابنته فيعتدي هؤلاء على الأطفال، مسكين هذا الطفل، هذا الطفل بلاؤه عظيم، يستطيع أن يعالج نفسه وأن يعالجه الناس في بداية الأمر ويخرج من هذا، ولا نقول: بأنه خلاص انتهى أمره، لا، هو ككل الأمراض يمكن في بدايتها أن تعالج، فالأمر الأول هو الاعتداء، يقع الاعتداء عليهم، ولا تظنوا أن هذا خاص بمجتمعاتنا الشرقية، لا، لا.

و«عمارة يعقوبيان» شرحت هذا الشذوذ في بعض البيئات خاصةً الثرية التي تتسمح بما لا تتسمح به بعض البيئات المتدينة من وجود الشّغال، ووجود ناس يدخلون إلى البيوت بلا استئذان ويفعلون بالأطفال ويختلون بهم،

ولذلك في البيئات المرضية أنا أنصح –وهنا نقطة مهمة جدًا– بأن يراقب الرجل ابنه كما يراقب بنته، وهذا ليس خاص في بيئاتنا حتى في الغرب موجود، الطفل لا يدري فيُعتدى عليه، أول الأمر هو الاعتداء، والمجتمعات الغربية في موضوع الاعتداء شيءٌ مذهل، نحن في بلادنا الإسلامية لا تأتي النسبة بعشر معشار ولا واحد على ألف ولا عشرة ألاف.

وأنا أستغرب في هذه الأيام وأنا أُقلّب بين الأخبار يوجد حملة كبيرة في داخل هوليود –تعرفون هوليود هي مدينة للسينما– وأنتم ترون هؤلاء الممثلين والممثلات يلبسون ويتكلمون بإنسانية وتظنون أنهم عقلاء وهكذا ويمثلون العقل والإدراك والحكمة ويمثلون القوة، فوجدوا أنه ما من امرأةٍ في داخل هذه المدينة إلا وقد أُغتصبت!! ممارسة الجنس بالإرادة ليست ممنوعة عندهم، ليست ممنوعة لا خُلقًا ولا قانونًا، يرون أنها شيئًا عاديًا!! وعندهم من العجائب –وأنا أحاول أن أبيّن ما هم عليه من القذارة– هناك لا فرق بين الزوج والعشيق، فقط التسجيل، حتى بريطانيا تفكر بأن تسجل للجير فرند «girlfriend» حقوقًا لها كحقوق الزوجة، هذا سيشرع، في المجتمعات ليس عيبًا، أنا وجدت رجالاً كبارًا عجائز وقلت لأحدهم هكذا بالعقلية الشرقية في السجن: كم ولد عندك، يقول: عندي ابنتان مثلاً، فأقول له: أمتزوجتان؟ قال: لا، عندهم بوي فرند «boyfriend» ويتحدث بشكل عادي كما أنت تجيب في مجتمعاتنا إذا سألك أحدهم عن ابنتك أهي متزوجة، فتقول: متزوجة أو غير متزوجة، البوي فرند وهو الزنا، زنا تام، ولكن هناك لا يوجد أحد يستنكره، وحتى قسيس الكنيسة لا يستنكره، فأنا أريد أن أقرب لكم إلى أي درجة وصلت المجتمعات في قذارتها في تلك البلاد.

قد تجدون في اللقاءين حديثًا كثيراً عن الغرب، لماذا؟ –أكرر الكلمة حتى لا يجهلني جاهل ويجهل عليّ جاهل– أنا أقدم الصورة الْمُثلى القدرية في مخالفة الشرع عندنا، أي لو صارت مجتمعاتنا مخالفة للشرع إلى أين ستصل؟ ستصل إلى ما صل إليه هؤلاء الغربيون، انتبهوا، وهذا ليس تعظيمًا لهم وليس كشفًا لما هم فيه، لما لا نهتم له، إن لم تكن هذه الصورة وهذه القضية واضحة فهذا لا يهمنا ما هم فيه، ولكن لما كانت حالهم التي وصلوا إليها تمثل المألات في مخاصمة ومخالفة الشرع، فنحن بحاجة إلى بيّانها. فأعود وأكرر: بأن العلاقة الشاذة الآن قد صارت طبيعية هناك.

وهنا نقطة مهمة في النظر إلى المرأة الزانية في الغرب، فلو أن رجلاً متزوجًا سواء بالزواج الرسمي أو بالزواج

الاجتماعي «girlfriend» و«boyfriend»، لو أن رجلاً زنا بعشيقته أو بزوجته مع الرغم أنها ليست شيئًا كبيرًا، ففي الصحف الكبرى كصحيفة الغارديان التي تعد أول صحيفة بالمشاهدات على شبكة الإنترنت في بريطانية وثاني الصحف الورقية مبيعًا في بريطانية حيث تأتي بعد صحيفة التايمز، كل أسبوع أو كل يوم ربما تخرج شكاوى وقصص النساء مع هذه الجريمة بين الرجل والمرأة قصص صارت عادية عندهم، لكن كيف يُنظر إليها هناك؟ لو أن رجلاً علم أن زوجته زنت مع صديقه، هو لا يغضب عليها هو يحاول أن يعيدها إليه!! أنا أعرف أنه ما من مسلمٍ يمكن أن يتصورها، فهناك مثلاً يتشاجر الصديقان على امرأة هي تنام مع هذا يوم وهذا يوم، وهذا يعلم أنها تنام معه ويسألها وتقول: نعم، فيصبح الصراع بين الصديقين من يفوز بها، مع أنها عاهرة بالمفهوم الاجتماعي الإسلامي، لكن هناك في الغرب يتصارعان فمن أخذها غلب الآخر وهو البطل، ولا أريد أن أتكلم لكن بعض الفرق عندنا هنا في العرب كالفرق الضالة الشركية، الزوجة تغيب أربعين يوم أو شهرين تذهب مع عشيقها ثم تعود، فيقولون عنها: أصيلة، غابت، غابت ورجعت لمربطها!! نسأل الله العفو والعافية، انظروا إلى مسخ الفطرة!! في الغرب نفس الشيء فهو يصارع لإعادتها، وهو يصبح مهموم كيف يعيدها إليه، فهذا من الشذوذات النفسية التي وصل إليها الغرب في هذا الباب.

نرجع إلى الموضوع: إذن ينشأ الشذوذ لظرفين:

الظرف الأول: هو الاعتداء، والاعتداء له صور خاصة بالاعتداء على الأطفال وعلى الصغار أو بين الصغار، يعني واحد كبير قوي بين الأصدقاء فيمارس الاعتداء على أصدقائه، يأتي الكبير يقول له: تعال أنا وإياك نمارس، فيمارسه الكبير على الصغير ويؤذيه وو... إلخ، فيقع هذا، وللأسف هذا موجود في التاريخ عند العرب وعند غير العرب وللأسف موجود، الغلمان الصغار يُعتدى عليهم ويعيشون هؤلاء في مأساة.

الظرف الثاني: وهي حالة التجربة والتلذذ، رجال يكونوا مثلاً بعيدين عن نسائهم أو غير بعيدين، وأنا أعتقد وليست هناك دراسة، ولكن أنا بحسب ما رأيت تقريبًا أغلب المجتمع البريطاني مارس اللواط، لماذا؟ ليجرب، أغلبهم للتجربة، ليجرب هذا الشذوذ وهو لا يراه شذوذًا، هذه كلمة الشذوذ كلمة عندنا نحن نتعاطاها لكن هي لا وجود لها عندهم، فيريد أن يجرب هل هذا جيد؟ فإما أن ينساق به فيمرض، وخاصةً المأبون، فالفاعل ربما ينزع، المجرم اللائط ربما ينزع وقد يمرض، فمثلاً الشاعر المعروف الرصافي للأسف، كان يحدث

أصدقائه بأن إتيان الذكور خيرٌ من إتيان النساء، وهناك من ألف رسائل قديمة في هذا، أن الذكران خير، بل هناك من جعل إتيان الكلاب خير من إتيان النساء، هذا الشذوذ يحصل بسبب هذا التمتع مع الكثرة وخاصةً هذا التمتع ينشأ بسبب عدم القيم، فنحن لما تكلمنا عن قضية أن كلمة الشذوذ غير موجودة أدت إلى هذا الباب، وبعض صور الشذوذ تنشأ مع هذا المعنى الثاني الذي ذكرناه، وهو قضية ابتعاد الرجال في ظروف معينة كالجيوش التي يغيب فيها الجنود طويلاً فيُمنعوا من إتيان نسائهم، وكالسجون، فتنشأ مثل هذه الظواهر بسبب عدم الإتيان فتنشأ هذه الظواهر المجرمة.

هذه البدايات هي التي تشكل بداية الانحراف، ولذلك لمعالجة الشذوذ، الأصل هو الزواج المبكر، وكلما بكرنا في تزويج البنت وأشغلناها بالأولاد وو... إلخ، وكل ما يقولونه هؤلاء المجرمون في قضية مثل ما أرى هنا إعلانات مكتوبة «أنا المرسة أحب إليّ من الزوج»، إعلانات كبيرة معلقة وربما هي مدفوعة الأجر وفيها صورة لبنت تلبس لباس الطالبة وتضع حقيبة الطالبة وتشير إلى أنه لا تزوجوني، بل بعضهم وضع إعلانات مجرمة تقول: «صمتها ليس إذنًا لها»!! وهذا ردًا على الحديث، حديث أمنا عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنَّهَا قالَتْ: يا رَسولَ اللَّهِ، إنَّ البِكْرَ تَسْتَحِي؟ قالَ صلى الله عليه وسلم: **(رِضَاهَا صَمْتُهَا)**، وهذا كله فساد؛ لأنهم يحضون المرأة على أن تخرج وتعافس، وبعد ذلك المسكينة تكبر ويصبح لها شأن وتدخل بمشاكل البيوت والمصائب الكبرى ويتفرق الناس؛ فتنشأ الشذوذات.

فالعلاج أولاً: هو الوقاية، وسورة «النور» بيّنت لنا من وجوب غض البصر، وجوب العزلة، عدم الخلوة، بيّنت لنا معالجة هذه الأمور، فيجب الحفاظ على الأطفال خاصةً في البيئات المرضية، الحفاظ على الأطفال، الحفاظ على البنات والبيت، يعني أنا حزين فقد أخبرني أخ حفظه الله أن بنتًا تقول تخرج للعمل وينتهي عملها الساعة الرابعة، وبغض النظر الآن على أن عملها صحيح أم خطأ؟ لماذا تعمل؟ هل لها الحق أن تعمل أو لا تعمل؟ هذا موضوع ثاني، وترجع إلى البيت الساعة عشرة ليلاً، وتقول: أتمنى أن يسألني والدي لماذا تأخرتِ؟ وأين كنتِ؟!! فأي خُلقٍ عند هذا الأب؟!! أي دينٍ عنده؟!! أي غيرةٍ لديه؟!! هذا الرجل مسخت فطرته، فلا نعجب إذا كان هذا البيت يخرج منه شذوذ، المرأة لا تراقب أبنائها، لا تراقب بناتها في البيت، لا يفرق بينهم في المضاجع، كل هذا ينبغي أن ننتبه له. وهنا نأتي إلى نهاية اللقاء الثاني، وإن شاء الله نأتي إلى ما بعده والله الموفق، جزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

كلمة حول الشذوذ الجنسي «الجزء الثالث»

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله: هذا هو القسم الثالث من الحديث عن الشذوذ الجنسي، وللأسف الحديث عنه ليس حديثًا عن قضايا ذهنية، بل هو واقع، وبدأ ينتشر في مجتمعاتنا الإسلامية، وإن كان هناك الكثير من الانفلات الخُلقي في غالب صور العلاقة الجنسية المحرمة سواء كان زنا أو شذوذ، إلا أن هذا ينبغي التنبيه عليه والإكثار من الحديث عنه تنبيهًا عليه.

هذا اللقاء في هذا الموضوع هو اللقاء النهائي وهو: الحديث عن كيفية معالجة الإسلام لهذا المرض الخبيث المجرم، أولاً وأهم نقطة في الموضوع: يجب أن لا يخرج هذا الفعل وهو الشذوذ «اللواط أو السحاف» يجب أن لا يخرج عن دائرة المرض، أنه مرض خلقي، كالسرقة، كالكذب، كشرب الخمر، هو مرض، ولا يجوز أبدًا إقراره بحال من الأحوال في أي مرتبة من مراتبه، لا الأولى ولا النهائية، فإن أي تبريرٍ له على أي وجهٍ من الوجوه سواء كان السبب نشؤه هو الظلم أو الاغتصاب الذي يقع على الأطفال مثلاً أو على الرجال الضعفاء، فيجب عدم إقراره، هذا يجب أن يستقر كمبدأ من مبادئ الإسلام في التعامل مع هذه الظاهرة المرضية المجرمة الفاسدة.

وسبب قولي هذا أنني اطلعت -قديمًا- على أحد المشايخ يسأله مُقدم برامج في قضية الكذب على الشيخ أو إيهامه أن الشيخ انساق في قوله: هب أن هذا هو أمرٌ فطري في هذا الرجل، أي هكذا نشأ هو لا يشتهي النساء ويشتهي الرجال، فللأسف هذا الشيخ وافق بأنه إذا صار هكذا يمكن البحث فيه، هذه جريمةٌ كبرى، هذا الفتح اليسير لنفاذها في داخل مجتمعاتنا بمثل هذا الكلام هي جريمةٌ كبرى يجب أن يُعاقب عليها هذا الشيخ، ويعاقب عليها من يروج بأن المرض الجنسي «الشذوذ الجنسي» سببه؛ تغير الجينات أو أنه اشتهاءٌ فطري، هذه جريمة، مجرد أن يقولها يعني أنه يكذب على الله عز وجل، ويكذب على القدر، ويكذب على الوجود، ويكذب لتبريره المعصية بعد اقترافها والسلوك فيها، هذا كذب يجب أن يعاقب عليه، الكذب على الله عز وجل يقول على الله عز وجل ما لا يعلم، والله عز وجل لم يشرع شيئًا على خلاف الفطرة، ﴿قَدَّرَ فَهَدَى (٣)﴾ [الأعلى: ٣]، فأولاً قدر ثم جعل الهداية على وفق ما قدر جل في علاه.

فأولاً: يجب أن نضع في أذهاننا بأن هذه جريمة في كل مستوياتها وأن تبريرها على أي وجهٍ من الوجوه هو جريمة، حتى لو قال أحد: هب أن هذا قد أُغتُصب وهو طفل فصار يشتهي فلنقره، هذه الكلمة جريمة وكفرٌ

بالله؛ لأنه تشريع على خلاف الشرع، وتحسين لما قبح الشارع، وتحليل لما حرم الشارع، وهذا كفرٌ وشركٌ مجمعٌ عليه بين أهل المِلة، هذه القضية يجب أن نحسمها وننتهي منها. الآن نأتي إلى أنه بلا شك أن كل الأمراض الحادثة في المجتمع؛ الإسلام يمنع حدوثها ابتداءً، فإذا حدثت، وكل جريمةٍ في الوجود تحدث، لا يوجد جريمة يتخيلها الناس إلا وتحدث، أي كل الجرائم لا بد أن تقع سواء في المجتمع الإسلامي أو في غير المجتمعات الإسلامية ولكن الفرق كما تقدم: أن المجتمعات الإسلامية تقضي عليها عند حدوثها، تقضي عليها في مراحلها الأولى، حينئذٍ؛ يكون الأمر سهلاً، والمجتمعات الأخرى تفلت وتزيد حتى تصل إلى نهايتها المرضية المؤلمة، حينئذٍ؛ لا يمكن إلا الحرق؛ لأن الفساد حين يعم بهذه الدرجة لا بد أن نزيله كقاعدة النبي صلى الله عليه وسلم: (**اقتلوا الفاعل والمفعول به**)، لنأخذها فقهًا مع الخلاف في الحديث، ولكن (**اقتلوا الفاعل والمفعول به**)، هكذا أن نستأصله، نزيله، وليمت هذا ولا ينشر فساده في بقية المجتمع.

ففي قضية الحفاظ على المجتمع يجب أن نقيم سدودًا من أجل منع هذه المعصية، نقيم أسوارًا عظيمة، أولاً: بالموعظة، أن نكثر من الحديث عنها وبيان حكمها وتغليظ الجرم لفاعلها، فمن فعلها يعاقب، كما ذكر لعلي رضي الله عنه: أن رجلٌ يشتهي كما تشتهي النساء فأرسل إليه من قتله، فهذه الأبواب يجب أن تسد، حين تزيغ نظرة الرجل عن الفطرة ويصبح هذا قد تمكن منه واشتهر، يجب أن يقتل. أما في الابتداء هناك موانع كثيرة تمنع، أولها الوعظ، التذكرة للمجتمع، هذه قضية مهمة أن نذكر بها؛ لئلا تغزونا وأن نرد على فتن الآخرين حين تأتي مثل ما تقدم ذكره في اللقاء الأول في قضية تبرير هذه المعصية، وهناك أئمة للأسف، هناك إمام مجرم في باريس يقوم بتزويج الرجال للرجال في المسجد، مسجد خاص له ومدعوم من قبل الدولة، فيجب الرد على هؤلاء بمقداره، بمقدار المعصية إذا انتشرت يجب تعميم هذا الفقه والرد عليهم بالأدلة العلمية والشرعية.

الأمر الثاني: وهو قضية الحفاظ، النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالتفريق بين الأطفال، (**فرقوا بينهم في المضاجع**)، عدم النوم مع بعضهم بلا حائل، لا يجوز، بعد أن ينتبهوا إلى أن الابن فيه ذكورة وأن البنت فيها أنوثة، ففرقوا بينهم، خلاص، قال صلى الله عليه وسلم: (**مروا أبناءَكم بالصلاةِ لسبعٍ واضرِبوهم عليها لعشرٍ وفرقوا بينَهم في المضاجعِ**)، خلاص صار يفهم أنه ذكر وهذه أنثى، وهو صحيح لا ينتصب ولا يمكن أن يقوم بالعملية الجنسية، لكن يداعب ويلعب وهذه مقدمات، هذه فطرة فلا يحتاج أن يرى فيديو وأن يرى كيف

تمارس ليمارسها، هذه فطرة، كما أن الدواب لا تتعلم وإنما تمشي بها على الفطرة، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨]، فالقضية الجنسية إيحاء إلهي.

وهنا نقطة: قضية إيحاء إلهي قدري هذه تدلنا على كذب من يريد أن يعمم ثقافة الجنس، فهم يزعمون تحت باب نشر ثقافة الجنس والقضاء على الأمراض، أننا ننشر في المدارس ثقافة الجنس ويُعلم الأطفال وتُعلم البنات، وهذا كذب، هذه قضية فطرية، أباءنا منذ دهور يمارسونها ولا يحتاجون لهذه الكلمات التي تهيج الشباب في لحظة فورانهم، كذب، والتاريخ مضى على هذا؛ فأين الأمراض؟! هم يزعمون الأمراض كذبًا بما عندهم هم.

فمثلاً: يزعمون أن من الأمراض هو الزواج المبكر!! هذا من الفطرة، ومن الحق، هذا كذب وافتراء على الله عز وجل، فالنبي صلى الله عليه وسلم تزوج عائشة رضي الله عنها، ودعكم من أكاذيب هؤلاء الذين يزعمون التحقيق، بنى بها وهي ابنة تسع، وهؤلاء الذين يقولون: الزواج المبكر جريمة!! هؤلاء جهلة وكاذبون؛ يأتون الدواب ويأتون الأطفال الصغار، طفل عمره سنة يأتيه، ويزعمون أن الزواج المبكر جريمة.

فإذن أولاً: هو أن نمنع وهذا عن طريق نشر هذا العلم.

ثانيًا: بالنسبة للأطفال؛ أن نحافظ على أطفالنا في هذه المجتمعات كما نحافظ على أعراضنا، لا نترك الأطفال هكذا خاصةً في أوقات، فنحن نسمع في بعض البلاد وجود المجرمين الذين يسرقون الأطفال ويغتصبونهم ثم يقتلونهم، يعني قصص مذهلة في بلادٍ إسلامية، ولا يقول أحد: هذا موجود في البلاد الإسلامية وغير موجود في البلاد الغربية، أنا أنبه على هذه النقطة في كل محطة، بكثرة موجودة هناك، بكثرة موجودة في الغرب، وأنا ذكرت لكم في هوليود ما من امرأةٍ إلا وقد اغتصبت رغم أنفها من قبل الرجال، بل هناك الآن حملة مضادة من الرجال كيف قد هم اغتصبوا من قبل النساء!! يعني أن المرأة أجبرت الرجل من أجل مثلاً أن تدخله فلم أو تعطيه مالاً أو تسوق له دعاية، النساء كذلك يفعلن هذا!!

لكن نسمع في المجتمعات الإسلامية بوجود هذه الجريمة، لا يهتمون لأطفالهم، يخرج الطفل يعطونه لمن لا دين له، يمشي معه، ولا يهتمون له، فما تدري ماذا يفعل مع طفلك؟ لماذا تأمن طفلك لرجل لا يتق الله؟ حتى في المدارس الدينية، هذه قضية يجب الحذر منها بقوة وعدم التهاون فيها، الشارع في موضوع الجنس هو الشيء

الوحيد الذي أمرنا أن نغض بصرنا عنه، فلو نظرت إلى جملٍ جميل، انظر إليه ما استطعت وتمتع وسبح الله، فلا يمنعك الشارع، لكن أن تنظر إلى العورة، أن تنظر إلى المرأة؛ هذا ممنوع، لماذا؟ لأن هذه مقدمة يقينية لما بعدها، المرء ينظر إلى المال هذه مقدمة تؤدي إلى السرقة، لكن مقدمة ضعيفة، تنشأ عند بعض النفوس لا كل النفوس، والنفوس التي تنشأ فيها تكون شاذة وضعيفة، لكن بالنسبة للنظر إلى العورة هي سبيلٌ أغلبي لما بعدها، للإقبال عليها للوصول إلى حالة الزنا؛ ولذلك يجب أن نمنع الخِلوة، حتى مع الأطفال.

فعلماؤنا لما انتشرت هذه الجريمة كما نرى في بعض الكتب وكما يذكر ابن الجوزي رحمه الله، بأن قضية المردان الأطفال الصغار، البعض لا ينظر إليه نظرة حب بأن هذا طفل هو يُرعى، بل ينظر إليه نظرةً مجرمة؛ فيجب أن لا يُدخلوا هؤلاء في البيوت، وأن لا يُؤتمنوا، أن يحافظ عليهم، ووصل الأمر في بعض الأوقات إلى التحذير من المردان أكثر من التحذير من النساء؛ لأنها صارت جريمة منكرة سارية في داخل المجتمع.

فلنحافظ على أطفالنا لأنه إذا وقعت هذه الجريمة في الأطفال صار علاجها بعد ذلك صعب، وبعض علماء النفس في تاريخنا كابن القيم لهم أقوال قوية جدًا في قضية أن وقوع المرء في هذه الجريمة من الصعب أن يتخلص منها، ولا شك أن هذا استقراء لواقع موجود في داخل مجتمعه.

القصد من هذا: علينا أن نحذر على أطفالنا، لا نوصلهم إلى رحلات من غير وجود رجال كثر عندهم دين، كبار سن، لا نعطيهم لشباب مراهقين وصغار يمشون معهم، ولو يحفظونهم القرآن، لا يختلوا بهم، وأن يكون حضور دائمًا الأبناء إذا جلسوا مع هؤلاء يجلسوا في أماكن مكشوفة وإلى غير ذلك، هذا الأمر الأول الذي ينبغي.

الأمر الثاني في قضية الموانع التي تمنع حصول هذه الجريمة، وكما قلت في اللقاء السابق: الزواج المبكر، علينا أن نسارع تزويجهم، أنا في الحقيقة مستغرب من التحولات الاجتماعية لما عدت إلى هنا! فلما كنا ونحن صغارًا شهوتنا للزواج قاتلة، بالنسبة لي، لي تاريخ في هذا، فكم تشاجرت مع والدي لأجبره على تزويجي، وأنا في الثامنة عشرة من عمري أريد الزواج، لكن الآن تسأل الشاب عمره تقريبًا «٢٥، ٢٣» سنة وبعضهم «٣٠» سنة وتدفعه للزواج فكأنك ترمي الكرة إلى الحائط فترتد على وجهك، تقول له: تزوج، يقول لك: بدري، يعني لماذا أتزوج؟ فإما أنه فاقد لرجولته وهذا الأغلب، وإما أنه يستفرغ –والآن أبيّن ما معنى الأغلب– وإما أنه يفرغ

رجولته وجنسه في سبل الحرام، ولماذا قلت الأغلب؟ الأغلب أن الحياة الجنسية تصبح قصيرة بسبب المعاصي، ومن ذلك النظر، ومن ذلك الزنا.

فالحياة الجنسية تطول في داخل المجتمعات الإسلامية كما هو معروف -إياكم أن تظنوا- ليس لأن هناك رجال أقوياء كما يروي البعض: نحن رجال ونمارس الجنس أكثر، لا، لا، هو في الحقيقة لأن الممارسة الجنسية عندنا معتدلة، في الغرب البنت والرجل ربما لا يصلون إلى «٣٥» سنة حتى يكون قد مارسوا الجنس مع مئات، وعملوا مرةً استفتاءً في الجامعات؛ البنت في داخل الجامعة كم مرة تمارس الجنس؟ مع كم رجل تمارس الجنس؟ ربما تصل إلى «١٠٠، ١٢٠» رجل، وبعضهم يصل إلى «١٥، ٢٠» رجل بحسب، فهذه تقصر الحياة الجنسية عند الرجل لكثرة من يتعاطى معهم، وتقصر رغبة المرأة الجنسية، تصبح باردة جنسيًا مبكرًا.

فالذي يحدث كالتالي؛ أن الشاب ينشأ كما ينشأ أي شاب فالأجسام واحدة تقريبًا في هذا الباب أو متقاربة، هناك طبعًا انفرادات معينة في الضعف أو القوة الجنسية، لكن هناك سمت عام، فالشاب عندما يبلغ تصبح لديه الرغبة الجنسية، كيف يفرغها؟ للأسف عن طريق النظر، هذا النظر -سبحان الله- لم نكن نعرف أثر النظر على الجنس وأنه من أقوى المضعفات للحالة الجنسية، الرجل الذي يطيل النظر إلى الجنس تصبح لديه المتعة بالنظر أكثر من الممارسة، وهذا لم أكن أفهمه أنا حتى قرأته وراقبته ورأيته.

في الغرب وفي داخل البلاد التي تنتشر فيها الفاحشة، الجنس، يوجد دفع أموال، فبدل أن يدخل ويمارس الجنس، الزنا، مع المرأة ويدفع لها المال، لا، هو يدخل ويجلس وينظر إلى الممارسة الجنسية، وتكون أغلى من ممارسة الجنس، أي الذي يمارس مع المرأة يأخذوا منه مبلغًا يسيرًا، ولكن إذا جلس لينظر كان المبلغ أكثر، تصبح متعته في المراقبة، فخلاص تموت حالته الجنسية في التحسس في النظر، في القبلة، في اللقاء، في المعاشرة، تضعف وتنتهي وتصبح هذه الحالات الارتعاشية وحالة اللذة أكثر حين ينظر، ولذلك الكثير ممن يمارسون النظر للأفلام الفاحشة تضعف عندهم حاسة الجنس في الممارسة، ولذلك تسأل الشباب لأنهم ينظرون، فلآن في كل بيت ومع كل رجل وكل شاب وطفل للأسف معه سينما -الهاتف الذكي- كنا ونحن صغار إذا ذهبنا إلى سينما كنا نحتاج إلى مال، نحتاج إلى أن نهرب من الوالد، ولما نرجع تكون هناك الملحمة ويلقانا الوالد في الضرب والإيذاء، وربما في الشهر والشهرين، اليوم الولد معه السينما بين يديه «٢٤» ساعة يفتح ويرى، هذه مع طول المدة

تضعف لديه الرغبة في الجنس.

ولذلك أنا أستغرب! أنا بالنسبة لي تقريبًا «٩٠٪» من الشباب عندما أسألهم لماذا لا تتزوجون؟ يقول لي: لا نريد أن نتزوج، يكون عمره مقارب «٣٠، ٢٥» سنة، فأنا أتعجب! نحن كنا نطلب الزواج في وقت مبكر، فإذن هذه من الموانع، من الشذوذات التي تنشأ، فيجب؛ الزواج المبكر، الزواج المبكر يقيم العدل والإنصاف في هذا الموضوع، يقيم على وجهه الرجل والمرأة وكذا ولا يضر، هذه كلها أكاذيب الزواج المبكر والحمل المبكر، تضر بالمرأة! أكاذيب سبحان الله طغت على الناس ودمروا بها المجتمعات، روسيا تدفع الآلاف للعائلة النموذجية التي تنجب الأولاد أكثر، وهنا في الغرب بعض القرى نسبة النمو عندهم صفر، بعضهم يقول لنا: صار لنا ثلاثين سنة ما رأينا عرسًا لرجل وامرأة، وتكاد القرية تفرغ من الرجال بسبب عدم الإنجاب، ولذلك ينبغي الاهتمام بهذا الباب، وهو ليس فقط مراقبة الأطفال، بل مراقبتهم فيما يرون أيضًا، لأنه؛ يضعف في هذا الباب ويؤدي الى الشذوذ.

إذن: التفريق، الزواج المبكر، مراقبة الأولاد، الحرص على الصحبة الجيدة، وعدم النظر إلى الأفلام وغير ذلك، فهذه قضايا مهمة جدًا، وللذكر كل نقطة تحتاج إلى درس؛ للتمثيل لها والتدليل عليها وذكر تفاصيل كل القضية، لكن أنا هنا أجمل المسألة. فإذا وقع؟ إذا وقع يجب أن نتعامل معه في قضية العزل، أي الأطفال تعزل؛ لئلا يستطرد هذا الفعل ويمشي، علينا أن نخرجه، الأطفال خاصةً إذا علمنا وقوعهم في هذه الفاحشة أن نبعدهم وأن نخرجهم كما نحرص على معالجة المدمن، أن نبعده من هذه البيئة، وأن نسارع في تزويجه، نسارع في تزويجه ليخرج من هذه الجريمة النفسية، وإلا بعد ذلك تغلب عليه وتقتله.

وفي خاتمة الأمر لا أريد أن أطيل، أما الذين بلغت بهم الفاحشة ليمارسوها، أتكلم كمرض لا أتكلم كحكم، الحكم: لو أنه وصل إلينا أن رجلاً عمل هذا مع رجل فيقتل، سواء كان بسبب أول مرة أو بسبب إدمانه عليها ومرضه وتلبسه بهذا المرض على وجه الدوام، ولكن نتكلم هنا في معالجة المرض، فإذا كان هذا الشر قد انتشر فيه وهذا المرض قد استفحل فيه، من الصعب معالجته إلا بالقتل، أن يقتل كما تحرق المادة القذرة لألا يتأذى منها الناس وتفسد البقية.

والآن لا نستطيع أن نقتله للأسف، فيذهبونه إلى السجون فيفسد غيره ويمارس، ولذلك علينا أن نخرجه من

بيوتنا، والمخنث ليس مثلهم؛ فهذه خلقة الله في المخنث خلقه بين الذكر والأنثى، فأمروا بإخراج المخنثين من البيوت، لا يبقوا في البيوت؛ لأنه مصيبة على الرجل ومصيبة على المرأة، يجلس مع المرأة فيشتهيها ويجلس مع الرجل فالرجل يشتهيه لأن فيه صفة الأنوثة؛ فلذلك هو مصيبة فيجب أن يعزل.

فالمطلوب: هو عزل هؤلاء، والابتعاد عنهم، والسباب عليهم، وبقاء التعيير لهم، وعدم قبولهم في داخل المجتمعات، فهذه طريقة السلف في هذا الباب، ومن أعظم الطرق في إخراج مفاسد الأفكار ومفاسد الأهواء هو الضرب، العالم الآن للأسف يجرم الضرب، يجرم الضرب للأطفال، يجرم ضرب رجل لزوجته، يجرم الضرب للتأديب، وهذا باطل، عمر رضي الله عنه كيف عالج صُبير لما جاء يسأل عن المتشابهات، عالجه بالضرب، حتى صرخ له: «يا أمير المؤمنين قد خرج الشيطان من رأسي»، هناك أبواب وهو أن يضرب وأن يعلم أن عاقبة هذه المعصية هو الألم الشديد والضرب، مثلاً: إذا زاغ أو غلط من الأطفال فيضرب ويحبس حتى ينقى، وحتى يشعر إذا تذكر الفاحشة تذكر الألم معها، وهذه مقارنة الفاحشة بالألم، ومقارنة الفاحشة بالتعيير، هذا مهمٌ جدًا.

وللأسف الحالة الذهنية دائمًا أصفى وأجمل من الحالة الواقعية، لأن الحالة الواقعية محكومة بظروفها، لكن الحالة الذهنية تنطلق عن هذه الظروف، تنطلق عن المقدمات، وأقصد بهذا: بأنه لو عاش المرء في ذهنه، مثلاً: يجلس ينظر في الفيلم فهو لا يرى إلا الجماليات، حين يمارس لا يرى هذا الجمال الذي رآه في داخل الفلم وداخل التخيل، لا يراه في الواقع، فيحتقر الواقع ويذهب إلى الخيال، هذه مصيبة وهي اقتران المعصية بالجمال، واقتران ما أجازه الشارع بالواقعية، لا أريد أن أقول بالشرع، بالواقعية، فحينئذٍ؛ يصبح ميل الإنسان إلى ما هو شاعري وما هو ذهني وما هو خيالي، ابتعادًا عن ضغط الواقع وما فيه، ولذلك هذه نقطة تدخل فيها أشياء كثيرة، منها -أريد أن أنبه على هذه النقطة- منها غباء الرجل والمرأة في تعامل مع وسائل الاتصال، الرجل منا اسمه س من الناس متزوج امرأة، المرأة مسكينة هو يأتيها فيتمتع جنسيًا بها، لكن بعد تمتعه بالجنس ينام، يتعب، يقوم يغتسل، زوجته تقول له: تعبانة، تطبخ له وتخرج منها الرائحة، انتبه في واقع، ربما يشتهيها وهي في المطبخ فيأتيها لحديث النبي صلى الله عليه وسلم: **(من رأى مثلما رأيت فليأت أهله فإِنَّ الَّذِي مَعَهَا مِثْلَ الذي مَعَهَا)**، وحديث أم سلمة رضي الله عنها في صحيح مسلم.

فالواقع له ظروفه، ربما ينام مع زوجته وعليها رائحة البصل، نعم مطلوب منها أن لا تكون كذلك، لكن قد

يقع عليها وقوعًا سريعًا في هذا الباب، لا تتحضر له أو في أوقات لا تترقب منه هذا الفعل، ثم بعد ذلك يتعب وقد يأتيها في أوقات معينة، مثلاً الجو حر أو الجو برد، فهذا الفعل الفطري الملاقاة، المعاشرة الزوجية، يقع ضمن ظروف واقعية يضغط على هذا الجمال مُذهبًا لبعضه، لكن في الحالة الذهنية هذه الظروف الواقعية لا وجود لها؛ فتبقى حالة الجمال صافية، حينئذٍ؛ يتشوف المرء لحالة الجمال أكثر من الحالة الواقعية وهنا مكمن المرض، انتبه إلى هذه النقطة دائمًا إياك والخيال، ما الذي يحدث؟ الذين يتعاملون من الرجال والنساء في العلاقات من خلال وسائل الاتصال، يحدث أن هو يرسل لها بيتًا من الشعر لمجنون ليلى، هي المسكين زوجها يعود تعب ومرهق ولا يحفظ بيتًا لشاعر، وذاك سرق بيت الشعر ينقله من الديوان، فهو لا يحفظ ويقول لها: أنظري... ويرسل لها بيتًا من الشعر؛ فهي تطير، ويعطيها من الجماليات ما لا يمكن تخيلها ولا تراها من زوجها، لأن الزوج مسكين يعمل ويتعب و... إلخ، في واقع كما شرحت لكم.

فما الذي يحدث؟ يحدث أن ترتقي صورة الغائب كثيرًا في ذهن المتحدث مع المرأة إلى أن هذه المرأة أجمل وأحلى وأذكى وأفضل وأقوى وهي: «Superwoman»، المرأة الخارقة في كل شيء، هكذا يصنعها الخيال؛ لأنها مصنوعة من الكلمات، وأما المسكينة أم محمد التي تجلس عنده فهي لا شيء، من هنا تنشأ العلاقات المحرمة وتدمر البيوت بسبب النظر إلى الخيال وعدم إدراك الواقع، هذه مصيبة وطامة، وهب أنه تزوجها، يعني جيد انتهينا إلى نهاية شرعية، تزوجها، بعد ذلك ماذا؟ كل هذا الخيال الذي كان يكتب انتهى على عتبة أول ليلةٍ في داخل البيت، فيرى هذه كزوجته وبعد ذلك ينتهي الزواج سريعًا، ولذلك عامة صور الزواج التي تنشأ بهذه الطريقة وتكون هناك زوجة له أو كذا؛ فتنتهي بالطلاق والاحتقار والسِباب، وهو يتصور أنه كانت تقول معه هكذا، وتقول مع غيره هكذا إلى غير ذلك، خاصةً إذا كان سببًا لتخبيب الزوج على زوجها والزوج على زوجته، **(لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبب امرأةً على زوجها)**.

فالصورة الذهنية دائمًا أجمل، وإياكم وإياها، دائمًا تأمل الجمال وهو بين يديك، زوجتك هذه المسكينة الطيبة التي تكون تعبة من أجل أن ترضع ابنك، ابنك هذا، أنت الذي أتيت به، هي مسكينة خرجت من ولادة مرهقة، بعد أن أرضعت وتأكل من أجل أن ترضع ابنها سَمُنت قليلاً، وأنت كذلك أيضًا سمنت، أصلاً أنت سمين قبل، وأنت ترى منها واقعها؛ فعليك أن تتأمل جمالها في هذه الحالات، والغائبة تمثل لك صورة ذهنية، لكن إذا وصلت إلى الحقيقة كانت أسوأ بكثير، نحن نتكلم عن الجانب الخُلقي، أما الجانب المادي فهو

كذلك فهذا وهذا واحد، لكن تصل إلى درجة السوء الخُلقي بالنسبة لنظرتك إليها، ونظرتك إلى زوجتك نظرة امرأة صالحة، تَبِرُك وتحسن إليك وترعى أولادك وتحافظ على بيتك، لكن هذه المرأة التي قدمت إليك، هذا الجانب الخلقي غير موجود، ثم يتحول الجانب المادي إلى هذا يشبه هذا ولا فرق.

فمن هنا الخيالات تدمر الواقع، ومن هنا تأتي هذه الوسائل المفسدة والمدمرة لنفسية الإنسان وواقع الإنسان وحياة الإنسان، نسأل الله عز وجل أن يرحمنا برحمته، حافظوا على أبنائكم، حافظوا على أنفسكم، استغفروا الله وتوبوا من المعاصي، وحاولوا أن تراقبوا أبنائكم وأن تعلموهم التقوى والدين وأن تعظوهم، وأن لا تجعلوا رحمتكم بهم بإعطائهم وسائل الاتصال والجوالات رحمة وودًا لهم لأنها سببٌ لفسادهم وتدمير حياتهم، هذه حياة غدًا زواج وأولاد وبيت.

بارك الله فيكم، الحمدالله رب العالمين.

٣٥٠- كلمة عن الأسئلة الواردة على الفيس بوك

ضمن الجلسة التاسعة والعشرون، بتاريخ: (١٧/٠٦/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٥/٠٣/٢٠١٨ م)

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى صحبه الغر الميامين وعلى من تبعهم بإحسانٍ وهدى وتقى إلى يوم الدين، جعلنا الله عز وجل وإياكم منهم آمين، آمين.

عُدنا أيها الإخوة الأحبة مع الإجابة على أسئلتكم المتنوعة، والعّودُ أحمد.

وفي الابتداء: الإخوة جميعًا وأنا أولهم نقدم الاعتذار الشديد للإخوة في هذا التأخر، والسبب كما تعلمون هو ما حصل من اضطراب وتعب بسبب إلغاء المواقع والملاحقة التي لوحق بها الإخوة، ولوحقت الإصدارات كذلك، فالمرء اضطرب يُنزل الأشياء أو لا ينزل، يسجل الأجوبة أو لا يسجل، فإذا سجلناها ماذا سيكون؟ وهل ستلغى؟ فلذلك تأخرنا في الإجابة على كثير من الأسئلة خلال هذا الشهر الذي وقع فيه هذا الاضطراب وهذا التأخر، فتوقفت التسجيلات، وكذلك تنزيل المواد المتعددة، وحتى هذا أثر على الدروس وأثر على الأجوبة وتنزيلها. فقط أردت أن أخبر الإخوة أن هذا ليس إعراضًا عن إجابة الإخوة وليس ترفعًا عن أسئلتهم، لكن أريد أن أخبر الإخوة أن الأسئلة الآن كثيرة جدًا التي هنا، ولا نستطيع أن نعيد إيجادها ونعيد تسجيلها مرةً أخرى، ولذلك نعتذر من الإخوة لأن الأسئلة التي وقعت سابقًا الكثير منها ربما ضاع وذهب، ولذلك ليعد الإخوة إلى تسجيل أسئلتهم مرةً أخرى في المواقع التي يعرفونها، وسيتم إن شاء الله الإجابة بقدر الاستطاعة، لا نستطيع أن نجيب على كل الأسئلة المطروحة، ولكن نحاول أن نجيب:

أولاً: على ما نستطيع أن نجيب عليه.

ثانيًا: ما يتسع له الوقت أو ما يستحق الإجابة عليه وما هو مهم.

ولذلك أحببت أن أقدم هذه الكلمة ليراجعها الإخوة ويزيلوا العتب من قلوبهم على الإخوة القائمين على هذه الأمور، والإخوة ولا شك أنهم قد تعبوا تعبًا شديدًا ليس من عانى مثل هذه الأمور يعرف مقدار المشقة في

التسجيل، المشقة ونحن لسنا في مكانٍ واحد، المشقة في تنزيلها ثم تُلغى بسهولة، فوقع هذا الأمر علينا بطريقة جديدة وبطريقة مفاجئة وبالتالي؛ وقع ما وقع.

فنرجو من الإخوة هنا نقول أول شيء: أن يعذرونا وأن يسامحونا. النقطة الثانية: حفظكم الله وهي أننا لا نستطيع الآن أن نسجل جميع الأسئلة التي تقدمت، الآن صار لنا شهر تقريبًا لم نسجل وبالتالي؛ الأسئلة كثيرة جدًا، والعودة إليها صعب وبالتالي؛ أيها الإخوة الأحبة نريد لمن عنده سؤال أن يعيده من جديد ولا بأس ونحن إن شاء الله نقوم بمتابعته بالطريقة الصحيحة، جزاكم الله خيرًا وبارك الله فيكم.

ونحن نقول للإخوة الذين عندهم سعة وعلم واطلاع في إدارة مثل هذه الأمور: أنه إذا نزلت المادة يقوم بتسجيلها، يقوم بتنزيلها عنده والحفاظ عليها حتى يكون هناك أكثر من مكان في الحفاظ على المواد، وقد كان بفضل الله عز وجل، لكن نحب من الإخوة كثيرًا أن يقوم بهذا الأمر وأن يهتموا به حتى تتم الفائدة لو طلب أخ شيئًا أو طلب أناس بعض المواد، تقدم إليهم بسرعة من طرق متعددة؛ لئلا نحصر ويقع في ذلك الإشكال الكبير، نسأل الله عز وجل أن يكون فيما نقول فيه النفع للأمة وأن يغفر لنا ذنوبنا، وما كان لله دام واتصل وما كان لغير الله انقطع وانفصل، اللهم ارحمنا برحمتك.

جزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

٣٥١- سنة الله في رفع مقادير الدعاة وسقوطهم

ضمن الجلسة التاسعة والعشرون، بتاريخ: (١٧/٠٦/١٤٣٩هـ **الموافق لـ: ٥/٠٣/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

السؤال: عن سنة الله عز وجل في رفع مقادير العلماء والدعاة وسقوطهم وانتشار أسمهم ثم غيابه.

جواب الشيخ: أولاً: هناك قواعد قدرية يجب على الأمة أن تعلمها، وهذه كما هي في الأشياء تكون في المعاني، وقوانين الأشياء في أغلبها هي قوانين المعاني. ومن ذلك مثلاً: نعلم أن الأشياء القيمة تزداد قيمتها مع الزمن، والأشياء التافهة ربما تتلاشى قيمتها مع الزمن، الشيء العتيق تزداد قيمته إذا كان في ذاته القيمة، يعني الآن لو وجد رجلٌ قطعة ذهب قديمة تكون فيها قيمة متعددة، قيمة الذهب يبقى كما هو، وقيمة القِدم لما رسم عليها؛ فيصبح ثمنها عاليًا جدًا أكثر من ثمن الوزن الذهبي لها.

مثلاً: نحن نعلم أن المسك تكثر قيمته وتزداد مع الزمن، يصبح عتيقًا، والأشياء تذهب، فالناس يعرفون قيمة الطيب إذا وضعت الطيب فطالت مدته، يقول لك: هذا طيبٌ أصلي، لكن الطيب المزور تضعه لثانية فيطير ويذهب، وهكذا المعاني، نجد أن الزبد يذهب جفاء.

والزبد أيها الإخوة الأحبة فيه ميزة ينبغي أن ننظر إلى التمثيل في صورته التامة في هذا الباب وإن كان المعروف بأن التمثيل يكون جزئيًا، ولكن هنا نرى أن التمثيل يكاد يكون متطابقًا في كل جوانبه، عندما يقول الله عز وجل: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾ [الرعد: ١٧]، الزبد هذا له خاصية، وهي: خاصية الظهور والارتفاع، وظاهرة الخفة، أول شيء أنه فوق، يكون فوق، ويكون فقاعة كبير ضخم مع الفراغ والخواء الداخلي، فإذن مع الفوقية فيه تيه، وفيه الخفة، وفيه الفراغ، ومع ذلك هو ظاهر، وفيه نوع جمال، ولذلك الأطفال يلعبون في فقاعات الزبد، عندما يأتون بالصابون ويخلطونه ثم يأخذونه فينفخونه ويطير هكذا بالون كبير ثم ما أن يصعد قليلاً في السماء حتى ينتهي إلى لا شيء.

فهذا الزبد يغر الأطفال، ولكن هو فارغ، وإن كان له الحجم الكبير كالطبل، تعرفون أن الطبل الكبير فراغه أكثر من الطبل الصغير، ولكن صوته أكبر، فكلما ازداد فراغًا زاد صوته وارتفع، فهذا من قيم الحياة في الأشياء،

وهذا في المعاني كذلك، هذا في المعاني يوجد.

من قيم الحياة الربانية هو ما تقدم من قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧]، بما فضل العلماء شأن التراب على شأن النار؟ قالوا: لأن النار من صفتها الخفة وإن كانت حارقة وقوية، لكن من صفتها الخفة والصعود إلى السماء، ومن شأن التراب أن ينزل إلى الأرض لأنه ثقيل، فقالوا: انظروا إلى الخفة دائمًا طائشة، وإلى الثقل دائمًا أنه يميل إلى التواضع وإلى البقاء في الأرض، ومن هنا ترون السنبلة حين تكون فارغة، رأسها فارع إلى السماء صاعدة فإذا امتلأت بالقمح، بحبات القمح؛ ثقلت ونزلت إلى الأرض.

كم مضى في هذا التاريخ البشري من الذين ملأوا الدنيا وشغلوا الناس؟ هذه كلمة قيلت في المتنبي كما تعلمون، قيل عن المتنبي: «ملأ الدنيا وشغل الناس»، وفي مرات كثيرة يصعد نجم رجل، فالعبرة بما يقدم من علم، ربما يصعد لأنه يسرق أنظار الناس لا بعلمه، ولكن لشيءٍ آخر، الناس يحبونه كما يحبون الأزياء، الآن لو أننا أحضرنا اليوم في هذا الوقت ما كانت تلبس النساء من الزينة التي تتفاخر بها قبل ستين سنة؛ سيضحكون عليها، لماذا؟ لأنها زينة تتغير، في وقتها كان يدفع لها الأموال، والنساء يتزين بها ويفتخرن بها، واليوم لا قيمة لها.

وبعض الناس يتعامل مع العلم والدعوة إلى الله عز وجل يتعامل تعامل أصحاب الزينة مع هؤلاء يحبون الشيخ الممثل، يحبون الشيخ الذي يحسن الزينة، فيسرق الناس لكن لا يسرق عقولهم، لا يُنشئ علمًا، لا يغير سلوكًا، لا يغير أثرًا في الحياة، لكنه يسرق الأبصار، النساء يتبعنه، لماذا؟ لأنهن يرونه شابًا جميلًا يستطيع أن يُضحك، شيخ ينكت، شيخ يأتي بغرائب القصص؛ فالناس يميلون له، قصص! ما أن تنتهي حتى لا تبقى منها أي معرفة، مجرد قصة لكنها تمتع الناس، فيصبح صعود هؤلاء بهذه الموازين، ثم بعد ذلك عندما تنتهي هذه الفقاعة الكبيرة تنتهي إلى لا شيء، فراغ، طبل عندما تضع يدك فيه تخرق فبعد ذلك ينتهي الصوت، في الداخل لا قيمة ولا شيء.

المشكلة الكبرى في زماننا قد تفاقمت، هذه مشكلة قديمة موجودة في البشرية، من أسباب ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣]، قالوا: بأن قريش أرادت أن تتكلم بحديثٍ فيه قصص الأولين، وتسرق أتباعها وأبناءها في أسماعهم من أجل أن لا يسمعوا للنبي صلى الله عليه وسلم، فالله عز وجل نزل أحسن الحديث، هو

حديث لكنه أحسن الحديث، ففي كل زمن توجد هذه الظاهرة، ظاهرة الفقاعة، سواء كانت في العلوم، سواء كانت في الشخصيات، سواء كانت في الثقافة، لكنها في زماننا أشد، لماذا؟ لأن الشُهرة اليوم والنجومية صناعة، وصناعة متقنة جدًا، جدًا، وهذا ترونه في الانتخابات.

ذكروا عن رئيس أمريكا أنه كان مقعدًا، فلو أن هذا الرئيس في ذلك الوقت قديم، أظنه فرانكلين روزفلت، هذا كان مقعدًا، فتصور أن يخرج للمجتمع الأمريكي أمام التلفاز اليوم وكذا يخرج لهم رئيس مقعد هل ينتخبونه؟ لسطوة الإعلام اليوم يمكن إبراز شخصية مجنونة، أنه أذكى الناس وأنه الفيلسوف، وبسبب القوة الإعلام يمكن طمس أعظم الناس وأكبر الناس وتسويقه أنه من أخس الناس وأجهل الناس وأقبح الناس، الإعلام اليوم مملكة، سلطة، تسمى عندهم بالسلطة الرابعة، أي بعد سلطة التشريع والتنفيذ والقضاء، قالوا: السلطة الرابعة، وهذا غير صحيح، اليوم في الغرب وفي بلادنا سلطة الإعلام هي السلطة الأولى التي تسيطر على الفكر والذهن والعقل، وهذه السلطة بلغ أصحابها من القدرة والعلم والفنون ما لا تتصورونه.

ولذلك أحدهم ألف كتابًا سماه «قصف العقول»، بمعنى أن الإعلام يقصف العقول، وذكر قصصًا كثيرة في المجتمع الأمريكي، وهذا ليس خاص بأوروبا، صحيح أن الإعلام في أوروبا وأمريكا أكثر من بلادنا، لكن كذلك في بلادنا ما زالت الإشاعة والإعلام له دورٌ كبير، يرسمونه رسمًا في صياغة الرجل وتعظيمه أو إسقاطه، ومن ذلك الشيوخ، عندما تكلم ابن حزم رحمه الله عن ظاهرة المذاهب الأربعة لماذا انتشرت، قال: بأن انتشارها له ارتباط بالسلطة السياسية، -بغض النظر عما قاله- ولكن هذا يدل على أن السلطة تستطيع أن ترفع، تستطيع أن تطمس. مثلاً: عندما تكون هناك محطة تلفزيونية مُتابعة سياسيًا والناس تتابعها، ثم أنت تقحم شخصية فيها تخرج عليك رغم أنفك في كل يوم لتتحدث وتفرضها، وبعد ذلك من خلال الصناعة وبعض التزويقات والمكياج يذكر عنها الغرائب والعجائب وو... إلخ.

اليوم أذكر لكم شيئًا غريبًا مثلًا رغم أنه غباء ومن السذاجة أن يذكر، لكن انظروا لا تظنوا أننا خارج سياق التأثير، نحن الذي نتكلم عن سلطة الإعلام وسلطة الصناعة أننا خارج هذا الإطار، أننا فلتنا من هذه السلطة، لا لم نفلت، لما كنت في السجن هنا في الأردن اجتمع الإخوة فقالوا: فلان، ذكروا رئيسًا أو شبه رئيس أو ابن ملك أو ملك بأنه يتكلم ذكيًا، يتكلم بانبهار وبأنه لا يتتعتع، ويتكلم هكذا كأنه يقرأ مع أنه لا ينظر إلى ورقة،

بل ينظر هكذا وهكذا أمام جماهير، فهم قالوا: انظر هذا رجلٌ ذكي لأنه؛ يتكلم، قلت لهم: يا مساكين –وهذا شيءٌ ساذج– قلت لهم: هنا موجود لوحة، اليوم لوحة من الجهة الأخرى لا تراها إلا زجاجًا وهو يراها شاشة، هكذا ترفع أمامه هنا وتوضع أمامه هنا وهو ماذا يقرأ، يفعل هكذا وهكذا، ينظر إلى الناس، هو لا ينظر للناس هو ينظر إلى اللوحة، الناس ينظرون إلى اللوحة من الخلف لا يرونها إلا زجاجًا، وهو يراها لوحة فيها الكلام المكتوب، ويتدرب عليها قبل الخروج ويقرأها مرتين وثلاث وأربعة.

وأظن أن هناك قصة شهيرة في بريطانيا اسمها خطاب الملك، كان هناك ملك عندما صارت مشكلة في أستراليا عندما كانت خاضعة للتاج البريطاني، فالملك طُلب منه أن يخرج بخطبة فهو يتتعتع لا يستطيع، فدربوه شهورًا على هذه الخطبة حتى خرج وتكلم بها، التدريب ثم التقطيع وهكذا، وهذا يتكلمون عن كلام قبل سبعين سنة أو ثمانين سنة أو مائة سنة. اليوم الصورة هي صناعة، الخِطابة صناعة، التسويق صناعة، وبالتالي؛ بعض هؤلاء المشايخ كمكياج المرأة؛ يخرج متزينًا بمكياج جميل، حافظ لنص من النصوص فيلقيه، والنص ربما يكتب أمامه وأنت لا تراه، أنت تراه يتكلم وهو يكون قد حضر المادة أمامه على الشاشة التي ذكرناها، هذا إذا كان يخطب في أناس قد حضروا، في أناس حاضرين، أما إذا كان يتكلم فقط أمام الشاشة فيضعون له المونيتور وهو الشاشة التي تنقل الكلام وفيها الكلام.

فالقصد: هؤلاء مثل المكياج، المكياج لا يطول، مثل الكحل لا يبقى طويلاً، فبعد مدة قصيرة يحتاج إلى مجدد وثم يُنتهى منه كالمنديل، كما قال الحسن البصري عن الخلفاء: أنهم يريدون أن يتمندلوا بنا، يتمندلوا أي يتخذونا مناديل يمسحون بنا أيديهم، فإذا مسح به رُمي وانتهى، فتبقى هذه في قضية من يصنعه، فبعد ذلك يوضع كما لو جئت إلى قطعة حديد فدهنتها دهنًا سريعًا ليس أصيلاً، فبمجرد أن تطلع الشمس عليها؛ يخرج هذا الدهان، يزول، أو يتغير لونه لأنه ليس أصليًا.

فبالتالي؛ هذه الظاهرة هي ظاهرة الشيخ النجم وظاهرة المشايخ الذين يظهرون، أول شيء: هذه من ابتلاء الله عز وجل لهم، الله عز وجل يبتليهم فيعطيهم الفرصة ليقولوا الحق، وبعد قول الحق فيه الابتلاء، والابتلاء يصنع الإيمان، الابتلاء والصبر في الابتلاء يصنع الحقائق، وهنا تأتي كلمة سيد رحمه الله: «كأن كلماتنا كالدمى، حتى إذا نفخنا فيها من روحنا صارت حية بين الناس وسرت روحًا بين الناس»، وإما أن ينزل، يسقط.

وهنا شيءٌ عجيب رأيته في حكمة الله عز وجل وهو: أن الذي يعادي الله عز وجل، ويتكلم باسم الله، ويخون هذه الأمانة يسقط سقطات؛ يكتشفه الطفل الصغير، سألني ابني قال لي: كيف يقول الشيعة هذا؟ قلت له: يا ابني والله إن هذا من انتقام الله لأوليائه، لا تتصور أن رجلاً يسب الصحابة رضي الله عنهم ثم يتركه الله عز وجل دون أن يقول كلامًا مجنونًا يضحك عليه الصبية الطرق وأطفال المدارس، لا يمكن، ولذلك انظر للشيعة يقولون كلامًا تتعجب!! والله الكفار لا يقولونه، ولو عرض على أكفر الكفار في أوروبا لاستهزئ به وضحك منه، فكيف يقولونه هؤلاء المعممون؟! لماذا يقولونه؟! الله عز وجل يضلهم، يصنع في داخل عقولهم الجنون ليقولوا كلامًا ممسوخًا؛ انتقامًا لأوليائه.

ولذلك أعجبني تفسير من فسر لما ذكر الله عز وجل قتلى ابن آدم لأخيه، فقال سبحانه وتعالى في الأولى: ﴿فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٣٠)﴾ [المائدة: ٣٠]، ثم لما ذكر أمر تعليم الغراب له قال تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (٣١)﴾ [المائدة: ٣١]، هنا ﴿يَا وَيْلَتَا﴾ بكاءً على عقله أنه لم يبلغ مبلغ الغراب، الذي قال الناس فيه إذا أرادوا بيان ضلال الناس قالوا: يكفي أن دليله الغراب؛ «إذا كان الغراب دليل قومٍ فما على القوم إلا الرحيل» أي الغراب لا يصلح للدليل، ومع ذلك صار الغراب أكثر عقلاً وفهمًا منه، فقال تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (٣١)﴾، الأولى خسر أخاه، الثانية ندم على ذهاب عقله، خسر عقله فندم على أن المعصية تؤدي إلى هذا الذهاب العقلي.

فلما يرفع الله عز وجل شيخًا من الشيوخ فيجعله إمامًا لأعظم بيتٍ في الأرض وهو البيت الحرام، ثم يُبتلى فيقول كلامًا ينكره كل من سمعه ينكره، وأما من يطلقه من الطواغيت والمجرمين فينظر إليه نظرة الضاحك، انظر إلى هذا المسخ كيف يتعلم، يعني الحال انظر إلى الطفل الصغير يأخذ اللعبة التي تشتغل تعرفونها بالزنبرك، فيأخذها الطفل فيملأ الزنبرك ثم يضعها فهذه اللعبة تضرب الطبل، ترقص، تتحرك، ماذا يفعل الطفل؟ يضحك، وهكذا من أطلق هذه الدمية الشيخ ليقول مثلاً: «إن ملكنا والرئيس ترامب قطبا السلام في العالم»، بالله عليك ماذا تظن في هذا؟ تجزم أن الله عز وجل سلبه عقله وأسقطه، خلاص، هذا الدين لو أن رجلاً بيت في السحر أن يكذب على النبي صلى الله عليه وسلم لأصبح الناس يقولون: فلان كذاب، مع هذا الدين لا

يوجد محاولة للتلاعب، هذا الدين لا ينفع معه التلاعب.

أنت ارتفعت بهذا الدين فعليك أن تدفع الثمن، إن عجزت عن قول الحق ما مشكلة، لكن لا تقول الباطل، إياك، وأنا أقول لكم كلمة: والله لبيع الشيخ الخمر في الطرقات والله لأهون عند الله عز وجل من أن يرتقي المنبر فيتكلم باسم الله عز وجل كلام الباطل، أهون بكثير، لأن كلام الباطل يزور الدين، ويقع في قوله تعالى: ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٢٨)﴾ [الأعراف: ٢٨]، وقد جعل الله عز وجل هذه المرتبة بعد الشرك كما في سورة «الأعراف»، وأما بيع الخمر فهو معصية لكن أن يقول على الله ما لا يعلم هذا شأن إبليس، وبالتالي؛ هؤلاء حين يقولون الباطل يسقطهم الله عز وجل، يذهبون كأوساخ في مجاري التاريخ، هم أرادوا السمعة؛ فالله عز وجل عاقبهم بقبيح السمعة لهم، ولا تبقى منهم إلا أثارهم القبيحة، ولا يذكرهم الناس إلا بالشر، ولذلك لا تعجب بأن يسقط هذا الرجل، أنا أتكلم فقط عن شيخ طاغوت، وأتكلم كذلك عن بعض الذين ينتسبون إلى الإسلام من الدعاة.

مثلاً: أنت تجد رجل يقول عن ابن الزبير رضي الله عنه: أنه ابن متعة؛ فيخرج منه الكلام مما يسقطه عند أطفال طلبة العلم، عندما يقول: وأنا أريد أن أبحث ربما الأوزاعي قد كفر، هذا الله عز وجل يضله في أصغر القضايا لئلا يبقى به مغتر، حتى الأطفال يكتشفون أنه ضال، هذا الدين لا ينفع معه إلا أن تنام، حين تنام وأن تستفيق حين تستفيق وقد أخلصت مع الله عز وجل، إن خنت كشفك الله سبحانه وتعالى وعراك، تريد الستر أجلس في بيتك، لا تشتغل في الدين، لا تتاجر في الدين، مع الدين ما في إلا تجارة الحق، تجارة الباطل تنبُذك، هذا الدين كماء زمزم لا يقبل الغريب، لا يقبل الأجنبي، هذا الدين ينبذ الباطل، ينبذ الكذابين، ينبذ الذين يخونونه، هذا الدين لا ينفع معه إلا من يحبونه.

وبالتالي؛ أنا أقول لبعض الناس الذي يريد أن يشتغل في إسقاط أحد الناس: أنت مسكين إن كان مع الله عز وجل؛ فمحاولتك لإسقاطه رفعة له، «وإذا أراد الله نشر فضيلةٍ طُويت أقام لها لسان حسود»، يعني لو كان هذا الرجل الذي أنت تقوم وتريد أن تسقطه بين الناس، هب أن بينه وبين الله عز وجل علاقة طيبة، والله سيكون ما تقوم به سببًا لرفعته ولشهرته ولحب الناس له، لماذا؟ لأن الله عز وجل نادى في السماء، ينادي جبريل إني أحب فلان فأحبه، ثم ينادي جبريل في أهل السماء، ثم ينادي في أهل الأرض فيحبونه رغم أنفك، وإذا كان

هذا عدوًا لله عز وجل، فوالله لو اجتمعت الأرض بأركانها على أن يجعلوه عظيمًا في أعين الناس لن يكون.

ومن أعجب ما في سنن الله عز وجل أن الله عز وجل يسلط على العبد، ما باع دينه من أجله، أنتمْ ربما سمعتم كثيرًا من الشيوخ الذين باعوا دينهم لغير الله عز وجل؛ فالله سلط عليهم الطواغيت الذين باعوا دينهم لهم بأن سلطهم عليهم، فعاقبوهم، ورموهم، وتركوهم، والأسماء كثيرة في هذا في عصرنا، أنهم أحضروهم ليرفعوهم ثم رموهم بعد الفراغ منهم، وقد سلط الله عز وجل عليهم الطواغيت من أجل أن يذلوهم ولو كانوا مع الله عز وجل لنصرهم والله وهم في السجون.

ومثلاً: لننظر إلى سيد قطب رحمه الله، انظروا هذه الحرب عليه، ومع ذلك يزداد تألقًا بين الناس وحضورًا بين الناس، كم من الحروب شنت عليه، إلى الآن يسبونه، كلما سبوه كلما ازداد حب أهل الإيمان له، وأهل الدين له. لا تعارض الأقدار عندما تتعلق هذه الأقدار بالحب الإلهي والبغض الإلهي، من أبغضه الله عز وجل لا تمشي معه، خف أن ينزل العذاب عليه فيصيبك معه، وإذا رأيت أحدًا مع الله عز وجل فلا تخف أن تكون معه، أن ينزل عذاب الأعداء، ولا تقول: أنا لا أريد أن أمشي معه لئلا يصيبني مما يصيبه من الأعداء، لا، الله عز وجل يرفع من يشاء، وبالتالي؛ أنت لا تهتم بهذه القضية، نعم أن ترد على الباطل بالعلم هذا حق، لكن أن يكون شأنك أريد أن أسقطه، أريد أن أذله، أريد أن أبيّن للناس، هذا ليس من فعلك، اتركها لله عز وجل هذه قاعدة من قواعد القدر التي ينبغي أن تفهمها.

فلذلك سؤال الأخ حين يقول: أننا نرى بعض المشايخ يشتهرون ثم يذهبون، هؤلاء شيوخ الموديل، شيوخ الموضة، ولا ينشرون علمًا، ويبدأ الكلام عليهم بشدة، اتركوهم، سيأتي القدر الإلهي الحاكم عليهم إما بالرفعة والبقاء وإما بالذلة والمهانة والإبعاد، هذا يكفي في هذا الباب والله تعالى أعلم.

جزاكم الله خير والحمد لله رب العالمين.

٣٥٢- الانتكاس والمشايخ الجدد

ضمن الجلسة التاسعة والعشرون، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٦/١٧هـ الموافق لـ: ٢٠١٨/٠٣/٥ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل عن انتكاسة بعض المشايخ في تغير اتجاهاتهم، حيث كنا نرى منهم السنة والدعوة إليها، والدعوة إلى اتباع السنة والتزامها سلوكًا وعملاً، ثم رأينا منهم تغيرًا حيث بدأ التحلل من هذا الهدي الظاهر ومن الدعوة إليه.

جواب الشيخ: في الحقيقة أيها الإخوة الأحبة تأتي هناك هبات -لا بأس من الحديث بشيء من الاختصار وشيء من التفصيل بحسبه- تأتي هناك هبات إيمانية يقدُم الناس فيها على طاعة الله عز وجل، وترتفع دعوات الإيمان والالتزام بالسنة في بلدٍ من البلاد أو في مجموع بلاد من البلدان؛ فيلتزم أهلها بالسنة ويبدأ الدعاء ويتحدثون بنفسٍ عالي وبقوة، وربما ينشأ هؤلاء المشايخ في بيئة فيها الالتزام بالسنة بجهةٍ من الجهات وتوجه من الحالات، ولكن هؤلاء لا يُأصلون علميًا ولا يكون عندهم الالتزام مُرسخًا، ففي هؤلاء لا بد من الفتنة، كما قال الله عز وجل: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢)﴾ [العنكبوت: ٢]، فلا بد من الفتنة، وهذه الظاهرة ليست جديدة هذه في كل البلاد، نرى هناك فترات فيها إقبال الناس على الدين والتزام بالهدى الظاهر، حضور الجماعات، الكلام عن الجهاد، فترتفع نفوس الناس في هذا التوجه، ثم تأتي فتنة ما وشدة على هؤلاء المؤمنين فيبدأ التراخي وتبدأ الفتاوى بالتميع والتغير.

وهذه ظاهرة موجودة، رأيناها في بعض البلاد حيث كان هناك الدعوة إلى الالتزام في حرمة بعض الأمور كالغناء، كظهور النساء كاشفات لوجوههن، كموضوع الاختلاط، فترى الناس يتكلمون فيه بشدة ويعيبون على مجتمعاتٍ أخرى فيها مثل هذه المعاصي، وبل رأينا بعض المشايخ يُعظم دين أهل بلده لأنهم يلتزمونها ولا يرضى إمامًا مثلاً يأتي من تلك البلد التي فيها هذه المعاصي ليؤم في بلده، وهذا كان موجودًا في الجزيرة، بأنه لو جاء شيخٌ شامي مع أن هذا التعميم خطأ ولكن وجدت هذه الظواهر، أنه إذا جاء شيخٌ شامي إلى من الجزيرة فإنهم يرفضون إمامته؛ لأنهم يعتبرون أن هؤلاء فيهم تميع في الدين، في الالتزام من جهة السلوك مثل الاستماع للغناء، مثل تبرج النساء كما يسمى ككشف الوجه، فنجد هذه الأمور تتغير عندما يتغير التوجه، وتبدأ الفتنة

والتمحيص في داخل هذا البلد، هذه فتنة إلهية من أجل أن يبيّن ربنا عز وجل لكل امرئٍ ما في قلب المرء حقيقةً يراه في عينه، فهذه ظاهرةٌ من الابتلاء يسقط فيها من يسقط، ويفسد فيها من يفسد، وينجو فيها من ينجو.

وكان الناس يعظمون الفتوى القادمة مثلاً من الجزيرة ويرونها فتوى لا هوى فيها، لا دخل للحكام فيها، فيها الالتزام بالسنة، فيها دين لمن يتكلم لوجود سمت السنة الظاهر، واللباس السني، وتحجب النساء، فكان في ذلك الرفعة لهم، الله عز وجل جعل لكلام هؤلاء المشايخ في هذه البلدة القبول والرضا، ثم جاءت هذه الفتن الآن؛ فرأينا التساقط ورأينا السكوت، كانوا يعيبون على البلاد التي يدفع الناس ثمن تدينهم الدماء والشنق، والآن هم يسقطون نفس سقطات هؤلاء المشايخ في قضية الإسلام الرسمي المناصر لنظام الدولة مع خروجه عن هذه الشريعة، مع أنه خارج في الابتداء، لكن العيون كانت ضعيفة في اكتشاف هذا، إذا أحسنا بهم الظن وأخرجناهم من داعية الهوى، لكن الآن تبيّن أن الهوى متحكم في القلوب ومستحكم في عصب هذه التجمعات العلمية التي سكتت عن إجرام طواغيتهم، والمسألة ليست الآن في البحث عن أدلة في جواز الغناء وأدلة في كشف الوجه، كانوا يرفضون الحديث فيها لأن البلاد تجري على نسقٍ معين من العرف، اليوم يكذبون ويقولون: نريد أن نبحث المسألة بحثًا علميًا.

هذه هي التي قال عنها زاهد الكوثري: «أن اللامذهبية قنطرة اللادينية»، هذه اللامذهبية عدم الالتزام بمذهب البلد، عدم الالتزام بالمذهب الذي كان يقول بحرمة الغناء وحرمة كشف الوجه وحرمة الاختلاط إلى غير ذلك، كان هذا هو المذهب، الآن يريدون اللامذهبية، يريدون دراسة هذه المسائل على وفق الهوى الجديد وليس الأدلة الجديدة، على وفق رغبة السلطان الجديد وليس على وفق الأدلة التي ظهرت لهم، فهذه حقيقة هي قنطرة اللادينية، يريدون إخراج الناس من الدين باسم الدين، وهذا هو أخطر ما في الموضوع.

رودينسون كما ينقل عنه جمال الدين الأفغاني كما نقله تلميذه محمد عبده قال: «إن أفضل طريقة لتدمير الدين هو الدين نفسه»، أفضل وسيلة لتدمير الدين أن يستخدم الدين لتدمير الدين، هذه هي اللامذهبية قنطرة اللادينية، كان الناس على طريقةٍ من الهدي الظاهر والشريعة الملتزمة، والآن فتحوا باب الاجتهاد من أجل أن يخرجوا الناس من الدين. سألني أخ قال: في بلدنا ألزموا القاضي بالتفريق بين الرجل وزوجته إذا كرهته الزوجة،

هل من ذلك أدلة؟ قلت له: بمجرد البحث الأدلة هو ضحك على الذقون، لأنه بهذا الاتجاه الذي يمشي الآن ليس المقصود به اختيار الأدلة لحل مشكلة اجتماعية ما، لا، إنما هو حمل للمجتمع من أجل أن يصبح كالمجتمع الغربي وهو إعطاء المرأة حق الطلاق، وهذا ليس من حقها في الشريعة، الطلاق حق الزوج، ومن حق القاضي حين يكون الزوج فاسدًا ومعضلاً وظالماً، ولكن ليس من حق المرأة، الآن هذا التوجه هو إعطاء حق المرأة الطلاق، يعني هو حمل المجتمع المسلم لأن يتشبه بالمجتمع الكافر الغربي، لا تنظر إلى القضية عندهم أنه هو بحث في الأدلة، التنقل بين الأقوال لموافقة ما يوافق الغرب هذه الزندقة، هذه التي قالها العلماء: «الأخذ بذلة كل عالم زندقة»، خروجٌ من الدين.

وبالتالي؛ انظر إلى هذا الشاب -لا أريد أن أذكر اسمه لوقاحته وسفالته- كان سلفيًا يحرم الغناء، سلفيًا يحرم تقليم اللحية، وسلفيا متشددًا في وضع اليدين على الصدر، وو...، والآن بقليل من المال تحللت كل هذه العقد، فصار الغناء حلالاً! وصار الجلوس مع النساء المتبرجات هذا من هدي النبي صلى الله عليه وسلم!! وصار ترك الالتزام من الهدي الظاهر من الشيء العادي الذي يتبع العرف!! يعني بالعامية: «ولك يا وقح كنت تسب على مشايخ البلاد مثلاً مصر أو كذا، أنهم أهل تميع وأنهم لا دين عندهم ومشايخك يقولون هذا، فالآن ما الذي عدا مما بدا، كما يقولون».

وبالتالي؛ هذا الذي نراه هو فتنة من أجل أن يصبح الناس كما في الحديث (**يصيروا الناس إلى فسطاتين**)، ينكشف، خلاص، وحصل ما في الصدور الآن، هذه الفتن تحصل ما في الصدور، أخرجتهم، أنظر إليهم، جاء السيسي فمشوا وراءه، هددهم بالعصا فرقصوا كما ترقص القرود، وغدًا يهز لهم الجزرة فيبشون ويأتون ويقعون أمامه ينتظرون الأوامر، كما تنظر القروض لسيدها، هذا التخفيف من الالتزام بالسنة ليس بسبب الدليل؛ لأنه لو رجل يأخذ من لحيته بسبب الدليل لا يهمه الناس ولا يهمه، هذا عنده ما في مشكلة، لكن أن يأخذه تقليدًا للغرب! وأن يأخذه تحت سطوة سيده الدنيوي وطاغوته المادي! هذه هي الجريمة.

رجلٌ يرى أن كشف الوجه جائز كما هو مذهب بعض الأئمة، هذا له ذلك، ما أحد يجبره عليه، ولكن أن يصبح لأن سيده أمره هذا الذي ذكرناه في خبرٍ آخر الذي يضع القرش -تعرفون الآلات هذه ذكرتها أكثر من مرة- الآلات التي يوضع فيها الدرهم والدينار فتتحرك وتلعب، فبعض الشيوخ هكذا يوضع فيهم الدينار والدرهم

فيتحرك ويرقص على ما يريده سيده، على إيقاع سيده، على من يدفع له، هذا التخفف من الالتزام بالسنة الآن، من الالتزام بالهدي الظاهر، هذا الذي نراه هو تخفف من الدين، هذا لا يفعله من يصلح إمامًا، الإمام هو الذي لا تغيره الأهواء ولا تصده عن دينه المصائب والمشاكل، بل كلما جاءت المشاكل والمصائب والبلاء كلما ازداد تصلُّبًا في دينه.

والناس الآن في أمرٍ عجيب!! ترى في المساجد أن أقرب الناس إلى حضور صلوات الجماعة هم عوام الناس، والمشايخ يتخففون في الصلاة في بيوتهم، والقادة يتخففون في صناعة الجماعة في بيوتهم وفي مراكزهم، كحسينيات الرافضة، العوام تراهم يلتزمون بالسنة والقادة يتخففون منها، كلما ارتقى المرء كلما تخفف في دينه، هذه البلد التي كان علماؤها يحكم الناس عليهم بعدم اتباعاهم للهوى في الفتاوى والتزامهم بالسنة، اليوم انظروا إليهم ماذا يقولون!! سقطوا، ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (١٨)﴾ [الحج: ١٨].

فهذه دعوتي لأهل العلم من الشباب وللدعاة بمزيدٍ من الالتزام في السنة في وقت الفتن، مزيد من الصبر في وقت البلاء، واليوم يدفعون الملايين من أجل حرف الشريعة، الآن توجد في كل لجنة اسمها لجنة محاربة الإرهاب؛ لطرد الموظفين الذين يتهمون بالفكر التكفيري، تعرفون معنى الفكر التكفيري؟ الآن الذي يكفر اليهود والنصارى الآن صار تكفيري! الذي يكفر الزنادقة تكفيري! الذي يكفر تارك الصلاة تكفيري! صناعة ممنهجة لمشايخ جدد مفحوصين، قبل مدة انتشرت صور لمشايخ دورات التسامح الديني، الذي يعطيهم المحاضرات خبراء لـ «C. I. A» السي أي أيه، خبراء غربيين يدرسونهم هذا، الآن إياك عندما تسمع كلمة من الشيخ على المنبر فعليك أن تتأمل من أين صدرت هذه، بالفعل صار المرء يذهب إلى المسجد يوم الجمعة ويسمع الخطيب فيتعجب!!

فمثلاً: الآن عندما يأتي شيخ ويقول لك: إن الرافضة أشد علينا من اليهود، هذه كلمة لو قيلت في الفضاء العلمي البريء ربما يكون لها صحة، ربما تكون صحيحة، يعني من غير ظروفٍ مشبوهة، لكن عندما تعلم أن هذه الكلمة يسوقها طواغيت بلاد العرب المجرمين من أجل الصلح مع اليهود تحت باب العداء الإيراني، من أشد أعداءنا اليهود أم الرافضة؟ والله كلاهما شر، هذا ذئب وهذا ذئب، وربما هذا الذئب أهون، ولكن لك خطٌ ثالث، هذه الثنائية بين اليهود وبين الرافضة هذه ثنائية الشياطين، هناك خطٌ ثالث وهو خط الإسلام لا مع

هؤلاء ولا مع هؤلاء، لكن هذه الكلمة الآن عندما تسمعها على المنبر تعلم أن وراءها صياغة جاسوسية خبيثة يراد منها الصلح مع دولة المسخ الكيان اليهودي، تحت باب غطاء قتال الروافض، الزنادقة.

انظر، صرت الآن تذهب إلى المسجد وتدقق في الكلمات، ومن لم يفعل ذلك غبي مع الاعتذار، من لا ينتبه إلى ما يقال في الإعلام من المشايخ هذا غبي، هذا لا يدري ماذا يصنع وراء الكواليس من ألفاظ وكلمات وعبارات يُعلمها هؤلاء للمشايخ، فيخرج المشايخ من وراء الكواليس، لا يستطيع أن يخرج إلينا القس ولا يخرج إلينا ضابط السي أي إيه جيمس وتوني وإيف، لا يستطيع هؤلاء أن يصعدوا إلى المنبر؛ فأخذوا مشايخ المنبر ولقنوهم وأصعدوهم المنابر، يخرج إليك الشيخ ليقول: قال الله، قال الرسول، ويُشيء الدين، ما معنى يُشيء؟ يعني يجمعونه شيئًا فشيئًا على وفق شكلٍ جديد، أي الرأس موجود لكن الرأس موضوع بدل القدم، والقدم موجودة لكن موضوعة بدل الرأس، هكذا الإسلام يصبح مشوهًا، لا يرتب الترتيب الرباني، لا يقدم الدين على كل شيء، لا تقدم الآخرة على الدنيا، وإنما تقدم اللذة تحت باب المصلحة، فقه المصلحة، أنا صرت أتأمل هذه الكلمة مع أنها كلمة قيلت لظرفٍ ما وتحاسب عليه، ولكن حقيقة هذه اللامذهبية قنطرة اللادينية، هذه اليوم تتخذ للاجتهاد من أجل تمرير الزندقة.

الاجتهاد وزعم فتح باب الاجتهاد من قبل هؤلاء، يذهب طالب العلم إلى الجامعة، فالشيخ يقول له: أنا لا أحترم الأئمة الأربعة ولست ملزمًا بما يقولون!! فماذا تريد أن تقول؟ تقول له: الأئمة الأربعة، تقول له: الاجماع، يقول لك: لا أعترف إلا بإجماع الصحابة، تقول له: الصحابة قالوا كذا، يقول لك: هذا أنت فهمك له!! انظر وبعد ذلك ماذا تريد أن يقول؟ يريد أن يقول: بأن اليهود والنصارى ليسوا كفارًا!! وأن تسمية الديار بدار حرب ودار كفر ودار إسلام هذه تسمية حادثة فقهية وليست من الدين في شيء، انظر لهذا الاجتهاد الذي فُتح لمثل هؤلاء الجهلة، وهم زنادقة مأجورون مشايخ يدفع لهم، والكثير منهم سقطوا.

ولا تقل لي: سلفي وغير سلفي، هذه انتهت، هذا الدكان انتهت هيبتها، هيبة الدكان السلفي والدكان الصوفي هذه دكاكين انتهت هيبتها، الشيخ الصوفي الآن يتحرك بـ «سي أي إيه» والشيخ السلفي يتحرك بـ «سي أي إيه» كلهم الآن في داخل الحظيرة، بلا شك أتكلم عن الظواهر وليس عن كل الأمة، وليس عن كل المشايخ، بفضل الله عز وجل هناك في الأمة الكثير من المشايخ الذين يقومون لله عز وجل كما ينبغي من عبادته

وطاعته وتبليغ أمره والنهي عن المنكر، لكن عليك أن تحذر، عليك أن تلاحظ في الشيخ كيف يتغير كيف تتغير كلماته، كنا، وصرنا، وجهلنا، وكبرنا، وصار هناك لا بد من الحكمة، وكلها خدمة من أجل تمرير الكفر على بلادنا، وتمرير الزندقة في بلادنا، وصناعة الانحلال في نسائنا وفي أبنائنا.

المعركة كبيرة أيها الإخوة الأحبة، هذه التي تُسمى مراكز نشر الاعتدال، هذه مراكز نشر الزندقة والكفر والردة، أمتنا معتدلة، أمتنا مظلومة، ولا تحتاج إلى السلام الذي يفرضونه عليها، وأمتنا يبغضها الغرب فلا نحتاج إلى من يريد أن يسّكن غضبنا على أعدائنا، ولذلك الذين ينساقون وراء هذه الدعوات من المشايخ هؤلاء أهل ردة، كل شيخ يُعلم أنه يجلس في هذه المجالس وينفذ رغباتهم ولو زعموا أن لها من الأدلة الشرعية، هذا لم يلتزم بالشرع، لم يخاطبك؟ لأن الله عز وجل قال! هو خاطبك لأن سيده الدافع له والذي عينه في المنصب والذي اشتغل معه ويذهب إلى حفلات السفارة في إفطار رمضان يذهبون يجمعون هؤلاء المشايخ في الحفلات، ويأخذونهم في الرحلات ويعملون لهم الدورات وراء الكواليس، ويبشون في وجوههم، وإذا وجدوا الشيخ المتدين احتقروه وسبوه.

فالقضية ليست قضية لحية طويلة ولا امرأة تتحجب، القضية قضية تغيير معالم الدين كله حتى يصبح خاضعًا لمثل هؤلاء الشياطين، وهم عندنا يمارسون هذا، وكيف يمارسونه؟ كيف يربون أولاد اليهود في فلسطين؟ كيف تربي الصحافة الغربية المجتمعات الغربية بنظرتها إلينا؟ هل تعرفون هذا؟ افتحوا أذهانكم: يربونهم على تمام الحقد علينا وكرهنا وبغضنا واحتقارنا، ويُعلمون أن دمنا لا يساوي شيئًا، حاخاماتهم يقولون من الكلام الذي لا يمكن أن يتصوره عاقل، ومع ذلك لا أحد يتكلم عليهم! ويرصدون الشيخ المسكين، والله هناك مسجد يمكن لا يصلي فيه عشرين رجل، ومع ذلك يراقب ويعاقب على كلمات يقولها في بغض اليهود والنصارى، فانتبهوا لهذا الأمر، وانتبهوا إلى تحولات المشايخ، فيما يخص كل من يريد -هذه القاعدة- كل من يريد أن يخفف عدائك لأعداء الله فهو وسخ، قذر، عميل، مأجور، وكل من يريد أن يضع في قلبك عداء لهذه الأمة ولجماعاتها وللمسلمين فيها مهما بلغت بدعتهم غير المكفرة فهو عميل، وسخ، قذر، مأجور لأعداء الله، الآن هذا هو الميزان، لا تقول لي، أنا أعلم، لا تدخلني في معاركك الجانبية، أنا أدخل فيها ليس عندي مشكلة مستعد أن أناظر فلان وفلان في أشعرية، في صوفية، في تقليد، في مذهبية، في كذا، كل هذا داخل الإطار الإسلامي، ولكن المسألة الآن المعركة تتعلق بهاتين النقطتين: وهي بغض أعداء الله والتجهيز من أجل الملاحم الكبرى بيننا

وبينهم، وبين محبة المسلمين.

كل من يريد أن يصنع سلامًا بين الحمل وبين الذئب الذي يلغ في دمه ودم إخوانه هذا عدو، وكل من يريد مع هذه النقطة -مع هذه حتى لا يفهم الكلام خطأ- يريد أن يصنع عداء بين المسلمين وحروب بين المسلمين ويشغلك في الحرب تاركًا هذه الحرب التي يخوضها أعدائنا ضدنا، هذا من قبيل استخدام الطريقة البغلية، تعرفون البغل يضعون له على جانبي عينيه واقية لئلا يرى إلا ما هو أمامه، أما الجوانب فلا يلتفت لها، الموضوع ليس موضوع تخفف من السنة، الموضوع أخطر من ذلك بكثير، هو سلب معالم القوة في هذا الدين، سلب معالم تميّز هذه الأمة وعزتها وكرامتها وانتصارها، اللهم ارحمنا برحمتك، والحمد لله رب العالمين.

٣٥٣- الواقع لم يعد يحتاج إلى تنظير

ضمن الجلسة التاسعة والعشرون، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٦/١٧هـ الموافق لـ: ٢٠١٨/٠٣/٥ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل ويقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته -وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته- شيخنا الحبيب وإمامنا الغالي -أكرمك الله، جزاكم الله خير- تعلم أن الموعود الإلهي اقترب وأن قدره في أن يرث الأرض عباده الصالحون صار قاب قوسين أو أدنى -بإذن الله عز وجل- فمن ترى نبدأ به طواغيت العرب، أهل الرفض والشرك، الروم، المنافقون، الشيوعيون؟ أم أن هناك من هو أخطر من هؤلاء جميعًا، وبه نبدأ؟ في النهاية نحن في امتحان وحسن العمل المطلوب ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧].

جواب الشيخ: الجواب أيها الأخ الحبيب كان هذا السؤال مطروحًا قديمًا بمن نبدأ؟ ودخلت الجماعات في خصومات متعددة في هذا الباب، وتعرفون قبل أحداث «١١» سبتمبر كان هناك التأصيل لكثير من الجماعات بأن العدو القريب أولى من العدو البعيد، ثم جاءت أحداث سبتمبر قافزة بمثل هذه الجماعات التي كانت تهتم بمثل هذه القاعدة إلى ضرب أمريكا وإحضارها إلى المنطقة وصناعة واقعٍ جديد، نحياه الآن، نحيا أثاره وكذلك تداعياته.

فهذا السؤال الآن أعتقد بأنه متأخر وأنه غير ذي أهمية، والسبب؛ بأننا اكتشفنا من خلال الواقع بأن هذه الأسئلة تُغيب الواقع، الفقه ينبغي أن يُبنى على الواقع؛ بمعنى أن لا نأتي بأسئلة فقهية لنصنع واقعًا يلائم هذه الأسئلة، وهذه قضية معروفة حتى لدى المبتدأ من طلبة العلم، ليس مطلوبًا بأن تحقق الشرط في كثير من الأمور، الشرط من أجل أن تحقق الحكم، أي ليس مطلوب منك أنت أن تملك نصاب المال من أجل أن تُزكي، كأن تقرأ الزكاة فتقول: أنا أريد أن أزكي فلا بد أن أملك نصاب المال؛ فتذهب من أجل تحصيل نصاب المال فتزكي، هذه الطريقة يعرفها طلبة العلم أنها غير صحيحة.

فالذي أقوله: بأن الكثير من الناس يحاول أن يصنع الواقع من أجل أن يطبق حُكمًا لديه في ذهنه، الحكم موجود، ولكن لا يجوز أعماله إلا على واقعٍ يلائمه، هذه قضية من مقدمات الفقه والنظر، قالها ابن تيمية، قالها

ابن القيم، قالها الشاطبي رحمهم الله: أنه أولاً يجب عليك أن تعلم الواقع كما هو، أولاً الواقع، من خلال معرفتك للواقع وعلله، والعلل المؤثرة فيه؛ تبحث عن الفقه الملائم له، هناك أناس لا، تهمهم مسألة فقهية فيصنعون واقعها في أذهانهم ويلبسون هذا الذهن لواقعٍ يخالفه من أجل تطبيق الحكم الشرعي الذي في أذهانهم!! هذه الحالة تذكرنا بالبحث عن الجماعات الميتة لنحييها من أجل أن نناظرها، يعجبنا أن نرى معتزلة في واقعنا لنناظرهم، ويعجبنا أن نسمي من ليس معتزليًا أنه معتزلي من أجل أن نُسقط عليه أحكام المعتزلة، مع أنه ليس كذلك.

القصد من هذا: كان ينبغي علينا أن نقرأ الواقع قراءة صحيحة، هل هذه الطوائف المتعددة المعادية للإسلام هل هذه متفرقة أم أنها شيءٌ واحد؟ عندما نتحدث مثلاً عن المرتدين، هل المرتدون في بلادنا شيءٌ آخر غير اليهود؟ هل هم شيءٌ آخر غير العدو الصليبي؟ هل العدو الرافضي شيءٌ آخر غير العدو اليهودي؟ هل هو شيءٌ آخر غير العدو الصليبي؟ يعني هذا اكتشفناه من خلال الواقع وتداعياته السريعة بعد أحداث سبتمبر مع أنه كان البعض يطرح هذا الكلام، لكن لم يكن في مثل هذا الوضوح، بأنك حين تقاتل دولة من دول الردة فأنت لا تقاتلها لوحدها، إنما ستقفز كل الدول الصليبية من أجل القضاء عليك، وتحاول كل هذه الدول الصليبية أن تقف أمام مشروعك في القضاء على هذه الحلقة من حلقات الردة.

والآن الذين يقاتلون دولة إسرائيل، هل يقاتلون دولة إسرائيل حقيقة؟ انظر:

وَسِوى الرومِ خَلفَ ظَهرِكَ رومٌ فَعَلى أَيِّ جانِبَيكَ تَميلُ

مثلاً: الآن إخواننا في غزة يقاتلون اليهود، من في ظهرهم؟ من الذي يضربهم ويطعنهم في الظهر؟ دول الردة، ليست دولة، بل دول الردة، عندما تقاتل أنت في ليبيا من أجل إقامة حكم الله من الذي يقاتلك؟ فلذلك محاولة الفصل بين هذه الجماعات كطوائف كفرية ومعادية للإسلام وجزر مفترقه غير متصلة هذا فهمٌ غير صحيح، الواقع بأنك لا تستطيع أن تقاتل دولة حتى تقاتل معها مجموعة من المعادين للإسلام.

فالآن من الذي يقاتل في سوريا؟ انظر، أهل الإسلام قاموا ضد مرتد وزنديق، نصيري ومرتد حتى لو زعم أنه سني مع أنه نصيري، فجاء من يكفر النصيرية وناصروه جاء الروافض وناصروه، جاءت روسيا الأرثوذكسية وناصرته، بل الغرب يسعى بعدم فتح مجال لتقوية الطوائف المجاهدة بالسلاح، الغرب كله يمنع سقوط هذا النظام الآن، السقوط الذي يتمناه أهل الجهاد، ليس السقوط على معنى معين، أن تسقط الدولة بيد ردةٍ جديدة

ملائمة للغرب، ومتمالئة معه، لا، بل السقوط الذي يتمناه أهل الجهاد بأن تصبح هذه الأرض أرض الخلافة، أرض الإسلام، وأن تصبح هذه الدار دار إسلام؛ فلذلك هذا التفريق ينبغي أن يتلاشى من أذهاننا.

انظروا إلى الإخوة في اليمن: الطائرات الأمريكية تقصفهم، أهل الردة يقتلونهم، الزنادقة يقاتلونهم، الكل يتمالأ عليهم، وهذه حقيقة، والآن الطوائف الصغيرة في داخل العالم الإسلامي تتناصر فيما بينها ضد الأكثرية وهم أهل السنة، انظر إلى التناصر الرافضي النصراني في لبنان، هذا الالتقاء، وهذا الاتفاق، لماذا؟ لأنهم وهم طوائف صغيرة يقسمون التركة، فالكل يطمع بأن يكون له نصيب من قطعة الجبن، لكن لو جاءت الأكثرية وهم أهل السنة وسيطروا؛ فهؤلاء لا يكونون إلا خدم وتبع وهم يعلمون هذا، وبالتالي؛ يتناصرون ضد مشروع أهل السنة، الطوائف الصغيرة هذه الخبيثة التي طوال مسيرة التاريخ كانت خنجرًا مسمومًا في خاصرة الأمة، وبعضهم أدخلها تحت باب القومية والوطنية والكلام الفارغ هذا الكفر والشرك، أدخلوهم إلى أن يكونوا هم القادة من خلال الأحزاب القومية البعثية والناصرية وغيرها.

فالقصد أيها الإخوة الأحبة بالنسبة لهذا السؤال: أنت الآن تقاتل الجميع، يجب عليك أن تفهم هذا، هل تتصور إذا قام الجهاد الآن في فلسطين بأن الغرب سيسكت؟! لا، والآن ما الذي يمنع قيام الجهاد في فلسطين؟ الغرب الصليبي وطوائف الردة، وبالتالي؛ بمن نبدأ؟ هذا السؤال لم يعد موجودًا، وهذا له فهمٌ آخر غير ما تقدم من الكلام وهو أننا اكتشفنا بأن مشروع الدولة الواحدة هو مشروع الأمة جمعاء.

وكان من الأخطاء التي وقعت فيها كثير من الجماعات وهي اختيار دول لها تسميات متعددة بحسب الطوائف وحسب الجماعات، كان لها اختيار لدول معينة يستصلحوا موطئ قدم لقضية المسيرة الإسلامية، كانت هناك دول توضع كدول للاختيار، الدول التي تصلح فيها قواعد معينة كافية بأن تكون منطلقًا لبقية الدول، واستبعاد بعض الدول لأسباب، إما أسباب أنها صغيرة غير مؤثرة فلو حتى انتصر فيها المسلمون وصارت دولة مسلمة فإنها لا تؤثر؛ وسيؤدي إلى القضاء عليها وخنقها، ودول استبعدت لوجود ظروف معينة؛ مثلاً: أنها دول لا يمكن القيام فيها بسبب أوضاع خاصة بها، فمن غير ذكر أسماء لو تذهب إلى الطوائف والجماعات سواء الجهادية أو السياسية أو الإصلاحية تجد أنها وضعت في أذهانها دولاً تصلح للاختراق، تصلح للتغيير، والتي دون استبعدتها، في الحقيقة تبيّن أن هذا المفهوم وهذه الخطة فاشلة، تبيّن أنه لا يمكن أن نحل مشكلة دولة

واحدة أو حلقة من حلقات الردة لتكون هي منطلق لبقية الدول، لا يمكن أن تعيشها حتى تعيش بقية الدول هذا الظرف، وهذا الواقع يشهد له، فالآن الاهتزازات كاملة.

ومن هنا فالذين أرادوا منا في وقت من الأوقات أن يكون هناك فقط الجهاد في فلسطين، هؤلاء أخطأوا البوصلة، وأنا قلت أكثر من مرة: بأن التوجه إلى حل القضية الفلسطينية مباشرة سيؤدي إلى القنوط واليأس؛ لأنه لا يمكن أن تحل هذه القضية لوحدها دون النظر إلى بقية شبكة القضايا المتعددة للعالم الإسلامي، القضية الفلسطينية هي عرض المرض وليست المرض نفسه، وبالتالي؛ الذي قدره الله عز وجل برحمته وبحكمته وبعلمه وهو فوق كل ما اختارته الجماعات، وهذا يدل على أن البشر ضعفاء، وينبغي على الجماعات أن ترى هذه التغيرات من أجل أن تحضر نفسها فيها، لا أن تبقى حبيسة لكلمات قالها المؤسس أو قالها الشيخ أو أنها اجتهدتها في ظرف معين ثم تبيّن خلافها.

مرةً زارني بعد السجن مجموعة من حزب التحرير، جاؤوا يهنئون، فقلت لهم سؤالاً وإن كان رفضوا الإجابة، وقالوا: نحن جئنا للزيارة، ولكن ما زال السؤال قائمًا، وأنا كما تكلمت عن الجماعات الجهادية لما قالت العدو البعيد والقريب، وتبيّن أن هذا تنظير، اختيار دول معينة دون بقية الدول تبيّن أنه تنظير، الواقع خلافه، وبمثل هذه الجماعات انظر إلى الأمة كيف تتغير وتتحول ومع ذلك هناك من الجماعات كحزب التحرير مثلاً ما زال يتمسك بطريقته في إقامة الدولة وجعلها دينًا لا يجوز مخالفته إلى ما تعلمون في ذلك، ليس هذا الحديث عنهم وعلى الخصوص في كل القضايا، لكن هكذا كما يقول الناس: راكب رأسه، ويريد أن يسقط الواقع وأن يحشر الواقع على شيء معين، كما يضرب مثل في ملك ظالم كان عنده سرير فيأتي بالمذنب فإذا كان الرجل أطول من السرير قطع رجليه، وإذا كان أقصر من السرير مدوه حتى تتفسخ أجزائه ليملأ السرير، وبعض الناس يتعامل مع الواقع وفقه الحياة بهذه الطريقة، الواقع يتغير وهم يقيمون «مقيمٌ ما أقام جوشب» كما قال الشاعر، مقيم لا يتغير أنا هنا، والفقه تبع، الفقه وأحكامه تبع للواقع، هو شيء من الواقع.

ولذلك الآن نحن الذي نراه بأن العالم الإسلامي كله يقوم وبالتالي؛ كله يتجه إلى حل القضايا الإسلامية كلها في كل البلاد، قد ترى أن هذه مشكلة في هذا البلد لكن ليست مشكلة في هذا البلد، هذا غير صحيح، نعم هذه البلدة اختارها الله عز وجل لتكون، بغير فهم، نحن لم نفهم، إلى الآن لا نفهم كيف قام ما يسمى

بالربيع العربي في تونس، ثم كانت مصر، ثم كانت ليبيا، ثم كانت اليمن، ثم صار في سوريا بمثل هذا الحال، أن يقوم الجهاد في بلاد الشام في سوريا الشام على مثل هذه الحالة هذا اختيار رباني ليس باختيار الناس، ولو كان بمقدور الناس لما قام الجهاد في الشام، القبضة الأمنية والحال الذي وصل إليه الناس في الشام لا يعطي أي مبشر لقيام حالة جهادية في الشام، وأسمع الآن من بعضهم يقول: بأن الثورة المضادة انتصرت، غباء، مع الاعتذار وهذه ربما تصيب بعض الأخيار، لكن خطأ ليس صحيح، ما زلنا نحن في أول الطريق، الطريق قادمة هذا الجهاد سيكتسح، هذا الجهاد سيمشي.

فبالتالي؛ حين نرى الحال الجهادية متقدمة في هذا البلد لا يعني أنها ميتة في الأخرى، لا، الحالة الجهادية الآن تسري كالنار في الهشيم في داخل الأمة، لكنها متقدمة في هذه المنطقة ومتأخرة في هذه، حتى تصل إلى حالة من الاستواء والنضوج؛ لتسقط الثمرة، فسترون الخير الكثير، هذه الأماكن هي صناعة ربانية، الحالة الأفغانية لم تمت، الحالة الأفغانية تطورت، الذين يظنون أن الحالة الأفغانية حالة فاشلة هؤلاء بحاجة إلى إعادة النظر، الحالة الأفغانية حالة انتصار عظيم والدليل أنها تحولت من جمرة ملتهبة في مكان إلى أن هذه الجمرة تشظت حتى عمت المنطقة، وبالتالي؛ المنطقة قليلاً، قليلاً، هناك بلاد القش فيها رطب فالجمر لا يؤثر فهي الآن تنشف، هذا القش ينشف، يستوي والجمر سيشعله، هذا الفساد الذي يضرب في البلاد، كان الناس يترددون في الحكم على حكامهم بالردة، وأنهم لا يردون دين الله، انظروا إلى الجزيرة لو قامت حالة جهادية لأنكرها تسع أعشار المسلمين، لأنهم يرونها دولة مسلمة وليس في حكامها ما يعيب، انظر الآن إلى الفساد وإلى كذا، انظر إلى عين الله عز وجل إلى هذا البلد، الله عز وجل يحب الإعذار فلو قامت حالة جهادية الآن في الجزيرة العربية لمدحها تسع أعشار الأمة، كما لو أنها قامت قبل خمس سنوات لوقف ضدها تسع أعشار الأمة.

إذن الأمور تمشي بسرعة، وكلها مؤذنة إلى هذا الحال الذي يمشي إلى قدر الله عز وجل، تحبه أو تكرهه حر أنت، لا تريده، تريد أمانًا زائفًا كما يضحكون عليك، الأمن والأمان، يضحكون عليك بهذه الكلمات، أنت حر، تبكي على ما يجري في هذه البلد لأنك تحزن، الله عز وجل هو الحكيم، لا يخيفه موت الناس، الناس سيموتون، هذه البيوت ليست لها قيمة عند الله عز وجل، خراب المزارع في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ليس له قيمة عند الله عز وجل، المزارع تخرب فتأتي كنوز كسرى وقيصر إلى المدينة، لكن الناس جهلة مساكين، الأطفال يموتون، كان الناس والأطفال يموتون في الحراقات، تسمعون بالحراقات في السفن الصغيرة التي كانت

تهاجر من شمال أفريقيا لأوروبا، يموتون، وهذه الأمم فيها الملايين، ومع ذلك هذا زرع الله عز وجل، لا يستطيعون حصده بل الله عز وجل هو الذي يحصد زرعهم، هم يزرعون ويزرعون؛ يموت زرعهم.

القصد من هذا: -على هامش الحديث- بأن الواقع كله ينتفض ليس هناك منطقة، بدأ في الأطراف في أفغانستان والآن بدأ يمشي إلى المركز، إياكم واليأس، أحد المشايخ حفظهم الله قال لي: ألا ترى أن الجهاد في بلاد الشام وصل عنق الزجاجة، قلت له: لم أظن يومًا من الأيام، -خوذها- لم أقع في وهم الظن بأن الحركة الجهادية في بلاد الشام ستنتصر دون تغير ظرف المنطقة كلها، لم أقل هذا يومًا، وكل من يحيط بي من الإخوة يعلم هذا، أن انتصار الحالة الشامية سيكون متوافقًا مع تغير الظروف الإقليمية في المنطقة، وهذا قريب لا تستعجلوا.

وبالتالي؛ هذا الجهاد بوصلته رغم أنوفكم لمن لا يريدون لجهاد بلادهم أن يكون حركة أمة للجهاد كله ولتغيير المنطقة كلها، لأن بعض الناس مساكين يقول لك: أنا أريد جهاد على قياسي يغير بلدي فقط، بعض الناس هكذا، لما تقول له: هذا الجهاد سيغير المنطقة، يقول لك: دع عني سأدفع أنا ثمن تغير المنطقة، ستدفع الثمن رغم أنفك، لأن هذا ثأر رباني، أصلاً من الذي أقام الجهاد أنت حضرتك!! فتسع أعشار الناس الذين يقاتلون في بلاد الشام لو خيروا قبل الجهاد وغيرهم في قضية انتخابات تدخل العوام والمساكين والفقراء في مجلس النوائب لاختاروا هذا، الذين ترونه مجاهدين كانوا ضد الجهاد قبل، ضاعوا كثير من التنظيمات في الشام أصلاً لا يرون الجهاد، لم يكونوا يرونه كانوا يسبون أهله، والآن قادة ويصفقون له، ولما قام الجهاد أرادوا تحجيمه وتحجيره بأن يكون خاصًا لمنطقتهم، بمعنى لا تدخلونا في مشاكل العالم، نحن نريد إسقاط هذا الطاغية ونغير الحال ونعيش حُبيّة، هذا هو ظنه، مسكين هذا، فرغم أنفك في الحقيقة ليس لأني أقول، فالقدر لا أصنعه أنا، لا تغضب علي أنا، بعض الناس يقول: انظر هذا يريد لجهاد بلاد الشام أن يحرر فلسطين، رغم أنفي وأنفك هذا، يعني ليس لأني قلت هذا الكلام سيمشي الجهاد في ضمن هذا المساق، نعم المنطقة ستتحول.

فبالتالي؛ كل هذه الأسئلة لم تعد موجودة، أرجوكم إخواني الواقع الأمني لم يعد يحتاج إلى تنظير، انتهى هذا الدور، هذه حالة طفولية صغيرة، لما أنا أتذكر على أيام الشباب لما نجلس نفكر في كيفية إقامة تنظيم، وماذا تضع له من الأطر؟ وكيف تقرأ الواقع؟ كل هذا انتهى، الآن أنت أمام الفعل، أدخل في الفعل، أنت الآن في

داخل هذا البحر، هذا النهر العظيم الرباني في تغيير الأمة وقلب المنطقة رأسًا على عقب، أنت فيه، غير من ذهنك، انظر إلى الواقع افهم على الله عز وجل، كما تفهم عن الله عز وجل شرعه، افهم عن الله عز وجل قدره، فقط هذا الذي أقوله في هذا الباب.

بارك الله فيكم وجزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

٣٥٤- رأي الشيخ بأحمد أمين وكتبه

ضمن الجلسة التاسعة والعشرون، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٦/١٧هـ الموافق لـ: ٢٠١٨/٠٣/٥ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل عن كتب أحمد أمين وخاصةً الكتب التي تتعلق بالتاريخ الإسلامي: «فجر الإسلام»، «ضحى الإسلام»، كذلك «ظهر الإسلام» و«يوم الإسلام».

جواب الشيخ: في الحقيقة الذين تكلموا عن أحمد أمين تكلموا عنه بعدة مستويات، أول شيء: أحمد أمين هو خريج أزهري، أخذ العالمية من الأزهر، للذكر، فثقافته الدينية تؤهله أن يتكلم عن الإسلام أكثر مما تكلم غيره، وبعد ذلك أخذ جهة الأدب فحتى سُمي بـ «مالك الحزين»، يلقبونه بـ «مالك الحزين»، وله احترام في الأوساط الأدبية، ألف كتابًا عن واقع التغيير والإصلاح، سماه «زعماء الإصلاح في العصر الحديث»، وكتابه هذا عليه ملاحظات كثيرة جدًا، والآن لا أريد أتكلم عن هذا الكتاب.

أحمد أمين أريد أن أتكلم عنه على مستويين:

المستوى الأول: على المستوى الشخصي، الالتزام الديني الشخصي.

المستوى الثاني: الالتزام العلمي في كتبه.

حسين أحمد أمين هذا ابنه له كتاب اسمه «شخصيات عرفتها»، وفضح فيه والده، وذكر فيه ما قاله الأستاذ محمود شاكر عنه أي عن حسين أحمد أمين، حسين أحمد أمين صاحب كتاب الذي ناقشته في مشروع «ألف كتاب قبل الممات» وهو «دليل المسلم الحزين»، وكلمة الحزين هنا لربما استقاها من وصف والده «مالك الحزين»، مالك الحزين هو إحدى طيور النهر طويل وله ساقان طويلان ومشهور ومعروف بلقب مالك الحزين.

فهذا الكتاب وبلا شك أنه كتابٌ فاجر، أقصد كتاب حسين أحمد أمين، ولكن في كتابه «شخصيات عرفتها» تكلم عن لقائه مع محمود شاكر وكيف تكلم عن والده، لأن محمود شاكر لا يحترم حسين، لأنه عبد ومستأجر للمستشرقين ويسير على منوالهم في هدم الثقافة والتاريخ الإسلامي، بل أشد من ذلك، كتابه «دليل

المسلم الحزين» أشد مما قاله محمود شاكر عنه وكذلك عاب على والده، أي محمود شاكر عاب على أحمد أمين أنه كان باستطاعته أن يكون صوتًا قويًا في مقابلة المستشرقين فيما تحدثوا به عن التاريخ الإسلامي والدين الإسلامي، لكنه آثر أن ينساق وراءه، وهذا حكمه الصحيح، في أن أحمد أمين في كتبه هذه تكلم كلامًا فاسدًا عما يعلم أنه فاسد وبالتالي؛ العيب عليه شديد.

الأستاذ مصطفى السباعي عليه رحمة الله في مجلة «الفتح» هذه مجلة كان يصدرها الأستاذ محب الدين الخطيب، تكلم عن أحمد أمين في أربعة عشر حلقة كشف فيها أمورًا خطيرة في كتب أحمد أمين وهي في الحقيقة موجودة، أخطر ما في ذلك أنه سار على وفق منوالي المستشرقين في قراءته للدين وقراءته للتاريخ الإسلامي. تحدث في كتابه «فجر الإسلام» عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة رضي الله عنهم، وفي كتابه «ضحى الإسلام» تكلم عن العصر الأموي والعصر العباسي أو عن شيء من العصر العباسي، وما يهمنا هنا أنه كان متأثرًا بآراء المستشرقين في تاريخنا، الذي تفرغ له الأستاذ مصطفى السباعي رحمة الله في رده على أحمد أمين في موضوع السنة، فإن أحمد أمين شكك في صحيح البخاري، وشكك في أبي هريرة رضي الله عنه، طعن في أبي هريرة رضي الله عنه على طريقة الشيعة، يقول مصطفى السباعي: إن أحمد أمين رجل خطير لأنه يمرر أفكاره بطريقةٍ خبيثة، ذلك بأنه يطعم قارئه السنة ملعقةً، ملعقة، وقليلاً قليلاً دون أن يشعر، أي لا يجابه القارئ كما يجابه المستشرق، ولا كما يجابه الرافضي، بحيث يقدم له الإجرام مرةً واحدة، بل هو يوزعه ويكذب، اتهمه بالكذب –وأرجو أن تراجع وهذه المقالات موجودة في الحقيقة على النت، يجب أن تراجع بأنه يكذب– يأتي بآراء بعض أهل العلم و بأقوالهم ويزورها ويسوقها بطريقةٍ لم يردها صاحبها.

فطعنه في الصحيحين وطعنه في الأحاديث الصحيحة وهذا من شيخٍ أزهري، طعنه في التاريخ الإسلامي وطريقة المستشرقين في إبراز طوائف البدعة، فأحمد أمين يعظم المعتزلة يعظمهم تعظيمًا شديدًا، ويرى أن الأمة لا تنهض وينبغي أن تنهض من خلال فكر وفقه المعتزلة، وهذا طعنٌ شديد، انظر إليه الجمع بين الاعتزال في قضية العقائد وبين طريقة الرافضة في الطعن الصحابة رضي الله عنهم والطعن في الأحاديث والطعن في أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، ولذلك الشيعة يحبونه مع أنهم ينتقدونه، فمحمد جواد مغنية في أصول الشيعة رد عليه، رد على أحمد أمين عندما شكك في المهدي، وزعم بعد ذلك أنه تاب في آخر عمره، على كل حال أحمد أمين لا يحتاج إلى التوبة هو هكذا هو.

وحسين أحمد أمين ابنه يقول: أنه لم ير والده يصلي قط، هذا على المستوى الشخصي، وينتج مثل هذا الزرع النكد من ابنه هو يرى أنه يسير على منوال أبيه وعلى منهج أبيه، فالمهم أنه يقول: بأنه لم ير والده يصلي في البيت قط، لا جمعة ولا صلاة ولا شيء من هذا.

القصد: أن كتبه فاسدة ولا تقدم شيئًا، أي لا تقرأ التاريخ لا قراءة صحيحة ولا قراءة أمينة، فلذلك كتبه بادت وانتهت ولم يعد لها حضور ووجود، كانت في وقت من الأوقات ربما لها حضور وأهمية والناس يقرؤونها، لكنها اليوم ذهبت ولا تعد شيئًا، فلذلك أنا لا أنصح بكتبه لأي مبتدئ ولا لأي محاول للاطلاع على تاريخ أمتنا، فكتبه فاسدة مليئة بالأغاليط التاريخية، مليئة بالأكاذيب، وهذه اتهامات مصطفى السباعي له، ارجعوا إليها، وهي حقيقة في طعنه في السنة وطعنه في الصحابة رضي الله عنهم، في عدم فهمه لأهل السنة والجماعة، ومحاولته إحياء الأمة عن طريق فقه المعتزلة، وهذه القضية تتوافق مع رغبة الغرب في تعظيم الإنسان، تعرفون المعتزلة يعظمون الإنسان مقابل الإرادة الإلهية، فأساس فقه المعتزلة فيه تعظيم للإنسان، وكما قال ابن تيمية رحمه الله: الأشاعرة أقرب إلينا في الإلهيات؛ لأن الأشاعرة يعظمون الله عز وجل، يعظمون إرادته، يعظمون مشيئته، المعتزلة يعظمون الإنسان؛ فلذلك أساس فكر المعتزلة يلتقي وإن هم انطلقوا منطلقات دينية، ولكن يلتقي مع قضية الإنسان السوبر التي انتشرت بأن الإنسان مستقل يستطيع أن يصنع تاريخه وفقهه وحياته ومستقبله بنفسه، فكان يدعو إلى هذا الاتجاه أحمد أمين على كل حال هذا يكفي.

وأريد أن أنبه على أن هذه الفترة عامة من كتب فيها من غير من تكلمت عنهم من أصحاب الحفاظ على الهوية الإسلامية، لم يكونوا على درجةٍ من الالتزام والوعي الديني سواء كان هو أو العقاد أو جمال الدين الأفغاني أو محمد عبده، يعني للأسف كانت فترة عصيبة على الأمة وكان الملتزم فيها كأمثال الشيخ مصطفى صابر الذي كان يحاربهم، ومصطفى السباعي ومحمود شاكر وغير هؤلاء، كانت هذه فترة عصيبة جدًا على الفقه وعلى الفكر وعلى الطريقة الدينية، كان هناك هجوم شديد شرس على الدين من أجل إخضاعه للهزيمة النفسية التي تلقتها الأمة من خلال انهيارها وعدم وعيها على قيمة ما عندها من الخير.

القصد: بهذا الاختصار ولا نستطيع أن نقول أكثر، بأن أحمد أمين أولاً: غير أمين وغير عادل وغير صادق في إحيائه لأمته، في الحقيقة هو يسير على طريقة المستشرقين في هدم تاريخنا وهدم رموزنا والافتراء على عقيدتنا

في موضوع ما ذكرته من قضية المعتزلة وغيرها.

بارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٣٥٥- رأي الشيخ بقصيدة البوصيري

ضمن الجلسة التاسعة والعشرون، بتاريخ: (**١٧/٠٦/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٥/٠٣/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل، يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته -وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته- **ما رأي فضيلتكم في قصيدة البوصيري -المقصود البردة- من الناحية العقدية هل تحتوي شِركًا كما يزعم البعض؟**

جواب الشيخ: هذه قصيدة مليئة بالجماليات، مليئة بتعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وهي البردة والمقصود بأن البوصيري زعم أنه لما قال هذه القصيدة، فيما زعم هل هو زعم بنفسه أم قالوها عنه، على قاعدة: «أن الشيخ لا يطير، ولكن تلاميذه يطيروه»، أنه لما قال هذه القصيدة جاء النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وألبسه بردته.

فهذه القصيدة فيها جماليات، والفوائد فيها قليلة، لا يعني إذا كان الكلام جميلاً أن يكون مليئًا بالعلم، الفوائد فيها قليلة، ولكن الناس يحتاجون إلى بعض الشعر الذي يُترنم به، حتى لو كان قليل الفائدة والمعاني، وهذه القصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، وعرضها أحمد شوقي في نهج البردة:

رِيمٌ عَلَى القَاعِ بَينَ البَانِ وَالعَلَمِ ... أَحَلَّ سَفكَ دَمي في الأَشهُرِ الحُرُمِ

والكثير يترنمون بها ويتغنون بها، وأكثر الناس التصاقًا بها وحتى أنهم يذكرونها كذكر الصوفية، فالصوفية في الحضرة التي يزعمونها ويسمونها الحضرة، وهي بدعية، يقوم أحدهم بتلاوة هذه القصيدة خلال رقصهم الصوفي وذكرهم الذكر المفرد، ولا شك أن هذا من البدع، لا الذكر المفرد ذكر ولا هي ذكر، يعني إذا المرء ترنم بأبيات فيها على معنى الاسترواح فهذا لا بأس.

لكن السؤال هل في هذه القصيدة من الشرك؟ الجواب: نعم، فيها، ففي ظاهر الكلام أن فيها من الاستغاثة بغير الله عز وجل، كقوله:

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به ... سواك عند حلول الحادث العمم

فهو يرى أنه عند وقوع مصيبة يلتجئ للنبي صلى الله عليه وسلم فيستغيث به؛ فينقذه النبي صلى الله منها،

والاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم هذا شرك، النبي لا يُدعى وإنما يُدعى الله عز وجل والآيات الدالة على أن من دعا غير الله عز وجل فيما لا يُدعى فيه إلا الله أن هذا من الشرك، بل إنه استطرد في هذا بحيث دل في القصيدة أنه ما سامه شيء فاستغاث بالنبي صلى الله عليه وسلم إلا وقد استجاب، ندعو له وهو النبي صلى الله عليه وسلم، وكل هذا من الباطل، وفيها من المعاني الباطلة الأخرى كقوله: بأن قسمة الرحمة تكون بحسب المعصية، مع أنه يمكن لبعض الناس أن يتأول تأويلات بعيدة وشاقة من أجل إدخالها في المعاني الشرعية، ولذلك لوجود هذا سواء كان مما يحتاج إلى تأويل شديد وبعيد ومتكلف لإدخاله في المعاني الشرعية، وإما لأن هناك من الألفاظ ما هي شركٌ بحقيقتها، فعندما يقول:

فـــإن مـــن جـــودك الـــدنيا وضـــرتها　　　ومـــن علومـــك علـــم اللـــوح والقلـــم

هذا كلام شاعر، يُعظم النبي صلى الله عليه وسلم تعظيمًا يزيد عن حقه، مع أن حق النبي صلى الله عليه وسلم عظيم، لكن هل النبي صلى الله عليه وسلم يعلم حقًا علوم اللوح والقلم؟! هذا بلا شك ليس صحيحًا، والدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة لما يأتي إلى الحوض من أجل أن يُشرب أمته منه، فتأتي جماعات لتشرب منه فتطردهم الملائكة، فيقول: (**أمتي، أمتي**)، لما فيهم من آثار الوضوء، فتقول الملائكة: (**إنهم ليسوا من أمتك، إنك لا تدري، ماذا أحدثوا من بعدك**)، فالنبي صلى الله عليه وسلم لا يدري ما يجري في هذه الدنيا، ولما استهزأ به من استهزأ أنه كيف هو نبي ولا يعرف أين ناقته؟ لا يعرف أين الناقة! فقال صلى الله عليه وسلم: (**إني لا أعلم إلا ما علمني الله**)، فالنبي صلى الله عليه وسلم لا يعلم كل شيء، فهذا الإطلاق!!

ثم أن الدنيا هل هي من جوده حقًا، حتى الحديث في مستدرك الحاكم وهو حديثٌ باطل: «أن الدنيا ما خلقت إلا من أجل محمد» هذا غير صحيح، الدنيا خُلقت من أجل عبادة الله عز وجل، ومحمد صلى الله عليه وسلم خلق من أجل عبادة الله عز وجل، فهذه الألفاظ الشعراء يطيرون بها وكلما بالغوا ظنوا أنهم أصابوا من المعاني الجميلة، هذا شأن الشعراء في كل وادٍ يهيمون، ويظنون أنه بالمبالغات يحصل الجمال الشعري. وبالتالي؛ هذه قصيدة فيها الكثير من الجماليات ومما يترنم به الناس، ويترنمون به على المعنى الصحيح من الاسترواح، كقوله صلى الله عليه وسلم: (**رُوَيْدَكَ يا أَنْجَشَةُ سَوْقَكَ بالقَوَارِيرِ**)، وفيها لو قلنا ممكن عشر أبيات تقريبًا لو أُزيلت منها فإنها تصلح لهذا الأمر.

بارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٣٥٦- الفوائد المستفادة من آية ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ﴾ [الإسراء: ٢٩]

ضمن الجلسة التاسعة والعشرون، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٦/١٧هـ الموافق لـ: ٢٠١٨/٠٣/٥ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: شيخنا أحسن الله إليكم لو تكلمنا عن الفوائد المستفادة من الآية الكريمة: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩]، ثم تُوجِهُنا حول الادخار في الإسلام ومتى يكون الأفضل للمسلم أن يدخر المال؟ ومتى لا يلام على إنفاقه على أهله أو في سبيل الله؟ وجزاكم الله خيراً.

جواب الشيخ: ابتداءً أنا أقول: أن الإخوة جزاهم الله خيراً يقومون الآن على تصحيح ومراجعة سورة «الإسراء»، وقد تكلمت في هذه السورة بما فتح الله عز وجل عليّ في داخل السجن؛ فإن شاء الله قريبًا تكون بين أيدي الناس، إذا الله عز وجل أكرم الإخوة ووفقهم وأخذ بأيديهم إلى إتمام الأمر، سيتم إن شاء الله طباعتها كما طبع كتاب «فن القراءة» من إخوة قائمين على ذلك حق القيام، فلهم مني جزيل الشكر وبارك الله فيهم.

هذه الآية من سورة «الإسراء» هي ضمن التشريعات الإلهية التي أرست قواعد التعامل، وهي كما تعلمون أن سورة «الإسراء» وسورة «بني إسرائيل» هي سورةٌ مكية، والسور المكية من مهماتها كما قال العلماء ومنهم الشاطبي رحمه الله وقالها ابن تيمية رحمه الله: بأنها أرست القواعد الأخلاقية، القواعد الأخلاقية أرسيت كما أرسى مفهوم التوحيد وأرسيت حقيقة التوحيد في القرآن المكي، كذلك أرسيت قواعد الأخلاق، القيم التي يأمرنا الله سبحانه وتعالى بها.

فمما تكلم ربنا سبحانه وتعالى عن هذه القواعد وعلمنا إياه هذا الأمر: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾، ولا نريد أن ندخل في الجوانب البلاغية فيها وإلى ما تكلم عنه سيد في التصوير الفني في القرآن، كيف تصور ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا (٢٩)﴾، وإنما أريد أن أبيّن على أن هذه الآية في قضية الإنفاق الذاتي، بمعنى: أن المرء في إنفاقه على نفسه يكون معتدلاً، وهذه الآية هي أس أساس الاقتصاد في العالم كله، الاقتصاد كما يقول علماؤنا كما ذكر ذلك

ابن خلدون في مقدمته وهو مذكور عن الأوائل الاقتصاد بمفهوم ماذا؟ ليس بمفهوم الاصطلاح المعاصر أي علم المال وعلم النفقة وعلم التجارة، الآن مصطلح كلمة الاقتصاد هو مفهوم واسع كبير جدًا وهو مفهوم معاصر، وإنما الاقتصاد من القصد، والقصد هو أن تمشي الهوينى لا مسرعًا فتهلك ولا بطيئًا فتدرك، بل تمشي الهوينى بحيث تكون معتدلاً.

والقرآن يقرر هذا أن الاعتدال هو خير للإنسان، فإن الله سبحانه وتعالى قال عن نفسه جل في علاه: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٢٧]، فدل على أن العطاء المطلق بلا قيد يفسد، وكذلك الفقر يؤدي إلى قتل القيم، وأنا أقصد بالفقر؛ الفقر الاجباري، أما الفقر الاختياري الذي يختاره المرء فخيره هو الكفاف، خير مال المرء الكفاف، أن يكفيه وهذه سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وهذه قضية يعني ليس هذا وقت الحديث عنها.

فإذن أنت لا مسرعًا فيؤدي إلى الفساد، الإنفاق الزائد يؤدي إلى فساد النفس، يؤدي إلى الترف، يؤدي إلى فساد الزوجة، يؤدي إلى فساد الأولاد، العطاء بلا تقييد يفسد الأمزجة، فبعد ذلك يصبح تحصيل الأشياء سهل؛ فالنفس تتطلع، والنفس لا تتوقف تطلعاتها وتشوفاتها لا تنتهي، فحيث وصلت إلى مرحلة تطلب غيرها، وهذا في الحديث: (**مَنْهُومَانِ لا يَشْبَعَانِ طَالِبُ عِلْمٍ وَطَالِبُ دُنْيَا**)، ففي كل شيء لا بد من أن تقيد النفس من أن تنساق وراء المطالب البعيدة التي فوق ما أنت عليه، ولذلك قال الله عز وجل قال: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾، فدل هذا على أنه من الأفضل لك أن لا تبسط هذا البسط الشديد لأولادك وزوجتك وبيتك؛ فإنه يفسدك أنت، يفسد مالك، يفسد زوجتك، يفسد أولادك، ويفسد نظر الناس إليك، فلا بد من الاقتصاد.

وهنا الاقتصاد من القصد أن تمشي الهوينى لا مسرعًا كما قلت فتهلك ولا بطيئًا فتدرك، إنما يكون هناك القصد، ونصف المعيشة الاقتصاد، فبعد ذلك تأتي الإدارة، قضايا أخرى، ولكن نصف المعيشة هو الاقتصاد، ألا تقتر تقتيرًا شديدًا.

يُقتّر عيسى على نفسه ... وليس بباقٍ ولا خالدِ
فلو يستطيع لتقتيره ... تَنَفَّس من منخرٍ واحدِ

فهذا بخل، أن يكون عنده المال فيقيد أبناؤه حتى يمنع عنهم الحاجيات، وحتى يمنع عنهم ما يلزمهم في الحياة، لا، عليه أن يكون هكذا وهكذا، والكفاف هو الكفاف، ما معنى الكفاف؟ أن يكفيه، والناس في كفايتهم على نسب متعددة، المريض له كفاية غير الصحيح، والعجوز له كفاية غير الشاب، والمرأة لها كفاية غير الرجل، فالكفاية مسألةٌ نسبية، ولكن لا ينبغي أن تكون إلا مربوطة هذه الكفاية بالعرف، بعرف الناس، لا بد من العودة إلى العرف، (**خُذي ما يَكفيكِ وولدَكِ بالمعروفِ**)، هذا هو العرف.

فلذلك هذه الآية ليست في قضية الإنفاق في سبيل الله والجهاد، فإن النبي صلى الله عليه وسلم علم من أبي بكر رضي الله عنه أنه أنفق كل ماله في سبيل الله، ولم يعيب عليه؛ فدل على أن الإنفاق في سبيل الله عز وجل هذا لا يضر به، وليس ممنوعًا، بل هذا من المكارم ومن المميزات للصالح والعابد، وهو أن ينفق ماله كله من أجل الجهاد، ولكن لا ينبغي أن يترك أهله بلا طعام ولا شراب إلا إذا تعين المال، تعين إنفاق المال عليه، فمثلاً: لو أن رجلاً كان المال الذي بين يديه يلزم في معركة، يلزم في جهاد، والناس يحتاجون إليه، فإما ينفق المال فيقوم الجهاد وإما ألا ينفق فحينئذٍ؛ جاز له أن ينفقه ولو أدى إلى ضرر أهله.

فإذن هذا فيما يتعلق في هذه الآية: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ﴾، المغلولة إلى عنق بمعنى لا يدفع، وهكذا هو مثل البخيل، مثل البخيل في أنه مغلول لا ينفق، والذي ينفق من غير ضوابط إذا جاءه فينتهي به إلى الفقر، ينتهي به إلى الحاجة، ينتهي به كما مد يديه بلا ضابط في الإنفاق أن يمد يديه من أجل التسول، والنبي صلى الله عليه وسلم قال: (**أَنْ تَدَعَ ورَثَتَكَ أغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِن أنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ**)، ولذلك لم يجز في الشرع أن يوصي المرء فوق ثلث ماله كما في حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه. هذا ما يحضر في هذا الباب، ولكن أقيد بأن هذا الموضوع إنما هو في هذه الآية في شأن الإنفاق الذاتي وليست في شأن الجهاد في سبيل الله.

أقول قولي هذا والحمد لله رب العالمين.

٣٥٧- الله عز وجل لا يرضى لعباده الكفر، والربط مع النصوص الأخرى

ضمن الجلسة التاسعة والعشرون، بتاريخ: (١٤٣٩/٠٦/١٧هـ **الموافق لـ: ٢٠١٨/٠٣/٥ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: شيخنا الفاضل كيف نربط بين النصين الواردين في القرآن: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧]، وقوله تعالى: ﴿مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ﴾ [الأعراف: ١٨٦]؟

جواب الشيخ: كما ترون أن السائل يرى أن هناك ثمة تعارض ظاهر في ذهن السائل والقارئ كما نعلم، لأن القرآن من عند الله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (٨٢)﴾ [النساء: ٨٢]، والتعارض هو اختلاف، ومن الاختلاف التعارض والقرآن مبرأ من هذا.

والسؤال هو كيف أن الله عز وجل لا يرضى لعباده الكفر وكيف يضلل؟ قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾، هذا هو الرضى الشرعي، الذي به تعلق الثواب والعقاب، والذي به تعلق دخول الجنة والنار فالله عز وجل لا يرضى لعباده الكفر وبالتالي؛ من كفر، الله عز وجل لا يرضى عنه، وإذا لم يرض عنه يعني سخطه يعني كان مقامه في الآخرة النار.

فهذا الحديث عن الرضا الشرعي، ولذلك أنزل الله عز وجل الكتب وأرسل الرسل من أجل؛ أن يبتعد الناس عن الكفر، فأحل لهم أن يوحدوه وأوجب عليهم أن يوحدوه ومنعهم أن يشركوا به؛ لأن الشرك ظلم في حق الله عز وجل، والكفر هو من أعظم الظلم ومن أعظم الفسق، ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٥٤)﴾ [البقرة: ٢٥٤]، ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣)﴾ [لقمان: ١٣].

وأما كيف سبحانه وتعالى لا يرضى لعباده الكفر؟ قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ﴾، فالله هو الذي يضلهم، فهذا هو الاضلال القدري، والقدر مربوطٌ بالحكمة وليس له تعلقٌ بالحب والكره، فالله سبحانه وتعالى قدر للكافر أن يكون وأن يكفر، ولا يشاء المرء الكفر إلا والله عز وجل يأذن له إذنًا قدريًا، له تعلق بالقدر، تعلق بالمشيئة، أي الكفر مخلوق ولا يفعله المرء إلا بإذن الله عز وجل، وما هو الإذن؟ ليس الإذن الشرعي أنه جاز له، ولكن المقصود به الإذن القدري؛ لأنه لا يقع شيء في الوجود إلا بإذن الله عز وجل، ولو الله عز وجل منع

لما وقع شيء، وهذا هو معتقد أهل السنة، وهذه من الآيات الدالة على هذا المعنى.

فقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ﴾، أي أضله إضلالا قدريًا ﴿فَلَا هَادِيَ لَهُ﴾.

طيب؛ السؤال لماذا يضله؟ لأنه هو أراد الإضلال فالله عز وجل أضله لأنه سعى له، فالله عز وجل فتح بينه وبين الضلال؛ ففعله، سمح له بأن يدخل الضلال؛ لسعيه له وتقفره له، مع أنه أرسل له الرسل، وأقام في قلبه الحجاج، وأوجده على فطرةٍ تبغض هذا الكفر، وبيّن له عن طريق الأنبياء أن لا يكفر، وحذره من الكفر لئلا يقع في النار، ومع ذلك أقدم العبد عليه، فالله سبحانه وتعالى كما قال: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩)﴾ [التكوير: ٢٩]، شئتم هذا؛ فأذن الله لكم؛ ففعلتم، وكل هذا مسجلٌ في علم الله عز وجل ومكتوبٌ في الصحف.

فإذن الحديث الأول لا يرضى أي الرضا الشرعي، رضا الحب ورضا البغض، وأما الثانية فهي متعلقة بالرضا القدري وبينهما ما تعلمون، ومن أراد التوسع في ذلك فأفضل ما كتب في ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «الرسالة التدمرية»، شرح هذا وبيّنه، وأظن أن في ذلك الكفاية والله تعالى أعلم، والحمد لله رب العالمين.

٣٥٨- حكم التحاكم في محاكم اليهود

ضمن الجلسة التاسعة والعشرون، بتاريخ: (**١٧/٠٦/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٥/٠٣/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يقول السائل: أرجو من شيخنا الفاضل -جزاك الله خيرًا وبارك الله فيك- أن يرد علينا بسرعة نحن من فلسطين المحتلة نعيش -بين قوسين «في إسرائيل، أي في دولة إسرائيل» وإلا هم يعيشون في فلسطين- نرجو التوضيح لنا في مسائل التحاكم في هذه المحاكم في أي شيء، وهل يجوز التعاون مع الشرطة ضد تجار السلاح وتجار المخدرات؟

جواب الشيخ: لأجب أولاً عن موضوع التعاون مع الشرطة ضد تجار السلاح وتجار المخدرات، الجواب: لا يجوز، لا يجوز لك أن تعين الشرطة لا ضد تجار المخدرات ولا ضد تجار السلاح، والقاعدة في هذا مأخوذة من فتاوى لكبار أهل العلم في هذا الباب، الإمام مالك رحمه الله سُئل عن مشاركة المسلم في قتال الظلمة من أهل السنة ضد الخوارج؛ فلم يفتهم، وقال: إن كان مثل عمر بن عبد العزيز، فنعم، بمعنى أنه لم يجز أن يقاتل المسلم مع الظلمة ضد الخوارج، مع أن قتال الخوارج مشروع في الأصل، لكن هذا يؤدي إلى نصرة الظلمة بعدم إقامة العدل والحق.

وكذلك الإمام أحمد رحمه الله استُفتي كما في الأمر بالمعروف والنهي المنكر، استُفتي في شكوى شارب الخمر، جار له يشرب الخمر فأن يشكوه إلى الشرطة، قال: لا تشكو ظالم لظالم، ونهاه عن ذلك، فهذا أولاً: لا يجوز لك أن تشاركهم ولا أن تعينهم بل أتركهم؛ لأننا نتكلم عن هذه الدولة المسخ، الدولة هذه المجرمة وهي دولة يهود، المسمى بدولة إسرائيل، فهذه دولة يجب علينا أن نُهلكها وأن نُفسدها؛ فتجارة السلاح تؤدي إلى الفساد في داخلها فنتركهم مع ما هم فيه، وكذلك المخدرات وإن كان لا يجوز لنا أن نتاجر بالمخدرات حتى لو أدت إلى فسادهم، ولكن هذا نتركه بينهم.

وقد يقول قائل: هذا يصيب المسلمين؟! نعم يصيب المسلمين، ولكن العبرة بالأكثر، وكذلك في القضاء على هؤلاء التقوية لدولة إسرائيل، أي إشغال الدولة بنفسها، وإشغال الدولة بمثل هذه التجارة، وإشغال الدولة

بمثل هذه المفاسد، هذا خير لنا يضعفها، والدول المجرمة إنما تهلك من الداخل، فلماذا نحن نوقفها؟ وهي دولةٌ كافرة، فمن الأصل هو أن نجتثها من أصولها، وليست العلاقة بيننا وبينها هي علاقة إصلاح، على أنها في أصلها صحيح، ولكن حدثت خروقات من الظلم والجرائم فنصلح هذه الخروقات!! لا، هذه في أصلها فاسدة فعلينا أن نعين على إفسادها إذا قدرنا بالشرع.

ولذلك لا يجوز لأحد أن يعين هؤلاء، لأنه حتى لو أخذ هؤلاء فإنهم سيُظلمون ولا يقام عليهم حكم الشرع، ولذلك في الدول الظالمة لا يجوز لك أن تسلم ظالم لهم ليظلموه، لا يجوز لك أن تسلم فاسد لهم ليظلموه، الأحكام في كثير من البلاد للأسف الجهات الأمنية المتعلقة بالمخدرات والمتعلقة بالسلاح مجرمة أكثر من تجار السلاح وتجار المخدرات، ويُقتل كثير من الناس تحت التعذيب، وهذه المؤسسات هي أصلاً مجرمة، وبعضها يقوم بملاحقة تجار المخدرات لأنهم خارج إطار سيطرة رؤوس الأموال الكبيرة، يذهبون إلى الصغار، الكبار لا يقربونهم، فنحن نعينهم على كل هذا الظلم.

كل هذه العلل التي ذكرتها تؤذن بأنه لا يجوز لنا أن نعينهم في شيء، لا يجوز لمسلمٍ أن يعين هذه الدولة في شيء، ولو بإزالة القاذورات من الشوارع، لا يجوز، وحيث استطاع أن يرمي عليهم سهم أو يحدث فيهم مفسدة ولو بالقليل فيجب عليه أن يفعل، هذه دولةٌ يجب على المسلم أن يقاتلها بكل أنواع القتال، أقل شيء بهجرانها وبالعصيان لأوامرها وبعدم الامتثال لقواعدها وقوانينها، هذا أقل ما يمكن، هذا أقل القليل في هذا الباب.

وأما إفساد أراضيها، وإفساد مؤسساتها، وإفساد أموالها، وإفساد أهلها فهذا من الدين الذي ينبغي أن نسعى إليه ما استطعنا، فكيف يقال: بأنه يجوز، لا أقول: يجب، من قال: يجب فهذا ينبغي أن يؤدب، لا يجوز لمسلمٍ أن يعينهم لا في ملاحقة تجار المخدرات ولا السلاح ولا غير ذلك، لو أن رجلاً قتل رجلاً عندهم لا يجوز لك أن تعينهم في كشف القاتل، لو أن رجلاً سارقًا سرق منهم لا يجوز أن تعينهم في كشف السارق، كل هذا بيّن وواضح.

تبقى قضية التحاكم إليهم هذه قضية تحتاج إلى توسع فيها وذكرتها في أكثر من موطن، يجب أن نفرق بين التحاكم والاستنصار، إذا وقع عليك ظلم ولم تستطع دفع الظلم وكان الظلم مهم، أي ليس ظلم أن أحدًا يأخذ منك دينار، إنما تقدر الأمور بمقدارها، بمقدار الفساد اللاحق بك، الذي يلحق بك، فإذا وقع عليك ظلم فهل

يجوز لك أن تستنصر بهم بدفع الظلم عنك؟ الجواب: نعم، يجوز لك أن تستنصرهم لدفع الظلم عنك.

وأما التحاكم وهو طلب الحكم منهم، وطلب الحكم من أجل الالتزام، فهذا لا يجوز، هذا هو التحاكم، التحاكم هو طلب الحكم من الآخر للالتزام، تسأله من أجل أن تلتزم به فلا يجوز التحاكم لهم في هذا، مسلمان بينهما خصومة لا يجوز الذهاب إلى محكمتهم، لا يجوز، تخاصم رجل وزوجته في قضايا من قضايا الإرث، في قضايا من قضايا الطلاق، في قضايا من قضايا المهر، هو وابنه، هو وأخوه تشاجر مع أخيه؛ فلا يجوز له أن يذهب ليطلب الحكم منهم، لكن واحد وقع ظلم عليه من أخرين ولم يستطيع أن يدفع ظلمهم إلا باستنصار من هؤلاء، مع أن الظلم يكون له اعتبار وله قيمة وله تأثير؛ فيجوز له أن يدفع الظلم عن نفسه بالاستنصار بهؤلاء، وكل مسألةٍ تحتاج إلى تفصيل للتفريق ما بين ما هو التحاكم وما هو الاستنصار، لأن الكثير من الناس لا يفرق بينهما.

هذا وبالله التوفيق والحمد لله رب العالمين.

٣٥٩- وقت صلاة الجمعة على الصحيح

ضمن الجلسة التاسعة والعشرون، بتاريخ: (١٧/٠٦/١٤٣٩هـ **الموافق لـ: ٥/٠٣/٢٠١٨ م)**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: شيخنا الحبيب مسألة اختلف فيها المصلون في مساجد في الشام، وخاصةً في إدلب في ظل القصف الشديد، في أحد الأيام من أيام الجمعة قُدمت صلاة الجمعة نتيجة القصف على المساجد والتجمعات، هل يجوز تقديم الصلاة؟

جواب الشيخ: أولاً: اختلف أهل العلم في وقت صلاة الجمعة، الجمهور على أن وقت صلاة الجمعة هو وقت صلاة الظهر، أي بعد ظل الزوال، بعد الزوال تدخل صلاة الظهر فتدخل صلاة الجمعة، وعلى هذا الأئمة الأربعة فيما يفتون به، وهناك قول لأحمد رحمه الله وهو قول معاوية رضي الله عنه وقول ابن الزبير رضي الله عنه في أنه تجوز صلاة الجمعة وقت الضحى، وقت ارتفاع الشمس، قبل دخول ظل الزوال، قبل الزوال، وهذا قول له أدلته وإن كان القول الأول هو الأقوى والذي ينبغي أن يعتمد.

القصد: بأن هؤلاء لو أفتاهم شيخ أو كان الخطيب فيهم على المذهب الثاني، وهو مذهب معاوية رضي الله تعالى عنه وابن الزبير رضي الله عنه وهو أحد أقوال الإمام أحمد رحمه الله؛ فجاز لهم أن يصلوا هذه الصلاة. لكن أنا أقول: هناك مخرج من هذا كله وهو سقوط صلاة الجمعة، لماذا يقومون بصلاة الجمعة تحت ظل هذا الخوف، من قضية قصف المسجد وقتل من فيه؟ فإذا وجد هذا الخوف سقطت عنهم صلاة الجمعة، الخوف الشديد مسقطٌ لصلاة الجمعة، كما أن الخوف الشديد مسقطٌ لصلاة الجماعة، أي لو أن رجلاً خاف في ذهابه إلى المسجد في أن يقبض عليه أو أن يلاحقه دائنه -هذا ذكر في كتب الفقه- يجوز للرجل أن يترك الجمعة ويترك الجماعة مخافة طلب الدائنين أو القبض عليه، فإذا كان هذا الحال جاز لهم أن لا يصلوا الجمعة، بل يصلوها فرادى في بيوتهم صلاة الظهر.

فإذا اجتمعت جماعة -هنا السؤال- لو أن أهل كل بيت اجتمعوا فخطب فيهم الخطيب لكان أحسن، لا يوجد حرج في هذا، الذين يجيبون المسجد الجامع أولاً لصلاة الجمعة لا دليل لهم في هذا، والذين يجيبون المسجد

لصلاة الجمعة لا دليل لهم على هذا، والصواب أنه يجوز لأهل البوادي من غير مسجد أن يجّمعون، أن يصلوا الجمعة، بل حتى يجوز للمسافرين إذا أرادوا وقد اجتمعوا وإن كان المسافر ليس عليه جمعة، مع الخلاف في المسافر المستوطن، أي الذي أقام في البلدة وبقي على معنى السفر ولكن حضرته صلاة الجمعة، فيرى كثير من العلم وجوب الصلاة عليه وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، والأكثرون على أن المسافر ليس عليه صلاة الجمعة، لكن لو أن المسافرين اجتمعوا فجّمعوا فجاز لهم ذلك، ما في حرج ما يمنع من ذلك مانع، وفرقٌ بين الجواز والوجوب.

والقصد: إذا الناس تحت القصف خافوا القتل؛ فجاز لهم أن يصلوا فرادى، والله تعالى أعلم.

بارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٣٦٠- الفرق بين أصول الفقه عند المتكلمين والفقهاء

ضمن الجلسة الثلاثون، بتاريخ: (**٢٦/٠٦/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٤/٠٣/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل يقول: بارك الله فيكم، ما هو الفرق بين طريقة المتكلمين وطريقة الفقهاء في أصول الفقه، وما هي آثار كل طريقةٍ على الفقيه المتأصل عليها؟ طريقة المتكلمين الشافعية هل هي مستقلة عن فقه الإمام الشافعي؟ لأنها غير متصلة بفروع المذهب الفقهية، أوليس ما ألفه شهاب الدين الزنجاني لتجاوز هذه الثغرة في طريقة المتكلمين؟

جواب الشيخ: هذه المسألة الأصولية في تاريخ الأصول وفي تقسيمات وفقه الأصول، شرحت الكثير منها في شرح «الموافقات» للشاطبي، وتكلمت عنها أظن لما شرحت كتاب «جماع العلم» للإمام الشافعي رحمه الله، هذه المسألة تحتاج إلى بسط طويل جدًا لطالب العلم المبتدئ، وهي الآن صارت منتشرة، كان في وقتٍ مضى ثلاثين سنة تقريبًا، يمكن لطالب العلم أن يجد المشقة في التمييز بين المذهب الأصولية وطرق الاستنباط في المدارس العلمية الفقهية الإسلامية السنية، ولكن الآن كثرت المؤلفات وكثر المتكلمون في هذا الباب؛ فصار سهلاً على طالب العلم أن يجد مطلبه وحاجته في هذا الباب وهو باب فقه الأصول، وباب تاريخ الأصول.

وكنت أحب للأخ أن أُرجعه إلى المصادر التي تكلمت عن هذا الباب، لكن قلت لا بأس أن يتكلم المرء في هذه النقطة ولو بمقدار يسير يفتح الباب للسائل والسامع في تمييز المذاهب الأصولية.

بلا شك أيها الإخوة الأحبة: بأن الأصول كانت معلومة لدى الصحابة رضي الله عنهم وكانت معلومة التابعين، ومعلومة لدى تابعي التابعين، ولولا أنها معلومة لما كانت عندهم القدرة لإنتاج المدونة الفقهية في عصورهم وفي أزمانهم، ولما كانت عندهم القدرة على الإجابة على أسئلة النوازل التي تقع في أزمانهم، من المقرر في كتب الأصول لو رجعتم إلى كتب الأصول المطولة لوجدتم أن مصادر أصول الفقه عند العلماء أولاً بعد اللغة وبعد المنطق أو علم الكلام كما يسمونه -وعلم المنطق ليس هو علم الكلام، ولكن يُجملان في شيء واحد بالنسبة إلى علم الأصول- المنطق علم له موضوعه، وعلم الكلام هو ما تعلق في تفصيلاتهم بموضوع علم العقائد

كما يسمونه، مع أن هذه التسمية تعرفون عليها الكثير من المحترزات وهي مسألة حادثة وموضوعها كذلك فيه شيء من البدعة.

إنما في كتب الأصول تجدون أن مصادر علم الأصول هي اللغة، المنطق «علم الكلام»، والشيء الثالث وهو فقه الصحابة رضي الله عنهم، الفقه، النظر إلى طريقة فقه الصحابة رضي الله عنهم، لو أزلنا القسم الثاني وأتينا فقط إلى اللغة وأتينا إلى فقه الصحابة لوجدنا أن الكتب التي تتحدث عن أصول الفقه من خلال هذين المصدرين نجدها متسعة وكبيرة، رأس هذه الكتب هو كتاب الإمام الشافعي رحمه الله «الرسالة» وبعيدًا عن تاريخ هذا الكتاب المجيد، والكتاب العظيم كتاب «الرسالة» الذي سماه عبد الرحمن بن مهدي بكتاب السحر، فإن كتبًا أخرى تسير على هذا المنهاج منها «الفقيه والمتفقه» للخطيب البغدادي، منها «جامع بيان العلم وفضله» للإمام ابن عبد البر كما هو معلوم، ومنها كذلك كتاب البحر ابن حزم رحمه الله كتاب «الإحكام في أصول الأحكام»، فهذه كتب بغض النظر عن فرعايتها إلا أنها تعتمد على هذين المصدرين.

إذن نحن في فقه الصحابة رضي الله عنهم وطريقة الاستنباط عندهم هي مصدر من مصادر أصول الفقه، أول من كتب في علم أصول الفقه هو الإمام الشافعي كما هو معلوم، طبعًا هناك من ينازع، الرافضة ينازعون هذا القول ويقولون: بأن جعفر الصادق هو أول من كتب في أصول الفقه، وهذا لا يوجد ما يدل عليه أبدًا، وكذلك مُتعصبو الأحناف في الحقيقة مثل زاهد الكوثري يزعم أن كتب الأصول التي كانت أول ما كتبت من قبل الحنفية، فإما أن ينسبها لأبي حنيفة وإما أن ينسبها لأبي يوسف وإما محمد بن الحسن الشيباني، وكل هذا لا دليل عليه، بل إن طريقة الأحناف مبنية أصلاً على عدم وجود كتب أصول الفقه، طريقة الأصول التي يعمل عليها الأحناف ومن انتسب إليهم أصلاً تقوم على عدم وجود الأصول وإنما هي قائمة على استنباط الأصول من فروع الأئمة؛ فدل أنه لا يوجد عندهم كتب أصول، لا يوجد عندهم في الأصل أقصد أئمة المذهب.

فإذن مذهب الأحناف وهو مذهب الذي يقال عنه مذهب أهل الرأي، هذا المذهب لا يوجد عنده كتب أصول فكيف نتجت عندهم الأصول؟ ذهبوا إلى فقه الأئمة فصاروا يُخَرِّجون على هذه الفروع التي قالها الأئمة، يُخَرِّجون عليها الأصول، يستنبطون منها الأصول، ووقعوا في مشاكل كبيرة في هذا، ومن هنا اضطربت أقوالهم في كثير من الأحوال؛ لأنهم وإن وجدوا أصولاً جامعة لكثير من الفروع لكن شذت كثير من الفروع على هذه

القواعد.

أضرب بعض الأمثلة في هذا للتنبيه:

مثل: تقديم القياس، هل يقدم القياس على الحديث، حديث الآحاد؟ المشتهر عند بعض محبي الأحناف وكما يقول ابن حزم وكما يقول الشعراني وهؤلاء مع أنهم خصوم الأحناف، الشعراني شافعي وابن حزم ظاهري، إلا أنهم في هذا الباب يحبون الأحناف حيث يزعمون أن الأحناف يقدمون الحديث الضعيف على القياس، مع أننا نرى في واقع الأمر أن كثيرًا من المسائل الفقهية التي قال بها الأئمة نرى فيها تقديم القياس على الحديث الصحيح، حديث الآحاد، الأحناف يقسمون الأحاديث من حيث ورودها إلى ثلاثة أقسام وليس إلى قسمين:

القسم الأول: الآحاد.

القسم الثاني: المشتهرة والمشهور.

القسم الثالث: المتواتر.

فلما نقول: آحاد، هو ليس قسم متواتر فقط، ولكن كذلك بينهما المشهور، فهم يقدمون حديث القياس على حديث الآحاد، إذا احتفت بحديث الآحاد بعض القرائن التي عندهم -التي عند الأحناف- وليس عند الفقهاء، وبقية الفقهاء تضعف هذا الحديث، كأن يكون مثلاً راوي هذا الحديث من الصحابة، حتى لو كان من الصحابة ليس فقيهًا، هذا القول منتسب لمذهب الأحناف، نعم هناك من حاول أن يُبعد هذا القول عن الأحناف لكنه موجود في ثنايا كلامهم في بعض كتب أصولهم، فهذه المسألة مشكلة.

والاستحسان، الاستحسان يحاول خصوم الأحناف المحبون لهم أي من غير مذهبهم حمل الاستحسان على معنى صحيح، مع أن الاستحسان عندهم هو تقرير قاعدة ثم رد الأحاديث التي تخالف هذه القاعدة، ومثال ذلك ما رده الأحناف في موضوع الوقف، فإنهم أصلوا أن الوقف ممنوع، الأحباس ممنوع وبالتالي؛ صاروا يخرجون، مثل المزارعة، ردوا الزارعة؛ فصاروا يؤصلون الأصول على هذا الباب، مثل حديث: **(نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيعٍ وشرط)**، فصاروا يؤصلون الأصول ثم يردون الأحاديث على هذه الأصول، مثل بيع المعدوم، وهكذا.

وهذه طريقة كما قلت: أوقعت مذهب الأحناف في كثير من الاضطراب والإشكالات، وصار الحديث عن مذهب الأحناف فيه شيء من المشقة، ويحاولوا هؤلاء بأن يجرونه على الاطّراد، ولكن في الحقيقة لا تسعفهم الوقائع، هذا وهو استخراج الأصول من الفروع وهي طريقة الأحناف، هذه جعلت لمذهبهم الإكثار من الفروع حين يمثلون للمسائل في كتب الأصول، يكثرون الفروع، ومن هنا لما جاء الغزالي في كتابه «المستصفى» وكأنه نسج أغلبه على الرد على كتاب أبي زيد الدبوسي، فإنه نقد أبا زيد من غير أن يشدد النكير عليه، فإنه نقده بأنه أكثر من التمثيل في الفروع، وهذا لأنه قال: بأن الأصول هي قضاياها عقلية وتجريدية فالإكثار من الفروع يذهب هذه الصفة عن هذا العلم. وأنا قلت هذا الكلام في شرحي على «الموقظة» فجاء أحدهم من الصغار، أولاد صغار، فرد عليّ وقال: بأن الغزالي إنما قال هذا القول في رده على أبي زيد لأنه يريد أن يرد طريقة أبي زيد في أنه يستخدم الأصول لنصرة مذهبه، طبعاً هذا الرجل الذي رد بهذا الرد جاهل، وأنا أجزم، بل أحلف يمينًا بالله أنه لم يقرأ كتاب «المستصفى»، لم يقرأه ولو قرأه لعلم أنه كذاب، لا أقول مخطئ، هذا الرجل في الحقيقة يكذب.

القصد: لست معلقًا عليه الكثير وإنما هذه دلالة على أن بعض الناس يروق له، قال: إن الغزالي عاب إكثار الفروع في كتب الأصول من أجل ألا تستخدم القواعد الأصولية في نصرة المذهب، الغزالي لم يقل هذا قط في كتابه، إنما هو أراد أن يقول: بأن كتب الأصول هذا منهجها وهذه طريقتها وأنها كتب تجريدية، وهذا إحدى الفوارق بين كتب الأحناف وبين كتب الشافعية المتكلمين، والذي هو أستاذهم في هذا الباب ولا شك وهو الغزالي في «المستصفى».

القصد من هذا: هذه الطريقة التي عند الأحناف هذا هو أساسها، فبالتالي؛ كما قلت: أكثروا من الفروع ووقعوا في الاضطراب. الطريقة الثانية: هي لا، منسوبة للشافعي وهي ليست للشافعي، هي للشافعية، وفرقٌ بين الإمام وبين أتباعه، فرق في هذا الباب في موضوع أصول الفقه فرق، فالطريقة الثانية لا، هي تقرير القواعد الأصولية وبناء الفروع عليها.

فكما نرى أن الطريقة الأولى: هي طريقة استنتاجية، الطريقة الثانية: هي طريقة بنائية، في الطريقة الأولى نستنتج الأصول، في الطريقة الثانية نبني على الأصول، الأولى استنتاجية والثانية بنائية هذه تسميتي.

فإذن يقولون: بأننا يجب أن نوجد الأصول، طيب من أين أصولكم؟ كما يشرح هذا الآمدي في «الإحكام» هو اسم كتابه كاسم كتاب ابن حزم تمامًا «الإحكام في أصول الأحكام»، يقول: بأن الأصول نأخذها من اللغة، ونأخذها من العلم الكلام، ونأخذها من التاريخ أي بمعنى الفقه الذي قاله النبي صلى الله عليه وسلم، من الحديث، من القرآن، من السنة، من فقه الصحابة، وهكذا؛ فنقرر الأصول ثم بعد ذلك ننزل عليها الفروع وبالتالي؛ كانت الفروع قليلة، لأن المقصود هو الأصول بعد ذلك أنت دورك أيها الفقيه، أيها المجتهد، أيها الباحث، في أن تُنزل الأحكام التي تقع عندك على الأصول التي تقرر.

الأولى رأينا فيها إكثار الفروع، الثانية رأينا فيها إكثار التجريد العقلي، وبالتالي؛ دخلت كثير من مسائل العقل ومباحثه في داخل الأصول حتى عاب هذا كبار أئمتهم، فالغزالي نفسه وبعض الناس يظن أن الشاطبي فقط هو من قال في مقدمات كتابه: بأن كثيرًا من المباحث الأصولية التي دخلت في كتب الأصول، ليست من أصوله، ليست من أصول هذا العلم، ولا من مباحثه، بل هي غريبة وأجنبية عنه، في الحقيقة هذا الكلام قاله الغزالي من قبل، فإذن هذا تقريبًا هو الخلاف الناشئ بينهما.

قبل أن أخوض في المنهج الثالث وهو منهج أهل الحديث، ومنهج الإمام الشافعي ومن سار على دربه واقتفى أثره هو مخالف لهاتين الطريقتين؛ لأن علم الكلام ليس من مصادر أصول الفقه عند الإمام الشافعي ولم نرى أي لفظة كلامية ولا أي مسألة من قضايا المنطق وتفريعاته حتى في موضوع القياس تدخل في كلام الشافعي أو يستشهد بها، فإننا نراه يتبع الكتاب والسنة ويتبع اللغة، هذه مصادره، مصادر الإمام الشافعي رحمه الله هي فقط اللغة والكتاب والسنة وما يدور حولهما من كلام أهل العلم المتقدمين قبله، وخاصةً فقه النبي صلى الله عليه وسلم في التعليم والتدريب وفقه الصحابة رضي الله عنهم في الإجابة على النوازل وفي الحديث، في طرق الاستنباط وفي تعليمهم لتلاميذهم.

هذه الطريقة هي طريقة ثالثة تجدها مبسوطة في كتاب «الرسالة» للإمام الشافعي، اقرأها وتمتع بها ولا تقرأ «الرسالة» مرةً واحدة، اقرأها أولاً تجريدًا لتعرف مثلاً مقالات الإمام الشافعي رحمه الله في الأصول، ماذا يقول في النسخ؟ ماذا يقول في كذا؟ ماذا يقول في حديث الآحاد؟ ماذا يقول في الْمُرسل؟ فله طريقته، ثم بعد ذلك تبحث أكثر من ذلك، وتذهب أكثر من ذلك في كيفية استخراج الإمام الشافعي لهذه العلوم من مصادرها،

كيفية الاستخراج، والاستنباط، كيف قام بهذا؟ ومصادر العلم هي من مهمات العلم، إن لم تعرف مصادر العلم فلن تستطيع أبدًا أن تدرك أغوار العلم، ولا ما يحيط به، يجب عليك أن تعود إلى مصادر كل علم؛ من أجل أن تفتت وتحلل وتفكك هذه الكلمات التي قيلت والفروع التي قيلت من خلال مصادرها.

إذن الطريقة الثالثة هي ليست طريقة المتكلمين ولا طريقة أهل الرأي، الطريقة الثالثة هي طريقة أهل الحديث، وهذه تجدها في المصادر التالية -وقد أخرت الكلام عن موضوع أريد أن أتي عليه- في «الرسالة»، تجدها في «الفقيه والمتفقه» وهذا كتابٌ القليل يعرف قيمته، القليل يعرف قيمة «الفقيه والمتفقه» للإمام الخطيب البغدادي عليه رحمة الله، هذا مليء بالقواعد الأصولية وطرق قواعد الأصول في تحقيق الفروع، الكتاب الثالث هو «جامع بيان العلم وفضله» وهو مختصر لكتابٍ لا نعرف عنه الكثير، فهذه كتب ترجع إليها، وتستطيع أن تجد طريقة أهل الحديث والفقهاء كالشافعي ومالك وأحمد رحمهم الله، تستطيع أن تجد طرائقهم من خلال كتب الفروع.

فأنت لو ذهبت مثلاً: لتعرف قياس الدلالة وتعرف قياس العلة، لو ذهبت إلى كتب الأصول تأخذ كلامًا مجردًا، وربما يمثل لك بمثال واحد أو اثنين فتبقى عندك فجوات ذهنية في إدراك أغوار هذا النوع من القياس، أو أن تعرف أغوار هذين النوعين من القياس، القياس له أنواع كثيرة، ولكن هذه أهم أنواعه في مسائل الفقه، فأين تذهب؟ تذهب إلى كتب الفروع، أنت إذا ذهبت إلى «التمهيد والاستذكار» للإمام ابن عبد البر؛ لوجدت منجمًا، كنوزًا من هذه الفروع، الأصول أذهب إلى كتب أهل العلم تستخرج منها الأصول، وبالتالي؛ كتاب «الرسالة» كتابٌ أصولي وكتاب «الأم» كتابٌ أصولي.

وكنت في حديثٍ البارحة مع أخ حبيب فأراني كتابين مستخرجين من كتب الشافعي رحمه الله في موضوع القضايا الأصولية والقواعد الأصولية، علم الأصول، فقلت له: أنا حزين لهذا، لأني اشتغلت على هذا الباب وأنا في السجن، ثم دخلت الشرطة مرةً وأخذت كل الأوراق في هذا الباب، ففقدت ما جمعته في هذا الباب، كتاب «الأم» مليء بالقواعد الأصولية وطرق الاستنباط، وبالتالي؛ حتى علماء الشافعية يذهبون إلى طريقته إلى كلامه في «الأم» من أجل أن يعرفوا قواعده، فالآن دليل الاقتران لا وجود له في «الرسالة»، قول الصحابي في «الرسالة» المطبوعة بتحقيق الشيخ أحمد شاكر لا يوجد فيها كلام عن قول الصحابي، بالرغم من أن الإمام ابن

القيم رحمه الله ينقل في كتابه «إعلام الموقعين» قولاً عنه فعلمنا أن هذا في «الرسالة» القديمة، «الرسالة» البغدادية، لكن إذا أردت أن تعرف مذهب الشافعي في قوال الصحابي؛ فاذهب إلى كتابه «الأم».

ومن هنا هذه الكتب الفقهية الموسعة التي تبحث في الاختلاف وتناقش هذه مليئة وغزيرة بكتب الأصول، وطالب العلم ينتفع بها بالنسبة للفقه أكثر من قراءته في كتب الأصول، ينتفع بها في تحقيق الْمَلَكَة النفسية، العلم أمرٌ وجودي وليس مجرد كلمة توضع إشارة على الرأس، لا بد أن يمتزج العلم بالقلب والعقل من أجل إذا دخلت المسائل؛ العلم ينفعل مع هذه المسائل، مع الأسئلة، مع المسائل، مع الحوادث، مع النوازل، ينفعل بها وجودًا وليس هروبًا.

ما هي ميزة هذا النهج الثالث الذي غاب في زمن كتابة كتب الأصول؟ ما هو منهجه؟ أولاً: كما رأينا الإكثار من الفروع حتى تصبح مَلَكَة، الإكثار من الفروع ليس عيبًا، وليس كما قال الإمام الغزالي رحمه الله، أخطأ في هذا، الآن اذهبوا إلى كتب الأصول في موضوع القياس، تجدون فقرًا وكأنه لا يوجد في القياس إلا مسألة الخمر والمسكر مع أنها عليها كلام كثير، وهي ربما لا تدخل في القياس لأن النبي صلى الله عليه وسلم علق الحرمة على المسكر وليس على الخمر، قال صلى الله عليه وسلم: **(كل مسكرٍ حرام)**، كأن الناس لا يعرفون القياس إلا من خلال الخمر والمسكر، فأين القياس في البيوع؟ القياس في الزكاة، زكاة الزروع والثمار؟ القياس مليء في هذا، في الربا، القياس تجده مليئًا وغزيرًا في كتب الفقه، لكنها تحتاج حين قراءتها إلى وعيٍ عليها، فإذا وجد الْمُدرس الفاهم لتلاميذه، الفاهم، الذكي، المبصر للأصول كيف تعمل عملها في كتب الفقه؛ يستطيع أن يُنتج طلاب علم متمكنين في هذا الباب، فلذلك ارجع إلى هذه الكتب، ارجع إليها من أجل أن تعلم الأصول على حقيقتها.

ميزتها أنها تكثر الفروع وأن الفروع مهمة، أن هذه الأصول مبنية على قواعد علمية فطرية من اللغة والعقل الفطري، لأنه عندما يقول: «إذا قام الاحتمال بطل الاستدلال»، هذه قضية عقلية معروفة، الاحتمال يعني وجود الغير من غير مرجح، هذا محتمل وهذا محتمل، فلا بد من مرجح لتختار الاحتمال، إذن بطل الاستدلال، طيب هذه قاعدة كيف نعملها؟ وكيف كذلك يُعملها الخصم بطريقةٍ غير صحيحة وأنت تعيده إلى الطريقة الصحيحة، الكتب الفقهية جيدة في هذا، لن أطيل أكثر من هذا، ولم أرد أن أطل؛ لأن الموضوع موضوع خاص

في باب من أبواب العلم، وأسأل الله عز وجل أن ينفع بكم وإيانا هذا العلم الشريف.

بارك الله فيكم وجزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

٣٦١- موت ستيفن هوكينغ، خبر وتعليق

ضمن الجلسة الثلاثون، بتاريخ: (**٢٦/٠٦/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٤/٠٣/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

انتشر خبر وفاة عالم الرياضيات الإنجليزي الشهير بعلمه بالرياضيات كونه يعد من أشهر الشخصيات في هذا العلم، علم الحساب والرياضيات، والشهير بشكله وبما ابتلاه الله عز وجل به من إقعاد ومن مصيبة بدنية حلت به، وهو ستيفن هوكينغ، ستيفن هوكينغ هذا شغل الناس من عدة جهات، شغل الناس بكونه الرجل المقعد الذي فقد صلته بالحياة إلا من خلال عينيه، وفقدت جميع أطرافه الحياة ولم يبقى إلا الدماغ الذي يفكر والعين التي تنظر، وبالتالي؛ انقطعت صلته بالحياة في هذه الدنيا وهو يراها، فاشتهر بهذا الشكل واشتهر كذلك بأنه عمدة القائلين بالإلحاد، بنفي وجود الله عز وجل؛ لأن رأيه تغير عما كان عليه، فقد كان من المثبتين لوجود الرب سبحانه وتعالى والخالق، وثم انتهى إلى تأليف كتاب في نفي هذا الوجود، اعتمادًا على أن الجاذبية كافية بأن ترتب الوجود هذا الترتيب وأن توجد هذا الكيان وهذا الوجود.

الموت لا شماتة فيه لأننا كلنا سنموت، وبالتالي؛ هو مات ونحن سنموت والصالحون يموتون والكفار يموتون، ولكن في الكلام عنه على عدة محاور وقد أرسل بعض الإخوة لي كلامًا حوله، بعضهم يتحدث عن أنه في الحقيقة الآن انتهت كل شقشقات الكلام، انتهت كل النظريات الْمُدعاة وكل الخيالات الوهمية في قضية أصل الخلق وقضية العلاقة بين الخالق والمخلوق، ووجود هذا الخالق العظيم الحكيم المدبر، أنه انقطعت صلته بهذه بالحياة والآن سيواجه الحقائق. وأنا يعجبني مثل سمعته كثيرًا من أصحاب الشأن مثل هندي يقول: «بعد الموت في جنة ونار ما مصدق موت وشوف».

قَـــالَ الْمُـــــنَجِّمُ وَالطَبِيـــــبُ كِلاهُمَـــا   لا تُحْشَـــرُ الأَجســـــادُ قُلـــتُ إِلَيكُمـــا
إِن صَـــحَّ قَولُكُمـــا فَلَســـتُ بِخاسِـــرٍ   أَو صَـــحَّ قَـــولي فَالخُســـارُ عَلَيكُمـــا

المؤمن لن يخسر شيئًا مع أن هذه المسألة لا علاقة لها بالتجربة وليس لها علاقة بالاحتمالات، هذه لها علاقة باليقين، أن الآخرة حق وأن هذه الدنيا ليست نهاية كل شيء، وأنها ليست أبدية في وجودها، وليست خالقة لنفسها، وليست أزلية في وجودها، ولا أبدية في نهايتها، بل لها أول ولها نهاية، وأن الله عز وجل هو

خالقها وأنها ستنتهي إلى مُستقر هو يوم القيامة، وأن الناس سيموتون والأشياء، وهذا خير ما فيه يموت وهو الإنسان وبالتالي؛ هذا الشيء الذي قدر الله عز وجل أن يخدم الإنسان سيموت وينتهي، وتقوم القيامة وسيقابلون الله عز وجل.

الموضوع ليس تشفي، الموضوع هو أن الناس سيرون الآن الحقيقة، فسيكشف عنه الغطاء وسيرى مقعده من النار، ليس فقط لإنكاره ولإلحاده، بل لعدم إيمانه بمحمد صلى الله عليه وسلم، ونحن نعتقد أن الذين يعتقدون بوجود الله ممن يسموا تجاوزًا بالمؤمنين إن لم يؤمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم، ولم يدخلوا الإسلام، ولم يعلنوا الوحدانية لربنا ووجوب طاعته، والدخول في أمة محمد النبي صلى الله عليه وسلم؛ فلن يقبل منهم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

فهناك محطتان وليست محطة واحدة:

المحطة الأولى: هي أن يستيقن الناس وجود الله عز وجل وأن يؤمنوا بذلك، وهذه لم ينكرها إلا الشواذ من الخلق على مدار التاريخ.

المحطة الثانية: وهي الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم والدخول في طاعته وفي شريعته والإيمان بالقرآن وبالرسالة المحمدية التي هي خاتمة الرسالات ولا شك.

فهذا جانب كلنا سنموت وسنلقى الله عز وجل، للأسف الغرب لعدم وجود ذكرى الدار الآخرة؛ ماتت عندهم الأحاسيس التي تتعلق بهذا الجانب من الخوف من الآخرة، أغلبهم مات عنده الإحساس بقضية الغيب، وقضية الآخرة، وعذاب القبر، ولقاء الله عز وجل، لا يحسون بما يحس به من نشأ في البيئة المسلمة، الذي ينشأ في البيئة المسلمة ستتحرك عنده رغم أنفه بعض المعاني التي تخوفه من لقاء الله عز وجل ومن الموت، وبالتالي؛ نرى الكثيرين ممن عاشوا ملحدين عندما اقتربوا وهم في الأصل عاشوا في بيئة مسلمة وسمعوا عن الجنة والنار وسمعوا القرآن، وسمعوا أمهاتهم وأباءهم يتحدثون عن الآخرة وعن لقاء الله سبحانه وتعالى وعن عذاب القبر؛ تتحرك فيهم النزعة الإيمانية في آخر حياتهم؛ فيتوبون ويستغفرون ويقبلون على الله عز وجل، ولا شك أن الله عز وجل رحيم.

وهناك من تتحرك فيه هذه المعاني، ولكن يطمسها بفعل مقالة أبي طالب: «لا أريد أن تتحدث قريش أو نساء قريش أن أبا طالب قد خاف من الموت»، فهو اختار أن يموت على ملة عبد المطلب، هناك من يعاند هذا، سمعتها مباشرة من أناس، فمرةً ذكرتُ لأستاذ فلسفة في حوارٍ معه، ذكرت له توبة البعض من الملحدين، فقال: هؤلاء لا يخافون الموت!! فلا ندري هل هو عندما يأتيه الموت يخاف أو لا يخاف؟! فيطمسون، يجبرون قلوبهم أن تنطق الباطل، أنفةً من أن يذعنوا لها، وهذا يدل على عدم إنصاف للنفس، وإنصاف للحقيقة.

القصد: أولاً: أريد أن أتحدث عن جانب الموت: هو الحقيقة الكبرى «كفى بالموت واعظًا يا عمر»، علينا أن نتعظ من الموت، الموت هو الحقيقة الكبرى في هذه الدنيا، ﴿يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (٢٤)﴾ [الفجر: ٢٤]، ما قبل الموت هي حياة ليس فيها جمالٌ مطلق، ليس فيها خيرٌ مطلق، ليس فيها حسنٌ مطلق، بل فيها التعب والإرهاق والمشقة، قال تعالى: ﴿خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ (٤)﴾ [البلد: ٤]، الإنسان في هذه الدنيا في كبد، سيدركه الموت مهما طال عمره، والسعيد هو من عاش مع الموت مترافقًا معه متذكرًا لقاء الله عز وجل، السعيد هو من لم ينس الموت لحظة، فهذا لا يفاجئه الموت، سواءً جاءه بغتة أو جاءه على انتظار لمرضٍ مقعد، فإنه يتلقى الموت وكأنه قد انتظره، فهذا لا يخاف من ذهاب الدنيا، ويتعامل مع الدنيا برفق لأنه لا ينقلع منها بشدة، فأما الذين ينسون الموت ويفرغون أوقاتهم وطاقاتهم من أجل العب من الحياة الدنيا فهؤلاء إذا جاءه الموت يكون شاقًا عليهم، عليك أن ترحل من الدنيا قبل أن ترحل عنك، عليك أن تتعامل مع شهواتها أنها زائلة حتى إذا زالت؛ لن تبكها كثيرًا ولن تحزن عليها كثيرًا.

هذه النقطة بالنسبة لموت رجل ملأ الدنيا وشغل الناس وكانت صوره وأحواله تملأ الناس، الآن ذهب إلى الأخرة، خلاص الآن لا يلاقي ربه إلا فردا، ولا يتعامل إلا مع الله عز وجل ومع أحكامه وبالتالي؛ سيبكي ما فوت من هذه الدنيا.

النقطة الثانية التي أحب أن أتحدث عنها من جانب هذا الرجل: أن العقل ليس شيئًا واحدًا، العقل هو مجموعة تفكيرٍ متعدد، هذا رجلٌ بّرز في علم الرياضيات، وكان المقدم في هذا العلم، وهو علمٌ شاق وتجريدي، ويحتاج إلى أبعاد ذهنية واسعة لإدراكه، ومع ذلك عجز أن يكتشف الحقيقة الكبرى وهي أنه عبدٌ لله عز وجل، لم يدرك حاله أنه هو الذي استطاع أن تخضع له الأرقام في ذهنه لم يستطع أن يخضع بدنه لإرادته، ذهنه أخضع

الأرقام والمعادلات والحسابات والجبر وو... إلخ، فاستطاع أن يتعامل معها وأن يخضعها، أن تخضع له من خلال إدراكٍ ذهني لها، لكنه كان عاجزًا عن أن يخضع يده، أن يخضع لسانه الصغير، كان في نفسه آية؛ أن يدرك أن هناك من هو العظيم هو الذي يحرك الكون، وأن الأشياء لا تتحرك بنفسها لا تملك القدرة.

فلو كانت الجاذبية التي تُنشئ الأشياء وتُنشئ أحكامها لما أعطت هذا ومنعت هذا، لجرت على سننٍ واحدة في الوجود، لجرت هذه الطبيعة التي لا حكمة لها، فلا يمكن أن تجري الأمور على أشياء متعددة فيها العبرة وفيها العبر، عندما يكون الجاهل قويًا ببدنه ويستطيع أن يحرك الأشياء وأن يتحرك وأن يقضي حاجته بنفسه، ويكون الذكي لا يستطيع أن يحرك أصبعه، لا يستطيع أن يحرك لسانه، فدل على أن هناك ثمة حكمة في هذا الوجود، هذه الحكمة التي تؤدي لكل عاقلٍ أن يدرك أن الله عز وجل حق، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]، كان في نفسه من العظة والعبرة ما يدرك بأنه عبد لله عز وجل، ولكن هذا العقل الذي بعضهم يصل به إلى أن يفهم النجوم وأن يكون عالماً في الفلك وأن يكون عالماً في الفيزياء ومع ذلك يذهب فيعبد البقرة، هذا الهوى.

أحد الإخوة البارحة أعلمني مثلاً عجيبًا قال: قبلوا بأن يكون الرب حجرًا ومنعوا بأن يرسل الله بشرًا، أي عُبّاد الأصنام تصوروا أن يحل الرب وأن يكون في الأحجار وهي التي لا تنطق ولا تسمع ولا تبصر ولا تتحرك، ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١].

ويعجبني عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله عندما قال: إن أساس كل كفر هو التعظيم، عظم الله بأنه لا يُنزل بشرًا، عظم الله أنه لا يكلم إنسانًا، عظم الله أنه لا يرسل شريعة، عظموا الله بأن يقولوا: بأننا أنجس وأدنى وأدنس من أن ندخل عليه فنعبده، فلا بد أن نتقرب إليه بما يحب، أساس الشرك هو التعظيم من جانبٍ أخر يؤدي إلى الفساد، في نقاشٍ مع نصراني قال: كيف أنت تقبل بأن الله قادر على كل شيء وأنه لا يتجسد في صورة بشر، وأن يدخل في رحم امرأة؟! انظر ذهبوا إلى التعظيم من جانبٍ آخر؛ حتى أوقعهم في مثل هذه النجاسات العقائدية.

وبالتالي؛ العقول ليست عقلاً واحدًا، يمكن لرجل أن يكون من أذكى الناس في بابٍ من أبواب العلم، ولكنه من أعجز الناس في التعامل مع الناس في شراء أشياءٍ يسيرة، فلو ذهب ليتاجر في شراء الطماطم أو شراء

الخيار أو شراء اللحمة فإنه سيعجز على أن يصيب ما يصيبه شخصٌ آخر أقل منه ذكاءً، فالعقل الإنساني ليس واحدًا، لا ينبغي لك أن تقول: ليس من المعقول هذا الذكي يخطئ هذا!! لا، يمكن، ومن هنا اتفق علماؤنا على أنه يمكن أن يكون أبلد الناس البليد هو المؤمن الصالح الذي يأتي الخير الكثير منه، والذكي يمكن أن يكون ملحدًا فاسقًا فاجرًا و يأتي بالضلالات.

في تاريخنا أهل البدع لهم إبداعات عجيبة من جهة عقلية، واشتقاقات علمية في الباب الذي هم فيه، تجدهم علماء في اللغة، تجدهم علماء في التاريخ، علماء في حكمة البدن، الأطباء الفلاسفة، لكنهم أعجز من أن يدركوا سر وجودهم وعبوديتهم لله عز وجل، عليك ألا تثق بأن المرء إذا أتقن شيئًا، أنه أتقن باب من أبواب العلم يتقن كل علم، أنه إذا كان ذكيًا في باب أن يكون ذكياً في كل باب، إياك وهذه المعضلة التي يقع فيها البعض.

النقطة الثالثة في هذا الباب: وهي نقطة أن الإلحاد للأسف فيه الكثير من الجوانب النفسية أكثر من الجوانب العقلية، حديث النبي صلى الله عليه وسلم يقول: **(فمن أعدل أول)**، هذا دائمًا السؤال التقريري من أعادل أول؟ أي من الذي خلق هذا الشيء قبل كل شيء، عندما نتحدث عن الجاذبية، هذه الجاذبية مخلوقة، سنة موجودة، هي شيءٌ محصور في داخل هذا الوجود، من خلقها؟ عندما يرفض المرء البحث ما وراء ذلك؛ إذن عقله قاصر، لكن هل عقله قاصر أم الهوى هو الذي قصره على هذا الموطن؟ الأغلب في شرك المشرك وكفر الكافر وإلحاد الملحد هو الهوى.

أنا أتصور أن هذا ستيفن هوكينغ لما كنت أراه، أتصور أنه وهو ينفي وجود الله عز وجل يريد أن ينتقم لنفسه، وبعضهم من شدة الهوى وغلبة الشيطان عليه يظن أنه إذا أنكر الحقيقة فإنها تذهب تَبعًا له، لا تظن أن هذا الشخص المعقد لم يكن متكبرًا أو لم يكن في نفسه أعظم من بقية البشر وهو مع اقعاده أو مع مصيبته التي هو فيها، هذا يظن ما دام أنه يسيطر على العلوم أنه قادر بأن يقول: ليس هناك شيء اسمه إله، وبالتالي؛ الإله لا يكون، هو في الحقيقة يريد أن ينتصر لنفسه، أصحاب البلاء من أمثاله، انظر إلى هذا الجمع الغريب في أن يكون عبقريًا في جانب الرياضيات وأن يكون معقدًا في هذا ولا يستطيع أن يتحرك!!

فالبلاء والأشياء الوجودية لا تحمل دلالة حُسنٍ ولا قبح، بعض الناس يُخطئ يقول: السجن يصنع البطولة،

لا، لا، بعض الناس يقول: الفقر يصنع البطولة، كل هذا خطأ، قد يكون الفقر والجوع والحاجة تصنع أفجر الناس، وأذل الناس وأكفر الناس، وقد تصنع أعظم الناس وأكمل الناس، الأشياء هذه لم يُعلق الشارع عليها أحكامًا؛ لأنه لا دلالة فيها على الحسن والقبح، إنما الذي له الحسن والقبح هي المعاني التي يتعامل بها المرء مع هذه الأشياء الوجودية، بمعنى الآن الفقر: ما هو المعنى الذي تحمله أنت من معاني إيمانية أو معاني غير إيمانية تحملها فتتعامل مع هذا الفقر، هي التي تحدد حسن هذا الفقر أو قبحه، إذا تعاملت معه تعاملاً إيماني إسلاميًا ربانيًا فيتحول الفقر إلى حالة إنتاج، ويتحول الفقر إلى حالة إبداع، وإذا جاءت عليه الأفكار الباطلة؛ تحول إلى إقعاد، وتحول إلى إفساد، فكم من مبدعٍ بسبب الفقر لما تعامل معه تعاملاً إيجابيًا، وكم من منتكسٍ بسبب الفقر لأنه تعامل معه تعاملاً سلبيًا، كذلك هذه القضية.

وبعضهم يقول: الفقير هو خير من الغني، هذا غير صحيح، ولا الغني خير من الفقير، الخير والشر هو تبع للمعاني التي تؤمن بها، العقائد التي تؤمن بها، السجن قد يكسر؛ فيخرج المرء مهينًا جبانًا ذليلاً، وقد يصنع قوةً في النفس فتسمو فوقه وتستفيد من هذا الظرف فتتعلم وتخرج منه عملاقًا، فالسجن بذاته قد يكسر، وقد يحطم، وقد يصبح المرء أسيرًا لهذا السجن طوال عمره، خائفًا جبانًا رعديدًا، وقد يحولك السجن إلى عملاق، إلى قوي، إلى شخص يستطيع أن يجابه الحياة من خلال تعلمك لهذا الظرف، فلا ينبغي لأن يقول: أن الفقراء يدخلون الجنة، هناك فقراء من أكفر خلق الله وهناك أغنياء من أولياء الله، والعكس كذلك هناك أغنياء من فجروا وكفروا وأصابهم الترف، فلم يستجيبوا لنداء القرآن ولا لحكمة النبي صلى الله عليه وسلم، وهناك أناس أغنياء كانوا على الضد من ذلك.

القصد من هذا: أن الأشياء الوجودية أقامها الله عز وجل ابتلاءً، هذا الرجل الله عز وجل ابتلاه بأن أعطاه عقلاً كبيرًا في بابٍ من أبواب العلم واعطاه بدنًا، فأنا أتصور أن كفره إنما كان سببه الغيرة من الحياة، كان يشعر بشعورين بشعور العملاق وبشعور العاجز، وهذا شعور متضاد لم يهتد بهدي القرآن؛ فانتهى به إلى هذا الكلام، الرجل يملك المعرفة لأن يتعلم الناس منه، مع إقعاده يرى أن التلفاز يسلط شاشته وعدسته عليه، ويمثل حتى أنه دخل في بعض التمثيليات، ويسمعون له و... إلخ، وصنعوا من الأدوات العجائبية التي بها يفهمون عليه، وهو مع ذلك مقعد، فبالتالي؛ أراد أن يقول شيئًا ليتم به حضوره في هذا الوجود.

هذا تعليم لنا بأنه ينبغي أن تستغل ظرفك في طاعة الله عز وجل، الفقير يموت، العبقري يموت، والذكي يموت، وأنت في كل ذلك ضمن قدر الله عز وجل، ولو كنت أعظم الناس، يعني الرجل الذي يملك المال، انظر رجل يملك المليارات ومع ذلك هو لا يستطيع بسبب المرض أن يأكل مثلاً شيئًا يشتهيه، لا يستطيع، كمن يملك العقل الكبير ولا يستطيع أن يحرك لسانه لينطق بما يفكر به عقله، فهذا دليل كبير على أنك أنت لست الكون، ولست أنت إله هذا الكون، الإنسان ليس إله هذا الكون، الإنسان ليس إله نفسه، العبد مخلوق، إرادته مخلوقة، كسبه مخلوق، فعله مخلوق، لا يستطيع أن يفعل شيئًا إلا بإذن الله، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]، عليك أن تثق بالله عز وجل، وأن تفكر في الدار الآخرة، لا تغتر بأن تصنع لك التماثيل في الدنيا وأنت عاجز.

في الحقيقة ستيفن هوكينغ يمثل كل واحدٍ فينا أنه عاجز، وكلنا عاجزٌ في جانبٍ من الجوانب، وذكي في جانبٍ من الجوانب، فمهما بلغت في تحصيلك لأحد طرفي القوة ومهما ضعفت في أحد طرفي العجز، فإنك في النهاية محكومٌ لسنة تجري عليك، سنة جريان القدر عليك؛ فعليك أن تؤمن بالله عز وجل وأن تطيعه وأن تتذكر الدار الآخرة، الموت واعظٌ لنا، وفي موته وعظٌ لنا كذلك، لأنه لم ينفعه عقله في الوصول إلى الهداية، الهداية عطاءٌ رباني يجريه سبحانه وتعالى في عطائه على معنى من الحكمة قد ندرك بعضها، وقد يغيب الكثير منها، فهذه هداية الله عز وجل، هذه قلوب، هذه ليست أبدان وليست أموال هذه قلوب، تصلح للهداية ولا تصلح للهداية، رجلٌ ربما لا يتقن شيئًا في الدنيا يؤمن بالله عز وجل ويصلي ويعبد الله عز وجل، ويتطهر، ويخشى الله عز وجل، ويبكي منه؛ هو في جنة الخلد، ورجلٌ مثل هذا عاقل أخطأ طريق الجنة أدرك كل طرق الحياة وأخطأ طريق الجنة.

فعليك أن تفهم هذا وأن تدرك سنة الله عز وجل في الوجود وأن تتفكر وأن تعتبر بمثل هذه الشخوص، وتعلم أن الإلحاد حالةٌ نفسية، هذا ليس عقله الذي هدى، مناقشة يسيرة ينهار كل بنيان أفكاره في موضوع وجود الله عز وجل، مناقشة يسيرة، إذن كان متلبسًا بالهوى، والهوى يكون مع الشخص حتى وهو فاقد لقوة تنفيذ الهوى، وأعظم الهوى هو الكبر والغرور، هناك أناس كثر يرفضون الحق لأنهم يظنون أنهم في انصياعهم للحق تضعف منازلهم في الوجود، وأنا أعتقد أن هذا الرجل من هذا النوع في هذا الباب، اللهم ارحمنا برحمتك واغفر لنا.

جزاك الله خيرًا وبارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٣٦٢- إمكانية إقامة إمارة إسلامية

ضمن الجلسة الثلاثون، بتاريخ: (**٢٦/٠٦/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٤/٠٣/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله: أخ يسأل ويقول: شيخنا هل تعتقد أنه بالإمكان إقامة إمارةٍ إسلامية تتمدد بشوكتها في ظل وجود النظام العالمي، حيث إن عصبة الأمم المتحدة كانت سبعة عشر دولة بعد الحرب العالمية الثانية والآن النظام العالم يزيد عما يقارب مئتا دولة؟

جواب الشيخ: أولاً: أنا تكلمت عن هذا الموضوع عدة مرات، ومن المرات التي تكلمت فيها لما تكلمت عن كتاب «الدولة المستحيلة» لوائل الحلاق، وعاب عليّ من عاب بأنني أتماها وأتوافق مع رجلٍ مستشرقٍ أو مستغرب في الحقيقة لأنه هو فلسطيني نصراني ويحب الإسلام، وأخبرني بعض من قابله على أنه يحب الإسلام ويتمنى له الهداية، المهم فهو مستغرب وهو شرقي يقرأ الكتب ويفسر الغرب مع أنه يفسر الشرق للغرب، أي الكتب التي يعتني بها هي الكتب التي تعتني بالشريعة الإسلامية والواقع المشرقي من أجل أن يقدمها للغرب كونه يعمل في تلك الدوائر الغربية.

المهم في هذا الباب أنني تكلمت عن موضوع إمكانية إقامة دولةٍ إسلامية في ظل هذا النظام العالمي المسيطر الذي تحكمه هذه المؤسسات الاستعمارية المحتلة الطاغوتية مثل الأمم المتحدة، مثل هذه الأنظمة التي أقيمت من أجل الحفاظ على مصالح الطواغيت الكبار، الأربعة الكبار الذين هم لهم حق الفيتو والنقد، الذين هم طواغيت، دورهم أن يستولوا على ثروات العالم ويسيرون أفكاره ومناهجه الكلية وفق قوانينهم ووفق مصالحهم.

هل يمكن للدولة الإسلامية أن تقوم بحيث نصبح نحن جُزءًا من الأمم المتحدة بدلاً من مئتين دولة نصبح مئتان وواحد، فمجرد دخول دولة في نظام جاهلي يخرجها من الإسلام، مجرد قبول دولة بأنها خاضعة لأحكام غير أحكام الشريعة تكفر وتخرج من مسمى الدولة الإسلامية، وهذه القضية يجب أن نفهمها، لا يوجد دولة إسلامية بمعنى ربانية قرآنية نبوية راشدة ومع ذلك هي عضو في الأمم المتحدة، لا يجوز وهذا لا يتصور؛ لأنك حين تجيز ذلك كأنك أجزت لرجلٍ بأن يكون مسلمًا ونصرانيًا في نفس الحال!! وأن يكون مسلمًا وأن يكون كافرًا في نفس الحال!! هذا لا يجوز، هذا دينٌ ينبغي للمرء أن يدين به ومن شرط هذا الدين أن يكفر بكل دينٍ

سواه، ولذلك النصراني إذا دخل في الإسلام شرط إسلامه أن يتشهد بالوحدانية لله عز وجل وبرسالة نبينا صلى الله عليه وسلم وبالبشرية لعيسى وأن يكفر بكل دينٍ سوى هذا الدين، عليه أن يكفر بالطاغوت هذا شرط التوحيد «لا إله الا الله» الكفر بالطواغيت وبكل الآلهة الباطلة وإثبات الألوهية لرب العالمين وحده لا شريك له.

وبالتالي؛ الذي يتصور أن تقوم دولة إسلامية خاضعة لهذا النظام الجاهلي الإبليسي الشيطاني، هذا كمن يتصور نعبد ربك سنة وتعبد ربنا سنة ونعبد ربك شهرًا وتعبد ربنا شهرًا وهكذا التي نفاها القران بقوله: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣)﴾ [الكافرون: ١-٣] هذا الآيات أي الآن، ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (٤) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥)﴾ [الكافرون: ٤-٥] هذا في المستقبل، فهذا الفصل لما هو الآن لا يجوز لمسلمٍ أن يعبد غير الله الآن ولا أن يدخل في قانونٍ يفعل به هذه الجريمة من الشرك فيما هو أت، ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ﴾ الآن، ﴿وَلَا أَنْتُمْ﴾ الآن، ثم ﴿وَلَا أَنَا﴾ غدًا، ﴿وَلَا أَنْتُمْ﴾ غدًا، لا يوجد لقاء، لذلك هذا الدين يقوم على البراء من الشرك.

الدخول في الأمم المتحدة وفي ونظامها يعني أنا الدولة أدانت بدينٍ غير دين الإسلام وبالتالي؛ خرجت عن اسم الإسلام حتى لو بقي هذا الاسم أكذوبةً؛ لأن الله عز وجل يقول: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [المائدة: ٦٨]، أي لا يصح إسلامكم ولو ادعيتموه ألف مرة في كل يوم حتى تعبدوا الله عز وجل، حتى تقيموا التوراة، حتى تقيموا القرآن بالنسبة لمسلم اليوم، وبالتالي؛ أي دولةٍ تدخل في نظام الأمم المتحدة هي دولةٌ طاغوتية، وحتى لو حكمت بالإسلام في داخل الأحكام الفرعية؛ لأن المسلم أو الدولة المسلمة لها قوانين متعددة: منها قوانين تخص علاقتها في داخل المجتمع، ومنها قوانين تخص علاقتها بالدول الأخرى وبالحكومات الأخرى، فيجب خضوع هذه الأحكام كلها لحكم الشرع وتحت حكم الشرع، فلا يجوز أن أقول: أنا أخضع لأحكام الشريعة في إقامة الحدود، أخضع للشريعة في الأحوال الشخصية -كما يسمونها بالاسم المعاصر وليس هو الاسم قديم ولا فقه إسلامي- ولكن أخضع لغير الشريعة في بابٍ من أبوابٍ أخرى، فهذا لا يجوز وهذا كفر، هو كفر بالله.

فالذي يرد حكمًا واحدًا -فرق بين العمل والرد- الذي يرد حكمًا واحدًا يكون كافر، ومن صور الرد التشريع، وأعظم صور الرد على الله عز وجل وعدم قبول حكمه هو أن يعطي حق التشريع لغيره، هذه قضية

محسومة ومُجمع عليها لا خلاف فيها، وبالتالي؛ إذا وجدنا هذه الصورة، ووجدنا أن النظام الطاغوتي يزداد شراسةً كلما شعر بالخطر في أن هناك من يريد أن ينقض أسسه التي قام عليها.

ما معنى دولة إسلامية؟ دولة إسلامية معناها أنها تريد أنا تنقض أسس الطاغوت وتخرج من سلطانه، وتقيم حكم الله فيها وفي غيرها، وهذا كما ترون معناه كما قال أحدهم: «كش ملك»، أحدهم ممن هو مسجون بسبب المخدرات ومشاكل فوجد بعض الشباب المتدينين مسجونين معه، فسألهم: لماذا أنتم مسجونين؟ فقالوا: لأننا نريد أن نقيم حكم الله، ونحن كفرنا بالطاغوت، ونريد تحكيم الشريعة، قال: معنى كلامكم «كش ملك»، أي أن موضوعكم خطير، فمعنى إقامة الدولة الإسلامية أن هذه السياسات يجب أن تذهب، وأن هذه الأحلاف القائمة على نظم جاهلية شركية يجب أن تزول، فسيصبح هناك صراع، وبالتالي؛ هم يتلمسون هذا التكوين بحيث إذا وجد له مجرد ظهور يجب أن يقضى عليه، وكل شيءٍ مسموح في أن يُقضى على هذا التجمع، وهم لا يسمحون بإقامته ولو بأشكال يسيرة جدًا، طالبان ممنوع، مع أي دولة، فأي دولة تريد أن تخرج من الإطار الجاهلي يجب أن يقضى عليها.

وبالتالي؛ كان من الصعب جدًا، يمكن أن تقوم في الأطراف دولة إسلامية تحكم مثل ناس في قرية يحكمون بالشريعة بما هو خاص من أنفسهم، ويتركونها لأسباب أو بسبب عدم الاهتمام لها وإن كان هذا صعب، ولكن يمكن أن يكون، غنما أن تقوم دولة إسلامية بمفهوم أن تدعو بقية المسلمين من أجل أن يدخلوا في بيعتها، وأن يدخلوا في سلطانها من أجل أن يقضوا على أُطر وحلقات الجاهلية الأخرى، هذا لا يسمح به، وبالتالي؛ المسألة في هذا الموضوع مسألة وجود، وليست مسألة سياسية يمكن التفاوض عليها.

من هنا كنت أقول دائمًا لإخواني: أنه لا يمكن أن تقوم دولة إسلامية بمفهوم الشرع الصحيح التي قامت عليه دولة النبي صلى الله عليه وسلم وسلطان الإسلام في المدينة إلا من خلال وجود ظرفٍ تاريخي وموضوعيٍ وليس فقط إقليمي، بلا دولي يتوافق مع هذا الصعود الإسلامي، وهذا أمرٌ قدري.

ومن هنا لا ينبغي أن نعلق أسباب فشل حركات الإسلام في إقامة دولة إسلامية لجهلهم أو لعدم هداية الله لهم، لا، هو الموضوع القدري يصادمهم، لا يوجد إمكانية، وإذا وجدت فإنها ستموت فورًا؛ لأنها نبتة يسيرة أمام مجنزرة كبيرة من الطواغيت وتحالف شركي كبير سيؤدي إلى سحقها.

إن صعود الدولة الإسلامية أيها الأخ السائل صعود نواة الدولة الإسلامية ونموها يحتاج إلى أمة، الدولة الإسلامية معنى أمة تحمل الإسلام والدولة الإسلامية أمة إسلامية تحمل الجهاد وأمة إسلامية تدافع عن كيانها، أمة، فلصعود دولة إسلامية بنواتها في تكوين وتجميع الأمة بالمفهوم السياسي، وبعض الناس يقول: هذا الشيخ ينفي وجود أمة إسلامية، نعم أنا أنفي وجود أمة إسلامية بالمفهوم السياسي، ولكن هل يوجد في العالم مسلمون؟ هي أمة إسلامية مقابل أمة نصرانية وأمة سيخية وأمة بوذية وأمة كنفوشوسية وأمة يهودية، الجواب: نعم يوجد هذا، وفرق بين أن يكون هناك أمة بالمفهوم السياسي لها سلطانها على نفسها وتستطيع أن تقاوم الآخر وتنشر دينها في الآخر، وبين أمة إسلامية في أن هناك أناس مسلمين، فللأسف نحن أمام أطفال يلتقطون الكلمات وينزلونها على طريقة اهل البدع قديمًا، يأخذون الكلمات ويضعونها كما يحبون من التكوين ومن الجهالة.

أعود إلى الموضوع في أن الأمة الإسلامية تنتفض، وكان في وقت من الأوقات الأمة الإسلامية تضمر وتضعف حيث بلغ الضعف والهوان بها في تكوين دولة يهود في داخل عقر دار الإسلام في بلاد الشام، وقامت دولة طاغوتية بحمايتها، وتدخل في نظام الجاهلية الذي يدعمها وينصرها ويتحالف معها ضد أمة المسلمين، الذي حدث أن الجهاد كان يقوم من أجل إثبات نفسه وإعطاء الرسالة لبقاء مفهوم الإسلام في أذهان الناس، جهاد نكاية يرسل الرسائل، فقامت الأمة وبدأت تنتفض والحمد لله بدأت معالم التشكل والتكوين والبناء لهذه الأمة، والنواة لتكوين الدولة بدأت توجد، الأمة بدأت تتحمل المهمات والواجبات بنفسها تاركةً حكام الطواغيت والردة بعيدًا عن تحميلهم تكاليف الأمة؛ لأن الناس كانوا يظنون أن الحكام يمكن أن يأتي منهم الخير فيقفزوا بهذه الأمة نحو أهدافها من تطبيق شرع الله وخروجها من سيطرت الطواغيت وبنائها من أجل نشر الإسلام في الخارج، وكل هذا لم يحدث؛ فانتفض الناس من أجل تحقيق مقاصدهم ومقاصد هذا الدين، الجماعات هنا -من غير ذكر الأماكن أنتم تعرفونها- فبدأ الإسلام ينمو في تكوين الأمة، وبدأت الجاهلية تضعف وتتلاشى لأسباب كثيرة: منها فكرية، ومنها سياسية، ومنها اقتصادية، ومنها عسكرية، والآن الذي نراه هو تشكل صعود لهذه الأمة وضعف في الآخر.

والحالة التي ينبغي أن نصل إليها، هي حالة ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (١)﴾ [الفتح: ١]، هذه شرحتها في «صبغة الله الصمد»، وأرجو من المستمع أن يعود إليها.

ما هو الفتح المبين في صلح الحديبية؟ في أن النظام الطاغوتي المتمثل بقريش المسيطر على الجزيرة العربية سمح بوجود تحالفٍ آخر يقابله، في لحظة من لحظات الضعف والسقوط والهوان سمح لهذه القوة الصاعدة بأن تكون، تحالف، من دخل في حلف محمد صلى الله عليه وسلم فله الحق في ذلك، ومن دخل في حلف قريش له ذلك، إذن صار هناك قبول لأناس، أما الآن غير مسموح، الآن هناك سحق، ما زالت الجاهلية تعاند وتدفع نفسها من أجل حرب قوية ضد خصومها، وما زلنا نحن كذلك نجاهد ونصعد، الأمة، أتكلم عن الأمة بكل أطيافها وخاصةً طائفة الجهاد، والأمم بدأت تكفر بهذه الكيانات المصطنعة والوظيفية والمرتدة، وبدأت تفهم أن وجودها متعلق بإزالة هذه الكيانات وهذه الحلقات للصعود، إذن نحن نصعد.

فكان النبي صلى الله عليه وسلم يصعد وقريش تنزل، أما البداية بدأت صعبة، رجلٌ واحد عليه الصلاة والسلام يدعو إلى الدين، هاجر إلى المدينة خائفًا يترقب، ثم هذه قريش التي تسيطر على شبه الجزيرة العربية، لكن بدأ الصعود، صارت معركة بدر ومعركة أحد على ما فيها، وهكذا صعود، صعود، وهؤلاء يهبطون، يهبطون؛ حتى وصلوا إلى حالة من التساوي، صارت في صلح الحديبية خلاص كل واحد اعترف بالآخر، قريش قدريًا موجودة، لكن هذا الشيء الصاعد، فكان اعتراف قريش بهم وهذا من أعظم الفتح. الكثير من الدول تريد أن تخرج من سيطرة الطواغيت لكنها لا تستطيع، عندما نصل إلى درجة من القوة بأن يعلن الناس أننا مع هذ الحلف خروجًا من سيطرة هذا الطاغوت المسمى بالأمم المتحدة الذي تسيطر عليه هذه الدول الطاغوتية المجرمة الشيطانية الكبرى، حينئذٍ يتم التوازي؛ حينئذٍ يتم الصراع على سياقه.

وطبعًا هذه الصورة التي أقدمها ليست صورة تامة، إنما هي صورة تقريبية من أجل أن أبيّن بأن إقامة الدولة الإسلامية يحتاج إلى اضطراب، لحظة اضطراب، أنت كيف تستطيع أن تدخل بين أناس لتتسلل إلى مقعدٍ بينهم؟ في لحظة اضطراب، لحظة مشاكل، لحظة ضعف، كيف يدخل الفيروس إلى الجسم؟ في لحظة ضعف، كيف يدخل لص إلى البيت؟ في لحظة ضعيف واضطراب، فنحن ضعفاء، ففي لحظة اضطراب يكون هناك الصعود، يصبح هناك مشكلة في العالم كما صار الربيع العربي الذي بعد ذلك صار ربيع للمجاهدين وبإذن الله تعالى سيمتد، في لحظة ضعف صعد المجاهدون ووجدوها فرصة، في لحظة مشاكل خصومات بين اثنين تصعد الطائفة الإيمانية وتثبت نفسها بمقدار ما يحقق لها القدر ذلك، السعة، كما صار في أفغانستان، كما صار في الشيشان، وكما يحدث الآن في هذه البلاد.

فالقصد: بأن الموضوع هو موضوع قدري، نحن نتمنى أن تقوم دولة إسلامية في وسط وأكبر المعالم، لكن هذا لا يكون، الدولة الإسلامية كيانٌ حي، يموت ويحيى، مات، الإسلام لا يموت، الإسلام باقٍ في الأمة، لكن الدولة الإسلامية كيان يتنفس ويموت، وفي وقت من الأوقات قُضي على الدولة الإسلامية، فهي كيان قدري، يحتاج إلى أركان مادية ليكون موجودًا، فإذا فقدت هذه الأركان المادية ذهب هذا الشيء، وأنا أتكلم عن كيان لا أتكلم عن الإسلام، فالإسلام لا يذهب من الأرض حتى تخرج الريحة الطيبة فتقبض أرواح المؤمنين.

وبالتالي؛ في مثل هذه الظروف إذا أراد الناس دولة إسلامية فإنهم يتنازلون عن الإسلام نفسه، وأنتم ترون هذا في الأحزاب التي سمح لها أن تصل إلى سدة الحكم؛ فإنها اضطرت إلى التنازل، فإما أن يبقى عندها الأمل بأنها ستتقدم نحو أهدافها، ولكنها سكنت أو تركت بعض المطالب بسبب الضعف، فهذه يقضى عليها فورًا، وأما إذا هي سكنت إلى الجاهلية وغيرت مناهجها وقبلت اختلاط الإسلام بالجاهلية كما تفعل بعض الأحزاب الآن، حينئذٍ يمكن أن يُرضى عنها، وحينئذٍ تكفر وتخرج من الملة؛ لأنها قبلت أن تجمع بين الضب والنون كما تقول العرب، جمعت بين الإسلام والكفر، وهذا معناه الكفر، اجتماع الإسلام مع الكفر معناه كفر، أنا أتكلم هنا عن المناهج، أتكلم عن التشريع، أتكلم عن القوة الحاكمة الكلية للدولة.

ولذلك كان هذا الحديث بالنسبة للسؤال كان حديثٌ ماض، هل يمكن إقامة دولة إسلامية ضمن السيطرة التي يعيشها الغرب وتعيشه الطواغيت ضدنا من خلال الغرب ورجاله وأسلحته وجنوده وعملاءه؟ هذا أجبت عنه، ولكن الآن الظروف تغيرت، ما زلت أُأمل وما زلت أقول: سترون بأن هناك تغيرات كبرى سوف تؤدي إلى صعود الأمة وإلى وصولنا إلى اللحظة التي بها يتم القضاء على دولة إسرائيل وهي مظهر تخلفنا، وجود دولة إسرائيل في عِقر دار الإسلام كوجود الصليبيين مظهر تخلفنا، مظهر ضعفنا، فإزالتها تعني أننا قد نشطنا وعدنا إلى مهمتنا، هي لحظة لا أريد أن أتكلم عنها تيئيسًا، ولكنها اللحظة التي تسبق كذلك خروج روح البشرية جميعًا في قيام الدلائل الكبرى لقيام القيامة.

بارك الله فيكم وجزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

٣٦٣- قول شيخ الإسلام بالقدم النوعي

ضمن الجلسة الثلاثون، بتاريخ: (**٢٦/٠٦/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٤/٠٣/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل الأخ يقول: السلام عليكم ورحمة الله -وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته- **شيخنا الفاضل هل أخطأ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حين قال: بقدم النوعي للعالم وأن الحوادث لا أول لها، وما تبرير ذلك؟**

جواب الشيخ: مثل هذا يحتاج إلى كتابة ولكن لا بأس أن أجيب عنه: أولاً: أريد أن أبيّن بأن ابن تيمية رحمه الله وكل مسلم في الأرض يعلم بأنه لا خالق إلا الله، وأن كل شيءٍ له أولية، حيث لم يكن، قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا (١)﴾ [الإنسان: ١]، وهذه الآية في الإنسان أنه لم يكن شيئًا مذكورًا، وكل شيءٍ في الوجود لم يكن شيئًا مذكور، إذن هاتان القاعدتان يقررهما ابن تيمية رحمه الله في كثيرٍ من مواطنه في الرد على الفلاسفة والرد على من يقول بقدم العالم، أو يقول: بأن الأشياء تخلق بعضها، وإن كان هذا القول محدث، ولكن هناك من قال بقدم العالم من الفلاسفة.

فإذن القاعدة الأولى عند كل مسلمٍ ومنهم ابن تيمية وإلا لكان خارجًا من الإسلام ابن تيمية وغير ابن تيمية لو قالها من قالها، أولاً: أن كل شيءٍ هو مخلوقٌ لله، هذه الأولى؛ فلا يوجد شيء قديم بمعنى أزلي لا أولية له، بل كل شيءٍ قد خلقه الله، كل شيء غير الله عز وجل فهو مخلوق، والله عز وجل هو سبحانه وتعالى الأول الذي ليس قبله شيء، هذه النقطة الأولى تخرج الثانية إذن لكل شيءٍ أولية، هذه القضية مهمة كل شيء له أولية.

فهذه النقطة ترد على من يزعم بأن ابن تيمية رحمه الله يزعم أنه هناك شيءٌ قديم كان مع الله وهو ليس مخلوقًا من الله عز وجل، أو أنه شيءٌ يؤدي إلى الشرك؛ لأنه في كل مذهب من مذاهب أهل السنة أو مذاهب المسلمين يجعلوا صفةً لله عز وجل هي التي تقرر ألوهيته أو تقرر ربوبيته، الصوفية يرون أن الغنى والفقر، العلاقة بين الغني والفقير، المتكلمون يقولون: بأن أجلى صفة هي صفة القدم لله عز وجل، بغض النظر عن هذا الاسم

هل هو صحيح أو غير صحيح، بعض أهل السنة يثبتوا هذه الصفة من المتقدمين ومن المتأخرين فالحليمي أثبت هذه الصفة، البيهقي أثبت القدم، حتى بعض من انتسب للسلفية كالسفاريني في عقيدته أثبت صفة القدم لله عز وجل، المعنى الذي ليس له أولية، أي أنه لم يكن ثم كان.

الآن ما الذي يقوله ابن تيمية -أمام هاتين القضيتين- ما الذي يقول؟ كلمة حوادث -انتبهوا- طبعًا كل جملة لابن تيمية رحمه الله في هذا الباب تحتاج إلى معرفة سياقها للرد على من؟ كلمة حوادث عند المتكلمين تعني مقابل القديم، نحن قلنا: أن الصفة التي هي أساس كل الصفة عند المتكلمين هي القدم، يقابلها الحادث، إذن كل حادثٍ عندهم مخلوق، هذا الكلام بهذا المعنى؛ أن كل حادثٍ مخلوق، جعلوا أن كل من له بداية لا يجوز أن ينسب إلى الله عز وجل، وبالتالي؛ هم على اختلافٍ في تفسير كلمة الإرادة وموضوع تجدد الإرادة، أنكروا الكثير من الصفات التي فيها تعلق بهذا المعنى وهو أنه شيءٌ لم يكن ثم كان، كرضا الله، كغضب الله، ككلام الله، الله يتكلم، متى تكلم؟ لما تقول متى تتكلم؟ إذن كان هناك بداية لكلامه، فللأسف جعلوا كل ما يطلق عليه حادث أنه مخلوق، ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢]، هذا محدث بمعنى أن هذا الكلام لم يكن في وقت من الأوقات، ولكن ليس العلم، الكلام، ثم تكلم به الله عز وجل.

فبالتالي؛ قالوا: لا يجوز حدوث الحوادث؛ لأن حدوث الحوادث أي الأشياء أو الأفعال والمعاني التي لم تكن ثم كانت؛ دلت على وجود مخلوقات ما دام أنها حادثة فهي مخلوقة فهي في ذات الله وبالتالي؛ لا يجوز، من هنا أنكروا كلام الله على المعنى الصحيح، أنكروا حب الله على المعنى الصحيح، أنكروا بغض الله على المعنى الصحيح، أنكروا رضا الله على المعنى الصحيح، وجعلوها معاني أخرى لا نريد أن نتكلم عنها سواء كان ممن أنكر هذا إنكارًا كليًا أوله كما تفعل الأشاعرة، الإرادة عندهم قديمة ومنجزة، ولهم تصور غريب جدًا لا يكاد يفهم، وأما الآخرون فأنكروا هذا كليًا -لا بأس لأن السؤال يحتاج إلى البسط فأنا أستطرد فيه بمقدار ما يمكن للمرء أن يستطرد في هذا الباب-.

والأشياء إما أن تكون فردًا، وإما ان تكون نوعًا، النوع معروف أنه لا وجود له إلا في العقل، ولما تقول: كلمة حديد، هكذا حديد، نوع الحديد، هل هناك شيء في الوجود يطلق عليه هو نوع الحديد؟ أم أن ما في الوجود واقعًا من مخلوقات هو أحد أفراد هذا النوع -تأمل هذا- إذن الموجود المخلوق هو أفراد الحديد، هذا

حديد، هذا الباب حديد، هذا المقبض حديد، هذه الساعة حديد، فهذه أفراد، لكن نوع الحديد هو شيءٌ علمي ومعنوي، الله عز وجل خلق الحديد فوجود المعنى في ذات الله عز وجل هو القديم؛ أن الله سبحانه وتعالى عنده قدرة على خلق الحديد؛ لأنه قال القدم النوعي للحوادث، القدم النوعي، ما هو النوع؟ هل هو وجودٌ خارج الشيء؟ أم هو علمٌ في داخل المتكلم به والعالم به؟ نوع الأشياء ليست حوادث خارجة عن الأشياء، في ذهنك تقول الحديد هكذا، نوع الحديد هو علمٌ عندك وليس شيئًا واقعيًا، أما أفراد الحديد فهي موجودة، فالآن هاتان هما القضيتان إذن.

وابن تيمية ماذا يقول؟ يقول: بأن نوع الأشياء قديم، ما معنى نوع الأشياء قديم؟ نوع الأشياء القديم، ما هو النوع؟ هل هو شيءٌ خارج؟ -انتبه- هل هو شيءٌ خارج الذات الإلهية؟ لو كان خارجًا لما سمي نوعًا، لسمي أفراد، ما هو نوع الحديد في ذهنك؟ -ولله المثل الأعلى- ما هو نوع الحديد؟ هو شيءٌ ذهني، إذن هذا هو المعنى، أنا حاولت كثيراً أن أقرب لكم هذا المثال، إذن انتهينا من القدم النوعي، ارجع إليها وفرق بين النوع بالمفهوم العلمي والحوادث الفرعية للأشياء الحادثة.

الآن نرجع إلى القضية الثانية: حوادث لا أول لها، نحن قلنا: بأن الحادث شيءٌ لم يكن ثم صار، هذا عند المتكلمين ألزموا أن كل شيءٍ لم يكن ثم صار لا بد أن يكون مخلوقًا، ولهذه القاعدة عندهم نفوا حدوث الحوادث في ذات الله، بمعنى الصفات الفعلية، صفات الذات التي لها تعلق بالإرادة، أي؛ **(الله ينزل)**، **(الله يأتي)**، **(جاء ربك)**، **(الله يرضى)**، هذه لم يكن راضيًا ثم رضي، ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، كلمه لما جاء، هذه ينفونها تحت دعوة أنها حوادث لا يجوز أن تحدث في ذات الله عز وجل؛ فنفوها، هناك من نفاها، وهناك من أولها أي نفاها وأثبتها على معاني باطلة كما هو رأي الأشاعرة الكُلابية، حوادث لا أول لها بمعنى أن الله سبحانه وتعالى -الآن هذا الكلام على أهل السنة ليس الكلام على أهل البدعة- كما في الحديث: **(كان الله ولم يكن شيءٌ معه)**، هذا الحديث ابن تيمية تكلم عنه وقال: والصواب: «كان الله ولم يكن شيءٌ قبله»، هذا هو اللفظ الأصوب، والصواب هذا وهذا ليس فيه شيء، فما معناه؟ معناه الحوادث التي تحدث في ذات الله عز وجل وليست خارجة عن الله عز وجل، وليست خارجة؛ لأنه هناك الخالق وهناك المخلوق، فهناك أشياء تحدث في ذات الله عز وجل هي من صفاته، حتى لو أنها لم تكن ثم صارت فهذه

قديمة، الله عز وجل سبحانه وتعالى حيث كان جل في علاه قديم كانت هذه المعاني تحدث في ذات الله عز وجل فهي؛ حوادث بمفهوم المتكلمين وحوادث من مفهوم اللغة، ولكنها ليست على مفهوم المتكلمين أنها مخلوقة، هم جعلوها مخلوقة لزومًا فنفوها عن الله عز وجل؛ فنفوا صفات لله عز وجل.

والجواب هو الذي قلناه: بأنها معاني وأفعال لله عز وجل لم تحدث لكن سبحانه وتعالى موصوفٌ بها قبل أن يفعلها جل في علاه، هو خالقٌ قبل أن يكون هناك مخلوق، هو رازقٌ قبل أن يكون هناك مرزوق، وهكذا. إذن نقطة القدم النوعي، فسر لنا النوع؟ ما معنى النوع؟ هل هو وجودٌ خارج الشيء أم هو النوع، فهم النوع؟ هل هو شيءٌ خارجي؟ فالنوع ليس وجودًا خارجيًا، وليس وجودًا منفصلاً، هذا واحد.

الشيء الثاني: حوادث لا أول لها فينبغي أن تفسر على الحوادث بالمعنى القديم الذي عليه أهل السنة وليس على ما يقوله الآخرون، وبالتالي؛ انحل الإشكال إن شاء الله تعالى في هذا الباب مع أن هذه التقدمة تحتاج إلى تفصيل من كلامه رحمه الله ضمن سياقات الردود؛ لأن هناك مبحث ينبغي أن يدرس وهو طريقة ابن تيمية رحمه الله في استعراضه للمسائل وأنه كيف يتكلم في سياقات معينة ضد مخالفين على ما يقولونه؛ فيظن الظان أنه يطلق هذا الرد في كل حال وفي كل مجال، وهذا من الأخطاء التي للأسف يقع فيها البعض من محبي ابن تيمية رحمه الله وبعض خصومه، والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين.

٣٦٤- موسى عليه السلام وقتله لمن وكزه

ضمن الجلسة الثلاثون، بتاريخ: (**٢٦/٠٦/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٤/٠٣/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، -أرجو أن أقرأ مقدمته كما كتبها حتى يعلم أني أجيب عن سؤاله، فأقول: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته- شيخنا أبا قتادة أسأل الله أن تصلك هذه الرسالة وأنت في خيرٍ وصحةٍ وعافية -آمين، وإياك أخي- حفظك الله بحفظه وأهلك ورزقك من فضله -آمين وإياك- وأنه لمن دواعي سروري أن أفهم من كلامك في شروحك أنك قد تكون قرأت لي، فإن كان كذلك؛ فإن رسائلك تصلني وإن لم يكن فاعلم أني أسعد بكلامك على أية حال -جزاك الله خير بارك الله فيك- ولي سؤال لو تلطفت عن موسى عليه السلام وقتله لمن وكزه فما ذنبه في ذلك واستغفاره منه؟ تلميذك المحب.

جواب الشيخ: الله عز وجل يقول: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى﴾ [القصص: ١٤]، يسأل الأخ عن هذه الآية، وهذا الموقف من موسى عليه السلام، أن كليم الله سبحانه وتعالى الذي سماه الله مُخلصًا، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٤) وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ (١٥) قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٦)﴾ [القصص: ١٤-١٦]، فالأخ السائل حفظه الله وجزاه الله خيرًا، يقول: لماذا استغفر والقبطي عدو؟ وكأنه يرى بأن قتلى الأقباط كان شريعةً لبني إسرائيل في أنه يجوز له أن يغتالهم، يجوز أن يقتلهم.

والجواب: لا يوجد ما يدل على هذا، الذي نعلمه بأن الله عز وجل لم يشرع الجهاد لأمةٍ من الأمم إلا لبني إسرائيل، أول ما شُرع الجهاد شُرع لموسى عليه السلام، لكنه ليس خلال وجود بني إسرائيل في مصر، إنما شُرع الجهاد بعد أن خرجوا من مصر، وأما في داخل مصر فلم يُشرع لهم الجهاد هذا واحد.

وفي سورة «القصص» قال ربنا عز وجل: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى

﴿بَصَائِرَ لِلنَّاسِ﴾ [القصص: ٤٣]، قال المفسرون وتستطيع أن تراجعوا هذا القول في «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير رحمه الله: بأن هذا هو أول ما شُرع الجهاد، أن الله عز وجل قد شرع الجهاد لموسى عليه السلام وليس هناك أمة من الأمم شُرِع لها الجهاد قبل موسى عليه السلام.

القصد: بأن شريعة الجهاد أي قتل الظالمين وقتالهم لم يكن قبل موسى عليه السلام، وليس وهم في داخل مصر، وإنما لما خرجوا من مصر والله عز وجل أمرهم أن يدخلوا الأرض المقدسة فلم يدخلوها، ومات موسى عليه السلام على مرمى حجر ولم يدخل الأرض المقدسة إنما دخلها بنو إسرائيل بعد ذلك مع نبيٍ آخر وهو خادم موسى يوشع بن نون كما تقول التوراة؛ لأن هارون عليه السلام مات قبل موسى عليه السلام.

أعود:

فإذن هذا ليس مشروعًا فقضى عليه هذا واحد. الشيء الثاني: قد يقول: هذا ليس من الجهاد وإنما هذا من دفع الصائل، شرط دفع الصائل أن يُدفع المرء بمقدار ما يرد ظلمه ولا يزيد، بمعنى لو أن رجلاً أراد أن يضرب رجلاً لطم على وجهه، هل يجوز له أن يواجهه بالسيف فيقطع له يده؟ الجواب: لا، إنما يدفعه بمقدار دفع هذا الظلم، وهو أن يمنعه من لطم وجهه، فيستطيع بعصا، وأما بسيف لا يجوز، بمسدس لا يجوز؛ لأنه حينئذٍ يكون دفعه فيه الظلم أكثر من ظلم من أراد أن يصول عليه، فشرط دفع الصائل بأن يدفعه بمقدار ما يحقق هذا الدفع ولا يزيد عليه، ولا شك أنهما كانا يقتتلان وأراد ضربه أو إهانته ولم يرد قتله فجاء موسى عليه السلام بقوته التي أشار إليها ربنا عز وجل ووكزه؛ فمات........... (١)

---

(١) مقطع الفيديو غير كامل، وصل التفريغ إلى هنا وتوقف.

٣٦٥- كيفية التعامل مع القنوات الفضائية

ضمن الجلسة الثلاثون، بتاريخ: (**٢٦/٠٦/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٤/٠٣/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل يقول: حياك الباري شيخنا الغالي وحماك من كل أذى وسوء، محبكم من الجزائر العاصمة، وددت من فضيلتكم بعض النصائح في كيفية تعاملنا مع القنوات الإعلامية المرئية منها خاصةً في بلدنا، والتي تلعب دورًا كبيرًا في تربية أجيال تخلفيه تخدم الجاهلية بصورةٍ أو بأخرى بشتى الوسائل والطرق، وإن شئت شيخي أرسلت لك الآلاف من الفيديوهات كدليلٍ على ما أقول، جزاك الله خيرًا.

جواب الشيخ: كل البلاد كبلدك الذي تتحدث عنه، موضوع الإعلام موضوعٌ خطير، وهو سلطة، سلطة تعليمية، وسلطة تربوية، وسلطة تشكيل العقائد وتشكيل الأفكار وتشكيل الاتجاهات، فلذلك الإعلام خطير، وتحدثت أكثر من مرة في أجوبتي على هذه الأسئلة بأن الإعلام اليوم صار فنًا خطيرًا وله قوانينه وفيه ذكاء، ووصل القائمون عليه إلى أعلى الرقي العلمي في إدراك هذا الفن الخطير، وهو فن صناعة العقول من خلال الإعلام وخاصةً المرئي منه.

وبدأ يتلاشى دور الكتاب للأسف، والسماع أيضًا بدأ يتلاشى الدور الكبير له، الناس كانوا زمان ليس عندهم إلا الكتاب، يقرأون الكتاب، فالكتاب كان له دور واسع، ثم تلاشى مقابل الإذاعة، الإذاعة الآن تلاشت مقابل الصورة، والصورة في كل مجالاتها، ليس فقط التلفاز، حتى التلفاز بدأ يتلاشى دوره كثيرًا، الآن الفيديوهات، واليوتيوب، ووسائل التواصل التي تسمى بوسائل التواصل الاجتماعي اليوم، لها دورٌ خطير في بث الأفكار وصناعة العقول وتوجيه الأمة.

وبالتالي؛ ما ذكره الأخ عن بلده هذه ليست حالة خاصة في الجزائر، هذه حالة للأسف منتشرة في كل البلاد ربما تزيد في بعض البلاد العلمانية الفاجرة الكاشفة السافرة، ربما تجدونها في بعض البلدان أكثر من أخرى، وربما تكون في اتجاه معين في بلدٍ وفي اتجاهٍ آخر في بلدٍ آخر.

واليوم كل البلاد للأسف ذهبت الخصوصيات بينها بسبب الإعلام العام، أي الآن أنا أقول هذه الكلمة

يسمعها كما يسمعه الأخ في الجزائر؛ فلذلك الحدود الضيقة والحدود الجهوية والحدود القطرية بدأت تتلاشى، إنما بلا شك هناك بلاد فيها جرعات إعلامية وإجرامية زائدة لأسباب: بسبب فسق أهلها، بسبب أن القائمين على هذه الأدوات أكثر دخولاً في الكفر والشرك والجاهلية أي في العلمانية، من الصعب جدًا الآن أن نصنع الكيبوتس الفكري، وأقصد بذلك أن نقوم بعملية الإحاطة، وإن كانت هذه هي أعظم درجات وأقوى درجات التأثير وهو أن نحصن النشء، وهذه تحتاج إلى قدرات هائلة، وتحتاج إلى أن نهتم بإنشاء بيوتنا على نوعٍ من أنواعٍ معينة، البيوت نهتم بها، والآباء يهتمون بها، والأشقاء الكبار يهتمون بها بالنسبة لإخوانهم، والآباء لأبنائهم، والأمهات لأبنائهن، فهذا يحتاج إلى قدرات هائلة.

وبقاء تعليق الصلاح على هذه المؤسسات وتغيرها في مثل الظرف صعب؛ لأن هذه المؤسسات أصلاً مُأطرة والقائمون عليها مأجورون، مدفوع لهم الأموال، ونحن ضعاف في قضية القيام على البدائل الكافية، إنما هناك لا بد من دعوة لأصحاب الأموال في الاستثمار في هذه الأبواب، هناك قنوات في الحقيقة مجاهدة تقابل هذا الإعلام الساقط والإعلام المنحط والجاهلي، هناك قنوات على ما فيها من هِنات لكنها على الجملة تشغل أوقاتًا وتشغل حيزًا في البيت المسلم وفي الأسرة المسلمة، وهذه يجب علينا أن نشكره وأن ندعمها وأن نهتم بها.

وعلينا أن نهتم بإيجاد البدائل الكثيرة في داخل المؤسسات الصغيرة كاليوتيوب أن نُنشئ القنوات التي توصل الفكرة إلى الناس، المساجد كما تعلمون أغلب مساجد المسلمين صارت مؤممة، والخطيب مأسور بما يلقى عليه من أوامر من قبل المؤسسة الحاكمة، ومع ذلك يستطيع الخطيب أن يخرج خروجات معينة توصل الفكرة بتحصين الأمة من خلال الوعظ والتربية.

كذلك في كثير من البلاد يوجد إمكانية إنشاء مدارس يقوم عليها الصالحون، يقوم عليها دعاة، يقوم عليها عباد، يقوم عليها إخوة، وتقوم عليها أخوات، تعتني بهؤلاء النشء، يعني هذه المعركة معركة اكتساب العقول والنفوس ومعركة العلم والمعرفة ضد الجاهلية، هذه إحدى معاركنا الكبرى التي في وقت من الأوقات استطاع الناس والشباب أن ينتصروا فيها، فبعد أحداث سبتمبر اعترفت أمريكا بأنها فشلت أمام الإعلام الداخلي الذي يُبث عن طريق الحلقات الضيقة السرية، سواء كان من داخل الأجهزة أو داخل القنوات التعليمية أو الإعلامية في داخل الأجهزة الحديثة، اعترفوا بضعفهم، والآن الأمر أخطر من ذلك أنشأوا مراكز تسمى الذباب الإلكتروني

يقوم عليها مئات الآلاف من الناس ويُبذل لها المليارات؛ من أجل ملاحقتك لقصف عقلك، ولقصف منهجك، ولقصف دينك.

وأنتم ترون حتى الدول التي كانت تدعي السنية والحفاظ على الحالة الاجتماعية الإسلامية، هذه الدول تراجعت، بل صارت من دعاة الباطل، وأدخلوا الفجور، ويستهزئون بالدين، يأتون بالفجور ويسمونه ضمن الشروط الإسلامية، كالذي يقال له: اشرب الخمر، ولكن بيمينك إياك أن تشرب الخمر بيسارك لأن الشرب باليسار هي طريقة الشيطان في الشرب!! لكن لا يتحدثون عن الخمر، وهكذا يقولون، ولا ندري كيف يغني المغني ويفسق الفاسق ويفجر الفاجر أمام الألحان المطربة ثم يقول: ضمن الشروط الإسلامية!! أي ممنوع المرأة أن تخلع صدريتها مثلاً!! أن تخلع ثيابها لترقص أمام الجموع!! أما ترقص وهي كاشفة متزينة تراقب من خلال الكاميرات وتبث ليراها الرجال هذه لا بأس بها!! لأن الرجولة سقطت والشهامة سقطت وقيمة العِرض قد داسها هؤلاء بأقدامهم القذرة.

وللأسف المجتمعات فيها عوامل القبول مع أن فيها عوامل الرفض بفضل الله عز وجل، كالمجتمعات الإسلامية، النساء المسلمات، المتحجبات، الشباب المتدين في المساجد، فيهم عوامل الرفض، لكن كذلك هناك جهات ضعيفة تنساق وراء هذه الْمُتع التي تدس وتقتل المروءة وتقتل الدين وتقتل الشهامة وتقتل القيم الإيمانية العظيمة من قيمة العرض والشرف.

فالقصد من هذا: إن ما يشكو منه الأخ في بلاده هو شكوى كل بلاد المسلمين، والمطلوب هو: أن نحصن أنفسنا، أن يراعي الرجل أبناءه في البيت، أن يراعي الأخ الكبير إخوانه في البيت، أن نشغلهم بالبدائل، فالآن لا يستطيع أحد أن يقول: والله أنا في وسط القاهرة أو في وسط الجزائر العاصمة ولا أقتني تلفزيون؛ سيهرب الولد إلى بيت الجيران، وهناك قنوات إسلامية فيها بعض الضعف ولكن يمكن أن تملأ الكثير من الخير، فهذه جيدة، وكذلك كما تكلمت إنشاء المدارس، ونشر اللقطات والعلوم، حتى الأفلام على ما فيها من أخطاء ولكنها تشغل الكثير من الخير في عقل هذا الطفل والنشء، الكبار عجروا إلا إذا كان فيهم فساد أصيل، وإلا الكبار صعب جدًا أن يخضعوا لسلطان الباطل على ما فيه خضوع لبعضهم للأسف على كبر، بعض المشايخ ذلوا وهزلوا وضعفوا وانساقوا مع الجاهلية والفساد، شيخ تراه بلحية أطول من لحيتي ويسقطون في كلمات

ومواقف اجتماعية تسقطهم.

وأنا أتعجب من شيخ يخرج ليتحدث عن علاقته مع زوجته!! والزوجة مع زوجها ماذا يجري؟! كيف اخترت زوجتك هذه؟ لكنها للأسف صور من أجل إسقاط قيمة التدين وصورة المتدينين في المجتمع، ويقوم على هذا أناس أبالسة، وبعض الشيوخ انساقوا في مثل هذه الأمور بطريقة مؤسفة من الصَغار والجهل والضعف. فهذه كلها أمور يمكنها أن توقف، وليس لها من دون الله كاشفة إلا بأن يُقضى على الجاهلية، ويُقضى على عبادها، هذه الخيمة الكبيرة من الجاهلية لا يمكن أن نُزيل مفاسدها إلا بالقضاء على العماد، على «الطنب» على هذا العمود الأصلي الذي تقوم عليه خيمة الجاهلية، وليس هذا على الله ببعيد لعلنا نراه قريبًا إن شاء الله.

بارك الله فيكم وجزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

٣٦٦- هل يجوز لشاب مسلم أن يستعين بإحدى الأنظمة الكافرة؟

ضمن الجلسة الثلاثون، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٦/٢٦هـ الموافق لـ: ٢٠١٨/٠٣/١٤ م**)

الحمد لله والصلاة، والسلام على رسول الله:

هناك سؤال طويل من أخ أرجو الصبر على سماع سؤاله، وربما يكون الجواب أقصر من السؤال.

يقول الأخ: كان لدي استفسار خاص جدًا، هل يجوز للشباب المسلم في إحدى الدول العربية التي يحكمها نظام عميل أن يقوم بالاستعانة بأحد الدول أو الأنظمة التي تحارب المسلمين مثل التي تقصف المسلمين في سوريا كإيران أو فرنسا أو أمريكا، وذلك لتقوم هذه الدول بتقديم العون له في معارضته للنظام العميل، مثل: التدريب على المعارضة السياسية وأخذ الدعم المالي منها أو حتى التدريب العسكري أو خلافه، يقول: اعذرني إن كان السؤال غير مفصل أو مباشر، فأنا أتكلم عن المبدأ بشكلٍ عام من الناحية الشرعية في حكم الاستعانة بمثل هذه الدول سواء كانت شيعية أو كافرة رغم أنها تحارب المسلمين في دولة أخرى كمثال سوريا.

جواب الشيخ: أنا حزين جدًا لمثل هذا السؤال، هذا السؤال منبعه هو عدم إدراك البعض للجاهلية، ومنبعه

عدم دراسة التاريخ المعاصر للحركات الإسلامية دراسة صحيحة وكافية لأن نقود معركتنا للتخلص من الجاهلية وإقرار الشريعة.

اعلم أيها الأخ الحبيب –وهذا الكلام سبق أن تكلمت به–: بأن الجاهلية مظلةٌ واحدة، وأن هذه النظم تختلف فيما بينها، ولكنها تلتقي على شيءٍ واحد ألا تكون، وإذا أعطتك شيئًا من القوة فإنما تعطيك إياه كمد الحبل إلى مسافةٍ معينة حتى تحقق مقاصدها ثم تقضي عليك، أي أنت تكون بمفهوم الجاسوسية «المغفل النافع».

الموضوع أيها أخي الحبيب في قضية الحركة السياسية وحركة الجهاد كلها مبنيةٌ على المصلحة، وأعمال الإيمان منوطةٌ بمصلحة الأمة كما يقول الفقهاء بالقواعد الفقهية، يقولون: أعمال الإمام منوطةٌ بمصالح الأمة، الرعية. ولكن السؤال هل يجوز لجماعة حين تجلس لتناقش أن نستفيد من فلان وفلان؟ هذه الجماعة في الحقيقة مسكينة، والبحث عن الأدلة هو من أجل فقط البحث عن رداء ليستر قبحًا وشرًا كبيرًا.

لنعد إلى المسألة: أنه لا يمكن لدولة –من التي ذكر– لا يمكن لها أن تعطيك إلا بمقدار يحقق مقاصدها في الدول الأخرى، يوجد صراعات وهم يحبون استخدام الآخرين من أجل بسط سيطرتهم، نيكسون له كتاب اسمه «نصر بلا حرب»، سأتكلم عنه في مشروع «ألف كتاب قبل الممات» إن شاء الله، ومفهوم النصر بلا حرب كالعنوان، وهو تحقيق النصر بلا دفع الثمن من خلال جنود الآخرين، بمعنى أنه يستخدمك أنت من أجل تحقيق مصالحه، وهو لا يتكلف الكثير، يدفع لك قروش، أي يدفع لك عناية يسيرة، ثم أنت تقدم دمك من أجل منافعه، وأنت لا تدري في هذا الباب إلا أنك تظن بأنك تنصر الإسلام، حتى إذا انتهى منك قام بقتلك واستئصالك وإزالتك وأخذ ثمار ما أنتج دمك وروح إخوانك إلى جنينه إلى مصلحته.

هذا السؤال مبعثه على أننا لا نقرأ الواقع ولا نعرف خصومنا، هذه الدول دولٌ خبيثة ودولٌ مجرمة، تبقيك حيًا من أجل استخدامك لمصالحها، فإما أن تنشأ بضعف، ولكنك تبني بناءً حقيقيًا مستقلاً يعطي ثماره لك لا لغيرك، وإما ألا تشتغل، أما أن تكون مغفلاً وأن تبني وتتعب وتقدم روحك من أجل غيرك ثم يقضى عليك من قبل هذا، فهذا لا يفعله عاقل!! بعض الناس يقول: نعم، –يظن هكذا– أنا أحقق منفعة لي ثم أستقل، هذا من الغفلة، وهو يظن أن خصومه أغبياء مثله، أي سيسمحون له بأن يذهب بعيدًا، هو لا يستطيع أن يكون هذا

الشخص، في أنه يقدر على الخروج من إطار سيده الذي يحركه كما يشاء، ما هو المخرج؟ المخرج هو أن تبني نفسك بناءً ذاتيًا مع الصبر، المخرج هو أن تستقل أنت في البناء ولا تستعجل، المخرج في أنك لا تدخل في لعبة الأمم، في اللعبة بينهما، بل تشتغل لشركتك الخاصة ولمصلحتك الخاصة، أي أقصد دينك، وأقصد منهجك، وأقصد ما تريد أن تبني أنت، هذه هي الطريقة الصحيحة، هذه طريقةٌ تطول لكنها في النهاية تُوصل إلى المراد، هذه طريقةٌ شاقة، ولكنها مضمونة.

انظر إلى الروافض كيف يستخدمون عبيدهم كالحمير!! يستخدمونهم ويمتطونه ثم يرسلونهم، يدفعون لهم الفتات، يستخدمونهم وبعد ذلك يأخذون منهم الكثير من المصالح، كيف يدفعون لهم مع بقاء الحاجة إليهم؟ كما أقيمت الدول الوظيفية؛ أقيمت على مبدأ الحاجة حتى تبقى محتاجة إلى من أقامها طيلة الدهر فلا تستقل بقرارها.

فالذي أقوله في هذا الباب: هو أن التجارب أثبتت لنا بأن كل تحالفٍ بين المسلمين وبين أعدائهم كان معناه الحقيقي هو استخدام المسلم دابة للوصول إلى أهداف الخصم، التاريخ يثبت أن التحالفات مع الطواغيت، التحالفات مع الأعداء هي: مقتلة الدعوة، التاريخ المعاصر يثبت أن التحالفات هي أفسد ما قامت به الجماعات الإسلامية وارتدت سيوفًا على نحورها تذبحها وتقتلها وتقدم أبناءها وقودًا لأعداء الله عز وجل، من أعظم ما يشوه دعوتك هو هذه التحالفات، أنت تفقد أمتك، حين تعتمد على نفسك وتعتمد على أمتك أنت تبني بناء صحيحًا، لكن حين تذهب إلى الخصم أنت تفقد أمتك، تفقد شرف نفسك، تفقد الطُهرية التي تحتاج فيها للوصول إلى أهدافك، تفقد معاني الإيمان التي أنت تحملها، أنت لست طالب حكم، أنت لست طالب دنيا.

فحين تتحالف مع هؤلاء؛ يبغضك المسلمون، تبغضك أمتك، تبغضك الحاضنة، فتفقد طهر ما تدعو إليه، أنت تريد أن تدعو إلى الله، وأن تجاهد من أجل إعلاء كلمة الله، أين أنت وهذه الضمانات التي قدمتها لخصمك، وإن انتصرت تقدم النصر إليه؟ تكون تابعًا له مأسورًا له، أين هذا؟ هو يقول لك: أنا لا أريد منك شيئًا، الحكومات والدول ليست جمعية خيرية كما يقولون، لا توجد دولة جمعية خيرية توزع الأموال هكذا وهكذا للفقراء والمساكين وللمحتاجين، الدول ليست كذلك، الدول صاحبة مصالح، والمصالح القومية ومصالح

أمن الدولة ومصالح سلطان الدولة واقتصاد الدولة هو المقدم، وبذلك أنت تصبح حينئذٍ مسمارًا في آلتها العسكرية للقضاء على الخصوم، حتى إذا صدئت وتلفت؛ رُميت، كما هو حال الجماعات.

لا أريد أن أتحدث عن تحالف المسلمين مع الشيوعيين في ظروف كثيرة، مع اليساريين في ظروف كثيرة، التحالفات هذه هي مقبرة للعمل الإسلامي، ابن نفسك بنفسك، تحمل النتائج بنفسك، قدم الصورة الطُّهرية أنك لا تريد إلا وجه الله، لنذهب شهداء كما ذهب أهل الأخدود ولا نبقى سفلة ملطخين بالقذارة في العلاقة مع أعداء الله عز وجل.

انظر إلى الجماعات الآن التي تتحالف إيران، إيران تقتل المسلمين في سوريا، وتذبح المسلمين في العراق، وتتحالف مع النصارى في لبنان، وتقتل مسلمين في اليمن، وتذهب الجماعات للمصالح تلتقي معها!! أي صورةٍ تقدم هذه الجماعة؟ تقدم صورة قبيحة لنفسها، تفقد حاضنتها، تفقد حب الناس، دعاء الناس، هذه كيف تستطيع بعد ذلك أن تدافع عن نفسها أمام هذه السقطات الكبرى التي تلطخ جبينها بالعار؟! من الذي يستطيع أن يقترب الآن من أمريكا؟! هذه الدولة الفاجرة الكافرة التي لا تعرف إلا الشر، ولا يمكن أن يلتقي معها إلا من يبيع نفسه، من الذي يقترب؟! هذه بريطانيا العجوز الشمطاء التي لها تاريخٌ من السواد والقبح واستخدام الناس، استخدام الرجال من أجل القضاء على خصومها حتى إذا انتهت منهم رمتهم كالأحذية البالية، هذا تاريخهم، انظر إلى روسيا عندما تحالف لينين مع مساكين الجمهوريات الإسلامية من أجل أن يقضي على القياصرة حتى إذا قضى على القياصرة قام بمذابح هو وخليفته ستالين ضد المسلمين وقتلوا الملايين، الملايين، فكيف؟!!

وتجربة التحالف مع علي عبد الله صالح لما تحالفوا معه في قضية حرب اليمن، كيف استخدمهم ثم رماهم، استخدام عبد الناصر للإخوان المسلمين للقضاء على فاروق، وهكذا، فالتجارب، ألم يكفيك الحكم الشرعي بأن تدعو إلى الله على بصيرة بأن لا تتولى الكافرين؟! من أعظم الجريمة أن يصبح نفسك، هواءك، مالك، طعامك، شرابك، حياتك مربوطة بيد الآخر، ما قيمة دعوتك؟! اجلس في بيتك داعيًا لربك لك خير من أن تصبح مطية للشر. كيف نجاهد؟! يمكن أن نجاهد الأمة مليئة بالخيرات، واعتمد على نفسك تصل، هذا ما أقوله في هذا الباب، وأرجو ألا أعود إلى هذا الباب، هذا بابٌ مؤلمٌ ومفسد، إياك والتحالفات، إذا أردت وجه

الله عز وجل إياك والتحالفات، التحالفات مقبرة الجهاد والدعاء، والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين.

٣٦٧- هجر من ترك الجهاد

ضمن الجلسة الثلاثون، بتاريخ: (**٢٦/٠٦/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٤/٠٣/٢٠١٨ م**)

الحمد لله والصلاة، والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته -وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته- بارك الله فيك شيخنا ونفع بعلمك -آمين وإياكم- سؤالي هو: أن النبي صلى الله عليه وسلم هجر ثلاثة من الصحابة لأنهم تخلفوا عن غزوة وأمر زوجاتهم بهجرهم أربعين يومًا -ليس أربعين يومًا في هجر زوجاتهم، هو مقدار الهجر كله أربعين يومًا ولكن عند هجر زوجاتهم كانت المدة أقل- اليوم عندنا في الشام الكثير من الشباب تخلفوا عن الجهاد ومنهم أقرباء لنا نحن كمجاهدين، -الكاف «كـ» هنا في كلمة كمجاهدين يسميها الشيخ تقي الدين الهلالي الكاف الاستعمارية، أنت من المجاهدين ولا تتشبه بهم، وهناك من يقول نحن كمسلمين وهذا غلط، هذا «كـ» مثل «as» ترجمة حرفية للغة الإنجليزية «as» «كـ»، جعلوها تشبيهًا، نحن المسلمين ومنصوبة على الاختصاص، نحن المجاهدين منصوبة الاختصاص إلى غير ذلك- فنطلب من حضراتكم أن تبيّن لنا ما العمل في هذه الحالة، وهل نفعل كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم؟

جواب الشيخ: أخي الحبيب موضوع الهجر ينبغي أن يضيق في زماننا هذا؛ لأننا القلة، ولأن الهجر لا يؤدي إلى مقاصده التي شُرع من أجلها، الهجر شُرع من أجل مقاصد منها: أن يؤذي المهجور، بحيث يضيق عليه ليرجع عما هُجر من أجله سواء بدعة أو معصية أو قطيعة أو ما شابه ذلك، الآن الهجر يؤدي إلى نتائج عكسية، الفسقة هم الأكثر، المبتدعة هم الأكثر، وبالتالي؛ حين تهجروا أنت تهجر نفسك وكأنك أنت ترضى بأن تُهجر، انظر إلى هجر النبي صلى الله عليه وسلم أمر المسلمين فالتزموا كلهم، كلهم التزموا فكان في ذلك تضييق شديد عليهم وإيذاء شديد لهم، لكن اليوم أنت تهجر فاسقًا له ملايين الفسقة، وتقطع حبال الود التي بها يصلح أمره وتقترب منه.

وإذا خفت على نفسك بقربك منه يضيع دينك وتضيع مروءتك وتؤدي إلى أثرٍ عكسي عليك فهذا نعم من أجل الحفاظ على نفسك، أما أن تهجر في هذا الزمان؛ فسيف سيرتد إلى نحرك، فلذلك الهجر ينبغي أن يضيق هذا الأيام إذا هجرت. الهجران له أسبابه؛ أعظمها: هو بيان بدعة هذا الرجل، من أعظمها أن يعرف

الناس، لكن اليوم أنت لست مُقدمًا، الناس ينظرون إلى المشايخ وأنت ربما لا تكون مبرزًا، يعني عندما النبي صلى الله عليه وسلم ترك الصلاة على بعض العصاة، ولكن الصحابة يصلون فهو في تميزه صلى الله عليه وسلم وفرادته يكون في ذلك إيذاءً لهم، يكون في ذلك إرسال رسالة لمن بعدهم ألا يقتدوا بهم في هذه الخصلة التي نبذها الشارع وكرهها، لكن من أنت؟!

حدثني أخٌ البارحة عزيز، قال: جاء رجل وشرب في المسجد واقفًا، هو شاب لا أحد يدري من هو، فجاءه ناصحٌ له، وقال له: يا فلان اشرب جالسًا كما السنة، فكان جوابه: أنا رجل يقتدى به فأردت أن أبيّن جواز الشرب واقفًا، في مثل عندنا عامي «على بال من يلي ترقص في العتمة»، أي حين تهجر من الذي يعرفك؟ من الذي يقتدي بك؟ ففي هجرانك لا يحصل المقصود، فالهجران لئلا يأتي إليه الناس ولا يعرفونه لأنه إذا ذهب العالم إلى بيت هذا الْمُبتدع ذهبوا إليه.

واليوم كل هذه المعاني، أقول فقط من قبيل الاحتراز أنها ضعيفة وبعضها معدوم، وبالتالي؛ الذي أدعو إليه هو الاقتراب، هذا موضوعٌ عام، وأن الهجران يجب أن يضيق هذه الأيام، يضيق إلى درجة لو قال أحد: لا يوجد هجران اليوم، ربما يكون أصوب من الذي يوسع دائرة الهجر حتى تستوعب بعض أهل السنة فيمن يخالفه في مسائل فرعية. فللأسف الهجر اليوم يقع بسبب مسائل خفية ومسائل الناس يحتملونها، وكانت تقع بين الأولياء والصالحين من الصحابة ومن بعدهم ولم يقع هذه الهجران.

في مثل هذه الحالة بقاء الاتصال بهم، وأنتم عليكم أن تقدروا، هل هجرانهم يؤدي إلى انقلابهم إلى المجاهدين، ونصرتهم للمجاهدين ،وتركهم للقعود والتثبيط؟ فعليكم أن تقدروا، والعاقل ينبغي أن ينظر إلى المقاصد والمآلات في تصرفاته وفي أحكامه وفي اختياراته، أنا لست حاضرًا لأن أحكم، ولكن أترك هذا الأمر إليكم لتنظروا ما هي فعالية الهجر، هل تؤدي إلى الأحسن والحسن، أم أنها تؤدي إلى التراجع ومزيد من البغض والمزيد من البعد؟ ربما هذا الهجر يؤدي إلى تركهم لمناطق المجاهدين وذهابهم بالكفار!! ومن هنا فنهى عن إقامة الحدود في ديار الكفر؛ مخافة أن يؤذى هذا المحدود، إلى أن يؤدي به بدفع نفسه إلى الذهاب إلى الكفار، ينبغي أن ينظر إلى هذه المآلات، وهذا نظر الأحكام ونظر الحكماء في هذا الذي الباب، هذا الذي أقوله والله تعالى أعلم.

بارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٣٦٨- التوبة من قتل الصحوات

ضمن الجلسة الثلاثون، بتاريخ: (**٢٦/٠٦/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٤/٠٣/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل يقول: يا أخي، أنا كنت أحد أفراد الدولة الإسلامية -أي جماعة البغدادي- في عام «٢٠١٠»، الحكومة الرافضية أوجدت صحوات من أهل السّنة لمساعدة الجيش الرافضي، حدث اجتهادات بأنهم يقتلون كل من شارك بالصحوات أو الجيش، يقول: وأنا قتلت عددًا من أفراد الصحوات، وتركت العمل مع الدولة، وتبت إلى الله، ماذا عليّ أن أعمل؟ هل أرجع لأهل القتلى وأطلب منهم الصفح؟ لكنّ السلطان في العراق لا يحكم بالشرع، والسجون فتنة عظيمة، أفيدونا.

جواب الشيخ: أخي أنت بقتلك الصحوات والجيش ومن انضم إليهم لست مخطئًا، فقد قتلت من هم أعداء الله عز وجلّ، سواء كنت تحت رايةٍ بدعية أو راية سنيّة.

فأما ما فعلته من قتل هؤلاء من الصحوات الذين قاموا ضد أهل السّنة لتحكيم الرافضة ومعاونتهم، وكذلك الجيش، فكلّ هؤلاء قتلهم جائز إن لم يكن واجبًا، وهو الصواب.

ولذلك: لا عليك في هذا الباب، وليس لك أن تستغفر، إنما الاستغفار بأنك قصّرت في قتالهم؛ حتى يعودوا إلى جحورهم وقماقمهم -أو قمقم السمسم كما يقولون-.

بارك الله فيك، والحمد لله رب العالمين.

٣٦٩- حقوق الزوجة على الزوج

ضمن الجلسة الثلاثون، بتاريخ: (٢٦/٠٦/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٤/٠٣/٢٠١٨ م)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: ما واجبات الرجل التي يشملها قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، ما هي الواجبات على الرجل؟

جواب الشيخ: هذه الآية من أعظم الآيات عدلاً ورحمةً للخلق في أنه سبحانه وتعالى جعل للنساء حقوقًا بمقدار ما عليهن من واجبات، ﴿وَلَهُنَّ﴾ أي من الحقوق، ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ﴾ من الواجبات، ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ ذلك لأن أساس قِوام الأسرة هو المعروف، وأساس الأسرة لا يقوم فقط على الْمُحاقة، وإنما يقوم على الإحسان، ومن هنا كان المعروف.

التجار ربما يعيشون في وقت من الأوقات على الْمُحاقة، والدائن والمدين على الْمُحاقة والإحسان قليل، لكن هذا لا ينفع في داخل البيت، لا ينفع في داخل البيت أن الرجل يقول للزوجة: أحضري لي كأس ماء فتحضر، وفي مرة ثانية تقول أنا أحضرت لك كأس ماء فعليك أن تحضر لي كأس الماء، لا تقوم الحياة بهذا، هذه مُفسدة للحياة ومدمرة، الحياة تقوم على الحب والاحترام، والاحترام أعم وأهم من الحب، يمكن للرجل أن يبغض في زوجته أشياء، ولكن إن احترمها بمقدار قيامها على واجباتها حينئذٍ تسلم الحياة، والذي يسمونه الحب، هذا الحب يموت ويذهب عند أول مشكلة يشتعل قلب الرجل ويشتعل قلب المرأة فحينئذٍ يتم التنافر والبغض والسب، لكن إذا قام هذا البيت على الاحترام، والاحترام يكون بمعرفة كل واحدٍ خِصال الآخر من الخير، المرأة تعرف خِصال الرجل من الخير، ماذا فيه من الخير؟ تراه كريمًا، تراه شجاعًا، تراه يفديها بنفسه لا يقبل منها أن تُهان، ثم قد تجد منه أشياء تنكرها عليه فالناس ليسوا سمتًا واحداً، لا في أخلاقهم ولا في أشكالهم، وبالتالي؛ ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا (١٩)﴾ [النساء: ١٩].

والعرب قديمًا كانت تحب المرأة الفَروق، اليوم صعبة شوي، لكن قديمًا يحبون المرأة الفَروق، الفَروق هي التي تبغض، ليست سهلة، كالفرس الحول ليست سهلة؛ لأن أولادها يخرجون شجعان، اليوم الناس اليوم لا يريدون

أولاد شجعان، لا يحتاجون إليهم؛ لأنهم لا يحاربون ولا يقتلون.

فالقصد: أن الاحترام الذي يقوم على معرفة خِصال الخير في كل واحد، أي الرجل يعرف خصال المرأة أنها طيبة، أنها مستورة، أنها كريمة، أنها خادمة له ومطيعة له، أنها أنجبت له الأولاد، فهو يعرف خيرها، يعرف فضلها، يعرف أنه إذا مرض قامت عليه بالحب والرعاية؛ فيعرف خِصالها الصالح فيحترمها، وهذا الذي نراه في آبائنا في الحقيقة، ونراه في أجدادنا، وهذا لا يظهر على حقيقته إلا عند الكبر، عندما يكبر الرجل وتكبر المرأة فيعرف قيمتها وهي تعرف قيمته، مع وجود الظلم في مجتمعاتنا لا أريد أن أجعل الصورة وردية في مجتمعات آبائنا وأجدادنا، يوجد كثير من الظلم للمرأة، لكنها كذلك تعرف قيمة زوجها، تعرف أنه هو الذي تعب وشقي من أجل أن يطعمها وأن يسقيها وأن يبني لها البيت وأن يربي أبنائها وأن يجعلها سعيدة في آخر عمرها، فهذه خصال طيبة.

والرجل ماذا عليه من الواجبات؟ على الرجل واجبات كثيرة تجاه المرأة، من واجباته عليه أن ينفق عليها، لو كانت المرأة معها مال قارون، فإن نفقتها تجب على الزوج، هو الذي عليه أن ينفق عليها وأن يكسوها وأن يؤمن لها السكن، والمرأة إذا عرفت هذا تعرف أي قيمة تعيش فيها.

ومن واجبات الزوج كذلك أن يحميها، ولا نستطيع اليوم أن نقول: من واجباته أن يُحضر لها الخادم، لأن هذا متعسر اليوم في الحقيقة، من يستطيع؟! وإلا لو كل امرأة طلبت من زوجها أن يحضر لها الخادم لهُدمت البيوت وافترقت، ولكن في الحقيقة عليه أن يقوم بما يقوم به الخادم عليه أن يساعدها في البيت كما كان النبي صلى الله عليه وسلم، هذا من الواجبات، من الواجبات إذا عجزت المرأة عن القيام بشؤون البيت من النظافة ومن الغسيل ومن الطبيخ وغيره فعليه أن يساعدها؛ لأن الواجب أن يحضر لها الخادم، ولكن لا نستطيع اليوم مساكين الناس أنا أتكلم عن عموم المسلمين اليوم، لذلك عليه أن يساعدها، إذا طلبت منه أن يقوم بذلك.

وأنا أعجب من رجل نائم في البيت!! ولا أريد أن أشبهه بما يشبه به آبائنا مثل كلب أبو حنا، أبي يسميه: «مالك مجعي يا ولد زي كلب أبو حنا»، لا أدري منين آتى بها هذه الوالد، فتجد الرجل في البيت بمثل هذا الوصف وتخرج زوجته مسكينة تشتري، وتذهب إلى السوق لتشتري، تذهب إلى الدكان لتشتري، هذا رجلٌ خسيس، هذا عندي رجلٌ خسيس، الذي يستخدم زوجته فيما ينبغي أن يقوم له هو مما هو خارج باب هذا

البيت، هذا رجلٌ خسيس، وخاصةً إذا كان ظالماً لها، فمن واجباته أن يخدمها خارج البيت، خارج البيت هذا عليه، عليه أن يحمل هو شؤونه.

قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، الاحترام، كما أنه لا يجوز للمرأة أن تسيء للزوج بكلمة، عليه أن لا يسيء لها، للأسف البعض يظن إن من حقه على المرأة يسيء لها أن يسب أباها مثلاً، أن يسب أهلها، أن يسب أمها، هذا مجرم، هذا آثم، لا يجوز له أن يسبها، ولا يجوز أن يهينها، هذا ليس من الدين وليس من الخلق، بل من واجبات الزوج لزوجته أن يحترمها، والمرأة بالتجربة وكما قال أبي وجدي، المرأة لا تنسى، لا تنسى البر مع أن الحديث يقول: **(يَكْفُرْنَ العَشِيرَ)**، وقد صدق النبي صلى الله عليه وسلم وأخطأت، ولكنها كذلك لا تنسى الإساءة، المرأة تعرف من يحسن إليها عند الملمات وتعرف من يسيء إليها، المرأة إذا أساء الرجل لها وكان مُسيئًا لها لا تسامحه.

وقد رأيت بعض النساء والله وهن على حافة القبر لا تذكر زوجها إلا وشتمته ولعنته مع أنه ميت له سنين، والسبب أنه كان يسيء إليها، المرأة كالجمل لا تنسى، لا تنسى النساء فانتبه لهذا أحسن إليها هي ستكفر العشير لكن هذا المطلب منك، ستكفر العشير هذا قوله صلى الله عليه وسلم وعلى الرأس والعين ولا شك أن هذا هو الأغلب ولكن لا يجوز لك أن تسيء إليها لا بلفظ ولا بحركة ولا بفعل، لا يجوز لك أن تهجر بيت الزوجية بلا سبب من التأديب، وكذلك الضرب هذا ليس من حقك، بعض الناس يظن أن الضرب هو حق للزوج هكذا مطلقًا، عندما يغضب يضرب، لا يجوز هذا، الذي أجازه الشرع أن يضرب الرجل زوجته في ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ [النساء: ٣٤]، المرأة ما استجابت لك فيما يجب عليها لك، كإتيان الفراش مثلاً، فهذا من حقك، وقال صلى الله عليه وسلم: **(إذا دَعا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إلى فِراشِهِ، فأبَتْ أنْ تَجِيءَ، لَعَنَتْها المَلائِكَةُ حتَّى تُصْبِحَ**، **وقال صلى الله عليه وسلم: (إذا باتَتِ المَرْأَةُ مُهاجِرَةً فِراشَ زَوْجِها، لَعَنَتْها المَلائِكَةُ حتَّى تَرْجِعَ)**، فهذا من حقك.

لكن راجع من الشغل وصاحب الشغل أهانك، بعت صفقة فغضبت لأنك خسرت أو لم تربح فيه الربح الكافي، فتدخل البيت فتضرب زوجتك هذا لا يجوز، هذا من الحقارة لك، والنبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك، أن يضرب الرجل زوجته ثم ربما بات معها الليلة، وهو معها في الفراش يقول: لها أنا أحبك وهو ضربها قبل

قليل كما يضرب الرجل دابته، هذا الإنسان حقير، هذا منحط، هذا ليس من الإنسانية في شيء، فهذا من الحقوق، ومن الحقوق الإنفاق، من الحقوق الاحترام، من الحقوق أن يؤدي إليها كما قلنا: المساعدة فيما أنت تقصر فيه، أنت مقصر فلست قادر بأن تحضر خادم، فساعدها في البيت فيما تستطيع وفيما تطلب هي، خاصةً إذا كانت محتاجة لك؛، فالمرأة تضع وتحمل مسكينة وضعها سيء، المرأة وهي حامل أنت تعرف حالتها النفسية والبدنية كيف تكون، تحتاج إلى رعايتك، تحتاج إلى الإحسان إليها، تحتاج إلى برها والبسمة في وجهها.

وأنا أعجب لرجل يستطيع أن يشتري حب زوجته واحترام زوجته بكلمة ويبخل بهذه الكلمة!! هذا إنسان سفيه وتجارته كاسدة، النبي صلى الله عليه وسلم يسأل لماذا يخجل أن يقول الرجل لزوجته: أنا أحبك، الله يجزيك الخير، لماذا لا يذكرها إلا عندما تصيب الشر؟ عندما تفعل الخير لماذا لا يقول لها: جزاك الله خيرًا، بارك الله فيك، الحمد لله على نعمة الله عليّ بك، الإنسان بالكلمات والذكاء يستطيع أن يخرج الأفعى من جحرها، وأن يكون هذا الكلام حقيقة، أن تشكر صاحب النعمة عليك، **(من لم يشكر الناس لم يشكر الله)**، قلت لبعضهم: أفعل هذا، قال: والله صرت في كل يوم فقط أقول كلمة واحدة تغنيني عن كثير من الأمور في المشاكل في داخل البيت، قل لها: جزاك الله خيرًا، بارك الله فيك.

فالمرأة عندما تحمل، المرأة عندما تشتغل مسكينة، عندما تضع عندما تلد، عندما ترضع الولد، هذه أمور متعبة لها تحتاج إلى رعايتك، تحتاج إلى الإحسان إليها، إلى البسمة في وجهها.

ولا تكن في الخارج منافق تذل لكل أحد وتتصاغر لكل من يريد أن يشتري منك وأن ينفعك بالمال وإذا دخلت البيت كنت أسدًا هصورًا، «أسدٌ علي وفي الحروب نعامة»، كيف هذا؟! أسد على الزوجة المسكينة وفي الخارج أنت من أذل الناس، هي أولى الناس بحسن صُحبتك، أولى الناس بحسن أدبك، الأخلاق الحقيقة لا تظهر إلا في البيت مع أهلك، وبالتالي؛ هذه كلها من حقوق هذه الزوجة، ومن حقوق هذه الزوجة أن تبرها بأن تبر أهلها، إذا كان أهلها من أهل الخير ولا يفسدونها عليك؛ فأصلح علاقتك معهم ودعها تزور أهلها، اترك الأبناء يبرونها، إياك أن تهين الزوجة أمام أبنائك هذا يؤذيها لا تقول كلمة ولو مزاحًا في حقها، بعض الناس يمزح على زوجه أمام أبنائه ويهينها بهذا المزاح، لا تفعل إياك، المرأة لها نفس وحساسة، فلا تتخذ هذا وسيلة من أجل إيذائها والتكبر عليها وأنك الرجل، هذا بعض ما يمكن أن يحضر في هذا الباب، والله تعالى

أعلم والحمد لله رب العالمين.

٣٧٠- حكم التواصل مع أخوالي المؤيدين لبشار

ضمن الجلسة الثلاثون، بتاريخ: (**٢٦/٠٦/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٤/٠٣/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أحسن الله إليكم يا شيخ وغفر الله لنا ولكم -آمين، وبارك الله فيك-**أخوالي اثنين مع النظام السوري، الأول: يعمل محامي، والثاني: يعمل فيما يسمى دار القضاء، ما حكمهم؟ وما حكم التكلم معهم والدعاء لهم من قبل والدتي؟ وما حكم أن تطلب والدتي من أبي أن يتكلم معهم؟ وما حكم بدئهم بالسلام عند الاتصال معهم؟**

جواب الشيخ: في الحقيقة الأخ السائل حفظه الله لم يبيّن لي ما معنى أنه يعمل فيما يسمّى دار القضاء، لا أدري، هل هو قاض مدني يحكم بغير الشريعة؟ هل هو فقط يشتغل مثلاً مُراسل؟ يعني السؤال مبهم.

العمل محامي، قلنا: هذه مسألة طويلة، ولكن الذي عليه أغلب أهل العلم أنه جائز بشروط؛ العمل محامي وهو وكيل الخصومة جائز بشروط، وأغلب هذه الشروط كما كان يقول الشيخ عبد الله عزّام تقبله الله: غير متوفرة، أغلبها، إلا عند القليل جدًا من الناس.

أمّا أغلب المحامين للأسف لا يتقيّدون بشروط الجواز، منها: إقامة الحق، منها عدم قبول الدّعاوى الظالمة، منها عدم الكذب، منها عدم أخذ الحقوق من الآخرين فوق ما هو حقّهم، وهكذا أمور كثيرة في هذا الباب.

وأنا أجبت على هذا السؤال بهذه الطريقة؛ لأن الأخ يلحّ كثيرًا في إرسال هذا السؤال. أمّا السؤال الثاني -قوله: يعمل فيما يسمى دار القضاء-: فلا أعرف ما هو العمل.

وأمّا أن تتكلم معهم الوالدة؛ ما في حرج، حتى لو كانوا على معصية وعلى كفر تتكلم معهم، أن تدعو لهم بالصلاح، أن تدعو لهم بالتوبة، أن تدعو لهم بأن يوفّقهم الله في الخروج من هذا، ما في حرج في هذا، وأن يتكلم والدك كذلك معهم؛ لا بأس، إذا كان الكلام في النُصح، والكلام بما هو عمل اجتماعي، ما في حرج في هذا.

أمّا بدؤُهم بالسلام؛ فهذا يترتب على معرفتي بحالهم أكثر مما ذكرت، فالسؤال مُبهم ولا يستطيع المرء أن

يجيب عليه إجابة شافية إلا مع التّفصيل، بارك الله فيكم والحمد لله ربّ العالمين.

٣٧١- حكم حقوق النشر

ضمن الجلسة الثلاثون، بتاريخ: (**٢٦/٠٦/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٤/٠٣/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

هناك سؤال طويل، لا بأس لأنه يتعلق بحقوق النشر.

السؤال عن المال الحرام، يقول: أنه اشترك في دورة تدريب كورس للتسويق الإلكتروني، ويقول: دفعت ثمن الاشتراك، أخذت نسخة مصورة عبارة عن مقاطع فيديو مسجلة للدورة بعد إتمامها بحيث كلما احتجت أو نسيت شيء رجعت إليه، بعد فترة احتجت لمبلغ صغير قررت نسخة -الكورس- مقاطع الفيديو وبيع نسخه لأحد الأشخاص بمبلغ يساوي حوالي ربع الثمن الحقيقي للكورس وقلت لنفسي: أني اشتريت هذا الكورس بمال وظننت أنه من حقي الاستفادة بثمنه، بعدها استخدمت جزءًا من المبلغ في عمل وربحت منه مبلغ، السؤال: هل ما فعلته حرام مثلاً لحقوق الطبع والنشر؟ وهل إن كان حرامًا، هل أرجع المال كله والربح إلى صاحب المادة أو فقط يحرم عليّ المبلغ الذي حصلت عليه من بيع نسخ المحاضرات؟

جواب الشيخ: هذا السؤال أيها الأخ الحبيب لا بد النظر إلى كثير من الأحوال والأوضاع التي رافقت هذا السؤال لإمكانية الجواب بحلال أو حرام، وكيفية استخدام المال وكيفية إرجاعه، أو الاستفادة منه كليًا.

أولاً: أريد أن أقرر بأن حقوق الطبع محفوظة هذا حقٌّ شرعي، لا ينبغي الجدال في هذه النقطة، والذين يقولون من المشايخ: بأن حقوق طبع مؤلفات العلم وكتب العلم غير محفوظة هؤلاء مخطئون، فهذه تؤدي إلى مفسدة كبيرة جدًا، هذا في أن يطبع الكتاب، الرجل بذل المال في شراء المخطوطات أو في شراء الكتب من أجل تأليف الكتاب، وبذل الوقت والجهد، والمطبعة التي أخذت دفع المال من أجل صفه، من أجل تصحيحه، من أجل طباعته بطريقة معينة، فهذا عملٌ لا علاقة له بذات العلم الموضوع الذي في داخل الكلام، حتى الموضوع الذي في داخل الكلام المرء جناه من خلال مشقة، وبالتالي؛ الآن العلم صِناعة.

فبث العلم سواء كان عن طريق الكتاب، سواء عن طريق «السي دي» الأقراص الليزرية أو عن طريق الأدوات، هذه صناعة، والصناعة جهد يبذل الناس فيه أموالهم وأوقاتهم ويحتاجون فيه إلى الأموال، بعد هذه كله

يأتي شيخ ويقول: هذا علم ولا يجوز أن يُحبس ويجوز للناس أن ينسخوا الكتب كما يشاؤون، وينسخوا هذه – السيديهات– والأقراص كما يشاؤون، فالنتيجة الناس لا ينشطوا لهذا، يتركون العلم ولا يبذلون الجهد؛ لأنه هناك من يفتي بسرقتهم.

وللأسف هذا القول يميل إليه بعض المشايخ، وما كنت أتصور أن المشايخ يقولون هذا القول، بل ينبغي عدم ذكر هذا الخلاف في الحقيقة إلا من قبيل إسقاطه ورده والتنفير منه.

ويحدثنا أحد الطابعين والناشرين للكتب: بأن كتابه يُباع في الأسواق بكلفةٍ أقل مما كلفه هو، يعني هو يدفع لحقوق الطبع للمؤلف، ودفع الأموال من أجل طباعته، فيأتي الآخر يدخله في جهاز يصوره بطريقة رخيصة ويبذله للناس وبالتالي؛ صاحبه الأول هذا عليه الدمار والفساد، ولذلك حقوق الطبع هذه حقوق شرعية يجب أن تحفظ، ويجب أن يتفق المشايخ على هذا الباب ولا يختلفوا فيه، هذه نقطة.

وهذه الحقوق هل يجوز أن تُخرق؟

الجواب: نعم، للضرورة، المال مِلكك أنت جنيته من السوق، جنيته من النهر، جنيته من البئر، فأدخلته بيتك فصار هذا المال مالك، وبالتالي؛ لا يجوز لأحد أن يأخذه إلا بأذن، لكن لو جاء مضطر، يجوز له أن يأخذه حتى من غير أذنك، رجل يموت، رجل يحتاج إليه لدرجة الحاجة أو الضرورة؛ يجوز أن يأخذه من غير إذنك.

نعم هناك بعض الشركات وبعض الجهات ما تحتكر هذه المواد وتتعامل معها بطريقة غير شرعية، كالذي يحتكر للناس الطعام والشراب فيقول: لا تأخذ إلا مني، وبالتالي؛ لعدم وجودها إلا منه يرفع السعر، هناك مطابع تفعل ذلك وطالب العلم مسكين ليس عنده المال وهي ترفع السعر ولا يستطيع أن يأخذها إلا القلة هذا حال، فحينئذٍ؛ يجوز، المحتكر يجوز لك أن تأخذ منه.

ويجوز لك أن تأخذ إذا كنت في مكان لا تستطيع أن تُحصّل كتبه وأن تدفع له، يجوز في أماكن بعيدة لا تستطيع أن تصل فتأخذ الكتب الأصلية أو الأقراص الأصلية؛ فتضطر إلى أخذها؛ هذه الحالة تجوز، وإذا كان من المحاربين، إذا كان محاربًا فماله جائزٌ على أي جهة، المحارب بإجماع أهل العلم يجوز أخذ ماله على أي جهة،

بأي صفةٍ كانت، فإذا كان من المحاربين يجوز لك أن تأخذ هذا، هذه بعض الصور التي تأتي استثناءً على الأصل، وأما في الأصل فالحقوق محفوظة ويجب احترامها.

أرجع إلى سؤال الأخ: افرض أنه على الحالة الأولى، أنه مسلم وأنه يستطيع تحصيلها، فماذا يفعل؟

الجواب: إذا كان قد أخذها على معنى الحرمة التي كما بيّنت؛ فيجب عليه أن يرجع الثمن الذي أخذه من هذا المال إلى من أخذ منه -سماه الكورس أو أخذ منه الأشرطة- فيجب أن يعيدها لهم وأن يأخذ منها بمقدار ثمن المثل، أي هو أخذ المال، الآن الوصف الشرعي له: هو سرق هذا المال، فسرقه ثم استثمره فماذا له؟ عليه أن يرجع المال المسروق وله أجرة المثل، هذا المال الذي أخذه له أجرة المثل فيه ويعيد الباقي إليهم، رأس المال والربح، وهو يأخذ أجرة المثل أو يأخذ نسبة المثل التي تدفع لأمثاله في استثمار هذا المال، هذا هو الجواب والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين.

٣٧٢- مسألة في شركة المضاربة

ضمن الجلسة الثلاثون، بتاريخ: (**٢٦/٠٦/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٤/٠٣/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل أخ: رجلان تشاركا في رأس المال لفتح محلٍ تجاري مناصفة، ثم أدار المحل أحدهما لعدم توفر عاملٍ مُستَأجر لذلك؛ فهل يأخذ أجرة من الأرباح قبل قسمتها بينهما ثم توزع مناصفة؟ أم يأخذ نسبة من الأرباح أكبر من شريكه، باعتبار أنه شريك وشريك مضارب معًا؟

جواب الشيخ: الجواب على هذا السؤال بالإجماع لا يجوز أن يكون شريكًا وأجيرًا بمالٍ محدد، ولو بدرهم، لا يجوز، هذا إجماع.

والناس للأسف يقولون: كون أحد الشريكين يعمل أجيرًا، آمن وأفضل للتجارة من أن نحضر غريبًا، الجواب: نعم، لكن لا يجوز له أن يكون أجيرًا بدرهمٍ محدد، لا يجوز، هذا إجماع، والكتب المطولات تشرح هذا؛ لأنها من قواطع سُبل الحيل، من القواطع، وذكر هذا الإجماع النووي، وذكره ابن تيمية في الحسبة، وذكره ابن قدامة، وذكره ابن حزم؛ هذا إجماع ليس فيه خلاف بين أهل العلم.

فبالتالي؛ هذان الشريكان، واحد يضع «٥٠٪» والثاني «٥٠٪»، أحدهما يشتغل والآخر لا يشتغل؛ فيقدران كم يأخذ أحدهما نسبة زائدة، يعني: يأخذ العامل «٦٠٪» ويأخذ الذي لا يعمل «٤٠٪»، فالفرق بينه «٢٠٪» مقابل العمل.

أما ما يقال: «٥٠٪» بـ «٥٠٪»، وأنت عامل وأجير فنعطيك أجرة المثل «١٥٠» دينارًا أو «٢٠٠» دينار قبل توزيع الأرباح على الأسهم؟! الجواب: هذا لا يجوز؛ إنما الذي يجوز هو أن يُقدر له نسبة زائدة، كأن يكون له «٥٥٪» هذا بحسب العرف، ما تتفقان عليه هذا الشرع أطلقه لكم بالعرف، أي العامل «٥٥٪»، والذي لا يعمل «٤٥٪»، ففرق العمل «١٠٪» مثلاً.

وهذا يعود عادةً على الأرباح، على قيمة الأرباح؛ فمثلاً: لو أن هذه الشركة تربح شهريًا مئة ألف دينار، فـ

«١٠٪» مبلغ كبير، عشرة ألف دينار؛ فحينئذٍ يقِل، فبحسب النسبة، هذا عادة العرف، ولكن هذا لا نتدخل فيه، والفقيه والشارع لم يتدخلا في كم يأخذ أجرة العامل، أجرة المباشرة للتجارة لا يتدخلا فيها، لكن لا يجوز أن يأخذ درهمًا واحدًا محددًا، لا يجوز، لا هذا ولا هذا.

فمثلاً: لو أن رجلاً دفع «١٠٠٪» مالاً، والثاني مضاربة دخل بجهده، فقال صاحب المئة: اسمع أنا لأنني دفعت المال أنا آخذ مئة دينار كل شهر، وبعد ذلك «٥٠٪» لي و«٥٠٪» لك، هذا لا يجوز، هذا بالإجماع أنه عقدٌ باطل وغير جائز، وكذلك بالصورة التي تقدمت.

هذا الذي نقوله، والله تعالى أعلم وبارك الله فيكم.

٣٧٣- وقت نفخ الروح في الجنين

ضمن الجلسة الثلاثون، بتاريخ: (**٢٦/٠٦/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١٤/٠٣/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل الأخّ يقول: وقع نقاش بين الأحبّة حول وقت نفخ الرّوح في الجنين، فذكروا قولين:

القول الأول: أنّ الروح تُنفخ في الجنين بعد «١٢٠» يومًا، نطفة أربعين يومًا، علقة أربعين يومًا، مضغة أربعين يومًا، فالمجموع «١٢٠» يومًا، هذا واستدلوا بحديث ابن مسعود: «ثم تنفخ فيه الروح».

القول الثاني: أن الروح تُنفخ بعد الأربعين الأولى؛ واستدلّوا على قولهم بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾ [السجدة: ٩]، فالعلم الحديث يثبت أن الجنين بعد أربعين يومًا قد استوى.

نرجو منكم شيخنا الفاضل أن تفصّلوا في المسألة؟

جواب الشيخ: التّفصيل له موطن آخر، ولكن ما ذكرته من القولين، قد ذكرهما العلماء، وهذا حديث ابن مسعود المشهور، وهو الحديث الذي فيه إثبات القَدر، أنّ الله عز وجل يكتب كل شيءٍ سيفعله، يكتب شقيّ أو سعيد، فهذا فيه إثبات القدر والكتابة، كتابة القدر، ففيه هو أربعين يومًا نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، قال: (**ثم ينفخ فيه الروح**).

وهذا الحديث في الحقيقة فيه اختلاف ألفاظ؛ من هنا حول هذا الاختلاف في اللفظ، والاختلاف في تفسير (**ثم ينفخ فيه الروح**)، هل هو في الأربعين الأولى أم بعد انتهاء الثلاث أربعينات؟ هذا خلاف بين أهل العلم قديمًا، وذكر ذلك ابن حجر رحمه الله في «فتح الباري».

الذي إليه أميل بحسب الروايات، وهذا قول كثير من أهل العلم: أنّه يُنفخ فيه بعد الأربعين الأولى، وليس بعد الثلاث أربعينات، ومع ذلك المسألة خلافية.

طيب.. الآن يقولون: بأن الجنين يتحرك، فيه نبض يكون، جسمه يتحرك بشيء من الحركة بعد الأربعين الأولى؛ فكيف يفسّرها الذين يقولون: بعد «١٢٠» يومًا؟ يقولون: هذه ليست هي حركة الروح، كما نرى

اللحم يتحرك بعد السّلخ والذبح، نرى حركة ما في أبدان المذبوحات بعد خروج الروح منها؛ هكذا يفسّرون.

وهذه المسألة خلافية، والعلم إذا قرر شيئًا، إذا ثبت يقينًا مع وجود النص الناصر له، فيكون هو مرجّح ولا شك، ولكنه لا يُنشِئ شيئًا على خلاف الشّرع.

فالذي أميل إليه: أن الروح تُنفخ فيه بعد الأربعين الأولى، والحديث يحتمل هذا المعنى.

والله تعالى أعلم، والحمد لله ربّ العالمين.

٣٧٤- الدفاع عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وصحيح البخاري

ضمن الجلسة الحادية والثلاثون، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٧/٤هـ الموافق لـ: ٢٠١٨/٠٣/٢١ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل يقول: السلام عليكم شيخنا الفاضل، أنا من الجزائر أريد أن أسألك، فقد ظهر علينا ناس من يطعنون في مولانا معاوية رضي الله عنه ويطعنون في صحيح البخاري فأجبنا يرحمك الله.

جواب الشيخ: في الحقيقة كنت أسمع كلام أهل العلم في أن الطعن في معاوية رضي الله عنه هو بداية الطعن في الصحابة رضي الله عنهم، وبعد ذلك الطعن في الصحابة هو طعنٌ في دين الله عز وجل وإحداث الشرك والكفر كما عليه الرافضة، وكنت لا أرى هذا بعيني أؤمن به بما قال السلف، ولكن لا أفهمه واقعًا، حتى رأيته واقعًا فطابق الخبر الخُبرة.

بلا شك أن الطعن في معاوية رضي الله تعالى عنه هو بداية الطعن في الصحابة رضي الله عنهم، وبداية الطعن في الصحابة إسقاط الصحابة بالكلية، الشعار يبدأ كذبًا بأن هؤلاء ليسوا معصومين وبالتالي؛ علينا ألا نحجر على العقول، وعلينا أن نبرئ النص من التجربة البشرية، وعلينا أن نناقش التاريخ مناقشة الحكماء ومناقشة أهل العبر؛ ويفتحوا في هذا الباب مناقشة باب الصحابة، فأول ما يبدؤون به لقبول الناس لهم حتى يقبل الناس كلامهم هو الكلام عن معاوية رضي الله تعالى عنه، ومن معه من الصحابة رضي الله عنهم ممن قاتلوا عليًا المرتضى رضي الله تعالى عنه.

وبلا شك أنا ابتداءً أقول: بأن طالب العلم الذي عنده مكنة العلم، وأن أدوات العلم بين يديه، لو ناقش من غير هوى وبحث بحثًا علميًا دقيقًا لوصل إلى ما أمر الشارع به، وهو تعظيم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جملةً، بمعنى أن أهل السنة لا يغلقون أبواب العلم ولا أبواب التحقيق على من هو قادرٌ عليها، وخالٍ من الهوى، وإنما يغلقون كثيرًا من أبواب العلم لتسلق الجهلة وأصحاب الأهواء عليها، وبالتالي؛ يصلون إلى نتائج مجرمة ونتائج باهظة الثمن في إسقاطهم من عين الله عز وجل.

فلو سُئل إمام من أئمة العلم عن معاوية رضي الله عنه من قبل عالم لجلسا يتناظران ويتكلمان ويتباحثان

ويتذاكران، وبالمذاكرة يظهر الكثير من الحق وإذا ظهر أن صحابيًا أخطأ فإنهم يجرون هذا الخطأ على معاني من معاني التعظيم للصحابي الذي جاهد وأحب الدار الآخرة وبذل روحه ونفسه في سبيل الله؛ فيجرونه على معنى من معاني الاجتهاد والتأويل، فإن عجزوا عن إدخالها في معاني الاجتهاد والتأويل؛ جعلوها من الذنوب التي تقف أمام الطاعات فلا تسقطهم، لأنه ما من أحدٍ من البشر إلا وله أخطاء، ولكن تقارن أخطائه، أول شيء توضع في إطارها الصحيح ولا تعظم ولا تكبر أمام المكبرات هكذا بحيث يصبح الخطأ الصغير كبيرًا في عين الناظر، فتبقى في إطارها العلمي الصحيح وتقابل بجيوش من الطاعات والحسنات، والله عز وجل قال: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤] هذا قوله جل في علاه.

إذن المرتبة العلمية في هذا الباب كالتالي؛ أن العلماء يغلقون المباحثات والمذاكرات والدراسات إذا كانت صادرة من جاهل لا يملك أدوات العلم، وهم الأكثر في البشر وفي التواريخ كثر، أكثر من غيرهم، ويحتاجوا إلى علمٍ خاص وإلى دراسةٍ أوسع، أي العلماء يعرفون أن التاريخ كثُر فيه الخلط والكذب وقلت عناية الناس به في موضوع السند ولم ينشطوا له كما نشطوا في الأحاديث، وبالتالي؛ يحتاج إلى دربة عقلية مع مكنة حديثية، يعني عليه أن يحقق في الأسانيد وهذا جزءٌ يسير في باب التاريخ، وأما الجزء الأكبر فهو يحتاج إلى الدراية العقلية من أجل قراءة النص قراءةً علمية سننية، سننية كما هي في إطارها العام، وسننية كما هي في إطارها الخاص الموضوعي للطرف التاريخي، أيمكن هذا أن يحدث أم لا؟

ولذلك لما قام ابن خلدون مثلاً رحمه الله وأراد أن يكتب كتابه في التاريخ وضع شروطًا في قبول الرواية التاريخية كان أقل ما تذكر فيه هي قضية السند؛ لأن الحقيقة كما قلت: بأن عناية العلماء في التاريخ من جهة السند والتوثيق كانت أقل بكثير من قضية الحديث، وبالتالي؛ نحتاج حين نقرأ الخبر أن نقرأه ضمن هل هذا يمكن؟ هذا الخبر ماذا فيه من تناقضات تاريخية؟

وأضرب لكم مثالاً البارحة ذكره لي أحد الفضلاء، قال: ذكر أحدهم بأنه من أجل أن يمجد عمر ويعظم الفاروق وهو عظيم ولا شك، ولكن العبرة بثبوت الخبر أو عدمه، فقال: بأن عمر كان يحلق، له حلاق، فعطس فبال الحلاق على نفسه من هيبته، فقال له الأخ: هذا الخبر متناقض في داخله، لأن عمر رضي الله تعالى عنه أصلع، وهذا جزء من قراءة الخبر من داخله، وينبغي أن يقرأ من خلال ظرفه السنني الخاص، هل هذا كما ذكر

ابن خلدون في قضية اتهام هارون الرشيد أو اتهام أخته بالفجور، بأن هذا لا يوجد في قضية سنن العرب، النساء العربيات ليس فيهن هذا، لما هند قالت: «أوَ تزني الحرة»، فلا يعرف هذا في الكرام من النساء، البنت إذا نشأت في مثل هذا الموقف من الخلافة ومن التعظيم لذاتها؛ لا تخضع لأن تسلم نفسها لمن هو أدنى منها، هي تأنف من ذلك؛ فناقش النص بحسب ظرفه الخاص ثم يُقرأ بحسب ظرفه العام، هو سنني أم غير سنني؟ فعندما يذكر لنا ابن بطوطة مثلاً بأن غار حراء إذا دخله المرء فكان ابن حلال فيدخل فيه وإذا كان ابن حرام لا يستطيع أن يدخله، ابن بطوطة يقول: لا، المسألة لا تعلق لها لا ابن حرام ولا ابن حلال، المسألة لها تعلق إذا دخلت من جهة رأسك استطعت وإذا دخلت من جهة رجليك ضاق المدخل عن ذراعيك، أي ما دخل المكان يدخل فيه ابن زنا وغير ابن زنا، ثم ما دخل ابن الزنا فيه.

فإذن موضوع مناقشة التاريخ موضوعٌ يحتاج إلى دين وورع كما هو يحتاج كل علم يتعلق بالتعديل والتجريح، ويحتاج إلى عقل، والعقل الذي يُمارس فيه المؤرخ طريقته في المناقشة قد تكون أعظم من درجة الفقيه؛ لأن عادة الفقيه ربما احتاج في المسألة إلى ما يقوله ظاهر النص، لكن في التاريخ تناقضات الأخبار، هل هذا يمكن من هذا الشخص أو لا يمكن هذا الشخص؟ حتى نثبت هذا الخبر عن هذا الشخص هل يتلاءم مع سيرته التامة فيما هو فيه أم لا؟ المشكلة في موضوع معاوية رضي الله تعالى عنه أنه بفعل القصف التاريخي الذي حدث في زمن العباسيين، وبفعل الاختراق الرافضي للفقه وللتاريخ السني؛ فإن صورة معاوية رضي الله عنه عند الناس مبدأها هو الاتهام، ذلك لأن الذي يقابل معاوية رضي الله عنه هو عليّ رضي الله عنه، وهذه قسمةٌ تحقق الكثير من الظلم، لكن لو أخلينا هذه الصورة من المقابل وأخذنا شخصية معاوية كما هي في نفسها؛ لوجدنا شخصيةً مختلفة، التاريخ لا يقول عنها كما يقول عنها الخصوم له.

وهذا كله ضمن إطار بأن الإسلام لا يمنع من أن يبحث طالب العلم كل مسألةٍ هي من مسائل السنن التي يقدر عليها، موضوع الغيب ذلك عالمٌ آخر له سننه وله طريقته ونسلم له، نسلم كل ما أخبرنا به النبي صلى الله عليه وسلم فقط من عالم الغيب، فقط، بمعنى أن أي أحد جاء وأخبرنا عن عالم الغيب بأي كلمة نردها؛ لأنه ليس على الغيب بضنين، بل هو على الغيب بضنين، كل واحد محجوب عن الغيب، إلا النبي صلى الله عليه وسلم فإن الله كشف له من الحقائق من أجل إخبار هذه الأمة به؛ ليحصل فضل هذا الأمر وما يحقق هذا الإخبار من العلم النافع لهذا العبد في عبوديته وسلوكه إلى طريق الجنة، لكن لماذا العلماء منعوه؟ لهذا الأمر.

ثانيًا: ليس العلماء فقط، إنما النص قوله صلى الله عليه وسلم: **(إذا ذُكر أصحابي فامسكوا)**، وهذا المعنى الذي قلته في منع العلماء هو المعنى المذكور في الحديث، لماذا؟ لأن هذا المعنى الذي قاله صلى الله عليه وسلم: **(إذا ذُكر أصحابي فأمسكوا)**، هو موافق لقوله صلى الله عليه وسلم: **(إذا ذُكر القدر فامسكوا)**، هناك أبواب من القدر ما يجب معرفتها؛ فلا نمسك عنها نعلمها الناس، ولكن هناك جوانب من القدر ما لا نفهمها ولا قدرة لنا على استيعابها، نسلم لله عز وجل في حكمته لماذا هذا مؤمن وهذا كافر؟ لماذا هذا قلبه أسود وهذا قلبه أبيض؟ لا نفهم، **(فإذا ذُكر القدر فامسكوا)**، وتأتي كلمة ابن عباس رضي الله عنه: «الناظر إلى القدر كالناظر إلى الشمس كلما ازداد بصرًا ازداد تحيرًا».

وهناك جوانب من فعل الصحابة على هذا المعنى، المؤرخ يقع مرات في كثير في المسائل العويصة والدقيقة جدًا ما يتحير، لماذا وقعت هذه؟ وهذا في الحقيقة ليس خاصًا بمعاوية لندافع عنه، أي لو أردنا أن نفتح بعض أعمال الصحابة الآخرين لوجدنا فيها ما يُشكل علينا أن نفهمه على معنى من المعاني التي أوجب الله عز وجل لنا أن ننزل الصحابة عليها من التكريم والتعظيم، ولا أريد أن أذكر أمثلة في هذا، فلما قام شيخ الإسلام رحمه الله في «منهاج السنة النبوية» بتجميع ما انتقد عليه علي رضي الله تعالى عنه؛ ظن البعض أن ابن تيمية ناصبي، فصاروا ينسبونه للنصب، ولما قلدهم بعض المعاصرين في هذا الباب قُذف هؤلاء المعاصرون بالنصب، أي بمعاداة أهل البيت وهو كذب، ولا أريد أن أفتح هذا الباب.

فالمشكلة أن هؤلاء يزعمون أن الشارع لا يمنعنا من العلم ونريد أن نقرأ التاريخ من أجل أن نستجلي العصر بطريقةٍ علميةٍ واضحة. أنا أريد أن أسأل: هل خصومنا في هذا الباب لهم عقل؟! عندهم دين عندهم إنصاف؟! هل المسألة بيننا وبين الرافضة الذين يسبون الصحابة تخضع لعلمٍ ومنطق؟ هل ما يقولونه يخضع لشيء من أنواع الإنصاف والعدل بابتداء الإنصاف وليس نهاية الإنصاف؟ الجواب: لا؛ فإذن ما هي الفائدة التي يترتب عليها بهذا الذي يفعلونه؟ سوا الأبحاث وأنا أسف لهذا التعبير- الأبحاث المسلوقة سلقًا، هكذا وضعت على النار سريعًا وأخرجوها ليأكل الناس منها زقومًا. فلذلك الذي يسب معاوية رضي الله تعالى عنه شاء أم أبى، فهو داخلٌ في قول نبينا صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي: **(من عاد لي وليًا فقد آذنته بالحرب)**.

وهنا أريد أن أسجل ملاحظة: والله ثم والله ثم والله يمينًا ألقى به وجه الله عز وجل ما رأيت أحدًا تصدى

للصحابة رضي الله عنهم بالطعن أو التنقيص أو الاتهام إلا ورفع الله عز وجل عنه توفيقه حتى تكلم كلامًا أشبه بكلام المجانين، الكلام في أولياء الله ليس سهلاً، وأعظم أولياء الله هم الصحابة رضي الله تعالى عنهم، ليس سهلاً، هؤلاء يحبهم الله عز وجل، هؤلاء نصروا الدين، ليس هذا الموطن موطن ذكر فضائل معاوية رضي الله عنه من الأعمال التي قام بها ونصر بها الدين، يأخذون بكلمات قالها بعض أهل العلم فيه: فعل كذا وكذا، هذه محصورة في زاوية يسيرة من انتقاد أهل العصر لبعضهم البعض، ويحق لهم، ولكن عندما يأتي فاجر من الرافضة ويجمع لأمنا عائشة رضي الله عنها بين قوسين «مراجعتها للنبي صلى الله عليه وسلم»، ما دخلك أنت أيها العدو؟! امرأة وزوجها، ما دخلك أنت؟! امرأة وزوجها، يحبها وتحبه، وبيتٌ نبوي، بيت بشري.

فيأتي أحد الآن ليقول: انظر ماذا قال علي عن معاوية، انظر ماذا قال فلان عن معاوية!! ما دخلك أنت؟!! وهؤلاء معاصرون لبعضهم البعض لهم ذلك، لكن أنت تأدب، فلو جمعنا من فضائل ما فعله معاوية رضي الله عنه للأمة لكان عظيمًا كبيرًا، وهذا الذي ينبغي، حتى لو كانت هذه ذنوب بلا تأويل؛ فإن الحسنات يذهبن السيئات.

والذي أراه يقع من بعض الناس ممن يزعمون التحقيق العلمي في باب التاريخ؛ نرى منهم الجرائم، يقولون كلامًا ساقطًا، فأحدهم يتكلم عن معاوية رضي الله عنه كأنه يتكلم عن مجرمٍ من مجرمي هذه الأمة، كأنه يتكلم عن أبي جهل، أعوذ بالله منك، ثم يجرؤ بأن يتكلم عن الأمة هكذا، يتكلم عن الأوزاعي ويميل إلى تكفيره، يقول: لو ثبت عنه أكفره!! يكفر إمام أهل الشام الأوزاعي، هؤلاء يقولون أقوال؛ الله عز وجل يسقطهم من أعين الناس بمثل هذه الأقوال.

إخواني: إن من عادى الله عز وجل؛ عاداه، حتى يخرج منه كلام الجنون وهو في أتم عقله، فالله عز وجل يحبس عنه التوفيق حتى يبدو كأجن الناس وأسوءِ الناس، مع اعتراف الناس بعقله؛ لكن يقولون: والله هذا كلام مجنون، هذا كلام رجل ساقط، هذا كلام رجل لا يخرج في لحظة صفوٍ عقلي ولا توفيقٍ إلهي، هذا ما يتعلق بمعاوية رضي الله تعالى عنه في هذا الباب، فالذي يريد أن يفتح الباب فليفتحه، ولكن بمثل هذه القضايا التي ذكرناها.

نأتي إلى موضوع صحيح البخاري: والله هذا موضوع طويل، يعني ماذا أقول؟! حسبنا الله ونعم الوكيل،

والله أيها الإخوة الأحبة: لا يوجد علم -انتبهوا لهذه الكلمات- لا يوجد علم في هذه الدنيا أمتن وأحكم وأصلب وأعقل من علم الحديث، والذين يتكلمون عن المحدثين وعن مناهجهم ويسبون كتب الحديث هؤلاء من أفجر الناس وأكذب الناس وأجهل الناس، وحين يُجمع أهل الحديث بمتانتهم وتحقيقهم ودينهم وعقلهم وصلابتهم في التحقيق وصلابتهم في الفرز والتفتيش؛ يُجمعون أن هذا الكلام الذي في هذا الصحيح من أصح ما نطق به رسول الله صلى الله عليه وسلم، أصح الحديث يعني أصح ما نطق به النبي صلى الله عليه وسلم.

فهذا يدل على أنه لا ينبغي لأحد إلا أن يسلم لهم، كما أنك تسلم لطبيب في توصيف الأمراض، ولصيرفي فيما هو زيف وما هو نقد، عليك أن تسلم لهم، وهذا التسليم ليس من التقليد، أنت عندما تذهب إلى الطبيب لا تقلده؛ لأنه هو صاحب الشأن، وهكذا تسأل أهل الذكر، وكل علمٍ له من أهل الذكر الذين يقومون بشأنه، فإذا أردت أن تتكلم على علم لا تفعل ما يفعله الجهلة، ولا تسقط نفسك، والله أنت لا تسقط للبخاري.

يا ناطـــــح الجبـــــلَ العـــــالي لِيَكْلِمَــــــه ... أَشــفق علــى الــرأسِ لا تُشْــفِق علــى الجبــلِ
كنـــــاطحٍ صـــــخرةً يومـــــاً ليوهنَهـــــا ... فلـــم يَضِـــرْها وأوهـــى قرنَـــه الوعِـــلُ

فأنت الذي ستُسيئ لنفسك، الذي يسب البخاري يسب نفسه، البخاري جبل وسيبقى جبل رغم أنفك وكذبك وعمالتك وخستك ومحاولتك أن تكون شيئًا كمن يريد أن يبول في بئر زمزم ليشتهر، فيبقى البخاري، ولن تضر إلا نفسك، فأنت إذا أردت أن تنقض البخاري عليك أن تصبح قامةً عظيمة في النقد وفي التجميع وفي العلم، في هذا العلم المتين؛ من أجل أن تقف أمام البخاري، حين تصبح كعلي بن المديني وحين تصبح كيحيى بن معين وتنتقد حرفًا أخطأ فيه البخاري، حينئذٍ الناس يناقشونك مناقشة العقلاء يقبلون أو يردون، ولكن يعترفون أن لك عقلاً.

أما بمثل هذه السفالة وهذا الذي نسمعه اليوم من الحديث عن صحيح البخاري، ماذا نرى؟!! يأتي واحد من الجهلة من غِمار الناس، من سقط المتاع، لا يستطيع أن يقرأ حديثًا في اللغة قراءةً صحيحة وهو عامي، ولا يعرف ما معنى علم الحديث!! لا يعرف هذا المعنى لا يعرفه!! ويبدأ هكذا يغوص كالطفل الصغير عندما يأتي إلى الذهب فيخلط الذهب مع القبيح والصدئ!! ماذا نصنع؟! ماذا نقول؟! هؤلاء من أجهل خلق الله، ولكن هذا الزمن انتشر فيه القلم، وهذه الأدوات، الكل صار يستطيع أن يحلم حلمًا؛ فيكتب هذا الحلم ويوجد من ينشر

له، وبعد ذلك يأتي ويقول: فلان يقول كذا، انتشرت ماذا نصنع؟! انتشرت هذه الأدوات والناس يكتبون ولا فرق بين العالم والجاهل، أنت لك موقع في توتير، وموقع في تيلجرام، وموقع في الفيس بوك، ولأكبر العلماء نفس الموقع، وربما يتابع المغني مليون، والشيخ الذكي العالم لا يتابعه ألف، زمن أغبر، بسبب أهله، وفي هذا الباب الدر قليل والبعر كثير، والتفريق بينهما للأسف تاه فيه كثير من الناس، نسأل الله العفو والعافية وأستغفر الله لي ولكم.

٣٧٥- ما سر أن يضل المرء وهو يقدم روحه في سبيل الله؟

ضمن الجلسة الحادية والثلاثون، بتاريخ: (٤/٠٧/١٤٣٩هـ **الموافق لـ: ٢٠١٨/٠٣/٢١ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: شيخنا عندي سؤال لطالما أرهقني وأن أبحث عن جوابه، ما سر أن يضل المرء وهو يقدم روحه من أجل رفعة الدين بكل صدقٍ فيما نعلم، كما ضل الكثير ممن التحق بأهل البدع -هو ذكر اسم لا أريد أن أذكره- **ومنهم الكثير من الشباب الذين كان يظن بهم أنهم يحسنون صنعًا، وأنهم يقيمون للإسلام دولة، لا أقصد الرؤوس من الجماعات المبتدعة، بل الشباب الذين أتوا من كل فجٍ عميق؟**

جواب الشيخ: يا أخي دخلت في هذا السؤال كما يقولون: عش الدبابير، وليس هذا سؤال متعلق بمثل ما ضربت من المثال، بل له تنوعات كثيرة من الأمثلة، فأنا كان يشغلني كثيرًا كيف يضل المرء وهو في كل صلاةٍ يقول: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦)﴾ [الفاتحة: ٦]، ألا نرى الكثير ممن يحافظون على الصلوات ويقومون الليل فيهم من البدع وفواحش البدع، وهم يقومون بالصلاة يقولون في كل ركعة: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧)﴾ [الفاتحة: ٦-٧]، لا من أهل الغلو في طاعتهم جهلاً، ولا من أهل الإعراض عن طاعتهم كما هم اليهود وكما النصارى في غلوهم في طاعتهم لدرجة البدعة جهلاً، فكيف هؤلاء يضلون؟ كيف يضل المرء وهو يبذل -كما سأل السائل- يبذل روحه في سبيل الله عز وجل؟ وبعد ذلك ينتهي به أن يكون في سبيل المجرمين وفي سبيل أهل البدع؟ هذه قضيةٌ كبيرة أخي الحبيب، ويا أخي السائل، وتحتاج إلى تأملٍ في قضية خفاء الهوى في داخل النفس البشرية.

الله عز وجل علق المعاصي على أمرين على الجهل والهوى، ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ [النجم: ٢٣]، ومداخل النفوس في ضلالها هذان الأمران، إما أن ينشأ عن جهل فلا بد من العلم، قد يقول قائل: طيب هذا رجلٌ جاهل، ألا يعذره الله عز وجل؟ حين يعلم المرء إن لم يكن صاحب هوى؛ فعليه أن يقف عند حدوده، كلنا نجهل، لكن حينئذٍ ينبغي أن تنزع الهوى عن جهلك لتقف عند حدود جهلك فلا تتعداه، لكن الذي يحدث كالتالي؛ يتناصر ويتلاءم ويلتحم الجهل مع الهوى، المرء يجهل. انظر كيف لشاب البارح بدأ يصلي

ولا يعرف تاريخ الإسلام ولا يعرف حكم الله عز وجل، لم يقرأ صحيح البخاري، لم يقرأ صحيح مسلم، لم يقرأ كتاب فقهٍ حتى متن فقهي لم يقرأ، فهذا جاهل، فكيف يعطي لنفسه الحق بأن يكفر أمة؟ أن يكفر عالماً من العلماء؟ هذا أنت تقول عنه: أنه يريد دين الله، لكن هذه الإرادة مشوبةٌ بهوى رفعة نفسه على البقية، وهو أنه يرى نفسه عالماً، هذا المزلق في أن يرى نفسه عالماً مع أنه جاهل، هذا هوى، هذا جهلٌ بدين الله عز وجل، جهلٌ بمقام نفسه.

أخي الحبيب: مزالق الشيطان في الإنسان ليست فيما يناقض الدين، من أكثر الناس الذي تحدثت عنهم سورة «البقرة»، في بداية السورة، من أكثر الناس؟ اليهود، أكثر من تحدثت عنهم سورة «البقرة» هم اليهود، وذكرت صفاتهم بالتفصيل الذي يقطع كل باب على من أراد أن يسلك سبيل التعبد، اليهود أهل كتاب، لكن لما دخل فيهم الهوى صاروا من أكثر الناس شرًا، وإفسادهم في العالم من أكثر الإفساد، وأكثر من إفساد المشركين، من الذي يفسد العالم الآن؟ علو اليهود؟ وهم أهل كتاب، عندهم كتاب ولهم أنبياء، فلذلك مداخل الهوى فيما هو دين مفسدٌ أكثر من مداخل الهوى مما هو معصية، ولذلك العلماء قالوا: البدعة شرٌ من المعصية، ويمكن للمرء أن يتوب وهو عاصٍ، لكن لا يمكن أن يتوب -في الأغلب- وهو مُبتدع؛ لأنه يظن أنه يحسن صنعًا، لكن لماذا؟ لأن الهوى مُتحكمٌ به، لا يوجد مُبتدع من غير هوى -انتبه-.

وما ذكرته من الصفات هناك خفاءٌ في النفس، خفاء الغرور، خفاء تسمية الجهل علمًا، خفاء الرفعة، رجل يريد أن يرتفع بسرعة، هو يأتيه جاهل ويقول له: أنت موحد والبقية مشركون، هذه رفعة، يترفع على الناس بما معه من العلم، هذه صفة إبليس ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾، هذا إبليس الذي تذكر عنه الكتب أنه كان عابدًا، والله عز وجل خاطبه بخطاب الملائكة مع أنه كان من الجن؛ لرفعة مقامه، ما الذي أضله؟ بابٌ من أبواب الهوى، ألا تظن أن إبليس قبل ضلاله كان من أهل الطاعة ويريد إرضاء الله ويحب إرضاء الله، فدخل عليه الهوى.

وسريان الهوى أيها الأخ الحبيب -أكررها- في أهل البدعة من المتدينين أشد وأخفى، قد يكون الشيء خفيًا لكنه أقوى، أشد وأخفى من دخول الهوى في أصحاب المعاصي، ولذلك المطلوب هو بصيرة المرء على نفسه بالهوى، أن يبصر الهوى من نفسه، وأن يبصر مقامه من العلم، ولا يمكن أيها الأخ الحبيب للمرء أن يبصر مقامه في العلم وهو لا يقرأ، وهو لا يجالس العلماء.

أخي: هذا كتاب، لا بأس هذا كتاب «البرهان في أصول الفقه» للجويني، أعطيه لجاهل، هو يظن أنه غير محتاج له، لجاهل مغرور صاحب هوى، قدمه له وقل له: اقرأ هذا الكتاب من أجل أن تعلم، يشعر بعدم حاجته، وقد أعطي شعور بأنه هو الأهم وهو الأهدى وهو الأتقى، وهو الذي أبصر حيث صأصأ الناس، كما قال: «أبصرنا وصأصأتم»، فمتى يعرف أنه جاهل؟ إذا فتحه، ما دام أنه هكذا مغلق لا يشعر بحاجته، ولا يشعر بقيمته، إن لم يقدم له من قبل عالم يقول له: أهميته كذا وكذا، وهذا الكتاب مهم، ويشرح كذا، وفيه مسائل علمية تحتاجها في أبواب الفقه والأصول والمسائل وتمييز المذاهب والأقوال، فإذا بقي هكذا، تقول له: خذ هذا الكتاب؛ فلا يشعر بحاجته، ويقول ماذا يريد هذا؟! خاصةً إذا كان قد وضع على عينيه كما توضع البقرة لا ينظر إلى الأشياء إلا من خلال نظرته إلى الحاجات التي يأكلها ويشربها ويتزين بها، كما هم أهل الدنيا، فهو لا يشعر بقيمته، ما قيمته؟! هذا كلام جاهل! فإذا فتحه وقرأ فيه؛ أدرك أنه جاهل.

والذي يحدث أن هؤلاء لا يسمعون، لا يقرأون، ففي كل يومٍ يزداد المرء غيًا أنه مستغنٍ عن الوجود بعدم السماع وعدم القراءة، كيف اكتشف أني جاهل؟ إذا قرأت، فهذه مسألة لا أعرفها أو وجدت كلامًا لعالم لم أفهمه، وهذا لا بد أن يقع به الناس أن في هذا الكتاب ما لم يسمعه من قبل أو سمعه ونسيه واحتاج إليه، أو أن هناك كلامًا لم يفهمه، قرأه وهو يحتاج إلى من يفسره؛ فيكتشف أنه جاهل، لكن ما دام المرء في بعده عن مجالس العلم فإنه في كل يومٍ ترتقي نفسه علوًا وهميًا.

والذي يقرأ كل يومٍ نفسه ترتقي علوًا حقيقيًا في العلم، فهو بالتالي؛ يتواضع، لأنه يزداد إدراكًا لنفسه أنها جاهلة، وأنه لم يكن يعلم، فعلم؛ فدل هذا على أن هناك الكثير مما لا يعلمه، وكلما قرأ اكتشف جهله، كلما استمع للعلماء اكتشف جهله، ولكن الذي لا يقرأ ولا يسمع ولا يريد أن يسمع ويغلق أذنيه، هو يظن أن عنده الكفاية، ما الذي أحتاجه؟! أنا أصلي صلاتي، ما شاء الله أصلي، أعلم صلاتي وأزكي ماذا أحتاج؟! وخاصةً إذا تعلم أن في الفقه مسالك الخلاف، في المسألة خلاف، لا تتكلم أنت عن الفرقة التي ذكرتها، اذهب إلى أئمة المساجد، لا يقرأون؛ لأنهم يظنون أنهم يستطيعون الإجابة عن أي سؤال! علموه زمان، سمعوا أن في المسألة خلاف، فيكون جوابه في المسألة خلاف يا شيخ وانتهى الموضوع! ولو قال كلامًا جاهلاً سيجد من قال بهذا الجهل من العلماء؛ بالنهاية خرج من المذمة والملامة.

فيا أيها الأخ الحبيب: هذا استطراد مهم جدًا لتعلم أن هؤلاء فيهم مسالك الهوى، وإن خفيت عليك، بل تخفى عليهم.

أخي الحبيب: لا تظنن أن الناس يعرفون أنفسهم حين يغلب عليهم الهوى، بل والله هم في تلك الحالة من أشد الناس إتقانًا في إلباس الهوى لباس العقل والحكمة والعلم، هم أشد الناس؛ فيخفى هذا، أنت كيف ترى الرجل يقوم الليل ويتهجد ويدخل عليه الشيطان من أبواب التعبد، أبواب الغرور، أبواب الرفعة، أبواب الترفع لا يرى غيره، أبواب النظر إلى الناس باحتقار، أبواب أنهم لا يفعلون فعله، أبواب أنه هُدي إلى أمرٍ لم يهتدوا إليه، أبواب أنه لا يأخذ العلم إلا من جهةٍ واحدة كما هي اليهودية، وهكذا.

فهذا السؤال أنا أفهمه، ولكن بعد التجربة تكتشف لا، تكتشف أنه لا يمكن أن تنشأ معصية من غير جهلٍ وهوى، لا يمكن، جهلٌ من غير هوى مع تقوى الله يمنع المرء من التسلق على مسائل لا يفهمها، يأتي إليه السؤال يقول: لا أدري، لكن جهل مع هوى، ماذا يصنع؟ الإجابة على كل سؤال، والتصدر في كل موضوع، والترفع على بقية البشر وهو لا يعرف مقامه فيهم.

يا شيخ: تتحدث عن أناس من هذه الجماعات أقسم بالله لا يتقنون القرآن ولا قراءته ومع ذلك يرون أنفسهم أعلم أهل الأرض، هم أهل التوحيد وبقية الناس على ضلال وشرك، وكذلك الصوفية، يظن الصوفي الذي يجلس ويرقص أنه هذا الذي بلغه ما لم يبلغه العلماء؛ لأن هناك من النصوص في كتبهم أن هذا الجاهل هو خير من العالم الذي لا يفعل فعلهم ولا يعبد عبادتهم!! هو لا ينظر لنفسه أن العالم إذا كان عالماً حقيقيًا يكفي أنه يبصر ألا يقع في البدع ويبصر الناس أن لا يقعوا في البدع؛ لأن أعظم العبادة العلم والتعليم، والعالم يرى نفسه مقصرًا يقوم بواجب من الواجبات، لكن هناك من العوام من يقوم بالعبادة ما لم يقم هو به، فالعلم الحقيقي الذي يمنع من الظلم ويمنع من التصور على ما لا يتقنه المرء.

أخي الحبيب: هناك مداخل للهوى، إياك، أنت تقول: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، وهو يقول في نفسه: إني أنا على الصراط المستقيم، هو يقولها بلسانه وقلبه يقول: اهدنا يعني أنا ما زلت غير مهدي؟! كيف يفهم كلمة شيخ الإسلام: «والله إلى الآن ما أسلمت إسلامًا صحيحًا»؟ بالله عليك هذه لو قلتها لك، أنت الذي تسمعني كائنًا من كان، بالله عليك ألا تنكرها بنفسك؟ أما أنا والله أنكرها من نفسي، لا أقولها، لكن هو

يقولها؛ لأنه أبصر بدين الله مني ومنك، وأعلم بدين الله مني ومنك، ويعلم حقيقة الإسلام أكثر مني ومنك، هل تقول أنت: والله إلى الآن ما أسلمت إسلاماً صحيحاً؟ هل خطرت على بالك لحظة؟ هل خطرت؟ إذا خطرت فأنت على خير، أي ممكن تأتي مرة ثانية وثالثة ويهديك الله، لكن إذا لم تخطر على بالك قط، وأنت تقول: أنا الحق منذ أول لحظة، أنت تستمع إلى مسألة علمية فتتيه بها وتظن أنك قد ملكت العلم كله، متى تقول: والله ما أسلمت إسلامًا صحيحًا؟ هذه كلمة رجلٍ مُبصر، كلمة رجلٍ سجين في سبيل الله، كلمة رجلٍ ملأ الدنيا علمًا، وصار قنطرة من قناطر التوحيد والإيمان والعلم والفقه والأصول، والذب عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم، ومحاربة البدع، ويقول: «والله ما أسلمت إسلامًا صحيحًا»!! هذا الذي يقول: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، أي ما زال الطريق المستقيم منه ما نجهل، ومنه ما علمنا ولم نسلك، ومنه...، ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

أما أن الدعاء لا يستجاب؛ فلأنهم لا يدعونه على المعنى الصحيح، ولو دعوه على معنى صحيح لأصابهم، يكفي هذا، ولكن هذا مسلكٌ من مسالك الهوى، انتبه إليه يا أخي، -لا أقول للسائل- أقول انتبه لمسالك الهوى من نفسك، عندما تخاصمني انتبه لمسالك الهوى، عندما تخالف أخًا انتبه إلى مسالك الهوى، عندما تكتشف علمًا انتبه إلى مسالك الهوى في هذا العلم، عندما تسلك عملاً من أعمال التعبد انتبه، الشيطان -أكررها لك- في مسالك التعبد أتقن منه إلى الدخول في قلبك من أن تسلك مسالك المعصية، مسالك المعصية واضحة لديك، منكرة، لكن هو يدخل مداخل خفية في مسالك التعبد، في مسالك العلم يدخل مداخل خفية، وهي أشد وأقذر وأفسد من مسالك المعصية على ما تقرر الكلام فيه سابقًا، والله سبحانه وتعالى أعلم.

بارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٣٧٦- سؤال عن نفي الإيمان لمن يجد في نفسه حرجًا

ضمن الجلسة الحادية والثلاثون، بتاريخ: (٤/٠٧/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٢١/٠٣/٢٠١٨ م)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: أريد أن أسأل عن مسألة نفي الإيمان عن الذي يجد في نفسه حرج من حكم الله في قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥)﴾ [النساء: ٦٥]، هل هي على إطلاقها أم لها ضوابط؟ فقد يجد بعض الناس كراهة في بعض الأحكام مع أنه يؤمن بها ومستسلمٌ للشريعة كبغض المرأة للتعدد، وكراهية الرجل -بغض المرأة للتعدد لا بد من شرحها- وكراهية الرجل للجهاد، وحتى في القضاء الشرعي كثيرًا ما يحصل كره لبعض الأقضية.

جواب الشيخ: الجواب على هذا السؤال أخي أول شيء هذه المسألة أريد أن أشرح فيها شرحًا يسيرًا بمقدار إن شاء الله ما يناسب المقام، عندما يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ١-٤] الآيات... الآن نحن نرى أن الشارع قد وصف أوصافًا إيمانية للمؤمن، لكن هل هذه على مرتبةٍ واحدة في الإيمان؟

ونحن نعلم ابتداءً بالاستقراء والأدلة النصية على أن الإيمان ليس شيئًا واحدًا، الإيمان متعدد، الصلاة من الإيمان، الزكاة الإيمان، كلمة الشهادتين من الإيمان، الجهاد من الإيمان، وهكذا، هذا هو دين الله عز وهذا ما دل عليه الكتاب والسنة وقاله أهل العلم، وإجماع أهل العلم في ذلك، لم يخالف في ذلك إلا من خالف بالغلط فُخولف من قبل أهل العلم وردوا عليه، وهذا التعدد لا يعني أن كل فردٍ من هذه على مرتبةٍ واحدة، فهناك من أجزاء الإيمان ما هو ركن، وهناك من أجزاء الإيمان ما هو واجب، وهناك من أجزاء الإيمان ما هو مستحب، وهذا ليس فقط في الإيمان، بل في كل فعلٍ إيماني، الصلاة إيمان ومع ذلك فيها أركان وفيها واجبات وفيها

مستحبات، وهكذا في الصيام، فكل فعلٍ إيماني فيه هذه الأجزاء وبهذا التنوع وهذا التدرج، ولا يجوز لمسلم أن يجعل الركن مستحبًا ولا واجبًا ولا أن يجعل المستحب واجبًا ولا ركنًا، فينبغي أن يعرف، مع أن جميعها إيمان ومن الإيمان إلا أن مرتبتها في الإيمان تختلف.

ومثل علماؤنا بالبدن الإنساني لما نقول: الإنسان، نقول: رأس، نقول: روح، نقول: عينان، نقول: أنف، أذن، رجل، وهكذا، فمتعدد، لكن مرتبة الرأس في البدن وفي الإنسان ليست كمرتبة اليد، مرتبة اليد في الإنسان ليست كمرتبة الظفر، ومرتبة الظفر في الإنسان ليست كمرتبة الشعر مثلاً في الحاجب، وكلها أجزاء للإنسان، وهكذا في الإيمان.

وهذه قضية شُرحت كثيرًا في مواطن متعددة، والعلماء يعرفونها وطلبة العلم صارت منتشرة عندهم بفضل الله عز وجل. الآن لما قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣)﴾، فالله عز وجل ذكر من صفات الإيمان أعمالاً ايمانية، لكنها ليست على مرتبةٍ واحدة، الصلاة والزكاة ليستا بمرتبة وجل القلوب، لو أن رجلاً قرأ القرآن فلم يحصل في قلبه الخوف الذي وصفه القرآن ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾، فهل هو كتارك الصلاة؟ الجواب: لا.

إذن لما يثبت القرآن أو السنة تقول: هذا من الإيمان؛ فعليك أن تثبتها أنها من الإيمان ثم تبحث عن دليلٍ آخر، إما منها يكون ملاصقًا لها موصولاً بها، وإما خارجها لتعرف المرتبة هل هو من مستحبات الإيمان أم من واجباته أم من أركانه؟ هذا في موضوع الإثبات.

السؤال الذي بين أيدينا هو في موضوع النفي، وهو موضوع: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [النساء: ٦٥]، الذي تقدم في من هو المؤمن، هنا في نفي الإيمان عمن أتى بهذه الأفعال، دلت السنة على أن نفي الإيمان لا يعني إلا النفي الواجب، وقد يكون نفيًا للركن، نفيًا للحقيقة، وهذا يحتاج إلى دليلٍ آخر كذلك، إما أن يكون موصولاً، وإما أن يكون منفصلاً، عندما يقول النبي صلى الله عليه وسلم: **(لا إيمان لمن لا أمانة له)**، **(لا إيمان لمن لم يأمن جاره بوائقه)**، وهكذا، فنفى النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان هنا، الذي عليه السلف -ولا نريد أن ندخل في خلاف بعض المتأخرين- أن النفي هنا نفيٌ للإيمان الواجب وليس للإيمان المستحب.

وهناك من قال: بأنه نفيٌ للإيمان المستحب، الإيمان الكامل، بمعنى الإيمان الكامل استحبابًا، وهذا غير صحيح، هو نفيٌ للإيمان الكامل ولكنه نفيٌ لكمال الوجوب، وليس لكمال الاستحباب، فحين ينفي الشارع (**لا إيمان**)؛ فإنها لا تدل لزومًا على أنها نفيٌ لحقيقة الإيمان وأصله ولا أن هذا الفعل يدخل في أركانه، وقد يدخل، أنا قلت: لزومًا؛ لأنه قد يدخل، وإنما نحتاج إلى دليلٍ مصاحبٍ آخر يكون في السياق أو أن يكون هذا الدليل منفصلاً، نحتاج إليه لنعرف مرتبة هذا الفعل من الإيمان، أو أن هذا الفعل ما مرتبته إذا حدث في نقض الإيمان، هل هو ينقض الإيمان الواجب؟ المستحب لا، لا يوجد في الشريعة ما فيه لفظ نفي الإيمان ثم نقول: هذا الفعل الذي نفت الشريعة بنفيه الإيمان أن يكون مستحبًا، لا، هذا لا وجود له، والعرب لا تقبله، لا ينفى البدن لنفي الشعر، واحد حلق رأسه فنقول: هذا بدنٌ ناقص نقصًا من واجباته!! فلا ينفى، فهذه هي القواعد التي ينبغي على طالب علم أن يفهمها.

الآن نذهب إلى الآية: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [النساء: ٦٥]، هذه قد تدل على نفي الإيمان، على أصل الإيمان، عندما نقول: أن الشريعة نفت أصل الإيمان، لا يعني أنها نفت كل الأعمال الركنية، هذا خطأ، بعض المساكين يظن أنه لا يُنفى أصل الإيمان إلا بنفي كل أعمال الإيمان التي هي تدخل تحت مسمى الركن أو الشرط، هذا غير صحيح، يقول الإمام أبو مظفر السمعاني: «ولحوق الرجل بالكفر أسرع من لحوقه بالإسلام»، بمجرد أن يقوم الرجل بفعلٍ واحد ينقض أصل الإيمان؛ لا ينفعه بقية الأعمال سواء كانت من الأركان أو من الواجبات أو المستحبات، فالذي يسب الله عز وجل أتى بفعلٍ نقض أصل الإيمان لو صلى وصام هو كافر، إلا أن يتوب؛ فيعود إليه إيمانه، فمن انتفى عنه الشرط أو انتفى عنه ركن، والصواب في هذه المسألة أن الصلاة ركن، الصواب وهذا الذي عليه إجماع الصحابة رضي الله عنهم، واختلفوا في الزكاة، والذي عليه كثيرٌ من أهل العلم من الصحابة وغيرهم أن تارك الزكاة يخرج من الإيمان بالكلية.

ولو قال قائل وهو مذهب أحمد رحمه الله وقول كثير من الأئمة: بأن المباني الخمسة ما لو تركها العبد، لو ترك واحدة من المباني؛ فإنه يخرج من الإيمان بالكلية، وهذا قولٌ معتبر، ودعكم مما انتشر بين الناس.

والآن نأتي إلى الآية، فبعد هذا الذي تقرر؛ وهو أن الله عز وجل قال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، فهل ما بعدها من نواقض الإيمان الكلية؟ أم نواقض واجبات الإيمان؟ باختصار، لا أريد أن أطيل:

الأمر الأول: يقول ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين: «أن هذه الآية اشتملت على ركن الإيمان وواجبه ومستحبه»، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥]، قال: «هذا ركنٌ من أركان الإيمان»، أن يذهب فيأخذ حكم الله عز وجل وأن يلتزمه وأن يقبله القبول الذي به يتم الالتزام، فهذا ركنٌ من أركان الإيمان، فلو أنه ذهب لغيره ليحتكم عند غير شرع الله عز وجل؛ لكفر وخرج من أصل الإيمان، وكان كافرًا.

الأمر الثاني: قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ﴾ [النساء: ٦٥]، قال: «هذا واجب الإيمان»، وإذا ذهب الواجب نقص الإيمان، وتعلق به عدم شرط الوعد، وآثم.

الأمر الثالث: وقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥)﴾ [النساء: ٦٥]، قال: «هذا من مستحبات الإيمان» قال: «فالآية جاءت بهذا التدريج»، وهكذا من تأمل القرآن وجد هذه الطريقة موجودة في القرآن، أنه يذكر المراتب المتعددة في الحكم الواحد وفي الفعل الواحد، وهذا كما قال الله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٣)﴾ [الأعراف: ٣٣]، انظر إلى مراتب هذه الجرائم؛ فإنها ارتقت إلى الشرك، ثم جعلت فوق الشرك أن يقول العبد على الله عز وجل ما لا يعلم، يكذب على الله عز وجل، كما يفعل إبليس وجنده، فهذا الذي عليه، والآن هذا الذي تقرر.

والآن نأتي إلى هذه الأمثلة التي ضربها الأخ والأسئلة التي ساقها: عندما تبغض المرأة التعدد، هناك فرق بين أن يبغض الرجل الشيء لكونه يناقض ما يحب من هوى نفسه ومشتهيات نفسه، وبين أن يبغض الشيء من جهة كونه صادرًا عن الله عز وجل، النبي صلى الله عليه وسلم لم يشتهي الضب مع أن الله عز وجل أباحه، قال: **(إنه ليس بأرض قومي)**، لم يشتهي، التعدد على الصواب أنه مباح، وأعلى درجات من يقول أنه مستحب، والصواب أنه مباح، التعدد مباح، فالمرء حين يسأل هل التعدد مباح؟ يقول: مباح، هل إباحته هي الحق؟ يقول: نعم هو الحق، لكن هل تحب المرأة أن يعدد زوجها عليها؟ لا تحبه، لماذا؟ لأنه ينافي هذا التعدد

شهوتها، فهي تعلم أن عدم محبتها لتعدد الزوجات لجهة أنه يناقض شهوتها، لا من جهة أنه ردٌّ على الله عز وجل، فكون الشيء مباح والنفس لا تحبه هذا محتملٌ في الوجود، وكم من الناس لا يحبون بعض المباحات؟ إذا قيل له: كل هذا الطعام، لا يحبه ولا يشتهيه ويبغضه، هل هو يبغضه من جهة شهوة نفسه أم من جهة إباحة الله عز وجل له؟

طيب لو وقع هذا الفعل -هو لا يحبه- لو وقع من غيره قال: هو وما يشتهي، هو وما يفعل، ولا يرون هذا جريمة، لا يرون التعدد جريمة، يرونه مسألة تتعلق بشهوة النفس. فالمرأة اذا تزوج عليها زوجها لا ترد ولا تقول له: أنت فعلت محرمًا، أنت فعلت جريمة، لكنها تقول: أنت فعلت هذا الفعل مخالفًا لهوى نفسي، وهذا هو الفرق، ومما ذكره: قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]، العبادات أصلاً هي تكاليف على الصواب وإن أنكر هذا اللفظ بعض أهل العلم كشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وقلنا: بأن الشريعة جاءت على خلاف هوى النفوس، في شرح «الموافقات»، الشريعة جاءت على خلاف في الهوى، فالنفس تكره ما يخالفها، هذا الكره من جهة أن النفس تأباه، أن تقول لي النفس: لا تريده، يجبرها، النفس لا تحب الصيام لكنه يجبرها؛ فهذا الكره الطبعي المبني على الهوى لا علاقة له في قضية كره التحليل والتحريم الذي عليه الضالون ومراتبهم كثيرة، تصل إلى درجة الزندقة أنهم يكرهون حكم الله عز وجل، فيردونه ويستهزئون به ويبغضونه ويدعون إلى عدم العمل به وإلى التنفير منه.

مثلاً: تحريم الله عز وجل للربا، انظر الفارق بين المسلم الذي يشتهي ويقول: والله الربا يحقق لي بعض الأرباح، لكني أتركه لله عز وجل، فهو يحب هذا الفعل؛ لأنه يحقق له الهوى، ولكن يبغضه بكونه يبغض فعله لأنه أمر الله عز وجل، وبين رجلٍ يذهب إليه مشتهيًا يقول: الربا جيد وهو الذي يصلُح به أحوال الناس وحكم الله عز وجل في ذلك بين قوسين على معنى من الكلمات أنه خطأ، علينا أن نفرق بين هذه وهذه. فالنفس تكره، بل (**حفت الجنة بالمكاره**)، هذا الكره الطبعي النفسي المبني على الهوى والذي جاءت الشريعة لمنافاته والوقوف ضده، بل لمقاومته ومجاهدته، هذا المعنى لا ينقض الإيمان، بل يبقى في النفس من أجل أن يثبت الرجل محبة ما يحبه الله عز وجل على ما تحبه نفسه، هذا الصراع بين الإرادتين هو الإيمان.

فعندما يأتي رجل -وكما ذكر في المثال الثالث- عندما يأتي ويوزع الإرث مثلاً، هو يتمنى أن يكون الولد له

ثلاث أضعاف حق الأنثى، ولكنه يقول: هذا حكم الله عز وجل أجاهد نفسي عليه وأقبل حكم الله عز وجل، هذا فرق بين من يستهزئ ويسب دين الله عز وجل ويعمل جاهدًا من أجل أن يغيره، أو أن يقول: للذكر مثل حظ الأنثى كما يقول الزنادقة وكما خرجوا مظاهرات في تونس، كفرة، ملاعين، يرفعون الشارات «للذكر مثل حظ الأنثى» يا كلاب؛ فهذا هو الفرق، ويكفي في هذا الباب، والله تعالى أعلم، مع أن الموضوع يحتاج إلى الكثير من البسط في هذا لطلبة العلم، ولكن إن شاء الله في ذلك ما يكفي للسائل.

بارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٣٧٧- إجابة تساؤلات حول حقوق النشر

ضمن الجلسة الحادية والثلاثون، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٧/٤هـ الموافق لـ: ٢٠١٨/٠٣/٢١ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل يقول: السلام عليكم، شيخنا هنالك كتاب تعرفونه اسمه «هداية المريد لجوهرة التوحيد» وهو شرح الأرجوزة لإبراهيم اللقاني، يعني الأرجوزة هي جوهرة التوحيد في العقائد الأشعرية، وقد شرح هذا الكتاب كما علمت ثمانية عشر مرة منها ثلاثة شروح للقاني نفسه، «الشرح الكبير» و«الأوسط الصغير» وعلق أيضًا على حواشيه عشرات المرات -عبارات أعجمية لكن لا بأس- الآن يأتي أحد ويشرح شرح الباجوري، شرحٌ على شرح ويؤلف كتابه ويبيعه في السوق، يستفيد منه ماديًا، يكتب في أول صفحة عبارة نحن في خدمة العلم وأهله، لكن يشترط أيضًا الشروط القانونية التي تعرفونها.

السؤال: هل صاحب الأرجوزة نفسه استفاد ماديًا من هذا الكتاب أي اللقاني؟ هل الشارح الأول استفاد أي مع الباجوري الذي هو صاحب كتاب «هداية المريد»؟ هل استأذنه في ذلك أم أن الشارح يعتبر بحكم السارق أيضًا؟ جزاكم الله خيرًا.

جواب الشيخ: في الحقيقة ربما هذا السؤال فيه شيء من الاعتراض على موضوع حقوق الطبع المعاصرة، قديمًا كان العالم يكتب كتابه ولا يستفيد منه ماديًا، يضع الكتاب عند الوراق، فالوراق ينسخ منه نسخًا لطلبة العلم ويأتي طلبة يأخذونه فيدفعون للوراق الثمن، الثمن يتفاوت بحسب نوع الورق وجودته نوع الحبر وجودته، وكذلك خط الوراق، الوراق يختلف أمره بين رجلٍ متقن وغير متقن، فيه أخطاء في كتابته أو لا يوجد أخطاء، أو أن خطه جيد أو غير جيد، فحينئذٍ تتفاوت الأسعار، أما العالم نفسه فلا يأخذ منه شيئًا، الوراق يأخذ قيمة، ليست القيمة العلمية، ولكن القيمة المادية، كانت هكذا تجري الأمور، العلماء يجرون هذه الكتب على هذا المعنى وتحصل التزكية لهذا الكتاب والقيمة لهذا الكتاب من خلال سماعه وإجازته من صاحب الكتاب نفسه أو من الراوي عنه، أسانيد الكتب التي تسمى بالأسانيد، وهذا علمٌ ليس خاصًا بالأحاديث، ولكن علم الأسانيد كذلك في الكتب، الكتاب لا بد من إسناد له ليصح أنه لهذا العالم وليس مُدعيًا عليه أو ليس فيه خطأ أو ليس

فيه خلط أو ليس فيه نقص أو ليس فيه زيادة.

وكان العلماء يعيشون لعلومهم لأمورٍ أخرى، لهم مداخل إما مادية خاصة بالوراثة، وإما أنها من عطاء الفيء الذي تعطيه الدولة المسلمة، الحاكم المسلم يعطيه لشعبه، وإما من قبيل الأوقاف، يُنفق على العلماء في الأوقاف، الأوقاف من أعظم صور الاستقلال المادي للعلماء، حتى في مبيتهم وسكنهم وغير ذلك... إلخ.

فاليوم الكثير من العلماء يعيشون من وراء كتبهم، يستفيدون منها، يأكلون ويشربون منها، وهم مُضيق عليهم في حياتهم، لا يأخذون الرواتب من الوظائف، وليس هناك أوقاف تصرف ليهم، فالأوقاف صارت للدولة، تسرقها الدولة، وهناك كثير من الأوقاف قد سرقها الطُغاة، أخذوها، أو أنها أممت تحت وزارة هي التي تقوم على شأنها لتنفق على شؤونهم وشئون الحكومة والمتنفذين، فالعالم يحتاج إلى مال.

ثانيًا: الكتابة اليوم تحتاج إلى نفقة، الكتابة والتفرغ والورق والمصادر والمراجع، فتحتاج إلى قيمة مادية، ثم بعد ذلك تدفع إلى المكتبة، المكتبة تقوم بصفها وتحقيقها وطباعتها بالورق الملائم لها، فهذه قيمة مادية، لا نتحدث عن العلم، العلم حين يخرج في الكتب يصبح من حق الأمة أن تستفيد منه.

أعطيكم مثال: لو أن رجلاً لم يشتر الكتاب، وإنما ذهب إلى بيت صديقه أو إلى مكتبة عامة، وأخذ الكتاب ونقل منه، نقول: أنه عزا إليه، النُقول العلمية، ولم يسرق منه لم يسلخه سلخًا كما يفعل السارقون، لكن نُقول علمية، وأنتم تعرفون الفرق بين السرقة أو الذي يسمونه التناص، اليوم هكذا يُسمى، وهذه مشكلة عند العلمانيين وليس فقط عند المشايخ يسرقون، التناص أي أن يلائم الحافر، الحافر، والفِكر الفكرة، وهي صورة من صور السرقة، ولكن يتخفون منها. فلو ذهب إلى المكتب العامة ونقل نقلاً علميًا بريئًا، لا يأتي صاحب الكتاب ويقول: هذه فكرتي ادفع لي ثمنها، لا يقول هذا، الكلام عن مكتبة تأتي لهذا الكتاب وتسرق هذا الكتاب ولا تدفع كل هذه التكاليف، لا تدفع قيمةً للكاتب ،ولا تدفع ثمنًا لصفه ولا لمراجعته ولا لطباعته الطباعة اللائقة به، ينسخونه سرقة بالطرق السريعة ويُباع، هذه أُجيزها في ظروف معينة كأن يكون الكتاب مثلاً مُستَغلاً ومُحتَكرًا.

فهناك بعض المكتبات أنا فوجئت بها!! سأذكر الكتاب حتى تصل الرسالة إلى أصحابها، أردت أن اشتري كتابًا وقد وصلت منه نسخ إلى الأردن وهو كتاب «سراج المريدين» لابن العربي، وهو ست مجلدات، ففوجئت

بأن ثمن المجلد الواحد عشر دنانير ونصف أردني!! أي ما يعادل تقريبًا خمسة عشر دولار، المجلد الواحد، الرجل يقسم لي أن تكلفة عليه خمسة وستين دينار!! هذا الثمن مرتفع!! وان أتكلم هنا عن الذين ليس لديهم أموال، فلو أخذه طلبة العلم فاشتراه واحد أو اشترته مجموعة ثم صوروه جاز لهم ذلك؛ لأن في ذلك استغلال، مع أنه مطبوعٌ في المغرب.

وكنا نشكو قديمًا من ثمن كتب المكتبة الشهيرة «دار الغرب الإسلامي» مات صاحبها رحمة الله عليه، فكنا نشكو الأثمان غالية، والناس يعذرون بأن طباعتها جيدة وفاخرة ومحققة مع أنها متخصصة في كتب المالكية، لكن الكتب اليوم لماذا تكون غالية بهذا الثمن؟ هذا استغلال في الحقيقة، فحتى لو كان المجلد من أفخر ما يكون وقد تُعب عليه أكثر ما يكون لا يكون بمثل هذه الأسعار، فحين يتم الاستغلال، أنا أجيز، الاستغلال يكسر بمثل هذا، العلم أهم من الطعام والشراب فإذا كان الاحتكار يُكسر الاحتكار بما يَكسر هذا الاحتكار وما يفسد عليه إرادة صاحبه، أو أن يكون في مكانٍ ناءٍ لا يستطيع أن يصل إليه.

مثلاً: في الغرب كنا نعاني من هذه المشكلة في إيصال المطبوعات أو إيصال الإصدارات؛ فتضطر أن تكسر هذا عن طريق الأخذ غير الجائز، للاضطرار، لحاجتك إليه مع عدم وجود الفسحة في أخذه من طريقه المعتاد، فإذن الأصل هو هذا.

فالآن لو أن رجلاً جاء إلى هذا الكتاب «هداية المريد في شرح جوهرة التوحيد»، مطبوع وطبعة قديمة كافية، تذهب إليه فتشتريه فلا يضرك، لكن حين يشرحه أحد، يشرحه ويتعب عليه التعب الذي ذكرناه من حقه أن يقدر السعر وأن يأخذ الربح الذي يلاءم ما أنفق عليه من جهد وما بذله من طباعة وما تكلمنا عنه، فأنت الآن تريد أن تأخذ كُتبًا قديمة موجودة تشتريها، وهي تصور من قبل الدور تصور تصويرًا كما هي بطباعتها القديمة وتستفيد منها.

لكن حين يأتي هناك جهد جديد وإنفاق جديد، فيضع المال ولا يكون فيه الاستغلال؛ فمن حقه أن يطالب، هو لا يطالب بثمن كلام الباجوري ولا بثمن إبراهيم اللقاني كلهما شيخ الأزهر، كلهما أشعريان، وهذا الكتاب لا أنصح بقراءته إلا لطالب العلم، وأنا لي رد عليه سميته «الرد المفيد على شرح جوهرة التوحيد»، وطبع مرات بإذني وبغير إذني، واختصر من قبل بعضهم وطبعه من غير إذني، لا بأس جزاه الله خيرًا، فقط أن يتم النفع

فيه، فهو لا يريد منك ثمن ما قاله هذا العالم، هو يريد ثمن ما أنفقه هو ليحسنه في هذا الباب الذي ذكره أو أن يشرح أو أن يرد عليه، فينبغي احترامه ما دام أنه في حدود ما هو جارٍ من العرف بين الناس ولا يزيد عليه ولا يكون فيه الاستغلال.

وهذا وبالله التوفيق والحمد لله رب العالمين.

٣٧٨- نصيحة إلى أحدهم

ضمن الجلسة الحادية والثلاثون، بتاريخ: (٤/٠٧/١٤٣٩هـ **الموافق لـ: ٢١/٠٣/٢٠١٨ م)**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخت تسأل تقول: سؤال لفضيلة شيخنا جزاه الله خيرًا -وأنتم جزاكم الله خيراً-: خطيبها عاقدٌ عليها بعقد شرعي، حفظه الله ووفقه وإياكم -جميل هذا الدعاء لخطيبها في الحقيقة- رزقني الله حبّه محبةً جمّة -هي تحب خطيبها، الحمد لله- لكن مشكلتي مؤخرًا بأني عادةً أحتاج لأكلمه بأمور مهمة في هذه الفترة الأخيرة، وأحيانًا بطلب من أهلي خاصة، وغالبًا يفتح الرسائل ولا يجيب، مما يجعل أهلي ينقمون لهذا التصرف، ويضايقني بشدة ذلك؛ أقدّر انشغالاته وطول غيابه مؤخرًا وظروفه، وأسامحه صونًا لحبّنا وسعادتنا وإرضاءً لله، لكن ألا يحق لي بأخذ بعض الدقائق من يومه للتكلم؟ وكيف أصنع معه؟

جواب الشيخ: أولاً: **(خيركم؛ خيركم لأهله)**، والنموذج النبوي الشريف في التعامل مع الزوجة هو الذي ينبغي أن يسلكه الطائعون العابدون، كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل بيته كان في مهنة أهله، وكانت نساؤه يراجعنه ولا يغضب، والنبي صلى الله عليه وسلم يصبر عليهنّ، وكان يصبر على عائشة رضي الله عنها حتى وهي تنظر إلى الحبشة وهم يلعبون في ساحة المسجد بالحراب، والنبي صلى الله عليه وسلم كان يداعبها.

المرأة -هذا تكلمت عنه في لقاءٍ سابق- هذه المرأة جوهرة بين يديك -بالأخص إذا كان الأخ يسمع، وهذا الكلام للجميع للأخ ولغيره- فإن من الإحسان له أن يحسن لزوجته، هي زوجته، مادام أنه عقد العقد، في بعض البلاد يسمّون هذا خطبة، في بلادنا بلاد الشام ما لم يدخل عليها يقولون: خاطبها، وهذا غير صحيح، الصواب: أنها زوجته، ولكن في بعض البلاد لا يعقد إلا في يوم الدخول والبناء، وكثير من البلاد يكتبون العقد فتصبح له زوجة، ولكن يأخرون البناء؛ فيسمّون هذه خطبة، هكذا يسمّونها، فهذه تتكلم عن خطبة مع عقدٍ شرعي، فلعلها من بلاد الشام أظن أو من البلاد التي يجري فيها هذا العرف.

فالمطلوب من هذا الأخ هو: أن يحسن إليها، إذا استشفعت بي أن يقبل شفاعتي فيها، في أن يحسن إليها، أن يردّ على سلامها، أنتم تعلمون أنه إذا أرسل الأخ لأخيه رسالة فيها السلام، يجب عليه أن يردّ، يجب،

والإمام ابن عباس رضي الله عنهما أفتى بأن ردّ السلام في الرسائل واجب، كما أنّه يقابلك فيقول: السلام عليكم، فإذا أرسل لك أخٌ فوجب الرد عليك، فكيف إذا كانت زوجتك -كما قلنا: هي زوجة في الحكم الشرعي- ترسل لك؟!! فهي أولى في ردّ السلام، أن تردّ سلامها، أن تسلم عليها، وأن تعرف شأنها وأن تقوم بها.

هي تقول: بأنها تعذرك فيما يشغلك من أشغال؛ فأنت عليك أن تنتبه لهذا الإعذار وهذا الحبّ، وهي تحبّك وتدعو لك؛ فعليك أن تهتم بهذا، أن تجد زوجةً وتكون بمثل هذا المقام، فهذا شيءٌ عظيم، وأن تكون بهذه الرّقة، وأن تستشفع بشيخ لك -يمكن أن تسمع له أو لا تسمع- فهذا شيءٌ طيب، ولذلك عليك أن تهتم بهذا، وعليك أن تعلم بأن أحسن الناس هو أحسنهم لأهله، وأن خير الناس هو خيرهم لأهله.

فالأخلاق لا يمكن أن تكون حقيقية إلا مع الزوجة، إلا مع الزوجة، **(وهنّ عوانٌ عندكم)**، هذا الكلام الذي تتكلم به هذه الأخت يجرح القلب، ويثبت حديث النبي صلى الله عليه وسلم: **(أنهنّ عوان)**، أي: أسيرات، ضعيفات، تحتاج إليك.

فعليك أن تهتم بهذا، عليك أن تحسن إليها، ترد عليها السلام إذا سلمت عليك، وهي لا تكثر، ونحن لا ندري أن يكون السبب في إعراضه عنها كثرة الرسائل وكثرة الاتصالات وكثرة الإشغالات، ولكن عليها أن تعرف وضعه، وأن تراعيه في هذا الباب، وهكذا يقوم البيت على الاحترام وعلى الحبّ، هذان هما عمادا دوام الحياة الزوجية؛ الاحترام وهو الأهم، الاحترام أولاً وثانيًا وثالثًا وعاشرًا ثم الحبّ، والحب يأتي تباعًا، لا يأتي في الابتداء، وإذا جاء في الابتداء فحسن، ولكن عادةً يأتي تباعًا ويُبنى بناءً، الحُبّ يبنى بناءً تدريجيًا وتنتهي عظمته وكبره عند الكبر، يحب أحدهما الآخر، والاحترام عند الكبر ربما يكون موجودًا وربما يصبح فيه شيء من التساهل بين العجوزين.

ويجوز للمرء أن يقول عن زوجته: عجوز، وأن يقول عن أمّه: عجوز؛ لحديث أنس رضي الله تعالى عنه أنه صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلاً، وأمه أم سُليم رضي الله عنها، فقال: «وصلّت العجوز خلفنا»؛ وفي رواية قال لها مرةً: عجوز، قالت: عجز الله ركبتيك أو رجليك، لأن العجوز من العجز، فربما أغضبها هذا، ولما روى عنها بعيدًا قبلت منه، فهو أجازها، وإنما أراد أن ينبّه على سِنّها وعلى حالها، وليس اتهامًا لها، فإذا

علم الأب أو الزوج أو الأخ أن المرأة تغضب من كلمة عجوز فلا يقلها، وإنما هي وصفٌ جائز من غير إيذاء.

القصد من هذا: أن ننبه الأخ الذي تسأل عنه، عليه أن يحسن إليها، ومرحلة الخطبة كما نسميها هنا في بلاد الشام، هذه مرحلة جميلة لا تفوت، مرحلة جميلة من التشوّق، مرحلة جميلة من التعرّف على بعضهم البعض، مرحلة جميلة من أن يشمّ أحدهما الآخر عن بعد، في أن يرى جماله وحسنه وخيره؛ بعد ذلك الزواج تأتي مشاكله ويأتي الحمل، وتأتي الظروف الصعبة، فربما يصبح في ذلك ضغط على إظهار المحبّة وإظهار الاحترام، ولكن قبله الأيام التي نسميها الخطبة التي هي بمعنى الزواج، التي فيها العقد –نتكلم عن الظرف والمصطلح الذي نعيش فيه– فهذا وقتٌ يُحسن في أن يستغله المرء بالحب والتعارف، بارك الله لكِ فيك، وبارك الله لهُ فيكِ.

بارك الله فيكم والحمد لله ربّ العالمين.

٣٧٩- شرح حديث (يوشك ألا يبقى في أرض العجم من العرب إلا قتيلٌ أو أسير ينتظر أن يحكم في دمه)

ضمن الجلسة الحادية والثلاثون، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٧/٤هـ الموافق لـ: ٢٠١٨/٠٣/٢١ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل يقول: المرجو شرح الحديث الذي رواه عبد الله بن عمرو فيما معناه: (يوشك ألا يبقى في أرض العجم من العرب إلا قتيلٌ أو أسير ينتظر أن يحكم في دمه)، هذا لفظه، قيل: إنه صحيح على شرط مسلم، فالسؤال: هل يمكن إسقاطه على العرب المتواجدين بدول الغرب الأوروبي؟ وهل يمكن أن يكون في هذا الزمان وذلك مع صعود التيار اليميني المتطرف في كثير من هذه البلدان؟

جواب الشيخ: هذا الحديث روي بصيغتين؛ الصيغة الأولى التي ذكرها الأخ وهي في «مستدرك» الحاكم وقال صحيح كما تقدم، والصيغة الثانية: **(يوشك ألا يبقى في أرض العرب من العجم إلا قتيلٌ أو أسير لا يحكم في دمه)** هذا هو لفظه في الصيغتين مع الخلاف هل هو في أرض العرب؟ أم في أرض العجم؟ ومن هو الأسير والقتيل هل هم العجم أم العرب؟ وكلاهما بنفس السند، أي لا يوجد الترجيح بينهما.

وهذا الحديث من جهة السند فإنه من طريق قتادة عن أبي الأسود الدؤلي عن أبي زرعة الأشعري عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: قوموا إلى عمر فوجد عبد الله بن عمر فحدثهم بهذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعًا، وهذا الحديث مع ثقة رجاله إلا أنه منقطع، فإن قتادة لم يسمع من أبي الأسود الديلي أو الدؤلي على الأصح لأنه من الديل فيقال له: الدؤلي، ويقال له: الديلي، وهو نفسه المشهور بوضع علم النحو، لكن قتادة لم يسمع منه، وإنما سمع من ابنه؛ فلذلك الحديث منقطع، وأنتم تعرفون من شروط الحديث الصحيح أن يكون متصلاً وليس فقط أن يكون هناك في السند الرجال الثقات، فالحديث ضعيف عند أهل العلم، وحكم بانقطاعه ابن حجر رحمه الله في «المطالب العالية» وكذلك البوصيري فإنه حكم بانقطاعه مع ثقة رجاله.

فهب أنه كان صحيحًا مع أن التأويل فرعٌ من التصحيح؛ بمعنى أن الشرح والعمل بالحديث والقول فيه ينبغي أن يكون بعد ثبوت الحديث وبعد ثبوت القول، «التأويل فرع التصحيح»، التأويل هنا بمعنى الشرح وبمعنى

الفقه وليس بمعناه في علم الكلام، فإن كلمة التأويل ينبغي إنزالها بحسب مراد أهل الفن فيها، فهي في كتب التفسير تأتي بمعنى التفسير، وفي كتب الفقه تأتي بمعنى الاستنباط، وفي كتب الكلام تأتي بمعنى صرف الكلام عن ظاهره إلى معنى آخر محتمل لوجود قرينة كما يقولون، وهكذا في كتب الأصول، ولكن عامة العلماء يطلقون في كتب الفقه التأويل على الفقه والاستنباط، وتأويل للمسألة كذا أو تأويل الفقه كذا أو تأويل الحديث كذا؛ أي مقصود بذلك الاستنباط، فالتأويل فرع التصحيح.

فهب أن هذا الحديث صحيح؛ لأن ضعفه يسير كما ترون هو فيه انقطاع وليس منكرًا، فهب أنه صحيح، فهل هناك من مرجح بين الروايتين؟ هل هي بلاد العرب أم بلاد العجم التي يقع فيها؟ وهل الذين يقع عليهم القتل والأسر هم العرب في بلاد العجم؟ أم العجم في بلاد العرب؟ عندي أن الحديث إذا حملناه على ما في «الضياء المختارة»، «الضياء المختارة» أحاديثها أحسن من حديث «المستدرك» كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، اختارها المقدسي فكان فيها الكثير من الحسان، ويمدحها أهل العلم مع وجود بعض الأحاديث الضعيفة فيها، وهذا الحديث منها ولا شك.

وأنا عندي أن هذا الحديث إذا كان بلفظ الضياء المختارة وهو أنه: **(لا يبقى في بلاد العرب من العجم إلا قتيل أو أسير ولا يحكم في دمه)**، فهذا محمولٌ على قرب نزول عيسى عليه السلام، وعلى وجود المهدي لأن عيسى عليه السلام إذا نزل لا يقبل الجزية من النصارى، فإما قتيل وإما أسير، ينتظر أن يتوب حتى يسلم أو يقتل، وهذا المعنى ربما يكون موجودًا، وكذلك كما نعلم في الموقعة الكبرى آخر الزمان أن أهل الكفر؛ أهل الصليب يغزوننا تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا؛ فتحدث فيهم مقتلة عظيمة يفر ثلثٌ من أهل الإسلام لا يتوب الله عليهم أبدًا، ويقتل ويستشهد ثلثهم خيار أهل الأرض وخير الشهداء، ويفتح الله عز وجل على ثلثهم خيار أهل الأرض، ويفنى هؤلاء الجنود النصارى فناء كاملاً، وهذا يتبعه قتل من عاونهم من النصارى، وعادت النصارى التحالف مع الأجنبي الوافد ضد أهل السنة.

وعلى الهامش: لا تستمعوا للذين يقولون بوطنية أصحاب المذاهب والفرق الضالة والكافرة والمبتدعة في مجتمعاتنا، وفي تاريخ أمتنا لا يوجد إلا الألم من هؤلاء الأقليات في بلادنا، أقليات في بحر من أهل السنة؛ ولذلك الكفر -وأنا أكررها- الكفر دائمًا يتحالف مع الأقليات لأنها عميلة وتؤدي إليهم المطلوب بخلاف أهل

السنة؛ فأهل السنة هم الأصل ويخافون منهم، ويخافون استقلالهم لأنهم الأكثرية ولأن طموحاتهم وعلوهم الإيماني يدعوهم إلى الاستقلال، يدعوهم إلى القتال، يدعوهم إلى الوحدة.

القصد: بأن الأقليات دومًا كانت تتحالف مع الأجنبي الوافد، في الحروب الصليبية حدث هذا، وكذلك في الحروب المعاصرة التي هي الحروب الاستعمارية، حروب الاحتلال التي جاءت إلينا في العصر الحديث، فإن النصارى تحالفوا معهم، نصارى لبنان كانوا يعدون أنفسهم رعايا فرنسيين، لما جاء نابليون إلى مصر تحالف معه النصارى وهذا مشهور، والمعلم يعقوب قصته مشهورة، ويحاول بطرس غالي أن يعظم جده بطرس غالي، الذي قتل بسبب عمالته، قتله الشعب المصري المسلم لعمالته مع الإنجليز.

فالقصد: أن هؤلاء منهم فلا يبقى منهم إلا قتيل أو أسير هذا معنى. المعنى الثاني: للحديث الآخر وهو رواية «المستدرك» كما ذكر رواية الإمام أبي عبد الله الحاكم، وأقول: أبي عبد الله الحاكم تمييزًا له عن أبي أحمد الحاكم صاحب كتاب «شرف أصحاب الحديث»، ففرق بينهما، وسبب تسمية أبي عبد الله الحاكم أنه كان حاكمًا أي قاضيًا، سمي حاكمًا لأنه قاضي، المهم مشهور له كتاب «المستدرك» عند طلبة العلم، يقول فيه: (**لا يبقى في بلاد العجم من العرب**)، فعلى هذا المعنى ما قاله الأخ السائل، أنه الغرب، وهذا سواء أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم أو لم يخبر به، أعتقد أنه قريب، وربما يرجح هذا اللفظ، ربما، لا يوجد مُرجحات في الحقيقة، فلا بد من العودة إلى الأصول والعودة إلى كتب أخرى ترجُح أحد اللفظين على الآخر والأمر ليس ممكنًا الآن.

لكن إذا كان لفظ «المستدرك» هو الصحيح وهو الأقرب في الحقيقة؛ فإنه محمولٌ على ما ذكر الأخ السائل: بأن صعود اليمين المتطرف وكره الأجانب وبغض الوافدين؛ لأنهم صاروا مسلمين، لأن الوافدين قبل كانوا يأتون من روسيا فتستقبلهم البلاد الغربية، يأتي النصارى واليهود فيستقبلونهم، لكن الآن لما صارت الهجرة للمسلمين يعني عرفوا الطريق فذهبوا، وهذا من أخطائهم للأسف ومن مصائب بلادنا، فقد كثر هناك البغض لهؤلاء الوافدين بسبب دينهم، وأنتم تعرفون بأن فرنسا وألمانيا كانتا من أكثر الدول وقوفًا أمام التحاق تركيا بالاتحاد الأوروبي، ويعلن بعضهم ممن ليس مسؤولاً ولكن هو كالمجنون، يغرد كما يريد الملك كما يريد السيد، عادةً يحتاج أن يكون لكل ملك سفيه إذا نطق ينطق بلسان الملك، بلسان المسؤول، ولكن لا يتحمل المسؤول تبعت ما يقول، لكنه يتكلم بلسانه، فكثير من السفهاء كانوا يقرون أن السبب أن الاتحاد الأوروبي هو وحدة

نصرانية لا تقبل إدخال المسلمين الأتراك، كان هذا هو السبب وليس غير هذا.

فبغض المسلمين في داخل الغرب انتشر بكثرة، وبعض المسلمين جهلة يعلقون أسباب هذا البغض على الأعمال الجهادية التي حدثت فيهم!! هذا كذب، الغرب يبغض المسلمين قبل هذه الأعمال الجهادية وكان يصور المسلمين والعرب على أنهم بقر، على أنهم قردة، على أنهم أصحاب كروش منتفخة ونظرات جنسية، ولأن الذي صنع الرؤية الغربية للإنسان المسلم الشرقي، لا أقول فقط العربي، اثنان، شيئان صنعهما:

العامل الأول: الحروب الصليبية، الحروب الصليبية ما زالت تسري في دمائهم، وأخبارها يتناقلها الأجيال في حكايا الليل يعرفونها، فالغرب يكره المسلمين كرهًا شديدًا بسبب الحروب الصليبية قديمًا، فمن أراد أن يسب فليسب على الحروب الصليبية.

العامل الثاني الذي يشكل الرؤية الاستشراقية لمجتمعاتنا المسلمة الشرقية: هي قصة «ألف ليلة وليلة»، الشرقي ليس عند الغربي إلا من خلال رؤيته لهذه «الرواية ألف ليلة وليلة»، وما فيها من البذخ، وما فيها من فحش وفجور ورقص ومتعة وو... إلخ، ومن نظر إلى الأفلام القديمة قبل الحادي عشر من سبتمبر، قبل أن ينشأ بيننا وبينهم صراع ومواجهة ويقوم المجاهدون بما قاموا به في أرض الغرب، رأى هذه النظرة، رأى هذا المخيال الاجتماعي الكامن في نفوس السياق الأكبر في المجتمعات الغربية.

فلذلك لا يزعم أحد بأن المجاهدين هم من صنع البغضاء في قلوب الغرب علينا، هذا جاهل، يعني الغرب صنع دولة يهود في مجتمعاتنا، استعمرنا وقتل مئات الآلاف والملايين منا، أين كان هؤلاء الذين تسبوهم أنهم يُبغضون العربي في نفسية الغربي أو المسلم الشرقي. فالقصد: بأن هذا الحديث نعم، إذا صح وكانت نبوءة حقًّا؛ فإنه دال على هذا المعنى، بأنه سيأتي يوم، وسيأتي في الحقيقة وهذا قريب، الذين يعيشون في الغرب عليهم ألا يطمئنوا إذا وجدوا بعض الحلاوة السريعة مثل العلكة، حلاوة سريعة ثم تتحول إلى مجرد جلدة، بل تتحول إلى سُم قاتل ضد الأبناء ضد النساء ضد البنات، فالنتيجة أنه سيأتي يوم ويقتلوا، والآن بدأت الأعمال الإجرامية، فقبل مدة قتلت بنت في إحدى مدن بريطانيا.

وللذكر هنا للأمانة أقل الدول عنصرية في أوروبا الغربية هي بريطانيا، فالتنوع في داخل لندن شيءٌ عجيب!!

السود ربما مع الوافدين من غير السود كثر جدًا ويحتلون أحياء، ومع ذلك العنصرية البيضاء تنتشر بينهم، العنصرية القاتلة التي تُنمى من خلال الدين ومن خلال السياسيين، فالآن أكبر حزب عنصري في بريطانيا نجح بعض أتباعه في بريطانيا للوصول إلى البرلمان الأوروبي، لم يدخلوا بعد البرلمان الوطني المسمى المجلس العموم، ولكن وصلوا للبرلمان الأوروبي، أما في غير بريطانيا وصلوا منذ زمن، في فرنسا وصلوا منذ زمن، جماعة لوبان من زمن لهم أعضاء في البرلمان الأوروبي، ودائمًا لوبان كان ينافس على رئاسة الجمهورية، والآن عجز فجاءت ابنته وهي أشرس منه وأقبح وأحقر، وهكذا المشاكل في داخل بريطانيا، وفي داخل أمريكا كذلك توجد، مع أن أمريكا أصلاً هي بلدٌ هجين، كل أهلها جاءوا من الخارج وقتلوا السكان الأصليين مما يسمونهم بالهنود الحمر، ارتكبوا بحق الهنود الحمر مجازر خطيرة جدًا، في التاريخ لم يسجل مثلها، ولم ينافسها إلا ما قتله الشيوعيون في الصين وفي روسيا ضد المسلمين فقط، في التاريخ لم تحدث مثل هذه المجازر قط في التاريخ كله، مجازر روسيا البيضاء مع الصينيين الشيوعيين ضد المسلمين هنا وهناك، والأمريكان في الأمريكيتين ضد السكان الأصليين، إبادة بالملايين.

فهذا نعم، هذا شيءٌ قادم، وأنا أنصح في هذا المقام بأن يعمل كل المسلمين على المحاولة للخروج من هذه البلاد، لا أقول: الآن عليكم أن تهاجروا، أنا أعرف سيقولون أين نذهب؟ كيف نرتب؟ لكن أنا أنصح كل مسلم يستطيع أن يجد لنفسه وسيلة للخروج من تلك البلاد أن يخرج، تلك البلاد قاتلة، إن لم تقتلوا قتلاً بالذبح قتل أبنائكم بالتغريب، ولا تغركم النماذج القصيرة، هذا إحصاء باطل.

فبعض الناس يقول: فلان والله تدين في الغرب أحسن من متديني وشباب بلادنا، في الحقيقة هذه نماذج موجودة بفضل الله عز وجل، لكن الأكثر أين هم؟ الأكثر انسلخوا عن دينهم، ولا يعرفون العربية، الكثير منهم من أبناء العرب لا يعرفون العربية، وهكذا، فلذلك النصيحة هو أن يستبق العقلاء هذه الأحداث القادمة التي ستفلت من أيدي الحكام، والحكام يلعبون وعندما تسيطر العنصرية لا ينفع لها الشرطة، والشرطة أغلبهم عنصريين أصلاً، العنصرية في الشرطة أكثر من غيرهم، وفي الجيش، ولما جاءوا إلى بلادنا بجيوشهم، انظروا ماذا صنع الجيش الأمريكي في العراق وماذا صنعوا في أبو غريب!

وكذلك البريطانيون في البصرة وفي بغداد وفي جنوب، ماذا صنعوا من الجرائم والقتل؟ فهؤلاء مفعمون

ومشبعّون بالحقد على الآخر، وبالتالي؛ هذا الحديث نعم، يقرع ناقوس الخطر وصفارة الإنذار بأن يستبق الناس هذا الحال، وبدأت طلائع هذه المصيبة تبزُغ، والعاقل يكتشف الأمر عندما يعلم أن الأمر سيأتي وعندما يبدو رأسه، وقد بدأ، وبدأ يتكاثر وينمو، انتخاب ترامب هذا من أكبر الأدلة، من قبل سنين أكبر حزب عنصري في سويسرا انتصر، وكاد لوبان أن يفوز في مرات حتى تحالف الناس ووضعت القوى الغربية ظهرها وقوتها مع خصمه حتى لا ينتصر؛ حتى لا يظهر الغرب بمظهره الحقيقي ويبقى القناع يستر حقيقة البغضاء والكره والإجرام والنفسية الحاقدة.

بارك الله فيكم وجزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

٣٨٠- هل حديث «من يبارك للناس في هذا الشهر» صحيح؟

ضمن الجلسة الحادية والثلاثون، بتاريخ: (**٤/٠٧/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٢١/٠٣/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته -وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته- ما صحة حديث «من يبارك الناس بهذا الشهر»؟

جواب الشيخ: يقصد به شهر رجب، نحن دخلنا في شهر رجب، لا شكّ أنّ التهنئة بشهر رجب لا تصح، والحديث الذي يذكرونه في شهر رجب، وأن يبلّغهم الله رمضان، لأنّه لم يبقَ بيننا وبين رمضان إلا تتمة هذا الشهر والشهر القادم وهو شعبان، ثم يأتي رمضان، فهذا الحديث لا يصح، وإن كان قد انتشر.

وللأسف، الكثير من الأحاديث التي تنتشر على وسائل التواصل، والناس يفرحون بها ويتواصلون بها، الكثير منها أحاديث لا تصح؛ ولذلك ندعو الناس أن يتوثقوا في هذا الباب.

فمن حدّث عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثًا وهو كذِب، كان أحد الكاذبين؛ أي: الذي كذب به ابتداءً والذي نقله، ولذلك مما أُفتي به كما في «قواعد التحديث» لجمال الدين القاسمي في فتوى لابن حجر الهيتمي: أنه على المرء إذا روى حديثًا أن يذكر مصدره، أن يذكر من أين هُوْ.

لا تقبل أي حديث دون أن تعرف من أين جاء؟ من رواه؟ وماذا قال فيه أهل العلم؟ لا تقبل، هذه نصيحة لك؛ إذا جاءك حديث فردّه، أو اسأل عنه حتى يذكر لك النّاس من الذي رواه من أهل العلم، وهذا غير كاف اليوم.

مثال ذلك: هناك كتب هي أصل المصادر للأحاديث الصحيحة، وهناك كتب هي أصل المصادر للأحاديث الضعيفة، وهناك كتب هي أصل الأحاديث المنكرة، فالناس إذا لم يعلموا هذه الكتب... مثلاً: إذا جاء حديث من صحيح البخاري؛ فهو مصدر صحيح، من صحيح مسلم هو صحيح، من الكتب الأربعة يغلب عليه الصحة، وإن كان يمكن أن يكون فيه الضعيف، جاء حديث من صحيح ابن حبان يغلب عليه الصحة والحسن وإن كان فيه الضعف، ولكن هناك كتب لو اختصّت به لكانت ضعيفة.

فمثلاً: لو جاءك حديث من «الأربعين في الصوفية» لعبد الرحمن السُلمي، فهذا حديث الأصل فيه الضعف.

فإذا لم يكن الحديث في الكتب السّتة وليس في مسند أحمد؛ فالأصل فيه الضعف والنكارة والإبعاد، هذه جمل عامة، لكن قد يخرج من ذلك بعض الشذوذات والانفرادات من هذه القاعدة، وإن كان بعض العلماء يجري هذه القاعدة بالكلية، فشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عندما سُئِل عن حديث قراءة الكهف يوم الجمعة؛ ردَّه –مع أنه كان يفعله! كما ذكر عنه تلميذه ابن القيّم– ردّه؛ لأنه لم يرد في الكتب السّتة ولا في مسند أحمد، وإنما رواه الحاكم في «المستدرك».

فبعض الكتب مظِنة للأحاديث الضعيفة، كمسند البزّار إذا انفرد، كمعاجم الطبراني إذا انفردت، عادةً يكون فيها علّة تُردّ بها الأحاديث، وهكذا.

فإذا كنت تعلم هذه القاعدة؛ أعملها، لم تكن تعلم؛ فلا تحكم من خلالها حتى تعرض الحديث على أهل العلم وهم يجيبونك.

وعامة الأحاديث تقريبًا قد حكم عليها أهل العلم والاختلاف يسير إن شاء الله فيما حصل فيه من خلاف، ولكن عامتها قد حكم عليها أهل العلم.

وهذا الحديث «اللهم بلغنا رمضان، اللهم بارك لنا في رجب وشعبان»... إلى غيره، فهذا حديثٌ لا يصح، ولا ينبغي روايته، ولا العمل به، لكن لو أنّ الإنسان دعا ربه دعاء هكذا مطلقًا ليس تقيدًا بالحديث، فله ذلك في هذا الباب، والله تعالى أعلم.

بارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٣٨١- المال الحرام وإدمان الخمر

ضمن الجلسة الحادية والثلاثون، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٧/٤هـ الموافق لـ: ٢٠١٨/٠٣/٢١ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

هناك سؤال لأخ يقول: بأن رجلاً تعامل معه، وأن ماله حرام، فهل يجوز أن يأكل منه؟

ثانيًا: هو مدمن على الخمر ولا يستطيع برأي الأطباء أن ينخلع منه مرةً واحدة، فإذا انخلع من الخمر مرةً واحدة -وهذا نفس الرجل- **إذا انخلع منه مرةً واحدة أصابته الأمراض الْمُهلكة، القاضية عليه، فهل يجوز له أن يُبّطئ في أخذ الخمر؟ أن يتدرج في أخذ الخمر؟**

جواب الشيخ: أولاً: أجيب على السؤال الأول في قضية من أغلق ماله بالحرام، فهذا يتعلق به شخصيًا ويتعلق بمن يتعامل معه ممن يأخذ من ماله على جهة التبرع والهبة، ونذكر كذلك ما أخذ منه على جهة المعاوضة في البيع والشراء، أولاً: جمهور العلماء -سوى من أفتى على طريقة الصوفية كما يقولون- بأن الرجل إذا أختلط ما له حلال بحرام فيجوز للمرء أن يأكل منه على جهته الهبة والهدية، وبالتالي؛ من باب أولى يجوز أن يؤخذ منه المال على جهة المعاوضة.

بمعنى: لو أن رجلاً يأكل الربا ومع ذلك له تجارة في الحلال، يبيع الخمر وله تجارة في بيع الحلال، فماله مختلط، فهل يجوز أن يُؤكل من بيته على جهة الهدية، الضيف على جهة الهبة، على جهة غير المعاوضة؟ الجواب: نعم، جمهور العلماء على الجواز في هذا، ويكون ما يأكله من جهة ما هو حلال وليس من جهة ما هو حرام، إلا إذا تعين، أي هذا المال الذي أعطاك إياه على جهة الهدية والهبة تعلم أن عين هذا المال هو حرام؛ فحينئذٍ لا يجوز لك أن تأخذه، أما أن يكون مختلطًا فجاز هذا عند أهل العلم.

فإذا كان جائزًا على جهة الهبة والهدية، فمن باب أولى أن يكون من جهة المعاوضة أن تشتري منه وأن تبيع منه، والدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم اقترض من يهودي وعامة أموال اليهود من الربا، وكان الصحابة رضي الله عنهم يؤجرون أنفسهم، فعلي رضي الله عنه أجر نفسه عند يهوديًا لما رأى الجوع في وجه النبي صلى الله عليه وسلم؛ فذهب وأجر نفسه لليهودي، وكذلك أكل النبي صلى الله عليه وسلم من شاة اليهودية التي قربته له التي

كانت مسمومة؛ فدل هذا على جواز هذا الباب الذي ذكرناه.

طيب إذا كان المال مُغلق بالحرام، ليس له إلا سبيل الحرام، رجل لا يأخذ مالاً إلا بالحرام، ليس له دخل إلا بيع الخمر، ليس له دخل إلا الربا فقط؟

الجواب: لا يجوز الأكل منه ولا الأخذ منه على جهة الهبة ولا الهدية ولا الضيافة، لا يجوز، لا يجوز لك أن تدخل بيته فتشرب كأس ماء من بيته هديةً أو هبةً أو عطيةً، ولا يجوز لك أن تأكل من طعامه على جهة الضيافة، لا يجوز لك أن تقبل هديته، وإذا كان هو وليك فمات لا يجوز لك أن ترثه في هذا المال، هذا المال حرام لا يجوز، فماذا نصنع به؟ العلماء على خلاف في هذا، وأصوب الأقوال: وهو أن هذا المال يُنفق فيما يُنفق فيه بما يلائمه. وأذكر أن الأزهر قديمًا، كما ذكر في فتاوى الأزهر: أن امرأةً بغيًا تابت ومالها من البغاء، من الحرام، من الزنا، فأفتاها مشايخ الأزهر بأن تنفق هذا المال في حمامات ومراحيض المساجد، وكرموا الفقراء أن يأكلوا هذا المال، هذا هو الفقيه، إذن يُنفق بما يلاءم هذا المال في حاجات المسلمين العامة التي لا يوقع فيها هذا الخبث هذا المال الخبيث في فم وفي بطن أحد الناس، هذا على الأحسن والأفضل، وإلا فلا يجوز له.

فهل يؤخذ كل ماله لو أراد التوبة؟ يُعطى بمقدار ما يحقق له الحاجة ويقضي حاجته، ويؤخذ بقية المال ويُنفق، كم الحاجة؟ تقدر بسنة؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدخر لسنة فقط، أي تقدر حاجته لسنة، أجرة البيت، ما يأكل ويشرب لمقدار سنة فيما هو عرف الناس، وما هو القاسم المشترك بينهم، والبقية تؤخذ وتنفق، وهذا للخروج من المعصية إلى التوبة ولتحقيق توبته.

القصد: أن الرجل لا يجوز أن يأكل منه. هل يجوز التعامل معه على جهة المعاوضات، بمعنى أن يبيع ويشتري منه؟ الجواب: نعم يجوز، إذا جاء رجل يشتري منك شيئًا، طعامًا، شرابًا، حاجة من حاجات لباسه، فيجوز لك أن تبيعه، وحرمة المال لا تدخل في ذمتك، هذه المسألة الأولى.

المسألة الثانية وهي: مسألة الخمر، وهذه المسألة صعب الحديث بها، الله عز وجل لم يجعل في الخمر شفاءً، لكن هنا ليس الموضوع عن استخدام الخمر للشفاء، فإما أن نقول له: دع الخمر، وإذا قرر طبيبٌ حاذق، وهنا الكلام ليس كلام هوى، أنا أقول كلام هوى لأن؛ كثيرًا من المشايخ يُضحك عليهم بتقريرات علمية غير

صحيحة.

وقد أعجبني أحد الإخوة أعطاني كتاب فيه خرافات علم النفس، خرافات، كثير ما يتردد للناس كلمات خرافات ومن ذلك لما نبهت على قضية الشذوذ، تذكرون، قلت: هناك من المشايخ من عُرضت عليه فتوى: أن شابًا نشأ هكذا خِلقةً يشتهي الرجال!! هذا لا وجود له، هذا كذب، العلم أثبت أن هذا أكاذيب. فإذا أثبت عالمٌ حاذق، صاحب دين، متقي، وقال: إنه إذا حُبس عنه الخمر أدى إلى جنونه، أدى إلى وفاته، أدى إلى شلله وعجزه، فهل يجوز الخمر أن يستدرج في زواله، إن ثبت هذا وأنا في شك، لكن إن ثبت هذا؛ فحينئذٍ يجوز أن يُعطى بمقدار تحت وصفة الطبيب بأن يقلل منه حتى يزول، وأنا أقول هذا مع الكراهة الشديدة، ولكن المسألة بين حد الجنون أو الفساد التام وبين فساد شرب الخمر، فنأخذه على معنى جواز شرب الخمر لدفع المضرة، ليس الشفاء، ما جعل الله عز وجل في الخمر وفيما هو نجس شفاءً، لم يجعل الله عز وجل فيما حرم شفاءً، وهذا هو القول الصواب فيها.

ولكن أجاز العلماء مثلاً دفع الغصة بالخمر، أجازوا للرجل دفع العطش، مع أن الخمرة تصنع العطش كما تعلمون لأنها تدر البول، وحتى الشاي والقهوة إذا شربتها تحتاج إلى كمية من الماء معها لتنزلها في الفضلات، فالخمر كذلك يصنع العطش الشديد بإنزاله، لكن قد يكون المرء قد جف حلقه لدرجة الموت، فلو دفعه بهذا، أجازه بعض أهل العلم وعلى هذا المعنى يجري، أقول مع التشدد في هذا الباب تشددًا تامًا في أنه لا بد من طبيب حاذقٍ في هذا الباب له تجارب، وليس طبيبًا خاضعًا للدعايات وغيرها، أن يكون دينًا، وليس أن يكون هو أصلاً يشرب الخمر، وبعض الأطباء يشربون الخمر هكذا ولا دين عندهم، ولكن إذا ثبت أنه صاحب دين وصاحب علمٍ وذكر؛ فحينئذٍ تُأخذ الفتوى في هذا الباب، والله تعالى أعلم.

بارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٣٨٢- العلة في تحريم النمص

ضمن الجلسة الحادية والثلاثون، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٧/٤هـ الموافق لـ: ٢٠١٨/٠٣/٢١ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: ما هو قولكم في علة تحريم النمص؟ هل هي التدليس والغش؟ أم تغيير خلق الله؟ وإذا كانت العلة هي تغيير خلق الله، فلما أمر الشارع بحف الشارب ونتف الإبط وأباح حلق شعر الرأس أليس كلها تغييرًا لخلق الله؟

جواب الشيخ: أولاً: بلا شك أن العلة الأقوى في ذلك هي تغيير خلق الله عز وجل، وإن الحكم الشرعي قد يعلل بعلل متعددة منها: ما هو كبرى ومنها ما هو صغرى للذكر، فعندما نقول: العلة الأكبر هي تغيير خلق الله لا يعني أن ننفي وجود علل أخرى قد تكون معها كبيرة وقد تكون معها أصغر منها، وهي أنها علل صغرى، يمكن للحكم الشرعي أن تتعدد علته، ومعروف قول أهل العلم في علة الربا، فقد عددوا فيه العلل، في حكم الأموال الربوية وهذا مثال وأمثلة كثيرة، فالخمر لِمَ يعلل؟ يعلل لأسباب إما بقياس العلة والمعنى، وقياس الدلالة له كذلك علل أخرى.

القصد من هذا: أولاً: أن العلة الأعظم في ذلك هو تغيير خلق الله.

وأما الجواب: فعلى المسلم أولاً أن يسلم إذا جهل، ولا شك أن السؤال هو سؤال طالب علم؛ ليدرك الحكمة ولا يجاب على سؤال متعنت وسؤال راد على حكم الله عز وجل ولا يرضاه، ويضرب لحكم الله عز وجل المقاييس، كما فعل إبليس، أول من قاس إبليس، قاس قياسًا أسقط به حكم الله عز وجل، لكن طالب العلم يسأل ليتعلم كيف يُجري هذه الأحكام على معنى القياس وعلى معنى الفقه وعلى معنى التعليل، وهذا طريقٌ جيد ولا يعاب عليه طالب العلم؛ ليتعلم الجري في ميادين الفهم والذكاء.

فما هو الفرق؟

تغيير خلق الله عز وجل، الله عز وجل خلقنا على نوعٍ من أنواع الفطرة الأكمل، ومع ذلك فإنه سبحانه

وتعالى أجرى من السنن ما لو تدخل فيها الإنسان لأحسن، أريد أن أمثل في تأبير النخل، فأنا عندما أفكر في ظنه صلى الله عليه وسلم لأنه قال: (**أظن**) كما في الصحيح، قال صلى الله عليه وسلم: (**أظن لو لم تفعلوا لكان خيرًا**)، لم ينتبه الصحابة لكلمة (**أظن**) في تأبير النخل؛ فلم يأبروه فلم يخرج على الحالة الجيدة التي اعتادوا عليها؛ فقال صلى الله عليه وسلم: (**أنتم أعلم بأمور دنياكم**)... الحديث.

السؤال: بماذا نشأ الظن؟ أنا عندي والله تعالى أعلم وأستغفر الله بأن سبب هذا الظن هو إجراء الأشياء على مقام الفطرة، وأن كثيرًا من الأمور تجري على الفطرة؛ فتأتي على أكمل الوجوه، كما يترك النحل في أخذه للرحيق وصناعة العسل، هذه لا يضع الإنسان يده فيها قط، يذهب فيأخذ العسل كاملاً، والكثير من الثمار تجري على هذا المعنى، فالنبي صلى الله عليه وسلم وقع في ذهنه وفي قياسه صلى الله عليه وسلم وفي تأمله أنه لو تُرك الأمر على الفطرة لكان أحسن، لكن لم يقع، إنما احتاج إلى اليد الإنسانية لتصنع منه الأكمل، فبهذا الله عز وجل ينوع الخلق لحكم، وهذه لا تنقض الأصل بل هي تجري على أصلٍ آخر.

والمشكلة عند البعض في القواعد القدرية كما القواعد الشرعية: أن البعض يجريها على معنى واحد حتى ولو اختلفت في صورٍ أو في عللٍ جوهرية، وهذا خطأ، والصواب: أن هذه لها علل خفية تخرجها، ومن هنا اختلف العلماء مثلاً في بيع السَّلَم، هل هو خلاف القياس؟ أي خلاف الأصل؟ أم أنه لا، هو أصلٌ آخر، الشريعة جاءت به فيجري على معنى آخر؟ هذا يقع النظر فيه ويقع الخلاف حوله في مثل هذه المسائل.

فإذن الأصل هو أن يبقى كل شيء على ما أقامه الله عز وجل؛ لأن الله عز وجل أقام الأكمل في ذلك، أقام الوجود على صورةٍ من الكمال، فقوله سبحانه تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا﴾ [الرعد: ١٧]، ثم قال تعالى: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ﴾ [الرعد: ١٧]، الله عز وجل ترك لهم جهودًا تدخل في بعض الخلق ليتحقق النفع، وما أجراه على معناه الأول من الكمال أمرنا بتوقفه، الآن تسأل كيف هذا وكيف هذا؟ هذه قضيةٌ تحتاج إلى تأمل في كل واحدة، لكن ما هو الأصل؟ الأصل فطرة الله عز وجل، أن الخلق في أصله كاملٌ تام ولكن يقع هذا ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾ [الرعد: ١٧]، يوقدون عليه في النار من أجل استخراج ما يحبون، مثل الأطعمة؛ فالناس يوقدون النار لإقامة الأطعمة على معنى من معنى الجمال، يخلطون هذا بهذا فيخرج لهم شيئًا

جميلاً لذيذًا لا يمنع عنه الشارع، إلا إذا ترتب عليه المعصية كما يحصل في النبيذ، ولا بد من النظر إلى الفارق.

ما هو الفارق بين ما ضرب الأخ من الأمثلة من قضية النمص؟ وما هو النمص؟ النمص هو نتف الحواجب، فالمعنى الأول هو هذا.

المعنى الثاني: هو التدليس، فعندما الشارع يمنع من التدليس، موجود، وهو إحداث جمالٍ ليس أصلي يتغير، وفي معاني أخرى إذا قدر الله عز وجل سأذكرها، وهو أن الناس تتلاعب بهم الشياطين في هذه الأبواب –سأذكرها ابتداءً حتى لا تفوتني ثم أتي إلى ما هو أصلي– مما يتلاعب به الشيطان نموذج الجمال، وما زال الناس يفسد بعضهم بعضاً، ويفسد خلقة الله عز وجل بمعيار الجمال، فهذا الجنون المنتشر اليوم في قضية صناعة الأنف! أي جنونٍ يصيب الناس بأن هذا الأنف بهذا المقياس هو الجمال! انظر إلى المجانين هؤلاء من النساء والرجال الذين يذهبون فيدفعون الآلاف! وأغلبها تفشل ولا تعجبهم ويبقون طول النهار أمام الصورة ليقارنوا بين صورة أنوفهم المسكينة كما يتصورونها وصورة الأنوف المرسومة على الصور أو المتلاعب بها أو صورة فلان وعلان فيفسدون عليهم أمزجتهم!!

انظر إلى هذا الفساد الكامل في معيار الجمال وتلاعب الناس به، قديمًا وإلى الآن بعض المناطق وقديمًا كانت المرأة السمينة هي الجميلة، اليوم المرأة «المفلسعة» كما يقولون، المرأة التي لا لحم لها وتمشي عِظامًا مركبة هي الجميلة، وكلما ظهرت نحيفة فهي الأجمل! حتى انتشرت الأمراض في هذا الباب، أمراض كثيرة منها قضية الاستفراغ بعد الأكل، مرض خطير منتشر يؤدي إلى الموت؛ فأفسد الناس أمزجة الجمال.

وأنا أريد أن أسأل من الذي قال لكم أيها المجانين –انظروا أنا ذكرت اللاحق وسأؤجل الأصل حتى لا أنسى– من الذي قال لكم أيها المجانين أن رِفعة الحاجب هو الأجمل؟!! من الذي وضع هذا المعيار؟! حتى تصبح صناعة، انظر إلى هذا المعيار ماذا أصاب الناس فيه؟! يعني هؤلاء النسوة من الجهل والغباء الآن حتى أدى بهم الأمر إلى إزالة الشعر بالكلية ووضع لاصق، خط لاصق يشترونه ويضعونه!! سمعت ووالله تعجبت من هذا الجنون! أعرف أخًا لزوجته شعرة صغيرة هنا «بين حاجبيها» فاستأذنته بإزالتها، قال لها: أنت طالق إن أزلتها، والله لست جميلة إلا بهذه الشعرة.

القصد من هذا: أن معيار الجمال حين يصبح تجارة وحين يصبح هوس جريمة، من هنا هذه من الصور التي نراها في واقع الأمر كيف تصبح المعصية تجارة؟ وكيف تصبح تلاعبًا؟ وكيف تصبح طريقًا لإبليس في صورة من القبح والحقارة والهموم والفساد؟ عندما يجلس المرء مهمومًا بأن له شعرة هنا أو المرأة مهمومة أن في الحاجب أو في الأنف أو في الإنسان!! اتركه دعها كما هي، هذا الفرع.

أما الأصل: فهو تغير خلقة الله عز وجل، الله عز وجل خلق الإنسان في أحسن تقويم، فنوع الإنسان في أحسن تقويم، فرعه في أحسن التقويم، فدل على أن كل خِلقةٍ في الإنسان على أحسن تقويم، هكذا هي، لا يوجد عندنا إنسان هو أحسن تقويم والبقية ينبغي أن يسيروا ليكونوا مثله.

لكن ما هو الفارق بين الحواجب وبين الشعر؟ فرق بسيط جدًا ينبغي أن تدركه، الحاجب هل هو يطول؟ إذا طال حاجبك مثل حاجبي -أنا حاجبي ينزل على عيني- فخذ بفتوى الإمام أحمد رحمه الله وقد أخذت بها لأنه يؤذيني، كان الإمام أحمد رحمه الله كما ذكر عنه ابنه: كان يأخذ حاجبه بالمقراض، لا ينتفه من أجل أن يرققه، ولا يقصه من أجل أن يصبح جميل مثل الممثل الفلاني والحمار الفلاني والبغل الفلاني، وإنما حتى يبعد عنه الإيذاء، إذا كان في سبب تزيله، لكن أن تذهب من أجل الجمال؛ فأنت رافض لحكمة الله عز وجل فيك في أن تكون، كذلك ليحصل التنوع الذي يحصل به النظر إلى خِلقة الله عز وجل وجمالها في تنوعها، فكان الإمام أحمد يأخذ من حواجبه بالمقراض، تطول عليه وبعض الناس يطول حاجبه كثيرًا فيؤذي عينيه، لكن الأصل أن الحاجب لا يطول، أما الشعر يطول، الأظافر تطول، شعر الإبط يطول، وشعر العانة يطول، وطوله إما أن يكون في أماكن مفسدة تخرج منها الروائح كما يكون في الإبط؛ فرائحته تصبح نتنة قبيحة، ومن نتف أبطه نظر في أصول الشعر كيف تكون مركزًا للأوساخ؟ وهذه الأوساخ لا تزيلها النظافة.

وللذكر: كانوا قديمًا يضعون العطر بينهم لأنهم لا يغتسلون!! فلذلك فرق بين الحاجب الذي لا يطول، ولو طال خذه، لو طال طولاً فاحشًا حتى غطى عينيك أو أذى عينيك، ليس أن يذهب جمال عينيك، لا، آذاهما بالنظر؛ فتأخذ منه مقدار ما يزيل هذا الأذى، لكن الشعر لو طال انظر إلى الذين لهم شعور طويلة، هذا إيذاء لهم، فإذن هناك فرق بين ما هو أصله أن يطول وأن يخرج عن حد الاعتدال وبين ما يبقى كما هو، الأسنان لا تطول طولاً أكبر من ما هو مقدر لها، فإذا طالت طولاً كبيرًا أفتى الإمام مالك رحمه الله بقصها، إذا طالت طولاً

كبيرًا بحيث تمنعه من الأكل أو صنعت منه صورة مشوهة، قبيحة زائدة عن ما هو معتاد بين الناس وليس معيار للجمال، فللعلماء في ذلك مقال مختلف فيه يمكن الأخذ به كما كان الإمام مالك رحمه الله يُفتي بالأخذ ممن ظهر لها الشعر في أماكن لا يظهر إلا للرجال، كأن يخرج لها لحية مثلاً أو يخرج لها شارب؛ فأجاز بعض أهل العلم وإن كان بعض العلم أجراه على المعنى كالطبري رحمه الله أجرى هذا على المعنى العام بعدم جواز أخذه بالمرة، والصواب أنه كما قال مالك رحمه الله وجماعة من أهل العلم على أنه يجوز إذا خرج ما لا يخرج عادةً وليس جمالاً من بمعايير مختلفة.

إذن: القياس غير موجود أخي، هذا الحاجب لا يطول، الشعر يطول، وللذكر الناس يظنون أن الأظافر تطول أقوى من الشعر، غير صحيح، الشعر يطول أقوى من الأظافر، لكن عناية الناس بأظافرهم أشد، وبشعورهم أقل، هذا والله تعالى أعلم.

بارك الله فيكم وجزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

٣٨٣- خطبة الحاجة

ضمن الجلسة الحادية والثلاثون، بتاريخ: **(٤/٠٧/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٢١/٠٣/٢٠١٨ م)**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته -وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته- شيخنا الفاضل: هل خطبة الحاجة أو دعاء الحاجة يوم الجمعة من السنن التوقيفية ويجب الاستفتاح بها؟ وكذلك الصلاة بسورتي «الأعلى» و«الغاشية»، ومن خالف ذلك هل يعتبر مخالفًا للسنّة؟ لأني رأيت كثيرًا من الشباب الذين يعتلون المنابر يتمسكون بذلك أشدّ التّمسك؛ حتى ليخيل إليك لو أنه ترك جزءًا منها لبطلت صلاته، وكيف لا يتعارض ذلك والحديث: **(أقصروا من الخطبة وأطيلوا من الصلاة)**؟

جواب الشيخ: دعاء الحاجة يختلف عن خطبة الحاجة -فقط هنا للذِكر- فدعاء الحاجة: أن يدعو المرءُ ربّه فيما يحتاجه ووقع به من نوازل وأحداث، فيدعو الله عز وجل دعاء الحاجة.

أمّا خطبة الحاجة: فهي الخطبة التي نعلمها: **(إنّ الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره)** -هناك من يزيد «ونستهديه»، ولا توجد في الحديث- ثم يقرأ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ثم يقرأ آية سورة «النساء»: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [النساء: ١]، ثم يقرأ آية من سورة «الأحزاب»: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠)﴾ [الأحزاب: ٧٠]... إلخ؛ فهذه تسمى بخطبة الحاجة عند العلماء وهذه من السنة، كانت مهجورة كثيرًا عند الناس، وأُحييت بفضل الله عزّ وجل، وهي في خطبة الجمعة وفي خطبة النكاح.

أما الالتزام بها في كتب أهل العلم ففيه شيء من التشدد، أمّا هذه فمن السنّة أن يقرأها المرء، ولكن كذلك إذا خاف على الناس أن يفهموا أنها واجبة وأن خطبة المرء لا تتم إلا بها؛ أن يغيّر فلا بأس بذلك.

أما أن يلتزم بها التزام الوجوب ويوهم الناس بهذا، فهذا خطأ، هي ليست من واجبات الخطبة، بل هي من السنن، ودوام النبي صلى الله عليه وسلم عليها لا يدل على وجوبها، فإن صلى الله عليه وسلم كان عمله ديمة، كما تصفه عائشة رضي الله تعالى عنها، كما في الصحيح، فحتّى السنن كان يداوم عليها صلى الله عليه وسلم،

ولا يدل الدوام على الوجوب، هذا شبه اتفاق بين أهل العلم في قضايا الأصول.

وكذلك الصلاة يوم الجمعة؛ في صلاة الجمعة بسورتي «الأعلى» و«الغاشية»، كذلك هذا من السنن، وإلا فيقرأ بسورة «الجمعة» وسورة «المنافقون»، فإمّا هذا وإمّا هذا، فهو ينوع حتى لا يعلم النّاس وجوبها؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم ثبت عنه في صلاة الفجر يوم الجمعة، أنّه كان يقرأ بسورة: ﴿الم (١) تَنْزِيلُ﴾ [السجدة: ١-٢]، ويقرأ بسورة «الإنسان» ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ﴾ [الإنسان: ١]، ومع ذلك العلماء قالوا: لو لم يداوم عليها مخافة اعتقاد الوجوب وأنها تبطل من غير ذلك، فحسن، هذه نبه عليها أهل العلم، وننبّه عليها لتنبيهم عليها، حتى أن بعض أهل العلم كره الالتزام بها، والصواب هو السنّة في ذلك.

وبالتالي؛ ندعو إلى التّمسك بالسنّة، وتعليم الناس مراتب هذه السنة التي يلتزمون بها، هل هي من الواجبات، عبر طرق التعليم وطرق التنبيه، ذلك والله تعالى أعلم.

جزاكم الله خيرًا والحمد لله ربّ العالمين.

٣٨٤- بيع العينة

ضمن الجلسة الحادية والثلاثون، بتاريخ: (**٤/٠٧/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٢١/٠٣/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: أرجو منكم أن تشرحوا معنى العِينة المذكورة في الحديث: (**إذا تبايعتم بالعينة**) مع ضرب الأمثلة الواضحة السهلة، وأن تبينوا المراد من: (**حتى ترجعوا إلى دينكم**) أو في رواية: (**تراجعوا دينكم**) هل مقصود الجهاد؟ أمر الرجوع إلى الدين حقيقة أو هوَ؛ هُوْ؟

جواب الشيخ: هذا الحديث حسنه كثير من الأئمة: (**إذا تبايعتُم بالعينةِ وأخذتم أذنابَ البقرِ، ورضيتُم بالزَّرعِ وترَكتمُ الجِهادَ سلَّطَ اللَّهُ عليْكم ذلاًّ لاَ ينزعُهُ حتَّى ترجعوا إلى دينِكُم**) أو (**تراجعوا دينكم**)، وبعض أهل العلم لم يأخذ به ومن أشهر من لم يأخذ به ورده الإمام الشافعي رحمه الله كما في كتاب «الأم» وضعف الحديث ولم يأخذ به؛ وترتب عليه أنه يجيز بيع العِينة وأجرى البيوع عنده على معنى الظاهر وأن المقاصد والمآلات لا تؤثر في صحة البيوع وإنما النظر إلى ظاهرها.

والصواب: أن هذا الاختيار من الإمام الشافعي رحمه الله ليس صحيحًا، وأن إجراء العقود على هذا المعنى لم يكن هو الأصوب، والصواب هو اعتبار الغايات كما هو مذهب الإمام مالك رحمه الله، الإمام مالك في البيوع أسّد من الإمام الشافعي رحمه الله في هذا الباب، واختار أهل الحديث مذهب الإمام مالك رحمه الله على مذهب الإمام الشافعي رحمه الله وهو مذهب أحمد رحمه الله.

لكن شرحًا لهذا الحديث؛ ما هي العِينة؟ العِينة هي بيع عاجلٍ بآجل، وكما طلب الأخ التسهيل فيه؛ هو له صورة مشهورة ومعروفة ما هي؟ أن الرجل يريد المال ولا يريد البضاعة؛ ولذلك قال الإمام ابن عباس رضي الله عنهما حبر هذه الأمة: «العِينة مالٌ بمال بينهما حريرة»، أي ليست مقصودة كالذي يضع شيئًا يسيرًا لا قيمة له يضعه في البيع من أجل تحليل الربا، ولذلك هو صورة من صور التحايل على تحليل الربا الْمُحرم.

فيأتي رجل لآخر لا يريد بضاعة، فيقول له: بع لي هذا القلم دينًا، فيقول: نعم، فيشتري منه هذا القلم دينًا بمئة دينار، فإذن صار القلم في حوزة المشتري وصارت ذمة هذا المشتري مليئة ومشغولة بمئة دينار دينًا لهذا

البائع، انتهينا، هذا العقد الأول، فيأتي بعد ذلك ويقول له: هل تشتري مني هذا القلم؟ يقول: نعم أشتري منك القلم، بكم؟ قال: أشتريه منك نقدًا بتسعين دينار، فيقول: قبلت؛ فيؤدي إليه القلم ويقبض منه تسعين دينار نقدًا، هذا عقدًا آخر، هذا البيع انتهى عاد القلم إلى البائع الأول وصار في يدي المشتري تسعين دينار نقدًا مشغولة ذمته بمئة دينار دينًا، هذا هي العِينة، فما الذي حدث؟ الذي حدث أنه قبض تسعين دينار وسيؤدي مئة دينار، والقلم لا قيمة له لم يكن إلا صورة للتحايل لقبض التسعين دينار وإشغال الذمة بمئة دينار، ما الفرق في حقيقة الأمر وفي باطن هذا العقد، ما الفرق بين أن يقول له: أعطني التسعين دينار لأسدك مئة دينار وهو الربا، ربا النسيئة المجمع على حرمته ما الفرق؟ لا فرق، ولذلك هذا بيع العِينة مُحرم، وهل هناك إجماع؟ لا، لا يوجد إجماع، الجمهور كما ذكرت وقد خالف في ذلك الشافعي.

ويختلف هذا البيع إذا بقي المشتري كما هُوْ، ولكن باع القلم لرجلٍ آخر، اشترى هذا القلم بمئة دينار دينًا، فذهب إلى غيره فباعه بتسعين دينار نقدًا، وهذا يسمى التورق، وهذا التورق الجمهور على جوازه وحرمه من حرمه وهو قول في مذهب أحمد وكان ابن تيمية رحمه الله يشدد في حرمته، ويقول ابن القيم رحمه الله راجعنا الشيخ مرارًا فيه فيشدد أن هذا حيلة والشارع لا يجيز الحيلة لتحليل ما حرم الله؛ فكان يحرمه، الجمهور على حله والاختيار على حله.

لكن هناك ما يسمى اليوم بالتورق المنظم وهو التورق الجماعي والتورق البنكي وهكذا، وهو للأسف صورة من صور الربا؛ حيث يتصل فيأخذ المال من الشركة، والشركة تشتري لهذا الذي تؤدي إليه المال مثل زيت النرجيل في بلدٍ من شرق آسيا فيبيعونه له ويؤدون إليه المال؛ فيشغلون ذمته ويُقبضُونه النقد؛ وهذا ولا شك أنه تحايلٌ عجيب وتلعُّب؛ فيصبح تنظيم ما هو جائز ظرفًا وجائز استثناءً؛ حتى يصير هو القاعدة التي يؤدي بها إلى التحايل العام؛ فهذا من الْمُحرمات، ولذلك فالحقيقة أنَّ هذا الذي يحدث اليوم من الشركات الكُبرى وشركات الصرف والمال؛ هذا هو العِينة في حقيقته، هو العِينة حقيقة وحكمهما واحد.

يبقى السؤال الآخر المصاحب له؛ ما معنى (**حتى ترجعوا إلى دينكم**)؟ ولا شك أن الحديث فيه أشياء؛ إذا تركتم الجهاد في سبيل الله، وتبايعتم بالعِينة، أي تحايلتم، هذه سِمة لانتشار التحايل، واليوم التحايل المالي في البنوك التي تُسمى إسلامية كبير جدًا، التحايل في البيوع اليوم كبير جدًا، العِينة هي مظهر لانتشار تحليل الحرام

بحيل مختلفة إلى درجة أن تسمى المعاصي الصريحة بأسماءٍ أخرى يحل بها، الخمر مشروبات روحية! الزنا يسمى حب أو علاقات «مش عارف إيش!»، اللواط يُسمى الآن مثلية! تُخفف العبارات على معاصي صريحة، فما بالكم في التحايل الكثير المنتشر هذه الأيام؟!

فلذلك التبايع بالعِينة هو صورة من صور تحليل الحرام، وطريقة من طرق التحايل المشتهرة التي لا تنتهي، البشرية مبدعة في الحيلة، اليهود هم أساتذة في هذا الباب والنفس البشرية مُبدعة في التحايل على تحليل الْمُحرم. (**فإذا تبايعتم بالعِينة واتبعتم أذناب البقر**)؛ الانشغال بزهرة الدنيا واتباع الدنيا وجمعها والانشغال بها لدرجة الكلف في ترك الطاعات، وأعظم الطاعات التي تحقق للأمة السعادة هو الجهاد في سبيل الله، (**فإذا تبايعتم بالعِينة واتبعتم أذناب البقر وتركتم الجهاد في سبيل الله؛ سلط الله عليكم ذُلاً**) هذه العوامل، وكلها تتعلق كما ترون بماذا؟ (**إذا تبايعتم بالعِينة واتبعتم أذناب البقر وتركتم الجهاد في سبيل الله**)، هذان العاملان هما الدنيا، التكثير منها، (**اتبعتم أذناب البقر**)؛ التكثير من الدنيا، (**إذا تبايعتم بالعينة**)؛ هو الحيلة من أجل المعاصي، وهذا كله من محبة الدنيا، وأساس الفساد في الوجود ما هو؟ (**لكنكم كثير، ولكن غُثاء كغُثاء السيل**)، ما هو سبب حب الدنيا؟ هو كراهية الموت، جاء الذل على الأمة، هذه معاصي جماعية لا تتعلق بالفرد، هذه سِمة تصبح للمجتمع. فلذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (**حتى ترجعوا إلى دينكم**)؛ أي حتى تعودوا إلى الجهاد، ولا يمكن العودة للجهاد إلا بترك الأسباب المعوقة له، وهذه هي الأسباب ومظاهرها وما يلحق فيها من معاني، فحين تعود الأمة للجهاد؛ فتعود إلى عزتها، تعود إلى دينها، تعود إلى توحيدها، تعود إلى محبة الآخرة، تعود إلى صلاتها، تعود... إلخ، أما حين تنشغل الأمة بالدنيا؛ (**سلط الله عليكم ذُلاً**)، فهكذا تبدأ المعاصي كما هو شأن الأمم السابقة وهو الانهيار.

فالقصد من هذا: أن الجهاد يدخل في قوله صلى الله عليه وسلم: (**حتى ترجعوا إلى دينكم**)؛ لتعودوا إلى دينكم دخولاً أوليًا وبقية الأعمال مما ذكرنا تدخل تبعًا فيما هو ظاهر؛ لأن الجهاد ذروة سنام الإسلام، انتبه! لأن الجهاد هو ذروة سنام الإسلام، فلا يمكن أن يقوم إلا على عُمد أخرى، لا يمكن للجهاد أن يقوم من غير الصلاة، لا يمكن للجهاد أن يقوم من غير الزكاة، لا يمكن للجهاد أن يقوم من غير محبة الدار الآخرة، وهكذا، الجهاد ذروة، الجهاد هو بذل النفس والمال والوقت في سبيل الله عز وجل، فمن لم يبع نفسه لله عز وجل لا يقوم

بالجهاد، من لا يصلي لا يجاهد، من لا يزكي لا يجاهد، فهذه الأعمال لا يقوم بها إلا من هو تقي ويرجو الدار الآخرة وزهد في الدنيا وأطاع ربه في كل جوانب الحياة، هذا هو المقصد في هذا، والله تعالى أعلم.

بارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٣٨٥- حكم التفضيل بين الأولاد في العطية

ضمن الجلسة الحادية والثلاثون، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٧/٠٤هـ الموافق لـ: ٢٠١٨/٠٣/٢١ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: أب جزائري كانت عنده بندقية وفي حياته قال: هذه البندقية لابني الأكبر، ثم مرت الأيام وتزوج الابن ولم يسلمها له، وجاءت فترة كانت الحكومة تستلم الأسلحة فسلمها الأب للحكومة، الآن الحكومة الجزائرية بدأت ترجع البنادق لأصحابها، وهذا الأب توفي وبقي أبناءه، فهل البندقية هي للورثة أم تعود للابن الأكبر؟ مع العلم أن الحكومة غيرت البندقية الأصلية بأخرى، وهناك من الورثة من يحتاج المال وينتظر بيع البندقية كي يحصل الكل على حقه.

جواب الشيخ: الجواب على هذا السؤال مبني على قضية عطية الأبناء متى تجوز ومتى لا تجوز؟ الأصل في الشريعة أنه إذا نَحَلَ المرء، أي أهدى الرجل لابنٍ له من أبنائه هدية؛ فعليه بأن ينحل بقية الأبناء، أن يهدي بقية الأبناء، إلا لمعنى خاص لهذا الابن، ما هو المعنى الخاص؟ المعنى الخاص جمله الفاروق عمر رضي الله عنه بقوله: «الرجل وحاجته، الرجل وسابقته، الرجل وبلاؤه»، فهذه هي التي تُقّدر العطاء، الأصل هو التساوي، أن يساوي في العطية، ولكن المساواة في بعض المرات تخل العدل، هناك فرق بين المساواة والعدل.

العدل: إذا كان هناك ولد مريض يحتاج إلى الدواء؛ فيحتاج إلى المال، فمن العدل أن تعطيه ما يقوم على دوائه وحاجته، حتى لو زاد عما تعطيه عن بقية الأبناء ممن لا حاجة لهم إلى الدواء، هذا العدل، والعدل أفضل من المساواة، المساواة ليست ممدوحة إلا في كونها تحقق العدل، فالعدل هو المطلوب، لكن حين يتساوى الأبناء في الحال؛ فحينئذٍ لا يجوز للأب أن يخص أحد الأبناء بعطية دون الآخرين.

إذن: إذا كان الابن له حاجة زائدة فتعطيه ما لا تعطي الآخرين، إذا كان الابن له سابقة من خير كالابن الكبير الذي يعمل، ففي الكثير من البلدان الابن الكبير يعمل ويساعد أباه في البيت ثم بعد ذلك يفتح الله عز وجل على الأب مالاً فيعطي الأب للكبير لسابقته، هذا من العدل، إذن لحاجته أو لسابقته أو لبلائه، رجل يُعطى لأنه يقدم أكثر من الآخرين؛ فمن العدل أن تعطيه بمقدار تقدمته ولا أن تساويه بحال من هو كسول

مثلاً، فهذه هي القواعد في العطاء.

والنبي صلى الله عليه وسلم لما جاءه البشير والد النعمان ليشهده وقد أرسلته أم النعمان بن البشير كانت تكرر عليه أن يهدي ابنها هديةً خاصة دون بقية الأبناء، فأهداه مرةً بعد أن اشتد الإلحاح، فطلبت منه أن يذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليشهد على نحلته، على هديته، فقال صلى الله عليه وسلم: (**أأعطيت كل أبنائك هذا؟**) قال: لا، قال: (**اذهب فإني لا أشهد على زور**) أو (**على ظلم**)، فاعتبر النبي صلى الله عليه وسلم وهذا حكم الله عز وجل أن إعطاء النعمان من البشير مالاً خاصًا دون بقية الأبناء ظلم، اعتبره ظلمًا واعتبره زورًا.

وهنا مسألة أخرى: إذا أعطاه وهو ظلم، هل ينفذ أم لا ينفذ؟ بمعنى جاء الأب قبل موته، بعد الموت معروف لا وصية لوارث، خلاص، فريضة من الله عز وجل، الله عز وجل فرض الميراث وقسمه وقال بعد ذلك سبحانه وتعالى: ﴿آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ﴾ [النساء: ١١]، إذن أخذ الميراث من حق الْمُورث وجعله في يده سبحانه وتعالى، وهو قسمه بين الإرث بحكمه الحكيم العادل جل في علاه. فلو أن رجلاً –هنا السؤال– لو أن رجلاً نحل ابنه على معنى الظلم، هل يثبت الملك أو لا يثبت؟ الصواب: أنه لا يثبت؛ لأنه ظلم، وليس للظالم شيء، وبعض أهل العلم أنفذه، قال: «هو أعطى، صحيح هو ظالم وآثم، ولكن قضاءً ينفذ، ديانةً لا ينفذ»، وهذا تفريقٌ غير صحيح، الصواب: أنه لا ينفذ.

فالجواب على هذا السؤال كالتالي: إذا كان الأب قد أهدى هذه البندقية للابن على معنى من المعاني التي تقدمت من التميز التي تجيز هذه العطية فحينئذٍ؛ هي مُلكه وهو يرثها لمجرد القول يثبت، فهناك في العقود المعاوضات والعقود الجائزة، عقود المعاوضات تثبت بالعقد، بعت اشتريت، مع شرط المجلس، مع شرط الرؤية، أو شرط العيب إلى غير ذلك، فإنما يثبت بالعقد، أي بعت واشتريت خلاص وقام كل واحدٍ منهما فثبت العقد، لكن العقود الجائزة هل تثبت بالعقد أم تثبت بالأداء؟ هذا خلاف بين أهل العلم.

والصواب وهو قول أحمد رحمه الله وكثير من أهل العلم وهو قول الظاهرية: أن العقود الجائزة ومنها الوعد تثبت باللفظ واستدل أحمد بقول النبي صلى الله عليه وسلم: (**العائد في هبته كالكلب يلعق قيئه**)، من خالف كالشافعي رحمه الله، قال: «بأن هذا المثال ليس فيه عيب على الكلب»، فرد أحمد رحمه الله بقوله: «ليس لنا

مثل السوء»، أن هذا مثل السوء لا ينبغي للمرء أن يقترب منه وهو دالٌ على التنفير وعلى التحقير وعلى الإبعاد.

القصد من هذا: أن هذا العقد ثبت بإعطاء الأب لابنه هذه البندقية إذا كان بالشروط التي تقدمت، إذا كان هذا العطاء على معنى من المعاني التي تجيز هذا العطاء ولا يدخل في باب الظلم، فحينئذٍ هي ملكه، أما إذا كان هذا العطاء لا معنى له وفيه الظلم، ميّز هذا الابن دون بقية الأبناء؛ فحينئذٍ لا يثبت هذا العقد، وهذه البندقية إرث لكل الأبناء توزع كما يوزع المال، والله تعالى أعلم.

بارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٣٨٦- مشروعية بيع العقيقة والأضحية

ضمن الجلسة الحادية والثلاثون، بتاريخ: (**٤/٠٧/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٢١/٠٣/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

هناك سؤال من أخ، والسؤال يمكن تعميمه على العقيقة والأضحية وهو: أن في بلادنا يتم شراء الكبش أو شراء الخروف أو الشاة على وجهين:

البيع الأول: أن يقول لك: أنا أوزنها لك وزنًا فتشتريها بكل كيلو سواء كان لحم أو بشعرها بسعر كذا، كأن يقول لك: أبيعك هذا الخروف بوزنه كما هو حيًا بثلاث دنانير الكيلو مثلاً، وحينئذٍ تدفع ثمن اللحم وما يلحق به من مكونات هذه الدابة، هذا وجه من وجوه البيان، وهذا بلا شك بيعٌ صحيح لا شيء فيه.

البيع الثاني الذي يقع هنا في هذه البلاد وهو منتشر: إذا اشترى الذبيحة للأكل والشرب هذا ليس فيه بأس، ولكن الذي يقع أن يقول له: أنا أبيعك هذه الدابة وسعرها يحدد بعد ذبحها وسلخها ومعرفة قائم اللحم الخالص منها، يوزن فحينئذٍ الكيلو أبيعه لك بثمن دنانير مثلاً، والبقية من الذبيحة لا شأن لك بها، هي لي ولا شأن لك بها، أو يكون له شأنٌ فيها، أي هذا يكون سعرها، ليس بالبقية، ولكن بالسعر، فهل يجوز هذا في العقيقة؟ خاصةً أن هذه تذبح لاسم فلان؛ هذه عقيقة فلان، وكذلك في الأضحية؛ هذه أضحية عائلة فلان أو أضحية فلان وعائلته وأهله وبنيه وآلة، فهل هذا البيع يجوز؟

جواب الشيخ: نعم يجوز، شروط البيع وأركانه كالتالي: هي الصيغة؛ الإيجاب والقبول، وكذلك لا بد من ذلك الثمن، فالثمن هل يصح أن يكون معلقًا؟ فإذا كان في الزواج يجوز للرجل أن يتزوج دون أن يُسمي المهر فبعد الدخول أين المهر؟ ماذا يقولوا؟ «مهر المثل»؛ فجاز العقد من غير ذكر المهر، لكن لا يجوز اشتراط عدم المهر، فرق، لا يجوز أن يشترط أن يتزوج من غير مهر؛ لأنه من حق الزوجة المهر، لكن لو أنهما تزوجا من غير ذكر المهر فهل يجوز هذا الزواج؟ الزواج يجوز، ولكن كيف يؤدى المهر؟ بسعر المثل.

القصد: لو أن رجلاً اشترى هذه دون ذكر الثمن على أن يعلق الثمن على ما هو قادم؛ هذا البيع جائز، الذي عندي أن هذا ليس فيه مشكلة، فجائز هذا البيع.

ولكن أنبه على قضية طرأت في السؤال وهي: هذه المواد المتبقية من هذه الدابة حق من؟ حق المشتري، يجب أن يُنَص على هذا، أنا لا أتكلم عن العقيقة لأن العقيقة على خلاف كذلك، العقيقة على خلاف مع الأضحية، هل العقيقة هي واجبة؟ الجمهور على أنها سنة، وبعض أهل العلم -وهذا بعيد- يرى أنها واجبة، وهناك خلاف بين الأئمة الأربعة في العقيقة، والصواب الذي عندي أنها سنة، العقيقة سنة وليست واجبة، وإن كان بعض أهل العلم من المعاصرين والقدماء يرون أنها واجبة، ولكن قول الأئمة الأربعة أقصد الصحابة الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم على أنها سنة، وهذا هو الأقرب في هذا الباب والله تعالى أعلم.

فالقصد: بأن هذه المواد التابعة لها من الجلد من الأمعاء من كذا وهذه كذلك من حقوق المشتري، ينبغي أن ينص على هذا.

القصد: أن هذا بيعٌ صحيح ولا حرج في ذلك، ولا يوجد غرر، انتبهوا لهذا، فالْمُحرم في البيع بيع الغرر، نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع الغرر، الغرر هو الجهالة، وبعض العلماء تشدد في الجهالة، الشافعية لا يجيزون بيع القثائيات وهي في الأرض، لا، فجرى بيع القثائيات وهي في الأرض كثيرًا، فالجهالة هنا خفيفة ولا تنشأ عنها المشكلات، كما قال ابن تيمية رحمه الله: أن ضابط الغرر هو الذي إذا تم العقد عليه أنشأ مشكلةً بعد ذلك، دَبّ الخلاف بينهما يكون ليس بواضح، هذا في الحقيقة واضح، فالناس يقدرون هذه، فعادةً يعرفون بخبرتهم كم هذا يقطع لحم كما يقولون، أي كم يخرج لحم، فالخلاف معدوم في هذا الباب، والله تعالى أعلم.

بارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٣٨٧- حكم الزيادة في ثمن السلعة مقابل الأجل

ضمن الجلسة الحادية والثلاثون، بتاريخ: (٤/٠٧/١٤٣٩هـ **الموافق لـ: ٢١/٠٣/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: سلامٌ عليكم!! -قل: السلام عليكم، وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته- **حياكم الله شيخنا الفاضل، السؤال: يوجد سلعة قيمتها لنَقُل ألف دينار، جئنا لنشتريها، لكن دفع ثمنها بعد شهر من أخذها، فقال البائع: في هذا الحال سيزيد عليك السعر لتصبح ألف وخمسمائة دينار، بمعنى: أن السعر ألف دينار نقدًا، وألف وخمسمائة نسيئةً، هل يجوز؟**

جواب الشيخ: هذا البيع عند جمهور أهل العلم جائز، هذا يسمى «بيع النسيئة»، الأئمة الأربعة على جوازه، خالف في ذلك بعض التابعين كسِماك بن حرب، وبعض المعاصرين، ولكن جمهور العلماء على جوازه، وأفضل من فصّل فيها الإمام ابن القيم رحمه الله في شرحه على «مختصر أبي داود» للمنذري، أفضل من فصّل فيها.

والصّواب: أن هذا البيع جائز بشرط كما قال مالك رحمه الله وهو: أن ينفض المجلس على أحد السعرين، بمعنى: أن يقول البائع: هذه بألف نقدًا، وبألف وخمسمائة نسيئةً لمدة شهر أو شهرين؛ فهذا العرض جائز؛ فيأتي المشتري ويقول: قبلت، ولكن لا بد أن يعيّن أحد السعرين، فإذا تعين وتم العقد لزم الآخر، إذا قال: ألف دينار نقدًا؛ خلاص لزم، وإذا قال: ألف وخمسمائة نسيئة؛ لزم العقد، وينفض المجلس على هذا.

فهذا بيع جائز وعند جمهور أهل العلم من الأئمة الأربعة ومن المحققين أنه جائز، والله تعالى أعلم.

بارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٣٨٨- حكم رفع الصوت بعد الصلاة

ضمن الجلسة الحادية والثلاثون، بتاريخ: (٤/٠٧/١٤٣٩هـ **الموافق لـ: ٢١/٠٣/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

سؤال يقول: شيخنا بعد التسليم من الصلاة يبدأ رجل بتلاوة الأذكار عقب الصلاة جهرًا، ويردد الناس خلفه بصمت ويضيفون للأذكار المشروعة سورة «الفاتحة»، وآية ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ [آل عمران: ١٨]، وآية «الكرسي»، ويحشون الأذكار بكلمات أخرى كلٌ على هواه فما حكم فعلهم؟ وهل كان هذا فعل الصحابة رضي الله عنهم، أقصد رفع الصوت؟ وما حكم جلوسنا في أماكننا بعد التسليم لنقرأ أذكارنا لأنه قد أنكر علينا بعض إخواننا بأن جلوسنا مع هؤلاء المبتدعة نقرهم على بدعتهم بهذا؟

جواب الشيخ: لا شك أن ما ذكره السائل أنه بدعة، والعلماء ذكروا هذا، ابن أمير الحاج في «المدخل» نص على أن الأذكار الجماعية عقب الصلاة بدعة، ونص على ذلك الإمام الشاطبي رحمه الله، ونص على ذلك ابن تيمية رحمه الله، وهناك كتاب شأني به قد جمعه أحد العجم وترجمه أحد الشباب وكنت أريد نشره في بيان بدعة الذكر الجماعي عقب الصلوات وأنه بدعة فيما نقله أهل العلم وأقروه.

فالذكر الجماعي عقب الصلوات فيما كان يفعله الناس وكان منتشرًا في كثير من القرى والبلدان، ولكنه انحسر كثيرا إلا في أماكن معينة في أنه بدعة ولا يجوز للمرء أن يعمل بها، وهو خلاف ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة رضي الله عنه، ولم يفعل أحد من الصحابة قط، أقصد الذكر الجماعي عقب الصلوات بصوتٍ عالٍ مرتفع، أو على صيغة ما ذكره الأخ السائل: في أن رجل يقول: سبحان الله؛ فهم يعددون ويقولون: سبحان الله بصوتٍ خفيض، والحمد لله، وهكذا، ويقول: آية الكرسي، وهكذا، فكل هذا من البدع التي يجب إنكارها على الناس بالحكمة؛ لأن الناس مقصدهم الطاعة ولا يعرفون البدعة والسنة، خاصةً في أماكن يكثر فيها الجهل؛ فيجب الترفق معهم وتعليمهم السنة بهدوء، ولكن ينبغي تعليمهم أن هذا من البدع المنكرة التي يجب إزالتها على من قدر عليها ومن استُمع له من الناس، أي لا يأتي رجل ولا يسمع له الناس ولا يعرفون علمه فيبدأ بقتالهم وتبدأ المشاكل فتصبح أكبر من مشكلة البدع التي تكون، أنا أنبه على هذا؛ لأنه ينبغي أن ينبه عليه وقد نبه عليه أهل العلم في هذا.

فالمطلوب: هو السنة في ذلك وهو أن الإمام بعد أن يسلم ويستغفر الله ثلاثًا: «اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام»، أن ينقلب وينفتل إما عن اليمين أو عن اليسار، وكان عامة انفتال النبي صلى الله عليه وسلم عن يمينه، كما في حديث أنس في الصحيح، وأنكر على من أوجب ألا ينفتل إلا عن يمينه، وإن كان النبي صلى الله عليه وسلم أكثر ما ينفتل عن يمينه إلا أنه كان ينفتل عن يمينه ويساره، والذي روى الحديث هو أنس رضي الله عنه ومن اجتهاده إنكاره على من أوجب أن لا ينفتل إلا عن يمينه، أنكر على هؤلاء، فينفتل عن يمين ويساره والأغلب عن يمينه، ثم يجوز للناس بعد ذلك أن يقوموا وإلا فيكره لهم أن يقوموا قبل أن ينفتل الإمام؛ ولذلك من السنة أن لا يطيل الإمام الجلوس إلى جهة القبلة، حتى لا يمنع من له حاجة أن يقوم لحاجته ويستعجل في حاجته ويقضي أذكاره ماشيًا، ولو قضى أذكاره ماشيًا لا بأس في ذلك، وإن كانت السنة أن يقضي أذكاره الإمام والمأموم وهو جالس في مكانه قبل أن يقوم، فهذه هي السنة.

بقيت مسألة: وهي أنه في صحيح البخاري أن ابن عباس رضي الله عنهما يقول: «لما كُنَّا نَعْرِفُ انْقِضَاءَ صَلَاةِ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ إلَّا بالتَّكْبِيرِ»؛ فدل هذا على رفع الصوت، في الحقيقة هذا الحديث عليه كلام، وأفضل ما وجدته، ولا أريد أن أستعرض ما قيل فيه يعني من اتهام أن ابن عباس رضي الله عنه صغير ولا يدري ما... إلخ، لا، أفضل ما رأيته وهو للأمام الشافعي رحمه الله في «الأم»، أن هذا من قبيل تعليم النبي صلى الله عليه وسلم للوافدين الجدد هذه الأذكار، إذا وجد هذا المعنى لا بأس، أي ناس لا يعرفون، لكن أن يفعله على جهة الدوام، فالأصل هو (**ارْبَعُوا علَى أنْفُسِكُمْ**)، الأصل في الذكر والدعاء أن يكون خفيًا، أن يكون بغير إعلاء صوت، فالنبي صلى الله عليه وسلم نهى الصحابة وهم في الجهاد أن يرفعوا أصواتهم؛ لأنهم كانوا إذا صعدوا كبروا وإذا نزلوا سبحوا، فقال صلى الله عليه وسلم: (**ارْبَعُوا علَى أنْفُسِكُمْ**)، أي خففوا، لا تشقوا على أنفسكم (**إنَّكُمْ لا تَدْعُونَ أصَمَّ ولَا غَائِبًا، إنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وهو معكُمْ**). فالأصل هو الستر، قال تعالى: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (٣)﴾ [مريم: ٣]، الأصل هو ألا يصرخ المرء لا في الذكر ولا في الدعاء، فهذا هي السنة، هو الستر، ولذلك ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما محمول على ما قاله الإمام الشافعي رحمه الله على تعليمه للجدد، يعلمهم ماذا يقولون عقب الصلاة، ولا بأس أن يفعله وأن يعلمهم في هذا، وكان ابن عباس رضي الله عنهما يفعل هذا، فَهِم هذا، عندما قرأ في صلاة الجنازة قرأ فيهم بصوتٍ عالي وقال: «أردت أن أعلمكم السنة»، أي السنة فيما تفعلون في صلاة الجنازة.

أما أن يجري على مجرى الدوام فقد تقدم الكلام فيه أنه من البدع؛ لأنه من الحوادث التي لم يفعلها الصحابة رضي الله عنهم ولا التابعون، وقرر العلماء ذلك، قرروا أنه من البدع الحادثة وفيه من المفاسد الكثيرة.

ويسأل الأخ عن ماذا يفعل العالم بأنه بدعة؟ هل يجلس معهم أو لا يجلس؟ والله هذا يعود إليه فيما هو خير، فلو جلس من أجل أن يعلمهم ويقبلوا منه فلا بأس، وإذا كان خروجه يكون في ذلك إنكار عليهم حتى ينزعوا عنه، أو كما ذكر أن المعترضين قالوا: لا تجلس لئلا يدخل الداخل فيظن أنك تقرهم، أظن أن هذه المعاني قد توجد وغيرها قد يوجد، فالعبرة بالنظر إلى حكمة التغيير، فإذا وجد معنى شبهة الإقرار؛ فلا تجلس، إذا وجد معنى أن خروجك تقريع لهم فيؤدي إلى تغييرهم، وهذا يفعله بعض الناس أنه يهجر كما هجر النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة على الغال إنكارًا له فكان في ذلك إنكار لهذا الفعل، فهذا جائز كذلك، من المعاني الشرعية المنضبطة الصحيحة، وإذا كان في الجلوس معهم تعليمًا لهم وترقق لهم حتى يغيروا هذه البدعة، فهذا معنى صحيح، فالعبرة بما تراه من نفسك فيما تحقق فيه الخير، وربما تتغير الآن تجلس معهم فترى أنك تستطيع تغييرهم، ثم تجد أن هذا الباب فيه فساد ولم ينفع معهم؛ فتخرج من عندهم، العبرة بما يتحقق به النفع، قد يتحقق بهذا وهذا، والتجارب هي التي تثبت صواب الاختيار والناس قد ينفع معهم شيءٌ في مكان ولا ينفع في آخر؛ لدخول عوامل متغيرة وكثيرة ومختلفة بين الحالين، فهذا الذي أقوله في هذا الباب.

كذلك من البدع التي تحدث في هذا الجلوس: الدعاء الجماعي هذا كذلك منه، ذكر الأخ بعض الأذكار لم ترد مثل ذكر سورة «الفاتحة» عقب الصلوات، فهذه لم ترد، وكذلك آية ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨]، لم ترد، أما قراءة آية الكرسي ففيها حديث حسنه الشيخ الألباني ووصى أنه ضعيف «من قرأ اية الكرسي عقب كل صلاة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة» هذا حديث لا يصح وضعيف وقد قد أخطأ الشيخ بتصحيحه.

بارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٣٨٩- رجل تصدق بعرضه على رجل آخر

ضمن الجلسة الحادية والثلاثون، بتاريخ: (١٤٣٩/٠٧/٤هـ **الموافق لـ: ٢٠١٨/٠٣/٢١ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: رجلٌ تصدق بعرضه على رجلٍ آخر فهل يحل لشخص الثاني أن يغتاب الْمُتصدق بحُجة أنه أذن له؟

جواب الشيخ: أنا أريد للأخ السامع أن يتأمل الفرق بين القلوب المؤمنة والقلوب المتلاعبة والقلوب التي غلبت عليها الأهواء، عندما يقول النبي صلى الله عليه وسلم عن أهل بدر: **(لَعَلَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ اطَّلَعَ علَى أهْلِ بَدْرٍ فَقالَ: اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ فقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ)**، هل هذا إباحة لهم بأن يذهبوا إلى المعصية كل مذهب؟ هل هذا المعنى قد فهم من قبل الصحابة رضي الله عنهم؟ هل فهموا أن الله عز وجل رفع مقامهم فينبغي أن يحافظوا على هذا المقام بالتقوى والإنابة والخوف وكثرة العبادة واجتناب المعاصي؟ فإن المرء حين يضعه سيده في مقامٍ عالٍ يأنف ويستحي أن يغضب سيده بشيء.

هذا الفرق بين مقامات الصالحين ومقامات أصحاب الأهواء، هذا أمر، فمجرد التفكير بهذا أن فلان أذِن لي فأنا سأتكلم، أول شيء هذا من الدناءة والخسة؛ أن تقابل حلم الرجل وأن تقابل دين الرجل وسماحة الرجل بمثل هذا الفعل، يعني هو لم يأذن لك، في هذا القول هو ليس فيه إذن، هو أسقط حقه -وهذا سأبينه- هو أسقط حقه الشخصي في هذا الفعل الذي فيه إيذاءٌ له، قال: هذا الإيذاء الذي وقع عليّ أنا أسقطت حقي فيه، فحين يكون هذا الرجل بمثل هذه الكرامة وبمثل هذا المقام من الحلم ومقام من العفو ومقام من العلو الإيماني في هذا الباب، هل يقابل بمثل هذه الخسة؟! فعندما يقدم رجلٌ لك طعامًا، يدخلك بيته ويقدم لك الإكرام والطعام هل تقابله بالبصق في داخل الإناء الذي تأكل منه؟! هل تقابله بالبول على فراشه الذي تجلس عليه؟! هذا من الخسة والدناءة، فمجرد أن يكون الرجل ناظرًا لنفسه أنه خسيس وأنه يقابل الإكرام والحلم بمزيد من القُبح والشر والحقارة؛ فهذا يكفيه، يكفيه هذا المقام، هذا من جهةٍ تربويةٍ عامة.

من الجهة الثانية: أن الحقوق -وهذا يعرفه طلبة العلم وعامة الناس- أن الحقوق تقسم إلى أقسام: هناك

حقوق لله عز وجل خالصة له: كحق العبادة، كحق الخوف منه، كحق الإنابة له، كالصلاة التي هي مظهر لهذا كله، كالصوم، كالحج، هذه أعمال خالصة له سبحانه وتعالى لا حظ للعبد فيها إلا من كونها طريقًا لإسعاده، وتحقيق الوعود له الدنيوية والأخروية، في الآخرة الجنة وفي الدنيا ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (١٢٣)﴾ [طه: ١٢٣].

وهناك حقوق للعبد خالصة له: الله عز وجل جعلها مع أنها ذنب ومعصية، لكن إن أسقطها العبد ارتفع عنه الذنب، هناك أعمال له، من ذلك ما يجري مجرى القصاص، لو أن رجلاً لطم رجلاً لطمة، هذه معصية وذنب وظلم والله عز وجل يعاقبه عليها، ولكن الله سبحانه وتعالى جعل حق إسقاط ذنب هذا الذنب وهذه السيئة في يد العبد، فحينئذٍ؛ يعفو عنه، الله عز وجل يعفو عنه ولا يعاقبه لا في الدنيا ولا في الآخرة، عَفى عنه، فهذا حق العبد.

وهناك من الأعمال ما هي ظاهرها حقٌ للعبد إلا أنها حق لله عز وجل: كالسرقة، المال حق العبد، لو أن رجلاً تداين من رجلٍ دينًا، فلم يستطع سداده أو أنكره فعفى عنه، خلاص أنا عفوت عنه، فهذا حقٌ للعبد، طيب لو أنه أخذه على جهة السرقة، أخذه من الحرز خفية، فهذا حقٌ لله عز وجل، لو قال: أنا عفوت عنه؛ فلا يسقط عنه حكم قطع اليد، فإن الله عز وجل جعل هذا من حقهِ، لماذا؟ لتعلق أمر المجتمع العام فيه، صحيح هو حق خاص، لكن بالسرقة انتهك حق الأمة، حق المجتمع، في أن يدخل هذا البيت وينقبه ويكون على هذا المعنى من الإجرام؛ فلذلك خرج من كونه حقًا للعبد إلى أنه حق لله عز وجل.

وهناك أعمال مشتركة: جعلها الله عز وجل للعبد وله جل في علاه، فالعبد يسقط حقه، والرب عز وجل له حقٌ ينبغي أن يسقط كذلك لئلا يعذب عليه أو يبقى معلقًا إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، ومن ذلك القتل، أنا أخذت القصاص في قضية الأعمال دون القتل، لكن ما كان من القتل فإن فيه حق لله عز وجل وحق للعبد، حق العبد يسقط في سقوط القصاص، جاء الورثة أسقطوا حقهم، أو أسقطوا حقهم بالقتل وأخذوا الدية، فيبقى حق الله عز وجل ويسقط بالكفارة عند المسلمين جميعًا في القتل الخطأ، وأما قتل العمد فهل عليه كفارة أم لا؟ هذا خلاف، فإن الشافعي يجري القياس في الكفارات، والأحناف لا يجرون القياس في الكفارات، والصواب هو قول الأحناف ومن معهم من أهل العلم؛ بمعنى أن القياس لا يجري في الكفارات، والصواب أن القتل العمد ليس

عليه كفارة، أو لنقل الأصوب؛ حتى لا نبطل القول الآخر كليًا.

القصد: هناك حقوق للعبد وهناك فعل يكون فيه حق لله عز وجل وحق للعبد، هذه الغيبة هذه فيها حقٌ لله عز وجل وحقٌ للعبد، لو أن رجلاً اغتاب رجلاً -وسأبين ما يترتب على هذا القول من أحكام- لو أن رجلاً اغتاب رجلاً فإن هذا قد آذى الرجل وصار له الحق أن يأخذ من حسناته يوم القيامة، وكذلك وقع في ذنب فهو سيئة الله عز وجل يعاقبه عليه في النار بهذا الفعل، فهو حقٌ لله عز وجل في كونه عصى الله عز وجل، وأنه حقٌ للعبد في كونه آذى هذا الإنسان، فحين يسقط العبد حقه ويبقى حق الله عز وجل، بأنه ارتكب هذه الجريمة، فلو أن رجلاً اغتاب رجلاً، فجاء الْمُغتاب الذي أُغتيب فأسقط حقه وقال: خلاص سامحته وعفوت عنه، فيبقى حق الله عز وجل بأن يتوب، لا يسقط تمام الإثم إلا بالتوبة، أن يتوب هذا الذي اغتاب، بأن يتوب، فإن لم يتب حتى لو أسقطه عنه بقي الذنب مسجلاً عليه سيئة في صفحته، ومُسائلٌ عليها يوم القيامة.

من هنا ما الذي يغلُب؟ هل هو يغلُب في الغيبة حق الله عز وجل أم حق الشخص؟ الصواب فيها بالنظر إلى ما قاله أهل العلم: يغلُب حق الله عز وجل، لماذا؟ لو أن رجلاً اغتاب رجلاً؛ فوجود معنى حق العبد أن يذهب إليه ويعتذر ويطلب منه إسقاط الحق، فلو أنه -كما قال أهل العلم- لو أنه ذهب إليه -كما يقول الغزالي وغيره في هذا الباب- لو أنه ذهب إليه فكان الذهاب سبب لإيغار الصدور، وسبب للغضب، وسبب لمشكلة كبيرة تقع، فهل يذهب أم لا يذهب؟ قال: لا يذهب، ويكتفي بإسقاط حق الله عز وجل فيسقط عنه الذنب، مما يدل على أن الغيبة كما نرى في هذا المثال يغلُب فيها حق الله عز وجل على حق العبد.

ومن هنا فنقول لهذا الرجل: الرجل حين يسقط حقه؛ يبقى حق الله عز وجل، ولذلك هو يقول: سب ما شئت، افعل ما شئت، فإني قد سامحتك فيما يتعلق بحقي؛ فيبقى حق الله عز وجل. الأمر الآخر في هذا الباب: أن العادة أن الغيبة يتعدى أثرها، وقد يُسقط المرء الحق قبل أن يتعدى، فإذا تعدى خرج من يده؛ بمعنى لو أن رجلاً اغتاب رجلاً فوقع في نفس السامع للغيبة شر وبغض لهذا، هل حين سامح الذي اغتيب المغتاب بسبب غيبته، هل يذهب عنه الحق المتعدي؟ أي هذا الشر الذي حدث في نفس هذا السامع للمغتاب الذي اغتاب هنا وقع شر وهذه معصية، لأن الشر قد يكون مُتعدياً وقد يكون غير متعدي، فشر الغيبة شرٌ يتعدى على الآخر، فهذا الذي وقع من الشر المتعدي هل يذهب بمجرد الإسقاط؟ هل تفكر الفاعل بهذا؟ الحقيقة لا

يسقط، هو أسقطه عن نفسه بما يتعلق من كلامه وإيذائه، لكن كيف يُسقط ما وقع من الشر المتعدي عليه في نفوس الأخرين.

الأمر الآخر: عادةً في الغيبة يتم الإساءة له لشخصه ولآخرين، أي عندما أنت تغتاب رجلاً تذكره بالشر، فهذا الشر يتعدى إلى أبنائه كذلك، فأنت تقول: فلان فعل كذا وكذا، أنت تؤثر في بناته، مثلاً: إذا هذا الأمر الذي ذكرته ونحن نعرف الغيبة وهي: (**ذكرك لأخيك بما يكره حتى لو كان فيه، فإن لم يكن فيه فقد بهته**)، نتحدث عما كان فيه، فإذا ذكرت هذا وأشعته يؤدي إلى نفور الناس من الأبناء ومن البيت ومن الزوجة ومن البنات، وربما يؤدي إلى عدم زواج البنات، يؤدي إلى الفرقة بين الأبناء وبين أصدقائهم وإخوانهم، فهؤلاء لهم حقوق تعلقت في ذمتك، وبمجرد إسقاط الرجل حقه لا يعني أن البقية قد أسقطوا حقهم، كل هذا يدل على الجهل بمثل هذه الأمور التي تنشأ من قلة الدين حين يجد المرء أن له فسحة من الانسحاب من المعصية؛ فيتوغل فيها، وتصبح متمكنة منه أكثر من الأول نسأل الله أن يرحمنا برحمته.

وفي النهاية: أنا أنصح من كان هذا حاله من الشر؛ ألا يخبر، بينه وبين قلبه يسامحه، ولكن لا يخبره إني قد سامحتك لئلا تؤدي هذه المسامحة إلى مزيدٍ من الشر، لكن أدعو الجميع بأن يدعوا في صلاتهم وفي سجودهم «اللهم اغفر لكل من أذيته من المسلمين وأنا ظالم له، واغفر لكل من آذاني من المسلمين وهو ظالمٌ لي، واجعل دعائي هذا صلةً بيني وبينهم وإصلاح البين بيني وبينهم»، والله تعالى أعلم.

بارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٣٩٠- الانتخابات المصرية وإرهاصات النصر

ضمن الجلسة الثانية والثلاثون، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٧/١١هـ الموافق لـ: ٢٠١٨/٠٣/٢٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يقول: عندي سؤال لو تفضلت للإجابة عليه، لا يخفى عليكم أننا نشهد في مصر الآن أحد مهرجانات الكفر والزور من إعادة انتخاب السيسي، وقد حشد هذا المجرم كل أدواته الإعلامية والمادية في عمل دعايةٍ ضخمةٍ له في الفترة السابقة، ونتيجةً لذلك كان هناك إقبال كبير نسبيًا على المشاركة في هذا البهتان من قبل عامة الناس، وهم في ذلك على أقسام منهم من هو عالمٌ بحال الرجل وراضًا ببقائه ومنتفعٌ بذلك من كبار السياسيين ورجال الأعمال ومشايخ السوء والضلال، وهؤلاء حكمهم واضح قد بيّنه فضيلتكم من كلام أهل العلم، ومنهم من هو جاهل مغتر به يتبع كل ناعق في التلفاز ولا يعرفون حقيقة الرجل، ومنهم من أكره على التصويت من موظفين في جهات حكومية ومدرسين في بعض المدارس والجامعات، حيث قيل لهم: إن لم تصوتوا سترفع أسماؤكم إلى الجهات الإدارية وقد يتعرضون لمضايقات في العمل أو حتى لمضايقات أمنية، فأرجو منكم بيان حكم الطائفة الثانية والثالثة، وما التوجيه في التعامل معهم من حيث الصلاة خلفهم خصوصًا؟

جواب الشيخ: والله أنا أُفاجئ بقولك أيها الأخ الحبيب: بأنه كان هناك إقبال كبير نسبيًا، فأنا أشك في هذا لأني نظرت في بداية النهار لمجالس المشاركين كان هناك فراغ ولم يكن هذا الإقبال المعروف، وعلى كل حال ربما أحضروا الأموات فبعضهم قد أصدر صورة رجلٍ بكفنٍ جاء إلى التصويت، ولا شك أن هناك أموات يصوتون بأسماء، بأشخاص أحياء يكتبون في وجودهم، والتزوير حاصل ولا شك في مثل هذه المهرجانات التي سميتها وهي حقيقة مهرجانات الزور والكذب والإفك.

نحن يا أيها أخ الحبيب: في مثل هذه الأحوال نوسع دائرة الإعذار إلا من تبيّن إجرامه، أنت ذكرت أن الطائفة الأولى ممن هم يعلمون حاله ويوافقونه وأنهم على ما ذكرت، وأنا أوافق ولا شك أنهم هؤلاء من الكفرة المجرمين ومن عتاة الطواغيت أو جنود الطواغيت الذين ينبغي أن يبرأ المرء منهم وأن يتمنى أن تكون المعركة القادمة معهم.

أما الطائفة الثانية: الذين هم مغرر بهم ومساكين فنحن على القاعدة القديمة: أن الناس مساكين، وأنا أستبعد هذا، لكن يوجد، أستبعده بهذا الاتساع؛ أن يكون هناك أناس مغرر بهم بالنسبة لهذا المجرم الذي أفسد الدنيا والدين، ولكن قد يوجد الناس مساكي، فالذي يجلس أمام التلفاز فيجد الشيوخ واللفات والعمائم تؤيده والإعلام يقصف كل لحظةٍ من أجل أن يجعل القرد مفكرًا ويجعل المجرم وليًا، هذا يمكن، الناس مساكين في الحقيقة أنا أفهم هذا، ومع ذلك مرات يقع في المرء أن الأمة قد وعيت، وقد تنبهت من غفوتها، ولكن يقع هذا، فعلى قاعدة الإعذار في أن هؤلاء جهلة لا يعرفون شيئًا ويظنون أن الانتخابات لا تعني شيئًا عقائديًا إنما هي –كما تراه– هي تحسين أوضاع الناس في هذا البلد المسكين المبتلى بهذا المجرم وطائفته وجماعته، فنحن نعذرهم ونتمنى لهم الخير وندعوهم ونحسن معهم.

والطائفة الثالثة: هذه بحسبها، أي إذا كان المرء قد علم أن هذا الانتخاب هو عملٌ كفري ثم جاء إليه وهو مُكره، فينبغي أن نحدد معنى الإكراه ربما يسجن فالسجن إكراه، وربما يقتل والقتل إكراه، ربما يعذب، وربما كذلك بسبب الحاجات لأن الحاجات إذا عمت أنزلت منزلة الضرورات، فحال الطائفة الثانية الذي أعتقد على العموم من غير نظرٍ لكل أحدٍ في حاله ينبغي أن يحقق في أن الطائف الثالثة كالطائفة الثانية من الأعذار، **(إلا من رضي وتاب)** كما في الحديث.

أما من أنكر بقلبه وأُجبر على المتابعة بجسده من باب الإكراه والضرورة فهذا معذورٌ عند الله عز وجل أو ذهب لجهله بحاله كما جهل أبا طفيل عامر بن واثلة الليثي حال المختار الثقفي؛ فإن هؤلاء يُعذرون عند الله عز وجل، ونحن نحب الإعذار في هذا الباب، نسأل الله عز وجل أن يُفرج عن المسلمين. وفي هذا الحال ننبه إلى هذه الجريمة الكبرى التي يمارسها المشايخ ويمارسها إعلام الطواغيت الذين هم سحرة فرعون يفسدون دين الناس ويلبسون عليهم الحقائق، يلبسون الزور لباس الحب ويصفقون ورأينا مناظر هي من الكفر بمكان، لا يجوز لنا أن نسكت عنها ولو أدى هذا إلى ما أدى إليه من الفتنة، هذا الشر الذي رأيناه أن الناس يسجدون لصورة هذا المجرم أو بعضهم يطوف حولها كما تطوف الكلاب، فهذا من الشرك الكبير، هذا شرك كما الشرك الأكبر، رأينا صورًا من الطاغوتية التي يأنف منها الناس خلقًا فكيف بالدين، رأينا أناس يسجدون لصورة هذا الصنم الفارغ الجاهل الذي نعجب أن يوجد من يقول عنه أن له في رأسه ذرة عقل أو إدراك أو حكمة!! ولذلك إنا لله وإنا إليه راجعون، أن يصل الناس إلى هذه الحالة.

ولكن أنا أقول وعلى يقين: بأن هذه كلها مقدمات البلاء، وأن الرجل قد وصلت طاغوتيته إلى هذه الدرجة، أن يقول: أنا ربكم الأعلى، ويسجد له الناس هذا السجود ويطوفون على صورته كما يطوف الناس حول الكعبة وهم الكلاب فقط، أنا أمثل فقط من أجل أن أبيّن هذا لمقدار الإجرام وإلا فهذه صورة مقيتة من القبح والشر؛ فهذا مؤذن بهلاك فرعون ودماره، متى يكون؟ عسى يكون قريبًا، ولا تغتروا، هؤلاء الطواغيت هم الذين يغترون ينسون أمر الله عز وجل، وترتفع درجات حمقهم إلى درجةٍ إذا أُخذوا كان في ذلك الهلاك الشديد كما رأينا في مبارك، كما رأينا في القذافي، كما رأينا في بن عليّ، هؤلاء كانوا في عزهم وهيلمانهم وفي سلطانهم ثم أخذهم الله عز وجل كالكلاب، أخذهم كالصراصير من جحورهم، وهذا هو مستقبل كل طاغوت وسيكون هذا قريبًا، سنرى تداعيات ثورة الأمة في مصر قريبًا بإذن الله عز وجل بأن يذبح هؤلاء وأن ينتقم الناس المظلومين، ينتقم المظلومون من هؤلاء الظلمة وأن ينتصفوا منهم، هذا قريب بإذن الله، لا تيأسوا، هذه كلها مقدمات لفرز الناس، حتى يقع الفرز.

أنتم تعلمون كيف يكذب الناس عند حصول بعض التغيرات، لكن الآن الناس يعرفون بعضهم البعض، وبالتالي؛ أيها الأخ لا تيأس، والله يا أيها الإخوة الأحبة: والله إني على يقين وكأني أرى النصر قريب، يا أيها الإخوة، أنا أعجب أن يقع اليأس في قلب الموحد، أنا جيلي لم يمر بما مر به أهل الإسلام من بلاء في وقت من الأوقات، والله في بعض البلاد كان الشيوعيون يعلقون صورة لينين على أبواب المساجد! والله كانوا يدخلون المساجد في وقت صلاة الجمعة ويمنعون الخطيب من أن يتكلم عن التوحيد، إلا أن يمدح عبد الناصر، ويمدح العلمانيين، ويمدح الشيوعيين، ويمدح لينين، وهكذا، إلى هذه الدرجة!! وكان أهل الإسلام في كثير من البلاد يعانون كما يعاني المسلمون في بورما، كما يعاني المسلمون في التركستان، تجدهم في معاناة شديدة.

وبعد ذلك الحمد لله تغير الناس وصاروا على دينٍ أفضل من الدين الأول وعلى علمٍ أفضل من الأول، ويعرفون طواغيتهم، وبدأ المشروع الكفري يتهاوى. دعوني استغل هذه النقطة –لأن هذه نقطة مهمة– البعض يظن أن المشروع العلماني نجح؛ لأنهم يرون أن المشروع الإسلامي لم يحقق إلى الآن مقاصده الكلية في قضية إقامة حكم الله في الأرض، المشروع الإيماني لم ينجح، المشروع اليهودي فشل، صح نحن إلى الآن لم نزل مشروع، لكن المشاريع العلمانية لتغيير الأمة وتغريبها والقضاء على دينها في الحقيقة لم ينجح، اللغة العربية التي كانت إحدى مقاصد الكفر في إزالتها، اللغة العربية التي حوربت على المستوى السياسي، على المستوى العسكري،

على المستوى التعليمي، على المستوى الإعلامي، وغيبت وحوربت محاربة ليخرج الناس من لغتهم؛ اللغة العربية انتصرت، والمساجد التي أرادوا أن يجعلوها بلا دين؛ المساجد انتصرت، المتدينون الذين أرادوا منهم التغريب؛ الدين هو الذي انتصر والتغريب ذهب.

فمن الذي يستطيع أن يخرج على الأمة ويتكلم عن محبة الغرب وعن ثقافته؟ من الذي يستطيع أن يقول: إن ثقافة الغرب هي ثقافة صحيحة وأن الإسلام غير صحيح؟ تجدونه في بعض البلاد كالكلاب الضالة أو كما يسمى في كتب الروافض الكلاب الممطورة، هذا لفظ مرة سُئلت عنه فلم أعرف جوابه حتى تأملت معناه الكلاب الممطورة، أي التي طردت، التي ليس لها أصحاب، ليست مُرعى، إنما هي مطرودة حتى أنها تجلس تحت المطر، ممطورة، فهؤلاء كلاب ممطورة، لا يحبهم أحد ولا يستمع لهم أحد والناس ينبذونهم ويحتقرونهم، ولا يغرنك الناس يسكتون لا يتكلمون، عندما يخرج الخطيب ويكذب الناس يعرفون، الناس يعرفون الخطيب الكاذب من الخطيب الصادق، لكن الناس يسكتون لأن الناس لهم مقادير في تقدير أين يضعون أرجلهم القادمة، الناس أذكياء، الحس الجماعي ليس غبيًا لا يموت.

هذا الدين قوي في الأمة، وفيه فاعلية السحر الذي يُفاجئ أعتى العتاة، ويفاجئ بقوته من يأس من التغيير، وبالتالي؛ لا تظن أن المشروع العلماني قد نجح، لا في اللغة نجح، ولا في التغريب نجح، ولا في فقد هوية الأمة نجح، من هم الآن أتباع هؤلاء؟ هم المرتزقة، كم إعلامي منافق الذين يشترونهم بالأموال؟ لكن لا يوجد واحدٌ مُستعد أن يدفع ساعة واحدة من عمره بلا ثمن في أداء مهمةٍ للتغريب أو مهمةٍ لأهل الغرب أو مهمةٍ للجاهلية، لا يوجد، سيرحلون هؤلاء، إن لم يرحلوا فلهم قبور عندنا، ستسعهم القبور إن شاء الله.

وحتى المشروع الصهيوني في إقامة دولة إسرائيل لم ينجح، لا تظن إياك، أفهم ما هو مقصد المشروع الصهيوني في فلسطين؟ هو إقامة دولةٍ يهودية على هذه البقعة، فلسطين لا تعادل لبنان مساحةً وهي أصغر من سيناء التي تخلى عنها اليهود، اليهود لم يستطيعوا أن يحكموا غزة فتخلوا عنها، من تخلى عنها؟ كبار المجرمين، ليس العلماني، ولكن المجرم شارون تخلى عنها، فهو صهيوني إلى النخاع، ومع هذا تخلى عن غزة، ولم يستطع أن يحكمها، وبالتالي فالمشروع اليهودي إلى الآن لم ينجح، نعم لم نقضِ عليه، لم نزله، ولكنه لم ينجح.

فلذلك الذين يظنون أن الطواغيت خلاص انتصروا وأن الثورة توقفت وأن الربيع العربي تحول إلى خريف وأنه

باد وانتهى، هذا من حكمة الله عز وجل، وأنا أنبهكم إلى هذه الحكمة -وقد تكلمت عنها في موطنٍ آخر، لكن لا بأس أن أنبه عنها- تأمل كيف يقع النصر، النصر يسري مسيرةً معينة يقع فيه المطبات، والحياة النبوية تمثل المسيرة التي هي مظهر صراع الحق مع الباطل، النبي صلى الله عليه وسلم انتصر في بدر، هُزموا في أحد، انتبه! لا يمشي الحق مسيرةً واحدة؛ لأنه كما قال ابن القيم رحمه الله في «زاد المعاد»: «لو أن الحق انتصر في كل موطن لكان لذلك فتنة للناس»، والله يريد أن يفتن الناس؛ ليعلم من يتبع الحق في كونه الحق أم يتبع الحق في كونه نافع ويؤدي إلى الوصول إلى المصالح، هناك كثير من الأحزاب التحق بها كبار القوم والمترفون؛ لأنها تحقق مقاصده من خلال ارتفاعها وعلوها، لكن لما وقع البلاء كانوا كالفئران من أول الهاربين من السفينة.

انتبه! فبقي الحق على هذا الصراع فجاءت الأحزاب، وهكذا جاءت المعارك، وفي لحظةٍ من اللحظات ظن المسلمون أنه توقف الإسلام صراعًا مع الجاهلية مع قريش، وذلك في صلح الحديبية، والحقيقة أن هذا الصلح الذي أعطى هذا التراخي من الصراع الذي تفرغ فيه النبي صلى الله عليه وسلم لدعوة إلى الله عز وجل وإرسال الرسل إلى كبار الحكام في العالم، إلى قيصر وكسرى والمقوقس، ظن المسلمون أن هذا توقيف للصراع، أنه انتهى، ومع ذلك كانت هذه النقطة هي النقطة الحاسمة.

وهذا الذي أنبه عليه أن هذا الركود الذي نراه الآن في بعض الأماكن البعض يظنه أنه خلاص تراجع انتهى الموضوع، هي النقطة الحاسمة للانطلاق، انتبه! أنت الآن حضر نفسك أنا أقول لك: والله -وإنا سأتحدى العالم بهذا الكلام- الأمة تعيش لحظة الكمون الذي سيؤدي إلى القفز، لتكون المواجهات العظمى على مستويات كُبرى وليس مستويات دولة وليس مستويات مدينة، مستويات عالمية كُبرى تشغل المنطقة لتحقق وعد الله عز وجل بدخول بيت المقدس والقضاء على اليهود، ولا يمكن القضاء على اليهود حتى نمر بالقضاء على الطواغيت وبالقضاء على وسائل الشر التي تحميهم، وحبل الناس الذي يمدهم بالدم والقوة والمنعة.

فلذلك عليكم أن لا تيأسوا، هذا الذي ترونه هذا البهرج الباطل، هذا مر كثيرًا؛ ولكنه انتهى إلى الزوال، وما زال الإسلام يتقدم، تراجع الجماعات هذا من أجل أن يعلم الناس أن الله عز وجل هو الذي ينصر الدين وليست الجماعات، الجماعات لا تنصر الدين، الجماعات كلهم هربوا، كل الجماعات في التاريخ الإسلامي الناس هربوا وانطلقوا إلى الهجرة والخوف والبحث عن السلام والأمان، ثم انتفض الإسلام في بلاد المسلمين

بأناس وأقوام جدد وعوامل جديدة وتأثيرات جديدة، الجماعات الإسلامية السياسية كلها أين هي؟ انهارت، انتهت، الجماعات الجهادية تحافظ على مشروعها وهذا من أعظم الجهاد، ولكن ليحصل التغير الكبير في منطقتنا لتتحقق النبوءات الإلهية بالفتح والنصر والتمكين هذا قريب.

لا تسألني كيف؟ سر القدر ألا يُسأل كيف، الله عزو جل نكر يُسرى لا ليكون يسراني فقط، ولكن لتجهل مصدره، قال تعالى: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦)﴾ [الشرح: ٦]، العسر تعرفه فلذلك عرف، أما اليسر فنكر، نكر لماذا؟ لكثرته فقط كما يفسره الكثيرون وقد أصابوا، إنما نكر اليسر لأنك لا تعرف من أين يأتي؟ من أين يأتي اليسر؟ هو يسر، ما هو نوعه؟ ما هو مصدره؟ كيف يأتي؟ ومتى يأتي؟ كل هذه جهالات تؤدي إلى تنكيره ومع ذلك هو سيقضي على العسر وسيكون أقوى، لا تسألني كيف؟ فالكيف هذا لو كان الأنبياء يعلمونه لأخبروا الناس به، قال تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٩)﴾ [الأحقاف: ٩]، عليك أن تبقى محافظًا على إيمانك وإسلامك وثقتك بالدين، عليك أن تبقى على هذا السبيل حتى تلقى الله عز وجل، وأن تعض على هذا الدين من أجل أن يرضى عنك الله عز وجل ليباهي بك الملائكة.

لا يغرنك هذا الذي يفعله الطواغيت ومن معهم، هذا كله خداع وكذب، رضا بهلوي قبل شهور خرجت المظاهرات وعمل الاحتفالات الكبرى من أجل ذكرى كورش وذكرى فارس الفرس، وبعد ذلك لم يجد له مأوى، لم يجد له قبرًا يموت فيه، قصوره لم تسعه، والبلاد وعملائه وأسياده لم يستقبلوه، مات طريدًا، احذر، معركة هؤلاء المجرمين مع الله عز وجل، أنت ما دورك؟ دورك أن تتقي الله عز وجل، وأن تدعو الله عز وجل أن يستخدمك، ولكن معركتهم مع الله عز وجل من الذي سينتصر؟ أنت تعلم، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ (٥١)﴾ [غافر: ٥١]، هذا وعدٌ من الله عز وجل.

بارك الله فيكم وجزاكم الله خيرًا الحمد لله رب العالمين.

٣٩١- رسالة إلى الإخوة التركستانيين

ضمن الجلسة الثانية والثلاثون، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٧/١١هـ الموافق لـ: ٢٠١٨/٠٣/٢٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

هناك سؤال من التركستانيين المهاجرين يقول الأخ: بعد السلام -وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته- هناك الكثير من شباب التركستان الذين قد هاجروا من تركستان الشرقية رغم صعوبة الخروج من هناك والآن هم جالسون في تركيا وبعض الدعاة الذين يعيشون هناك في تركيا يقولون: أن المشاركة في المظاهرات ضد الصين من أوجب الواجبات وليس الجهاد، فهل هذا القول صحيح؟ وهل يأثم الشباب الذين يختارون المظاهرات بدلاً من الالتحاق بركب الجهاد الذي في الشام والتي لا تبعد عنهم إلا ساعاتٍ قليلة؟

جواب الشيخ: هذا السؤال يحتاج إلى شيءٍ من التفصيل بأجزائه المتعددة.

أولاً: بلا شك أن المظاهرات جائزة وهي من باب الإنكار الجماعي، وقد كتبت في ذلك رسالة يستطيع الإخوة أن يراجعوها وأظن أنها منشورة في مواقع التواصل، فأن يخرج الناس جماعات من أجل أن يغيروا المنكر الكبير العام الشامل للأمة؛ فهذا شيءٌ حسن، بل قد يكون واجبًا إن تعين إزالة هذا المنكر بهذه الطريقة، وهي إحدى أعمال الإنكار التي تؤدي إلى تغيير هذا المنكر في مجتمعات محكوم هذا المنكر بالسلطان ومفروض من قبل الطغاة، ولذلك الذين ينهون عن المظاهرات جملة لهم توجهات غير صحيحة:

التوجه الأول: موجود عند البعض بأن أعمال الدعوة يجب أن تكون منصوصة كليةً وجزئية، تأصيلاً وتفصيلاً، وهذا القول فاسد، ولا يشهد له شيءٌ من الأدلة التي يُحتج بها في مثل هذه المسائل المختلف فيها، لا يوجد دليل ينص على أن وسائل الدعوة إلى الله عز وجل يجب أن تكون موقوفة على النص، إنما هي من الأبواب التي يستحدث فيها الناس الوسائل الكثيرة كالرسالة، أن يرسل رسالة، أو أن يصرخ مثلاً في اللص لو أن رجلاً سطا على بيته لص؛ فيدفعه بالصراخ ويدفعه بالعصا ويدفعه بما يلاءم الدفع، وقد توجد من الأسلحة والوسائل ما يبدعها الناس في إزالة هذا المنكر، فالذين يقيدون إزالة المنكر بوسائل منصوص عليها هؤلاء محجوجون بالأدلة العامة التي استخدمها السلف كثيرًا في طرق التغيير والتبديل.

فلذلك الناس ربما يخرجون للحاكم أو يخرجون للفاسد وقد يستمرئ هذا الفاسد هذا الفساد ولا يُقدر على إزالة فساده إلا من خلال الجماعة، من خلال التجمع، من خلال الكثرة، ويدفعون عنهم هذا الشر بهذه الطريقة، وقد وجد في التاريخ الإسلامي -وذكرت في الرسالة- وجد في التاريخ الإسلامي الإنكار الجماعي، المظاهرات تدخل في هذا الباب من أبواب في الشريعة، طبعًا هناك من يمنع هذه الوسيلة بحجة أنها هي قيام على الحاكم وتغيير له ولم يكفر، بغض النظر عن توصيف الحاكم هذا حتى لو اختلف الناس فيه هل هو كافر يجب تغييره والقيام عليه حتى يستبدل؟ أم أنه فاسد يُدفع فساده؟ فهذا الإنكار من التغيير الجماعي، لا، لا يتعين فيه إزالة الحاكم إزالةً كلية، والناس يقدرون في خروجهم وهتافاتهم ومطالبهم يقدرون هذه الأمور ويعرفها أهل الصِنعة وأهل السياسة وأهل البصر في مثل هذه الأعمال، فربما يطالبون بإسقاط الحاكم إذا ثبت شرعًا أنه يجب أن يسقط، وربما يقدمون مطالب جزئية لهم من أجل تغييرٍ ما، كانتشار الخمر؛ يريدون إيقاف بيعه، كسرقة أموال الأمة؛ يريدون إيقاف سرقتها، كتغييب الأمة عن الشورى؛ فيطالبون بتفعيل الشورى، ومثل هذه القضايا التي تتعلق بمجموع الأمة وليس بمطالب الشخصية الذاتية من دفع الظلم الذي يقع على الآحاد من الناس في هذه الأمة.

فالذين يقولون: بأن هذا من الخارجية أي الخروج على الحكام بالتغيير ولم يستحقوا التغيير تجاوزًا عن أن هذا التوصيف قد لا يصيب مرادهم، بل الصواب أن هؤلاء يجب الخروج عليهم ويكونوا قد غيروا الشريعة وبدلوا الدين ووالوا الكافرين ونشر الفساد؛ حتى صار الفساد جزءًا عضويًا من حياتهم وحركتهم ولا يتم تغييره إلا بتغييرهم؛ لأن المرء قد يصبح فيه الفساد متعلق بشخصه ولا يقع إزالة الفساد إلا بإزالته هُوْ، فالقول: بأن هذا من الخارجية؛ هذا قولٌ باطل، والناس يقدرون المواقف، وكذلك أصحاب السياسة يعرفون، وتجارب الأمم في هذا الباب كثيرة، الناس يفرقون في مظاهراتهم ما طلب هذه المظاهرات، ما هو؟ هل هو الإزالة؟ هل هو الإسقاط؟ هل هو التغيير والتبديل والإصلاح؟ فدعوى أن هذا التغيير خارجي هذا باطل، هذا غير صحيح.

وهنا نقطة: تغيير آحاد الأمة المنكر بغير إذن الإمام جائز إذا قصر فيه الإمام، وإنما الإمام يمنع أن تتدخل آحاد الأمة في التغيير إذا كان في هذا التغيير افتئاتٌ عليه وهو قائمٌ به القيام الواجب، فإذا لم يقع التغيير وكان هذا الحاكم مقصرًا؛ فعلى الأمة أن تغيره، وهذا واجبٌ عليها وإنما الأمة أسندت للحاكم عهدة القيام بمهمات أعمال الأمة، فإذا قصر الحاكم عاد الحق إلى الأمة، قال تعالى: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾

[المائدة: ٤٧]، وقال صلى الله عليه وسلم: **(من رأى منكم منكرًا فليغيره)**، هذه هي القواعد الشرعية، ولا تلتفتوا إلى الملبسين في هذا الباب والذين شأنهم هو الترقيع للطواغيت وللفساد، ولتجذيره في الأمة تحت دعوى أن هذا يؤدي الفساد الأعظم.

النقطة الثانية التي يحتجون بها: أن هذه تؤدي إلى مفاسد أكبر، هذا لا بد أن يعرفه الحكماء، ونحن نعرف أن المفاسد المتعلقة بالأمة هي أشد من المفاسد المتعلقة بالشخص الواحد، والله عز وجل لا يُعذب أمةً بفعل رجلٍ يفعل الفاحشة مثلاً: يزني أو يلوط أو يشرب الخمر، وإنما تُعذب الأمة حين ينتشر فيها الفساد؛ فيصبح سمة عامة ويكون الأشد ظلمًا وأكثر عرضة للهلاك حين يؤسس تشريعًا هذا الفساد في داخل الأمة، كإباحة الخمر وإباحة الربا وإباحة الزنا والعلاقات المحرمة أو التصرفات المحرمة تُشرع في داخل الأمة، فحينئذٍ تصبح هلكتها كهلكة قوم لوط؛ لأنها هي شرعت الفساد، ﴿مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ (٧٩)﴾ [هود: ٧٩]، أي لنا الحق في هذا، صار شِرعةً في داخل قوم لوط، فهذا هو أكبر الإجرام والقول على الله عز وجل بغير علم، وهو من الحكم بغير ما أنزل الله الذي معناه الكفر الكلي والأكبر الذي يُخرِج من الملة.

فالذين يقولون: بأن هذه المظاهرات تؤدي إلى مفاسد أعظم، ربما يقصدون مفاسد الدنيا التي تقع عليهم، مثلاً: من مفاسد إغلاق محلاتهم أو مفاسد فقرهم أو جوعهم ولا يهتموا إلى أعظم المفاسد ومنها محاربة الله عز وجل، كإباحة الربا وإنشاء البنوك أو انتشار الدعارة أو ما شابه ذلك في بلد من البلاد؛ فهؤلاء لا يقدرون مصالح الشرع، ولا يوازنون في المصالح والمفاسد بميزان الشرع، وإنما يزنون بميزان الهوى الدنيوي، ولذلك ترون هذا النوع وهذا الصنف من الناس يقبلون الواقع على كل ما فيه من شر؛ مخافة ما يقال له: القتل في سبيل الله ودمار البيوت أو هلكت المؤسسات المالية والنعم الدنيوية؛ فينشطون إلى الدفاع عن الطواغيت تحت التخويف من الفتنة، والله عز وجل يقول: ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ [التوبة: ٤٩]، والفتنة هي الشرك والكفر.

فلذلك ما يقولونه؛ ليس له اعتبار في الشريعة، ومن أعظم الأجر أن يقوم الناس فينكرون على حاكمهم؛ فيقتلهم؛ فيكونون بمنزلة سيد الشهداء حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم رضي الله عنه، فهنيئًا لهم إذا وقع هذا. وهذه المقدمة حتى لا يُفهم الأمر على غير وجهه ويُظن حين نتكلم عن واقعة معينة أو عن تقديرات معينة، أننا نلغي الأصل.

النقطة الثالثة في هذا الباب: وهي أنهم يظنون بأن هذه الحركات الداعية لإنكار المنكر ليس لها تأثير على أرض الواقع، وهذا غير صحيح، تاريخ الأمم يشهد أن إنكار المنكر الجماعي أو ما يسمونه إذا وصل إلى حد العصيانين بالعصيان المدني أنه من أعظم الأعمال التي تؤدي إلى إسقاط الطواغيت، وفي ذلك سنة جارية صارت مفهومة في العمل السياسي ولم تعد سرًا يجهله أحد إلا هؤلاء الجهلة من المسلمين الذين يستمرؤون الذل والهوان، وإلا فالإنكار الجماعي والعصيان المدني وهو أقصى درجات الإنكار والذي فيه معنى الهجر، هذا من أعظم الأعمال التي تغير وتبدل، وقد يرتقي هذا العمل إلى ما هو أجل منه وهو الجهاد في سبيل الله، باعتباره كما سماه النبي صلى الله عليه وسلم: **(ذروة سنام الإسلام)**، قد يكون هذا في الإنكار الجماعي وفي العصيان المدني مقدمات لتغيير المادي، وهو أعظمه وأجله وأكرمه وأحبه عند الله عز وجل، ولكن ينبغي للناس أن يرتقوا فيه قدرًا ويرتقوا فيه شرعًا؛ ليروا أن هل هذا يغير أو لا يغير؟ فإذا كان لا يغير يرتقوا إلى الأعلى من الإنكار الجماعي إلى العصيان المدني إلى المواجهة المسلحة.

فالدعوة بأن هذا الإنكار الجماعي لا يغير، هذا كذب على الواقع، فتاريخ الثورات وتاريخ الحياة والبشرية والجماعات يدل على أنها تغير وتبدل، لكن لها سنن تجري بها، فإما أن يدخل فيها عوامل محبطة، وإما أن يدخل فيها عوامل مقوية تؤدي إلى النتائج المطلوبة. والآن نذهب إلى السؤال خصوصًا، لا ينبغي للناس أن يضعوا هذا مقابل هذا مع إمكانية الجمع، فبعض الناس يحب المصادمة بين الأمور مع إمكانية الجمع، فالذي ندعوه إذا كان عند هؤلاء القدرة على الخروج في مظاهرات ونشر قضية التركستانيين، وهنا أنا أنبه بوقتٍ قصير بأن من أعظم القضايا المؤلمة التي تعيشها أمتنا ولا ينتبه لها الكثيرون هو ما عاشه المسلمون التركستانيون في الصين وفي روسيا، وخاصةً في الصين، أنتم تعلمون أن الصينيين يجمعهم شران:

الشر الأول: عرق التكبر والغرور والسيطرة.

والشر الثاني: هو الشيوعية.

وهذان الشران لا يوجد في التاريخ البشري أعظم منهما إجرامًا إذا اجتمعا، التكبر والغرور والرفعة عن الخلق واعتقاد الأفضلية في البشرية هو الذي أدى إلى إفناء الهنود الحمر في أمريكا، وهو الذي أدى إلى إفناء الأوروبيين لشعوب متعددة، مثلاً: في استراليا، فهذا الغرور واعتقاد الأفضلية ونسيان ما قاله الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ

﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ [الحجرات: ١٣]، هذا شعورٌ مدمر وقاتل ويؤدي إلى الظلم والفساد، وهذا الذي يقع في التاريخ. ولا يقولن أحد: هذا الذي يعطيه الإسلام من قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، هنا العزة لا تعود إلى الجنس، العزة تعود إلى القيم، الناس يعرفون من اعتقاد أنهم الحق، أي أهل الإسلام يعتقدون أنهم الحق في موضوع القيم وموضوع العقيدة وموضوع الشريعة التي هم عليها، لكن هذا لا يعني أنهم يظنون أن لهم الحق بأن يسيئوا للناس باعتبار جنسهم حتى لو دخلوا في الدين، ولذلك في تاريخ البشرية لا يوجد مثيل لتاريخ هذه الأمة؛ أنها دخلت البلاد وفتحتها فأسلم أهلها؛ فصار هؤلاء المسلمون أئمة لهؤلاء الدعاة، ولذلك حملوا الإسلام، وعامة من حملوا الإسلام في القرآن والسنة واللغة هم من العجم الذين أسلموا، ثم تخلى العرب حتى عن القيادة السياسية، في وقت متقدم في الدولة العباسية حكم المسلمون الفرس بلاد المسلمين وزارةً وقيادةً عسكرية وقادة وجنود.

فلذلك التنبيه بأن الصينيين فيهم اعتقاد الأفضلية، وهذا شرٌ منتشر في البشرية، وهو اعتقاد الأفضلية، في كل البشر يعتقدون أنهم هم الأفضل، بغض النظر عن تقلب قيمهم وعدم ثباتها، أي يبقون هم الأفضل حتى لو تغيرت عقائدهم؛ لأنهم يعتبرون أنفسهم هم الجنس الأفضل، وهذا كما قلت: مرض البشر ومرض الفراق ومرض الطوائف ومرض الشعوب، والصينيون فيهم هذا المعنى، وأذّكر هنا بنقطة مهمة جدًا: هذا الشعور هو الذي سيخرج من الصينيين يأجوج ومأجوج، هذا الشعور من الغرور والسيطرة على العالم هو الذي سيخرج الصينيين إلى غزو العالم واحتلاله والسيطرة عليه، ولا شك أن الصينيين هم يأجوج ومأجوج وهذا لا ينبغي لمسلم أن يشك فيه؛ فإن الأوصاف هي الأوصاف والحال هو الحال والكثرة التي حدث عنها النبي صلى الله عليه وسلم لها مقدماتها في هذا الشر.

الجريمة الثانية التي تبناها الصينيون فصنعت منهم وحوشًا ضد المسلمين وهي: تبني الاشتراكية أو الشيوعية، وفي التاريخ لا يوجد أمة ذبحت المسلمين كما ذبحها الشيوعيون، سواء كان في الاتحاد السوفيتي في قتله للمسلمين وإجلائهم عن أراضيهم وحملهم إلى موسكو وسيبيريا وقتلهم وذبحهم هناك، وبناء المؤسسات الصناعية الكبرى في سيبيريا على يد هؤلاء المهجرين المساكين، مع أن الكلب لينين في مؤتمر ما قبل نصرة ثورته، أي قبل سنة «١٩١٧ م»، وعد المسلمين بحق تقرير المصير إذا انتصر على القياصر، ولكنه كعادة الشيوعيين

يكذبون، ويكذبون، ويكذبون، كما هو مبدأ غوبلز.

فالتركستانيون عانوا من الحكم الشيوعي، بداع صداماتهم الطويلة والتاريخية مع الصينيين كعشائر وقبائل، عانوا منهم الذبح والقتل والإفناء والعالم صامت، وللأسف كان العالم العربي الإسلامي محكومًا بالرؤية القومية من حكام قوميين، بل كان هؤلاء الحكام يناصرون هؤلاء الطغاة على حساب بلاد المسلمين، فجمال عبد الناصر زعيم القومية العربية كان مناصرًا لمكاريوس في قبرص ضد المسلمين ولم يناصر المسلمين، وكان مناصرًا كذلك للصين التي تذبح المسلمين، وهكذا كان يناصر الرؤساء الذين يذبحون المسلمين ويقتلونهم، ولذلك الاهتمام الإسلامي بهذه البقعة المباركة التي يعيش فيها مسلمون مجاهدون ويعيش فيها مسلمون مساكين يعيشون البلاء الاهتمام بهم قليل جدًا، ولا يتحدث عنهم أحد، والمسلمون في تركستان مقابل الجموع الصينية المتعددة، هم من قبائل متعددة ولكن يجمعهم شيء واحد هو أنهم صينيون، فبالنسبة إليهم أقلية، وأنا أنصح بقراءتي كلام الأستاذ السوري في التاريخ الإسلامي محمود شاكر في تاريخ هذه البقعة المباركة من بلاد الإسلام، لن نكون مسلمين حقيقيين حتى نهتم بأمر المسلمين باعتبارهم إخوتنا وباعتبار أن ألمهم هو ألمنا، وأن مصيبتهم هي مصيبتنا.

واليوم يعيش المسلمون هناك حياة الضنك، فيُقتل المسلم هناك ويسجن ويطارد ويحكم عليه بسنين طويلة في السجون، والسجون هناك هي سجون سخرة، يأخذونهم يسخرونهم بالأعمال القاسية في بناء دولتهم لمجرد أنه يصلي أو لأنه يصلي أمام أبنائه أو لأنه يصوم، يمنع هناك الصوم، وتمنع هناك الصلاة، الصلاة ممنوعة هناك، والناس لا يتحدثون ويسكتون عنهم سكوت القبور!!

فالقصد: أن يقوم التركستانيين في تركيا وفي غير تركيا بنشر قضيتهم؛ هذا واجب يجب أن يهتموا به وأن يعدوا أنفسهم له، وأن ينشر هذه القضية لتصبح قضية عالمية، وقضية إسلامية نهتم بها، ولكن أنتم تعرفون أن الشعوب مع علمها بما يجري فإنها ميتة في استجابة لنصرة المسلمين، ونحن نرى مسلمين الروهنجا وما يحدث بهم في بورما، والمقاتل والمجازر التي تقع عليهم، ومع ذلك لا يوجد من يهتم لهم هذا الاهتمام، فالدول العربية الإسلامية التي هي مركز الإسلام مهتمة بقتل الإسلام! مهتمة بمحاربة المسلمين! تدفع الأموال من أجل إرضاء الكفار! وتتخلى عن قضيةٍ عظيمة يُجمع عليها أهل الإسلام، والقضية الفلسطينية يريدون بيعها كما يزعمون فيما يسمى بصفقة القرن، صفقات جاريد كوشنر زوج إيفانكا، وهذه إيفانكا زوجة الإيفانكيين، الإيفانكيين

العرب هي ربهم وإلههم وسيدهم، فالحال مؤلم، ولكن لا ينبغي أن نسكت عن بيان واقع هذه البقعة الإسلامية الشريفة المباركة.

فلذلك لا ينبغي أن نجعل هذا يصادم مشاركة المسلمين ما يحضرهم من جهاد، المسلم كالماء نافعٌ أينما حل، كالهواء يحتاجه كل أحد، فالمسلم نعم ربما لا يجد مكانًا في بلده ليجاهد، فيهاجر ليجاهد، ﴿هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا﴾ [البقرة: ٢١٨]، فيهاجرون من أجل إقامة دينهم، هربًا بدينهم لئلا يفتنوا إن استطاعوا ما قدروا على ذلك سبيلاً، ثم إذا حضرهم الجهاد في البلاد التي هم فيها؛ جاهدوا، فهذا الذي هو الأمر الجامع.

لكن أن يقول: أحد بأن الانشغال فقط بمجرد المظاهرات يسقط وجوب مناصرة المسلمين في بلاد الشام في جهادهم ضد الطواغيت، سواء كان الطاغية النُصيري أو الطاغية الروسي أو الطاغية الزنديق الرافضي، فهذا غلط، ينبغي على المسلمين إذا حضرهم الخير أن يقوموا له أينما كانوا، لا يختص هذا بما هم فيه من قربهم من تركيا لبلاد الشام، ولكن في كل مكان يحلوا فيه يجب أن يعيشوا حياة المسلمين وآلامهم وأعمالهم التي ترفع شأنهم عند الله عز وجل، والأخبار على أن الكثير من الإخوة هذا شأنهم في هذا، وهم ينتصرون للمسلمين وأخبارهم طيبة، نسأل الله عز وجل أن يفتح عليهم وأن يفرج عنهم وأن ينصرهم وأن يبارك فيهم وأن يعيدهم مجاهدين إلى بلادهم فاتحين لها والله عز وجل خير مسؤول.

بارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٣٩٢- كلمة يسيرة عن علي عزت بيغوفيتش

ضمن الجلسة الثانية والثلاثون، بتاريخ: (**١١/٠٧/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٢٨/٠٣/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: شيخنا الحبيب ما هو رأيك بالرئيس البوسناوي علي عزت بيغوفيتش رحمه الله؟ وهل قتاله للصرب يدخل ضمن الجهاد دفعًا عن الدين أم الديموقراطية؟ وهل أردوغان يسعى لأسلمة النظام التركي العلماني على طريقة علي عزت؟ بارك الله فيك شيخنا الفاضل.

جواب الشيخ: موضوع الأستاذ علي عزت بيغوفيتش، وكنت أحب أن يؤجل وسأؤجله في الحقيقة للأخ السائل، أقول: سأؤجله لأني سأناقش كتابه «بين الشرق والغرب»، سأناقشه ضمن مشروع «ألف كتاب قبل الممات»، وهو موضوع على الطاولة وجزى الله خيرًا من أهدانا إياه، ولكن كنت أحب أن أناقش كتابًا آخر؛ لأن هذا الكتاب فيه زحمة شديدة، حوله زحام شديد في مناقشته والكلام عليه والمرء يحب أن يطرق أماكن أخرى غير ما طرقت سابقًا من قبل بعضهم.

والكلام على الأشخاص مشكلة، لأنه كلام عن الأحوال المختلفة والمتضادة، وكلام عن الظرف وقيمة المرء باعتبار ظرفه، هنا فقد أنبه حتى تنتبهوا؛ أهل الحديث كما ذكر الإمام السخاوي في شرحه للألفية «فتح المغيث بشرح ألفية الحديث»، وهذا يعرفه طلبة العلم، ذكره كذلك الإمام بن رجب في شرحه على علل الترمذي -ما أجمل علم الحديث، لو الواحد اشتغل به فقط دون أن يدخل في هذه المصائب لارتاح، وكان صار الحديث عن الأموات، فلا يجد المرء مشقة ولا تعبًا في الحديث عنهم، ولكن الحديث عن الأحياء هو المشكلة، لكن لا بد من تطبيق قواعد العلماء- مما ذكروه -أعود إلى النقطة- مما ذكروه بأنه ينبغي النظر إلى كلام المجرح والمعدل، صاحب الصِنعة إلى كلامه عندما يجرح ويعدل أيقوله على جهة الأطلاق؟ أم يقوله على جهة النسبة؟ ما معنى النسبة هنا؟ النسبة منع أن ينظر إليه بمقارنة بغيره، أي قد يقال: فلان ضعيف، ولا يقصد به الضعف المطلق، ولكن يقصد به أنه ضعيف مقابل فلان، وهو قرين له في أخذه عن هذا الشيخ، فهذا أقوى من هذا، أي أضعف منه، ضعيف أمامه، فإذا اختلفا قدم هذا وأُخر هذا؛ لأن هذا أقوى منه، وليس هو حكمٌ مطلقٌ عليه، هذه هي النسبية.

وهذا يعلم طلبة العلم النسبية في الكلام على الرجال، وأن نعرف أحوالهم، وأن نعرف ظروفهم، أن نعرف مقاماتهم، يحزنني هذا الحقد الأسود في قلوب البعض على رجالٍ عاشوا محنًا لم يعرفوها، فيأتيني شاب يعيش في قرية نائية في الجزيرة العربية، كل الناس يصلون، كل الناس على عقيدة واحدة، فيتحدث عن بلد عاش أهله المصائب والتغريب والحرب على اسم الإسلام، فهو لا يرضى بأن يُعذر الرجل في قريته ولا في بلده، ويسحب هذا عدم الإعذار على بقية بلاد المسلمين وأحوالهم.

ولذلك أنا حزنت جدًا لما رأيت تعليقات البعض لما تكلمت عن الملاكم محمد علي كلاي، وتكلمت عن مالكوم إكس، وجدت تعليقات ليفرحوا أنا أقرأ التعليقات، وللذكر: أنا أهتم بكل كلمةٍ تقال ولا أعمي بصري، أنا أسمع لكل أحد، لأني أريد أن أستفيد، لكن لا يعني إني أتأثر فكثير مما أسمعه أضعه هكذا في داخل إناء وأغلق عليه وأنساه وأدعوا لصاحبه مهما كان خصمًا، معاندًا، سابًا، شاتمًا، إذا كان من أهل الإسلام، فوجدت أن البعض لا يحقد على محمد علي ولا على مالكوم إكس ولا على وارث محمد وإنما يحقد على النووي وعلى ابن حجر!! إنا لله وإنا إليه راجعون.

أنا أسأل الإخوة: لما يقول له: تنفعه لا إله إلا الله، أنا أريد أن أتكلم عندما ذهب الشباب المسلم المجاهد إلى البوسنة وجاهدوا في سبيل الله، ماذا كان حال المسلمين من أهل البوسنة؟ ماذا كانوا يعرفون من الدين؟ ماذا كانوا يعرفون من الصلاة؟ ماذا كانوا يعرفون من الستر في النساء؟ فقط يعرفون أنهم مسلمون فقط، «لا إله إلا الله، ومحمد رسول الله» هذه نفعتهم أم لم تنفعهم؟ نفعتهم «لا إله إلا الله» رغم أنوفنا إذا خالفنا، ورغم أنف كل واحد قلبه أسود على كل من قال: أنا مسلم، أما أنها نفعتهم في الدنيا فنحن نرى أن مدخل كلمة أننا مسلمون هكذا؛ صارت مدخلاً لعودتهم للإسلام، لدخول الدعاة إليهم وتعليمهم الإسلام، اليوم نرى الإسلام في البوسنة قد انتشر، ككل بلاد المسلمين فيها مفاسد وفيها معاصي، لكن عادة النساء إلى الحجاب، وعاد طلبة العلم، وعادة مظاهر السنة، والتقيد في الدين، وعادة المساجد إلى الصدح بالله أكبر، فنفعتهم «لا إله إلا الله»، نفعهم أن يقولوا: نحن مسلمين، نفعهم هذا، فيا أصحاب القلوب ماذا أقول لكم؟! هذا الرجل الذي نشأ زمن تيتو علي عزت بيغوفيتش، ليتكم تقفون أمام طواغيتكم في البلاد التي تريد أن تغير الدين!! بلاد كانت نساؤها محجبات والموسيقى ممنوعة وسواقة المرأة للسيارة ممنوعة والآن يفتحون الباب للتغريب والباب للفساد والشيوخ صامتون صمت القبور! علي عزت بيغوفيتش نشأ في بيئة وكان هذا المجرم تيتو يسحق المسلمين سحقًا، ويغربهم

رغم أنوفهم، ويمنع القرآن، صديق عبد الناصر.

وفي سؤالٍ سبق تكلمت عن إجرام حكام العرب في تملؤهم مع أعداء المسلمين فضربت مثالاً عن جمال عبد الناصر مع مكاريوس، جمال عبد الناصر مع الصين، مع حكام روسيا خروتشوف، والآن نمثل بصداقته مع تيتو هذا المجرم الذي غير التركيبة السكانية أخذ البلاد وأتى بالنصارى الأرثوذكس، أتى بهم ليحلوا بدل المسلمين.

فعلي عزت بيغوفيتش أن يقول: أنا خيار الإسلام، أصاب في بعض المواطن أم أخطأ؟ ليس هذا الحوار، الحوار أنه اختار الإسلام، الحوار أنه انحاز ودفع ثمن هذا الانحياز سجنًا وتكلم كلامًا عبقريًا، كلامًا في كتاب «بين الشرق والغرب»، وكذلك بقية كتبه في طريقه نحو الحرية وغيرها، تكلم كلام العاقل الذكي الذي يعرف كيف يتعامل مع الواقع، لا يمثل الصيغة العليا لما يرجوه المسلم في واقع الكمال المطلق في قضية الغلبة بوجود الخلافة، لكنه يعرف واقعه، ويعرف حاله وزمانه بأنه لا يقدر على هذا الحديث في هذا الوقت.

ولذلك نحن نرى التطور في واقعه حيث فُتح له المجال أن يمتد إلى مصالح ومقاصد لم يكن يريدها في وقت تيتو، ففي وقت تيتو كان يريد إسلامًا يحافظ على كيان المسلم في وجوده تحت دولةٍ كافرة، ولكن لما فُتح له المجال بأن يتحدث عن إسلامٍ مستقل وحاكم؛ كان قد تقدم نحو هذا الأمر، مما يدل على أنه ذكي وأنه يعرف كيف يخاطب، وليس الخطاب الأول يخالف الثاني، وإنما المجال الأول يخالف المجال الثاني، يتحدث عن واقع هذه قدرتنا فلنحافظ على إسلامنا ضمن هذا الإطار ونسعى إلى تحقيق مقاصد أخرى، وهو يعلم، فلا يوجد مسلم لا يريد حكم الله عز وجل، ولا يريد انتصار الإسلام، ولا يريد عودة الخلافة، لا وجود لرجلٍ يضحي ويسجن من أجل كلمة الإسلام ولا يريد هذا.

على كل حال لا أريد أن أطيل في هذه النقطة، ولكن أنا أعتقد بأن علي عزت بيغوفيتش من حكماء الإسلام رغم أنف من يعارض، وكتبه فيها خير وتدل على عقل، نعم ليس هو بالعالم الفقيه، وليس هو المحدث، وظروفه لا تسمح بمثل هذا أصلاً أن يكون كذلك، ولكنه جاهد في سبيل الإسلام، وجاهد في سبيل تحقيق مقاصد الإسلام في أمته، لم يرد أن يسلخ المسلمين من أجل أن يلحقهم بالغرب كما يفعل بعض المشايخ في بلادنا، وسنأتي ربما إلى سؤال رأيته يبيّن هذا، موقف محمد عبده، هناك فرق بين أن يأتي شيخ ليبرر انسلاخ المسلم من دينه ليلتحق بالغرب، وهناك فرق بين مسلم يريد أن يقوي صلابة المسلم في موقفه وفي عمله في بيئةٍ

تريد أن تذيبه وتبعده عن الإسلام، هناك فرق بين الحالتين، وليت المشايخ الذين ينتقدون أو الجماعات التي تنتقد أمثال هؤلاء الرجال أن تقف أمام التغريب الذي يمارس على أمةٍ مسلمة متقدمة في تمسكها بالإسلام في مظاهره وفي أعماله وفي انحيازه إلى المجتمع المسلم، أقرب ما يكون من غيره في مجتمعات التي غلبت فيها أو انتشرت فيها العلمانية.

وبالتالي؛ لا نقول أبداً، لا نقول بأن علي عزت بيغوفيتش كان يقاتل ويجاهد من أجل الديموقراطية، وإذا دعا إليها في كلمةٍ إنما دعا إليها من أجل أن يحقق مقاصد المسلمين؛ افتحوا لنا لنتكلم عن الإسلام، افتحوا لنا لنخاطب المسلمين، افتحوا لنا لنعيش الإسلام، وعلي عزت بيغوفيتش كان يعيش الإسلام حقيقة رحمة الله عليه وإن شاء الله سأتكلم بتفصيل كما وعدتكم في مشروع «الألف الكتاب».

موضوع الكلام عن أردوغان: نحن الآن نتكلم عن موقفه من حالة المسلمين، لا شك أن هذا الحزب حقق لتركيا الكثير من المنافع فيما يخص الدين، لا أتكلم عن الدنيا، أتكلم بما يخص الدين، مجرد أن يقضي على الأحزاب القومية الخبيثة واليسارية الخبيثة التي كانت تمنع عودة المسلم التركي إلى دينه؛ هذا إنجازٌ عظيم، أسأل الله عز وجل أن يجازيه عنه، وسواء كان الكلام كما أقول: أنا لا أرى أردوغان قد أعتقد بالإسلام كما ينبغي، بل هو للأسف ينحاز للعلمانية بمفهومها اللين، كما يفرقون بين العلمانية الصلبة والعلمانية اللينة، وهو يصر على هذا في كل موقف أنه يختار العلمانية، وهل هذا لجهله بالإسلام؟ هل هذا لكذا؟ لا هو في الحقيقة نوظر في مصر لما ذهب إلى مصر وأراد أن يُخضع الإخوان المسلمين لنظريته في عالم تبني الدولة الدينية كما يسمونها مقابل الدولة المدنية، فللأسف هو يفهم هذا الأمر فهمًا جيدًا.

لكن هل هذا الذي فعله حقق المنافع للمسلمين؟ نعم، فأبو طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم حقق المنافع العظيمة للنبي صلى الله عليه وسلم بحمايته وبالدفاع عنه، والله عز وجل يجازيه عنه يوم القيامة، والحديث في الصحيح تعرفونه؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم يشفع له شفاعةً جزئية بأن لا يُعذب مع تعذيب الكافرين المجرمين في النار، والله عز وجل حكمٌ عدل يعطي كل أحدٍ على جزائه، ولكن ممنوعٌ أن يدخل الجنة كافر، أبدًا، لا بد من مفتاح وهو «لا إله إلا الله ومحمدٌ رسول الله» هذا هو، فهذا أمر وهذا أمر، وأنا لا أحب أن أتكلم الآن في هذا الظرف عن أردوغان، لا أحب أن أتكلم؛ لأن هذا بابٌ الناس تختلط فيه أهوائهم وتختلط فيه

كذلك مناهجهم الخاصة، بعيدًا عن العدل والإنصاف، فإما أن يُسب هذا السب الكبير بحيث يوضع كعدو، كمثل بوش وترامب، ويحبون أن يصفونه بهذا الوصف، بل يزعمون أن حاله حال خيانة الإسلام أو إظهار إسلامٍ خيالي جديد، وهذا لا أقول به، وأما أن يجعلونه إمامًا عظيمًا فاتحًا جليلاً من عظماء وخلفاء بني عثمان الذين كان الواحد منهم يتلقب بلقب الغازي أي المجاهد كرامةً له وتكريمًا له، فلست من هؤلاء ولست من هؤلاء.

ولكن ولا شك كما قلت مرةً: بأن حِذاء أردوغان أطهر بكثير من حكام العرب أو الحكام الآخرين الذين باعوا دينهم للشيطان وتمالوا على أمة الإسلام، ولا يعني هذا أن نقره على كل فعل، وأنا هنا لست في باب تقييم حسنات الرجل وسيئاته، ويكفي ما ذكرناه في موضوع علي عزت بيغوفيتش فهو الأصل في هذا الحديث.

بارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٣٩٣- هل مذهب الغزالي قائم على الشك؟

ضمن الجلسة الثانية والثلاثون، بتاريخ: (**١١/٠٧/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٢٨/٠٣/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل يقول: هل مذهب الغزالي قائم على الشرك كما هو مذهب ديكارت؟ أم أن سرد الغزالي لأطوار حياته في «المنقذ من الضلال» ليس للدلالة على طريق المعرفة المبتدأ بالشك المؤدي لليقين، بل هو لبيان حال ما آل إليه، من أن الشك أدى به إلى التيه والضياع قبل أن يحفظ الله عليه عقله فيحذر الناس من هذا المسلك؛ لأن عبد الرحمن بدوي حين تكلم عن الغزالي بيّن المعنى الثاني الذي ذكرته لك، فما رأيك؟

جواب الشيخ: في الحقيقة -أفصل بمقدار ما يسمح به حال الجواب- ليس الغزالي في هذا الطريق بواحد، ولا بمنفرد، الشك والنظر الذي يقول به الغزالي يقول به عامة المتكلمين، واختلفوا في مبدأ التوحيد، فقال بعضهم هذا، قال بعضهم: يبدأ الأمر بالنظر، والنظر هو البحث، والبحث يعني أنه لا يملك جوابًا جاهزًا لهذه المسائل التي تتعلق بواجب الوجود، تتعلق بالرسالة، تتعلق بالقرآن.

فالمتكلمون يوجبون في باب العقائد أو باب الكلام يوجبون النظر، والنظر مسبوقٌ ولا شك بالتوقف، والتوقف يعني الشك، هذا الذي يقوله المتكلمون لم يقل به الغزالي، قاله قبله الكثيرون، قال قبله هذا الأمر الباقلاني، وقاله الجويني، وهم يقررون هذا المعنى وهو مُنتشر بين المتكلمين بكثرة، ولو رجعت إلى آخر كتاب عمدة للمتكلمين وهم الأشاعرة وهو كتاب «شرح جوهرة التوحيد» لإبراهيم الباجوري؛ لوجدت هذا بينًا واضحًا، ما هي مراتب العلم بالنسبة لعلم العقائد؟ ما هي مراتبها؟ فيبدأ هذا السؤال.

لما بدأ طه حسين بنشر كتابه «في الشعر الجاهلي» سوّق لمذهب ديكارت، وهو مبدأ الشك، الشك الديكارتي له معالمه الخاصة به، التي يجعل فيها الشك في بعض جوانبه ليس في كل جوانبه، في بعض جوانبه مقصوٌد لذاته، ولكن المتكلمين يجعلون النظر الذي هو قائمٌ على التوقف الذي يعني الشك ضمنًا؛ يجعلونه مانعًا من إيمان المقلد، وانتهى كلام المتكلمين إلى تمني إيمان المقلد، بل الغزالي نفسه يقول في أحد كتبه: «وإيمان الرجل

الذي يُبنى على المسائل البرهانية والكلامية معرضٌ للشك، ضعيفٌ أمام الشبه، وأما الإيمان القوي فهو إيمان العجائز الذي يقوم على السمع».

ونحن نرى أن إمام المتكلمين بالنسبة لمذهب الأشاعرة وهو الرازي يقرر في آخر عمره حين بكى وتمنى أن يموت على إيمان العجائز، وهكذا أبو المعالي الجويني كذلك يتمنى أن يكون على يقين عجائز نيسابور، فالدعوة بعدم قبول إيمان المقلد بالطريقة التي يطرحها المتكلمون وبالتالي؛ يوجبون هذا الطريق أن يُسلك ليتحقق به الإيمان بالعقائد القائمة على الأدلة، هذا طريقٌ غير مقبول، وهذا موضوعه موضوع هل إيمان المقلد يقبل أو لا يقبل؟ هذا لا يوجد، في الحقيقة هذا سؤالٌ خطأ.

فحتى العجائز لا تقلد، فلو قيل لأمك العجوز -أنا أتكلم عن العجائز مثلي، من أمهاتهم عجائز- فلو تكلمت مع جدتك، من أين قلتي: بأن الله واحد؟ ومن أين قلت: بأن الرسول حق؟ هل هناك شخصٌ تابعتيه في هذا الأمر؟ لأجابتك بعدم وجوده؛ بمعنى أنها لا تقول: أنا أتبع هذا الشيخ أو أتبع هذا الإمام، لن تقول: أنا أتبع أبا الحسن الأشعري أو أتبع الباقلاني أو أتبع المعتزلي أبو الهذيل العلاف أو أبا علي الجبة أو فلان، لن تقل هذا، بل تقول: أنا أتبع القرآن، من أين القرآن؟ القرآن من عند الله عز وجل، كيف تقولي من عند الله؟ هذا يقين مستقر في فطرتها، نعم ليس عندها القدرة على رد الشبه إلا بالعصا كما هو مذهب عمر رضي الله عنه، الفاروق بما عالج أصبغ الذي كان يطرح الشبه بالعصا؛ فهناك من الفتن العقلية ما يردعها العصا لماذا؟ لأن هؤلاء لا يطرحون الشبه إلا من أجل التلاعب، وإلا فما يقرر في الفطر وما يقرر في النفوس السوية هو بنفسه الدليل، فلذلك هذا السؤال، هل إيمان المقلد يقبل أو لا يقبل؟ لا يوجد من يقلد، لا يوجد أحد يقلد في إيمانه إلا المتكلمين، من تتبع؟ أتبع فلان، أتبع الشيخ فلان، لماذا تقول بهذا؟ أتبع فلان.

لكن لو قيل لعامي لماذا تقول الله في السماء؟ يقول: قلبي يقول لي، فطرتي تقول لي، أين الله؟ يقول: في السماء، (**ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**)، الذي يقول بعقائد الكتاب والسنة هو الرجل الذي يبني دينه على الفطرة. ومن هنا فإن ابن خلدون عليه رحمة الله وهو يقرر الفرق بين العقل الصناعي والعقل الفطري؛ يرى أن العقل الفطري هو نهاية كل مشكلةٍ تنشأ في ذهن السامع، اترك هذا العقل الصناعي المنطقي الذي يستورد من هنا وهناك، وارحل إلى العقل الفطري ماذا يقوله قلبك في القضايا التي تتعلق بالله عز وجل

وبالرسول صلى الله عليه وسلم وبالقرآن وبالغيب.

أعود إلى السؤال: فالشك الديكارتي مرات في بعض صوره هو بذاته جميل كما يتلذذ المريض الجرِب بحك جربه، وهو يحب أن يعيش هذا الشك، ولا يريد أن يخرج منه لأنه يعتبر أن هذا الشك هو الذي يُنشئ الأسئلة، ويُنشئ الأجوبة، ويُنشئ الفلسفة، ويُنشئ الفكر؛ فلا يريد أن يخرج منه، لا يحب، إخراجه منه يعني أن يتوقف التفكير، ولكن ما قاله المتكلمون، لا، المتكلمون نعم كلامهم نرده ولا نعتقد بأن ما قالوه: من أن واجب العلم هو النظر، واجب علم العقائد والكلام هو النظر، لا نقول بهذا، وهذا في الحقيقة تأثُّر من كلام المعتزلة وغيرهم الذين يحرمون التقليد بالمعنى الذي قالوه، الذين يعتبرون أن هؤلاء الناس مساكين هم حشو الجنة هكذا رحمةً من الله، ولا يعدونهم مؤمنين لأنهم لم يلتزموا بالأدلة المنطقية التي قالوها من أجل أن توصلهم لليقين، هذه الأدلة المركبة والتي هي لا ضرورة لها عند الصالح ولا أهمية لها ولا تنفع الذكي ولا يستفيد منها البليد كما يقول شيخ الإسلام رحمه الله عنها.

القصد: هناك فرق بين هذا وهذا. ما ذكرته يكفي، الغزالي ليس مختصًا بمثل هذا القول، وأعود إلى هذه الكلمة –ربما لم أنتهي منها– وهو أنه لما نشر طه حسين كتابه في الشعر الجاهلي؛ قدم مقدمة لتمرير جرائمه في اعتقاداته الباطلة في الشعر الجاهلي بل في القرآن وأخباره بأن هذا ما يوجبه العلم ولأن هذا العلم جاءنا من ديكارت، وأن الشك الديكارتي ينبغي أن يدخل في كل العلوم لأنه أساس ننطلق منه لتقرير الحقائق دون احترام للأديان ولا لمقررات القرآن ولو قال القرآن: أن إبراهيم موجود وإسماعيل عليهما السلام، فإن هذا لا يثبت به الخبر ما لم نحققه عن طريق العلم الذي قاله أستاذ الوجوه ديكارت!! من هنا انتشر هذا الأمر.

لما أراد الناس الدفاع عن طه حسين وعن الشك الديكارتي قالوا: هذا إنتاجٌ إسلامي عاد إلينا، في الابتداء هو الانهيار أمام سطوة الحضارة الغربية وقيمها وثقافتها، لا يوجد يقينيات عندهم، التوراة ثبت فشلها وجهلها من بداية الكلمة، من بداية سِفر التكوين بدأ جهلها؛ فلذلك نشأت عندهم الأسئلة، ونشأ عندهم الشك بهذه المقررات الدينية التي كانت تسيطر على عقل الناس من خلال سطوة الكنيسة وسطوة الملوك والإقطاعيين؛ فأتوا بهذه الأفكار التي نشأت في تربةٍ غريبة عن أمة الإسلام، فاستوردوها ليطبقوها على مقررات الإسلام بطريقةٍ فجة غير مقبولة، فبعد ذلك الناس لا يقبلون أن يقال: قال ديكارت، لا، ديكارت ليس من عند نفسه! وإنما

سبقه أهل الإسلام! قاله أهل الإسلام! من قاله؟ اسم الغزالي رنان وله سطوته وله قيمته في العالم الإسلامي من كل الطوائف، الفقهاء يعظمون الغزالي؛ لأنه فقيه، والصوفية يعظمون الغزالي؛ لأنه صوفي، والمتكلمون في علم العقائد والكلام يعظمونه؛ لأنه متكلم، فله اسمه من كل الجوانب في داخل المجتمعات الإسلامية؛ فذكره على الخصوص دون غيره لإثبات الشرعية على ما استوردوه من الغرب من قاذورات، فأرادوا أن يقولوا: هذا يقولوا مثل هذا، وهكذا.

هذه طريقتهم؛ وهي: الاستيراد وتمرير هذا المستورد تحت الأغلفة الإسلامية، والفرق بينهما شاسع، المنتج الإسلامي، حتى لو كان فيه خطأ فإنه نبت من أرضٍ إسلامية فيها بعض الجذور الإسلامية، لكن أن تأتي بنبتٍ نشأ في أرضٍ أجنبية وتزرعه في الأرض الإسلامية؛ فهذا من الجهل وليس من العلمية، لكن لتمرير الباطل يسمونه بأسماء إسلامية. ومن ذلك حتى الإلحاد، فالذين أرادوا نشر الإلحاد إنما أعاده إلى الجذور الثقافية الإسلامية، فحسين مروّة في كتابه «النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية»، إنما أن يلبس الفلسفة المادية –ويسميها بعضهم بالوضعية– أراد أن يلبسها اللباس الإسلامي، حتى الإلحاد!! فلذلك تجدون الشيوعيون الكُتّاب يمجدون ابن الراوندي، يمجدون الملحدين، وهكذا، وأصحاب الثقافة التي تُسقط نسبية القيم، أي الحق والباطل ويجعلون القيم كلها مقبولة ولا يوجد حق وباطل في القيم، كما هو مذهب الكثير من الشعراء والأدباء، يأتون بأصحاب وحدة الوجود.

مثلاً: تجدون أدونيس يحب النفري ويعظمه، وتجدونهم يعظمون ابن الفارض، ويعظمون ابن عربي، لماذا؟ لأن المداخل التاريخية تسهل لهم اختراق هذه الأمة تحت شعارات إسلامية، هذه هي طريقتهم، والله تعالى أعلم، نسأل الله عز وجل أن يغفر لنا وأن يتوب علينا، وأسلم الطرق هو الكتاب والسنة على طريقة سلف الأمة، ونسأل الله أن يرحمنا برحمته.

بارك الله فيكم وجزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

٣٩٤- سؤال عن الفتوى الترنسفالية

ضمن الجلسة الثانية والثلاثون، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٧/١١هـ الموافق لـ: ٢٠١٨/٠٣/٢٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: في الفتوى الترنسفالية للشيخ محمد عبده ذكر جواز لبس البرنيطة، وقيد ذلك بأنه إن لم يقصد فاعلها الخروج من الإسلام والدخول في دين غيره فلا يعد مُكفرًا، هل يلبس أحدٌ لبسًا ما غير الصليب ويكون لبس غير متحمض في الكفر يريد به لابسه الكفر؟

جواب الشيخ: أولاً: نعرف على الفتوى الترنسفالية؛ جاءت فتوى من بلاد ترنسفال سُميت على طريقة العلماء القدماء في تسمية الرسائل والأجوبة كالرسالة التدميرية والرسالة الواسطية والتبوكية، هذا بالنسبة لشيخ الإسلام رحمه الله، وغيره من أهل العلم يسمون الأسئلة والأجوبة بحسب مكان صدور السؤال، وهنا الرسالة الترنسفالية جاءت من بلاد الترنسفال وفيها أقلية مسلمة؛ فسألوا الشيخ محمد عبده ثلاثة أسئلة:

السؤال الأول: يتعلق بلبس البرنيطة، وموهوا في الأسئلة أنها تُلبس من أجل الحر وكذا... إلخ.

السؤال الثاني: يتعلق بذبائح أهل الكتاب إذا ذُبحت بغير الذبح الشرعي، أي إذا ضربت بالبلطة على رأسها، وكما اليوم يستخدمون الصعق، ولم تذبح الذبح الشرعي.

السؤال الثالث: وهو أن في بلادهم يوجد شافعية وحنفية فهل يجوز صلاة الحنفي وراء الشافعي أو الشافعي وراء الحنفي؟ فالشافعية يجهرون بالتسمية والأحناف لا يجهرون أو يرون التسمية فقط للبركة ولا يرونها جُزءًا من الفاتحة؟ فالشيخ محمد عبدو أجاب وأجاز لبس البرنيطة لأنها ليست شعارًا للكفر، وأجاز أكل ذبائح أهل الكتاب، حتى لو ذبحت بغير الطريقة الشرعية، وقلد في ذلك أبا بكر بن العربي كما هو في كتابه «أحكام القرآن» وكذلك أجاز الصلاة وراء كل أحد.

هذه؛ الكثير من أهل العلم -وقد أحسنوا- يضعونها ضمن إطارها الصحيح، وإطارها الصحيح هو أن الشيخ عبده كان قد أحدث خرقًا كبيرًا في جدار الإسلام؛ نصرةً للعلمانية، نصرةً للادينية، والشعار الذي رفعه

في الابتداء هو شعار السلفية؛ ولذلك المغاربة كانوا لوقتٍ طويل يعتقدون بأن السلفية هي التي يدعو إليها محمد عبده، حتى جاءت السلفية في اتجاهها الآخر، وإنما الفتح الذي أراده محمد عبده أدى إلى سلفيةٍ تبناها محمد رشيد رضا مع ما فيها ومما عليها من احترازات وانتقادات، وكذلك انتهت هذه السلفية التي تُبيح الاجتهاد بإطلاق دون قيود ودون دين وكذا، إلى ما انتهى إليه قاسم أمين في تحرير المرأة والذي كتابه بلا شك كتابٌ مجرم، والبعض يرى أن محمد عبده هو الذي ألفه، مع أن قاسم أمين زوجته ماتت وهي محجبة بل إن علي الورد كما ذكرت في ترجمته في مشروع «ألف كتاب» عندما ناقشنا كتابه «مهزلة العقل البشري» أنه كان يلاحق زوجته وبناته في الطرقات حتى لا يقترب منهن الرجال، مع أنه من أكبر دعاة سُفور المرأة وحريتها الشخصية بلا ضابطٍ دينيٍ خلقيٍ قيمي.

هذه الفتوى يضعها كما قلت: كثيرٌ من أهل العلم في إطار الاختراق العلماني للإسلام، وبعضهم يرى أنها أصلت لفقه الأقليات المسلمة في البلاد الغربية، فهناك من يمدح وهناك من يذم، والواقع أن الفريق الأول هو المصيب، وقد أحدثت هذه الفتوى ردة فعلٍ كبيرة في داخل الأزهر وردوا عليه، وهناك كتاب أظن اسمه «إرشاد الأمة الإسلامية إلى أقوال الأئمة في الفتوى الترنسفالية» فرد عليه مجموعة من مشايخ الأزهر، وهو كتابٌ موجود في داخل شبكات التواصل تستطيع أن تراجعه وأن تقرأه وترى ردود العلماء عليه.

لنضع الموضوع في إطاره التاريخي حتى نفهم حقيقته، موضوع البرنيطة أيها الإخوة الأحبة: كان هناك ثمة صراع كبير، ومن هنا أنا أشك في الحقيقة مع من يشك في أن هذه الرسالة مصطنعة، وليست حقيقية، فأنا أشك في هذا، أشك أنها رسالة مصنوعة من أجل الإجابة عليها، وليس المقصود بها الخطاب للترنسفال بمقدار ما هي رسالة للداخل المصري والمجتمع الذي يخاطبه قريبًا منه.

هذه الرسالة في إطارها التاريخي نرى أن هناك صراعًا كبيرًا في مصر حول الطربوش التركي، هذا الطربوش التركي كان يمثل عند الناس الانتماء، وموضوع الزي الظاهري تعرفون قيمته في الشريعة والعلماء ألفوا فيه كتبًا، وأجّل الكتب في ذلك وهو ما كتبه شيخ الإسلام في «اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم»، بأن الهدي الظاهر مقصودٌ من الشارع، وأن لباس المرء يؤثر على نفسيته ويدل على اختياره؛ لأنه يتزيا به، فهو بماذا يتزيا؟ بماذا يفتخر؟ الزي هو افتخار وهو انتماء، وبالتالي؛ تحقير هذا الظاهر بحيث يسمى قشور وأن ما في

القلب هو اللب، هذا تقسيمٌ جاهلي يُراد منه تهوين سقوط المسلم في براثن الجاهلية، وتحلل المسلم من التزامات الإسلام؛ لأن الظاهر علاقته بالباطن علاقة تلازم غير مطلق، بمعنى أنه إذا نبت الإيمان في القلب؛ نبت على الجوارح، وإذا خف الإيمان في الجوارح؛ دل على أن الإيمان في القلب قد خف وضعف.

ونحن نرى أن الناس يبدؤون في نزع التزامهم بالدين من خلال الظواهر، أولاً: تبدأ الظواهر الدينية تتلاشى؛ حتى يصلوا إلى الانخلاع من الدين، و(**لا يَزالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حتَّى يُؤَخِّرَهُمُ اللَّهُ**)، فكان هناك صراع حول الطربوش ومعركة كبيرة ذكر جزءًا منها الدكتور محمد، محمد حسين في كتابه «الاتجاهات الوطنية» أشار إليها، وأحد أستاذتي في اللغة العربية درس في لبنان في بيروت وقال: بأن أستاذه محمد، محمد حسين -وهو أول من نبهني إلى قيمة هذا الكتاب بعد أن أطلعت عليه- بأن الدكتور هذا صاحب معارك كبرى في موضوع الحضارة بأنه ألقى في المدرج محاضرات طويلة حول معركة الطربوش، ولذلك كان الطربوش يمثل قيمةً وانتماءً، والبرنيطة تمثل انتماءً، فالذي يريد أن ينخلع من الأمة يلبس البرنيطة، والذي يريد أن يبقي انتماءه يختار الطربوش.

وأشار لهذا كذلك أستاذ الأدب العظيم مصطفى صادق الرافعي في معركة القديم والحديث، أشار لقضية البرنيطة، البعض كان جباناً كما هو شأن توفيق الحكيم فاختار الوسط، أي أنه ليس مع هؤلاء ولا مع هؤلاء، وتوفيق الحكيم جبان هو في الحقيقة في مواقفه، وأتمنى أن أتكلم عنه بتوسع إن شاء الله في لقاءٍ آخر، وسأختار أحد كتبه في مشروع «ألف الكتاب» ليكون التوسع فيه.

إذن الحديث عن البرنيطة هو حديث عن قضية الانتماء وليس عن قضية لباسٍ يجوز أو لا يجوز، ومن هنا ينبغي على العالم أن ينتبه إلى ما يراد من السؤال وما يترتب عليه من قضايا أخرى، كيف يُتخذ الكلام في جانب يمكن أن يكون مقبولاً ولكنه وسيلة لغير المقبول، هذا باب سد الذرائع، معنى الذريعة جائزة ولكنها توصل إلى الحرام كبيع العنب لعاصر الخمر، فبيع العنب جائز؛ لكنه يؤدي إلى الشر فحينئذٍ؛ يمنع، كبيع السلاح في الفتنة، كحمل المصحف إلى بلاد الكفار، فهذا ما يُسمى في شريعته بسد الذرائع، وهذا يدل على عقلية الفقيه، وما ينبغي أن تكون عقليته من الفهم والوعي على طبيعة المعركة التي يعيشها.

فلذلك محمد عبده في هذا الموضوع لا ينبغي أن يناقش بأن البرنيطة جائزة وغير جائزة، وكذلك لا ينبغي أن يناقش كما يناقش اليوم وقد لبس الناس اللباس الإفرنجي، في ذلك الوقت المعركة كانت كبيرة تتعلق بقضية

الانتماء، فلذلك العلماء ردوا عليها، ولا أقول عن الذي يلبس الآن في وقتنا هذا، مع أن بعض المشايخ يحرمون هذه الطاقية العملية التي تُلبس وتكون لها مظلة من الأمام، يلبسها الناس للعمل، يلبسها الناس ولا يعدونها من الانتماء، لكن ينبغي الانتباه الآن في هذا الزمن إلى ما يكتب عليها؛ لأن البعض تكون عليها كتابات وصورة الجيش الأمريكي أو صورة الجيش الألماني؛ فينبغي الانتباه والاهتمام في هذا الباب، والألبسة هذا بابٌ ينبغي أن يُتحدث عنه كثيرًا من قبل الفقهاء والعلماء؛ لأن فيه التساهل الكثير مما يلبسون من ألبسة عليها الصور أو فيها المشابهة الواضحة وفيها الانحلال كالبس البنطلونات المخرقة تقليدًا للغرب الدالة على الجنون وقلة العقل، ليس خروج من الدين، بل خروج من العقل، أقصد هذا الفعل هو خروج من الدين، ولا أقصد أن من يلبس يكفر، وبلا شك أن البرنيطة ليست كالصليب، ولكن لا ينبغي أن تهون حين تُصبح شعارًا لمعركةٍ ما.

القضية الثانية وهي: قضية اختياره لما قاله أبو بكر بن العربي في هذا، وهذا رد عليه العلماء، ولا شك أن الإمام أبو بكر بن العربي مع إمامته ومع اجتهاده في الحقيقة، وكتبه دالة على عقله وعلمه وأشعريته، وعلى ذكائه، ولكنه أخطأ في هذه المسألة؛ وينبغي أن يذكر هذا القول على سبيل الرد عليه، وعلى سبيل عدم قبوله فهو من أخطاء العلماء ومن أخذ بذلة كل عالم تجمع فيه الشر كله، لكن أن توضع هذه القضية الأولى والثانية قضية البرنيطة وقضية أكل ذبائح أهل الكتاب، أي أن تذبح بالطريقة الشرعية ولا أن تقتل لأنها ميتة حينئذٍ، ولا يجوز أكل الميتة، فأن يوضع معها صلاة المسلم الحنفي وراء الشافعي؛ فترون أن مسألة فيها شيء من الهزل وتمرير القضايا الأولى من خلال القضية الثالثة وهذه طريقة تستخدم حتى في المحاكم عندما ينزلون الإخوة للحكم ينزلون معهم بريئان، ناس لا يعرفون شيئًا، وناس يعرفون شيئًا قليلاً، وناس يتهمونهم بكبر التهم؛ من أجل أن يُعطى للقاضي مساحة حين انتهاء الحكم أن يُبرئ البعض؛ فيقال: هذه محكمةٌ عادلة، انظر برّأ ثلاثة! وأناس أعطاهم سنة وست شهور، وأناس أعطاهم إعدام، هذا لو كان شريرًا وظالماً لأعطى الجميع الإعدام أو أعطى الجميع المؤبد، لكن انظر أخرج أناسًا براءة! هذه لعبة! هذه لعبةٌ تمارس في القضاء وفي الفتاوى وهي من ألاعيبهم، وهذه مسألة لا ينبغي أن تُوضع في مثل هذه القضايا، والله تعالى أعلم.

بارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٣٩٥- تفريق العلماء بين الجهمي والأشعري

ضمن الجلسة الثانية والثلاثون، بتاريخ: (**١١/٠٧/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٢٨/٠٣/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل أخ يقول: ذكرت في درس مناقشة كتاب «تبيين كذب المفتري» تفريق العلماء بين الجهمي والأشعري، وأنه قد يقوم جزء الوصف بالأشعري بقولهم: في تجهم ولا يقصدون بذلك أنه جهمي، ولكننا نجد الأشاعرة قد وافقوا الجهمية في أصولٍ لم تنسب إلا لهم، ومن وافق أحدًا في أصله نُسب إليه، وما كفرهم العلماء إلا بسببها، وهو توافقهما في نفي العلو وهو عند غالب الأشاعرة، وكذلك توافقهم في القول: بخلق القرآن، فقد نُقل الخلاف بين الأشاعرة في واضع اللفظ الملفوظ، وكذلك يا شيخنا تقديمهما -أي الجهمية والأشاعرة- العقل على النقل؛ وهذا يُعتبر قانونًا تشريعيًا يكفر المشرع فيه بالإجماع، فما رأيك شيخنا فيما ذكرته لك؟

جواب الشيخ: جزاك الله خيرًا وبارك الله فيك، لا، في الحقيقة يحتاج الكلام إلى ضبط، الطرق في تقرير مراتب الفِرَق والحكم عليها له طريقان: الطريق الأول: وهو أن تتبع العلماء الذين تكلموا عن هذا الباب وهذا الموضوع بتوسعٍ وتحقيقٍ واقتدار، وهذه مرتبةٌ ينبغي أن تُسلم لأصحاب الصِنعة فيها ولا يكون هذا من التقليد، فإن المحققين يستطيعون التمييز بين الأقوال التي في يبدو في ظاهرها التوافق ولكنها في واقع الأمر تكون مختلفة ومتناقضة، وكذلك يفرقون بين أقوال الناس ومراتبهم بين من هو داخل صف الإسلام وبين من يغرد خارج دائرة الإسلام.

الطريقة الثانية: أن تحقق النظر تحقيقًا علميًا كافيًا أصيلاً في التفريق بين المذاهب، وهذا يُوجب على كل طالب العدل والعلم، فإن الله عز وجل عاب على الإنسان أنه كان ظلومًا جهولاً، وعامة الناس يقع عند خلافاتهم الظلم والجهل، الاختلاف يوجد بين البشر، ولكن ينبغي أن يقف المرء عند الاختلاف عادلاً عالماً ولا يزيد عن ذلك.

فيما يتعلق بما سألت -وهذه أرجو أن تكون في التذكرة لطالب علم وطلبة العلم يعرفون هذا وإنما أذكر نفسي وأذكر إخواني في هذا الباب-: هناك فرق بين الجهمي والأشعري، وتكلمت في هذا في لقاءٍ سابق،

وجوابٍ سابقٍ، لا ينبغي أن يقوم طالب العلم بعمل الرياضة المنطقية بقولهم: الأشعري جهمي والعلماء كفروا الجهمية، وبالتالي؛ الأشعرية كفار، هذه التركيبة مبنيةٌ على مقدمةٍ باطلة؛ وهو أن الأشعري جهمي، والعلماء يطلقون هذه الأوصاف على جهات؛ لأنهم يخاطبون العلماء، إما أنهم يطلقونها تنفيرًا؛ أي أنه يقع مواقعه ويتقفر طريقه، وإما أنهم يطلقونها وهم يعلمون أن هذا يقع عند طالب العلم على معنًا جزئي كما تكلم؛ ولذلك يقع النفي.

فكما أنه لا يجوز الإثبات التام لهذه المعادلة وهو كل أشعري جهمي أو الأشاعرة جهمية بهذه الصياغة المنطقية التامة، وإما أن يقع أن الأشعري ليس جهميًا؛ فهذه تحتاج إلى ضبط وهذه تحتاج إلى ضبط، الذي يُثبت من جهتين كما تقدم الكلام، أن المحققين لا يرون الأشاعرة جهمية، يرون فيهم التجهم؛ بمعنى أن لوازم كلامهم تلتقي مع كلام الجهمية وإن لم يقولوا ولم يلتزموا، وإما أن تقع بعض المقدمات –هذا في النهاية في الغايات– وإما أن تقع بعض المقدمات المتشابهة، ولكنها ليست على وجهٍ كلي، وإنما على وجهٍ جزئي، فحينئذٍ؛ يقولون: هؤلاء فيهم هذه الصفة، يلتقون مع هذه الفرق في هذه الصفة.

ويأتي آخر –وأنا فعلت تعليمًا–: الأشعري ليس جامي؛ وذلك نفيًا لهذه المعادلة الرياضية المنطقية بأن الأشاعرة كفار، أنا ابتداءً لم أرى عالماً محققًا يكفر الأشاعرة، وجدت هذا وبيّنت هذا لما ناقشت كتاب «تبيين كذب المفتري»، وفي الرد على ابن المبرد بن عبد الهادي في رده على ابن عساكر، ورأيت كثيرًا من المتأخرين يكفرون الأشاعرة بهذه القاعدة، لا أتكلم خيالاً، ولكني أتكلم عن واقع وعن كتب وما زلت لو فتحت أنا أو فتحت أنت أو فتح آخر النت لوجد شبابًا جهلة يكفرون كل أشعري بحجة أنهم جهمية، أين الخطأ في هذا الموضوع؟ الخطأ فيما ذكرت أخي السائل الحبيب. الأشاعرة لم يلتزموا هذه الالتزامات وإن كانت هذه الالتزامات لازمة لهم، لكنهم لا يقبلونها لأسباب، أنت تعلم أن الأشاعرة لا يردون النص، الجهمية هم لا يقبلون.

وأنا قلت ما قاله شيخ الإسلام والحق يشهد له: بأن المعتزلة ليسوا جهمية وإن كان فيهم تجهم وهم أقرب إلى التجهم من قرب الأشعرية إليه، ومع ذلك ابن تيمية رحمه الله يفرق بينهم وبين الجهمية، بهذا الإطلاق، فيقول: «الجهمية فرقة والمعتزلة فرقة»، فقد دخل التجهم على المعتزلة، ولكن ليس المعتزلة هم الجهمية، وليس العدل أن تطلق على الجهمية أنهم المعتزلة.

ونحن نعلم أن إمام الأشاعرة هو أبا الحسن الأشعري، ومع ذلك ذكر الجهمية بالتعيير والنقد والرد في كتابه «مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين» ولم يقبل قولهم، والعلماء الذين هم أشاعرة يردون على الجهمية ولا يقبلون قولهم، وحتى شيخ الإسلام -أنا ذكرت هذا سابقًا- حين أتى إلى ابن أبي دؤاد قال: «هو جهمي وليس معتزلي»، وهذا من إنصافه رحمه الله، مع أن المنتشر أن ابن أبي دؤاد الذي أوقع العلماء في مصيبة فتنة خلق القرآن، الأكثر يظن أنه معتزلي، ولكن الإنصاف يقتضي التفريق.

نعود إلى ما ذكرته من أمثلة: الأشاعرة لا يقولون: بأن العقل يقدم على النقل بمعنى أنه إذا جاء العقل رد النقل ورمي، هذا وقع فيه طوائف من المبتدعة، الذي وقع فيه الأشاعرة هو قبول النقل، ولكن ينبغي أن يؤول بما تحتمله ويحتمله كلام العرب، نهاية الأمر هو تعطيل النص عن مراد مُتكلمه وواضعه وهو الله سبحانه وتعالى والرسول صلى الله عليه وسلم، ولكن هم لم يريدوا هذا، وإنما أعملوا النص على أحد وجوهه مما تحتمله كلمات الناس الذين يتكلمون هذا الكلام، ونزل الكلام الرباني بلغتهم؛ فهم أجروه على هذا المعنى، فالذي وقع عندهم أول شيء: المراد الحسن، وهو تنزيه الله عز وجل؛ ولذلك لما جاء الإمام الذهبي إلى كلمة أبي الحسن الأشعري أنه أشهد حاضره عند الموت أنه لا يكفر أحدًا من هذه الطوائف؛ لأنهم يشيرون إلى معبودٍ واحد، قال الذهبي وهذا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وهذا اختياره.

فالنصارى حين يقولون: الرب يشيرون إلى عيسى، المشركون حين يقولون: الرب يشيرون إلى الصنم، الهندوس يشيرون إلى البقرة، البوذي يشير إلى سيده وإلهه الذي حل في شخص، لكن الأشعري حين يقول: الله، وحين يقول السني: الله، أنتم تعرفون هناك فرق، هو حين يأتي محدث ويقول: الله، أنا أعبد الله؛ فإن الجميع يشيرون إلى واحد، مع اختلافهم فيما يجب له وما يجوز عليه، ولكنهم في النهاية يشيرون إلى الله عز وجل هذا الذي عرفنا بنفسه في الكتاب والسنة؛ فلذلك كلهم يعبدون إلهًا واحدًا.

أما الجهمية لما قرأ العلماء كلامهم رأوهم يشيروا إلى لا شيء، هذا النفي الذي قالوه عن الله عز وجل، هذا النفي، لا، لا، لا نثبت لله، لا، لا، نهاية أمر المتأمل فيه تعبدًا أو تعقلاً نهايته هو نفي هذا الموصوف، ولذلك قالوا: الجهمية كفار؛ لأنهم يشيرون إلى الفناء، يشيرون إلى لا شيء، ولكن حين يتكلم الإسلاميون كما سماهم أبو الحسن الأشعري «مقالات الإسلاميين» يشيرون إلى معبودٍ واحد وهو الله عز وجل، يختلفون بعد ذلك فيما

أخبر عنه وعن نفسه وكيف يوقعونه؟ هذا موضوعٌ آخر.

انتبه؛ الأصل في ديننا أن نُعذر المسلم إذا أخطأ فلذلك إذا رأيت أنني أتوسع في الإعذار لأن هذا هو الدين، التوسع في الإعذار هو الدين وليس التضييق، فما هو الأقرب للحق؟ هل هو ما تراه مني في إعذار المسلمين حين نختلف معهم؟ أم المضيق الذي إذا خالفه أحدهم في مسألة حملها على أسوأ معانيها فأدى به إلى الحكم عليه بالكفر؛ لأن كل كلمة تخالف فيها الآخر يمكن حملها على الكفر.

مثلاً: لو أنك اختلفت –انظر إلى هذه المسألة اليسيرة وهي مسألة فقهية– لو اختلفت مع طالب علم، أنت تقول له: (**إذا دُبغ الإهاب فقد طهُر**)، فيقول: أنا لا أخذ بهذا الحديث وإنما أخذ بحديثٍ آخر (**لا تنتفعوا من الميتة بإهابٍ**)، تقول له: انظر أنت تخالف حديث النبي صلى الله عليه وسلم ولا تأخذ به –انظر إلى التضييق– أنت تعلم ما حكم الذي يخالف حديث النبي؟ هذا ردٌ على الله عز وجل وردٌ رسول الله صلى الله عليه وسلم والراد على رسول الله يكفر فاحذر الكفر، وبعد ذلك يخرج من عنده في هذه المناظرة في المسألة الفقهية إلى مساحةٍ أخرى ويقول: فلان رد حديث رسول الله؛ فقد كفر، وهي مسألةٌ فقهية تقع بين العلماء، وهكذا، فأنا لا أتكلم عن وهم ولا عن أفلام ولا عن خيال، أتكلم عن واقع تعيشه ويعيشه الناس، انه بمجرد أن يقع الخلاف فقد يقع القتل والقتال ويقع التكفير في مسائل.

اجلس معي أنا أقول: هذه المسألة لا تجوز، وأنت تقول: تجوز، أنا عندي أدلتي وأنت لديك أدلتك فنحن نختلف ونتناقش؛ فحينئذٍ ماذا نفعل؟ ما فعله الشافعي رحمه الله مع يونس بن عبد الأعلى الصدفي رحمه الله؛ يعذر بعضهم بعضًا، وإما أن نضيق ونسمي المخالف للحديث الذي أخذناه بأنه مخالف لرسول الله ومن رد على رسول الله فقد كفر... إلخ.

والمطلوب حين يختلف المسلمون أن يفتحوا باب الإعذار، أمام باب المناظرة والعلم والخلاف هذا يبقى لأنه ينمي العقل؛ وحينئذٍ يكون الخير العظيم في المناظرة والخلاف، وهذا يفتح أبواب من العلم الذي يحبه الله عز وجل، هذا الخلاف حين يكون في وضعه الصحيح؛ يفتح من أبواب الخير التي يحبها الله عز وجل، ويؤدي بهم إلى النظر والبحث والمراجعة والتنقيب، وكم من العلوم فُتحت بسبب الخلاف في داخل أمة الإسلام؟ علوم عظيمة فُتحت بسبب الخلاف، ومن هنا فالخلاف في بعض جوانبه مما يحبه الله عز وجل، وإنما وقع قدرًا لهذه

الأمة لما يحقق من الخير في الغاية والمآل.

فالأشاعرة لا يقولون بما يقول به المعتزلة من خلق القرآن، ولا بما يقوله الجهمية، فلو سألت أي أشعري عن القرآن أهو كلام الله أم مخلوق؟ يقول: أعوذ بالله، القرآن هو كلام الله، فالتقوا معك بهذه، هل الله يتكلم؟ نعم، هم أثبتوا الصفات السبعية هم سموا بالصفاتية لإثباتهم هذه الصفات «صفات المعاني» وهي: الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والإرادة والكلام، هم أثبتوا صفة الكلام لله عز وجل، فتسألهم، هل الله عز وجل متكلم؟ نعم متكلم، أيتكلم؟ يتكلم، وهذه لم يقلها الآخرون، لم يثبتوها لله عز وجل! وهذا فارقٌ كبير، فهذا الجانب يجعلهم أقرب إلينا في هذا الإطلاق من غيرهم، لكن حين يفسرونها؛ يقعون في الخطأ الآن الكلام في درجةٍ ثانية؛ إذن علينا أن نفرقهم عن الجهمية، الإنصاف والعدل، فهم قالوا ما لم يقله الجهمية وأثبتوا لله ما لم يثبته الجهمية.

الآن وقعوا في تناقض في قضية معنى الكلام، فقالوا هو المعنى النفسي القديم القائم بالذات... إلخ، فيما يقولونه له؛ هذا خطأ، فمن العدل أن نفرق حيث يقع التفريق، وأن نجمع حيث يقع الجمع، فهم في بداية الفهم لهذه المسألة مع أهل السنة، وفي باطنها مع الآخرين، في لوازمها مع الآخرين؛ فنثبت لهم الحق الذي عندهم إعمالاً بالعدل، فتقول: أنت أصبت في هذا، ولست مثلهم في هذا، وهكذا.

وفي موضوع العلو فإنهم يثبتون لله عز وجل أن الله سبحانه وتعالى له صفة العلو، ولكن يقولون علو المنزلة، ويهربون من الإثبات الذي أنت تثبته من علوه واستوائه على عرشه، وإن كانت قلوبهم تنازعهم ويعيشون اضطرابًا عجيبًا في هذه المسألة كما هو مُثبت في كتبهم، كما قال أبو المعالي الجويني: «حيرني الهمداني» لما قال عن مسألة الاحتجاج بالفطرة أن القلوب تتوجه إلى الصمد الذي في السماء، فيعيشون هذا الاضطراب ومع ذلك هم يثبتون هذه الصفة على معنى من معاني التأويل، والآخرون لا يثبتونها ولا يقولون بها، وهؤلاء يثبتونها على معنى وينفونها على معنى.

إذن هم يقولون بجهة من الجهات على معنى الحق وبجهة على معنى من معاني الباطل؛ فالواجب أن نعطيهم الحق الذي أثبتوه وأن نناقشهم وأن نرد عليهم في المعنى الذي قالوه من الباطل، هذه هي الطريقة، لأن الطريقة لان نتعامل مع الناس بمآلات أقوالهم؛ هذا خطأ، بلوازم أقوالهم هذا خطأ، وكذلك أنا ذكرت أن هذه الأشعرية

هو اسمٌ في الحقيقة يكاد ليس في القواعد ولكن في المسائل التي تتعلق بصفات الله عز وجل ليسوا على شيءٍ واحد، فيهم الاختلاف الشديد في هذا الباب، فهناك من يثبت صفات الأعيان لله عز وجل وصفات الفعل لله عز وجل، هناك من يثبت وهناك من لا يثبت؛ فالواجب هو أن ننزلهم هذه المنزلة، لكن أن يأتي أحد ويقول الأشاعرة كفار ويخرجهم من دائرة الإسلام وهكذا، هذا لم يفعله أحد من أهل العلم الذين يُرجع إليهم في هذا الباب بإنصافهم ولا يقع عندهم الغضب، هناك من الناس من إذا خولفوا يغضبوا فيخرج منهم الكلام الذي فيه الغضب، وهذا يقع في العلماء، وأما أهل العدل والإنصاف ولو غضبوا لا يخرج منهم إلا العدل في مخالفيهم وإن شنعوا لهم وقرعوهم بالمقالات، ولكن عند الأحكام يقفون مع العدل الذي أوجبه الله عز وجل على أمثالهم.

أرجو أن أكون قد بينت في هذا والله الموفق، وعلينا في هذه الأبواب أن نسع الناس، وأن نناقشهم بعلم، وانظر إلى شيخ الإسلام عندما تحدث عن نفسه لما جاء فوجد الخصومة بين الأشاعرة وبين الحنابلة، وهو اجتمع الناس عليه وأحبوه، وهذا هو من الدين وهذا هو من العلم؛ فعلى الناس أن يجتمعوا في هذا الباب وعليهم أن يتكلموا الكلام الذي فيه الإنصاف وفيه المحبة وفيه الرفق مع الناس.

بارك الله فيكم وجزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

٣٩٦- هل يشفع للمقلد أتباعه لأهل العلم؟

ضمن الجلسة الثانية والثلاثون، بتاريخ: (١١/٠٧/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٢٨/٠٣/٢٠١٨ م)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل أخ ويقول: هل يشفع للمقلد اتباعه لصاحب علم يثق بدينه، خصوصًا ما يحصل من صراعات بين الجماعات وكلٌ يفتي باجتهاده؟

جواب الشيخ: بلا شك أن التقليد مرتبة من مراتب التعبد لما يلائمها من أحوال المقلد، ليس كل الناس عنده الوسع والقدرة ولا الأهلية بأن يبحث ليصل إلى الحق، وخاصةً في المسائل الْمُشكلة والتي يقع فيها الخلاف بين أهل الإسلام.

فالتقليد مرتبة أقرها العلماء، وجمهور أهل العلم على القول بجوازه للمضطر، التقليد كالقياس عند فقد الماء، عند فقد العلم فيضطر المرء للتقليد، عند فقد العلم والنص يضطر إلى القياس، عند فقد الطيب من الطعام يضطر إلى الميتة، هذا هو القول الصواب فيها.

وهناك من أهل العلم من يُحرم التقليد في العقائد، وتكلمت في سؤالٍ آخر بأن هذا لا وجود له، لا وجود للتقليد في العقائد بالمفهوم الذي يطرحه المتكلمون.

وهناك من يحاول التقليد في الفقه كابن حزم رحمه الله، ولكن المتأمل في كلام ابن حزم رحمه الله على ما فيه من مشقة وعدم استيعاب لأحوال الناس في الوجود، إلا أن المتأمل في كلامه يجد أنه يقول بالتقليد على وجهٍ من وجوه التزييف الظاهري الذي يمارسه في بعض أحايينه عليه رحمة الله، فهو يقول: بأن المرء إذا عجز عن الوصول إلى النص أو فهمه فإنه يذهب إلى صاحب حديث؛ أي فقيه مُحدث، وإلا فكثير من المحدثين هم كالأرض التي تحمل الماء «قيعان» والناس يستقون منها وهي ليست بالأرض التي تنبت الشجر والكلأ، فهؤلاء أهل الرواية، وإنما هو يقصد أهل الدراية من أهل الرواية؛ الذين يعتمدون في فقههم على النص.

وصورة الخروج من التقليد عنده هو أن يأتي إليه فيقول له: أسألك مسألة، فإذا سأله وبعد أن يجيب، فيقول

له: هذا أخذته من كتابٍ أو سنة؟ أم قلته من جهة رأيك؟ والفقيه لا يمكن أن يقول: أنا أخذته من جهة نفسي ومن جهة هواي! لا يوجد فقيه يفعل ذلك! ابتداءً هو لا يفعله لأن كل فقيه يعلم أنه مسؤولٌ أمام الله عز وجل، من أين أتيت بهذا؟ ولا يجوز لأحد أن يفتي من جهة هواه ونفسه، وإنما يجيب بالكتاب والسنة، إما قياسًا وإما نصًا واستدلالاً، فهو يقول: هل أخذت هذا من الكتاب والسنة؟ فإذا قال له: نعم، هكذا جملةً؛ فخلص يأخذ بقوله ويمضي ويعمل بهذا القول؛ فيخرج من التقليد، وكما ترون أن هذا ليس من الخروج من التقليد في شيء، هو تقليد، فما من فقيهٍ يقول بقولٍ إلا وله اجتهاده ونظرٌ في الكتاب والسنة على وجهٍ من الوجوه التي يعرفها أهل العلم.

فالقصد: بأن على المرء حين يعجز عن الوصول للحق بنفسه وليس عنده القدرة لهذا الأمر في البحث والنظر والمراجعة؛ فإنه ينظر إلى الأتقى، الذي يتقي ربه ويعلم أنه لا يتبع هواه ولا يتلاعب في الفتوى، وهذا يعرفه الناس، فمنهم من يقول كيف أعلم؟! أنت تعلم، كل أحد يقع في قلبه من المعاني التي تدله على سبيل التقوى في الناس، وعلى سبيل الخوف من الله عز وجل في الناس، الناس يعرفون؛ (**إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ العَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فأَحْبِبْهُ، فيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فيُنَادِي جِبْرِيلُ في أَهْلِ السَّمَاءِ: إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فأَحِبُّوهُ، فيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ له القَبُولُ في الأرْضِ**)، وأنت تعرف الناس في كلامهم، في حديثهم، في تقلباتهم، في أهوائهم، في أقوالهم، فتعرف الناس فعليك أن تتبع من يقول بالكتاب والسنة، وهو فقيهٌ فيها وليس لمجرد الرواية والحفظ.

فإذا وجدت هذا الرجل على الحال الذي ذكرناه من عدم الوسع سواء كان الحفظ أو الدراية فإنه يتبعه فيما عنده من أقوال؛ وحينئذٍ هو قد أفرغ الوسع في إصابة الحق ويتقي الله عز وجل.

فعليه أولاً: أن يبحث عمن يتقي الله عز وجل، عليه أن يبحث عمن يقول بالدليل، عليه أن يبحث في من لا يتبع الهوى، وعليه أن يبحث في من يعلم أنه يعرف اختلاف العلماء وينصِب بين أقوالهم الميزان العدل في الخصومة وفي حل الخصومة والخلاف بينهم، هذا ويتق الله في ذلك كله، وقال جل في علاه مطمئنًا الباحث عن الحق أنه سيصل إليه إن لم يتبع الهوى ولم يتخذ سبل الضلال فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]، فمن جاهد في مقدار وسعه للوصول إلى الحق لا بد أن يصله، فإن لم يصله؛

بلغه الأجر، وهذا وعدٌ إلهي أنك ستصيب سبيل الحق والله عز وجل يهديك.

وقد علمتني الحياة شيئًا أخبركم به: أن كثيرًا من الاختيارات التي يقع المرء عليها ثم يثبت أنه لم يصب فيها، ولكن إذا وجد الإخلاص والتقوى ستكون العاقبة خيرًا له، حتى مع خطأه في اختياره ستكون العاقبة خير، ولو وقع على اختيار مُصيب من الحق ولم يكن له النية الصالحة؛ لم يوفق إلى إصابة مقصده، النية الصالحة سر الفعل في التوفيق، محبة الخير سر الوصول إلى ما تحب من هداية الله عز وجل، فبغير نية صالحة وتجردٍ من الهوى فأنت مُخطئ ولا شك وستصيب الباطل شئت أم أبيت هذا وبالله التوفيق والحمد لله رب العالمين.

٣٩٧- مراتب الإيمان

ضمن الجلسة الثانية والثلاثون، بتاريخ: (**١١/٠٧/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٢٨/٠٣/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أسأل الله أن يحفظكم ويجزيكم خير الجزاء -هو كاتب «يحفضكم» وكثير من الإخوة في بعض البلاد لا يضبطون الفرق بين الضاد والظاء فعليهم أن يتعلموا هناك كتب خاصة في التفريق بين الضاد والظاء- شيخنا الحبيب من المعلوم أن أهل السنة يقولون: إن الإيمان ليس مرتبة واحدة، بل له ثلاث مراتب؛ أصلٌ وواجبٌ ومستحب، ويقولون: إن الكفر ضد الإيمان أو نقيض الإيمان، فهل يعني هذا أن الكفر كذلك ثلاث مراتب؟ وهل هناك مرتبة للكفر تقابل الإيمان المستحب؟ أم أن أهل السنة يعنون بقول: إن الكفر ضد الإيمان، أن الكفر هو ضد لأصل الإيمان والإيمان الواجب فقط؟ وإذا كان كذلك فهل نستطيع أن نقول: إن تعريف الكفر بضد الإيمان ونقيضه غير جامع ومانع؟ وهل من الأولى أن نقول: إن الكفر هو نقيض الإيمان الواجب بمرتبتيه؟

جواب الشيخ: في الحقيقة أيها الأخ الحبيب الأصول ينبغي أن تُبنى على ما قرره الشارع، وإلا لو تركنا لأنفسنا أن نقرر لقلنا: ما دام أن الإيمان هذه مراتبه فإن الكفر هذه مراتبه؛ وهذا لا يصح، وهناك حديث أن الإيمان بضع وسبعون شعبة، قال: «والكفر مثل ذلك» والحديث ضعيف، ذكره البيهقي في «شعب الإيمان» والحديث فيه ضعف لا يصح، ولكن المعنى الصحيح، ولكن لا ينبغي أن يطلق لفظ الكفر على ترك المستحب، لماذا؟ لأن العكس غير صحيح، فالأصل أن الإيمان فيه أعمالٌ مُستحبة قلبية وقولية وفعلية، ولكن لا يوجد في الشرع ما يقرر بأن هناك من الأعمال التي هي بمرتبة الكفر الذي ينقض الْمُستحب، لا يوجد، هناك نقص، لكن لا يكون البديل... انتبه!

أنا أنبه لهذا؛ هناك نقص يأتي بالبديل، إي هناك نقص في الأصل يأتي بالكفر، هناك نقص بالواجب يأتي بالكفر، وأقصد الكفر الأصغر، لكن ترك الْمُستحب لا يأتي بالبديل، وبديله هو الكفر لا يأتي، ولو تأملت أن الشيء إذا نقصت مُستحباته لا يأتي بديله الذي يقوم مكانه من الشر، لو تركت واجبًا لحّق عليك إثم؛ فحينئذٍ يحق أن نطلق عليه لفظ الكفر، لو تركت ركنًا؛ يقوم مقامه الإثم الذي هو الكفر، لكن لو تركت مُستحبًا لا

يقوم مقامه ما هو من الإثم الذي هو ضمن دائرة الكفر.

فالْمُستحب مرتبته أن فاعله له الأجر لكن تاركه ليس عليه الإثم، بخلاف ترك الأصل وهو الركن أو الشرط وبخلاف ترك الواجب، ومن هنا فتارك الركن يُطلق عليه كافر، وتارك الواجب يقال وقع في الكفر الأصغر؛ لأنه كما في الأحاديث أن الكفر إذا جاء في الحديث فإنه محمولٌ على الكفر الأكبر أو الكفر الأصغر بحسب الحديث وبحسب ما يأتي به من دلالة متصلة أو يأتي بدلالة منفصلة أو ما يأتي بحسب قواعد أهل العلم... إلخ، مما نعرف من طرق التفريق بين الكفر الأصغر والكفر الأكبر؛ **(من حلف بغير الله فقد كفر وأشرك)**، **(الطيرة كفر وما منا)**، قال ابن مسعود: «وما منا» فدل على أنه كفرٌ أصغر.

وكان الناس يحلفون بآبائهم ولم يكن هذا من أصل دعوة الإسلام أن لا يحلفوا بآبائهم... وهكذا، ولما قال النبي صلى الله عليه وسلم -وهذا يحتاج في الحقيقة إلى شرح موسع- أن: **(آية المنافق ثلاث)**، المنافق الكلي يكذب كليًا حتى أنه يكذب في دعواه أنه مؤمن وهو يكون كافرًا؛ فحينئذٍ يحمل على الكفر الأكبر، وأما الدلالة العامة له فمحمولٌ على النفاق الأصغر وهو أنه لا يكذب في كل كلمة، قيل لرجلٍ كذاب يكذب في كل شيء: هل صدقت؟ قال: لولا مخافة أن أصدق لقلت: لا، أي يكذب في كل شيء.

فالقصد من هذا: الاستحباب نقضه لا يوقع في الإثم، فكيف يقال عنه كفر؟! ولذلك الكفر إنما يطلق في الشرع على من ترك ركنًا من أركان الدين فهذا يكفر يخرج من الملة أو تاركًا لواجب، ومع ذلك -هذه كقاعدة علمية- ومع ذلك فإن الأصل أن لا نطلق كلمة الكفر على ترك واجبٍ أو على فعل حرامٍ إلا إذا جاء النص به، أي لا يجوز أن يأتي المرء ويقول: والزنا كفرٌ أصغر، لماذا؟ لعدم وجود النص، مع أنه بحسب القواعد العلمية ينقض إيمانًا واجبًا ويوقعه بهذا الذي قررناه؛ لأن ترك الإيمان الواجب يوقع بالكفر الأصغر، لكن التزامًا بالنصوص الشرعية لا نسمي الأفعال كفرًا إلا بتسمية الشارع لها.

أرجو أن يكون الأمر بينًا وهذا مشروحٌ في دورة الإيمان بإذن الله عز وجل شرحًا وافيًا، وفي كلام أهل العلم والحمد لله الذين استقينا منهم كشيخ الإسلام رحمه الله وغيره.

جوابي على السؤال الذي سألته، القصد أن أقول: بأن ترك الْمُستحب لا يوقع في الإثم وبالتالي؛ لا يوقعه

في مسمى الكفر حتى في أدنى مراتبه والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين.

٣٩٨- بعض أحكام الأمان

ضمن الجلسة الثانية والثلاثون، بتاريخ: (**١١/٠٧/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٢٨/٠٣/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل يقول: تأمين المرتد الْمُفضي لمفارقته طائفة الردة، قبل القدرة طبعًا والتي يغلب على الظن أنها سبب ردته، أي الناقض عليه هو الموالاة وليس شيئًا آخر، ألا يوجب عصمة دمه؟ وما حكم تأمين المرتد أصالةً إن بقي على ردته؟ وإذا علمنا عدم جواز تأمينهم إلا بمفارقتهم الردة وطائفتها فمن أُمن منهم وكان علويًا وترك القتال هل يستتاب ثلاثة؟

جواب الشيخ: إخواني الأحبة، الأحكام التي تتعلق بالأفراد بإقامة الحدود هذه ينبغي أن يُنظر إلى مقدار القدرة، والقدرة قد تتجزأ، فعند العجز الشديد فلا قدرة؛ فحينئذٍ لا يُفكر بالعمل المادي، وعند القدرة التامة ووجود الولاية والسلطان لا يجوز إسقاط الأحكام، بل يجب تطبيقها ووجوب تطبيقها على الإمام لوجود القدرة التامة، خليفة ممكن، إمام سلطان لا ينازعه أحد، لكن هذه الحالة لا تكون دائمًا، فيكون ما بين هذا العجز التام وبين القدرة التامة يكون هناك مساحة من الأحوال المختلفة؛ فحينئذٍ يصبح على المرء من الواجب بمقدار ما معه من قدرة ويسقط عنه التكليف بمقدار ما معه من عجز.

أُعيد: بين هاتين الحالتين من العجز التام والقدرة التامة؛ هناك مساحة واسعة يشترك فيها العجز مع القدرة في آنٍ واحد؛ فيصبح عليه الوجوب إن كان واجبًا بمقدار ما معه من قدرة، ويُصبح معفيًا بمقدار ما معه من عجز.

والآن نحن نتكلم عن أحوال لا يعلمها إلا الله عز وجل من ضعفنا، والجمعات الجهادية عندما تقوم يُصبح لها بعض السلطان وبعض قدرة، ولكن ليست القدرة التامة وكذلك لا يكون حالها كحال المسلمين بلا جهاد وبلا سيطرة، فيكون عندهم عجزٌ وقدرة في نفس الحال، ونحن نعلم أن الله عز وجل لا يكلف نفسًا إلا وسعها، وهذا الحكم الإلهي له وجهان:

الوجه الأول: أن الله عز وجل لم يكلف ابتداءً التكاليف إلا والبشر يقدرون عليها، فليس هناك ثمة تكليف

كلفه الله عز وجل البشر في أصل وضعه والناس لا يقدرون عليه، نوع الناس ونوع الحكم، لكن كذلك مع وجود الأصل في الحكم فإنه لا يعني أن كل امرئٍ مكلفٌ به فإنه لا يُكلف به إلا من يقدر عليه، فالله عز وجل لما كلف الناس بالصيام فالناس يقدرون على الصيام، ولكن بعد تكليف الصيام مع قدرة نوع الناس عليه قد يقع بعض آحاد الناس في العجز بعدم قدرته على الصيام؛ حينئذٍ يسقط وجوب الصيام؛ للعجز، وهذا في بيّنٌ الأصول وبيّنٌ في الأحكام.

فالآن نأتي إلى هذه المسألة في موضوع المرتدين: عندما نتكلم عن أحكام المرتدين؛ الصواب في ذلك أنه لا يجوز تأمين المرتد، وهذا مجمعٌ عليه، وقع الخلاف عند المتأخرين والشوكاني رجح جواز ذلك، واستدل باستدلالات لا يقر عليها؛ بأن الصحابة والصديق رضي الله عنهم أمنوا أصحاب الحديقة لمسيلمة، والعلماء يردون عليه ويقولون: إنما التأمين وقع بعد التوبة؛ أي رجعوا عن شركهم وردتهم ولم يُقروا على ردتهم، بعيدًا عن هذا السجال والصواب هو قول الجمهور، ليس الجمهور الإجماع قبل أن ينقضه الشوكاني كعادته في بعض المسائل الفقهية التي نقض فيها الإجماع؛ لأنه لا يقول بالإجماع هو، مع إنه بعد أن قرر عدم وجود الإجماع ونقضه نقدًا عقليًا غير سديد جرى على طريقة الأصوليين بنقاش مسائله وحدوده وقضاياه، واعتذر أنني أفعل ذلك جريًا على سنن طرائق كُتّاب وعلماء الأصول.

إنما نحن نتكلم هنا أصوليًا، فالآن كيف لجماعة غير ممكنة أن تتعامل معك كل مرتد أو جماعة مرتدة تتعامل معها تعامل تمام الأحكام التي هي محمولةٌ على تمام القدرة، وأنا هنا أريد أن أنبه إلى هذا الباب الذي ينبغي على طلبة العلم أن ينتبهوا له، وهنا يأتي الفرق ما بين قارئ الفقه وبين الْمُفتي في النوازل أو القاضي والحاكم: الذي يذهب إلى كتب الفقه؛ لينظر إلى الحال الذي هو فيه، ويذهب إلى الكليات الفقهية العامة ولا ينظر إلى الأحوال المختلفة الجزئية التي يعيشها ولا يرى التفريق بينهما؛ هذا لا يجوز له الفتوى، وعامة الصغار هكذا شأنهم؛ بمعنى أنهم يذهبون إلى كليات الشريعة، إلى الفقه في أفقه المطلق، ويأتون إلى الواقع الجزئي ويطبقون هذه الأحكام الكلية على الواقع الجزئي دون النظر، وخاصةً في هذه المسائل الكبرى المتعلقة الجهاد، دون النظر إلى الفارق بينهما.

ومن هنا الذي أقوله: الآن هذا الأمر ينبغي النظر إليه إلى ما يحقق المصلحة والقدرة، أين هذه الجماعة التي

وصلت إلى القدرة بحيث تتعامل مع طائفة أو مع شخص يعيش مع طائفة ردة أو طائفة زندقة ويعاملها معاملة الأحكام بأن لا يقبل توبتها؟ وحاله أنه تحت سلطانهم لو أرادوا تدميره وقتله وإفناءه لفعلوا؟! أي الخيار في الشريعة تقبل التوبة إلا للزنديق مع الخلاف الذي تكررت منه التوبة -انتبهوا لهذا- الذي يخفي الكفر؛ لأن هذا وقع فيه إشكال ووقع فيه مشاكل ووقع فيه غلط كبير من بعض المفتيين المعاصرين أو ما يسمى بالشرعيين أنصاف المتعلمين هذه مشكلة كبيرة.

فمن هذا الذي يستطيع أن يقول: نحن لا نؤمنكم لأنه قادر أن يحقق مقاصد الجهاد بغلبتهم كلهم وإفنائهم؟! المسألة بينهم هي مسألة قتال، يكون في تحييد بعضهم أعظم مهمات الجهاد، أعظم مهمات الإمام المقاتل في الطائفة المجاهدة، وربما يكون من أعظم مقاصده أن يحيد البعض، لا أن يقبل أمانه بل أن يحيده يخرجه، يدفع له المال ويقول له: أخرج من المعركة من أجل أن انتصر على بقية الطائفة المحاربة المقاتلة لنا، وهذا هو واقع الناس، فإذا كان من أعظم ذلك هو أن يحيدهم يدفع لهم المال؛ من أجل أن يخرجوا من المعركة لينتصر فيها.

فهل يتم التساؤل إذا أراد أحد أن يأتي إلينا يطلب الأمان ليأتي إلينا، من أجل أن يكون معنا أو أن يخرج من المعركة فقط يريد الأمان ويخرج من المعركة وهنا ونحن نفكر هل نقبل أمانه أو لا نقبل؟! إذا كان من الخير أن تدفع لبعضهم المال ليخرجوا من المعركة، أي لو استطاع المجاهدون في بلد من البلاد أن يدفعوا المال لخروج المقاتلين تحت طوائف الردة أن يخرجوا ويهربوا ويدفعوا لهم المال ويتركوا هذه المعركة لكان واجبًا إذا قدروا على ذلك، فكيف يأتي أحد من الناس ويفكر ويتساءل ويتردد فيما قلنا؟! وهو أن رجلاً يطلب الأمان ليخرج فنقول نحن: الأمان وأنت الآن تحت طائفة الردة، فهذا لا يُقبل في الشرع فلا بد أن تخرج أولاً من هذه الطائفة من أجل أن نعطيك الأمان لأنك حينئذٍ خرجت من طائفة الردة!! يعني لا أدري ما أقول!!

وفي الحقيقة المرء يعيش في تساؤلات عجيبة في مستويات الناس في فهمهم لحقيقة المعركة وكيفية إدارتها وفق الشرع، ووفق الفقه، فقه الأحكام الشرعية وتنزيلها والعمل مع النوازل!! فهذا سؤال بهذه الصورة التي فهمتها لا ينبغي أن يطرأ على ذهن أحد من طلبة العلم، بل ربما يكون من الخير أن تقول له: أبقى عندهم وخذل عنا، كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم وقال: (**فَخَذِّلْ عَنَّا إنْ اسْتَطَعْتُ، فَإِنَّ الْحَرْبَ خُدْعَةٌ**)، فهذه هي الحرب،

الحرب خدعة، الحرب هي المكيدة، الحرب هي العقل، الحرب هي إتقان الوسائل الشرعية والقدرية من أجل تحقيق النصر من خلال الطُهر ومن خلال الحكم الشرعي وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم.

وحين تصبح عندك القدرة التامة أنت ملزم بالأحكام التامة، لكن حين تكون أنت أقرب إلى العجز؟ فأنت مكلف بمقدار ما معك من قوة، وهذا العجزة الكبير الشديد الذي تعيشه وهو احتمالية إفناءك وأنه يُقضى عليك في لحظات، بل أنت لا تقدر على أن تملك زمام نفسك ولا جماعتك؛ هذا يسقط عنك التكاليف، ويجعل لك مساحة من الأمر، مساحة من الحركة، الله لا يكلف نفسًا إلا وسعها، هذا حكم الله فكيف تكلف نفسك ما لا تستطيع؟! إن قدرت أنت أن تكلف نفسك، لكن لا يجوز لك كأمير وكإمام أن تكلف جماعتك فوق ما تطيق، ومن السنة أن يمشي الأمير بمشي أدنى الناس، الآن يتركهم وراءه وهو راكض لأنه صاحب رياضة وقوة وإرادة، يمشي أمامهم مئات الأميال فيلتفت فلا يجد إلا نفسه.

ونحن لا نستدل بالتاريخ، ولكن حين يكون هناك حكام صالحون وحولهم العلماء نعرف، فلما جاء الصليبيون إلى بلاد الشام واحتلوها هل يجوز أن يقر صليبي على احتلاله قطعة أرض؟ ومع ذلك كان يصالحهم صلاح الدين، كان يصالح البعض لتفرغه بالآخر، ثم تجري الأقدار أن يقاتل هذا الذي تصالح معه في وقت من الأوقات من أجل جريان الأقدار لتنظيف هذه الأرض منهم كلهم.

وقد يقول قائل: أنت الآن تدعو إلى صلح هذا المحتل! من قال لك هذا؟! نحن نتكلم عن حالة جهاد، عن أمة قائمة بالجهاد، وليس إلى صلحٍ يؤدي إلى إيقاف الجهاد ومنعه وتحريمه كما يفعل الطواغيت أو كما يفعل الأنجاس، لكن حين تكون أنت في مسيرة الطريق لا تستطيع أن تقاتل الجميع ولا أن تحارب الكل ولا أن تطبق كل الأحكام المتعلقة بالقدرة التامة؛ لأنها ليست كذلك خاصةً في مثل هذه الظروف، ونحن نسأل الله عز وجل أن تتغير الظروف فحينئذٍ نخاطب الحكام والأمراء بما تخاطبهم به الشريعة في أحكامها الكلية النهائية، ولكن قبل ذلك لا، علينا أن نعذر الناس بمقدار عجزهم.

أرجو أن أكون قد أصلت في هذه المسألة ليس لهذا السؤال فقط، ولكن لقضايا مختلفة، عندما تقرأ الناس يتحدثون عنها ترى العجب العجاب! هناك من يريد أن يُسقط الحكم بالكلية ويُسقط الجهاد بمجرد عدم القدرة، أو أن يبيع هذا الجهاد من أجل أنه لم يحقق مقاصده، مع أنه هناك فجوة من الحق يمكن أن نسلكها في

الجهاد، وهناك من يريد مع هذا الضعف الذي تعيشه أمة الإسلام وجماعة الجهاد يريد أن يكلفها بالأحكام الغائية النهائية.

ولذلك لا أجيب على هذا السؤال إلا بقول: على الأمير أن يقدر المصالح بمقدار ما معه من قوة، هذه منفعة، هذا قد يقبل أمان هذا ولا يقبل أمان هذا، لماذا؟ لأسباب تتعلق بمصلحة الجهاد ومصلحة أمة الإسلام وجماعة المسلمين جميعًا، المجاهدين أولاً ثم المسلمين جميعًا، ولذلك ينبغي أن يكون القائد حكيمًا، أن يكون مُدبرًا، أن يكون صاحب قياسٍ مصيب، يعرف المصالح على حقيقتها ويعرف المفاسد على حقيقتها وهو يُعمل هذا الميزان، هذا الميزان الذي تراه في كلام أهل الفقه هو الذي نحتاجه اليوم، اخلعوا عن رؤوسكم هذه الجهالات من قضية قراءة الكتب التي يريد بها أن يحمل هذه الكتب كما هي في الأحكام النهائية ويريد أن يطبقها على هُزال على ضعف.

أنا أخاف إذا ضربت في مسألة الصيام، أن يقول أحدهم: من يقول بهذا؟ من يقول: بأن الصيام يكلف به الضعيف، لماذا؟ لأن أحكام الصيام في القرآن مربوطةٌ كذلك بإسقاطه عن المسافر والمريض، وهو الصيام ركن من أركان الإسلام، ولكن لا يعرفون أن هذا الحكم هو أدنى بكثير من حكم الصيام، كذلك يسقط عن المريض ويسقط عن المسافر ويسقط عن العاجز، هذا أمرٌ ينبغي أن يُنتهى منه.

ولذلك فقط أقول كلمة: هذا الأمر في قضية قبوله يعود إلى معرفة القائد لحاله وحال من أمنه وو... إلخ، هو يدرس المسألة ومتروكة له، وهذا من باب السياسة الشرعية، وليس السياسة بلا شرع، سياسة مضبوطة بمقاصد الشريعة، بمقاصد الجهاد، بمقاصد المسلمين، وليس بمقاصد الأهواء التي تؤدي إلى الشر كما يفعله البعض من بيع الدين وبيع الجهاد ويزعم أنه يعمل بالمقاصد، وهو رجل لا يفهم سنن النصر ولا يفهم سنن التقلبات، ولا يفهم قوله تعالى: ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ﴾ [النساء: ١٠٤]، ولا يفهم السنة، يفهم بمجرد هزيمة في معركة أن يبيع ويرحل ويترك هذا الجهاد، والمصلحة العظمى للجهاد أن ينتصر؛ فعليه أن يفعل من الأفعال ما يحقق النصر.

فينبغي أن يُفهم من هذا ما هي مصلحة الجهاد؟ ما هي المصلحة العظمى التي يسعى إليها إمام الجهاد من الجهاد وبالجهاد؟ هو أن ينتصر الجهاد، فمسالك عمله الحكيمة ينبغي أن تكون مرسومة لتحقيق النصر، ولا

نتحدث نحن عن الذي يتخذ المصالح سُلمًا من أجل خيانته، وسُلمًا من أجل بيعه الجهاد، وسلمًا من أجل الهروب من المواجهة، لا نتحدث عن هؤلاء، هذه القاعدة قاعدة المصالح والمفاسد والموازنات هذه قاعدة تُعطى لصاحب الدين والعقل، لصاحب الدين الذي يردعه دينه عن الهوى ومحبة الدنيا، والعقل الذي يردعه دينه عن الموازنة الباطلة التي تؤدي إلى تغليب الشر على الخير.

بارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٣٩٩- أحكام تبني الأطفال

ضمن الجلسة الثانية والثلاثون، بتاريخ: (**١١/٠٧/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٢٨/٠٣/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، يقول الأخ: هذا السؤال يحتاجه الإخوة ويحتاجون له إجابةً مفصلة، وذلك بخصوص أطفال الأيتام عندما يتبناهم أحد، ما وضعهم الشرعي بالمنزل إذا الرجل عنده بنات وزوجة؟ وما هي الأعمار التي يفصلهم عنها؟ وما هي النصيحة التي تحب أن توجهها لهم في كيفية التعامل معهم والتربية؟

وجزاكم الله عنا خير الجزاء.

جواب الشيخ: هذا السؤال في الحقيقة مهم جدًا، ودال على خطورة ما يعيشه المسلمون من ظروف صعبة جدًا تؤدي بنا إلى مصائب عظيمة وهي سرقة أبنائنا، هذه المصيبة من سرقة أبنائنا من قِبل الكفار إلى بلادهم ومؤسساتهم يجب أن يقف لها المسلمون موقفًا قويًا، نعم للأسف قام الطواغيت الكبار في العالم بملاحقة المؤسسات الخيرية التي ترعى المسلمين عند وقوع المصائب، سواء كانت المصائب الكونية المتعلقة بالزلازل والفيضانات والبراكين أو المصائب المتعلقة بالحروب والبلاءات، ولاحقوها وأغلقوها تحت تهمة الإرهاب؛ والقصد من ذلك هو: منع وصول المنافع إلى هؤلاء المسلمين المساكين.

ومن الجرائم الكُبرى التي تمارس علينا هو أنه إذا وقعت المصائب نشطت المؤسسات التبشيرية الحقيرة والملعونة إلى سرقة هؤلاء الأولاد تحت ستار الخير والعمل الخيري، من أجل سرقتهم وتربيتهم تربية منسلخة عن ديننا وقيمنا وأعرافنا الإسلامية، ونحن نقع في مشاكل يجب المعالجة لها بصراحة وقوة، الذي يجابه يجب أن تكون هناك مؤسسات كبيرة جدًا ترعى هذه الأوضاع، لكن ما لا يدرك كله لا يترك جله، أي ينبغي أن نوازن بين هذه القضايا فمن الأبواب العظيمة التي يجب أن تُفتح هو باب ما يسمونه بين قوسين لأن هذه الكلمة ليست دقيقة هو «التبني»، والأصل هو المقصود به الرعاية، أن يأخذ الأب والأم ما يقدرون عليه من الأولاد فيربونهم ويدخلونهم في حضانتهم حتى يشبوا فيربونهم على الدين كما يربون أبناءهم.

وعادةً في مجتمعاتنا الذي يقوم بهذه الأعمال إما من لا ينجب، وإما من كبر في السن فيريد أن يُربي أبناءً، أو غير ذلك تقع كذلك أعمال أخرى من هذا العمل وهو الرعاية والحضانة للغريب في أوضاعٍ مختلفة أخرى قد لا يكون فيها كذلك هذه الأسباب؛ فهذا يجب علينا أن نشجعه، ويجب علينا أن ندعمه، ويجب نشر أحكامه، أولاً: أن ننشر فضائله، أن هذا فضلٌ عظيم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]، فأحياء هذا الطفل وأخذه وتربيته كأنك تنقذه من النار، أول شيء لك أجر تربيته كما لك أجر تربية ابنك بل أكثر، لأن النفوس في أصلها تتشوف وتتطلع من أجل رعاية ابنها حتى لو لم يكن هناك الأجر الأخروي، ولكن أن يُرعى ابنٌ أجنبي فهذا لا تتشوف له النفوس، ومن هنا يأتي الأجر الأعظم؛ لأنه ينفق ماله على غير ابنه، فهنا يكون الأمر أعظم وأكثر صبرًا وبالتالي يكون أكثر أجرًا.

والإجابة عن السؤال، كيف يتعامل معه؟ يتعامل معه كما يتعامل مع ابنه في صغره، وكما يتعامل مع ابنه في حضانته، وكما يتعامل مع ابنه قبل أن يميز، وحتى بعد أن يميز يعامله معاملة ابنه، كيف هو يأمره بالصلاة وهو ابن سبع ويضربه عليها ابن عشر ويفرق في العشر بينهما في المضاجع، يعامله معاملة ابنه تمامًا.

وتبقى هناك بعض الملاحظات الاجتماعية أريد أن أتكلم عنها بصراحة وهي قضية ما يسمى التبني، ففي الكثير من البلاد الإسلامية بدل أن تُفتح هذه الأبواب بطريقةٍ شرعية؛ بمعنى أن يضعوا هذا الولد عند هذه العائلة مع احترام شخصيته النسبية، بمعنى أن يبقى نسبه الذي يعرف به إذا كان الولد يُعرف له أب، أو إذا لم يعرف له أب لسببٍ من الأسباب، كأن يلتقط بسبب المصائب أو قتل أهله فلا يعرف لمن هذا الولد، أو إلى أسبابٍ متعددة؛ فينبغي أن يُنسب كما نسب زياد إلى أبيه، زياد بن أبيه وزياد بن عبد الله.

ولكن الدول للأسف لأنها ليست إسلامية فهذا من التشريعات التي يُبتلى بها أهل الإسلام، والابتلاء هذا يوجب عليهم بأن تسجل العائلة التي تحتضن هذا الولد أو هذه البنت هذا الذكر أو هذه الأنثى، الولد يطلق على الذكر والانثى، قال تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١]، كما تعلمون، فهذا الولد يوجبون أن يتسمى باسمهم فيضعونه في شهادة الميلاد الرسمية باسم هذه العائلة، فيتسمى باسمه ويضعون اسم أمه التي تحتضنه وترعاه، ويسجلونه في الأوراق الرسمية بهذا الاسم.

الآن نحن أمام هذه المشكلة، أنا وقد فكرت فيها كثيرًا لأنني أرى هذه المعاناة، الأصل هو أن لا ينسب المرء

إلى غير أبيه، وملعونٌ من انتسب لغير أبيه، ومن الكبائر الطعن في الأنساب، ومن الكبائر أن ينتسب الرجل إلى غير أبيه أو يطعن في نسب أبيه الذي ثبت شرعًا (**الولد للفراش**)، لكن ماذا نصنع؟ الآن نحن أمام مشكلة، إما أن نتبنى؛ فيقع علينا هذا الجرم وهو جرم أن ننسبه لغير أبيه إجبارًا لنا من قبل هذه القوانين الوضعية الجائرة، وإما أن نتخلى عن هذه الحضانة وهذه الرعاية والتربية، فما هو الأولى؟

الذي عندي يقينًا ولا أشك فيه: بأن يُتبنى فيُنسب إليهم نسبة الورق والأوراق وما شابه ذلك خير بكثير من أن يُرمى فتربيه المؤسسات العلمانية أو التبشيرية أو... إلخ؛ فيخرج إلينا زنديقًا كافرًا مُفسدًا وهذا شرٌ عليه بأن يُصبح من أهل النار، وشرٌ على أمة الإسلام، ونخسر المئات، فهذه المشكلة ليست لواحد أو لاثنين، هذه مشكلة عامة والبلاد تعاني منها، والمصائب فيها متعدية، وبالتالي؛ نعم الذي أعتقده بلا مثنوية حين المقارنة والموازنة بين المصالح والمفاسد لا أشك بأن أخذ هذا الطفل إلى داخل البيت حتى ولو أجبروا أن يسمى باسم أبٍ غير أبيه وهو الذي يرعاه، وباسم أم غير أمه وهي التي تحتضنه وترعاه وتربيه، هذا أفضل بكثير ولنتحمل هذا والله عز وجل يعفو عنه، مقابل أن نضيع هذا الولد ودينه ويكون من أهل النار، أو أن يموت أو أن يُرمى إلى أماكن الله أعلم ماذا سيكون شأنه مستقبله فيها.

وهذه عليها محترزات نتكلم عنها، لكن الموازنة بين المسألتين يجب أن نحسمها في هذا الباب، ويجب أن ينتشر هذا الفقه، في ظني أن الموازنة بين المفسدة والمصلحة أن الموازنة بعيدة جدًا أن يطعن في ابن الرجل، أن يطعن في نسبه أو أن يُنسب لغير أبيه على الأوراق، مع أن هذه النسبة الناس يعلمونها ويعلمون أن هذا ليس هو والد هذا الولد، وليست هذه الأم هي أم هذا الولد، يعرفون مع أن الأوراق مسجلة وتبقى مسجلة، والأوراق الرسمية للأسف كما تعلمون لا قيمة لها إلا بكونها توثق القضايا بعد أن انتشر الفساد؛ فقامت الحكومات بالتوثيق لأسباب نقض الفساد الذي يؤدي إلى عدم التوثيق أو لأسباب تتعلق بالنظام نفسه، وهذا ليس موضوعنا الآن.

ولكن الناس يعرفون، وأنا أعرف فلي أقرباء من فعل هذا والناس ما زالوا يقولون إن فلان: هذا لقيط، وأنه كذا، ومع ذلك عندما يتزوج يضطر أن يُسجل هذا الاسم المسجل في الأوراق الرسمية والأولاد هكذا، وتمشي الأمور، والناس يعرفون، وتبقى الأجيال تتناقل أن هذا لقيط وأن نسبه ليس بحقيقي، لكن المفسدة العُظمى

المقابل لها في عدم هذا مفسدة كبيرة جدًا في دين الناس ودين المرء وحياة المسلمين.

تبقى قضية، الناس يقولون ماذا نصنع عندما يموت هذا الأب فيتنازع في الإرث؟ أي هذا الولد مُسجل في الأوراق كابن له فيكون له الإرث، في الحقيقة الناس يتقنون المعصية في باب الإرث أكثر من إتقانهم في باب الطاعة، فالناس يتقنون هذا الفن اتقاناً كبيرًا جداً.

وأنا أريد أن أسأل –وأنا أتكلم عن البلاد التي أعيش فيها–: كم من الإنصاف يقوم في قضية توزيع الإرث توزيعًا حقيقيًا بين الذكور والإناث، حتى بين الذكور أنفسهم بين متسلط وبين ضعيف، بين حاضر وبين غائب؟ فأنتم الآن وقفتم مع كل هذه المعاصي وهذه الفنون في الهروب من حكم الله عز وجل في توزيع الإرث ثم لما جئتم لتستخدموا هذه الطرق في بابٍ شرعي عجزتم!! وجعلتم هذا الجهل المزعوم والعجز المزعوم جعلتموه سبيلاً في إيقاف هذه المكرمة من تبني أبيكم أو أمكم لهذا الولد؟! فلذلك يستطيع الأب بحكمة أن يحل هذه المشكلة بطريقة ما، والطرق كثيرة لا أستطيع أن أعلم الناس طرق وفنون الهروب من القوانين الجائرة الظالمة، الناس لهم فنون أعظم مما يطرأ على أذهان المشايخ المساكين الضعفاء، ولذلك هذا ليس بالعذر.

وانتبهوا؛ حتى بعد أن فرغنا من طرق التحايل في تحقيق الحق، حتى لو وقع هذا الظلم فهو أهون بكثير من أن يعيش في مؤسسات الكفر، هنا في بلادنا مؤسسات ألمانية وبريطانية وأمريكية وفرنسية وإيطاليا، مؤسسات بالنسبة لهذا الأمر وتأخذ الأولاد وتعطيهم لعائلات يعيشون معهم ويربونهم، وهكذا ينسلخ يصبح من الاسم إلى الرسم إلى الاعتقاد إلى القلب إلى القول غريبًا عن الإسلام بعيدًا معاديًا.

وأنا تكلمت في الأسبوع يوم الجمعة الفائت عن موضوع كتاب إظهار الحق، وتكلمنا عن التبشير، وتكلمنا عن بعض صور الذين ربوا على عين التبشير فصاروا من أعدى أعداء الإسلام، وذكرت مثالاً بخليل زادة الأفغاني المشهور، هذا نموذج ظاهر بيّن وكبير لأنه وصل إلى مراتب عُليا في أن يصبح يمينيًا عدوًا للمسلمين ولقضايا بلده ابتداءً، قبل المسلمين عمومًا، مع أنه رُبي في لبنان، أُخذ من أفغانستان ورُبي في مؤسسات لبنانية ثم أُخذ إلى أمريكا وصار ممثلاً لأمريكا في الأمم المتحدة، ولولا بعض التدخلات كاد أن يصبح رئيسًا لأفغانستان، أن يدخل في الانتخابات الرئاسية الأفغانية ويُنتخب ليكون رئيسًا لأفغانستان، انظر!! فهذا أمرٌ خطير، حتى قلت: حتى لو أدى إلى مظالم في الإرث، فهذا لا يمنع من هذه المصالح التي يتحقق بها أمر ما يسمى بين قوسين

«التبني»، علينا أن نفتح هذا الباب بقوة.

المسألة الأخرى: يقول بعض الناس: ماذا نصنع إذا كبر؟ فكيف تكون أمه؟ كيف يرى من أمه؟ كيف يرى من أخته؟ الذي أراه أن هذا الأمر فيه تكلف زائد؛ بمعنى أن الأمهات والبنات في البيوت لا يتكشفن -أنا أتكلم عن بيوت المسلمين- لا يتكشفن التكشف السافر حتى أمام الأخ وأمام الأب، أنا لا أعلم هذا، الذي أعلمه أن بيوت المسلمين يكون فيها الستر المناسب حتى للأخ وحتى للأب، بل حتى للزوج في داخل البيت، بيت المهنة، فالطفل الذي رُبي أن هذه أمه وهذه أخته وهذا أخوه فهذه المعاني موجودة، وأنا أحب في هذا الباب أن نأخذ بحديث الإرضاع؛ بمعنى أن ترضعه أمه إرضاعًا بحيث يُصبح أخًا لهم في الرضاعة، إذا وجد الثدي المرضع؛ فحينئذٍ تنتهي المشكلة، خلاص تنتهي، فإن لم يوجد هذا اللبن يمكن أن ترضعه من أختٍ لها؛ تصبح له خالة.

والبعض يضع هذا التحرج وكأن بيوت المسلمين الإخوة والأخوات يعيشون مع الأب كما يعيش الفسقة في الخارج وكما يعيش الكفار بألبستهم الخارجية!! الحقيقة بيوت المسلمين البنات والنساء في ستر كافي في أن تعيش ما يسمى بلباس المهنة، فهذا جائز له، أنا لا أرى في ذلك حرج، هل يسلم على أمه؟ هذه أمه يسلم عليه! لم لا يسلم عليها؟! هذه أمه التي ربته، وحتى لو لم يكن هناك سببٌ لهذا، فهذا العيش معه وهذه الحياة الطويلة والرعاية له تكون نظرته لمن ربته ولمن عاشت معه كنظرته لأمه سواءً بسواء والناس يعرفون هذا من حياتهم، هذا الذي عندي في هذا الباب والله تعالى أعلم.

بارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٤٠٠- ألم تذكر العينة في سياق المباحات؟

ضمن الجلسة الثانية والثلاثون، بتاريخ: (١٤٣٩/٠٧/١١هـ الموافق لـ: ٢٠١٨/٠٣/٢٨ م)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل -تنبيهًا عما تقدم من قضية العِينة ومعانيها وحكمها، بيع العِينة الذي قلنا عنه في درسٍ سابق- يقول: ألم تُذكر العِينة في الحديث ضمن الْمُباحات في الأصل واتخاذ البقر والزرع؟

جواب الشيخ: نعم، ذكرت ضمن الْمُباحات في الأصل الْمُحرمات في طرق اتباعها، وذلك بأنها ألهتهم عن الجهاد، الله عز وجل في سورة «التوبة» عرى المنافقين وسماهم منافقين؛ لأنهم لم يخرجوا إلى الجهاد لأسباب كثيرة: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي﴾ [التوبة: ٤٩]، وخاف الفتنة كما يزعم؛ ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ [التوبة: ٤٩]، والذين خافوا ذهاب المنافع الدنيوية وهي جائزة فتركوا الجهاد؛ فهذا نفاق ومعصية، ولذلك وضعت هذه المباحات من اتخاذ الزرع والجري وراء البقر في مناقضتها لترك الجهاد.

قال صلى الله عليه وسلم: (**إذا تبايعتم بالعِينةِ وأخذتم أذنابَ البقرِ ورضيتم بالزرعِ وتركتم الجهادَ سلط اللهُ عليكم ذُلًّا لا ينزعُه شيءٌ حتى ترجعوا إلى دينِكم**)، أي جعلتم هذه من أسباب ترككم الجهاد، والشيء إذا كان حلالاً في ذاته مانعًا من الوصول إلى الحق صار حكمه حكم المآل الذي يؤدي إليه، الشيء قد يكون مُباحًا، لكنه يؤدي إلى الباطل؛ فحينئذٍ حكمه حكم الباطل، والشيء قد يكون حرامًا، لكن يحتاجه الناس إلى درجة الاضطرار؛ حينئذٍ يبيحه الشرع كالميتة؛ «فالعبرة بالمقاصد»، وهنا لما كانت هذه الأفعال عند الأمة في مجموعها مُعطلة للجهاد؛ صارت حرامًا، بل أنه لو اتخذ الناس هذه الأعمال المباحة وتركوا العلم وطلب العلم؛ صارت حرامًا، فكيف لو تركوا الجهاد؟!

فالجهاد فرض كفاية حين يكون الجهاد جهاد طلب، فإذا تركته الأمة بمجموعها مع أنه مُباحٌ للفرد، ولكن إذا تركته الأمة بمجموعها أثمت، وكما نبه أبو إسحاق الشاطبي رحمه الله: أن الأشياء يجب ألا يُنظر إليها فقط باعتبار فرد فاعلها، ولكن ينبغي أن يُنظر إليها كذلك باعتبار مجموع الأمة حين تفعلها، فقد يكون الشيء مباحًا، لكن إذا فعلته الأمة بأجمعها يُمنع، وقد يكون الشيء مباحًا ولكن واجب على الأمة أن تفعل بعضه،

يكون الشيء مباحًا لكن على الأمة أن تفعله في أن يتخصص له البعض فيرتفع إلى درجة الواجب الكفائي، فرض الكفاية، هذا من المسائل التي تقرر؛ فلذلك أيها الأخ الحبيب السائل هذه وضعت مقابل الجهاد فكانت جريمة، والله تعالى أعلم، والحمد لله رب العالمين.

٤٠١- حكم تعزية الكافر بالكافر

ضمن الجلسة الثانية والثلاثون، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٧/١١هـ الموافق لـ: ٢٠١٨/٠٣/٢٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أسأل الله العظيم أن تكون بأفضل حال -جزاك الله خيرًا، آمين، وإياكم- **يقول: أنه في ريف حمص الشمالي وقد قُتل لصديقٍ له ابن أخ، ولكنه قُتل مع العلمانيين وغيرهم، هو لا يقاتل المسلمين، لكن هو مع العلمانيين، فهل يجوز أن أعزيه؟**

جواب الشيخ: تعزية الكافر بالكافر جائزة، أي أن تذهب لكافر مات أبوه الكافر، أو أخوه الكافر، أو قريبه الكافر، فهل تعزي هذا الكافر؟ الجواب: يجوز، ويجوز تعزية المسلم بموت الكافر، ويجوز تعزية الكافر بموت المسلم، التعزية عملٌ يتعلق بالأخلاق التي يفتح الإسلام بابها بلا إغلاق، وهو ليس عملاً تعبدي يطلب الدليل، وهذا قول جماهير أهل العلم، وهناك من العلماء من كرهه؛ لأنهم يتحدثون عن واقعهم، ولكن جمهور العلماء يرون جوازه وبعضهم قد كرهه، ولا أدري هل هناك من حرمه أم لا؟ لا أدري، ولكن المنصوص عليه في كتب الفقه هو جواز تعزية الكافر.

والمرء المسلم إذا مات له أخٌ كافر أو قريبٌ كافر، يحزن؛ فيُعزى، وهذا بابٌ لا يختلف الناس فيه وهو تعزية المسلم بموت قريبه الكافر، أن يُعزى لمصابه وذلك من باب التصبير وتذكيره بأمر هذه الدنيا، فلا بأس في هذا الأمر ولا حرج فيه، والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين.

٤٠٢- حكم الجزم للكافر بالخلود في جهنم

ضمن الجلسة الثانية والثلاثون، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٧/١١هـ الموافق لـ: ٢٠١٨/٠٣/٢٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يقول الأخ: حصل خلاف بين بعض الإخوة حول مسألة الجزم بخلود الكافر الْمُعين الطاغوت في نار جهنم، ففتاوى العلماء على أنه لا يُجزم بذلك إلا في حق المنصوص على خلوده كفرعون وأبي لهب وأبي طالب وغيرهم ممن دلت النصوص على تخليدهم، ولكن بعض الإخوة ذهب إلى أنه يجوز، واستدلوا بقولك في إحدى مقالات عن جمال عبد الناصر: أنه خالد مُخلد في النار، فنرجو من فضيلتكم إيضاح هذه المسألة.

جواب الشيخ: أخي الحبيب، بغض النظر عما يقوله المتأخرون، قرأت للمتأخرين ما قالوا، والمتأخرون وقفوا فيها موقف الحيران، أنا أقصد الأسماء الكبرى من علماء الفتاوى في هذا الباب، وسبب هذه الحيرة هو ما ورد من كلام أهل العلم أننا لا نجزم لأحدٍ بجنةٍ أو نار، وللأسف هذه الجملة في كتب العقائد ومنها متن الطحاوية أنزلوها على كل أحد، على المسلم وعلى الكافر، وهذا ليس هو المقصود، جزمًا ليس هذا هو المقصود، إنما يقصد به أهل الإسلام، لا نجزم لأحدٍ بجنةٍ أو نار، والمقصود بلا نجزم، أي أننا نجزم أن المسلم نهايته إلى الجنة، ولكن هل نجزم أنه يُعذب أو لا يعذب؟ هذا إلى الله عز وجل، لا ندري، لعل له مساوئ باطنية تستحق النار حتى لو ظهر لنا أنه صالح، وقد يظهر لنا أنه فاسد ويكون قد غفر الله عز وجل له وله من الحسنات الباطنية والسرية ما تغفر له ذنبه.

وأنا أعجب للمتأخرين أنهم وقعوا في حيرةٍ وخلاف حولها، وبالتالي؛ الذي أعتقد ولا أظن أن مسلمًا من الأولين قد اختلف فيه؛ أن كل كافرٍ مات أمامنا وهو كافر أننا نجزم أنه من أهل النار، وقد يقول: قد تاب في آخر عمره، لحظة الغرغرة لا تُقبل توبته، إذا مات نصراني وسُئل مسلم: أين هو؟ يقول: في النار، ومن ذلك حديث (**أينما مررتم بقبر كافرٍ فبشروه بالنار**)، أبشروا بالنار يا كفار على الخصوص والعموم.

وأنا مع ضعفي، لكني لا أعلم أن هذه المسألة وقع فيها الخلاف عند الأولين، ولذلك لما ذكر أبو عبيد

القاسم بن سلاّم في كتابه «الإيمان» قال: إن أهل السنة لا يُعرفون إلا هذه المرتبة، مرتبة مسلمٍ في الدنيا ومسلمٍ في الآخرة، وكافرٌ في الدنيا كافرٌ في الآخرة، وكافرٌ في الدنيا المنافق وهو مسلمٌ في الظاهر كافرٌ في الباطن مسلم شرطه، ولم يتصوروا أن يكون هناك كافرٌ في الدنيا ظاهرًا وأن يكون مُسلمًا في الآخرة، هذه الصورة لم يتصورها علماؤنا، وبالتالي؛ يجب إثبات نفيها.

فمثلاً الآن وقع الخلاف في هذا الملحد الذي مات هذا عالم الرياضيات الذي يظنون أنه قد أنار الوجود وقد نشر السلام وحقق النعيم للدنيا، هم لا يعرفون ماذا قال، ولا يعرفون منه خيرًا ولا شرًا إلا الدعاية حوله، وتمجيده كما يمجد الكفرة، حتى لو مات الْمُغني، ولما ماتت ديانا، يعني صنعوا منها أيقونة من الحب والسلام والتعاطف ورعاية الطفولة، هكذا هي الحياة للأسف! يموت الشهيد ويموت المجاهد ويموت العالم فلا يبكيه أحد ويبدؤون بإظهار مساوئه! فإذا مات المجرم صنعوا منه تمثالاً من الحنان والحب والرأفة والأخلاق الحسنة! وكل ذلك كذب.

وأنا يسليني دائمًا حديث الطفل الذي نطق وهو بين ذراع أمه عندما مرت المرأة والناس يرجمونها ويقولون: زانية، فقالت أمه: اللهم لا تجعل ابني مثلها، فنطق الطفل الرضيع وقال: اللهم اجعلني مثلها، وكانت بريئة مظلومة، ومر الملك والناس ينحنون له ويحترمونه، فقالت أم الطفل: اللهم اجعل ابني مثله، وهو طاغوت، فقال الطفل: اللهم لا تجعلني مثله، هذا الحديث يسليني، ففي كل يومٍ أرفعه أمام عيني؛ لأنه في الحقيقة مادة لإصلاح القلوب، وشفاء لما في الصدور، ودواء لما يحدث في قلوبنا من أمراض.

القصد من هذا: بأن الناس اختلفوا وبدؤوا يتحدثون: من الذي يقول لكم أن تجزموا له بالنار؟! نجزم له بالنار، نحن نجزم أن كل كافرٍ مات على الكفر أنه في النار، والخلاف الذي أحدثه المتأخرون هذا خلاف لا يُعتد به، هذا الذي أقوله في هذا الباب، ولذلك واجبٌ عليك إذا مات كافر فسُئلت عنه؛ أن تجزم بأنه في النار، مثلما حكمت على جمال عبد الناصر في النار وأحكم على أمثاله، أنهم في النار وأنهم خالدون فيها أبدًا، كفارًا، وأما من مات مسلمًا حتى لو كان فاسقًا عاصيًا فلا أجزم له لا بجنة ولا بالنار، حتى لو لم تكن له طاعات تمسح السيئات فهو عُرضة للعفو الإلهي، أن يعفو الله عز وجل عنه، فالله عز وجل سبحانه وتعالى يُخرج أقوامًا من النار لم يعملوا خيرًا قط؛ شفاعةً منه سبحانه وتعالى لهؤلاء.

فالقصد: بأن كل كافرٍ هو في النار، يجب أن تجزموا بهذا، حتى لو كان على منوال عبد الله بن جدعان التيمي، عبد الله بن جدعان التيمي كان يقري الضيف ويعين على نوائب الحق والمظلوم، قالت أمنا عائشة رضي الله عنها: قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، ابنُ جُدْعانَ كانَ في الجاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، ويُطْعِمُ المِسْكِينَ، فَهلْ ذاكَ نافِعُهُ؟ قالَ: **(لا يَنْفَعُهُ، إنَّه لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لي خَطِيئَتي يَومَ الدِّينِ)**، والحديث في الصحيح، في النار حتى لو كان بمثل هذا الخير.

فبعض الناس يسارع إلى سب من هو مجرم والحكم عليه بالنار، فإذا كان هناك ميت فيه بعض إحسان أو بعض نصرة لقضايا المسلمين، يتورع المسلمون وكأن قيمة الإيمان لا قيمة لها، كأن موضوع الإيمان بالله عز وجل والدار الآخرة والتصديق بالرسول والإيمان بالقرآن هذه قيم لا قيمة لها، المهم أنه يدفع المال ويبكي لمآسينا فهذه هي القيمة العُظمى التي ينبغي أن يحكم من خلالها على الخلق، هذا لا، فنحن نحكم من خلال أعظم القيم في الدنيا وهو الإيمان بالله عز وجل والإيمان بالرسول والإيمان بالقرآن، هذه أعظم القيم، فإذا لم يكن في قلبك القيمة والتعظيم لهذا فأنت عليك أن تشك في دينك أصلاً، نسأل الله العفو والعافية أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم.

بارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٤٠٣- حكم التجارة بالبضاعة المقلدة

ضمن الجلسة الثانية والثلاثون، بتاريخ: (**١١/٠٧/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٢٨/٠٣/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل أخ: ما حكم التجارة في البضاعات المقلدة عن الماركات الأصلية؟

جواب الشيخ: هذا السؤال أجبت عنه كثيرًا وأكرر -ولعل الناس لا يسمعون كل الأسئلة، إنما يسمعون ما يسألون عنه-: الأصل هو عدم جواز سرقة حقوق الناس، وكثيرًا من الذين يبدؤون بالصناعات يتعبون في الوصول إلى صناعاتهم إلى المستوى المطلوب.

مثلاً: أنتم تعرفون أن الأدوية لا تكتشف بسهولة، بل تحتاج إلى أبحاث وتحتاج إلى جهود وأموال تُنفق من أجل الوصول إلى أن هذا الدواء ينفع هذا المرض، فلا يجوز أن نسرق جهودهم، كذلك هناك بعض الإبداعات التي يدفع الصانع الأول لها الأموال الكثيرة من أجل الوصول إلى ما يحب، فلا يجوز أن تسرق، هذا هو الأصل، الناس إذا كانوا مع العدل وهذا الأمر الذي هو بوجهه الصحيح؛ فلا يجوز أن تسرق وخاصةً من المسلم الذي يعرف عنه الإنصاف وأنه تعب ودفع الأموال من أجل أن يصل لهذا المستوى الذي يحب أو هذه البضاعة التي صنعها ودفعها، وحقوق الملكية ينبغي أن تحترم.

لكن نحن نتكلم عن واقع ولا بد من النظر فيه، هناك احتكار للحقوق وتصل إلى درجة الظلم وإلى درجة الفساد، وأنتم تعلمون أن مرض الإيدز الخبيث ينتشر في أفريقيا انتشار النار في الهشيم، في أفريقيا الجنوبية ربما يفوق العشرة مليون مصاب به، ويكثر هذا المرض في أفريقيا لأن العناية الطبية قليلة، وللأسف يوجد عندهم الزنا بكثرة لعدم وجود الدين وأغلبهم وثنيون، ومن دخل منهم النصرانية دخل النصرانية المحرفة التي لا تحرم هذه العلاقات الجنسية المحرمة، فهناك شركات تصنع أدوية الإيدز وتحتكرها خاصةً الشركات الأمريكية، والحكومة تدعم هذا الاحتكار وتحارب الدول التي تسعى للانفلات من هذا الاحتكار، ولذلك شركات الأدوية لمعالجة الإيدز تُنفق مليارات تبرعًا لأفريقيا؛ لأنها توجب عليهم أن يشتروا البضاعة منها بالثمن الذي تحدده وهو بمالغ عالية، فهل يجوز للمسلمين أن يسرقوا هذه؟ الجواب: نعم، يجوز لهم أن يسرقوا هذه؛ لأن هذا من الحقوق التي

فيها التعسف باستخدام الحق.

وهذه مسألةٌ كتب فيها شيخنا وأستاذنا فتحي الدريني وهو التعسف في استعمال الحق، وينبغي كقاعدة عامة أن يعامل بضده، الذي يتعسف باستعمال الحق يجب أن يُعامل بضده، كمن يفعل هذا الذي بين أيدينا يحتكر ما يحتاجه الناس من الأدوية الواجبة التي فيها حياة الناس وقِوام حياتهم؛ فيجوز لهم، بل يجب على الناس أن يُعالجوا أنفسهم خروجًا من إطار هذا الاحتكار وهذا الظلم، فهذا وجه من الوجوه التي ينبغي أن تؤخذ منهم.

الوجه الثاني: إذا كان في ذلك بُعد عن تحصيل الحقوق، أي الاحتكار قد يكون من الوسيط وقد يكون من صاحب البضاعة، مثلاً: كما تكلمت مرة عن الأشرطة وعن الكتب العلمية فإن بعض الوسطاء لأنها تصدر من جهتهم خاصة، تأتي فيأخذونها من المصدر خاصة فيرفعون أثمانها في بلاد معينة، فيجوز للناس أن يكسروا هذا الاحتكار بمقدار ما يحتاجون إليه.

المسألة الثانية: وهي في الأماكن البعيدة التي يصعب الوصول إلى هذه البضاعة أو هذا الْمُنتج وهم بحاجة إليه؛ فحينئذٍ يجوز لهم ذلك، والمال الحربي كما قرر علماؤنا وهو من الإجماع يجوز أخذه على أي وجهٍ كان وعلى أي صفة، هذا من الْمُجمع عليه، وهذا من الأبواب التي ينبغي أن يصنف فيها من المعاصرين، ولكن الناس يخافون مع أن هناك دولاً كبيرة لا تحترم حقوق الملكية مثل الصين، والآن أصدر الرئيس الأمريكي ترامب هذا المجنون، أصدر حزمةً من القوانين التي تقيد التجارة بين البلدين؛ مما جعل الصينيين يهددون كذلك، ومن صور تهديدهم إصدار ما يسمى بالين دولار وهي العملة التي تسمى «اليوان الرينمنبي»، فاصدروا هذه عملة خاصة للدولار كسرًا للاحتكار الأمريكي لقضية صفقات البترول بأنها بالدولار، ولأن الصين لا يعترفون بحقوق الملكية ولذلك يسرقون كل الصناعات ويصنعونها ويصدرونها العالم والدولة تقرر هذا ولا تعترف به، وهذا ضمن الصراعات الكبرى التي تقوم بين الدول اقتصاديًا، وتقوم بين الشركات،

وينبغي على المسلمين أن يدخلوا في هذا بمقدار ما يحقق لهم الخير بعيدًا عن سيطرة هذه الدول، وأما من المسلم فحقوقه محترمة كما تقدم الكلام عن موضوع الكتب وعدم جواز سرقتها ووجوب احترام ما يسمى بحقوق الطبع على وجهٍ من وجوه الحق وليس الاحتكار الذي يفعله البعض هذا ما عندي والله تعالى أعلم.

بارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٤٠٤- حكم الاختلاط في المدارس

ضمن الجلسة الثانية والثلاثون، بتاريخ: (**١١/٠٧/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٢٨/٠٣/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: ما حكم الاختلاط في المدارس، وعندنا من الفتن والمصائب الكثيرة، حتى أنهم يمنعون الشباب من ارتداء القميص والعمامة التي هي السنة زيادة على ذلك يدرسوننا بعض النساء المتبرجات واللاتي لا يهتممن باللباس الديني، وبعض معلمات المادة الإسلامية يرتدين السروال -يقصد الضيق- ويتبرجن تبرج الجاهلية، ماذا تقول عن هذا؟ ويقول -وإن كان في موضوع آخر-: ولدي سؤال آخر هل يجوز المراهنة على الخيل، كما في الحديث: (**لاَ سبقَ إلاَّ في خفٍّ أو في حافرٍ أو نصلٍ**)، أنا الآن أدرس في المنزل العلوم الشرعية لأنهم يدرسونها في المغرب.

جواب الشيخ: أولاً: بلا شك أن هذا الاختلاط الواقع في المدارس العلمانية وفي بعض البلاد، حتى من الصغر يدرسونها، وما يقع من الاختلاط كذلك في المدارس وفي الجامعات في عامة بلاد المسلمين إلا من رحم الله عز وجل؛ فإنه من مصائب تقليد الكفار، ومن المصائب التي سيدفع أهل الإسلام ثمنها غاليًا في أعراضهم وفي أخلاق أبنائهم وفي مستقبل دينهم، هذا للأسف من الشر الذي استوردته هذه الأمة من الأعداء، ومما يدل على ذهاب العقل والدين، وذهاب احترام الخصوصية، أننا لم نأخذ من الغرب إلا الشرور.

فأنت ترى الفارق الكبير في مستوى التعليم في الغرب وبلادنا، مستوى الجامعات، إلى الآن لم تدخل ولا جامعة عربية في التقييم، أظن من خمس مئة جامعة في العالم، فلا يوجد جامعة عربية دخلت في الصفوف الأولى من الجامعات لنقل أول مئة، فهذا يدل على مستوى التعليم المتدني، فماذا أخذنا من الجامعات؟ سوى السفور وقلة الحياء والجهالة والتقليد السيء! وأما المستويات العلمية والتقدم فيها في الدراسات والعلوم فهذا نحن في عريٍ عنه، وما زال الناس الذين يطلبون لأبنائهم التعليم الجيد يرسلونهم إلى البلاد الغربية ليتعلموا تعليمًا يليق بمراتبهم التي تنتظرهم، للأسف!

ولا شك أن الاختلاط من الإجرام، قال صلى الله عليه وسلم: (**لا يخلون رجل بامرأة؛ فإن الشيطان**

ثالثهما)، ولو كان هذا الاختلاط باللباس الشرعي والفصل بينهما لكان الأمر فيه بعض سعة، وإن كان ينبغي الفصل المطلق التام، لكن للأسف هذا الاختلاط المشهور مع اللباس القذر والذي فيه السفور من كشف الشعور واللباس الضيق وما ذكره الأخ السروال الضيق الذي يجسد العورة، وبعد ذلك يتساءلون لِمَ تسقط الأخلاق؟! ولِمَ يتخرج هؤلاء حتى من كليات الشريعة التي هي ضمن هذه الجامعات مع قلة دين إلا من رحم الله عز وجل؟! فهذه من المصائب التي انتشرت وعمت في بلاد المسلمين، ودلت على أن المؤسسات التعليمية تقوم على تغريب الأمة وعلى قهر دينها وقهر أعرافها الإسلامية.

واليوم يلاحق في بلاد المسلمين من كان مُلتحيًا والذي يتردد على المساجد ويرتاد المساجد ومحبي المساجد، والناس من خوفهم يسمعني أحدهم قولاً لأحدهم قبل مدة يقول: مئة ملف ضدي مخدرات ولا ملف واحد أبي شيخ!! لهذه الدرجة من الخوف من الدين في بلادنا! أي أن يقيد له مئة قيد أنه بائع وتاجر مخدرات أو مُتعاطي المخدرات هذا سهل يتحمله، لكن أن يقيد ضده قيدٌ واحد أنه متدين بحيث يُصبح مشبوهًا يأخذونه يومًا للدوائر الأمنية ويرسلونه يومًا ويفعلون به الأفاعيل، يقول: لا، مئة قيد في تجارة المخدرات ولا قيد واحد أبي شيخ! لا أريد أن يسجل ضدي أبي شيخ.

بل حدثني أحدهم أنه سجن مع الشيخ فصار يحدثه فبدأ يصلي فأُخذ إلى الدوائر الأمنية، فقالوا له: أتريد أن تصبح شيخًا؟ قال: لا، لست شيخًا، فأخرج حبة مخدرات من جيبه وأكلها! وقال: انظر أنا لست شيخ!! أي والله هذه قصص ليست من الخيال بل هي واقعية، انظر إلى هذا القهر بدين الناس، ثم يزعمون أنهم يحمون الشريعة! وإنما يحمون الأمة من أن تعود لدينها، انظر إلى مراقبة الدوائر الأمنية للمتدين وإلى ملاحقته وإلى التقييد عليه في حياته، اذهب أنت وصديقك أنت بلحية وهو بغير لحية، اذهبا إلى المطار وانظر كيف يتعامل القائمون على الأمن في المطار بين صاحب اللحية وغير اللحية، بين المرأة المتحجبة والغير متحجبة، التي تلبس على وجهها، واذهب إلى أي مؤسسة حكومية وانظر كيف يفرق الناس بينهم، انظر إلى طريقة تعاملهم مع هؤلاء وهؤلاء، ثم يزعمون أنهم لا يحاربون الدين!

فمحاربة الدين في هذه البلاد على قدمٍ وساق، المتدينون لا يكادون ينعمون بدينهم، يُحاربون، ووالله الكثير من الناس يتخلون عن الذهاب للمساجد خوفًا من هذا، ويتخلون عن أن يطلقون اللحى خوفًا منهم لئلا

يُلاحقوا، وأنا سألت البعض لما لا تطلق لحيتك قال: عندما أنتهي من العمل وأعجز، أي ينظرون له أنه أطلق اللحية بسبب كبر سنه واقتراب قبره له.

فلذلك هذه المؤسسات التربوية التي ينبغي أن تُخرّج الثقات خرّجت اللصوص، وأن تُخرّج النساء الطيبات المتسترات خرّجنهن كما ترون، وفي النهاية انهارت الأسرة، المرأة فاسدة والرجل فاسد يتزوجون وكل واحدٍ يشك في الآخر، سألت محاميًا ما هي نسبة الطلاق في محاكمكم؟ فقال: في بلادنا الناس يتزوجون ليُطلّقون، لأن الطلاق هو الأصل، نسب خيالية جدًا، ما هو سببه؟! الفساد، ما في لنحيينه حياةً طيبة، الحياة الآن ضنك، ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤)﴾ [طه: ١٢٤].

وبالتالي؛ ماذا نقول؟! فالشاب المتدين في بلادنا غريب، غريب اللسان، غريب الوجه، غريب الشكل، وهذه المؤسسات يقوم عليها فاسدون علمانيون لا يهتمون بالأخلاق، لا يهتمون بتربية الأخلاق، بل إذا وجدوا من الشاب دينًا وتقوى وتورع عن علاقته مع النساء، يستقذرونه ويخافون منه ويضعون عليه النقط التي تُنبئ إلى خطورته، حتى لو لم يكن له إلا أنه متدين، فإذا زاد أن يتدخل في كلامه عن الدين والدفاع عن الشريعة صارت تهمته أكبر، وهكذا، هذا حال بلاد المسلمين للأسف، ولذلك اصلاحها صار من الصعب، ونسأل الله عز وجل أن يأتي بنهره، «إذا جاء نهر الله بطل نهر مِعقل» فنسأل الله عز وجل أن ييسر صلاحًا عامًا يزيل هذا الفساد الذي نخر في الأمة ونخر في المجتمعات، كان الفساد في المؤسسات، اليوم الفساد نزل ونزل حتى ذهب في الشعوب، سباب الدين والرب في داخل المجتمعات، يسبون الله عز وجل، يسبون الدين، ولذلك العذاب قريب، العذاب الذي به يتم نصرة الدين وهزيمة هؤلاء المجرمين، هذا قريب، نسأل الله عز وجل أن يرحمنا برحمته.

وما يشكو منه الأخ في بلده هذا واقع، والطريقة هي أن يتقي الناس وأن يحفظوا دينهم، يحفظوا بناتهم، ما في ضرورة البنات يذهبن إلى الجامعات العلمانية، فإذا اضطررنا للذهاب يجب أن يلتزمن بالشريعة، وإذا رأى الرجل من ابنته شيئًا من الانحراف وشيئًا من التغير؛ عليه أن يمنع من ذهابها، وإذا وجد في ابنه شيئًا من الانحراف؛ عليه أن يمنع من ذهابه، عليه أن يراقب عِرضه، يراقب ابنته، يراقب أهله في البيت يراقب أبناءه، وأما الذي يستطيع أن يبني نفسه في البيت بعيدًا عن هذه المؤسسات فهذا حسن، ولكن لا نمنع الذهاب، وأنا دائمًا أقول: أحب أن ينشأ الشاب المقاتل، المقاتل لدينه، الصلب في دينه، من خلال العلمانية يصلُب دينه ويقوى

دينه وينشأ عنده الإسلام الذي يصادم الباطل ويواجهه ويناظره ويهزمه، هذا الذي أدعو إليه، نسأل الله أن يرحمنا، هذه شكوى أكثر منها جواب.

بارك الله فيكم وجزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

٤٠٥- حكم صلاة المصاب بالوسواس القهري

ضمن الجلسة الثانية والثلاثون، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٧/١١هـ الموافق لـ: ٢٠١٨/٠٣/٢٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل ويقول: أعاني من الاكتئاب الحاد والوسواس القهري إذا اشتد علي المرض أجمع الصلوات ولا أصلي في الوقت، وقد أترك الصلاة يومًا كاملاً، وإذا أشتد علي الأمر أردد عبارات من قبيل كفار، أكفر الناس وقد أقول: أنا كافر أو ما عدت مسلمًا أرددها، كل هذا وأنا مدرك تمامًا لما أقول وأفعل غير فاقدٍ للوعي أو الاستبصار عندما أكون في الحالة التي ذكرت، حتى الأكل لا أكل ولا أخرج من البيت، هل يقع علي الكفر في هذه الحالة؟

جواب الشيخ: أخي نسأل الله العفو والعافية، وأنا تألمت لما قرأت هذا السؤال الآن، وأعلم ما يُعانيه أصحاب الوسواس القهري وهو مرضٌ منتشر للأسف بين الناس قديمًا وحديثًا، والآن أنا أريد فقط أن أنظر إليك مريضًا ولا أنظر إليك عاملاً لفعل يبحث عن الحكم الشرعي، عليك إن تغض الطرف عن بحثك عن الحكم الشرعي على ما أنت فيه، ولكن عليك أن تنظر إلى نفسك أنك مريض؛ فعليك أن تبحث عن طرق العلاج.

وأنا أنصحك ابتداءً، ولا أعرف من أي بلدٍ أنت أخي الحبيب السائل، إنما عليك أن تبحث عن طبيب نفسي يتقي الله عز وجل، عنده الدين ويصلي ويعرف دين الله، وأن تعرض نفسك عليه، ليس شرطًا أن يكون طبيبًا، أي يعلق يافطة أنه طبيب نفسي، ولكن على رجل يبصر طريقة علاج هؤلاء الناس من العلماء المتقنين وليس من الدجالين والخرافيين وأصحاب الأكاذيب الذين يكذبون فيعلقون مثلاً أنك مصاب بالجن ويبدؤون بالاستنزاف المالي، وهذه قاعدة: كل من طلب منكم في علاج البدن وعلاج النفس كل من طلب منكم أموالاً كثيرة فاعلموا أنه كذاب، كل من يطلب منكم أنت تحتاج إلى آلاف فاعلم أنه كذاب، وكل من ربطك به هذا الربط أن الناس لا يعرفون وأنا أعرف؛ هذا كذاب.

وأنا أطلب منك -وسأجيب عن الحكم الشرعي- ولكن أنا أطلب منك أخي الحبيب أن تعرض نفسك

على طبيبٍ نفسي عالمٍ بشأنك لأن هناك ثمة حبوب تُعطى في علاج الوسواس القهري، وهي نافعة، فإخواني أخبروني أكثر من مرة وعالجت أكثر من أخ أن يذهبوا إلى الأطباء؛ فأعطوهم أدوية عالجت «٨٠٪» من أمراضهم، وبقي «٢٠٪» يعالجون أنفسهم من خلال التربية ومن خلال النظر للنفس ومعالجتها بالتربية والتقويم.

فالقصد أيها الأخ الحبيب: هذا الذي أطلبه منك، هذه حالة خطيرة جدًا ومتقدمة في الوسواس القهري وقد ينتهي بك إلى الجنون والمرض والحقيقة إلى ما لا يحمد عقباه، فلذلك الذي يقع مع الوسواس القهري في الغُسل في الوضوء في الصلاة في هذه الأحاديث النفسية الخطيرة والوساوس القهرية الشديدة؛ عليه أن يراجع طبيبًا، هناك أدوية تُعطى معروف ولا أريد أن أتدخل، لكن الأطباء يعرفونها، والوسواس القهري مرضٌ معروف وليس سرًا وليس خرافة غائبة عن المعالجين، فهذا مرضٌ مُنتشر وله أدويته المعروفة المشهورة؛ فعليك أن تفعلها وعليك أن تأخذها كما إذا أصبت بمرضٍ بدني فتذهب إلى الطبيب ويعالجك وبإذن الله يذهب منك الكثير، الكثير، ثم يحتاج منك بعد ذلك إلى التربية وإلى الوعي على نفسك؛ بأن تذهب إلى شيخٍ طالب علم يفهم في موضوع السنن وموضوع الأمراض فيعالجك في هذا الأمر.

أما موضوع الحكم الشرعي: والله يا أخي هذا بابٌ سأتوقف فيه، لا أدري حكمك عند الله عز وجل، فأرجو أن تكون معذورًا، وأدعو الله عز وجل لك بأن يرفع عنك السؤال ويرفع عنك الإثم ويرفع عنك تسجيل السيئات حين يقع عليك هذا المرض، وأنا أعلم سطوة هذا المرض وقهره وألمه على النفوس، أعلم هذا، وهذه الأمراض النفسية من مرض التوحد ومرض الوسواس القهري، هذه أمراض لا يعرفها إلا من تعامل مع أهلها بعنايةٍ ورحمة، من تعامل معهم، وأما البعيد فقد لا يعذر ويبدأ بالسب ويظن أنه بالقسوة والشِدة والضرب والأحكام وإطلاق الأحكام أنه يستطيع معالجة هذه القضايا، وهذا غير صحيح.

فهذه أمراضٌ إذا غلبت لا نستطيع التعامل معها وتحتاج إلى طبيبٍ صاحب دين وتقوى، وأنا شهدت فكان معنا في السجن أخ نسأل الله العفو والعافية كان يتعبنا في موضوع الوسواس، كان يتعبنا تعبًا شديدًا، ونقف أمامه عاجزين عن معالجته، وكان هناك أخٌ آخر له أحوال أخرى نفسية من الأمراض المنتشرة كالتوحد وغيره، فلا نفهم كيف التعامل معه، فلذلك لا بد أن تذهب إلى طبيبٍ نفسي في هذا الباب.

وأنا لا أقول لك إلا كلمة واحدة: أسأل الله عز وجل أن لا يكتب عليك ما تقول، وأن يكون هذا من أز

الشيطان الذي تسقط به الإرادة بسبب المرض، كمن يعجز أن يحرك يده بسبب المرض، كمن يعجز أن يقوم إلى الصلاة بسبب المرض، كمن يعجز أن يصوم بسبب المرض، وهنا يقع القهر حتى يُخرج المرء ما يكره المرء، ما لا يحب، كما في حديث أبي هريرة: «تحدثه نفسه فيتمنى لو تقطع عنقه ولا يتكلم بها»، فعدها النبي صلى الله عليه وسلم من الإيمان، فأنت فقط حاول أن لا يخرج من فمك، وأما ما يحدث في نفسك من أمور فالله عز وجل يعفو عنها، ولكن حاول ألا يخرج هذا الكلام من فمك، ألا يخرج هذا الكلام الكفري والشركي وكلام المعصية ألا يخرج من فمك، وأما ما يحدث في النفس فالله عز وجل رحيمٌ بنا، ومع ذلك فأدعوا الله عز وجل لك أن يرحمنا وإياك والحمد لله رب العالمين.

٤٠٦- تخصيص راتب شهري لأمراء الكتائب

ضمن الجلسة الثانية والثلاثون، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٧/١١هـ الموافق لـ: ٢٠١٨/٠٣/٢٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: هل يجوز تخصيص راتب شهري من بيت المال لأمراء الكتائب والسرايا دون بقية المجاهدين بسبب أن الأمراء متفرغون تفرغًا كاملاً للعمل الجهادي على عكس بقية المجاهدين الذين لهم أوقات استراحة كافية للعمل وكسب الرزق؟

جواب الشيخ: في الحقيقة هذا السؤال يحتاج إلى نظرين: إلى نظر من جهةٍ علميةٍ مجردة، وإلى نظرٍ إلى الواقع ومعرفة أحوال الناس.

أولاً: هذه قاعدة التي سأقولها قالها الفاروق وهي تدل على تمام حكمته وتمام عقله ونظره رضي الله تعالى عنه، قال: «المرء لسابقته والمرء لحاجته والمرء لبلائه»، إذن قواعد العطاء التي تُفرض للناس من قبل الأمراء والآباء والذين بيدهم المال هي كالتالي؛ أن يُعطى الرجل بمقدار حاجته، وأن يُعطى المرء بمقدار بلائه، وأن يُعطى المرء بمقدار سابقته، كان هذا تقسيم الفاروق رضي الله عنه في عطاء بيت مال المسلمين.

وكان أبو بكر رضي الله عنه يُعطي الناس عطاءً متساويًا، لا يفرق بين آل البيت وغيرهم، لا يفرق بين السابقين وغيرهم، ويكل هذا التقدم إلى الآخرة، إلى الله عز وجل، إلى أن يأخذوه في الآخرة، عمر رضي الله عنه اختلف نظره عن هذه النظرة فكان يعطي الناس على هذه القضايا؛ إذا كان الرجل صاحب حاجة؛ أعطاه أكثر من غيره، وإذا كان الرجل له سابقة من السابقين المهاجرين الأولين؛ فيعطيه على قدر سابقته، وقد يسبق المرء بالفضل بالعطاء الإلهي القدري كأن يكون من آل البيت، كأن يكون من العلماء، وقد يكون من سُرات القوم، سرية، ويعطيه على قدر حاجته وسابقته وعلى قدر بلائه، ماذا يفعل الآن؟ ماذا يقوم؟ فهذا هذه هي طريقة العدل وطريقة العطاء لمن أنصف وأصاب، وهذه قاعدةٌ عمريةٌ فاروقية ينبغي على الذين يعطون الأموال من الآباء والأمهات والمتنفذين ودافعي الأجور وعلى الأمراء والسلاطين أن يُعملوا هذه القاعدة.

ونتكلم نحن دائمًا عن المساواة، لا نحن نتكلم عن العدل، المساواة ليست من دين الله، المطلوب هو العدل،

والعدل أن يُعطى المرء بما ينفعه وما يكفيه، فقد هذا يكفيه الأقل وهذا يكفيه الأكثر فيُعطى بحسب العدل الإلهي الذي يحقق مراده في هذا المال الذي أخذه.

فهذا هو الجواب من جهة العلم فيما يخص إعطاء الأموال للناس، فقد يُعطى الرجل لتفرغه وهذا يُعطى أكثر لعدم تفرغه، وهذا يُعطى لبلائه، وصاحب عقل وصاحب علم وصاحب تجربة، وليس القائد كالفرد، الفرد ربما يُستغنى عنه، ولكن القائد، فيوجد القليل من القادة، فيُعطى القائد ما لا يُعطى الجندي، وليس هذا من الظلم، وليس هذا من سوء توزيع الثروة كما يقولون، لا، المطلوب هو العدل، ولكن مع كل هذا ينبغي الصدق مع الواقع في هذا التوزيع، مثلاً: قد يدخل الهوى في هذا التوزيع.

مثلاً: الْمُقدم، رجلٌ لأنه قريب منك تعطيه أكثر، لأنه قريب منك من جهة الهوى والقيادة فتعطيه أكثر، ورجل قريب منك لأنه من أقربائك تعطيه أكثر؛ فحينئذٍ دخل الهوى، وهذه صفات لا تصنع التفريق، كما الصفات التي تقدمت، الصفات التي تصنع التفريق «البلاء، السابقة، الحاجة»، أما أن يكون لك الأتباع تدفع لهم ولأنهم يصفقون لك ويغردون كما تحب ويمسحون كالمنديل كل أوساخك ولا يعرفون إلا المدح، فإذا خالفك مُخالف قطعت عنه الرزق وأعطيت هؤلاء المنافقين؛ فهذا من الهوى، وهذا من الظلم، وهذا من فساد ذات البين، أن تقدم الناس للإمرة الذين يوافقونك في كل شيء حتى على الباطل وهم جهلة وتبعد العلماء الصادقين الذين يناقشونك؛ هذا من الهوى والفساد، وعاقبة هذا الأمر الخسارة، ستخسر كل شيء، والذين يصفقون لك اليوم سيصفقون لغيرك، والذين اشتريتهم بمال اليوم سيشتريهم من يدفع غداً أكثر منك، أو أن تدفع لأقاربك، تدفع لأبنك أكثر، تدفع لأخيك أكثر، تدفع لقرابتك الذين حولك أكثر من غيرهم؛ فهذا كله من الظلم، فينبغي أن نُحاذر إدخال الهوى وإدخال الظلم تحت هذا العدل الذي دعونا إليه.

الموضوع الثاني: هو موضوع الذي ينتشر في كثير من الساحات، وهو أن هناك تفريق وعدم رعاية للحاجة، فالناس شكوا في بعض الأمور أن الناس يتركون الجبهات والجهاد لأنهم لا يجدون من يقوم بحاجتهم، أبنائهم يحتاجون الحليب ويحتاجون الطعام والشراب، والقادة يأكلون ويشربون ويشترون ويركبون السيارات الجميلة كالطواغيت، يأكلون ويشربون ويتنعمون ولا يشعرون بأمتهم عند الفقر والحاجة والضعف كما هو شأن الطواغيت، فهذا وإن حاول البعض أن يلبسه لباس الشرع على وجهٍ من وجوه الباطل والكذب على الدين من

خلال ما يُسمى بالحاجة والبلاء والمقام، ولكنه في دين الله باطل، والله عز وجل أدرى بالقلوب، مُطّلع، الناس يكذبون لهم ألسنا تكذب ولهم أزياء تخفي سرائرهم وعيوبهم، ولكن الله عز وجل هو رب القلوب؛ فينبغي على هؤلاء أن يتقوا الله عز وجل، وإذا كان هؤلاء في وقت البلاء يقع منهم هذا الظلم، فكيف إذا تمكنوا في بلاد المسلمين؟! فكيف إذا تمكنوا بأموال المسلمين؟! هذه جريمة تدل على أن هؤلاء لا يتقون الله عز وجل.

أو أن يحبسوا المال، يأتي المال فلا يوزعه على الفقراء ولا على المساكين ولا على المحتاجين ويحبسه من أجل أن يدخره ليومه، كما ذكر عن الطاغوت القذافي فكان يقول: جوع كلبك يتبعك، تدخل عليه المليارات من خلال البترول والشعب فقير لا يجد ما يأكل، فلماذا؟ قال: جوع كلبك يتبعك، فبعضهم هكذا يفعل، يريد أن يقتر حتى يبقى الناس يلتقون به، غدًا إذا جاعوا يأكلونك، والله عز وجل سيبتليك، الله عز وجل يعاقب بالقدر من خالف الشرع، هذه قاعدة يجب على الناس أن يعلموا وأن لا يركنوا كثيرًا ويتكلوا على صبر الله عليهم، فإن الله عز وجل يمهل ولا يهمل، والله عز وجل يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، هذا هو ميزان الشرع، وما من ظالمٍ إلا وسيرى عاقبة ظلمه في هذه الحياة الدنيا، لا يوجد معصية أسرع عقوبة في هذه الدنيا من عقوبة الظلم، وأنت باسم الدين تظلم، والناس يحتاجون ويجاهدون ويقدمون أرواحهم ويبذلون الغالي والنفيس في سبيل الدين ثم أنت تقتل عليهم بالمال؛ فعلى الناس أن يتقوا الله عز وجل، هذا المال لن ينفعك، غدًا عندما تسقط هذا المال تراب، والله سيأتي عليك يوم كما أتى على القذافي يملك المليارات ولا تجده إلا في داخل أنبوب المجاري.

هذه الأموال ستكون بين يديك عذابًا كما هي في بعضهم، انظر كيف عذب الله عز وجل بعض الأثرياء؛ المال بين أيديهم ولا يستطيعون الشرب والأكل، ولا يملكون الحرية، هؤلاء الذين سجنوا مع أموالهم يملكون المليارات ومع ذلك لا يملكون من أنفسهم أن يشربوا كأس الماء بإرادتهم، مفقودة، وهناك عقوبات إلهية متعددة ليس الحبس فقط، المرض؛ يكون عنده الأموال ولا يستطيع أن يأكل طعامًا معينًا وهو بين يديه، يشتهيه ولا يستطيع أن يدخله فمه، لوجد المرض، العقاب الإلهي، والعقاب الإلهي بأن يسلط الله عز وجل أبناء الرجل على ماله فيُفسد له المال وهو لا يستطيع أن يملك شيئًا، يشله ولا يبقى له إلا العين تنظر إلى مأساته عقوبةٌ له من الله عز وجل، فإياك، على الناس أن يخافوا الله عز وجل، والناس يرون الموت أمامهم ولا يرتدعون!! يرون العقوبات الإلهية على أُناس كانوا في عز مُلكهم وسلطانهم وأموالهم ففقدوها وهم ينظرون؛ فعلى الناس أن يتقوا الله في هذا الباب والله تعالى أعلم.

بارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٤٠٧- كيف يوفق الرجل بين الجهاد والزواج؟

ضمن الجلسة الثالثة والثلاثون، بتاريخ: (**١٨/٠٧/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٤/٠٤/٢٠١٨ م**)

الحمد لله؛ والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: **أنه في حالة اضطراب بين الجهاد والزواج، ويقول**: **إنه يظن أن الزواج قد يمنع من الجهاد، وهل يمكن الجمع بينهما؟ وهو في صراع مع هذا التساؤل.**

جواب الشيخ: أولاً: أنا أعجب ممن يظن بأن هناك ثمة تعارض بين الزواج والجهاد! وبين الزواج وبين العمل! وبين الزواج وبين طلب العلم! تعرفون أن الشريعة وأن أحوال الصحابة رضي الله عنهم، بل أعظم من أحوال الصحابة ما نعرفه من أحوال النبي صلى الله عليه وسلم؛ أن هذه الثنائية المتعارضة لا وجود لها، وإنما هي لأحوال خاصة، فيمكن أن تنقل لي كلام بعض أهل العلم في معارضة الزواج لطلب العلم أو أن بعض أهل العلم تفرغ للعلم تاركًا الزواج كما شأن النووي رحمه الله، كما تأخر الإمام أحمد رحمه الله وتزوج بعد الأربعين، على كل حال هذه أحوال خاصة، والناس لهم قدرات، والناس لهم أحوال.

ولكن القاسم المشترك والحالة العامة التي أعرفها من نفسي وأعرفها في الناس أن هذا التعارض لا وجود له، يكون من أعلم الناس ومن أكثر الناس تفرغًا لطلب العلم واهتمامًا به ومع ذلك له زوجة يقوم بشأنها وتقوم بشأنه وله بيت وله أولاد، مع الاعتذار أعتقد بأن الذي يهجر الزواج من أجل العلم هكذا جملةً يخلف المنصوص عليه، مع أن بعض أهل العلم كالشافعي رحمه الله -وهذا مُفتى عند الشافعية- إذا تعارض العلم مع الزواج تقدم العلم، وإذا قدر المرء ألا يتزوج فعليه أن يطلب العلم وأن يتفرغ له.

لكن في الحقيقة هذا يخالف المنصوص عليه؛ (**تَزَوَّجُوا الوَدُودَ الوَلودَ**)، هذا مخالف لفطرة الإنسان، وبعض الناس لهم أمزجة خاصة، وأنا أعتقد هذه الأمزجة خاصة بمعنى خارج إطار الفطرة العامة، الفطرة العامة رجل يريد زوجة (**حبب إلي من دنياكم الطيب والنساء**)، هكذا الإنسان سكنًا ورحمة، فأي إنسان يريد سكن، ثم كان كما قال بعض أهل العلم: الذين كانوا لا يريدون الزواج كان عندهم الإيماء، وكانت بيوتهم يمكن للمرأة أن يحضر خادمة آمة فيطؤها وهي ليست زوجة، ولا يتكلف بها إلا كما يتكلف بالآمة، وهذا كله ممنوعٌ اليوم، لا

يمكن أن يقدر عليه ولا أن يتحصله.

وبالتالي؛ هذه الثنائية المتعارضة في الحقيقة ينبغي أن تزول من أذهان طلبة العلم، وأن لا ينشأ هذا التعارض، فيمكن للمرء أن يكون من أعظم العلماء ومن أكبر المجاهدين ومع ذلك له زوجة يقوم بشأنها وله بيت يقوم بشأنه وله أولاد يقوم بشأنهم، بل أولاده وزوجته يعينونه كلهم على قضاء حاجته من الجهاد والتفرغ لطلب العلم وللجهاد ولغيره، الرجل إذا رجع إلى البيت فوجد ثيابه نظيفة، ووجد طعامه حاضرًا، وقضى حاجته، وجلس مع أهله، هذه كلها من مقومات الإعانة على ما يفرُغ له من شأنه، مما تفرغ له من الجهاد، فإياك أن تظن هذا التعارض، وإياك أن يثرب البعض عليك ألا تتزوج، لا، بل تزوج وليكن لك أولاد، وتزوج وليكن لك زوجة، وتزوج وليكن لك بيت تأوي إليه إذا تعبت، إذا شقت عليك الحياة؛ تعينك على هذا.

ولم أرى أحدًا يقول: بأن الزواج عاقني على طاعة من الطاعات، هذا لا أعرف عنه، لم أرى هؤلاء، لا من نفسي ولا من إخواني، وبالتالي؛ **(من استطاع منكم الباءة فليتزوج)**، هذا أمرٌ نبوي سواء حملته على الوجوب وهو الأولى أو حملته على الاستحباب، **(من استطاع منكم الباءة)**، إذا وجدت سبيلاً للزواج فعليك به؛ وحينئذٍ عليك أن تعلم بأن ما من أحد زوجته تقيمه في بيته لأنه شغوفٌ بها، لا أتصور هذا العشق في هذه الأيام إلا للمرضى، أنه يقيم عند زوجته فلا يطلب العلم، يقيم عند زوجته فلا يجاهد؛ هؤلاء مرضى، أو أن يتحجج بأولاده لترك الجهاد أو أن يتحجج بزوجته لترك الجهاد، الحمد لله أغلب من استشهدوا عندهم الزوجات والأولاد وهكذا مضت الحياة من غير تفصيل.

ولذلك هذه الثنائية أعرضوا عنها، تنشأ هذه الثنائية عند بعض أهل العلم لظروفٍ خاصة، فعالم يعيب على طالب علم أنه هجر مجالس العلم لتفرغه للزوجة، حال خاص، غاب أسبوع مسكين فيعذر؛ لأنه تزوج وانشغل بأهله أسبوعًا، فيأتي عالم يتكلم بكلمةٍ ما يحرضه أن يعود إلى طلب العلم؛ نحن نحمل هذه الكلمة وهذه الجملة ونرفعها شعارًا، ونسب بها كل من أراد أن يتزوج، وهذا غير صحيح، والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين.

٤٠٨- حكم مس المصحف للحائض ووضعه على الأرض

ضمن الجلسة الثالثة والثلاثون، بتاريخ: (**١٨/٠٧/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٤/٠٤/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته -وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته- شيخنا الفاضل أريد أن أسألك عن القرآن وأتمنى أن يتسع صدرك لنا، ما حكم تقبيل المصحف، ووضعه على الأرض عند سجود التلاوة؟ وما الدليل على منع الْمُحدث والحائض والجنب من مسه عِلمًا أن آية ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩)﴾ [الواقعة: ٧٩]، إنما هي في الملائكة، وحديث: (**لا يمس القرآن إلا طاهر**)؛ ضعيف، وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (**المؤمن لا ينجس**)، فبماذا استدل الأئمة الأربعة وغيرهم على المنع؟ أفيدونا؟ جزاكم الله خيرًا.

جواب الشيخ: هذا السؤال فيه تفصيلٌ أكثر مما تقدم عن سؤال سابق حول هل يقرأ الجنب والحائض والنفساء القرآن؟ وهل يجوز مس الجنب والحائض والنفساء القرآن؟ وذكرت قولي فيه إجمالاً بدون تفصيل، والآن أفصل بما طلب الأخ وبما ذكر من أدلة:

الذين منعوا مس المصحف وقراءة القرآن للجنب والحائض والنفساء هم الجمهور، وعلى ذلك الأئمة الأربعة وإن كان هناك بعض تفصيل لما يقولون؛ أي هم أجمعوا على الأصل واختلفوا بعد ذلك على كثير من التفريعات المترتبة على هذا الأصل، ومن ذلك هل يجوز أن تقرأ المرأة الجنب والمرأة الحائض والنفساء آية على جهة الدعاء؟ هل يجوز أن يقرؤوا آية على جهة الذكر وليس على جهة القرآن؟ أو على جهة الاستشهاد؟ فالكثيرون يقولون: جائز هذا، واستدلوا بأن النبي صلى الله عليه وسلم عندما أرسل كتابه إلى هرقل ذكر آية من كتاب الله، فقالوا: هذا يجوز لهم، واختلفوا على ما ترتب عليه ثم كذلك اختلفوا للضرورة، كأن تستشهد على آية، أن تستشهد على قرآن في حالة نفاسها أو حيضها أن تحلف على قرآن؛ لما أحدث الناس من هذه الصيغة من الحلف عند القضاء، وأجازها كثير من أهل العلم أي أن هذه الزيادة من التوثيق في الأيمان كما هو قول ابن رحمه الله وبعض أهل العلم.

فيختلفون في التفاصيل لكن ما هي الأدلة؟ هناك أدلة فهناك حديث عن عليّ رضي الله تعالى عنه، «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرئنا القرآن على كل حال إلا أن نكون جنبا»، كذلك حديث علي: «كان يقرأ القرآن على كل حال إلا جنبا»، وحديث جابر كذلك عند الدارقطني، وحديث عليّ عند السنن الأربعة وغيرهم وعند أحمد، وكذلك هناك أحاديث موقوفة، كحديث عمر رضي الله عنه الذي رواه ابن أبي شيبة وغيره بأنه (**لا يمس القرآن جنب**)، فهذه أحاديث تقوي عندهم هذا التحريم.

ولكن الأقوى الذي يستدل به هو الحديث الذي ذكرته وأشرت إلى ضعفه مع الاختلاف فيه، والأغلب على تصحيحه وهو: (**لا يمس القرآن إلا طاهر**)، وحملوا كلمة طاهر على الاشتراك اللفظي أنها عامة، فهي صحيحة وإن دلت على أن المقصود به القلب؛ أي طهارة القلب؛ أي المؤمن، ولكنها كذلك تصح أن تطلق على كل ما تدل عليه من المعاني الظاهرة والباطنة وهي الطهارة الظاهر (**لا يمس القرآن إلا طاهر**)، حديث عمرو بن حزم أنه أرسل إليه النبي صلى الله عليه وسلم رسالة وكتب فيها أن (**لا يمس القرآن إلا طاهر**)، وهذا الحديث اختلف أهل العلم في تصحيحه ورده، والأغلب على أنه صحيح، واحتج به هؤلاء المانعون.

وأما الآية كما ذكرت قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (٧٨) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩)﴾ [الواقعة: ٧٧-٧٩]، فقوله سبحانه وتعالى: ﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (٧٨)﴾ دل على اللوح المحفوظ، وهذا الذي دلت عليه آيات أخرى تفسر المكنون أنه في لوحٍ محفوظ، والمقصود باللوح المحفوظ هو الذي في السماء وليس المقصود به هذا المصحف الذي بين أيدينا، وهذا الذي رجحه كثير من أهل التفسير وتستطيع أن تراجع قول الإمام الشافعي بن كثير في تفسيره أن المقصود بقوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩)﴾ أي الملائكة؛ لأنه لا يمس هذا اللوح المحفوظ إلا هم، فالمقصود ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩)﴾؛ أي الملائكة، مع أنهم قالوا: بأنه لا يمسه إلا المطهرون هذه ينبغي أن نجمعها مع قوله صلى الله عليه وسلم: (**لا يمسه إلا طاهر**)، والمقصود به من كان على معنى الملائكة من الإيمان.

والذين أجازوا المس مطلقًا أولوا الحديث على ما ذكرنا أن المقصود (**لا يمسه إلا طاهر**)؛ أي ما كان على معنى الملائكة من الإيمان، فلذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يُسافر بالقرآن إلى بلاد الكفر؛ لئلا يهان؛ ولئلا يمسه هؤلاء الكفار؛ فحملوا هذا الحديث على هذا المعنى.

واستدلوا بأحاديث أخرى بأن المؤمن لا ينجس كحديث النبي صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة رضي الله عنه لما قابله فحاد عنه وقال: «يا رسول الله إني نجس»؛ هو أراد أنه جنب، فقال صلى الله عليه وسلم: **(المسلم لا ينجس)**، فإذن المقصود المسلم على كل حال هو طاهرٌ فيا هو معنى الطهر وهو الإيمان، فلذلك يمس القرآن على كل حال؛ لأن الإيمان لا يفارق المرء لا في حال جنابة ولا في حال طهرٍ حكمي أي بالوضوء والغسل وما شابه ذلك، فإذن هكذا قال ما قاله أهل العلم في هذا الباب.

وحديث **(لا يمسه إلا طاهر)** حديث عمرو بن حزم، حديث ينبغي إعماله على المعنى العام التام، والورع يقتضي الحمل عليه وخاصةً أن الذين يقولون هذا القول جماعة من الصحابة وجماعة من التابعين وأهل العلم، وقاله الأئمة الأربعة، وتبقى الاستثناءات قائمة، أما إطلاق الباب بما يقوله بعض المتأخرين والظاهرية كما يقوله الشوكاني ويقوله غيره وبعض المعاصرين بإطلاق جواز مس المصحف للحائض والنفساء والجنب بهذا الأطلاق؛ فالأمر كما تقدم في جوابٍ سابق بأن موضوع الجنب أشد؛ ذلك لأن جنبه عارضٌ يمكن زواله بسرعة، وأما المرأة فالنفاس والحيض يطولُ وهجر القرآن هذه المدة الطويلة مشكلة وشاق عليها وترك لطاعة عظيمة من الطاعات.

ولذلك الذي أقوله وأكرره هو: أن الجنب لا يمس القرآن إلا إذا اضطر إليه كأن يزيله من مكان أو ما شابه ذلك أو أن يسقط فيلتقطه أو أن يُستشهد في حال جنابته أو أن يضطر إلى أن يجيب سؤالاً في تليفون أو لسائل فاضطر أن يجيب بآية؛ فحينئذٍ المسألة فيها سعة لأهل العلم الذين منعوا هذا المس أو هذه القراءة، وأما الحائض والجنب فالأمر أوسع، ولو المرأة اتقت الله عز وجل بأن لا تلتقط المصحف إلا من خلال قماش ثقيل أو من خلال عصي خفيفة رقيقة تقلب المصحف وتنظر فيه فلا بأس بذلك، والإجماع منعقد على أنه يجوز إمرار الآية في القرآن على القلب من غير تلاوة، «جنب، حائض، نفساء» أو أن تنظر المرأة إلى المصحف وهو بين يديها نظرة إمرار القرآن عليها متفكرةً فيه تاليةً له بعينيها وقلبها دون أن تلفظه بفمها فالأمر حينئذٍ فيه سعة كبيرة في هذا الباب.

بقي موضوع الذي سأله الأخ وهو تقبيل المصحف، أولاً: هناك أحكام تدخل ضمن التعظيم العام؛ لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ (٣٢)﴾ [الحج: ٣٢]؛ أي ليس من التعظيم أن يكون المرء جالسًا على كرسي والمصحف عند رجليه، فمن التعظيم أن يرتفع المصحف عن هذا المكان الذي فيه

معنى الإهانة، فيه معنى النبذ، فيه معنى ترك التعظيم.

فبعض البلاد ممن يعظمون القرآن من العجم يُنبهون أنه إذا مشى الرجل في المسجد ومعه المصحف أو معه كتب أهل العلم وبين يديه الحذاء فلا يضع الحذاء بيده اليمنى والكتب بيده اليسرى والقرآن بيده اليسرى؛ لما في ذلك من بيان التعظيم التام، وطبعًا التعظيم مراتب منها ما يضاده وهو الكفر أن يهين الرجل القرآن بأن يهينه ولا يعظمه كأن يرميه في الحشوش وعلى الزبالة وأن يطأهُ؛ فهذا كفر، ولكن هناك من التعظيم الواجب، هناك من التعظيم المستحب، وهذا ولا شك من التعظيم المستحب أن يضع الحذاء بيده اليسرى ويضع القرآن أو يضع كتب أهل العلم بيده اليمنى؛ لأن اليمنى لما يَشرُف ولما يَطهُر بخلاف اليسرى لما يستقذر تقضي به الحاج، وتستنثر بها، وأما اليمنى فلا يمس المرء ذكره بيمينه، ولا يستجمر بيمينه؛ فاليمنى لما يُعظم ولما يُكرم بخلاف اليسرى؛ فهذا من التعظيم المستحب الذي ينبغي أن يهتم له المرء.

لكن إذا وقع على معنى ليس فيه هذا الذي ذكرناه، أن يقع على غير هذا المعنى كما ذكر السائل بأن لا يكون عنده مكان مرتفع ويقرأ فهل يجوز له أن يضع المصحف على الأرض ويسجد؟ رأسه في مكان المصحف، ولو نظر إليه ناظر من بعيد لما ظن ولما توهم أنه بهذه الحركة وبهذا المنظر يهين المصحف، بخلاف من يضعه على الأرض ويقوم ويمشي؛ ولذلك ينبغي الحفاظ على كتاب الله عز وجل والتعامل معه بما يتعامل الناس من التعظيم لأشيائهم فكيف وهو كتاب الله عز وجل؟!!

فإذن: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ [الحج: ٣٢]، هذه قاعدة شرعية تعظيم شعائر الله، المسجد يُعّظّم؛ لأنه من شعائر الله، طالب العلم يُعّظّم؛ لأن في قلبه العلم الذي أمر الله عز وجل بتعظّيمه، وهكذا، فما يذكره العلماء في كتب الأدب من تعظيم ما عظّمه الله عز وجل ويفصلون فيه ما يرونه في حياتهم وما يعلمونه من صور التعظيم في بيئاتهم وأعرافهم يدخل في هذا الباب، فلا يأتين أحد ويقول: لا، أين الدليل الخاص؟ الدليل الخاص هو دخوله في الدليل العام لما يقع في نفس الناس من معاني.

أما موضوع تقبيل المصحف؛ فلم يرد قط أن الصحابة رضي الله عنهم أو ورد أن التابعين يعظمون المصحف بتقبيله فقط ورد في السنة عند عبد الله ابن الإمام أحمد واستدل به على أن الصحابة كانوا يقولون: بأن القرآن هو كلام الله، أن عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه كان يأخذ المصحف بين يديه ويضعه على وجهه وهو

يبكي ويقول: «هذا كتاب ربي، هذا كتاب ربي»، حتى لو رجعتم إلى اللفظ لا تجدون منه التقبيل، إنما يضعه على وجهه وليس فيه كلمة التقبيل، أي الذين يستدلون لا يجدون هذه الكلمة إنما هو يأخذه، وليس هذا الأخذ من قبيل التعبد بوضعه على الوجه، وإنما هو من قبيل أنه يأخذه احتضاناً له معظمًا إياه على هذا المعنى، وليس على معنى وضعه على الرأس ولا على معنى ضمه، وإنما يفعل المرء هذا مع ما يحب يأخذه ويحبه ويقول: هذا كتاب ربي؛ فرحًا به وإيماناً به، ولذلك تقبيل المصحف لم يرد، وليس هو من الأعمال التي شرعها الشارع في تعظّيم المصحف ليكون له الأجر، وهذا هو الجواب والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين.

٤٠٩- حكم دراسة القانون في الجامعة

ضمن الجلسة الثالثة والثلاثون، بتاريخ: (١٨/٠٧/١٤٣٩هـ **الموافق لـ: ٤/٠٤/٢٠١٨ م)**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل ويقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، حياك الله شيخنا الفاضل إني أحبك في الله -الله يحييك، أحبك الله- **شيخي الحبيب يوجد جامعة لدينا لديها فرع الشريعة والقانون؛ أي يدرسون الشريعة ويُدرسون معها القانون السوري الطاغوتي أو القانون المدني في البلاد. فما حكم هذا الخلط؟ وما حكم أن يدرس الشخص كتابًا كفريًا وإلحاديًا كالفلسفة لكي يحصل علامات في البكالوريا مثلاً؟**

جواب الشيخ: أنتم تعلمون أن كثيرًا من البلاد لم تُنشئ كلية شريعة إلا إلحاقًا لها بكلية القانون، هناك بلاد عندما أنشئت الجامعات فيها، الجامعات العلمانية والعلمية على طرائق الكفار في إنشاء الجامعات كمنفذ لتحصيل الشهادة التي بها يتم النسب الاجتماعي، ويتم بها كذلك الدخول في الوظائف، وصرفًا لناس عن التعليم الديني أو تحقيرًا لكتاتيب والمعاهد الشرعية.

فالقصد: أن الكثير من هذه الجامعات وخاصةً في العراق وسوريا وفي مصر كذلك، ولكن في مصر يوجد ما يقابلها وهو التعليم الديني الخاص بالأزهر، فكثير من البلاد أُنشئت كلية القانون أولاً، وبعد كلية القانون الناس سألوا فبدأ إدخال كلية الشريعة فيها، فإدخال كلية الشريعة هو فرعٌ لحق أصلا، هكذا هي هذه الصورة، فلما أراد المشايخ والدكاترة أن يُدرسوا الشريعة كان من الإلزام عليهم أن يُدرسوا معها القانون المدني الخاص بالمادة.

فمثلاً: حين تُدرس مادة العقوبات في الشريعة؛ تُدرس مادة العقوبات في القانون المدني، عندما تُدرس مثلاً الأحوال الشخصية كما هي عند الفقهاء؛ تُدرس بما تقوله مدونة القانون داخل المحاكم الخاصة عندهم.

ونحن نعلم أن كثيرًا من البلاد ليس فيها محاكم شرعية خاصة، هناك بلاد يوجد فيها محاكم شرعية، لكن هناك بلاد أُلغيت المحاكم الشرعية فيها، مثلاً: مصر كان هناك فيها المحاكم الشرعية التي تنظر في بعض القضايا كالزواج والطلاق والإرث، والمحاكم المدنية الأخرى الخاصة بالعقوبات والقضايا المالية والسياسية وإلى غير ذلك،

وبقيت مدة حتى جاء الهالك عبد الناصر ودمجهما معًا؛ فصار هناك فقط محكمة واحدة القاضي ينظر في القضايا الشرعية الخاصة بمدونة الأحوال الشخصية وينظر في قضايا القانون الذي يسمونه المدني الذي سماه الأخ السائل وقد أصاب بالقانون الطاغوتي؛ لأنه ليس من الشريعة في شيء.

لكن هناك بعض البلاد تفرق؛ يكون فيها محاكم شرعية خاصة بما يسمى بالأحوال الشخصية وفيها محاكم خاصة بالقضايا الأخرى التي هي محاكم طاغوتية كما هو اسمها ووصفها.

-نرجع إلى الكليات- ولذلك نجد أن بعض الكتب التي أُلفت على هذا المعنى إما أنها صيغت على طريقة القانون المدني، وإما أنها مجموعة اضطر أصحابها أن يكتبوا فيها القانون المدني.

فمثلاً: عندما تقرأ في كتاب «الوجيز» للدكتور عبد الكريم زيدان رحمه الله؛ فأنت تجد في هذا الكتاب الأصولي -وهو كتاب جيد في الأصول- لكنه يكتب وراء كل قضية أصولية تمثيلاً لها أو مقارنةً لها بالقانون المدني العراقي؛ لأنه مجبر بأن يدرس القانون مع الشريعة في هذا الباب، أي كيفية تفسير المواد القانونية وكيف تفسر المواد الشرعية؛ فهذا أصول الفقه الشرعي وهذا تفسير المادة القانونية؛ فتجد هذا.

ولذلك عندما درّست هذا الكتاب مرةً لبعض الطلبة وانتهينا من تدريسه، كان الشباب يسألون ماذا نريد؟ فيضربون، يقولوا: اضربوا على هذه التفصيلات القانونية وأفسدوها ولا تهتموا لها، لكن المؤلف مضطر.

فعندما كان يُدّرس أستاذنًا وشيخنًا مصطفى الزرقا الشريعة، وهو درّس القانون المدني الفرنسي، ذهب إلى فرنسا وهو فقيهٌ حنفي فألف كتابًا اسمه «المدخل الفقهي العام»، ما هو المدخل الفقهي العام؟ ليس فيه مواد قانونية طاغوتية غير شرعية، لكنه اضطر أن يصيغ المواد الشرعية الفقهية على طريقة المواد القانونية والدستورية، والكتاب بعد ذلك عُد إبداعًا في هذا الباب؛ لأنه صار منفذًا في كيفية صياغة وتقنين القوانين الشرعية، لكن الأصل هو أن كلية القانون التي أضيف بعد ذلك لها اسم الشريعة في دمشق تسمى كلية القانون والشريعة، وليس هناك كلية شريعة مستقلة، من هنا نجد هذا الأمر.

فحتى في البلاد التي تفصل بين كلية القانون والشريعة يطلبون مثلاً من الطالب الذي يدرس القانون أن يذهب إلى كلية الشريعة ليدرس مواد شرعية لازمة له، كموضوع الإرث مثلاً؛ لأنه معمولٍ به، وهنا في هذا البلاد

يمكن للقاضي المدني أن يترافع إلى المحاكم الشرعية وليس العكس؛ لأن هناك محامي شرعي مثلاً، هو دراسته شرعية وفقه شرعي وأصول شرعية فهو ويترافع فقط في المحاكم الشرعية، لكنه لم يدرس القوانين المدنية فلا يستطيع أن يترافع في المحاكم المدنية.

من هنا كما ترون هذه صورة من صور ترون المهانة للشريعة، وصورة من صور إقصاء الأحكام الشرعية عن منصة القضاء والحكم، وهذا أمرٌ بلا شك أنه كفر وردة وخروج عن دين الله عز وجل.

بقيت مسألة تتعلق بالدراسة: هل دراسة هذه العلوم المدنية القانونية هي من الشر والغلط وعدم الجواز أو الكفر؟ الجواب: لا، المرء بحسبه في هذا، العلماء درسوا الكفر والشرك، والقرآن حدثنا عن أقوال المشركين، فلو قرأها المرء ليعلم الشر ليتجنبه أو ليعلم الشر من أجل أن يعرف خسته ويقارن الحق بالباطل؛ من أجل أن يبيّن محاسن الحق ومحاسن الشريعة الإسلامية مقابل مفاسد الشريعة الطاغوت فهذا مأجورٌ عليه، وأما الذي يقرأ هذا من أجل أن يعمل بها فقط وأن يأخذ الشهادة فقط؛ فهذا بحسبه.

القصد: أن قراءة الكفر ليس كفرًا، وقراءة الشر ليس شرًا، و:

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ... ومن لم يعرف الخير من الشر يقع فيه

فالناس بحسبهم في هذا الباب، كلٌ بحسبه، هناك من يقرأ هذه القوانين من أجل أن يعمل بها ويدين بها ويراها الحق ويدافع عنها وهم الأغلب فيما يسمى بالقضاة ومفسري الدستور والمواد القانونية، يؤمنون بها ويدافعون عنها ويرونها الحق ويحسنونها، وهم أكثر الناس كفرًا بها واستهزاءً بها إذا جاءت على رقابهم، وأما الشريعة فلا يرونها شيئًا إلا من تاب الله عز وجل عليه وعلم ما ينبغي على المؤمن أن يعلمه؛ وهو البراءة من الشرك وأحكام المشركين وأن يتولى الإيمان وأحكام الإيمان، هذا وبالله التوفيق والحمد لله رب العالمين.

٤١٠- هل يصح قياس الروائح الكريهة على أكل الثوم والبصل؟

ضمن الجلسة الثالثة والثلاثون، بتاريخ: (**١٨/٠٧/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٤/٠٤/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يقول: السلام عليكم ورحمة الله -وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته- **شيخنا: الحديث في فتح خيبر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من أكل من هذه الشجرة الخبيثة فلا يقربن في المسجد)، رواه مسلم، هل يقاس عليه رائحة الأحذية الشديدة أو الرجل المتسخ وثيابه لها رائحة؟ وما هي علة النهي في أحاديث أكل البصل والثوم؟**

جواب الشيخ: أنتم تعلمون أن وجود الاستثناء عن الأصل لا بد أن يكون له علة، الأصل هو أن البصل والثوم مباحان؛ فهذا هو الأصل، فلماذا يمنعان في باب؟ إذن هذا الباب له معنى آخر، وهذا من القياس النبوي الشريف، وهذا مما يقدح في طريقة ابن حزم في عدم اعتباره العلة، وهذا الاستثناء بيّن وواضح؛ أنه لا يكون إلا لمعنى خاص فيه، وإلا لما استُثني من الأصل.

فلماذا استثني من الأصل؟ ما هي العلة المانعة من هذا التي أنشأت هذا الاستثناء؟ بلا شك الرائحة الخبيثة، فكانوا إذا وجدوا في الرجل هذه الرائحة، إذا وجدوا حملوه ورموه في البقيع؛ إذن العلة هي ليست متعلقة بذات الشيء أو أنه حلال أو حرام في ذاته، ولكن ما تعلق به بعد ذلك من صفات التحقت به، ولذلك أمر الشارع وجاء عن عمر بأن يميتهما المرء طبخًا، لماذا؟ لإذهاب هذه العلة وهي الرائحة، إذن العلة هي الرائحة.

وهذه العلة قد تكون أشد في غير الثوم والبصل، فقديمًا الناس لا يلبسون الأحذية التي تُعرف اليوم، وإذا لبسوا الأحذية قديمًا كانوا يصلون بها، والنبي صلى الله عليه وسلم أمر بأن يصلي الناس بالحذاء مخالفةً لليهود، **(صلوا في أحذيتكم ولا تشبهوا باليهود)**، فلم يكن هناك في المساجد هذه الفرش التي لو دخل فيها الرجل بحذائه أصابها الفساد واستقر ولم ينته، ولم يتغير إلا بصعوبة شديدة أو بتغير هذا الفراش، قديمًا المرء إذا مشى على التراب وأصابه الاتساخ قال النبي صلى الله عليه وسلم: **(فإنه يطهره ما بعده)**، كتطهير الثوب حين تمشي المرأة فيه وهو طويل، أو الحذاء الذي يصيب النجاسة ويصيب القاذورات مما هي طاهرة، ولكن لها رائحة فاسدة

أو مفسدة لهذه الفرش.

فلذلك الرائحة قد تكون أشد أذى من رائحة الثوم والبصل؛ فهنا يأتي ما يسمى بقياس الأولى، وقياس الأولى أن يكون الفرع فيه العلة أشد وأوضح وأبيّن من الأصل المنصوص عليه، وهكذا نحن في هذه الصورة التي بين أيدينا، الصورة التي بين أيدينا أن النبي صلى الله نهى عن أكل البصل والثوم نيئان ثم أن يأتي إلى المسجد، وأجاز للرجل إذا أكل أن لا يأتي للمسجد؛ لئلا يؤذي المصلين ويؤذي الملائكة، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه الإنسان، ووجود الملائكة في المساجد هذا سببٌ من أسباب الإقبال على المسجد، فأن يأتي أحد فيطرد الملائكة فيضر ببقية الناس الذين يعيشون مع هذه الملائكة التي تكون في المسجد وتصلي صلاتهم، وتشهد ذكرهم، وتتحلق حولهم في حلقات الذكر حتى تصعد إلى السماء؛ فيحصل فضل الرحمة ونزول الرحمة عليهم، فهذه العوارض هي التي تجعل الشرع يمنع واحدًا من الناس أن يأتي؛ فيذهب.

ولكن هذا ليس من أسباب التحايل على الشريعة كما تقول بعض الفرق الضالة المعاصرة، الذين يجيزون للرجل إذا أراد أن يتحايل على ترك الذهاب للمسجد أكل الثوم، فرق بين أن يأكله من جهة نفسه هكذا متلذذًا به، وفرق أن يأكله من أجل أن يصرف عنه حكمًا شرعيًا واجبًا أو مستحبًا على خلافٍ بين العلماء في صلاة الجماعة.

فإذن هنا نحن أمام ما يسمى بقياس الأولى، قياس الأولى أن العلة موجودة في الفرع، والفرع نحن نراه مثلاً: نجد أن بعض الناس لهم رائحة شديدة لأرجلهم، لو كان الناس يذهبون إلى المسجد فيصلون بأحذيتهم لما ظهرت منها الرائحة؛ لأنهم لا يخلعون أحذيتهم فتبقى الرائحة بين أرجلهم وجواربهم، ولكن اليوم يخلعون أحذيتهم؛ فتجد أن بعض الناس لهم روائح لأرجلهم شديدة، هكذا خُلِقوا، وبعض الناس بسبب أعمالٍ خاصة، وبعض الناس بسبب قلة النظافة، أنهم وهم في أعمالهم الشاقة ربما لا يغسلون جواربهم في الأسبوع او الأسبوعين مرة؛ فلذلك تخرج منها الروائح الشديدة التي تؤذي الملائكة وتؤذي المصلين؛ وحينئذٍ لا يجوز لهؤلاء أن يدخلوا المسجد.

لكن هنا الفرق، كما أن الشارع حض على أن يُطبخ البصل ويُطبخ الثوم؛ فكذلك نحض المرء إذا أتى المسجد وعلم من شأنه مثلاً أن لرجله رائحة وأغلب المساجد اليوم فيها مُوضأ، أو يمكن أن يأخذ الماء معه إلى

باب المسجد ويخرج رجليه ويدخل، أو فيها مُتوضأ يذهب إلى الْمُتوضأ يغسل رجليه ويأتي ويصلي، هذا يمكن له، كذلك إذا كان لجوربه رائحة؛ أن يخلع الجورب.

ومثل ذلك من كان لثيابه رائحة، فبعض الناس يعمل في ثياب ربما لا تُغسل في الشهر مرة فيكثر فيها العرق، فهذا الرجل عليه كما كان النساء زمن النبي صلى الله عليه وسلم لهن ثيابٌ للحيض، يلبسن ثياب الحيض خاصة؛ من أجل هذا الأمر، من أجل القاذورات، من أجل النجاسة، فكذلك أن يكون للرجل له لباس للصلاة، فلو قيل له: إنك الآن ستذهب إلى مكان كذا وكذا؛ خلع ثياب العمل والمهنة ولبس ثيابًا جديدة تليق بالمكان الذي سيذهب إليه، وكذلك هذا الرجل يستطيع أن يخلع ثيابه وأن يلبس مثلاً الثوب أو القميص الطويل ويصلي مع الناس، وإذا كانت قذرة وليس لها رائحة أرى أناسًا في الحقيقة –وهذا يدل على حكمتهم وعلى عقلهم– يأتون بمصليات معهم ويفرشونها أمامهم؛ لئلا يؤذوا فرش المسجد، كل هذا من الحكمة.

ومما يلحق وهو أشد عندي من الثوم والبصل لحرمة أصله وفرعه وهو الدخان، الكلام عن رائحة الدخان، ربما المرء يدخن فيبقى في فمه رائحة نتنة، الدخان الذي يُسمى التتن أو يسمى السجاير أو... إلخ، هذا له رائحة قبيحة جدًا في الفم وبعض الناس يقف يتكلم معك فتكاد تختنق من شدة رائحته القبيحة، وكذلك إذا دخل المسجد فالثياب تعشق هذه الرائحة، هناك روائح طيارة شديدة إذا خرجت الجو تعلق في اللباس؛ فتفسد رائحته، والمرء جرب ربما يمر على مجلس ويدخل لمجلس مضطرًا فيه دخان وهكذا؛ فيخرج وتجد الصديق والأخ والأهل في البيت يقول: أين كنت؟! ثيابك ممتلئة بهذه الرائحة؟ وهي رائحة قذرة جدًا، خاصةً إذا طال عليها الزمن وكذا؛ فيكون فيها الإيذاء الشديد للشَّامِّ والصديق والقريب والجار.

والدخان بلا شك حرام، وطالب العلم إذا تفكر فيه جيدًا وقرأ عنه وعن مفاسده وعما يصيب من الأمراض وما يوقع من الشرور في البيوت؛ فلذلك هو حرام ليس كالبصل والثوم فهو حرام بأصله وفرعه ومترتب عليه مفاسد عظيمة بخصوص الآخرين وليس بخصوص نفسه فقط.

والدراسات العلمية تقول: بأن التدخين السلبي أشد ضررًا من التدخين الإيجابي؛ بمعنى أن الذي يجلس مع المدخنين يتأذى أكثر مما يتأذى المدخن الذي يتعاطاه بنفسه، وهذه جريمة، والغرب مع إجرامه يمنع التدخين في الأماكن العامة، ونحن في بلادنا للأسف!! والله تدخل على عيادة الطبيب وأنت مريض فتراه يدخن، وترى أثر

الدخان في غرفته، هذه عيادة للطب، للمعالجة، تكون سببًا للمرض والإيذاء.

كذلك أتعجب كيف يجلس الرجل في بيته ويدخن وعنده الأطفال الصغار؟! هذه جريمة لهم، هذا من الأسباب الضارة لهم، اتق الله في نفسك، اتق الله في إخوانك في المسجد، اتق الله في أهلك، كيف تعيش معه زوجته؟!

ولذلك والله لو كنت قاضيًا ورفعت امرأة إليّ دعوة طلاق بسبب تدخين زوجها؛ لطلقتها منه لعلة الضرر، ضرر شديد يقف أمامك بعيد عنك متر ونصف ويتحدث معك تكاد الرائحة تقتلك، فكيف إذا جلس مع زوجته وكانت بجانبه، هذه مصيبة وطامة.

فلذلك يُنصح هؤلاء وينبه أئمة المساجد على هذه الأمور ولو تأذوا، وأن يتأذى الواحد ولا تتأذى الجماعة، أن يتأذى مُصلٍ فلا يأتي؛ خير من أن تتأذى الملائكة فتخرج من هذا المكان، فالمعنى موجود والعلة موجودة وهي الرائحة الشديدة والنبي صلى الله عليه وسلم كان يحب الرائحة الطيبة، قال صلى الله عليه وسلم: (**حبب إليّ من دنياكم الطيب**).

وبعض الناس يظن أنه إذا وضعة شيئًا من الطيب على هذه الرائحة القبيحة -رائحة الدخان-؛ تذهب! في الحقيقة تختلط رائحة الطيب مع الرائحة القبيحة؛ فتخرج رائحة ثالثة عجيبة جدًا، فهذه الرائحة القبيحة لا تذهب، لا بد من إزالتها، إزالة السبب، ثم بعد ذلك تضع الطيب، أما كمن يقول: أن سبب محبة الفرنسيين للطيب أنهم لا يغتسلون فيضعون الطيب لتغطية قاذوراتهم وروائحتهم، يقولون: هذا وربما صح، وفي الحقيقة هذه هذا الطيب لا يزيل الرائحة من الفم ومن البدن، يقلل شرها، وربما إذا كانت قوية جدًا تغلب على رائحة الطيب؛ فتخرج كما قلت: تخرج رائحة ثالثة هي أعجب في الشر والفساد، فلنتقي الله عز وجل في هذا الباب، والله تعالى أعلم.

بارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٤١١- هل يجوز بيع صور شخصيات في المكتبة؟

ضمن الجلسة الثالثة والثلاثون، بتاريخ: (**١٨/٠٧/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٤/٠٤/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، جزاكم الله خيرًا عن الإسلام والمسلمين، شيخنا الحبيب بارك الله فيكم -وإياكم، بارك الله فيك-.

يقول: سؤالي: لدي أخ افتتح مكتبة قرطاسية وما شابه -القرطاسية لمن لم يعلم يبيعون فيها أدوات الكتابة كالأوراق، كأقلام، وما يترتب عليها، وليست المكتبة التي تُباع فيها الكتب العلمية- ويوجد ضمن البضاعة المباعة الكثير مما يحتوي على صور لشخصيات كرتونية، وأيضًا يوجد قصص أطفال عليها صور ومضطر لعرض هذه القصص حتى ينتقي الزبون منها، وأضاف مؤخرًا إلى مكتبته تصوير شخصي مثل صور صغيرة للمعاملات والأوراق والوثائق والهوية وما شابه؟ هل من توضيح على الحكم الشرعي لهذا الصور وكيفية التعامل مع هذا الأمر؟

جواب الشيخ: في الحقيقة الذي عندي وقد تكلمت سابقًا: بأن الصور الأصل فيها الحرمة لعلة مضاهاة خلق الله، قال صلى الله عليه وسلم: قال تعالى: (**وَمَن أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي**)، فعلة التصوير هو قدحها في التوحيد والمشابهة ومضاهاة خلق الله عز وجل، والناس في هذا الباب قديمًا لا يفعلونه إلا على هذه الجهة أو أن تغلب هذه الجهة.

فكان الناس قديمًا حين يصورون التماثيل هو المقصود في الحديث، الصورة المقصود بها هذا، وقديمًا ليس فقط ما يوضع باليد، واليد هي تابعة لها، واليد المقصود أن تصور بالريشة وعلى القماش أو على الورق بالألوان، فالأصل هو التحريم لهذا.

أما هذا التصوير الذي يقع اليوم من هذه الصور الفوتوغرافية، والصور السينمائية والفيديو، فهذه لا حرج فيها، وخاصةً أنها صارت ضرورة من ضروريات الحياة في نشر العلم وفي توثيق الوثائق، مثل: قضايا الجرائم وغيرها، ومثل المراقبة ودفع اللصوص لانتشارهم إلى غير ذلك.

واليوم بدل أن تُجرى عمليات لكل طبيب متعلم أو لكل مجموعة أطباء متعلمين حتى يروا الحال على وجهها، يمكن عرض فيلم، ويكون في هذا العرض للفيلم التعليم الأكثر نفعًا من غيره عند المشاهدة؛ لإمكانية إعادة الصورة والنظر إلى جوانبها والدقة في النظر، فاليوم الأجهزة تجسد لك الصورة أكثر مما ترى بعينيك؛ لأنها تقرب البعيد، وتكبر الصغير الذي لا تراه العين رؤيةً صحيحة، فلذلك في الحقيقة هذه الصور اليوم المستخدمة من أجل الوثائق الشخصية، ومن أجل التوثيق، ومن أجل حتى على معنى ما يسمى بالذكريات؛ فهذه لا بأس بها، ولكن الممنوع هو تعظيمها، وتعظيمها له صور كثيرة من أجلاها وأوضحها هو: تعليقها على الجدران والاهتمام بها؛ لأنه هذا مدعاة كذلك مع التعظيم الذي يؤدي إلى الشرك، ونحن نرى أن الناس يضعون الصورة لشخص وكأنه موجود، وحتى نجد أن بعض الناس يخاطب هذه الصورة حين يغضب أو حين يحتاج، ويقول: أين أنت يا فلان؟ لماذا فارقتنا؟ وكل هذا مدعاة للشرك والكفر.

وأما الصور الأخرى فلا بأس بها، وأنا لا أرى تشدد هؤلاء المشايخ في هذا الباب، بل الصور لها منافع كثيرة من نشر العلم في هذه الأيام ومنافسة ما ينتشر من الشر بين الناس في ذلك، فهذا ما يتعلق بتصوير الوثائق التي ذكرها الأخ في آخر سؤاله أن تكون عنده آلة في داخل الدكان والمحل، وأن تصور من أجل ما ذكر من أجل الوثائق الشخصية، فهذا لا بأس به إن شاء الله تعالى.

الموضوع الأخر وهو الألبسة التي يلبسها الأطفال والصغار أو الحقائب التي يحملها الأطفال إلى مدارسهم وإلى رحلاتهم، ويكون فيها صور كما ذكر الأخ السائل فيها المشاهير من الصور الكرتونية أو مشاهير الأبطال أو غير ذلك مما يحبه للأسف هؤلاء الشباب اليوم، فالذي عندي هنا أن النبي صلى الله عليه وسلم أجاز لعائشة أن تقتني صورًا وتماثيل لما تتخيل من خيول سليمان عليه السلام أن لها أجنحة، فهذا دل على أن هذه الصور ليس فيها معنى التعظيم، هذه الصور التي يتخذها الأطفال ويلعبون بها لم تتخذ على معنى التعظيم وإنما هي مُهانة، أي الطفل يلعب بها يكسرها، يطأ عليها، فلا يعظمه بل هي ممتهنة، فهذا يفقدها علة ما أقيم التحريم من أجله، وبالتالي؛ يتخفف في موضوع الأطفال على الأصل، يعني الأطفال يضعون الصور وما شابه ذلك سواء كانت صور كرتونية مصورة باليد أو صور مأخوذة من تصوير حقيقي وتوضع، فالأصل هو أن هذا جائز للأطفال؛ لأنه ليس فيه معنى التعظيم بل هي مهانة كما قلت.

لكن هناك مسألة لا بد من التنبيه عليها والاهتمام بها، وهي: أن الأطفال يجب أن يربوا على غير هذا الأمر وعلى أن تعظيم هؤلاء والتعلق بهم هذا من الشر والتربية الفاسدة، أنا أنصح الآباء أن لا يتابعوا أبناءهم في رغباتهم وشهواتهم وتعظيمهم لمثل هذه الصور والتعلق بها، وهذا يمكن، فبدل أن يتعلق الطفل بمصارع مثلاً أو بممثل أو بمغني فهذا يدل على أنه مشغول في لحظة صفائه ولحظة هدوءه واستجمامه، وهذا يدل على أنك غير مُعتنٍ بابنك الاعتناء اللازم والواجب، فعليك أن تهتم بهذا.

فبدل أن ينشغل ابنك بتعظيم هذه الصور وتعظيم هذه الشخصيات، الواجب عليك أن تصرفه إلى تعظيم الشخصيات الإيمانية، والشخصيات التاريخية الإسلامية، والرجال المؤمنين، هذا هو الواجب، فهذا ينبغي أن يهتم به.

موضوع بيع هذه الصور، الذي أعتقده هو النظر إلى هذا المعنى الذي ذكرته آخر الحديث، وهو إذا كانت هذه الصور لشخصيات فاسقة فاجرة كافرة، فلا يجوز، هناك شخصيات من الممثلين السيئين المغنيين المجرمين، فلا يجوز بيعها، لا يجوز لا تبعها، ولا يعني أنك تضع الخيارات أنه يجوز لك أن تضع هذه الخيارات، لا يجوز لك هذا، فهي حرام لأنها مُفسدة، لا بسبب أنها صور ولكن بسبب قيام المعنى الفاسد فيها، وهو أنها دالةٌ على الشر ومشجعة له، ومتابعة للطفل في نزواته وأهوائه، والآباء قد يضعفون في هذا، وأنت يكفيك ما أحل الله عز وجل.

ولذلك الذي يصح حوله الجواب هو أن تضع في داخل محلك الصور التي ليس فيها هذا التعظيم، إما أنها لشخصيات كرتونية ويكون فيها المعنى الصحيح، وإما لشخصيات ليس فيها معنى الشر، وإن شاء الله بذلك يكون فيها الجواز وليس فيها التحريم على ما تقدم ذكره وتفصيله، والله تعالى أعلم.

بارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٤١٢- هل يجوز شراء أدوات مستعملة يشتبه بأنها مسروقة؟

ضمن الجلسة الثالثة والثلاثون، بتاريخ: (**١٨/٠٧/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٤/٠٤/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل يقول: كثُرَ في بلدنا بيع الأدوات المستعملة وذلك بسبب ما حصل في البلاد من سرقة وفساد، الذي يسمى «التعفيش»، فالمواد المستعملة أغلبها من مصادر مشبوهة ومن ضمن ما يقوم الناس ببيعه الكتب، فهل يجوز شراء هذه الكتب للاستفادة منها مع العلم أنني سألت البائع فقال: إنه أحضرها من رجل يقوم ببيع أغراض محله، ولكن قلبي لم يطمئن، فما الحكم في ذلك أثابكم الله؟

جواب الشيخ: عندما يعم الفساد فلشرع أحكامه، وعندما يكون الفساد غالبًا له أحكام تختلف عن كون الفساد يكون قليلاً ونادرًا، فهناك فرق بين الحكمين فيما يظهر في أدلة الشرع، فلذلك الأصل هو أنه لا يجوز للمرء أن يشتري ما لم يتملكه صاحبه بطريقةٍ شرعيةٍ في دينه، وأما إذا كانت شرعية في دينه فحينئذٍ يجوز لك أن تتملكها منه، عن طريق المعاوضة؛ بمعنى أن اليهودي مثلاً يجيز الربا من «الغوييم» من الأمِّيين، فهو تملكه لهذا المال بطريقةٍ يراها شرعية، وكذلك العرب قبل الإسلام يتملكون الأموال بطرق كثيرة منها النهب، منها الربا، ومنها الإرث الباطل، مثل أن يرث الكبير كل شيء ويترك الباقية بلا إرث، فهذا كله من المال المحرم في الإسلام، ولكن الإسلام أقرهم على شرائعهم التي كانوا عليها.

الباب الذي نحن فيه ليس كذلك، ولكنه بين أناسٍ مسلمين ينهبون ويسرقون؛ فهل يجوز شراء هذه الأموال منهم؟ الأصل عدم الجواز؛ لأنهم لم يملكوها بطريقةٍ شرعيةٍ صحيحة؛ فحينئذٍ تكون عقودهم مع غيرهم عقود على غير ما ملكوه، وإن كان تحت أيديهم، فالملك في الشرع لا يعني وضع اليد، الملك الشرع يجب أن يكون بطريقةٍ شرعية، فالمرء لا يملك ما يسرق وإن دخل في حيازته، فلا يجوز له أن يتصرف فيه، والواجب هو أن يعيده المرء إلى صاحبه، فإذا عجز عن صاحبه؛ تصدق به.

الآن السؤال في هذه الحالة هل يجوز للمرء أن يشتري المسروق؟ أن يشتري المنهوب؟ أن يشتري ما أخذ بظلم؟ الجواب: لا، لا يجوز للمرء أن يأخذه.

ولكن السؤال لو أن هذا الأمر عم وطم وانتشر فمع إقرار الشارع بعدم ملكيتهم له؛ فهل يجوز أن نأخذه على جهةٍ من الجهات مع عدم قدرتنا على إصلاح هذا الفساد؟ المسألة هنا تحتاج إلى موازنة في هذا الباب، الأصل ألا تفعل، وإذا قدرت ألا تشتري فلا تفعل، وإذا وقع في قلبك كما يقول السائل وقع في قلبه عدم الاطمئنان لما يقوله: أنه تملكه من رجل يملكه على الحقيقة، فالأصل هو أن تعرض عن هذا وألا تشتريه.

لكن لو أن الأمر طم وعم والناس قد احتاجوا، بشرط الاحتياج، أن تقع الحاجة التي إذا عمت أُنزلت منزلة الضرورة، فهل يجوز للناس؟ حينئذ بقدر الضرورة يتسمح في هذا الباب، بقدر حاجتهم لقضاء حوائجهم، وأما في موضوع الكتب فالإعراض هو الواجب الشرعي؛ أي بمعنى أنه لا يجوز لك أن تتملكها إذا وقع في قلبك معنى صحيح وله أدلةٌ صحيحة ووقائع غالبة، فلا يجوز لك أن تتملك هذه الأموال وتتركها لله عز وجل على هذا المعنى، لأننا إذا أقررنا نهبهم وسرقتهم؛ كثر الفساد وانتشر وعم، فينبغي النظر لهذه الأمور من خلال أصلها أولاً وهي محرمة ومن خلال مآلاتها فهي كذلك تؤدي إلى مفاسد أعظم.

فالجواب في موضوع الكتب وهي ليست ضرورة إلا إذا وقعت على معنى الضرورة أو الحاجة الشديدة، فيجوز للمرء أن يأخذ منها بمقداره، وإلا فالأصل عدم جواز شراء هذه الأموال التي غلب عليها الظن أنها مسروقة، وغلبة الظن ليست بسبب الشبهة المبنية على الهوى، ولكن الشبهة المبنية على الوقائع، وغلبتها، وانتشارها بين الناس، فالجواب: هو عدم جواز شرائها والله تعالى أعلم.

بارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٤١٣- الكلام على تيار الصحوة: سلمان العودة وسفر الحوالي

ضمن الجلسة الرابعة والثلاثون، بتاريخ: (**٢٥/٠٧/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١١/٠٤/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: ما تقيمكم لتيار الصحوة، الذي لمع في بلاد الحرمين في التسعينيات، وبالتحديد الشيخين سلمان العودة وسفر الحولي والتغيرات التي طرأت عليهم؟ وهل من فارق بين الشيخين على الصعيد الفكري؟

جواب الشيخ: أرجو أن يتحمل الأخ السائل وكذلك الأخ السامع بأنني لا أستطيع أن أستوعب كل الحديث عن هذا الموضوع، هذا موضوع يحتاج إلى محاضرة تامة، ساعة ساعتين للحديث عنه، أو إلى جلسة وجلسات للحديث عنه، نتحدث عن شخوص متعددين ونتحدث عن فترة غنية بالأحداث وغنية ومتنوعة في الجوانب وليس من جانبٍ واحد، ولذلك الكلام يحتاج إلى استيعاب، فربما يكون الاقتصار فيه ظلم، ظلم لجانب الإضاءة وظلم لجانب الظلمة، ظلم لجانب الجرح وظلم لجانب التعديل.

والمرء خرج عن كونه يريد أن ينصر منهجًا على منهج وتيارًا على تيار آخر، فهذه فترة أنا أعتقد بأن الواقع قد تجاوزها، فالصراع الذي كان موجودًا في فترة من الفترات بين المناهج والتيارات قد تلاشى الآن وضعف، الكل في البلاء واحد الآن، ليت الناس يفهمون، أنا أفهم أن النفوس لم تترق إلى مقدار الحدث الرباني الذي يريد أن يرفع الأمة فيه، لتكون أمة واحدة لتواجه الكفر الواحد، أو الكفر المتعدد ولكنه متحد علينا.

وأنا أعرف أن الناس ما زالوا يرتكسون في أفكارهم الخاصة في جماعاتهم الحزبية على ما كان عليه الناس من صراع مناهج في وقتٍ من الأوقات، ما زال الناس للأسف -أنا لا أتحدث عن جماعة، والله لا أتحدث عن جماعة بعينها- للأسف هذه ظاهرةٌ متلبسة لكل الجماعات، الأحزاب الإسلامية السياسية والفكرية ما زالت ترتكس في عصبيتها ومذهبيتا المنهجية، والجماعات المقاتلة ما زالت تعيش لحظة العظمة الذاتية؛ أننا نحن الذي يحق لنا أن نرث وقد وصل الناس إلى نتائجنا، الواقع سيتجاوز هذا كله، والعطاء الرباني سيتسع لكل هذه المناهج من أجل أن تكون أمة، هذا يقيني والواقع يدل عليه، وسترون قريبًا ما أقوله حقًّا.

ولذلك أنا أدعو كل المسلمين، أدعو كل مسلم يريد نصرة الدين، لا نصرة منهجه ولا جماعته ولا حزبه، أن يتفكر في هذه نقطة تفكرًا تامًا حقيقيًا؛ علينا أن نخرج من عباءاتنا الحزبية وعباءاتنا المنهجية التي هي بالتوصيف السياسي أيدلوجية، ليست عطاءً دينيًا، إنما هي عطاءٌ شخصي، البنا صنع جماعة اسمها حزبية، الألباني في رؤيته للتغيير قضية تتعلق بشخص ليست هي جزء من الدين، لكنها التصقت معه فكونت أيدلوجية ولم تكون دينًا، ولم تعطي دينا في أفقه العام، لذلك الذي يخالف الألباني في تصوره لأحياء الأمة هو لا يخالف دينًا، لا يخالف نصًا شرعيًا، بل يخالف رؤيةً شخصية، وهكذا الجماعة الفلانية والحزب الفلاني والتنظيم الفلاني.

وأنا أدعو المسلمين إذا قرؤوا التاريخ القريب مما يسمى بما سماه الاستاذ السائل بأيام الصحوة، أنه إذا عدنا إليها أن لا نعود إليها من أجل أن يجلد بعضنا بعضًا وأن يخطئ بعضنا بعضًا، أنا في كتابي الكلام عن «المقاربة لنازلة العصر قدرًا وشرعًا» وبعده في كلامي عن «ربيع المجاهدين»، وأرجو أن يرجع إلى هذين الكتابين أو هاتين الرسالتين بين قوسين مع الاعتذار لمن يرفض كلمة رسالة، كالأستاذ أحمد شاكر رحمه الله في مقدمة كتابه «الرسالة للإمام الشافعي» أن يقرأ هذا المعنى؛ علينا أن لا نبرز الأخطاء والخلافات التي كانت بيننا من أجل أن نقدم أنفسنا دون غيرنا، من أجل أن يلحق بنا أئمة والبقية تبع لنا.

أنا أتكلم بهذا وأنا محب وبعيد عن محبة التوصيف، أنا أدعوكم وأدعوا الأخ الحبيب أن يتعامل بمثل هذا الإنصاف، ولا تطلب من الآخرين أن ينصفوك ما زال الناس يتعاملون معنا بالخوف والمصلحية، فإلى هذه اللحظة يمكن لجماعة ما أن تمارس –مع أن الكل في البلاء، وأنتم تعرفون من أقصد– مع أن الجماعات كلها في البلاء إلا أنه يمكن في لحظة من اللحظات أن تستخدمنا جماعة سبيلاً لقبولها عند نظام طاغوتي بأنها البدائل عنا باعتبارنا إرهابيين ومتطرفين، إلى هذه اللحظة أنا أتوقع أن يحدث هذا، مع كل البلاء الذي حصل لهم، أنا أعرف هذا.

وأعيدها حتى تفهم؛ هناك فترة من الفترات جماعات كثيرة قدمت أوراق اعتمادها وعلى رأس هذه الاعتمادات التي تؤدي إلى القبول هو أنهم بدائل عن فكرٍ إرهابي متطرف، وأنهم هم أصحاب الوسطية بعد أن أكلوا الضرب، والآن لا ندري ماذا يقولون، لكن أنا متأكد لو فتح لهم المجال لعادوا إلى نفس النغمة، هذه قضية موجودة في نفوس البعض للأسف لا يرتقي إلى مهمة إحياء الدين وإلى مواجهة الجاهلية كما ينبغي.

ليس الكلام فقط عن الشيخ سفر الحوالي حفظه الله وشفاه الله وعافاه، ولا عن الشيخ سلمان العودة ونسأل الله أن يفك أسره، ولا عن الشيخ ناصر العمر، ولا عن هؤلاء المشايخ، وفي الحقيقة هؤلاء صار لهم حضور بسبب الموقع من البلد الذين هم فيه، وإلا في الحقيقة في كثير من البلاد كان أناس على هذا المعنى وهذه القوة العلمية وكذلك القوة الفكرية التي وصلها أمثال هؤلاء حفظهم الله، ونسأل الله أن يرفع شأنهم وأن يصلحنا وإياهم إصلاح التائبين العابدين.

ما الذي أريد أن أقوله في هذا؟ هذا الإنتاج، الآن الشيخ سفر مريض ولكن له إنتاجٌ علمي عظيم، وأنا أريد من طلبة العلم ومن العقلاء أن يتعاملوا بهذا التعامل، فنحن أمام إنتاج علمي، الآن الشيخ سفر نسأل الله أن يشفيه كما تعلمون، والشيخ سلمان كذلك سجين، وهذا لا يعني أنهم خرجوا من سباق الإمامة، أنا لا أعني هذا، فإذا بقي في نفس المرء روحٌ تتلجلج فإن إمكانية إمامته ورفعته قادمة، وفي الحقيقة هذا توقعي.

وأنا ذكرت لما سجن الشيخ سلمان أني أرجو مع كلمتي فيه لما سجن الشيخ الطريفي وأخرج ما أخرج من كلمة يطمئن الناس أنه جيد واتصل به وأنه جيد وكذا، سميت العنوان وهو عنوانٌ شديد الشيخ المنديل، أنا لا اعتذر في الحقيقة في هذا ولكن كل فترة لها ميزانها ولها أسلوبها ولها طريقتها، قد نشد في بعض الجهة، ولكن لا يعني هذا أننا أمام معركة إسقاط ومعركة تدمير، ولكن ينبغي التنبيه حين يستخدم الشيخ مثلاً –والآن ليس هذا من التقييم وليس هذا من الحكم النهائي– عندما يستخدم شيخ بمرتبة الشيخ سلمان العودة فك الله أسره من قبل حاكم بلده في تهوين سجن عالمٍ عظيم مثل الشيخ الذي ذكر عنه الخبر الشيخ الطريفي؛ هذه جريمة، ينبغي في الحقيقة أن يجابه بها وأن يدفع إلى التوبة منها دفعًا كبيرًا، وها هو الآن قد وقع.

والأحوال لها ظروفها ولكن لا يعني أننا أمام معركة إسقاط بين أشخاص انقلبوا إلى أعدائنا فنقتلهم كما تمارس جماعات الخوارج، نحن نعرف الطريقة في التعامل مع البشر، ولا يعني أنني أصيب في كل حالة وفي كل تقييم، ولكن أتحدث عما ينبغي أن يُفهم من الآخر إذا وقع شيءٌ من التصادم أو شيء من المعارضة أو شيء من التخطئة، وفيه الكلام الشديد.

أعود فأقول: نحن أمام إنتاجٍ علمي، الشيخ سفر أنتج إنتاجًا علميًا ومارس ممارسة عملية، نحن بين هذين الأمرين، الإنتاج العلمي الناس يستفيدون منه، عندنا كتاب «العلمانية»، عندنا كتاب «ظاهرة الإرجاء»، عندنا

كتاب «وعد كيسنجر»، وهكذا له كتب، وأنت عندما تقرأها؛ تقرأها لرجلٍ يفكر إسلاميًا ويعتقد إيمانيًا ويناقش علميًا على كون الرجل من العلماء ومن المفكرين؛ فأنت تتعامل معه باعتبار تراث مسلم، تراث رجل عالم، وتخطئه، أو تصوبه، أو تقبله، أو ترده، تناقشه في جزئية، تأخذ الإطار العام مع مناقشة جزئيات أو... إلخ، فهذه مسألة هي سبيل هذه الأمة.

ولذلك أنا من تخطئتي لمنهج الشيخ الألباني لما دعا للتصفية والتربية، قلت: التصفية ليست حالة تسبق التمكين، التصفية هي عملٌ من أعمال علماء الأمة على مدار التاريخ منذ أن بعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا، فهل العالم عليه أن يتوقف حتى نصفي؟! العالم كان يصفي ما تريد أن تصفي يا شيخ ناصر رحمه الله وأجزل مثوبته، فالأمة كانت على هذا المنهج، ففي كل وقت العلماء يرد بعضهم على بعض، يضعفون يصححون، فهو منهج قائم، ولم يتوقف كأنه كان ميتًا فجاء رجل فأحياه، لم يكن هكذا، ولا عملية التربية كذلك، فهذا إنتاجٌ علمي.

وهناك جانب عملي يقيم فيه الرجل، أنا أعرف أن هناك من يعيب عليه بعض المواقف، وهناك من يمدحه في بعض المواقف، وهناك مواقف مشرفة لما وقف لقضية استقدام القوات الأمريكية، موقف عظيم خالف فيه علماء بلده وو... إلخ، وهناك موقف في قضية تسليمه لبعض الأشخاص للحكومة عندما أرادوا تسليم أنفسهم، يعني الإنسان يقع منه هذا في الاجتهادات.

ولو وضعنا حين ندخل المرء أنه من أهل العلم وأن تصرفاته منشأها مصلحة الإسلام، لا العمالة ولا الانقلاب إلى صف الكفار؛ حينئذٍ نُخطئ ونصوب، نقول: هذا خطأ وهذا صواب، فقط، ولا نزيد عليه، لا نتجاوزه إلى السب والشتم والتعيير إلى غير ذلك، وهكذا عندما نأتي إلى الشيخ سلمان العودة.

وطبعًا الشيخ سلمان العودة مر في ظروف متعددة وأعلن أنه ثمة انقلاب حدث في عقله بين رؤيته لما رد على الشيخ الغزالي ولما اعتذر عن هذا الرد، فلا شك أنه حصل هناك تحولات، ويمكن أن يُعاب عليه أمور أشد مما يعاب على الشيخ سفر الحوالي لكثرة مشاركته ولانطلاقته بصحة جيدة بعيدًا عن الحال الذي عليه الشيخ سفر من المرض.

القصد من هذا: هذه تجربة من تجاربنا جميعًا، وأنا أعتذر أنني أتحدث عن شخص أو شخصين أو ثلاثة أو

أربعة، هذه حالة عاشتها الأمة في لحظة البحث عن المخرج، وكلٌ يصف الواقع باعتبار رؤيته الخاصة، وباعتبار منهجه الذي تبناه، وهم أرادوا الدين، وهذه قضية مهمة؛ هم أرادوا الدين، وفرضوا إيقاعًا عمليًا لإصلاح هذا الواقع من خلال رؤيتهم ومن خلال تجاربهم.

ولأقل كلمة صريحة في هذا الباب: أنا أعتقد بأن المشايخ كلهم، إلا من عاش تجربةً جهادية، عندهم الخوف من الدم، عندهم الخوف من المواجهة المسلحة، هذه من مشاكل العقلية المشيخية السنية، ولا يعني هذا أن في غيرها غير موجودة، ليس هذا الحديث عن الآخر كالرافضي والدرزي والنصيرية، لا، لا أعني هذا، ولكن أقصد بأن العقلية المشيخية الإسلامية عندها خوف، والخصوم نجحوا في الوصول إلى الحكم كالبعثيين والناصريين واليساريين، هؤلاء نجحوا في الوصول؛ لأنهم تجاوزوا هذه العقدة، فهم رُبوا على قضية العقائد المسلح، نحن لم يُربى مشايخنا على هذا، فإذن هناك خوف مبني بعضه على العلم في عدم صفاء الذهن وصفاء الرؤية في واقع الحكام والطواغيت، ومعرفة الواقع توصيفًا شرعيًا، فبقي عندهم الخوف خاصةً عندما نأتي إلى مؤسسة علمية كبيرة في دولة، المفهوم يقوم على أنها دولة سنية وأنها تقوم على الشرع، فمن الصعب المخالفة، أحدهم قال ولا أريد أن أذكر اسمه، قال: أنا تريدني أن أخالف ثلاث مئة عالم وأكفر النظام؟ عنده رهبة مازال أسير للإطار العلمي الرسمي الذي أفرزه النظام وقواه النظام، فهذا واحد.

الأمر الثاني: الخوف من قضية الدماء؛ لأنهم لم يدرسوا هذا دراسة علمية، أي عندما يتحدث اليساري عن قضية الثورة وهو يعرفها معرفة سننية، يعرف كيف يسير فيها، كيف تخفق هنا وكيف تنتصر هنا، كيف يستغل الظروف والإمكانيات والأركان لنصرتها أو لهزيمتها؛ فهو يدرسها دراسة علمية، ونحن في البيئة المشيخية الإسلامية السنية وفي غيرها ولكن أتحدث عنا؛ باعتبارنا أننا الأصل، أن أهل السنة هم الحق، فهذه النقطة في عريٍ عنها، هم يخافون، وإلى الآن الجماعات تخاف، على الرغم أن الخصم دموي من الدرجة الأولى ويصل إلى مبتغاه بقوة، وإذا وصل يبطش ويضرب، والآخر يتعامل تعامل بأنه يريدها ديمقراطية، يريدها تربوية، تنتُج من الشخص إلى البيت إلى الاسرة إلى المجتمع إلى الحكم، بالطريقة الساذجة المشهورة ليهم.

فمن هنا الحكم على هذه الفترة السابقة؛ حكمٌ قاسي علينا جميعًا، وبلا شك أننا كنا نفكر وربما الكثير يفكروا ضمن الإطار الذي يجنب الدم ويجنب المواجهة، كنا ندعوا إلى مناهج توصلنا إلى المراد بأقل التكاليف،

وثبت أنها أحلام، سواء كان ما يسمى بهذا الاسم «مشايخ الصحوة»، وهو اسم في الحقيقة وإن صار له النبرة الجميلة والنظرة الحلوة، ولكن في الحقيقة صاحي، واحد صاحي من النوم، أي له دلالة غير جميلة أنا عندي لما يقال صحوة، واحد صاحي من النوم ومش داري، كان نائمًا ثم صحى، ولحظة الصحوة هي لحظة يكون المرء في بدايتها فاقدًا لفهمه، فاقدًا لما يرى، فاقدًا لما كان عليه وماذا سيصبح عليه، وهكذا، هذه تقال للجميع، هذه ليست خاصة بجماعة.

ولذلك أنا أطلب من الإخوة، أنا ضربت مثلاً في الإنتاج العلمي عند الشيخ سفر، الإنتاج العلمي عند سلمان، أن نتعامل مع هذا الانتاج العلمي بعلمية، وأن نتعامل مع الأيدولوجيا، الرؤية الذاتية، من خلال الوقائع التي وصلنا إليها، العلم يُخطئ العلم والتجربة تُخطئ التجربة، العلم يخطئه العلم أو دعوى العلم يُخطئها العلم، ودعوى التجربة وصواب الواقع يخطئه كذلك الواقع.

ونحن الآن أمام مواجهة تاريخية مفصلية، الآن في هذه الفترة التي نعيشها هناك جماعات سياسية، جماعات تربوية، جماعات إصلاحي، وفكرية، وحزبية، وهناك جماعات استئصالية، وجماعات جهادية، جماعات تغييرية جذرية، لكن كلها عملت باتجاهات معينة رقت الفكر كثيرًا، عملت انتكاسات في بعض الظروف والأحوال، ولكننا الآن أمام مواجهة، والذي أوصلنا إلى هذه المواجهة هو القدر الإلهي، العطاء الرباني.

وهذه المواجهة تحتاج منا؛ إلى علماء يدرسوا علمًا، وتحتاج إلى عقلاء يصفون الواقع وصفًا، وهو الآن لم يعد فيه الكثير من الخفايا التي يزعم البعض أنه يبصرها والآخر لا يبصرونها، فنحن أمام نظم وهذه النظم قد تلاقت مع الجاهلية في أفقها الأعلى الذي لا يجوز لأحد أن يخالف فيه، وأن نفهم أن الذين يدعون إلى الاستسلام لهذا الواقع بأنه شرعي؛ أنهم قد انحازوا انحيازًا تامًا إلى الجاهلية، المشايخ الذين يرقعون الواقع الآن العامي في الشارع يعرف مقامهم في العلم والتقوى والدين والصواب ويخطئهم، فهذه الأنظمة التي كانت تتخبى باسم الدين خلعت البرقع وكشفت وجهها الجاهلي الطاغوتية؛ فلا ينبغي أن نختلف في هذا الواقع، ونحن الآن أمام تجارب تحقق النصر وتحقق المواجهة، وعلينا أن لا نخاف من الدم؛ لأننا سندفع الدم إن لم نقم بالمواجهة الجهادية.

هذه المئات، بل الآلاف التي قتلت تحت دعوى السلمية؛ تنبه كل عاقل، وتنبه كل من في رأسه مسكة عقل وعلم ومعرفة الشرع، بأن هذه السلمية أكذوبة، هذه السلمية تقدم الرقاب للمقاصل بلا ثمن، هذه جريمة.

وهذا السؤال تردد عليّ وكنت أبتعد عنه، ولكن وجدت أن المواجهة في هذه القضية مهمة جدًا، وأنا أدعو وأعيد الدعوة: علينا ألا نكثر من التعيير بما مضى، الناس لهم تجارب ولهم اجتهادات جزاهم الله خيرًا، وعلى طالب العلم أن يتعامل مع الآخرين أنها إنتاجٌ علمي، حتى لو بدا له أنها فيها غلبة الهوى والذاتية والشخصانية، عليه أن يتجاوزها إعمالاً لاتفاقنا ووحدتنا أمام اتفاق ووحدة الكفر علينا، فهذا الذي أدعو إليه، ومع بقاء العلم يناقش بالعلم، التجربة تناقش بالتجربة، هذا الذي أدعو إليه، والله تعالى أعلم.

بارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٤١٤- كلمة في ربيع المدخلي

ضمن الجلسة الرابعة والثلاثون، بتاريخ: (**٢٥/٠٧/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١١/٠٤/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: نريد كلمةً في ربيع بن هادي المدخلي وخطورة فكره.

جواب الشيخ: أيها الإخوة الأحبة البدع الفكرية والعقائدية والتصورية يكتشفها العلماء من بدايتها؛ لمخالفتها الشرع ومخالفتها الحكمة، ولكن الناس لا يعرفون أثرها حتى تقع؛ فيعرفون أثرها من خلال النظر، هذه قضية.

القضية الثانية: أن من الضلال هو عدم الميزان، أي ليس كافيًا لأن تكون مهتديًا أن تعرف الحلال والحرام، وليس من الهداية التامة أن تعرف الفرق بين السنة والبدعة، من الهداية التامة أن تعرف الميزان بين البدع، والميزان بين السنن، الميزان في الحق نفسه، ليس بين الحق والباطل، هذه كلمة نستحضر فيها كلمة شيخ الإسلام، الناس يعرفون الفرق بين الحق والباطل، بين الشر والخير، ولكن العلماء يميزون بين خير الخيرين وشر الشرين، الخوارج إنما أوتوا من خلال عدم ضبطهم لميزان الشرع في تسمية الأحكام كما ينبغي، وبتسمية الأمور بأسمائها الصحيحة، تضخيم قضية على قضية باب من أبواب الخروج من الملة.

وكما أننا نقول: أن الخوف بلا رجاء يخرج من الملة، والرجاء بلا خوف يخرج من الملة، اليزيديون باب شركهم هو الخوف من الشيطان والرجاء الشديد من الله، فلم يخافوه فصرفوا الخوف لغير الله فأشركوا، وأهل البدع هذا شأنهم، الخوارج عظموا جانب الخوف وضيقوا جانب الرجاء فضلوا، ولا يمنع بعد ذلك أن يقعوا في الكفر، بعد ذلك، ولكن ليس بهذا الاعتقاد، فعندما يناصرون الكفرة بحجة أن الكفرة الأصليين خير من المرتدين؛ فيناصرون النصارى واليهود على المسلمين؛ هذا وقوع في الكفر والردة، وبابه هو باب عدم تمييز خير الخيرين وشر الشرين.

إذن النقطة الأولى: الذين كانوا في القديم عندما ظهرت بدعة ربيع المدخلي في تكفير -وهذه خارجية- في تكفير كثير من الدعاة كتكفيره سيد قطب، وبعد ذلك جر هذا التكفير إلى سب الإخوان، والآن ربما بعضهم

يكفر الإخوان المسلمين ويراهم أضل وربما أكفر من اليهود والنصارى كما سمعت لبعضهم، فهذا الشر العظيم كان واضحًا في كلامهم، ولكن الصغار يهتمون بهذه الألعاب الصغيرة «السنة والبدعة» ويفهمون أنها لعبة التميز عن الخلق، وأن هذه المطايا كلمة السنة والبدعة لعبة من أجل أن يستخدموها ورقة؛ لأنهم أهل الجرح والتعديل، وأنهم أكبر من الآخرين، وهكذا يحبون هذا، الصغار يحبون هذا.

وبالتالي؛ ما كان خفيًا من آثار منهج هذا الرجل الضال المنحرف، وهو خارجيةٌ انتهى أمرها إلى أن تتمالأ مع الكفر كما نرى في مصر وفي ليبيا، وسنراها كذلك في مناطق أخرى، فالآن هذه الجماعة في الجزائر منتشرة بكثرة، الدولة كما في ليبيا فتحت لهم الأبواب في زمن القذافي ولم يكن هناك تيار يُسمح له بالدعوة كما يُسمح لتيار المدخلي، وكما الآن في الجزائر، لا يوجد أحد مسموح له أن يتكلم والخصومات بينهم الحمد لله، الله عز وجل يضربهم ببعض، ولكن لا يوجد أحد مسموح له أن يقوم بالدعوة في المساجد إلا هذا التيار، ستجدون آثارهم الشريرة كما تجدها في مصر من تمالئِ حزب النور ومن معه من مشايخ ولا أدري الأسماء رسلان والآخر رضواني، ومن هذه النماذج المشوهة التي صارت واقفة بقوة في الواقع، واقفة مع الجاهلية ضد المسلمين، الوصول إلى كره البدعة فوق كره الكفر كما يؤصل لها البعض؛ أدى بهم إلى الوقوف مع الكفر ضد البدعة، بل صار الكفر إسلامًا وصار منهجًا وسنةً، الوقوف مع الكفر صار منهج أهل السنة عند هؤلاء.

فالآن لم يعد الحديث عن منهجٍ علميٍ يُناقش من خلال فقه السلف، الآن نحن أمام واقع وصلت ثمرته إلى أن تُنتج حنظلاً وزقومًا وشرًا وضلالاً وكفرًا وقتالاً وذبحًا للمسلمين.

فالحديث عن هذا الرجل المجرم الضار ربيع المدخلي؛ حديثٌ لم يعد يحتمل أنه خلافٌ في إطاره العلمي، الآن خرج من إطاره العلمي إلى إطاره العملي، فحين يكون الكلام عن الفساد في الأرض فهو يحتاج إلى شعور، كما قال الله عز وجل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ (١٢)﴾ [البقرة: ١١-١٢]، جعل ميزان الحكم على الفساد والصلاح وهو الشعور وهو ميزانٌ إنسانيٌ فطري، لكن لما جاء إلى الإيمان، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾ [البقرة: ١٣]، لأن الإيمان مسألة علمية عقلية فقال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣)﴾ [البقرة: ١٣]، فرتب المسألة العلمية على العلم، ورتب

الفساد على الشعور.

والآن الذي يقول: بأن فساد هذا الرجل ومن معه ومنهاجه، ولو اختلفوا في بعض المسائل المالية، الدكاكين، والكسب والتجارة، إي هناك خلاف الله عز وجل ضربهم كما ضرب التشيع، الشيعة تجدهم آلاف الفرق، وهذه الطائفة المسمى السلفية المدخلية؛ هذه طائفة بينها من التنازع ما لم تره في تاريخ الإسلام بين الناس، ما في أحد إلا ويلعن الآخر، ما في شيخ إلا ويلعن تلاميذه، والتلاميذ يلعن بعضهم بعضًا ويلعنون هذا الشيخ ويحبون هذا الشيخ، وهكذا في فرقة عجيبة جدًا، والخلافات بينهم على الدكاكين، اللصوصية، من غير ذكر أسماء، الأسماء قبيحة لا أحب أن أنجس لساني بذكر أسمائهم، ولكن الخصومات بينهم على الأموال وعلى المناصب، وانتهى ليس هناك علم.

لكن على أرض الواقع ماذا أنتج هؤلاء؟ أنتجوا انحيازًا إلى الكفر، والذي يناقش –النقطة هنا– والذي يناقش فساد هذه الطائفة الآن؛ هذا ميت الشعور، شعوره ميت وليس عقله وليس علمه وليس ميزانه العلمي، بل ميت الشعور، هذا هو الأمر، ما هو السبب؟ لا تقل لي: هو سني، هو عقيدته عقيدة أبي جعفر الطحاوي، عقيدته عقيدة إسماعيل البربهاري، عقيدته عقيدة الإمام ابن تيمية، دعك من هذا، كما أن كل الطوائف تقول: مرجعنا الكتاب والسنة، والطوائف البدعية كذلك من أهل السنة يقولون: منهجنا السنة، وهم بعد ذلك يلعبون في تنزيلها ويضلون في إعمالها إعمالاً حكيماً صحيحًا.

أنت تسأل؛ الواقع يجيب، قديمًا كنا نصرخ في الناس اتقوا الله هذا منهجٌ ضالٌ بدعي يؤدي إلى المفاسد، والناس كانوا يقولون: لا، ويتحدثون بالسنة وهم يستخدمون مبادئ الجرح والتعديل الصحيحة، وشيخهم فلان، والشيخ هذا قال عنه فلان: إمام الجرح والتعديل لهذا العصر، كأن القرآن نزل بعصمتهم كما نزل بعدالة الصحابة، لكلمات يقولها فلان وعلان، والآن نحن نرى أثارهم الإجرامية على واقع الإسلام والمسلمين في تمالئهم مع الشر والطواغيت ضد المسلمين، لا عداء لهم مع النصارى، ولا عداء لهم مع اليهود، ولا عداء لهم مع البوذيين، عداؤهم هو مع أهل الدين! عداؤهم مع المسلمين العاملين الذين يخطئون ويصيبون، ولهم عداءٌ دينيٌ في كل شيء، وليس من أجل التعليم ولا من التصويب ولا الإرشاد ولا الرحمة، عدائهم قائمٌ على الغيظ وعلى الحقد.

ولا تسألوا الآن، انظروا إلى الواقع، انظروا إلى إجرامهم في ليبيا، انظروا إلى اجرامهم في مصر، هذا حزب الزور ومن معه ومن على شواطئه، وهذه أحزاب إجرامية، هذه أحزاب مرتدة تمالأت مع الكفر ضد المسلمين، ولا تحتاج إلا إلى بصيرة لنعرف حكمها، أما أن نعرف وصفها في أنها مفسدة فهذا شيءٌ مقرر، الآن فقط الناس يخافون من هذه الكلمات أنها أحزابٌ كفرية، لا، هذه أحزابٌ كفرية، هؤلاء الرجال ارتدوا عن دين الله عز وجل.

بارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٤١٥- رأي الشيخ بالأستاذ عباس محمود العقاد

ضمن الجلسة الرابعة والثلاثون، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٧/٢٥هـ الموافق لـ: ٢٠١٨/٠٤/١١ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل ما رأيكم بعباس محمود العقاد؟

جواب الشيخ: لا شك أن عباس محمود العقاد -بغض النظر عن سلوكه الشخصي- يقول أنيس منصور عليه من الله ما يستحق -هو فطس على كل حال- وهو من أعدى أعداء هذه الأمة ومن المفسدين في الأرض، وقد كذبه الكثيرون في الحقيقة، يقول في كتابه «في صالون العقاد كانت لنا أيام»: أن العقاد كان يُنشئ صالونه الفكري والحواري وقت صلاة الجمعة، التلاميذ القريبون من العقاد كذبوه، قالوا: كذب وحلفوا الإيمان أنه لم يحدث هذا قط، وأنا أصدقهم وأكذب أنيس منصور، أنيس منصور ملعون وهو صاحب خيالات على كل حال.

ولكن ولا شك أن العقاد لا نستطيع أن نعتبره إسلاميًا، نعم هو يُفكر عربيًا، ومرت عليه أحوال بأن كان من دعاة التجديد، حتى أنه ناصر الرابطة القلمية في دعواها لتفجير اللغة ولتجديد اللغة، وكتب لهم كتابًا في هذا يمدحهم، وقدم لبعض كتبهم مقدمات تمجد أفعالهم، إلا أنه في نهاية الأمر صار يكتب إسلاميًا، وكلهم كتبوا إسلاميًا بعد وفاة مصطفى صادق الرافعي، أي لم يكتب العقاد «العبقريات» حتى مات الأستاذ مصطفى صادق الرافعي، ولم يكتب طه حسين إسلامياته كما يسمونها على «هامش السيرة»، إلا بعد وفاة مصطفى صادق الرافعي؛ فلذلك السلوك العملي لم يشهد له بالإسلام، لا بالمحافظة على الصلاة ولا بدعوته للإسلام ولا بمناقشته لقضايا الأمة من خلال الإسلام، أصاب أو أخطأ، لكن لم يكن هذا مرجعه، لم يكن الإسلام الكتاب والسنة مرجع العقاد، هذه القضية يجب أن نفهمها.

والذين يحاولون أن يجعلوه مفكرًا إسلاميًا فقط في كتاباته «العبقريات»، ولكنه لما عالج «العبقريات» لم يعالجها معالجة إسلامية، عالجها معالجة نفسية لتأثره بالمنهج الغربي في قراءة الشخصيات من خلال التحليل النفسي الذي انتشر في ذلك الوقت، ولذلك هو ليس مرجعه في الحكم على القضايا، على النوازل، على

الأشخاص، على التواريخ من خلال القرآن.

وهنا فقط أذكر للتاريخ؛ بل أن الأستاذ مصطفى صادق الرافعي لما كتب عن إعجاز القرآن يقول: بأنه قابل العقاد، فالعقاد نفى أن يكون القرآن مُعجزًا، وذكر هذا سعيد العريان في حياة الرافعي مع أن عامر العقاد ابن أخيه لعباس محمود العقاد يقول: بأن العقاد لم ينفي الإعجاز، ولكن صمم الرافعي لم يجعله يفهم ما يقول، بأن كتابه لا يتكلم عن الإعجاز تكلمًا صحيحًا، ولذلك يقول: بأنه سأله، فقال: لا، الرافعي لو يفهم عليّ، ولا شك أن إنكار الإعجاز هو كفرٌ ولا شك؛ لأنه نقدٌ لآيات في القرآن، قال تعالى: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣]، قال تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ (٣٤)﴾ [الطور: ٣٤]، وقال تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ [يونس: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾ [هود: ١٣]، وهكذا، فالقرآن تحدى، فإذن إعجاز القرآن أي أن يعجز غيره أن يأتي بمثله هذا من أركان الإيمان ومن أركان القرآن ومن صريح القرآن، فإنكار الإعجاز القرآني؛ كفر، لكن تفسير هذا الإعجاز هذه مسألة أخرى، هذا مجالٌ الناس يعذر بعضهم بعضًا فيه، وأسقط وأضل كلمة هي دعوى الصرفة أن الله صرف العبيد أن يأتوا بمثله، مع أن قدرتهم يمكن لها أن تأتي بمثله، وللأسف قال هذا بعض المعتزلة، وهذا منسوبٌ للنّظام، ونسبه بعضهم إلى الجاحظ وغلط، وللأسف لابن حزم الميل إلى هذا القول، ناقشه الأستاذ محمد أبو موسى مناقشة جليلة ويحتاج الأمر في الحقيقة إلى أكثر مما ذكره الدكتور حفظه الله.

نرجع إلى العقاد، فإذن العقاد في سلوكه وأفكاره لم يكن ينتهج المنهج الإسلامي في الحكم، وحتى أنه عاب على تفسير سيد قطب لأنه ليس على منهاجه، ولا شك أنه كان يحاول وكانت من أمنياته أن يفسر القرآن، ولكن هذا التفسير لا أظن أنه من منبع التدين، وإنما من منبع الأدب، كما فعل ذلك المجرم وهو أشد إجرامًا إذا اعتبرنا أن العقاد مجرمًا في عدم تصوراته الإسلامية التي تؤصل لقضية الحكم على الأفكار والحكم على الوقائع وهو توفيق الحكيم فإنه اختصر تفسير القرطبي اختصارًا مخلاً، وتكلم مع الله، ورد عليه العلماء وبعضهم حكم عليه بالكفر على توفيق الحكيم، لأنه كان يكلم الله عز وجل كلامًا لا ينبغي، وزعم أنه يكلم الله، يوحي إليه فيكلمه الله وهو يكلمه وهذا لا يجوز، هذا بابٌ ليس من الأدب في شيء، وإن سموه أدبًا، ولكن هذه دعوى كذب على الله عز وجل.

القصد: بأن العقاد في سلوكه لم يكن ملتزمًا إسلاميًا ولم تكن أحكامه مستندة على الكتاب والسنة، ولذلك أنا لا أعده مفكرًا إسلاميًا، هو نعم أديب ولا شك، له تحليلاته التي يصيب فيها ويُخطئ، وشهرته نابعة من عدة أمور ليس فقط من قوة أفكاره، لكن مصادمة أفكاره، أي أن رأيه في المرأة كان شديدًا كما تعلمون، أن معاركه الأدبية مع مجايليه من طه حسين ومن الرافعي وخاصةً الرافعي، معركته مع الرافعي هي الأشهر، ومعركته مع المنفلوطي، ومعركته مع غيرهم، وذكرها ابن أخيه عامر العقاد في كتابه «معارك العقاد الأدبية»، وهو كتاب منشور يستطيع المرء أن يراها، هذا هو رأيي فيه، أن العقاد لا يعد مفكرًا إسلاميًا، وحتى ما كتبه عن العبقريات الخمسة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الخلفاء الأربعة لم يحكم عليهم الأحكام الإسلامية، ولم يكن ينظر إليهم إلا بمنظار الرجل الأديب المفكر بما ذكرنا من خلال التحليل النفسي المنتشر في عصره في ذلك الوقت، هذا والله تعالى أعلم.

بارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٤١٦- حكم التجنيد الإجباري

ضمن الجلسة الرابعة والثلاثون، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٧/٢٥هـ الموافق لـ: ٢٠١٨/٠٤/١١ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: عن التجنيد الإجباري حكمه وآلياته؟

جواب الشيخ: المقصود بالتجنيد الإجباري هو أن يقوم الإمام السلطان بإجبار الناس على لحوق بكتائب الجهاد أو إلحاقهم لتدريب، ويجبرهم على هذا، هذا الاسم هو معروف بأنه مصطلحٌ معاصر تفعله الدول وتضطر إليه وخاصةً في ظروف الحروب، أو في ظروف احتمال قيام الحروب، فتجبر أعمارًا معينة على الالتحاق بكتائب قتالية للتدريب ولخدمة الجانب العسكري، والأسباب في هذا متعدد، من الأسباب:

السبب الأول: هو نفرة الناس خاصة من الجيش لمشقة الأعمال فيه، والناس يحبون الدعوى السكون والراحة، فالناس يهربون من المؤسسة الجيش.

السبب الثاني: وهذا السبب كان قديمًا واليوم يكاد هذا السبب يتلاشى خاصةً في الدول الثرية الغنية، بأن رواتب العسكريين قليلة، فالناس ينفرون منها ويميلون إلى المؤسسات التي تكون فيها الأجرة عالية، فلذلك يُسمى تجنيد إجباري؛ أي يجند للعسكرية إجباريًا.

هل هذا الفعل يجوز للدولة الإسلامية أو للسلطان المسلم أو للحاكم المسلم هل يجوز أن ينتهجه؟

الجواب: أنتم تعلمون بأن الجهاد في حكم الشرع يقسم إلى قسمين: جهاد فريضة وجهاد كفائي، فريضة عينية وفريضة كفائية.

أما جهاد الفريضة الكفائية وهو جهاد الطلب، الجهاد الكفائي الذي يحصل به نشر الدين وإقامة الشريعة وتحقيق العدل في الأرض، وإزالة الشرك أي سلطان الشرك على البلاد والممالك والإمبراطوريات، وحكم هذا الجهاد أنه فرض كفاية؛ بمعنى إذا قام به البعض سقط عن الآخرين.

وأما جهاد الدفع وهو عند غزو المسلمين؛ عندما يغزوهم الكفار في بلادهم أو عندما يحضر الصفين أو

عندما يدعى عينًا أو عندما تُحتل بلد من بلاد المسلمين؛ فحينئذٍ يصبح الجهاد فرض عين على كل مسلم، ومن لم يلتحق بهذا الجهاد يكون آثمًا، وفي الأول إذا قامت الأمة بهذا الجهاد وهو جهاد الطلب وكان في ذلك الكفاية بتحقيق الجهاد ومقاصده؛ فحينئذٍ يسقط عن بقية الأمة.

إذا علمنا أحكام الجهاد بهذه الصورة، وهذه الأحكام معلومة لدى المسلمين على الأغلب وعند طلبة العلم على الأخص؛ نعلم بأنه يجب على الإمام أن ينفذ حكم الله عز وجل وأن يوجب على الناس ما أوجبه الشارع بلا زيادة، بمعنى أنه إذا وقع الجهاد في بلدٍ على معنى جهاد الدفع أو تعين على أحد من الناس لحاجة المسلمين إليه أو حضر الصفين فلا يجوز له أن ينكُل ولا أن يفر من الزحف؛ فحينئذٍ يصبح من واجب الإمام أن يوجب عليهم ما أوجبه الشارع، لا لإيجاب الإمام أحكامًا خاصة، ولكن لأن الإمام يوجب ما أوجبه الشرع، وعلى الإمام أن يقوم بحماية البيضة وإقامة الشريعة ونشر الدين والعدل، هذا من مهماته، ولا تحصل هذه المقاصد ولا تكون حتى يوجب على الأمة أن تلتحق بها.

فمن هنا التجنيد الإجباري لكل المسلمين يجب أن يكون عندما يقع جهاد الدفع، حتى يزول هذا الضرر عن المسلمين، والآن كما تعلمون بأن نوع الجهاد في بلادنا هو جهاد دفع، ولا أقصد أن كل بلد يمكن أن يقوم فيها قتال فهذا ممتنع وبسبب الضعف وبسبب عدم القدرة، وإنما أقصد بأن الدعوة إلى الجهاد، الدعوة إلى إحياء الدين، والدعوة إلى الله عز وجل والتي توصل الجماعة المسلمة إلى المواجهة مع الجاهلية في لحظة من اللحظات التي لا بد منها، فحين يقع هذا، فهذا المعنى الذي يؤدي إلى الجهاد وهو من الدعوة إلى الله عز وجل، من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من تربية الشباب، تربيتهم كما ربى الشارع تعليمهم دينهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر والذي يؤدي إلى المواجهة في النهاية إلى الجهاد، فهذا واجبٌ على الأمة أن تقوم به ويجب على كل مسلم أن يقوم به، ويدعو غيره إليه.

فإذا وقع الجهاد الحقيقي كما هو واقع كثير من البلاد في بلاد الشام في اليمن في ليبيا في أفغانستان في فلسطين؛ فحينئذٍ يصبح الالتحاق بكتائب الجهاد لرد العدوان واجبًا شرعيًا على كل أحد، ويجب على الإمام وعلى السلطان بمقدار سلطانه وبمقدار قدرته أن يجبر من تحت رعايته أن يقوم بهذا الجهاد، هذا هو التكييف الأصولي لواقع ما يسمى بالتجنيد الإجباري في الدولة تحت السلطان المسلم وتحت الحاكم المسلم، هذا هو

التكييف الشرعي له.

فإذن هو واجبٌ عليه، التجنيد الإجباري حين يكون واجبًا على الأمة يجب على الإمام أن يوجبه عليهم، وأن يُفّعل هذا الحكم، وهذا في كل واجب، يجب على الإمام أن يوجب على الناس ما أوجبه الشرع، أن يوجب عليهم، ما معنى يوجب؟ أي أن يسوقهم إلى هذا الواجب تعليمًا لهم، أن يعلمهم إياه، فمن جاء؛ جاء بإرادته، ومن نكث فيجب على هذا الحاكم أن يقوم بأعمال تدفعه من أجل لحوق هذا الناكث بهذا الواجب، هذه هي الطريقة الشرعية في هذا الباب.

مثلاً في ذلك: صلاة الجماعة، فصلاة الجماعة عند من يقول: بوجوبها، وهو الصواب أنها واجبة؛ يجب على الإمام أن يمنع الناس من تركها، كذلك من واجبات الشرع على العباد على المرأة أن تستر نفسها؛ فحينئذ يجب على الحاكم أن يُعمل هذا الواجب على الناس أن يجبرهم على الالتحاق به، وكذلك في ترك المنكرات والكبائر مثل شرب الخمر يجب عليه أن يمنع الخمر وهكذا، والجهاد ذروة سلام الإسلام ومن أعظم أعمال الإسلام؛ فيجب على الإمام أن يعمله، فإما أن يلتحق الناس به لحوقًا إراديًا وهذا هو المطلوب، فإذا تخلفوا؛ وجب عليه أن يجبرهم على الالتحاق به، حتى يتم تحقق مقاصد الجهاد.

وحتى في جهاد الدفع الذي هو واجبٌ عيني يمكن للإمام أن يقتصر على بعض الناس؛ لأن ساحات المعارك لا تحتمل كل الناس، فيختار منهم ما يقدر عليه.

هنا تبقى مسألة مهمة جدًا: نحن نعلم أن الجهاد هو عبادة ذاتية، وعملٌ من أعمال العبادة والإخلاص لله عز وجل فكيف يلتقي هذا الإخلاص؟ ويلتقي هذا العمل التعبدي الصرف الذي فيه الموت وإزهاق النفوس وتقدمة الأرواح وموتها كيف يلتقي مع الإجبار؟ العبد إما أن يساق إلى الجنة اختيارًا وإما أن يساق إلى الجنة بالسلاسل، والله سبحانه وتعالى يقدر للعبد الأعمال التي يبتعد بها عن الشر ويبتعد بها عن الفساد، ويقوم بالواجبات، حتى لو كانت على جهة الإجبار، فعندما يأتي الأب إلى ابنه إلى صلاة الفجر فيجبره على أن يقوم إلى صلاة الفجر وهو نائم، فيقيم هذا الابن لصلاة الفجر، يجبره عليها، فالابن يقوم، هل هذا يعني أن الولد قد خلا من الأجر لإجبار أبيه له؟ الجواب: لا، هذا من التوفيق الإلهي أن يوفق الله عز وجل هذا العبد هذا الولد أن يوفق له وأن ييسر له أبًا يسوقه إلى الطاعة سوقًا، حتى لو ذهب وهو كاره فله الأجر.

ثانيًا: وقد يذهب إليها في الابتداء وهو كاره، ثم بعد ذلك يستمرئ حلاوتها وفضلها، فالله سبحانه وتعالى يقيمه، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: (**واضربوهم عليها أبناء عشر**)، في الابتداء أن يأمره وأن يرغبه، ثم في وقت من الأوقات إذا أرى فيه نكوثًا عن هذا الحكم أن يجبره حتى ولو ضربه، فإذا ضربه علم العبد قيمتها وأهميتها، والناس كما قال الإمام أحمد رحمه الله وقد سُئل عن طلب الحديث: أطلبته لله، قال: «هذا عزيز، إنما شيءٌ اشتهيناه»، وابن حزم للأسف هذه الكلمة لم تعجبه ونقضها وشدد النكير عليها على قاعدة الكلمة الجميلة التي قالها: «طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا له»، ابن حزم قال: لا، كيف يُبدأ بأن يكون لغير الله ثم يصبح لله، فالله لا يبارك إلا ما أُبتدئ به لله، ابن حزم في هذه أخطأ خطأً بينًا واضحًا يعرفه الناس من سلوك حياتهم.

فالكثير من الناس جاءوا لأسباب، قد يأتوا من أجل الأجرة وبعد ذلك يعرفون قيمة العمل، وقد يذهب الرجل إلى المسجد لسبب من الأسباب الدنيوية ثم بعد ذلك يجد حلقة العلم؛ فيجلس وتتفتح مسام قلبه إلى الطاعة والمحبة، هذا شيء معروف، ابن حزم محجوج في هذا بالواقع وشهادة الناس له وكلام أهل البصيرة والتجربة فيه.

ولو رجعنا إلى ابن حزم نفسه لعلمنا أنه إنما طلب العلم ليناظر، قصته معروفة كيف طلب العلم عندما استهزأ أهل المسجد والطلبة في عدم إتقانه لصلاة الجنازة، وقالوا له: ليس هذا من منتحلاتك؛ أي ليس من مسائل الشعر التي برز فيها واشتهر فيها في بلدته في زمانه الأول، فبعد ذلك طلب العلم؛ ليناظرهم، فبعد ذلك الله عز وجل يفتح على العبد، فهذا الاعتراض من ابن حزم غير موفق.

فالقصد: على الحاكم أن يوجب على الناس وأن يمكنهم من أداء الواجب، أن يوجبهم عليه وأن يمكنهم.

مثلاً: أن يفرض عليهم أن يلبسوا اللباس الشرعي؛ فحينئذٍ يمنع اللباس الأجنبي أو اللباس الذي فيه التشبه بالكفار، يمنع فهذه ألية لتطبيقها، ثم يوفر لهم الألبسة التي تحقق مقاصد الشرع، المساجد يجب على الإمام أن يبني المساجد وأن ييسرها، عليه أن يُعلم الأمة؛ فعليه أن يفتح المدارس وعليه أن يستقدم العلماء وهكذا، وهذا كله من التراتيب الشرعية التي ينبغي أن يفتحها.

أما الطريقة -يسأل عن الآلية-؟ هذه تحتاج إلى حكماء، دور العالم هو أن يقول: الحكم، ثم يأتي الحكماء فيفعلون هذا الحكم بحسب الواقع.

مثال ذلك: الشيخ لا يعرف كيفية افتتاح معسكر للتدريب، يأتي حكماء هذا الفن فيفعلونه على أرض الواقع؛ فيفتحون المعسكرات ويحضرون المدربين والخطط وما يعرفون، فالناس لهم تجارب في هذا تفوق تجارب أصحاب الفتية.

ومن الآليات مثلاً: أنه لا يجلب الناس جميعًا؛ لأن المعسكرات لا تتسع، والحال بإنفاق المال على الجماعات يحتاج إلى أموال، «الجيوش تمشي على بطونها» كما يقولون، تحتاج إلى طعام، تحتاج إلى شراب، تحتاج إلى نفقة، تحتاج إلى رعاية، رعاية للجرحى إذا وقعوا، فيأتي الحكماء يقولوا: الآن هذا المكان لا يتسع، أو يتسع هذا الحال لجمع أكثر من مئة أو مئتين أو ثلاث أو ثلاث آلاف أو ثلاثين ألف، فيقدرون هذا، فيقدمون ويؤخرون، هذا يقدمونه وهذا يؤخرونه بحسب جريان الحكمة.

بقيت قضية: هل يجوز للجماعات اليوم في هذا الظرف وهي لم تصل إلى درجة التمكين، هل يجوز لها أن تُفعل الإجبار على النفير العام؟ الذي أراه لا، في هذه الظروف التي لا يصل فيها القادة إلى درجة التمكين والسلطان الذي عليه سلطان الدولة، الجواب: لا، السبب: لأن هؤلاء إذا دخلوا مع الظروف التي نراها من الاضطراب وقدرة الخصم على الوصول إلينا وشرائهم والاتصال بهم وعدم قدرتنا على التمكين بالمال، الأوضاع لا تحتمل هذا الحال، لذلك لا يُنصح به، وربما تأتي بأناس يصبحون ثقلاً عليك لعدم قدرتك على تربيتهم التربية اللازمة، بل يُصبح هؤلاء حجر عثرة ويصبحوا ثقلاً عليك يمنعونك من الوصول إلى مقاصدك، أو إلى بعض مقاصدك، أو السير الى مقاصدك.

لذلك في الظروف الضعيفة وفي هذا الحال الذي عليه من الضعف وعدم التمكين، هذا حالٌ لا ينفع معه إلا أن ينفر الناس بإرادتهم، ويتحملون نتائج هذه النفرة وهذا العمل، يتحملون الجوع والسهر، يتحملون الفقر، يتحملون السجون إذا وقعوا، يتحملون الإصابة إذا وقعت عليهم، وهكذا، هؤلاء هم المادة الأولى، وبعد أن ينتشر الأمر ويصبح هناك ثمة سلطان للأمة؛ حينئذ يمكن للحاكم أو السلطان أن يوجب عليهم النفير العام، وعلى الأمة أن تنفر.

ولذلك من المسائل التي ذُكرت في كون أن يصبح الجهاد فرض عين؛ هو أن يستنفر الإمام الأمة، يستنفر أهل القرية، ما هو الاستنفار؟ هو تجنيد إجباري، طبعًا قديمًا ربما الناس للأدوات بسيطة الاستخدام؛ لا يحتاجوا إلى مزيدٍ من التدريب، لكن الآن الأدوات معقدة وصعبة؛ ولذلك لا بد من تدريبهم من أجل أن يصبح عندهم الصلاحية لمهمات النفير ما لو وقع.

القصد من هذا: أن الترتيبات الإدارية لتحقيق المقاصد الشرعية لما استقر من أنه حكمٌ شرعي هذا يترك لأصحاب الحكمة والنظر والبصيرة والله تعالى أعلم.

بارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٤١٧- حكم الفار من الزحف ميدانيًا

ضمن الجلسة الرابعة والثلاثون، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٧/٢٥هـ الموافق لـ: ٢٠١٨/٠٤/١١ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل ويقول: حكم معاقبة الفار من الزحف ميدانيًا؟

جواب الشيخ: أنتم تعلمون في التاريخ أنه في غزوة -أسف ليست غزوة بالمفهوم الإصلاحي وإنما هي غزوة بالمفهوم اللغوي- في معركة القادسية أنه وضعت النساء خلف الجيش، وحُمّلت النساء أعمدة من الخشب لمنع الفارين من الزحف؛ لأن المعركة كانت شديدة واحتمال هروب الناس ممكن، وخاصةً أن الجموع فيها؛ جموع قبائل، أي فيها من هو صلبٌ في دينه ومن هو مترددٌ في الشهادة، مترددٌ في الشجاعة، فمن التدابير التي استخدمها سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه أنه وضع خلف الجيش النساء ومعهن العُمد لرد من حاول الهرب.

فالفرار من الزحف كبيرة من الكبائر كما تعلمون، وأجازه الشارع في حالات لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ﴾ [الأنفال: ١٦]، أي يجوز له أن يدير ظهره في المعركة إذا كان في هذه الإدارة لظهره؛ حكمة لتحقيق النصر في القتال.

إذن هو كبيرة من الكبائر، وهذه الكبيرة جريمتها ليست متعلقة بذنبٍ خاصٍ في الفاعل، هناك ذنوب ما لها أثر على نفس الفاعل، أي لو رجل ترك صلاة الفجر في جماعة أو ترك صلاة الفجر؛ فهذا ذنبٌ يتعلق برقبة فاعله، لا يلتحق هذا الذنب ببقية الأمة، ولكن لو أن رجلاً سرق فهذه السرقة ذنبٌ في حق دين الله، وذنبٌ في حق نفسه، وذنبٌ في حق الناس المسروقين، وهكذا، فالذنب قد يكون قاصرًا على فاعله وقد يكون متعديًا إلى غيره، ولا شك أن الفرار من الزحف جريمة في حق الأمة، فالأمة كلها تتأذى من فرار من زحف، ومن هنا فيجوز للأمة أن تعاقبه، ما كان حق لله عز وجل يترك لله عز وجل إلا أن يأمرنا الله عز وجل بمعاقبته كتارك الصلاة يُقتل على الصحيح.

وفقط هنا للفائدة كنت أريد أن أرد على الإمام الجويني في كتابه «البرهان» وهو يناقش، الظاهر أن عصر

الجويني كان فيه شططٌ في موضوع ما يسمى بالحكم السياسي، وقد أشار إليه ابن القيم رحمه الله في كتابه «إعلام الموقعين» حيث ذكر بأن هناك من فرق بين الحكم السياسي والحكم الشرعي، كما فرق الصوفية بين الحكم التربوي والحكم الشرعي، أي أجازوا أعمالاً على جهة التربية؛ للوصول إلى مقاصدها وجعلوها من صلاحيات الشيخ، مع أن الشارع لم يأت بها، وجعلوها على معنى الحكم التربوي، والسياسيون جعلوا أحكامًا خاصة بهم على جهة الحكم السياسي.

وصورته مما كان يقع، مثلاً: لو أن رجلاً قذف رجلاً بأمه؛ فالحكم الشرعي هو كما تعلمون الجلد، أن يجلد ثمانين جلدة، فيقول الحاكم: هذا حكم الشرع والآن أحكمه سياسة أقتلوه، فيقتل سياسةً، وهذه الصورة انتشرت في كثير من البلاد، وانتشرت في وقت من الأوقات وعمت، صارت منتشرة، ولذلك تكلم عنها ابن عقيل وتكلم عنها بعد ذلك ابن القيم، وتستطيعون الرجوع إليه في «إعلام الموقعين»، وتكلم عنه كذلك في كتابه عن الأحكام «الطرق الحكمية».

فالظاهر في عصر الجويني الابن المقصود صاحب «الغياثي» رأيت له في عدة مواطن يتكلم عن قضية صلاحية الحاكم أو من صلاحيات الحاكم جواز قتل ثلث الأمة كما انتشر هذا عن مالك، ويشكك العلماء المالكية بهذه الرواية ويردونها، أنه هل يجوز أن يقتل الحاكم ثلث الأمة إصلاحاً لثلثيها؟ فالظاهر أن هذه الفتوى المنتشرة مع عدم دقتها وصوابها أو نسبتها للإمام، الظاهر أنها صارت حجة للحاكم بأن يقتل سياسةً، ولا شك أن الحاكم إذا أُعطي هذه الصلاحيات بهذا الاتساع سيصبح طاغوتًا، ويصبح من الطغاة، وخاصةً في أوقات يغيب فيها الدين، أي لو أعطي هذا الحكم لتقي؛ ربما الناس يقدرونه أنه يريد إصلاح الناس، مع أنه لا يصلح الناس إلا الشرع.

ونحن نعرف قصة عمر بن عبد العزيز رحمه الله، عندما أراد أحد الولاة بأن يزيد في الأحكام لانتشار الفساد، فقال عمر: لا أصلحهم الله إن لم يصلحهم الشرع، ونهاه عن هذا.

فالقصد: أن الذي يصلح الناس هو الشرع وليس المصالح الذاتية، وليس المقاصد الخاصة به.

ولا بأس أن أطلت في هذا لأهميته ولكني كنت أريد أن أرد على الإمام الجويني وهو يفصل مصائب هذا الحكم السياسي، ويرد على قضية الطغيان الذي حصل في إراقة الدماء، ورد ردودًا في مواطن متعددة منها في

«الغياثي» ومنها في كتابه «البرهان»، وأطال فيها في «البرهان»، وكان مما قال –وهذا من أخطائه عليه رحمة الله– كان مما قال: أنه تأمل الأحكام المتعلقة بالدماء في المذاهب؛ فوجد أن أسد المذاهب في هذا الباب هو مذهب الإمام الشافعي، إلا أنه استثنى وقال: لكنني لم أجد له دليلاً نصيًا في قضية قتل تارك الصلاة، مع أن المشهور في مذهب الشافعية أن تارك الصلاة ليس كافرًا، وهناك رواية أخرى عن الشافعي مشهورة في كتب الفقه، ذكرها ابن كثير وهو من الشافعية، ومذكورة في كتب الشافعية، بأن هناك رواية ثانية في مذهب الشافعية بردة تارك الصلاة، ولكن المفتى به في مذهب الشافعي والمشهور في مذهب الشافعي، بأنه يقتل سواء كان قتل ردةً أو قتل حدًا.

فالإمام الجويني قال: لم يجد لهذا دليلاً، وهذا من خطأه، فهذا بيّن في سورة «التوبة»، ففي سورة التوبة يبيّن ربنا سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥)﴾ [التوبة: ٥] فعلق الشارع رفع حكم القتل عنهم بالتوبة؛ أي إسلام المشركين في جزيرة العرب، وكذلك إقامتهم الصلاة؛ فدل على أن حكم تارك الصلاة؛ القتل.

قد يقول قائل وهنا الزكاة: كذلك الزكاة إذا تمالئ عليها بالإجماع يُقتل، واختلفوا في المقدور عليه إذا ترك الزكاة، وهناك حديث أخرج الزكاة بأنها تؤخذ منه ويؤخذ منه نصف ماله، وهذا الحديث لم يأخذ به من أصحاب المذاهب الأربعة إلا الإمام أحمد رحمه الله، أنها تؤخذ من تارك الزكاة المقدور عليه الذي لم يتمالأ ولم يتناصر مع آخرين على تركها، ومقاتلة الإمام في عدم أدائها، أنه تؤخذ منه الزكاة ويؤخذ منه عقوبة نصف ماله.

القصد: بأن الآية بيّنة، وهذا دليل من القرآن، بأن تارك الصلاة يقتل، سواء كان على قولي الشافعي، أن تركها ردة أو أن تركها ليس بردة، أي يُقتل ردةً أو يقتل حدًا، فهذا الذي أردت أن أنبه عليه وقد جاء ذكر تارك الصلاة بأنه يُقتل.

نرجع إلى سؤال الأخ في قضية الفرار من الزحف: إذن يجوز للإمام أن يعاقب وأن يمنع الناس بما يقوم مقام الحِسبة، ويقوم مقام القيّم على تنفيذ شرع الله، أي هل يجوز للإمام أن يعاقب على سفور المرأة؟ الجواب: نعم، وما عمل المحتسبين؟! المحتسب هو عمل من أعمال الإمام يوكل به من يقوم به من الرجال والنساء، النساء على

النساء والرجال على الرجال، فلا يسمح للمرأة أن تخرج وهي سافرة ويعاقبها؛ وحينئذٍ عقوبتها متروكة لما يسمى بالتعزير، والتعزير له ضوابطه لا ينبغي أن يفتح فتحًا كبيرًا كما يفعل بعض الأئمة وكما هو المشهور في مذهب مالك، مذهب مالك هو من أشد المذاهب فتحًا لباب التعزير، وهناك من يشدد في منعه تشديدًا كبيرًا جدًا.

الإمام ابن تيمية رحمه الله يميل إلى مذهب المالكية في قضية التعزير؛ لأن باب المآلات مُعتبر عند ابن تيمية رحمه الله اعتبارًا شديدًا.

القصد من هذا: أنه على الإمام أن يمنع المفاسد، فإذا كان للإمام أن يمنع المرأة أن تخرج وهي كاشفة لشعرها، فكيف نمنعه من أن يمنع من الفر من الزحف؟! إذن يجوز للإمام أن يعلن بأن الفرار من الزحف فوق أنه كبيرة من الكبائر الشرعية كما يقرر حكم الله عز وجل وبإجماع أهل الملة أن الفرار من الزحف بلا موجب، مثل: بأن يقابل الواحد عشرة، هذا لم يوجبه الشارع بأن يقاتل الرجل عشرة، والآن موضوع العدد ينبغي النظر إليه؛ لأن العدد الآن ليس هو القوة الحاسمة في المعركة أو المبيّنة لطبيعة المعركة، فالآن السلاح والعتاد هو المعتبر في توازن القوى بين الطرفين وليس العدد كما كان قديمًا.

فإذن على الحاكم بعد إعلان الشرع أنه حرام وأنه كبيرة من الكبائر؛ له أن يُعلن في ظروف معينة أن الذي يفر من الزحف يُقتل، إذا كان في فراره معنى الخيانة العظمى التي تؤدي إلى مقتلة المسلمين، كأن يخون ويهرب وهو مثلاً في مكان الرصد، يرصد الأعداء فيهرب، وهذا الهروب أدى إلى سقوط مدينة أو سقوط جماعة؛ فهذا حكمه القتل، يُقتل.

القصد من هذا: بأنه يجوز للإمام أن يعلن عقوبةً وأن يقدر وأن يترك تقديرها لحكيمٍ وقاضٍ عادل، لأن هذا الفرار قد يكون يسيرًا في جنبه إثم يعاقبه ربما بالعقوبة المالية، ربما بالجلد، ربما بالهجر أن يهجره، وربما بالحبس، وإن كنت لا أرى الحبس؛ لأن الحبس في الحقيقة ينبغي الإعراض عنه إلا لضرورة، وإذا وقع الحبس فيجب أن يقع على معنى صحيح يُمّكن فيه من أداء أموره الحياتية التي لا تؤدي إلى المفاسد، مثل إتيانه أهله؛ لأن هذا من المفاسد، لكن يحبس عن بعض الأمور وإن كان لا يصلح، ولكن من أجل أن يصل إلى مصلحةٍ ما أو غايةٍ ما.

فإذن يجوز للإمام أن يعلن عقوبة أنه إذا أنت هربت في هذه المعركة فحكمك القتل؛ لأنها معركة مصيرية،

وهروبك يؤدي إلى مفاسد عظيمة، مقتلة في المسلمين، أو أن يتكلف تكلفًا ما دون القتل كذلك، ولكن هذا لا ينبغي أن يكون فيه فتح باب من أجل -كما ذكر في التجنيد- ألا يكون التجنيد من أجل قتال الطوائف بعضها لبعض، ومن أجل تمكين السلطان، وكذلك أن يكون الفرار من الزحف من قتال غير شرعي، إنما نتحدث هنا عن القتال المجمع عليه والمتفق عليه وهو القتال الشرعي، هذا وبالله التوفيق.

بارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٤١٨- لو فقد المجاهد سلاحه الخاص في معركة هل يعوض؟

ضمن الجلسة الرابعة والثلاثون، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٧/٢٥هـ الموافق لـ: ٢٠١٨/٠٤/١١ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: لو فقد مجاهدٌ سلاحه الخاص في غزوة مع جماعةٍ مجاهدة فهل تلزم الجماعة بتعويضه عنه؟

جواب الشيخ: نعم، بل الواجب أن تعوضه؛ لأن المجاهد من غير سلاح لا قيمة له في هذا الزمان إذا كان في وسط المعركة، قد يكون في الخلف له أعمال جهادية أخرى، ولكن المقاتل من غير سلاح في هذا الزمان ما قيمته؟! فلذلك من الواجب حفاظًا على بقائه في صف ومقام الجهاد ووصف المجاهد؛ فيجب عليها شرعًا أن تعوضه وهي آثمة إن لم تفعل وكانت قادرة، شرطه القدرة، فإذا تنازع الناس في هذا الواجب؛ يقدم الأولى فالأولى، والله تعالى أعلم.

بارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٤١٩- حكم أخذ الجعل مقابل الخطابة

ضمن الجلسة الرابعة والثلاثون، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٧/٢٥هـ الموافق لـ: ٢٠١٨/٠٤/١١ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل عن خطيب في جامعٍ أهلي –بمعنى هو مسجد ليس تابعًا لوزارة الأوقاف، هكذا يسمى مسجد أهلي أي تقوم عليه جهة غير الحكومة كأن يكون أهل الحي وقد تكون شركة وهكذا– **ولكن هذا الخطيب مُعدم ويأخذ جُعلاً للخطابة، فإذا تأخروا اتصل بهم ليأخذ الجُعل، يقول الأخ السائل حفظه الله: هل سؤاله لهم يُنقص من إخلاصه؟ ويقول: بأنه إن لم يسألهم لحاجته وضعفه وفقره قد يسأل الناس.**

جواب الشيخ: بلا شك أن هذه مرتبة وهو أن يأخذ المال على الخطابة هي مرتبة أقل من أن يحتسب فلا يأخذ، وأنها ناقصة عن الاحتساب؟ الجواب: نعم، حتى لو كان محتاجًا؟ حتى لو كان محتاجًا، القوة والضعف وإن كان أصلها قدري لا إرادة للإنسان فيه، لكن هذا توزيع الشارع لرحمته كما الفقير والغني، الصراع بين الفقير والغني، الفقراء لما قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم في خاتمة الأمر وأرادوا أن يبلغوا من الأجر ما يبلغه الأغنياء قال: (**ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء**)، وهو أمرٌ قدري لا طاقة لهم به، وكذلك الغنى والفقر أمرٌ قدري قد لا يكون للمرء شأنٌ فيه، ولا قدرة له على الخروج من فقره، وقد يلد غنيًا ولم يكن له اختيارٌ في أن يكون غنيًا، لكن ولا شك الذي يحتسب خير من الذي لا يحتسب، حتى لو كان عدم احتسابه لفقرٍ وحاجة كما هي حالة الأخ السائل.

لكن هل هذا الأخ عندما يأخذ هذا المال هل يكون آثمًا؟ الجواب: لا، لا يكون أثمًا، هذه أمورٌ جرى الناس على أن التفرغ لها والقيام بشأنها من أجل التفرغ والذهاب لهذا المسجد دون بقية المساجد، القيام بهذه الخطبة عليه دون غيره؛ لأنهم اختاروا، فكل ذلك كتعليم الناس القرآن لا يأخذ على تعليمه للقرآن وإنما لتفرغه لهذا المكان، لا يأخذ أجرةً على الإمامة؛ لأن الصلاة عليه واجبة والإمامة فضلها عظيم وهي عملٌ من أعمال الدين التي ينبغي أن تكون خالصة لله، لكن يأخذ على تفرغه لهذا فهو مربوط بأن يصلي في هذا المسجد دون سواه، مربوط بأن يخطب في هذا المسجد دون سواه، وهكذا، فهذا جائزٌ له أن يفعل، والله عز وجل يرفع شأنه.

وقد يبلغ من الأجر ما لا يبلغه المحتسب في باب من أبواب الخير الأُخر، كأن يحسن خطبته، كأن يعلمهم الدين خير مما يعلمهم الذي يحتسب، فالناس يتنافسون لا تغلق الباب، لا تجعل باب الفضل فقط في كون الرجل يحتسب أو لا يحتسب، هناك أبواب قد يبلغها الذي لا يحتسب لحاجته كما يسأل الأخ السائل هناك أبواب من الأجر ما يبلغ بها فضلاً ما لا يبلغه المحتسب الذي لا يأخذ المال، لا تغلق الأبواب بحيث لا تأتي إلى العمل إلا من بابٍ واحدٍ؛ تظن أنه هو باب الفضل وباب الأجر، هذه الطريقة الناس دائمًا يأتون بالتصادم، الفقير قد يبلغ مبلغًا من الصبر والاحتساب وذكر الدار الآخرة ما لا يبلغه الفقير.

فالفقراء عندما نزعوا الأغنياء نازعوهم في باب، لكن لا يعني أنه قد أغلقت عليهم الأبواب التي بها يصلون إلى أجور أعظم، مثل أجر إن يصبروا صبرًا لا يبلغه شكر الغني، والصبر درجات والشكر درجات، فقد يبلغ بصبره مبلغًا عظيمًا يبز به درجة شكر الشاكر على ما أعطاه الله عز وجل من نِعم، وهكذا الخطيب يبلغ مبلغًا من الأجر في غير باب الاحتساب ما لم يبلغه الذي يحتسب ولا يأخذ المال.

لكن هل درجة الذي يأخذ المال في هذا الباب تنقص عن درجة المحتسب؟ وإن كان المحتسب غنيًا فبسبب غناه لا يأخذ المال فهل درجة الذي يأخذ المال أقل في هذا الباب؟ الجواب: نعم، هذا فضل الله يؤتيه من يشاء والله عز وجل له من الأقدار ما يرفع بها العباد، فالله عز وجل ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (٢٣)﴾ [الأنبياء: ٢٣]، والحمد لله رب العالمين.

٤٢٠- حكم إعطاء المجاهد الزكاة

ضمن الجلسة الرابعة والثلاثون، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٧/٢٥هـ الموافق لـ: ٢٠١٨/٠٤/١١ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: عن إعطاء المجاهد الزكاة وهو غني؟

جواب الشيخ: هذه مسألة مُختلفٌ فيها بين أهل العلم، الجمهور يرون أن الجهاد وصفٌ مستقل في كونه من مصارف الزكاة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦٠]، هذه مصارف الزكاة الثمانية، فريضة من الله؛ فالزكاة لا يجوز لأحد أن يتصرف فيها إلا في هذه المصارف الثمانية.

الآن وقع الخلاف؛ هل هذه الأصناف غير الفقير والمسكين أوصاف مستقلة أم أنها أوصاف لاحقة للفقير والمسكين؟ الأحناف يقولون: هذه أوصاف لاحقة للمسكين والفقير؛ بمعنى العامل عليها لا يجوز أن يأخذ منها إلا إذا كان فقيرًا أو مسكينًا، والمجاهد لا يجوز أن يأخذ منها إلا إذا كان فقيرًا أو مسكينًا، وابن السبيل لا يجوز أن يأخذ منها إلا من كان فقيرًا أو مسكينًا منقطعًا.

أما الجمهور لا، يقولون: أن الفقر وصفٌ مستقل، والمسكنة وصفٌ مستقل، والغارمين وصفٌ مستقل، وابن السبيل وصفٌ مستقل، وفي سبيل الله وصفٌ مستقل؛ ولذلك يجيزون إعطاء المجاهد الغني والعامل عليها الغني؛ لأن هذا الوصف خاص به ولا يُشترط أن يكون فقيرًا أو مسكينًا، ولا شك أن هذا القول هو قول جماهير أهل العلم والذي عليه السلف، وهو قولٌ صحيح، ولذلك هل يجوز أن يُعطى المجاهد الغني من الزكاة؟ الجواب: نعم، وهل يجوز أن يُعطى العامل على الزكاة وهو غني، من الزكاة؟ الجواب: نعم يجوز، مع العدل وعدم دخول الهوى، وعدم الظلم، وعدم وضع المصارف إلا فيما هو أعظم ليصيب مقصد الْمُزكي من الأجر، وهذا موضوعٌ آخر، أما هل يجوز أن يُعطى المجاهد الغني من الزكاة؟ الجواب: نعم.

ولكن هناك مسألة مذكورة في كتب أهل العلم وقليل من الناس يعرفها؛ لو أُعطي الرجل مالاً للجهاد؛ مجاهد خرج إلى الجهاد، جمع الناس له مالاً فأعطوه إياه من أجل أنه مجاهد، فانتهى جهاده، رجع ومعه المال،

هذا لا يجوز أن يستخدمه، بل عليه أن يعيده إلى من يحقق الوصف الذي جمع له المال، وعلى هذا كُتب الأئمة الأربعة مجمعة عليه، على هذه النقطة، أي لو أن رجلاً أعطي مالاً، وهذا معروف واحد يعطيه مال لطلب العلم، يقول له: اذهب وخذ هذا المال لطلب العلم، فذهب وطلب العلم، وثم أراد أن يرجع للتجارة وترك طلب العلم، فبقي معه من المال الذي أعطي له من أجل هذا المقصد؛ فعليه أن يعيده لمن تبرع به وتصدق به وهذا هو الأولى، فإن لم يقدر أعاده إلى من يحقق هذا الوصف من طلب العلم، كذلك المجاهد إذا أُعطي من أجل الجهاد، هذا مال اذهب وجاهد في سبيل، فذهب وجاهد ثم حدث شيءٌ ما أنه خرج من الجهاد ومعه بقيةٌ من هذا المال؛ فعليه أن يعيده إلى صاحبه أو يعيده لمن يحقق هذا الوصف من الجهاد في سبيل الله، هذا شيءٌ والمسألة الأولى شيءٌ آخر والحمد لله رب العالمين.

٤٢١- مراتب إنكار المنكر

ضمن الجلسة الرابعة والثلاثون، بتاريخ: (**٢٥/٠٧/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١١/٠٤/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل سؤالاً وهو يقول: أن مسألته عويصة.

وأنا أقول: في الحقيقة هي عويصة بسبب الجهل.

يقول: هذه المسألة وكفرت بسببها وتركت الصلاة وأصبح كفري واضحًا لعدة أمور؛ السبب أنني سمعت أنه يجب الإنكار على المستهزئ بالدين وعلى ساب الدين، وأنا حقيقةً لا أستطيع خصوصًا إذا كان الشخص الذي يفعل هذا الفعل أعرفه فأخجل ويأتيني شعورٌ مخيف كأنني أريد أدخل في مشكلة أو -كما يقول- «هوشة»، وكلمة «هوشة» كلمة عربية صحيحة، حتى إنني أصبحت لا أرفع رأسي من الأرض خوفًا بأن يكلمني شخص فيستهزئ فلا أستطيع الإنكار، وأصبحت لا أجالس أحدًا، ولا أخرج لرؤية أحد؛ لأن شخصيتي ضعيفة، ماذا أفعل؟

جواب الشيخ: أنت من الجهل أوتيت أيها الأخ، أسأل الله أن يذهب عنك وساوس الشيطان.

أولاً: المخرج قوله صلى الله عليه وسلم: (**مَن رَأَى مِنكُم مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بيَدِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسانِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وذلكَ أضْعَفُ الإيمانِ**)، وقال صلى الله عليه وسلم: (**ما مِن نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ في أُمَّةٍ قَبْلِي إلَّا كانَ له مِن أُمَّتِهِ حَوارِيُّونَ، وأَصْحابٌ يَأْخُذُونَ بسُنَّتِهِ ويَقْتَدُونَ بأَمْرِهِ، ثُمَّ إنَّها تَخْلُفُ مِن بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يقولونَ ما لا يَفْعَلُونَ، ويَفْعَلُونَ ما لا يُؤْمَرُونَ، فمَن جاهَدَهُمْ بيَدِهِ فَهو مُؤْمِنٌ، ومَن جاهَدَهُمْ بلِسانِهِ فَهو مُؤْمِنٌ، ومَن جاهَدَهُمْ بقَلْبِهِ فَهو مُؤْمِنٌ، وليسَ وراءَ ذلكَ مِنَ الإيمانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ**).

فالذي علمك بأنه يجب أن تُنكر بلفظك أو بيدك، أن تغير المنكر بيدك، عليه أن يعلمك مراتب الإنكار فيما تستطيع، أو ما يحتمله حالك، ولذلك أنت بمجرد إنكارك في قلبك لأمرٍ تراه؛ فهذا من الإيمان وهي مرتبةٌ تصلُح لحالك كما تقول عن نفسك، فأما إذا سمعت -وهذا من جهل المعلم، ولا شك أنه من جهلك أيضًا-

من جهل المعلم أو من نسيانه في أنه من قال لك: بأنك إذا سمعت من يسب الدين ولم تنكر عليه، أنك قد كفرت؛ فهذا من الجهل، وعليه أن يعلمك أنه باستطاعتك أن تنكر عليه باليد ليرتدع عن هذا إن قدرت، أو أن تنكر عليه بالسان إن قدرت، فإن لم تستطع فبقلبك، وذلك بهجره وتركه والابتعاد عنه، وبهجره في قلبك والإنكار عليه والتألم في قلبك.

فأما أن يؤدي بك هذا إلى الكفر!! -انظر إلى تلبس الشيطان وغرابته في حال أمثال هذا السائل- أنك أنت كرهت الكفر ولم تستطع إنكاره؛ فوقعت كما تقول في الكفر وهو ترك الصلاة، فترك الصلاة كفر، ورأيت نفسك كافرًا بغير مكفر وهو أنك لم تستطع أن تنكر على هذا العاصي الساب باليد أو باللسان؛ هذا جهل.

ولذلك المطلوب منك أيها الأخ الحبيب: أن ترجع عما أنت عليه، أن تعود إلى صلاتك، وأن تبتعد عن مواطن التي يكثر فيها السب، فهناك أسواق لا يحتاجها المرء إلا لمامًا فلا تذهب إليها، هناك مجالس يكون فيها الفساق والفجار والكفار يسبون الله فلا تذهب إليها، قال تعالى: ﴿إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠]، فحكم الذي يجالس الكفار ويستمرئ فعلهم دون أن يقوم بتركهم؛ فهو مثلهم، الذي يجلس أمام المسرحيات أو يجلس مع الجالسين من الكفار يسبوا الدين ويستهزئوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالدين ويجلس وهو يضحك ويستهزئ معهم وإن لم يقل بقولهم؛ فقد كفر وهو منهم.

القصد: أيها السائل المسكين المطلوب: هو أن تعلم بأن إنكارك في قلبك هو من الإنكار الذي يسقط عنك تبعة الأحكام الشرعية التي ذكرناها وهو أن تكون مثلهم، فأنكر بقلبك وابتعد عن هذه المواطن؛ والله عز وجل يحفظك، وإياك وترك الصلاة، إياك، فالشيطان لا يدخل فقط من باب الشهوة، يدخل من باب التعبد الجاهل، كما دخل الثلاثة على النبي صلى الله عليه وسلم يسألونه عن صلاته، يسألونه عن صيامه، يسألونه عن أهله، فأرادوا أن يزيدوا في العبادة، فقال صلى الله عليه وسلم: **(من رغب عن سنتي فليس مني)**.

فالشيطان يأتي من باب العبادة يقول: أنت تقصر، فبهذا التقصير إذن أنت لست بمسلم، فخلاص لست بمسلم فاترك الدين، واترك الإسلام، وهكذا، فمن باب التعبد يدخلك في الشرك والكفر والمعصية والبدعة، فهنا الشيطان من باب التعبد الزائد بأن عدم إنكارك هو قبول لهم وأنه معصية توقعك في الكفر، فلأكفار إذن!!

هذا من التعبد الجاهل، أكرر إياك ومتابعة الشيطان في هذا، وأنا أنصحك في كل واقعة أن تسأل طلبة العلم يمنعونك من الوقوع في متابعة الشيطان، هذا والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين.

٤٢٢- حكم سب الكفار بالألفاظ الوسخة

ضمن الجلسة الرابعة والثلاثون، بتاريخ: **(١٤٣٩/٠٧/٢٥هـ الموافق لـ: ٢٠١٨/٠٤/١١ م)**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: حكم سب الكفار بالألفاظ الوسخة -ويقول: الشوارعية- في العرض مثلاً، الحكم الأصلي بغض النظر عن الورع؟

جواب الشيخ: أول شيء تعلمون أن النبي صلى الله عليه وسلم ليس لعانًا، فلما قِيلَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رَسُولَ اللهِ، ادْعُ علَى الْمُشْرِكِينَ، قالَ صلى الله عليه وسلم: **(إنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا، وإنَّما بُعِثْتُ رَحْمَةً)**، ولما سُئل الإمام أحمد رحمه الله عن لعن يزيد فأجازه، فقال له ابنه: أراك لا تلعنه؟ قال: هل رأيت أباك لعانًا؟ فلذلك هناك أبواب لا ينبغي للمرءِ أن ينزل إلى درجتها، وإن كانت تجوز في جانب من جوانب الشرع بأنها من الحق الذي يطلق على الخصم، وسأبيّن هذا إن شاء الله.

والأخ يقول: دعك من الورع، لا، الحديث عن الورع مهم؛ لأن المرء إذا استمرأ شيئًا يُصبح هينًا على لسانه؛ فيؤدي به إلى الانزلاق للمخاطر، وهذا ليس فقط من الورع هذا **(كالراعي يرعى حول الحِمى يوشكُ أن يرتعَ فيه)**، يعني أنا أرى أناس يسبون مثلاً دين النصارى، السب على الدين، يستمرأ هذا اللفظ حتى في بعض المرات ينزلق إلى أن يسب دين رجلٍ مسلم، وبعد ذلك يبدأ بالبحث عن التأويلات والتمحلات من أجل أن يقول: إن ما قصدت خلقه وسلوكه ولم أقصد دينه الإسلامي؛ وحينئذٍ المرء يكون على شفا هلكة، ويكون معرضًا للخطر؛ ولذلك على المرء أن ينتبه ألا يكون على معنى أهل الباطل.

فإذا كان الشارع قد أمرنا أن نتجنب مقالة الكفار، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا﴾ [البقرة: ١٠٤]، وكلمة ﴿رَاعِنَا﴾ كلمةٌ شرعية، لكن لما كان اليهود يستخدمونها على معنى من الباطل؛ نهانا الشارع عنها، فكيف إذا كانت الكلمة في نفسها عند العرب كلمة لا تدل إلا على خسة النفس؟! لا تدل إلا على قلة الأخلاق؟! استخدام بعض الكلمات على معنى الدوام، يعني قد يخرج من الصالح والتقي والعابد بعض الكلام في وقتٍ من الأوقات لها ضرورتها، لكن لا يجوز أن تعمم.

ولما قال أبو بكر رضي الله: «امصص بظر اللات» البعض يستخدم هذا الحديث كأنه منهج في التعامل في كل كلمة وفي كل حديث عن أي رجل، هذا سب الصحابة في موقف في حضور وجمع وأتهم الصحابة بأنهم سيتخلون عن النبي صلى الله وسلم وو... ففيه موقف عظيم فأراد أن يحقره تحقيرًا يسقط قيمته وواجه بذاته ووجهه بنفسه ليسقط قيمته ويسقط قيمة كلماته، معذور رضي الله تعالى عنه، فهي حالةٌ فريدة ولا يجوز أن تعمم وأن تكون منهج حياة ومنهج لفظ يطلقه المرء في كل حال وعلى كل شخص وفي غيابه بما لا ينفع.

ولذلك تجد بعض الكُتاب إذا دخلت كتابه كأنك دخلت كما يقال عندنا «تنك نضح»، ولا أدري أهذا الاسم موجود في كل البلاد أم لا؟ التنك الكبير الذي تنقل فيه القاذورات من البيوت، تنضح منه الآبار التي تكون تجمعًا للقاذورات والعذرة والبول وغيره؛ فتكون رائحته خبيثة، فبالفعل بعض الكتب إذا قرأتها ونظرت فيها كأنك تدخل وتسد أنفك من كثرة ما فيها من ألفاظ، ثم إذا نوقش يقول لك: أنا إمام في هذا أبي بكر؛ كذبت، أنت افتريت ولا شك، هذه ليست منهج لأبي بكر في كل حال ولا في كل خصومة، ولم تقلها في موطنٍ يكون البيان فيها هو بيان قيمة الشرع مع الكفار! هو قالها لكافر وفي موطنٍ واحد وليس مع كل كافر، وأبي بكر رضي الله عنه هو الذي دافع عن أبي سفيان، على نهي النبي صلى الله عليه وسلم من إغضاب هؤلاء الفتية من الفقراء، (**لعلك أغضبتهم**)، ولكن دافع.

فإذن أولاً: على المرء ألا يستمرئ الباطل في لسانه، وعليه أن يتعود أن يقول الكلام الحق، وأن يقول الكلام الذي أمرنا به رب العالمين، قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٥٣]، تستطيع بكلام علمي أن تؤذي الآخر إيذاءً شديدًا وبالحق من غير استخدام هذه الألفاظ التي لها الروائح القبيحة، وإذا وقعت على الأذن مجها الناس وعلموا أن قائلها ليس سويًا، وليس من الأخلاق بمكان، وأن تربيته أنه يعيش في بيئة تتلقى هذه الكلمات، وإذا استمرأ لسانه هذه الكلمات أن يقولها في بيته، أن يقولها بين إخوانه الصالحين، فهذه قضية مهمة جدًا.

القضية الثانية: هل يجوز أن يقال عن الكافر ما ليس فيه؟ هل يجوز أن يسب عرضه وعندهم مسألة المثل العربي، عندهم مسألة العرض والشرف حتى وهو جاهلي ومشرك مسألة عظيمة، هل يجوز أن تتهمه في عرضه؟ الجواب: لا يجوز، وأن تتهمه بما ليس فيه من أخلاق؟ هذا من الكذب عليه، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا

تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ (١٠) هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ (١١) مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ (١٣)﴾ [القلم: ١٠-١٣]، إنما هو تعريض الشارع له بأن قوله من الزور كعلاقة الرجل بالمرأة في حالة الزنا، أن نسبته إلى الحق كنسبة الرجل إلى المرأة أنها زوجته وهي في الزنا، فليس له من الحق؛ لأن بعض أهل العلم فسر ﴿زَنِيمٍ (١٣)﴾ بأنه هو ابن الزنا، وهذا بعض تفسيرهم، والصواب في هذا أنه أراد أن يعير نسبتهم إلى الحق كهذا التعيير، ولذلك سماهم بحقائقهم، ولم يقل أحد من العرب من الذين وقفوا أمام القرآن على وجه المعارضة: بأن هذه الكلمة ليست فينا، وأن هذا الوصف ليس من أوصافنا.

فلذلك لا يجوز أن يسب الكافر بما ليس فيه، فإذا سُب بألفاظ الشوارع إنما هي في الحقيقة مذمةٌ لقائلها وليس لمن قيلت فيه، وهذا منتشر في الشباب ويجب أن يؤدبوا عليه، وفي الجلسات ينبغي ألا تقال، بأن تسب هذه الألفاظ التي سماها الأخ، وأنا في الحقيقة تأتي الكلمة وأعيدها لنفسي فيبدو فيّ التردد في أن أذكر أي كلمة يقولها، لأني أسمعها من البعض يطلقها على خصومنا، وخاصةً إذا تعلقت بألفاظ كقوله: ابن حرام، كقوله: ابن زنا، كقوله: عن أمه أنها عاهرة، كقوله عن أخته عن عرضه، هذا كلام لا يجوز أن يقال؛ لأنه في ذلك إسقاط لهيبة المتكلم وإسقاط لهيبة هذه الكلمات ومصداقيتها، ولأن في ذلك تعريض دين المرء للشر.

ولذلك الجواب: لا يجوز أن يسب بمثل هذه الكلمات لا يجوز؛ لأن مآلاتها تؤدي إلى الحرام، والشيء باعتبار نفسه، وهذا باعتبار نفسه أنها ظلم وكذب وافتراء وباعتبار مآلاتها وهي تؤدي إلى مفاسد بين الناس، فبدل أن تجلس عند شباب فتجدهم يتكلمون في الدين وفي العلم ويتذاكرون كتابًا قرأوه أو يتذاكروا ما كانوا عليه من أمر الجاهلية ليذكروا نعمة الله عليهم كما كان الصحابة رضي الله عنهم، يتذاكرون أمر الجاهلية ليضحكوا عما كانوا يفعلونه تذكرًا بنعمة الله عز وجل عليهم، فأن تدخل مجلس علم ومجلس فضل ومجلس ذكرى الدار الآخرة، فتدخل مجلس هؤلاء الذين يسبون فكأنك لا تجد لا فرق بين أن تدخل مجلس من مجالس الفسق والفجور ومجلس فيه لحى وتتذاكر ألفاظ الفسق والفجور، فالجواب: هذا لا يجوز، والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين.

٤٢٣- متى يعتد بعرف الناس في أحكام الكفر؟

ضمن الجلسة الرابعة والثلاثون، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٧/٢٥هـ الموافق لـ: ٢٠١٨/٠٤/١١ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: متى يُعتد بعرف الناس في أحكام الكفر؟

ويشرح الأخ هذا السؤال بقوله: مثلاً في بعض البلاد يقولون: إن لعن السماء كفر، وهذا في عرف أهل البلد يقولون على من يسب السماء: أنه كفر، ومن المعلوم أن هذا القول في الشرع ليس بكفر، فيحكم على من يلعن السماء بهذا البلد بالكفر -معنى كلامه لأن الأخ قد أطال- لأنه يعلم أن هذا القول كفر ولا يعلم غير هذا الحكم فيكون قد قصد الكفر، أو يسمى كفرٌ محتمل يجب أن يُسأل عنه صاحب هذا القول وعن حكم هذا القول.

جواب الشيخ: أولاً: في تفصيل قضية سب السماء أنه كفره أو لا؟ بلا شك أن الناس يعبرون عن سبهم لأقدار الله وأسمائه وصفاته وأفعاله بمعاني متعددة، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (**لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر**)، فهم سبوا أقدار الله عز وجل، والمقدر لهذه الأقدار بتسمية الظرف الذي وقع فيه، وهو الدهر، الزمن، فالزمن ظرفٌ تقع فيه الأفعال، وهذه الأفعال هي الأقدار، ما الذي يوقع هذه الأقدار؟ هو الله عز وجل، فهم أرادوا سب الْمُقدِر بسب القدر وبسب الظرف الذي يقع فيه هذا القدر.

إذن يمكن للناس أن يسبوا ربنا سبحانه وتعالى جل في علاه بتعبيراتٍ مختلفة بينهم، والناس يعرفون هذا، ومن ذلك قول الأخ، وهذا تنبيه على قول الأخ السائل أن سب السماء ليس بكفر، لا، قد يكون كفرًا، فالناس يسبون الذي في السماء وهم يعلمون أن الله عز وجل هو في السماء، والمقصود في السماء أي في العلو، وليس المقصود أن السماء التي هي السماوات؛ لأن السماء تطلق على السماوات وتطلق على العلو، بخلاف السماوات؛ السماوات لا تطلق إلا على المخلوقات السبع التي ذكرها الله سبحانه وتعالى: ﴿سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾، ولكن السماء تأتي بمعنى العلو، فالله عز وجل في السماء، وهم يسبون الله الذي في السماء، نحن نقول: إلهنا الذي في السماء، ربنا الذي في السماء، أين الله؟ في السماء كما قالت الجارية.

فالناس إذا عُلم من أقوالهم؛ أنهم يسبون السماء، أي يسبون الله سبحانه وتعالى على معنى من المعاني، كشخص -نسأل الله العفو والعافية- يقول: هكذا للذي في السماء، هو ما الذي يقصده؟ أن يسب الله عز وجل؛ فلذلك حينئذٍ يكون كفرًا، وهذا المعنى قد يتخلف؛ قد يتخلف، لكن تخلفه ضعيف.

ومن هنا نقول كما ذكر السائل: ينبغي النظر إلى الاحتمالات وإن كان هذا الاحتمال ضعيف، الأغلب أن الذين يسبون الذي في السماء يقصدون به رب العباد، يقصدون به ربنا سبحانه وتعالى؛ فحينئذٍ قولهم كفر، فقول الأخ: أن سب السماء ليس بكفر هذا ليس على إطلاقهم.

والآن نأتي إلى مسألةٍ أخرى: وهي أن الناس مثلاً: يظنون أن هذا الفعل كفر -نضرب بعض الأمثلة غير ما ذكرها الأخ- يظنون أن هذا من الأفعال الْمُكفرة مثال ذلك: الناس في بعض البلاد وفي بعض القرى يظنون أن بعض المعاصي كفر، ردة خروج من الدين، ومن ذلك اللواط مثلاً، يقولون: أن الرجل الذي يلوط هذا كافر، وإن كان خف هذا في زماننا لكن في وقت من الأوقات، اليوم الكفر لا يعدونه كفرًا! والمشايخ يبررون له أنه ليس بمكفر! فكيف بغير المكفرات؟! لكن أتكلم عن ظروف معينة فالناس في القرى قديمًا كانوا يقولون: أن المرابي كافر، بل يقولون: عمن لم يبر والديه أنه كافر، فهل يكفر بهذه إذا أتاها؟ الجواب: لا، لا يكفر، ولا ينبغي أن نعامل الناس إلا باعتقادنا نحن، لا باعتقادهم.

ومن هنا يأتي السؤال لو أن رجلاً ترك الصلاة وهو يعتقد أنها غير مكفرة، فهل هو كافرٌ عندنا؟ الجواب: نعم، نعامله بحكم الشرع، لا بحكم نفسه على نفسه.

مسألة أخرى لو أنه فعلها ليكفر بالله مع أنها غير مكفرة؟ الجواب: كفر؛ لأن قصده الكفر، لا لأن الفعل مكفر، فمن قصد الكفر؛ كفر، لو أنه قيل له: أنت لا تكفر إلا بأن تحمل هذا الكأس من هنا إلى هنا، فحمله ليكفر؛ كفر، مع أن هذا الفعل مباح، لماذا؟ لأنه قصد الكفر، فعلينا أن نميز بين هذه الأمور:

- رجلٌ فعل فعلاً مفكرًا وهو يظن أنه لا يكفر؛ يكفر.
- رجلٌ فعل فعلاً على أنه معصية ولم يرد به الكفر والناس يقولون: أنه كفر، ولكن لم يفعله إلا على جهة الشهوة والهوى ولم يقصد به الكفر، وإن قال عنه الناس أنه قد كفر؛ لا يكفر.

- ولكن رجلٌ فعل أي فعل من الأفعال مباح أو حرام وأراد به الكفر؛ كفر لقصده، هذا هو التفصيل والله تعالى أعلى وأعلم والحمد لله رب العالمين.

٤٢٤- واقع التعدد وحلم الكثيرين

ضمن الجلسة الرابعة والثلاثون، بتاريخ: (**٢٥/٠٧/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ١١/٠٤/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

هنا سؤال طويل في الحقيقة سأقرأه كما هو ثم أجيب عليه.

يقول الأخ: رجلٌ متزوج وداعي إلى الله وطالب علم، يخاف على نفسه من الفتنة ويرتكب معاصي من قبل شهوته كالنظر المحرم ومشاهدة الأفلام الإباحية وسماع الأغاني وضعف في العبادات، حتى أنه ترك السنن والنوافل والصلاة في الجماعة وقراءة القرآن والأذكار، ويخاف من عقوبة الله خاصةً أنه قدوة للناس والناس يرونه رجلاً صالحًا طيبًا داعيًا إلى الله، فهذا الرجل يخاف على نفسه وتاب مرات ثم رجع إلى المعاصي وهذا دأبه لسنين، وبعد طول النظر رأى أن من طرق العلاج هو أن يتزوج الثانية وأن يعدد، خاصةً أن من عوامل ركوبه المعاصي أنه لا يرغب في زوجته رغبةً كاملة... إلخ، وإن كان لا يكرهها، ويرى في زواجه بالثانية حلاً للمشكلة لمعرفته بنفسه.

لكن المشكلة أن زوجته غير راضية وأبوه وأمه وأهل زوجته غير راضين من هذا الزواج، أبوه هدده بالمقاطعة، بل قاطعه فعلاً بضعة أيام بعد قرار الرجل إقدامه على هذا الأمر ونصحه إخوانه وأصدقائه بعدم فعل هذا الأمر لما يرونه من مخالفة الأهل والوالدين، لكن لا يعرفون من حال الرجل شيئًا وما أصابه من معاصي ومن الفتنة، فهل يأثم هذا الرجل بالزواج الثاني رغم المخالفة لزوجته ووالديه؟ هل يأثم إذا قاطعه أبوه وسخطه عليه؟ فهذا الأخ تحير من أمره يخاف من جهة من ذنوبه التي لا يستطيع مقاومتها مع محاولته وضعفه الشديد في العبادات، ويرى الحل في هذا العلاج، ومن جهة أخرى يخاف من عقوق الوالدين ومن هجرهم إياه ومقاطعتهم له فماذا يفعل؟

جواب الشيخ: هذا السؤال مركب من قضيتين:

القضية الأولى: من معالجة حاله.

القضية الثانية: ما هي الطريقة الشرعية في هذه الحالة؟ من قلة الدين إذا المرء تعلقت شهوته بالنساء.

أولاً: على المرء ألا ييأس من رحمة الله، ابتداءً ألا ييأس من رحمة الله، وعليه أن يبقى على دوام التوبة والإنابة، حتى لو وقعت منه المعصية، معصية النظر أو معصية.. وقد ذكر النظر إلى الأفلام الإباحية والنظر إلى النساء، وترك النوافل والأعمال الصالحة من قراءة القرآن والذكر وقيام الليل والمستحبات وصلاة الجماعة؛ فعليه أن يداوم التوبة، عليه أن ييأس الشيطان منه وإن كان الشيطان نعوذ بالله منه لا ييأس الذي ييأس هو الإنسان الضعيف، وعليك أن تعلم أنه ما دام الشيطان يؤزك إلى المعاصي فهو يريد منك ألا تتوب ويريد منك أن تيأس من رحمة الله، ﴿إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ (٨٧)﴾ [يوسف: ٨٧]، إياك أن تيأس، باب الكفر والشرك والخروج من الدين واستمراء المعاصي والذهاب من المعصية الصغيرة إلى الكبيرة هو اليأس من رحمة الله، إياك، وما دمت تتوب فالله يغفر لك.

وأنا لا أريد أن أهون عليك هذه المعاصي، لكن أغلب ما ذكرت هو من الصغائر، سواء كان النظر الى الصور الإباحية، أو النظر إلى النساء، فهذه كلها من الصغائر، ليس تهوينًا لها؛ لأنها إذا اجتمعت كونت نهرًا عظيمًا فأغرقتك، وقد يستمرئ المرء الصغائر حتى توقعه في الكبائر؛ والكبائر هي بريد الشرك والكفر، أنا أُنبهك لخطورتها، ولكن كذلك من جانبٍ آخر عليّ أن لا أعظم الأمر حتى يبدو لك أنك قد فقدت رحمة الله ولا تستحق رحمة الله، لا، ينبغي أن يكون هناك ثمة توازن، فأنا أدعوك إلى تركها وأنبهك إلى وجوب الابتعاد عن أسبابها، وأنت كما يسأل السائل عنك إذا كنت تسمع الكلام مباشرة فأنت كما يظهر أنك طالب العلم؛ بمعنى أنك تعرف الأسباب المؤدية للمعاصي، والأسباب المؤدية إلى هذه الفتن.

مثلاً: عليك ألا تختلي بنفسك كثيرًا، عليك أن تكثر من الجلوس مع الصالحين، عليك أن تشغل نفسك بالقراءة، وإذا كان لك تعلق بهذه الأجهزة افتحها على ما يشغلك حتى ولو كان فيه متع جائزة وليس متع محرمة كالنظر إلى الأفلام الإباحية التي تقولها.

القصد: باعتبارك رجلاً عاقلاً يمكن أن تصرف الكثير من أوقاتك التي تشغلك عن هذه المعاصي، واحذر منها حذرًا شديدًا، ومع ذلك فاعلم أنها من الصغائر التي تكفرها الصلاة، أي عندما تقوم أنت تتوضأ وتصلي؛ الله يغفر لك كل هذه الذنوب، فإياك أن تيأس، لكن عليك أن تنتبه إلى أن الابتعاد عنها هو حفاظ على دينك من أن تصل إلى الوقوع في الكبائر؛ لأن النظر قد يؤدي إلى اللمس واللمس يؤدي إلى الزنا وهذه جريمة كبرى

تعرف عقوبتها في شرع الله عز وجل، فإذن أنا لا أُيأسك، ولكن عليك أن تنتبه إلى خطورتها.

فإذن المطلوب: هو بقاء التوبة، أن تبقى كل ما وقعت في هذا أن تتوب، وألا تكَل عن هذا وإياك أن تيأس من رحمة الله عز وجل، هذا الأمر الأول، وأسأل الله عز وجل أن يعينك على ما أنت فيه وخاصةً إذا كنت شابًا قويًا في جسمك فالناس في هذه الظروف للأسف التي يفتح فيها أبواب المعاصي مع كثرة الأدوات التي بين الناس وسهولة الوصول إلى المعصية على ما ذكرت من أنواعها، فهذا شيءٌ يؤسف، وكان الله في عون الشباب، ولذلك (**عَجِب ربنا لشابٍ ليس له صبوة**).

من المعالجات هو ما عالج النبي صلى الله عليه وسلم، في الحديث: (**من رأى مثل ما رأيت فليأتي أهله وليقضي رغبه فإن معها الذي معها**)، ومن طرق المعالجة هو أن يبحث المرء عن طُرق الحلال من أجل إفراغ شهوته، وهذا الذي أنت بحثت عنه، وتقول: بأن زوجتك الأولى لا تكفيك في هذه الأبواب.

وأريد أن أنبهك إلى قضية وهذه من باب النصح والدين، وهذه قضية مقررة وليست تجربة ذاتية ولا أنها تصلح لأناسٍ دون أناس؛ اعلم أن النساء واحد، هن في الفراش واحد، هذه القضية الكثير من الناس يضحك الشيطان عليهم فيظن أن النساء يختلفن، نعم ربما الرجل لا تكفيه الزوجة الواحدة ويريد أن يحصن نفسه بزوجتين وثلاثة وأربعة، وهذا لا بأس به، ولكن لو تزوجت مئة امرأة في النهاية الفراش هو الفراش، والمرأة هي المرأة، فلذلك إذا قضيت شهوتك مع زوجتك فقد أفرغت الكثير من الطاقة والرغبة، وحتى لو كانت مع هذه الزوجة التي ذكرتها من لا تعجبك إعجابًا تامًا، النساء هن النساء.

وهذه نصيحة لك ونصيحة لكل شاب ونصيحة لكل أحد، المرأة جميلة ما دامت بعيدة، فإذا ملكها المرء قل جمالها، وليس هذا في المرأة فقط، هذا في كل مُقتنى، كل قُنية، الشيء في يد الآخر جميل فإذا اقتنيته؛ خف جماله، فقد كثيرًا من أهميته، الأشياء مهمة في بُعدها، والنفس مشغولة بتحصيلها وهي بعيدة فإذا ملكها؛ خف انشغال النفس بها، ولذلك كان يقول الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله في قضية قيس مجنون ليلى، يقول: لو تزوجها لذهب عشقه، ولذلك يقولون: من نكح خف عشقه، ولهم كلمات في هذا، وهذا صحيح، ولكن المرء يحتاج إلى العقل وإلى التمعن بأنه بعد الزواج عليه أن يعقل بأن يفهم أن هذه التي كان قد تعلق بهذا التعلق عندما أنهى حاجته خف التعلق بها، إذن هذا حالٌ مطّرد مع كل امرأةٍ يشتهيها.

وللأسف أيها الإخوة الأحبة: الناس يعيشون الأحلام والصور الجميلة في الذهن ولا يعرفون الواقع، هناك فرق بين الواقع وبين الحلم، هناك فرق بين الواقع وبين الفيلم السينمائي، الفيلم السينمائي يمتعك بالنظر، لكن لا يقول لك: كيفية التكاليف، فالذين مثلاً يعيشون يتأملون كيفية العلاقة بين الرجل وزوجته يتأمل هكذا يعيش حالة حلم في معاشرة امرأة، هو يعيش الحلم، فإذا جاء إلى الواقع؛ كان للواقع حساباته وإرهاقاته وثمنه، ليس منبتًا عما قبله، وليس منفصلاً عما بعده من الإرهاق، لكن حلم لا يعيش إلا الجمال فقط، فعلى العاقل أن يميز بين الأمرين بينما هو واقع وبين ما هو حلم، لا يمكن أن يأتي الحلم إلا في الجنة، في الدنيا الواقع له ثمنه، له رهقه، له قيمته، الأحداث الجميلة؛ فعندما تأكل أنت طعامًا ينبغي أن تتأمل ما قبله، أنت تذهب إلى السوق تشتري الطعام، المرأة في البيت تقف على رجليها ساعتين وثلاثة لتطبخ لك هذا الطعام، هذه المضغة التي تأكلها متمتعًا بها لها ثمنها في الابتداء، وبعد ذلك بعد أن تأكل تصاب بالتخمة، وتصاب بالتعب ويذهب الدم من الدماغ إلى بطنك؛ فتصاب بالكسل ورغبة النوم، لكن هذا في الحلم لا وجود له، لا وجود في الابتداء ولا في العواقب، وتبقى صورة الأكل الجميلة، وهكذا في قضية المعاشرة.

فالمعاشرة لها ثمنها في الابتداء، لها قيمتها، ولها ثمنها، وبعد ذلك الرهق والتعب، ولكن في الحلم لا يوجد هذا، لا يوجد إلا المتعة، من هنا يجب عليك أن تفرق ما بين أن تعيش في حلم وبين أن تعيش في واقع، يجب على العاقل أن يميز بينهما، ومن لم يميز بينهما ستبقى عينه فارغة لا يملؤها إلا أن يموت، ولذلك فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**فإن معها الذي معها**)، وهذا حديث في الصحيح، المرأة هي المرأة، واحدة، والحالة واحدة، نعم هناك بعض الرتوش والزوائد، لكنها تبقى المرأة هي المرأة، فعليك إن تفهم هذا، هذه معالجة لكل أخ ومعالجة لكل شاب؛ أن يميز بين الواقع وبين الحلم.

والكثير من الشباب يتعلق قلبه بامرأةٍ يُحادثها في الواتس أب، هي تختار بيتًا من الشعر –وأنا ذكرت هذا من قبل– تذهب إلى جوجل فتحضر له بيتًا من شعر العشاق، فيظنها أديبة، فإذا جاءت عنده لا تستطيع أن تتكلم كلمة، هو يعيش حلم أنه مع هذه المرأة سيعيش سعادة الأدباء والعشاق والشعراء والبلغاء، لكن لما يأتي سيحتاجها أن تقوم فتطبخ له، سيرجع إلى البيت فيسجد المسكينة وقد حملت فهي تعبانة، قد وضعت فهي تعبانة، قد أرضعت فهي تعبانة، اشتغلت في المطبخ فهي تعبانة، هذه هي الزوجة، الزوجة ليست لحظة متعة تذهب إليها ربع ساعة كما تذهب إلى الحلم؛ فتخرج منه وقد عشت جماله بلا مقدمات وبلا عواقب، عليك

أن تفهم هذا جيداً أخي.

وأنا فقط أُنبه ولا أدري للناس ظروف وأحوال، ولكن أنا الذي رأيته أن عامة مصائب الناس تعود إلى تعلقهم بما لا يملكون، فإذا ملكوا؛ ذهب هذا التعلق، وهذه حالةٌ مطّردة في البشر، حتى في الأشياء، والله لو رأيت هذه النظارة في يد أحد لرأيتها جميلة، حتى إذا ملكتها لم أراها شيئًا، هذه حقيقة في الأشياء وفي النساء وفي كل شيء، ولذلك عليك أن تعرف قيمة الواقع.

ثانيًا: عليك أن تعرف بأن المرأة ليست حالة جنسية فقط، ليست حالة متعة فقط، الحياة الزوجية تكاليف، ستحتاج منك المال والإنفاق وإحضار الطعام وإذهابها للمستشفى وإذهابها للطبيب، هذه حياة، الزوجة ليست مع الاعتذار ليست بيت خلاء تقضي حاجتك وتخرج! ليست كذلك! والتي توهمك بأنها حالة جميلة سامية كبيت الشعر والحلم الذهني، هذه تنتهي في أول لحظة، في أول ليلة، ثم تعود الحياة إلى سياقها الحقيقي؛ وهو أن الله خلق الإنسان في كبد، في مشقة هذه نقطة.

نأتي الآن إلى الشق الثاني من السؤال: الجواب: لا يجوز للابن أن يطيع أباه في هذا الباب، غضب الوالد أم لم يغضب، فغضب الوالد في هذا الباب ليس مبررًا، وإذا قال العبد عن المسلم الآخر: أنت كافر؛ فقد باء بها أحدهما، كذلك الدعاء، قد يدعو...، قال تعالى: ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ﴾ [الأنفال: ١٩]، فكان دعاؤهم لله سببًا في إهلاكهم، أنهم دعوا على من لا يستحق؛ فعاد الدعاء على الداعي وليس على المدعو عليه، وهكذا هي سنة الله عز وجل في العدل وحكمة القضاء في هذا الوجود.

فلذلك الجواب: إذا قررت الزواج؛ لا تلتفت لا لزوجتك ولا لأبيك، ولكن انتبه أنك تريد زواجًا وليس رحلة لمدة أسبوع وتنتهي؛ لأني أنبه أنني رأيت عامة المتزوجين من الثانية يريدونها رحلة تجربة، وما أسهل أن ينتقض الزواج الثاني مع بقاء الأول، كان الأول هو الحقيقة والثاني هو العارض، فإذا كنت من هؤلاء وأردت أن تتزوج لمجرد المتعة وبعد انتهاء المتعة يعود كل واحدٍ إلى بيته وينتهي بالطلاق، فأنا أنصحك ابقى مكانك واصبر على ما أنت فيه حتى يأتيك الموت، وأما إذا أردت الزواج على معنى الزواج هذه زوجة وهي بقيمة الأولى وبثبات الأولى وفي دينها وخلقها، وأنها ليست رحلة متعة تنتهي ثم ينقلب كل واحدٍ إلى مكان آخر فيتم الانفصال؛ فأنا أنصحك ألا تفعل، لكن إذا قررت الزواج لا تلتفت لا لأبيك ولا لزوجتك ولا لأمك ولا لأي أحد، اذهب

وتزوج وليحصل لك الإحصان الذي تحبه.

والإمام أحمد رحمه الله سُئل عن والد يطلب من ابنه أن يطلق امرأته، فقال: «لا يطعه»، فذكر له حديث أبي بكر رضي الله عنه أنه طلب هذا من ابنه، قال: «إذ كان أبوك مثل أبي بكر ففعل»، فعادة الناس لا يطلبون من أبنائهم أن يطلقوا زوجاتهم أو أن يمتنعوا من الزواج لسببٍ ديني، إنما هو كما ذكر الأخ البيئة والأحوال والناس لا يحبون والعائلة ليس فيها مثل هذه السنة، كل هذه أسباب غير حقيقية.

والسبب الحقيقي الذي يجعلك تتزاوج هو: أن يكون عندك المقدرة المادية، أن يكون عندك الصبر، اليوم الزواج من الثانية ليس كقديم، اليوم يحتاج إلى أمور نفسية ومادية أكثر من القدماء، الزواج المتعدد كان منتشر، اليوم غير منتشر، النساء لا يعرفن التعدد لا في آبائهن، وفي كثير من البلاد لا يعرفون التعدد إلا قليلاً، ولذلك تنشأ المشاكل، فليكن صدرك واسعًا، عندك القدرة على الصبر إذا رجعت إلى الزوجة تحملت جفائها أنك غبت عنها وكنت عند الأولى في زيارة لها؟ وهكذا، عندك هذا الصبر؟ أما إذا كنت عصبي مثل حكايتي فالأفضل لك ألا تتزوج؛ لأنك إذا كنت رجل لا تحتمل أن تُراجع، وأنك إذا روجعت غضبت، وفي كل يوم قطعًا النساء يراجعن، ولهن مطالب، فأفضل لك على واحدة تسلم لك وتصبر عليها، والله عز وجل يعيننا ويعينك.

فلذلك لا تطع والدك إذا اكتملت فيك شروط التعدد؛ التي هي شروط عقلية وشروط شرعية، منها الباءة أن يكون عندك القدرة، وأن يكون عندك القدرة على العدل، وألا يكون عندك البغض الذي يؤدي إلى الظلم، وهكذا والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين.

٤٢٥- حكم دعاء الوسيلة

ضمن الجلسة الرابعة والثلاثون، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٧/٢٥هـ الموافق لـ: ٢٠١٨/٠٤/١١ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل يقول: ما حكم الإمام الذي يقرأ دعاء الوسيلة بعد إقامة الصلاة؟ نريد منكم التفصيل.

جواب الشيخ: المقصود من سؤال الأخ وهو الدعاء ما بعد الآذان لقوله صلى الله عليه وسلم: (**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثلما يقول، ثم صلوا عليَّ، فإنه مَن صلَّى عليَّ صلاةً صلى الله عليه بها عشرًا، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبدٍ من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمَن سأل لي الوسيلة حلَّت له الشَّفاعة**)، وقال صلى الله عليه وسلم: (**مَن قالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هذِه الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، والصَّلَاةِ القَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ والفَضِيلَةَ، وابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الذي وعَدْتَهُ، حَلَّتْ له شَفَاعَتي يَومَ القِيَامَةِ**)، هذا مُتفق عليه أنه بعد الآذان، على خلافٍ بين وجوبه واستحبابه، والجمهور على الاستحباب.

ويرى الإمام الشافعي رحمه الله أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الآذان والترديد وراء المؤذن كما يقول؛ أنه من الواجبات، وعاب الإمام الطبري رحمه الله على الإمام الشافعي هذا، وظن أنه قد اختص به وخالف الإجماع، وقد أخطأ ابن جرير الطبري عليه رحمة الله في هذه الدعوة، بل قالها وسبق الإمام الشافعي الكثير من العلماء في هذا، والشافعية ردوا عليه في كتبهم.

فهل نردد ما يقوله كذلك المؤذن إذا أقام الصلاة؟ وهل ندعو بالدعاء ونصلي على النبي صلى وندعو اللهم آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ والفَضِيلَةَ، وابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الذي وعَدْتَهُ، هل ندعو كذلك بعد الإقامة؟ زعم الشيخ ناصر الألباني فيما أعلم بأن هذا يخالف الإجماع وأن الإجماع مُنعقدٌ على أنها ليست كذلك، على أن هذا خاص بالآذان وليس بالإقامة، ورد عليه بعض طلبة العلم في رسالة وبيّنوا أن السلف كانوا يقولون بهذا، وقد بيّن أن هذا عام في الآذان والإقامة؛ لأن معنى المؤذن هو يصح لحمل الإقامة على الآذان أو حمل الأذان على الإقامة لقوله صلى الله عليه وسلم: (**بين كل آذانين**)، اي الآذان والإقامة؛ فبعض أهل العلم حمل ما أمر به النبي صلى

الله عليه وسلم في الآذان على الإقامة لهذا المعنى (**بين كل آذانين**)، فسمى الإقامة آذانًا؛ لقربها ولنفس المعنى فيها.

ولذلك الصواب في هذا: يجوز أن يردد المرء الدعاء الذي يردده إذا وجد الوقت وسمح الإمام بذلك، ولم يقم الصلاة مباشرةً؛ لأن بعض الأئمة كما هو مذهب الأحناف وبعضهم يتقيد بهذا، الأحناف يقولون: بأنه إذا تم الفصل ما بين الإقامة وبين تكبيرة الإحرام فيجب إعادة الآذان وهذا قولٌ ضعيف؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم ثبت أنه أراد أن يصلي بهم فلم يكبر وخرج ما خرج ولحيته تقطر ماءً صلى الله عليه وسلم، ولم يذكروا قيامًا آخر، لم تُقم الصلاة مرةً أخرى؛ فدل على وجود الفاصل، الأحناف يقولون: بأنه إذا وقع الفصل بين الإقامة وبين تكبيرة الإحرام، طال، فبذلك عليه أن يقيم الصلاة مرةً أخرى، وبالتالي؛ بعض الأئمة ما أن ينتهي المؤذن من إقامة الصلاة حتى يكبر، بل هم يقومون ويصفون الصلاة قبل الإقامة كما في المساجد الكبيرة في البلاد التي ينتشر فيها الأحناف، يقومون فيصفون ويرتبون الصفوف ثم يقيم المؤذن الصلاة ويكبر الإمام فورا؛ فحينئذٍ لا يوجد هناك وقت لأن يردد المصلي وراء المقيم، ولا أن يدعو بالدعاء الذي سماه الأخ دعاء الوسيلة، الدعاء للنبي صلى الله عليه وسلم، للحديث في فضله (**فقد حلت له شفاعتي**).

فلذلك الصواب فيها: أن الإقامة على معنى الآذان، لا فرق، وهذا قول كثير من أهل العلم، وأما دعوى أن هذا يخالف الإجماع فهي منقوضة، وكم ادعى الناس الإجماع وليسوا كذلك، وهذه يقال فيها من ادعى الإجماع فقد كذب على ما كان يستخدمه الشيخ ناصر رحمه الله، ضد قضايا كثيرة يُتهم فيها بأنه قد خالف الإجماع، والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين.

٤٢٦- هل العقود تورث؟

ضمن الجلسة الرابعة والثلاثون، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٧/٢٥هـ الموافق لـ: ٢٠١٨/٠٤/١١ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل يقول: عندنا في الجزائر النظام يمنح بعض الأشخاص الاستفادة من أراضي فلاحية بالكراء؛ أي تأجيرًا، وليس تمليكًا، لكن عند وفاة الشخص ينتقل عقد الكراء إلى زوجته، فهل المال المستفاد من العمل في هذه الأرض يكون من حق ورثة الشخص الذي كان عقد الامتياز باسمه؟ أم أن المال من نصيب من انتقل إليه عقد الامتياز كالزوجة مثلاً؟

جواب الشيخ: نفرق بين أمرين، أما المنفعة التي تمت في زمن الأب أو الرجل أو الزوج فهذا بلا شك أنه من الإرث الذي يوزع على الورثة، الزوجة لها الثمن إن كان له أولاد وارثون، أو لها الربع إن لم يكن له أولاد وارثون، وهكذا.

فالآن الدولة تضع عقدًا بينك وبينها، فإذا مت أنت، فالعقد ينتهي إلى الزوجة؛ فحينئذٍ يصبح هذا العقد للزوجة؛ لأن هذا عقدٌ متفق عليه، وخاصةً أنه كراء، يقول: أنا أكريك هذا وثم إذا مت فالكراء ينتقل إلى الزوجة؛ فحينئذٍ هذا المال الذي انتقل بعد وفاته يكون من حق الزوجة، وله أحكامه بأن يكون من حق الزوجة، إذن علينا أن نفرق ما بين قبل الوفاة وما بعدها، فإعمالاً للعقد يجب أن يتم هذا الإعمال له؛ لأنه كما قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]، و(**المسلمون عند شروطهم**)، ومن ذلك أنهم عند عقودهم، هذا وبالله التوفيق والحمد لله رب العالمين.

٤٢٧- هل يجوز الاتجار بمال الضمان؟

ضمن الجلسة الرابعة والثلاثون، بتاريخ: **(١٤٣٩/٠٧/٢٥هـ الموافق لـ: ٢٠١٨/٠٤/١١ م)**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يقول الأخ: أخٌ يعمل مسؤول اقتصادي في جماعة، وعنده أموال لتجار برسم الأمانة -أي وضعوها للأمانة فقط- هذه الأموال يأخذها ليكون ضامن للتجار إن أخلفوا في الدفع، -يعني ليس ضامن هذا وليس برسم الأمانة، هذه أموال رهن- والأخ كثُر عنده المال والأخ أصبح يتاجر في المال، وهو يسأل: هل هذا جائز؟

جواب الشيخ: لا يجوز، نعوذ بالله، الضمان يد أمانة، ويد الأمانة هي يد أمانة؛ فلا يجوز له أن يتاجر فيها، وإذا أخطأ وفعل؛ فهذا من غير الجائز والواجب أن يوقف هذا فورًا وإذا خسر المال أن يكون ضامنًا له، لا يتحملوا هم، وعليه أن يعيد الأرباح كلها إلى أصحاب الأموال؛ لأنها من حقهم، ويأخذ هو بمقدار ما يأخذ الشريك أو يأخذ المتاجر بما جرى عليه العرف، وهذا لا يجوز له.

فيد الأمانة يدٌ ضامنة ويد الشركة غير ضامنة، يد الأمانة؛ الذي أعطاك مال وأمنك يد أمانة هذه ضامنة، لكن يد الشركة غير ضامنة؛ الذي أخذ المال ليتاجر به فحين إذن لو خسر بلا تقصير؛ فيخسر هو ويخسر الرجل ويخسر الجهد أو المال إذا كان مشاركًا بالمال، وغيره يخسر المال، أما هذا وضعه من أجل الضمان من أجل أن تضمن المال فلا يجوز لك أن تتاجر فيه ولا أن تنتفع به.

بارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٤٢٨- أحكام الحيض والنفاس

ضمن الجلسة الرابعة والثلاثون، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٧/٢٥هـ الموافق لـ: ٢٠١٨/٠٤/١١ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: ما هي علامات طهور النفساء؟

جواب الشيخ: النفساء هي المرأة التي وضعت أو أسقطت، وضعت جنينها وضعًا طبيعيًا أو أنها أسقطت ما في بطنها من الحمل، فهذه يعقُبها الدم، ينزل الدم الشديد بعد خروج الطفل، وسميت نفساء لأن الرحِم يتنفس والتنفس إخراج ما فيه؛ فسميت المرأة بنفساء ويسمى الفعل بالنفاس.

وكذلك الحيض وهو خروج الدم، حاض البئر؛ خرج، ويقال: حاض؛ تجمع، واختلفوا ما هو الأصل التجمع أو الخروج؟ على خلاف بين أهل اللغة، واتفاق على معناه الكلي عند الفقهاء مع اختلافهم ببعض المسائل كما يعلم طلبة العلم فمثال الاختلاف متى يثبت الطهر؟ هل يثبت الطهر بانتهاء الدفق الكثير مع بقاء الكدرة والصفرة أم مع القصة البيضاء؟ والقول الأول: هو قول أم سلمة رضي الله عنها، والقول الثاني: هو قول أمنا عائشة رضي الله تعالى عنها: «حتى ترين القصة البيضاء»، وهذا قول بعض أهل العلم، وهذا اختيار بعض أهل العلم، والذي اعتقاده هو قول عائشة رضي الله عنها؛ وهو أن الطهر يقع بالقصة البيضاء؛ وهو أن تنقطع الكدرة والصفرة، «لا تستعجلن حتى ترين القصة البيضاء».

ولا بأس فهناك علاقة بين الحيض والنفاس وأنا أبيّن الحيض لكثرة ما فيه، وكما قال الإمام أحمد: «بقيت سنين وأنا أقرأ هذا الباب حتى فقهته»، وفي الحقيقة باب الحيض بابٌ مُشكل لكثرة الأحاديث فيه، ولكن نرتبها.

أولاً: العبرة بانقطاع الدم، المرأة إما أن تكون معتادة أو غير معتادة، ما معنى معتادة؟ أي المرأة عادتها كذا، أن يأتيها الحيض سبعة أيام مثلاً أو ثمان أيام خلاص، هذه المرأة معتادة -أنا أتكلم عن الحيض ثم أتي إلى النفاس لارتباطهما- فهذه المرأة تعامل بعادتها، لو افترضنا أنها جرت على هذا سنين سبع أيام ثمان أيام، ثمان أيام تنتهي حيضتها، فمرة تتأخر؛ فعليها أن تعمل بعادتها، انتهينا من المرأة المعتادة.

نأتي إلى المرأة غير المعتادة، مرة يأتيها سبعة ثمانية، مرة يأتيها عشرة، مرة يأتيها خمسة؛ فحينئذٍ نؤول إلى شيءٍ آخر، الآن انتهى ما في عادة نرجع إليها ويحتكم إليها في قضية الحيض، فماذا نفعل؟ نأتي إلى ميزات الدم، فقد تكون المرأة لها دمٌ مميز، هذه المميزة وهو أن يكون دم أسود له رائحة معروفة، له لون معروف، وهو السواد وشدته، وليس الدم الأحمر القاني الذي يخرج من الجرح العادي، بل يخرج له سواد وتكون له رائحة، النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**مميزة**)، لها رائحة مميزة؛ فحينئذٍ تعمل بهذا الضابط.

أولاً: إذا كانت معتادة؛ تعمل بما اعتادت عليه ولا تنتبه لا إلى لون الدم ولا إلى أي شيءٍ آخر، تعمل بهذا.

ثانيًا: فإذا لم يكن لها عادة آلت إلى التمييز.

ثالثًا: فإن لم تستطع التمييز آلت إلى أترابها، وكل مرتبةٍ فيها أحاديث صحيحة، بعضهم أخذ بهذا دون هذا، بعضهم أخذ باثنين دون الثالث، والجمع هو بهذا الترتيب الذي ذكرته.

إذن ثالثًا: تعمل بما عليه أترابها من أهل بلدتها أو من أهل عائلتها، امرأة ليس لها عادة مُقدرة تعود إليها -في الحيض نتكلم- والدم عندها لا تميزه لا برائحة ولا بلون، فماذا تفعل؟ تسأل أختها: كم؟ تقول أختها: أنا لي ثمان أيام، فقط ثمان أيام وينقطع، خلاص تفعل بها، تسأل ابنة عمها إن لم يكن لها أخت أي من العائلة، فتسأل وتقدر هذا التقدير على تقدير أترابها، يعني بنات عمرها من عائلتها؛ فحينئذٍ هذه هي الطريقة، والمسألة يسيرة جدًا.

والحيض سيبقى شاقًا على المرأة في بعض المسائل؛ وحينئذ ننظر إلى قضية متى تطهر؟ هل بانقطاع شدة الدم مع بقاء الكدرة والصفرة؟ أم حتى أن الكدرة والصفرة تلتحق بالحيض؟ هذا خلاف بين أم سلمة رضي الله عنها وبين عائشة رضي الله عنها، كما قلنا، والذي أميل إليه مع أن الأحاديث في ذلك قوية عند هذه وهذه، أنني أميل إلى قول أمنا عائشة رضي الله تعالى عنها، أن المرأة لا تطهر من حيضها حتى ترى القصة البيضاء.

ما هي القصة البيضاء؟ قالوا: إما أن ينزل سائل أبيض بلا كدرة ولا صفرة، وإما القصة البيضاء أن تأخذ قطنة قماش بيضاء فتضعها في مكان الدم؛ فتخرج كما هي من غير كدرةٍ ولا صفرة، هذه هي القصة البيضاء.

وهل تحيض الحامل؟ بعض أهل العلم قال: كانت النساء تحيض وهي حامل، وهذا قول الشافعي رحمه الله، مع أن كثيرًا من الشافعية ردوه بالواقع وهو الصواب؛ أن الحامل لا تحيض، وإذا خرج منها الدم فهو ليس من دم الحيض، فهذا دم جرح يخرج منها، والمرأة ينزل منها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (**إنَّما هذهِ رَكْضةٌ من رَكَضاتِ الشَّيطانِ**)، أي استحاضة، جرح في داخل المرأة يخرج منه دم عادي وليس دم الحيض الذي هو منه الولد، دم الحيض هو تجمع الدم في مكان البويضة عندما تنزل، فيصبح هناك تهيؤ لأن يكون حمل فلا يكون حملاً فينزل هذا الدم.

القدماء يقولون -وهذا من طبهم المبني على التقدير-: بأن الحامل لا تحيض؛ لأن الحمل يشرب ويستفيد ويأكل دم الحيض، وهذا الكلام غير صحيح، في الحقيقة أن الرحم لا يفرز البويضة التي تنتج الحيض إذا كانت المرأة حامل لإفراز هرمونات تمنع هذا الإفراز، والصواب: الحامل لا تحيض، خلاف لبعض أهل العلم وهذه مسألة قالوها من جهة ما روي عن نساء البلدة، النساء يقولون: المرأة فلانة حامل وتحيض، هكذا قال الشافعي: قُلنا لي: أن هذه المرأة من بلده ومن أهله أنها حامل وتحيض، وهذا غير صحيح، الحامل لا تحيض، والعلماء ينفون هذا نفيًا تامًا والواقع ينفيه.

نرجع إلى موضوع النفاس:

فمتى يبدأ النفاس عند المرأة؟ بخروج الولد، لو خرج دم قبل خروج الولد لا يكون نفاسًا، وإنما يلحق بما تكلمنا، فإذا خرج الولد خلاص وقع النفاس، كم مدة النفاس؟ قد بلحظة، قد المرأة يخرج الولد فيخرج الدم فتطهر المرأة بعد ساعة، قالوا: وأقل النفاس لحظة، ويمكن هذا أن يقع، وقيل بأن فاطمة سميت الزهراء لهذا، والله أعلم فليس هناك ما يشهد لهذا، والله تعالى أعلم.

فبالرغم من أن الحيض مختلف في أقله وقالوا: أقله ثلاث أيام، إلا أن النفاس أقله لحظة.

والآن العبرة بالدم، العبرة بما تكلمنا في الحيض بالدم، فإذا انقطع الدم طهرت المرأة، الآن تقع مشاكل، نعرف أحوال النساء، قد ينقطع الدم يومًا؛ عليها أن تصلي لأنه خلاص انقطع الدم، طب بعد انقطاع الدم خلال أربعين يوم على من يقول: بأن أكثر الحيض أربعين يوم، وهناك من يقول: أكثر الحيض ستين يومًا،

فخلال هذه المدة لو طهرت المرأة عليها أن تصلي، فإذا نزل الدم الذي هو على معنى النفاس يُلحق بالنفاس؛ لأنه خلال المدة.

أي ماذا تصنع المرأة؟ بمجرد انقطاع الدم؛ عليها أن تصلي، فقد يعود الدم؛ فتقطع الصلاة، لأنها مازالت في مدة أكثر النفاس، لأن هذا هو العمل الراجح.

إذن العبرة بانقطاع الدم، علامة انقطاع النفساء هو انقطاع الدم، إلى أي مدة؟ أربعين يومًا، الصواب أن النفاس يمتد إلى أربعين يوم ولا يزيد، خلال أربعين يوم تطهر المرأة، فإذا زاد عن الأربعين؛ فعليها أن تصلي؛ لأنها حينئذٍ خرجت عن معنى النفاس إلى معنى الاستحاضة، والمستحاضة عليها الصلاة وعليها الصيام ومع الأحكام لها، تتوضأ لكل صلاة عند من يقول بذلك، أو يستحب لها الاغتسال لكل صلاة فريضة، إلى غير ذلك مما يعرفه طلبة العلم والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين.

٤٢٩- أي نوع من أنواع القراءة هي لكتاب «شمس المعارف الكبرى»؟

ضمن الجلسة الرابعة والثلاثون، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٧/٢٥هـ الموافق لـ: ٢٠١٨/٠٤/١١ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: أي نوع من أنواع القراءة هي قراءة كتاب «شمس المعارف الكبرى» للبوني؟

جواب الشيخ: أولاً لمن لم يعرف هذا الكتاب هذا كتاب السحر، وعامة السحرة يستعينون به؛ لأنه يفتح لهم أبواب التعامل مع السحر، سواء الدجلي أو الحقيقي، فيستخدمونه وهو كتاب مشتهر، وهو كتاب فيه إرهاصات وفيه تنبؤات، وكثير من الجماعات وكثير من الفرق وكثير من الذين يعتمدون على تفسير المستقبل من خلال الرؤى؛ رؤى النبوءات الجاهلة غير النبوءات النبوية الشريفة الصادقة، فيعتمدون على هذا الكتاب.

وهو في الحقيقة كتابٌ سيء، وكتاب شر، وفيه طبعًا لحساب الجُّمل، وفيه كما قلت النبوءات، فيه التعريف في قضية التعامل مع الأمور الشركية الكفرية فهذا كتابٌ هذا وصفه؛ كتاب الشرك، كتاب «شمس المعارف الكبرى» للبوني هو كتاب الشرك، كتاب السحر، كتاب الضلال، كتاب الكفر؛ فلا يجوز للمرء أن يقرأه من أجل أن يأخذ منه وأن يعمل به، ومن ذهب إلى هذا الكتاب على هذا معناه؛ كفر، والأغلب يعلمون ما هذا الكتاب، فالسحرة يذهبون ليشتروا هذا الكتاب، ويذهبون إليه من أجل أن يطبقوا مبادئه الكفرية والشركية فيما يستخدم السحرة السحر؛ من أجل جلب الحبيب، من أجل تطليق الزوجة، من أجل رد العين، وهكذا، فالذي يستخدمه السحرة، ومن أجل علاج الصرعة، ومن أجل استخراج الكنوز والدفائن من الأرض ومن الأعمال الكثيرة التي يستعان بها بالسحرة الكفرة.

فهذا الكتاب يُذهب إليه لهذا المعنى؛ فهذا الكتاب لا يجوز قراءته، ولكن طالب العلم لو أراد أن يذهب إليه ليعرف ماذا يقولون؛ من أجل أن يرد عليهم ومن أجل أن ينبه المسلمين إلى مصادر ما يختلط في ذهنهم من عقائد فاسدة من خلال هذا الكتاب وغيره، فهذا شأن أهل العلم، ولا ينبغي أن يفوتهم النظر إلى الشر ليعرفوه وينبهوا الأمة عليه ويعرفوا أساس كل شر من أجل أن يقضوا عليه، هذا وبالله التوفيق والحمد لله رب العالمين.

٤٣٠- قراءة إيمانية للواقع والمستقبل

ضمن الجلسة الخامسة والثلاثون، بتاريخ: (١٤٣٩/٠٨/٧هـ الموافق لـ: ٢٠١٨/٠٤/٢٣ م)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

هناك أخوة يسألون من مناطق مختلفة في الحقيقة: ما هو موقف المسلم في مثل هذا العصر؟ يعني هذا العصر ما هو؟ ما هي خصوصية هذا الزمن بالنسبة للمسلم؟ هل هذا الزمن ككل زمن نتعامل معه بالأحكام العامة؟ فهناك أحكام عامة تصلح لكل زمن، كالتزام المرء بالإسلام ودعوته إليه والصبر عليه، قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)﴾ [العصر: ١-٣]، هذه أحكام عامة، لكن هل هناك أحكام خاصة لهذا الزمن الذي نعيش؟

جواب الشيخ: أولاً: لنقرر بأننا نعيش فترةً لها خصوصيتها، هي ضمن السياق التاريخي العام لأمة محمد صلى الله عليه وسلم وهي: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦)﴾ [آل عمران: ١٤٦].

والناس يخطئون خطأً كبيرًا في تقدير ما ينبغي أن تكون عليه الأمة، دائمًا هناك إحساس وهذا خطأ وشعور وهذا فاسد وهو أننا نعيش بلاءً نريد أن نرتاح منه، هذا الشعور باطل لا وجود له، هذه أمة قُدّر لها أن تكون أمة البلاء كما في الحديث قال النبي صلى الله عليه وسلم: (**أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل**)، وكذلك الأمم، كلما كانت الأمم قريبة من الحق كلما كان فيها البلاء، وهذه الأمة هي أمة الحق وأمة الهداية وأمة الرسالة وأمة الجهاد، وبالتالي؛ البلاء لاحقٌ بها.

ولذلك هذه الأمة لم ترتاح في يوم من الأيام، ما في يوم راحة، إما أنها تغزو وهذا هو الواجب عليها وإما أن تُغزى إذا توقف الغزو، هذه أمة لا يمكن أن ترتاح، ولذلك حالها مع أعدائها هو حال البلاء وإقامة الحجة، ومن الحجة هو هذا الذي يقع؛ أن تُبتلى هذه الأمة بأعدائها من أجل أن تعود لدينها، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا (٣١)﴾ [الفرقان: ٣١]، وكم من مرةٍ قلت: بأن شيخ الإسلام رحمه الله احتج بهذه الآية على أن مِن نصر الله عز وجل لأنبيائه وجود الأعداء.

فلذلك الذين يريدون أن يرتاحوا من البلاء هم في الحقيقة يريدون أن يخرجوا من هذه الأمة، يريدون الخروج من سنيتها التي تعيش فيها، لا يوجد يوم ارتاحت، هذه الأمة حظها أن تَقتُل وتُقتَل، حظها أن تجاهد في سبيل الله، حظها أن تُبتلى؛ فالأمم بمقدار قربها من الحق تُبتلى، كما أن الأشخاص بمقدار قربهم من الحق يحصل لهم البلاء الكبير والكثير، وهذه أمة الحق؛ فهي أمة تمام البلاء، ما من أمةٍ أبتليت مثل هذه الأمة لأن هذه الأمة هي أعظم أمةٍ في التاريخ، علماؤها أعظم العلماء وفساقها هم أطهر الفساق في التاريخ، فساق هذه الأمة هم أفضل فساقٍ في التاريخ وعلماؤها أفضل العلماء وحكامها أفضل الحكام في التاريخ، ولا ينبغي أن تُقرأ هذه الأمة بعيدًا عن المقارنة البشرية التي نراها في التاريخ البشري.

لكن هنا نعود هل هذا الزمن له خصوصية؟ هل هذا الوقت له خصوصية عن هذا السياق العام؟ الجواب: نعم له خصوصية.

أولاً بلا شك أن الأمة قد وقع عليها البلاء في وقت تخليها عن واجباتها من قيامها بحقوق الله عز وجل في الرفعة على الأمم والبلاغ للأمم وإقامة الحجة على الأمم، وذلك غُزينا غزوًا شديدًا في وقت ضعف وتخلي الأمة عن مهماتها الدينية وتخلي العلماء وتخلي الحكام وبالتالي؛ استطاع الكفار منذ مئة سنة تقريبًا أن يحققوا مقاصدهم العميقة في داخل الأمة، ولحق الطوائف من هذه الأمة بالمشركين وغيروا دينهم وبدلوا، وجاء وقت الاستحقاق.

وأنا الذي أعتقده: أن هذا الوقت هو وقت انقلاب الموازين الحضارية بين الأمة وأعدائها، دائمًا لا بد من سنة الاستبدال، وكذلك من السنن العظيمة هي سنن المدافعة، سنن الاستبدال التاريخ لا يحتمل الفراغ، لا يوجد فراغ في التاريخ؛ لا بد من وجود غالب ومغلوب، لا بد من وجود من يرتفع ومن يهبط، وهذه عمليةٌ تداولية بين الحق والباطل، قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١٤١]، فمرات يكون للكافرين نصيب، قال تعالى: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٦٥)﴾ [آل عمران: ١٦٥]، في مصائب، مصائب يُصيبها أهل الإسلام ومصائب يصاب بها أهل الإسلام من قبل أعدائهم.

ولو جاء وقت ليتحدث المسلم عن وقت صعود الكفار؛ لكان هناك ثمة حديث، لكن الذي يحدث في

واقع الأمر في زماننا هو صعود الأمة المسلمة، هذا يمكن أن لا يعجب البعض؛ لأن تصوره لصعود الأمة هو تصور ذهني قصصي روائي، الواقع أن الأمة تتجه إلى هدم الجاهلية من خلال الصيغ التي نعيش بها، المفهوم الغلط -ولا أريد أن أقول أكثر من ذلك- هو أنهم يريدون الإسلام من خلال هياكل الجاهلية، أي نريد إسلامًا مع وجود هذه الدول كما هي، ومن خلال النعيم الذي نعيشه والترف الذي نعيشه ونريد أن نحقق نصرًا عظيمًا من خلال هذه الحياة الرغد والترف الذي نعيشه! والنظم والهياكل الجاهلية التي نعيشها! وهذا خطأ كبير، هذا إياك أن يخطر ببالك؛ فإنه يُفسد عليك أحكامك لواقع الحياة.

الذي سيحدث هو: أن هذه الهياكل الجاهلية ستبيد وستذهب، هذا في نظر الناس هو تفكك للأمة، لا، هي الأمة في هذا الواقع مفككة تفككًا جاهليًا، والدليل هذه الخصومات بين الشعوب عندما تختلف هذه الحكومات الجاهلية من أعمق ما يكون من الخلافات، والفساد، والأحكام، الحروب تنشأ بين هذه الدول وهم مسلمون، تنشأ بينهم حروب على أساسٍ من الجاهلية، فأي تطور ضمن هذا السياق الجاهلي لا يصنع نصرًا للإسلام وبالتالي؛ لا بد من سقوط هذه الهياكل، سقوط هذه الهياكل سيصنع كثيرًا من الفتن التي يعالجها المسلم بفقهه، وسيعالجها المسلمون.

ولا شك أن عدم وجود الجاهلية خير كثير جدًا وتفككها خير كثير حتى مع عدم وجود الضابط الجامعي الجاهلي، كما كانوا يقولون عندما دخل صدام الكويت: أليس أفضل عشرين دولة من واحد وعشرين دولة عربية، لا، لا، أنتم على مذهب ميشيل عفلق؛ فمرحبًا بكفرٍ يوحد بيننا! لا، لا نريد أمانًا يوحدونا على الكفر، ولا نريد أمنًا تصنعه حكم الجاهلية والطواغيت، لا نريد هذا، أن نعيش بلا طواغيت يحكموننا وأن تعيش الأمة كما تعيش البداوة، تعرفون نظام البداوة، ونظام البداوة مكروهٌ ومرفوضٌ إسلاميًا، التعرب بعد الهجرة من الكبائر، والنبي صلى الله عليه وسلم نهى عن التعرب، والتعرب هو سقوط النظام الجامع، مفهوم الجماعة تسقط؛ لكن سقوط الجماعة خير من أن تكون مأطرة ومحكومة للجاهلية، هذا يجب علينا أن نضعه في أذهاننا، وهو قادم، هذه الأمور قادمة، أنا أتحدث عن الشرع والقدر فق من أجل أن تفهم، أو أفهم أنا، وأحاول أن أفهم فهمًا صحيحًا.

وبالتالي؛ المرحلة المقبلة هي سقوط هذه الهياكل الجاهلية؛ من أجل أن تسقط مفاهيم الجاهلية التي أقيمت

للأسف على دمار الأمة، بعد أن دُمرت الأمة سقطت الخلافة وتدمرت الأمة بالمفهوم السياسي؛ قامت هذه الكيانات الجاهلية، فعند سقوطها؛ حينئذٍ الأمة تسيح سيحًا تحتاج فيه إلى بناء ربما لا يطول، ولكن سيكون هناك تجمعات إسلامية عظيمة ضمن فراغ جاهلي لمثل هذه الهياكل، أقصد المؤثرة، فهناك هياكل جاهلية مشيخية هنا وهنا غير مؤثرة في التاريخ الإسلامي وغير مؤثرة بالإنسان كله، فهؤلاء يعيشون على الهواء لا قيمة لهم، أتحدث عن قضية مجموع الأمة وكبارها وانحياز الصالحين إليها، فالحال واقع أن هذه الهياكل الجاهلية ستسقط وسيسقط مفهوم الأمان الجاهلي والأمن الجاهلي سيسقط هذا مئة بالمئة سيتدمر.

الموضوع الآخر الذي ينبغي أن ننطلق منه أو أن نفهمه: على أن وجود اليهود في فلسطين؛ ليست قضية فلسطين فقط، بل هي قضية معيارية لهذه الأمة، كان دائمًا الأمر في ساحة بلاد الشام يمثل حالة الأمة وما هي عليه من ضعف وقوة ووحدة وتشرذم، كان هذا الأمر يكون بيّنًا وواضحًا، فلذلك وجود اليهود هو يمثل حالة أمة وسقوط اليهود يمثل حالة أمة، الواقع الآن أن كل السهام تتجه إلى تكون الأمة بالمفهوم الذي ذكرته من سقوط هياكل جاهلية وعدم وجود الأمان الجاهلي والسيطرة الجاهلية مع فراغ؛ سيكون هناك ثمة فراغ لحظة السقوط، أو بناء ما؛ تتكون حوله إن شاء الله القضية الأكبر التي تحقق الوعود الإلهية في سورة «الإسراء»؛ وهي زوال دولة إسرائيل، ستزول هذه الدولة، وأنا لا أتكلم عن مئة سنة، لا بأس أنا أتكلم عن الواقع، فالواقع يصنع هذه المقدمات، هذا واقع سترونه قريبًا، سترونه؛ لأن مقدماته بدأت، والله عز وجل قال: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١]، فلما جاءت مقدماته وهو بعثة النبي كأنه أتى، فالمقدمات قد ظهرت فهو آتٍ وهو يمشي، فسقوط هذه الدولة قريب جدًا.

المسألة الثالثة: وهي أن الخيار الغربي في حديث الدجال الذي شُرح في سؤالٍ آخر وهو أنهم سيغزوننا، وسبب الغزو عند الغرب معروف، فالغرب يتجه إلى المشاكل الداخلية وطريقة الغرب في حل مشاكله على حسابنا، فسيتم الغزو، هذا الفساد الذي ترونه في الغرب سيكون حله على حساب أمتنا، لكن حينئذٍ سيكون النصر.

ما هو المطلوب الآن؟ هناك مواطن جهادية، المطلوب هو النفير إليها، وبمقدار قدري ما، لا نستطيع أن نتجاوزه، والله عز وجل رحيم بنا انتبهوا إلى هذه القضية وأرجو أن تستوعب وقد تأملتها كثيرًا، فوجدت أنه

حين يعجز أهل الإسلام عن تطبيقٍ شرعي؛ يأتي الأمر القدري ليقوم مقام التطبيق الشرعي، كيف؟

اضرب لكم مثالاً -هذه قضية مهمة-: الله عز وجل يُعذب الكفار، يُعذب العصاة، ومن ذلك أنه أمر المسلمين بأن يقيموا الأحكام على العصاة، مثلاً: الزاني يجلد يرجم بحسبه محصن غير محصن، الله عز وجل يُعذب الذين يتركون الصلاة بأن أقام المؤمنين في أحكامٍ لهم، وعلى الذين يشربون الخمر، فالأحكام الشرعية هذه ما هي؟ قال العلماء: مطهرة، أي تزيل ترتب العقوبة القدرية عليها، كما أنها تزيل الإثم عن الفاعل، لكن هي تمنع لحوق الفعل القدري، عندما الأمة تكون منظفة لنفسها عن طريق تطبيق الأحكام الشرعية؛ الأمر القدري يتوقف بالعذاب، لا ينزل العذاب، خلاص أنتم تقومون بالحق، الزاني عندكم تقيمون الحد عليه وهكذا الفاسق وهكذا شارب الخمر وهكذا المرابي، حرب من الله ورسوله، هكذا، تطبقون الأحكام.

فإذا توقف تطبيق الحكم الشرعي؟ يتدخل الحكم القدري، فيقوم بمهمات الحكم الشرعي، الذي هو قطع يد السارق، يقوم بالعذاب على معنى خاص له كحكمٍ قدري، لكنه عذابٌ ليتم به ما غفل وتركه الناس من الحكم الشرعي، الحكم القدري يقوم مقام الحكم الشرعي والأداء الشرعي حين يتركه الناس كسلاً أو عجزًا.

والذي رأيته أن هذه الأمة قد جهلت كثيرًا منافذ الدخول، انتبه: الأمة جهلت في قضية إصلاح نفسها، انظر إلى مناهج الإصلاح منذ أن سقطت الخلافة أو قبل سقوطها؛ ترى هناك عجب من الكلام في كيفية الإصلاح ومع ذلك الناس سلكوها فكان عندهم العجز عن الإصلاح، وهناك الجماعات التربوية، هناك الجماعات...، وكلها لم تصل إلى المقدار الذي يحقق الكمال في الإصلاح، تدخلت أقدار الله عز وجل رحمةً بهم.

وهذا الذي يسمونه بالربيع العربي ما هو؟ ما هو هذا الربيع العربي الذي فتح لنا أبوابًا جهادية هنا وهناك، فصار الناس عندهم سِعة؟ وأنا أفهم أن بعض الناس ينظرون إليه أنه بلاء، هو بلاء حقيقة ولكنه نِعمة، الجهاد بلاء ونعمة، الشهادة بلاء، قال تعالى: ﴿فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾ [المائدة: ١٠٦]، بلاء، ولكنه نعمة، ﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، فحين عجز المسلمون؛ تدخل الأمر القدر بأن رتبهم، حين عجز المسلمون عن طرد المنافقين من القتال؛ تحقق الأمر القدري بأنهم لوحدهم خرجوا، أنتم ترون بعض الأحداث من خروج المنافقين من بركة الجهاد وطريقه وسبيله إلى النفاق، هذا لو أنت أردت أن تطبقه لا تستطيع لعجزك، لا

تستطيع أن تقول: لأحدهم أنت أُخرج من الجهاد، فماذا فعل؟ جاء الأمر القدري فأخرجهم، وأنت عجزت على أن تصنع حالة جهادية، والله عز وجل يريد الجهاد؛ لأنه أمرٌ شرعي، فأقام من الوسائل القدرية ما يحقق الأمر الشرعي.

فالآن ما هو المطلوب؟ الآن نحن نقول: اذهبوا فجاهدوا، والجهاد فرض عين، والله عز وجل يقنن من الأقدار جل في علاه، ويدبر من الأقدار ما يحقق الأمر الشرعي، وهو الكفاية الذي يحتاجه الناس، وهذا هو الواقع، هذا الأمر القدري لا علاقة له بالإثم والحسنة والسيئة، لا علاقة له، إنما الأمر الشرعي هو الذي له علاقة بالحسنة والسيئة، ونحن نتحدث عن الأمر القدري.

لكن كيف يقوم الأمر القدري مقام الأمر الشرعي؟ الأمر الشرعي له علاقة بالحسنة والسيئة وله علاقة كذلك بالعجز والكسل، العجز؛ قال صلى الله عليه وسلم: **(رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه)**، وأما الكسل فإنهم مُحاسبون عليه؛ لأن عندهم القدرة وتركوا الأمر بإرادة.

أرجع فأقول: الواقع بأن الله جل في علاه يدبر الأقدار بما يحقق ما عجز عنه المسلمون من الأحكام الشرعي، هذا الذي يقع الآن الذي ترونه، تصنع الأقدار بانتشار المسلمين وبخروج المنافقين، بخروج الأوساخ، بهلاك المفسدين، ومن ذلك ما نراه في الغرب من قضية انتشار الفساد بينهم، والجاهلية بدأت تنهار، وهم من عادتهم يحلون مشاكلهم على حسابنا؛ فسيأتون، لا بد الغرب سيغزو أهل الإسلام، هذه لا بد منها، وسقوط دولة يهود سيكون في لحظة انشغال الكفار في سقوط أنظمتهم وتفرغ المسلمين لهم، بعد ذلك يأتي هؤلاء الكفار ونكون قد انتهينا من هذه الدولة الخبيثة وقتلنا اليهود وانتهينا منهم؛ وحينئذٍ طبقنا عليهم أحكام بني قريظة بإذن الله عز وجل، وبعد ذلك يأتي هؤلاء الرومان ويكون الدجال بعد ذلك و... إلخ.

لكن ما هو الحال؟ هذه كلها التي نعيشها من هذه الحالة الجهادية هي مقدمات، ما هو المطلوب؟ المطلوب هو الثبات، وأعظم آيةٍ أراها تحقق ما هو مطلوب منا هو قول موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا﴾ [الأعراف: ١٢٨]، الاستعانة بالله على عمل لا نقدر عليه، الصبر على بلاء يقع علينا، وكذلك يصح أن يقال: الصبر على فعل يقومون به، كل هذا صحيح، الاستعانة على فعل، ﴿اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ﴾، وكذلك يجوز أن يقال: استعينوا على بلاءٍ يقع عليك، استعينوا بالله على أن تصبروا عليه، ولكن وجود

كلمة الصبر يصرف هذا المعنى الجزئي؛ فيبقى المعنى؛ استعينوا بالله على ما تؤدون من أعمال، استعينوا بالله، المطلوب ﴿اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ﴾، اكشفوا الطواغيت، علموا الناس الدين، أعظم ما تبثونه فيهم اليقين على نصر الله عز وجل، وأن وعد الله عز وجل آتٍ، ادفعوا اليأس فهو أعظم كفرٍ مُذهبٌ للإيمان في هذا الزمان، ومُبعدٌ للجهاد في هذا الزمان، مُبعدٌ لثبات المؤمن على دينه.

وهؤلاء المشايخ الذين ينشرون الرذيلة، ماذا يقول شيخ الإسلام على أن يمنع فاسق يفتي بالباطل؟ شيخ الإسلام يقول: «ينبغي أن يكون هناك محتسبون للفتوى كما هناك محتسبون للأسواق»، هذه نحن عجزنا عنها، ضعفنا عنها، ما الذي قام؟ القدر كشفهم لنا، كل كلامنا الذي كنا نقوله في المشايخ لا يسمعه أحد وأغلب الناس لا يحبون سماعه، حتى لو وافقوه نفسيًا، والناس يردون عليه الردود الشنيعة، الآن المشايخ لوحدهم تعروا، عُراة، يمشون عُراة، الضالون يمشون عُراة، المسلمين يمشون عراة، فيجب أن تثبت، الآن القدر هو الذي تولى القيادة.

متى يأتيك الجهاد؟ هذا بيد الله عز وجل، كلنا ننتظر حتى الأماكن التي فيها الجهاد وصلت إلى لحظة التوقف على قاعدة القرآن: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا﴾، اصبر على ما أنت عليه، استعن بالله عز وجل على أداء هذه الفجوة التي فُتحت لك من أجل أن تعمل فيها، كل بلد فيها فجوة، هناك فجوة جهادية، وهناك فجوة دعوية، هناك فجوة علمية، فاستعن بالله عز وجل عليها؛ حتى يفتح هذا الجدار الكبير فتنطلق الأمة عند سقوط هياكل الجاهلية وأمن الجاهلية، هذا ليس أمنًا لك، لا يضحكوا عليك ويقولوا لك: هذا أمن لك! هذا أمن لهم، أمن لجاهليتهم ونظمهم، ليس أمن لأهل الإسلام، أن تُفتح أماكن الدعارة في بلدك ويمشي الناس فيها، ويسمح للنساء أن يمشين عراة، والرجال مع النساء وكذا في بلاد المسلمين، هذا ليس من الأمن الذي أنت بصفتك مؤمنًا يتلاءم مع دينك، هذا ليس من الأمان في شيء، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ﴾ [الأنعام: ٨٢]، بلا شك أن الآية في الشرك في المفهوم الكلي، ولكن يدخل فيها المفهوم الجزئي، الظلم الكلي مع الأمن الكلي، والأمن الجزئي مع الظلم الجزئي.

فما هو المطلوب الآن؟ المطلوب هو أن تثبت على ما أنت عليه، وأن تصبر عما يقع عليك، والصبر على ما أنت عليه؛ حتى يأتي أمر الله عز وجل، انظر؛ النصر في القرآن على هذا المعنى، اصبر، الله عز وجل يقول:

لمحمد صلى الله عليه وسلم اصبر، ويقول لموسى: اصبر، وموسى يقول لقومه: اصبروا، والأنبياء يقولون لأتباعهم: اصبروا، حتى يأتي أمر الله عز وجل، فالله عز وجل يقدر المقادير حين تعجزون على معنى نصر الإيمان لكم؛ حينئذٍ تطبقون شرع الله عز وجل بعد ذلك، هذا هو المطلوب، الجاهلية كلها تتساقط، وأعظم نصرٍ الآن تساقط الجاهلية، تحمل شباب الإسلام مهمات الإسلام، انتشار المفاهيم الإيمانية، بلاء عظيم نعيشه، إخوة في بلاد يعيشون في السجون، وناس يعيشون تحت القتل والدمار، كل هذا مفهوم، ولكن هذا إذا نظرت إليه فقط؛ تكون أعمى، هذا هو الثمن لما يتحقق من نصر الله عز وجل لدينه، وانتصار المجاهدين هنا وهناك، وكشف المنافقين، وهكذا.

وتقول: وقفنا نحن لا نتحرك، التاريخ لا يصنع على هذه الدوامة التي تفهمها أنت من تراكمٍ، لا، مرات التاريخ يقف، فالنبي صلى الله عليه وسلم عاش ثلاثة عشر سنة في مكة، كم رجل وامرأة أسلموا؟ عدد المسلمين لا يتجاوز مئة من أهل مكة، ماذا كان يفعل؟ أين التطور؟ يعني بمفهوم الناس ثلاثة عشر سنة أول سنة أسلم مئة، ثاني سنة لازم يزيدوا مئتان أو ثلاث مئة، ثالث سنة أربع مئة أو خمس مئة، حتى تفهم أن هناك ثمة تطور وأن الأمور تأتي بنتائج جيدة، لكن نرى دفقة الإيمان في السنوات الأولى ثم بعد ذلك يتوقف والناس ينتظرون، فقط ينتظرون، هذه لحظاتٌ تاريخية يقع فيها الانتظار، يقع فيها طلب الفرج، وهذه إن لم يفهمها أهل الإيمان قالوا كما قال اليهود؛ قال تعالى: ﴿قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ [الأعراف: ١٢٩]، كنا نحن نذهب إلى السجون ويضربوننا واليوم الطيارات تقصف فينا، ويقول كما قال المنافقون، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾ [النساء: ٧٨]، أنتم سببتم لنا البلاء، لما يأتي الخير هذه من عند الله، انظر البلاد والبيوت والشوارع والأموال تنزل علينا، وإذا جاء الشر قالوا: أنتم الذين أتيتم به، أنتم الذين فتحتم الجهاد وأنتم تريدون أن تغيروا وادفعوا هذه النتيجة، هذه من عندك، قال تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا (٧٨)﴾ [النساء: ٧٨]، ليسوا فاهمين.

فإذن المشروع الآن: هو أن يقوم كل أحدٍ على مقامه الذي هو فيه من الخير ويصبر على ما فيه من بلاء؛ حتى يأتي وعد الله عز وجل، هذه هي الكلمة يأتي وعد الله عز وجل؛ سترى حينئذٍ الفتوح الربانية قادمة، كما

فتح لك، وإياك أن تظن أنك أنت الذي جاهدت، إياكم أن تظنوا أنه بأفعالكم فتحتم هنا وهنا، لا، للأسف هذا مفهوم خطأ وبعض الناس ينسبه لجماعته وتنظيمه، لا، ليس وقت المحاسبة، المحاسبة لو فتحت لكانت أفعالكم من أكثر ما يصنع الشر والبلاء، ولم يأتي الخير، لكن الله عز وجل يكرم عبيده بسبب طاعتكم الصغيرة بمكارم أعظم مما فعلتم، هي من الله عز وجل، ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨]، هذا ما أقوله وأسأل الله عز وجل أن أكون قد أبلغت في هذا الباب مع الاعتراف بالتقصير والعجز والضعف، والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين.

٤٣١- معالم ظهرت تدل على قرب ظهور الدجال

ضمن الجلسة الخامسة والثلاثون، بتاريخ: (**٧/٠٨/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٢٣/٠٤/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يقول الأخ: ما صحة حديث النبي صلى الله عليه وسلم عن الفرسان العشر الذين يعودون بعد الفتح لمعرفة حقيقة الصريخ بظهور الأعور الدجال في دراريهم؟ وما تفسيركم في السبب المتوقع في تراجع الحضارة وانحسارها والعودة إلى زمن استخدام الدواب كالخيل وغيرها؟

أتمنى منكم التوضيح والإسهاب في الأمر.

جواب الشيخ: والله يا أخي ليتني أعرف كثيرًا لأُسهب غير ما ورد في الحديث وما يمكن قراءته من خلال ما يقوله الحديث والنص، ولا شك أن تطلع الإنسان لأمر الغيب، تطلعٌ قديم، ومن هنا نشأت عظمة الكهانة وقيمتها في داخل المجتمعات الجاهلية الكافرة؛ لأنهم يتنبؤون بالغيب، والناس يحبون استطلاع الغيب، إشعار وجود الغيب هو إشعار المرء بضعفه يريد أن يتحرر منه، مثل شعوره بأنه لا يستطيع الطيران فإنه تغلب عليه، شعور المرء أنه يريد الطيران هو لخروجه من ضعفه، وهكذا المرء يحاول دائمًا الخروج، هكذا متطلع، طلع الإنسان؛ فيحب أن يخرج من أسر ضعفه وفقره وجهله، ومن ذلك يريد أن يستطلع هذا ماذا سيأتي، من هنا نشأت كما قلت: الكهانة ونشأ التطير؛ هل يذهب أو لا يذهب؟ هل يمشي في الأمر أو لا يمشي؟

فمن ذلك أن الناس يحبون استطلاع الغيب، ولا شك أن القرآن جاء بأمور غيبية عظيمة تدل على أنه من عند الله، قال تعالى: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾ [الروم: ٢-٣]، ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ [النمل: ٨٢]، وجاءت السنة بتفاصيل أكثر، من ذلك جاء أمر ذكر الدجال وهو أعظم فتن الخلق، ما من فتنةٍ أعظم في الوجود من فتنة الدجال بنص النبي صلى الله عليه وسلم، فالنبي صلى الله عليه وسلم طمن أمته أن خرج وهو فينا صلى الله عليه وسلم كفانا إياه، وإن خرج وليس النبي صلى الله عليه وسلم فينا فكل امرئٍ حجيج نفسه (**والله خَلِيفَتِي على كلِّ مُسلِمٍ**)، ولا شك أن النبي صلى الله عليه وسلم لحق بالرفيق الأعلى وبقيت فتنة الدجال ينتظرها الخلق وينتظرها الناس.

وفتنة الدجال لها ممهدات، من ذلك انتشار الفساد والشر؛ حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يذكر هذا الحديث الذي أنت فيه وهو حديث من رواية عبد الله بن مسعود ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنهما، أنه «يومئذٍ لا يفرح بغنيمة ولا يقسم ميراث»[(١)]، قال صلى الله عليه وسلم: **(إنَّ السَّاعَةَ لا تَقُومُ حتَّى لا يُقْسَمَ مِيرَاثٌ، وَلَا يُفْرَحَ بغَنِيمَةٍ)**، وأنا استفدت من هذا الحديث فائدة؛ بأن الفتن القادمة في انتصار المسلمين سيكون فيها الثمن غاليًا، ستكون التكلفة باهظة، المسلمون يعيشون وهم الانتصار الخيالي الذي تصنعه الكتب وتصنعه الأفلام أو الذي عاشته الأمة زمن الفتوحات السابقة، لا.

أنا تقديري لما أرى بأن النصر قادم وأن الأمة تصنع النصر، والنصر الآن يتجمع ويتكاثف من خلال عاملي انتشار الجهاد ومن خلال تعرية الكافرين ووجود الفساد في داخل البلاد، فالله عز وجل يقول: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا (١٦)﴾ [الإسراء: ١٦]، هذا حكم رباني حكيم، وحق وحدي، ولا شك أننا نرى هذه الظاهرة منتشرة في كل بلاد المسلمين، كل بلاد المسلمين يتحقق فيها هذا الأمر، أمرنا مترفيها ففسقوا فيها، فيهم فساد داخلي، ولكن الفساد الآن ظاهر، فالكل يدعو إلى الرذيلة الكل يدعو إلى سفور النساء الكل يدعو إلى انتشار الفاحشة ويهاجمون الدين والصحف تتكلم والأنظمة تحكم وتحارب من يقف أمامهم، والتلفاز ينشر، والصحافة تنشر، والقوانين كذلك تحمي، والمؤسسات ترمي حَبها وشجرها وثمرها في الخلق من الحنظل والزقوم بين الناس، ففسقوا فيها، حتى في بلاد الحرمين الآن بدأ ينتشر الفساد الظاهري ويُشرع، وتقام له الهيئات وتقام له وزارات، وفي بلاد البنوك ظاهرة وعامة، ﴿فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ﴾، البنوك، النساء، المعاصي، سب الدين والرب في البلاد، ملاحقة الصالحين.

أين مكانهم الصالحين الآن؟! من يستطيع أن يتكلم كلمة؟ إذا واحد أنتقد ما أنتقده الأنبياء في أقوامهم في

---

(١) قال صلى الله عليه وسلم: (لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بالأعْماقِ، أوْ بدابِقٍ، فَيَخْرُجُ إليهِم جَيْشٌ مِنَ المَدِينَةِ، مِن خِيارِ أهْلِ الأرْضِ يَومَئذٍ، فإذا تَصافُّوا، قالتِ الرُّومُ: خَلُّوا بيْنَنا وبيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا نُقاتِلْهُمْ، فيَقولُ المسْلِمُونَ: لا، واللَّهِ لا نُخَلِّي بيْنَكُمْ وبيْنَ إخْوانِنا، فيُقاتِلُونَهُمْ، فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لا يَتُوبُ اللَّهُ عليهم أبَدًا، ويُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ، أفْضَلُ الشُّهَداءِ عِنْدَ اللهِ، ويَفْتَتِحُ الثُّلُثُ، لا يُفْتَنُونَ أبَدًا فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، فَبيْنَما هُمْ يَقْتَسِمُونَ الغَنائِمَ، قدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بالزَّيْتُونِ، إذْ صاحَ فِيهِمِ الشَّيْطانُ: إنَّ المَسِيحَ قدْ خَلَفَكُمْ في أهْلِيكُمْ، فَيَخْرُجُونَ، وذلكَ باطِلٌ، فإذا جاؤُوا الشَّأْمَ خَرَجَ، فَبيْنَما هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتالِ، يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ، إذْ أُقِيمَتِ الصَّلاةُ، فَيَنْزِلُ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، فأمَّهُمْ، فإذا رَآهُ عَدُوُّ اللهِ، ذابَ كما يَذُوبُ المِلْحُ في الماءِ، فلوْ تَرَكَهُ لانْذابَ حتَّى يَهْلِكَ، ولَكِنْ يَقْتُلُهُ اللَّهُ بيَدِهِ، فيُرِيهِمْ دَمَهُ في حَرْبَتِهِ)، رواه مسلم (٢٨٩٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الفساد؛ حورب بأنه ينشر الرذيلة وينشر الهدم في داخل الأمة، كأن الأمة الإسلامية ما شاء الله، كأن الدول ما شاء الله يعني يحمد فيها الأمر.

هذه المقدمات هي مقدمات الدجال ولا شك أن الأمة تعيش مقدمات الدجال، هذا مما لا شك فيه، والفساد قد طغى ووصل إلى أعمق ما يكون، فحتى في البلاد التي لم تدخلها الحضارة دخولاً مبكرًا يحدثني بعض أهلها بأن الفساد صار ظاهرًا في النساء، وخاصةً في النساء، موضوع النساء؛ لأن أول فتنة بني إسرائيل في النساء، والنساء مظهر كبير من مظاهر ظهور الفساد في القيم الدينية في داخل الناس، الرجل إذا فسدت زوجته وفسد عرضه؛ دل على أنه خسيس، سقطت القيم، هذا الرجل خسيس فيكذب عادي، الرجل الذي زوجته تخرج وعرضه يخرج وهي سافرة والناس ينظرون إليها؛ هذا يكذب، سهل جداً أن يكذب، كلمة يكذب أهون من هذا بكثير، الشرف عند العربي والعرض أهم بكثير من قضية ضبط اللسان؛ فلذلك هو يكذب، يسرق عادي جدًا؛ من أجل أن يُرضي أهله ومن أجل أن يقدم لهم المال، ﴿فَفَسَقُوا فِيهَا﴾، مترفين، يريد زيادة مال لا يشبعون، يسرقون أموال الأمة.

فلذلك ما نراه من مظهر فساد النساء في المجتمعات هو دليل على فساد القيم في داخل البيوت، خسة الرجال، هؤلاء انتهى أمرهم، وأنا أتعجب كيف لرجلٍ يربي ابنه وعرضه تخرج سافرة! ماذا يقول لابنه؟! ماذا يعلم ابنه من المكارم والفضائل؟! ماذا يعلمه وماذا يقول له؟! ماذا يتكلم عن غض البصر؟! ماذا يتكلم عن قضية القيم والشرف والصدق والشجاعة؟! كيف يتكلم معه؟!

وبالتالي؛ الذي أعتقد أن مقدمات ظهور الدجال هذه أبيّن من أن يناقش فيها، والذين يرون هذه مظاهر حضارة فهذا من خستهم ونذالتهم وحقارتهم، فلذلك لما قال النبي صلى الله عليه وسلم عن مقدمات الدجال «لا يُفرح يومئذٍ بغنيمة ولا يقسم ميراث»، في الحقيقة هذا دليل على أن الانتصار مُكلف، لا يفرح الناس ينتصروا، لكن لما ينظرون ورائهم بعد الانتصار وإذا بيوتهم قد هدمت وأحبابهم قد فارقوهم إلى الجنان، ونالوا الشهادة، وقُتل الآلاف.

هذا الحديث الذي بين أيدينا وهو حديث عبد الله بن مسعود وهو حديث كذلك أبي هريرة رضي الله تعالى عنهما؛ هذا حديث فيه أنه لا يخرج الدجال حتى يجتمع الروم عليكم بدابق، قال: (**وتكون يومئذٍ ردة**)، هذا في

الحديث، هذه الردة الكبيرة هي صورة كُبرى لواقع رِدات كثيرة تنشأ من خلال الجهاد، ما من معركة إلا وتقوم ردة؛ ففصلت في حديثٍ آخر في قوله صلى الله عليه وسلم: (**فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لا يَتُوبُ اللَّهُ عليهم أبَدًا**)؛ إذن هذه ردة، فلذلك هذه فتنة، ونماذج المعارك القادمة هي هذه، معاركنا اليوم هي هذه، لا يُفرح يومئذٍ بغنيمة، يغنموا السلاح ويغنموا...، ولكن فارقوا الأحباب، الرجل قتل أمام عينيه في الجهاد والده، قتل أهل بيته، أصدقاؤه، أقرباؤه، لم يعد له بيت يأوي إليه، تدمر كل شيء، هذا سيكون الحال في كل البلاد.

ووالله إني أقول وكأني أرى الأمر أمام عيني الآن في كل البلاد، ما ترونه في الشام، ما ترونه في اليمن، ما ترونه في بعض البلاد، وما ترونه من خراب هذا بعد لم يصل إلى منتهاه، وعاقبته النصر الذي لا يُفرح يومئذٍ بغنيمة، لكنه نصر، الله عز وجل يريد أن يتخذ شهداء، يريد أن يحقق النصر لأوليائه، يريد أن يفرحهم بالثأر من أعدائه، وأما هم فلا يفرحون يومئذٍ بشيءٍ من الدنيا، من أجل أن يتحقق بعدم فرحهم بشيء من الدنيا «يستشهد ثلثًا هم أحب الناس عند الله، ويفتح لثلث هم خير الخلق يومئذ»، هذه قاعدة الجهاد لمن يريد أن يسلكه، قبل أن يسلكه يجب أن يعلمه، طبعًا لو قلت: هو لن يسلكه، سيخرج منه وسيأتي غيره، فهذا الجهاد الذي يحقق هذه المعالم التي أذكرها سيكون رغم أنفك، تريد أن تهرب أُهرب، تريد الجلوس اجلس، لكن سيمشي، ولو تخلى عنه كل المسلمين سيأتي الله عز وجل بأقوامٍ يحملونه، يخرجون من بطون أمهاتهم أو يحضرهم من مشرق الأرض أو مغاربها ويقومون بهذا الجهاد، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ (٣٨)﴾ [محمد: ٣٨]، فهذه المعالم هذا الجهاد.

معالم هذا الجهاد ردة عظيمة حتى إن ثلث الجيش، في الحديث: (**فيجتمع عليهم أهل الإسلام**)، على الروم الذين ينزلون بدابق، هنا أنا أتكلم عن حالة هي وصفٌ لحالات الأمة في كل قتالها، واليوم نرى هذا، نرى ثلثًا يهرب، نرى ثلثًا يموت، نرى ثلثًا يفتح عليه، يمشي، حتى تكون المعركة الكبرى، المعارك الكبرى تنتج من معارك صغيرة، والانتصار الكبير ينتُج من انتصارات صغيرة، الانتصارات الصغيرة فيها معنى الانتصار الكبير، الانتصار الكبير؛ ثلث يهرب ويرتد، ثلث يموت ويستشهد، ثلث يفتح عليه، هذا هو نموذج كل المعارك التي تمهد لهذا المعنى.

ولذلك الذين يغضبون من هذا النوع من الجهاد هؤلاء لا يفهمون سنن الله عز وجل، الذين يبكون كيف

يرتد هؤلاء؟! كيف تركوا سلاحهم وهربوا وتركوا وباعوا الأرض وباعوا البلاد وهربوا عراة والناس: يصفقون لهم أنهم الأبطال؟! وهم مرتدون، أرتد ثلث، لا أحكم عليهم بالكفر، ولكن خرجوا من الجهاد؛ «غضب الله عليهم»، خرجوا من معادلة الصراع الإيماني بين الكفر والإيمان، لا أحكم بكفرهم حقيقة، ليس هروبًا ولا ضعفًا، ولكن هكذا «يغضب الله عليهم، لا يتوب عليهم أبدًا»، سترون هؤلاء عامل شر، وثلث سيموت، كم سيموت من المجاهدين؟ لا توجد معركة إلا وفيها قتلٌ وقتل، ولكن في النهاية يفتح الله عز وجل على ثلث، في كل معركة هذه معادلة ستكون، خراب البيوت، دمار البلاد، الجهاد قادم في كل البلاد، قال تعالى: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا (١٦)﴾ [الإسراء: ١٦]، دمارٌ على أهل المعاصي، وعزةٌ لأهل الإيمان وبلاءٌ لهم، وانتصارٌ لهم، وشهادةٌ لهم، وفتحٌ لهم، ولكن «لا يفرح يومئذٍ بغنيمة ولا يقسم يومئذٍ ميراث»، لا يقسم هذا ليس معناه انتشار المعاصي، لا يقسم؛ من الذي يرث؟

ومرات اتفكر بيني وبين نفسي لو رجعنا إلى فلسطين كيف سيتم توزيع الأراضي؟! الناس ماذا يعرفون؟! الكبار قد ماتوا ما بقي منهم أحد، لما تذهب إلى قرية قد فُرغ أهلها ومات الكبار لا يعرفون معالمها، كيف توزع هذه؟ حتى لو علمنا أن هذه كانت لفلان وورثه أبنائه، ومات كذا منهم؛ لا يوزع يومئذٍ الميراث.

فهذه المقدمة لا بد منها وأن نفهمها وأن نكون نفهم معنى الانتصار؛ لأننا نرى أن البعض يصور لنا الانتصار على معنى من معاني الأفلام؛ وهو أن ندخل فاتحين مكبرين مهللين، والناس يصفقون لنا، والورود تنثال علينا، والبلاد كما هي، والأبنية الزجاجية كما هي، والشوارع كما هي، والناس جموع وراء جموع! ثلث سيموت، ثلث من هذه الأمة المجاهدة سيفنى.

فهذه كلها مقدمات المعركة الكُبرى وبعد ذلك يفتح الله عز وجل، قال صلى الله عليه وسلم: «يُفتح عليكم الدجال وتفتح عليكم قسطنطينية فيغزو المسلمون قسطنطينية، فيغزونها؛ فتفتح لهم»، وهم طائفة من المؤمنين هناك يغزونها، وهذا أنا عندي يفتحونها فتحًا على معنى الاختراق، وليس على معنى الفتح الذي به يتم استقرار الجنود في البلاد وتغييرها إلى حالة مما كان عليه الفتح الأول في زمن الصحابة رضي الله عنهم، يستقرون في البلاد ويفتحونها فتصبح مسلمة وينشئون حولها المدن الإسلامية، لا، والدليل على أنه ويعلقون السيوف في الحديث –هنا السؤال الأخ– «ويعلقون سيوفهم بالزيتون فيأتيهم الصارخ أن قد خلفكم الدجال في أهلكم»،

فينفر منهم أي عرفاء عشرة يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (**إِنِّي لَأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ، وَأَلْوَانَ خُيُولِهِمْ، هُمْ خَيْرُ فَوَارِسَ علَى ظَهْرِ الأَرْضِ يَومَئذٍ، أَوْ مِن خَيْرِ فَوَارِسَ علَى ظَهْرِ الأرْضِ يَومَئذٍ**)[١].

الأخ يسأل: ما دام في الحديث ذكر سيوف وفي ذكر لون الخيول؟ ولا شك أنه لفظٌ من الصعب إذا ورد لنا باللفظ كما نطقه النبي صلى الله عليه وسلم من الصعب تأويله، من الصعب أن نقول: السيوف كناية عن الأسلحة التي معهم، فكيف لو صحت هذه الكناية وهذا التأويل فكيف يصح وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (**وَأَلْوَانَ خُيُولِهِمْ**)، إذا كان اللفظ مضبوطًا من قبل الراوي، فهذه دائرةٌ أنا ليس عندي شيءٌ فيها، نتركها ﴿**وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ**﴾، لما يأتي التأويل يكون هذا هو الحق، هذا هو الذي قاله صلى الله عليه وسلم، كما قال تعالى عن لسان نبيه يوسف عليه السلام ﴿**هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ**﴾ [يوسف: ١٠٠]، فحين يرى المسلمون الواقع يعرفون.

وأنا كنت لا أستطيع أن أتكلم مع هذه الأحاديث وفيها هذا الكلام الذي أقوله الآن لكم، هذا الكلام قضية «لا يُفرح بغنيمة لا يقسم بميراث» والله كنت لا أدري كيف وجهه، ولكن الآن أرى مقدماته؛ فأفهمه، وكذلك ما يحدث، فالله أعلم ليس عندي، هل هذه الحضارة يمكن أن تغيب بعوامل معينة بدمار شامل يقع عليها؟ هل يمكن أن تغيب أو أن تبقى الحضارة ويقع كل ما يقع لحديث أنه يأتي عليهم النغف هؤلاء يأجوج ومأجوج كيف يموتون؟ (**فيُرْسِلُ اللَّهُ عليهمُ النَّغَفَ في رِقَابِهِمْ، فيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ**)، فالله

---

(١) قال صلى الله عليه وسلم: (هَاجَتْ رِيحٌ حَمْرَاءُ بالكُوفَةِ، فَجَاءَ رَجُلٌ ليسَ له هِجِّيرَى إلَّا: يا عَبْدَ اللهِ بنَ مَسْعُودٍ، جَاءَتِ السَّاعَةُ! قالَ: فَقَعَدَ، وَكانَ مُتَّكِئًا، فَقالَ: إنَّ السَّاعَةَ لا تَقُومُ حتَّى لا يُقْسَمَ مِيرَاثٌ، وَلَا يُفْرَحَ بغَنِيمَةٍ، ثُمَّ قال بيَدِهِ هَكَذَا، وَنَحَّاهَا نَحْوَ الشَّأْمِ، فَقالَ: عَدُوٌّ يَجْمَعُونَ لأَهْلِ الإسْلَامِ، وَيَجْمَعُ لهمْ أَهْلُ الإسْلَامِ، قُلتُ: الرُّومَ تَعْنِي؟ قالَ: نَعَمْ، وَتَكُونُ عِنْدَ ذَاكُمُ القِتَالِ رَدَّةٌ شَدِيدَةٌ، فَيَشْتَرِطُ المسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ، لا تَرْجِعُ إلَّا غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حتَّى يَحْجُزَ بيْنَهُمُ اللَّيْلُ، فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ، وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ، ثُمَّ يَشْتَرِطُ المسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ، لا تَرْجِعُ إلَّا غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حتَّى يَحْجُزَ بيْنَهُمُ اللَّيْلُ، فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ، وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ، ثُمَّ يَشْتَرِطُ المسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ، لا تَرْجِعُ إلَّا غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حتَّى يُمْسُوا، فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ، وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ، فَإِذَا كانَ يَوْمُ الرَّابِعِ، نَهَدَ إليهِم بَقِيَّةُ أَهْلِ الإسْلَامِ، فَيَجْعَلُ اللَّهُ الدَّبْرَةَ عليهم، فَيَقْتُلُونَ مَقْتَلَةً -إمَّا قالَ: لا يُرَى مِثْلُهَا، وإمَّا قالَ: لَمْ يُرَ مِثْلُهَا- حتَّى إنَّ الطَّائِرَ لَيَمُرُّ بجَنَبَاتِهِمْ، فَما يُخَلِّفُهُمْ حتَّى يَخِرَّ مَيْتًا، فَيَتَعَادُّ بَنُو الأبِ، كَانُوا مِائَةً، فلا يَجِدُونَهُ بَقِيَ منهمْ إلَّا الرَّجُلُ الوَاحِدُ، فَبِأَيِّ غَنِيمَةٍ يُفْرَحُ؟! أَوْ أَيُّ مِيرَاثٍ يُقَاسَمُ؟! فَبيْنَما هُمْ كَذلكَ إذْ سَمِعُوا ببَأْسٍ هو أَكْبَرُ مِن ذلكَ، فَجَاءَهُمُ الصَّرِيخُ: إنَّ الدَّجَّالَ قدْ خَلَفَهُمْ في ذَرَارِيِّهِمْ، فَيَرْفُضُونَ ما في أَيْدِيهِمْ، وَيُقْبِلُونَ، فَيَبْعَثُونَ عَشَرَةَ فَوَارِسَ طَلِيعَةً، قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: إنِّي لأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ، وَأَلْوَانَ خُيُولِهِمْ، هُمْ خَيْرُ فَوَارِسَ علَى ظَهْرِ الأرْضِ يَومَئذٍ، أَوْ مِن خَيْرِ فَوَارِسَ علَى ظَهْرِ الأرْضِ يَومَئذٍ. قالَ ابنُ أَبِي شيبَةَ في رِوَايَتِهِ: عن أُسَيْرِ بنِ جَابِرٍ. وفي روايةٍ: كُنْتُ في بَيْتِ عبدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ وَالْبَيْتُ مَلآنُ، قالَ: فَهَاجَتْ رِيحٌ حَمْرَاءُ بالكُوفَةِ)، رواه مسلم (٢٨٩٩) من حديث يسير بن جابر.

أعلم بهذا التأويل، نتركها لزمانها وعلينا أن نسكت وأن نكف عن التأويلات التي فيها الاحتمالات الكثيرة التي تعطل مسيرتنا في دعوتنا وجهادنا.

لكن أنا أقول هذه المقدمات الأولى؛ من أجل ألا نيأس، بدت معالم القيامة تبدو لنا واضحة وعلينا أن نتعامل معها من خلال الحديث النبوي؛ علمنا إياه إرشادًا لنا في كيفية تعاملنا مع المستقبل، الذين يبكون خروج المرتدين؛ لا تبكون هذا هو قدرهم، وبالنهاية سيقع النصر، الذين يبكون دمار البيوت؛ هذا هو ما أخبرنا به نبينا صلى الله عليه وسلم وسيأتي النصر، والذين يبكون كثرة الموتى والقتل؛ هذا وعد النبي صلى الله عليه وسلم وسيأتي النصر.

ويا أيها الأخ الحبيب لنا مئة وخمسين سنة، مئة سنة، ونحن فقط نذوق الويلات ويموت منا، والعالم يموت منه الأعداد، ونحن نربي الأولاد وكذا؛ فجاء دور الموت شهادة، الناس يموتون، يموتون بالعوامل، يموتون بالفناء، يموتون بالخروج، يموتون في المخدرات، أما الآن يموتون شهداء، ما في مجتمع مات بسبب القتال، قال تعالى: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]، الحياة هي الجهاد.

بارك الله فيكم وجزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

٤٣٢- كيف نصنع الهوية لدى الشباب المسلم؟

ضمن الجلسة الخامسة والثلاثون، بتاريخ: (٧/٠٨/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٢٣/٠٤/٢٠١٨ م)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: كيف نصنع الهوية لدى الشباب المسلم؟

جواب الشيخ: كلمة الهوية كلمة معاصرة وهي مأخوذة من ما هُوْ، فإذا أجيب عما هُوْ علمنا ما هي الهوية ولذلك يقال مرات: الماهية؛ أي ما هُوْ، وهي كلمة جديدة في الدلالة على المعنى المطلوب المعاصر اليوم، كلمة معاصرة، مصطلح معاصر بهذا المفهوم هوية.

وبلا شك أن الإسلام تربيةٌ خاصة، تربيةٌ مجتمعية، تربيةٌ حاكمة عامة لأمة، ونشأ الحديث في داخل الفكر الإسلامي حول مفهوم الهوية لما بدأ الفكر القومي يغزو هذه الأمة ويحاول فرض إيقاع جديد على التجمعات، وهذه المشكلة لم تكن عندنا؛ لأن الأمة مسلمة وسنية، وهناك طوائف؛ هذه الطوائف خارجة عن السنة، خارجة عن الجماعة، نحن نقول: أهل السنة والجماعة، الطوائف البدعية خارجة عن الجماعة وخارجة عن السنة، فبعضها خارج خروجًا واضحًا بيّنًا على الجماعة مع بقائه على معنى السنة كما هم البغاة، وهناك من خرج عن السنة خروجًا بيّنًا وترتب عليه الخروج عن الجماعة كالخوارج، وهناك من خرج عن السنة مع ضعف خروجه عن الجماعة كما هو شأن المرجئة وأهل البدع، وهناك من خرج مرة بحسب الزمان خروجًا عن السنة والجماعة بوضوح كما هو شأن الرافضة حيث صارت لهم دولة تقاتل أهل السنة، أو أن يكون الرافضة من دائرة أمة الإسلام ودار الإسلام ودار السنة.

ولم يكن عند أهل الإسلام مشكلة كبيرة في داخل المجتمعات السنية، كان هناك دار الإسلام ولها حقائق وواقعية، وكان هناك دار الكفر، وكان هناك دار البدعة، نشأت دور البدعة على معنى الخروج من الملة كليًا أو الخروج الجزئي كما هو شأن الدولة الصفوية؛ فهي دولة ممكن إدخالها في دول الردة، والمقصود به دار الردة، وممكن إدخالها في دار البدعة الكبرى.

فالغرب لوجود مشاكل كبرى في داخله مع أنه متحد الديانة ومختلف المذاهب، مع أن الدين النصراني

مختلف المذاهب إلا أن هناك مشكلة كبرى؛ لأن الدين نفسه لا يحدد هذه المصطلحات، فالمصطلحات تحتاج إلى إنتاجٍ فكري خاص، لماذا تنشُط الفلسفة؟ لماذا تنشُط الأفكار؟ عند غياب الوحي، ونشوط الأفكار عند البعض يُعد إبداعًا ويُعد نشاطًا إيجابيًا، وهذا خطأ؛ لأن هذا النشاط الإيجابي المزعوم تترتب عليه دماء، تترتب عليه حروب، المجتمعات الغربية نشأت فيها حروب مذهبية وحروب قومية إبادية، حروبٌ إبادية، في داخل مجتمعاتنا التي نشأت في داخل الصف المسلم كانت أقل بكثير مما نشأت في الغرب، ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ [المائدة: ٦٤]، ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ [المائدة: ١٤]، فالحروب بينهم كبيرة.

ونحن نعيش الحروب، لكن في الأغلب أمتنا عاشت حروب ضد أعدائها، ضد النصارى، ضد اليهود ضد الصليبيين، ضد التتار، ضد المشركين، ضد بدع الزنادقة كالزنج وغيرهم والقرامطة، فهذه حروب لا تعتبر داخلية، ليست حروب أهلية في داخلها المجتمع المسلم، نشأت أغلب الحروب الداخلية عندما خرجت الدار عن دار الإسلام؛ نشأت هناك الحروب، الحروب التي تروها من مئة وخمسين سنة في داخل المجتمعات هي حروب خارج إطار الهوية الإسلامية، هي حروب صنعها الاستعمار من خلال أقطار في داخل القومية الواحدة، أو حروب من أجل تقرير القومية ضد قومية أخرى مع اتحاد الدين أو خلافه أو ما شابه ذلك.

فلذلك الغرب عنده مشكلة الهوية، عندنا لم تكن هناك مشكلة، الإجماع منعقد عند أمة الإسلام، العرب، والبربر والجميع، على إقرار العثمانية، ولذلك لما أنت تقرأ مثلاً في مذكرات الذين ثاروا على الدولة العثمانية كانت عباراتهم أننا عثمانيون، لكننا لسنا أتراكًا، فكانت بداية الدعوة المشبوهة، هي بعد ذلك ثبت أنها مشبوهة، ولكن كانت من أجل أن تقبل أن الخروج على الدولة العثمانية ليس خروج عن نظام الإسلام، ولا عن مفهوم أمة الإسلام، كان خروج عن قضية القومية التي فرضها القوميون الأتراك، ولا شك أن الأتراك أسبق في مفهوم القومية التركية من العرب في مفهوم القومية العربية، هذا حقيقة يجب أن نقرها، لأن الأتراك المجرمون من القوميين الذين تأثروا بالدعوات الغربية وخاصةً في ألمانيا فحملوا هذه الفكرة القومية؛ ليتحللوا من التزاماتهم نحو أمة الإسلام، كان يجابهها الفكر القومي الذي كان ينمو قليلاً، لم تتحدد معالمه، ولكن كانت بذرته وجرثومته تنمو، كانت تحمل بأننا عثمانيون، لكننا لسنا أتراك ونرفض التتريك، لكننا عثمانيون، أي أننا أمة مسلمة تحت ظل الخلافة.

إذن الهوية -أنا أتكلم هنا عن الهوية باعتبار الأمة، وسنأتي إلى الهوية باعتبار الشخص؛ لأنها قضية مهمة- فنشأ ما يسمى الفكر القومي، الفكر القومي تأثر من خلال الفلسفة الألمانية وهو أن الهوية هي هوية قومية، كيف؟ فقالوا: باللغة وسيرورة التاريخ، اتحاد التاريخ، الدين أخرجوه، أصلاً هم الغرب لا يوجد عندهم هذا الأمر، فأخرجوا الدين، تأثر به جماعتنا هنا فحملوه وبدؤوا يخرجون الدين من مفهوم تكوين الأمة، الأمة ليس من مكوناتها الدين، وإنما فقط اللغة وسيرورة التاريخ أي اجتماع التاريخ، اتحاد التاريخي.

وفي الحقيقة أن هذا لو طبق على المجتمعات مما يسمى بالقومية العربية؛ لكان هناك في الحقيقة اختلاف كبير الذي عاشه المشارقة ثم عاشه المغاربة، وهناك تاريخ غير مشترك في قضايا كثيرة، فبدأ عند مفكري الإسلام بإعادة بيان الهوية، وقالوا: بأن المكون الحقيقي ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، وأن الهوية هي الهوية الإسلامية.

هذا الكلام فكري يقابله في المفهوم الفقهي مفهوم الدار، ولا شك أن مفهوم الدار هو إحدى مفاهيم الولاء والبراء الذي يُنتج الجهاد وهو إحدى المعارك التي صبت عليها البلاءات العظيمة من أجل إلغائه من مفهوم الأمة وقلب الأمة، الأمة حوربت على مستويين -دائماً أقول هذه الكلمة-:

مستوى داخلي: يتعلق بالمرأة، الحجاب معركة وما زالت هذه المعركة تُخاض إلى يومنا هذا؛ لتدمير الأمة من داخلها عن طريق المرأة، أول فساد بني اسرائيل في النساء، النساء إذا فسدت فسد المجتمع خلاص انتهى الموضوع، فسد النسب، فسدت التربية، فسدت الأمومة، فسد البيت، المرأة هي عماد الكيان الداخلي للأمة، إذا فسدت المرأة؛ فسد هذا العماد، انتهت خلاص الأمة في الداخل تدمرت، ومن هنا ترون الهجوم على الحجاب لإنه يفتت الأمة، يفتت مفهوم القيم والفضيلة.

أنا يعجبني المنفلوطي وأدعوكم إلى قراءة كتابيه «النظرات» و«العبرات» وإن شاء الله سأتكلم عنه كثيرًا في مرات قادمة، لم يتحصل لي أن أتكلم عنه، فعندما يتكلم في «النظرات» وفي «العبرات»، يتكلم عن المرأة كلامًا جميلاً رائعًا أحب أن تقرؤوه.

والآن نجد المعركة الكبرى حول الحجاب، معركة كبرى يخوضها علمانيون زنادقة كبار من المجرمين وتقوم

عليها دول ومؤسسات ويشارك فيها عمائم قذرة، والحديث عن قذارة المشايخ في معركة الحجاب حديث مؤلم، المهم أيها الاخوة الأحبة هذا متعلق وهو جزء من التكوين الداخلي لهوية الفرد المسلم، هذا جزء منه.

المستوى الخارجي: وهو الحصن الثاني الذي حورب في أمتنا وهو حصن الجهاد؛ لأنه حصنٌ يتعامل مع الخارج، المرأة من الداخل والجهاد من الخارج، ما تعلق بمفهوم المرأة، مفاهيم كثيرة تحت قضية المرأة قضايا؛ قضية الحجاب، قضية الزواج، قضية الأحكام الخاصة، قضية الإرث، تحت كلمة معركة المرأة مئات القضايا، بل آلاف القضايا، وتحت قضية الجهاد آلاف القضايا، مِن أعظمها الولاء والبراء، من أنا ومن الآخر؟ وما هي طريقة التعامل معه؟ وكيف أحكم عليه وكيف يحكم علي؟ هذا كله من معالم تكوين عقيدة الجهاد، كلها إذا بادت هذه وذهبت؛ سقط الجهاد، ذروة سنام الإسلام يحتاج إلى عُمد، ذهبت العُمد؛ سقط إلى الحضيض.

إذن نحن الآن تكلمنا كلامًا فكريًا عن مفهوم الهوية، ولكن بالمفهوم السياسي هناك دار حرب، وهناك دار إسلام، طبعًا هناك دار بدعة، وهناك دار ردة، وهناك دار أعراب، لكن أساس القضية هو مفهوم الدار، فلذلك حورب مفهوم الدار، مفهوم دار الإسلام ودار الكفر ودار الحرب حورب وما زال يحارب، ويأتي لنا مشايخ وبعض ما يسمى بأهل الفكر الإسلامي يحاربون هذين المفهومين، ويزعمون زعمًا كاذبًا بأنه مفهومٌ فقهيٌ تاريخي؛ بمعنى أنه ليس مُقدسًا لم ينتجه الكتاب ولا السنة، وهذا باطل، ﴿سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ (١٤٥)﴾ [الأعراف: ١٤٥]، النبي صلى الله عليه وسلم نطق بكلمة الدار، وأرجو أن يراجع كتاب عثمان ضميرية رحمه الله مات قريبًا وهو كتاب «أصول العلاقات الدولية في فقه الإمام محمد بن الحسن الشيباني دراسة فقهية مقارنة»، كتاب فصل في هذا ارجعوا إليه، وغيره ممن رد على مفهوم الدار ردًا رائعًا وبالنص.

وللأسف من أول من حمل تدمير مفهوم الدار هو معروف الدواليبي، أول من هاجم مفهوم دار الإسلام ودار الكفر كمصطلحي يحققان قواعد سياسية كبرى في حياة البشرية هو معروف الدواليبي كما رصد البعض هذا الأمر.

إذن هذا مفهوم يجب أن نعيده، ما هي هويتنا؟ هوية الدار الهوية مسلمة، دار إسلام، بما تتحقق هذه الهوية؟ تتحقق بأن تكون الأحكام الإسلامية غالبة والمسلمون غالبون، هناك بعض الجهلة قرأت لهم ومشايخ وعمائم يزعمون أن هذا مفهوم غير محدد، ما معنى غلبة الشرع؟ إذا كانت كلمة غلبة الشريعة غير مفهومة بمعنى

أن الشريعة هي الحاكمة، أنها هي مصدر تشريع لهذه الأمة في أحكامها السياسية والكلية، إذا لم تكن هذه الكلمة مفهومة فما هو المفهوم؟! أن يكون أهل الإسلام هم الغالبون أي أهل الإسلام الذين يحكمون بالإسلام، ولا يجوز أن يكون هناك مسلم لا يحكم بالإسلام، ولا يجعل الإسلام مرجعيته في أحكامه، في أخذه وعطائه، في حله وحرمته، لا يجوز.

وبالتالي؛ هذه الهوية صنعتها كذلك ما قاله الله عز وجل في سورة في سورة «الأنفال»، وهو قضية ما يسمى بالمفهوم السياسي، في أواخر سورة «الانفال» قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٢]، هذه الولاية السياسية، ما هي بمفهوم الدار؟ وهي قضية الإسلام والهجرة، ثم جعل هناك ولاية إيمانية غير الولاية السياسية، فالولاية تقتضي الولاية الإيمانية مع الهجرة، مع زيادة، الولاية الإيمانية: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنفال: ٧٢]، وأمر الشارع وصار هناك أحكام خاصة؛ لا يجوز أن نقاتل معهم إلا أن يكون بيننا وبين الآخر ميثاق، فرق، الذي لا يهاجر إلينا ليس مُلتزمًا بقوانيننا وقواعدنا السياسية مع الآخر، له قواعده وقوانينه السياسية ومعاهداته السياسية مع الآخر، وطُبق هذا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم في قضية أبي جندل، فإنه صار له جند على ساحل البحر يُقاتل قريش بقوانينه ومعاهداته التي لم تنشأ بينه وبين قريش كما نشأت المعاهدة بين النبي صلى الله عليه وسلم وقريش.

فإذن الأحكام الغالبة والأمة الغالبة هي التي تحدد مفهوم وهوية الدار، هذا وانتهينا من مفهوم هوية الدار وباختصار شديد هذا، ولذلك، لا يُحكم على الدار بأهلها، إنما يُحكم بالأحكام الغالبة فيها، وبمن يغلب فيها، فيمكن أن يكون هناك دار كما شأن الهند حكمها النصارى في وقت الأوقات نصارى الإنجليز فهي دار إنجليزية؛ صارت تابعة للتاج الإنجليزي، كم نصراني موجود في الهند؟ لا تهتم لا بعدد ملايين المسلمين ولا بعدد ملايين الهندوس، ليس لهم الصفة الغالبة، فالدار كانت تابعة سياسيًا للتاج الإنجليزي، والدور اليوم تابعة لما يغلُب عليها من أحكام، وما يغلُب عليها من أديان، من الذي يحكم؟ هذا يحدد مفهوم الهوية بالنسبة للدار، وهذا هو المعنى الذي دندن حوله فكريًا وأدبيًا وإن كان يحتاج إلى تأصيل أصولي سيد قطب في قضية المجتمع المسلم والمجتمع الجاهل.

سيد قطب في هذا الباب إذا أردنا أن نحمل كلامه على المعنى الصحيح؛ فهذا هو المعنى الصحيح، وليس كما يقول مجتمع جاهلي أي ناس جاهليين، المقصود المجتمع بمفهوم الدار، وهذا واضح في كثير من كلام سيد، فلا يجوز أن يحمل على معنى الأفراد؛ لأنه لا يرى نفسه جاهليًا، لو كان يقول بأن المجتمع جاهلي هو لا يحكم على المساجد أنها مساجد ضرار ومساجد جاهلية، لا، إنما العبرة بالأحكام.

القضية الثانية: انتهينا من قضية مفهوم الدار ونأتي إلى قضية الشخص، البناء المكي في القرآن الكريم هو أعظم ما يجلي لنا ما الذي نحتاجه لتكوين المرء المسلم؟ الكلام الآن عن الهوية بالمفهوم السياسي أو المفهوم الديني العام من هو المسلم؟ المسلم في الأساس هو الذي اختار الإسلام وعبر عنه بهذه الكلمة وهي «شهادة أن لا إله إلا الله محمدًا رسول الله»، فعندنا هذا هو المسلم، المسلم هو كل من قال: «لا إله إلا اللهن محمدٌ رسول الله».

الآن تأتي شروط لهذه الكلمة من أهم شروطها: ألا يأتي ناقض لها، لو تراجعون كتب القاديانية ومناقشاتهم لمخالفهم، يقولون من المرتد؟ في الأول عرفوا لنا الإسلام؛ لنعرف من هو المرتد، لأن هناك حديث دار في داخل باكستان حول ردة القاديانيون، فحكمت المحكمة بأنهم مرتدون؛ فصار الحديث وهناك من خالف وقال: أصلاً أنتم حددوا ما هو الإسلام؟ فكان الجواب: الإسلام هو من قال: «لا إله إلا الله ومحمد رسول الله»، قالوا: نحن نقول «لا إله إلا الله ومحمد رسول الله»، طبعًا هذا تجريد خبيث وغير علمي والشارع لا يقبله، معنى «لا إله إلا الله»؛ أن لا أعبد إلا الله، ومن عبادتك لله أن تصدق خبره تصديقًا جازمًا وأن تلتزم بأمره التزامًا تامًا، «ومحمدٌ رسول الله»؛ بمعنى أنني لا أخذ هذا الأمر ما أخبر به وما ألزمني به إلا من طريق النبي صلى الله عليه وسلم، مع ما يلحق هذا المعنى من معاني قالها هذا الرسول عن الله عز وجل كقوله صلى الله عليه وسلم: (**أنا خاتم النبيين**) هذا خبر رباني، فرده هو الرد على الله عز وجل وكفرٌ بالله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾ [الرعد: ٥]، أي هذا خبرٌ إلهي بوجود الآخرة فرد خبر الله هو كفرٌ بالله وهكذا.

فإذن الهوية بالمفهوم العلمي هي: أن يلتزم المرء ظاهرًا وباطنًا عملاً وقولاً: بلا إله إلا الله ومحمدٌ رسول الله، ليس فقط أن يقولها أن يلتزمها، أن نقول ليقول؛ لأنها شهادة بمعنى أني التزم، هذه شهادة لما أقول: أنا أشهد أن

لك عليّ مئة دينار، أي أنا ألتزم بأدائي مئة دينار إليك، التزام، فالشهادة التزام، فلما تقول: «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله»؛ أي أنا ألتزم بهذه الكلمة، وهذه الكلمة فيها أخبارٌ يجب أن تصدقها، وفيها أحكامٌ يجب أن تلتزمها، وفي الأحكام هذه هناك أخبار من الله عز وجل أن هناك من الأحكام ما في هذه الأحكام هي ركنٌ إن تركتها خرجت من الدين، وهناك أحكام أخبر بها هذا الرسول أنها سنة، أو أنها واجب، أو أنها فريضة، أو أنها حرام، أو أنها حلال.

ومن هنا كيف يفسر علماؤنا في رد من يقول لما قال النبي صلى الله عليه وسلم: **(صلوا كما رأيتموني)**، نحن نعلم أن الفعل النبوي المجرد -هذه مسألة فقهية أصولية، ليستمتع طالب العلم فيها- النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(صلوا كما رأيتموني أصلي)**، نحن نعلم أن الفعل النبوي المجرد من القرائن يفيد الاستحباب، الآن قال صلى الله عليه وسلم: **(صلوا)**؛ أمر، إذن ما أمرنا به واجب؛ فتكون حينئذٍ كل صفات الصلاة التي وردت عنه من فعله داخلة في قوله صلى الله عليه وسلم: **(صلوا)**؛ أي على معنى الوجوب، نقول: لا، لا يقول أهل العلم هذا، كيف يخرجون هذه المسألة؟ يخرجونها بقولهم النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(صلوا كما رأيتموني أصلي)**، فنحن نصلي صلاته حيث أمرنا بالوجوب فهو واجبٌ في الصلاة، وحيث كان الأمر دالاً على الاستحباب؛ فصلينا صلاته فيها وهو هذا الفعل من الصلاة الدال على الاستحباب وهكذا.

وكما قال صلى الله عليه وسلم: **(خذوا عني مناسككم)**، تعلمنا من نسكه فرائض، أخذنا عنه هذا الحج التام، وفي هذا الحج أخذنا عنه ما هو واجب، وأخذنا عنه ما هو مستحب، وأخذنا عنه ما هو شرط وركن، فهذه هي طريقة تفسير الحديث وليس كما يُظن أن كل ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم واجب لقوله: **(صلوا)**، لا؛ لأن ما فعله صلى الله عليه وسلم من الأفعال ما دل على استحبابه، فعندما لم يعلم النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة ماذا يقولون بعد التكبير وقبل بداية قراءة الفاتحة، سكت، فلم يسأله إلا أبو هريرة رضي الله عنه، لو كان واجبًا لعلمهم؛ لأنه لا يجوز تأخير البيان، فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يعلمهم حتى سأله أبو هريرة عن ماذا يقول؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: **(كنت أعلم أنه لن يسألني عن هذا الأمر إلا أنت)**؛ فدل على أن دعاء الاستفتاح إنما هو مستحب؛ فإذن قوله صلى الله عليه وسلم: **(صلوا)**، نحن صلينا وأتينا بدعاء الاستحباب على ما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أنه آتاه على معنى الاستحباب؛ فنأتيه على معنى

الاستحباب.

نرجع إلى قضية هوية المسلم، من هو المسلم؟ هو الذي يشهد أن لا إله إلا الله أن يلتزم ويشهد محمدًا رسول الله، وهذا هو الالتزام، الالتزام بما أخبر والتزام بما أمر، هذه هي القضية، أمرنا أن نحبه، أمرنا أن نذكره، أمرنا أن نصلي، أمرنا أن نحج، ولكل أمرٍ هناك مراتب، وأمرنا كذلك ببر الوالدين، أمرنا بإماطة الأذى عن الطريق، نهانا عن الزنا، نهانا عن الكفر والشرك وهذا نهيٌ عظيم، نهانا عن الزنا هذا أمرٌ عظيم أقل عظمة من الذي يليه، نهانا عن النظرة هذه أقل، نهانا عن الغيبة، نهانا عن الكفر باللسان، نهانا وهكذا، فالمسلم هو الذي يلتزم، وهناك مرتبة من مراتب الالتزام ما في هذا بالنسبة للأمر هو أن يقبل الأمر، وأن يأتي بما هو ركن، وأن يأتي بما هو واجب، فإن قصر لا يخرج من الإسلام في الواجب، وهكذا، وإذا خرج من المستحب ترك ما هو فيه فضيلة، لكن لا يدخل في الإثم، ولكنه يقبله، لو أن رجلاً احتقر سنةً منزلتها في الشرع الاستحباب؛ فيكفر، لإنه ردها لم يقبلها، فمرتبة القبول مرتبةٌ واحدة، لكن مرتبة الفعل بحسب الفعل ومقامه في الشرع.

وهذا كلام عام ليدل على الأحكام بمعنى أن لما نقول: الهوية؛ نتحدث عن أحكام واضحة تتعلق بها ما يسمى عند علمائنا بالأسماء والأحكام، أسماء؛ هذا مسلم، هذا كافر، هذا فاسق، الفاسق عند أهل السنة هو من أهل الإسلام، لكنه كذا وكذا، الفاسق الملي، ولا نقول كما تقول الخوارج، لا نقول كما تقول المرجئة، لا نقول كما تقول المعتزلة، وكلها مذاهب ليس هذا وقت الخوض فيها وأظن إني تكلمت عنها في شرح لمسمى الإيمان بتفصيل إن شاء الله كان كافٍ.

الآن هذا يتعلق في البناء العقائدي في البناء التصوري بالنسبة للمسلم؛ حتى يستطيع أن يعرف من هو المسلم ومن هو غير مسلم، أي من الذي يحمل الهوية الإسلامية ومن لا يحمل الهوية الإسلامية.

الآن هذا اليهودي والنصراني الذمي في دار الإسلام وليس بمسلم شخصيًا لا يحمل اسم الإسلام، ولكنه داخلٌ في الدولة الإسلامية فهذا له أحكامه، يسميهم العلماء أهل الذمة على الجملة، والمعاهدين إذا عاهدناهم وكذا إذا دخلوا وعقدوا عقدًا جزئيًا أو عقدًا تامًا كما يسمى أهل الذمة، ولكن نتحدث عن الهوية الإسلامية التي تجمع الأمرين، الهوية العامة التي تتعلق بالأمة وبالدولة وبالدار، والهوية الخاصة التي تتعلق بالشخص.

بقيت مسألة مهمة في هذا الباب وهي: قضية بناء المسلم لتتحقق منه الهوية عملاً، هذه قضية قرآنية مهمة

جدًا، وكيف نحقق المسلم في بنيانه النفسي وبنيانه العقدي وبنيانه السلوكي؟ الطريقة هي: طريقة القرآن، أهم هذا المسالك هو القرآن، كيف؟ هذه شرحها الشاطبي في «الموافقات» -وأنا أدعو طلبة العلم أن يقرؤوا ما كتبه الشاطبي في «الموافقات» ولكن سأشرحه الآن بحسب ما يتيسر، وما يحضر في الذهن-.

ما الذي بناه القرآن المكي؟ يعظم الشاطبي ويحق له وهو الصواب: بأن القرآن المكي له تعظيمٌ أعظم وأكبر من الذي بُني عليه بعد ذلك في القرآن المدني، القواعد القوية الصلبة المهمة التي تحقق الهوية سلوكًا واعتقادًا وتصورًا وبناءً ونفسيًا هي القواعد القرآنية المكية، وهذه قال عنها الشاطبي: «لا تنسخ»، لم يثبت أن الأحكام والقواعد التي جاء بها القرآن المكي قد نُسخت، أولاً بناء التوحيد، وأنا ابتعدت عن كلمة العقيدة هو بناء التوحيد، وبناء التوحيد هو هذا الذي امتلأ في القرآن في تعظيم الله عز وجل، ووجوب توحيده، ووجوب امتثال أمره، ووجوب الخضوع له، ووجوب الكفر بما يشرك معه، أن نكفر، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، هذا هو الأساس.

أولاً: هو بناء القلب وعقد القلب مع الله عز وجل محبةً وخوفًا ورجاءً وإخباتًا، أن يُبنى هذا في سلوك المرء أنه عبدٌ لله، وهذه عبوديةٌ مسلكها أولاً: أن تغزو قلب العبد؛ لأن القلب كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: **(أَلَا وإنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ)**، فجاء القرآن المكي بهذا البناء وذلك في تعظيم آيات الله، كيف يُعظم الله؟ تُعظم أفعاله، هذه السماوات، هذه الأرض، هذا العطاء؛ ليحب، تُذكر مكارم الرب، ويذكر جوده على الخلق، ومن أجل أن يُخاف؛ تذكر قصص الأمم السابقة التي عتت كيف فعل بها ربنا عز وجل، وذكر الآخرة والنار، ويذكر الرجاء، وانظر هذه الآية العجيبة من سورة «الأنعام»، وسورة «الأنعام» مكية، قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥٤)﴾ [الأنعام: ٥٤].

فالقرآن بنى البناء مع الله عز وجل أولاً، أعلمنا من هو الله عز وجل، أعلمنا ما يفعل مع المؤمنين، ما يفعل مع العصاة، أعلمنا ما فعل مع الأمم السابقة، هذه صنعت في قلب العبد المعاني الإيمانية في حقيقة ارتباط القلب مع الله عز وجل، هذا البناء الأول، يجب أن يبنى الإنسان هذا البناء أولاً، وأي بناءٍ آخر من غير هذه الطريقة يقع فيه الخلل.

ثانيًا: الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، وخاصةً فيما يتعلق في مسالك الخلق، أنت انظر –هناك كلمة– أن الأحكام جاءت في الفترة المدنية، الكلام عن الأخلاق، الأخلاق جاء في الفترة المكية ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، هذه سورة «الإسراء» مكية، الكلام عن الأخلاق، الكلام عن عدم الزنا، ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (٣٢)﴾ [الإسراء: ٣٢]، هذا أين؟ في مكة، حديث عدم إنقاص الميزان هذا في مكة، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، هذه سورة «الأنعام» مكية.

فبناء خلق هذه مهمة عظيمة جدًا، وأمر مهم جدًا أن يُبنى الخلق، وما نراه من الفُصام بين التدين وبين الخلق هذه جريمةٌ كبرى، انتشار الكذب، انتشار الغيبة، انتشار السرقة، عدم معرفة قيمة المؤمن، البطش، هذا القتال بين المسلمين، والدماء التي تسال، كله مبني على عدم البناء القرآني لقواعد الإنسان في أصل تدينه وتوحيده، ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾ [الفرقان: ٦٣]، هذه سورة «الفرقان» مكية؛ فالبناء الخلقي مهمةٌ عظيمةٌ جدًا، ولا يقولن أحد: أن هذه شيءٌ تالي، لا، هذه قبل أي شيءٍ آخر، بناء العبادة كما يطرحها القرآن ليس كما تطرح عند المتكلمين، والتوحيد كما يُطرح في القرآن ليس كما يُطرح عند المتكلمين، وكذلك بناء الأخلاق، الأخلاق بالنسبة للرجل وزوجته، الأب وابنه، الأخ وأخيه، الإنسان في شرائه وبيعه، الأخلاق، فهذا البناء وهذه الهوية.، ثم بعد ذلك تأتي قضية التميز.

وقضية التميز احتاجت ثمنًا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، فإنه كان يقارب الناس، فلما وقع الفصل؛ وقع التميز، من هنا صارت من هوية المسلم؛ اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، هوية المسلم في توحيده، في عبادته لربه، في ليله، في نهاره، في ذكره، قال الرجل: يا رسول الله قد كثرت علي شرائع الإسلام فدلني على عملٍ اتشبث به، قال صلى الله عليه وسلم: **(لا يزال لسانك رطبًا بذكر الله)**، هذا سلوك التعبد، المسلم يتميز في بيعه في شرائه في عطائه في منعه في أدبه في كلامه، أنت إذا فتحت كتابًا أو قرأت كلامًا علمت أن هذا لا يقوله إلا مسلم، هذا كلام أدب، وهذا كلام لا يمكن أن يقوله من التزم بالإسلام، **(إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ)**، «لغير هذا الكلام كنا أحوج، أن تأمره بحسن الطلب وتأمرني بحسن الأداء»، فكان يراقبهم في أدق مسالك ألفاظهم وسلوكهم وأعمالهم.

القضية الثالثة: هي ما قلته وهي قضية مخالفة أصحاب الجحيم في مظهرهم وسلوكهم في الصغير والكبير فصار من أركان سلوك المرء أن ينظر ما يفعله الشيطان، ما تفعله الدواب، ما يفعله المشركون ويخالفهم، ولا أستطيع إن أزيد عن ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب «اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم»، فهو أعظم كتابٍ في هذا الباب، تحدث عن مخالفة أصحاب الجحيم، كمخالفة الشيطان، الشيطان يشرب بيساره، أتعجب كيف لمسلم متدين وصلى معك الآن وهو يشرب بيساره؟!! تعجب لمسلم تراه متدين وهو ينظر إلى النساء! تعجب لمسلم صلى قبل قليل وخرج من المسجد وهو يغتاب فلان وعلان!! خالف قواعد القرآن.

فإذن المظهر هذا والسلوك؛ بأن يكون لباسه، أن تكون لحيته، أن يكون شاربه، كيف يأكل، وكيف يجلس، كيف يتحدث، هذه أعمالٌ ظاهرة، ولا يقولن أحد: هذه من القشور، هذه مظهر دينك؛ ولذلك في الحديث: **(من شهد أن لا إله إلا الله واستقبل قبلتنا وصلى صلاتنا وأكل ذبيحتنا فهو المسلم)**، ذكر شعائر، لم يكفي أن يقول الشهادتين، بل ذكر شعائر، ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ (١١٨) وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٨-١١٩]، عاب عليهم أن يتركوا شعيرةً من شعائر الإيمان، ثم أمرهم أن يتركوا أمرًا هو من شعائر الإيمان، ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام: ١٢١]، أولاً أمرهم أن يأكلوا ما ذكر اسم الله عليه وأن لا يتورعوا، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٧]؛ لأن هذا مخرجٌ من مخارج الخروج عن السنة وهذا مخرج، مخرج الترك؛ خروجٌ عن السنة، ومخرج الفعل؛ خروجٌ عن السنة، فعل ما لم تأتي به السنة؛ خروجٌ عنها، وترك ما أتت به السنة؛ خروجٌ عن السنة، **(من رغب عن سنتي فليس مني)**، فهذا الذي يعد، هذه هي الهوية المسلمة، هذه هوية المسلم.

وأما هوية المنافق فهو ظاهرًا معنا وفي الباطن منافق؛ ولذلك يوم القيامة عندما يكشف الرب عن ساقه يسجد كل أحدٍ إلا المنافقون، المنافقون لا يسجدون، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ (١٣) يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ

وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (١٤) فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٥)﴾ [الحديد: ١٣-١٥]، فالمنافقون في سلكوهم، في أخذهم، في عطاءهم، قال صلى الله عليه وسلم: (**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وإِذَا وعَدَ أَخْلَفَ، وإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**)، وقال صلى الله عليه وسلم: (**أَرْبَعٌ مَن كُنَّ فيه كانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، ومَن كَانَتْ فيه خَصْلَةٌ منهنَّ كَانَتْ فيه خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ**)، هذا خروج وطعن، فسق، هذا خروج عن مفهوم هويتك المسلمة.

فهناك مظاهر الصلاة في المسجد، حيث ينادى بهن قال: ابن عباس رضي الله عنهما إنها من سنن الهدى، علامة تعلم المسلم، ولذلك كانوا يرون أعظم صلاتين على المنافق؛ صلاة الفجر والعشاء؛ هذه هوية، تكلمنا عن الأحكام الآن نتكلم عن السلوك، نتكلم عن حقيقة الهوية في باطنه، في عمله، أرجو أن أكون قد أوصلت شيئًا من هذه القضية الكبيرة الخطيرة التي فيها الكلام عن هوية الإسلام؛ الكلام عن الإسلام كله، انظر «تبسمك في وجه أخيك صدقة»، هذه هوية.

فأنت لما ترى رجلٌ يصلي بجانبك وقد طالت أظافره! هب أنك رأيته في السوق، الأظافر الطويلة تعبر أنه لم يلتزم بالشرع، يعني تشك فيه، قد يكون نصرانيًا وقد يكون مسلمًا، والآن أنت كيف تفرق في البلد التي فيها النصارى والمسلمين؟ إلا بلحية وإلا بلباس، وأنت لما تمشي بالشارع كيف تفرق بين المرأة المسلمة والكافرة؟ هذه بحجابها وهذه بسفورها، هوية هذه.

بارك الله فيكم وجزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

٤٣٣- هل هناك فرق بين الفعل والفاعل في الشرك؟

ضمن الجلسة الخامسة والثلاثون، بتاريخ: (**٧/٠٨/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٢٣/٠٤/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل يقول: هل هناك فرق بين الفعل والفاعل في الشرك الأكبر، وكيف نوفق بينه وبين قول الأسماء والأحكام يفترقان قبل قيام الحجة؟ أي هل الذي يقع في الشرك نقول له: مشرك اسمًا؟ أم لا يقال له لوجود مانع من الموانع المعتبرة؟ وهل المانع إذا وجد يكون قبل أن يسمى مشركًا أم قبل قيام الحجة التي توجب الحكم؟ وما قولكم في الإسلاميين المتلبسين بالشرك؟ هل يقال عنهم مشركين ولو اسمًا أم نعذرهم قبل كل شيء؟

جواب الشيخ: إخواني الأحبة أرجو منكم أولاً: وأنا أعرف أن هذا الطلب شاق على البعض لأنه ربما بنى هذه القضية على جهةٍ معينة وعلى مصدرٍ علميٍ ما، ولذلك أنا أدعو الجميع إلى عدم قراءة المنتجات المعاصرة في هذه المسألة، وحتى لو كانت قريبة العهد التي بنيت على كلام أهل العلم.

الكلام منذ أن كتب أئمة الدعوة النجدية عندما حاوروا وناقشوا وجادلوا مخالفيهم؛ استندوا على ما يقوله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، والقليل منه منتجٌ ذاتي، إنما كانوا يعتمدون ويتناقشون ويدورون في فلك مقررات شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في هذه المسألة، ويحملونها على معاني خاصة عندهم، مصيبة أو مخطئة، ثم بعد ذلك نشأت هذه المسألة وهي مسألة العذر بالجهل -وهذه المسألة كلها تدور حول مسألة العذر بالجهل-.

ثم نشأ أناس كذلك يقتفون ما يقوله أئمة الدعوة النجدية؛ فصار ما يقولونه فرعًا للفرع، أي أئمة الدعوة النجدية بنوا كلامهم على ما يقوله ابن تيمية رحمه الله، والكثير من المعاصرين إن لم يكن كلهم بنوا على ما يقوله أئمة الدعوة النجدية؛ فصار ما يقوله المعاصرون فرعًا على فرع.

وبلا شك أن الذين تكلموا من المعاصرين الكثير منهم وقع في الاجتزاء، ووقع في الاختيار غير المصيب؛ بمعنى أنهم يؤولون ويقيسون، وقال الإمام أحمد رحمه الله: «إن أغلب فساد الناس إن لم يكن فساد كل الناس إنما

يكون في القياس والتأويل».

والقياس: هو ظن مشابهة الفرع للأصل مع وجود الفوارق، أو وجود النص الذي ينقض هذا القياس.

والتأويل هو: حمل الكلام على غير محمله الصحيح.

فالقياس عند غياب الدليل، والتأويل عند وجوده، ولكن يؤول على غير وجهه؛ فهذا استغراق لكل أخطاء الناس، إما أن يكون عنده الدليل فيخطئ فهمه، وإما أن يغيب الدليل فيقيس ويقع في الخطأ، هذه المسألة ينبغي على طالب العلم إذا لم ترد أن تقرأ لآخرين وأن تستفد بما يقوله الآخرون المطلوب منك أيها الأخ الحبيب: أن تعود إلى كلام ابن تيمية، ما دام أننا نرى هذه الظاهرة في هذا العصر وهي أن ما يقوله المتكلمون في هذه المسألة شيءٌ لا ينتهي، وتكلم وقال شيئًا من هذا الكلام عبد الرحمن المعلمي عند كلامه عن قضية العذر بالجهل، عند قضية العبادة، وقد اخطأوا فيها أخطاءً فاحشة المتكلمون والكثير منهم لا يعتمد على النصوص وإنما يبني على قواعد منطقية لديه، وهذا السؤال يشترك فيه هذا المعنى، هذا اللفظ، في قضية الاسم والمسمى وما يتحقق فيه.

فالكثير مما يتكلم به المعاصرون –ولا أريد أن أذكر أسماء من المعاصرين– إنما يبنونه على مقدمات منطقية جاهلة، فما دام أن القاسم المشترك لهذه المسألة هم السلف، ونحن نعلم ليس هذا من قبيل التعظيم غير المصيب، بل التعظيم المصيب، وهو أن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه هو أعظم من جلى مثل هذه المسائل وبحثها، والناس رتبوا على كلامه الكثير من المعاني وكذلك الأبنية.

أعود –أسف أنا قلت جملة لم أتمها على عادتي كما يشكو الكثير من الإخوة– أقول: بأن الذي يريد أن يعرف هذه المسألة معرفةً تامة وجيدة وكافية عليه أن يجمع كل ما قاله ابن تيمية رحمه الله، ولا يجوز له أن يقتصر على كلمة دون كلمة، وأن يعرف كيف بنى ابن تيمية رحمه الله هذه المسألة كيف؟

مثلاً: شيخ الإسلام رحمه الله يقرر في أكثر من موطن وأكثر ما بحثها في الكيلانية أظن في المجلد الثامن عشر أو الثاني عشر –نسيت الآن–، وفي مواطن متعددة قال: إن مسألة العذر بالجهل مبنية على مسألة الإعذار، ومسألة الإعذار كما نحن نعلم مبنيةٌ على مسألة لحوق الوعيد، فهي مسألة مقررة، فلحوق الاسم هو

لحقوق الوعيد، لحوق الحكم هو لحوق الوعيد، الاسم هو الحكم؛ عندما نسمي شيئًا ما فنحن نلحقه بحكم شرعي، وهذا قد يقع فيه الافتراق، قد يقع أي أن نسمي الرجل مؤمنًا وفي حقيقته هو منافق وهذه مسألةٌ أخرى، فلحوق الوعيد مترتب على إلحاق هذا الشخص أو هذه الجماعة باسمٍ ما أو بحكمٍ ما؛ فإذن هي مسألة مقررة، وهذه بعض طلبة العلم اكتشفها جزاه الله خيرًا ونبه عليها ولكن الكثيرين لم يأتوا لها، الكثير ممن تكلم في مسألة العذر بالجهل لم يأتي إلى هذه الكلمة في بحثه، ويأتون إلى ما يقوله المتأخرون، وخاصةً ما يقوله مشايخ الدعوة النجدية وفيهم للأسف فيهم من شط حتى وصل إلى أن يقول كلام المعتزلة؛ في أن الاحكام تقوم أصلاً بمقررات العقل، مع أن القرآن يقرر ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا (١٥)﴾ [الإسراء: ١٥].

وانظر إلى هذه الآية الربانية ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا (١٥)﴾، هذه يدخل فيها الأصول ويدخل فيها الفروع، يدخل فيها أصل الإسلام والنبوة، ويدخل فيها فروعه، أي الله عز وجل لا يعذب على عملٍ من الأعمال حتى يأتي الرسول، إما الرسول بشخصه إذا كان حاضرًا حيًا والآن لا يوجد رسل، وإما أن يأتي خبره؛ كما قال الله عز وجل: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، المقصود إلى حكمه.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا (١٥)﴾، فلا يجوز لنا أن نلحق حُكمًا بأحد حتى نعلم حقيقته وما يتبيّن لنا من حكم الرسول عليه ووصول أمر الرسول إليه أم لا، الذي لم يصل إليه الرسول فيلحق بحكم من كان في اتباعه ومن كان على منواله، ومن جاءه الرسول فاتبع ما جاءه من الرسول فيلحق بالرسول؛ لأنه اتبعه على ما بلغه من خبره وما بلغه من أمره، ونحن نعلم أن لحوق الوعيد عند أهل السنة ليس مطلقًا، كما تقوله الخوارج وكما يقول به المعتزلة والكثير من المتكلمين؛ يلحقون الوعيد على كل من تخلف عن الفعل، سواء بلغه أو لم يبلغه، وهذا خطأ، ونحن نعرفه أنه خطأ، بل إنه ربما لا يلحقه الوعيد مع علمه به.

وقد ذكر شيخ الإسلام رحمه الله في منهاج السنة النبوية عشرة موانع للحوق الوعيد؛ منها ما هو من رحمة الله، لا يلحقه الوعيد من رحمة الله به ومن الشفاعة ووجود الحسنات والجهل وعدم العلم به والاستغفار و... إلخ، فإذن هذه نقطةٌ أولى يجب أن يفهمها طالب العلم، تريد أن تخالف، أن تناقش، كذا، لكن افهمها وارجع إلى كلام شيخ الإسلام فيها؛ لأن البعض لا يريد أن يلحقك بكلام أهل العلم، يريد أن ينشئك إنشاءً بحسب تركيبه الأصولي الجاهل.

ومن ذلك مثلاً: أنهم يتكلمون عن العموم دون فهمهم لمعنى العموم، ويظنون أن العموم يدخل في الأشخاص كما يدخل في المعاني، فيقول: وهذا عامٌ في كل أحد! لا، هذا عامٌ في كل حالة وفي كل فعل، ولكن ليس عام في كل أحد، وهذه نقطة ثانية من نقاط شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في موضوع الإعذار بالجهل، مبنيةٌ هذه المسألة عند ابن تيمية على هذين المقررين:

المقرر الأول: لحوق الوعيد، ونحن لا نرى إطلاقه والأدلة ثابتةٌ في هذا الباب.

والمقرر الثاني: بأن العموم القرآني والسني لا يلحق الأشخاص كما يلحق المعاني، وفي هذا يخطئ الناس أخطاء كبيرة ويتفرعون، وكل من تجاوز الحد فيها تعمقًا وتشددًا لحق بالمعتزلة والخوارج، وكفّر من لم يكفره الشارع، ولم يعذر من أعذره الشارع.

مثال ذلك: مما تنشأ الأدلة عندما يكون هناك تقوى ودين؛ تنشأ أدلة نفسية متضاربة، ذكر شيخ الإسلام عليه رحمة الله في تفريعه لهذه المسألة مسألة لحوق الوعيد بموانع نفسية، كما ينشأ في نفس الفقيه من الموانع؛ فقال: «بأن من موانع إلحاق المسلم الذي يأتي بعملٍ مُكفر هو معرفة المرء بحال الفاعل، وأن له من الديانة ما تمنعه أن يفعل كفرًا»؛ فيعذره، فانظر كيف نشأ دليلٌ يتعلق بالنص ودليل يتعلق بواقع الفاعل؟ تضاربا فنشأت هناك الحيرة فارتفع الحكم؛ لأن هذا حكمٌ يقيني لا يجوز لأحد أن يحكم على أحد بالكفر حتى يتيقن من كفره، فبمجرد وجود الاحتمال يجب أن يلحقه بالأصل وهو الإسلام، فكل من تجاوز هذا الحد دخل أما في الاعتزال أو في الخارجية، وكل من فرط تفريطًا تامًا فلحق بالإرجاء، والصواب: هو هذه طريقة أهل السنة.

الآن هذا القسم من أين أتوا به؟ هذا الذي قاله بعض مشايخ الدعوة النجدية من أين أتوا به؟ أعطوني عالِمًا سابقًا قد أتى بهذا المقرر الذي الآن صار للأسف يتداول في بعض كتب أهل العلم: في أن الرجل يلحقه اسم الشرك ولا يلحقه وعيد الشرك، هذه مناقضة لقاعدة الوعيد.

أعيدها: هذه الآن صارت مقررة كما السائل أتى عليها، هل يمكن أن نقول عن رجل مشرك ولا يلحقه وعيد المشركين؟ هذه بدعةٌ ضالة لم يقل بها السلف، نعوذ بالله، إذا حكمنا على رجلٍ بأنه مشرك؛ علينا أن نلحق له وعيد المشركين، لكن إذا كان الرجل مسلمًا وقد ثبت له اسم الإسلام وحكم الإسلام؛ ففي فروع ما يأتي من معاصي يلحقه الاسم ولا يلحقه الوعيد، لكن المسألة الأولى لا وجود لها البتة، الرجل يزني، ولكن هل

يعذب يوم القيامة على الزنا؟ في الدنيا هذا زانٍ، إذا علمنا نقول: هذا الزنا، لكن أن يلحقه الاسم مطلقًا؟ لا، أن يلحقه الوعيد جزمًا؟ لا، مع ثبوت أنه زنا، فهذه بدعةٌ منكرة وهو تسمية الرجل بالكفر الذي يخرجه من الملة، الكفر الأكبر، وتسمية الرجل بالشرك الأكبر، ثم عدم إلحاق الوعيد له! هذه بدعة منكرة.

ومن هنا تجد وجود هذه المسألة جرأت البعض على الحكم على الآخرين بالكفر، يقول لك: أنا مرتاح، هو كافر في الدنيا والله يتولاه يوم الآخرة، هذه من المسائل التي شرحها البعض خطأً منه في قضية تسمية الطوائف الردة؛ بأن كل من فيها مرتد هذا في الدنيا، أما في الآخرة قد يكون فيها المسلمون، وهذه بدعةٌ من بدع الضلال، بل من أركان بدع الضلال؛ لما يترتب عليها من فروعٍ خطيرة في دين الله عز وجل.

وإذا قررت هذه القواعد ونظرنا إلى ما تكلمنا به؛ فإننا نرى أن السلف وأن النصوص دالةٌ على عدم لحوق الوعيد لمن يفعل، لأسباب؛ ومنها الجهل، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا (١٥)﴾ [الإسراء: ١٥]، وقال تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى﴾ [النساء: ١١٥]، ودعك من الكلام الذي يقوله البعض تبيُّن الهدى مجرد قراءته عليه فهمه أو لم يفهمه، وحمل معنى الفهم على معنى غريب، فمن ضلالهم ودخولهم في مذهب الاعتزال والخارجية لو أن عربيًا قرأ القرآن على مسلم مثلاً بالعربي فقد بلغه وجعل عدم فهمه العربية عقوبة إلهية؛ لأنه يستحق أن لا يفهم!

أي لو تصورنا أن رجلاً إعمالاً للآية ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا (١٥)﴾، لو أن رجلاً مشركًا لم يبلغه، أنا لا أتكلم عمن بلغه الإسلام فأسلم، نتكلم عن رجلٍ لم يبلغه الإسلام فهذا يلحق بأمثاله فيمن سماهم الله عز وجل، إما يهودي أو نصراني وإما مشرك فيمن سماهم الله عز وجل، وهؤلاء يوم القيامة يحاكمون، على الصواب أنهم يفتنون يوم القيامة في حديثٍ صحيح، صححه جماعة من أهل العلم منهم ابن حزم ومنهم ابن تيمية وابن القيم وغيرهم، فزعموا أنه لو جاءه فقرأ عليه القرآن؛ فقد بلغته الرسالة، وينسى قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤]، ليبيّن، فالإبانة عما هو الشيء عليه حين يكون بلاغًا دينيًا؛ لا يكون إلا بأن تبيّن له، أي أن يفهم عليك، وزعموا أن هذا الكافر منعه الله عز وجل من أن يفهم عقوبةً له؛ لأنه لا يستحق ولأنه من أهل النار، بهذه الغِلظة في القلوب يقولون هذا ويفسرون كلام ربنا سبحانه وتعالى، هذه غِلظة قلوب، وجهل عن الله عز وجل، وظاهريةٌ مقيتةٌ لا يمكن أن يقول بها عاقل يجمع

بين المتماثلات ويفرق بين المتفرقات.

وهذه تكلمت عنها كثيرًا، ولكن هذا شيءٌ آخر ربما يفيد طالب العلم؛ أن يرجع إلى كلام العلماء في الإعذار، النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**لَقَدْ تَابَ تَوْبَةً لو قُسِمَتْ بيْنَ أُمَّةٍ لَوَسِعَتْهُمْ**)، «الاستغفار يذهب»، والقرآن يقرر: ﴿**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا (١٥)**﴾ [الإسراء: ١٥]، ﴿**مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [النساء: ١١٥]، ﴿**إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ (٢٥)**﴾ [محمد: ٢٥]، تبيّن، هذه شروطٌ قرآنية، فلذلك أنا أرجو أن تكون هذه الكلمات مع ما فيها من تضييق وفيها من اختصار؛ لكنها كافية لطالب العلم أن يعود إلى كلام شيخ الإسلام رحمه الله فيراها ويطبقها تطبيقًا صحيحًا، والذين نراهم من المعاصرين ومن كان من سلفهم من القريبين يطبقون مبادئ الاعتزال ومبادئ الخارجية في الأحكام على الناس على المسلمين بحجج عجيبة جدًا لا يقول بها القرآن ولا تقول بها السنة.

بارك الله فيكم وجزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

٤٣٤- حكم قيام ليلة النصف من شعبان

ضمن الجلسة الخامسة والثلاثون، بتاريخ: (**٧/٠٨/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٢٣/٠٤/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل: هل يُستحب قيام ليلة النصف من شعبان؟ وقد أثبت فضلها بعض السلف، ومن ذلك قول ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم»، وقد رُويَ في فضلها أي ليلة النصف من شعبان من الأحاديث المرفوعة والآثار ما يقتضي أنها ليلة مفضلة؟

جواب الشيخ: أولاً: أنا أذكر المسلمين عمومًا بفضل صيام هذا الشهر؛ فإنه شهرٌ يغفل عنه الكثير من الناس كما في الحديث، وكما في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يصم شهرًا كاملاً سوى رمضان إلا شعبان، وهذا محمول على الأغلبية كما تعلمون، أي أغلب شهر شعبان كان رسول الله يصومه، ولو صامه المرء كله؛ لكان مُحسنًا ومصيبًا ولا شيء عليه فإنه يدخل في الأغلبية.

الأمر الثاني: وهو بالنسبة لهذا الشهر أنه يجوز للمرء أن يصوم بعد نصفه، وأما حديث «إذا دخل النصف من شعبان فلا تصوم» فهو خطأ، هذا الحديث أخطأ فيه الراوي، والصواب: (**لا تُقدِّموا رمضانَ بصوم يومٍ ولا يومينِ إلا أن يُوافقَ ذلك صومًا كان يصومُهُ أحدكم)**، وأحد الرواة فهمه خطأً فأعمل فيه هذا الإعمال، فالمنهي عنه هو أن يسبق رمضان بيوم أو يومين إلا أن يكون صيام أحدكم، فلو صام بعد نصف من شعبان حتى لو تعمد ذلك ولم يكن من صيامه لا بأس بذلك، إلا أن يسبق رمضان، والحديث في يوم الشك معروف في كلام أهل الفقه وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما «من صام يوم الشك فقد عصا أبا القاسم».

بقي الحديث عن ليلة النصف من شعبان: لم يرد قط حديثٌ صحيح ولا حسن في فضل قيامها، أي أن يُخصها المرء بقيام، المرء الذي يقوم ليله هذا ليس عليه كلام ولا فيه مطعن ولا فيه مراجعة، ذلك لأن المرء عليه أن يقوم كل ليلة، وإنما هنا الكلام عن التخصيص، هل ورد في فضل قيامها شيء؟ أما ما قاله ابن تيمية رحمه الله فهو ترجيح لحديث أن ليلة النصف من شعبان «ينزل ربنا ليلة النصف من شعبان فيغفر لكل أحد إلا مشرك أو مشاحن»، فهذا حديث يصححه كما نرى ابن تيمية رحمه الله، وكثير من أهل العلم يصححونه أو

يحسنونه فهو حديث يخبر عن فضل هذه الليلة، وأن ليلة النصف من شعبان ينزل ربنا فيغفر لكل أحد من أهل الإسلام، ولا يغفر لمشرك ولا لمشاحن، مشاحن أي بينه وبين أخيه شحنةٌ من الخصومة والغضب والقطيعة، فهو فضلٍ إلهي لا تعلق له بقيامه.

وهذا الفرق بين هذا الحديث والفرق بين حديث نزول ربنا الثلث الأخير من الليل، أن نزول ربنا جل في علاه في الثلث الأخير من الليل له تعلقٌ بفعل العبد؛ فمطلوب منه أن يقوم بشيءٍ يرتبط بهذا النزول، وهو قوله صلى الله عليه وسلم: (**يَنْزِلُ رَبُّنا تَبارَكَ وتَعالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إلى السَّماءِ الدُّنْيا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، يقولُ: مَن يَدْعُونِي، فأسْتَجِيبَ له؟ مَن يَسْأَلُنِي فأُعْطِيَهُ؟ مَن يَستَغْفِرُنِي فأغْفِرَ له؟**) فإذن هنا في هذا النزول في الثلث الأخير من الليل فيه دعوة لعملٍ يتعلق بهذا الفضل، وهو أن يقوم المرء فيستغفر ويدعو الله عز وجل ويصلي، لكن في حديث ليلة النصف من شعبان ليس فيه هذا التعلق، وإنما فيه أمرٌ يتعلق برحمة الله عمومًا لمن يقوم ولمن لا يقوم، وأما الذي يقوم فليس له فضلٌ في إصابة ليلة النصف من شعبان، له فضل القيام مطلقًا ككل ليلة، هذا لا ينكر، ولو قامها المرء بحسب سنته في القيام كأن يكون من قوام الليل في كل ليلة؛ فله فضل القيام.

لكن ما هو الفضل الخاص الذي يصيبه إذا قام هذه الليلة؟ لا يوجد في الحديث ما يدل عليه، فإذن هو أراد أن يخصص شيئًا لا فضيلة لخصوصه، أن يخصص فعلاً وهو العبادة في ليلة النصف من شعبان ولا فضيلة لهذا الخصوص، وهذا يدخل في باب البدعة؛ وهو أن يعظم المرء ما لم يعظمه الشرع، في عمل لم يأمر به الشارع، فأن يقول: أحد أريد أن أقوم ليلة النصف من شعبان على أي معنى من ليالي السنة؟ نقول له: لا بأس هذا من حقك، وهذا من الأمور الطيبة والتي شرعها الشارع، ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧)﴾ [الذاريات: ١٧]، مع أن هذه الآية اختلف أهل العلم فيها، كما ذكر محمد بن نصر المروزي في «قيام الليل» أو «مختصر قيام الليل»، وأنا لم أطلع على «قيام الليل»، ولا أدري طبع أم لا، إنما الذي اختصره المقريزي «مختصر قيام الليل» بالطبعة الحجرية القديمة في الهند.

فبعض أهل العلم يرى أن قوله تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧)﴾، المقصود به سنة المغرب القبلية وسنة المغرب البعدية لأنها من الليل، واحتج بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾

[البقرة: ١٨٧]، مع الخلاف فيها هذا يعد من قيام الليل حتى ركعتين ما بعد العشاء من قيام الليل، وأما التهجد فالصواب فيه مع الخلاف ولكن الأقرب: أنه يكون بعد النوم أي أن ينام المرء ويقوم، وأما أن يقوم المرء في الليل فما يصليه بعد المغرب من قيام الليل؛ لأنه من الليل، ما يصليه بعد العشاء هو من قيام الليل؛ لأنه من الليل.

نرجع إلى ما نحن فيه لنبيّن ما هو الفرق؟ ما هو الخلاف؟ فالناس يختلفون، ومن العلم أن يذكر الخلاف، لكن العلم كذلك أن يقع الترجيح بمعنى مرجح من المعاني، نعود إلى ما كنا فيه: العلماء اختلفوا في قيام ليلة النصف من شعبان، هناك من سماها بدعة، أن يخص المرء ليلة النصف من شعبان بقيام؛ أنها بدعة، وهناك من جعل لها فضيلة في قضية القيام، والمرجع هو هذا الحديث الذي ذكرناه، «أن ليلة النصف من شعبان ينزل ربنا فيغفر لكل أحد».

فنعيد ما قلناه من غير زيادة: في أن الشارع لم يدعونا إلى فعلٍ ليقع الفضل الخاص بهذا الفعل، وإنما هو فضلٌ عام يغفر لكل أحد قائم أو غير قائم، الفضل الخاص لليلة النصف من شعبان لا يصيب عملاً خاصًا بها، ولذلك القول: بأن اختصاص ليلة النصف من شعبان بقيام؛ هذا قولٌ يخالف قواعد أهل العلم ويخالف ما عليه النص، كيف يخالفه؟ قد يقول أحدهم: أين المخالفة؟ المخالف لقوله صلى الله عليه وسلم: **(من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)**، من أحدث أي عمل؛ فإذن الترك في هذا الباب هو الدين، والفعل هو المخالف للدين.

ومن هنا أنبه على رسالة عبد الله بن الصديق الغماري في قضية الترك حين جعل الترك ليس دليلاً مطلقًا هكذا، ترك النبي صلى الله عليه وسلم ليس دليلاً على أن الفعل بدعة بهذا الأطلاق، هذا قولٌ مردود، فقوله صلى الله عليه وسلم: **(من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)**، وكل أهل العلم يرون هناك ثمة بدعة، ما هي البدعة؟ هي فعل، هناك بدعة تركية، ولكن هنا أحدث فعل؛ فدل على أن هناك ثمة فعل لما تقرر تركه من النبي صلى الله عليه وسلم؛ أن هذا الفعل بدعة، على وجهٍ من الوجوه، ولا أريد الآن أتكلم في قضية خلافهم في هذا الموضوع وتقسيم البدعة هل كلها ضلالة؟ هل هناك بدعة تخص بقواعد الشرع كما ينسب للشافعي رحمه الله هذه مسألة تحتاج إلى بسط وبيان.

القصد: لا يجوز لأحد أن يحتج على رجل يقول: بأنها بدعة؛ بأنه فعلها بعض السلف، فعلها بعض

العلماء، قال ابن حجر، قال فلان، وهم من المتأخرين، لكن أحضر لنا صحابيًا واحدًا كان يخص ليلة النصف من شعبان بقيام؛ فيرفع عن هذا الفعل حكم البدعة؛ لأننا لا يمكن أن نحكم على فعل صحابي بأنه بدعة، لا يجوز لنا، فعل صحابي بأنه بدعة والصحابة لم يخالفوه فيه ويسكت عنه الصحابة؛ فلا يمكن أن نحكم على هذا الفعل أنه بدعة، لا يجوز، هذه من قواعد البدع، من قواعد الحكم على الفعل أنه بدعة؛ أنه لم يفعله صحابي ولم ينكره الناس عليه، لأنه إذا فعله؛ خرج عن معنى البدعة خاصةً حين لا ينكر عليه.

فهذا الذي نقوله بأن ليلة نصف شعبان ورد فيها فضائل كما قال شيخ الإسلام، وأُختلف في قضية قيامها، والصواب: أن تخصيصها في القيام بدعة، ولا ندعو الناس لترك قيامها لمن يقوم الليل، وإنما نقول: من خصها بقيامٍ؛ فقد ابتدع؛ فعليك أن تقوم قبلها وتقوم بعدها وتكون من أهل ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧)﴾، ﴿فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ﴾ [الإسراء: ٧٩]، ولا تكون ممن يتوسد القرآن قم في شعبان وفي غير شعبان، وكما قال ابن رجب رحمه الله في «لطائف المعارف»: «يُلحق شعبان برمضان؛ لأن القريب يلحق بالقريب»، الذي يحضر السوق يتسوق، فلما كان شعبان قريبًا من رمضان فله فيه معنى، كانوا يسمون شعبان شهر القرآن؛ لأنهم يتحضرون فيه، ليعتادوا وحتى لا يُفاجئوا برمضان وهم في ضعف، بل يتقوون في شعبان بالصيام، يتقوون به في القرآن، فيسمونه شهر القرآن، فيقوون أنفسهم إلحاقًا بقريبه وجاره وهو رمضان، أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم.

بارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٤٣٥- سؤال عن حديث القلتين

ضمن الجلسة الخامسة والثلاثون، بتاريخ: (**٧/٠٨/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٢٣/٠٤/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل سؤالاً طويلاً، لكن لوجود الفوائد فيه نقرأه إن شاء الله سبحانه وتعالى.

يقول: السلام عليكم، شيخنا ما الراجح في حديث القلتين؟ وهل يصلح الاستدلال به؛ لأن الأمر فيه محير وحكم العلماء عليه متعارض، فممن ضعفه عبد الله بن المبارك كما في الأوسط لابن المنذر وابن عبد البر كما في التمهيد وابن القيم في «تهذيب السنن»، وممن صح عن الحديث النووي كما في «المجموع»، وابن حزم في «الْمُحلى»، وابن تيمية في «مجموع ابن قاسم وابن منده»، وابن حجر كما في «الفتح»، والشوكاني وأحمد شاكر، وقال فيه ابن عبد البر: «وأما ما ذهب إليه الشافعي من حديث القلتين فمذهبٌ ضعيف من جهة النظر غير ثابتٍ في الأثر».

وقد بسط ابن القيم الكلام في المسألة ورد ردًا طويلاً وهذا جزء من كلامه، يقول: «فلو كانت هذه السنة العظيمة المقدار عند ابن عمر لكان أصحابه أهل المدينة أقول الناس بها وأرواهم لها، فأي شذوذٍ أبلغ من هذا؟ وحيث لم يقل بهذا التحديد أحد من أصحاب ابن عمر؛ عُلم أنه يكن فيه عنده سنة من النبي صلى الله عليه وسلم فهذا وجه شذوذه».

يقول السائل: فلو بينت لنا كيف نستطيع الترجيح في مسألةٍ كهذه؟ وكيف نتعامل مع أقوال الأئمة حينما تتعارض بشكلٍ كبير كهذا.؟ وجزاك الله خيرًا.

جواب الشيخ: هذا الذي ذكره الأخ السائل ذكره ابن القيم رحمه الله، أي من الحيرة والاضطراب في مثل هذه المسائل الكبار، والتي يقع فيها عراك علمي عظيم بين الأئمة، ثم ما يُنتج عن هذا العراك بالنسبة للمتأخر من الحيرة، هذا الذي يعانيه الأخ السائل هو ما ذكره ابن القيم عن نفسه في «تهذيب سنن أبي داود وتوضيح مشكلاته وعلله».

وقد ذكر: أنه لا يُخرج المرء من هذه المسائل إلا علمٌ خاص، وإلا كذلك بترك التقليد، وهو يتحدث في هذا الباب عن نفسه بصفته عالِمًا كبيرًا وعلى مثل أمثاله من العلماء الكبار.

ولا شك قبل أن أجيب عن هذا السؤال بما يتيسر بإذن الله عز وجل، أتحدث عن هذا الكتاب الذي نقل عنه الأخ السائل وجاء عرضًا في الجواب وهو كتاب «تهذيب سنن أبي داود وتوضيح مشكلاته وعلله»، هذا الكتاب من أجّل ابن القيم، وهذا الكتاب دال وكاشف على مقدار علم ابن القيم في أمرين مهمين:

الأمر الأول: وهو معرفته بعلل الحديث، هناك كتب لابن القيم وأغلبها كما ترون في الأصول وفي التربية وفي المسائل العلمية العامة وفي التوحيد، فمثل هذه المسائل لا يهتم العالِم كثيرًا في قضية تحقيق المسائل التي لها تعلق بالصِنعة الحديثية؛ لأن المقصود هو الاحتجاج، ولذلك العلماء يعيبون على من يطول الحواشي في كتب الأصول وفي كتب اللغة وفي كتب التربية، بالسنبة لتخريج الأحاديث، هذا تطويلٌ لا أهمية له؛ لأن العلماء في مثل هذه الأبواب يتسمحون كثيرًا وكذلك في كتب التفسير، وهذا سأبين إشارةً له عند ذكرنا لم علل ابن القيم في كتابه هذا الحديث؟ وأن طريقته في التعليل إنما هي طريقةٌ راقية رائقة عظيمة.

فابن القيم في كتبه التي تتعلق بما ذكرنا لا يُظهر قوته وبصره وعلمه، لا تبيّن لنا هذه الكتب مقدار علم الرجل في الصِنعة الحديثية، حتى أنني في مراتٍ كثيرة عندما أرجح بينه وبين بعض أهل العلم من أهل الصِنعة الحديثية كابن رجب وهو تلميذ له كما تعلمون، فإن ابن حجر يُظهر علمه في هذا الباب أكثر؛ لأن المسائل التي يتكلم عنها فيها تفصيل والكتب التي يشرحها ويؤلفها ابن رجب رحمه الله تكشف عن مقدار علم الرجل في الصِنعة الحديثية، وأنه من المبرزين في أعظم باب في باب الحديث وهو باب العلل.

في هذا الكتاب «تهذيب سنن أبي داود ومشكلاته»، وخاصةً في أوله؛ نرى ابن القيم عليه رحمة الله يظهر لنا علمه بقوة ووضوح، وخاصةً فيما قلت: في علم علل الحديث، وأنتم تعرفون أن علم العلل هو قمة علم الحديث وهو خلاصة علم الحديث، «ومن لم يكن بصيرًا بالعلل على طريقة السلف أخطأ في التصحيح والتضعيف».

وأنا أحب لكل طالب علم أن يقرأ هذا الكتاب، وهو جامع لعلم ابن القيم روايةً فيما يتعلق بالصِنعة الحديثية، والجامع لعلم ابن القيم بما يتعلق بفقه الحديث ودرايته، يُبدع، هذا الحديث لوحده يستغرق صفحات

كثيرة من كلام ابن القيم، وفيه من الأصول وفيه من المنطق ومن التقريرات العقلية والتقريرات الأصولية والفقهية الشيء الطيب الذي نحتاجه.

وكما أن طلبة العلم يُنصحون بكتاب ابن دقيق العيد «الإلمام بأحاديث الأحكام»، من أجل معرفة تنزيل الفروع على الأصول وإعمال الأصول في داخل مسائل الفروع؛ فكذلك يجب أن يُنصح طلبة العلم بهذا الكتاب؛ لأنه نموذج لهذه المرتبة من مراتب العلم والتي يُخطئها المعاصرون والمتأخرون كثيرًا، هناك فصل –كما ذكرت أكثر من مرة– بين الفقه وأصوله.

فهذا الكتاب «تهذيب سنن أبي داود ومشكلاته»، والقليل من هو على منواله يجمع بين أصول الفقه وبين الحديث، بين الحديث في روايته وسنده ومعضلاته ومشكلاته وبين تطبيقات القواعد الفقهية والأصولية على هذا الحديث واستخراج المراد والصواب منه بحسب اجتهاد هذا العالم، ولذلك هذا الكتاب أنا أنصح به طلبة العلم والكتاب كان مطبوعًا من قديم وطبع على هوامش «عون المعبود» وبعض الكتب، ثم طبع مستقلاً، والآن هناك طباعة معاصرة تستطيع أن تقول هي الأفضل لرجوعها إلى عدة مخطوطات بين يدي المحقق فقد أوصلته إلى الغاية إن شاء الله عز وجل في التحقيق، فهذه نقطةٌ مهمة وشكرًا للسائل أنه فتح الباب لهذا النصح ولهذه المسألة.

نرجع إلى موضوع الحديث، هذا الحديث: **(إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث)**، وهو حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنه، وابن القيم رحمه الله –باعتباره المدخل للكلام عن هذا الحديث– ذكر أن هذا الحديث تدور حوله خمس عشرة مسألة، أربعة منها لها تعلق بالسند وهي:

- الحديث عن صحة سنده.

- الحديث عن وقفه ورفعه.

- الحديث عن اضطرابه.

- الحديث عن تأثير هذا الاضطراب فيه، هل يؤثر هذا الاضطراب أو لا يؤثر؟ لأن هناك أحاديث قد تنشأ فيها مسائل تتعلق باضطراب السند، ولكن يخرج المرء فيها إلى تقوية وإلى تصحيح أحداها أو إلى إسقاطها كلها

كما تعرفون في موضوع الأحاديث المضطرب سندًا، فهذه مسائل أربع دار حولها الموضوع الذي يتعلق بالسند.

ثم هناك إحدى عشرة مسألة تتعلق بالدراية، تتعلق بالأصول والحديث على مدار معناه وليس على مدار سنده، وكما قلت: ابن القيم رحمه الله تألق في هذا تألقًا شديدًا، فالحديث أولاً كما تعلمون حديث ابن عمر ولم يروه أكثر الناس أخذًا عنه، لم يروه إلا عبيد الله وعبد الله، المصغر والمكبر، ولم يرويه عن عبيد الله المكبر وهو الثقة إلا مجاهد، ومجاهد رواه عنه موقوفًا، ومن هنا وقع هل هو موقوف على ابن عمر أو لا؟ هذا الاضطراب فيه.

وسأبيّن مسألةً -كما ذكرت في أول الكلام- بأن ابن القيم رحمه الله حكم على هذا الحديث بالشذوذ بقاعدةٍ علمية قلما من يعمل بها من المعاصرين، يوجد بلا شك علماء كبار جزاهم الله خيرًا، ولكن القليل من أهل العلم من ينتبهوا لها، وهي ليست قضية فقط الانفراد، فهذه يتكلم عنها المحدثون وأهل الصِنعة الحديثية في أن من علل الحديث هو الانفراد، لكن هو يتكلم عن قضية شيوع المسألة بحسب قيمتها العلمية وعدم شيوعها، وهذه المسائل مهمة، وهي أن المسائل التي يحتاجها الناس في حياتهم وهي من أصول الدين، وليس المقصود أصول الدين؛ الاعتقاد، أصول الدين تتعلق بأعمال الدين العُظمى التي يترتب إيمان المرء، يترتب عليها دين المرء، فهذه الأحاديث لا يمكن أن تكون خفية عند واحد من الصحابة أو واحد من أهل العلم فينفرد بها، بل لا بد من شيوعها، أقل القليل بين المسلمين، وإذا احتجنا إلى تكون هي ليست بهذه المية أن تكون مشهورة عند العالم الذي كثُر الأخذ عنه.

فعن هذا الحديث يقول ابن القيم رحمه الله: مع حاجة أهل المدينة للماء وقلة موارده عندهم، فإنه لم ينفرد بهذا الحديث إلا ابن عمر، فكيف لهذه المسألة وهي أن الماء إذا بلغ قلتين لم يحمل الخبث، هذا فيه مسألة تتعلق بدين الناس، تتعلق بصلاتهم، تتعلق بطهور مائهم، الذي به تعلق الطهارة وتعلق الشرب وتعلق الحياة، فكيف ينفرد به ابن عمر دون بقية الناس ولا يعرفه الصحابة ولم يأت إلا من جهته؟

انظر جعل ابن القيم رحمه الله أن الحاجة تقتضي الانتشار، أن الأحاديث التي لها تعلق بخطورة ما؛ يجب أن تكون مشتهرة، يجب أن تكون منتشرة، وهذه مسألةٌ مهمة جدًا، ولما تكلمنا في مسائل لا ينبغي أن يأتي أحد فيصحح لنا حديثًا إذا انفرد فهو ضعيف ويؤخذ به في الاعتقاد، ويجمعه من هنا ومن هنا في أحاديث فيها ضعف، ويخرج لنا من هذه الأحاديث المجموعة؛ باعتقاد، لا ينبغي أن يكون مجهولاً عند الصحابة أو عند

التابعين.

أو أن يأتي أحد في مسألة تتعلق بركنية الصلاة أو بركنية الوضوء مثل حديث: (**الأُذنانِ من الرأسِ**)، هذا حديث يتعلق بالوضوء، وتعلمون أن مسح الرأس في الآية أي هو ركنٌ من أركان الوضوء، فأن تلحق به الأذن بحديثٍ هذا وضعه في الرواية، هذا مما يشك فيه، أو قوله صلى الله عليه وسلم: «لا وضوء إلا بسم الله»، هذا حديث قد جمعه المحدثون من هنا وهنا وصنعوا منه حديثًا حسنًا أو صحيحًا لغيره، مع أنه يتعلق بأعظم عبادة وهي الصلاة التي لا تصح إلا بوضوء، ووضوءٌ صحيح، فهذه مسألةٌ مهمة وابن القيم في هذا الحديث أشار لها، وأخطأت في قولي أشار، بل أبانها وبيّنها وكشفها، وهذا دليل على أن هذه الاعتراضات العلمية هي اعتراضات قديمة عند علمائنا لا ينتبه لها المتأخرون.

إذن قلنا: بأن الحديث أولاً: الحديث عن صحته، صحة سنده، والحديث عن اضطرابه، والحديث عن وقفه والحديث عن تأثير الاضطراب عليه، هل يؤثر أو لا يؤثر؟ وتكلم في هذا الحديث عن مسألة العموم وتخصيص هذا العموم بالمفهوم، نحن نعلم أن كل أهل العلم يأخذون بتخصيص العموم على وجوهٍ مختلفة بينهم، ولكن الكل يعتقد بأنه لا يمكن العمل بالدليلين إلا بإعمال الخصوص والعموم، فإننا لو أعملنا العموم لألغينا الخصوص، ولكن لو أعملنا الخصوص فإننا نعمل العموم فيما بقي ويبقى العموم على عمومه مع إخراج الخصوص فنعمل بالدليلين.

والأحناف عندهم تفصيل وتفريع آخر خلاف ما عليه الأئمة الثلاثة، ولكن الخصوص والعموم مبحث من المباحث التي لا يناقض فيه أحد، لكن أن يُخصص بالمفهوم، هذه مسألة بسطها ابن القيم في بيان هذا الحديث والكلام عليه بسطًا قويًا وجميلاً ورائعًا ورائقًا، وأتى ببعض المسائل العقلية التي نحتاجها كقوله: بأن تسليمنا ومساعدة المخالف لقبوله لتخصيص منطوق العموم بالمفهوم، بأننا لو سلمنا بهذا في المقدمة فإننا لا نسلم بالدليل، فالتسليم ببعضهم أولويات أو مقدمات الدليل لا يعني التسليم بالدليل، هذه مسألة عقلية رائعة من ابن القيم رحمه الله والإشارة إليها وهكذا، هذا الجزء من الكلام الذي ساقه ابن القيم في بيان هذا الحديث لعلك لا تجده في غيره، بل لا تجده في غير هذا الموطن، لا تجده أبدًا، أقصد في الحديث على فقهه ودرايته والكلام على معانيه.

وكذلك بيّن بأن الخلاف بين تخصيص العموم بالمفهوم مسألة خلافية، أنها غير مُسلمة، يكفي هذا بالنسبة لبيان ما عليه قيمة كلام ابن القيم بالنسبة للحديث.

الآن نرجع إلى الحديث؛ أقول: الحديث كما تعلمون من طريق ابن عمر رضي الله عنهما، ولم يرويه عنه، وهذا شذوذٌ آخر غير الشذوذ الأول، الشذوذ الأول هو شذوذ تتعلق بقيمة الدليل مع ورود الحديث وطرقه واتساعه وانتشاره مع قيمته العلمية، هنا لا، الحديث متعلق بالانفراد الذي لا يتصور في بحور الحديث وكثرة الآخذين عنهم، فنحن نعلم أن أعظم الآخذين عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما هو ابنه سالم ومولاه نافع، وقد استنزفا علم ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، فيقول ابن القيم رحمه الله: أين هؤلاء الكبار من هذا الحديث الذي انفرد به عبد الله وعبيد الله، ولذلك ابن تيمية رحمه الله -وابن تيمية اختلف فيه القول في تصحيح هذا الحديث، وليس فقط كما ذكر السائل- يقول ابن تيمية رحمه الله فيما نقله ابن القيم عنه: بأنه إنما جرى جواب السؤال، ولذلك هو ليس من الأحاديث، هو موقوف على ابن عمر، وأنه إذا بلغ الماء هو جواب سؤال، هو جوابه وليس من الرواية، هذا من أجل الخروج من موضوع الانفراد والشذوذ على هذا المعنى الذي ذكرناه، هذا الجواب التيمي إنما هو للخروج من مشكلة الانفراد.

فإذن الحديث قد اختلف فيه؛ مجاهد يرويه مرةً عن عبيد الله مرفوعًا ويرويه موقوفًا وهذا اضطراب؛ ولذلك اختلف أهل العلم في رفعه ووقفه على هذه الجهة، هناك من رواه مرفوعًا كذلك، فالذين أعملوا فيه -وهذه كلمة رائعة لابن دقيق العيد- الذين أعملوا هذا الحديث الإعمال الفقهي على طريقة الفقهاء؛ صححوا هذا الحديث، والذين أعملوا أساليبهم وقواعدهم العلمية الحديثية؛ ضعفوا هذا الحديث، ضعفوه مرفوعًا وحكموا بوقفه على ابن عمر، وهذه كلمةٌ منصفة من صاحب «الإلمام» وهو ابن دقيق العيد، ولذلك هو ضعفه وتركه، مع أن ابن دقيق العيد شافعي.

وهنا أذكر إنصاف الشافعية في هذا الحديث، مع أن الشافعي يأخذ بهذا الحديث ونصره عمدة المذهب أو أحد عُمد المذهب الشافعي وهو النووي، إلا أننا نرى ابن دقيق العيد كما نرى البيهقي من قبله يحكمان على هذا الحديث بالوقف، ابن دقيق يرده ولا يُعمله كما تقدم في مقدمته، فلا يعمله كذلك فقهًا لا يأخذ به، والبيهقي حكم بوقفه على ابن عمر مع أنه شافعي وإنما أنشأ كتابه السنن الكبرى نصرةً للشافعي عليه رحمة الله

الذي قال الناس فيه، «ما من أحد يحمل المحبرة إلا وللشافعي عليه يد، إلا البيهقي فإن له يدًا على الشافعي»، فحكم عليه مُنصفًا وهذا من إنصافه والبيهقي ليس متعصبًا، لا كما يعاملها ابن التركماني في تعليقاته على السنن.

وطبعًا الذين صححوا هذا الحديث كُثر ليس فقط كما ذكر الأخ، والذين حكموا بوقفه كذلك كُثر ممن ذكرهم الأخ وممن لم يذكرهم.

الفقهاء الأئمة الثلاث يأخذون بالقليل والكثير يفرقون بين الماء القليل والكثير، والذي انفرد بعدم اعتبار القليل والكثير هو الإمام مالك، ومن إنصاف الغزالي في هذا الباب أنه قال: «ليت مذهب الشافعي في هذه المسألة كمذهب مالك»، أي عدم اعتبار القليل والكثير.

وطبعًا الذين قالوا بالقليل والكثير اضطربوا اضطرابًا شديدًا وخاصةً مذهب الأحناف، وزاهد الكوثري -وهذه من المسائل العلمية الدقيقة- زاهد الكوثري يطعن في مذهب الشافعي بأنه مُختلف بين قولين جديد وقديم، ويطعن في مذهب أحمد بأن ما من مسألةٍ إلا وله فيها أقوال أو قولين، ولكن هذه المسألة إذا جرينا على طريقة زاهد الكوثري في الطعن في المذاهب فهذه المسألة لم يلتقي فيها قول عالمٍ من أصحاب أبي حنيفة ومع أبي حنيفة ولم يلتقي واحد مع الآخر فيها، على خلاف شديد وقل ما يضبطه أحد، أي الخلاف في القليل والكثير عند الأحناف، كلام طويل، وقلما يضبطه أحد حتى من مذهب الحنفية، يعني ممكن يذكر الأقوال بعد ذلك ينتهي إلى لا شيء، كلام مضطرب، فإذا اتهمت المذاهب بعدم الضبط في قضية تعدد الأقوال؛ فإن مذهب الأحناف أحرى بالطعن حين نرى مثل هذه المسألة، وليست هذه المسألة، ولكن نأتي عليها.

فلذلك الشيخ عبد الرحمن المعلمي رحمه الله في رده على زاهد الكوثري أشار إلى هذه المسألة في مذهب الأحناف وابن حزم أفرد جناحيه طائرًا في طعن المذهب الأحناف في اضطرابهم في القليل والكثير، وابن تيمية اختلف قوله؛ فمرةً يرى أنه أقرب إلى الوقف ومرة يميل إلى أن العلماء قد صححوه، وظاهر كلامه أنه يرى صحته مرفوعًا؛ فاختلف فيه.

والذي عندي عند النظر إلى الأحاديث لست مقلدًا لابن القيم، بل أنا من المحبين له، ولكن لست مقلدًا له، لكن في الحقيقة هذا الاضطراب في الحديث فيه وجهٌ قوي في الكلام على أنه موقوف على ابن عمر وهو

الأقوى، إذا أردت الترجيح الدقيق؛ فإن العلماء الذين يرجحون الإرسال على الوصل والوقف على الرفع، وهي طريقة المحدثين الكبار، وهي التي ينبغي أن تتبع إلا أن يأتي صارفٌ لهذه القاعدة قويٌ جدًا يؤدي إلى إعمال الخلاف؛ وهو أن يقدم في حديثٍ ما؛ الوصل على الإرسال أو الرفع على الوقف.

وأقول: هذا الحديث في الحقيقة مُشكل، وقد انتهينا بحثه من جهة صحة الحديث وضعفه، ونأتي الآن إلى قضية درايته، ومدار كلام ابن القيم كله من أوله لآخره يدور حول قضية دراية هذا الحديث؛ طبعًا هناك كلام حول قضية التحديد، يتكلم فيها كلامًا عجيبًا، وأرجو حين تقرؤون كلام ابن القيم أن تقرؤوا معه كذلك «التلخيص الحبير»، ففيه بعض الكلام وكأنه إشارة ورد على كلام ابن القيم، وذلك مثل قضية القِلال، القلتين؛ قِلال من؟ فالإمام الشافعي في «الرسالة» أتى بحديث - بل ربما لا يكون حديثًا — ذكر فيه هو تحديد القِلال بقِلال هجر، ورد ابن القيم وذكر كلامًا طويلاً أن هذا لا وجود له في الحديث، وأن حمله على قلال هجر لا يمكن أن يقطع به القائل؛ لوجود الخلاف فيه، فعدم التحديد ووجود هذا الاضطراب في المعنى في الحديث؛ يُضعفه، وهذا لا أريد أن أتكلم عنه، فارجعوا إليه.

لكن نأتي إلى أكبر مسألةٍ يدور حولها الحديث وهي التعامل مع الحديث أنه صحيح، فهب أن هذا الحديث صحيح، ولنتكلم على قضية تخصيص منطوق العموم بالمفهوم؛ فثمة حديث الصحيح لا يُخالف فيه أحد؛ وهو أن (**الماء طهور لا يُنجسه شيء**)، هذا الحديث متفق على الأخذ به؛ فهذا منطوق، ولكن هناك زيادة لا تصح، ولكن معناها مُجمعٌ عليه: «إلا ما غير اللون والطعم والرائحة»، المعنى فهذا مُجمع عليه، إذا دخلت النجاسة في الماء فغيرت أحد الأوصاف من اللون أو الطعم أو الريح والنجاسة هي التي غيرت لا غير؛ فإن الماء يصبح نجسًا، هذا متفق عليه.

إذن الماء في الأصل طهور لا ينجسه شيء، ولم يذكر لا فيه القليل والكثير فهذا عام؛ يدخل فيه القليل الكثير، فهذا منطوق الحديث، نطق به النبي صلى الله عليه وسلم ودل لفظه عليه، بينما حديث (**إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث**) من أين أتيتم أن الماء إذا كان أقل من قلتين حمل الخبث لزومًا؟ قالوا: هذا يسمى مفهوم المخالفة –مع الخلاف في أخذهم لمفهوم المخالفة–، فلنجرِ معهم على أن مفهوم المخالفة يعمل به؛ أي أنه إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث بالمفهوم؛ فأيهما الأقوى؟ الأقوى هو المنطوق وليس المفهوم.

هذه المسألة مع ما يدور حولها من كلام حول قضية التخصيص؛ هو ميدان ابن القيم الذي يدور فيه ويصول صولة الفارس المتقن الجهبذ العظيم في هذا الباب، فارجعوا إليه.

ولذلك الصواب ما قاله ابن القيم، ونقول: إذا كان الرجل شافعيًا فليتمنَّ ما تمناه الغزالي بقوله: ليت مذهب الشافعي كمذهب مالك في المياه، ونقول كما قال ابن دقيق العيد: إن هذا الحديث لا يصح مُنفردًا بحال؛ إذا انفرد استقل، ولذلك أعرض عنه كذلك في المفهوم، فبقي الحديث الماء طهور.

وللعلماء في هذا الحديث وهذه المسألة مدارك في المناظرة عظيمة جدًا لا أستطيع أن استقصيها في هذا الباب لأنه ليس هذا الموطن.

والصواب: أن الماء في قضية النجاسة لا فرق بين قليل وكثيره، اضطر الشافعية أو الآخذون بهذا الحديث أن يدخلوا في التأويلات، مثل أن يكون الماء واردًا لا موردًا، فمثلاً: قديمًا كانت المرأة لما تريد أن تغسل اللباس تأتي باللباس النجس فتضعه في الماء فتغسله ثم يبقى الماء فلا يتغير فتأتي لباس آخر، فقالوا: لا يلزم هنا نجاسة الماء؛ فيجب أن يكون الماء واردًا لا موردًا؛ فهذا الحديث (**إذا بلغ الماء**..) أي إذا وردت النجاسة على الماء، لا ورد الماء على النجاسة، قالوا: لأن هناك حديث وهو حديث الرجل الذي بال في المسجد، فإنه طهره بذنوب الماء، أقل من قلتين ذنوب؛ دلو من ماء فطهره، قالوا: هذا الماء كان واردًا لا موردًا، وهكذا اضطروا إلى مخارج كثيرة في هذا الباب.

نكتفي بهذا القدر في هذا الحديث والصواب هو مذهب مالك عليه رحمة الله لا مذهب الثلاثة الآخرين، مع أننا يمكن أن نضع كلام ابن القيم في قول مذهب أحمد عليه رحمة الله، ونضع كلام ابن دقيق العيد ونضع كلام الغزالي في مذهب الشافعي؛ فيصبح في مذهب أحمد قولان، وفي مذهب الشافعي قولان، ويبقى مذهب أبي حنيفة يتعارك فيه أهله على مقدار القليل والكثير، هذا وبالله التوفيق والحمد لله رب العالمين.

٤٣٦- سؤال عن كتاب «الغياثي»

ضمن الجلسة الخامسة والثلاثون، بتاريخ: (٧/٠٨/١٤٣٩هـ **الموافق لـ: ٢٣/٠٤/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل أخ يقول: شيخنا الحبيب هل كتاب «الغياثي» للإمام الجويني من الكتب المعتمدة في السياسة الشرعية؟

ويقول الأخ السائل: الجويني رحمه الله في كتابه ينتقد كثيرًا الإمام الماوردي وخاصةً كتابه «الأحكام السلطانية»، ويعتبره من الكتب التي لا علاقة لها بهذا الفن، وأحيانًا يستعمل ألفاظًا شنيعة، ما العلة في ذلك شيخنا؟ ويقر في كتابه أنه ناظر الماوردي وأفحمه أمام الناس.

جواب الشيخ: أول شيء لنعرج قليلاً على التعريف بالإمام الجويني والمقصود به الابن، صاحب «الغياثي» والكتب المشهورة؛ لأننا نفرق بين الجويني الأب والجويني الابن، ونحن نتحدث عن الجويني الابن، وهذا إمام بلا شك أنه ترك ميراثًا كبيرًا في مسائل متعددة وقضايا يهتم بها الناس، ويعتبر الجويني الابن صاحب «الغياثي» و«الكافية في الجدل» وغيرها من الكتب المعروفة، وكتاب «البرهان» الذي سماه السُبكي سر الأمة، أنه قنطرة في مسائل الكلام، قنطرة في ميراث المدرسة الأشعرية.

ونحن نعرف أن المدرسة الأشعرية مرت في فترات فكان من فتراتها ومن ناقليها وشارحيها، وله مدرسة خاصة في الأشعرية، الأشعرية مدارس متعددة من أبي الحسن الأشعري إلى تلميذيه عبد الله بن مجاهد، إلى تلميذ عبد الله بن مجاهد وهو الباقلاني، والباقلاني تلميذه الجويني، والجويني شيخٌ للغزالي، فكتبه في الأصول مهمة جدًا، وبعض أهل العلم يرى بأن أصلاً كتب الغزالي الأصولية مشتقة من كتب الجويني وفي هذا ظلم في الحقيقة، بعضهم يرى أن كتاب «المستصفى» مأخوذ من كتاب «الإرشاد» لشيخ الجويني وهو الباقلاني؛ وهذا ظلم وفي الحقيقة غير صحيح، الغزالي له عقلٌ مستقل يستفيد ممن سبقه، ولكنه يُنشئ عِلمًا خاصًا به يصيب أم يخطئ هذا موضوعٌ آخر.

ومما يلاحظ كل طالب علم من كتب الجويني بأن الجويني فيه عزة نفس وفيه تشوف، على الطريقة التي نراها

في كتب ابن الجوزي، وعندما يأتي إلى الخصم يصك صك الجندل على ما وصفت كلمات ابن حزم؛ وصف بأنه يصك صك الجندل، وعلى ما وصف كذلك ابن تيمية عندما يناظر خصومه، وذلك بأنه يستخدم عبارات خشنة في حق خصمه.

لكن هل هذ من الظلم هذا الذي أوقعه الإمام الجويني بالإمام الماوردي؟ نعم، هذا واضح بأن الجويني ظلم الماوردي، والماوردي في الحقيقة عندما أنشأ كتابه أنشأه على طريقة الفقهاء، على طريقته في «الحاوي»، أي أراد أن يبرز المسألة مسألةً فقهية وأن يؤلف كتابًا فقهيًا، الجويني أراد أن يُنشئ كتابًا استعراضيًا، وهناك فرق بين هذا وهذا.

مثلاً: هذا استعراض، نعم هو علم، ولكن استعراض، عندما تكلم عن قضية فراغ الوقت من وجود الإمام، كيف نتصوره؟ هذا فقه استعراضي، فقه تنبؤي رائع مهم جدًا أفاد الأمة، أفاد أوقاتنا ونستفيد منه كثيرًا، لكن ليس بالطريقة التي يقولها الفقهاء ويرتبون عليها كتبهم.

الماوردي نقده نقدًا شديدًا الجويني وأخذ منه أخذا تامًا الفراء الحنبلي، مع وجود بعض الزيادات والنتوش التي تتعلق بخلاف المذهب؛ لأن الماوردي شافعي والفراء حنبلي، حتى تكاد لا تجد فروقًا كبيرة بين الكتابين وكأنه مسلوخ مع وجود كما قلت: الزيادات التي فيها تخصص في قضية اختيار المذهب.

هل كتاب الغياثي كتاب من كتب السياسة الشرعية؟ بلا شك أنني ألاحظ وهذا ذكرته ربما في لقاءٍ آخر عندما تكلمت عن تكلمه الكثير عن مفهوم السياسة، فالجويني يتكلم عن مفهوم السياسة كلامًا متسعًا؛ لأننا كما قلنا في لقاء آخر وفي سؤالٍ آخر متقدم بأنه: نشأت هناك أحكامًا سياسية لدى الحكام، والجويني يقف لها موقفا شديدًا لأنه رآها خارجة عن نطاق الشرع، سواءً في كتابه «البرهان» أو «الغياثي»، وسمي الغياثي؛ لإنه «غياث الأمم في التياث الظلم».

فبلا شك أن فيه ظلم للماوردي؛ فاعتبر أن طريقته طريقة لم تُنتج شيئًا ولا تفيد في قضية رقي النفس، ولم يرد الماوردي إلا أن يقرر كتابًا فقهيًا تقليديًا على طريقة الفقهاء في مسائل تتعلق بالأحكام السلطانية، الجويني لم يرض هذا، فهذا هو حرٌ فيه، ولكن يبقى كتاب الماوردي كتابًا مصنفًا مهمًا جدًا وضروريًا في معرفة كلام الفقهاء في كل مسألة من المسائل، مما يتعلق بالوزارة، تتعلق بأحكام الحكام، بشروط وواجبات الإمام، شروط

الولاة، شروط الوزراء إلى غير ذلك من المسائل.

والكتاب الغياثي مهم جدًا أولاً في لغته الراقية، الجويني له لغة رائعة في كتبهن أحبه، وإذا كان بعض الأدباء كما كان الأستاذ مصطفى صادق الرافعي إذا أراد أن يؤلف كتاب عاد إلى كتاب «البيان والتبيين أو التبيّن» للجاحظ فقرأ فيه؛ من أجل أن ترقى ذائقته البيانية، فأنا أطلب الطلبة من طلبة العلم قبل أن يكتبوا أن يقرؤوا في كتب الجويني؛ لترتقي عندهم الذائقة اللفظية والاختيارات الرائقة في الموضوع.

فأما أنه أصاب في نقده للماوردي؛ الحقيقة لا فيه ظلم كلامه، أما أن من الكتب السياسية الشرعية لا شك أنه من كتب السياسة الشرعية وبل من كتب الأصول، وإن كان شيخ الإسلام يقصده في كثير من كتبه، ففي كتابه «الاستقامة» شيخ الإسلام يعرض به وبأمثاله، لكن هو شهر هذه الكلمة «أن الحوادث لا تتناهها والنصوص تتناهاه» ومن هنا فتح بابًا كبيرًا للقياس، وهو معرفته بالحديث لم تكن بأكثر من معرفة أبيه له، فإنه ذكر كتابه ابن تيمية وقال: لم يذكر فيه إلا حديثًا واحدًا من البخاري ونسبه له وليس له، فلم يكن عنده بصرًا، ولكنه كان متكلمًا أصوليًا كبيرًا جداً، وكان كذلك صاحب نفسٍ علوية، صاحب نفس شريفة؛ فكان يتكلم بهذا المعنى.

المهم أن كتابه بلا شك نافع وخاصةً لوقتنا هذا، مفيد في قضية إخراج ما فيه؛ فهو تألق في موضوع خلو الزمان من الإمام، تألق فيها تألقًا كبيرًا، وليت الأمة تفعل ما نصح به، فلو الأمة عملت ما نصح به الجويني في «الغياثي» عند خلو الزمان من إمام؛ لسعدت وبقي مفهوم الأمة السياسي قائمًا.

على كل حال هذا ما يتعلق به وهناك علماء كثر أهتموا بإنتاج الجويني لأهميته وقيمته العلمية والذائقة والفقهية والأصولية، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يرفع الغمة عن الأمة وأن ينفعنا بكتب هؤلاء الأئمة، وإن كان الإمام ابن تيمية يشُد على الجويني في مسائله العقائدية كما هي طريقته إلى نقد اختياراتهم العقدية؛ لأنهم كانوا على طريقة المتكلمين، وكما قلت: هو إحدى مدارس الأشعرية وإحدى قناطر التطور المذهب الأشعري حتى وصل إلى الرازي الذي استقر عليه عند المتأخرين، هذا والحمد لله رب العالمين.

٤٣٧- سؤال عن البطاقات المصرفية

ضمن الجلسة الخامسة والثلاثون، بتاريخ: (**٧/٠٨/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٢٣/٠٤/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

هناك سؤال طويل يتعلق بالبطاقات المصرفية بسبب ظروف معينة، الأخ يسأل عن ليبيا فأرجو الصبر على السؤال من أجل أن أجيب عليه، مع أنه يمكن اختصار السؤال كثيرًا، لكن نقرؤه كما أرسله السائل.

يقول السائل جزاه الله خيرًا: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، -بعد المقدمة- لا يخفى عليكم الوضع في ليبيا والأزمة الاقتصادية؛ ارتفاع سعر الدولار مقابل الدينار الليبي في السوق السوداء وفي البنوك الرسمية.

بعد ذلك يقول: والدولار صار من الصعوبة الوصول إليه بسبب حكر الدولار على قلة قليلة من أمراء الميليشيات والمتنفذين في الحكومة والمصرف المركزي وأصحاب العلاقات الدولية والتجار الداعمين لها والذين يكسبونهم بنسب من تجارتهم ومشاكل هذه الأصناف، يقول: أن الحكومة الحالية تريد توفير فرص للناس بإعطاء كل فرد في الأسرة أربع مائة دولار بسعر المصرف، لكنها لم تسلم الناس المبلغ نقدًا، بل جعلته لهم في بطاقات ائتمانية «فيزا»، -أعطتهم إياه في ورق- والتي لا يمكن سحب قيمتها في ليبيا، فيضطر صاحب البطاقة لسفر للخارج لسحب قيمتها، وغالب الناس اضطروا لبيع بطاقاتهم لتجار العملة بسعرٍ أقل من سعر السوق السوداء؛ مما زاد الفساد وسيطرة المحتكرين على السوق وارتفاع سعر الدولار في السوق السوداء.

ويقول الأخ: ويتعامل غالب الناس والشباب مع من يوجد في تركيا لسحب قيمة البطاقات بالدولار لتعذر السفر غالب الناس لتركيا وغيرها، وتواجه الناس هناك مشكلة أن آلات سحب الأموال التي في الشوارع لا تسحب أكثر من خمس مائة دولار يوميًا فقط أو أقل حسب المصرف، وتأخذ نسبة «٤٪» على كل عملية سحب، والآلات التي يتوفر فيها الدولار توجد في مناطق معينة، والمصرف الذي يتعامل معه أكثر الليبيين يفتح ساعات معينة للآلات في اليوم فتزيد صعوبة سحب المبلغ عن طريق البطاقات من هذا المصرف الذي يُسمى الجمهورية خاصةً.

يقول -وهنا السؤال بعد هذا الوصف للحالة-: توجد شركات حقيقية أو وهمية بأوراق رسمية مسجلة في

الدولة التركية تسحب قيمة البطاقة كاملة في يوم أو يومين تحولها لحسابها كأن صاحب البطاقة اشترى منهم أغراضًا، ثم تسلم صاحب البطاقة المبلغ الموجود في البطاقة، وتأخذ الشركة «٦٪» إلى «١٠٪» حسب الشركات وتشمل النسبة ضرائب الدولة، هذه البطاقات طبعًا كما هو مشهور يكتب عليها أنه لا يتعامل بها غير صاحبها، يسأل كثير من الناس عن حكم شراء البطاقة من صاحبها بحيث يشتري منه قيمة ما فيها بسعر يتفق عليه ثم يأخذها المشتري ويسحب ما فيها ويردها لصاحبها ويمكن طبعًا لصاحب البطاقة إلغائها من المصرف واستخراج أخرى غيرها، فما حكم شراء هذه البطاقات الائتمانية المخصصة لمساعدة الأسر؟

جواب الشيخ: هناك حكمٌ أصلي، وهناك حكمٌ فرعي، الحكم الأصلي: لا يجوز بيع بطاقات الائتمان إلا بقيمتها الحقيقية؛ لأن أصلاً الورق النقدي «البنك نوت» هو أقرب إلى معنى بطاقة ائتمانية، أي أنت في معك ورقة بمئة دولار، هذه كأن معك بطاقة أخرى بمئة دولار وورقة أخرى وورقة ائتمانية أو بطاقة ائتمانية بمئة دولار؛ هذه تعمل نفس العمل، العلماء بسبب استقرار ورق «البنك نوت» الورق النقدي؛ أجروها مجرى الذهب والفضة مع وجود الاختلافات، لكنه لما غلب معنى النقد فيها مع أنه يوجد هناك مُحترزات لإلحاقها بمعنى النقد، ومن ذلك إمكانية إلغائها، والنقد لا يُلغى النقد هو معيار لا يُلغى.

بمعنى أن الذهب والفضة لو جاءت أمريكا أو جاء العالم كله وكل أوروبا وثلاث أرباع العالم وقال: الذهب والفضة لا قيمة لهما، هل يطيعهم أحد؟ هل تسقط قيمة الذهب؟ لا، لماذا؟ لإنه معيار، نقد، لكن لو جاءت أمريكا اليوم وقالت: كل الدولار خارج الحدود الأمريكية مجرد ورق تواليت لا قيمة له، ارموه بالشوارع؛ خلاص تنتهي قيمته، ويمكن للدول أن تفعل ذلك، بعض الحكام فعل هذا، فعله القذافي أظن أكثر من مرة، أعلن بعد إغلاق المحلات والبنوك بأن الدينار الليبي الذي بين يدي الناس لا قيمة له وعليكم أن تستبدلوه بدينار آخر، ودمر الناس، أهلكهم وأفسدهم ودمر أموالهم، فإذن هو بقرار أفسد نقدًا مزعومًا، وكذلك فعلها صدام وأخذ أموال الناس وتحول الدينار العراقي خارج العراق إلى مجرد أوراق لا قيمة لها، حتى للكتابة لا تنفع.

فلذلك هناك محتجزات في إلحاق الورق النقدي، ورق «البنك نوت» الذي يسمى قديمًا، في إلحاقه في معنى النقدية فهناك محترزات، لكن الناس جروا عليه، خلاص صار الآن ما يجرونه في الذهب والفضة من أحكام يجرونه في الأوراق النقدية، ولكن هو في الحقيقة هو أقرب إلى صك دين كما كانوا يقولون عن الدولار: أنت

بهذا الدولار تملك دولارًا ذهبيًا في البنك المركزي سقط هذا الاعتبار في السبعينات، قام نيكسون وألغى ارتباط الدولار بالذهب والفضة، الآن الذهب والفضة ليست من النقود يُعتمد عليها في قوة النقد، في قوة الورق البنكي.

والآن لنوصف المسألة توصيفًا: لو أن رجلاً معه صك دين، أنا لي فلان مئة دينار وبهذه الورقة تستطيع أخذ مئة دينار من حِرزي بأي وقتٍ شئت، هذا ورق دين، فهل يجوز أن تبيعه؟ نعم يجوز أن تبيعه، لكن إذا بعته بالدينار يجب أن يكون هناك شرط التماثل والتقابض، لا يجوز بيع الدين بالدين، لا يجوز بيع الدين؛ لأنه بمعنى الذهب والفضة إلا يدًا بيد، والذهب بالذهب كيلاً بكيل، بمقداره، مئة دينار بمئة دينار، لا يجوز أن تبيع بمئة دينار مثلاً أن تأتي بورقة نقدية تقول: هذه مئة دينار ويعطيك إياها فكة موزعة تسعين مثلاً؛ هذا بيعٌ باطل ربوي، هذا ربا الفضل، ولو تمت المقايضة الآنية؛ فهذا ربا الفضل وهو محرمٌ، ولا خلاف فيه وقد استقر الإجماع بعد ذلك بعد ابن عباس عليه كما تعلمون، وكما يعلم طلبة العلم.

فإذن أنت لما يعطيك البنك الحكومي أربع مئة دولار فأنت تشتري بها كما تشتري بالورق النقدي، فحين تستبدلها بدينار فينبغي أن يكون هناك هاء وهاء والمماثلة، مئة دولار بمئة دولار هذا هو الأصل، أي تغييرٍ لهذا؛ يحرم، إما يدخله في ربا الفضل، وإما يدخله في ربا النسيئة، أي تغيير لا يجوز؛ بمعنى كما يقع يقول له: أنا اشتري منك لوجود مشقة وكذا اشتري منك هذه البطاقة التي فيها «٤٠٠» دولار اشتريها منك «٣٥٠» دولار وأنا أدبر حالي؛ هذا بيعٌ باطل لا يجوز في أصله.

فماذا الذي يحدث؟ هناك بلا شك الدول الشمولية، الدول التي فيها الانهيار الاقتصادي ولا تستطيع أن تدعم عملتها دعمًا حقيقيًا؛ فيصبح هناك سعران، ليس فقط لورقة الائتمان، بل للورق النقدي «البنك نوت»، يصبح له سعران؛ سعر رسمي وسعر في السوق السوداء، والدينار لقلته ولأن الدولة تفرض سعرٍ معينًا له خلاف ما عليه في قضية البورصة، وفي قضية البيع والشراء، فأنت تذهب إلى البنك الرسمي فتعطيه مئة دينار كويتي فيعطيك بدل منه مثلاً مئة دولار، ولكن إذا ذهبت إلى السوق السوداء لا تستطيع أن تحصله، تعطيه مئة دينار ليبي أو كويتي فيعطيك سبعين، أقل؛ فيكون سعره محافظ عليه في داخل الدوائر الرسمية أكثر من السعر في السوق السوداء، ولذلك يأتي الدولار فيبيعونه في السوق السوداء بأعلى من سعره في داخل البنك، أي يكون

سعر الورق البلدي الوطني قليل الثمن في السوق السوداء، مقابل رفعة الثمن وكنزته في داخل البنك الرسمي، والناس يضطرون لهذا التعامل.

وهنا نأتي إلى صورة أخرى: هذا البيع في السوق السوداء، الدول الشمولية عادةً دول ظالمة وكاذبة وكما قال الأخ السائل: يكون هناك مُتنفذين يكون هناك تجار يسمونهم «هوامير»؛ فيسرقون هذه الأموال، والناس مساكين فالذي يحتاج منهم إلى دولار في بلده؛ يحتاج أن يشتريه بسعر أقل من السوق السوداء لأنه إذا ذهب إلى البلد يبيعونه سعر الدولار بثمنٍ أبخس؛ تعظيمًا للعملة الوطنية.

الآن لو أنك بعت الدولار بدينار فيجوز، لكن بشرط القابض ولو اختلفت القيمة، أي لا يجوز الآن مثلاً الدينار الكويتي بدولار، لا، الدينار الكويتي ربما ما يعادل ثلاث دولار أو أكثر، لا يجوز أن نقول: الدولار يعادل جنيه، تقريبًا الدولار يعادل سبعة عشر جنيه أو ثلاثة عشر جنيه، وربما وصل إلى العشرين لا أدري ما هذه المصائب المتوالية على المسلمين هناك.

فيجوز اختلاف الثمن إذا اختلفت المادة، إذا اختلف الدينار والدرهم، أي يجوز بيع الذهب بالفضة شرط هاءً وهاء، ويجوز اختلاف الوزن، فأن تبيع أنت هذه الورقة «٤٠٠» دولار، ذكر الأخ مثلاً بطاقات ائتمانية فيها «٤٠٠» دولار، أو إذا كانت له عائلة ربما يعطونها بحسب عائلته نقول: ألفين دولار، فألفين دولار يبيعها بما يعادلها من الدينار الليبي بما شاء، لكن حين يريد أن يبيعه بالدولار فلا يجوز إلا أن يبيعه بنفسه ألفين مقابل ألفين، يعطيه ورقة فيها ألفين دولار ويقبض منه ألفين دولار، هذه الصورة يذكر الأخ أنها تكاد تكون ظالمة، هذه فيها ظلم، كيف؟

كما ذكر السائل: يقع هذا في الظلم في بلاد من الشيء الكثير، أنه لا يستطيع أن يُحصل، يريد شيء أكثر، يأخذها الظالمون... إلخ، فيضطر المسكين أن يعطيها لشركات، يأتي بالبطاقة التي فيها ألفين دولار يعطيها لشركة فتعطيه مثلاً خصم «١٠٪» أو خصم «٦٪» وبعضهم يتحايل ويقول: هي إجراءات عمولة تكاليف، كثيرًا ما يفعلونها، حين تصبح المظالم مشتركة إلى هذه الدرجة وتعم في الناس، فعلى الناس أن يتحصلوا حقوقهم بما يستطيعون، مع أن المتنفذين أو مع أن الذين يستغلون هذا الظرف مع أنهم ظالمون، أي الذي يستغل حاجة الناس فيأخذ مالاً بهذه الطريقة الربوية هو آثم، لكن نتحدث عن المحتاج.

هنا نأتي إلى قاعدة مهمة جداً لا بد أن ننبه عليها وهي أنه: قد يكون العقد حرامًا من إحدى الجهتين؛ آثم فاعله من إحدى العاقدين، ولكنه مأجورٌ من جهةٍ أخرى، مثال الرِشوة؛ رجلٌ أراد ظالم أن يأخذ منه بضاعته التي ثمنها مئة ألف دينار، يسرقها يأخذها تحت باب مظالم الحكومات، ومظالم الجمارك، ومظالم اللصوص في الدول الظالمة؛ فيستنقذ هذه المئتين ألف بأن يدفع خمسين ألف، لمن؟ لأحد المتنفذين فيها؛ هذا اسمه رِشوة، لا يدفع مئتين ألف ويدفع خمسين ألف، ما هو حكم هذا الفعل؟ الدافع مأجور؛ لأنه استخلص أكثر ماله، والذي يأخذ هذا المال مأزورٌ آثم؛ لأنه أخذ مالاً بغير حق ولا يجوز أن يعمل في هذه المكوس.

فحين تصبح المظلمة بهذه الصورة التي ذكرها الأخ، وهناك صور كثيرة كشراء الكلب، يعني الرجل يحتاج إلى كلب من أجل زراعته ومن أجل ماشيته أو من أجل حراسته في منطقه نائية، ولا يجد كلبًا إلا بأن يدفع الثمن؛ فيجوز له أن يدفع الثمن وهو مأجورٌ في هذا الدفع لضرورة تحصيل هذا الكلب والذي يبيع الكلب آثم؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع الكلب، وهكذا في قضية «عسب الفحل»، هكذا مع حرمة الشارع له، لكن الناس يحتاجونه فقد يقع على معنى الحاجة؛ فمأجورٌ من فعله على معنى الحاجة، مأزورٌ من أخذه على معنى مخالفة الشرع.

وبالتالي؛ الذي أقوله في هذه الصورة: يجوز للناس أن يستخلصوا من حقوقهم ما استطاعوا، وهناك الآثمون الذين يستغلون هذه الحاجة من أجل كسب الأموال كتجار الحروب، يستغلون الظروف والأوضاع فيبدأ هناك الاستغلال والسرقة واللصوصية؛ هؤلاء آثمون والناس مساكين عليهم أن يدبروا أنفسهم بما يستطيعون.

فالجواب: نعم يجوز في هذه المظالم المشتركة أن يخرج الناس منها بما يستطيعون والذين يأخذون آثمون، هذا هو الجواب باختصار والله تعالى أعلم.

بارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٤٣٨- هل يجوز عقد الزواج من خلال الإنترنت؟

ضمن الجلسة الخامسة والثلاثون، بتاريخ: (**٧/٠٨/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٢٣/٠٤/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل ويقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته -عليكم السلام ورحمة الله وبركاته- **شيخنا الكريم هل يجوز عقد الزواج عن طريق الانترنت بمحادثة فيديو مباشرة إذا كان الشاب العريس في بلد والتي يريد أن يتزوجها ببلدٍ آخر بأن يعقد القران بوجود شهود وولي الزوجة على المباشر؟**

جواب الشيخ: فيما أعلم أن العلماء اتفقوا على جواز الزواج بالمراسلة؛ بمعنى أن يرسل رسالةً لوليها يقول: زوجني موكلتك أو وليتك على مهر كذا وكذا فلما يصل إليه الكلام يقرأها؛ فيجيب، وبما يتحقق فكأنهما في مجلسٍ واحد، أي الرسالة تقوم مقام المجلس؛ وعلى هذا الرسالة قديمًا أكثر ضررًا واحتمالاً وفسادًا من النت وغيره، بالشرط الذي اشترطه زيادة أن يكون هناك شاهدان عند الزوج وشاهدان عند الولي أو الوكيل، يعني هنا يشهد شاهدان وهنا يشهد شاهدان، فهذا أفضل ليتحقق معنى الشهادة من كل أحد، هذا أفضل ودرءًا للفتن والمشاكل ولما يُحصل في ذلك من فساد.

فشروط العقد أي العاقدان والرضا والصيغة، الإيجاب والقبول معبران عن الرضا، ولا بد أن يقوم وليٌ أو وكيل عن المرأة، فالمرأة لا يجوز أن تعقد بنفسها وهذا هو الصواب، (**فإيما امرأة زوجت نفسها فهي زانية**)، (**ولا نكاح إلا بولي**)، فإذا غاب الولي كان الوكيل، أما المرأة بنفسها لا تباشر العقد، وأن يذكر المهر ولا بد من المهر هو شرطٌ للزواج، ولكن ليس شرطًا أن يذكر عند العقد، ليس من الشروط؛ فيجوز أن يؤخر وأن لا يسمى، ثم لو دخل بها فحينئذٍ من حقها أن تطالب بالمهر؛ وحينئذٍ يكون له مهر أترابها إذا تم الاختلاف، إذا وقع الاتفاق على أي مهرٍ يتفقون فلا بأس به.

فالقصد: أنه هنا رجل وهنا الوكيل وبينهما الأجهزة التلفون أو شيء يسمع هذان الشاهدان ما يقال، وهذان الشاهدان ما يقال؛ فيصح الزواج في ذلك والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين.

٤٣٩- التفريق بين الزوجين لعذر

ضمن الجلسة الخامسة والثلاثون، بتاريخ: (**١٤٣٩/٠٨/٧هـ الموافق لـ: ٢٠١٨/٠٤/٢٣ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخت تسأل: أن زوجها انتقل إلى بلاد الجهاد ولا يستطيع أن ينفق عليها، لكن تزوج في البلاد التي هاجر إليها مُجاهدًا وهناك ينفق على زوجته الثانية، تقول: أن الأخت ليس عندها مشكلة في التعدد لأنها مشروعة من رب العالمين، لكن تقول أن التعدد له شروط مثل العدل، تقول: تسأل ألا يجب العدل في أوقات الحرب بين الزوجات فرد الشيخ بحلول مثل أن يكون الحل هو الخلع أو الطلاق، الأخت تسأل: ما حكم العدالة بين الرجل وزوجته في وقت الحرب؛ لأننا في زمن لا نستطيع أن نطبق كلام عمر بن الخطاب لا ينبغي لرجل أن يغيب عن بيته في الجهاد أكثر من أربع أشهر، فالوقت وقت تضيق أمني ولا يستطيع أن يرجع إلى بلده؟

ويقول هو لزوجته: اصبري فسوف يبارك الله فيك ويؤجرك.

تقول هي: أليس كذلك من حقها النفقة؟

جواب الشيخ: إذا غاب الزوج غيابًا يضر بزوجته؛ فيجوز لها أن تطلب الطلاق مع كافة حقوقها، وفي مثل هذه الحالة عندها حالتان: إما أن يقبل الزوج بأن يفي بحقوقه إذا قبلت هي البقاء على ذمته وهو مهاجر، فهذا لها ومن إنصافها وحكمتها ومن عقلها ودينها ومن صبرها، ولكن يجب على الأخ أن ينفق عليها، فإذا هي رأت أنها محتاجة وهو لا ينفق عليها مع قدرته؛ فيجوز لها أن تطلب الطلاق، وأما هو فإذا كان عنده القدرة أن ينفق عليه ولم ينفق؛ فهو آثم، يجب عليه أن ينفق عليها إذا قدر، فإن لم يقدر يُخّلي سبيلها.

وهناك خلاف بين أهل العلم في قضية التفريق بضرر الفقر، فمثلاً: الشافعية لا يرون هذا، لا يرون التفريق بضرر الفقر، والجمهور يرون ذلك وهو الصواب، أن الرجل إذا افتقر فقرًا لا يستطيع به أن ينفق على زوجته فهذا ضررٌ شديد، يجوز لها أن تطلب الطلاق، وكذلك في قضية الغيبة فإذا غاب الرجل غيبةً أضرت بالزوجة؛ يجوز لها أن تطلب الطلاق، فالحالة إما أن تصبر إذا قدرت، وإذا كان الزوج يستطيع أن ينفق عليها ولم ينفق؛ فهو آثم، وإذا قبلت بالصبر فعليه أن ينفق عليها وجوبًا إذا قدر، فإن لم يقدر فعليها أن تصبر وإلا تطلب

الطلاق، هذا هو الجواب وبالله التوفيق والحمد لله رب العالمين.

٤٤٠- كيف يتلقى المؤمن بلاء ما بعد الجهاد؟

ضمن الجلسة السادسة والثلاثون، بتاريخ: (١٤/٠٨/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٣٠/٠٤/٢٠١٨ م)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

ورد سؤال بمعاني مختلفة أو بألفاظ مختلفة لحالةٍ واحدة؛ وهي ما يتعلق بالآثار السلبية التي يورثها الجهاد وتورثها الحالة الجهادية، الأسئلة كلها تدور حول أن كثيرًا من الأسواق الإيمانية الجهادية التي حصلت؛ قد قامت هذه الأسواق وصار فيها من الخيرات الشيء الكثير، وكذلك ككل عملٍ بشري يكون فيها الآثار السلبية، ويكون فيها ما يؤلم، هكذا هو شأن الحياة الدنيا، وإنما النظر إلى الأمر الأخروي وهو الميزان، علينا أن نحكم على الأشياء من خلال ميزان محبة الله عز وجل، ومن خلال بغضه جل في علاه.

فبعد أن تقوم هذه الأسواق الجهادية وتنتقل إلى مكانٍ آخر ولا نقول: تنتهي، ولكن تنتقل إلى مكانٍ آخر؛ تورِّث وراءها حالات مؤلمة، وحالات تستدعي منا النظر إليها بعين المعالجة.

من لذلك مثلاً: نحن نعلم أن أسعد الناس في موضوع الأسواق الجهادية هم الشهداء، هم أكثر من يربح، الشهداء يرحلون إلى الله عز وجل فينعمون ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠)﴾ [آل عمران: ١٧٠]، ويعيشون في مقعد صدق عند مليك مقتدر وأرواحهم تحشر في حواصل طيب خضرٍ تسرح في الجنة ثم تأوي إليها، هذا بالنسبة إلى العطاء الأخروي فهذا هو مقامهم، وكذلك هناك أناس يسعدون بإنفاق الأموال التي يتقبلها الله عز وجل ويرفع شأنها، وهناك من يقوم بأعمال جهادية الله عز وجل يحبها سبحانه وتعالى من الصوم في الجهاد والذكر فيه، ومقاتلة الأعداء، وإظهار كرامات هذا الدين مع الجهاد، كل هذه الأمور الإيجابية التي يقوم من أجلها الجهاد.

وقد عالجت في مرات متقدمة سابقة ما يقوله البعض: بأن الحالات الجهادية السابقة لم تؤتِ أُكلها في ظنهم، هكذا يقولون، وقلت: بأن هذه المقالة ليست سديدة، وأن هذا الحكم غير موفق، والصواب أن هذه الحالات الجهادية هي ككل الحالات الجهادية الإيمانية يحصل فيها الخيرات الكثيرة والبركات العظيمة، وبعد ذلك تنتقل إلى حالةٍ أخرى إلى مكانٍ آخر إلى تطورٍ آخر، فالجهاد نفسه يتطور، وقد وصفت هذا التطور بحالة

الزنبرك بخلاف من يريده ككرة الثلج يتعاظم في منطقة وينتقل إلى منطقة متعاظمًا، لا، هذه لا يكون بالنسبة لأوضاعنا، وإنما الملائم لسنن أوضاعنا بالنسبة لتطور الجهاد هو كما نرى زنبرك يقيم الحالة الجهادية هنا؛ فيترك الآثار الطيبة من انتشار الدين، التدين، انتشار العلم، انتشار السِمات والهدي النبوي كما نرى في أفغانستان، وكما نرى في البوسنة، وكما نرى في كثير من البلاد التي تكون قد أطبقت عليها العلمانية وأطبق عليها الانحلال الديني، فبعد ذلك تتحول إلى حالةٍ أخرى إلى حالةٍ إيمانية قائمة ليست على المستوى العام، ولكنها على مستوى جيد بالنسبة لعودة الناس للدين.

وكذلك الجهاد تطور في الحقيقة تطورًا فكريًا وعلميًا وأنشأ الكثير من الأسئلة والأجوبة التي تمخضت عنها هذه الحالات، وعندما ينتشر الجهاد مثل هذا الانتشار تدخل فيه الحالات المرضية التي تعالج برحمةٍ من الله عز وجل وبفضلٍ منه وبلطفٍ منه، ومن الواجب علينا أن نؤمن إيمانًا يقينيًا بأن الله عز وجل يرعى هذا الدين، وأن ما يقع من البلاء لا يعود على الأصل بالإبطال؛ لأن البلاء أمرٌ مصاحبٌ لهذا الدين ورفعته وعزته ونصره، وهو مصاحبٌ للجهاد، بل هو مصاحبٌ للإيمان؛ فإن أعظم الناس إيمانًا هم أكثرهم بلاءً وهم الأنبياء كما جاء في ذلك أحاديث صحيحة عن نبينا صلى الله عليه وسلم.

فهذه الحالات الجهادية والأسواق الإيمانية إذا خرجت من البيئة التي هي فيها إلى بيئةٍ أخرى أورثت بعض السلبيات التي نراها في كثير من البلاد، منها مثلاً: رأينا المصابين الذين يصابوا في القتال فتفقد منهم أطرافهم أو تتعوق أجسادهم عن الحركة، هذه حالة من الحالات، أو أنهم يعودون عندما ينفض هذا السوق الإيماني فيعودون إلى بلادهم أو بلادٍ أخرى تكون أحوالهم المادية سيئة فلا يستطيعون العيش وتقع عليهم الملاحقات ويقع عليهم السجن، بل يقع عليهم الاغتيال كذلك هذه كذلك حالةٌ أخرى نراها من آثار الجهاد.

ورأينا في بعض البلاد ما انتشر من قضية تزوج المجاهدين من هذه البلاد وإنجاب الأولاد، ثم بعد ذلك قُتل هؤلاء المجاهدون؛ فلم يعرف الناس أين آباء الأولاد الذين قتل آباءهم، وتأتي الدولة العلمانية المجرمة وتهين أرامل هؤلاء المجاهدين وكذلك تلاحق أطفالهم؛ فيقعون في مصائب طامة مؤلمة ومصيبة، هذه كذلك من آثار ما نراه من الحالات الجهادية التي تقوم، ويمكن للمرء بحسب تجربته ورؤيته وملاحظته أن يرى الكثير مما يقارب هذه المعاني التي ذكرتها، وهذا في الحقيقة شيءٌ يستدعي منا المباحثة والنظر فيه.

في الابتداء مثل هذه القضايا تحتاج إلى مؤسسات؛ لعلاجها ماديًا، ولكن يكفي هنا أن نلقي على هذه الأحوال معالجات إيمانية تربوية ترطب وتصبر قلوب الْمُبتلين، وأما المعالجة المادية فالمسلمون الآن ليسوا في مكانٍ هم بأحسن من مكانٍ آخر، كان هناك حالة من التدافع التي تجعل المرء يعيش في بلد أحسن منه في بلدٍ آخر، وإذا لوحق في بلد ربما يُفتح له مجال للعيش الحسن والطيب في بلدٍ آخر، لكن مرات رأينا في التجربة الجهادية القائمة والتي مضى بعض شأنها سابقًا؛ رأينا الإغلاق التام بحيث يصبح المرء مطاردًا في كل مكان.

فبعد أن ضربت أمريكا أفغانستان وتشرد الناس وانتشرت عبارة محاربة الإرهاب؛ رأينا صور من الألم الشديد حيث لا يستطيع المرء أن يختبئ في مكان من الأمكنة، ولا أن يلجأ إلى بلدٍ آخر، بل هو ملاحق، وإذا لم يكن لهذه الدولة عداء مع المجاهدين فإنها تطالب باستحياء أن يخرجوا منها؛ فيضطرون للخروج ثم يتم القبض عليهم وملاحقتهم.

القصد: بأننا رأينا البلاء على المجاهدين أشد ما يكون، خلاف من يعمل مثلاً في الحالة السياسية، في الحالة السياسية نرى الكثير ممن يُبتلوا بسبب العمل السياسي في بلادهم فيرحلون إلى بلادٍ أخرى ويعيشون عيشةً مقبولة، وإن كانت الغربة على كل حال هي مؤلمة وحالة من العذاب، لكن الحالة الجهادية ربما تختلف، أي بعد أن حدث ما حدث مع الحالة الجهادية في العراق رأينا كيف يطارد الإخوة، وكيف يلاحقوا؛ فلا يجدون لهم مأوى يؤبون إليه ويلوذون به، وكذلك كما ذكرت بعد أن ضربت أمريكا أفغانستان.

الآن أقول وأكرر: لمعالجة هذه الأحوال المادية من القيام على شؤون المعوقين مثلاً؛ هذه تحتاج إلى مؤسسات ورعايات، بعض البرامج الوثائقية التي تبثُها الجهات الإعلامية مثل التلفزيون في بريطانيا يرصد مثلاً المستشفيات العسكرية الحكومية التي تقوم على رعاية المصابين وهم كثر، فأنت لما ترى ما رشح أو ما خرج منها من القليل، القليل يخرج من هؤلاء المصابين إلى وسائل الإعلام لتشاهد النتائج الكارثية التي الله عز وجل أكرم بها المجاهدين بأن يصيبوا هؤلاء من عاهات في أبدانهم؛ فتجد الرعاية الشديدة، هذه مؤسسات تقوم عليها دول، وتنفق عليها الملايين من أجل رعاية هؤلاء المصابين، من جهة مادية خاصةً، ومن جهة نفسية كذلك تحتاج إلى مال وإلى نفقة، وكذلك تدبر لهم من الأعمال ومن الحياة التي بها يستطيعون العيش بلا شعور من اليأس القاتل الذي يؤدي بهم إلى حالات انتحار معروفة ومشهودة، فأنتم انظروا إلى هذا الجزء من الناس بعد

بلاء القتال مع خصومهم؛ تجد الرعاية الشديدة والأموال التي تُنفق والأبنية والرعاية الطبية، دول تقوم عليها، وهذا نجده في دول الغرب كذلك وفي أمريكا وفي غيرها.

أما المجاهد مسكين مكشوف الظهر وعاري الصدر، فهو على كل حال ليس له سبيل إلا أن يُستشهد فإن لم يقع له بركة الشهادة؛ وقع البلاء طوال حياته، ومن هؤلاء الذين يصابون مثلاً الإصابات البدنية، فالكثير ممن خرج من أفغانستان بسبب الألغام فقد قطعت أرجل الكثير من الإخوة، وبعضهم فقد جزءًا من بدنه، وبعضهم أصيب في عينه أو أصيب في عينيه وهكذا، فبهذه الأحوال بعد ذلك يكون الأخ عاريًا من الرعاية، لا يوجد رعاية له ولا لأهله ولا لقضاء حاجته ولا للقيام بشأنه، بل ربما يلاحق أمنيًا ويلاحق نفسيًا في أي بلدٍ يحل فيه حتى لو كان حتى لو كان بلده.

فإذن أيها الإخوة الأحبة هذا بلاءٌ عجيب، وهذا طريقٌ محفوف بالمخاطر، وهذا في الحقيقة في كل حالة، والأمور تختلف من بلد إلى بلد، ربما حتى بعد موت الأخ واستشهاده يُلاحق أهله بملاحقات، يقع هذا على أهله وعلى ذويه من الألم الذي يدفع غيره ثمن جهاده، هذه الأمور تحتاج من الدعاة إلى الاهتمام وتحتاج من الناس إلى الرعاية والإحسان، ومن ذلك إن ينظر إليهم النظرة التي يمكن أن نعتني بهم من خلالها.

أولاً: على كل الناس الذين يقدرون على مساعدة هؤلاء الإخوة والقيام بشأنهم ألا يقصروا، وهذا من أعمال البر والتقوى ومن أعمال الجهاد في سبيل الله؛ إنفاق المال على هؤلاء والقيام بشأنهم، وملاحظة أوضاعهم، وأوضاع عائلاتهم، وأوضاع أبدانهم مما يحتاجون من علاج إلى غير ذلك، فهذا ما نقدر أن نقوله في هذا الباب فيما يتعلق بالرعاية المادية.

أما بما يتعلق في تصبير هؤلاء الإخوة؛ أولاً: اعلم أن هذا هو الطريق، والبلاء واقعٌ بالجهاد وبغير الجهاد، هذا ينبغي أن تفهمه فهمًا تامًا، ما قدره الله سبحانه وتعالى لك من ألم سيصيبك سواء ذهبت إلى الجهاد أو لم تذهب إلى الجهاد، ولذلك أي شعور باليأس أو أي شعور بالندم على عملٍ جهادي؛ يفقدك الكثير من الخيرات، أولاً يفقدك الأجر من الله عز وجل؛ فإياك أن تندم أنك فعلت صالحًا ولو أدى هذا إلى ما أدى إليه من بلاء وعذاب ونقص في هذه الدنيا؛ فهذا هو شأن القيام بأمر الله عز وجل.

أقول: إن ما كتبه الله عليك من السجن، من فقدان البدن، من فقدان الأهل، ما كتبه الله عليك ستعيشه

سواء جاهدت أو لم تجاهد؛ فالله عز وجل رد على الذين قالوا لإخوانهم لو أطاعونا، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٦٨)﴾ [آل عمران: ١٦٨]، والله عز وجل قدر أن هؤلاء الذين ماتوا شهداء في أحد لو لم يخرجوا لبرز إليهم القتل إلى مضاجعهم، لجاءهم القتل ولم يقل الموت، أي الله عز وجل قدر أن يموتوا قتلاً فماتوا قتلاً شهداء، ولو بقوا في بيوتهم لوقع عليهم القتل لا الموت وهم في بيوتهم.

فالبلاء يصيب الناس، وأنت لا تنظر إلى بلائك أنت أولاً، أنك قد أصبت في سبيل الله فلا يوجد أحد يُبتلى ما ابتليت به إلا من جاهد، لا، أنت لو ذهبت إلى المستشفيات ونظرت إلى بلاء الناس لوجدت من قطعت رجله بسبب السكري، أو قطعت رجله بسبب حادث سيارات، أو قطعت رجله بسبب خصومة مع آخر أطلق عليه النار فأدت إلى قطع رجله، أو إلى فقءِ عينه، أو إلى فقدانه بعض بدنه، لو ذهبت إلى المستشفيات لرأيت الملايين من البشر وقع عليهم البلاء على أبدانهم بسببٍ لا يتعلق بالجهاد في سبيل الله، فالأمراض التي تصيب الناس وهم في بيوتهم هي التي جعلت من أعظم مظاهر هذه الحضارة المادية أن تُبنى فيها المستشفيات، من جانبٍ حضاريٍ كثرة بناء المستشفيات وإن كان هو دليل على الرعاية، ولكنه دليل على كثرة الأمراض كذلك، الحضارة المعاصرة لها سمتان:

المظهر الأول: كثرة السجون؛ فلو راجعت بعض البلاد لوجدت أنه من سنين كان فيها سجنٌ واحد، أما الآن فيها عشرات السجون، هذا مظهر من مظاهر الحضارة؛ لكثرة الإجرام ولكثرة الجريمة ولكثرة الفسوق عن الأحكام وعن الشرائع، فالناس يفتخرون الآن أن عندهم سجون كثيرة، ففي كل مدينة في البلد لا تجد سجنًا واحدًا تجد سجونًا، فهذا مظهر من مظاهر هذه الحضارة الغبية المعاصرة.

المظهر الثاني: كثرة المستشفيات، وإن كانت كما قلت: من جانب تدل على العناية الصحية، لكنها في الجانب الأكبر منها تدل على كثرة الأمراض وانتشارها وسريانها بين الناس وعجائب ما يقع فيها، كم من الحوادث التي تقع الآن في الناس بسبب الطرقات والسيارات والمصائب؟ كم من الحوادث التي تقع بسبب شرب المخدرات؟ من يقتل أمه ويقطع رأسها ويمشي بالشارع حاملاً رأس أمه!! والقتل، في كل البلاد تجد هذه الظواهر.

فإذن الله عز وجل رحمك بأن أصبت ليس وأنت تشرب الخمر، وليس وأنت تتعاطى المخدرات فوقع عليك البلاء، وليس وأنت في مشكلةٍ من مشاكل الدنيا، لا لم يقع هذا، بل وقع وأنت في سبيل الله؛ فهذا بلاء، والناس يعيشون البلاء على أنواع مختلفة، وأعظمهم مقامًا عند الله عز وجل هو من وقع عليه البلاء بسبب دينه، هذه مكرُمة عظيمة.

فلما عروة ابن الزبير رضي الله تعالى عن أبيه وهو ليس صحابي هو تابعيٌ جليل رحمه الله، لما قطعت رجله بسبب ما يسمى اليوم بالغرغرينا أو تسمى قديمًا الأكلة؛ فإنه حمد الله عز وجل أنه أذهب بعضه وأبقى بعضه، حمد الله عز وجل أن هذه الرِجل قد قطعت ولم يعصِ الله عز وجل فيها قط، وأنت احمد الله أن فقدت يدك في سبيل الله، وأن فقدت عينك في سبيل الله، وما تعيشه من بلاء يعيشه الناس، الفقراء في كل البلاد، ما تعيشه أنت من البلاء من قلة العناية؛ يعيشه الناس تجد الفقراء المساكين يقفون على أبواب المساجد ويقفون عند رؤوس الطرقات يتسولون؛ لأنه قد قطعت أيديهم وأرجلهم وفقئت أعينهم وكل هذا إما بسبب التعدي، وإما بسببٍ قدري، هكذا أتت الأكلة عل يده فقطعها، أتت الأكلة على رجله فقطعها.

والقصد من هذا أولاً: أن تعلم أن وقوع الأمر القدري عليك لا علاقة له بأنك نفرت وجاهدت؛ فإياك أن تستمع لأزلام الشيطان وأتباع إبليس بقولهم: لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ [آل عمران: ١٥٦]، هذا سماه الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾، الذي قدره الله عليك سيقع؛ فما أصبت به سيقع عليك، الناس الذين يعيشون في الغرب؛ الكثير يعيش في بلاء عظيم وعندهم الرعاية المادية.

طيب أنت الآن ترى نفسك أيها الأخ الحبيب قد قطعت يدك في سبيل الله، هناك من المجرمين من قطعت يده وهو في سبيل الطاغوت، نعم قد تقول: عنده رعاية وليست عندي رعاية؛ هذا من تمام البلاء عليك ومن رفعة الله لك، فأنت قد أكرمت بهذه الكرامة؛ بأن جعلك الله عز وجل وقفًا له قائمًا عليه، يجري عليك أجر فعلك إلى يوم القيامة، هذه يدٌ قد سبقتك إلى الجنة، هذه رِجلٌ قد سبقتك إلى الجنة، هذه عينٌ قد سبقتك إلى الجنة، وهكذا، فلأنه إذا أصيب المرء في الجهاد في سبيل الله؛ أصاب نصف الشهادة، وربما بصبره الشديد يكون

قد أدرك درجة الشهداء لما تمناه، فإن الرجل إذا دعا الله بصدق درجة الشهداء وسأل الله الشهادة بصدق؛ بلغه الله عز وجل منازل الشهداء وإن مات على فراشه، العبرة بما في قلبك، إذن هذا الأمر يجب أن تؤمن به.

الأمر الأول: يجب عليك أن تؤمن بأن القدر الإلهي سيصيبك، ولا علاقة له بنفرتك في سبيل الله، أو عدم النفرة، أو القعود، أو الجلوس في البيت.

الأمر الثاني الذي ينبغي هو: الاحتساب أن تحتسب عند الله عز وجل، وهذا تفريعٌ لهذا القضية الأولى، وما ذكرته، فإياك والندم؛ لأن الندم يسقط أجرك، الندم على الطاعات يسقط الأجر، ولذلك ينبغي أن تحتسب عند الله عز وجل هذا، أن تصبر ومن تمام الاحتساب هو أن تصبر، حتى إن الإمام أحمد رحمه الله كان في مرض موته يئنُّ حتى أخبر بأن طاووس مات ويقول: «بأن الأنين شكوى»؛ فترك الأنين، كما ذكره عنه ابنه عبد الله، ترك الأنين لأنه لا يريد أن يشتكي.

والإمام الشعبي يقول: عشت مع زوجتي أربعين سنة بعينٍ واحدة وزوجتي لا تعرف أن عيني الأخرى مصابة، إياك أن تشكو، لأن الشكوى إلى الناس لا تنفع شيئًا، لا تغير قدرًا، بل هي تُذهب أجرك، واشك إلى من يسمع قولك ويقيمك على الجادة التي تحب وهو الله سبحانه وتعالى، إياك أن تشكو لغير الله عز وجل، إذا كان من قبيل الإخبار كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (**بل أنا وارأساه**)، هذا من قبيل الإخبار وليس الشكوى وليس الاعتراض؛ فهذا لا بأس به، كما في الحديث عندما قالت أمنا عائشة رضي الله عنها: «وارأساه»، فقال صلى الله عليه وسلم: (**بل أنا وارأساه**)؛ فدل على أنه يجوز للمرء أن يخبر بمرضه، ولكن ليس على معنى الشكوى، وليس على معنى الاعتراض، وليس على معنى أنه من التكاليف الإلهية.

إذن المطلوب هو الاحتساب، أولاً بعد قضية الفهم لوقوع القدر وهو أن تحتسب الأمر عند الله عز وجل، أن تحتسب هذا الأجر، وكلما زاد احتسابك؛ كلما زاد أجرك، وكلما نظرت إلى بركة ما يعطيك الله عز وجل يوم القيامة؛ يرتفع أجرك عند الله عز وجل.

ويتفرع عن هذا الاحتساب؛ وجوب الصبر، وكما قلت: فقد ترك الإمام أحمد رحمه الأنين مخافة أن يكون شكوى؛ فعليك أن تصبر، والصبر يعني وجود الألم، والصبر الجميل كما في الآية: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ١٨]،

قال: بلا شكوى، فأن لا تشكو من الصبر، فمن الصبر هو وجود الألم، فلولا وجود الألم؛ لم يكن هناك ثمة صبر، ولولا وجود التميز في الألم.

الأمر الثالث: هو ما يتعلق بأن تشعر بأن الله عز وجل قد أكرمك، فوق معنى الاحتساب وفوق معنى الصبر أن الله عز وجل قد أكرمك، وكما قلت في الابتداء: الله عز وجل يكرم في هذه الأسواق الإيمانية الشهداء، والدرجة الثانية من الإكرام هم الذين يصابون بهذا البلاء على معنى إيمانيٍ من الصبر والاحتساب، فأن تنظر إلى هذه أنها نعمة، أن الله عز وجل قد اختصك بخصائص لم يخص بها الآخرين، إياك أن تنظر إلى أنك أدنى، بل انظر إلى أنك أرفع وأعلى بما أصابك في سبيل الله وما قدمت في سبيل الله من وقتك، من جهدك، من مالك من بدنك، ولذلك عليك أن تنظر إلى نعمة الله فأن تحمد الله على هذا، هذا فوق الصبر وفوق الاحتساب وهو أن تنظر إلى نعمة الله عز وجل عليك فإن الله عز وجل قد أكرمك بما لم يكرم به الآخرين.

ومن الواجبات عليك في هذا الأمر، وهذا المعنى من رؤية الناس لك صابرًا محتسبًا ذاكرًا نعمة الله عز وجل عليك؛ وهو أنك لا تقف أمام هذا الجهاد، لأنه الذي يقع كالتالي؛ حين ينشر بعض الناس الأخبار السيئة عما وقع له من الجهاد، وما وقع له من إعراض الناس، وقلة المساعدين، وقلة العناية؛ يغلقون باب الخير على الناس، فالآخر عندما يرى حالتك؛ يهرب منها ويترك الجهاد، فتكون أنت صادًّا عن سبيل الله.

وأنتم تعرفون القصة الرائعة التي يُمَثَل بها في أن رجلاً كان على فرسه فمر على رجلٍ مقعد فاستغاث به المقعد من أجل أن يركبه على فرسه ليذهب معه إلى القرية، فنزل الرجل الكريم الشهم عن فرسه ووضع الرجل المقعد فوق الفرس من أجل أن يحمله إلى قريته، فما أن استوى على الفرس حتى أخذ اللجام وطار بالفرس وهرب وترك صاحب الفرس وراءه، فنادى عليه صاحب الفرس المسروق، نادى عليه: يا هذا تعال، مباركٌ عليك الفرس خذه، لكن إياك أن تخبر أحدًا بهذه القصة بأنك ضحكت عليّ وأخذت مني الفرس بمثل هذه الطريقة من الخيانة، فسأله لِمَ؟ فقال له: لئلا تموت المكارم بين الناس؛ لأنه حين يسمع الناس بهذه القصة يمرون بعد ذلك على المقعدين والمحتاجين حقيقة فلا يساعدونهم؛ فتموت المكارم، وهكذا الشرير أقفل باب الخير على المحتاج وعلى الصادق.

وأنتم ترون اليوم يمشي المرء في الشارع فيجد متسولاً طالبًا فيتحير أمصيب؛ فيعطيه أم أنه كاذبٌ؛ فيجتنبه،

وهكذا إياك أن يزورك الناس فيجدونك معترضًا على قدر الله عز وجل، أو أنك شاكيًا، فإنهم حينئذٍ ينفرون ويخافون من هذا الذي أنت فيه، وقد كنت أنصح الإخوة المساجين أن يعلموا هذا لنسائهم وأهليهم عندما يأتي إليهم الزوار ويزورونهم وأزواجهم في السجن، فإذا بقيت المرأة تشكو من الحال؛ فحينئذٍ تذهب المرأة إلى زوجها وتنفره من قولة الحق، وتنفره من هذا الطريق، السبب؛ لأنها رأت البأساء في داخل بيت المسجون، لكن حين تزور هذه المرأة بيت المسجون فتجد أن زوجته شاكرة لنعمة الله، صابرة على ما هي عليه، مبتسمة، قد تلقت أقدار الله عز وجل بالصبر والاحتساب؛ فحينئذٍ ربما تتمنى أن زوجها يكون في هذا المقام، إي والله وهذا يقع، وقد وقع.

القصد أيها الأخ الحبيب وأيُّ واحدٍ أصيب بمثل هذا المصاب: أن يتذكروه، حتى يأتي أمر الله، نحن الآن كالأيتام على موائد اللئام، ولا يوجد من يعتني بهؤلاء وبهذه الطبقة من الناس الذين يقع عليهم البلاء، هذه الطبقة من المبتلين، فحتى يأتي أمر الله عز وجل، وفي الحقيقة هذا ليس فقط عندنا في كثير من البلاد يشكون مثل هذا الأمر، حتى في البلاد التي ذكرتها يوجد فيها العناية يقع كذلك التقصير، فلا تظن أنهم يعيشون ملوكًا وعلى رضا تام، لا، هناك -وأنا كنت كما تعلمون في بريطانيا- هناك كثير من الجماعات قاموا بدعاوى قضائية ضد الحكومة لأنها منعتهم مثلاً التقاعد أو منعتهم الضمان؛ بسبب أنهم لم يبلغوا السن القانوني في البلاء مع أنهم قد خرجوا من الخدمة بسبب الإصابة وهم يقاتلون في العراق أو في أفغانستان.

صدقوني أن بعض الدول في حربها مع اليهود مات جنودها فذهب -حتى تعرفوا أن البلاء عام وليس خاصًا بالمجاهد- وهذه وقعت لقريب لي وليس لرجلٍ بعيد، كان يقاتل في إحدى الجيوش العربية التي تقاتل إسرائيل، فلما مات هذا، ذهب أهله ليأخذوا مستحقاته المالية، وقديمًا في «١٩٤٨ م» و«١٩٦٧ م»، كانت المستحقات قليلة جدًا، فلما ذهبوا؛ فخصموا عليهم، الرجل مات وذهب ودفنوه، ولما دفنوه إما أنهم وجدوه أو لم يجدوه، ولما وجدوه لم يهتموا بأن يعيدوا مثلاً «البسطار» العسكري -الحذاء العسكري للجيش-، وكانت قديمًا الفانيلا العسكرية عيرة، أي تستعار إعارة فيجب أن يردها العسكري قديمًا، وكذلك اللباس الداخلي، وكذلك الجوارب، وكذلك البوريه العسكري، فلما ذهبوا ليأخذوا مستحقاته المالية بعد مقتله؛ فخصموا عليهم أثمان هذه المواد التي يعدونها إعارة لهذا الجندي، وبلغ أنهم صاروا مدينين للحكومة وليسوا أصحاب حقٍ ومال؛

لأنهم وجدوا بأن هذه المواد أثمانُها أكثر مما يستحق من التقاعد أو من الاستحقاق بسبب القتل، انظر البلاء يقع والأحوال تكون عامة.

القصد من هذا: أن تتصبر فيما ترى في غيرك، ولكن يكون صبرك أعظم؛ لأنك أنت في سبيل الله عز وجل، ربما يكون هذا الكلام مؤذيًا للبعض؛ لأن البعض هو أعظم من ذلك وهو صابر ومُحتسب وكذا، ولكنه يتألم لأنه لا يجاهد ولأنه خرج من المعركة، في الحقيقة هذا كذلك يحتاج إلى فهمٍ شرعيٍ صحيح لأمره.

أولاً: اعلم أنه إذا سافر المرء أو مرض كما في الصحيحين، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(إِذَا مَرِضَ العَبْدُ، أَوْ سَافَرَ، كُتِبَ له مِثْلُ ما كانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا)**، له أجره، فأنت يجري عليك أجرك إلى يوم القيامة، يجري عليك أجرك أجر المرابطين والمجاهدين إلى يوم القيامة، والذي عوقك إنما هو أمر الله الغالب عليك، والله عز وجل رحيم بعباده؛ فيجري عليك أجر المجاهد الذي كنت فيه، والقيام الذي كنت فيه، والعبادة التي كنت فيها، والجهاد الذي كنت فيه إلى يوم القيامة، فلا تندم هذا أجرٌ وغنيمةٌ باردة من الله عز وجل ورحمةٌ معطاة؛ لأنه الكريم، ولأنه اللطيف؛ ولأنه الجوّاد؛ ولأنه الرحيم؛ ولأنه الغفور.

فأنت تتعامل مع ربٍ كريم يعطي على التسبيحة الواحدة شجرة في الجنة تسير الجذعة في أصلها حتى تنقطع ترقوتها ولا تصل إلى نهايتها، ويمشي الطائر الأبقع في ظلها مئة سنة فلا يقطع ظلها، أنت تتعامل مع ربٍ رحيم التسبيحة عنده شيءٌ عظيم، فكيف إذا فقدت بعضك، إذا قدم الرجل درهمًا واحدًا؛ نماه الله كما ينمي أحدكم فلوه حتى يأتي يوم القيامة كجبل أحد، أنت لم تقدم درهمًا أنت قدمت بعض بدنك الذي لا يُباع ولا يتشرى ولو بملء الدنيا لا يبيعه المرء، العين لا يبيعُها المرء بالدنيا بكاملها؛ فأنت قدمت شيئًا عظيمًا؛ فالله عز وجل يحبك، هذه منزلة استغلها كرامةٌ من الله عز وجل، عليك أن تصبر عليها حتى تلقى الله عز وجل لما تعلم من أجرها وفضلها وكرامتها.

ويوم القيامة ترى هذه الجبال العظيمة من الأجور لك على صبرك، وهناك من الناس من أجلهم الله عز وجل لخيرٍ عظيم؛ فكن أنت من هؤلاء، هناك من الشهداء استشهدوا ولهم أجورهم التي هي عند الله عز وجل، أنت هناك أبواب من الدين والعلم ومن الخير العظيم ومن الرفعة، يكفي أنه إذا نظر الناس إليك؛ تذكروا أنك مصابٌ بسبب الجهاد؛ فعلموا أنه هناك ثمة جهاد في هذه الدنيا، ثم رأوك كيف تخرج من بلائك بطلب العلم

فيرتفع أمرك وشأنك؛ فيجتمع فيك الخير من كل جوانبه.

هذا ما أدعو الإخوة له وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجزي هؤلاء الإخوة عنا خير الجزاء، وأن يصبرهم وأن يرفع شأنهم، ولا شك أن ما يقع عليهم من النعيم الإلهي من الواردات والمعاني الإلهية العظيمة الإيمانية في قلوبهم، لا شك أنها أعظم من هذه الكلمات الجافة التي أقولها والميتة التي تخرج من فمي، ولكنها واجب الوقت وواجب من يعلم أن يحدث بها من لم يعلم، وأن يذكر بها من علمها ونسيها، والله تعالى أعلم.

بارك فيكم والسلام عليكم ورحمة الله.

٤٤١- تحذير من فتنة الإعلام بالتيئيس والإحباط

ضمن الجلسة السادسة والثلاثون، بتاريخ: (**١٤/٠٨/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٣٠/٠٤/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

هناك الكثير مما يقال في موضوع الإحباط النفسي الذي يعيشه كثير من المسلمين وتمارسه المؤسسات الإعلامية والمشايخ، وتمارسه الدوائر الاستخباراتية في إيصال الأمة إلى حالة من الضعف وحالة من اليأس والقنوط بحيث تستسلم لأقدارها، يعتمد هؤلاء في توصيل الأمة إلى هذه الحالة -وأعيد وأكرر قلتها كثيرًا- وهذه الحالة من حالات قصف العقول والنفوس، تدمير النفوس، يمكن للمرء أن تنشط إرادته ويكون عنده بعض القوة بأن ينفر فيقاتل ويقتل، فهذا قُتل بعد المحاولة وبعد أن قامت إرادته وقوته لتحصيل الحق الذي يريد؛ فقتله الأعداء، ولكن هناك طريقة تمارس هي أعظم من ذلك وأنفع من ذلك وهي قتل إرادته قبل أن تنشأ؛ فحينئذٍ حين تُقتل إرادته قد قتل تمامًا، ولم يحتاج الخصم إلى كبير معركة من أجل أن يعوقك، الطريقة هي كالتالي: إذا نفرت فأن تُقتل بعد النفير هذه حالة هم يحضرون لها جنودهم ويحضرون لها أسلحتهم وعتادهم ويعبؤون بها أمتهم بأن تبقى دئمًا جاهزة.

أنتم تلاحظون في هذا السياق، وأنا لاحظت هذا؛ كل سنة يخرج مسؤول يهودي بأن يقول: هذه السنة حاسمة جدًا، وأنها ستشهد الكثير من التغيرات التي ستصيب الدولة اليهودية بالفتن والبلاء، وأن هذه السنة ستكون سنة شديدة الوضع على دولتنا، وأنت تتعجب! في كل سنة تقوم جماعة ليس واحد أو اثنين، بل يكونوا جماعة يقولون هذا الكلام!

في الحقيقة أنا لما تفكرت ونظرت إلى هذا بمراقبة ليست دقيقة، ولكنها عاجلة؛ فوجدت أن هذا المعنى هو من البناء النفسي لليهودي في داخل دولتهم؛ لأنهم يحضرونه أن يبقى مستعدًا، يحضرونه إلى أن البلاء محيطٌ بهم في كل لحظة، هذه كلمات سواء لها أسبابها الحقيقة الواقعية من قيام الأمة وهذا بلا شك، كل فلاسفة التاريخ يقررون أن هذه الأمة فيها عوامل النهضة والقوة التي ستظهر حصونها يومًا ما، هذه الدول ستزول، وهذه الدولة المسخ التي رُكبت كجسمٍ غريب في الأمة ستلفظه الأمة، الأمة نعم تضعف، لكن لا تموت.

أعود إلى النقطة التي هي مقدمة لما سنتكلم به:

يبدؤون بشحن المجتمع اليهودي لتحمل البلاء ولإبقائه مُستَفزًا ولإبقائه صاحيًا منتبهًا إلى معركة وجوده على هذه الأرض ضد هذه الجموع وهذه المساحات الواسعة من الخصوم المسلمين، هذه طريقة عندهم، يقابلها عندنا حالة من القتل النفسي.

إذن الحالة الأولى التي يُفَعِّلون به القتال مع خصومهم وهي أنهم يقتلونه في المعركة والحرب.

والرؤساء كما تذكر تاتشر في كتابها عن «Downing Street»، تذكر بأنها فرحت جدًا بفوكلاند؛ لأنها صنعت لها حالة من المجد، الرئيس يحب أن يُقاتل، لأنه يريد أن يصنع المجد، حتى على مساكين، فقد يعظم المساكين من أجل إذا قتلهم؛ يقول: قد قتلنا كبارًا، ليس مثل أن نقول: قاتلنا جرذاناً، لا، هم يحبون أن يعظموا الخصم حتى لو كان جرذًا وحتى لو كان صرصورًا يعظمونه حتى إذا قضوا عليه؛ انتفخوا وانتفشوا وقالوا: قاتلنا كبارًا مثلنا؛ من أجل أن يدخل هذا السياسي التاريخ، ومن أجل إبقاء حالة الاستفزاز والحضور والانتباه في داخل المجتمعات خاصةً العسكرية منها، إذن هذه حالة.

وحالة قبلها وهي الحالة الأولى وهي: إماتة إرادة القتال، فلماذا ينتظرونك حتى تقاتل؟! ربما يضربونك كعمليات استباقية قبل أن تقاتل وقبل أن تتحضر لمجرد أن فكرت، لكن هم يضربون نفسيتك ابتداءً حتى لا تفكر بمقاتلتهم، أعظم طريقة لإماتة هذه النزوع النفسي للقتال هو إماتة الإرادة، وذلك عن طريق اليأس والإحباط، لا يعني أن هذا قد انتهى، لا، هناك حالات متقدمة عن هذا، وهو أن يجعلوك عضوًا في داخل دوائرهم، تخدمهم بطرق متعددة، أن يشتروك بالمال، أو أن يجعلوك جاسوسًا خادمًا لهم، أو رجلاً من رجالهم، أو أن يجعلوك خادمًا لهم دون أن تدري وهو ما يسمى بالمغفل النافع.

وأنا أتكلم هذه الكلام فقط، لكن الكلام في هذا الباب طويل ومظاهره تشمل حياة المسلمين جميعها تشمل حياتهم كلها.

فموضوع الحجاب، موضوع غطاء المرأة، انظر، هذه المرأة التي تلبس النقاب وتلبس هذه العباءة السوداء وتمشي، هذه أولاً خرجت من إيثار الجاهلية، والجاهلية ليست كلمة، الجاهلية مؤسسة، الجاهلية دولة، الجاهلية

رجال، الجاهلية حكومة، الجاهلية منظمة، الجاهلية شركة، كم يُنفق في بلاد المسلمين من حكام ومحكومين، كم ينفق على الأزياء؟

انظر إلى هذه المرأة كيف خرجت من إيثار الجاهلية أولاً: هذه المرأة المحجبة والمنقبة امتثلت أمر الله عز وجل؛ فسعدت، وهذه المرأة لما تحجبت؛ حافظت على نسق الإيمان للمجتمع، هذه المرأة لما تحجبت؛ منعت الفتنة، هذه المرأة لما تحجبت؛ منعت نزوع الشر في الأمة... إلخ، لكن كذلك في جوانب أكثر بعدًا في خروجها من الجاهلية؛ أنها خرجت من إيثار هذا المجرم الجاهلي الشيطاني الذي يريد أن يجعل منها سوقًا لفتنته، وسوقًا لمعصيته.

تفكر لو أن شركات الموديلات وقع في ذهنها أن المجتمعات الإسلامية فقط، أنه لم يعد لهذه الشركات في هذه المجتمعات الإسلامية سوقًا لتسويق بضاعتهم التي ينفق عليها الملايين، هم عندما يرون المحجبة؛ فهم يشعرون بالقهر بأنها خرجت منتصرة من مساحة جرمهم وفسادهم، هذه المرأة خرجت، على معانٍ متعددة، حتى من إفسادها، فهذه المرأة ليست مجال غواية، هذه المرأة ليست مجال فتنة، هذه المرأة ليست مجال شركة عطور تتعطر خارجة كل يوم تضع العطر، هذه المرأة ليست مجال دعاية للباس فاتن تخرج به إلى الناس، فعلينا أن ننظر إلى دين الله عز وجل الذي نتعبد الله أولاً لعملٍ إيماني؛ من أجل دخولنا في رضا الله ودخولنا في رحمة الله وإيصالنا إلى الجنة، ولكن هو في الجانب الآخر كل ما يقوم به المسلم هو جزء من معركته ضد الجاهلية، ضد الشيطان، فالشيطان هذا له رجال، ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ﴾ [الإسراء: ٦٢]، قال تعالى: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (٦٤)﴾ [الإسراء: ٦٤]، يشاركهم بالأموال والأولاد وله رجال يمشون ويتحركون من خلال مؤسسات ومن خلال التلفاز.

وهذا كله من أجل أن نعرف طبيعة المعركة وحقيقتها من ذلك وهو قتل هذا النفس الإيماني الذي يخيف الأعداء، لمجرد وجود نفس إيماني بأن هذه حلقات الردة الطاغوتية ستسقط؛ فهذه حالة إيمانية يبغضها الشيطان، لمجرد وجود معنى إيماني في نفس رجل أن هذه إسرائيل دولةٌ زائلة ستزول؛ هذه حالةٌ إيمانية يجب أن تقتل، وعادةً يستغل الشيطان كما هو الفيروس يستغل لحظة القلق، والعودة من حالة إلى حالة.

وأنتم تعلمون أن الأسواق الجهادية عندما تفسر أنها حالات فاشلة؛ هذا يفرح الشيطان فرحًا شديدًا جدًا ويستغله الخصم، ونحن عندنا نقول: يفرح الشيطان أي يصبح حقلاً نافعًا من أجل غرس كفره وشركه ويأسه في القلوب، عندما نقول هذه الكلمة، ولذلك عندما يقول أحد: قد خسرنا؛ فحينئذٍ تصبح المساحة مفتوحة لغرس الشيطان، بأن يوقع اليأس في القلوب لأي أعمال أخرى، فهذا بابٌ من الأبواب التي نراها.

ومن الأبواب التي يمارسها الذين يقصفون عقولنا وإيماننا وديننا وهو أن هذه الأمة لا يوجد فيها المناعة، انتهت، خلاص سقطت أمام أعدائها، انظر إلى الحكام يتساقطون كلهم يقبلون أرجل وأدبار الكافرين، كلهم يسعون ليل نهار لإنفاق المليارات من أجل تثبيت عروشهم، الشعوب لم يعد لها أثر، هذا الربيع العربي انظر الشعوب خرجت وغيرت وبالنهاية عادت الدولة العميقة والجاهلية إلى ما كانت عليه، بل أقوى شراسةً وأقوى عنفًا ضد خصومها؛ فهذا يستغله الشيطان.

وهناك من الذين يقومون بهذا الاستغلال، فعندما يأتي أحدهم ويقول: قد قاتلتم دولة إسرائيل بعبارات -هم يسمونها عبارات دعائية ويسمونها لغة خشبية- أنتم قلتم سنين طويلة بأننا سنرمي اليهود في البحر، والآن انظر اليهود يتقدمون وصاروا أصدقاء الحكام ودخلوا على الشعوب والعالم يمدحهم، كان العالم يخاف نقل سفارة إسرائيل من تل أبيب إلى القدس، الآن ربما قريبًا ستنقل، وكما يقول رئيس الوزراء بنيامين: ستلحق الكثير من الدول بهذا، هناك دول عربية كان مجرد ذكر دولة يهود يعد جريمة، اليوم يجلسون معهم، ويدعون المسلمين من كل البلاد إلى التصالح مع اليهود، واعتبارهم جزءًا من المنطقة، بل هم أسياد المنطقة، تمارس الآلة الإعلامية دور المدفعية في قصف إيماننا وثقتنا بديننا، وإيصالنا إلى حالة الإحباط واليأس من أن يكون هناك التغيير، يجب علينا أن ننتبه لهذا، أن ينتبه خطيب الجمعة لهذا، أن ينتبه الكاتب إلى كلماته في هذا الباب، أن ينتبه الإعلامي المغفل، فهناك إعلاميون مؤطرون وهم يمارسونها بخبث وإجرام؛ لأنهم هم ضمن دوائر إعلامية ودوائر ثقافية يمارسون عملية التيئيس وقصف إيمان الأمة بنفسها.

ومن هنا الأمة ليس فيها قابلية الاستعمار، هذه كلمة خطأ، وأنا إن شاء الله سأناقش هذه الكلمة بعض المناقشة في كلامي على مالك بن نبي؛ الأمة لم يكن فيها يوم من الأيام قابلية الاستعمار، لم يكن، ولما تحدث مالك بن نبي عن قابلية الاستعمار، كان هناك ظهور الحالة الإيمانية سواء على مستوى مقاومة ما يسمى

الاستعمار أو الاستحمار أو على المستوى الثقافي والإيماني وبروز الإيمان، نعم في كل الأمم يوجد هناك مزبلة، في كل حي تجد مزبلة؛ لكن ليس الحي هو المزبلة، في كل مدينة تجد عاهرة؛ لكن ليس كل المسلمات عاهرات، في كل سوق تجد لص نصاب يبيع بالخبث والكذب والخداع؛ ولكن ليس كل السوق وكل البائعين فيهم ذلك، الأمة لم يكن فيها أبدًا قابلية الاستعمار، الأمة قاومت وحاربت وكان فيها عوامل الرفض الأكثر، نعم الجموع تحتاج إلى قائد والظروف مرات لا تسمع هذا القائد، ومرات يكون طغيان الكفر أكبر، ولما جاء إلينا الاستعمار جاء إلينا عن طريق البارود والأمة فاقدة لكثير من القوة، لكن قابلية الاستعمار لا يوجد هذا في الأمة.

وانظر إلى عدد العلمانيين في العالم الإسلامي، بعد مئة سنة من شغل العلمانية على المجتمعات الإسلامية، كم هم؟ تعدهم في البلاد عدًا، هذا الخبيث، وهذا الخبيث، وهذا الخبيث، انظر لو جمعت كل العلمانيين في بلد ودعوت الناس لمحاضرة لهم، فانظر هل عدد الجموع فيهم يعادل حضور الناس إلى خطبة الجمعة في مسجدٍ كبير جامع، ما الذي يصيبنا بأننا انهرنا وأن والعلمانية قد سيطرت؟! هذا غير صحيح، هذا كذب، وإحصاءٌ فاسد.

أو حين نرى حاكمًا طاغيًا مجرمًا باع الدين وغير وصنع مثلاً ملاهي فتجد الجموع، انظر إلى جموعهم هذه وإلى نسبة الأمة والى نسبة العدد، بلد فيه ثلاثين مليون يعمل دعاية وتشجيع من أجل حضور هذا العهر ثم يحضر أربعين ألف أو خمسين ألف، وهم يأتون من كل البلاد، ونتحدى أن يسمح لشيخ من المشايخ في حضور هذا البلد وأن تُعمل له نصف هذه الدعاية ونرى كم سيحضر؟ الملايين ستحضر؛ يجب علينا أن نعيد الثقة بهذه الأمة.

نعود إلى القضية الإعلام، فهناك إعلام مُسيس وإعلام مرسوم المعالم، وهناك إعلام غبي يرسم لنا الطريق إلى الهاوية والطريق إلى الذهاب والطريق إلى أن الأمة انتهت، ويبدأ جلد هذه الأمة، وللأسف بعض الإعلام الذي نراه يمارس هذا بغباء وهو جلد الأمة إلى درجة التيئيس، إلى درجة أنها خلص ماتت، ما الذي تريدونه؟ جاهدتم فلم تفلحوا، خرجتم مظاهرات وأسقطتم النظام فلم تفلحوا، وقاومتم كثيرًا فازداد فساد الحاكم وازداد فساد المؤسسة العلمانية، كان هناك علمانيًا فصار عشرة، وتبث البرامج على هذه المعاني في داخل هذه المؤسسات الإعلامية، وهناك من المشايخ من ينساق معها وإذا جلست معه؛ وجدته محبطًا، وجدته يائسًا، وجدته قد قتله الإحباط واليأس والبصق على الأمة والنفور منها، ولم يبق إلا أن يضع عليها شاهد أنها ماتت.

هذا يجب علينا أن نحذر منه، يجب علينا أن نفهم بأن هذه الأمة الحمد لله فيها الخير العظيم وفيها الدين العظيم وفقط، والذي ننتظره هو فقط تغير الظروف، الأقدار التي تسمى عند بعض الباحثين بالظرف الموضوعي، ولا نسمي تسميتهم، هي ظرف سني، والحمد لله الجاهلية تتفكك، لا تنظر إليها من خلال صراخها في إعلامها وتبجحها، ولا تنظر إليها من خلال المؤتمرات التي تجتمع فيها...

تعال إلى القضية الفلسطينية باعتبارها قضية محورية في قضية الصراع مع الجاهلية، هل نسي الكبار؟! هل نسي الصغار؟! هل نسي أحد أن هذا يهودي يجب أن يقاتل؟! تلتفت إلى واحد خبيث يخرج إلى التلفاز ليقول لك: بأن اليهود لهم حق في فلسطين!! انظر إلى الملايين كيف تبصق عليه، والله لو خرج إلى الشارع ولم يكن هناك ثمة موانع من الأمن الذي يحميه والدولة التي تدفعه وتدفع له؛ والله لمات من شدة البصق عليه، والله لو ترك لبصقت الأمة عليه حتى يموت.

والقصد من هذا: ألا نلتفت، هناك وسائل خبيثة وخفية في إيصالنا إلى حالة اليأس، وهي جلد الذات؛ الأمة استعمرت، الأمة انتهت، كأن الجزيرة خلاص خرجت من حيز الإيمان لمجرد هذه الظواهر التي يُعبئ لها الشر وتُعبئ لها الجاهلية، هؤلاء هم الذين نعرفهم من القلة الذين كانوا إذا خرجوا إلى الغرب أو خرجوا إلى خارج البلاد في الطائرة تخلع جلبابها وتخلع جلباب الحياء وتتكشف هؤلاء هم.. أهذه أمتنا؟!

هذه الجموع من المستورات، هذه الجموع من المساجد، هذه الجموع من المؤمنات، هذه الجموع من الطائعين لربهم، الحفاظ لكتاب ربنا، المؤسسات العلمية الصامدة، والمشايخ الصامدون الذين يبثون الخير بطريقٍ خفيٍ ذكيٍ فيه البركة، ويصنعوا ستارًا قويًا من أجل الوقوف أمام الشيطان وجاهليته.

فانتبهوا إلى هذه المؤسسات، انتبهوا إلى هذه الحوارات التي تقوم، وأنا لا أريد أن أسمي، ولو أن الأمور مفتوحة جيدًا لذكرت لكم نماذج، انظروا إلى هذه العبارات، انظروا إليها كيف تصنع اليأس! إياك، إياك من أن يغزو قلبك ولو سهمٌ واحد من سهام إبليس؛ لأنه حينئذٍ يُبنى هذا السهم إلى أبنيةٍ من القنوط التي تؤدي بك إلى الكفر والانخلاع، ما هو سبيل اليأس؟ هو القنوط والانخلاع من هذه الأمة، والتبري منها، وعدم الشعور بالاعتزاز بها، هذه أمةٌ عظيمة، ومازالت عظيمة، وفي كل وقت تثبت أنها عظيمة، نحن وفي أوج ضعفنا -إن جازت هذه الإضافة- في أوج ضعفنا أذلت هذه الأمة أكبر إمبراطوريات التاريخ، في أوج ضعفها أذلتهم

وصنعت منهم ألعوبةً واستهزاءً من قبل الأمم الأخرى، مازال هناك شباب، وما زالت هناك أمة تنتفض، فهذه الجموع التي تقدم الدماء هنا وهناك في الشمال والشرق ولولا الحصار الأمني، ولولا الحصار وما يبذل من الأموال...

والله أنا الذي أتحدث وأحاول أن أوصل شيئًا مما في قلبي إلى الناس، لا أعلم مقدار ما ينفق من الشر ومن المال ومن الجهود من أجل إماتة الدين أو إيقاف ثورة هذا الدين، إيقاف ثورته فهم لا يستطيعون إماتته، تنفق أموال مؤسسات، دوائر، وسائل إعلام، بالمليارات تنفق عليها، كل ما تراه حتى هذه ألعاب كرة القدم، حتى هذه المؤسسات التي يُجلب فيها المغنين، مغني ليلة واحدة يأخذ نصف مليون!! انظر ماذا يُنفق عليه، خلاف ما يُنفق عليه من السهر والعطاء وو... إلخ، ليلة واحدة يعطونه نصف مليون!! انظر!! أما هؤلاء الخبراء الذين يجلسون وراء مكاتبهم من أجل ملاحقة كل كلمة ورصد كل ظاهرة في داخل وسائل الإعلام، ملايين يُنفق عليها يا عبد الله فوق ما تتصور.

وأنت مسكين عاري لوحدك ليس لديك شيء؛ لأنك تملك الحق، لأن معك الله عز وجل، لأنك أنت مؤمن، لأن الحق قوي بذاته والباطل يحتاج إلى أرجل من الرهق والتعب من أجل أن يتنفس، فقط يتنفس، هذه وسائل الإعلام عليكم أن تكونوا حذرين منها هذه الآن تدخل البيوت، واليوم السينما في جيبك والأخبار تصلك في كل لحظة، والعالم صار قرية كونية واحدة.

أرجو أن أكون قد أبلغت رسالتي في هذا وبارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٤٤٢- شرح كلمة «تعلمنا الإيمان ثم تعلمنا القرآن»

ضمن الجلسة السادسة والثلاثون، بتاريخ: (١٤/٠٨/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٣٠/٠٤/٢٠١٨ م)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل يقول: ما شرح قول جندب بن عبد الله رضي الله تعالى عنه: «كنا غلمانًا حزاورة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتعلمنا الإيمان قبل القرآن، ثم تعلمنا القرآن؛ فازددنا به إيمانًا، وإنكم اليوم تعلمون القرآن قبل الإيمان»، وكذلك قال حذيفة رضي الله عنه: «إنا قومٌ أوتينا الإيمان قبل أن نؤتى القرآن، وإنكم قومٌ أوتيتم القرآن قبل أن تؤتوا الإيمان»، البيهقي في الكبرى، وروي مثله عن ابن عمر وهل يُعاب على من بدأ بحفظ القرآن دون التطرق للتفسير والحديث وخصوصًا الصبيان الصغار؟

جواب الشيخ: نقول وبالله التوفيق: لا بد أولاً من تحليل عبارات هذا الحديث وهو قوله: «القرآن والإيمان»، ونحن نعلم يقينًا الأمور التالية: بأن الإيمان لا يمكن أن يؤخذ إلا من القرآن؛ فمصدر الإيمان هو القرآن، ونعلم يقينًا بأن أخذ القرآن هو أخذٌ للإيمان، وأن المرء الذي يقرأ القرآن؛ يزداد ايمانًا، هذا مقررٌ ثاني يجب أن ننتبه له، فإذا علمنا أن الإيمان مُلتحقٌ بالقرآن ومُلتصقٌ به، بل هو أساسه، كيف إذًا يقول جندب وغيره رضي الله عنهم هذه المقالات؟

حين ننظر إلى الصحابة رضي الله عنهم ننظر الى نوعين من الصحابة: إلى الصحابة الكبار وإلى الصحابة الصغار، وجندب بن عبد الله كما يقول: «كنا غلمانًا حزاورة»؛ إي غلمانًا أشداء، «فتعلمنا الإيمان قبل القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيمانًا»، فكيف حصل الترتيب بالنسبة إلى الصحابة الكبار؟

الذي نعلمه هو أن الصحابة الكبار قد دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى التوحيد فأسلموا وكان ينزل عليهم القرآن؛ فيعلمهم إياه، ولذلك القرآن كان مع الصحابة الكبار كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن وأبي عبيدة وسعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنهم جميعًا كان القرآن قليلاً بين أيديهم، ولذلك لما قال الله عز وجل قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾ [المزمل: ٢٠].

وطبعًا هناك من المفسرين من قال: بأن هذه الآية خاصة أنها مدنية وليست مكية، مع أن السورة مكية وهي سورة «المزمل»، ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١)﴾ [المزمل: ١]، والصواب: أن هذه الآية مكية، وسبب قولهم: بأنها مدنية؛ أنه ذكر فيها القتال، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠]، فقال أين القتال؟ لما نزلت هذه الآية ما في قتال، فقالوا: هذه الآية مدنية بخلاف بقية السورة، والصواب أنها مكية وهذا تأهيلٌ للقتال، ما ذُكر في السورة هو تأهيلٌ للقتال، وكأن الصحابة كانوا يعلمون أن هناك ثمة قتال قادم حكمه عليهم.

فما الذي كان الصحابة يقرؤونه عند هذه السورة، هذه السورة إما السورة الثانية أو الثالثة في النزول، السورة الأولى «اقرأ»، والسورة الثانية «المدثر» والسورة الثالثة هذه «المزمل»، فماذا كانوا يقرؤون، إذن كانوا يقرؤون قرآنًا قليلاً قبل أن ينزل ويتم القرآن على بقية الأمة، فماذا كانوا يفعلون؟ كانوا يمارسون أعمالاً إيمانية، هذه الأعمال الإيمانية منها ما في هذه الآية، ومنها ما هو قبل كما في ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١)﴾ [المدثر: ١]، كانوا يدعون إلى الله عز وجل فيتحملون البلاء، هذا مقصد جندب ومن قال في قضية تعلم الإيمان، أي يدعون إلى الله، يعملون أعمال الإيمان من أعمال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ﴾ [المزمل: ٢٠]، يقومون الليل، ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا (٧)﴾ [المزمل: ٧]، ﴿سَبْحًا﴾ أي راحةً، وراحةً من العبادة، وإنما هنا ﴿سَبْحًا﴾ بمعنى دعوة وعملاً عظيمًا من الدعوة وتحمل البلاء؛ فإذن هذا هو الإيمان الذي كانوا يعملونه، وقيام الليل هو من الإيمان، والقرآن كان عندهم قليل، إذن هذه الحالة الأولى.

إذن ما هو الإيمان الذي عملوه قبل القرآن أي الصحابة الكبار؟ هو الأعمال الإيمانية التي جاءت الشريعة بها، ما هي؟ توحيد الله والدعوة إليه والصبر على البلاء.

ولما انتقل النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فماذا كان الإيمان الذي يمارسه هؤلاء الصغار من الصحابة رضي الله تعالى عنهم؟ وهو الجهاد في سبيل الله وأعمال الإيمان، ومن ذلك تعلم القرآن، أي كانوا يعيشون في مجتمعٍ مسلم يمارس الأعمال الإيمانية، هناك الكثير من الجهاد، النبي صلى الله عليه وسلم له غزوات أكثر من

ثلاثين غزوة صلى الله عليه وسلم خلال عشر سنوات في المدينة؛ فإذن كان هناك أعمال إيمانية، كان هناك الأعمال الإيمانية في داخل المجتمع من الصلاة والعبادة، ورؤية النبي صلى الله عليه وسلم وتعلم الآدب منه، وتعلم العلم منه، وتعلم الفقه منه، ومعه كذلك يتعلمون القرآن، فليست هناك مرحلة سابقة، أي ليس هناك مرحلة يعيشونها ويقول لهم: لا تقرؤوا القرآن، لا تتعلموا القرآن، ولكن تعالوا تعلموا الإيمان ثم تعلموا القرآن، لم يكن هذا المقصود، المقصود أنهم كانوا يرون أعمال الإيمان في حياة مجتمعاتهم؛ فيتعلمون منها قبل أن يتعلموا القرآن الذي ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم أو الذي نزل على النبي صلى الله عليه وسلم.

فانتبهوا، بعض الناس عندهم تصور دائمًا ثنائي لا يخرجون من تفكيرٍ ثنائي فيه، إما هذا قبل هذا، وإما الثاني قبل الأول وهكذا.

فما الذي كانوا يعيشونه؟ الصواب: كان الصحابة رضي الله عنهم يعيشون الإيمان؛ يعيشون أوامر النبي صلى الله عليه وسلم فإذا جاء الأمر أخذوه وعملوا به، ثم بعد ذلك يحفظون القرآن أو يتعلمون القرآن وماذا يقول في القرآن وماذا فيه من الآيات؟ لكن أولاً يأخذون الأمر من النبي صلى الله عليه وسلم ويمتثلون فعله، عندما يرونه من سنته فيمتثلون أمره، مع هذا يأتي القرآن تنزل الآيات فيتعلمونها، القرآن كان ينزل فيأخذون الأمر فيفعلونه ثم يأخذون الآية من القرآن التي نزلت في مثل هذا الشيء؛ فيتعلمونه.

من هنا كان الكثير من الصحابة رضي الله عنهم يحفظون القرآن، ويحفظونه في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، أُبي بن كعب رضي الله عنه كان يحفظ القرآن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، أبو بكر رضي الله عنه يحفظ القرآن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، عمر رضي الله عنه يحفظ القرآن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يكن هناك في زمن النبي يحفظون العلم والإيمان وبعد ذلك يذهبون ويحفظون القرآن، لم يكن هذا الشأن.

المقصود من هذا: أنهم يأخذون الأمر من النبي صلى الله عليه وسلم وينظرون سيرته وحياته، والصغار ينظرون إلى كبار الصحابة فيمتثلون أمرهم ويتأسون بسيرتهم وبعد ذلك يتعلمون القرآن ويحفظونه، فيطبقون الأمر قبل أن يحفظوا الآية، هكذا كانت سيرتهم، فإذا جاء القرآن جاء علمٌ قد سبقه عمل، في الآية المذكورة وفي المسألة المذكورة لأن هذا حالهم، لكن لا يقول أحد: أن الصحابة رضي الله تعالى عنهم كانوا في مرحلتين؛ مرحلة

تعلموا الإيمان أي عملوا بالصالحات، لأنه ما هو الإيمان؟ هو الصالحات، هو الاعتقاد الصحيح، هو النظر إلى ما يقوله النبي صلى الله عليه وسلم من علم فيمتثلونه ويعملون به؛ هذا هو الإيمان، ما هو الإيمان إن لم يكن هذا؟! فيمتثلون، لكن ليست الصورة كما يتمثل بعضها بأنهم كانوا يأخذون الإيمان فيعملون بالأوامر ولا يعرفون القرآن وبعد أن ينتهوا يأخذون القرآن، هذا فهمٌ ساذج لا وجود له في التاريخ ولا يمكن تصوره مع حياة الصحابة رضي الله عنهم.

فكيف يقع هذا مع قوله: «ولكن أنتم تعلمتم القرآن ثم الإيمان»؟ أي معنى ذلك يريد أن يبيّن بأن المجتمعات قد صار فيها بعض اختلال من رؤية أعمال الإيمان، ولم يكن كما هو العهد زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وهذه الشكوى من الزمان، والحسرة على ما فات، هذا من زمن الصحابة رضي الله عنهم.

فأمنا عائشة رضي الله عنها تقول متمثلة بقول النبي صلى الله عليه وسلم: «ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خُلفٍ كجلد الاجرب»، هي تتحدث عن زمن الصحابة رضي الله تعالى عنهم، لكنها بكت على أيام النبي صلى الله عليه وسلم، وبلا شك أن وقت النبي صلى الله عليه وسلم يُبكى عليه، وهذا لا يمكن أن يأتيه حتى الذي بعده في مثل صورته وحقيقته كما قالت أم أيمن رضي الله تعالى عنها: «ولكني أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء»، فصارت الحالة الإيمانية عند هؤلاء الصحابة أقل درجة من الحالة التي كانوا عليها في زمن النبي صلى الله عليه وسلم؛ وهو العيش مع الإيمان كما عاشوا الإيمان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، فوجدوا أن هؤلاء يحفظون القرآن والحالة الإيمانية التي يرتقبون فيها الطاعات من الجهاد، من البلاء، من الصبر، من تَمثُّل الطاعات في الشخوص العظيمة التي ماتت وذهبت؛ أبو بكر رضي الله عنه مات، عمر رضي الله عنه قتل واستشهد، وهكذا عثمان رضي الله عنه؛ فصارت حالة أخرى يرون أن الحالة الإيمانية قد ضعفت، هذا هو المقصود، وليس المقصود هو ترتيب القضية التربوية الإيمانية، المقصود هو عيب الحالة التي وصلت إليها صورة الإيمان في داخل المجتمع.

فالسؤال يكون هل بعد ذلك عُلم من أحدٍ من الصحابة رضي الله عنهم أو من التابعين رحمهم الله أنه نهى أبناءه عن حفظ القرآن حتى يتمثل الحالة الإيمانية التي عاشها الصحابة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم؟ الجواب: لا، إنما كانت درجة الإيمان في داخل المجتمع أقل من الدرجة الإيمانية أي يعيش الإيمان أقل؛ لكنه

يعيش الإيمان؛ يذهب لصلاة الجماعة، يزكي، يذهب إلى الحج، يجاهد مع المسلمين، ويشهد مجالس العلم، ويطلب الحديث، هذه الحالة كانوا يعيشونها.

لكن ابتداءً ماذا يُنصح طالب العلم؟ وماذا يُنصح الأب في فعله مع ابنه؟ أولاً: أن يحفظه القرآن؛ لأنه بعد ذلك لا يمكن أن ينطلق إلى شيء آخر مع صغره إلا مع هذه الحالة، فهذا الصحابي العظيم الذي عاش الحالة الإيمانية العُظمى يراقب أن حالة الإيمان قد خفت وتقدم فقط مجرد الحفظ.

الآن ماذا نصنع؟ هناك جماعات تريد أن تتمثل هذه الحالة، وتمثلها بنهيها عن طلب العلم، يعني هذه الكلمة كنت اسمعها كثيرًا من جماعة التبليغ، وتريد أن تعيش وأن تُعيش الأمة في الحالة الإيمانية، أي بالخروج معهم قبل أن يقرؤوا القرآن، ويبقى المرء معهم طول عمره ولا يحفظ القرآن، بل لا يقرأه قراءة صحيحة، الكثير منهم هكذا، مع أن البلاد التي صدرت منها جماعة التبليغ الهند وباكستان يعلمون أطفالهم أولاً القرآن، فتجد بعد ذلك على درجةٍ من العلم يخرجون معهم، مع جماعة التبليغ فتجدهم علماء بمقدارهم، على فقههم الذي يعيشونه في بلادهم.

وهناك من الجماعات التي تدعي السلفية، تريد ماذا؟ لا تتعلم القرآن، عليك أن تتعلم المسائل الكلامية في الردود على هذا وهذا، ويزعمون أن هذا هو الإيمان، وإذا نظرت إلى الأعمال الإيمانية في حياتهم؛ تجدها ضعيفة، أين حضور الصلوات في المساجد؟! أين كثرة ذكر الله؟! أين قيام الليل؟! أين التعبد بقراءة القرآن كحالةٍ إيمانية؟! لا تجدها، بل تجد في كثير من الحالات ضدها، فهؤلاء ينهون الرجل أن يتوجه إلى حفظ القرآن، وهذا جهل.

فأساس العلم الذي يُبث في تربية الأمة هو أن يُحفَّظ القرآن، فكيف نعيد حياة الصحابة رضي الله عنهم؟ بإبقاء الفتى طالبًا للقرآن في الابتداء، وأن يكون هذا الْمُحفظ يعيش حالةً إيمانية يراها هذا الطفل، وأن يكون بيت هذا الطفل حالة إيمانية، دعوة إلى أن ترتقي الأسرة ويرتقي المجتمع ويرتقي المدرس ويرتقي الْمُحفظ إلى الحالة الإيمانية؛ ليتعلم هذا الفتى الإيمان من هؤلاء.

وربما يبدأ الحفظ وهو في السادسة من عمره أو الخامسة من عمره، هذه السنوات التي مضت من عمره ماذا رأى؟ للذكر محمد زكريا الكندهلوي صاحب كتاب «أوجز المسالك إلى موطأ مالك» وكتاب «تبليغي النصاب» أي نصاب التبليغ، وهكذا له كتب تعرفونها، يسمى شيخ الحديث في الهند مات رحمه الله، يقول في كتابه

«Aap Beti» أي حياتي، يقول: بأنه حفظ جزء «عمّ» من تلاوة أمه له، أنها كانت لا تكل عن ترديده وهي ربما لا تحفظ إلا هذا الجزء، فكانت تردد هذا الجزء دائمًا، وهي تطبخ، وهي تغسل، وهي تغسله، وهي تنظفه، وهي تلاعبه؛ فحفظ وأول ما نطق كان ناطقًا بجزء «عمّ»، هذه حالةٌ إيمانية في داخل المجتمع؛ تعلم الإيمان في هذا الباب قبل أن يتعلم القرآن.

فليس المقصود أن نؤخر القرآن من أجل أن نعيش الناس حالة إيمانية مفروضة أو مزعومة، مفروضة كالتبليغ، مزعومة كمن يزعم أن الردود الكلامية والخربشات والخصومات.. الخ؛ هي حالة إيمانية، هذه مزعومة، فأن نعيشهم الحالة الإيمانية، هذا ليس هو المطلوب، وليست هذه هي الحالة.

المطلوب: هو إبقاء ما نصح به العلماء وهو: أن يبتدأ الطالب أولاً بحفظ كتاب الله عز وجل، وإذا أردت تطبيق هذا؛ فارفع الحالة الإيمانية في بيتك، ارفع الحالة الإيمانية إن كنت مدرسًا للقرآن، ارفع الحالة الإيمانية في داخل المجتمع، وهذا نجده الآن بفضل الله عز وجل في المجتمعات التي فيها جهاد في سبيل الله، الناس يعيشون الجهاد، يعيشون الإيمان، يعيشون الإيمان بالقضاء والقدر، يعيشون الإيمان بالصبر، يعيشون الإيمان بالجهاد، يعيشون الإيمان بالتقوى، وربما لا يفرغون إلى تعلم القرآن، وربما بعضهم يفرُغ بعد ذلك إلى تعلم القرآن.

هذا ما عندي وبارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٤٤٣- المذهبية والتقليد

ضمن الجلسة السادسة والثلاثون، بتاريخ: (**١٤/٠٨/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٣٠/٠٤/٢٠١٨ م**)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله:

سائلة تقول: السلام عليكم ورحمة الله، وفقكم الله إلى الخير وصرف عنكم كل شر -آمين- يقول السؤال: سؤالي عن فتاة شافعية المذهب تزوجت من حنبلي يطالبها بترك الأخذ برأي الشافعي في مسألة اللمس والأخذ برأي الحنابلة، فهل يجوز لها ذلك وكلاهما من العوام؟

جواب الشيخ: أولاً: العامي لا مذهب له، قواعد الارتقاء للخروج من مثل هذا الإشكال تبدأ بهذه النقطة، وهي أن العامي لا مذهب له، المنتشر بين الناس أن العامي يجب أن يتمذهب، فرق بين التمذهب وبين التقليد، العامي يجب أن يقلد؛ فهذه مرتبته، ولكن التمذهب لا يجوز لأن يتخذه العامي طريقةً في التعبد، أي بمعنى أن يقول هذا: أنا عامي وأختار مذهب الشافعي فيجري عليه، التمذهب بدعة ولا شك.

ولذلك الأساس هو أن يقول هذا الزوج وأن تقول زوجته معه: نحن نقتدي بمفتي يتقي الله فينا، ينظران إليه بأنه عالمٌ بالحديث، عالمٌ بالفقه، وأنه صاحب تقوى، فيختاران هذا العالم فيفتيهما فيمشيان على هذا الأمر، يمكن حينئذٍ أن يقع مثل هذا السؤال في هذه الحالة؛ بمعنى أن الرجل له نظر في الناس غير نظر الزوجة، الزوجة تتخذ رجلاً تستفتيه فيقول لها: أن لمس المرأة لا ينقض الوضوء أو يقول لها باعتبارها شافعية: أن لمس المرأة ينقض الوضوء بشهوة أو بغير شهوة، لأن مذاهب الناس مختلف فيها، ثلاث مذاهب:

فمذهب يقول: أن اللمس ينقض الوضوء مطلقًا بشهوة وبغير شهوة وهو مذهب الشافعية ومذهب الحنابلة.

وقول: بأنه لا ينقض أبدًا وهو قول الحنفية إلا أن يخرج منه شيء.

وقول ثالث: وهو قول المالكية بأنه إذا مس بشهوة ينقض الوضوء، وإذا مس بغير شهوة لا ينقض الوضوء، ويفندون المالكية إذا طلب وإذا وجد، أي إذا طلب الشهوة ولم يجدها، أو وجد الشهوة ولم يطلبها فإنها تنقض وضوءه.

فالمرأة لو استفتت؛ فأفتاها مفتٍ بأن اللمس ينقض الوضوء على مذهب الشافعية، وهو استفتى فجزم أن الحنابلة لا يقولون بهذا، والصواب أن الحنابلة عندهم أقوال فيها، ولكن اختيار شيخ الإسلام من الحنابلة أن لمس المرأة لا ينقض الوضوء، ويستدلون له بأدلة، والشافعي يستدل له بالقرآن كما هو معروف في كتابه «الأم» وفي كتب الشافعية. فما المخرج في هذا؟ المخرج لا يجوز للزوج أن يلزم الزوجة، ما دام أن هذه المسألة فيها سعة، ولا يجوز للزوجة أن تلزم الزوج، لا يجوز له أن يلزمها ولا يجوز لها أن تلزمه، هو عامي فبم يلزمها؟ أين الدليل؟ وهي عامية فبم تلزمه؟

وهل يتم الإلزام بكلام العلماء؟ الجواب: لا، كلام العلماء يحتاج إلى دليل، وليس هو دليل.

فكيف نستدل بكلام العلماء؟ نستدل به من أجل ان نسترشد في طريقة أخذهم الفقه فقط، وإلا فكلام العلماء لا يُستدل به، بل يُستدلُ له، ولا يستدل به.

فالمخرج من هذا هو ما ذكرته، هو أن لا يجبر الزوج زوجته على اختيار قول اطمئن قلبها إليه، ولا أن تجبر الزوجة زوجها على قولٍ اطمئن قلبها عليه، لا يجوز، هذه الطريقة. فالعامي لا يُناظر، هذه قاعدة ثانية «العامي لا يُناظر» ما معناها؟ لا يجوز للمرأة وهي عامية، حتى لو كانت عالمة أن تُناظر العامي؛ لأن العامي أصلاً لا يعرف وجوه الأدلة ولا طرق الاستنباط من أجل أن يفهم مقالها إذا كانت عالمة، وكذلك العكس، فلو حدثته لا يفهم، ولو فهم لا يستطيع الرد؛ لأنه ليس بمجتهد ولا بمتبع لا يعرف الأدلة، المقلد لا يعرف الأدلة.

والطريقة في هذا لو أردنا أن نخرج بنصيحةٍ نافعة لهذا البيت: وهي أن يرتقي الزوج قليلاً وأن ترتقي الزوجة قليلاً، خاصةً في هذا الزمن الذي يمكن للمرأة أن تقرأ والرجل أن يقرأ، بأن يبحثا في الأدلة قليلا، وأن ينظرا في أدلة الفريقين فيمكن لهما أن يتفقا، من غير خصومةٍ ولا مناظرة، ولكن بالبحث والاطلاع، فالآن موجودة الكتب ومنتشرة بين الناس في هذه الأدوات الإعلانية والاجتماعية فينظران هذا عنده دليل وهذا عنده دليل، هذا كذا، ويميزان ويدعوان ربهما بأن يوفقهما لما فيه الخير، نعم الطريقة عندما يعجز المرء عن الوصول إلى المراد وهو أن يدعو الله سبحانه وتعالى بقلبٍ مُخلص بأن يبلغه المراد؛ فهذه هي الطريقة للخروج من الخلاف، أما الأصل لا يعب أحدهما على الآخر؛ لمنزلتهما من العلم وهي منزلة التقليد، هذا وبالله التوفيق والحمد لله رب العالمين.

٤٤٤- حكم الوصول إلى الحلال عن طريق الحرام

ضمن الجلسة السادسة والثلاثون، بتاريخ: (١٤/٠٨/١٤٣٩هـ **الموافق لـ: ٣٠/٠٤/٢٠١٨ م)**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يقول الأخ السائل: في جواب سؤال حول البطاقات المصرفية قلتم فضيلتكم: أنه يجوز للناس استخلاص ما يقدرون عليه من حقوقهم، حتى لو كان التعامل الأصل فيه الحرمة كالرشوة وشراء الكلب، نريد توضيح أكثر لهذه المسألة وحدودها، فالبعض في مصر يستحل التعامل بالربا مع البنوك الحكومية من باب أخذ ما يستطيع من حقه الذي تسرقه الحكومة في الضرائب الباهظة والتي تزداد يومًا بعد يوم وفي ظل احتكار أغلب المجالات في يد الجيش ورجال الأعمال.

جواب الشيخ: أنا أنبه -ونبهت أظن في السؤال السابق- أنبه إلى أنه لا يجوز للمرء أن يعقد عقدًا ربويًا، لا يجوز له، أي أن المرء يصل إلى الحلال عن طريق الحرام لا يجوز، أن يصل إلى الحرام عن طريق الحلال هذه تسمى بسد الذرائع معروفة ممنوعة في الشريعة، أي لا يجوز للمرء أن يصل إلى الحرام عن طريق الحلال.

ومثال ذلك: ما يضربونه من بيع العنب لعصر الخمر، هذا البيع حلال؛ لكنه يؤدي إلى حرام وكذلك العكس متفقٌ عليه ولا خلاف فيه، إن كان سد الذرائع مُختلفًا فيه عند العلماء، فإن العقد على الحرام للوصول إلى الحلال لا يجوز بالإجماع، ومن ذلك أن يعقد الرجل عقدًا ربويًا؛ هذا العقد حرام ليصل به إلى حلال؛ لا يجوز له، ومن ذلك ما يصنعه البعض من عقود ربوية مع البنوك وتكون البنوك محاربة في بلدٍ محارب، دخل المرء إليها خلسة وأن يأخذ منها عن طريق الاختلاس، فإن مال المحارب جائزٌ على كل حال وبكل صورة، لكن ليس بصورة الذهاب بصورة الحرمة، لا يجوز؛ لأن العقد حرام، والشارع يمنع منه.

فإذا كان سؤال الأخ يدور حول هذا: بأن يذهب المرء من أجل أن يعقد عقودًا ربوية من أجل أن يستحل شيئًا يراه حلالاً، الآن لا أريد أن أدخل في قضية أنهم يأخذون الضرائب فهذه قضايا طويلة الذيول، لكن أتحدث عن الأساس وهو أن يذهب إلى البنوك أو إلى شخصٍ آخر فيعقد معه عقدًا ربويًا من أجل أن يأخذ ما يحق له؛ هذا لا يجوز.

قد يقول قائل: كيف أجاز لهند أن تأخذ من زوجها ما أجازه النبي صلى الله عليه وسلم: (**خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف**)، فهي لم تفعل فعلاً حرامًا لتستحل به الحلال، هذا الأخذ بذاته حلال، لكن أن تعقد عقدًا ربويًا؛ هذا عقدٌ حرام لا يجوز، فهذه حالة وهذه حالة.

القصد من ذلك: أكرر لا يجوز استخلاص الحلال عن طريق الحرام إجماعًا، والله تعالى اعلم الحمد لله رب العالمين.

٤٤٥- الأسئلة التونسية (١)

ضمن الجلسة السادسة والثلاثون، بتاريخ: (**١٤/٠٨/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٣٠/٠٤/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل يقول: شيخنا نجد إحراجًا كثيرًا في موضوع عدالة الولي في النكاح؛ لانتشار ظاهرة تاركي الصلاة والمذهب المعتمد في البلاد هو مذهب الإمام مالك الذي لا يرى كفر تارك الصلاة تكاسلاً، فهل يجوز العمل بهذا القول في هذه القضية بالذات من باب العمل بالمرجوح دفعًا للمفسدة وجلبًا للمصلحة؟

جواب الشيخ: أولاً أيها الأخ الحبيب: الآن لا توجد محكمة في أي بلد من العالم تشترط الصلاة، أي لا يوجد هناك محكمة قبل أن تعقد العقد بين الزوج وبين الولي تسأل الزوج هل أنت مصلٍّ؟ لتعقد العقد، أو تسأل الولي أو الوكيل هل أنت مصلٍّ أم لا؟ للأسف فهذا ليس خاصًا ببلدك في قولك مذهب مالك، اليوم هذا أمرٌ عمّ وطمّ حتى الذين يقولون: بأنهم يُعملون مذهب الحنابلة وهو المشهور عنه بأنه يكفر تارك الصلاة، مع أن المذهب الأقوى هو أن تارك الصلاة كافر وهو قول أحمد، وهو قولٌ في مذهب الشافعي وقولٌ في مذهب مالك، ولم يروَ عن أحد من الأحناف من الأصحاب، سواء من الإمام أو من صاحبيه أنه يقول بكفر تارك الصلاة.

أما أهل الحديث فأغلبهم على كفر تارك الصلاة كما هو مذهب الإمام الحُميدي كما في مسنده وغيره، فمذهب أهل الحديث ومذهب إسحاق وغيره على أن تارك الصلاة كافر، وهذا ليس وقته إنما للإجابة السريعة على هذا السؤال.

الذي أراه: بأن هذا العقد يقسم إلى قسمين هناك عقد شرعي وهناك عقد رسمي، العقد الرسمي هنا صار ضرورة لما يترتب عليه من مفاسد ومن قضية الإثبات، وليس من الشروط الشرعية هو أن يكون هناك عاقد رسمي يقوم بالعقد بين الزوج والوكيل أو الزوج والولي، ولكن هذا انتشر اليوم ولا بد من تسجيله، ومن هنا سمي رسميًا، لا بد من تسجيله، ونحن نقول: بوجوب ذلك؛ للمفاسد التي تترتب على عدم تسجيله، فهذا حينئذٍ نفعله وكما يطلبون، يعني يطلبون الأب، يطلبون الجد إذا كان الأب مفقودًا أو كان غائبًا، والجد ثم الأخ أو

الابن الصواب هو جواز أن يقوم الابن وكيلاً مقام الولي؛ لقول أم سلمة رضي الله عنها لابنها: «قم فزوجني من رسول الله صلى الله عليه وسلم»، فيجوز للابن أن يكون وكيلاً لأمه في التزويج إذا كان بالغًا راشدًا، فهذا هو العقد الرسمي.

أما العقد الشرعي: فالذي أحبه إذا كان الذي قام بالعقد تارك للصلاة أن يتم هناك عقدٌ آخر شرعي، وهذا سهلٌ جدًا، في البلاد يتم العقد الرسمي ويرجع إلى بيته ويعقد عقدًا جديدًا مع وليٍ لها مسلم يكون مصليًا، غير تاركٍ للصلاة؛ فحينئذٍ يتم هنا القيام بالعقد الرسمي الذي يُدفع به الشر والسوء ومظنات الشر وتكون به شهرة النكاح؛ لأن تسجيله يقوم بالشهرة، ونقوم نحن بالعقد الشرعي الذي يكون مُكتمل الأركان، هذا هو، وأما إذا لم يكن هناك قدرة فلا نُعطل الزواج، إذا كان قد منع هذا واستحال وجود ذلك؛ فحينئذٍ ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، وإذا ضاق الأمر اتسع قاعدة أصولية: «إذا ضاق الأمر اتسع»؛ أي إذا ضاق قدرًا اتسع شرعًا.

هذا الذي نقوله وبالله التوفيق والحمد لله رب العالمين.

٤٤٦- الأسئلة التونسية (٢)

ضمن الجلسة السادسة والثلاثون، بتاريخ: (١٤/٠٨/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٣٠/٠٤/٢٠١٨ م)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يقول الإخوة الأحبة: شيخنا من المقرر أن قول الأئمة الأربعة وغيرهم: أن الأصل في اللحوم الحرمة، ولم يخالف في ذلك إلا بعض المعاصرين، فهل يُشترط معرفة الذابح أنه يكفي أن الأصل في الناس الإسلام؟

وسبب هذا السؤال أن قضية ترك الصلاة تكاسلاً مُنتشرة بكثرة في تونس وخاصةً في المسالخ التي يُذبح فيها.

جواب الشيخ: هذا السؤال يقوم على عِدة قواعد علمية:

القاعدة الأولى: ما ذكره الأخ حفظه الله والإخوة السائلون وهو أن الأصل في الذبائح أنها ميتة، الأصل في الذبيحة عندما تراها أنها ميتة، هذه ميتة، إلا أن يقوم العارض على الضد من هذا الأصل، ولذلك ما ذكره الأخ صحيح، ونص عليه الشافعي رحمه الله في «الأم» بأن الذبح عبادة غير معقولة المعنى، عبادة؛ فيدخل فيها ما يدخل في العبادات، أي الأصل في ذلك أنها ممنوعة؛ لأنها ميتة، الأصل فيها أنها ميتة، إلا أن يقوم المخالف فيدرأ هذا الأصل، والمخالف وهو وجود المعنى الصحيح لكونها مذكاة، بأن تذكى، وألا تكون ميتة، هذه القاعدة.

أما أن يخالف المعاصرون فلا ونعمة عين، ولا أريد أن أقول كلمة أخرى أشد من ذلك، المعاصرون لا دين عندهم، ولا علم، ولا تقوى، ولا يقيمون شأناً إلا للاستحسان النفسي، ما يستحسنونه، ولذلك خلافهم غير معتبر ولا قيمة له، ولا يجوز للمسلم أن يتعبد به، هذا وعليكم بالأمر العتيق وإياكم وبُنيات الطريق، ولا أقصد أن كل المعاصرين يقولون هذا، هذا غير صحيح، وإنما بعض من لا يتقي الله ومن لا يقيم شأناً للنصوص ولا للإجماع، فنحن أمام إجماع هنا.

المسألة الثانية: ما هو الأصل في بلادنا؟ الأصل في بلادنا الإسلام، الإسلام كما ذكر الإمام الكاساني كما

في «بدائع الصنائع» وهو من أحصن الكتب الفقهية التي تناقش المسائل بأصولها وهو كتابٌ حنفي، يذكر أن حكم الإسلام يثبت للمرء بدرجات:

الدرجة الأولى: وهو النص، وهو أن يقول المرء: «لا إله إلا الله ومحمدٌ رسول الله»، فإذا رأيت رجلاً يقول: «لا إله إلا الله ومحمدٌ رسول الله»، أثبتت له الإسلام، أو إذا رأيت نصرانيًا يقول: «لا إله إلا الله ومحمدٌ رسول الله»؛ أثبت له الإسلام، أو أن ترى مشركًا أو مرتدًا أو زنديقًا قال: «لا إله إلا الله ومحمدٌ رسول الله»؛ فتثبت له الإسلام، فالنص هو أعلى درجات ثبوت الحكم بالإسلام.

الدرجة الثانية: الدلالة، وذلك بأن ترى منه أعمال الإسلام، ما يختص به أهل الإسلام من أعمال، ومن ذلك أن يصلي المرء في المسجد، أن يلبس لباس المسلمين وهديهم، أن يكون عنده الهدي الظاهر الذي يبين عن أنه مسلم، أن تعلم أنه صائم في رمضان، أن تراه في الحج، ذاهبًا إلى الحج هذه من الدلالات، أن يستقبل القبلة، أن يأكل ذبيحة المسلمين؛ فهذا من دلالات الإسلام.

أولاً: النص. ثانيًا: الدلالة. ثالثًا: التبعية.

الدرجة الثالثة: التبعية، والتبعية باعتبار الدار وباعتبار الوالدين، والولدان أقوى من الدار، فإذا ولد طفلٌ لأبوين مسلمين؛ فيلحق له حكم الإسلام، ولذلك لو أنه كبر فبلغ فكفر؛ يُعامل معاملة المرتدين؛ لأن الأصل فيه الإسلام.

وها هنا مسائل، من ذلك أنه يلحق المرء بخير الأبوين دينًا، أي لو كانت أمه بوذية وكان أبوه يهوديًا؛ فيلحق باليهودية، إذا كان أبوه نصرانيًا وكانت أمه مثلاً هندوسية؛ فيلحق بالنصرانية؛ فخير الأبوين دينًا، وأما إذا كان أبوه مسلمًا وكانت أمه نصرانية أو يهودية؛ فبالإجماع يلحق بأبيه، لأن الإسلام يعلو ولا يُعلى عليه.

والدرجة الرابعة: هي تبعية الدار، الأصل أن من في دار المسلمين هم أهل الإسلام، وحكم الدار بالحكم الأغلبي؛ من يغلب فيها من الأحكام، فهذا هو، ولذلك الديار تتغير على الصحيح، حتى عند الشافعية هناك قول: أنها تتغير من دار إسلام إلى دار كفر، وإن كان المفتى به عند الشافعية أن دار الإسلام ثابتة ولا تتغير إلى دار الكفر، وهم يقولون: «الممتنع شرعًا كالممتنع عقلاً» في فذلكة عندهم لا نخوض فيها الآن في هذا الوقت

الضيق.

إذن نحن نرى في هذه البلاد وإن حكم عليها بأنها دار ردة وذلك لغلبة المرتدين وغلبة أحكام الردة عليها، وهذا هو مناط الحكم على الدار، فإن أهلها لهم تبعية الإسلام، نحكم عليهم بالإسلام لأمور، منها، الأقوى وهي: تبعية الوالدين، أن هؤلاء من آباء مسلمين؛ فيُلحقوا بأهل الإسلام.

وهناك خلاف مع الاعتذار أسميه سياسيًا في تسمية من نشأ في ديار كفر فكفر أبوه وكفر جده وكفر أبوه الأول والثاني والثالث والرابع فهل يُسمى بمرتد أم أنه يسمى بمسلم؟ هذه مسائل يخوض فيها العلماء وعند أحمد أقوال في هذه المسألة، مما يجوز فيها الخلاف ولا أريد أن يترتب عليه كبير أثر في هذه المسألة، وتنشأ هذه المسألة عند بعض من يغالي في التكفير، ولا أريد أن أتكلم عنهم في هذا اللقاء.

إذن هذا الموضوع بالنسبة مثلاً إذا وجدت في بلدٍ مسلم وجدت ذبيحة ويكون اللحام مسلمًا؛ فالأصل أنه مسلم وتأكل منها.

الآن نأتي ال مسألة وهي اختلاف الأصل مع الظاهر، هذه يعتمد عليها كثيرٌ من الغلاة اليوم، يقولون: إذا اعترض –هكذا يطلقون– أنه إذا اعترض الأصل مع الظاهر قُدم الظاهر، ويقصدون بهذا أن الأصل نعم هو الإسلام لهؤلاء الموجودين في هذه الديار، ولكن قامٌ ظاهرٌ يلغي هذا الأصل، ما هو هذا الظاهر؟ هنا نأتي إلى هذه المسألة؛ يرون أن سكوتهم عن الطواغيت الذين أحلوا الربا وأحلوا بيع الخمر، أن سكوتهم يعني أنهم دخلوا في طاعتهم، وهذا من أبطل الباطل، لماذا؟ لقوله صلى الله عليه وسلم: (**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فغن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**)؛ فإذا هناك تغييرٌ قلبي قبله الشارع ورفع عنه الإثم بهذا التغيير، فما الذي أدراكم أنهم لا ينكرون؟

ونحن في معيشتنا بين المسلمين نرى أن عامة المسلمين ينكرون على الطواغيت، يتمنون اليوم الذي يخرجون عليهم ويغيرونهم ليقيموا أحكام الشريعة، ولو سألت أي مصلٍ ماذا تحب هذا الحكم القائم في بلدك أم أن تقوم الخلافة؟ انظر إليه، تجد عامة المسلمين سوى الزنادقة وهم قلة ممن لا يحبون الخلافة، وإلا فالأغلب يحبون الشريعة ويحبون أحكام الشرع؛ فهذا القول: بأننا نقدم الظاهر الدال على أنهم يوافقون الطواغيت الذي يلغي

الأصل وهو أصل الإسلام فيهم؛ هذا قولٌ باطل، إذن هذه قضية ننتهي منها في أن الرجل إذا قال: أنه من أهل الإسلام؛ نثبت له ذلك.

والآن نأتي إلى الحالة التي ذكرها الأخ وهي: أن يعلم الناس، الرجل يعلم –نتكلم الآن عن العموم، نتكلم عن الأحكام العامة– إذن الأصل أن هذا البلد الذي أنت فيه الإسلام، وأن الأصل فيه أن أهله مسلمون، لكن قد يقوم عارض بجماعة من الناس، ببيت من الناس، أن تعلم أن هذا البيت قد ارتد أهله، بماذا ارتدوا؟ أن تعلم أنهم يسبون الدين، يسبون الله عز وجل، ولا يصلون؛ فحينئذٍ تحكم على هذا البيت أنه بيت ردة، أن يقوم لك علمٌ خاص بواحد من الناس أنه لا يصلي؛ تحكم عليه بالكفر لا تزوجه ابنتك ولا تأكل ذبيحته، مما يترتب على حكم الردة من أحكام، فتقوم على حكم الردة أحكامٌ كثيرة.

فلو وقع ما سأل عنه الأخ؛ علمت أن هذا المسلخ، أو هذا المذبح أن الرجل صاحبه لا يصلي ويذبح؛ فالواجب أن لا تأكل من عنده، بل إذا أكلت من عنده أكلت ميتة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾، لا يجوز للمرء أن يأكل الميتة إذا علمت أن هذه الذبيحة قد قتلها مرتد؛ فهي ميتة وجيفة ولا يجوز لك أن تأكل منها.

وأذكر فذلكةً غير سوية وغير مقبولة وذلك يذهب إليها الغلاة ليخرجوا من هذا التضييق عليهم الذي يصنعونه من التكفير ويدخلون أهل الإسلام المعاصرين لأنهم يحكمون عليهم بالكفر يدخلونهم في مسمى أهل الكتاب، والله عز وجل يقول: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٤) الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٤-٥]، فقال هؤلاء الغلاة: إن أولى الناس دخولاً بمسمى أهل الكتاب الذين كان آبائهم مسلمين ثم ارتدوا فصار أبنائهم من أهل الكتاب! والقرآن يقول: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: ٥]، فكيف يُدخلون هؤلاء الذين آباؤهم مسلمون كيف يدخلون في ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ﴾؟ فهذا قيدٌ للأسف غفلوا عنه وتجاهلوه.

وهكذا الغلو في باب يصنع التسيب في أبوابٍ أخرى، ومن ذلك ما ذكره السلف عمن قال في زمانه: بأن

الحرام صار ممتنعًا؛ فأدى بهم إلى ترك أكل كل شيء والذهاب إلى الصحراء والأكل من الأزبال، ويزعمون أن ما في الأزبال هو حلٌ لهم، أو أنهم قالوا: كل شيءٍ حرام، فإذن لا بد أن نأكل كل شيء، كما يفعل بعض الناس إذا قيل له: أنت تأخذ من البنك وهو ربوي، يقول: كله حرام من أجل أن يسهل على نفسه المعصية.

هنا الجواب على ما ذكره الإخوة السائلون: إذا ثبت لديكم أن هذه الذبيحة ذبحها غير مصلٍّ أو كان في مسلخ عامة من فيه لا يصلون؛ كانت هذه ميتة ولا يجوز أن تأكلوا منها والعبرة بالعلم وليس بالظن وليس بالإشاعة، انتبهوا لهذا، الكثير مما يقال وينقله أصحاب اللحى من باب الورع أو من باب معرفتهم بواحد أو اثنين فيعممون، انتبهوا لا تعمموا من غير إحصاءً دقيق، وإياكم والخيالات والأوهام، أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم.

بارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٤٤٧- الأسئلة التونسية (٣)

ضمن الجلسة السادسة والثلاثون، بتاريخ: (١٤/٠٨/١٤٣٩هـ **الموافق لـ: ٣٠/٠٤/٢٠١٨ م)**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل ويقول: شيخنا الدجاج يُذبح على نوعين في تونس -سؤالٌ تونسي- دجاج يذبح ذبحة شرعية في المداجن وهو ممنوع قانونيًا ويُعاقب أصحابها، والنوع الثاني يُذبح عن طريق صعقة كهربائية ثم يُذبح ويباع مغلفًا وهو المسموح به في الأسواق ما حكم النوع الثاني؟

جواب الشيخ: السائل قد قرر وهو الصواب بأن الدجاج الذي يُذبح الذبحة الشرعية في المداجن أي في مزارع الدجاج أنه يُذبح ذبحة شرعية فهو جائز.

والكلام الآن عن الصعق الكهربائي: في الحقيقة نتكلم عن الواقع، أولاً نتكلم على صفة عامة ثم نتكلم عن الواقع.

الصعق له حالتان: إما أن يقتل وإما أن يخدر، وهذا بحسب قوة الصعق وبحسب كذلك كبر حجم الذبيحة، أي أنت لو جئت بصاعق كبير إلى بقرة ووضعته على رأسها ربما يقتلها، وعادةً لا يقتلها، وإنما تصعق فتخدر ثم تترك فتقوم، أو أن تأتي إلى غنمة إلى خروف إلى شاة فتصعقها صعقة مقاربة فلا تموت تترك بعد مدة فتقوم حية، وهذا من التعذيب للدابة، ولكن هكذا من التقليد للكفار، فالصعق بذاته هو مُخالف للأمر الشرعي وهو تعذيب للدابة، ويجب الإحسان للدابة؛ قوله صلى الله عليه وسلم: **(إنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شيءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فأحْسِنُوا القِتْلَةَ، وإذَا ذَبَحْتُمْ فأحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ)**، فهذا هو الإحسان للدابة، ﴿قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠].

لكن الناس يقلدون الكفار، نشأت معالم كفرية شيطانية في الغرب فحملها هؤلاء إلى بلادنا وصاروا يعملون بها، ماذا نصنع؟ ثم وجد الذابح والذابحون في ذلك تسهيل لهم؛ بدل أن يأخذ الذبيحة فيضعها على الأرض، ويضع رجله على صفحتها فيذبحها، أو إذا كانت بقرة ربما يحتاج إلى شيء من المعاناة لنحرها أو ذبحها، فيقول: نصعقها فتصبح عندنا طريحة الأرض فيسهل ذبحها، الشياطين يزينون في ترك الطاعات وترك ما هو فطري في

الخلق.

نعود إلى الموضوع فإذن إذا كان الصعق –نظريًا– إذا كان الصعق مما يذهب الروح؛ فهذه ميتة، المقدور عليه يجب أن يذبح أو ينحر بحسبه، أي عندنا الدجاج يُذبح، الجمل يُنحر ويذبح، له مذبح ومنحر، والأصل هو الذبح والأحب هو الذبح، وبعضهم قال: في الجمل الأحب هو النحر وفي البقر الأحب الذبح، وهذا قول الجمهور وإن كان لها منحر كذلك، وأما في الخراف وغيرها وفي الشياه فالذبح هو المجمع عليه أنها تُذبح ذبحًا، فحتى تكون مذكاة وتكون حلالاً فيجب أن تذبح بأن يراق منها الدم، والذبح هو أن يقطع الحلقوم والمريء والودجين، وأقله أن يقطع شريانًا من شرايينها وأن يقطع الأمعاء والمري، وقال بعضهم: يقتصر على أحدهما مع خلافٍ فيما هو الأولى وما هو الأوجب.

فإذن هو إراقة الدم حتى تكون مذكاة ذكاة شرعية ويصبح لحمها طيبًا حلالاً للمرء، فاذا صعقها فماتت لم تحصل الذكاة فكانت ميتة، أما إذا كان الصعق لا يقتل وإنما يخدرها ثم إذا تركت بعد مدة تقوم فهذا مع كراهيته لا يجعل هذه الذبيحة ميتة؛ لأنها تدرك حية؛ فتذبح وهي حية هذا من جهة النظرية.

ومن الجهة العملية الذي أنصح به التالي؛ عليكم أن تتبينوا في بلادكم وأن تذهبوا فتسألوا، عامةً إذا وقع الصعق لما هو فرخ صغير من الدجاج؛ عامةً يقتله، حتى لو كان الصعق قليلاً، وأخبركم عن تجربة: إذا كان الدجاج صغير أي لم يكن كبيرًا، فحين تمر على الجلد الذي يتم به الصعق، فعامة هذه الفراخ الصغيرة تقتل تموت؛ فتكون ميتة، والحكم للأغلب، وأما إذا كانت من الدجاج الكبير، فالصعق إذا كان قليل الحرارة قليل الكهرباء فعامةً لا يقتل، وهذا بحسب التجربة، ولذلك الذي أنصح به أن لا تشتروا هذا الصغير، إذا كان هذا الصعق يوجد عندكم ألا تشتروا منها الصغير وإذا اشتريتم الصغير تشترونه كما ذكر من الدواجن، وأما الكبير فأغلبه لا يموت بالصعق، ولا بأس من التوثق من الشركات، فهذه شركات الدجاج متعددة فعليكم أن تتحققوا ممن يكون صاحب المذبح والدواجن فيه الدين والتقوى ويحرص على أن يقوم بالأحكام الشرعية كما ينبغي، وهذا من عموم البلوى اليوم، هذا ليس في بلدكم فقط، هذا في كثير من بلاد المسلمين وهو من تقليد الكفار، نسأل الله العفو والعافية والحمد لله رب العالمين.

٤٤٨- الأسئلة التونسية (٤)

ضمن الجلسة السادسة والثلاثون، بتاريخ: (**١٤/٠٨/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٣٠/٠٤/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه:

يسأل الأخ يقول: قضية التحاكم إلى الطاغوت من باب استرداد الحقوق -انتبه أنا أجيب لأني قرأتُ السؤال وأعلم ما يقع حول هذا السؤال من خلافات وكلام، فانتبهوا إلى السؤال لأن الجواب مترتبٌ عليه- قضية التحاكم إلى الطاغوت -أولاً التحاكم إلى الطاغوت- من باب استرداد الحقوق ودفع الظلم، هل يشترط فيه أن يكون القانون متحاكم إليه قانونًا موافقًا للشرع أم لا؟ وإن كان مخالفًا للشرع فما حكم ذلك؟

يتابع السائل ويقول: شيخنا لا يمكن التحاكم إلا للتحاكم إلى القوانين -يقصد الوضعية- حتى لو ذهبت لشكاية من سرقة تعرضت لها فلا تستنصر ولا يسترد حقك إلا بالقانون.

جواب الشيخ: أولاً نقرر بأن من أركان الإيمان وأختلف كما ذكر بعض أهل العلم هل هو من ركن الإيمان أم من شرطه الزائد عليه؟ من شرطٍ خارجٍ عنه؟ أم هو من ركنٍ داخلٍ فيه؟ ليس لهذا الاختلاف كبير فائدة، إنما يعلم بأنه من تحاكم إلى غير الإسلام كفر، وأن من شروط وأركان الإيمان هو التحاكم إلى شرع الله عز وجل، الله عز وجل قال: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ [النساء: ٦٠]، الله عز وجل أمرنا أن نكفر بالطاغوت، والطاغوت في هذا الباب هو كل من قام ليحكم بين الناس بغير الشريعة، بغير ما أنزل الله عز وجل، هذا معنى الطاغوت ها هنا، الطاغوت هو كل من عُبد من غير الله عز وجل، وهنا العبادة الإيمانية هي التحاكم إلى شرع الله عز وجل، والعبادة الشركية التحاكم إلى غير شرع الله عز وجل، هذه قضية مقررة وهي ركنٌ من أركان الإيمان.

أي لو كان هناك للمرء خيار أن يذهب إلى الحكم الشرعي أو أن يذهب إلى غير الحكم الشرعي، فذهب لغير الحكم الشرعي؛ كفر وخرج من الملة، هذا أمرٌ مقرر وشرحه يعلمه كل مسلم، يقول قائل: الناس يجهلون هذا، لا، لا يجهلون، جدتك التي في بيتك -وهذا مثل أكرره في كل لقاء أبحث في هذه المسألة- أحضر لجدتك كأس تفاح وقل لها هذا كأس خمر اشربيه؛ تطردك وتسبك، تقول لها: ولكن الحاكم أجاز اليوم شرب الخمر؛

تسبك وتسب على الحاكم، فهي تعلم أن الحكم على الشيء بالحل والحرمة هو أمرٌ خاصٌ بربنا، وهو دينٌ تتعبد به المسلمة المرأة العجوز وكل أحد، فهذا أمرٌ مقرر.

الآن ما معنى التحاكم؟ هذه مسألة ذكرتها كثيرًا وأعود إليها في هذا الباب، ما هو التحاكم؟ التحاكم أن تذهب لطلب الحكم، أنت عندما تذهب إلى الشيخ إلى العالم فتستفتيه أنت تطلب حكم الله عز وجل، أنت لا تدري، أنت تريد أن تسأل أنا أشرب هذا الكأس فيه خل، فهل يجوز شرب الخل؟ فأنت تريد أن تعلم حكم الله عز وجل، هذا تحاكم، أي ما هو التحاكم؟ طلبت الحكم، فإذا وقع في النزاع بين اثنين، رجلٌ يقول: هذا الإرث كله لي، ويقول الآخر: ليس لك، يقول: هذا الإرث من حقي أن أرث كل هذا المال، فالآخر يقول: ليس من حقك، أنا أخوك فينبغي أن نقتسم هذا الإرث، فالآن في هذه المسألة لمعرفة الحق مع من في أي جهة، فإذا ذهبت لتسأل عن حكم الله عز وجل فتذهب إلى العالم فقد طلبت حكم الله.

إذن التحاكم: هو طلب الحكم لفض النزاع ومن أجل التدين والالتزام به في هذه المسألة، ذكرنا فض النزاع لأن هنا نزاع، وإلا فمن التحاكم هو طلب الحكم مطلقًا.

فلو أن رجلاً في بلدٍ ما سمع أن هناك ثمة صيام يصومون ذهب وقال: يصومون في رمضان ما حكم الصيام في رمضان؟ فيقول له العالم: هذا فرض؛ فهو طلب الحكم ليلتزم به فهذا التحاكم، لكن عند وجود النزاع يكون هناك خصومة فكل واحد يزعم أن الحق له فيذهبان من أجل أن يفض النزاع حكم الله بينهم، هذا هو التحاكم، هذه صورة يجب أن تكون ماثلة عندنا من أجل أن نفرق بينها وهي هذه إذا تم التحاكم لغير حكم الله فقد عُبد غير الله؛ أي عبد الطاغوت وإذا ذهبت إلى عالم ليبين حكم الله؛ فقد ذهبت إلى حكم الله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

وهناك صور ظاهرها أنها تحاكم وهي ليست كذلك، أنت تذهب من أجل أن يُعمل حكمه فيك وأنت لا تطلب منه أن يفصل لك حكمه فيك، لا تذهب إليه، ومن ذلك سورة التناصر، طلب النصرة.

أضرب الأمثلة الواضحة لنصل إلى ما يُشكل من صور: لو أن رجلاً في بيته وأراد أن يدخل بيته لص سارق أو صائل فأنت تستنجد بكل أحد؛ من أجل أن تدفع هذا اللص، ما هي صورة هذا الطلب؟ صورته أنت

تضرب على جارك، فلو أن جارك نصراني أنت تطلب حكمه؟ على معنى نعم، بمعنى هذا الجار قد يكون من دينه أن يعين هذا اللص عليك، حكمه أن يعين، قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: ٨٢]، فقد يكون هذا يهودي ويرفع يديه إلى إلهه طالبًا منه أن ينصر اللص عليك، فهو أعمل حكم دينه فيك، أنت لا يمكن أن تذهب إليه وأنت تعلم أن حكمه في هذه المسألة ألا ينصرك، لكن أنت لم تطلب حكمه، إذا ذهبت إلى رجلٍ آخر فيه الشهامة وإن كان نصرانيًا وإن كان بوذيًا وإن كان ملحدًا وإن كان مرتدًا، أنت تعلم أن حكم هذه المسألة عنده أن ينصرك، فأنت طلبت حكمه في النصرة ولم تطلب حكمه للنزاع، أن تعلم حكمه في هذه المسألة من أجل أن تدين بها وأن تمتثل لأمرها، حتى نفرق هي صورتها في باب داخلة لطلب حكمه في هذه المسألة معك، أنت طلبت حكمه من أجل أن ينجدك، وحكمه ينجد الملهوف والمستغيث، فطلبت هذا، ولكن أنت لم تسأله عن حكمه من أجل أن تتدين به، ولكن طلبت أن تستنصر به وتستغيث به ليُعمل حكمه في هذه المسألة.

فهي من جانب لمن يرى البعض وفي حوار مع كثير من الناس يرون أنه مجرد الوقوف أمام كافرٍ يحكم بغير الشريعة، أن تطلب منه أن ينصرك عن من سرقك، والرجل الذي نصب عليك فالسرقة لها أنواع في المفهوم العام اللغوي وإن كانت في المفهوم الاصطلاحي الأخذ خلسة من الحرز، ولكن أنت رجلٌ يطلب منك مالاً دينًا ثم يجحد هذا المال ندخله في باب السرقة في هذا المعنى اللغوي العام وإن كان ليس من السرقة في معناه الاصطلاحي الشرعي، فأنت تطلب من هذا الشرطي أو من هذا الرجل، تقول له: أنا أطلب هذا المال منه فأعني عليه؛ هذه صورتها، أعني على أخذ المال من هذا الرجل؛ فتطلب أعانته، هو حينئذٍ يرى في دينه -كما ذكرنا في المثال الأول الواضح في دينه- هل هو يعينك أو لا يعينك في دينه؛ حينئذٍ أنت لا تطلب حكمه، وربما يقول: هذا ليس من اختصاصي.

فهناك مسائل ترفع إلى بعض المحاكم ترد هذه مع وجود أحكامها تقول: لعدم الاختصاص، أي تذهب مثلاً إلى قضاء الأحوال الشخصية، تذهب إليه من أجل قضية سرقة، يقول: أردها لعدم الاختصاص، هذه ليست من اختصاصي اذهب إلى محكمة الجنايات أو محكمة الجنح أو كذا، فهم يقسمون الجنايات والقضايا إلى أنواع؛ فيردها، ويقول: لا أقبل هذه المسألة اذهب إلى غيري، فأنت لم تطلب حكمه من أجل أن تتدين به، أنت طالبت نصرته في رد المظلمة عنك، إذا فهمنا هذا جيداً فرقنا بين الاستنصار وبين التحاكم، مع أن الاستنصار

في بعض جزئياته داخلٌ في التحاكم، ولكنه يُلحق بالاستنصار لوضوح أمر الاستنصار فيه على أمر التحاكم، ولمن فهم المثال يكون الأمر بينًا.

فأولاً: لا يجوز لك أن تذهب من أجل أن تطلب الحكم منه، إذا اختصمت أنت وأخوك، اختصمت في مسألة هذه لي أو لك في تجارة، فيجب أن تذهب إلى الشرع هو الذي يبيّن، لا يجوز لك أن تذهب إلى أي محكمةٍ طاغوتيه تحكم بغير الشريعة من أجل أن تحكم بينك وبين أخيك في مسألة، لكن حين يقع معنى الاستنصار؛ فيجوز لك، وإن كان الأفضل أن تتركه، إلا أن يكون في ذلك ظلمٌ كبيرٌ عليك يؤدي إلى مهلكة أو مفسدة؛ فيجوز لك أن تستنصر بهذه المحاكم من أجل أن تأخذ حقك، لا أن يثبت حقك، فرق أن يثبت الحق هذا بالتحاكم، أن تأخذ الحق الذي تعتقد في دين الله، أنت تعلم من دين الله، تذهب قبل أن تسأل، تذهب إلى إمام إلى عالم تقول: هذا حقي أو ليس حقي؟ فيقول: هذا حقك؛ فتذهب إليه من أجل أن تستنصر به على أداء حقك، أما أن تذهب إلى التحاكم الشركي والوضعي من أجل أن تثبت الحق وأن تعرف الحق لك أو عليك؛ فهذا لا يجوز؛ لأنه من باب التحاكم. أقول قولي هذا واستغفر الله والحمد لله رب العالمين.

٤٤٩- الأسئلة التونسية (٥)

ضمن الجلسة السادسة والثلاثون، بتاريخ: (**١٤/٠٨/١٤٣٩هـ الموافق لـ: ٣٠/٠٤/٢٠١٨ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يقول الأخ السائل: انتشر في بلادنا ظاهرة هجران المساجد من قبل الشباب بعلة أنها مساجد ضِرار، وعلتهم في ذلك الوصف أنها مساجد تحت سيطرة الطاغوت، وأنه لا يُعين الإمام ولا الخطيب إلا بموافقة ما يسمى بوزارة الشؤون الدينية، هل هذا التوصيف صحيح؟ مع العلم شيخنا أنهم يعتمدون في هذه القضية على ما قعّده أبو علي الأنباري وهو قيادي في تنظيم الدولة في إحدى محاضراته؟

جواب الشيخ: إنا لله وإنا إليه راجعون، لا بد لكل مسألة تجيب عنها أن تمهد لها بمقدمات، قبل إجماع أهل العلم هناك قاعدة أريد أن أنبه طلبة العلم عليها خاصةً، هذه الأسئلة التي وردت من الإخوة وتعددت، واضح أنها من طلبة علم، قبل أن تُعمل القاعدة بإدخالها في الاعتقاد، انظر إلى أفرادها في الفقه، هذه كلمة قلتها سابقًا عندما تكلمنا عن الجاسوس.

والقصد من هذه القاعدة: بأن وجود الخلاف بين الفقهاء في مسألة، لا يعني أنها ليست من مسائل التوحيد الذي يترتب عليه الشرك والكفر، فكيف إذا علمنا أن المسألة التي نبحث فيها قد أجمع العلماء على فعلها؟ فكيف يجمعون على أمرٍ جائز؟ وهو عند البعض من المعاصرين الجهلة يدخلونه في باب التوحيد والشرك.

فعندما يأتي أحد: ويقول إن الجاسوس هو كافر عينًا وليس له إلا هذه المرتبة، ماذا نصنع بخلاف أهل العلم؟ بل من الصعوبة بما كان أن تجد عالماً قال: بأن الجاسوس له حكم الردة، الجاسوس المسلم، العين المسلم، طبعًا نتحدث عن الذي اشتغل جاسوسًا في مسألة، لا الذي يشتغل في مؤسسة طاغوتية فهذا حكمه حكم المؤسسة في مجموعها، بغض النظر عن أفرادها.

إذن هذه قاعدة أولى أعود إلى كلمتي بإجماع أهل العلم؛ لو أنه غلب الكفار على بلدٍ من بلاد المسلمين – اسمع هذه المسألة– بإجماع أهل العلم ما لو غلب أهل الكفر على بلدٍ من بلاد المسلمين فأقاموا فيها من يقيم

في المسلمين أحكام الدين؛ لكان من الواجب إنفاذ قولهم، دخل طاغوت نابليون أو كافر بسمارك أو ملعون أو ريتشارد قلب الأسد، دخل هؤلاء الكفار على بلاد المسلمين فأخذوا مدينة، جاءوا وقالوا: خطيب الجمعة فلان، إمام المسجد فلان، فعينوا أئمة المساجد، أتكلم عن العمل هنا بذاته، لا أتكلم عما يلحق به، أتكلم عن إمام يقوم بهذا العمل من الإمامة وهو معين من قبل هذا المحتل الكافر الذي قلب الدار إلى ديار الكفر بسبب حكمه وغلبة أحكامه، أو أقاموا قاضيًا مسلمًا بين المسلمين يحكم بشريعة الإسلام، لكانت أوامر هؤلاء واجبة التنفيذ نافذة، هذا القاضي المسلم يجب أن تنفذ قوله، القاضي المسلم لأنه يحكم بالشريعة، فمن أين جاء هؤلاء بهذا؟

فإذا فهمنا هذا، رددنا على الأصل، ولا نتكلم عن قضية وزارة الأوقاف، نتكلم عن كافرٍ أصلي أو مرتد عين مسلمًا ليقوم بشؤون أهل الإسلام فوجب نفاذه لغلبته وسلطانه، لا لأمره، بل لأنه لا يصلح للمسلمين إلا هذا ولأن ما يُنفذ من الأحكام هي أحكام أهل الإسلام، هذا بخلاف أن يقيم الحاكم المرتد أو الكافر الأصلي أن يقيم قاضيًا كافرًا يحكم بغير الشريعة، لا هو هذا القاضي يحكم بالشريعة، هذا الإمام هو مسلمٌ في ذاته، قالوا: يا مسلم أنت أم بهم؛ فيصبح هذا الإمام هو الإمام الراتب، الخطيب هو الخطيب الراتب، ويجب على المسلمين أن ينفذوا إلى قوله يصلوا وراءه ويُنفذوا قول القاضي، فمن أين جاءهم هذا الأمر؟!

أنا في هذا القول من أجل أن أنقض قول من قال: بأنه بمجرد أن يعين الرجل من قبل طائفة ردة أو طائفة كفرٍ أصلي، أن يعين وهو مسلمٌ يقيم أحكام الإسلام؛ فيسمونه كافرًا أو يسمون المسجد الذي يُصلى فيه هذا مسجد ضرار، إذا علمنا هذا؛ علمنا جهالة هؤلاء القوم وعلمنا فساد ما يقولونه، أمر التكفير والأحكام الشرعية لا تؤخذ من قضية العمومات التي يفعلها هؤلاء ويضحكون بها على الشباب الغِر، يقولون: هذا حاكم مرتد عين هذا الرجل؛ إذن هذا تعيينه باطل إذن هو ربما يلحقون به، بعد أن عينه إذن هو مرتد مثله، إذن هو داخل في المؤسسة ويعطونه راتب، إذن هو كافر ولا يقول بكلمة الحق، ويبدؤون هكذا ككرة الثلج يكبرون ويكبرون بمثل هذه الضلالات والانحرافات.

مساجد المسلمين في بلاد المسلمين ليست مساجد ضرار، وإن كان هناك مساجد ضرار تهجرها، أي لو علمت أن هذا المسجد يصلي فيه إمام هو موالي، هنا أنبه لا يقولن أحد هذا القاضي هو موالي للكفرة، لا،

ليس موالي وهذا الإمام الذي عين من قبلهم موالي، هذا كذب غير صحيح، نحن نعلم بلاد المسلمين، هناك من الأئمة من هو موالي ويتجسس وينقل الأخبار لأعداء الله، وهناك من الأئمة من هو أتقى وأعبد من هؤلاء الذين يزعمون الجهاد، نحن نرى هذا الفارق الكبير وأنت تستطيع أن تميز، لكن بمجرد هذا المعنى الذي ذكره الأخ السائل هذا باطل، لا يجعل المساجد لا مساجد ضرار ولا الأئمة هم أئمة شرك وأئمة موالاة للكفار، هذا باطل من القول؛ فاحذروا من هذا.

والعبرة بأن تعلم الإمام علمًا قريبًا منه أن تحكم عليه، والأصل في هذه المساجد أنها مساجد مسلمين، وأنه يجب إعمارها وإجابة دعوتها حين النداء إلى الصلاة، والصلاة الجماعة لا ينبغي ترك هذه المساجد على ما يفعل الغلاة، وهذه قضايا فرغ الناس منها وبان عواقب فاعليها، ثم رأينا نهاية ما يقوله هؤلاء من الشر على المسلمين، من قتل المسلمين وإضعاف أمرهم وإزالة قوتهم، ثم بعد ذلك دخولهم علموا أو لم يعلموا في موالاة الطواغيت والكفار بحجة مرة يقولون: بأن موالاة الكفار الأصليين ضد المرتدين، لأن الكافر الأصلي أهون من المرتد فيدخلون مع النصارى واليهود في الموالاة ويعادون أهل الإسلام، وهم مادة في هذا الباب؛ هم أحسن مادة لأعداء الملة، ولذلك تجدون منهم العملاء، ويستغلونهم تحت هذا الباب في أننا نعادي المرتدين والدخول في التحالف مع اليهود والنصارى جائز، وأما مع المرتد فلا يجوز؛ فتجدون مثل هذه الضلالات وهذه الانحرافات فمرةً عن علمٍ وفقهٍ أعوج وبهذا يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان؛ لأنهم سموا أهل الإسلام المرتدين، وإما بغفلة وهذه الغفلة بأن يستخدموا تحت هذه الأبواب، والشيطان يدفعهم لقولهم لا يصح إيمانك إلا بأن تقتل هذا.

مرةً أحدهم رد علي وهو يزعم أنه ليس من أهل الغلو، ولكن انظر تكلمت مرةً عن أحكام حزبٍ من الأحزاب التي تسمى إسلامية وقد ارتدت في دخولها في موالاة الطواغيت وأعداء المسلمين؛ فسميتها، فماذا رد؟ قال: أما هذا الإيمان فيعرفه كل أحد -انظر هنا الشيطان- ولا يصح إيمانك الخاص إلا بأن تكفر بالطواغيت الذين لا يعلمهم الناس، هذا الشر ربما يسمع ويعلم نفسه أو يعلم من يقوم بعلفه فكرًا ودعمًا، هذا الباب هو الباب الذي يجعل هؤلاء يقتلون أهل الإسلام، يقولون: أن قتال النُصيرين إن قتال اليهود والنصارى هذا قتالٌ عام يعلمه كل الناس، أما أنت صاحب الإيمان الخاص والتوحيد الخاص فلا يصح إيمانك حتى تقتل هذا المسلم، لا يصح إيمانك إلا بأن تقتل هذا الإمام، لا يصح إيمانك حتى تقتل صاحب اللحية: لتعلم أن اللحية ليست

مانعًا من موانع الكفر، وأن تقتل هذا المصلي الذي يقوم الليل؛ لتعلم أن قيام الليل ليس من موانع الكفر، فيؤزهم الشيطان لقتل أهل الإسلام تحت هذا الباب الذي نذكره، نعوذ بالله من الخذلان، أقول قولي هذا واستغفر الله.

٤٥٠- التضحية عن الأم والجمع بين العقيقة والأضحية وأحكام ذلك

ضمن الجلسة السابعة والثلاثون، بتاريخ: (**١١/١١/١٤٤٢هـ الموافق لـ: ٢١/٠٦/٢٠٢١ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يقول الأخ السائل: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته -وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته- حياكم الله شيخنا الكريم -وأنتم حياكم الله وبياكم- يقول السائل: شيخنا هل يجوز لامرأةٍ قد ضحت عن نفسها في الأعياد السابقة أن تضحي لأمها في هذا العيد؟ وأن تعق عن ابنتها في ذبيحةٍ واحدة، وأيضًا إذا أوصاني أبي المتوفى أن أضحي عنه فهل أمسك أنا عن الأخذ من شعري وأظفاري أم لا؟ جزاكم الله خيرًا ونفع بكم.

جواب الشيخ: أولاً، لأني فهمت السؤال أن السائل في كلامه -وأرجو أن لا يكون هذا من الفهم الصحيح- لكن الكلام يدل عليه بمعنى فحواه وهو: أن المرء إذا ضحى مرة فقد كفى، فكأن الأضحية مرةً واحدة، لا الأضحية سنةٌ في كل عيد أضحى، من قدر عليها، وعلى الصواب أنها سنةٌ مؤكدة، خلاف من قال بوجوبها، والصواب أنها سنةٌ مؤكدة وأكبر الأدلة على ذلك بأن الصاحبين والشيخين الكبيرين العظيمين العمرين الصديق والفاروق لم يضحيا في حياتهما، ولو كانت واجبة لفعلا؛ فلذلك لا يقال: بأن أمي ضحت في السنوات السابقة فتضحي عن غيرها في العيد، لا هو كل عيدٍ له أضحيته، له سنته هذا واحد.

الأمر الثاني: بأنه لا يضحى عن الميت على الصواب، هناك خلاف، لكن الأئمة الثلاث خلاف الإمام أحمد، ورواية في مذهب الإمام، أنهم لا يجيزون الأضحية عن الميت، إلا إذا أوصى بها الميت، إذا أوصى الميت بالأضحية فيجوز الأضحية عنه، يعني رجل وصّاه ابنه: ضحِّ عني؛ فيضحي، أما أن يُضحي المرء عن الميت فالصواب مذهب الأئمة الثلاثة الذين لا يجيزون ذلك، هذه في الوصية، مع الخلاف بين الوصية وعدمها، أكرر بأنه إذا أوصى الوالد أو الوالدة ابنهما أن يُضحي عنهما؛ ضحى عنهما سنةً إن قدر، وأما إذا لم يوصي فالصواب من كلام الأئمة الثلاثة سوى مذهب أحمد أنه لا يجوز الأضحية عن الميت، يكرهون ذلك، والكراهة في عرف الأئمة هي بمعنى التحريم كما هو معروف.

الآن نأتي إلى مسألة ثانية: هل يجوز الجمع بين الأضحية والعقيقة؟ خلاف بين أهل العلم، والصواب

جوازها، وأنا ذكرت هذا لأن مقصود الشارع يتحقق بالأمرين معًا في فعلٍ واحد، فمقصود الشارع في يوم عيد الأضحى هو إراقة الدم، والعقيقة إراقة دم، فتحقق معنى الأضحية في العقيقة، فلذلك يجوز هذا، يجوز الجمع بين العقيقة والأضحية.

والسؤال: إذا أوصى والدي بأن أضحي عنه؟ فتضحي عنه إن قدرت، فهل تمسك؟ نعم تمسك، والحال في هذا الباب قياسًا على الحاج عن غيره، قياسًا، وهذا من المستحب، لا أراه واجبًا كما يقول بعض المعاصرين، وتقدم كذلك الخلاف قديمًا فيه، هناك من يرى وجوب عدم مس بالأظافر والأشعار لمن أراد أن يضحي، إذا دخلت العشر الأوائل من ذي الحجة، وأنا أقول: هذا من المستحبات، من الشرائع المستحبة.

فإذا أراد المرء أن يضحي عن أبيه هل يمسك؟ الجواب: نعم، لماذا؟ وهنا نقارب اجتهادًا، قياسًا على من حج عن غيره، فمن حج عن غيره تلبس بفعل الحاج كأنه حاج عن نفسه، وهنا نفس الشيء، هذا المعنى واحد؛ لأن من قال من أهل العلم: باستحباب منع الأخذ عن الأشعار والأظافر، إنما هو لمشابهته بالحاج، تقربيًا له، إصابةً لما معنى الحج، وهذا المعنى موجود في الجواب، والله تعالى أعلم.

بارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٤٥١- ما معنى قولهم إن القدر فوق الشرع؟ وهل العبارة صحيحة؟

ضمن الجلسة السابعة والثلاثون، بتاريخ: (**١١/١١/١٤٤٢هـ الموافق لـ: ٢١/٠٦/٢٠٢١ م**)

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم.

يقول الأخ السائل: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته -وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته- يقول الأخ: حياك الله شيخنا الفاضل أسأل الله تعالى أن يحفظكم وأن يسددكم -آمين، آمين وإياكم أخي- يقول الأخ: شيخنا الغالي رأيت هذه الكلمة «والقدر فوق الشرع» في لكلام بعض العلماء واستشكل عليّ معناها، فأرجو من فضيلتكم شرح العبارة وتسهيل المعنى وهل الكلام صحيح في الأصل؟

بارك الله فيكم ونفع الله بكم.

جواب الشيخ: هناك كلمات للعلماء -وهذه منها- تكون لبيان أمرٍ قد غُفل عنه، فتأتي الكلمة لإبراز، هذا الإبراز قد يكون فيه شيء من الكثرة التي يظن الناظر أنها تغطي على بعد الحق، وهذا غير صحيح.

أنا أضرب لكم مثالاً في هذا: كلمة ميمون بن مهران: «السنة قاضيةٌ على الكتاب» انظر إلى هذه الكلمة، الإمام أحمد رحمه الله كرهها لم يحبها؛ لأن الكتاب قاضٍ على كل شيء، وثبوت السنة إنما كان بإثبات القرآن لها، فالقرآن هو قبل كل شيء وآخر كل شيء، والسنة تحت مظلة القرآن لا فوقه، لكن ماذا أراد ميمون بن مهران في هذه العبارة الصحيحة التي صدرت عنه؟ أراد بأنه لو اختلف الناس في القرآن فإن السنة تقضي على أي معنى اختلف الناس فيه؛ فصارت قاضية على القرآن بمعنى أنها المفسرة الصحيحة للقرآن، على هذا المعنى.

المعنى الثاني أن القرآن في أذهان الناس لا في ذاته، انتبه؛ يجب عليك أن تفهم كلام العلماء كما يريدونه، وأنا أضرب الأمثلة ليصبح هناك العقل المفكر، لا العقل المتلقي فقط، العقل الناقد، المهم فالسنة قاضية على الكتاب بمعنى أنها المفسرة له وأن تفسير السنة يقضي عليه، وقلت بأن القرآن لا يحتاج في ذاته إلى السنة، لكن ذهن المرء في قراءته يحتاج إلى السنة، لا يمكن أن يفهم المرء القرآن إلا من السنة، وإن كان القرآن في ذاته كافٍ لمن أراد الحق، فيه الكفاية، لكن الناس مع هذا القرآن الغزير المكنون المجيد يحتاجون إلى ما يساعدهم، ليس

لحاجة القرآن إلى السنة، ولكن لحاجة أنفسهم، هم بحاجة له، وهناك فرق بينهما، القرآن لا يحتاج إلى السنة؛ لأنه كتاب كافٍ، قال تعالى: ﴿أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (١)﴾ [هود: ١]، أحكمت وفصلت وتبياناً لكل شيء، ولكن الناس مع هذا الغذاء الكبير يحتاجون إلى ما يقربهم إليه؛ فجاءت السنة مفسرة للقرآن، وهذا أحد وجوه تفسير الشافعي بكلمات أن السنة وحيٌ الله، قال: «إن السنة هي فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم للقرآن»، ذكرها ابن تيمية رحمه الله في مقدمة التفسير، وذكرها ابن كثير ناقلاً عنه إياها.

إذن هنا هذه الكلمة «القدر فوق الشرع»، كيف نفهمها على طريقٍ صحيح؟ وهي كلمة صحيحة وإن كانت كلمة نابية في الذهن يعني كيف القدر؟ لأن الناس فورًا إذا ذهب الكلام إلى الشرع فإنهم ينسبونه إلى الله، لكن إذا ذهب الكلام إلى القدر توقفوا؛ لأنهم يرون أن هناك ثمة أقدار تُنسب إلى الخلق، قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، والله عز وجل نسب قبض الروح إلى الملائكة، قال تعالى: ﴿تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ [النحل: ٢٨]؛ فنسب الفعل إلى الله عز وجل على الحقيقة ونسب الفعل إلى السبب الذي هو أداة القدر، السبب هو أداة القدر.

لكن الشرع ليس هناك ثمة نسبة إلا نسبة واحدة؛ أن الشرع من الله عز وجل، وإنما القدر يقع أن الله عز وجل يعطي والعبد يعطي، وجعل الله عز وجل الأسباب ستارًا لفعل الله عز وجل الحقيقي وإرادته جل في علاه، وكذلك لأن القدر يقع فيه ما يحب الله وما يكره، فلا يحبون نسبة الباطل إلى الله عز وجل كما قال النبي صلى الله عليه: **(والشر ليس إليك)**، فلذلك وقعت الكلمة نابية مع أن القدر من الله عز وجل، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، له الخلق قبل كل شيء وله الأمر بعد ذلك، والله خلق الخلق أولاً، ثم شرع الشرع ثانيًا، وإن كان الشرع والقدر كلاهما لهما تعلق بأسماء الله وصفاته، شرحته قبل أيام في إحدى السلاسل.

لكن ما الذي يحكم أقوم إذا تصارع الشرع مع القدر؟ هناك مظاهر كثيرة تبيّن أن الشرع يتنازل أمام القدر، أن الشرع يعني أحكام الله عز وجل يتم فيها ليس التغيير ولا التبديل، ولكن يتم فيها الاختيار بسبب القدر.

ولأضرب لكم أمثلة مما تبين الباب: الله عز وجل أمرنا بالوضوء والوضوء يحتاج إلى ماء، من هنا جاءت أحكام المياه مقدمة على كل بابٍ في أبواب الفقه خلاف من قدم باب مواقيت الصلاة، على أساس أن الحكم يثبت بدخول الوقت، لكن الماء هو قبل كل شيء، أحكام المياه، وإذا لم يُوجد الماء؟ وجود الماء أمرٌ قدري،

غياب الماء أمرٌ قدري، فأنت تتوضأ بوجود الماء الشرع تبع هذا القدر، القدر أولاً وجود الماء، فأنت تبحث عن الماء فوجدته فصار الشرع تابعًا لهذا الوجود؛ فعليك أن تتوضأ، طيب غاب الماء في الحالة الثانية فما الذي تنازل؟ غاب الماء، صَعِب وجوده، عسر وجوده، أو عسر استعماله، فماذا تفعل؟ تغير الشرع قال لك: تميم، فما الذي قضى في هذا الأمر؟ هل قضى الشرع أم قضى القدر على الشرع أم الشرع على القدر؟ وهل يعني هذا أن نستسلم دائمًا للقدر؟ لا، الشرع لم يقل هذا.

من هنا شرح شيخ الإسلام ابن تيمية كلمة عبد القادر الجيلاني: «نازعت أقدار الحق بالحق للحق»، وفسرها على أن، قال: فتحت لي روزنة؛ الناس قد أغلقت عليهم منافذ ومعالم القدر وأما أنا فتحت لي روزنة فنازعت أقدار الحق، الإنسان ينازع القدر، المرء ينشأ فقيرًا فينازعه ليكون غنيًا، ينازعه بمشيئة الله، القدر ينازع.

والماء في داخل البئر في جوفه وينازع المرء يرمي الدلو ويحمله، فالقدر يُنازع، لكن تعال إلى جبل أنت تريد أن تمشي هذا الطريق وبينك وبين هدفك الجبل، الجبل أمرٌ قدري، مخلوق، أمرٌ قدري، أإرادتك تزيل الجبل؟ لا، إنما تتعامل في سلوكك في الشرع الذي تريده أن تصل إلى هدفك، هذا أمرٌ شرعي متعلق بالإرادة، أي شرعيٌ بالنسبة لك، وقد يكون شرعي بالنسبة لأمر الله، كمن يذهب إلى الحج، فالناس إما أن يمتطوا الجبل وأما أن يدوروا حوله، في النهاية تعاملوا معه وجودًا رغم أنوفهم.

وعندما يأتي الأعداء إلى بلدٍ مسلم فالواجب الأول هو الجهاد، طيب لا توجد الأدوات للجهاد استسلموا ضمن شروط معينة وقد وقع في التاريخ هذا، وقع في زمن أبناء الشيخ ابن عبد الوهاب لما دخل إبراهيم باشا الدرعية؛ استسلموا له، وجدوا أنه من الحكمة عدم مقاتلته مقابل مصالح، خان العهد أمرٌ ثاني، كذلك عبد الكريم الخطابي كذلك استسلم للفرنسيين، فالأمر الأول الجهاد، لكن لا يوجد عندك ما تجاهد به فاستسلمت، فأجاز لك الشارع أن تقول كلمة الكفر عند الإكراه، أجازها لك مع أنها كفر، الأصل في قول كلمة الكفر أنه كفر، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦]؛ فالشارع غير الحكم.

من أجل هذا قلت هذه الكلمة، وأظن الأخ يمكن خجل أن ينسبها لي، لكن جيد أن تكون مسبوقة ولا أذكر أن هناك من سبقني، فإن سبقني فهو المصيب وقد أخذتها منه وأنا لا أدري، إنما أقول: أن القدر فوق الشرع؛ بمعنى عليك أن تفهم القدر لتبحث عن الشرع الملائم له، المشكلة أن الناس يقلبون، يريدون منا أن

نقاتل العالم لأن الشرع يقول هذا، دون أن ننظر إلى الواقع، الأصل أن تنظر إلى الواقع.

فأساس صواب كل فكرة أولاً: أن تكون شرعية، لا يجوز لك أن تعمل عملاً غير شرعي، ثانيًا: شرطها أن تكون ملائمة للواقع، هذا الذي قاله العلماء: أنه لتحقيق الحكم الشرعي لا بد من أمرين؛ أولاً: معرفة حكم لله، ثانيًا: معرفة الواقع؛ من أجل أن ينتج معرفة حكم الله في هذا الواقع، وهذا معنى الفتوى، معرفة حكم الله في الواقعة في النازلة في الحادثة، هذه الفتوى.

فإذن معرفة حكم الله في النازلة، إذا لم تفهم النازلة؛ ستُخطئ في معرفة الحكم لها، وقد تعرفها فتُخطئ كذلك لأن الجهل أتى من جهة الشرع، لكن أولاً: عليك أن لا تبحث عن الواقع الذي يلائم ما تراه، هناك جماعات تضع منهاج بحسب ما فهمت من الكتاب والسنة كفتوى في نازلةٍ من النوازل التي يعيشونها، وهذا خطأ، عليك أولاً أن تفهم النازلة كما هي، وأن تفهمها بعمق، وهذه الكلمة التي أقولها اليوم نحتاجها اليوم أكثر من أي وقتٍ مضى، لأن الواقع مزور، أي كانت بساطة الواقع في الأزمنة الأولى سهلة والخداع سهل، لكن يوم صار الخداع علمًا وفنًا والإشاعة وصلت إلى درجة عالية، لا يوجد فن من فنون الحياة بلغ إلى أعلى الدرجات كما بلغ فن الإشاعة وتزوير الواقع وتزوير العقل، لا يوجد، هذا الزمان عجيب جدًا، ومع ذلك الناس يتحدثون عن فهم الواقع.

وهناك خلاف بين المسلمين؛ هل نفهم الواقع ولا نفهم الواقع؟ هل نحتاج فهم الواقع أو لا نحتاج فهم الواقع؟ حوار دار لسنوات بين المشايخ وأُلفت فيه الرسائل والكتب والمطويات.

فهذا معنى هذه الكلمة «أن القدر فوق الشرع» بمعنى أن الشرع يمكن أن يقلب الحلال إلى حرام، ويمكن أن يقلب الحرام إلى حلال، لماذا؟ للواقع، بل ربما يصبح الحرام واجبًا، الكذب حرام، لكن يصبح واجبًا إذا كان فيه إنقاذ مسلم، ما الذي تغير؟ هذا الشارع، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠]، أمر بالشيء وأمر بماذا؟ وأمر بما هو أفضل منه، أمر بالحق وأمر بالفضل، أمر بالحق وبالإحسان، وكذلك قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦]، أوجد كذلك للناس المخارج التي يجبرون عليها، الواقع ليس بظلال لما تشتهيه، المرء لا يصنع قدره، لماذا مات الملوك؟ لأن المرض غلبهم مع جنودهم ومالهم وسلطانهم وعنايتهم بأنفسهم؛ فقهرهم الموت، فالقدر لا مهرب منه، يُنازع بقدرٍ مثله كما قال عمر رضي الله عنه: «نفر

من قدر الله إلى قدر الله»، في النهاية أنت محاط بالقدر، أن تكون فقيرًا هذا قدر، أن تنازعه فأدوات النزاع هذه قدر، أن يتغير هذا القدر لا يخرج من القدر يبقى داخل القدر؛ فالقدر أمرٌ ثابت والشرع متحول؛ متحول بحسب مراتب الناس وأحوالهم مع هذا القدر.

لماذا جعل الله عز جل القدرة شرطًا من شروط التكليف؟ ما في قدرة ما في تكليف، الحج؛ قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، الحج ركن من أركان الإسلام، لكن من استطاع إليه سبيل، الصوم؛ قال تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤]، والصيام ركن من أركان الإسلام، وقال صلى الله عليه وسلم: (**صَلِّ قَائِمًا، فإنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فإنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ**)، القدر حكمك، غلبك، تحول الشرع بما يعادل القدر، وهذه قضيةٌ إن شاء الله فيها الكفاية في هذا الجواب، أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم.

بارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٤٥٢- ما معنى قولهم إن من مقصود الله في خلقه إقامة معاني أسمائه؟ وما مقصد خلق الكون؟

ضمن الجلسة السابعة والثلاثون، بتاريخ: (١٤٤٢/١١/١١هـ **الموافق لـ: ٢٠٢١/٠٦/٢١ م)**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى إله وصحبه ومن والاه.

يقول الأخ السائل: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته -وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته- حياك الله شيخنا الحبيب أسأل الله تعالى أن يديم عليك الصحة والعافية وينصر بك الدين -جزاك الله خيرًا آمين وإياكم، نسأل الله أن ينصر الدين بنا وبكم وبالمسلمين جميعًا-.

يقول الأخ: قرأت في كلام بعض أهل العلم وأظنه مر علي من كلامٍ لحضراتكم في معناه أن من مقصود الله سبحانه وتعالى في خلق الكون إظهار معاني أسمائه، ويذكر بعضهم الآخر أن من مقصود الله عز وجل في خلق الكون إقامة دينه في الأرض وإعمار الأرض بشريعة الله، ويذكر بعضهم غيره، السؤال ما هو المقصود من خلق الكون؟ وهل طلب الاستخلاف في الأرض لتحقيق ذلك المطلوب أمرٌ يحبه الله عز وجل وداخلٌ في قوله تعالى على لسان إبراهيم: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (٨٣)﴾ [الشعراء: ٨٣]، أم أن طلب الاستخلاف أقرب للطلب الدنيوي؟

جواب الشيخ: جزاك الله خيرًا على هذا السؤال الطيب، لا، الله عز وجل خلق الكون وأوجد الإنسان وخلق الملائكة أولاً: أثرًا من آثار أسمائه وصفاته؛ قال الله عز وجل: ﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٥٠]، المطر آثار رحمة الله، فإذن الله عز وجل خلق هذا الكون عندما خلقه أثرًا من آثار الأسماء والصفات، وخلق الإنسان والملائكة ليعرفوه من خلالها فيعبدوه، هذا هو الترتيب؛ الله عز وجل خلق الكون ومن ذلك الملائكة والعرش والكرسي وهذه الأكوان العديدة العجيبة التي يتحدث عنها الفيزيائيون بطريقة مذهلة وخطيرة جدًا، سبحان الله! لم أر أعظم أثرًا على القلب من قراءة القرآن والسنة النبوية تفكرًا، ثم النظر في كلام أهل الفيزياء، وخاصةً من كلام أهل الفلك، فيزياء الفلك وكذلك فيزياء الذرة، عندما ترى هذا الخلق العجيب تذهل!

خذ القلم وانقط نقطة واحدة هكذا على الورقة هذه النقطة فيها ملايين الذرات، هذه الذرة فيها ملايين

الإلكترونات، وكل ذلك من النظرية، وهي أقرب نظرية، هذه النقطة فيها ملايين؛ الله عز وجل يعلمها ويحركها، فانظر إلى الورقة، انظر إلى الكتاب، خذ كتاب وانظر كم نقطة فيه؟ كم نقطة مشكلة لكل حرف؟ وكم حرف مُشكل لكل كلمة؟ وكم كلمة مُشكلة لكل جملة وهكذا حتى يتكون كتاب؟ فكم فيه من أعداد لا تكاد تُذكر مما يعلمه الله عز وجل ويقوم عليها ويرعاها ويحركها بإرادته في كل لحظة.

فالله عز وجل خلق هذا الكون، بعد ذلك انظر إلى الكون كله، ثم انظر إلى المجرات الكثيرة، وانظر إلى سماء الدنيا والسماء الأولى والثانية ثم إلى الكرسي ثم إلى العرش سبحانه جل في علاه، سبحانه ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، جل في علاه، ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، فالله عز وجل خلق الكون هذا كله أثرًا من آثار أسمائه وصفاته، ما من شيء في الكون إلا أثر لاسمٍ وصفة من صفاته جل في علاه.

وخلق هذا الكون من أجل ماذا؟ ليعرفوا أسمائه وصفاته، ليعلموا أنه عليمٌ، حكيمٌ، قديرٌ، سميعٌ، بصيرٌ، عزيزٌ وهكذا، هذه الأسماء العظيمة الدالة على ربوبية الله عز وجل، فليعرفوا هذه الأسماء من أجل أن يعبدوه، ومعرفة الأسماء والصفات هو توحيد الربوبية، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦)﴾ [الذاريات: ٥٦]، ﴿لِيَعْبُدُونِ (٥٦)﴾، هو توحيد الإلهية.

فإذن لماذا خلق الله الكون؟ خلقه ليُعبد، ولكن الطريق لهذه العبادة؛ هو تحقق العبد بأسمائه وصفاته، كيف يتحقق من أسمائه وصفاته؟ من خلال مظهر هذه الأشياء للأسماء والصفات، مظهر هذه الأشياء، مظهر، ظهورها، بيانها وجودها، إنما هو أثر لأسماء الله وصفاته.

ومن هنا قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦)﴾ [الذاريات: ٥٦]، بعض كلام أهل التفسير ليعرفوا المعرفة، أي ليعرف الناس ربهم بأسمائه وصفاته؛ يعبدونه سبحانه؛ فذكر الوسيلة الموصلة إلى الغاية، هذا هو التفسير، فعندما نتكلم عن الأشياء نتكلم عنها باعتبارها مظهرًا لآثار أسماء الله وصفاتهم، ولماذا أوجدها الله؟ أوجدها الله عز وجل أثرًا من آثار أسمائه وصفاته، لماذا أوجدها؟ من أجل أن تعرف المخلوقات ربها، الملائكة الله عز وجل خلقها لتعرف ربها، وما هي نتيجة هذه المعرفة؟ نتيجة هذه المعرفة أن يعبدوه بما هم فيه، الملائكة تعبد ربها سبحانه وتعالى تعبده بما هي مركبةٌ عليه، فليس هناك معصية، فلا يحتاج لتوبة واستغفار، ولا يحتاجون إلى استغفار من أجل التوبة، والله خلق الإنسان بما ركب من حبٌ وخوفٌ وندمٌ، هذه المعاني النفسية

التي بها يتحقق حين يُطّبق المرء فيها أمر ربه، يندم على معصية، يحب الله عز وجل لما يعطيه من نعمة، يخاف ربه لما فيه من نقم من عذاب لأعدائه، يتذلل له لما فيه من عبودية مركبة عليها فطرة.

فالفقر فينا ذاتي والغنى في ربنا ذاتي، الفقر فينا ذاتي لا يتغير حتى لو ملكنا الدنيا فإنما حصل لنا الغنى بالأشياء؛ فقرٌ ذاتي، في النهاية نحن فقراء إلى هذه الأشياء لتصنع منا معنى الغنى، لكن الله عز وجل غني قبل أن توجد الأشياء، قبل أن يوجدها، قبل وجود الخلق هو الخالق، قبل وجود الكائن هو المكون، فلذلك لو سألنا هذا هو الترتيب، لكن الناس كما فسر العلماء كما رأينا قالوا: يعرفون، فسروا الواسطة بالنتيجة، مع أن كلام الحديث في القرآن عن النتيجة، ﴿لِيَعْبُدُونِ (٥٦)﴾، لكن فسروا بالوسيلة وهي ليعرفون، فمرات يقع من كلام أهل العلم هذا الكلام، يقولوا: إنما خلق الله الكون ليعبدوه، ويقول قائل: إنما خلق الله الكون من أجل أن يعرفوا أسمائه وصفاته؛ نعم الكلام كله صحيح، إنما خلق الله الكون مظهرًا من مظاهر أسمائه وصفاته؛ هذا كلام صحيح، هذا كله صحيح، ولكنه عند الترتيب هذا الشيء الذي ذكرناه.

أسأل الله عز وجل أن أكون قد أجبت، وإذا كان هناك ثمة إشكال في السؤال فنتابع النظر في الأسئلة.

بارك الله فيكم وجزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

٤٥٣- هل طلب الاستخلاف في الأرض يحبه الله أم أنه من طلب الدنيا؟

ضمن الجلسة السابعة والثلاثون، بتاريخ: (١١/١١/١٤٤٢هـ **الموافق لـ: ٢١/٠٦/٢٠٢١ م)**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

عودة للسؤال السابق رقم «٤٥٤»، فهناك سؤال لم نأت عليه، وهو قوله: وهل طلب الاستخلاف في الأرض لتحقيق ذلك المطلوب أمرٌ يحبه الله؟ وداخلٌ في قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (٨٣)﴾ [الشعراء: ٨٣]، أم أن طلب الاستخلاف أقرب للطلب الدنيوي؟

جواب الشيخ: في تحقيق أمر الله عز وجل يتحقق للإنسان غاية؛ بمعنى أنه لا يوجد مطلبٌ لربنا سبحانه وتعالى في أمرٍ من الأمور إلا وللإنسان فيه غاية تشارك هذا المطلب؟ ولذلك تحدث القرآن عن فوائد العبادة، مع أن العبادة هي لله عز وجل، لكنه يتحدث ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا (١٢)﴾ [نوح: ١٠-١٢]، تحقق للإنسان منفعة وهو سقوط الذنب، وهذه منفعة عظيمة، منفعة عظيمة دينية ودنيوية أن يغفر الله لك ذنبك؛ فأنت أولاً أفرحت الله، (**إن الله أشد فرحًا بتوبة العبد... إلى آخر الحديث**)، الله عز وجل فرح؛ فتحق مقصد إرضاء الله عز وجل، وتحقق مقصد لك بأن غفر ذنبك، ثانيًا: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا (١٢)﴾ [نوح: ١١-١٢]، ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

فلماذا هذه الثنائية المتعارضة؟ نرجع إلى الثنائية، لماذا هذه الثنائية المتعارضة؟ هذه الثنائية غير متعرضة، أنت تفرح وأمك تفرح والناس يفرحون بنفس الفعل، ويغضب أناس كذلك، فليس معنى أن يتم الفرح الالهي لشيء أن يخلو منه حظ العبد بالتحصيل، هذا ليس شرطًا، وليس من شرط خلوص الأمر لله أن لا يصيب الفضل العبد منه، هذا كذلك ليس شرطًا، ولذلك قال الله عز وجل: ﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١٣)﴾ [الصف: ١٣]، هناك أخرى تحبونها.

فهذه المحبة تحقق حب الله عز وجل، الله عز وجل أمرنا بالجهاد لتعلوا كلمته سبحانه وتعالى؛ فهذا يحبه الله

ولذلك سماه الله نصرًا لله؛ فقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾ [محمد: ٧]، سمى فعلك بأن تحكم الشريعة نصرًا لله عز وجل، الله عز وجل هو الذي انتصر، فإذا نصرت الله عز وجل؛ إي حصل النصر لله عز وجل بفعلك؛ تحصّل النصر لك، فالله عز وجل فرح لهذا؛ تحصل مقصده في إقامة شرعه، والله عز وجل يحب تطبيق شرعه، (**إقامة حد في الأرض خير لأهلها من مطر أربعين ليلة**) فالله عز وجل يحب؛ لأنه تطبيق لأمره.

فالصلاة تطبيقٌ لأمره، فهذه الصلاة هل للعبد حظٌ منها؟ أعظم الحظوظ؛ ففي الحديث: (**أرَأَيْتُمْ لو أنَّ نَهَرًا بباب أحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فيه كُلَّ يَومٍ خَمْسًا، ما تَقُولُ ذلكَ يُبْقِي مِن دَرَنِهِ؟ قالوا: لا يُبْقِي مِن دَرَنِهِ شيئًا، قالَ: فَذلكَ مِثْلُ الصَّلَواتِ الخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ به الخَطايا**)، هذه فائدة للعبد، فدفعه لمصلحةٍ له، ولذلك جاءت صلاة الاستخارة، صلاة الاستخارة عبادية لله عز وجل تفرح الرب؛ فيتحقق للعبد بها المقاصد، فهذه الثنائية غير متعارضة؛ أن يفرح الرب من أمرٍ يكون للعبد فيه مقصد، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

بارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٤٥٤- اعتبار الكفاءة والولاء في التعيينات والولايات، وما هو الولاء للجماعة وما مدى اعتباره في الشريعة؟

ضمن الجلسة الثامنة والثلاثون، بتاريخ: (**١٤٤٢/١٢/٢٣هـ الموافق لـ: ٢٠٢١/٨/٢ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يقول الأخ السائل: حياك الله شيخنا الحبيب -وأنتم حياكم أهلاً وسهلاً بكم- أسأل الله أن يرفعك في الدنيا والآخرة -آمين وإياكم أخي-.

يقول السؤال: انتشر كلامٌ كثير في الحركات الجهادية عن اعتبار -وسأقرأ السؤال كما ورد بغض النظر عن ما فيه- على اعتبار الكفاء والولاء في تولية الناس على ثغورٍ معينة وذلك بسبب اختلاف أفكار الناس اليوم اختلافًا عظيمًا، وقد تكون تلك الأفكار التي يحملها من لا ولاء له؛ معارضة للأفكار العامة التي ترى القيادة أنها الطريق الموصلة إلى الغاية، ونرى كثيرًا من المفكرين الإسلاميين يقولون: أن من عوامل قوة الجماعات أن يكون لها أيدلوجية خاصة بها.

السؤال: ما هو الولاء وما اعتباره في الشريعة وما هي حدوده؟

جواب الشيخ: في الحقيقة أريد أن أوسع دائرة هذا السؤال لأهميته، والأمر يتعلق بواقعنا لنبحث فيه أكثر مما نبحث النظريات أو نبحث فيما هو مُتخيل، أو ما هو احتمالٌ عقلي لا نجد الكثير من تأثيره في واقعنا، الحديث عن الولاء والكفاءة وتقدمة الولاء على الكفاءة... إلخ، بلا شك أن هناك جوانب سلبية في هذا الموضوع ينبغي أن أتحدث عنها وأن نفصلها، وربما نؤجل الحديث عنها لاتساعها وكثرتها.

فالمقصود هنا بالولاء هو الولاء للشخص والطاعة له والاتباع والتقديس للقيادة على اعتبارٍ شخصي وليس على اعتبار الولاء إلى المفهوم الذي سماه الأخ الأيدلوجية أو العقيدة أو الفكرة أو المنهج، وهذا مرض يستشري في الجماعات، حتى أنني سمعت قائدًا يومًا من قادة الجماعات الإسلامية قال: «كلب مطاوع ولا أسد مخالف»، بمعنى أنهم يحبون أي الجماعات وقيادة الجماعات تحب عادةً الذي يسلم، كما كان السادات يُلقب في زمن عبد الناصر بـ «اليوزباشي صح»، ويقصدون بها أن كل ما يقوله «البكباشي» جمال عبد الناصر وهو لقب

عسكري قديم «البكباشي» لا وجود له اليوم، فكل ما يقوله «البكباشي» جمال عبد الناصر يقول وراءه السادات: صح، ومن هنا اختاره نائبًا له؛ لأنه إمعة، والقيادة عادةً تحب هذا النوع من الناس وهو الإمعة الذي يطيع، إذا أحسن الناس أحسن وإذا أساء الناس أساء، فهذا مرض وينبغي تجنبه، وإذا وجد في القيادة هذا النوع ينبغي اعتزالها، وإن لم تعزل النتيجة هي الفساد والدمار، وكثير من المعارك الكبرى سقطت بسبب تقدمة الولاء بالمفهوم الشخصي على الكفاءة، وأدت إلى دمار وإلى فساد عظيم، وهذا شيء ربما لا يدخل في السؤال، لكن ننبه عليه.

نأتي إلى قضية العقيدة: من شروط نجاح الثورات وهو الشعار العام دون التفاصيل، ولأن التفاصيل تؤدي إلى الاختلافات، ولذلك من الكلمات المشهورة في علم السياسة كما يقول تشرشل، يقول: «الشيطان يكمن في التفاصيل»، أي قد نتفق على الشعار العام، ولكن إذا دخلنا في التفاصيل يتم الافتراق، ونحن علينا في هذا الوقت ما استطعنا جاهدين أن نبتعد عما يُفرق، وأن نبحث ونعمق ونكرس ونجذر ما يجمع ويوفق.

ولا شك أن الموضوع العقدي بالنسبة للجماعات يُترك إلى مساحات الدراسة العلمية، وكانت في وقت من الأوقات الجماعات الجهادية تكتب خطوطًا كما يسموها خطوطًا عقدية تبيّن فيها منهجها العقدي وربما الفقهي كذلك، نجد هذا في الجماعات ونجدهم يسارعون في وضع هذا الأمر، هذه عقيدتنا، الخطوط العامة العقدية أو الفقهية، وأنا أعتقد أن هذه المرحلة ذهبت وينبغي أن نتجنبها وأن نتجاوزها؛ السبب في هذا لأننا نريد أن نجمع الناس على شيءٍ مُتفقٍ عليه وهو القيام بدفع الصائل عندما يكون هناك جهادٌ تحت هذا العنوان أو لتحقيق إزالة مرتد وهو نوعٌ من أنواع الصيال في الحقيقة، المرتد الذي طرأ حكمه على بلاد المسلمين هو من أنواع الصيال الصريح وليس الخفي.

ولذلك هذا القدر الكافي هو الذي يجمعنا، وأما الاختيارات العقدية الدقيقة أو الاختيارات الفقهية الدقيقة؛ فتترك للعلماء، لأنه إذا وضعت فرقت الناس، ونحن في وقت نريد أن ندافع عن بيضة الإسلام، نريد أن ندافع عن الإسلام، عن هوية الإسلام، عن مجمل الإسلام، ولذلك وضع الاختيارات الفرعية في داخل المنهج؛ هذا غير صحيح، والذين يتكلمون بين قوسين عن الثورات وعن أسباب نجاحها يجب أن تكون هناك قواسم جامعة لها، وهؤلاء هم من ينجح، ويكون الكبار هم الذين يعرفون التفاصيل وأصحاب القرار يعرفون التفاصيل.

وبالتالي؛ ما يسمى بالاعتقاد أو الأيدولوجية، ما يسمى بهذا ينبغي أن يُبتعد فيه عن التفاصيل التي تصنع الافتراق، ونحن في هذا الزمان الذي نعيشه نعيش في وقتٍ متأخر، ما من مسألة إلا وحدث فيها الافتراق، حتى إن بعض المسائل في داخل الصف الواحد، في داخل المنهج الواحد، يوجد فيها الافتراق، أما الافتراق الفقهي فهذا شيءٌ معروف في داخل المذهب الواحد، وليس في داخل الجماعة الواحدة.

فنحن لسنا مذهبًا جديدًا أن يأتي الشيخ فيفرض على أتباعه تبنيًا لفقهٍ خاص، كما يفعل حزب التحرير وهم الذين ينشرون بأن الجماعة لا تسمى جماعة حتى تتبنى أفكارًا واحدة، فمن أين نأتي بالأفكار؟ يفرضها الإمام المكُون أو المؤسس وهو تقي الدين النبهاني، وهذا في الحقيقة مذهبٌ جديد، وخصومة جديدة بلا ضوابط، فستبقى هذه المسائل التي يقال فيها الاختلاف ستبقى إلى يوم القيامة عليها الاختلاف، والناس سيتحاربون عليها ويختلفون فيها.

فلذلك الأصل المنهجي للجماعة هو بقاء الجماعة ضمن الشعار العام، ومرجعتينا نحن أهل السنة، فقهيًا نحن أهل السنة، وعقديًا نحن أهل السنة، ونحن نعلم أن أهل السنة هم أهل الحديث والأئمة الكبار مالك والشافعي وأحمد وأبا حنيفة على ما فيه من إرجاء، يذكره أهل العلم، على ما فيه من إرجاء، وإلا فهو على طريقة أهل السنة في بقايا المسائل العقدية التي يقولها أهل السنة إلا ما فيه من إرجاءٍ يسير يسمى إرجاء الفقهاء أخذه من شيخه حماد بن أبي سليمان، وهذا شيءٌ معروف حتى لا يثرب علينا، ولكن نذكره لأن هذا من أمانة العلم، ويتمنى المرء أن لا يقوله، ولكن يقوله؛ فهذا هو العلم أن لا يكتم.

فهؤلاء الأئمة الكبار، والفحول العظماء الذين ينسب إليهم العلم سواء كان من هؤلاء من الأئمة الثلاثة مع أبي حنيفة مع الاحتراز وذكرناه، سواء من سفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، الأوزاعي، سواء أهل الرأي العظماء ابن أبي حاتم الرازي، أبي حاتم الرازي، أبو زرعة الرازي، عبد الرحمن بن مهدي، شعبة بن الحجاج، وهكذا، هؤلاء الكبار، ربيعة الرأي ابن عبد الرحمن، فهؤلاء الذين عاشوا تقريبًا في وقتٍ كثُرت فيه الفتن وتشعبت فيه البدع؛ فحفظوا السنة وصار كل واحدٍ من هؤلاء رمزًا من رموز أهل السنة؛ فهؤلاء مرجعتينا في الفقه ومرجعتينا في الأصول، وبالتالي؛ أن أقولهم تخضع لقاعدة القبول والامتحان والابتلاء ضمن أهل السنة في كل المسائل، فهذا هو القدر الكافي الذي نجمع الناس عليه.

وفي وقت من الأوقات اضطر أهل السنة لبعض التفاصيل من أجل درء الهجوم البدعي، فالمرسوم القادري الذي صدر وقُرأ على المساجد، ومنع الحديث بغيره، سببه هو فتنة البساسيري، أن الشيعة دخلوا بغداد واستحلوها وهرب الخليفة القادر، هرب إلى راوة وبقي هناك فيها ستة أشهر حتى جاء ألب أرسلان وطرد البساسيري، وفتنة البساسيري المشهورة، والبساسيري شيعي رافضي؛ فمن أجل الوقوف أمام الرفض أعلن هذا الاعتقاد، فهو فقط اعتقاد من أجل درء اعتقاد الشيعة، وهذا قدر مهم جدًا، وقدر كبير، وشعار عام يصلح لأهل السنة.

والآن ندخل في مرحلة ثانية وهي: هذه الاختلافات التي أوجدتها الجماعات في طرق معالجة الواقع، فعندما نقول: هذا تيارٌ جهادي، هذا تيارٌ سياسي إصلاحي، فهذه تيارات فكرية، وأول من حاول التفصيل في الأفكار فيما رأيت أول من كتب فيها الأستاذ غازي التوبة في الفكر الإسلامي المعاصر، وقسم الذين تكلموا فكرًا، وليس سلوكًا، قسم الذين تكلموا أقسام، وسمى المدرسة التربوية، المدرسة الإصلاحية و... إلخ، وهناك مدارس أخرى تغريبية.

فالجماعات المعاصرة اليوم جماعات مختلفة، أي قد يذهب معك إلى الجهاد من يؤمن برؤى سياسية معينة، ويمكن أن يتصالح مع الجاهلية، فهذا يجب على الجماعة أن تحسمه، وأن يكون بيّنًا واضحًا في داخل بنية الجماعة الفكرية من القيادة إلى القاعدة في قضية اختراق الأفكار التي تؤدي إلى توقيف الجهاد أو إلى حرف مساره، فالأصل هو أن الجماعات الجهادية لا تقبل مثل هؤلاء، وإذا قُبلوا؛ قُبلوا بمقدار ما معهم من الحق، وإذا اضطررنا إليهم مع الاحتراز، كما يحترز علماؤنا من المخالفين في مسائل العلم، وكذلك نحترز من المخالفين في مسائل العمل.

فالجماعة عليها في هذا الموضوع، نعم إذا قلنا بهذا المعنى وليس بالتفصيل لمسائل الاعتقاد التي حدثت وحدث خلافٌ فيها على مدار التاريخ الإسلامي، فإذا تكلمنا عن هذا الواقع واختلاف المناهج والجماعات في معالجة الواقع أو في توصيفه؛ فلا شك أن هذا من المسائل المهمة التي ينبغي أن تتبناها الجماعة وأن تكون بيّنة وواضحة، وخاصةً في حسم هذا الموضوع، ومع ذلك يبقى الفقه هو الحاكم لهذه المسائل، الفقه الشرعي، لا نريد أن نوجد مناهج خارج الفقه، لا نريد أن نصنع تصوفًا خارج الفقه، أي كما أن التصوف صار خارج الفقه،

والسلوك والتربية خارج الفقه، والآن يريدون صناعة مناهج خارج الفقه؛ وهذا لا يجوز، في النهاية اختيارات الإنسان القائد لما يفرضه ولما ينبغي أن يُعامل به الواقع ينبغي أن يكون فقهيًا، ينبغي أن يكون حكمًا شرعيًا، وهذا الحكم الشرعي للأسف اليوم دخل فيه الكثير من البدع، كما دخل فيه كثير من المتفقهة قديمًا، وصارت منهم سقطات كبيرة جدًا.

ومن هنا الله عصم الفقه السديد التام بهذه المذاهب الأربعة، ليس لأنها هي الوحيدة في التاريخ الإسلامي، لكن لأنها خدمت، والله عز وجل قيد لها رجال كما قيد لكثير من أعمال الدين رجالاً حفظوها، وكذلك الفقه، فمن الصعب أن نجد صوابًا خارج المذاهب الأربعة، ومن قرأ المذاهب الأربعة باتساع ما فيها من أقوال؛ علم ما أقول.

فإذن هذا الذي نقوله على الأيدولوجية؛ هذا الذي نقصده، وهو قضية الاختيار السياسي لما هو مقرر في الواقع، وقد يضطر المرء بعد ذلك إلى ضرورة ما تُخالف ما قرره في داخل صلب اعتقاده أو صلب منهجه، يضطر، سليمان بن محمد بن عبد الوهاب هو الذي سلم الدرعية لإبراهيم باشا اضطر، عبد الكريم الخطابي استسلم للفرنسيين، الضرورة مرات تفرِض وقائع لا تكون في منهج المرء، لكنه يقرأ الموضوع قراءة واقعية، قراءة سننية، وبعد ذلك يختار ويوفق، وقد يصيب وقد يُخطئ، هذا هو شأن الحياة، والأقدار لها أحكامها في من أصاب وفي من أخطأ.

لكن ابتداءً يجب أن يكون هناك وضوح في مسألة الاختيار لمعنى التيار الذي أنت فيه، ما هو؟ في اختيارك لتوصيف الواقع ومعالجته، يعني في الموضوع السوري في بلاد الشام لو أن رجلاً يؤمن بأن هذا النظام هو نظامٌ مسلم ويمكن إصلاحه من الداخل، ماذا يصنع في داخل جماعةٍ جهادية؟ ترى أن الحل هو إسقاط هذا النظام وأن هذا النظام مرتد ولا ينبغي المصالحة معه، ويمكن، يمكن أن يضطر إلى الاستسلام بعد قراءة لواقع ما في استئصال مدينة فيؤدي إلى غير ذلك، وهذا لا اعتبار له في المنهج الفقهي الذي عليه الفقهاء التقليديين، فطالبان سقطت ولم تسلم بن لادن، سقطت، وبعض الذين يزعمون السلفية قاتلوا مع المرتدين ضد المسلمين، فالمسألة ليست تابعة لقضية حنفي وشافعي ومالكي، قضية الحق الذي في قلب المرء.

إذن هذا قدر كافي في قضية الكلام على المنهجية وأما الولاء فالولاء للإسلام والحق، وعلى الجماعات أن

تربي الأسود ولا تربي النعاج ولا تربي الدجاج، القائد الذي يربي الدجاج إذا مات خلفه الضعاف الدجاج؛ وحينئذٍ لا تدوم الفكرة ولا يدوم التنظيم ولا تدوم الجماعة ولا يدوم الحق، أما إذا ربى رجالاً؛ فحينئذٍ هؤلاء الرجال يستطيعون ملء الواقع، وهذا الذي رباه النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة رضي الله عنهم، والصحابة رضي الله عنهم عاشوا فيه وفي كنفه، وهكذا كان الخلفاء يختارون الأكفأ ويختارون الرجال الذين يقولون كلمة الحق بأدب واحترام وتقدير ويعرفون أين يضعون أرجلهم.

فالولاء الذي نقصده هو الولاء للإسلام أن يكون الرجل عدلاً كما يسميه أهل الحديث ويسميه فقهاؤنا في الشهادة وفي الرواية، هناك العدالة في الرواية من أجل الحديث، وهناك العدالة في الشهادة من أجل الفقه، مسائل فقهية؛ الشهادة على النكاح، الشهادة في البيع والشراء الشهادة في الطلاق وهكذا، الشهادة عند البيوع، عند الديون، فهناك عدالة يتحدث عنها علماؤنا ينبغي أن يكون عدلاً، وأن يكون دينًا، وأن يكون صلبًا في الحق، وهؤلاء إذا وجدوا وحتى لو أتعب القيادة وناقشها؛ فحينها يكون الخير، كما ناقش الصحابة رضي الله عنهم عمر رضي الله عنه في مسألة سواد العراق والخراج، مسألة الخراج، وقفوا له، وهو عمر رضي الله عنه المسدد والملهم، هذه لمحات يسيرة والمسألة أعظم من ذلك ولا شك وأكبر، ولكن يكفي هذا الجواب إن شاء الله وجزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

٤٥٥- الأسباب الشرعية والقدرية، والاستدلال بالتاريخ على صحة الفعل

ضمن الجلسة الثامنة والثلاثون، بتاريخ: **(٢٣/١٢/١٤٤٢هـ الموافق لـ: ٢/٨/٢٠٢١ م)**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يقول الأخ السائل: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته -وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته- يقول السائل: أحسن الله إليكم شيخنا ونفع بكم ودام علينا وعليكم طاعته ورضاه وجمعنا في ديار طاعته وظل عرشه، لو يستفيض الشيخ تكرمًا في الكلام على موضوع الأسباب الشرعية على الأمور القدرية والرد عليه، وكذلك الاستدلال بالتاريخ على صحة الفعل رغم وجود الدليل الشرعي المخالف، وجزاكم الله خيرًا.

جواب الشيخ: بلا شك أن الله عز وجل قدر في الخلق الخير والشر، فالشر ما لا يحبه، الله عز وجل لا يحبه، لكنه موجودٌ قدرًا، والخير يحبه وموجودٌ قدرًا، فالخير والذي يحبه الله عز وجل هو اجتماع الشرع مع القدر، وما لا يحبه الله عز وجل هو اختلاف الأمر عن الشرع واتفاقه مع القدر؛ فالقدر منه ما هو محبوب وهو ما يفعله العبد طاعةً لله عز وجل واستجابةً لأمره، ومنه ما هو مبغوض من قبل الله عز وجل وهو ما فعله العبد معصيةً لله عز وجل، وكلاهما يقع.

فالعبد يصلي فوقعت منه الصلاة قدرًا، ووقعت استجابةً لأمر الله عز وجل؛ فالتقى الشرع مع القدر، أي الصلاة مقبولةٌ شرعًا ووقعت قدرًا، ورجلٌ شرب الخمر فوقع منه الأمر القدري، ولكن خالف الشرع، فإذن لا يجوز أن يُحتج بشيءٍ من الأشياء تقع على معنى القدر أن الله عز وجل يريدها على معنى يحبها، أما يريدها على معنى أنه أرادها قدرًا فهذا صحيح، أي أن الله عز وجل أذن بوقوعها قدرًا وخلق هذا الفعل في هذا العبد عندما أراد ذلك الفعل؛ فهذا صحيح، ولكن أرادها بمعنى أحبها لا يجوز.

والكافرون احتجوا بالقدر على إبطال الشرع، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٤٧)﴾ [يس: ٤٧]، أي أرادوا أن يعطلوا الأمر بالزكاة؛ فقالوا: الله لو أراد أن يطعم أطعم، ولذلك هم يقولوا: لو أراد الله أن يهدينا لهدانا، ولو أراد الله أن نطعم الفقير لأطعمه هو، ولكنه لما لم يطعمه فكذلك نحن نستجيب لأمره القدري بأن لا

نطعمه، والله عز وجل قال سبحانه وتعالى: ﴿لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ [محمد: ٤]، خلق الله عز وجل الفقير والغني ليتم البلاء، أن يصبر الفقير وأن يتصدق الغني.

فلذلك الذين يحتجون بالقدر على الشرع يقع منهم الباطل، مثل زعمهم وهو أكبر زعمٍ مُفسدٍ في التاريخ ومُفسدٍ لحياة البشر؛ وهو زعم أنه إذا الله عز وجل أعطاك الدنيا؛ فدل على أنه راضٍ عنك، هذه لا علاقة لها لا وجودًا ولا عدمًا؛ بمعنى أنه يمكن أن يعطيك وهو راضٍ عنك لقوله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]، فعلق العطاء بالطاعة، ويمكن أن يقع البلاء مع الطاعة كقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥)﴾ [البقرة: ١٥٥]، فذاك عطاءٌ تعلق بالطاعة، وهذا بلاءٌ تعلق برفع الدرجة، فالعطاء هنا على غير ما يريده الناس؛ لأنهم يظنون الله يعطي دائمًا لمن يحب؛ وهذا باطل فالله عز وجل يعطي الدنيا لمن أحب ولمن ما لا يحب، قال تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧)﴾ [القصص: ٧٦-٧٧]، فالله عز وجل أعطاه وهو يبغضه، ﴿وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا (٧٧)﴾ [مريم: ٧٧]، زعم أنه عندما جاءه المال والولد أن الله يحبه، بل يتحدى بهم قدر الله، كما قال: تسعة عشر، أنا عشرة وأنتم الباقي خذوا يا قريش تسعة.

فهذا أكبر إفساد ذهني في الوجود؛ وهو أنه يظن أنه إذا أعطاه الله فقد رضي عنه، وأنه إذا أعطاه دل على أنه يجري فيه مع عطاء الله معه؛ بمعنى أنه يعطي من أعطاه الله ويمنع من منعه الله، حتى هناك مقولة في الغرب باطلة وشركية وكانوا يستخدمون هذا الشعار في قضية عبوديتهم على الأقوام التي يغزونها كما حدث في إفريقيا سرقوا الأبناء واستخدموهم عبيد وظلموهم وشغلوهم سُخر؛ فكانوا يزعمون ويقولون: لولا أن الله أراد بهم هذا المقام لما خلقهم، لما خلق الله الخروف من أجل أن نجز صوفه، أي الله خلق الخروف لنجز صوفه وخلق هؤلاء على هذا المعنى «خروف» من أجل ان نستخدمهم وأن نستعبدهم؛ فاحتجوا بأقدار الله عز وجل في الحيوان على أقدار الله عز وجل في البشر.

فإذن لا يجوز لأحد أن يستخدم القدر إلا بالنظر إلى حكمة الله، وذلك بأن الله سبحانه وتعالى حكم على صواب الأنبياء بنصرة الله عز وجل لهم، ذلك لأنه جرت سنة الله عز وجل أن يخزي الكاذبين، أعظم جرمٍ في الوجود أن تقولوا على الله ما لا تعلمون، فلو جاء رجل وزعم أنه هو مبعوثٌ من قبل الله وهو كاذب؛ فالله عز وجل أوجب على نفسه أن يذله وأن يخزيه وأن يُظهر كذبه؛ فحينئذٍ بأقدار الله في خزيه وليس في بلائه، في خزيه أن يظهر كذبه، لا في بلاءه، وإنما البلاء في المؤمن فتنةً للكافرين كما ابتلى الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم في الطائف ضربه أولاد عبد يا ليل، فآذوه، فأين النبوة؟ الجاهل يقول: لو كان نبيًا لدافع عنه الله، ولا يدري حكمة الله، لا يدري حكمته في هذا القدر.

فالقصد: أن القدر يقع فيه ما يحبه الله عز وجل وما يبغضه الله عز وجل، ويقع فيه ما يكرهه الإنسان ويكون خيرًا له، قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]، وقال تعالى: ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٧]، فيقع من الأقدار ما يكره الإنسان ثم تكون عاقبته الخير، قال تعالى: ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا (١٩)﴾ [النساء: ١٩]، حتى مع المرأة هذا في سياق سورة «النساء» في الحديث عن المرأة أن لا يظلمها فربما فيها شيءٌ يكرهه فيجعل الله عز وجل فيما يكرهه الخير العظيم، وكم من أناسٍ صبروا على زوجاتهم لشيءٍ يكرهونه، ليس يكرهونه لسبب سوء خلق أو سوء دين، لكن يكرهونه في أنه يراها قصيرة وهو يحب الطويلة، يراها ذات أنف صغير وهو يحب الأنف الكبير، يراها ملساء وهو يحب ذات الشعر، فيصبر على ذلك؛ فتأتي بالخيرات العظيمة، يبارك الله له في ماله ويأتي منها الولد ويكون له الأولاد العظماء والعلماء فيجعل فيها خيرًا كثيرًا.

فالقصد: بأن القدر يجب أن ننظر فيه إلى أول شيء موافقته للشرع، وأن نتعامل معه من خلال حكمة الله فيه، كما قال عبد القادر الجيلاني ومدحها شيخ الإسلام، قال: «تنازع الناس في القدر وأما أنا فتحت لي روزنا نازعت أقدار الحق بالحق للحق»؛ فكل شيءٍ يقع هو من أقدار الله عز وجل، هناك من أقدار ما تدفع كالمرض، وهناك من الأقدار ما يجب دفعها كغزو العادين فإنه يدفعهم، يدفعهم بماذا؟ بقدر، لمن هذا الدفع؟ لله عز وجل، «نازعت أقدار الحق بالحق للحق»، هذا تمام الشرع، وهناك أقدار يستسلم العبد لها يصبر عليها كمن يأتيه مرض ولا يوجد له بُرء أبدًا، كمن يأتيه الموت، قال تعالى: ﴿فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾ [المائدة: ١٠٦]، الموت

مصيبة كما قال الله عز وجل، فلا يستطيع المرء دفعه، فينبغي الصبر.

ولما رأى السحرة أنهم لا يستطيعون دفع قتل فرعون قالوا ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ [البقرة: ٢٥٠]، لم يدعوه بغير ذلك، فهناك أقدار يستسلم المرء لها بحكمتها، وهناك أقدار يُدافعها، وهناك أقدار يُدافع فيها كالمرض مثلاً، العزوبية قدر، ما هو الأفضل أن يتزوج أو لا يتزوج؟ الصواب: الزواج، فلو تعارض مع العلم؟ العلماء اختلفوا فيُنازع القدر؛ قدر العزوبية بالزواج أم يستسلم له؟ وهناك خلاف ما لو كانت العزوبية تلتئم مع العلم، والزواج ينافره، لو تصورنا هذا، مع أني لا أرى ان الزواج يُعطل العلم أبدًا، ولا أدري إذا كان عند غيري غير ذلك ربما، لكن الذي أعلمه أن الزواج لا يُعطل شيئًا، لا يُعطل مجاهدًا، ولا يعطل عالْمًا، ولا يعطل شيئًا.

فالقدر تنظر إليه من جهة أول شيء ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ (٣٠)﴾ [الشورى: ٣٠]، كل مصيبة إنما نزلت بحكمة، وقد تنزل من أجل الابتلاء، كما قال الله عز وجل: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾ [البقرة: ١٥٥]، هذا بلاء من أجل الاختبار والابتلاء والرفعة الناس يخرجون منها، كما يأتي المرض فهذا المرض بعد ذلك يُنقي الجسم والبلاء يُنقي الجسم، ينقي الوجود، حتى قيل بأن الحروب هي حصاد المنافقين في بعض وجوهها، وفي بعض وجوهها تحصد المؤمنين إذا لم ينازعوها المنازعة الشرعية، كما قتل أصحاب الأخدود لأنهم لا يملكون المنازعة.

فهذا هو شأن القدر أن تنظر إليه إذا فهمته من خلال حكمة الله، فانظر إلى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في المعركة الأولى ضد التتار، كان يجزم أنهم سيهزمون لما فيهم من المعاصي، فكانوا يقولون: «يا خائفين من التتر، لوذوا بقبر أبي عمر، ينجيكم من الضرر» ناس خارجين يهزجون بالدعاء للقبر، دعاء القبر، فلما خرجوا موحدين كان يجزم أنهم سينتصرون، يقول له: قل: إن شاء الله، يقول: أقول: إن شاء الله تحقيقًا لا تعليقًا؛ لأنهم نازعوا القدر بالشرع، بقدرٍ شرعيٍ، هذا واحد، هذا بعض ما يتكلم به في هذا الباب.

نرجع إلى السؤال الأول: أن الله عز وجل جعل قدره في نصرة الأنبياء من أكبر الأدلة على أن الانبياء صادقون، فهذا القدر موافق للحق، انظر سيروا في الأرض، فانظر وتأمل كيف كانت عاقبة المتقين؟ كيف كانت عاقبة المكذبين؟ فتتأمل في العواقب، وهذا النظر في العواقب هو تأمل في القدر بما يحصل به النفع والاعتبار، ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ (٢)﴾ [الحشر: ٢]، بالاعتبار، ما الاعتبار؟ الاعتبار هو النقل، سميت العين عبرة لأنها

تعبر من العين إلى الخد ويسمى النفق الموصل بين نقطتين عبور، فالاعتبار حمل الشيء القديم على المعنى الحديث أو حمل الحديث على القديم ليحصل الاعتبار، أن نعرف ما هي نتيجة هذا الفعل قديمًا؛ فسيقع نتيجة هذا الفعل إذا تكرر جديدًا، نفس العاقبة، سنن جارية، هذه سنن الله عز وجل في الآفاق وفي الأنفس.

والآن المسألة الثانية: التاريخ، الأدلة ثلاثة: دليل الاعتماد، دليل الاعتضاد، دليل رد الاعتراض.

الدليل الأول: دليل الاعتماد لأنه الذي يُنشئ الحكم لزومًا وهو من الكتاب والسنة، الكتاب الرباني الذي لا يأتيه الباطل من بينه ولا من خلفه، والسنة الصحيحة؛ فالدليل يجب أن يكون مبني عليهما أو على معنهما لما يقال بالقياس، هذه أدلة الحق اعتمادًا.

ثم يأتي التاريخ؟ اعتضادًا يعتضده.

ثم نرد الاعتراض؛ هذه الأدلة، هذه مستويات الأدلة كما قال علماؤنا.

وإذا خلا لدينا الدليل الذين نعتمد عليه فلا بأس من الاعتضاد حينئذٍ، وعادةً لا يوجد هذا التصور إلا في المسائل الخفية جدًا، جدًا، تخفى على بعض الناس وإن كانت موجودة في الكتاب والسنة، وإن كان يوجد معناها في الكتاب والسنة بما يحقق دليل القياس، لكن بعض الناس قد يغيب عنه هذا المعنى فيذهب إلى التاريخ فيأتنس به.

وهنا نقطة مهما أُبينها: أن الله عز وجل أقام في الوجود الأشياء بحسب حاجة الناس إليها؛ أي الناس بحاجة للتوحيد، كم دليل للتوحيد في القرآن؟ كله من بسم الله الرحمن الرحيم إلى الجنة والناس، كل ما في القرآن دليلٌ على التوحيد، لماذا؟ لأن حاجة الناس للتوحيد أشد؛ فوجدت الأدلة العظيمة للتوحيد، وحاجة الناس إلى الرسل، فكم دليل لصدق الرسل في القرآن؟ كل القرآن يتحدث عن هذا، وهذا في الأمور القدرية، فالهواء أكثر ما يكون لحاجة الناس إليه تقل الحاجة في الماء؛ فتكون أقل من الهواء، تقل الحاجة للطعام فتكون الحاجة إليه أقل، الوجود أقل بحسب الحاجة؛ فلذلك في المسائل العامة التي يحتاجها الناس الأدلة بينة فيها، لكن قد يكون هناك مسائل خفية جدًا، جدًا، فيُعتبر بها بالتاريخ.

ولذلك قال علماؤنا: كلام العلماء يُستدل له ولا يُستدل به، هذا في ماذا؟ في المسائل الواضحة البيّنة والتي

فيها الأدلة، إما الأدلة بنصها وإما الادلة بدلالتها، بعلتها، بمعناها، بمناسبتها، وهذه كلها أسماء لاسم واحد المناسبة، العلة، السبب في هذا الباب، وإما أن تنشأ بدلالتها؛ أي دالة عليه وهو القياس، بكل أقسامه، سواء كان قياس الدلالة أو قياس العلة، فالتاريخ يُستأنس به، كدليل اعتضاد أو كدليل اعتماد إن لم يوجد، وذلك في المسائل الخفية التي يكون فيها الخلاف يسير ولا يترتب عليها كبير قضيةٍ في الوجود، هذا الذي عندي في هذا الباب، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

بارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

٤٥٦- الخلاف في القدر، وهل خلق الله الكافر كافرًا والمؤمن مؤمنًا وجبله على ذلك؟ وشرح قصة الغلام الذي قتله الخضر؟ وهل الخوض في القدر أفضل أم الإمساك؟

ضمن الجلسة الثامنة والثلاثون، بتاريخ: **(١٤٤٢/١٢/٢٣هـ الموافق لـ: ٢٠٢١/٨/٢ م)**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يقول الأخ: حياك الله شيخنا -الحبيب وأنتم حياكم الله- أسأل الله أن يرفع قدرك في الدنيا والآخرة -آمين وإياكم أخي، بارك الله فيك-.

يقول السؤال: شيخنا اختلف الناس في القدر اختلافًا عظيمًا، القدرية من جهة والجبرية من جهة، ما هي مساحة أهل السنة في الوسط؟ وهل خلق الله تعالى للمؤمن والكافر لعلمٍ سابق منه أن الكافر سيعمل بالكفر والمؤمن سيعمل بالإيمان؟ أم لأنه سبحانه وتعالى شاء أن يكفر الكافر فجبله على ذلك بعدله والخلق لله يفعل فيه ما يشاء سبحانه، وشاء أن يؤمن المؤمن فجبله على ذلك بفضله، وكلمة جبله كثيرةٌ في كلام السلف كيف نفهمها على الحقيقة؟ وكيف نفهم في ذلك حديث النبي صلى الله عليه وسلم أن الغلام الذي قتله الخضر طبع يوم طبع كافرًا وأن الله خلق الكافر وعمله وحركته وتفكيره بالمعصية والكفر كلامه كل ذلك خلق الله، والأحاديث كثيرة تدل على معنى قريب من هذا، وهل الخوف والقدر أفضل لطالب العلم أم الإمساك؟ وإذا كان الإمساك فلماذا خاض بعض أهل العلم فيه؟

أرجو أن يتسع صدركم لطول السؤال شيخنا الحبيب.

جواب الشيخ: هذا سؤال طيب وجيد وفيه منفعة إن شاء الله، المقدمات اللازمة لهذا السؤال أولاً، وهي واردة في السؤال، مقدمات مهمة جدًا لبيان ما في السؤال وقد وردت في السؤال.

الجواب: هناك مساحة في هذا الباب نعلمها ونتكلم بها، ويعلمها العلماء وتكلموا فيها وهي مفهومة، وهناك مساحة لا يعلمها أحد، ذلك لأن سر القدر أستأثر الله عز وجل به، القدر سر الله عز وجل، وأعيي

الأنبياء، الأنبياء لم يطلعوا على كثير من أسرار القدر، والله عز وجل امتحن الأنبياء بأقداره، والله عز وجل قال عن نبيه: ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١٨٨)﴾ [الأعراف: ١٨٨]، فالنبي صلى الله عليه وسلم لا يعلم الغيب، ولا يدري ما يُفعل به، قال تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٩)﴾ [الأحقاف: ٩]، لا أدري؛ لأن الغيب هو من القدر.

وجاء في الحديث بأن الناظر إلى القدر كالنظر إلى الشمس كلما ازداد نظرًا كلما ازداد تحيرًا، هذه مساحة من القدر لا يعرفها الناس والله عز وجل بيّن لنا من بعض أسرار القدر في المواطن التالية؛ كما ورد في سورة «الكهف»، موسى عليه السلام عندما صاحب الخضر ولم يعرف حكمة جريان الأمور، وهذا مما كتمه الله عز وجل على الخلق، كثير من الأحكام القدرية نجهل حكمتها، وقد تبدو لنا بعد ذلك، وقد نموت على جهلٍ منها ولا ندري ما هي، وهذا موسى عليه السلام وهو النبي كليم الله لم يدر لما يفعل هذا النبي! والخضر نبي على الصحيح، بل هو الأصح، والصحيح هو الأصح، ولا يلتفت لغيره كما قال ابن حجر عليه رحمة الله.

فامتحن الله عز وجل موسى عليه السلام بأن جرت عنده أمور لم يفهمها واعترض عليها، ولو صبر كما جاء في الحديث، قال: (**لو صبر موسى لرأى عجبا**)، لرأى أشياء كثيرة على هذا المعنى لا يدري لِمَ تقع، وهذا سيف القدر.

والسؤال الذي نعجز عنه ويعجز عنه كل أحد؛ لماذا خلق الله عز وجل هذا صالحًا؟ ونحن نعلم أنه جبله، والجبل هو أصل الخلقة، مجبول أصل الخلقة، جبله أي كونه، فأصل التكوين الجِبِلَة الأولى أي أصل تكوين، فلماذا جبله؟ كيف جبله على هذا؟ ما هو المميز؟ ما هو الْمُرجِح وقد جُبِل هذا كافرًا وقد جُبِل هذا مؤمنًا؟ الجواب: لا ندري، ولا أحد يدري، ولا الأنبياء يدرون، إلا أن يعلمه الله عز وجل علمًا خاصًا لم يبث فينا، كما قال الله عز وجل لرسوله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (٨٥)﴾ [الإسراء: ٨٥]، انتهى؛ فدل على أن الجواب الذي أُعطي لرسولنا صلى الله عليه وسلم هو ما بلغه الله عز وجل في كتابه وأظهره، وهل هناك علمٌ خاص أُعطي لرسولنا صلى الله عليه وسلم يُعطى لنا؟ الله أعلم، هل يجوز هذا شرعًا؟ يجوز، لكن يكون خاصًا له ولا نعرفه، وليس هو من الشريعة المحمدية التي يجب اتباع النبي فيها لأننا

لا نعلمها، وإنما الاتباع ينشأ من العلم، فعليك أن تعلم المأمور به حتى تتبعه، وتعلم المنهي عنه حتى تجتنبه، فتأتمروا بأمر النهي كما تأتمروا بأمر الفعل.

فهذا القدر لا نعرفه ولا أحد يستطيع أن يتحدث به، ولو تكلم به متكلمٌ لجهل وأوقع نفسه في ورطات لا يعلم بها إلا الله، ولن يأتي بطائل؛ لأن مثل هذه الأمور لا تُعرف إلا عن طريق الغيب، يعني أنا الآن أتحدث لا يمكن أن أفسر لك حديثي على وجهٍ إلا من جهة الشرع، إلا من جهة الذي خلقني، أنا لا أستطيع، وهذا الذي قاله فلاسفة الجبر نظروا إلى الإنسان أنه مرات يفعل أفعال لا يدري كيف فعلها ولم يخطط لها مسبقًا؛ فزعموا أن الغيب يسيره، فلو جاء رجلٌ ليثبت لي أني أنا مسير، لا أستطيع أن أدفع له أني أنا مخير، ولو جاء رجل ليثبت أني مخير لا أستطيع أن أدفعه بأني مسير، فالحكم على هذا الغيب الذي يعيش فيّ وأعيش ضمنه، لا يمكن أن يجاب إلا من قِبل الحكيم الخبير، من قِبل الله عز وجل؛ لأنه هو الذي خلقني، فلذلك كل ما تعلق في حركة الوجود حتى حركة يدي هذه قدر، وأنا أتكلم معك قدر، وترمش عني قدر، وأحيا وأموت وأنام وأكل وأشرب وأفعل و... إلخ، فهذه كلها أقدار، كيف تنشأ؟ لا يمكن أن يجيب عليها أحد إلا الله عز وجل، لا يمكن لأحد أن يجيب عنها.

انظروا إلى نيتشه -نضرب أمثلة ببعض الزنادقة- نيتشه تصور رجل السوبر مان، مسكين مات بالسفلس مجنونًا مصابًا بالهذيان ولم يستطع لا أن يضبط بدنه بأن لا يمرض، ولن يستطيع أن يضبط عقله بأن لا يمرض، هذا الذي زعم أنه مات الإله وحينئذٍ الإله هو الإنسان! خلاص! وهذه عقيدة موجودة عند البعض، بأن الإنسان يستطيع أن يصنع قدره! إذا أراد الله عز وجل تمشي إرادته وإذا لم يرد الله عز وجل لا تمشي، إذن هذه النقطة لنكتفي منها لأنها مهمة جدًا ويجب علينا أن نسلمها وهو جزءٌ من عبوديتنا لله.

الله عز وجل لا يوجب علينا أن نعتقد ما ينكره العقل الصريح، لا يمكن، الشرع لا يأمرنا بأمرٍ يخالف العقل الصريح، لكن هل يمكن أن يأمرنا بما لا يدركه العقل؟ الجواب: نعم، ليس المقصود في التشريع، المقصود في الاعتقاد، ونحن نؤمن بالجنة ولا نعرف إلا الأسماء كما قال ابن عباس: «ليس في هذه الدنيا من الجنة إلا الأسماء»، فقط أسماء، أما العنب والزيتون والرمان وغير ذلك، هذه أشياء مختلفة هناك في الجنة، فقط تشابه الأسماء، قال تعالى: ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ [البقرة: ٢٥]، أي تشبهها في الأسماء فقط، وأما في الحقائق فمختلفة،

ونحن نؤمن بها.

وهذا الحديث عن العرش وعظمته، نحن نسمع ولو ذهب خيالنا كل المذاهب؛ لا نستطيع أن نصف، النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى سدرة الْمُنتهى رجع وقال: **(لها من التهاويل ما لا يقدر على وصفه أحد)**، ما لا يقدر أن يصفه أحد، ما أحد، وأحد يدخل فيها النبي صلى الله عليه وسلم، رآها ولكن لا يستطيع أن يصفها؛ لأن الوصف ينبغي أن يكون لما هو مُقاربٌ في الدنيا وهي أعظم من ذلك، فالنبي صلى الله عليه وسلم رآها، رأى سدرة المنتهى وعليها تهاويل، بمعنى تهاويل النور، ولكن لا يستطيع أن يصفها، ماذا يقول لهم؟ تشبه ماذا؟ لو تم التشبيه المرئي وليس الرؤيا، في الرؤيا النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(إنكم سترون ربكم)**، شبه الرؤيا، ولكن ما شبه المرئي، ليس الله عز وجل كالقمر، ولكن أنت ترى الله عز وجل كما ترى أنت في هذه الدنيا القمر؛ فشبه فعلك يوم القيامة بفعلك في الدنيا، وأما المرئي فلا يشبه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

فإذن الله عز وجل هل امتحنا بأن نؤمن بأشياء لا نستطيع فهمها؟ الجواب: نعم، وهذا امتحان لإيماننا، امتحان لتصديقنا، امتحان لإرادتنا، امتحان أننا عبيد لله أم أننا نتفلسف، أننا نريد كما ذُكر عن بعض المعتزلة أنه قال: «ولو قال الله لي ذلك، لقلت له: ليس على هذا أخذت عليّ الميثاق»، من الجهل، تصورًا منه أن هناك ما جاءت به الشريعة على خلاف العقل الفطري الذي يؤمن به؛ وهذا باطل، هذه نقطة مهمة جدًا ويجب عليك أن تبني نفسك عليها.

النقطة الثانية: الله سبحانه وتعالى حكمٌ عدل، قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥]، فالله عز وجل يحكم بالعدل، هذه الدائرة الأولى، الدائرة المهمة التي لا يخرج عنها أحد، قال الله عز وجل على لسان نبيه: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٦)﴾ [هود: ٥٦]، وإياك أن تظن أن هناك ثمة شيءٌ في الوجود على خلاف العدل، أو على خلاف قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

ولذلك مما عيب على الأشاعرة أنهم جوزوا فعل الظلم لله، قالوا: إذا فعله الله عز وجل فهو عدل، ولو سميناه في هذه الدنيا ظلمًا؛ وهذا باطل لا يجوز، فالله عز أوجب على نفسه أن يكون عدلاً وأن لا يفعل وأن لا يقول إلا العدل، ولذلك أنت ستُحكم يوم القيامة بالعدل، ولن يكون لك حجة في أن تقول أنت سيرتني وأمرتني وو... إلخ، وأنا كنت مسلوب الإرادة، لا يحتج أحد بهذا لا عاقل ولا مجنون، يوم القيامة لا يحتج به أحد أن

يقول: لا، أنا لم أفعل، ولكنك أنت الذي فعلت! هذه قالها بعض الجهلة في الدنيا، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٤٧)﴾ [يس: ٤٧]، فاحتجوا على القدر، أن الله ما أطعمهم، أنحن أطعمهم؟! فاحتجوا بالقدر لإبطال الشرائع، والذي يحتج بالقدر على إبطال الأمر هو أكثر ضلالاً، أي يقول: الله أمرني والله يسيرني، هذا ضلال، هذه نقطة ثانية وهي مهمة جدًا يجب أن تستحضرها عند نظرك إلى أي أمر.

وقد يأتيك أمر لا تفهمه، فكما يسأل بعض الفلاسفة ومشكلة الشر في العالم هي أكبر مشكلة يعاني منها الملحدون، لا يفهمون الشر وحكمته في الوجود؛ فيكفروا وينسبوا لله عز وجل الظلم وينسبوا له الشر، «والشر ليس إليه»، فيقول لماذا يتسلط هؤلاء الطغاة؟ لماذا يتسلطون على الفقراء فيقتلونهم؟ يقولون هذا؛ لأنهم ينسون حكمة الله يوم القيامة، يظنون أن كل شيء في هذه الدنيا فيجب أن تكون السعادة التامة في هذه الدنيا، والجنة في هذه الدنيا، والعدل في هذه الدنيا، ومن هنا يكون الكافر بالآخرة هو كافر بالله؛ لأنه نسب له الظلم؛ فجاء موقف العبد من الآخرة حلاً لمشكلات الشر في نفسه، مشكلة عقدة الشر، لماذا الشر موجود في الوجود؟

إذن النقطة الثانية: أنه لا يقع شيء في الدنيا والآخرة إلا بعدل، ولذلك قالوا: لا يقع شيء في الوجود إلا بسبب أي بعدل، والرحمة أوسع من العدل، وذلك **(إن رحمتي سبقت غضبي)**، ولو الله عز وجل عاقب الناس في الدنيا بذنوبهم؛ قال تعالى: ﴿مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ [النحل: ٦١]، وقال تعالى: ﴿مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ [فاطر: ٤٥]، ولكن نتعامل مع الرحمة، فالرحمة أوسع **(إن رحمتي سبقت غضبي)**، فالرحمة أوسع، انظر أنت تجهل العدل، فإذا جهلت العدل كيف ستدرك الرحمة؟

لكن الجهلة يريدون النعم الدائمة دون أن ينظروا إلى معاصيهم، والله لا يعاقب إلا بمعصية في الدنيا والآخرة، ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ (٣٠)﴾ [الشورى: ٣٠]، هذه نقطة ثانية نثبتها، يجب أن تفهمها.

النقطة الثالثة في الباب: أن الإنسان مسؤولٌ عن أفعاله لاجتماع أمرين يشكلان العمل، الأمر الأول إرادته وهذه إرادة مستقلة، قد يقول: لكن الله يعلم، علم الله عز وجل -وهذه قضية مهمة جدًا- علم الله سابق وليس سائق، في قضية تتعلق بأصل تكوينك في اختيارك هذه تركناها إلى قضية علم الله سبحانه وتعالى الذي لا

نستطيع البحث فيه، ولكن أنت بما هو ظاهر وبيّن وما هو في نهاية الأمر؛ أن كل فعلٍ ينشأ بإرادةٍ منك مستقلة، وإذا جاء التأثير عليه من الخارج جاء استجابةً لما في نفسك، كيف شرح هذه المسألة؟ الشيطان يؤثر على الإنسان، يأتي يؤثر على إرادته بمنعه من الصدقة، بإظهار شهوته، فأنت تستجيب له بماذا؟ تستجيب له بإرادتك، لماذا؟ لأنك أنت نفسك عندك صراع إرادات، إرادة تريد لك الجنة وإرادة تريد لك النار، كل واحدٍ فينا هكذا، يراها من نفسه، إرادة تقول لك: قم إلى الصلاة، إرادة تقول لك: بدري أو لا تصلي، إرادة تقول لك: تصدق، فأنت الذي ما يقوى لديك هو ما في نفسك، إذا نفسك طائعة وتقية؛ تدفعك إلى استجابة لنداء الخير الذي وجه إليك، وإذا إرادتك ضعيفة وفاسدة ونفسك ضعيفة تستجيب لإرادة الشر وترك الطاعة؛ فإذن أنت مسؤول، إرادتك هي المسؤولة في هذا الاختيار الذي وقع وهذا أنت تحسه من نفسك بيّنًا واضحًا، ولا عليك فيما لا تفهمه، لماذا نشأ هذا؟ هذا تركناه.

فإذن الفعل ينشأ منك بإرادةٍ منك، الإرادة مكونها العلم، أي العلم بالشيء أي أن تنشأ عليه، وقضية قوة الدافع، ما هو الدافع لك لهذا الفعل؟ الدافع لك دخول الجنة، الدافع لك إرضاء الله عز وجل، والمعصية؛ الدافع لك حب الدنيا، العاجلة، وأنت الذي قمت به بقوتك، طيب من الذي أعطاك العلم بهذا؟ الله عز وجل هو الذي خلق العلم، من الذي خلق القوة في نفسك؟ الله عز وجل هو الذي خلقها، هو نزعها منك، عندما يكبر الإنسان تذهب قواه، يمرض تذهب قواه، من الذي أعطاه القوة؟ الله عز وجل، من الذي نزعها؟ الله عز وجل، وحين لا تكون عندك القوة الملائمة للفعل؛ يسقط عنك التكليف، قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤]، عندما سلب منك القوة؛ أسقط عنك التكليف.

قال تعالى: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ [الأنفال: ٦٥]، لما كان في قوة ايمانية كلفك تكليفًا عاليًا، وقال تعالى: ﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ [الأنفال: ٦٦]، الضعف ليس في قوة السلاح، الضعف في قوة الإيمان؛ فخفف الله عز وجل لما خفت القدرة، فأنت تملك القدرة، طيب من الذي خلق القدرة؟ الله عز وجل، إذن من الذي أوجد الفعل؟ أنت، لكن من الذي أوجد القدرة؟ الله عز وجل، الله عز وجل خلق الفعل، ولولا خلق الله الفعل ما استطعت استخدامه، والفعل من نفسك كالفعل في الخارج، هذه

عصا أخذها واستخدمها، من الذي خلق العصا؟ الله عز وجل، من يستخدمها؟ أنت، من الذي خلق الإرادة في نفسك؟ الله عز وجل، من الذي خلق القدرة في نفسك؟ الله عز وجل، ولذلك الله سبحانه وتعالى هو الذي خلق كل شيء، ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠٢]، هذه القواعد العامة في هذا الباب يكفي إلى هذا.

ماذا قال الآخرون؟ القدرية زعموا أنه إذا قلنا: بأن الله عز وجل شاء لك أن تفعل، أي المشيئة القدرية؛ فهذا علامة أنه رضي لك المعصية، ونسبة رضا الله للمعصية لا يفهمون إلا الرضا الشرعي، لا يفهمون الرضا القدري، أي رضي قدرًا، رضي أن يكون كذا، ليس بمعنى أحب، لأنه إذا أحب دخل في ميزان الشرع، فخافوا من هذه العبارات فذهبوا إلى نفي الرضا الإلهي عن فعلك، بأن يوجد مشيئة الفعل فيك، بأن يسمح لك هذا الفعل، فخافوا من هذا؛ فزعموا أن الإنسان يخلق فعله وأن العبد يفعل خلاف إرادة الله عز وجل! أي أراد الله عز وجل شيئًا فأردت غيره!! فانتصرت إرادتك؛ كلام باطل وجهل، وقد يقول قائل: معقول هؤلاء الكبار من القدرية! والقدر نشأ في البصرة، والرفض نشأ في الكوفة، والنصب نشأ في الشام، وأهل المدينة برءاء، لا من القدر ولا من النصب ولا من الرفض، فقهاء المدينة أسلم الفقه.

فقد يقول قائل: إلى هذه الدرجة من التبسيط وقع هؤلاء الكبار؟ نعم، البدعة هذا هو أصلها، هم يزينونها بكلام كثير وعميق، ولكن هذه هي المسائل ببساطة وسهولة، الجبرية زعموا أن الإنسان لم ينشأ جبري بمعنى أن الإنسان لا ليس له أثر في فعله، لا، إنما الأشاعرة قالوا: بالكسب، وجعلوا أن الفعل أمارة على وجود الإرادة، وإنما الإرادة لا تُنشئه فالله خلقه، وحتى صرح بعضهم أن الكسب عند الأشاعرة هو نفس الجبر، وحاول الأشعري أن يشرح الكسب حتى قيل مما يقال: ولا حقيقة عندهم معقولة تدنو من الأفهام الكسب عند الأشعري، معقول! غير معقول! الذي حاول شرحه ما هو؟ فزعم أن الفعل يوجده الله عنده، وهذا اطّرد عندهم في قضية السببية حيث زعموا أن النار لا تحرق، ولكن الحرق يوجد عند النار، عندها لا بسببها، السكينة لا تقطع بذاتها، لكن يوجد القطع عند السكين، هذا جزء من آثار عقيدة الجبر، وهذا أفسد السببية في تاريخ أمتنا وله مبحثٌ آخر.

يكفي الجواب على هذا السؤال والكلام عن القدر عند أهل السنة وكل مسألة وما فيها من خلاف، وهذا يحتاج دورة شرعية، لكن هذا ما قدرت عليه في هذه اللحظات.

بارك الله فيكم وجزاكم الله خيرًا.

٤٥٧- علاج الوسواس المرضي والاكتئاب

ضمن الجلسة الثامنة والثلاثون، بتاريخ: (**٢٣/١٢/١٤٤٢هـ الموافق لـ: ٢/٨/٢٠٢١ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يقول الأخ السائل: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته -وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته- شيخنا العزيز أُبتليت بالوسواس المرضي والله لقد صارت نفسي في الحضيض ولا أستطيع الخلاص، وأذهب من طبيب إلى طبيب في كل حالةٍ تصيبني أفكر بها ساعات وأيام، وأدخل في حالة من الاكتئاب حتى وصل الأمر بأن وصف لي الطبيب مضاد للاكتئاب، ولكن لم أفعل أن تناولته -أي ما تناوله هذا المفهوم- أريد الحل شيخنا بما يشفي القلب ويؤنسه، وهل لأفعال الرؤيا الشيطانية تحفيز هذا الوسواس؟

جواب الشيخ: أولاً نبدأ بالسؤال من نهايته أن هذا كله من الشيطان ولا شك، ومن ضعف النفس، هذا الباب هو من مداخل الشيطان، لأن الشيطان بتجربته اكتشف أن الوسواس يؤدي إلى تعطيل الطاعة، ويؤدي إلى بغضها وعدم القيام بها على وجهها الصحيح، فالوسواس سبيلٌ شيطاني؛ من أجل إضعاف الطاعة، أو صرف العبد عنها، أو إتيانها على غير وجهها، ولذلك اهتم العلماء بالوسواس في هذا الباب؛ لأنه يؤدي إلى هذه المعاني الباطلة، فتكلموا عنه، كما تكلم عنه ابن القيم في «إغاثة اللهفان» وقبله ابن الجوزي في كتابه «تلبيس إبليس».

فهذا الوسواس نعم للشيطان دور كبير فيه يساعده، لكن لا يستجيب إلا الضعاف فلذلك ينبغي أن تقوي نفسك، وأنا أعرف أن مثل هذه الأمراض يعرفها صاحبها، لكنه ضعيفٌ في معالجتها، وهنا المشكلة، والأصل في العبد أن تقوى إرادته، أي ينبغي أن تقوي إرادتك من أجل أن تكسر طريق الشيطان في هذا الباب، يجب عليك أن تنتبه لنفسك، أنت تتحدث عن الاكتئاب، لماذا تكتئب؟ تبسم، يقول صلى الله عليه وسلم: (**تبسمك في وجه أخيك صدقة**)، أطلق الصدقة، هي صدقةٌ منك على نفسك قبل أن تكون منك على أخيك، تبسم، البسمة تذهب الاكتئاب، المجالسة مع الإخوة والحديث معهم، اجبر نفسك عادي، تكلم معهم، مازح الزوجة، مازح الأخ، ابتعد عن قضية الانفراد والوحدة، اشغل فكرك بشيء آخر، حتى لو كان من الألعاب الجائزة، عندك تلفون أريد أن العب لمدة ساعة، ليس لأن اللاعب هو الطريق الأمثل، بل لأنه يصرفك عما هو

شر أعظم، وهو قضية التفكر الفاسد الذي يؤدي إلى الاكتئاب المرضي.

ولذلك أنت اجبر نفسك على البسمة، اجبر نفسك على اللعب، عندك إخوة يذهبون إلى كرة القدم، اذهب معهم والعب كرة قدم، لم تجلس تتفكر؟ لماذا يأسرك الشيطان؟ لماذا يغلبك؟ أنا أفهم تمامًا أن كلامي لن يؤثر عند البعض، يعني كيف هو يفعل؟ والمسألة يسيرة جدًا، ينبغي أن يفهموا أنهم في معركة لا ينبغي أن يهزموا فيها، إذا فهموا أنهم في تحدٍ وفي معركة؛ خرجوا من كثير مما هم فيه، ولذلك ابحث عما يبسط النفس، أُخرج وإذا كنت متزوجًا خذ بيد زوجتك، إذا لم يكن لك زوجة خذ بيد أخيك، قل له: حدثني عن طرفةٍ حدثت معك، وابتسم اجبر نفسك على الابتسام، سهل جدًا، ابسط وجهك، حتى لو لم تستطع الابتسام، ابتسم رغم أنفك.

وبعض الناس يظن أن هذا من الهبل، هذا من الحكمة، يجب عليك أن تتعلم كيف تبتسم، ويكون ابتسامك أكثر من تشنجك الغضبي، ويجب عليك إذا نظر الناس إليك لا يروك إلا مبتسمًا، هذه البسمة سر، تبسمك هذا سر، هذا سر إلهي عظيم، إذا دخلت بيتك فتبسم، إذا خرجت من البيت تبسم، إذا لقيت أخيك تبسم، فأنت طول النهار مُبتسم، نعم، وحيث كنت مبتسمًا كانت لك صدقات، (**تبسمك في وجه أخيك صدقة**) ما هي نتيجة؟ النتيجة هي إسعاد الخلق، قد يكون رجل مسكين عنده الهموم تبسمت له فهو حياءً تبسم لك، أذهبت همومه، وقضيت على الشر والحزن، والحزن بابٌ شيطاني إذا غلب على المرء الحزن الذي هو في الخوف من فوات الموجود أو الألم عما هو ذهب ومفقود هذا قاتل، هذا شر.

فحينئذٍ هي النتيجة؟ النتيجة أنك حينئذٍ أصبحت مبتسمًا ذهب عنك أعظم مرض وهو الاكتئاب، هذا نتحدث عن الاكتئاب، ولكن نتحدث عن قضية الوسواس القهري، وهذا لأن الاكتئاب أسهل من الوسواس القهري، أسهل بكثير، لو فهمت علي السؤال، أنا أعرف لأني حدثت كثيرًا فيها، يقول: نحن نعرف ما تقوله يا شيخ، لكن المشكلة ماذا كيف نفعل؟ كيف تفعل؟! قل للشيطان: أريد ان أصلي بغير وضوء، وهذه طريقة الإمام أحمد رحمه الله، قال: يأتيني الشيطان فيقول لي: وضوءك باطل، يقول: سأصلي بغير وضوء، ويقول لشيطان: هل مثلك ينصح أن تصحح صلاتي؟! هذه سهلة، وأعرف أن الكلام سهل وسهل أن تفعله، قل: أريد أن أصلي بغير وضوء، الله أكبر، يقول لك صليت بغير وضوء؟ قل له: نعم بغير وضوء.

الباقلاني كرجل حكيم، جاءه رجل وقال له: يأتيني الشيطان ويقول لي: طلقت امرأتك، قال: طلقتها، نعم

أنت طلقتها، قال: والله ما طلقتها، قال له: إذا جاءك الشيطان وقال لك: طلقت امرأتك؛ فاحلف له كما حلفت لي، والله ما طلقتها، يأتيك الشيطان يقول لك: لم تتوضأ، قل له: خلاص تمام جيد لا تناقشه، هذه نقطة مهمة جدًا، لا تناقشه، قل له: صحيح أنا ما توضأت صحيح وضوئي باطل، لكن سأصلي بالصلاة الباطلة، وجربها، افعلها قم صل صلاةً باطلة، قم صل لما يقول لك: اذهب وأعد الوضوء، ويقول لك: ما غسلت يديك، قل: طيب اليوم لا أريد أن أغسل يدي، يقول لك: ما مسحت رأسك، قل اليوم لا أريد أن أمسح رأسي في رحمة، وخذ بفتوى من أجل معالجتها عندما جاء إليه وقال: أنا أغمس نفسي في الماء وأقول لم يغمسني الماء، قال: أنت مجنون، سقطت عنك الصلاة، قل: وأنا مجنون سقطت عني الصلاة، فتوضأ، اغسل يديك، فيقول لك: لم تغسل يديك جيدًا، قل له: اليوم لا أريد أن أغسل يدي، سأصلي من غير وضوء، جربها أسبوع من الزمن على هذا المعنى وانظر النتيجة؛ سيهرب، والشيطان لا ينتهي.

على فكرة أريد أن أقول لك كلمة وهي حقيقة: لا يوجد أحد في الدنيا بلا وسواس، لا يوجد أحد في الدنيا بلا وسواس، دعك من الأنبياء عليهم السلام، الشيطان ليس عليهم سبيل، فالنبي صلى الله عليه وسلم أسلم شيطانه، أما هل يوجد أحد بلا وسواس؟ كل الناس عندهم وسواس، لكن هناك من يوافقه وهو الضعيف كالعشق يوافقه، وهناك من يحاربه ولا يلتفت له، فالإمام أحمد كان يوسوس له الشيطان أنه لم يتوضأ أو أنه نقض وضوءه، فجرب أن تصلي بغير وضوء، على هذا المعنى الذي قلناه، جرب أنك صليت وقال لك: لم تصل، قل له: خلاص يكفي اليوم ولا تجلس تناقشه؛ لأنه يفرح يبسط يديه ويجلس معك كما يحب المبتدع أن يناقشه السني، وأنت لا تناقشه، هذه طريقة ينبغي أن تفهمها.

أما قضية عدم الذهاب إلى الأطباء فهذا خطأٌ كبير؛ لأن التحليل النفسي قليل الآن هذا الذي ترونه في المسلسلات والأفلام يجلس المريض يتحدث ويحلل نفسيًا على طريقة فرويد انتهت، اليوم المريض النفسي يعطى بعض الأدوية لمعالجة الأعصاب لأن من أسباب الامراض النفسية هو خلل في الأعصاب، خلل بدني؛ فبعض الحبوب تصنع البسمة، بعض الحبوب تصنع الاكتئاب، بعض تصنع الشجاعة، لاعبوا كرة القدم يأخذون حبوب اسمها حبوب الشجاعة من أجل أن يندفع إلى الكرة دون النظر إلى العواقب، اكتشفوا أشياء كثيرة هذا الباب.

وأنا لي تجربة مع أحد الإخوة وإلا الوسواس كلنا في بدايتنا أصابنا، فمنهم من تابعه، ومنهم من استطاع أن

يوقف نفسه ولا يتابعه، والله عز وجل خلق الأرواح والأنفس على مراتب كما خلق الأبدان على مراتب، أي واحد الله عز وجل خلقه صلبًا تمرن أو لم يتمرن، وواحد ضعيف؛ فالأنفس في ضعفها وقوتها كالأبدان تمامًا، فأنت إذا خُلقت على هذا المعنى من الضعف؛ قوه، واحد ضعيف؛ يذهب يتمرن، وأنت مرن نفسك.

فليّ تجربة في هذا أن ما يُعطى من حبوب لمعالجة الوسواس القهري المرضي يُعالج «٨٠٪»، وبقي «٢٠٪» عليك الذي نتحدث فيه، فإذا لم تستطع أن تعالجه بما تكلمت معك فيه من ترك الشيطان يتحدث اتركه يتحدث، بعدها هو يمل وأنت تنشغل في شيء آخر، الإنسان نسَّاء، فأنت يأتيك الشيطان يتحدث اتركه يتحدث، هو يبقى يتحدث وأنت اذهب بعد دقيقة تنسى، يأتيك أخ يحدثك، تمسك كتاب تقرأ فيه، تشغلك مسألة علمية، تسمع شريط فتتأمل، والشيطان يذهب، لكن وجدت بأن الحبوب التي تُعطى، لا أتكلم عن الاكتئاب وحتى الاكتئاب الأدوية تُعطى له؛ فُيذهب كثير من الأثر، وهذا وجدته عند بعض الناس.

وأما في قضية الوسواس القهري إذا لم تستطع أن تُعالج نفسك بهذه الطريقة التي تحدثت بها فيجب عليك أن تذهب إلى طبيب يكون مسلمًا طبيًا يُعالجك بالأدوية الجيدة والحبوب التي تُعطى للوسواس القهري تعالج تقريبًا «٨٠٪»، وجربها أناس كثُر على هذا المعنى، نسأل الله عز وجل أن يشفينا وإياك.

بارك الله فيكم وجزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

٤٥٨- كيف ندرب أنفسنا على شكر نعمة الله تعالى؟ وكيف نكون من الشاكرين؟

ضمن الجلسة الثامنة والثلاثون، بتاريخ: (**١٤٤٢/١٢/٢٣هـ الموافق لـ: ٢٠٢١/٨/٢ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يقول الأخ السائل: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته -وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته- يقول الأخ: أحسن الله إليك شيخنا ونفع بك -وإياكم أخي- وجمعنا في ديار طاعته وظل عرشه -آمين وإياكم أخي-، السؤال: كيف ندرب أنفسنا على شكر نعمة الله؟ وكيف نتحول إلى شاكرين؟ أحدنا يرى نعمة الله عليه من كل جانب ثم هو يحاول أن يشكر ولو بأي حال، لكن تتيه منه الطرق نسأل الله العافية.

جواب الشيخ: لا شك أن الشكر هو عماد وركن من أركان العبادة، وتتحقق العبادة بالشكر وأصل قيام العبادة على شكر الله عز وجل، كما أنها تقوم على حب الله عز وجل وتقوم على الخوف منه، هذه أركانها، أركان العبادة: الحب، الخوف، الرجاء، الشكر، ولا شك أن الله عز وجل يحب الشاكرين كما في الآيات القرآنية، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧]، أي يحب الله عز وجل الشكر ويرضى عنه.

ولا شك أن الله عز وجل حدّث عن نعمه الكثيرة في كتابه وسورة «النحل» كما يقول ابن القيم رحمه الله: بأن فيها أصول النِعم، فأكثر سورة فيها ذكر لكلمة نعمة الله أظن ثلاثة عشر مرة -وأرجو أن لا أكون مخطئًا- وكذلك نرى ذكر النِعم في سورة «الروم»، ذُكر فيها كذلك النِعم، والقرآن كله حديث عن نِعم الله عز وجل على الخلق، ومن أجل أن يدفع العبد لشكره والنظر إلى صفاته من خلال نِعمه وقدرته وحكمته وعدله ورحمته.

وهذا سؤالٌ تربوي؛ كيف نحقق الشكر؟ المسألة لا تحتاج إلى كبير أمر، أول شيء أن نكثر شكره بكل جارحةٍ فينا، وأظن أن السؤال ليس حديث عن أن تقول: «الحمد لله، الحمد لله، الحمد لله»، فهذا من أعظم الشكر، بل من أعظم الشكر كذلك «لا إله إلا الله»، وهذا شرحته كثيرًا أن «لا إله إلا الله» هي أعظم الشكر، أن تثبت لله عز وجل حق العبادة الوحدانية، التأله أنه لا يُعبد إلا هو هذا أعظم الشكر، ولذلك الذين عصوا اعتذروا بالتوحيد، والمعصية ضد الشكر، الذين عصوا اعتذروا بالتوحيد واستغفروا بالتوحيد، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ

سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧)﴾ [الأنبياء: ٨٧]، وكما قال تعالى: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٤٦)﴾ [النمل: ٤٦].

وما الفرق بين الحمد والشكر؟ بلا شك أن الحمد أعظم، أي أوسع اقتضاءً -وسأشرحها- والشكر أوسع آلة، الشكر يكون باللسان والقلب والجوارح، قال تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾ [سبأ: ١٣]، ويكون شكرًا في القلب أن يشكر العبد ربه بقلبه، وأن يشكر بجوارحه ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾، وأن يكون بلسانه، يشكر الله بلسانه، فهو أوسع آلةً، لكن الحمد لا يكون بالعمل، الحمد يكون بالقلب واللسان، لكن الشكر يكون على النعمة المتعدية، أي تشكره لنعمةٍ أصابتك، لأنه عد النعمة إليك، لكن الحمد يكون على الجميل الاختياري، ولذلك قالوا: الحمد هو الثناء الحسن على الجميل الاختياري؛ بمعنى أنك تحمده من غير أن يكون هناك ثمة نعمة قد أتت منه إليك؛ فتحمده لجماله، تحمده لقدوسيته، تحمده لسمعه الجميل، لبصره الجميل المطلق، وأسماء الله حُسنى كلها حُسنى، فأنت تحمده لهذه الصفات، سواء قد تعدى أثرها عليك أو لم يتعدى أثرها عليك.

فلذلك قالوا: الشكر أوسع آلة وأضيق مُقتضى، والحمد أوسع مُقتضى أي سبب البعث إليه الذي اقتضاه أوجده، ولكنه أضيق آلة، هذا كلامهم في هذا الباب، ولكن كلمة الشكر تستخدم إذا أُفردت على معنى الحمد، والحمد يستخدم على الشكر إذا أفرد، فإذا اجتمعا تم هذا الافتراق، وهذه قاعدة من قواعد الجمع بين الكلمات التي تتفق في بعض جوانبها وتفترق في جوانبها الأخرى، وهذا عند من ينفو ويرفض الترادف من أهل اللغة، وأما الذين يقولون بالترادف يقولون: الكلام كله على معنى واحد الشكر والحمد وهكذا، وقد يختص بعضه البعض، والصواب هو عدم وجود الترادف لا في القرآن ولا في اللغة، لا يوجد، فكل كلمةٍ لها معنى خاص يفترق عن معنى الكلمة التي تشاركها في بعض معانيها أو في أكثر معانيها.

أطلت في هذا التقرير العلمي لكني أدخل فيه، فأولاً: لا بد من شكر القلب، المقصود هو القلب، والشكر ينشأ بسبب الإحسان، نتحدث عن الشكر بمعناه الخاص وليس الحمد، شيخ الإسلام له لفتة رائعة يقول: النِعم توجب الحمد، ولكن الله يحب الحمد على صفاته الحسنى، هناك ما يحبه الله عزوجل، يعني يحب الله عز وجل من العبد أن يحمده على جميع صفاته على حسن صفاته سواء تعدت أو لم تتعدى، فيحب منه ذلك، ولكنه

يوجب الحمد على النعمة، أنت يجب عليك أن تحمد الله عز وجل على النعمة، لكن يجب أن تحمده على صفاته، ولذلك تقول: الحمد لله لجلال وجهه وعظيم سلطانه، لجلال وجهه حمدت الله لجلال وجهه، وعظيم سلطانه، فإذا جاءتك نعمة شكرت الله عليها حمدت الله عليها، قال صلى الله عليه وسلم: (**إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا**)، فالله يحب من العبد إذا أكل الأكلة أن يحمده عليها وإذا شرب الشربة أن يحمده عليها وأن يشكره عليها.

وبما ينشأ الشكر في القلب؟ بلا شك أنه ينشأ أولاً: من القلوب الصافية التي تعرف للآخرين مقاماتهم، أي يمكن للمرء أن يكون سافلاً منحطًا لئيمًا، فأن تحسن إليه؛ فيرد عليك الحسنة بالسيئة، ولذلك قال الله عز وجل: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [المؤمنون: ٩٦]، أي ادفع سيئته بالأحسن، انظر أنت لا تدفع الإحسان بالسيئة، ولكن أن تدفع السيئة بالإحسان، ولذلك قال الله عز وجل: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ (٦٠)﴾ [الرحمن: ٦٠]، فإذا جاءتني السيئة ماذا أفعل؟ الإحسان قابلته بالإحسان والسيئة بماذا أقابلها؟ قال تعال: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، ادفعها بما هو يحقق الحُسنى وقد يكون الحُسن بضربه، وقد يكون الحُسن بقتله، على ما قال الشرع وقسم، وقد يكون بالرحمة عليه وأخذه بصدرك، قال تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١١٨)﴾ [التوبة: ١١٨].

فأولاً: لا بد من تمرين القلب على رؤية النِعم، وذلك بالنظر إلى كتابه الناطق وكتابه الصامت الذي هو الكتاب، أما كتابه الناطق فهو الكون، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [فصلت: ٥٣]، يجب أن تتعلم رؤية النِعم وهذا أمرٌ عظيمٌ جدًا دال على جمالية النظرة الدينية؛ أن أعظم الناس نظرًا لجمال الوجود هم أهل الدين، الذين ينظرون إلى هذا الوجود فيدلهم على الله عز وجل لأنه أثرٌ من آثار صفات الله عز وجل، كما قال الله عز وجل في سورة الروم يقول سبحانه ﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٥٠]، آثار الرحمة، فهؤلاء أهل الدين ينظرون إلى جمال الوجود ويتمتعون به أكثر من تمتع الآخرين، الآخر يأخذه على سرعة، المؤمن يأخذه على تأمل، يتأمل نعمة الزوجة، يتأمل نعمة الولد، يتأمل نعمة الهوى.

والله تحدُثًا بنعمة الله عز وجل ما يأسرني في الوجود كما يأسر النظر إلى نعمة الماء، انظر إليها أتعجب! هم

يقولون: «H_2O»، الهيدروجين والأكسجين، هذا الماء شيء عجيب! ما أريد أن أفصل، لكن تأمله، تأمل أن كل شيء حي إنما بالماء، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، تأمل ماذا يصنع إذا هدر وقوي؟ تأمل إذا سكن؟ تأمله في البحار، تأمله في السماء، تأمله في الكأس وأنت تشرب منه، تأمله إذا جاء إعصارًا، تأمله إذا سقيت فيه الزرع، تأمله إذا أذهبت به العطش، تأمله، يغسل ثيابك يغسل بدنك، هذا شيء عجيب مذهل!! فانظروا إلى آثار رحمة الله، هذا الماء أثر من آثار رحمة الله على الخلق؛ فيجب عليك أن تمرن قلبك على النظر إلى هذه النِعم، ثم هذه النِعم، كما قال أبو العتاهية: «وفي كل شيءٍ له آية تدل على أنه الواحد»، كل شيء يدلك على عظمة الله عز وجل.

وأنا دائمًا أدعو الإخوة لهذه المسألة، وسامحوني إذا أذكرها كثيرًا، تأمل وأنت صغير ماذا كنت تحلم؟ ماذا كنت تملك؟ أعطاك البيت، أعطاك الزوجة، أعطاك الوظيفة، أعطاك العلم، تأمل من أنت حتى تملك هذا الكرسي؟ أنت كنت تحلم أن يكون في جيبك دينار ولا تملكه، الآن انظر هذه لك، الله عز وجل أعطاك إياها هذه لك، هذا اللباس الذي تلبسه هذا لك، الحذاء هذا لك، الزوجة هذه لك، الولد، أنا أتعجب البارحة تزوجت ابنتي اليوم معها ولد! كيف جاء هذا الولد؟ ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا (١)﴾ [الإنسان: ١]، هذا البارحة، أنا ما زلت كأني جالس يأتي خاطبها ليطلب الزواج منها، أين الولد؟ ثم فجأة وإذا الولد وإذا الأولاد وإذ هي زوجة.

وأحب أن أمشي مع هؤلاء الذين يتمتعون بالجمال وفي دلالة الجمال على نِعم الله، فبسبب الغفلة نحن نمشي ولا نرى شيئًا، لا نرى النِعم، فهذا الهواء كيف خلقه الله عز وجل؟ عجيب هذا الهواء، كما تكلمنا في الماء، لكن لا يصل إلى درجة الماء، لكن تأمله إذا قوي الهواء صار دمارًا، حمل البيوت وحمل البشر وحمل السيارات وحمل الجبال، هذا الهواء، النسمة، شيء عجيب! ونتنفس منه ونحيا منه وهكذا، تحتاجه كل الخلائق لتعيش.

فهذا ينبغي التفكر فيه، الجلوس مع النفس بصمت، الخلوة مع النفس بالتذكر والتفكر، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ﴾ [آل عمران: ١٩٠]، فيطهر القلب، ويذهب اللؤم والنكارة والكفر بنعمة الله عز وجل، ثال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا

مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١١٢)﴾ [النحل: ١١٢].

إذن أول الأمر هو: أن تنقي قلبك، وذلك بكثرة حمده، بكثرة قراءة القرآن والتأمل فيه، وبكثرة ذكره، الذكر نور وطيب يطيب القلب؛ لأن الشيطان يلتقم القلب والذكر يجعل الْمَلَك يلتقم وعندما يلتقمه الْمَلَك يوحي له بالخير، يطهره من الدنس والنجس والفساد؛ فيطهر القلب، يصبح نظيفًا منورًا بالذكر، وأنا لا أريد لإخواني الشباب أن يسبقهم أحد في الذكر، (**سبق المفردون**)، إذا أردت أن تسبق في الجهاد فكن ذاكرًا، إذا أردت أن تسبق في العلم فكن ذاكرًا، إذا أردت أن تكون سابقًا في الصلاة فكن ذاكرًا، قال صلى الله عليه وسلم: (**سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ، قالوا: وَما الْمُفَرِّدُونَ يا رَسولَ اللهِ؟ قالَ: الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ**)، أي في كل أمر يسبقون بسبب ذكرهم، فلذلك دوام الذكر وقراءة القرآن تنظف القلب.

ولا تقول: لم يتنظف قلبي! ستشعر بعد مدة أنك تختلف، أن العين تدمع بسرعة، أن الجسد يقشعر، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ١-٢]، هذا كيف يحصل؟ بدوام الذكر، بعض الناس يقضي خمس دقائق يذكر ويريد أن تتنزل عليه الرحمات وبقية النهار في غفلة! فدوام الذكر يقارنه دوام الفكر والتفكر والتذكر، تذكر نعم الله عز وجل، تذكر كيف كنت؟ وكيف صرت؟، ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ [العنكبوت: ٢٠]، انظر كيف يبدأ الولد؟ كيف تبدأ الشجرة الصغيرة أمام بيتك؟ فكبرت سبحان الله، هل جلست يومًا تتأمل هذه الأشجار كيف تكبر وتثمر؟ هذه خشب وهذه خشب وهي في نفس الأرض، هذه تخرج لونًا أحمر، وهذا ورد أبيض، وهذا نبت وعطاء من الزيتون، وهذا عطاء من السفرجل، وهذا عطاء من الجوافة، وهذا عطاء من التفاح، سبحانه جل في علاه.

أنا أعتقد وأقولها دائمًا: إن الذين يقرؤون الفيزياء هم أعظم الناس بعد قراء القرآن والحديث في تعظيم الله، دعني أقول لك شيئًا مما يذهلني: هذه النقطة -نقطة كتبتها هنا- هذه النقطة كم ذرة فيها؟ هذه ملايين الذرات فيها، ولو كتبت حرف الحاء كم نقطة فيه؟ فكم ملايين الذرات فيه؟ طيب لو كتبت كلمة «روح»؟ فكيف لو كتبت سطرًا؟ كيف لو كتبت كتابًا؟ أنت لترى هذه الكتب، مثلاً: عندك القرآن كم ذرة فيه؟ الله عز وجل قائم

عليها بما كسبت؟ قائم على لونها، لماذا لونها أزرق؟ وهنا لون أحمر؟ وهنا لون أخضر؟ هذه الذرات الله عز وجل قائمٌ عليها، على وجودها، وعلى صفاتها، وعلى ثبوتها، كم هذا الكون فيه من الذرات؟ سبحانه، سبحانه، سبحانه جل في علاه، هذه الأرض كم فيها من الذرات؟ هذه المجموعة الشمسية درب التبانة وو... إلخ، هذا الكون، ثم بعد ذلك العرش، وعن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما في قولِه تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، «الكرسيُّ موضعُ القدمين، والعرشُ لا يقدرُ قدرَه إلا اللهُ تعالى»، لا أحد يقدر يتصوره، وشجرة المنتهى هذه التي قال عنها النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يقدر أحدٍ على وصفها»، انظر كم ذرة؟ وفي نظارتي هذه كم ذرة؟ فيها ملايين، بل بلايين الذرات، الله عز وجل خلق الذرة، ويعلم الذرة، ويقوم عليها، كي يبقى لونها كما هُوْ ثابتةٌ على هذا المعنى من السنن، ما خلقها وتركها.

فالتأمل في هذا الكون يصنع الخوف من الله عز وجل والحب له، وكل ذلك سخر لك، هذه النظارة نعمة عظيمة، عندما كان الناس قديمًا لا يجدونها لا يستطيعون القراءة، الآن أنت تقرأ بها فهي نعمة عظيمة، نعمة عظيمة فكان الرجل يذهب أو المرأة تذهب لتمشي ساعة أو ساعتين لتحضر الماء، الآن تفتح الماء هذا تراه، أنت في بيتك أعظم من كسرة في قصره يا رجل، والله أنت في بيتك أعظم من كسرة في قصره يوم ذاك، أنت تذهب فتفتح صنبور الماء فتجده الماء عندك، ولا تذهب لقضاء الحاجة في الخارج، وثيابك أنظف، وعندك السرير؛ فهذا يؤدي إلى النظر إلى رحمة الله وإلى نِعم الله عز وجل عليك؛ فحينئذٍ تنشأ من قلبك هذه الكلمة الحمد لله، فتكثرها، الله عز وجل يحب الذاكرين والذاكرات كثيرًا، الحمد لله.

فإذا حمد الله عز وجل زاده، قال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]، الله عز وجل يحب أن يحمده عبيده، وما خلقنا إلا لحمده، يحب أن نحمده، هذه لأنها خلقت لنا سخرت لنا، فيبدأ الحمد، هذا اللسان فيجتمع مع حمد القلب؛ فيفرح لله ويحب الله ينشأ في القلب الحب، ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ (٦٠)﴾ [الرحمن: ٦٠]، ينشأ الحب، وإن ضعف الأئمة هذا الحديث: (**أحبُّوا اللَّهَ لما يغذوكُم بِهِ من نعمةٍ**)، وحسنه بعض أهل العلم وضعفه كثير من أهل العلم، والحديث فيه ضعف شديد، ولا يصحح ولا يحسن في الحقيقة، لكن معناه صحيح، انظر إلى نعم الله عليك.

فكيف ينشأ عندنا الشكر؟ بالدوام، دوام ذكر الله، وبأن نستحضر العقل وما وعى، هذا الرأس وما وعى

علينا أن نستحضره، ما تغيب، ينبغي أن يبقى على دوام التفكر والصلة بالله عز وجل، دالاً على الله، دالاً على حكمته، ثم يفتح الله عليك، هناك أبواب لا يسكت عنها القلم، ويسكت عنها اللسان، وخلاص، بعد أن تبدأ بهذه الظواهر عليك أن تدخل فحينئذٍ تمتع، الله يلقي عليك من المعاني، من البكاء، من القشعريرة، من تأمل كتابه، من تأمل كونه، هذه أبواب لا تنتهي لا أحد يتحدث عنها، كل واحدٍ له طريقه، كل واحدٍ له سبيله وذوقه الخاص، ولكن الكل يجتمع على وجوب الذكر، ووجوب الشكر، ووجوب العبادة، الاستجابة لأمر الله، أن تؤدي حقها، أن تحافظ عليها، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ [الإسراء: ٢٧]، قال صلى الله عليه وسلم: (**إنَّ اللهَ تعالى يُحِبُّ إذا عمِلَ أحدُكُمْ عملًا أنْ يُتقِنَهُ**).

لا ينبغي أن تفرط، لماذا تضيع المال في سبيل ما لا قيمة له، تبقى النعمة جميلة، تشتهي أن تكون عندك نظارة حتى إذا ملكتها احتقرتها؛ هذا من الشر، تكون الكأس في الدكان جميلة فإذا اشتريتها صارت قبيحة، يوم يومين وإذا أنت قد تركتها وكسرتها، وهذا مثال كثير من الأشياء كالألبسة والسيارات والحياة والأشياء، لا ينظر إليها وهي في يده، ولذلك دائمًا أقول: إن العظماء هم الذين يرون النعمة وهي بين أيديهم، فبعض الرجال يرون أن المرأة الجميلة هي غير زوجته، أما زوجته غير جميلة، لماذا؟ لأنه يملكها، حتى إذا ملك المرأة استقبحها، هؤلاء سقطُ الرجال، الرجال العظماء هم الذين يرون النعم وهي في أيديهم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

جزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

٤٥٩- مسألة الحوادث التي لا أول لها، وها قال بها أحد من السلف؟ وهل يبنى عليها أمور مهمة

ضمن الجلسة الثامنة والثلاثون، بتاريخ: (**٢٣/١٢/١٤٤٢هـ الموافق لـ: ٢/٨/٢٠٢١ م**)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يقول الأخ السائل: حياكم الله شيخنا -وأنتم حياكم الله-.

يقول: شيخنا أكرمك الله، ما رأيك بمسألة الحوادث التي لا أول لها التي قال بها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله؟ وهل قال بهذه المسألة أحدٌ من السلف؟ وهل المسألة يُبنى عليها أمورٌ مهمة وأنها سبب افتراق الفرق في الإسلام أو أنها طويت ولا يُبنى عليها شيءٌ مهم؟

جزاكم الله خيرًا ونفع بكم.

جواب الشيخ: أولاً: لا يُبنى عليها أمور مهمة، هي بُنيت على أمور عند النفاة وعند المثبتين، بُنيت على أمورٍ صحيحة، الذين ينفون لهم مرجعٌ صحيح فيها، ينفون الحوادث التي لا أول لها، والذين يثبتون لهم مرجع صحيح فيها لو نظرت إليه، وكل طائفةٍ نظرت إلى جانبٍ من المسألة، أما أنها يُبنى عليها أمور مهمة، لو بُني عليها أمور مهمة لصرخ بها الصحابة، ولعُلمت بين الصحابة، أو لعُلمت بعض كلماتهم فيها التي تدل على هذه المسألة دلالة يقينية، إذا كانت من الاعتقاد الذي لا ينبغي الخلاف فيه.

ومن هنا فأنا لا أحب للمبتدئ أن ينشغل بها، وإن كان المبتدئ له تشوف للمسائل الغريبة أكثر من المسائل المنتشرة والتقليدية والعامة، هذا أعرفه من نفسي، أنه حيث وجدت المسألة الغريبة تشوفت النفس إليها أكثر من المسائل المبذولة والمتفق عليها، وقد يكون المرء جاهلاً بما هو مجمع عليه شغوفًا بما يحصل به الخلاف، وهذه المسألة من صغري وأنا متشوف أن أعرفها، وحصل نقاش مرةً بيني وبين الشيخ ناصر الألباني رحمه الله عليها، لأنه رد على ابن تيمية ردًا لا ينبغي، ولم يكن فاهمًا لما يقوله ابن تيمية في هذه المسألة.

ما معنى حوادث لا أول لها وكيف نشأت هذه المسألة؟ هذه المسألة انتشرت كمسألةٍ منفية عند المتكلمين

بين قوسين «المتكلمين الذين يتكلمون في العقائد على طريقة أهل الكلام، وليس المتكلمين الذين لهم عقائد خاصة ضد عقائد المحدثين»، علم الكلام يُطلق بهذين الاعتبارين، المتكلمون يقال لهم هذا اللقب باعتبارين، وإن كان الأشهر هو أنهم يتكلمون بعقائد خاصة بهم، اشتهر بها أهل البدع، لنقل أهل البدع، والاعتبار الثاني: أنهم يتكلمون في العقائد عن طريق العقل، يتكلمون في مسائل العقائد بالإثباتات العقلية، وهذه مسألةٌ يقول بها الصحابة والتابعون إلى نصرة شيخ الإسلام، ولذلك يقول شيخ الإسلام: نهي علمائنا كالشافعي وغيره عن علم الكلام ليس لأنه أسلوب في العلم، ولكن لما فيه من مقالات باطلة، انتبه لهذا.

إذن علينا أن نميز بين أن استخدام العقل في إثبات المسائل العلمية وهو الذي يلقب بعلم الكلام، أي لو ذهبت إلى تعريف علم الكلام هو: معنيٌ بإثبات العقائد عن طريق العقل، هكذا هو، لكن صار علم الكلام عند الآخرين شعارًا لعقائد خاصة، هذه العقائد الخاصة هي التي لا يرضاها أهل العلم وهي من البدع، في قولهم تقديم العقل على النقل، وإذا اختلف العقل مع النقل أُوّلَ النقل، وهذه المسألة صارت من ضرورات علم الكلام، كما فرضها الرازي عند المتأخرين وأوجدها كأنها مجمع عليها؛ وهذه المسألة باطلة وهي أساس الفساد، فأساس الفساد كله يعود إلى هذه المسألة؛ وهو تصور أن العقل الصحيح يمكن أن يعارض النقل الصريح، وهذا لا وجود له أصلاً كما هو معروف عند أهل العلم.

ولذلك ألف شيخ الإسلام كتبه المشهورة في هذا الباب ومنها «درء تعارض العقل والنقل» أو «موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول»، المهم ما أساس هذه المسألة؟ أساس هذه المسألة أن المتكلمين وأقول المتكلمين الذين يتكلمون في العقائد بالعقل وليس أهل البدع، الذين تكلموا في هذه المسألة من العلماء في مسائل الكلام، ولم يتكلم فيها أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي رضي الله عنهم ولم يتكلم فيها الأئمة الأربعة ولم يتكلم فيها الأوائل، لكنها صارت علمًا من أعلام علم الكلام وذلك بالنظر إلى أن كل شيءٍ حادث والقديم الوحيد هو الله عز وجل، الذي يسمى عندهم وهي تسميةٌ صحيحة، معناها صحيح، ولكن كاسم لا يجوز أما كلقب كوصف وباب الإثبات أوسع من باب التسمية، باب الإثبات أي بمعنى أن تثبت لله عز وجل صفة أوسع من باب الأسماء، أن تسميه بهذا الاسم، ولذلك قالوا: الأسماء يشتق منها صفات، وليس العكس، ليس شرط الصفة أن يشتق منها اسم إلا إذا جاء النص بها.

المهم: فأساس المسألة انتبه إليها تفهمها وهي سهلة جدًا لا تحتاج لتعقيد، وإذا فهمتها فهمت لما نشأ الخلاف، وكل واحدٍ أتخذ جهةٍ من الحق في إثباتها من جهة دليلها، أي الدليل صحيح عند كل فرقة، الله عز وجل أزلي ومعنى أزلي أنه لا أول له هذا معنى كلامهم الذي لا أول له كما في النص القرآني وفي الحديث، أول ليس قبله شيء، (**كان الله ولا شيء معه**)، هذا اللفظ ينفيه لبن تيمية والمحدثون يقبلونه وهو في البخاري (**كان الله ولا شيء معه**)، شيء بمعنى مخلوق، أي الله عز وجل كان ولا أول له في وقتٍ لما كان لا أول له سبحانه وتعالى لم يكن معه شيء، ولما كان عند المتكلمين أن أمر الربوبية ثبوته بالقدم والفردانية، لما كان أمر الربوبية متعلقٌ بالقدم، هكذا هم يقولون: الربوبية تثبت بالقدم، هكذا عندهم، أي أن الأزل الذي لا أول له، فكل شيءٍ بهذا المعنى لا أول له فهو رب، ولا يوجد هذا الوصف إلا لله عز وجل؛ هذا المعنى صحيح.

فإذن معنى أن الأشياء كلها حادثة سواء كان بنوعها أو بفرعها، سواء بنوعها أي النوع، والنوع هو أمرٌ عقلي لا وجود له في الخارج، الموجود في الخارج هو الأفراد، فوجود حوادث، حادث مفرد حوادث، والحادث عند المتكلمين هو ما كان له أول هذا شرطه، ومن هنا وقعوا في أخطاء في نسبة كلمة حدوث على القرآن، نحن نتكلم ماذا يقول أهل الفن بحسب مصطلحاتهم، فكل حادث إذن له أول؛ لأنه حدث إذ لم يكن يومًا، فلذلك (**كان الله ولا شيء معه**).

إذن حوادث لا أولها منفيةٌ عند المتكلمين؛ لأنه إذا أزلنا كلمة الحادث وجعلنا له لا أول له فهو رب، والذي له صفة الرب هو الله، الأول الذي ليس معه شيء وليس قبله شيء ولم يسبقه عدم، مسألة سهلة ويسيرة.

وابن تيمية لماذا خالفهم؟ وجدت في الطحاوية كلامًا وهذا جزء من كلامي مع الشيخ ناصر عندما أردت أن أثبت له أن فهمه لحوادث لا أول لها على غير وجه ما يقول ابن تيمية، الله عز وجل له صفات، وأعظم صفة له جل في علاه الفعلية هي صفة الخلق؛ أنه يخلُق، طيب هذه الصفة الأزلية هل وجد مقتضاها حيث هي صفة أزلية؟ الطحاوي قال: «خالقٌ قبل أن يكون مخلوق»، هذه الصفة الأزلية هل كان لها أثرٌ حيث هو الأزل؟ نعم، هو أوجدها، لكنها حيث كانت في الأزل كان أثرها بوجوده، فابن تيمية قال: نعم، نظر إلى هذا المعنى؛ نظر إلى أن الصفات وإن وجدت هي قديمة بقدم الذات وأولية بأولية الذات، فلا بد من وجود مُقتضى لها، لا بد من وجود أثرٍ لها يتعلق بوجودها أزلاً ولا أول له.

وقال: لزيادة الدليل على ذلك: هل هناك أشياء لا نهاية لها، حوادث لا نهاية لها؟ الجواب: نعم، أهل الجنة لا يموتون، ما في موت، وأبديون، الأزلي الذي لا أول له والأبدي الذي لا آخر له، الآخر الذي ليس بعده شيء.

فهل هناك أشياء مخلوقة لا نهاية لها؟ الجواب: نعم، أهل الجنة لا يموت فيها ولا يحيى، أهل النار لا يموتون، على الصحيح؛ فإذن لماذا تصورنا بوجود حوادث لا نهاية لها أي أبدية، ولا نتصور وجود حوادث لا أول لها أي أزلية؟ هذا المأخذ هو مأخذ ابن تيمية، والمأخذ الأول هو مأخذ الأوائل، كيف انتصروا عليها بالنص؟ وهذا كيف انتصر بالنص؟ ابن تيمية جاء لحديث (**كان الله ولا شيء معه**) وأبطله قال: لا، هذا لفظٌ خطأ من الراوي، المحدثون كابن حجر لم يسلموا له، وقالوا كلامًا تُراجعونه في مظانه عند شرح هذا الحديث، فقال: «كان الله ولا شيء معه» ليس صحيح، الصحيح عند ابن تيمية (**كان الله ولا شيء قبله**)؛ لأنه الأول الذي ليس قبله شيء، فلا شيء قبله، وأما معه فلا ندري، لا بد من نافي من النص، وفي كلام في الطحاوية هذا المعنى أن الأمر متعلق بقضية الحادث التي لا أول لها متعلق بالنص؛ لأن الصفة أزلية فلماذا تمنعون أثرها الأزلي؟ طيب هل وجد هذا أو لم يوجد؟ قال: نتعلق بالنص هذا كلام وجدته عند ابن أبي العز الحنفي وكنت أريد أن أريه يومها للشيخ الألباني في إثبات خطئه عندما رد على ابن تيمية في حوادث التي لا أول لها، أن ابن أبي الحنفي يعلق المسألة على الأثر، أما الوجود وعدمه فنقول: لا ندري نعلقه على الأثر، موجود أو غير موجود، هذا قول ابن تيمية.

الأخرون قالوا: لا، هذا حديثٌ صحيح (**كان الله ولا شيء معه**)، كما أنه (**كان الله لا شيء قبله**) كذلك (**كان الله ولا شيء معه**) وهذا الحديث صحيح؛ فحينئذٍ نثبت وقتًا لم يوجد شيء من المخلوقات ولا الحوادث، وإن كانت الصفة قديمة، لكن آثارها حادثة وإن كانت هي صفة قديمة، كما أن الكلام صفة قديمة لله عز وجل، القدرة على الكلام موجودة، لكنه تكلم حيث شاء ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، تكلم حيث شاء وخلق حيث شاء، وليتهم تواصلوا في هذه المسألة في قضية القرآن، لكن «المتكلمين» بين قوسين المبتدعة لهم كلام في هذا الباب لا نريد أن نخوض فيه، فهذه هي المسألة.

ولو سألتني ما فائدتها؟ ومن هنا أقول: كلام ابن تيمية الأصل الذي اعتمد عليه صحيح، الأصل، النتيجة

صحيحة أو غير صحيحة موضوع ثاني، الأصل الذي اعتمد عليه النفاة صحيح، بعض المعاصرين علق عليها قصورًا من المقالات لا أريد أن أخوض، وأُلفت فيها رسالة دكتوراة والمشرف عليها علق و... إلخ، ولا أرى أن ينبغي إلا أن يهتم بها طالب العلم كمسألة يعرفها إذا مرت عليه بين السطور وفي المقالات وفي سماعه لناس، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

بارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين